

المشغوم
عفا الله عنه

شرح

كتاب الزم نبي

وضعه
عبد الرحمن البرقوقي

المشتم
عفا الله عنه

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدَّامَاتُ هَذِهِ الطَّبَعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالنَّبَسْطِ وَالِاسْتِيْعَابِ . بَحِيثٌ تَلَوَقَتْ
فِي هَذَا الشَّرْحِ جَمِيعَ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّيِّ وَشَرَحَتْ فِيهِ الشُّوَاهِدَ وَالنُّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

لِلجَمْعِ الْأَوَّلِ

النَّاشِرُ دَارُ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ
بِهَرَاتٍ - بَشْتَانِ

بیتنا
بیتنا

۱۹۸۶م - ۱۴۰۷ھ

بیروت - لبنان

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد : فهذا شرح ديوان المتنبي أُخْرِجَهُ بعد شرح ديوان حسان
الذي أُخْرِجَتْه في العام الماضي ، ورآه القراء وعرفوا من مقدمته ما كابدت فيه

أبو الطيب المتنبي : هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي
الكندي الكوفي ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة في محلة تسمى كندة ، فنسب
إليها ، وليس هو من كندة التي هي قبيلة ، بل هو جعفي القبيلة — بضم الجيم وسكون
العين — وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج — واسمه مالك — بن أدد بن زيد
ابن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان . نشأ بالكوفة — كما ترى — ويقال : إن أباه
كان سقاء بالكوفة ، ثم انتقل إلى الشام بولده ، ونشأ ولده بالشام ، وإلى هذا
أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال :

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا

عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمَحْيَا

قدم الشام في صباه ، وجال في أقطاره ، وما زال إلى أن ادعى النبوة في بادية
الساوة ، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ — أمير حمص نائب
الأخشيدي — فأسرّه وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ؛ ثم استتابه وأطلقه ، ومن ثم
سمى المتنبي ؛ ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان — سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة —
وما زال منقطعاً له حتى وقع بين المتنبي وبين ابن خالويه — النحوي — كلام في
مجلس من مجالس سيف الدولة ، فوثب ابن خالويه على المتنبي ، فضرب وجهه بمفتاح
كان معه ، فشجّه ، وخرج ودمه يسيل على ثيابه ، ففضض ، وفارق سيف الدولة ،

وفي الحق : إني لم أعان في المتنبي ما عانيتُ في حسان — على بُعد ما بينهما —
وذلك أن المتنبي رَبُّ الماعى الدقاق — كما قال — فلذهن في شعره جولان
وما دامَ هناك ذهنٌ يَلْفَفُ ، وذوقٌ يَسْتَدِقُّ ، وملكةٌ بيانية ، وبَصَرٌ
بمذاهب الشعر : أمكن إدراكُ ما يترامى إليه مثلُ المتنبي ، ولو بشيء من

وذهب إلى مصر سنة ست واربعين وثلاثمائة ، ومدح كافر الأخشيدى ، وكان
يقف بين يدي كافر ، وفي رجله خفان ، وفي وسطه سيف ومنطقة ، ويركب
بمجاجين من ماليكه ، وهما بالسيف والمناطق ، ولما لم يرضه كافر هجاء وفارقه
ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة ، ووجه كافر خلفه رواحل إلى جهات شتى ،
فلم يلحق ، وكان كافر وعده بولاية بعض أحواله ، فلما رأى تغالية في شعره وسجوه
بنفسه ، خافه ، وعوتب فيه ، فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم
أما يدعى المملوك مع كافر؟ لحسبكم ، ولما كان بمصر مرض وكان له صديق
ينشاه في علة ، فلما أبل انقطع عنه ، فكتب إليه : وصلتني - وصلك الله - معتلا
وقطعتني مبلا ، فان رأيت أن لا تشب العلة لى ، ولا تكدر الصحة على - فملت
إن شاء الله . ولما رحل عن كافر قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه
الديلمى ، فأجزل جائزته . (وكذلك مدح ابن العميد) ولما رجع من عند عضد الدولة
قاصداً بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان لثمانية خلون منه - عرض له فاتك بن الجهلي
الأسدى في عنة من أصحابه ، وكان مع المتنبي أيضا جماعة من أصحابه ، فقاتلوه ، فقتل
المتنبي وابنه محمد وغلماه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية ،
وقيل جبال الصافية - من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول - وذلك
يوم الأربعاء لست بقين - وقيل ثلاث بقين ، وقيل لليلتين بقيتا - من شهر رمضان
سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ولما قل : رثاه أبوه القاسم مظفر بن علي الطبرى بقوله :

لا رعى الله سِرْبَ هَذَا الزَّمانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَاكَ اللِّسانِ
مَا رَأَى النَّاسَ نَائِيَّ الْمُتَدَبِّى أَيْ نَائِيَّ يَرْمَى لِيَكْرِ الزَّمانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبْرِيَاءِ ذِي سُلْطانِ
هُوَ فِي شِعْرِهِ نَبِيٌّ وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِي المَعانىِ
دا ه ملخصا من ابن خلكان ،

الجهد اللذّ ، والتعب المريح ، ذلك إلى أن المتنبي مخدوم ، وشروحه متوافرة ، ومادته زاخرة ، فكان شرحه لذلك يكاد يكون هينا لينا ، لا إرهاق فيه نلاطر ، ولا إعنات لروية . وهنا قد يبدو لك أن تقول : وإذا كان المتنبي مخدوماً وشروحه متوافرة - كما تزعم - فعلام هذا الشرح وما حاجتنا إليه ؟ فعلى رسلك

شيء من أخلاقه وشيئانه

حدث علي بن حمزة قال : بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة ، وذلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال مذمومة ، وذلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن . . . أما هذه الأخيرة - وهي أنه ما قرأ القرآن - فإن أظن الراوي يريد أنه ما قرأ القرآن تهجداً وتعبداً ، وإلا فإن مثل المتنبي في فضله وأدبه ودهائه لا يفوته أن يقرأ القرآن الكريم ويتدارسه ويستظهره ؛ وأى قيمة لأديب لم يقرأ القرآن ؟ ! وقال ابن فرج : كان المتنبي رجلاً ذاهية من اللسان ، شجاعاً ، حافظاً للآداب ، عارفاً بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه إلا ببخله وشربه على المال . .

أقول : وهذا ببخل المتنبي هو على الحقيقة بما استتبعه طاحه وكبرياؤه وسموه إلى الرفعة والمجد والعلاء . وقد سئل في ذلك فقال : إن للبخل سبباً ، وذلك أتى أذكر - وقد وردت في صحابي من الكوفة إلى بغداد - فاتخذت خمسة دراهم في جانب منديل ، وخرجت أمشي في أسواق بغداد ، فررت بصاحب دكان يبيع القاكة ، فرأيت خمس بطيخات باكورة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التي معي ، فتقدمت إليه وقلت : بكم هذه الخمس بطايطيخ ؟ . . فقال - بغير أكثر - اذهب ، فليس هذا من أكلك ؛ فتماسكت معه وقلت : أيها الرجل : دع ما يعيظ واقصد الثمن ، فقال : ثمنها عشرة دراهم ؛ فلشدة ما جهني به ما استطعت أن أخاطبه في المساومة ، فوفقت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الحان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له وقال : يا مولاي : ها بطيخ باكورة بإجازتك أحمله إلى منزلك ، فقال الشيخ : ويحك ! بكم هذا ؟ فقال : بخمسة دراهم ، فقال : بل بدرهمين ، فباعه الخمسة بدرهمين ، وحملها إلى داره ودعا له ، وعاد إلى دكانه

يا هذا . فالتنبي وإن كانت شروحه كثيرة إلا أنها كثيرة قلة . . ذلك أن المتنبي وإن كان من حسن حفظه أن شَرَحَهُ وعلق عليه ، وتقده وتمصب له وعليه ، نَيْفٌ وخمسون أديباً ، بَيَّدَ أَنَّ المتداول من شروحه إنما هو العُكْبَرِيُّ والواحدى واليازجى حَسْبُ : أمّا الواحدى : فَلأنَّهُ لم يُطَبِّعْ إلا فى أوربته وفى الهند فقط ، كانت لذلك نسخه قليلة التداول فى أيدى الناطقين بالضاد لِنَدْرَتِهِ وغلاء ثمنه ، ومن ثمَّ كان فى حكم غير المتداول . ثم هو - الواحدى - وَمِثْلُهُ العُكْبَرِيُّ كلاهما موضوعٌ ذلك الوَضْعَ الخلق البالى القيم - بعثرة الأبيات وإثبات البيت ثم شرحه ، وهكذا دَوَالِيكَ - وَضَعٌ لا يتفق ومزاج هذا الجليل ، ولا سيما من يتنقى حفظ الديوان واستظهاره ، هذا إلى التحريف الكثير الذى ألمَّ بالواحدى والعُكْبَرِيُّ معاً ، وهنا لا يسع المرء إلا أن يأسفَ كل الأسف وتقطع نفسه حَسَرَاتٍ جَرَاءَ

مسروراً بما فعل ؛ قتلت : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ! استمت على فى هذا البطيخ وفعلت فعلتك التى فعلت ، وكنت قد أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولاً ! فقال اسكت : هذا يملك مائة ألف دينار ... وأنا لأزال على ماتراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار ...

وقد كان أبو الطيب مغروراً إلى أقصى حدود الغرور ، وكان ذا طلاح وزهو وكبرياء ، بل كان لا يطاق غطرسة وشموخاً وخيلاء ، ولا تنس قصته مع الخاتمي وما جره عليه هذا الكبر . وكان أبو الطيب مصاباً بذلك الداء : داء جنون العظمة . . . وكثيراً ما يصيب هذا الداء التواضع والعبقريين حولك أن تجعله علة ، ولك أن تجعله معلولاً . . . وقد كان أبو الطيب عزهاة لا تطيبه النساء . . . وكان لا يشرب الخمر . . . وجملة القول أن أبا الطيب كان ذا شخصية من الشخصيات الغريبة ، وكان عظيماً ، وكان عبقرياً ، وكانت حياته لذلك زاخرة بكل ما يجلب له الحب والإشفاق والإجلال من قوم ، وبكل ما يجلب عليه الحسد والبغض والعداء من آخرين : شأن كل عبقرى عظيم ، والله أعلم . . .

ذلك الداء الخبيث العيأ الذي ألمّ - ولا يزال يُلم - بالمطبوعات العربية - داء التصحيف والتحريف - حتى لا يكاد يسلم منه كتاب عربي ، فذهب بجمال التوليف وشوّه خلقها وصارَ بها إلى حيثُ تنبوغنها الأحداق ، وتتجافى عن قراءتها الأذواق ، ويتخاذل الذهن ، ويتراجع الفكر . ولست أدري : ما مصدر هذا الداء ، ولا من تقع عليه تبعه هذا الجرم : هل هو الناسخ ؟ - بل الماسخ - [ولقد حاولت - أخيراً - أن أنسخ رسالة في سرقات المتنبي بدار الكتب المصرية ، وكلفت أحد النساخين في تلك الدار بنسخها ، ولما أتمّ نقل الكراسة الأولى ذهبت إليه وأخذنا نقابل ما نسخ على الأصل ، فوجدت الأصل لا يكاد يوجد فيه بيت صحيح ، ووجدت ما نسخ منه ضفتنا على إباله . . . فما كان إلا أن انصرفت نفسى عن المسألة برمتها] . . . أم هو الطابع وجهله وتهاونه ! ؟

ولقد لقيت الألقى في تصحيح « بروفات » - أو تجارب - المتنبي ، ومن قبله حسان ، حتى لا أكون مغالياً إذا قلت : إن الجهد الذى يبذلُ في سبيل التأليف أهونُ على المرء من الجهد الذى يقاسى في سبيل التصحيح .

وتصوّر مقدار ما يعرّو الإنسان من الموضض والامتعاض حين يرى الكتاب - بعد هذا العناء الذى يبذل في التصحيح - لم يسلم من الأغاليط . ولا تنس أن المؤلف قد لا يفتن إلى الخطأ المطبعى أثناء التصحيح ويمرّ به مرّاً ، وعذره في ذلك واضح : وهو أنه إنما يقرأ ما في ذهنه ، لا ما هو بين عينيه ؛ ومن هنا كان له - للمؤلف - هو الآخر نصيب من هذا الخطأ وإن كان عذره في ذلك قائماً . . .

أقول : إن عيب الواحدى والمكبرى هو ما ذكرت : وضع لا يتفق وروح المعصر ، وتحريف كثير شائع في الكتابين ، ذلك إلى هفواتٍ تلحق كلاً على حدّته ، وقصورٍ أو تقصيرٍ أو إقصارٍ يلمّ بساحته ؛ فإذا أردت أن تجتزئ

بالعكبرى - مثلاً - وتستغنيَ به عن غيره فإنه لا يفتنى كل الفناء ، وكذلك الواحدى .
ويزيد الواحدى على العكبرى أنه لا يحفل بتفسير المفردات ولا بالإعراب ، وبأنه
لا يفسر كثيراً من الآيات ، فكأنه موضوع للمنتهين . ولذا لا يأتى الشادين . أما
اليازجى أو اليازجيان - الشيخ ناصيف وابنه الشيخ إبراهيم - فهما - على فضلهما
الذى لا ينكر ، وعلى ما طنطن به الثانى فى ذيل الشرح ، مما قد يخرج منه القارىء
وهو مفعم يقيناً بأن هذا الشرح هو سيد الشروح ، وهو وحده الشرح الذى
طبّق المنصل وأصاب مقطع الحق وأوفى على الغاية ، أقول : إنهما - على الرغم من
ذلك - يصدّق عليهما قول الواحدى فى ابن جنّى : وأما ابن جنى فإنه من الكبار
فى صنعة الإعراب والتصريف ، والحسنين فى كل واحد منهما بالتصنيف ، غير أنه
إذا تكلم فى المعانى تبلد حماره ، ولجّ به عثاره . . . نعم ، وحسبك أن ترجع إلى
ما قاله - أى اليازجيان - فى شرح هذا البيت على انسجامه ووضوحه وروعته :

لما الله ذى الدنيا مُناخاً لِرَاكِبِ
فكلُّ يبعيدِ الهمِّ فيها معذبٌ

قالا : يذم الدنيا . يعنى أنها دار شقاء حتى إن من لا همّ له لا يخلو فيها من
العذاب ، فما الظن بصاحب الهموم ؟ ! ولست أدرى : كيف لم يفتننا إلى معنى هذا
البيت وهو من الوضوح والجللاء - كما ترى - . . . على أنهما - فى شرحهما
عامة ، لافى شرح هذا البيت - لم يجيدا عن الواحدى والعكبرى قيداً أنملة ؛ فهما
عدتاها ، وعليهما معولها ، فإذا حاولا أن يتفصّياً منهما ، ويستقلّا بالشرح
دونهما ، ويأتيا بشيء من عندهما : زلت قدماهما ، وكبا جواداها ، أو تبدل حماراها .
ووقعا فى مثل ما وقعا فى هذا البيت . . .

ذلك : إلى أن القسم الذى تولى شرحه الشيخ ناصيف قصر فيه ومرّض
ولم يتعرض لشرح المعانى ، وإنما اقتصر على شرح المفردات ، وإلى أنهما

- اليازجين - تركا كثيراً من شعر المتنبي الذي يريان فيه خشكاً لوجه الأدب ،
وإلى أنهما لم يتعرضا لسرقات المتنبي وذكر الأشباه والنظائر أصلاً ، وهذه جزئية
من المزايا قد وفيناها حقها في هذا الشرح ...

على أننا لا نبخس الناس أشياءهم ، ولا ننكر خصائص الطباع البشرية
وما قد يعرفها الخطرة بعد الخطرة : من الفتور والانتكاس ، وانفلاق الذهن ،
وتبليد الحس ، وإظلام البصيرة ، وغوور الروح ، وخمود الذكاء ، حتى لقد يخفى
أحياناً على العليم الأملئ وجه الصواب وهو منه على حبل الذراع وطرف التمام
- كما يقولون - فيعتسف الطريق ، ويتخبط تخبط العشواء ...

وهذا ابن جنى - الإمام العالم المجتهد الثبت الثقة ، بل فيلسوف اللغة العربية ،
العليم بخصائصها ، الطب البصير بدقائقها - تراه في شرحه على المتنبي على الرغم من
ذلك ، ومن أنه كان معاصراً للمتنبي - متعصباً له محامياً عنه ، وكان إذا سأل
المتنبي سائل عن معنى بيت من أبياته يقول : أسألوا الشارح - يعني ابن جنى - .
وكان ابن جنى يراجع المتنبي في كثير من شعره ويستوضحه المعنى الذي يغزوه .
وبرغم ذلك تراه في كثير من المواضع - كما قال الواحدى - وقد تبليد حماره ،
ولجَّ به عثاره .

وهكذا تتبعت جميع من تعرض للنتنبي بالشرح أو النقد - كابن فورج ،
والعروضى ، والتبريزى ، وابن وكيع ، وابن القطاع ، وابن الأفلحى - فوجدت لهم
جميعاً بجانب حسناتهم سيئات ، وإلى سدادهم زلات وهفوات .

وهذا حقاً من غريب طبائع البشر ؛ فسبحان من تفرد بالكمال !
ولقد وجدت ذلك من نفسى : مع أن الطريق معبد ، والمادة متوافرة ؛ فقد
أكون - فى بعض الأوقات - مستعجاً ، نشيطاً ، مهزوزاً . مرهف الطبع . مصقول
الذهن ، صافى الحس ، منبسط النفس ؛ فأشرح ما أشرح - من قوافى المتنبي -
فأتى بما أرضى به عن نفسى ، ويعزوفى له من الطرب ما يستخفى ، وأكون

في أوقات أخرى متقبض النفس ، مظلم الحس ، مغلق الذهن ، قدما ، بليداً ، لا أكاد أذهنُ شيئاً ، وأكون مضطراً إلى العمل ؛ فأشرح - وأنا على هذه الحال - بعض الآيات ، ثم أعود في وقت أكون فيه على جام من نفسى إلى ما شرحت ، وأنظر ماذا قلت ، فأدهش : كيف يصدر هذا من رجل له بقية من فهم ؟ وأتهم نفسى ، حتى لا أكاد أصدق أن شيئاً من هذا نَدَّ به القلم ...

ثم لا تنس اختلاف القرائح والأفهام والنزعات ، وأن هذا ينزع في تفكيره نزعة لغوية ، وذاك نزعة نحوية ، وذلك نزعة فلسفية منطقية ، وآخر قد تأثر بالأدب والفن وحسن التخيل ، وأن هذا أصح تمييزاً من ذاك ، وأنفذ بصيرة ، وأبعد مدارك ، وأصنى نفساً ، وألطف حساً ، وأكثر ألمعية ، إذا أذنت أذناه شيئاً شاء ما ذهنه . فإذا هم أراغوا تأويل بيت من آيات المعاني الدقاق : تشعبت آراؤهم ، وذهب كلٌّ في تأويله مذهباً قد يباين مذهب الآخر ، تبعاً لتباين قرائحهم ومحصولاتهم ، كما قال المتنبي :

ولكن تأخذ الأذانُ منه على قدر القرائح والعُلوم

وإليك شيئاً يحور إليه سر هذا التباين الذى نرى بين الشراح في تأويلاتهم لمثل شعر أبي الطيب . ذلك أن المتنبي كان رجلاً ما كرأ باقعة داهية ، فكان من دهائه يعمد إلى بعض المعانى التى سبق إليها فيحاول أن يبعد بها عن أصلها ويعمىها على الناظر فيها ويريفها ويديرها عن ذلك حتى لا يُفطنَ إلى أن غيره أبو عُذر هذا المعنى ، فيلجأ إلى التعمية والجمجمة والتعقيد والإبهام ؛ لأن تلك طريقته - كما سنبينه - فيجىء البيت متنافر اللحمة ملتاث التعبير ، لا يشف ظاهره عن باطنه ، ولا يتجاوب أوله وآخره ، حتى لكأنه ضرب من الرُّقى ، فيظن بمض الشراح أن هناك معنى دقيقاً عميقاً فيكده ذهنه ، ويمجد فكره ، ويسافر في طلب المعنى أميلاً وهو لا يفوت أطراف بنانه ، وينضى إليه رواحله ذهنه وهو على جبل ذراعه ، فيعتسف ويشتط وينحرف عن جادة الصواب ، كما قال المتنبي :

أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ السَّطِيعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ

وهناك شيئاً يرجع إليه ذلك التعميق الذي تراه في بعض شعر المتنبي . هو أن أبا الطيب له حساد كثيرون من أهل الفضل ومن فحولة الشعراء وأعيان البيان يتعثر بهم على أبواب سيف الدولة في حاب ، وتقع عينه عليهم أنى ذهب - في الشام وفي مصر وفي بغداد وفي فارس - وكانوا له بالمرصاد يتلصسون له الهفوة والمأخذ ، وكان كثير - ممن يمدحهم كذلك - شعراء أدياء - وناهيك بسيف الدولة وابن العميد - فكان لذلك كله - يمتشد لكثير من قصائده ويتعمل لها ، وينتطس في ألفاظه ومعانيه ، ويمحتفل ، ويمعن في الاحتفال إلى ما وراء طبعه ؛ فيجىء بعض نظمه كزناً جافاً معقداً حُرْم طُلاوة الطبع ورويقه ، وفقد نصف الجمال الشعري .

وهنا لا نرى مندوحة من أن نعرض لشيء لم يفتن إليه أحد ، أو فطنوا إليه ولم يصِفوه ، أو وصفوه ولكن لم يصفوه الوصف الذي هو به أليق ، ذلك أن المتنبي - للأسباب التي أساقناها ، ولسبب آخر سنبينه - تراه في أكثر شعره ينقصه التعبير الشعري ، ويظهر لك ذلك إذا أنت وازنت بينه وبين إمامه في الصنعة والاحتفال بالمعنى - وهو أبو تمام .

وإني لأذكر كلمة لأحد نقدة العرب وهي : إنما حبيب أبو تمام كلقاضى العدل : يضع اللفظ موضعها ، ويعطى المعنى حقه ، بعد طول النظر ، والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع : يتحرى في كلامه ، ويتخرج خوفاً على دينه ، وأبو الطيب كالمملك الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعنوة ، كالشجاع الجريء : يهجم ما يريد ، ولا يبالي ما نقي ولا حيث وقع ٥١ .

فأنت - إذا نظرت إلى أبي تمام تجد الفحولة والجزالة والقوة ، وترى المعانى الدقاق وترى الصنعة - من الجناس والمطابقة وما إليهما - وترى - مع ذلك كله -

التعبير الشعري : أى ترى النصاعة والإشراق ، ووضوح المعالم ، واطراد النظام ،
وتساوق الأغراض ، وإحكام الأداء ، والروعة ، والجمال ، والروح القوى الذى
يظالمك من بين فقره ، ومن هنا يفضل أبو تمام : أبا الطيب .

قال ابن الأثير : وهؤلاء الثلاثة - أبو تمام ، والبحتري ، والمتنبي - هم لات
الشعر ، وعزاه ، ومنأته ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ،
وجعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء ؛ وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين
إلى فصاحة القدماء .

أما أبو تمام : فإنه رب معان ، وصيقل الباب وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى
مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب ، الذى برز فيه
على الأضراب ، ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقول فيه
إلا عن تنقيب وتنقيح ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره
برائضه ، أطاعته أعنة الكلام ، وكان قوله فى البلاغة ما قالت حذام ، فخذ منى
فى ذلك قول حكيم ، وتعلم ، ففوق كل ذى علم عليم .

وأما أبو عبادَةَ البحتري : فإنه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر فنفى ،
ولقد حاز طرقي الرقة والجرالة على الإطلاق ، فبينما يكون فى شظف نجد إذ تشبث
بريف العراق ، وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال :
أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري . ولعمري إنه أنصف فى حكمه ،
وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادَةَ أتى فى شعره بالمعنى المقدود من
الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام ،
مع قربهِ إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاق الغالية ، وورق
فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي : فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه

خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف موافق القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متأنماً ، ولا منه مثلماً : وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تضل بسالكه وتقوم بمنذر تاركة ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ما أدى إليه عيانه ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء ، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْتِهِ إِنْ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَا خَتَمُوا
وَلَا تُبَالِ بِشَعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أَفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَحْمِدَ الصَّمَمُ

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التي ماضل صاحبها وما غوى ، وجدته أقساماً خمسة : خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره ، وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه ، غيره وخمس من متوسط الشعر ، وخمس دون ذلك ، وخمس في الغاية المتفجرة التي لا يُعبأ بها ، وعدمها خير من وجودها ، ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها ؛ فإنها هي التي ألبنسته لباس الملام ، وجعلت عرضه غرضاً لسهام الأقوام ، « هـ كلام ابن الأثير .

وقد آن لنا أن نقول : إن هذا الذي يماب على أبي الطيب ويظن أنه يتخونه ويشينه : هو على الحقيقة سر من أسرار شاعريته لأن مرجعه التوليد الذي لا يؤتاه إلا الشاعر المطلق .. فالكلام إنما هو من الكلام وإنما يستحق الشاعر هذا اللقب بالتوليد ، وبطريقته في التوليد تقوم طريقته في الشعر ؛ فمن ثمَّ يختلف الشعراء ويمتاز واحد من واحد وتبين طريقتهم من طريقة وإن تواردوا جميعاً على معنى واحد يأخذه الآخر منهم عن الأول .

ولقد أتى مائة شاعر بالمعنى الذي لا يختلف في الطبيعة ولا في السياق ولا في الفهم ،

فيدرونه في مائة بيت تكون في مائة ديوان ، ومع ذلك ترى أحوالهم فيه متباينة ، وصناعتهم في أخذه مختلفة ، وترام قد تناولوه بوجوه كثيرة مُتحقق فيه عمل أمرجتهم ، وتلقى عليه اختلاف أزمانهم ، وتجري به في طرق حوادثهم ، كأنه مع كل منهم قد ولد ونشأ^(١) فهو مع هذا قوى ، ومع الآخر جبار ، ومع الثالث ضعيف ، ومع رابع متهالك ؛ وتارة بدين ، وأخرى هزيل ، وثالثة بينهما ، وهكذا . ولولا ذلك لم يكن الكلام إلا تكراراً ؛ وبطل فيه عمل العقل ، وأصبح رثاً بالياً ؛ وزهد مع الذاهيين الأولين ، ولم يبق فيه لشاعر إلا إقامة الوزن ، ولو كان هذا للنسخ لقب الشاعر من الأرض ، ولم تعد للبيان صناعة ، ولا بقيت في القرائح مادة إلهية من الإلهام .

وشأن المتنبي كالشأن في نوابغ الدنيا : فالشاعر النابغة لا يهر بإرادته ، ولا ينبغ بأن يخلق في نفسه مادة ليست فيها ، وإنما هو يولد مُهيئاً بقوى لا تكون إلا فيه وفي أمثاله ، وهو زائد بها على غيره ممن لم يرزق النبوغ - كما يزيد الجوهر على الحجر أو الفولاذ على الحديد ، أو الذهب على النحاس - ثم تتفاوت هذه القوى في النوابغ ؛ فتتنوع وتتباين ، وتعمل فيها أحوالهم وأزمانهم وحوادثهم ، ومن ثم يجتمع لكل منهم شخصية ؛ ويستقل منها بطريقة ومذهب ؛ فإذا تناول معنى من المعاني تناوله على طريقته : فإما حذف منه ، وإما زاد فيه ، وإما غيرَه وقلبه ، وإما صبَّ على حدوه معنى جديداً يلم به أو يشبهه ، أو لا يكون فيه إلا أنه جاء على طريقته حسب . فكثيراً ما يقرأ النابغة كلاماً لغيره ، أو يتأمل خاطراً ، أو يشهد أمراً ؛ فإذا كل ذلك قد أوحى إليه وانعكس على مرآة ذهنه بعمان مبتكرة طريفة لا تشبه ما كان

(١) ومن هنا لا ينبغي لك أن تظن حين ترى في شرحنا هذا مثل قولنا - بعد شرح بعض الآيات - : إن هذا المعنى مأخوذ من قول فلان أو منقول منه أو ينظر إليه : أنا نقصد بذلك إلى أن أبا الطيب سرقه كما يسرق ضعاف الشعراء ، وإنما هو التوليد الذي هو من خصائص النوابغ : وإنما ذكرنا هذه الأشباه والنظائر : هو ل ترى كيف يكون التوليد . واتخار ما يحلو . .

بسبيله وجها من الشبه - لا قريباً ولا بعيداً - وليس فيها إلا أنها جاءت من ذلك الطريق ، وهو بعدُ لم يتمل لها ولم يتكلف ولم يصنع شيئاً ، وإنما هو تلقى من ذهنه وتلقى ذهنه من قوة لا يدري ما هي ولا أين هي ؟

وكما يُختار النبي يُختار النابغة - وليس كل الناس أنبياء ، ولا كلهم نوابغ - ولا يصنع النبي أكثر من أن يتلقى عن الوحي ، وكذلك يتلقى النابغة عن البصيرة وهي تكون فيه هو وحده بمقام الملك من الملائكة أو الشيطان من الشياطين ، على حين تكون في سواه بمقام الإنسان من الناس ، فالرجل الذكي أشبه بإنسانين : أحدهما هو ، والآخر بصيرته ، وهو بذلك أقوى من غيره ، ولكن النابغة - وبصيرته أشبه بإنسان وملك ، أو إنسان وشيطان - فهو دائماً أقوى من القوة ، وهو دائماً متصل بشيء فوق الإنسانية .

وإذا تقرر هذا : فليس للنابغة اختيار فيما يأتي به ، وليس عليه إلا أن يأخذ ما يؤتاه كما يتبها له على طريقته ؛ ومن هنا ترى المتنبي يأتي أحياناً بالتمقيد المستكره واللفظ المتكلف ، وتراه يتمصف ويتخبط ويُسِف ، ومع ذلك لا ينفي مثل هذا من شعره ولا يحذره ، وهو قادر على أن يُفنى عنه وليس في حاجة إليه ، ولكنه بعض طريقته التي انطبع عليها ، فلا يستطيع حين يحينه الردىء أن يجعله جيداً ، وليس إلا أن يأخذه كما هو ، لأنه هو الذى انبثق له عن الجيد ، كما تضرم النار من مادة . فإذا هي سُكِل ودخان ، ثم تضرمها من مادة أخرى فإذا هي لمب صاف يتألق ؛ ولو أنك أردتها من المادة الأولى كما تجيء من الثانية لأطفأتها وذهب دخانها ونارها معاً .

وهذا سر لم يقن به إليه أحد ممن كتبوا عن المتنبي ، فأشدُّ يدك عليه ، وادرس المتنبي على هذه الطريقة ، فستجده نابغة في جوده ورديته ، وستجده لا يستطيع غير

المستطاع ، وستجد طريقته كأنما فرضت عليه فرضاً ، لأنه كذلك أهم ، وعلى ذلك ركب طبعه ، وكان ظلامه ظلاماً لتسطع فيه النجوم .

أما الإفاضة في ترجمة المتنبي ونشأته وأخلاقه وما إلى ذلك ، فلا يأتي فيها أحد مجيد . . . وقد أصبح المتنبي - دون غيره من شعراء العربية - كأنه في غير حاجة إلى الترجمة ، إذ هو كلقطة من تاريخ الأدب ، فالكلام عنه متداول مشهور ، وهذا بعض ما اختص به ؛ فقد تحتاج مع شعر كل شاعر إلى ترجمته ، ولكنك لا تحتاج من أبي الطيب إلا إلى شعره ، وترى شعره ترجمة روحه ، ولذلك اجتزأنا في هذه الكلمة ببيان سره الشعري ، ثم أنت - بعد ذلك - في حقيقة الرجل : أي شعره وشرح شعره الذي تقدمه إليك . . .

وبعد ؛ فأما هذا الشرح فلا يلقين في رُوعك أنه بدع في الشروح ، وأنه شيء مبتكر جديد ، وهل غادر الشُّراحُ مِنْ مَرَدَمٍ ؟ وإنما كل مزية هذا الشرح أنه تلاقت فيه كل الشروح بعد شيء من التهذيب والتنقيح والتحوير ، أو بعد أن خلصت من عَكرِها خلاص الخمر من نسجِ الفِدام - كما يقول أبو الطيب - وبذلك توافر فيه ما لم يتوافر لأي شرح من شروح المتنبي على حدته ، فليس يفنى عنه شرح ، ولكنه هو - بحمد الله - يفنى عن سائر الشروح ؛ فهو كما يقول أبو الطيب :

يُدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلِّ فَاخِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيهِ الْمَعَانِيَا

عبد الرحمن البرقرفسي

١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ

٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠ م

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

« أما بعد » فلما أمضيتُ النيةَ - سنة ١٣٤٩ هـ - سنة ١٩٣٠ م - على أن أضع شرحاً على ديوان أبي الطيب المتنبى ، وأخذتُ في معالجة هذا العمل - وكان الناشرُ إذ ذاك يَحْفِزُني حفزاً ، ولا يكاد يُبْلغني ريقاً ، وكان يتناول مني « أصول » هذا الشرحِ دِرَاقاً « أولاً بأول » ويقدمه إلى المطبعةِ نيتاً لم تنضِجْهُ نار التثبت والروية ، وأخيراً تمثل بالطبع ولم يمض على وضعه وطبعه أكثر من عشرة أشهر - لما حدث هذا طَفِقْتُ أَقْلِبُ النظر في هذا الكتاب وَأَعِيدُ الكَرَّةَ ، الخطِرةَ بَعْدَ الخطِرةَ ، وكلما أنعمت النظر في الشرح بدا لي ما يسوء ويكهد ، ويحزُّ في الكبد ، من أخطاء مطبعية ، وتقصير في شرح بعض الأبيات ، وهنئيات من هذا القبيل ، شأن كل عمل لم يُتَرَيِّثْ فيه ، ولم يُوفَّ حَقَّهُ من الأناة والتحقيق فلم يك مني إلا أن صححت النسخة التي بين يدي ، وتناولتها بالتنقيح والتهديب ، والحذف والزيادة ، وتداركت جميع المآخذ ، حتى إذا قدر لهذا الشرح أن يعاد طبعه ، طبع على هذه النسخة . .

وما زلت على هذه الحال مستعمماً بالصبر حتى نَفِدَتْ نسخ هذه « الطبعة » ، ولم يك بُدُّ من إعادة طبع هذا الديوان ، فكانت فرصة جميلة مؤاتية أحييت ميِّتَ الأمل ، وحفزتني إلى استئناف العمل ، فكان أن وَجَّهْتُ عَزِيمتي إلى التوسع في هذا الشرح وجعله شرحاً وافياً من كل نواحيه ، شرحاً أورد فيه جميع تفاسير الشراح ، وأقوال النقاد ، وأستوعب مزايا كل الشروح ؛ وليس ذلك أثره مني (٢٢ - المتنبى)

واستبدادا بالمتنبى . . ولكنه حب الكمال ، وما يسمونه المثل الأعلى . . . فلقد رأيت بعض الشراح قد اختصر الطريق ، واكتفى بتفسير الكلمات اللغوية ، وبعضهم قد جعل وَكَدَهُ الإعراب وما يتعلق بالآيات من جهة النحو والتصريف ، وآخرين قصرُوا عنايتهم على إيراد السرقات والأشباه والنظائر . بيد أن هذه الأشباه - ومثلها الشواهد النحوية التي أوردها العُكْبَرِيُّ ، ومن قبله الإمامان : أبو الفتح بن جنى ، والواحدى تحتاج - هي الأخرى - إلى الشرح والتفسير . . . ورأيت في بعض عبارات القدامى من الشراح غموضاً يحتمل أن يوضح أو يستبدل به غيره ، مما يواهم أذهان هذا الجيل . . فكان كل أولئك مما حفزنى إلى الاحتفال والاحتشاد لهذا الشرح . . فكان أن أوردتُ فيه جميع تفاسير الشراح - من متقدمين ومتأخرين - وأقوال نقدة المتنبى - من متعصبين له ومتعصبين عليه - وأكثر من إيراد الشواهد ، والأشباه والنظائر ، وشرحت ما غمض من هذه الشواهد والأشباه . ومن عبارات الشراح ، فضلاً عن تصحيح الأخطاء التي أمت بالشرح الأول ، حتى أربى هذا الشرح على الشروح كلها مجتمعة ، وحتى صار هذا الشرح شرحاً لمتنبى ، وشرحاً لشروح المتنبى . . .

على أننى لا أدعى أن الكمال الذى نَشَدْتُ قد تحققت ، وحسبى أنى لم آل جهداً ، ولم أدخر وسعاً ، وإن كان جهد المقلِّ ، وغاية المستطیع ؛ ورحم الله العباد الأصفهانى حين يقول : إنى رأيت أنه لا يكتب لإنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد لكان يستحسن . ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

« وأما بعد » فلمناسبة هذا الشرح الجديد ، والاحتشاد فيه ، والعمل على جملة مغنياً عما عداه : رأيت أن أتبسط شيئاً فى سيرة المتنبى - ولا سيما ما كان منها عوناً على معرفة المناسبات والظروف التى قيلت فيها قوافيه - وكذلك رأيت أن أترجم

شراح المتنبي ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح ، وإتماماً للفائدة جمعت أمثال المتنبي
وَحِكْمَهُ وَالْحَقَّتْهَا بِهذه الكلمة .

وإنما نترأى بهذا كله إلى أن يكون هذا الكتاب - ديوان المتنبي وشرحه
ومقدماته - كفيلاً بتحقيق كل ما يصبو إليه دارس شعر المتنبي .

وإني أسأله - سبحانه - أن يهبه من السلامة ما يحقق له رضا المنصفين ،
ويُضفي عليه من القبول ما يُعْمِّمُ به انتفاع المتأدبين ، إنه سبحانه بذلك كفيلاً
وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

عبد الرحمن البرقوقي

١٣٥٧ هـ - سنة ١٩٣٨ م

سيرة المتنبى •

نسبه :

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي الكندي الكوفي ، أو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي . الخ ، كما روى الخطيب وابن خلكان ، وروى بعض المؤرخين : أحمد بن محمد . الخ .

وجعفي جد المتنبى : هو جعفي بن سعد العشيرة من مدحج من كهلان من قحطان ، وكندة التي ينسب إليها ، محلة بالكوفة ، وليست كندة القبيلة كما ظن بعضهم خطأ .

وكان والد المتنبى يعرف بمبدان السقاء ، يسقى الماء لأهل المحلة ، أما جدته لأمه فهي همدانية صحيحة النسب ، وكانت من صاحبات النساء الكوفيات وكان جيرانهم بالكوفة من أشرف العلويين ، وكان لأبي الطيب منهم خلصاء وأصدقاء .

ولم يذكر المتنبى في شعره نسبه أو قبيلته ، ولا أشار إلى والده أو جده ، وإنما ذكر جدته لأمه ، وكان يدعوها والدته ، في أشعار منها :

أُمْنِسِي السُّكُونِ وَحَضْرَمَوْنَا
ووالدتي وكندة والسيما

وقد روى الخطيب عن علي بن الحسن عن أبيه قال : « سألت المتنبى عن نسبه فما اعترف لي به وقال : أنا رجل أخبط القبائل وأطوى البوادي وحدي ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينه وبين

قام بتلخيص هذا الفصل : هلال شتا ؛ وعمدته في هذا التلخيص : كتاب
ذكرى ذ المتنبى ، للدكتور عبد الوهاب عزام .

القبيلة التي أنتسب إليها . وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني .

على أن المتنبي قد دافع عن نسبه هذا ، في القصيدة التي مطلعها :

لا تحسبوا ربكم ولا تطله أولَ حَيٍّ فِرَاقِكُمْ قَتْلَهُ

وإن يكن لم يذكره ، وإنما أشاد بأباه له عظام ، في قصيدته هذه ، وفي مواضع أخرى من شعره ، دون أن يذكر رحله أو عشيرته أو قبيلته .

ولم يكن المتنبي يُعنى بأن يعرف عنه إلا أنه المتنبي ، لا يفخر بقبيلة ، إنما تفخر به القبيلة التي هو منها ، قال في إحدى قصائد الصبا :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي نفرت لا بمجدودي
وقال في رثاء جدته لأمه :

ولو لم تكني بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لي أما

ويقول بعض مؤرخي الأدب العربي : إن بعض شعر المتنبي قد يدل على عصبية يمانية ، فأكثر ممدوحيه في أيامه الأولى من قبائل يمانية ، مدح شجاع ابن محمد الأزدي ، وعلي بن أحمد الطائي ، وغيرهم ، ومدح التنوخيين في اللاذقية . وقال للحسين بن إسحق التنوخي يمدحه - بعد أن هجاه بعض الناس ونسب الهجاء إلى المتنبي - :

أبت لك ذمّي نخوةً يمنية ونفس بها في مازقٍ أبدأت رمي

على أن ذلك الذي يكتم نسبه عن الناس فينسى الناس ذلك النسب ، والذي يختلف المؤرخون في تسمية آبائه ، ليس ذا نسب نابه على كل حال ، ثم إن خلط كنيته التي ولد بها المتنبي ، بكنية القبيلة ، شيء يحقق حول نسب شاعرنا الكبير وتفاهته ، وهو - على الرغم من كل أولئك عربي قح ، هريق في عروبتة ، فلا يعنيه أن كان من بيت فقير .

أسرته :

ولقد اتفقت روايات المؤرخين على أن أبا المنبج كان سقياً ، وقد جهاه ابن لنكك
البصرى لما سمع بقدمه بغداد راجعاً من مصر فقال :

لكن بغداد جاء الغيث ساكنها نعالم في قفا السقاء تزدحم
وقال شاعر آخر :

أى فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشياً
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما وحيناً يبيع ماء الحيا

وروى أن والد المنبج سافر به إلى الشام ، وتنقل به بين حضرها وباديتها
ومدرها ووبرها ، وورده في القبائل .

على أن الثابت الذى ينطق بأن والد المنبج لم يكن رجلاً نابه الشأن - كما يرجح
الرواة - أنه مات فما رثاه ولده بكلمة واحدة .

أما ولادة المنبج ، فلم يذكر الرواة عنها شيئاً ، ويرجح أنها ماتت في
حدائثه قبل سفره إلى الشام ، وأما جدته لأمه فقد تقدم ذكرها ، وهى
التي تفردت من بين أسرته جميعاً برثائه لها واحترامه الفخم . قال إبان
احتقاله :

ييدى أيها الأمير الأريب لا لشيء إلا لآنى غريب
ولأمّ لها إذا ذكرتنى دم قلب فى دمع عين يذوب

وتلك هى جدته التى أخبرنا فى شعره - كما أخبرنا الرواة - أنها ماتت فرحاً
بكتاب جاءها منه بعد غيبة طويلة مؤنسة . وإنك لو اجد أثرها البليغ فى حياته
وسيرته ولا مس ثورة نفسه وحزنه عليها فى قصيدته التى مطلعها :

ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذماً فما بطشها جهلاً ولا كفتها حِلماً

وأجمع رواية أخبار المتنبي على أن مولده كان في محلة كندة ، إحدى محلات الكوفة ، سنة ثلاث وثلثمائة من الهجرة ، وهذا هو كل ما نعرفه من أخبار نشأته الأولى اللهم إلا النزر الذي لا ينقع غلة ، جاء في الإيضاح أنه « اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشرف الطويين ، فكان يتعلم دروس العربية شراً ولفة وإعراباً » وكان - إلى جانب ذلك - يختلف إلى الوراقين ليفيد من كتبهم ، وقد تميز منذ الطفولة بالذكاء وقوة الحفظ ، واشتهر بحبه للعلم والأدب ، وقد لزم الأدباء والعلماء وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم .

ومما يستطرف هنا ما ذكره بعض الرواة عن قوة الحفظ في المتنبي ، وهي أن أحد الوراقين أخبره أن أبا الطيب كان عنده يوماً ، فجاءه رجل بكتاب نحو من ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ أبو الطيب الكتاب وأقبل يراجع صفحاته ، فلما ملّ صاحب الكتاب ذلك استعجبه قائلاً : يا هذا لقد عطفتني عن بيعه ، فإن كنت تبغى حفظه في هذه الفترة القصيرة ، فذلك بيدك عليك . قال المتنبي : فإن كنت حفظته فإلى عليك ؟ قال الرجل : أصطيك . قال الوراق : فأسكت الكتاب أراجع صفحاته والفلان يتلوما به حتى انتهى إلى آخره ، ثم استلبه فجعله في كفه ومضى لشأنه .

وروى أن المتنبي صحب الأعراب في البادية فعاد إلى الكوفة هربياً صرفاً ، أما مدة إقامته فيها فهي أكثر من سنتين ، قال العلوّي : إنه أقام في البادية سنين ، وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه أقام فيها سنتين . ويرجح أن مغادرة المتنبي إلى البادية كانت سنة اثنتي عشرة وثلثمائة ، حينما أغار القرامطة على الكوفة ، ويرجح كذلك أنه غادر الكوفة مرة أخرى سنة خمس عشرة وثلثمائة عندما حاود القرامطة الغارة وهرموا جيش الخلافة ، وقد كان لذلك أثرٌ بيّنٌ في نفس المتنبي فاض في بعض أحاديثه وأشعاره .

وقدر حل المتنبي بعد ذلك إلى بغداد . جاء في «الصبح المتنبي» : أن أبا الطيب قال : «وردت في صباى من الكوفة إلى بغداد» ، وإن لم يذكر المؤرخون موعد ذهابه إلى بغداد ، فمن الراجح أنه ذهب إليها سنة تسع عشرة وثلاثمائة فقد جاء في النجوم الزاهرة في حوادث تلك السنة : أن القرامطة أغاروا على الكوفة فرحل أهلها إلى بغداد . فليس بعيداً أن تكون هجرة المتنبي إلى بغداد مع الراحلين إليها من أهل الكوفة ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون المتنبي قد ذهب إلى بغداد قبل ذلك مرة أو مرات .

وبين — بعد ذلك — من سيرة المتنبي ، ومن روايات المؤرخين ، أن ثقافة الشاعر العربي لم تكن جماع ما تلقاه في كتاب الكوفة ، وما أفاده من مصاحبة الأعراب في البادية ، وما تعلمه في بغداد بحسب ، بل لقد زاد على ذلك أنه هاجر إلى العلماء وصاحبهم ، فدرس على السكري ونفطويه وابن دستويه ، ولقى كذلك أبا بكر محمد بن دريد فقرأ عليه ولزمه ، ولقى بعده من أصحابه أبا القاسم عمر بن سيف البغدادي ، وأبا عمران موسى ، وأنه «طلب الأدب وعلم العربية ، ونظر في أيام الناس وتعاطى قول الشعر من حدائمه حتى بلغ الغاية التي فاق فيها أهل عصره ، وطاول شعراء وقته» .

رحلته إلى الشام :

وكانت رحلة أبي الطيب إلى الشام سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، كما يقول المعري في رسالة الغفران ؛ وفي دائرة المعارف الإسلامية : أنه رحل إلى بغداد سنة ست عشرة وثلاثمائة ، ثم رحل بعد ذلك إلى الشام ، ويقول بعض شراح الديوان : إن القصيدة التي مطلعها :

ذِكْرُ الصَّبَا وَمَرَاتِعِ الْأَرَامِ جَلَبْتُ حِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ حِمَامِي

نظمها الشاعر في رأس عين ، وأرجأ قولها إلى أن لقي سيف الدولة

بأنطاكية ، ولا ريب أن مزور الشاعر برأس عين كان في إبان ذهابه إلى الشام ، وقد كان ذلك سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ؛ فإن صح هذا ، يكون المتنبي قد رحل إلى الشام وسنه ثمانى عشرة سنة .

وقد وضع الواحدى في شرحه القصيدة التى أولها :

أحيا وأيسر ما قاسيتُ ما قتلا والبين جارَ على ضعفى وما عدلا
فى القصائد الشامية ، أى أنها وما بعدها إلى الكافوريات ، قيلت فى الشام ، أما ما قبلها ، فقيل فى العراق ، وليس ما قبلها بكثير .

ولم يبد شاعرنا الكبير حناناً إلى وطنه العراق ، الذى سلخ فيه ثمانى عشر سنة من عمره ، وإنما ذكره فى بعض قصائده ، وذكر أن وطن الإنسان هو الأرض التى حلَّ فيها فاتى خيراً وصحاباً ، ويبدو أن وطنه ذلك قد نبأ به ، وضاق بأماله وأحلامه وطموحه .

ولم تكن رحلة المتنبي إلى الشام ومكثه به وقوله الشعر ، إلا فى طلب الجدد والسؤدد ورفع الشان ، ولا ندرى أسافر إليها وحده ، أم سافر فى صحبة والده ؟ .

وجدير بنا ، قبل أن نمضى فى ترجمة شاعرنا إبان إقامته فى الشام - أن نلغ إلى الحالة السياسية بها فى هذه الفترة ، لما لها من أثر كبير فى حياة الشاعر وسيرته .

فلقد كانت الشام - على عهد المتنبي - مقسمة بين الأخشيدي وابن رائق ، ثم بين الأخشيدي وسيف الدولة . وقد استمرت المنازعات عليها منذ سنة ست عشرة وثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله العباسى . وقد ولى محمد بن طنج على الرملة ، ثم أضاف إليه دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، وكانت حلب فى أيدي ولاية يرسلون من بغداد ، ثم ولى محمد بن طنج مصر أيضاً ثم غزل عنها ، وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى عهد الراضى بالله العباسى عظم أمر ابن طنج ، فأعيدت ولايته على مصر ،

وامتد ساطانه على الشام كلها ، وخال طاعة الخليفة ؛ فأرسل إليه ابن رائق ، فاستولى على الشام وولى ابن يزداد حلب ، ثم دمشق ، وكان الأخشيد قد استقر على الرملة ، فسير جيشاً يقوده كافور إلى الشام ، فهزم ابن يزداد واستولى على حلب ، ثم استقر سلطان الأخشيد على الشام كلها ، وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة استولى سيف الدولة على حلب ، وبقي الأخشيديون في دمشق .

وقد مدح أبو الطيب من رجال هذه الوقائع مساور بن محمد الرومي ، والحسين بن عبد الله بن طنج ، وهو ابن أخي الأخشيد ، وطاهر العلوي ، قال في مساور القصيدتين اللتين مطلماها :

جَلَّا كَابِي فَلَئِكَ التَّبْرِيحُ أَغْذَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنِ الشَّيْحُ

(و)

أَسَاوِرُ أَمِّ قَرْنِ شَمْسٍ هَذَا أَمَّ لَيْثِ غَابٍ يَقْدُمُ الْأَسْتَاذِ
ويعنى الشاعر بلفظة «الأستاذ» : كافوراً .

وكانت طريق أبي الطيب إلى الشام هي طريق الجزيرة ، فمر برأس عين وانتهى إلى منبج ، حيث أقام يمدح جماعة من رؤساء العرب ، وأول قصائده الشامية في الديوان يمدح بها سعيد بن عبد الله الكلابي المنبجي — وهي القصيدة التي أشرنا إليها من قبل — ثم مدح الشاعر جماعة أخرى في منبج وطرابلس وغيرها من بلاد الشام الشمالية .

ولا نحب أن نمضي قُدُماً في سيرة الشاعر ، دون أن نقف بمحاذة ادعائه النبوة ، وهي الحادثة التي أثرت أكبر التأثير في صوغ سيرته في كتب الأدب ، لنعلم أحقاً كان ذلك أم كذباً ؟ فإن كان كذباً فلماذا لقب بالمنبجي ؟

لا جدال في أن أبا الطيب سجن بالشام في أيام شبابه ، فقد أجمع على ذلك

رواة سيرته جميعهم - كما أنبأ به في شعره - أما سبب سجنه فذلك ما اختلف فيه الرواة بمضمون مع بعض ، وما اختلف فيه أبو الطيب ، مع رواة سيرته ، ويقول الخطيب البغدادي : إن أبا الطيب « لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوي حسني ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ، ثم عاد يدعى أنه علوي ، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين ، وحبس دهماً طويلاً ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » ويقول أيضاً رواية عن حَاق يتحدثون : « إنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدي ، فقاتله وأسره ، وشرذ من اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرها من قبائل العرب ، وحبسه في السجن حبساً طويلاً فاعتل وكاد أن يتلف ، حتى سئل في أمره ؛ فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليها فيها ببطان مادعاة ورجوعه إلى الإسلام .

ويروى للمري في رسالة الغفران : أنه لما حصل في بني عدى ، وحاول أن يخرج فيهم ، قالوا له - وقد تبينوا دعواهم - : ههنا ناقة صعبة ، فإن قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وأنه مضى إلى تلك الناقة وهي راثمة في الإبل فتحيل ، حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ، وتكثرت برهة ، ثم سكن نفارها ، ومشت مشى المسحة ، وأنه ورد الحلة وهو راكب عليها ، فمجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

وروى كذلك : أنه كان في ديوان اللاذقية ، وأن بعض الكتاب اقلبت على يده سكين الأقلام ، فجرحته جرحاً مفرطاً ، فقتل عليها أبو الطيب من ريقه وشدها عليها ، وقال للمجروح : لا تحلها في يومك ، وعد له أياماً وليالي ، فقبل الكتاب ذلك وبرى الجرح ، فصاروا يعتقدون فيه النبوة ، ويقولون : إنه كعبي الأموات .

وفي الصبح المنبي : أن أبا الطيب قدم اللاذقية بعد نيف وعشرين وثلاثمائة

فأكرمه معاذ ثم قال له : والله إنك لكتاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير . فقال :
ويحك ! أتدرى ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ؛ ثم تلا عليه جملة من قرآنه - وهو
مائة وأربع عشرة عبرة - ثم أراه معجزة ، ففزع المطر عن بقعة وقف فيها ، فأصاب
المطر ما حولها ولم تصبها قطرة ، فبايعه معاذ ، وعمت بيعته كل مدينة في الشام ، ثم
لأنه لما شاع ذكره ، وخرج بأرض سلية من عمل حمص قبض عليه ابن علي الهاشمي ،
وأمر النجار بأن يجعل في رجله وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف ، وقد كتب
أبو الطيب من حسبه إلى الوالي :

بيدي أيها الأمير الأريب الخ

تلك بعض الروايات التي ألصقت بأبي الطيب دعوى النبوة ، وهي روايات واضحة
الكذب واهية الأسانيد ، فأما أولها فدعوى النبوة فيها مقحمة إقحاماً تسبقها
وتعقبها دعوى العلوية ، فكأنما صح في ذهن جبهة الرواة أنه تنبأ لجمال في رواياتهم
مصدق ما سمعوه وصح في أذهانهم ، وأما الثانية فهي رواية عن خلق يتحدثون ،
وهذه مقطوع ببطلانها مقضى بكذبها ، فأحاديث الخلق دائماً مزوقة الجوانب موشاة
الحواشي ، بالكذب القصصى الشيق ، وأما رواية المعري فهي حديث خرافة أيضاً ،
لا تقرر شيئاً ، إلا أنه قام بالمعجزات وأن الناس صدقوا به ، وذلك شيء بعيد
الحدوث ، بل مستحيله أيضاً ؛ فلو أن المتنبي تنبأ فعلاً فمن المقطوع به أن أحداً
من الناس لم يؤمن بنبوته ، وأما رواية معاذ فناطقة بالكذب الصريح والتلفيق
البين . لأن فيه قرآناً ومعجزات وتصديقاً بدعوته ، وحديثاً مفككاً يناقض
أوله آخره .

والذي يسهل على التصديق ويدخل في نطاق الواقع من أيسر سبيل أن
أبا الطيب لقب بالمتنبي لبعض أبيات من شعره ، ولتعاليه وتعاضمه ، ففي الديوان
قطعة جاء قبها « وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي على ما كان قد شاهد
من تهوره فقال :

أيا عبد الإله معاذ إني خفي عنك في الهيجا مقامي .
وليس في هذه القطعة إلا المخاطرة ومصالوة الخطوب في سبيل ما يطمح إليه
من المجد والسؤدد ، وليس فيها ذكر لدعوى النبوة أو إشارة إلى خارق المعجزات
التي حفلت بها الرواية السابقة .

ويقول الثعالبي : إنه بلغ من كبر نفسه وبعد همته أنه دعا قوماً من رائي نبله ،
على الحدائثة في سنه ، والفضاضة من عوده ؛ وحين كاد يتم أمر دعوته ، تأدى خبره
إلى وإلى البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده .

وهذه رواية معقولة مقنعة مسيرة للمنطق والصدق . وقد روى الثعالبي بعد
ذلك أنه « يحكى أنه تنبأ في صباه ، وقتن شردمة بقوة أدبه وحسن كلامه »
وهو يقصد بذلك أن يشير إلى ما تجاذبه الناس من حديث التنبؤ ، وما لا كتبه
الألسن من خرافة قصصية مشوقة .

وروى الخطيب عن التنوخي : « فأما أنا فسألته بالأهواز سنة ٣٥٤ هـ عند
اجتيازه بها إلى فارس في حديث طويل جرى بيننا عن معنى التنبؤ ، لأنني أردت
أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ؟ فأجابني بجواب مغالط لي وهو أن قال : هذا
شيء كان في الحدائثة » .

ويقول ابن جنى في شرحه : « وكان قوم قد وشوا به إلى السلطان في صباه
ونكذبوا عليه ، وقالوا له : قد انقاد له خلق كثير من العرب ، وقد عزم على أخذ
بلدك ، حتى أوحشوه منه فاعتقله ، ووضيق عليه ، فكتب إليه يمدحه » .

أما رأى ابن جنى في تلقيبه بالمتنبى فهو قوله :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

وذلك رأى تيميل إلى الأخذ به . فواضح من قصيدته في الاعتقال ومطلعها :

أَيَا خَدَدَ اللَّهُ وَرَدَّ الْخُدُودِ وَقَدَّ قُدُودَ الْحِسانِ الْقُدُودِ
إن التهمة التي ألصقت بالمتنبي لم تكن ادعاءه النبوة ، وإنما كانت دعوى
أخرى تكشف عنها العقيدة ، ويعترف بها الشاعر ولا يحاول إنكارها ، وهي
اتهامه « بالعدوان على العالمين » أي بالخروج على السلطان .

ويصح كذلك أن يكون سبب تسميته بالمتنبي ذلك البيت :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود
وليس أيسر من أن يسمع حاسدوه هذا الشعر فيلقبوه بالمتنبي ، وفي أيامنا
هذه من أمثال ذلك كثير في الصحف والمجلات ، فإذا أطلق عليه هذا اللقب
وذاع وسرى في الناس ، ثم مضت مدة رجع فيها الناس إلى الاستقصاء استطاع
أصحاب الخيالات القصصية أن يخلقوا قصة طريفة يفسرون بها هذا اللقب ،
ويسندون فيها إليه ادعاء النبوة .

ونعود إلى سيرة المتنبي فنقول :

كان سجنه سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، أو في السنة التي بعدها ، ويؤخذ ذلك
من أنه قال في قصيدته التي أرسلها من سجنه إلى الوالي يمدحه :

فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخُرَشَنِيَّ كِشَاءَ أَحْسَ زَيْبِ الْأَسْوَدِ

والخرشني هو : بدر الخرشني والى حلب من قبل الخليفة العباسي ؛ وثابت
في كتب التاريخ أن الأخشيدي استولى على حلب سنة أربع وعشرين وثلثمائة
بعد أن تركها الخرشني إلى بغداد ، فإن كان أبو الطيب يقصد بهذا البيت نزوح
الخرشني إلى بغداد ، قبل استيلاء الأخشيدي على حلب ؛ فيكون سجنه في هذه السنة
أو في التي تليها .

ولقد لبث أبو الطيب بالشام خمس عشرة سنة ، وهو دائم الترحال غير

مستقر على حال ، يقصد المملوحين ، فيخييون أمله ، فتشور نفسه ، وتتحكم
كبرياؤه ، ثم يعود فيكبت النفس الأبية ، ويمسك كبرياه بيده ، وتلجته
الحاجة الملحة إلى معاودة المدح . وقد مدح أثناء ذلك اثنين وثلاثين رجلا
بأربع وأربعين قصيدة ، ومنهم التنوخيون باللاذقية ، وبدر بن عمار الأسدي
نائب ابن رائق في طبرية ، ومساور بن محمد الرومي وإلى حلب ؛ وقد لزم
التنوخيين وابن عمار زمنا . وأكثر البلاد نصيباً من مدائحه : منبج ،
وأنطاكية ، واللاذقية ، وطبرية ، ومدح كذلك في طرابلس ، وطرسوس ،
وجبل جرش ودمشق ، والرماة .

وقد نظم في تلك المدة خمس قصائد لنفسه ، يعرب فيها عن مطامحه
ويفخر ويشور . وهي القصائد التي أبانت عن آماله وأوضحت عن أحلام
نفسه الكبيرة .

ولم يفد أبو الطيب من مديحه إلا العطاء النزر ، على كثرة ما بالغ واحتفل .
روى ياقوت في معجم الأديباء : أن المتنبي لما مدح محمد بن زريق
الطرسوسي بقصيدته :

هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجَّتْ رَسِيئًا نُمِّمَ أَقْنِيَتِ وَمَا شَفِيَتِ نَسِيًا
وصله عليها بعشرة دراهم . فقيل له : إن شعره حسن . فقال : ما أدرى أحسن هو
أم قبيح ، ولكن أزيدة لقولك هذا عشرة دراهم ، فكانت صلته عليها عشرين
درهما . وروى الثعالبي : أن عليا بن منصور الحاجب أعطى أبا الطيب ديناراً
حينما مدحه بقصيدته :

بأبي الشمس الجانحات غواريا اللابسات من الحرير جلابيا
فسميت القصيدة الدينارية ، وروى كذلك أن أبا الطيب مدح بدون العشرة

والخسة من الدرهم ، ولكن الذي لا ريب فيه ، أن كبار المدوحين أعطوه عطاء
ضخماً ، يلائم شعره ومكاته .

ولقد كان المتنبي في عهده هذا ، يبغى المجد والسؤدد ، ويهتج بالملك ، ويبغى
صروح الآمال الجسام . قال في صباه :

ومن يبغ ما أبغى من المجد والعلو تساوى الخابي عنده والمقاتل
وعند ما لأمه معاذ اللاذق على توعده قال :

أيا عبد الإله معاذ إني خفي عنك في الهيجا مقامى

وكثير جداً من شعره ينحو هذا المنحى ويسلك هذا السبيل . وكان يرى الوسيلة
إلى الملك الكفاح والقتال ومصارعة الخطوب ، وقد جاء ذلك في شعره في غير
موضع ، فإذا عاقته الأيام عن ذلك ، وتوانى عن إدراك أحلامه المريضة ، لام
نفسه وأنها تأنبها .

والذى يقرأ الديوان يدرك أن المتنبي كان يستعمل هذا الضرب من ذكر
الآمال وطلب المجد والسؤدد ، في أول قصائده التى يمدح بها كما كان الشعراء
يستفتحون قصائدهم بالنسيب . وقد جرى على ذلك في قصيدته التى مدح بها على
ابن إبراهيم التنوخى والتى مطلعها :

أحاد أم سداس في أحاد لليتنا للنوطة بالتناد

وكذلك في قصيدته التى مدح بها الميث بن على بن بشر العجلي ، والتى
مطلعها :

فؤاد ما تسليه للدام وعمر مثل ما تهب اللثام

وبلغ من ولع شاعرنا بهذا اللون من ألوان الكلام ، وقلة مبالاته بالناس
أنه تواعد بقتل المدوحين أيضاً ، وذلك في قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله
الخصيبى .

وفي شعر المتنبي : أنه حارب في سبيل غايته، وعارك وقتل ، ولا ندرى متى حارب
ومن قتل ، ولعل ذلك وهم وسوس به إليه شيطانه النافر الجامح :
ومن يجب أن ذلك الشاعر الطامح إلى الملك والاسطان ، الذي وسع صدره هذه
الآمال الكبار ، كان فقيراً معسراً لم ينل من حياته عيشاً رغداً ، يقول في إحدى
قصائده صباح :

أين فضلى إذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدرى وطلال في طلب الرزق قياى وقل عنه قمودى
ويقول بعض القصيدة الدينارية :

اظمتنى الدنيا فلما جتتها مستقياً مطرت على مصائبها
ويقول الثعالبي : إن أبا الطيب كان يحشم نفسه أسفاراً أبعد من آماله ،
لا يستقر ببلد ولا يسكن إلى أحد ، وكان من وفرة ماله في سبيل غايته من
مشقة ، وشح ماله من مكافأة ، وطول ما عانى ونصب ، يكره الدنيا ومن
فيها ، ويخالها بناسها حرباً عايه ، وليس يفتب عن الذهن ما قاله في تحقير الناس ، من
شعر ممن في الذم . قال :

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم قدم وأحزمهم وغد
إلى آخر الأبيات .

وليس يخفى أنه كان متعاليًا على الناس ، شديد الاعتداد بنفسه ، والإيمان بحقه
على أهل زمانه ، ونحسبه كان محققاً في ذلك ، وإلا لما حضل الناس به
إلى يومنا هذا ، ولما سعى إليه المدحون بدل أن يسى إليهم . يقول في إحدى
قصائده صباح :

إن أكن معجباً فمعجب صيب لم يمدفوق نفسه من مزيد
إلى آخر ما هو من هذا القبيل .

ولم يكن أبو الطيب يتعنى بالثورة والمجد عبثاً ، ولا كان عاجزاً يُسنى نفسه بالقول
(٣٢ - المتنبي ١)

دون الفعل ، وإنما كان يسعى لآماله سعى المشيخ المجدّ ، فلقد هم بالثورة وترقب لها الفرص ، ثم سكت عن أشباه ذلك بعد أن بارح عتبة الصبا ، وأوغل في سنى الرجولة الحكيمة ، فتركزت آماله في عقله الباطن ، وراح يعمل على تحقيقها في هدوء ويقين وثقة بالنجاح ، وقد استمر يُمنّي النفس ، ويبسط أمامها سبل الأمل الباسم الخلاب ، حتى قتل الزمان هذا الأمل في رأسه وخياله . فأب صامتاً محتملاً يشكو نفسه مظل الزمان ، ولا يشكو لبنى الإنسان ، فهو يراهم دونه بكثير .

تلك كانت حالة الشاعر في بلاد الشام ، منذ ألقى بها عصا التسيار ، حتى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، بيد أنه على سوء حاله وإغراقه في شكوى الزمان ، قد سار ذكره ونبه شأنه ، وبسط شعره سلطانه على الناطقين بالضاد ، حتى رغب في مداخمة الأمراء والحاكمون ، فدعاه الحسن بن عبيد الله بن طنجج إلى الرملة ليدحه - وهو أخو الأخشيدي كما قلّمنا - ثم تيسر له سبيل الانصال بأبي العشائر بن حمدان ، فهد له الوصول إلى سيف الدولة على بن حمدان ، الذي هيا له السعادة والمجد ، وأعانته على الدخول في زمرة الخالدين ، وكان له على خطوب الأيام خير معين .

وكان لقاء الشاعر للحسن بن طنجج في شعبان سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، إذ أرسل إليه رسوله بركوبة يركبها ، فامتتع الشاعر عليه ، فأقسم ألا يبرحه ، فدخل أبو الطيب فكتب قصيدة وعاد ومدادها لم يجف ، ثم ركب مع الرسول ، فدخلا على ابن طنجج فأنشده إياها وهي :

أنا لآئمي إن كنتُ وقت اللوأمِ علمت بما بي بين تلك المعالم
وكان هذا أول شعر للمتنبي أجزى عليه إجازة كبيرة . جاء في الإيضاح : « أن المتنبي حدّث بأنه أعطى من أجلها ألف دينار ، وقد أقام الشاعر مدة عند ابن طنجج ، وفي الديوان غير هذه القصيدة : أرجوزة قصيرة ، وثلاث وعشرون قطعة قصيرة

أكثرها بيتان ، وقد قيت قطمتان منها بعد عشر سنين من هذا التاريخ ، حين مر
الشاعر بالرملة قاصداً مصر وما قوله :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسي وقليل لك المديح الكثير

و

ماذا الوداع وداع الوداع الكمد هذا الوداع وداع الروح للجسد

ومدح أبو الطيب في الرملة أيضاً أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي ،
وفي شرح المعري وشروح أخرى : أن ابن طفج سأل الشاعر مدح أبي القاسم
مرات عدة ، وألح عليه في ذلك كثيراً فكان يمتنع ، ثم سأله الأمير قصيدة في
أبي القاسم بدل قصيدة كان يريد لها لنفسه فرضى أبو الطيب ؛ ولما ذهب الشاعر
إلى أبي القاسم ومعه حاشية ، وجده في فريق من أشرف قومه يجلس على سريره ،
وقد نزل لأبي الطيب عن سريره ولقيه بعيداً ، وأقبل عليه يتحدث ويؤنس ويجلسه
على سريره ، ثم يجلس هو بين يديه ، وقد كان ذلك بدعاً في المدح حقاً ، فلم يسمع
أحد قبـل أبي الطيب أن شاعراً جلس المدوح بين يديده ، وهذه
القصيدة هي :

أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب وردوا رقادي فهو لحظ الحباب

ويجمل بنا أن نشير هنا إلى أنه لما غلبَ العباسيون على أمرهم ، وأصبح الخلفاء
في أيدي القواد والأمرء ، نشأت في قبائل العرب أربع دول : هي بنو حمدان
بالموصل وحلب (٣١٧ — ٣٩٤ هـ) وبنو مرداس ، وبنو المسيب ، وبنو مرید ،
وإنما يعنينا من هذه الدول دولة بني حمدان التغلبيين ، التي أنجبت سيف الدولة الحمداني ،
وتنسب هذه المشيرة إلى حمدان أحد رؤساء بني تغلب ، وهو ابن حمدون بن الحارث

ابن لقمان بن راشد ، يقول المتنبي :

وحدان حمدون ، وحمدون حارث و حارث لقمان ، ولقمان راشد

وكان للحمدانيين نفوذ وسلطان إبان الخلافة العباسية منذ سنة ٢٦٠ ، وولى أمراؤهم ولايات كثيرة ، وكان على سيف الدولة الحمداني يملك واسطاً وما حولها ، ثم أخذ لنفسه بسيفه مملكة من الأخشيديين في شمال الشام ، واستولى على حلب وحصص سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة كما تقدم وكانت له وقائع مع الأخشيديين ، وقد استولى على دمشق والرملة بعد موت الأخشيد ، ثم غلب عليهما ، فأصطلح مع الأخشيديين على أن تكون له حلب ولهم دمشق ، وتزوج بنت الأخشيد ، واستمر له الملك ولذريته حتى أخذه الفاطميون .

وفي تاريخه : أنه صمد للروم يحاربهم عن العرب ، فكانت له معهم وقائع قبل أن يملك حلب ، فلما استقر له الملك وبسط يده على المدائن كان عليه أن يحمي ذمار ملكه ، وأن يناضل عن بني دينه ولفته ، وأن يقيم عرشه على السيوف المسلطة والدماء المراقاة ، وقد استطاع أن يقف وحده عشرين عاماً شوكة وخازة في جسم الروم ، وسيفاً مشهوراً يذود عن العروبة والإسلام . لم تمض منها سنة واحدة إلا كان له فيها حروب ونضال ، فقد ر له النصر مرات عدة ، وأوغل في بلادهم سنة ٣٣٩ حتى قارب القسطنطينية وقد ر له كذلك أن يلتقى الهزائم المرة ، وكان شر هزائمها واقعة سنة ٣٥١ التي زحف فيها الروم على حلب ، فذبحوا فيها وقتلوا تقتيلاً ، ونهبوا دار الأمير وخربوها .

على أن سيف الدولة - الذي أصيب بفالج في يده ورجله سنة اثنتين وخسين وثلثمائة - لم يقعه ذلك عن حرب الروم ، فنأر منهم واتصر عليهم في السنة التالية .

وكان ذلك الأمير الأديب الشاعر شجاعاً في انتصاره وهزيمته معاً ، ماضى

العزيمة ، عظيم البلاء ، وقد توفى في حلب سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ودفن في ميفارقين .

وأضاف فتي الحرب والنضال إلى شجاعته وأدبه كرماً وسماحة بالغة ، فكان مقصد العلماء والأدباء والشعراء ، وقبلة آمالم ومحط رحالم ، فيروى أنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء مثل ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونحو الأديب والعلم .

ومن قصده من الشعراء - غير أبي الطيب - أبو فراس ، وأبو العباس الناهي ، وعلى بن عبد الله الناشئ ، والسرى الرقاء ، وكثيرون غيرهم ، وبلغت مدائمه عشرات الألوف من الأبيات ، اختار منها بعض الأدباء عشرة آلاف بيت وجموها في كتاب ، وصحبه من الأدباء كثيرون أيضاً منهم ابن خالويه وأبو علي الفارسي ، وأهداه أبو الفرج الأصفهاني كتاب الأغاني فأعطاه ألف دينار ، ولجأ إليه كذلك الفيلسوف الكبير أبو نصر الفارابي وعاش في كنفه ، وكان سخاؤه يشمل من يمد عنه ، وله شعر يدل على أنه شاعر مطبوع ، وتقد يدل على سلامة الذوق والعلم بلغة الضاد .

و بارح شاعرنا الرملة سنة ٣٣٦ قاصداً أنطاكية ، ماراً ببعلبك ، وكان فيها على ابن عسكر ، فخلع عليه ، وسأله أن يقيم عنده ، فمدحه بأربعة أبيات ورحل إلى أنطاكية فمدح فيها أبا المشائر بالقصيدة التي مطلعها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي

ثم مدحه بثلاث قطع أخرى ، وأنشأ في أنطاكية كذلك أرجوزة أولها :

ما للمروج الخضر والحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق

وذلك عند ما شهد الناج يكسو أديم الأرض ويفشى الربا والوهاد .

وأثناء إقامته في أنطاكية ، أغار عليها بانس المؤنسي - قائد الأخشيديين -

وفوجيء أبو المشائر فقاتل عن نفسه حتى بلغ حلب ، فقال المتنبي قصيدته :

إذا غمرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
ثم رجع أبو العشائر إلى أنطاكية ، وكان أبو الطيب عاد إلى الرملة ،
فلما سمع بقدمه خرج يقصده ، فلما غدا بطرابلس أراد إسحاق بن كيفلغ
على مدحه - وكان جاهلا - وكان بعض الناس قد أغروه به ، وقالوا : إنما يترك
مدحك استصفاً لك ، فلما راسله يستمدحه احتج أبو الطيب بيمين ألا يمدح
أحدًا إلى مدة ، فأخذ عليه الطرق حتى تنقضى المدّة ، فهجاه أبو الطيب بقصيدة
أملأها على من يثق به ، ولما ذاب الثلج عن لبنان خرج إلى دمشق ، واتبعه
ابن كيفلغ خيلاً ورجلاً فأهجم ، ثم ظهرت القصيدة ، وقد أقدح فيها المتنبي
وأخش إلى جانب ما أودعها من الحكمة الرائعة .
ولما بلغ الشاعر أنطاكية ، لقي أبا العشائر ومدحه بقصيدتين وثمانى قطع .

وأراد الله للشاعر الكبير أن يلقى بمدوحه الكبير ، وأن يمتزج تاريخهما
على مر العصور والأيام ، فقد كان أبو العشائر بن حمدان والياً على أنطاكية
من قبل سيف الدولة ، فلما قدم الأمير أنطاكية سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ،
قدم أبو العشائر إليه أبا الطيب ، وأثنى عليه ، ولم يشأ أبو الطيب أن يمدح
الأمير إلا بعد أن اشترط عليه ألا ينشده وهو واقف ، وألا يقبل الأرض
بين يديه ، فقبل سيف الدولة شروطه ، وكانت مما تميز به المتنبي على الشعراء
جميعاً ، ومما أوحى به إليه نفسه الطموح التي لا تقبل الهوان ، فقد تموّد
أن يتخذ من ممدوحه أصدقاء له وصحاباً . وكان سيف الدولة سمح النفس
كريم الخلق ، فمن الهين عليه أن يتخذ المتنبي صديقاً صدوقاً ، وأن يكون
هو له نعم الصاحب أيضاً ، فهو الشاعر المجيد الذي يستطيع أن يشيد بآثره ،
ويخلد بطولته ، كما رأى المتنبي أن سيف الدولة هو الأمير العربي الذي يحسد

بدرره العوالى وآياته الخالدات ، بل إنه لشاعر المجد الذى يبنى مصاحبته شاعر
اللفظ والبيان ، قال المتنبي :

شاعر اللفظ خدنه شاعر المجد كلانا رب المعانى الدقاق

وقال :

لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه فإنك معطيه وإنى ناظم
وصحب أبو الطيب سيف الدولة ثمانى سنوات ، نظم فيها اثنى عشر وخمسمائة
وألف بيت ، فى ثمانٍ وثلاثين قصيدة ، وإحدى وثلاثين قطعة : منها أربع
عشرة قصيدة فى وصف وقائمه مع الروم ، وأربع فى وقائمه مع العرب ، وخمس عشرة
فى المدح الجرد عن وصف الوقائع ، وخمس فى الرثاء ، ومن القطع اثنتان فى حوادث
الروم ، والباقي فى مقاصد مختلفة ، يضاف إلى كل هذا قصيدة :

ذكر الصبا ومراتع الأرام جلبت حمى قبل يوم حمى

نظمها الشاعر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة فى ثلاثة وثلاثين بيتاً ، وألحقها
بمدائح سيف الدولة ، وقد اتفقت روايات المؤرخين على أنه قالها فى ذلك
التاريخ ، ولكن الدكتور عبد الوهاب عزام لا يميل إلى تصديق ذلك ،
مرتكناً على أسباب وجيهة ، يراها القارىء فى كتابه عن المتنبي الذى اعتمدنا عليه
فى تلخيص هذه السيرة .

وقد مدح الشاعر سيف الدولة غير ذلك بقصيدتين ، وعزاه عن أخته بأخرى ،
وذلك بعد أن رجع إلى العراق .

وكان سيف الدولة يصدق على شاعره أيما إغداق ، ويكرمه ويبالغ فى العطف
عليه وإكبار شأنه ، فكان يعطيه كل عام ثلاثة آلاف دينار ، وكان يمنحه غير
ذلك عطايا أخرى ومكافآت . قال المتنبي قطعه :

موقع الخليل من نذاك طفيف ولو أن الجياد فيها ألوف

حين سأله الأمير عن فرس يرسله إليه ، وقال قطعتة :
اخترت دهماً تين يا مطر ومن له في الفضائل الخير
حين خيرته في فرسين ، إحداهما دهماً والأخرى كيت ، وقال قطعتة :
فلت بنا فعل السماء بأرضه خلع الأمير وحقه لم نقضه
في خلع أنفذاها إليه ، وقال قطعتة :
أيا رامياً يضي فؤاد مرامه تربى عداه ريشها لسهامه
وهو خارج إلى أقطاع أقطعه إياه الأمير في معرة النعمان ، وجاء في الشروح ذكر
لهدايا جمة منحها الأمير للشاعر بعد أن تصالحا إثر تنافرهما .
وينطق شعر المنبي في سيف الدولة ، بالنبطة والرضا ، ويفيض بالشكر
الأوفر ، يقول :

أسير إلى إقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحمامه
وقد سكن أبو الطيب إلى صحبة الأمير الكرم ، وطاب له زمانه ، فسكت عن
حديث الثورة والقتل الذي غمر شعره الأول وفاض في كل قصائده إلا قليلاً ، وكان
يصحبه في أغلب حروبه ، فتكن من وصفها وصف الشاهد كما بين في الديوان .
ثم . . . ثم أراد الله مرة أخرى أن يفرق بين الرجلين ، وأن يتم ما خطه
في أم الكتاب . . . وذلك بعد ثمانى سنوات لبها الشاعر في كنف الأمير كانت
أولى قصائد مدحه فيها :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه
وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وكانت آخر قصيدة في سنة خمس وأربعين
وثلثمائة وهى .

عقبى اليمين على عقبى الوجى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم
وأما سبب فرقة الصديقين فهو حسد أكل قلوب شعراء سيف الدولة
والمحيطين به غير أبي الطيب ، وهو كذلك ضيق الأمير ذرعاً بالشاعر

للتعالى الذى لا يقول فيه القصيدة إلا بعد أن يطلبها ويستمع لها أشهراً طويلاً .
أجل : فلقد كان حول سيف الدولة شعراء كثر ينشدون الخير والنعمة ، وكانت
شمس المتنبي غالباً على شمسهم ؛ فلا غرو أن ينقموا عليه ويحسدوه ، سيما وهو
المتكبر المتعالى ، الضارب فى ذرى الأنفة والكبرياء ، الفخور بشعره ، والمتفرد
وحده برضى الأمير وإيثاره . وذلك الشاعر الذى يقول :

أنا السابق الهادى إلى ما أقوله إذ القول قبل القائلين مقول

لا يستطيع أن يلقى من شاعر آخر حباً أو وفاءً أو إخلاصاً .
على أن من غير الشعراء كثيرين كانوا ينقمون عليه كذلك ويحسدون مكائده
عند الأمير وعظمته بين الناس . قال المتنبي :

أزل حسد الحساد عنى بكيههم فأنت الذى صيرتهم لى حسداً

ولا مرأ فى أن أولئك الشعراء قد غلبهم حسد أبى الطيب فبيتوا له المكائده
وناصبوه العداة ، يقول الشاعر العملاق :

وفى كل يوم تحت ضنبى شويعر ضميغ يقاوينى قصير يطاول

ويقول غير ذلك كثيراً بين يديك فى صفحات الديوان .

هذ ، وكان سيف الدولة مفرماً بشعر أبى الطيب ، يود أن يسمع كل يوم قصيدة
له فى مدحه ، وكان الشاعر ينظم أربع قصائد فى كل سنة أو خمساً غير القطع ،
فكان الأمير يفض علىه . فنحن نرى فى الديوان قصيدة قيلت فى جمادى الآخرة
سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، وأخرى قيلت يوم الأضحى من تلك السنة ، وبين
التاريخين زهاء خمسة أشهر ، نظم الشاعر فيها سبع قطع وقصائد قصيرة يعتذر
فى اثنتين عن تأخير مدحه :

وجاء فى الصبح النبى : أن أباً فراس قال للأمير : « إن هذا المتشوق كثير

الإدلال عليك . وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن

أن تعقد مائتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره » .

وفي شرح ابن جنى : « وكان سيف الدولة إذا تأخر عن مدحه شق عليه ،
وأكثر أذاه ، وأحضر من لاخير فيه ، وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما
لا يحب ، فلا يجيب أبو الطيب أحداً عن شيء ، فيزيد ذلك في غيظ سيف
الدولة . . الخ »

وقويت النفرة بين الرجاين ، فأنشد الشاعر قصيدته المشهورة :

واحر قلباه من قلبه شيم ومن يجسمى وحالى عنده ألم
وقد اضطرب المحاس عند إنشاد هذه القصيدة ، وثار حاشية الأمير مطالبة
بدمه ، فرخص الأمير في ذلك ، حتى كاد الشاعر يهلك . يقول الشاعر
في السامري - وهو أحد كتاب الأمير ، وكان قد طالب بدمه - :
أسامري ضحكة كل راء فطننت وكنت أغبي الأغياء
إلى آخر الأبيات .

ولما خرج أبو الطيب بعد ذلك لقي عناء كبيراً من رجال سيف الدولة : وقد
أشهر سيفه فيهم حتى اخترقهم ولم يصنعوا به شيئاً ، وأرسل أبو المشائر
جماعة من غلامائه وقتت في سبيل الشاعر ففرقهم بسيفه ولم يصبه منهم أذى
وفي ذلك يقول :

ومنتسب عندي إلى من أحبه وللنبل حولي من يديه حنيف

ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة مستخفياً فأقام عند بعض أصدقائه وراسل الأمير ،
فأنكر الأمير أنه أمر له بسوء ، وكتب الشاعر الأبيات :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا

فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

ثم دخل الشاعر دار الأمير بعد تسعة عشر يوماً ودخل على الأمير
نفلع عنيه ورحب به وسأله عن حاله ، فقال : رأيت الموت عندك أحب
من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يعطيل الله بقاءك ؛ ثم ركب الشاعر وأتبعه

الأمير هدايا فقال القصيدة :

أجاب دمي وما الداعي سوى طلل
دعا فلباه قبل الركب والإبل

على أن الشاعر كان يهدد بالفراق قبل ذلك ، فقد أشار إليه في القصيدة :
دروع لملك الروم هذى الرسائل يرُدُّ بها عن نفسه ويشاغل
وتبرم في قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب

وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقد صرح الشاعر بكل ما في نفسه بعد أن رحل إلى كافور ، وفي قصائده التي
مدحه بها تعريض بسيف الدولة والمحدثين ، يراه القارىء واضحاً في الديوان ؛ من
ذلك قوله لكافور :

حبيتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكنت أنت وافيًا
على أنه لم يشأ أن يخفى ذلك عن سيف الدولة نفسه ، فقد صارحه به في
القصيدة التي أرسلها إليه من العراق إجابة لدعوته ، وذلك بعد أن مدحه
بقصيدتين ، وهي :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمماً لأمر أمير العرب
من أجل ذلك فارق المتنبي سيف الدولة ، ولو أنه من المعقول أيضاً أن تكون
آماله الواسعة في السلطان هي التي حملته إلى مصر ، يبني ما عز عليه في رحاب بني
حمدان . ويقول ابن جنى : إن المتنبي قد اعترف بأن قصيدته :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم
كانت وداعاً . . . وياله من وداع .

ولم يكن سيف الدولة على علم بأن وجهة المنبى بعد مبارحته إياه ستكون مصر ، فقد استأذنه الشاعر في الرحيل إلى إقطاعه فأذن له ، وكان أبو الطيب يبيت في نفسه أمراً : أن يبرح حدود مملكة سيف الدولة ، وأن ينشد بابا آخر غير بابيه . جاء في شرح المعرى « فأجمع رأيه على الرحيل من حلب ، فلم يجد بلداً يأوى إليه أولى من دمشق ، لأن حصص من عمل سيف الدولة » وقال في الصبح المنبى ما يقارب ذلك . وواضح من هذا أن المنبى لم يرض أن يستأذن سيف الدولة في الرحيل خوف ألا يأذن له ، ولا ريب أن سيف الدولة لم يكن ليأذن له . وقد يكون المنبى أوجس خيفة من بطش الأمير ، فلا يبعد عليه ذلك وهو الذي عرض بغدره - بعد - في إحدى الكافوريات وسار المنبى من حلب إلى دمشق ، فانتقل من مملكة سيف الدولة الحمداني إلى مملكة أبي المسك كافور الإخشيدي . وقد لبث الشاعر في دمشق مدة ، ثم دعاه كافور إليه فسار إلى مصر ؛ ويذهب بعضهم إلى أن أبا الطيب لبث في دمشق متسلكتا لا يريد الذهاب إلى كافور ، فلما دعاه كافور إليه مرتين لم يستطع إلا الذهاب ، وهم بذلك يضمون مقدمة للهجاء المرثى الذي هجا به الشاعر كافوراً بعد أن مدحه خير مديح . . ولكن الواضح أن أبا الطيب لم يخرج من بلاد سيف الدولة إلا قاصداً أبا المسك كافوراً دون غيره ، ولذلك يروى أن والى كافور على دمشق أراده على مدحه - لما كان نازلاً ببلده - فلم يرض ذلك . وثابت أن أبا الطيب - لما نزل الرملة في طريقه إلى مصر ، ولقي فيها أميرها الحسن بن عبد الله بن طنج - لم يقل فيه مدحاً ، إلا قطعتين صغيرتين تقدم ذكرهما ، وهما :

ترك مديحك كالهجاء لنفسى وقليل لك المديح الكثير

(و)

ماذا الوداع وداع الوداع الكمد هذا الوداع وداع الروح للجسد

وكان قد مدحه من قبل ، ويفلب على الظن أن الشاعر لم يشأ أن يمدح أحداً قبل كافور وهو في طريقه إليه ، وأنه كان سائراً إلى هناك عن عمد ، ونية مبيتة وأمر مجزوم .

فأما كافور الأخشيدى هذا ، فلا مندوحة من أن نوجز تاريخه في لحظة خاطفة ، وهو تاريخ لا يخال القارىء إلا علماً به .

هو مولى أسود كان لمحمد بن طفج الأخشيد ، ومحمد بن طفج كان والياً من قبل المقتدر بالله العباسى على دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، ثم ضم إليه الراضى بالله مصر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، ولقبه بعد ذلك « الأخشيد » واستتب الأمر له ولذريته في مصر إلى عهد الفاطميين .

ويقول صاحب النجوم الزهراء : إن الأخشيد اشترى كافوراً بثمانية عشر ديناراً من بعض رؤساء مصر ، وأعتقه ، ثم رقاها حتى جعله من كبار القواد ، لما رأى منه الحزم والعقل وحسن التدبير . ولما أضحى كافور قائد الجيوش الأخشيدية حارب ابن رائق ، ثم سيف الدولة في الشام ، وقد قدمنا أن أبا الطيب ذكره في مدحه لمساور بن محمد .

وعند ما توفى الأخشيد أخذ كافور البيعة لابنه أنوجور وعاد به إلى مصر . وقد ظن سيف الدولة أن موت الأخشيد يمكنه من دمشق ، فاستولى عليها وتقدم إلى الرملة ، ولكن كافوراً - وكان الحاكم الفعلى - سار إليه فهزمه وأخرجه من حلب ، ثم اصطالحا ، فأخذ سيف الدولة حلب ، وأخذ أنوجور دمشق . وتوفى أنوجور سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، فاجتهد كافور في أن يبقى الأمر لبني الأخشيد ، ونجح في ذلك ، إذ نال من الخليفة المنطبع لله تولى لعلى بن الأخشيد مكان أخيه ، على أن على بن الأخشيد لم يلبث أن مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وبقيت مصر أياماً بغير أمير - وكان أمرها في يد كافور - فاتفق أعيانها على تأميره ،

فأصبح بذلك هو السلطان - اسماً وفعلاً - حتى توفي سنة ست وخمسين وثلثمائة وعمره خمسة وستين سنة بعد أن حكم مصر وقسماً من الشام اثنتين وعشرين سنة .
وكان كافور الأخشيدي داهية في السياسة ، شجاعاً حكيماً ، استطاع أن يكسب صداقة العباسيين والفاطميين معاً ، ويقال : إنه هو الذي أخرج جيوش المزمصر حتى مات ، نغلي لها السبيل ، وإن حرّمه وكياسته جعلت منه سياسياً قديراً ، وداهية خطيراً ، وكان له - إلى هذا - بصير بالعبدية والأدب ، وكان محباً للعلماء والأدباء ، يقرب الشعراء ويمجّزهم ، وكان ديناً متواضعاً ، سخياً كثير الهبات والخلم والعطايا والصدقات .

ولا بأس من أن نقول إن كافوراً الذي عرفه التاريخ السياسي ، غير كافور الذي عرفه كثيرون من رواة تاريخ الأدب ؛ فن هؤلاء من صورته في أقبح الصور ، متأثراً بما لطفه به أبو الطيب من صفات أدوعها كل نقمة وبفضاء ؛ فن الخبير أن نعرف الرجل على حقيقته ، ولا ننكر عليه مكائنه وفطنته وكفايته ، لنسير في سيرة شاعرنا - بعد ذلك - سير المحاييد غير المحايي أو المتجنّي .

وقدم أبو الطيب مصر في جمادى الثانية سنة ست وأربعين وثلثمائة ، فأقام بها أربع سنين ونصف سنة ، حتى بارحها في ذى الحجة سنة خمسين وثلثمائة ؛ وقد مدح كافوراً حين قدم عليه بقصيدته :

كني بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنسايا أن يكن أمانيا
وختم مدائحهم بقصيدة أنشدها سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وبقي بعد ذلك سنة وشهرين لم ينشده شيئاً ، وبين فاتحة مدائحهم وخاتمتها أربعة أشهر وثلث سنين مدح فيها المتنبي كافوراً بتسع قصائد وقطعتين ، فيها كلها سبعون وثلثمائة بيت ، وهو ربيع ما مدح به سيف الدولة .

وكانت بنية أبي الطيب من ذهابه إلى أبي المسك ، أن يقطعه ضيعة أو إمارة ، وكان شديد الأمل في ذلك عظيم الرجاء ؛ ولكن رجاءه خاب ، وأملة تبخر وطواه الهواء - وسيبين كل ذلك بعد - وظاهر في مدائح أبي الطيب الأولى لكافور ، أنه لم يكن كارها لمدحه ولا مسوقا إليه عن رهبة أو مثلها ، فهو يكشف في أولى قصائده عن حزنه من صديقه الأول الذي غدر به ، وهو سيف الدولة ، وعن أمله الواسع في صديقه الجديد كافور ، وقد رضى الوقوف بين يديه مبالغة في تعظيمه وابتغاء معوته . ولن ننسى أن تقول إن كافوراً عندما نزل أبو الطيب في مصر أخلى له داراً وكفله وأضافه وخلع عليه . وفي هذه القصيدة أشار الشاعر إلى سيف الدولة وإلى بني حمدان في مواضع مختلفة ، وأطنب في مدح أبي المسك ، ثم لمح إلى غايته فلم يشأ أن يخفيها ، يقول :

إذا كسب الناس العلى بالندى فإنك تعطي في ندادك المعاليا
وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا
وفي الشهر التالي قال أبو الطيب قصيدته الثانية يهنيء بها كافوراً بدار بناها ، وهي التي أولها :

إنما التهنتات للأكفاء ولن يدني من البعداء
وأنا منك لا يهنيء عضو بالمرات سائر الأعضاء
وتلك كانت طريقة التنبي في المدح ، لا يفضل نفسه والإشادة بها ، وإشراكها مع المدوح فيما يفتق عليه من صفات طيبات .
وفي هذه القصيدة يقول الشاعر :

وفؤادى من اللوك وإن كان لسانى يرى من الشراء
ويقول المعري : « ولما أنشده أبو الطيب حلف ليلفنه جميع ما في نفسه ، وإنه لأكذب ما يكون إذا حلف » .

ثم بعد شهرين ، قال أبو الطيب يمدح الأستاذ أبا المسك كافور قصيدته :
من الجآذِر في زى الأعراب حمر الحلى والمطايا والجلآيب
وفيها يقول أيضاً :

إلى الذى تهب الدولات راحته ولا يمن على آثار موهوب
ثم أنشد الشاعر كافوراً فى عيد الأضحى قصيدته الرابعة :
أود من الأيام مالا توده وأشكو إليها بيننا وهى جنده

وفيها بين الشاعر عن آلام نفسه ، لأنه قصر عما ينتهيه ، وبدأ بالشكوى الخفية
والبيننة من مظل أبي المسك . ولا ريب أن كافوراً كان قد وعد الشاعر فضلاً
بولاية ، فهو هنا يستنجزه وعده ويسأله أن يجزبه فيقول :
ووعدك فعل قبل وعد لأنه نظير فعال الصادق القول وعده

ثم بعد ثلاثة أشهر من ذلك قال الشاعر قصيدته الخامسة ، وكان فرس
المتنبى قد جرح فحزن عليه . فتبين كافور ذلك وأرسل له فرساً أدهم ،
وأول القصيدة :

فراق ومن فارقت غير مذم وأمّ ومن يمتّ خير ميم
وفى هذه القصيدة يعاود الشاعر مدح سيف الدولة ، وذكر الحمدانيين بالخير ،
كأنما ضاق بكافور روعده ، وفى آخرها يقول :
ولو كنت أدرى كم حياتى قسمتها وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم

ثم قال : الشاعر بعد ذلك قصيدة حكيمية مدح فيها كافوراً ، وذلك إثر شقاق
قال بين أبي المسك وبين الأمير أنوجوز انتهى بالصلح .

على أن حال أبي الطيب لا يطيب لها أن تسير فى طريق واحدة أو تستقر
على وتيرة ، فها هو يمل انتظار بغيته ، ويطنح الكيل فلا يستطيع اصطباراً

وها هو يقول - بعد أن أرسل إليه أبو المسك ستائة دينار ذهباً صلى أن تلميه عن رجائه - قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وذلك في عيد الفطر سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، أى بعد مقام الشاعر بمصر سنة وشهرين ، وفي هذه القصيدة - كما بين من الديوان - يندم أبو الطيب على مبارحته سيف الدولة وقصده كافوراً ، ويعتب فيها على سيف الدولة وعلى بني حمدان ، ثم يحتجها بمدح كافور لعله بأنها ستبلغه وإن لم ينشده إياها .

وهنا أخذت النفرة بين الرجلين مظهرأ واضحاً ، فقد سكت الشاعر عن المدح ، بعد أن كان يواصل قصائده غيرَ وإن ولا يتمهل ، ثم يضطر بعد ذلك لإنشاده ، وذلك أن كافوراً كان قد ولي شيبباً العقيلي الخارجي عمان والبلقاء وما يليها ، فخرج على كافور وسار إلى دمشق في جيش كثيف ودخل المدينة ، وفي غمرة من المرح والمرج ألقى شيبب ميتاً ، فارتاع جيشه ، وهرب جنده وتفرقوا ، ولم يعرف الناس كيف مات ، وجاءت الأخبار مصر فطالب كافور أبا الطيب بأن يذكر هذا في شعره فقال قصيدته التي مطلعها :

عدوك منموم بكل لسان وإن كان من أعدائك القمران

وذلك في جمادى الثانية سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وإنك لو اجد - من قراءة القصيدة - أن الشاعر الذي سكت عن مدح أبي المسك ثمانية أشهر ، ثم قيه في هذه القصيدة ، لم يكن مادحاً ، وإنما كان كمن يقصد الهجاء وكأنما أراد أن يؤبّن القتل ويرثيه بدل أن يقتبط لمقتله .

ثم انقطع المتنبي بعد هذه القصيدة المريبة عن مدح أبي المسك سنة وأربعة أشهر ، وأصاحبه في أثناء ذلك حُسى فقال قصيدته :

(٤٣ - المتنبي ١)

ملومكما يحل عن الملام ووقع فعآله فوق الكلام
وقد عرض فيها بكافور وبخله ومنعه عن الرحيل عن مصر ، وأعجب بها أهل
مصر برغم أنها ساءت كافوراً لما بلغت .

وفي أثناء ذلك أيضاً اتصل المتنبي بأبي شجاع فاتك الملقب بالجنون ، وقد كان
روميا وأسروربي في فلسطين ، ثم اغتصبه كافور من سيده بالرملة بلا ثمن فأعتقه
صاحبه ، فكان معه في عدة الممالك ، كريم النفس ، حر الطبع ، بعيد المهمة ،
ويقول المعري : إنه كان في أيام كافور مقبياً بالقيوم ، أنفة من الأسود وحياء من
الناس أن يركب معه ، وأنه مرض وأحوجته العلة إلى دخول مصر فدخلها ، وأن
أبا الطيب لم يتمكن من عيادته على أن فاتكا كان يسأل عنه ويراسله بالسلام ،
وأنه لما لقي أبا الطيب في الصحراء أهداه هدية قيمتها ألف دينار ذهباً ، ثم أتبعها
هدايا بعدها ، ويقول ابن خلكان : إن القيوم كان أقطاعاً لفاتك ، وإن أبا الطيب
كان يسمع بكرمه وشجاعته ، ولا يستطيع أن يقصده خشية كافور ، ثم استأذن
كافوراً في مدحه فأذن له ، ويروى أن ذلك كان بعد استقرار ما بين فاتك
والأستاذ كافور .

ويظهر أن الشاعر لم يرغب في مدح فاتكـ مع ما بينه وبين كافور من المنافسةـ
إلا ليأسه من أبي المسك ، وقد مدح أبو الطيب فاتكا في جمادى الثانية سنة
ثمان وأربعين وثلثمائة بقصيدته :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال
وفي هذه القصيدة تعريض بكافور .

ثم عاود أبو الطيب مدح كافور ، بعد أن انقطع عن ذلك ستة عشر شهراً كاملة ،
وبعد أن قال قصيدة الحمى التي تقدم ذكرها ، وبعد أن تعرض لكافور في مدح
فاتك ، ويرى بعض المؤرخين أن عودة أبي الطيب إلى مديح كافور كانت خارجة

عن إرادته ، فقد طالبه كافور بذلك فلم يستطع إلا إجابته ، وقد يكون تطلع كافور إلى مدح الشاعر قد أحميا في نفسه الرجاء فعاد يلقي آخر سهم ، وينفض عن نفسه اليأس والإشفاق من أن يخيب ، وأما القصيدة فهي :

مُنَى كُن لِي إِنْ الْبِياضُ خَضَابُ فَيُخْفِي بِتَبْيِيضِ الْقُرُونِ شَبَابُ

وفيها يتحدث الشاعر عن نفسه وعن آماله ، وعن وعد كافور له في غالب أبياتها ، ويمدحه فيها باثني عشر بيتاً .

ثم بقى أبو الطيب بمصر بعد هذه القصيدة سنة وشهرين دون أن يمدح كافوراً فإما كان يلقاه إلا أن يركب فيسير معه في الطريق لثلا يوحشه ، وكان الشاعر ضيف كافور مدة مقامه في مصر ، فكان ذلك هو الصلة بينهما بعد انقطاع الشاعر عن مدحه وحضور مجلسه .

وواضح غاية الوضوح من شعر المتنبي في كافور ، أنه لم يكن يبغى منه مالا نخسب ، بالفا ما بلغت قيمة ذلك المال ، وإنما كان يبغى ضيعة أو ولاية كما تقدم ، يقول :

إِذَا لَمْ تَنْطُبْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشَفْلُكَ يَسْلُبُ

ولو أنه كان يطلب المال لأعطاه كافور فوق ما أعطاه ، أوفقاً مؤلفة ، ونحسب أن كافوراً لم يدر بذهنه أن يقطعه هذا الذي يريد ، وإن كان يعده ويمطله فذلك شيء من التلطف والمداجاة ، وقال بعض الشراح : إنه قال لأبي الطيب : « أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمت نفسك إلى النبوة ، فإن أصبت ولاية وصارك أتباع فن يطيقك؟ » ولا نخاله قال ذلك ، وإن كان من السهل أن يفكر فيه ، ويقول بعض الشراح أيضاً : إن كافوراً كان ينوى إقطاعه ما يريد ، وقد حلف له بذلك ، ولكن أموراً بدرت من الشاعر لم تلق رضاه ، منها أنه ذكر سواده في قصائده ، وكان كافور يكره ذلك غاية الكراهة ، ولا نظن ذلك سبباً

معتقولا ، فقد ذكر الشاعر سواد الممدوح في مواضع طرب لها كافور واحتز لها
وكان ذلك منذ أول عهد الشاعر بمدحه ، فهو أدرك منه امتعاضاً من هذا لما كرهه
في قصائده بعد ذلك .

وليس بعيداً أن يكون كافور كره من الشاعر إلحاحه في طلبه ومداومته على
التذكير بالوحد في لغة يصح أن تسمى توبيخاً ونأيباً ، فصح في عزمه ألا ينيله طلبته ،
ثم إن تمدى الشاعر في أشباه ذلك ، ورثائه لشبيب في القصيدة التي تقدم ذكرها ،
وتعريضه بكافور في قصيدة الحمى ، ومدحه لقاتك - كل أولئك كان سبباً في أن
يخيب أمل الشاعر في بيته ، وأن يحمل بينه وبينها سداً ، وكانت صراحة التنبؤ
وعلو نفسه ، يأيان له إلا أن يقول ما يجوز بخاطره ، فلم يشأ إلا أن يقول ما قال ،
داخلاً في نطاق التوبيخ ، لا الاستطاف والطلب الذليل .

ومما كان له أثر بين في خيبة الشاعر في أمه في كافور ، أنه لم يشأ أن يمدح
الوزير ابن الفرات ، كما مدحه شعراء آخرون ، ليكون له عوناً يساعده على بلوغ
غايته ومبتغاه ، وكان الوزير ابن الفرات هذا ، وزيراً خطيراً من أسرة وزراء ومحدثاً
أديباً ميالاً لأهل العلم والأدب .

وكان أبو الطيب في آخر مقامه بمصر ، يود الرحيل ويبني الفكك من ذلك
النطاق المضروب ، فلقد طللما ردد ذلك في قصائده ، وقد طللما تبرم بمطل كافور
وضاق به ذرعاً . . ولكن كافوراً كان يمسكه عن الرحيل ويضع حوله العيون .

وليس خافياً أن كافوراً - لما نزل الشاعر بمصر - أنزله داراً ، وأغدق
عليه من ماله وأغرقه في عطائه ، وقد حسب أن ذلك يكفيه ، فلما طالبه
الشاعر بولاية أو ضيعة ، وعده إجابة طلبه ، ثم خاف كافور الشاعر ، حين
أدرك علو نفسه ، ولمس بُعد أمانيه ، وعلم ما حبل به ماضيه من حبس وأدعاء

النبوة وما إلى ذلك ، وقد أدرك القارىء أن الشاعر بدأ يستمحل الوعد ، ويندد بالماطلة ، بعد بقائه بمصر ثلاثة أشهر ليس غير ، وأدرك كذلك أنه سكت عن مدح كافور - بعد أن قال قصيدة شبيب والقصيدة الأخرى الأخيرة - سنة وشهرين ، وأنه ذكر الرحيل في شعره صرات عدة ، كأنما كان كافور يحرص على ألا يفوته ، ابتغاء مدحه من ناحية ، واتقاء هجوه من أخرى . . . بل إنه لمن الثابت أن كافوراً منعه عن الرحيل منمأ ، ففي هجاء الشاعر له من بئد ما ينطق بذلك في صراحة وبيان ، وجاء في شرح المعرى وشروح أخرى : أن الشاعر كتب إلى كافور يستأذنه في المسير إلى الرملة ليتنجز مآلاً بها ، وأراد أن يعرف رأيه في مسيره فأجابه : لا ، والله ، أطال الله بقاءك ، لا نكلفك المسير ، ولكن نفذ رسولا يأتيك به ، فلما قرأ الجواب قال : آياته التي أولها :

آخلف لا تكلفني مسيراً إلى بلد أحاول فيه مالا

ولما ضاق صدر الشاعر الكبير بذلك الذي لقيه بمصر ، ولم يطق بعده اصطباراً ، رحل إلى الكوفة رحيل هارب لا رحيل مودع مشيع ، فلم يعد له ما يتعزى به بعد وفاة أبي شجاع فاتك ، الذي اتخذه صديقاً مؤنساً طوال مدة بقائه بمصر بعد سكوته عن مدح كافور ، وكانت وفاة فاتك في شوال سنة خمسين وثلثمائة ، وقد لبث الشاعر بعدها شهرين يدبر لرحيله ، جاء في شرح المعرى وشروح أخرى « وقد أعد كل ما يحتاج إليه على صر الأيام في لطف ورفق ولا يعلم به أحد من غلمانه ، وهو يظهر الرغبة في المقام ، وطال عليهم التحفظ ، فخرج ودفن الرماح في الرمل ، وحمل الماء على الإبل في الليل من النيل لشرب ليال ، وتزود لمشرين » .

وفي ليلة عيد الأنحى قال الشاعر قصيدته الحزينة الثائرة التي مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وقد هجا فيها كافوراً هجاء مرأ ، وعرض يامساكه إياه عن الرحيل .
وقد اتمهز أبو الطيب غفلة كافور وانشغاله بالعيد وبما يصحب العيد من سنن ،
وهم بأخذ طريقه التي بيّنت سلوكها . ولما اجتاز أبو الطيب بلبس نزل على عبد
العزیز بن يوسف القيسي فأضافه وأكرمه وسيره . وقد كتب إليه الشاعر أبياته
التي أولها :

جزى عرباً أمست بلبائس ربها بمسعاتها تقرّر بذاك عيونها
وكان الشاعر يعرف عبد العزیز من قبل ، وله فيه أبياته الثلاثة التي أولها :
لئن مر بالفسطاط عيشى فقد حلا بمعد العزیز المـاجد الطرفین
ولا ريب في أن كافورا ثار لما بلغته القصيدة التي قالها الشاعر ليلة العيد ،
ولا ريب كذلك أنه غضب لرحيله وتوجس خيفة من هجائه المر الذي سوف
يلاحق بعضه بعضاً . ويقول بعض الرواة : إن كافوراً أتبع الشاعر بالخليل والرجل ،
وكتب إلى عماله ليسدوا عليه الطرق .

وعبر أبو الطيب بموضع يعرف بنجدة الطبر حتى خرج إلى مساء يعرف
بنحل بعد أيام ، فلقى عنده في الليل ركبا وخيلا صادرة عن كافور فأخذهم
وتركهم ، ولما قرب من النقب رأى رائدين لبني سليم على قلوبين ، فركب
الخليل وطردهما حتى أخذها ، فذكر له أن أهلها أرسلوها رائدين ، فلما
أمنها استبقاها ورد عليهما متاعهما . وسار متهما حتى توسط بيوت بني سليم
آخر الليل ، فأكرمه ملاعب بن أبي النجم وذبح له ، ثم غدا فسار إلى النقع فنزل
بيادية من معن وسُنْبُس ، وهناك أكرمه عفيف المعنى وذبح له . ثم غدا من عنده
فسار يومه وبعض ليلته ، وعند الصباح دخل حِمْي . وهي أرض طيبة خصبة ،
وبها جبال شاهقة .

وكان بنو فزارة شاتين بها ، فنزل الشاعر بقوم من عدى فزارة ، وطاب له
المقام فلبث شهراً . ثم ظهر له فساد عبيده - وكان كافور قد كتب لمن حوله

من العرب ووعدهم - فأنفذ رسولا إلى فتى من بنى فزارة ثم من بنى مازن ،
وهم قوم يؤثر عنهم رعاية الجوار . ثم سار إليه في الليل ، والقوم لا يعلمون
رحيله ، ولا يشكون أنه يريد البياض ، فأخذ طريق البياض حتى بلغ رأس
الصوان فتوقف ، وأنفذ رسولا إلى عرب بين يديه . وأراد أحد عبيده أن
يخنونه فضرب أبو الطيب وجهه بالسيف ، وأمر الغلمان فقطعوه ، وفي ذلك العبد
قال أبو الطيب :

أعددت للغادين أسيافاً . . . الخ
ويقول ارتجالاً في هجاء وردان :
إن تك طيء كانت ثاماً فالأمهم ربيعة أو بنوه
إلى آخر الأبيات .

وكان رسول أبي الطيب قد عاد إليه وليس معه خبر عن العرب التي طلبها ،
فسار على بركة الله إلى دومة الجندل ، وذلك لإشفاقه من أن تكون
عليه عيون بحسنى تعلم أنه يريد البياض . وورد الشاعر البويرة بعد ثلاث
ليال ، ولما توسط الشاعر بسيطة - وهي أرض بقرب الكوفة - رأى بعض
عبيده ثوراً ، فقال : هذه منارة الجامع ، ونظر آخر إلى نعامة ، فقال : هذه نخلة ،
فضحك أبو الطيب وقال :

بسيطة مهلا سقيت القطارا تركت عيون عبيدى حيارى
إلى آخر الأبيات .

وورد العقدة بعد ليال ، واجتاز بنى جعفر بن كلاب وهم بالبرية فبات فيهم ،
ثم دخل الكوفة في شهر ربيع الثاني سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .
ولم يسلك أبو الطيب من مصر إلى الكوفة الطريق المعهودة ، فقد سار
« على الحلال والأحياء والمفاوز الجاهيل والمناهل الأواجن » كما يقول صاحب

الإيضاح ، وهو بذلك يؤيد ما ادعى في شعره من الجرأة والدربة على الأسفار بالليل والنهار .

وكانت أولى قصائد الشاعر في الكوفة هي التي أولها :
ألا كل ماشية الخيزلي فدى كل ماشية الهيدبي

وقد عدد فيها المواضع التي سر بها في سيره ، ونخر ، وهما كافوراً .. وقد استفرقت رحلته من الفسطاط إلى الكوفة ثلاثة أشهر . وكان رجوع الشاعر الفحل إلى بلده ومقط رأسه بعد غيبة طويلة عدتها ثلاثون سنة .

ولم يستطع الشاعر - وقد بارح الديار المصرية - أن ينسى صديقه أبا شجاع فاتك ، ولا أن يحمر قلبه من التحسر عليه والأسى لفقده ، ولم يستطع كذلك إلا أن يفيض نقمة على كافور وكراهة وبغضاء . وقد رثى فاتكا في ثلاث قصائد .
أنشأ أولها بعد خروجه من مصر وأولها :

الحزن يقلق والتجمل يردع والسمع بينهما عصى طبع
وأنشأ ثانيها في الكوفة ، وقد أخرج فتاحة من الند عليها اسم فاتك ، وأولها :
يذكرني فاتكا حلمه وشيء من الند فيه اسمه
وأنشأ الثالثة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، بعد خروجه من بغداد ، وأولها :
حتم نحن نساوي النجم في الظلم وما سراه على خف ولا قدم

وشاء الشاعر أن يهجو كافوراً أقذع الهجاء ، وأن يطلق من صدره جذوة مشتعلة من النقمة البالغة ، وذلك لأنه لم ينل عنده ما يبتغي ، ولأنه وعده فأخلفه ، ولأنه حبسه عن الرحيل ، ولأنه - في كل ذلك - أهله لشماتة الأعداء والحاسدين .

وقد ضمن الشاعر ثلاث قصائد - تضمنت أغراضاً أخرى - هجاء كافور

وهي قصيدة العيد التي تقدم ذكرها ، والقصيدة التي وصف فيها سيره من مصر إلى الكوفة ، والقصيدة العينية التي رثى بها فاتكا ، وقد تقدم ذكرها أيضاً . ثم ضمن هجاءه كذلك ، القطعة التي رثى بها فاتكا حين أذكرته به تفاحة الند .

وخصص الشاعر غير ذلك - لهجاء كافور - ست قطع فيها أربع وأربعون بيتاً . منها القطعة التي أولها :

أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا وما أنا عن نفسي ولا عنك راضياً
ومنها القطعة التي أولها :

أنوك من عبد ومن عرسه من سلط العبد على نفسه
ومنها القطعة التي أولها :

أسودَ أما القلب منه فضيَّق نخيب وأما بطنه فرحيب
وقد نظمت في شوال سنة خمسين وثلاثمائة .

ومنها القطعة التي أولها :

لو كان ذا الآكل أزوادنا ضيفا لأوسعناه إحسانا
وقد نظمت حينما هم بالرحيل عن مصر .

وكانت العراق لما قدمها أبو الطيب في أيدي بني بويه ، وقد نشأت دولة بني بويه هذه في أوائل القرن الرابع الهجري ، فتعاون الإخوة الثلاثة : علي والحسن وأحمد على التسلط في فارس والعراق . واستولى أصغرهم أحمد على بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . فنجهم الخليفة المستكن بالله الولاية على مابأيديهم ، ولقب علياً عماد الدولة ، والحسن ركن الدولة ، وأحمد معز الدولة : وبقى ملك بني بويه على العراق حتى سنة سبع وأربعين وأربعمائة حين استولى عليه السلاجقة .

ولم يكدم معز الدولة يملك في العراق أسابيع ، حتى خلع الخليفة وسمل عينيه وولى مكانه الخليفة المطيع ، وانتقل بذلك الملك جملة من أيدي الخلفاء إلى أيدي البويهيين . وكان ذلك إيذاناً بالخراب والدمار وانتشار الظلم والظلمة والفوضى الآخذة بالعنان .

وقدم أبو الطيب العراق بعد ستة عشر عاماً من استيلاء معز الدولة عليها وأقام بالكوفة التي هجرها من قبل مراراً فراراً من القرامطة والأعراب ، فشهد بعد سنتين غارة بني كلاب عليها وشارك هوفى الحرب والدفاع عنها .

وكان يلي الوزارة الحسن بن محمد المعروف بالوزير المهلبى . وكان أديباً شاعراً اجتمع حوله أدباء ، منهم القاضى التنوخى ، وأبو الفرج الأصفهاني وشعراء منهم السرى الرقاء ، وكان جواداً مسرفاً كلفاً باللهو والمجون .

وقد لبث أبو الطيب بالعراق ثلاث سنين منذ قدمها حتى غادرها إلى فارس سنة أربع وخمسين - وكانت إقامته بالكوفة - وقد سافر في أثناء ذلك إلى بغداد مرة أو يزيد . ثم قدمها بعد في طريقه إلى فارس . ولا ندرى ما فعله بالكوفة إلا ما يحصل بقوله الشعر . ففي جمادى الثانية سنة ثلاث وخمسين هجرت هجرت بن يزيد العيني ، ويروى أن ابن يزيد العيني هذا جاء من سفاح ، يفدر بكل من نزل به وأكل معه وشرب . وكان أبو الطيب قد نزل بالطف بأصدقاء له وسارت خيلهم إلى هذا العبد واستركبوه فلزمه السير معهم ، فدخل العبد الحصن وأخذ يشتمهم أيما من وراء الحصن أقبح شتم ، ويسمى أبا الطيب ويشتمه . وأراد القوم أن يجيبوه بمثل ألفاظه ، وسألوا أبا الطيب ذلك فتكلف لهم على مشقة وعلم أنه لوسبه لهم معرضاً لم يفهم ولم يعمل فيه عمل التصريح فخاطبه على ألسنتهم من حيث هو فقال . . الخ » .

وفي هذه القصيدة أفدح المتنبي غاية الإفداح . وفاض حقه فمر القصيدة وأنعمها .

وجاء في شرح ابن جنى : أن أبا الطيب أنكر إنشاد هذه القصيدة ، وقال الواحدى مثل ذلك .

ثم وقعت بعد ذلك حوادث بالكوفة اشترك فيها أبو الطيب وقاتل ، ومدح قائد الجيش الذى قدم من بغداد لصدا غارة الأعراب من بني كلاب على الكوفة . وكان أبو الطيب قبل قدوم ذلك القائد يقود الجيش المدافع عن المدينة لعدة أيام ، فلما حضر جيش بفسداد كان بنو كلاب قد رحلوا عن الكوفة ، فنزل القائد وأخذ إلى أبي الطيب ثياباً نفيسة من ديباج وخز ، فأنشده هذه القصيدة فى الميدان وهما على فرسيهما ، وذلك فى ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين ، وأول القصيدة :

كدعواك كل يدعى صحة العقل ومن ذا الذى يدري بما فيه من جهل

وخرج أبو الطيب من الكوفة - قبل أن يبرحها إلى فارس - فى شعبان سنة اثنتين وخمسين ، قاصداً بغداد ، وفيها لقي الوزير المهلبى ، ويرجح أنه أقام بها من جمادى الآخرة إلى شعبان ، أو قبل ذلك بقليل ، وقد نزل فيها بدار على بن حمزة البصرى اللغوى الذى روى ديوانه ، وبقي ضيفه إلى أن رحل عنها ، ولم يطل فيها مقامه .

وكان ببغداد معز الدولة بن بويه والوزير المهلبى .

وقد زار أبو الطيب المهلبى وجلس معه مرتين ، ولكنه لم يمدحه ، ولا هو مدح معز الدولة ، وقد كان أبو الطيب يود مدح المهلبى ، وأن يتخذة سيلاً إلى معز الدولة ، وإنما صده عن ذلك ما سمعه عنه من تماديه فى السخف واستهتاره واستيلاء أهل الخلاعة عليه . وقد أغرى المهلبى بالمتنبى شاعراً ماجناً هو ابن حجاج فعلق بلجام دابته وقد تكأ كأ الناس عليه وأخذ ينشده :

يا شيخ أهل العلم فينا ومن يلزم أهل العلم توقيره

فلم يحفل به المتنبي وانصرف إلى منزله .
وقد كان الوزير المهلبى راغباً في مدح أبي الطيب ، مفيظاً مُحَنَّقاً من إغفاله إياه ،
وقد روى أنه أحضر على بن يوسف البقال فأنشده في حضرة المتنبي ، فقال المتنبي :
« ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال » .
ولما كان الوزير المهلبى وسيلة الشاعر إلى معز الدولة ، فإن الشاعر لم يجد
إلى معز الدولة من سبيل ، ولم يمدحه تبعاً لذلك .

ولم يشأ المهلبى أن ينسى إساءة الشاعر إليه وإغفاله إياه ، فأغرى به جماعة من
شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه ، ومنهم ابن الحجاج ،
وابن سكرة الهاشمي ، والحاتمي . فلم يجبهم المتنبي ولا حفل بهم ، وقيل له في ذلك ،
فقال : إني قد فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء :

أرى المتشاعرين غرّوا بذي ومن ذا يحمّد الداء المضالاً
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرأً به الماء الزلالاً

وقولي :

أني كل يوم تحت ضنبي شويبر ضعيف يقاويني قصير يطاول

إلى آخر الأبيات .

وقولي :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

ومما كان بين أبي الطيب وبين أعوان المهلبى ما حكاه الحاتمي من مناظرته
لأبي الطيب ببغداد ، ولا ريب أن الحاتمي كذب في ذلك على خصمه وبالغ في دعواه
إرضاء للمهلبى ، وقد قال ياقوت عن الحاتمي هذا : إنه كان مبغضاً لأهل العلم ،
وفي الفترة التي أقامها الشاعر ببغداد ، قرىء عليه ديوانه وسمعه جماعة ، منهم على بن
حمزة البصري ، وابن جنى ، والقاضي أبو الحسن الحمالي .

وشاء الله أن يملود قلب الشاعر الكبير الحنين إلى الأمير العربي
الجليل سيف الدولة بن حمدان ، فإنه لما سمع سيف الدولة بمخروج أبي الطيب
من مصر مرغماً كافوراً ، وبلوغه الكوفة ، كاتبه معرضاً برجوعه إلى حلب
ثم أهدى إليه هدايا متعاقبة . فأجابه أبو الطيب في شوال سنة اثنتين وخمسين
بقصيدته التي مطلعها :

مالنا كانا جو يا رسول أنا أهوى وقلبك المتبول

وفيها يبين حزن الشاعر ، ومعاودته مدح الأمير الهمام . وقد قالها لما
بلغه خروج سيف الدولة - وهو مريض - للقاء الروم ورجوعهم عن
غزو طرسوس .

ثم توفيت أخت سيف الدولة الكبرى في جمادى الثانية سنة اثنتين وخمسين
وورد العراق خبرها ، فقال الشاعر في شمعان قصيدته :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب

فكان لهذا الرثاء أبلغ الأثر في نفس سيف الدولة ، فأرسل إلى الشاعر هدية
ومالا وأماناً بخطه وكتاباً يستدعيه ، فكتب أبو الطيب في ذي الحجة سنة ثلاث
 وخمسين قصيدته التي مطلعها :

فهمت الكتاب أبرالكتب فسمعا لأمر أمير العرب

وبعد أن عاد الشاعر إلى الكوفة ولبت فيها عاود الذهاب إلى بئداد ، في
طريقه إلى فارس قاصداً ابن العميد ، وقد بارح بئداد للمرة الثانية في صفر
سنة أربع وخمسين ، وذلك بعد مبارحته لها في المرة الأولى سنة وخمسة
أشهر . وقد أخذ طريق الأهواز وبها لقيه التنوخي . وبلغ أركان في الشهر
نفسه . فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدمور والمساكن ؛ فضرب
يده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض يتصلون بي وتصدت رب هذه
للدرة فما يكون منه ؟ ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته

إلى ابن العميد ودخل عليه وقال : مولاي أبو الطيب خارج البلد ، فثار من مضجعه ثم أمر حاجبه باستقباله . فركب واستركب من لقيه في الطريق ، فتلقوا الشاعر وقضوا حقه وأدخلوه البلد ، فدخل على أبي الفضل بن العميد فسلم له ، وطرح له كرسى عليه وسادة ديباج . وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب .

وقد أفرد أبو الفضل له داراً نزلها ، وكان يفتش أبا الفضل كل يوم ويؤاكله . وابن العميد هذا - كما لا يخفى - هو الأديب الكبير أبو الفضل ابن العميد - وزير عضد الدولة ، وقد كان أبو الفضل ناقماً على الشاعر من قبل لأنه لم يمدحه ، وكان يريد أن يخمل ذكره ، حتى إنه ليروي أن بعض أصحابه دخل عليه يوماً قبل دخول المتنبي فوجده واجماً - وكانت أخته قد ماتت - فظنه واجداً لأجلها ، فسأله الخبر ، فقال : إنه ليغظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أخمل ذكره ، وقد ورد على نيف وستون كتاباً في التعزية ما منها إلا وقد صدر بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فرزت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى
ويروى أن ابن العميد لم يرسل إلى المتنبي ليدعوه ، ولكن الذى لاريب فيه أنه فرح بمقدمه وطرب لمدحه ، فذلك كان أملاً من آماله وأمنية من أمنياته المسولات .

وقد لبث الشاعر شهرين عند ابن العميد ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذى جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه . ومدحه الشاعر بثلاث قصائد ، كانت أولها القصيدة التى مطلعها :

بادِهواك صبرت أم لم تصبرا وبكالك مالم يجر دمعك أو جرى
وكانت ثانيها القصيدة التى مدحه بها فى النوروز وهى التى أولها :

جاءَ نَيْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ وَوَرَّتْ بِالذِي أَرَادَ زِنَادُهُ
وفيهما يتواضع الشاعر ويتعذر ، كأنما أحس بأنه يخاطب بها أديباً كبيراً متميزاً
على غيره من المدوحين :

وبعد هذه القصيدة - وقبل القصيدة الثالثة - قطعتان قال الشاعر إحداها حين
ورد ، كتاب من أبي الفتح بن أبي الفضل ابن العميد وأولها :

بكتب الأنام كتاب ورد فدت يد كاتبه كل يد

وثانيتها قالها يصف مجرة رآها عند ابن العميد وأولها :

أحب امرئ حبَّ الأنس وأطيب ما شمه معطس

ثم تأتي بعد ذلك القصيدة الثالثة ، التي يودع فيها الشاعر أبا الفضل ابن العميد
وهي التي مطلعها :

نسيت وما أنسى عتاباً على الصد ولا خفراً زادت به حمرة الخد

وما كاد المتنبى - بعد قصيدة الوداع - يتأهب للرحيل إلى أهله بالكوفة حتى

جاء ابن العميد كتاب من عضد الدولة في طلب المتنبى ، فأنبأه ابن العميد به فقال :

مالي وللدليم؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل مني ، ويصلك بأضعاف

ما وصلتك به ، فأجاب : بأني ملقي من هؤلاء الملوك أقصد الواحد بعد الواحد ،

وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النهرين ويمطونني عرضاً فانياً ، ولي ضجرات واختيارات

فيموقونني عن مرادى فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه . فكاتب ابن

العميد عضد الدولة بهذا الحديث ، فورد الجواب بأنه مملك مراده في المقام

والظمن .

وكان عضد الدولة بصيراً بالأدب ، له شعر جيد ، وكانت دولة بني بويه عامة دولة

للأدب العربي ، فتولى الوزارة لهم ابن العميد والصاحب والمهلبى .

وسار المتنبى من أَرَجَان ، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز استقبله عضد

الدولة بأبي عمر الصباغ أخى صاحب كتاب حقائق الآداب ، ثم دخل البلد فأنزل

داراً مفروشة ، ولما نفص غبار السفر واستراح ركب إلى عضد الدولة فتوسط الدار
واتهى إلى قرب السرير قبل الأرض واستوى قائماً ، وقال : شكرت مطية
حملتني إليك ، وأملا وقف بي عليك .

وأنشأ أبو الطيب عند عضد الدولة ست قصائد وأرجوزة وقطعة ، وأولى هذه
القصائد هي :

أوهٍ يدبيل من قولتي واما لمن نأت والبديل ذكرها
وهي التي يعزى بها عضد الدولة في وفاة عمته - وكانت قد توفيت ببغداد ، وثانية
القصائد هي التي أولها :

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الريمع من الزمان
وفيها يحمن الشاعر إلى العربية التي افتقدها في فارس فما وجد لها أثراً .
ووصل عضد الدولة الشاعر صلات كثيرة ، قدرت بأكثر من مائتي ألف درهم ،
ولما استأذنه في المسير أمر أن يخلع عليه ويقاد إليه ويوصل بالمال الكثير - وقد ظهر
أثر ذلك في شعر المتنبي .

وأقام أبو الطيب في شيراز زهاء ثلاثة أشهر ، وقرى عليه ديوانه ، ثم أنشد
قصيدة الوداع في شعبان سنة أربع وخمسين ، وفيها يطنب في شكر الأمير ، ويرغب
في الرجوع إليه ، ويحمن إلى أهله ، ثم يتوقع أن شرأ سيصيبه في طريقه ، وهي القصيدة
التي أولها :

فِدَى لِكَ مَن يَقْصُرُ عَن مَدَاكَ فَلَاصِلِكَ إِذْنَ إِلا فِدَاكَ

وكان خروج أبي الطيب من شيراز ، في الثامن من شعبان ، قاصداً ببغداد
فالكوفة ، وسار الشاعر بمراكبه وأحماله وغلطانه حتى بلغ الأهواز ، فقطع
بذلك واحداً وخمسين فرسخاً ، ثم سار خمسين فرسخاً أخرى حتى بلغ واسط
ونزل بها ، وبين واسط وبغداد زهاء أربعين فرسخاً ، كان على الشاعر أن

بمجازها قبل أن يصل مدينة السلام ، وعلى الطريق إليها بلاد ذكر منها في الروايات التي وردت عن مقتل أبي الطيب : النعمانية ، ودير العاقول ، والصافية ؛ فأما النعمانية فهي في وسط الطريق ، وهي قائمة اليوم على الشاطئ الغربي من دجلة ، وإلى الجنوب الشرقي من « دير العاقول » وعلى مقربة منه دير قنن أو (قنة) وهو يبعد عن الشاطئ قليلا ، وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخا . وأمام دير العاقول « الصافية » وهي على فرسخين جنوب شرقي دير العاقول .

وسار أبو الطيب من واسط قاصداً بغداد في طريقه إلى الكوفة في اليوم السابع عشر من رمضان ، وفي ذلك اليوم كتب عنه علي بن حمزة البصري - على روايته - القصيدتين الأخيرتين في شعره .

وبلغ جبَل بعد أن قطع زهاء سبعة عشر فرسخاً ، فنزل عند أبي نصر الجبلي ، ثم أخذ طريقه حتى أصبح حيال النعمانية ، ثم سار فرجرايا على أربعة فراسخ من الجنوب الشرقي من دير العاقول ، وتقدم بعد ذلك حتى قارب الصافية وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخاً ، وهناك خرج عليه فاتك بن أبي جهل الأسدي خال ضبة بن يزيد الذي هجاه أبو الطيب ، وكان فاتك في نيف وثلاثين فارساً راحين وناشين ، ولا ريب أنه كان يترصد لأبي الطيب ، لينتقم لابن أخته ضبة ، وليستولى على ما يحمله معه من ثروة ، فقد روى أنه ومن معه كانوا من يقطعون طريق الحجاج .

وكان مع أبي الطيب ابنه محمد وغلمانه ، وقد وصفهم من قبل في قصيدة رثاء فاتك الميمية ، وفي قصيدة توديع ابن العميد ، ولا شك أن غلمانه هؤلاء كانوا أقل عدداً من عدوهم .

وقاتل الشاعر الشجاع حتى قتل ، وقتل ابنه ، ويقول صاحب الإيضاح : إنهم « قتلوا كل من معه » وإن كان ذلك يبدو بعيداً ، ويروى أن أبا نصر قال : « ولما صح خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدراً » .
(م ٥ - المتنبى ١)

ومن المرجح أن اليوم الذي أودى فيه الشاعر هو يوم الأربعاء الثامن والعشرون من رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة هجرية .

وقد رثى أبا الطيب من معاصريه ، أبو الفتح عثمان بن جنى بقصيدة أولها :
غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بمد رى دوحه الكتب^(١)
ورثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي بأربعة أبيات رواها الثعالبي في اليتيمة وأولها :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذلك اللسان
ورثاه ثابت بن هارون الرقي النصراني ، وحرص عضد الدولة على عقاب من قتلوه بقصيدة أولها :

الدهم أخبث والليل أنكد من أن تميش لأهلها يا أحمد

وقبل أن نختتم سيرة المتنبي ، نقول : إنه تزوج بعد سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، ولكننا لا ندرى متى تزوج ، وكان له عيال حن إليهم في شعره وتشوق للقائهم ، وقد ورد في أخبار المتنبي ذكر لابنه محمد ، ولم يرد ذكر لغيره ، ويرجح أن زوجه كانت من الشام .

ذلكم كان أبو الطيب المتنبي ، الشاعر الذي خُلد مع فنه الخالد وشعره الشاعر ، ولا ريب أن القارئ أدرك من مجمل سيرته ما كان يدين به من خلق واضح الحدود ، بين المعالم ، فقد كان الشاعر - كما يبين في شعره - متكبراً

(١) انظر ترجمة ابن جنى .

أبياً معجباً بعيد الهمة ، وكان شجاعاً عظيم الإقدام ، وقد سيطرت عليه أخلاقه هذه ولعبت بحياته ، فجملته متعالياً عن شعراء وقته عزوفاً عن مسايرتهم في اللهو والمجون ومعاقرة الخمر ، وكان كذلك صادق القول صريحه ، قال علي بن حمزة :
إنه لم يكذب قط ، ومن آثار هذا أنه كان بنفر من التكلف ويفضل البداوة على التحضر .

وكان أبو الطيب عدا ذلك ، حاقداً على الناس ، يحقرهم ، ويطوى كسحه لهم على الموجدة والضيفنة ، وذلك أثر من آثار اعتداده بنفسه وطموحه إلى السؤدد ، ثم قصوره عن بلوغ أمله ، على أنه - برغم هذا - كان وفيّاً لأصدقائه محباً لهم متأسياً لفراقهم ، جازعاً لموتهم ، ثم كان في كل هذا حزين الطبع ، ثائراً ، يتنزى قلبه الماء وحسرة على ما أمل وفشل .

ومما أثر عن المتنبي أنه كان بخيلاً ، حريصاً على المال ليلبغ به غايته ، ويستعين به على تحقيق آماله الجسام ، وأحلامه الواسعة .

ولا نحسب الشاعر - ولم تسعده الحال في حياته على تحقيق مراده - إلا بالنأ المبالغ في مماته ، وواجداً فوق ما أمل وأراد ، وكفاه خلوداً أن يظل على الأيام صاحب الذكر الدائم ، الباقي بقاء الضاد .

ترجمة المتنبي

« بقلم أحد معاصريه »

وقد استحسننا - لمناسبة كتاب إيضاح المشكل من شعر المتنبي الذي ورد ذكره في هذه السيرة ، لمصنفه أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني - أن نورد هنا ترجمة هذا الأصفهاني لأبي الطيب المتنبي . قال عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب : وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب « إيضاح المشكل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني » وهذا الإيضاح قاصر على شرح ابن جنى لديوان المتنبي ، يوضح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو من عاصر ابن جنى ، وألف الإيضاح لبهاء الدولة بن بويه قال : « وقد بدأت بذكر المتنبي ومنشئه ومُغْتَرَبِهِ ، وما دل عليه شعره من ممتقده إلى مختَم أمره ، ومَقْدَمِهِ على الملك - نصر الله وجهه - بشيراز وانصرافه عنه ، إلى أن وقعت مقتله بين دِيرْقَنَةِ ، والنعمانية واقْتِسَامِ عقائله وصفاياها . . حدثني ابن النجار ببغداد : أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلة تعرف بِكِنْدَةَ بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رَوَاءِ ونساج .

واختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية⁽¹⁾ شعراً ولغة وإعراباً ؛ فنشأ في خير حاضرة ، وقال الشعر صبيّاً ، ثم وقع إلى خير بادية - بادية اللاذقية ، وحصل في بيوت العرب ، فادعى الفضول الذي نَزَبَ به ، فنى خبره إلى أمير بعض أطرافها - فأشخص إليه مَنْ قَيَّدَهُ وسار به إلى محبسه ، فبقي يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسمَ به ، في كلمته التي يقول فيها :

فمالك تقبلُ زورَ الكلامِ وقد رُ الشَّهادةِ قدرُ الشُّهودِ
وفي جودِ كُفكُ ما جُدَّتْ لي بنفسي ولو كنتُ أشقَى نُمودِ

(1) كذا في الأصل ويتمل أن تكون « العربية » .

وقد هجاه شعراء وقته ، فقال الضبي :

الزَّمْ مقالَ الشعرِ تَحْظُ بِقَرْبَةٍ وعن النبوة ، لا أبالك ، فانتزع
تَرِيحَ دَمًا قد كنت توجبُ سفكهُ إن التمتع بالحياة لمن ربح
فأجابه المتنبي :

أمرى إلى فإن سمحتُ بمهجة كَرُمْتَ علىَّ فإن مثلي من سمح
وهجاه غيره فقال :

أطلتَ يا أيها الشقيُّ دمك بالهذيان الذي ملأتُ فك
أقسمتُ لو أقسم الأميرُ على قتلك قبل العشاء ما ظلمك
فأجابه المتنبي :

همك في أمرٍ تقلب في عين دواقٍ من صلبه فلك
وهمتي في انتضاء ذى شطب أقدُّ يوماً بحده أدمك
فأخسَ كلييا واقعدُ على ذنب وأظلِّ بما بين أليتيك فك

وهو في الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان في صفه وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوَّسه وأضله كما ضل ، وأما ما يدل عليه شعره فتلون ، وقوله :

هون على بصر ما شق منظره فإنما يقظات العين كالحلم
مذهب السوفسطائية ، وقوله :

تتمتع من سهادٍ أو رقادٍ ولا تأمل كرمي تحت الرجام
فإن لثالك الحالين معنى سوى معنى انتباهك والنمام
مذهب التناسخ ، وقوله :

نحن بنو الدنيا فا بالنا نفاقُ ما لابدُّ من شربهِ

فهذه الأرواح من جَوْه وهذه الأجسامُ من تُرْبِه
مذهب الفضاية . وقوله في أبي الفضل بن العميد :
فإن يكن المهديُّ مَنْ بان هديُّه فهذا ، وإلا فالهدي ذا ، فما المهدي
مذهب الشيعة . وقوله :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَأُخْلِفَ فِي الشَّجَبِ
قَعِيلٌ : تَخَلَّدُ نَفْسَ الْمَرْءِ بَاقِيَةً وَقِيلَ : تَشْرَكَ جَسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ
فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية . والإنسان
إذا خلع ربة الإسلام من عنقه ، وأسلمه الله عزَّ وجلَّ إلى حوله وقوَّته ، وجد
في الضلالات مجالا واسعا ، وفي البدع والجهالات مناديجَ وفُسُحا . ثم جئنا
إلى حديثه واتجاعه ، ومفارقته الكوفة أصلا ، وتطوافه في أطراف الشام ،
واستقرائه بلاد العرب ، ومقاساته للضرِّ وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحقارة
ما يوصل به ، حتى إنه أخبرني أبو الحسن الطرائفي ببغداد — وكان لقي المتنبى
دفعات في حال عسره ويسره — أن المتنبى قد مدح بدون العشرة والخمسة من الدراهم
وأنشد في قوله مصداقا لحكايته :

انصُرْ بِمَجْدِكَ أَلْفَاظًا تَرَكْتُ بِهَا فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ مِنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا
قَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَمِلُ وَذَا الْوَدَاعِ ، فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِئْنَا
وأخبرني أبو الحسن الطرائفي قال : سمعت المتنبى يقول : أوَّلَ شَعْرٍ قَلْتَهُ وَابْيَضَّتْ
أَيَّامِي بَعْدَهُ ، قَوْلِي :

أَنَا لِأُنْمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَوَائِمِ

عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

فإني أعطيتُ بها بدمشق مائة دينار . . . ثم اتصلَ بأبي العشائر ، فأقام
ما أقام ثم أهداه إلى سيف الدولة ، فاشترط أنه لا ينشد إلا قاعداً وعلى الوحدة ، فاستحملوه
وأجابوه إليه . فلما سمع سيف الدولة شعره حكَّمه بالفضل ، وعدَّ ما طلبه استحقاقاً .

وأخبرني أبو الفتح عثمان بن جني : أن المتنبي أسقط من شعره الكثير وبقي ما تداوله الناس . . . وأخبرني الحلبي أنه قيل للمتنبي : معنى بيتك هذا أخذته من قول الطائي . فأجاب المتنبي : الشعر جادة ، وربما وقع حافر على حافر . وكان المتنبي يحفظ ديواني الطائيين ، ويستصحبهما في أسفاره ويحكما ، فلما قتل توزعت دقاته ، فوقع ديوان البحري إلى بعض من درس عليّ ، وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه . وسمعت من قال : إن كافوراً لما سمع قوله :

إذالم تَنْطُبِي ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً لِحُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلِكَ يَسْلُبُ
يَلْتَمِسُ وِلَايَةَ صَيْدَاءَ . فَأَجَابَهُ : لَسْتُ أُجْسِرُ عَلَى تَوَلِّيَتِكَ صَيْدَاءَ ، لِأَنَّكَ
عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، تَحَدِّثُ نَفْسَكَ بِمَا تَحَدِّثُ ؛ فَإِنَّ وَلِيَّتِكَ صَيْدَاءَ ، فَمَنْ
يَطْبِقُكَ ؟ !

وسمعتُ أنه قيل للمتنبي : قولك لكافور :

فَارْمِ بِي حَيْثَا أَرَدْتَ فَإِنِّي أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِيُّ الرِّوَاءِ
وَفُوَادِي مِنَ الْمَلُوكِ وَإِنْ كَانِ لِسَانِي يُرَى مِنْ الشُّرَاءِ
ليس قول ممتدح ولا منتجع ، إنما هو قول مضاد ! فأجاب المتنبي إلى أن قال :
هذه القلوب ، كما سمعت أحدها يقول :

يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى قِصْدَ الْقَنَاءِ وَصَرَ عِي رِجَالِي فِي وَغِي أَنَا حَاضِرُهُ
وأحدها يقول :

يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهَا ذَرَا عَقَدَاتِ الْأَجْرَعِ الْمُتَوَادِرِ

ثم أقام المتنبي عند سيف الدولة على التكرمة البليغة : في إسناء الجائزة ، ورفع المنزلة . ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم ، وتأمل حالاً في جنبته بعد أن كان حويلة . وكان سيف الدولة يستحب الاستكثار من شعره والمتنبي يستقله ، وكان

مَلَقَى مِنْ هَذِهِ الْحَالِ ، يَشْكُوهَا أَوَّلًا ؛ وَبِهَا فَارَقَهُ حَيْثُ أُنْشِدَهُ :
وَمَا ائْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
وآخِرَهَا :

بَأَى لَفْظٌ يَقُولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةً تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا مَجْمُ
وَقَالَ فِي أُخْرَى :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهَوْ بِلُحْيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ !
فَلَمَّا اتَّهَتْ مَدَّتُهُ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى أَقْطَاعِهِ ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَامْتَدَّ
بِاسْطِ عَنَانِهِ إِلَى دِمَشْقَ ، إِلَى أَنْ قَصَدَ مِصْرَ فَأَلَمَ بِكَافُورٍ ، فَأَنْزَلَهُ وَأَقَامَ مَا أَقَامَ ، إِلَّا
أَنْ أَوَّلَ شَعْرَهُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى نَدَمِهِ لِقِرَاقِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ :
كُنِيَ بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا وَحَسْبُ الْمَنَاسِيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
حَتَّى اتَّبَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارَكَ غَيْرُهُ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا
وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْمَوْلَدِينَ بِبِعْدَادِ ، وَخَالَهُ أَبُو الْفَتْحِ يَتَوَزَّرُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ . أَنْ
سَيْفِ الدَّوْلَةِ رَسَمَ لِي التَّوْقِيعَ إِلَى دِيْوَانِ الْبَرِّ بِإِخْرَاجِ الْحَالِ فِيمَا وَصَلَ بِهِ الْمُنْتَبِي ،
فَخَرَجَتْ بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي مَدَّةِ أَرْبَعِ سِنِينَ .

ثُمَّ لَمَّا أُنْشِدَ الثَّانِيَةَ كَافُورًا خَرَجَتْ مُوجَّهَةً يَشْتَقُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ . وَأَوَّلَهَا :

فِرَاقٌ ، وَمَنْ فَارَقْتَ غَيْرُ مَنْمَمٍ وَأُمَّ ، وَمَنْ يَمَّتْ خَيْرُ مُيَمَّمٍ

وَأَقَامَ عَلَى كَرِهِ بِمِصْرَ إِلَى أَنْ وَرَدَ فَاتَكَ غَلَامُ الْأَخْشِيدِيِّ مِنَ الْيَوْمِ - وَهِيَ
وَبَيْتُهُ ، فَنَبَتْ بِهِ وَاجْتَوَاهَا - وَقَادُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَدْخَلِهِ إِلَى مِصْرَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ
جَنِينَةً مُنْعَلَةً بِالذَّهَبِ ؛ فَسَاهَ أَهْلُ مِصْرَ فَاتَكَ الْجُنُونَ . فَلَقِيَهُ الْمُنْتَبِي فِي الْمِيدَانِ
عَلَى رِقْبَةٍ مِنْ كَافُورٍ فَقَالَ :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيَسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزها ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار ،
ثم مضى فاتك لسبيله ، فرثاه المتنبي وذمّ كافوراً :

أيموتُ مثل أبي شجاعٍ فاتكٍ ويعيشُ حاسدُهُ الخِصِي الأوكعُ !

فاحتال بعده في الخلاص من كافور ، فاتته الفرصة في العيد — وكان رسم
السلطان أن يستقبل العيد بيوم ، وتمدّ فيه الخلع والحلانات وأنواع المبار ، لرابطة
جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تفرّق ، وثاني اليوم يذكر له من قبل ومن ردّ
واستزاد — فاهتبل المتنبي غفلة كافور ، ودفن رماحه برّاً ، وسار ليلته وحمل بفاله
وجماله وهو لا يالو سيراً وسرّى هذه الليلة مسافة أيام ؛ حتى وقع في تيه بني إسرائيل ؛
إلى أن جازه على الحلال والأحياء والمفاوز المجاهيل ، والناهل الأواجن ، ونزل
الكوفة ، وقال يقص حاله :

الأ . كل ماشية الخيزلي فداكل ماشية الهيدني

وفيها يقول :

ضربتُ بها التيه ضربَ القِما ر : إماماً لهذا ، وإما لهذا

ثم مدح بالكوفة دليّ بن لشكر وّز ، وأنشده في الميدان ؛ فحمله على فرس
بمركب ذهب .

وكان السبب في قصّده ، أبا الفضل بن العميد — على ما أخبرني أبو عليّ بن شبيب
القاشاني — وكان أحد تلامذتي ، ودرس عليّ بقاشان سنة ثلثمائة وسبعين وتوزّر
للأصبهيد بالجبل وأبوه أبو القاسم توزّر لوشمكبير بمرجان — عن العاوي العباسي نديم
أبي الفضل بن العميد الذي يقول فيه :

أبلغ رسالاتي الشريف ، وقلّ له : قدك اتنذ أريت في الفلواء

إن المعروف المطوّق الشاشي كان بمصر وقت المتنبي فعمد إلى قصيدته في كافور :

* أغالب فيك الشوق والشوق أغلب *

وجعل مكان أبا المسك أبا الفضل ، وسار إلى خراسان وحمل القصيدة ، أعنى قصيدة

المتنبى إلى أبي الفضل ، وزعم أنه رسوله ، فوصله أبو الفضل بألفى درهم ، واتصل هذا الخبر بالمتنبى ببغداد ، فقال : رجل يعطى لحامل شعرى هذا ، فما تكون صلته لى؟ وكان ابن العميد يخرج فى السنة من الرىّ خرجتين إلى أَرْجَان ، يجيى بها أربع عشرة مرة ألفَ ألفِ درهم . فمما حديثه إلى المتنبى بمصوله بأَرْجَان ، فلما حصل المتنبى ببغداد نزل رَبَضَ حُميد ، فركب إلى المهلبى ، فأذن له فدخل وجلس إلى جنبه ، وصاعد خليفته دونه ، وأبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى ، فأنشدوا هذا البيت :

سقى الله أمواها عرَفَتْ مكانها جُرَامًا ومَلَكُومًا وبَدَّرَ فالعمر
وقال المتنبى : هو جُرَابًا ، وهذه أمكنة قتلتها علمًا وإنما الخطأ وقع من النقلة !
فأنكره أبو الفرج . قال الشيخ : هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيويوه فى كتابه جرامًا ، بالميم ، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة ، وتفرق المجلس عن هذه الجملة ، ثم عاوده اليوم الثانى وانتظر المهلبى إنشاده فلم يفعل وإنما صدّه ما سمعه من تماديه فى السخف ، واستهتاره بالهزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ؛ وكان المتنبى مرًّا النفس صمبَ الشكيمة حادًّا مجذأً فخرج ، فلما كان اليوم الثالث أَعْرُوا به ابن الحجّاج حتى عاقَ لجامَ دابته فى صينية الكرخ وقد تكابسَ الناسُ عليه من الجوانب ، وابتدأ ينشد :

يا شيخَ أهلِ العلمِ فينا ومن يلزم أهلَ العلمِ توقيرُهُ
فصبر عليه المتنبى ساكنًا ساكتًا ، إلى أن نجزّها ، ثم خلى عنان دابته ، وانصرف المتنبى إلى منزله ، وقد يقن استقرارَ أبي الفضل ابن العميد بأَرْجَان وانتظاره له فاستمدَّ للسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جنى عن علىّ بن حمزة البصرىّ قال : كنت مع المتنبى لما ورد أَرْجَان ، فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون لى ، وقصدتُ

ربّ هذه المدرة ، فما يكون منه ! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاي أبو الطيّب المتنبي خارج البلد - وكان وقت القيولة ، وهو مضطجع في دسّته - فنار من مضجعه واستثبته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ، فركب واستركب من لقيه في الطريق ، ففصل عن البلد بجمع كثير ، فتلقوه وقضوا حقّه وأدخلوه البلد . فدخل على أبي الفضل ، فقام له من الدست قياماً مستويّاً ، وطرح له كرسي عليه تحفة ديباج ، وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيّب ثم أفاض المتنبي في حديث سفره ، وأن غلاماً له احتمل سيفاً وشذّ عنه ، وأخرج من كه عقيب هذه المفاوضة درجاً فيه قصيدته :

* بادِ هواك صبرت أو لم تصبرا *

فوحى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاس فيه مائتا دينار ، وسيف غشاؤه فضة ، وقال : هذا عوض عن السيف المأخوذ ، وأفرد له داراً نزلها ، فلما استراح من تمب السفر كان يعشى أبا الفضل كل يوم ويقول : ما أזורك إكباباً إلا لشهوة النظر إليك ! ويؤاكله ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ، ويتعجب من حفظه وغزارة علمه ، فأظلمه النيروز فأرسل أبو الفضل بعض ندمائه إلى المتنبي : كان يبلغني شعرك بالشام والمغرب وما سمعته دونه ، فلم يُجِر جواباً ، إلى أن حضره النيروز وأنشده مهنتاً ومعتزراً فقال :

هل لمُدري إلى الهمام أبي الفضل قبولٌ ، سواد عيني مدادُه

فأخبرني البديهي ، سنة ثلثمائة وسبعين : أن المتنبي قال بأرجان : الملوك قروود يشبه بعضهم بعضاً ، على الجودة يعطون ، وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ، وهو من أجواد زمان الديلم وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قزوين فأنشده وأمله مادة نفقة يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبياتاً أولها :

أفلامٌ بكفك أم رماح وعزمٌ ذاك، أم أجلٌ متاح

قال أبو المطرف: أعطوه ألف دينار، وكذلك أبو الفضل البلعمي وزير بخاري أعطى المطراني الشاعر على قصيدته التي أولها:

* لا شرب إلا بسير النأي والعود *

خسة عشر ألف دينار، وكذلك خلف صاحب سجستان، أعطى أبا بكر الحنبلي خمسة آلاف دينار على كلمة فيه، وكان سيف الدولة لا يملك نفسه، وكان يأتيه علوي من بعض جبال خراسان كل سنة فيعطيه رسماً له جارياً على التأيد، فأتاه وهو في بعض الثغور، فقال للخازن: أطلق له ما في الخزانة، فبلغ أربعين ألف دينار، فشاطر الخازن وقبض عشرين ألف دينار، إشفاقاً من خلل يقع على عسكره في الحرب، وأخبرني بعض أهل الأدب أنه تعرض سائل لسيف الدولة وهو راكب، فأنشده في طريقه:

أنت على هذه حلب قد فني الزاد واتهي الطلب

فأطلق له ألف دينار، وتعرض سائل لأبي علي بن إلياس وهو في موكبه فأمر له بمخسائة دينار، فجاءه الخازن بالدواة والبياض، فوقع بألني دينار؛ فلما أبصره الخازن راجعه فيها فقال أبو علي: الكلام ربح، والخط شهادة، ولا يجوز أن يشهد علي بدون هذا . . . ثم إن أبا الطيب المتنبي لما ودع أبا الفضل بن العميد، ورد كتاب عضد الدولة يستدعيه، فمرّفه ابن العميد فقال المتنبي: مالي وللديلم؟ فقال أبو الفضل عضد الدولة أفضل مني، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به، فأجاب بأني مكنت من هؤلاء الملوك: أقصد الواحد بعد الواحد، وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النيرين، ويعطونني عرضاً فانياً، ولي ضجرات واختيارات، فيعوقونني عن مرادى، فأحتاج

إلى مفارقتهم على أقبح الوجود ، فسكاتب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث .
فورد الجواب بأنه مملك مُرادَه في المقام والظن . فسار المتنبي من أَرْجان ، فلما
كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصباغ أخى
أبي محمد الأبهري صاحب كتاب حدائق الآداب . فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشده
قال المتنبي : الناس يتناشدون فاسمه . فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس
العالي . فبدأ بقصيدته التي فارق مصر بها :

الأكل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدبي

ثم دخل البلد فأنزل دارا مفروشة ، ورجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة
فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتا من كلبته وهي :

فلما أمخنا ركزنا الرما ح حول مكارمنا والُعلا

وبثنا نُقبَل أسيفنا ونمسحها من دماء العدا

لِتعلَمَ مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أنى الفتى

وأنى وفيتُ وأنى آيتُ وأنى عتوت على من عتا

فقال عضد الدولة : هونا ، يتهددنا المتنبي ! ...

ثم لما نفَضَ غبارَ السفر واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ؛ فلما توسط الدار
اتهى إلى قرب السرير مصادمة ، فقتل الأرض واستوى قائماً وقال : شكرتُ
مطية حملتني إليك ، وأملاً وقف بي عليك . ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من
مصر ، وعن علي بن حمدان ، فذكره وانصرف وما أنشده . فبعد أيام حضر السباط
وقام بيده دَرَج ، فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

مغاني الشعب طيبا في المغاني

فلما أنشدها وفرغوا من السباط ، حمل إليه عضد الدولة من أنواع الطيب
في الأردية الأمان من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه الملقب

بالجروح - وكان اشترى له بخمسين ألف شاة - وبدرّة دراهمها عدلية ، ورداء حشوه ديباج رومي مفصل ، وعمامة قومت بخمسمائة دينار ، ونصلا هندية مرصع النجاد والجفن بالذهب . وبعد ذلك كان ينشده في كل حدث يحدث قصيدة ، إلى أن حدث يوم نثر الورد . فدخل عليه والمالك على السرير في قبة يحسّر البصر في ملاحظتها . والأتراك ينثرون الورد ، فثل المتنبي بين يديه وقال : ما خدمت عيني قاي كالיום ؟ وأنشأ يقول :

قد صدق الورد في الذي زعما أنك صيرت نثره ديما
كأنما مأنح الهواء به بحر حوى مثل مائه عينا

فجئ على فرس بمركب ، وأليس خيلة ملكية ، وبدرّة بين يديه محمولة . وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحفظ المنازل والمناهل من مصر إلى الكوفة وتعرفها منه ، فقال : كنت حاضرته ، وقام ابنه يلتمس أجرة الفسّال ، فأحد المتنبي إليه النظر بتحديد فقال : ما للصلوك والفسال ! يحتاج الصلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قدره ، ويُنعّل فرسه ، ويفسل ثيابه ؟ ثم ملأ يده قطيعات بلفت درهمين أو ثلاثة .

وورد كتاب أبي الفتح ذي الكفایتين بن أبي الفضل - وكان من أجواد زمان الديلم ، فرّق في يوم واحد بشيذيز قرميسين ، ألفين وخمسمائة قطعة لإبريسم - ومضمونه كتاب الشوق إلى لقاء المتنبي وتشفّقه إلى نظرته فأجابه المتنبي :

يكتب الأنام كتاب ورّد فدت يد كاتبه كل يد

فلما عاد الجواب إلى أبي الفتح ، جعل الأبيات سورة يدرسها ، ويحكم للتنبي بالفضل على أهل زمانه . . . فقال أبو محمد بن أبي الثبات البغدادي :

لوارد شعير كذوب البرد أانا به خاطر قد جمّد
فأقبل بمضغه بعضنا وهم السنابير أكل الغدّد

وقالوا : جوادٌ يفوق الجيادَ ويسبق من عفوه المتصدد
ولو وليَ النقد أمثاله لظلت خفافيشنا تنتقد

فاستخف أبو الفتح به وجره برجله ففارقهم وهاجر إلى أذربيجان ، والأميرُ
أبو سالم ديسم بن شاد كويه على الإمرة ، فاتصل به وحظى عنده على غاية الإكرام .
وقال عضد الدولة : إن المتنبي كان جيد شعره بالغرب فأخبر المتنبي به فقال
الشعر على قدر البقاع

وكان عضد الدولة جالساً في البستان الزاهر يوم زينته ، وأكابرُ حواشيه
وقوف . فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكاري : ما يُعوز مجلس
مولانا سوى أحد الطائين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لناب عنهما
فلما أقام مدة مقامه وسمع ديوان شعره . ارتحل وسار بمراكبه وظهوره وأنقاله
وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز . وأخبرنا أبو الحسن السوسى في دار الوقف
بين السورين ، قال : كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبى ، وورد علينا المتنبي
ونزل عن فرسه ومقوده بيده ، وفتح عيابه وصناديقه لبلبل مسها في الطريق ،
وصارت الأرض كأنها مطارف منشورة فحضرتة أنا وقلت : قد أمت للشيخ
نُزلاً . فقال المتنبي : إن كان تمم فأتيه . ثم جاءه فأتك الأسد بجمع وقال : قدم
الشيخ في هذه الديار وشرّفها بشعره ، والطريق بينه وبين ديرة خشن قد
احتوشته الصالكة ، وبنو أسد يسرون في خدمته إلى أن يقطع هذه المسافة
ويبركل واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبي : ما أتى الله يدي هذا الأدم
وذباب الجراز الذى أنا متقلده فإنى لا أفكر فى مخلوق أقام فأتك ونفض ثوبه
وجمع من رتوت الأعاريب الذين يشربون دماء الحجيج حسوا ، سبعين رجلا
ورصد له ، فلما توسط المتنبي الطريق خرجوا عليه فقتلوا كل من كان فى صحبتته ،
وحمل فأتك على المتنبي وطعنه فى يساره ونكسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت إلا

أنه رجح يطلب دفاتر أبيه فقتع خلفه الفرسَ أحدهمَ وجزَّ رأسه ، وصبوا أمواله
يتقاسمونها بطرُطورة :

وقال بعض من شاهده : إنه لم تكن فيه فروسية ، وإنما كان سيف الدولة
سلمه إلى النخاسين والرواضِ بحلب ، فاستجراً على الركض والخضر فأما استعمال
السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من
(الفريب المصنف) سوى حرف واحد هو في (كتاب الجهرة) وهو قوله :

يَطْوِي الْمَجْلَحَةَ الْمُقَدُّ^(١)

وأما الحكم عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعاني ، ونمت الخليل
والحرب من خصائصه ؛ وما كان يراد طبعه في شيء مما يسمح به ، يقبل الساقط
الردى كما يقبل النادر البدع ، وفي متن شعره وهي ، وفي ألفاظه تعقيد وتعويض
أه كلامه مع بعض اختصار .

(١) من بيت هذا نصه :

وَأَمْضِي كَمَا يَمْضِي السَّنَانُ لِطَيْبِي وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْمُقَدُّ

شرح المتنبي

وإليك تراجم بعض شراح المتنبي ، ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح . . . وقولنا هنا : « شرح المتنبي » إنما هو ضرب من التسامح ؛ لأن منهم من لم يضع شرحا بالمعنى المتعارف ، أى أنهم لم يضعوا شروحا تامة كاملة ، وإنما تصدّوا لشرح بعض مشكلات الأبيات . أو لقد بعض الشراح فيما ذهبوا إليه من شرح وتفسير أو لسرقات المتنبي ، مثل أبى السعادات بن الشجرى ، وابن فورجه ، وأبى الفضل العروضى . وابن وكيع ، والصاحب ابن عباد ، وأبى بكر الخوارزمى . ولم تتبسط فى هذه التراجم . ولم نهج فيها منهجا تحليليا يخرج بنا عما قصدنا إليه منها وهو التعريف بمن تتمتع بأسمائهم فى هذا الشرح حتى تكون على بصيرة تامة بكل ما يتصل بهذا الشاعر المحظوظ ، ومن ثم لم نعد أن نسرّد لك فى هذه التراجم تاريخ مولد المترجم له وتاريخ وفاته وطرفا من أخباره وسيرته وتواليفه ومكاته العلمية وآراء الناس فيه .

ابن جنى

أظننى فى غير حاجة إلى التعريف بأن أبا الفتح عثمان بن جنى هو أول من شرح المتنبي ، فله بذلك فضل السبق ، ومن ثمّ كان حقيقا بأن نبدأ بترجمته . . .

جاء فى معجم الأدباء لياقوت زوى وفيات الأعيان لابن خلكان ما تلخيصه :
أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى : كان أبوه جنى مملوكا روميا لسليمان
ابن فهد بن أحمد الأزدي الموصلى - أقول : فهو إذن من أبناء يونان ، لامن
(٦٢ - المتنبي ١)

أبناء عدنان .. وبعبارة أخرى : هو من أبناء الموالى ، شأنه شأن أكثر حملة العلم ،
ونوابغ الشعراء والأدباء في الإسلام — وإلى أصله أشار بقوله :

فإن أصبح بلا نسبٍ فَعَلِمِي في الوري نَسْبِي
على أني أوَّلُ إلى قرومٍ سادَةٍ نُجِبُ
قياصرةً إذا تَطَقُّوا أرمَ الدهرُ ذو الخُطْبِ (١)
أولئك دعا النبي لهم كَفَى شرفاً دُعاه نبي

ولد ابن جني بالموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة للهجرة ، وتوفي يوم الجمعة لليلتين
بقيتا من صفر سنة ٣٩٢ هـ ببغداد . وكان أبو الفتح ممتعا بإحدى عينيه ، وما أظرفه
حين يقول لأحد أصدقائه :

صدودك عني ولا ذنب لي دليل على نية فاسده
فقد وحياتك مما بكيت خشيت على عيني الواحده
ولولا مخافة الأراك لما كان في تزكها فائده

وحدثوا أنه صحب أبا علي الفارسي (٢) أربعين سنة ، وكان السبب في

(١) أرم الرجل إرماما : سكت ، ويقال كله فما ترمم : أي مارد جوابا
وما ترمم فلان بحرف : أي ما نطق ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها : كان لآل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش ، فإذا خرج - أي رسول الله - لعب - أي
الوحش - وجاء وذهب ، فإذا جاء ربه ولم يترمم مادام في البيت : أي سكن ولم يتحرك
(٢) كان أبو علي الفارسي إمام وقته في علم النحو ولد سنة ٢٨٨ وتوفي سنة ٣٧٧
ببغداد : وأقام بجلب عند سيف الدولة ، وكان قدومه عليه سنة ٣٤١ وجرت بينه
وبين أبي الطيب المتنبى مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة بن
بويه ، وحظي لديه وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبي علي في النحو
وقد صنف له كتاب الإيضاح والتكملة في النحو . يحكى أنه كان يوما في ميدان
شيراز يساير عضد الدولة فقال له : لم انتصب المستثنى في قولنا قام القوم إلا زيدا؟

حبيته له : أن أبا علي اجتاز بالموصل ، فر بالجامع وأبو الفتح في حلقة يُقرىء النحو وهو شاب ، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصر فيها ، فقال له أبو علي : تَزَبَّيْتِ وَأَنْتِ حَصْرِمٌ . . . فسأل عنه ، فقيل له : هذا أبو علي الفارسي ، فلزمه من يومئذ ، واعتنى بالتصريف ، فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله ، وفروعه ، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه ؛ فلما مات أبو علي تصدر أبو الفتح في مجلسه ببغداد ، فأخذ عنه كثير من أعلام العلماء . . . وحدث أبو الحسن الطرائفي قال : كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبّي كثيراً ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره ، أنفةً واستكباراً لنفسه ، وكان المتنبّي يقول في أبي الفتح : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . . . وسئل المتنبّي بشيراز عن قوله :

وكان ابناً عدوّاً كآثرأه له يَأْءَى حُرُوفِ انْيَسِيَانِ^(١)

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره . . . وكان لابن جني من الولد عليّ وعالٍ وعلاء ، وكلهم أدباء فضلاء قد خرّجهم والدهم وحسن خطوطهم ، فهم معدودون في الصحيحى الضبط وحسن الخط . . . ولابن جني شعر - ولكنه كسائر شعر العلماء - فنه :

فقال أبو علي : بفعل مقدر ، فقال له : كيف تقديره ؟ فقال : أستثنى زيّدا ، فقال له عضد الدولة : هلا رفعته و قدرت الفعل امتنع زيد ؟ فانقطع أبو علي وقال له : هذا الجواب ميداني . . . ولما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاما حسنا وحمله إليه فاستحسنه . . . وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا . . . (١) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ويذكر طريقه بشعب بوان . انظر القصيدة التي مطلعها :

مغانِي الشَّعْبِ طِيًّا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّيِّبِ عَمَّنِ الزَّمَانِ

غَرَالٌ غَيْرُ وَحْشِيَّةٍ حَكَى الْوَحْشِيَّةَ مُقْلَتَهُ
رَأَاهُ الْوَرْدُ يَجْنِي الْوَرْدَ دَ فَاسْتَكْسَاهُ حُلَّتَهُ
وَوَشَّمَ بِأَنْفِهِ الرِّيحَا نَ فَاسْتَهْدَاهُ زَهْرَتَهُ
وَذَاقَتْ رِيحَهُ الصَّبَا ٤ فَاخْتَلَسَتْهُ نَكْهَتَهُ^(١)

وقال الباخري في دمية القصر: ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ،
وشرح المشكلات ، ماله ، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض ، أو يسبق ذلك
الجريض^(٢) حتى قرأت له مرثية في المتنبي أولها :

غَاضَ الْقَرِيضُ وَأَوْدَتْ نَضْرَةَ الْأَدَبِ
وَصَوَّحَتْ بِمَدْرِيَّةٍ دَوْحَةَ السُّكْتِ^(٣)
مَا زِلْتَ تَصْحَبُ فِي الْجَلِيِّ إِذَا انْشَمَبَتْ
قَلْبًا جَمِيمًا وَعَزْمًا غَيْرَ مُنْشَمَبِ^(٤)
وَقَدْ حَلَبْتَ لَمَعْرِى الدَّهْرِ أَشْطَرَهُ
تَمَطَّوْ بِهَيْبَةٍ لَأَوَانٍ وَلَا نَيْسَبِ^(٥)

-
- (١) الصبأ من أسماء الخمر ، والنكهة رائحة الفم .
 - (٢) الريق الذى يفض به
 - (٣) صوح النبات ينس وتشقق ، والدوحة الشجرة العظيمة .
 - (٤) الجلى الأمر العظيم وجمعها جلال مثل كبرى وكبر ، وقلب جميع ورأى جميع
ويجتمع : شديد غير منتشر ، ومنشعب متفرق .
 - (٥) يقال حلب الدهر أشطره ، مارس الأيام وخبرها ، والمطو الجد والنجاء
في السير ، ووان : متمهل ، ونصب : تمب .

- مَنْ لِهَوَاجِلٍ يُحْيِي مَيِّتَ أَرْضِهَا
بِكُلِّ جَائِلَةٍ التَّصْدِيرِ وَالْحَقْبِ (١)
- قَبَاءَ خَوْصَاءَ مُحَمَّدٍ عَلَاتِهَا
تَنْبُو عَرِيكَتَهَا بِالْحَلْسِ وَالْقَتَبِ (٢)
- أَمْ مِنْ لِيْبِضِ الظُّبَا تَوَكَّاهُنَّ دَمٌ
أَمْ مِنْ لِسْمِرِ القَنَا وَالزَّغْفِ وَالْيَلْبِ (٣)
- أَمْ لِلْجَحَافِلِ يَذُكِي جَمْرَ جَاحِيهَا
حَتَّى يَقْرَبَهَا مِنْ جَاحِمِ اللَّهَبِ (٤)
- أَمْ لِلْمَحَافِلِ إِذْ تَبْدُو لَتَمْرُهَا
بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالْأَمْثَالِ وَالْخَطَبِ
- أَمْ لِلصَّوَاهِلِ مُحَمَّرًا سَرَابِلَهَا
مِنْ بَعْدِ مَا غَرَبَتْ مَعْرُوفَةُ الشُّهْبِ (٥)
- أَمْ لِلْمَنَاهِلِ وَالظَّلْمَاءِ عَاطِفَةٌ
يُؤَاصِلُ الكَرَّ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالقَرَبِ (٦)

- (١) الهواجل : الصحراوات ، وجائلة التصدير والحقب : أى ناقة هذه صفتها ويقال صدر بعيره إذا شده بجبل من حزامه إلى كركرته ، والحقب : جبل يشد به الرحل فى بطنه .
- (٢) القباء من الخيل : الخيصة البطن . والأقب الضامر البطن : والخوصاء الغائرة العينين ، والحلس : كساء تجلجل به الدابة بوضع تحت البرذعة .
- (٣) القبا : أطراف السيوف ، والتوكاف مصدر وكف يستعمل فى السمع والمطر إذا نزل ، وسمر القنا : الرماح ، والزغف : الدروع ، واليلب : الدروع اليمانية (٤) الجحفل الجيش العظيم .
- (٥) محمراً سرايلها : فالسرايل : الثياب . يقول : مضرجة بالدماء
- (٦) المناهل موارد الماء . والقرب : طلب الماء ليلاً .

أَمْ لِلْقَسَاطِلِ تَعَمُّهُ الْحُزُونُ بِهَا
أَمْ مَنْ لِيَضْمِ الْهَزْبِ الضَّيْمِ الْحَرْبِ (١)
أَمْ لِلْمُلُوكِ يُحْلِيهَا وَيُلْبِسُهَا حَتَّى تَمَاسُ فِي أَبْرَادِهَا الْقَشْبِ (٢)
بَاتَتْ وَسَادِي أَطْرَابُ تَوَرُّفِي لَمَّا غَدَوْتَ لَقِي فِي قَبْضَةِ الثَّوْبِ (٣)
عُمِّرْتَ خِدْنَ الْمَسَاعِي غَيْرَ مُضْطَهَدٍ كَالنَّصْلِ لَمْ يَدْنِسْ يَوْمًا وَلَمْ يُصَبِّ
فَأَذْهَبَ عَلَيْكَ سَلَامُ الْمَجْدِ مَا قَلِقْتَ
خُوصُ الرَّكَّابِ بِالْأَكْوَارِ وَالشُّعْبِ

ومن شعر ابن جني :

رَأَيْتُ مَحَاسِنَ ضِحِكِ الرَّيِّعِ أَطَالَ عَلَيْهَا بُكَاءُ السَّحَابِ
وَقَدْ ضَحِكَ الشَّيْبُ فِي لِمَّتِي فَلَمْ لَا أَبْكِي رَيِّعَ الشَّبَابِ
أَأَشْرَبُ فِي الْكَأْسِ - كَلًّا وَحَاشَا - لِأَبْصَرَهُ فِي صَفَاءِ الشَّرَابِ

ومنه :

تَحَبَّبْتُ أَوْ تَذَرَّعْتُ أَوْ تَأَبَّيْتُ فَلَا وَاللَّهِ لَا أَزْدَادُ حُبًّا
أَخَذْتُ بِيَمَضِ حُبِّكَ كُلِّ قَلْبِي فَإِنْ رُمْتَ الْمَزِيدَ فَهَاتِ قَلْبًا

قال ياقوت : وقرأت بخط الشيخ أبي منصور بن الجواليقي : قال لنا

(١) القساطل : جمع قسطل : الغبار المنعقد فوق الرأس في حومة الوغى ، والضمم العض أو النهش ، والهزبر الضيغم الحرب : الأسد .

(٢) تماس : بمجنف إحدى التامين . أى تماس وتخاليل

(٣) اللقي ، الشيء الملقى في الطريق ونحوه .

أبوزكريا : رأيت بخط ابن جنى : أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفرميسيني عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني قال : قرأ على أعرابي « طَيْبِي لَهُمْ وَحَسَنُ مَأْبٍ » فقلت « طُوبَى » فقال « طَيْبِي » فقلت ثانياً « طُوبَى » فقال « طَيْبِي » فلما طال على قلت : « طُوطُو » فقال الأعرابي « طِي طِي » أما ترى إلى هذه النحيزة ما أبقاها وأشدّ محافظة هذا البدوي عليها حتى أنه استكره على تركها فأبى إلا إخلاداً إليها ! ونحو ذلك قال عمرو الكلبي وقد أنشد بعض أهل الأدب :

بانت نعيمةٌ والدنيا مفرقةٌ وحال من دونها غيرانُ مزعوجُ
ف قيل له : لا يقال مزعوجُ ، إنما يقال مُزَعَجٌ ، فجفا ذلك عليه ، وقال يهجو النحويين :

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية بكرأ يكون بها	بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنّت وهذا ليس منتصبا	وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرّضوا بين عبد الله من حُمَيِّ	وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على إعرابهم طبعوا
ما كل قولي مشروحا لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
لأن أرضي أرض لا تُسبُّ بها	نار الجوس ولا تبني بها البيع

قال ابن جنى : وعلى نحو ذلك فحضرني قديماً بالموصل أعرابي عَقِيلِي جَوْثِي تَمِيئِي ، يقال له محمد بن العسّافِ الشَّجَرِي ، وقلما رأيت بدوياً أفصح منه ، فقلت له يوماً - شفقاً بفصاحته والتذاذاً بمطاولته ، وجرياً على العادة معه في إيقاظ طبعه واقتداح زندي فطنته : كيف تقول : « أكرم أخوك أباك » فقال كذلك ، فقلت له : أفتقول : « أكرم أخوك أبوك » فقال : لا أقول

« أبوك » أبدأ فقلت : فكيف تقول « أكرمنى أبوك » فقال كذاك ، قلت :
« أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَقُولُ « أَبوك » أبدأ ؟ فقال « إِنْشَ هَذَا ؟ اِخْتَلَفْتَ جِهَتَا
الْكَلَامِ » فهل قوله اختلفت جهتا الكلام . إلا كقولنا نحن هو الآن فاعل وكان
في الأول مفعولاً ! فانظر إلى قيام معاني هذا الأمر في أنفسهم وإن لم تقطع به عبارتهم .

أخبرني أبو عليّ عن أبي بكر عن أبي العباس قال : سمعت عمارة بن عقيل
ابن بلال بن جرير يقرأ : « وَلَا اللَّيْلُ سَابِقَ النَّهَارِ » فقلت له : ما أردت ؟
قال أردت سابقَ النهارِ ، فقلت له : فهلا قلته ؟ فقال لو قلته لكان أوزن
أى أقوى وأفصح ، ففي هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء : أحدها :
أنهم قد يراعون من معانيهم ما ينسبه إليهم ونحوه عليهم ، والثاني : أنهم قد ينطقون
بالشئ وفي أنفسهم غيره ، ألا ترى أنه لما نص أبو العباس عليه واستوضح ما عنده
قال : « أردت كذا » وهو خلاف ما لفظ به ، والثالث : أنهم قد ينطقون بالشئ
وغيره أقوى منه استلانة وتخفيفاً ، ألا تراه كيف قال : لو قلته لكان أوزن ، أى
أقوى وأعرب .

قال ابن جنيّ : وسألت الشجرى صاحبتنا ، هذا الذى قد مضى ذكره ، قلت له :
كيف يا أبا عبد الله تقول : « اليوم كان زيد قائماً ؟ » فقال : كذلك ، فقلت :
فكيف تقول « اليوم إن زيدا قائم ؟ » فأبأها ألبتة ، وذلك أن ما بعد أن لا يعمل فيما
قبلها ، لأنها إنما تأتي أبدأ مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها وما بعدها عما قبلها
قلت له يوماً ولابن عمّ له يقال له غصن — وكان أصغر منه سنّاً وألين
لساناً : كيف تحقران « حمراء » فقالا : حميراء ، قلت : فصفراء قالوا : « صفيراء »
قلت : « فسوداء » قالوا : « سويداء » واستمرت بهما في نحو هذا ، فلما استويا
عليه دست بين ذلك « علباء » فقلت « فغلباء » فأسرع ابن عمه على طريقته
فقال : « عليباء » وكان الشجرى يقولها معه ، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكراً

فقال إله « عَلَيَّي » وأشم الفتحة دائماً للحركة في الوقف ، وتلك عادة . . . قال ابن جنى : فسألته يوماً : يا أبا عبد الله ، كيف تجمع مُحرَّنجماً - وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله : يكسّر فيقول حَراجم أم يصححُ فيقول محرَّنجماتٌ فذهب هو مذهباً غير ذين فقال : « وإيش فرقه حتى أجمعه ؟ وصدّق ، وذلك أن المحرَّنجم هو المجتمع : يقولها ماراً على شكيمته غير مُحسِّسٍ لما أريده منه والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته ، قلت له : فدع هذا : إذا أنت مررت بإبل محرَّنجمةٍ وأخرى مُحرَّنجمةً ، وأخرى محرَّنجمة . تقول : مررت بإبل ماذا ؟ فقال - وقد أحس الموضوع - « يا هذا هكذا أقول : مررت بإبل محرَّنجماتٍ » وأقام على التصحيح ألبتة استيحاشاً من تكسير ذوات الأربعة لِصَاقِبَتِهَا ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيروها لاسيما إذا كان فيها زيادة والزيادة قد تُعتدُّ في كثير من المواضع اعتداد الأصول حتى إنها لتتزم لزومها نحو : كوكب ، وحوشب^(١) ، وضَيون^(٢) ، وهزَ نَبْران^(٣) ، ودودرى^(٤) ، وقرنفل ، وهذا موضعٌ يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه ، والوقت لتلاجه وتقارب أجزائه مانع منه ويعين الله فيما يليه على المعتقد النوى فيه بقدرته ، وسألته يوماً كيف تجمع سرحاناً ؟ فقال : سراحين ، قلت : فدكانا ، قال : دكا كين قلت : فقَرطَنا ، قال : قراطين ، قلت : فعثمان ، قال : عثمانون ، قلت ، هلا قلت عثمانين كما قلت سراحين وقراطين ؟ فأبأها ألبتة وقال : « إيش ذا ؟ أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لفته ؟ والله لا أقولها أبداً . . . استوحش من تكسير العلم لكثراً له لاسيما وفيه الألف والنون اللتان بابهما فعلان الذي لا يجوز فيه فعالين نحو : سكران وغضبان ...

(١) الأرنب أو ولد البقرة الذكر والثعلب الذكر (٢) السنور الذكر أو دوية تشبهه (٣) يقال : رجل هزبر وهزبران ، أى حديد وثاب (٤) الذي يذهب ويحى من غير حاجة .

ونكتفي بهذا المقدار من التعريف بأبي الفتح بن جنى شارح المتنبي ، وإذا أردت الزيادة والوقوف على فهرس مؤلفاته فارجع إلى معجم الأدباء ج ١٢ طبعة فريد الرفاعي .

الواحدى

وهذا الإمام أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمد بن عليّ الواحدى النيسابورى أحد شراح المتنبي هو - كما قال ياقوت وابن خلكان وغيرهما - الإمام المصنف المفسر النحوى أستاذ عصره ، وواحد دهره ، أنفق صباه ، وأيام شبابه فى التحصيل ، فأتقن الأصول على الأئمة ، وطاف على أعلام الأمة ، وتلمذ لأبى الفضل العروضى ^(١) ، وقرأ النحو على أبى الحسن الضرير القهندزى ، ولازم مجالس الثعلبى ^(٢) فى تحصيل التفسير . . . ثم أخذ فى التصنيف ، وقعد للإفادة والتدريس سنين ، وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرأوا عليه وبلغوا محل الإفادة ، وكان حقيقاً بكل احترام وإعظام ، لولا ما كان فيه من غزوه وإزرائه على الأئمة المتقدمين وبسطه اللسان فيهم بغير ما يليق بماضيهم . قال الحسن بن المظفر النيسابورى : أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحدى النيسابورى هو الذى قيل فيه :

قد جمع العالم فى واحد عالمنا المعروف بالواحدى

(١) سيمر بك فى هذه الترجمة

(٢) قال ابن خلكان : أبو إسحاق أحمد بن محمد لإبراهيم الثعالبى النيسابورى المفسر المشهور : كان أوحده زمانه فى علم التفسير وكان يقال له الثعالبى والثعالبى وهو لقب له وليس بنسب ، توفى سنة ٤٢٧ هـ وهو - طبعا - غير الثعالبى صاحب يقيمه الدهر

قال ومن غرر شعره :

أيا قادمًا من طوس أهلاً ومرحباً بقيت على الأيام ما هبت الصبا
لعمري لئن أحيا قدومك مدنفاً بجبك صبا في هواك مُعدباً
يَظَلُّ أَسِيرَ الْوَجْدِ نَهَبَ صَبَابَهُ وَيُمْسِي عَلَى جَمْرِ الْفَضَا مُتَقَلِّباً
فكم زفرة قد جتتها لو زفرتها على سدّ ذي القرنين أمسى مُذَوِّباً
وكم لوعية فاسيت يوم تركتني الْأَحِظُ مِنْكَ الْبَدْرَ حِينَ تَقِيّاً
وَعَادَ النَّهَارُ الطَّلُقَ أَسْوَدَ مُظْلِمًا وَعَادَ سَنَا الْإِصْبَاحِ بَعْدَكَ غَيْهَبًا
وَأَصْبَحَ حُسْنَ الصَّبْرِ عَنِّي ظَاعِنًا وَحَدَّدَ نَحْوِي الْبَيْنُ نَابًا وَمُخَلَّبًا
فَأَقْسِمُ لَوْ أَبْصَرْتَ طَرْفِي بِأَكْيَا لَشَاهَدْتَ دَمْعًا بِالْذَّمَاءِ مُخَضَّبًا
مَسَالِكُ لَهْوٍ سَدَّهَا الْوَجْدُ وَالْجُوعَى وَرَوْضُ سُرُورٍ عَادَ بَعْدَكَ مُجْدِبًا
فِدَاؤُكَ رُوحِي يَا ابْنَ أَكْرَمِ وَالِدِ وَيَا مَنْ فَوَادِي غَيْرِ حُبِّيهِ قَدْ أَبَى
وَأَنْشُدْهُ :

شوهت الدنيا وأبدت عوارها
وضاقت على الأرض بالرحب والسعة
وأظلم في عيني ضياء نهارها
لتوديع من قد بان عني بأربعة
فوادى وعيشى والمسرة والكرى
فإن عاد عاد الكلئ والأنس والدعه

وقال أبو الحسن الواحدى فى مقدمة البسيط : وأظننى لم آل جهداً
فى أحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزمننا هذا وتسعه سنو عمري
على قلة أعدادها ، فقد وفق الله - وله الحمد - حتى اقتبست كل ما احتجت

إليه في هذا الباب من مَظَانِّه ، وأخذته من معادِنه ، أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي رحمه الله (١) . وكان قد خنق التسعين في خدمة الأدب ، وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروى عنهم كأبي منصور الأزهرى ، روى عنه كتاب التهذيب وغيره من الكتب ، وأدرك أبا العباس العامرى ، وأبا القاسم الأسدى ، وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيرى ، وأبا الحسن الرُّخْبِجِى ، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة ، وسمع أبا العباس الأصم وروى عنه ، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمى على درسه عند غيبته . وله المصنفات الكبار والاستدراكات على الفحول من العلماء باللغة والنحو ؛ وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها ، أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفى النهار ، وقرأت عليه الكثير من الدواوين واللغة حتى عابنى شيخى — رحمه الله — يوماً وقال : إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه ، أما أن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذى تأتبه البعداء من أقصى البلاد ، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار — يعنى الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى — قلت : يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذى تريد ، وإذا لم أجزم الأدب بجد وتعب ، لم أرم فى غرض التفسير من كُتُبٍ ، ثم لم أُعِيبْ زيارته فى يوم من الأيام حتى حال بيننا قدر الحِمام .

(١) جاء فى بغية الوعاة : أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن مالك النمشلى الأديب أبو الفضل العروضى الصفار الشافعى : هو شيخ أهل الأدب فى عصره ، حدث عن الأصم وأبى منصور الأزهرى والطائفة ، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدى .. إلى أن قال : جاز السبعين فى خدمة الكتب وأنفق عمره فى مطالعة العلوم وتدريس مؤدبى نيسابور . ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٦ .

وأما النحو فإني لما كنت في مبيعة صباى وشرح شيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير ، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضائق طرق العربية وحقائقها ، ولعله تفرس في ، وتوسم الخير لدى ، فتجرد لتخريجي ، وصرف وكده إلى تأديبي ، ولم يدخر عني شيئاً من مكنون ما عنده حتى استأثرني بأفلاذه ، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشكلة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل ، وخصني بكتابه الكبير في علل القراءة المرتبة في كتاب الغاية لابن مهران ، ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربي المالكي ، وكان واحد دهره ، وبقعة عصره ، في علم النحو ، لم يلحق أحد مما سمعناه شأوه في معرفة الإعراب . ولقد صحبتته مدة في مقامه عندنا حتى استنزفت غرماً ما عنده .

وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإني اختلفت إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى ، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين ابن مهران ، ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيرى ، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي ، وكانا قد انتهت إليهما الرياسة في هذا العلم ، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد والوثوق بها ، فقرأت عليهما وأخذت من كل واحد منهما حظاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه ، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران ، وروى لنا كتب أبي علي الفسوي عنه^(١) وقرأت عليه بلفظي كتاب الزجاج بحق روايته عن ابن مقسم عنه ، وسمع بقراءاتي الخلق الكثير ، ثم فرغت للأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله وكان خير العلماء

(١) هو أبو علي الفارسي .

بل بحرم ، ونجم الفضلاء ، بل بدرهم ، وزين الأئمة بل نغرم ، وأوحد الأمة
بل صدرم ، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الذى
زفت به المطايا فى السهل والأوعار وسارت به الفلك فى البحار ، وهبت هبوب
الريح فى الأقطار .

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وأصفت عليه كافة الأمة على اختلاف نِحْلِهِمْ ، وأقرؤوا له بالفضيلة فى
تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله ، فن أدركه وَصَحْبُهُ عَلِمَ أَنَّهُ منقطع القرين ،
ومن لم يدركه فلينظر فى مصنفاته ليستدلَّ بها على أنه كان بحراً لا يُنَزَفُ
وَعَمراً لا يُسَبَّرُ ، وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء ، منها تفسيره
الكبيرُ وكتابه المعنون بالكامل فى علم القرآن وغيرها ، ولو أثبت المشايخ الذين
أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التى وطأتها
طال الخطب وَمَلَّ النَّاطِرُ ، وقد استخرت الله العظيم فى جمع كتاب أرجو أن يمدنى
الله فيه بتوفيقه مشتمل على ما نقتُّ على غيرى إمامه ، ونعت عليه إغفاله ،
لا يدع لمن تأمله حارَّةً فى صدره حتى يخرج من ظلمة الرِّيبِ والتخمين ، إلى
نور العلم واليقين ، هذا بعد أن يكون المتأمل مرُتاضاً فى صنعة الأدب والنحو ،
مهتدياً بطرق الحجاج ، مارحاً فى سلوك المنهاج ، فأما الجذع المرخى من المقتبسين ،
والريِّض الكرز من المبتدئين ، فإنه مع هذا الكتاب كراولٍ غلقاً ضاع عنه
المفتاح ؛ ومضطبط فى ظلماء ليل خانة المصباح :

يُحَاوِلُ فَتَقَّ غَيْمٌ وَهُوَ يَا بِي كَعَيْنَيْنِ يُرِيدُ نِكَاحَ بَكْرٍ
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ : إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مُجَالَةٌ الْوَقْتِ ، وَقَبْسَةُ الْعَجَلَانِ ،
وَتَذَكُّرَةٌ يَسْتَصْحِبُهَا الرَّجُلُ حَيْثُ حَلَّ وَارْتَحَلَ وَإِنْ أُنْسِيَ الْأَجَلَ ،

وأرْحَى الطَوْلُ ، وأنظَرَنِي اللَّيْلُ والنَّهَارُ ، حتى يتلفع بالمشيب العِذارُ أُرِدْتَهُ
بكِتَابٍ أَنْضَجُهُ بنارِ الرُّويَةِ ، وأرَدَّدَهُ على رُواقِ الفِكرَةِ ، وأضْمَنَهُ مِجَابِ
ما كَتَبْتَهُ ، ولطائف ما جمَعْتَهُ ، وعلى الله المَعولُ في تيسير ما رُمْتُ ، وله الحَمْدُ كما
قَعَدْتُ أو قَتُّ .

ابن فورجه

قال ياقوت - ونقله السيوطي في بنية الوعاة - : هو محمد بن حمد بن محمد بن
عبد الله بن محمود بن فورجه - بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح
الجيم - البروجردى ، أديب فاضل مصنف ، له كتاب الفتح على أبي الفتح ،
والتجني على ابن جنى ، يرد فيه على أبي الفتح بن جنى في شرح شعر المتنبي ، ومولده
في ذى الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة ، كان موجوداً سنة خمس وخمسين وأربعمائة ،
ومن شعره :

أيها القتلى بعيني رفقاً إنما يستحق ذا من قلا كما
أكثر اللأمون فيك عتابي أنا واللأمون فيك فدا كما
إن لي غيرة عليك من اسمي إنه دائماً يقبل فا كما

هذا وقد ضبطه ابن شاكر صاحب فوات الوفيات . هكذا : ابن فوزجَه فقال :
بضم الفاء وسكون الواو وفتح الزاي وتشديد الجيم .

ابن القطاع الصقلي

قال ابن خلكان : هو أبو القاسم علي بن جعفر ... إلى آخر النسب قال : كان أحد أئمة الأدب خصوصاً اللغة . وله تصانيف نافعة منها كتاب الأفعال ، أحسن فيه كل إحسان ، وهو أجود من الأفعال لابن القوطية ، وإن كان ذلك قد سبقه إليه . وله كتاب أبنية الأسماء ، جمع فيه فأوعى ، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه وله عروض حسن جيد ، وكتاب الدررة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة ، وكتاب ملح الملح ، جمع فيه خلقاً من شعراء الأندلس . وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بصقلية ، وقرأ الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي وأمثاله ، وأجاد في النحو غاية الإجادة ، ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج ، ووصل إلى مصر في حدود سنة خمسائة وبالغ أهل مصر في إكرامه ، وكان ينسب إلى التساهل في الرواية ومن شعره في ألثغ :

وشادِنِ في لسانه عُقْدٌ حَلَّتْ عقودي وأوهنت جَلدي
عابوه جهلاً بها ققلت لم أما سمِعتم بالنفث في العقد
وله من قصيدة :

فلا تُتفدنِ العمر في طلب الصبا ولا تشقِّينِ يوماً بِسُفدى ولا نعم
ولا تندبنِ أطلال مية باللوى ولا تسفحنِ ماء الشؤون على رَسَم
فإن قُصارَى المرء إدراك حاجة ومن شعره في غلام اسمه حمزة :

يامن رمى النار في فؤادي وأنبط العين بالبكاء
إِسْمك تصحيفه بقلبي وفي ثناياك برء دأى
أردُد سلامي فإن نفسي لم يبق منها سوى النماء

وارفق بصب أتى ذليلاً قد مزج اليأس بالرجاء
أنهك في الهوى التجنى فصار في رقة الهواء
وله شعر كثير ، وتوفى بمصر في صفر سنة خمس عشرة وخمسة رحمة
الله تعالى .

ابن الإفليلي

كان هذا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج بن يحيى بن زياد بن
عبد الله بن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بابن الإفليلي^(١)
إماماً من أئمة النحو واللغة ، ترجمه ابن خلكان في بضعة أسطر ، وذكره ابن بسام
عرضاً كذلك ، قال في بضعة أسطر لمناسبة تعرض ابن شهيد له في رسالة التوابع
والزواج إذ قال ابن شهيد : وأما أبو القاسم الإفليلي فإنه من نفسى مكين ، وحببه
بفؤادى دخيل ، على أنه متحامل على ، ومنتسب إلى . . . فقال ابن بسام قفلا عن
ابن حيان المؤرخ : كان ابن الإفليلي الذي به عرض قد بذأ أهل زمانه بقرطبة في
علم اللسان العربي والضبط لغريب اللغة في أشمار الجاهلية والإسلام والمشاركة في
بعض ممانيتها ، وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن كثير الحسد فيه ، راكباً
رأسه في الخطأ البيّن إذا أنشب فيه ، يجادل عليه ولا يصرفه صارف عنه ، وعديم
علم العروض ومعرفة مع احتياجه إليه وكال صناعته به ، فلم يكن له رسوخ فيه ،
وكان لحق الفتنة البربرية ومضى الناس من حائر وظاعن ، فازدلف إلى الأمراء
الكاثنين بقرطبة من آل سحود إلى أن نال الجاه ؛ واستكتبه محمد بن

(١) الإفليلي - بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر اللام وسكون الياء - المشتاة من
تحتها وبعدها لام ثانية، هذه النسبة إلى الإفليل وهي قرية بالشام كان أصله منها ،
(٧٢ - المتنبى ١)

عبد الرحمن المستكني بعد ابن بُرْد ، فوقع كلامه نائياً عن البلاغة ، لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين ، فلم يَجْرُ في أساليب الكتاب المطبوعين ، فزهد فيه ، وما بلغنى أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلا شَرَحَه ديوان المتنبي لاغير ، ولحقته تهمة في دينه أيام هشام الروانِي في جملة من تتبع من الأطباء في وقته كابن عاصم والسامِي والحمار وغيرهم ، وطلب ابن الإفليسي وسجن بالمطَبِّق ، ثم أطلق وقال ابن خلكان : كان متصدراً بالأندلس لإقراء الأدب ، وكان حافظاً للأشعار ذاكراً للأخبار وأيام الناس ، وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة صالحة ، وكان أشد الناس انتقاداً للكلام ، صادق اللهجة ، حسن المنيب ، صافي الضمير ، وكانت ولادته في شوال سنة ٣٥٢ ، وتوفي يوم السبت ١٣ ذى القعدة سنة ٤٤١ ، ودفن في صحن مسجد خرب عند باب عامر بقرطبة .

الصاحب بن عباد

هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني . قال ابن خلكان : كان نادرة الدهر وأعموبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه ، أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب المجل في اللغة ، وأخذ عن أبي الفضل بن العميد وغيرهما ، وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه : ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفردته بالغايات في الحُسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهدُ وضمي يقصر عن أيسر فواضله ومساغيه . . . ثم شرع في شرح بعض محاسنه وطرف من أحواله .

وقال أبو بكر الخوارزمي في حقه : الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب
ودرج من وكرها ، ورضع أفاريق درّها ، وورثها عن آباءه كما قال أبو سعيد الرستمي
في حقه :

وَرثَ الوزارةَ كِباراً عن كِبارِ موصولةَ الإسنادِ بالإسنادِ
يروى عن العباس عبيد وزا رته وإسماعيل عن عباد
وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد
فقبل له صاحب ابن العميد ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقى
صلّا عليه .

وذكر أبو إسحاق الصابي في كتاب التاجي : أنه إنما قيل له الصاحب لأنه
صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب
واشتهر به ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده ، وكان أولا وزير مؤيد الدولة
أبي منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ، تولى وزارته بعد أبي الفتح على
بن أبي الفضل بن العميد ، فلما توفي مؤيد الدولة في شعبان سنة ثلاث وسبعين
وثلاثمائة بجرجان استولى على مملكته أخوه نضر الدولة أبو الحسن على فأقر الصاحب
على وزارته ، وكان مبجلا عنده ومعظما نافذ الأمر ، وأنشده أبو القاسم الزعفراني
يوما أبياتا نونية من جملتها :

أيا من عطاياه تُهدى الفِئى إلى راحتيّ من نأى أودنا
كسوت المقيمين والزائرين كِسى لم نَحَلْ مِثلها ممكنا
وحاشيةُ الدار يمشون في صُنوفٍ من الخِزِّ إلا أنا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار من بن زائدة الشيباني أن رجلا قال له : احلني
أيها الأمير ، فأمر له بناق و فرس و بقل و حمار و جارية ، ثم قال : لو علمت أن الله
سبحانه و تعالى خلق مركوبا غير هذا لملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخِزِّ بِحَبَّةٍ
و قميص ، و عمامة ، و درّاعة ، و سراويل ، و مندبل ، و مطرف ، و رداء ، و كساء ،

وجورب ، وكيس ، ولو علنا لباساً آخر يتخذ من المز لأعطيناكم ، واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بِمُرِّ اللدائح ، وكان حسن الأجوبة رفع الضرابون من دار الضرب إليه رقعة في مظلة مترجمة بالضرايين ، فوقع تحتها : في حديد بارد ، وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقع فيها : هذه بضاعتنا ردت إلينا ؛ وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره ثم صعد السطح يوماً فاطلع عليه فرآه ، فناداه المحبوس بأعلى صوته ، فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، فقال الصاحب : إخشوا فيها ولا تكلمون ، ونواذره كثيرة ، وصنف في اللغة كتاباً سماه المحيط وهو في سبعة مجلدات رتبته على حروف المعجم أكثر فيه الألفاظ وقلل الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ، وكتاب الكافي في الرسائل وكتاب الأعياد ، وفضائل النيروز ، وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويثبت إمامة من تقدمه ، وكتاب الوزراء ، وكتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي ، وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته ، وله رسائل بديعة ونظم جيد فنه قوله :

وشادِنِ جَمالِهِ تَمَصَّرُ عَنْهُ صِفَتِي
أَهْوَى لِتَقْبِيلِ يَدِي فَعَلْتُ قَبْلَ شَفَتِي

وله في رقة الخمر :

رَقَ الرُّجَاجُ وَرَاقَتِ الخَمْرُ وَنَشَابِها فَتَشَاكَلِ الأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدْحٌ وَكَأَنَّمَا قَدْحٌ وَلَا خَمْرُ

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي : أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في السر يستدعيه ليفوض إليه وزارته وتدير أمر مملكته ، فكان من جملة أعذاره إليه : أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعمائة جل ، فما الظن بما يليق بها من التحمل ؟ وأخباره كثيرة .

قال ابن خلكان : وكان مولده لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمائة بأصطخر وقيل بالطالقان ، وتوفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالرّى ثم نقل إلى أصبهان رحمه الله تعالى ودفن في قبة بمحلة تعرف بباب دزيبه وهي عامرة إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبويض .

قال أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر الأصبهاني : رأيت في المنام قائلاً يقول لي لِمَ لَمْ تَرِثَ الصَّاحِبَ مَعَ فَضْلِكَ وَشَرِكًا ؟ قُلْتَ أَتَجَمَّنِي كَثْرَةُ مَحَاسِنِهِ فَلَمْ أُذَرِّ بِمَا أَبْدَأُ مِنْهَا ؟ وَقَدْ خَفْتُ أَنْ أَقْصِرَ وَقَدْ ظَنَنْتُ بِي الْإِسْتِيفَاءَ لَهَا ، قَالَ أَجْزَ مَا أَقُولُهُ قُلْتَ قَل ، قَالَ :

* ثَوَى الْجُودَ وَالسَّكَافِي مَعًا فِي خَفِيْرَةِ *

قلت : * لِيَأْنَسَ كُلَّ مِنْهُمَا بِأَخِيهِ *

قال : * هَا اصْطَلَجَا حَيَيْنٍ ثُمَّ تَعَانَقَا *

قلت : * ضَجِيعِينَ فِي لَحْدِ بِيَابِ دَزِيْبِهِ *

قال : * إِذَا ارْتَحَلَ النَّاوُونَ عَنِ مَسْتَقْرَمِ *

قلت : * أَقْلَمَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِ *

ذكر هذا البيّاسي في حماسته ، ورأيت في أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب ، فإنه لما توفي أغلقت له مدينة الرّى واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته وحضر مخدومه نخر الدولة وسائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض ومشى نخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياماً ، وورثاه أبو سعيد الرستمي بقوله :

أَبْعَدَ ابْنَ عِبَادٍ يَهْشُ إِلَى الشَّرِّى أَخُو أَمَلٍ أَوْ يُتَّاحُ جَوَادُ

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا بِمُوتِهِ فَمَا لَهَا حَتَّى الْمَعَادِ مَعَادُ

وتوفى والده أبو الحسن عباد بن العباس في سنة أربع أو خمس وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى ، وكان وزير ركن الدولة بن بويه ، وهو والد نجر الدولة ووالد عضد الدولة فناخسرو ممدوح المتنبى ، وتوفى نجر الدولة في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، ومولده في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، والطلاقى - بفتح الطاء المهملة وبعد الألف لام مفتوحة ثم قاف - وبعد الألف الثانية نون : هذه النسبة إلى الطالقان ، وهو اسم لمدينتين إحداهما بخراسان والأخرى من أعمال قزوین ، والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوین ، لا طالقان خراسان .

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - وهو كما قال ابن خلكان - ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ - قال ابن خلكان : كان أحد الشعراء المجيذين الكبار المشاهير ، وكان إماماً في اللغة والأنساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب ، وكان يشار إليه في عصره . ويحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بأرجان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابيه : قل للصاحب على الباب أحد الأدباء ، وهو يستأذن في الدخول ، فدخل الحاجب وأعلمه ، فقال الصاحب : قل له قد أئمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك ، فقال له أبو بكر : ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ، فقال الصاحب : هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول ، فدخل عليه فعرّفه وانبسط له ، وأبو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر ، وقد ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة ، وذكر قطعة من نثره ثم أعقبها بشيء من نظمه فن ذلك قوله :

رَأَيْتُكَ إِنْ أَيْسَّرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا
مُقِيمًا وَإِنْ أَعْصَرْتَ زُرْتَ لِمَا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ
أَغْبَّ وَإِنْ زَادَ الضَّيَاءُ أَقَامَا

ومن شعره أيضاً :

يَا مَنْ يُحَاوِلُ صِرْفَ الرَّاحِ يَشْرِبُهَا
وَلَا يَفُكُّ لِمَا يَلْقَاهُ قِرْطَاسَا
الْكَا سُ وَالْكَيْسُ لَمْ يُقْضَ امْتَلَاؤُهَا
فَفَرَّغَ الْكَيْسَ حَتَّى تَمَلَأَ الْكَا سَا

وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب الخوارزمي :

أَبُو بَكْرٍ لَهُ أَدَبٌ وَفَضْلٌ وَلَكِنْ لَا يَدُومُ عَلَى الْوَفَاءِ
مَوَدَّتُهُ إِذَا دَامَتْ نَحْلِيلٍ فَمِنْ وَقْتِ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ

وملحه ونوادره كثيرة .

ولما رجع من الشام سكن نيسابور ، ومات بها في منتصف شهر رمضان
سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه : أنه توفي سنة ثلاث
وتسعين وثلثمائة ، وكان قد فارق الصاحب بن عباد غير راض فعمل فيه :

لَا تَحْمَدَنَّ ابْنَ عَبَادٍ وَإِنْ هَطَلَتْ يَدَاهُ بِالْجُودِ حَتَّى أُخْجَلَ الدَّيْمَا
فَإِنَّهُ خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ يُعْطَى وَيَمْنَعُ لَا بُحْلًا وَلَا كَرَمًا
فبلغ ابن عباد ذلك ، فلما بلغه خبر موته أنشده :

أَقُولُ لِرَبِّكَ مِنْ خِرَاسَانَ قَافِلٍ أَمَاتَ خَوَارِزْمِيكُمْ قِيلَ لِي نَعَمْ
قَلَّتْ أَكْتَبُوا بِالْجِصِّ مِنْ فَوْقِ قَبْرِهِ أَلَا لَعَنَّ الرَّحْمَنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَمَ

العميدى

« صاحب الإبانة عن سرقات المتنبي »

قال ياقوت : أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد العميدى : أديب نحوى لفوى مصنف ، سكن مصر .

قال أبو إسحاق الحبال : أبو سعيد العميدى : له أدييات . . . مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، قال : وكان العميدى يتولى ديوان الترتيب ، وعزل عنه — كما ذكر الروذبارى — فى سنة ثلاث عشرة فى أيام الظاهر ، ووليه ابن معشر ، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر فى أيام المستنصر ، استخدم فيه عوضاً من ولى الدولة بن خيران الكاتب فى صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وتولى الديوان بعده أبو الفرج الدهلى فى جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وأربعمائة . قال : وله تصانيف فى الأدب ، منها : كتاب تنقيح البلاغة فى عشرة مجلدات ، رأيت به بدمشق فى خزانة الملك المعظم وعليه خطه ، وقد قرىء عليه فى شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكتاب الإرشاد إلى حلّ المنظوم والهداية إلى نظم المنثور ، وكتاب انتزاعات القرآن ، وكتاب العروض ، كتاب القوافى كبير .

قال على بن مشرف : أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر قال : أنشدنا أبو سعيد محمد بن أحمد العميدى لنفسه :

إذا ما ضاق صدرى لم أجدلى مقرأ عبادة إلا القرافة
لئن لم يرحم المولى اجتهادى وقلة ناصرى لم ألق رافة

ابن وكيع

وهذا ابن وكيع هو - كما قال ابن خلكان والثعلبي - أبو محمد الحسن ابن علي بن أحمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي ، المعروف بابن وكيع التنيسي . . . شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب يَبَيِّنُ فيه سرقات أبي الطيب ، سماه المنصف ، وكان في لسانه عجمة ، ومن شعره :

سلا عن حبك القلب المشوق فما يصبو إليك ولا يتوق
جفاؤك كان عنك لنا عزاء وقد يُسَلِّي عن الولد العقوق
وله أيضاً :

إن كان قد بعد اللقاء فودّنا كم قاطع للوصل يؤمن وده
وما وصل بوداده يرتاب وله أيضاً :

لقد شمت بقلبي لا فرّج الله عنه
كم لنته في هواه فقال لا بد منه
وقد ألمّ بهذا المعنى بعضهم فقال :

لا رعى الله عزيمة ضمنت لي سلوة القلب والتصبر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت مثل قلبي تقول لا بد منه

ومثله قول أسامة بن منقذ :

لا تستمر جلياً على هجرانهم قفواك تضعف عن صدود دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم طوعاً وإلا عدت عودة راغم

وقال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر بن محمد
ابن مقلد القضاعى الشيرزى المدرس كان بتربة الإمام الشافعى رضى الله عنه
بالقرافة لابن وكيع المذكور :

لقد قنعت همتى بالمحول وصدّت عن الرتب العالیه
وما جهت طعم طيب العلا ولكنها تؤثر العافیة
فأنشدنى لنفسه على البديهة :

بقدر الصعود يكون الهبوط فإياك والرتب العالیه
وكن فى مكان إذا ما سقطت تقوم ورجلاك فى العافیة
ولابن وكيع أيضاً :

أبصره عاذلى عليه ولم يكن قبل ذا رآه
فقال لى : لو هويت هذا ما لامك الناس فى هواه
قل لى إلى من عدلت عنه فليس أهل الموى سواه
فظل من حيث ليس يدرى يأمر بالحب من نهاه

قال ابن خلكان : وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين
محمد ولد الشيخ تقى الدين عبد المنعم المعروف بالخيمى ، فأنشدنى لنفسه فى المعنى :
لو رأى وجه حبيبي عاذلى لتفاصلنا على وجه جميل

وهذا البيت من جملة أبيات ، ولقد أجاد فيه وأحسن فى التورية ،
ولابن وكيع كل معنى حسن ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى
الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تَنيس ، ودفن فى المقبرة الكبرى
فى القبة التى بنيت له بها رحمه الله تعالى . ووَكيع بفتح الواو وكسر الكاف وسكون
الياء المثناة من تحتها وبعدها هين مهملة ، وهو لقب جدّه أبى بكر محمد بن خلف
وكان نائباً فى الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقى ، وكان فاضلاً نبيلاً فصيحاً من

أهل القرآن والفقهاء والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة ، منها كتاب الطريق وكتاب الشريف وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه وكتاب الرمي والنضال وكتاب المسكيبيل والموازن وغير ذلك ، وله شعر ك شعر العلماء ، وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد .

وقال ابن قانع : توفي عبدان الأهوازي سنة سبع وثلثمائة بمسكن مكرم رحمه الله تعالى ؛ والتبسي بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة نسبة إلى تبس مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط .

الخطيب التبريزي

هو أبو بكر يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب ، قال ابن خلكان : كانت له معرفة تامة بالأدب ، من النحو واللغة وغيرها ، قرأ على الشيخ أبي العلاء المعري . وأبي القاسم عبد الله بن علي الرقي ، وأبي محمد الدهان اللغوي وغيرهم من أهل الأدب ، وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوي البغدادي وأبي القاسم عبد الله بن علي وغيرهم ، وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد ، والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد ابن سهل الأندلسي وغيرهم من الأعيان ، وتخرج عليه خلق كثير وتلمذوا له ؛ وذكره الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الأنساب وعدد فضائله ثم قال : سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون

المعري، يقول: أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان يَمْزِيءُ الطريقة، وذكر
عنه أشياء. ثم قال: وذاكرت أنا مع أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره
ابن خيرون فسكت عنه وكأنه ما أنكر ما قال، ولكن كان ثقة في اللغة
وما كان يتقله، وصنف في الأدب كتباً كثيرة مفيدة: منها شرح الحاشية وكتاب
شرح ديوان المتنبي، وكتاب شرح سقط الزند وهو ديوان أبي العلاء المعري،
وشرح المعاني السبع وشرح المفضليات، وله تهذيب غريب الحديث، وتهذيب
إصلاح المنطق، وله في النحو مقدمات حسنة والمقصود منها أسرار الصنعة وهي
عريضة الوجود، وله كتاب الكافي في علم العروض والقوافي، وكتاب في إعراب
القرآن سماه الملخص رأيت في أربعة مجلدات وشروحه لكتاب الحاشية ثلاث أكبر
وأوسط وأصغر، وله غير ذلك من التأليف، ودرس الأدب بالمدسة النظامية
ببغداد، وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء المعري: أنه حصلت له نسخة من
كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهرى في عدة مجلدات لطاف
وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعري فجعل الكتاب
في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً
فنفذ العرق من ظهره إليها فأترفيها الليل، وهي بيمض الوقوف ببغداد وإذا رآها
من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب
المذكور، وكان الخطيب قد دخل مصر في عنفوان شبابه قرأ عليه بها
الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي من اللغة ثم عاد إلى بغداد واستوطنها
إلى المات.

وكان يَرَوِي عن أبي الحسن محمد بن المظفر بن محيريز البغدادى جملة من
شعره، فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعي في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب
وهي من أشهر أشعاره:

خليلى ما أحلى صبوحى بدجلة وأطيب منه بالصرارة غبوق

شربت على الماءين من ماء كرمة فكانا كبدرا ذائب وعقيق
على قرى أفق وأرض تقابلا فمن شائق حلوهوى ومشوق
فما زلت أسقيه وأشرب ريقه وما زال يسقيني ويشرب ريقى
وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى فقال نعم هذا أخى وشقيقى
وهذه الأبيات من أملح الشعر وأطرفه والبيت الأخير منها يستمد من معنى
قول أبى بكر محمد بن عيسى الدائى المعروف بابن البانة الأندلسى فى مدح المعتمد
ابن عباد صاحب إشبيلية من جملة قصيدة طويلة :

سألت أحاهُ البحر عنه فقال لى شقيقى إلا أنه الساكن العذب
ما كفاه أنه جملة شقيق البحر حتى رجحه عليه فقال : الساكن العذب والبحر
مضطرب مالح ، وهذا من خالص المدح وأبدعه وأول هذه القصيدة :

بكت عند توديعى فما علم الركب أذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب
وتابعها سرب وإنى لخطي؟ نجوم الدياجى لا يقال لها سرب
وهى قصيدة طويلة . وللخطيب أيضاً :

فمن يَسأم من الأسفار يوماً فإنى قد سئمت من المقام
أقنا بالمرافى على رجال لثام ينتمون إلى لثام
وقال الخطيب : كتب إلى العميد الفياض :

قل ليحيى بن على والأفاويل فنون
غير أنى لست من يكذبُ فيها ويخون
أنت عين الفضل إن مد إلى الفضل عيون
أنت من عز به الفضل وقد كاد يهون
فقت من كان واتعبت لعمرى من يكون
قد مضى فيك قران ومضى قبل قرون
وإذا قيس بك الكل فصحو ودجون

وإذا فقتش عنهم فالأحاديث شجون
قد سمعنا ورأينا فسهول وحزون
ووزناً بك من كان فثقل وقبون
أين شيبان وأزد كل ما زال ظنون
إنك الأصل ومن ذو نك في العلم غصون
إنك البحر وأعيان ذوى الفضل عيون
ليس كالسيف وإن حلل في الحكم جنون
ليس كالقدح الملقى ليس كالبيت الحجون
ليس كجلدة وإن آ نسا هزل ومجون
ليس في الحسن سواء أبدأ بيض وجون
ليس كالأبكار في اللطف وإن راققتك عون
قلت للحساد كونوا كيف شئتم أن تكونوا
سبق الزائد بالفضل فغزوا أو فمؤنوا
دمت ما خالف في الحد حراك وسكون
وتلقاك المنى ما قر بالظير الوكون
إن وددي لك عما يصم الود مصون
ليس لي فيه ظهور تتنافى أو بطون
بل لقلبي فيك صب بالمصافاة يكون
غلق الرهن وقد تفسق في الحب رهون
ومن الناس أمين في هواه وخون

وقال ابن الجواليقي : قال لنال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا : فكتبت أنا إلى

العميد الفياض المذكور هذه الأبيات :

قل للعميد أخى العلاء الفياض أنا قطرة من بحرك الفياض

شرفتي ورفعت ذكرى بالذي أبستنيه من الثنا الفضاض
أبستني حل القريض تفضلا فرفلت منها في علا ورياض
إني أتيتك بالحصى عن لؤلؤ أبرزته من خاطر مراض
وبخاطري عن مثل ذلك توقف ما إن يكاد يجود بالاباض
العارض البحر الغطاميطُ جدول أم درة تنقاس بالرضاض
يا فارس النظم الرصع جوهرها والنثر يكشف غمة الأمراض
يرى به الفرض البعيد وقد غدا فكرى يقصر عن مدى الأغراض
لا تلمني من ثنائك موجياً حقا فلت لحقه بالقاض
فقد عجزت عن القريض وربما أعرضت عنه أيما إعراض
أنم على بسط عذري إنني أقررت عند نذاك بالإفاض

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وتوفي فجأة يوم الثلاثاء ليلتين
بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز
رحمه الله تعالى ، وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء
المهملة وبعد الألف ميم .

العكبري

أما الإمام المُكَبَّرِي فهو أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن
أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الأصل البغدادي المولد والدار الفقيه
الحنبلي الحاسب الفرضي النحوي الضرير الملقب بحب الدين ، أخذ النحو عن
أبي محمد بن الخشاب وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد ، وسمع الحديث من
أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بابن البطي ومن أبي زرعة

طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وغيرها ، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه ، وكان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة وشرح كتاب الإيضاح لأبي على الفارسي ، وديوان المتنبي ، وله كتاب إعراب القرآن الكريم في مجلدين وكتاب إعراب الحديث لطيف ، وكتاب شرح اللمع لابن جني وكتاب اللباب في علل النحو وكتاب إعراب شعر الحماسة ، وشرح المفصل للزمخشري شرحاً مستوفى ، وشرح الخطب النبائية والمقامات الحريرية وصنف في النحو والحساب ، واشتغل عليه خلق كثير واتفقوا به واشتهر اسمه في البلاد وهو حيّ وبعد صيته وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين وخمسة وتوفي ليلة الأحد ثلثين شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وستائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى . والعكبري بضم العين المهملة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة وبعدها راء هذه النسبة إلى عكبرا وهي بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

ابن الشجري

هو الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادي . قال ابن خلكان : كان إماماً في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلماً من الأدب صنف فيه عدة تصانيف ، فمن ذلك كتاب الأمالى ، وهو أكبر تأليفه وأكثرها إفادة أملاه في أربعة وثمانين مجلساً ، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سَنَحَ له ، وهو من الكتب الممتعة ، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن

الخشب والتمس فيه سماعه عليه ، فلم يجبه إلى ذلك ، فعاداه وردّ عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ ، فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الردّ فردّ عليه في ردّه وبين وجوه غلطه وجمعه كتاباً وسماه الانتصار ، وهو على صغر حجمه مفيد جداً وسممه عليه الناس ، وجمع أيضاً كتاباً سماه الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي ، وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه ، وله في النحو عدة تصانيف : ما انفق لفظه واختلف معناه ، وشرح اللمع لابن جنى ، وشرح التصريف اللوكنى ، وكان حسن الكلام حلّ الألفاظ فصيحاً جيد البيان والتفهيم ، وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد القاسم الصيرفي ، وأبي علي محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب وغيرها . وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب الذيل وقال : اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم علي بن طراد الزيني وقت قراءتي عليه الحديث وعلقت عنه شيئاً من الشعر في المدرسة ثم مضيت إليه وقرأت عليه جزءاً من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي .

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي في كتابه الذي سماه مناقب الأدباء : أن العلامة أبا القاسم محموداً الزمخشري لما قدم بغداد قاصداً الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي السعادات ابن الشجري ففضينا معه إليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي .

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صفر الخبر أظنُّ
ثم أنشده بعد ذلك :

كانت مساءلة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قدرأي بصري

وهذان البيتان منسوبان إلى أبي القاسم محمد بن هانيء الأندلسي وينسبان
(٨٢ - المتنبي ١)

إلى غيره أيضاً ؛ قال ابن الأنباري : فقال العلامة الزمخشري : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخليل قال له : يا زيدا وصف لي أحد في الجاهلية فرأيت في الإسلام إلا رأيت دون ما وصف لي ، غيرك ؛ قال ابن الأنباري : فخرجنا من عنده ونحن نمجّب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بالحديث وهو رجل أعجمي ؟ وكان ابن الشجري نقيب الطالبين بالكرخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن ، فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي ابن محمد بن جبير وأولها :

هذي السديرة والغدير الطافح	فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح
يأسدرة الوادي الذي إن ضله الـ	ساري هداه نشره المتفاح
هل عائد قبل المات لمفرم	عيش تقضى في ظلالك صالح
ما أنصف الرشا الضنين بنظرة	لما دعي مضى الصباية طامح
شط المزار به وبووي منزلا	بصميم قلبك فهو دان نازح
غصن يعطفه النسيم وفوقه	قمر يحف به ظلام جامع
وإذا العيون تساهته لحاظها	لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد سررنا بالمعيق فشاقتنا	فيه مراتع لها ومسارح
ظلنا به نبيكي فكم من مضر	وجدا أذاع هواه دمع سافح
برت السنون رسومها فكأنما	تلك العراض المقفرات نواضح
يا صاحبي تأملا حيتما	وسقى دياركما اللث الرامح
أدعى بدت لعيوننا أم رب رب	أم خرّد أكفاهن رواجح
أم هذه مقل الصوار رنت لنا	خلل البراقع أم قنا وصفايح
لم يبق جارحة وقد واجهتنا	إلا وهن لها بهن جوارح
كيف ارتجاع القلب من أسراهوى	ومن الشقاوة أن يراض القارح
لو بله من ماء ضارج شربة	ما أترت للوجد فيه لواقح

ومن ههنا يخرج إلى المديح فأصرت عنه خوف الإطالة ، ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه لتستدل به على طريقته فيه ؛ ومن شعره أيضاً :

هل الوجد خاف والدموع شهود وهل مكذب قول الوشاة جحود
وحتى متى تُفنى شئونك بالبكا وقد حدّ حدّاً للبُكاء لبيدُ
وإني وإن خفتُ قناتي كبرةً لذو مرّةٍ في الثابتات جليدُ

وفيه إشارة إلى أبيات لبيد بن ربيعة العامري وهي :

تمنى ابتئى أن يعيش أبوها وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَرَ
فقوماً فنوحاً بالذي تعلمانه ولا تخمِشاً وجهاً ولا تحاماً شعر
وقولا هو المرء الذي لا صديقه أضاع ولا خان العهود ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر
وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله :

ظعنوا فكان بكاء حول بدمهم ثم ارعويت وذاك حكم لبيد
وقال الشريف أبو السعادات المذكور ، أنشدني أبو إسماعيل الحسين الطغرائي لنفسه :

إذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً فكن عبداً للملكه مطيعاً
وإن لم تملك الدنيا جميعاً كما تهواه فأتركها جميعاً
ها سبيان من ملك وترك ينيلان الفتى الشرف الرفيعاً
فمن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين عاش بها وضيعاً

وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن حكينا البغدادي الحرابي الشاعر المشهور تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل فلما وقف على شعره عمل فيه قوله :

ياسيدى والذى يُعِيذُكَ مِنْ نَفْظِ قَرِيضٍ يَصْدَأُ بِهِ الْفِئْكَرُ
مَالِكٌ مِنْ جَدِّكَ النَّبِيِّ سِوَى أَنْكَ مَا يَنْبَغِي لَكَ الشُّعْرُ

وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفن من القند في داره بالكرخ من بغداد رحمه الله تعالى . والشجيرة بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدها راء : هذه النسبة إلى شجرة وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ؛ وشجرة أيضاً اسم رجل قد سمت به العرب ومن بعدها ، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ، ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما ، هل هو نسبة إلى القرية أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة ؟ والله أعلم .

القاضي الجرجاني

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني قال ياقوت : كان أريباً أديباً كلامياً ، مات بالرقي يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة ، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وهو قاضي القضاة بالرقي حينئذ ، وذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وقال : ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين ، وثلاثمائة مع أخيه أبي بكر ، وأخوه إذ ذاك فقيه منظر ، وأبو الحسن قد ناهز الحلم ، فسمعاً معاً الحديث الكبير ، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذُكر في الدنيا^(١) . وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها ، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار

(١) يريد لى أن مات ،

ابن أحمد ، وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي القاسم بن علي بن القاسم وزير
مجد الدولة ، وأبو الفضل العارض ، راجلين ، ووقع الاختيار بموته على أبي موسى
عيسى بن أحمد الديلمي ، فاستدعى من قزوين وولى قضاء القضاة بالرى
وله يقول صاحب بن عباد ؛ وقد أنشأ عهداً للقاضي عبد الجبار على
قاضي الرى :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله فدعنا وهذي الكتب نحسن صدورنا
فإنهم لا يرتضون مجيئنا بجزع إذا نقلت أنت شذورها^(١)

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره ، وكان إذا
ذكره فى كتبه تبخّخ به^(٢) وشمخ بأنه بالانتماء إليه . وطوف فى صباه البلاد
وخالط العباد ، واقتبس العلوم والآداب ولقى مشايخ وقته وعلماء عصره . وله
رسائل مدونة ، وأشعار مفضّنة ، وكان جيد الخط مليحاً يشبه بخط ابن مقلة ؛
ومن شعره :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه
الورد قد أينع فى وجنتى قلت : فى باللثم يجنيه

ومنه :

يقولون لى فىك اتقباض وإنما رأوا رجلا فى موقف النل أحجبا
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمه غرة النفس أكرما
ومازلت منحازاً بعرضى جانباً من الظم أعتد الصيانة مغمنا
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ولكن نفس الحرّ تحتمل الظمنا
وما كل برقى لاح لى يستغزنى ولا كل أهل الأرض أرضاه منعمياً

(١) الجرع : الحرور اليماني .

(٢) أى قال : بخ بخ .

ولم أقضِ حق العلم إن كان كَلَمًا بدأ طَمَعٌ صَيَّرَهُ لِي سَلَمًا
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخْدمُ من لاقيت لكن لأخْدمَا
أشقى به غرسًا وأجنيه ذِلَّةً؟ إذَنْ فابْتِئاعُ الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانَهُم ولو عَظَموه في النفوس تَعَطَّمَا
ولكن أذلوه جهاراً ودنسوا مُحَيَّاهُ بالأطعام حتى تَجَمَّهَمَا
ومنه :

وقالوا: اضطرب في الأرض فالرزق واسع

فقلت : ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن في الأرض حرٌّ يُعِينِي ولم يك لي كسب فن أين أرزق؟
ومنه :

أحبُّ اسمه من أجله وَسَمِيَّه ويتبعه في كل أخلاقه قلبي
ويجتاز بالقوم العدا فأحِبَّهُم وكلهم طاوى الضمير على حربي
ومنه :

قد بَرَّحَ الشوق بمشتاقك فأؤله أحسن أخلاقك
لاتجفُّه وارع له حقه فإنه خاتمُ عُشاقك

وللقاضى عدة تصانيف منها : كتاب تفسير القرآن المجيد ، كتاب تهذيب التاريخ
كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وفي هذا الكتاب يقول بعض أهل
نيسابور :

أيا قاضياً قد ذنت كُتُبُه وإن أصبحت داره شاحِطَه
كتاب الوساطة في حسنه لعقدِ معاليك كالواسطه

ومن شعره :

وماتطعمت لذة العيش حتى صرتُ لِلْبَيْتِ وَالكِتَابِ جايِسَا
ليس شيء أعز عندي من العا مَـ فَلِمَ أبغى سواه أنيسا !!

إنما الذل في مخالطة الناس فدعهم وعش عزيزاً رئيساً
ومن سائر شعره قوله :

إذا شئت أن تستقرض المال منفقا

على شهوات النفس في زمن العسر

فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها

عليك وإنظاراً إلى زمن اليسر

فإن فعلتَ كُنتَ الغنيَّ وإن أبت

فكل متَّوِّع بعدها واسعُ العذر

وحدث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي قال : سمعت القاضي أبا الحسن علي

ابن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار الصاحب وذلك قبيل العيد فجاءني
رسوله بعبط الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان :

يا أيها القاضي الذي نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه

أهديتُ عطراً مثلاً طيب ثنائه فكأتما أهدى له أخلاقه

قال وسمعتَه يقول : إن الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه لي بمرجان أكثر

مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيتَه يوماً من فرط تحميه بي وتواضعه لي ؛
فأنشدني :

أكرم أخاك بأرض مولده وأمده من فعلك الحسن

فالمر مطلوب ومُلتَمَس وأعزه مانيل في الوطن

ثم قال : قد فرغت من هذا المعنى في العينية فقلت : لعل مولانا يريد قولي :

وَشَيْدَتُ مَجْدِي بَيْنَ قَوْمِي فَلَمْ أَقْلُ أَلَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ صَنِيعِي

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى : « يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ

بِمَا غَفَرْتَنِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْكِرِينَ » قال الثعالبي : القاضي أبو الحسن

علي بن عبد العزيز ، حصة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان

حدقة العلم ، ودره تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ، ونظم البحترى : وينظم عمدة الإقتان ، والإحسان في كل ما يتعاطاه ، « وأنشد بيت صاحب المقدم ذكره » وقد كان في صباه خاف الخضري في قطع عرض الأرض ، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلماء علماء ، وفي الكمال علماء ، ثم عرج على حضرة صاحب فآلتي بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلاً بعيداً في رفعته ، قريباً في أسرته ، وسير فيه قصائد أخلصت على قصد ، وفرائد أتت من قرود ، وما منها إلا صوب العقل ، وذوب الفضل ، وتقلد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال في حياة صاحب وبعد وفاته ، من الولاية والمطلة ، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالرى ، فلم يعزله إلا موته رحمه الله تعالى .

وعرض على أبو نصر المصعبى كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب ، في معنى القاضى أبي الحسن نسخه بعد التصيد والتشبيب : قد تقدم من وصنى للقاضى أبي الحسن على بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش — دام علوه — من كتيبى ما أعلم أنى لم أوّدّ فيه بعض الحق ، وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل ، وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه منى : فالموقع الذى تخطبه هذه المحاسن وتوجهه هذه المناقب ، وعادته معى ألا يفارقنى مقياً وضاغناً ومسافراً وقاطناً ، وقد احتاج الآن إلى مطالمة جرجان بعد أن شرطت عليه تصيير المقام كالإمام . فطالبنى مكانه بتعريف الأمير مصدره ومورده ؛ فإن عنّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المتباد من فضله ، ليعمجل انكفاؤه إلى بما رسم — أدام الله أيامه — من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من

بَذْرَقَةٍ^(١) إن احتاج إلى الاستظهار بها ، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتعرف النهج فيها ، فإن رأى الأمير أن يحمل من حظوظ الجسيمة عنده تعهد القاضى أبى الحسن بما يجعل رده فإنى ما غاب كالمُضِلِّ الناشد ، وإذا عاد كالغائم الواجد ، مل إن شاء الله .

ولما عمل الصاحب رسالته المروقة في إظهار مسلوى المنبى ، عمل القاضى أبو الحسن كتاب الوساطة بين المنبى وخصومه في شعره ، فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأحرب عن تبعره في الأدب وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ ، وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح .

وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المقدم ذكرهما ، ومن شعره :

أُنْثِرْ عَلَى خَدَى مِنْ وَرْدِكَ أَوْدَعْ فَمَنْ يَقَطِفُهُ مِنْ خَدِكَ
إِرْحَمْ قَضِيبَ الْبَانِ وَارْفُقْ بِهِ قَدْ خِفْتُ أَنْ يَنْقَدَ مِنْ قَدِّكَ
وَقُلْ لِمَيْنِكَ — بِنَفْسِي هَا — يَخْفَتَانِ السَّقْمَ عَنْ عَبْدِكَ

وله :

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أَمَرْتُ بِمَنْ دَنَا مَخَافَةَ نَائِي أَوْ حِذَارَ صُدُودِ
قَدْ جَمَلْتُ نَفْسِي تَقُولُ لِمَقَاتِي
وَقَدْ قَرَّبُوا — خَوْفَ التَّبَاعُدِ — جُودِي
فَلَيْسَ قَرِيبًا مِنْ يُخَافُ بِمَادُهُ وَلَا مَنْ يُرَجَّى قُرْبُهُ بِبَعِيدِ

وله يستطرد :

مَنْ عَاذِرِي مِنْ زَمَنِ ظَالِمٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْيٍ وَلَا رَاحِمٍ ؟

(١) الخفارة في الطريق .

يفعل بالإخوان أهدائه
فعل الهوى بالذئب الهائم
كأنما أصبح يرميهم
عن جفن مولاى أبى القاسم
وقال يذكر بغداد ويتشوقها :

يانسيم الجنوب بالله بلغ
قل لأجابه فذاكم فؤاد
بنتم فالرقاد عندى سهاد
فعلى الكرخ فالقطيعة فالش
يا ديارَ السرور لازال يبكى
رُب عيشٍ صحبته فيك غَضَّ
فى ليالٍ كأنهن أمانُ
وكان الأوقاتَ فيها كئوسُ
زمن مُسعدٌ ولفَّ وصول
كل أنسٍ ولذةٍ وسرور

وله فى ذلك :

سقى جانبي بغداد أخلافُ مزنة
فلى منهما قلب شجانى اشتياقه
سأغفر للأيام كل عظيمه

وله فى ذلك :

أراجعة تلك الليالى كهدها
وصحبة أحباب لبست لفقدم
إذا لاح لى من نحو بغداد بارق
وإن أخلقتها الغاديات رعوّدها
إلى الوصل أم لا يرتجى لى رجوعها ؟
ثياب حداد يُستجد خليعها
تجافت جفونى واستطير هجوعها !
تكلف تصديق الغمام دموعها

سقى جانبي بفداد كل غمامة
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت
بها تسكن النفس النفور ويفتدي
يحن إليها كل قلب كأنما
فكل ليالي عيشها زمن الصبا
وكل فصول الدهر فيها ربيعها

وله في ذلك :

بجانب الكرخ من بغداد لي سكن
وصاحب ما صحبت الصبر مذ بدت
في كل يوم لعيني ما يؤرقها
ما زال يبعثني عنه وأتبعه
حتى أوت لي النوى من طول جفوته
وما البعاد دهاني بل خلاقه

وله في التخلص :

أو ما اثنت عن الوداع بلوعة
ومدامع تجري فتحسب أن في
ملأت حشاك صباة وغليلا ؟
آماقهن بنان إسماعيلا

وله من قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير :

ولما تداعت للغروب شمسهم
تلقين أطراف السجوف بمشرق
فما سرن إلا بين دمع مضيع
كان فزادى قرن قابوس راعه
وقنا لتوديع الفريق المغرب
لهن وأعطاف الخلدور بمغرب
ولا قن إلا بين قلب معذب
تلاعبه بالفيلقي المتناشب

وله في الصحاب من قصيدة :
وما بال هذا الدهر يطوى جوامحي
تقسمي الأيام قسمة جائر
كأني في مكف الوزير رغبة
على نفس محزون وقلب كئيب
على نظرة من حالها وشحوب
تقسم في جدوى أغراً وهوب
وله من قصيدة في الصحاب :

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها
سبقت بأفراد المعاني وألفت
وإن نحن حاولنا اختراع بديمة
إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها
خواطرك الألفاظ بمد شراها
حصلنا على مسروقها ومعادها
وله في الصحاب من قصيدة ينهته بالبرء من المرض :

بك الدهر يبدى ظله ويطيب
ونحمد آثار الزمان وربما
أق كل يوم للمكارم روعة
تقسمت العلياء جسمك كله
إذا ألبت نفس الوزير تأملت
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه
وليس شحوباً ما أراه بوجهه
فلا تجزعن تلك السماء تغيبت
تهلل وجه المجد وابتسم الندى
فلا زالت الدنيا بملكك طليقة
ويقلع عما ساءنا ويتوب
ظللنا وأوقات الزمان ذنوب
لما في قلوب المكرمات وجيب؟
فن أين فيه للسقام نصيب؟
لما أنفس تحيا بها وقلوب
حياتي وفي وجه الوزير شحوب
ولكنه في المكرمات ندوب
وعما قليل تبسدى فحسوب
وأصبح غصن الفضل وهو رطيب
ولا زال فيها من ظلالك طيب

وله :

على مهجتي تجني الحوادث والدهر
كأني ألاق كل يوم ينوبني
فإن لم يكن هند الزمان سوى الذي
فأما اصطباري فهو ممتنع وعمر
بذنب وما ذنبي سوى أنني حر
أصيق به ذرعا ففندي له الصبر

وقالوا : توصل بالخضوع إلى الغنى
وبيني وبين المال باذان حرما
إذا قيل : هذا اليسر عاينت دوننا
إذا قدموا بالوفر قدمت قبلهم
وماذا على مثلى إذا خضعت له
وله :

سقى الفيت أو دمي - وقلّ كلاما -
بميت استرقّ الدّعصُ وانبسط النقي
أكثر من أوصافها وهي واحد
وفي ذلك الخلدِ للكَللِ ظبية
إذا خطرات الريح بين سجوفها
تلقت بأثناء النصف لحاظنا
أفي مثل هذا اليوم يمرح طرفه
ومدت لإسبال السجوف بنانها
لها أربما ، جور الهوى بينها عدل
وحيث تنهى الحيف واتقطع الرمل
ولكن أرى أسماءها في في تحلو
لكل فؤاد عند أجفانها ذحل
أباحت لطرف العين ما حطّر البخل
وقالت لأخرى : ما لمستهر عقل ؟
وأعداؤنا حَوْلٌ وحسادنا قُبيل ؟
فمازلنا عنها الشمايل والشكل

أبي العلاء المعري

وهل يتوقع منا قارىء هذه التراجم أن نترجم له شاعر الحكماء وحكيم الشعراء
أبا العلاء المعري ، وهو أعرف من أن يعرف ، وقد أحاط المتأدبون بسيرته
وعبقريته علماء ؟ وحسبنا أن ننبه هنا إلى أنه ولد سنة ٣٦٣ وتوفى سنة ٤٤٩ ،
وأنه وضع شرحاً لشعر المتنبي وسمّاه اللامع العززي . واختصر ديوان أبي تمام
وشرحه وسمّاه ذكرى حبيب ، وديوان البحتري ، وسمّاه « عيب الوليد » وديوان
المتنبي ، وسمّاه معجز أحمد ، وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها وما أخذهم
من غيرهم وما أخذ عليهم ، وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم .
قال ابن خلكان : وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وأبوزكريا
التبريزي - أحد شراح المتنبي وقد ترجمنا له - وغيرها ، والله أعلم .

« أمثال المتنبي وحكمه »

انظر أمثال المتنبي وحكمه في ذيل الجزء الرابع
من هذا الديوان

قافية الهمزة

قال - وقد طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات لأبي ذر مهمل بن محمد الكاتب (*) - :

أَلْقَابُ أَعْلَمُ يَا عَدُولُ بِدَائِهِ وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ (١)
 قَوْمَنْ أَحِبُّ لَأَعْصِيَنَّكَ فِي الْهَوَى قَسَمًا بِهِ وَبِحُسْنِهِ وَبِهَائِهِ (٢)
 أَحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ (٣)

(*) وهذه هي أبيات أبي ذر المذكور . وكان شيخ سيف السولة :

يَا لَأَيْبَى كَفَّ الْمَلَامَ عَنِ الَّذِي أَضْنَاهُ طُولُ سَقَامِهِ وَشَقَائِهِ
 إِنْ كُنْتَ نَاصِحَهُ فِدَاؤِ سَقَامَهُ وَأَعْنَاهُ مُلْتَمِسًا لِأَمْرِ شِقَائِهِ
 حَتَّى يُقَالَ بَانَكَ الْخَلْلُ الَّذِي يُرْجَى لِشِدَّةِ دَهْرِهِ وَرَخَائِهِ
 أَوْ لَا ، فِدَعَهُ فَمَا بِهِ يَكْفِيكَ مِنْ طُولِ الْمَلَامِ فَلَسْتَ مِنْ نُصْحَائِهِ
 نَفْسِي الْفِدَاءِ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَازِلِي فِي حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقْبَائِهِ
 الشَّمْسُ تَطْلُعُ مِنْ أَسْرَةٍ وَجِهَهُ وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قَبَائِهِ

(١) الضمير في مائه يعود على الجفن وضمير جفنه يعود إلى القلب ، وإضافة الجفن إلى القلب لأنه أمير الأعضاء المهيمن عليها جميعا . والمراد بمائه ذمومه يقول : القلب أدري منك أيها اللأم بدائه وما أدركه من برح الهوى فهو يلتبس شقائه في البكاء ويأمر الجفن به * وإن شقائي عبء مهراقة * والقلب حقيق بأن يطاع لأن له السلطان الأكبر وأنت أيها العذول خليك بأن تمصى ولا اكتراث لنهيك .

(٢) الفاء للعطف والواو للقسم يقول : بحق من أحبه وبحق حسنه ونور وجهه لا أطمعتك أيها اللأم فيه .

(٣) الاستفهام في أحبه إنكارى . يقول : لا أجمع بين حبه وبين النهى عن حبه لأن الملامة معناها النهى عن حبه . وقد ناقض بذلك قول أبي الشيص :

عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللَّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ دَعِ مَا بَرَكَ صَفَفْتَ عَنْ إِخْفَانِهِ (١)
مَا الْخَلُّ إِلَّا مِنْ أَوْدٍ بِقَلْبِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ (٢)
إِنَّ الْمَعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالْأَسَى أُولَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخْفَانِهِ (٣)

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَدَيْدَةً حُبًّا لِدِرْكِكِ فَلَيْسُنِي اللَّوَمُ

وقال الواحدى : معنى قوله إن الملامة فيه من أعدائه أن صاحب الملامة أى اللأم هو من أعداء هذا الحبيب حين ينهى عن حبه ، ومن أحب حبيبا عادى عدوه . وهذا تكلف لا موجب له . فالتنبي يقول إن اللوم من أعداء حبيبه ، فلا يجمع بينه وبين حبه إياه ، أى أنه لا يصنى للوم اللوام ولا يقبله .

(١) وقولهم عطف على اللحاة ، والوشاة جمع واش ، وهو الغمام ، لأنه يشى الكذب أى يزخرفه وينمقه من وشى الثوب . واللحاة جمع لاح وهو العاذل أى اللأم . يقول : ليس هناك إلا واش أو لاح فاللحاة يقولون دع هذا الحب الذى لا تطيق كتمانها ، والوشاة يتعجبون من قولهم هذا قائمين إذا لم يطق كتمانها كان عن تركه أعجز . يعنى : إننى وإن كنت ضعفت عن إخفاء هذا الحب بيد أنى لا أركه .

(٢) الخل والخليل الصديق ، والطرف العين ، وسوى إذا قصرته كسرتة وإذا مددته فتحته . يقول : ليس الصديق إلا من لا فرق بينى وبينه فاذا وددت فكأتى أود بقلبه وإذا نظرت فكأتى أنظر بعينه . والمعنى صديقك من واقفك فى كل شىء فيود ما وددت ويرى ما ترى أو تقول : ماخلى إلا الذى يبلغ الغاية من الودة فكأنه يود بقلبي . وقال بعضهم : المعنى : ليس لك خليل إلا نفسك . وهو كقوله :

خَلِيلِكَ أَنْتَ لَا مَنْ قَلْتَ خَلِيٌّ وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ

(٣) الصبابة رقة الشوق . والأسى الحزن . والإخاء الأخوة . وربها أى صاحبها والضمير للصبابة . يقول : إن العاذل أراد أن يعينه على الصبابة ويخلصه منها مستعينا على ذلك باللوم والزجر فأحزنه بذلك كما يسوؤه وكان أجدر فى إعانتته بأن يرحمه ويرئى لحاله ويؤاخيه فى بلواه أو تقول : إن الذى يعين على صاحب الصبابة يبراد الحزن عليه بلومه إياه أولى بأن يرحمه فيشفق عليه ويؤاخيه ويحتال فى طلب الخلاص له من ورطة الهوى . وهذا فى عراض قول أبى ذر المتقدم

إِنْ كُنْتُ نَاصِحَهُ فِدَاؤِ سِقَامِهِ

مَهْلًا فَإِنَّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَفُّقًا فَالْتَمَعُ مِنْ أَعْضَائِهِ (١)
وَهَبِ الْمَلَامَةَ فِي اللَّذَاذَةِ كَالْكِرَى مَطْرُودَةً بِسَهَادِهِ وَبُكَائِهِ (٢)

وجعل إirاده الحزن عليه عوناً على معنى أنه لا معونة عنده إلا هذا كقولهم : عتابك السيف ، وحديثك الضرب . وقال الواحدى : يجوز أن يكون معنى قوله على الصبابة مع ما أنا فيه من الصبابة كقول الأعشى بمدح رجلا .

تَصَيَّفْتَهُ يَوْمًا قَرَّبَ مَقْعَدِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ (١) قَائِدًا
أى أعطانى مع ما كنت أقاسيه من الزمانه قائدا يقودنى .

(١) يقول . دع اللوم أيها اللائم فإني سقيم واللوم يزيدنى سقما على سقم وترفق فى لومك فإن السمع — والمراد الأذن — من أعضائى فلا تسمعها ما يزيدها سقما .

(٢) هب أى احسب ، والكرى العاس والسهاد الارق . قال ابن جنى . المعنى اجعل ملامتك إياه فى التذاذ كهيا كالنوم فى لذائذه فاطردها عنه بما عنده من الأرق والبكاء أى لا تجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء أى فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا نومه فلنزل ملامتك إياه . وقال الواحدى تعقيا على ماذهب إليه ابن جنى : هذا كلام من لم يفهم المعنى إذ ظن زوال الكرى من العاشق وليس على ماظن ولكنه يقول للعاذل هبك تستلذ الملامه كاستلذاك النوم وهو مطرود عنك بسهاد العاشق وبكائه فكذلك دع الملام فانه ليس بألذ من النوم أى فإن جاز ألا تام جاز ألا تعذل « وأما بعد » فى الحق أن البيت من مشكلات الأبيات ومن ثم اضطربت فيه كلمة الشراح . قال بعض المحققين . وذلك أن تفسير ابن جنى قوله مطرودة بقوله فاطردها لا يستقيم وشتان بين الأمر والوصف ، ولا يقال : إنه تناول معنى الأمر من قوله هب على تقدير هبها مطرودة لأن هب على تفسيره قد استوفى مفعوليه من صدر البيت فلم يبق له دخل فيما يليه . وبقى قوله مطرودة حالا عن الملامه وإن شئت جعلته خبرا عن ضميرها محذوفا أى وهى مطرودة وعلى كليهما يكون فى معنى شبه جملة أو جزء جملة خبرية لا فى معنى جملة طلبية وقول الواحدى وهو مطرود أى النوم مقتضاه جعل مطرودة حالا عن الكرى والكرى مذكر لأنه مصدر كرى ولفظ مطرودة مؤنث . فلا يصح كونها حالا

(١) الزمانه . العاهة .

لَا تَعْذُلُ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاغِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْسَانِهِ ^(١)
 إِنَّ الْقَتِيلَ مُضْرَجًا بِدُمُوعِهِ مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضْرَجًا بِدِمَائِهِ ^(٢)
 وَالْعِشْقُ كَالْمَعشُوقِ يَمْدُبُ قُرْبَهُ لِلْمُبْتَلَى وَيُنَالُ مِنْ حَوَابِيهِ ^(٣)
 لَوْ قُلْتَ لِلدَّفَنِ الْحَزِينَ فِدَيْتَهُ مِمَّا بِهِ لِأَغْرَزَتُهُ بِفِدَائِهِ ^(٤)
 وَفِي الْأَمِيرِ هَوَى الْعُمُيُونَ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِيَأْسِهِ وَسَخَائِهِ ^(٥)

عنه . على أن جعل ملام العاذل في قول ابن جنى أو نومه في قول الواحدى مطرودا بسهاد العاشق وبكائه مما يشكل وجهه ، وما أرى التنبي إلا أنه قد غلط في هذا البيت بأن سبق وهمه إلى أن الكرى يؤث على حد الهدى مثلا ، أو أراد أن يقول مطرودا فسبق خاطره إلى التأنيث باستدراج الوزن لأن المقام يقتضى أن يكون قوله مطرودة جاريا على الكرى كما هو تفسير الواحدى ، ويكون المعنى على نحو ما قال ابن جنى أى احسب ملامتك لذينة عند العاشق كمنامه ، والنام مطرود عنه بالسهاد والبكاء ، أى فلتكن ملامتك كذلك .

(١) لا : ناهية . و يروى لاتعذر فتكون نافية . يقول : لا تلم العاشق حتى تحب مثل ما يحب وهذا من قول البحترى .

إِذَا شُئْتَ أَنْ لَا تَعْذُلَ الدَّهْرَ عَاشِقًا عَلَى كَمَدٍ مِنْ لَوْعَةِ التَّيْنِ فَاعْشَقِي
 (٢) مضرجا في الموضعين نصب على الحال ، والمضرج الملطخ بالدم من ضربت الثوب إذا صبغته بالحرمة . جعل دموع العاشق كالدماء والعاشق كالمقتول تهويلا لأمر الهوى يقول : إن القتل إنما هو باستنزاف الدم ، فمن استنزف دمه من طريق الدمع كمن استنزف دمه من طريق الجراحات .

(٣) المبتلى العاشق الذى امتحن بالحب ، والحوباء النفس . والواو في قوله وينال واو الحال . يقول إن العشق حلو القرب كقرب المعشوق وإن كان ينال من نفس العاشق أى ينلها . أى أن العشق قاتل وهو مع ذلك مستعذب .

(٤) الدنف ذو الدنف أى المرض الملازم . وأغرته أى بعته على الغيرة ، وقوله بفدائه أى بفدائك إياه فأضاف المصدر إلى المفعول . يقول : لو قلت للدنف ليت ما بك من برح الهوى بى لغار من ذلك ضنا بمحبوبه وخشية أن يحل أحد محله برغم ما يلاقيه .
 (٥) وفى أى وقاه الله ، والبأس الشجاعة والسخاء البذل . يدعو له بالسلامة من

يَسْتَأْسِرُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ بِنَظْرَةٍ وَيَحُولُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ (١)
 إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلنَّوَابِ دَعْوَةً لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَانِهِ (٢)
 فَأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ مُتَّصِلًا وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ (٣)
 مِنْ السُّيُوفِ بِأَنْ تَكُونَ سِمِيًّا فِي أَصْلِهِ وَفِرْنِدِهِ وَوَفَائِهِ (٤)

الهوى لأنه ليس مما يزال بالشجاعة والبذل ، والأمير وإن كان من الشجاعة والجلود بحيث يدفع كل أمر شديد بيد أن الهوى اللطيف من ذلك .

(١) يستأسر أى الهوى أى يجعله فى الأسر ، والبطل ، الشجاع ، والكمى لابس السلاح ، والعزاء التجلده يقول : إن الهوى بأسر البطل الشجاع المستلم سلاحه بمجرد نظرة فيملك عليه أمره ويعصف بصره وجلده على الرغم من بطولته فلا يترك بين فؤاده والعزاء سبيلا . وهذا ينظر إلى قول جرير .

يَصْرَعُنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَأَحْرَاكَ بِهِ وَهَنْ أَضْمَفُ حَقَّقِ اللَّهُ أَرْكَانَا

(٢) النوايب الشدائد ، وسامعها سيف الدولة . والأكفاء جمع كفاء وهو القرن والنظير . يقول : إني دعوتك لدفع الشدائد عنى ولست بهذه الدعوة أدعوك إلى نظرائك لجلادها لأنك فوق الشدائد وأشد بطشا منها .

(٣) المتواصل الذى له صلصلة وحفيف من وقع الحديد وقد طابق بين فوق وتحت وأمام ووراء يقول : دعوتك لدفع نوب الزمان عنى فأحطت به دونى وحلت بينه وبين الوصول إلى وحيثى بذلك منه ، وهذا قريب من قول أبى نواس :

تَفَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَمِّي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي

(٤) ضمير تكون للسيف أى بأن تكون السيف سميها ، أى مثل سميها وتقول : من له بكذا أى من يتكفل له به أو من يضمنه له ونحو ذلك . وفرند السيف جوهره ووشيه وهو ما يرى فيه شبه مدب الثمل أو شبه الغبار استعاره هنا للممدوح وهو سيف الدولة والمراد مكارمه ومحاسنه والأصل النجار والحسب والوفاء معروف . يقول : من يكفل للسيف التى شاركت سيف الدولة فى التسمية بأن تكون مثله فى أصله ومناقبه وفعاله وفى وفائه ، وهذا كقوله .

* تظن سيوف الهند أصلك أصلها *

طَبَعَ الْحَدِيدُ فَكَانَ مِنْ أَجْناسِهِ وَعَلَى الْمَطْبُوعِ مِنْ آبَائِهِ^(١)
واستزاده سيف الدولة فقال أيضاً :

عَذَلُ الْعَوَازِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ وَهَوَى الْأَحْبَةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ^(٢)

(١) طبع الحديد فعل ونائب فاعل واسم كان ضمير يعود إلى الحديد ومن أجناسه جار ومجرور في موضع نصب خبر كان وعلى مبتدأ والمطبوع صفة له ومن آبائه في موضع رفع خبر ، والمطبوع المصنوع وعلى اسم سيف الدولة وهو على بن أبي الهيثم بن حمدان التغلبي . يقول : إن السيوف مصنوعة من الحديد فهي تنزع إلى أصلها الذي صنعت منه أما سيف الدولة الشريف ابن الشريف المرق له في الكرم فإنه ينزع إلى أصله في المجد والفعال ، فهي وإن شاركت في الاسم تخالفه في الأصل وشتان ما بينهما .

(٢) يعني بالتائه نفسه . وعذل العوازل مبتدأ وحول قلب التائه خبر والعذل اللوم والعوازل جمع عاذلة أما العاذل فجمعه عذال وعذل، والتائه التحير وسوداء القلب وسويداؤه العلقمة السوداء التي في جوفه كأنها فلذة كبد ، يقول : إن لوم اللوام حوال قلبي وهوى الأحبة قار في سويدائه ، وإذا لا يصل اللوم إلى قلبي وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم .

تَغَاوَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ

وقد روى بدل قلب التائه قلبي التائه على أن التائه صفة لقلبي ، وليس هناك لأنه لا يقال تاه قلبه . وقال قوم : المعنى أن قلبي يتيه على عذلم ، من التيه بمعنى الكبر ، قال الواحدى : ليس بمستحسن ، هذا وقد قال العكبري : عيب على أبي الطيب قوله التائه والقصيدة مهموزة كلها واعتذر له قوم بأنه لم يرد التصريح^(١) لأن الهاء في القافية أصلية وقد جعل قوم ممن رتبوا الديوان على الحروف هذه القطعة في حرف الهاء لجهلهم القوافي وقد جعلها ابن جنيد والخطيب التبريزي في أول حرف الهمزة فاعتدنا بفعلها والقوافي خمس يجمعها مكبرف كل حرف لقافية ، وهي متكوس ومتدارك ومتراكب ومتواتر

(١) التصريح تفتية المصراع الأول مأخوذ من مصراع الباب . قال العلماء : المصراعان بابا القصيدة بمنزلة المصراعين اللذين هما باب البيت قالوا : وإنما وقع التصريح في الشعر ليدل على أن صاحبه مبتدئ إما قصيدة وإما قصة .

ومترادف ، فالتكاوس^(١) أربع حركات بين ساكنين كقوله .

* قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الإِلَهَ فَجَبَرَ *^(٢)

والتدارك^(٣) حركتان بين ساكنان كما في هذه القصيدة والمتراكب^(٤) ثلاث حركات بين ساكنين كقول التنبي :

* بِمِ التَّعَلُّ لَأَهْلٍ وَلَا وَطَانَ *^(٥)

والتواتر^(٥) حركة واحدة بين ساكنين كقوله - أى التنبي - :

(١) مأخوذ من تكاوس النبات والشجر التف وتراكب لكثرة الحركات فيه كأنها التفت .

(٢) هو للمجاج . والجبر خلاف الكسر يقال جبر العظم والفقير واليتيم وجبر العظم بنفسه . وقد جمع المجاج في هذا بين التعدى واللازم .

(٣) قال ابن سيده والتدارك من الشعر كل قافية توالى فيها متحركان بين ساكنين وهي متفاعلين ومستعملين ومتفاعلين وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فعل ، فاللام في فعل ساكنة ، وفعل إذا اعتمد على حرف متحرك نحو فعول فل اللام من فل ساكنة والواو من فعول ساكنة سمي بذلك لتوالى حركتين فيها ، وذلك أن الحركات من آلات الوصل وأماراته فكان بعض الحركات أدرك بعضها ولم يعقه عنه اعتراض الساكن بين المتحركين .

(٤) للتراكب كل قافية توالى فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين وهي مفاعلتين ومفتعلن وفعلن لأن في فعلن نونا ساكنة وآخر الحرف الذى قبل فعلن نون ساكنة وفعل إذا كان يعتمد على حرف متحرك نحو فعول فعل اللام الآخرة ساكنة والواو في فعول ساكنة .

(٥) التواتر كل قافية فيها حرف متحرك بين حرفين ساكنين نحو مفاعيلن وفاعلاتن وفعلتن ومفعولن وفعلن وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فل وإياه عنى أبو الأسود بقوله :

وقافية حذاء سهل رويها كسرد الصناعات ليس فيها تواتر
أى ليس فيها توقف ولا فتور .

يَشْكُو التَّلَامُ إِلَى اللُّوَأَمِّ حَرَّةٌ وَيَصُدُّ حِينَ يَلْمَنَ عَنْ بُرْحَانِهِ (١)
وَبِمَهْجَتِي يَا عَاذِلِي الْمَلِكِ الَّذِي أُسْخِطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إِرْضَانِهِ (٢)

* صِلَةُ الْمَهْجَرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ *

والمترادف (١) اجتماع ما كنين كقوله - أى التنبي :-

لَا تَحْسُنِ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَشُورَةَ الضَّفِيرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ

أقول : وهذا كله من المكبري لأنه أورد هذه الأبيات قبل الأبيات السالفة ظناً منه أنها هي التي قالها التنبي باديء ذي بدء حين طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات أبي ذر ، ولكن الذي تحقق لدينا هو أن التنبي قال الأبيات السابقة أولاً ثم أزدفها بهذه الأبيات التالية وإذن ينهار هذا المأخذ الذي توركه بعضهم على التنبي وانهار معه الدفاع عنه .

(١) البرء الشدة وتباريح الشوق توجهه . وتقول : لقيت منه برحا بارحا أى شدة وأذى ، ويقال للمحموم الشديد الحمى أصابته البرء . يقول : إن اللوم يشكو حرارة قلبي إلى اللوأم كأنه يقول لمن : لا تبغثنى إليه لآنى أخشى برء قلبه وإذا اننى أعرض اللوم عن قلبي خشية أن تلتفحه ناره يعنى بذلك أن قلبه لا يقبل اللوم واللوم لا يطبق أن يصل إلى قلبه لما يضطرم فيه من حرارة الحب . فالضمير في حره وبرحانه للقلب في البيت السابق . وليس يخفى ما في هذا البيت من لطف التخيل وبديع التمثيل .

(٢) الباء في مبهجتي للتفدية ، والمملك مجوز فيه الرفع والنصب ، إذ لك أن تجعل مبهجتي خبراً مقدماً والمملك مبتدأ ولك أن تجعل المملك مفعولاً لفعل محذوف تقديره أفدى ويريد بالمملك سيف الدولة والمهجة الروح وأراد بقوله : يا عاذلي يامن يعدلني فليس لك أن

(١) المترادف كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان وهى متفاعلان ومستفعالان ومفاعلان ومفتعلان وفاعلتان وفعلتان وفعليان ومفعولان وفاعلان وفعلان ومفاعل وفعول ، سمى بذلك لأن غالب العادة في أواخر الأبيات أن يكون فيها ساكن واحد رويًا مقيداً كان أو وصلًا أو خروجا فلما اجتمع في هذه القافية ساكنان مترادفان كان أحد الساكنين ردف الآخر ولا حقاً به .

إِنَّ كَانَ تَدَّ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ
 الشَّمْسُ مِنْ حُسَادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ
 أَيْنَ الثَّلَاثَةِ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالِهِ
 مَضَتْ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ
 مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ (١)
 قُرْنَاهُ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ (٢)
 مِنْ حُسْنِهِ وَإِبَائِهِ وَمَضَائِهِ (٣)
 وَلَقَدْ أَتَى فَمَجَزَنَ عَنِ نَظْرَائِهِ (٤)

تقول كان ينبغي أن يقول يا عاذلي لأنه قال العواذل في الأول ، إذ المراد كما قلنا يامن
 يعذلي ومن تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وهذا اقتضاب عدل به عن النسب
 إلى اللديح . يقول : إني يالأمي أفدى بنفسى الملك الذى لم أسمع فيه لوم من هو أشد
 لوما منك فلم أتركه وآت غيره وأسخطت لوائى جميعا فى سيدل مرضاته .

(١) الباء فى بأرضه بمعنى مع يقول : غير عجيب أن يملك هذا الملك القلوب ويستولى
 حبه عليها مادام قد ملك الزمان بما يحتويه من الكائنات يصرفه على مشيئته وقال بعضهم :
 أراد بالسماء الأفلالك التى تنسب إليها السعود والنحوس أى أن ذلك يجرى على مقادير
 مشيئته لأنه يجعل أصحابه فى السعود ، وأعداءه فى النحوس .

(٢) والنصر من قرناه ، أى أنه أينما توجه فهو منصور والسيف من أسمائه لأنه يعرف
 بسيف الدولة .

(٣) الخلال جمع خلة وهى الخصلة ، والإباء أن يأبى الذل ولا يرضاه والثلاثة الشمس
 والنصر والسيف ، يقول : أين حسن الشمس من حسنه وأين النصر من إبائه ؟ أى أنه
 أشد إباء للذل من النصر لأن النصر حليفه وصاحب النصر يأبى الذل وأين مضاء
 السيف من مضائه ؟

(٤) يقول : لم يأت الزمان بمثله فيما مضى فلما أتى عجزت الدهور عن أن تأتى له
 بنظير ، ولا يروعنك مثل هذه الآيات فان الشعر يجب أن يكون أسمى من أن يسف
 إلى مثل هذا الغلو ، والتنبى كثيراً ما يلجأ فى شعره إلى الإفراط ، شأنه فى ذلك شأن
 كثير من الشعراء .

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي ، وكان قوم قد هَجَّوْهُ ، وعزروا الهجاء إلى أبي الطيب فكتب إليه يعاتبه ، فكتب أبو الطيب إليه :

أَتُنْكَرُ يَا ابْنَ إِسْحَاقَ إِخَائِي وَتَحَسَّبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ لِنَائِي ^(١)
أَأَنْطِقُ فِيكَ هُجْرًا بَعْدَ عَلِيٍّ بَأَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ ^(٢)
وَأُكْرَهُ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْمًا وَأَمْضَى فِي الْأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ ^(٣)
وَمَا أُرْبِتُ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِي فَكَيْفَ مَلَّتْ مِنْ طُولِ الْبَقَاءِ ^(٤)
وَمَا اسْتَفْرَقْتُ وَصْفَكَ فِي مَدْيَنِي فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئًا بِالْهَجَاءِ ^(٥)
وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ أَيْعَمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضُّيَاءِ ^(٦)

(١) الاستفهام للتعجب وإسحاق مصروف للضرورة والإيحاء المصادقة وتحسب تفتح عنه وتكسر أى تظن والماء والإناء استعارة للقول والقائل يقول متعجبا : أتتكر مؤاخاتي إياك وتظن أن ما هجيت به صادر مني ؟

(٢) الهجر : القبيح من الكلام ، ويقال : هجر الرجل إذا هذى وأصله ما يقوله المموم إذا نالت منه الحمى ؛ يقول : لا أنطق فيك القبيح بعد علي أنك خير الناس ، وهذا مبالغة .

(٣) أكره وأمضى معطوفان على خير في البيت السابق وطعما تمييز وذباب السيف حده . يقول : وأنت أكره طعاما على العدو من طرف السيف وأنقذ فيها تريد من الأمور من القضاء ، وهذا من مبالغات المتنبي المعروفة .

(٤) ما حرف نفي وأربت زادت ، والسن العمر ، وملت سئمت . يقول : وما زادت سني على العشرين فكيف أمل طول البقاء بالتعرض لهجائك إذ أني بتعرض لهجائك ألقى بنفسى إلى التهلكة .

(٥) وما عطف على ما قبله ، واستفرت استوفيت ، يقول : ولم أستوف إلى الآن أوصاف مدحك فكيف أنقصها بهجائك بل أنا باستتمامها أولى مني بالأخذ في الهجاء .

(٦) يقول : وقدر أنى هجوتك وكأننى بذلك كمن يقول هذا النهار ليل فكيف يتأتى هذا وفعالك لا يخفى على أحد كضياء الشمس ، وهل يعنى العالمون عن الضياء .

تَطِيعُ الْخَالِيسِدِينَ وَأَنْتَ مَرَّةً
وَهَاجِي نَفْسِهِ مَنْ لَمْ يُعَيِّرْ
جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمْ فِدَائِي (١)
كَلَامِي مِنْ كَلَامِهِمْ الْهَرَاءُ (٢)
فَتَمَدَّلْ بِي أَقْلًا مِنَ الْهَبَاءِ (٣)

(١) مرء لفة في امرؤ . يقول : تصنى إلى الحساد وتنزل على تهمتهم إياي بهجائك وأنت أسمى من أن يهجووه مثل لأنى فداء له لماله من الأيادي ، أما هؤلاء الحساد فهم فداء لى لأنى أولى بالبقاء منهم وهم ممن لا غناء فيهم ، وقد ذهب السراج أكثرهم إلى أن جملة جعلت فداءه دعائية جعلت وصفا لمرء وهو نكرة على تقدير محذوف ، أى مستحق لأن أسأل الله أن يجعلني فداءه على حد قول الراجز :

مَا زِلْتُ أَسْمَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبُطُ حَتَّى إِذَا جَاءَ الظُّلَامُ وَاخْتَلَطُ (*)

* جَاءُوا بِضِيحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذَّنْبَ قَطُ *

أى جاءوا بضحيق يقول : من رآه هل رأيت الذنب قط .

(٢) من لم يميز مبتدأ مؤخر وهاجي نفسه خبر مقدم ، والهراء الكلام الساقط الذى لا خير فيه . قال ذو الرمة :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْخَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ
يقول : إن من لم يفرق بين كلامي وبين كلامهم الساقط فإنما يهجو بذلك نفسه وأنت أفطن من ألا تميز بينهما وإلا كنت قد هجوت نفسك .

(٣) أن ترانى مؤول بمصدر اسم أن ، ومن العجائب جار ومجرور خبرها وتعديل عطف على ترانى وأقل صفة لموصوف محذوف أى شيئاً أقل من الهباء ، وعدله به ساواه وأقل أخس ، والهباء ما يرى فى شعاع الشمس من دق التبار قل الشاعر :

بَرَّانِي الْهَوَى بَرَّى اللَّدَى وَأَدَّابَنِي صَدُودُكَ حَتَّى صَرْتُ أَنْحَلٍ مِنْ أَمْسٍ
فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ وَإِنَّمَا يَبِينُ هَبَاءَ النَّرِّ فِي أَلْقِ الشَّمْسِ
يقول : من العجب أن ترانى وتعرفنى ثم تسوى بينى وبين خسيس أدق من الهباء يريد غيره من الشعراء .

* الضيغ اللبن المخلوط شبه لون الضيغ بلون الذئب والذئب يقال له أبو مذقة لأن لونه يشبه لون المذق وهو الضيغ .

وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمْ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزَّانِءِ^(١)

وقال يمدح أبا علي هرون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب ، وكان يذهب إلى التصوف^(*)

أَمِنْ أَزْدِيَّارِكُ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ^(٢)

(١) سهيل نجم زعم العرب أنه إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكثر اللوت والزنا عد ويقصر ، يقول : ومن العجائب أن تنكر موت حسادي وأنا الطالع عليهم بموتهم كما يطلع سهيل ومن ثم يموت أولاد الزنا حسداً لي .

(*) قال بعض أفاضلنا المعاصرين في فصل من كتاب له ما ملخصه « هذه القصيدة تنبئنا بأن الشاعر قد أقبل يمدح أبا علي الأوراجي من بعيد وقد جاز إليه جبل لبنان . . . وأكبر الظن أن الأوراجي هذا كان متصلاً بعمل من أعمال ابن رائق قريبا من بدر بن عمار في طبرية أو بعيداً عنه بعض الشيء في دمشق . فأقبل المتنبي من شمال الشام إلى جنوبها بعد أن جلت عنه جنود الإخشيدي حتى انتهى إلى صاحبه هذا فدحه بقصيدتين أحدهما هذه الهمزية ، والأخرى أرجوزة طردية « انظر الأرجوزة التي يقول في مطلعها .

ومنزّل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات المهطل

وللهمزية فيما أرى مكانة خاصة من شعر المتنبي فهي القصيدة الوحيدة التي يعمد فيها الشاعر إلى المذهب الرمزي ليرضى بمدوحه الذي كان يذهب بمذهب التصوف وهي من هذه الجهة قيمة لأنها تبين عن علم المتنبي — في الخامسة والعشرين من عمره — بمذاهب التصوفة في الكلام ومنهجهم في الرمز والإيماء ولأنها تظهر لنا الشاعر الفتي وقد ملك ناصية الفن حقاً ؛ إلى أن قال : ولست أدري أكان الأوراجي هذا قريباً أم بعيداً من بدر بن عمار ولكن المتنبي أقام معه حيناً على كل حال كما تدل على ذلك طرديته ثم اتصل من طريق الأوراجي هذا فيما أرى ببدر فلا تسلم عن فرحته وابتهاج نفسه بالنبطة والرضى اه ملخصاً .

(٢) أمن فعل والرقباء فاعل ، وازديارك مفعول مقدم وإذ تمليلية وأنت ضياء مبتدأ وخبر أضيفت حيث الظرفية إلى جملتهما ومن في من الظلام للبدل ويروى : إذ

قَلِقُ الْمَلِيحَةَ وَهِيَ مَسْكٌ هَتَكَهَا وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاةٌ (١)

حيث كنت . . . قال الواحدى : فتكون ضياء مبتدأ محذوف الخبر ، أى ضياء هناك وكان تامة فى معنى حصلت ووقعت فليس لها خبر ، وقال آخرون ضياء مبتدأ وحيث كنت من الظلام خبره وإذ مضافة إلى هذه الجملة ومن الظلام حال من حيث تقديره إذ ضياء بمكان كونك وحصولك من الظلام ويجوز رفع حيث على الابتداء ونقله عن الظرفية . . . والازديار افتعال من الزيارة والدجى الظلمة يقول : إن الرقباء قد أمنوا أن تزورين ليلا لأنك إذا زرتنى فى الظلام أضاء بك وأنار لأنك ضياء يهتك الظلام وإذ ذاك تفتضحين وهذا ينظر إلى قول على بن جبلة المكوك :

بأبى مَنْ زَارَنى مُكْتَمًا حَذِرًا مِنْ كُلِّ وَاشٍ فَرِعًا
طَارِقًا نَمَّ عَلَيْهِ نُورُهُ كَيْفَ يُخْفَى اللَّيْلُ بَدْرًا طَلَمًا
رَصَدَ انْخِلَوةَ حَتَّى أَمَكَّنْتُ وَرَعَى السَّامِرَ حَتَّى هَجَمًا
كَابَدَ الْأَهْوَالَ فى زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَعَا

(١) قلق مبتدأ وهتكها خبره ومسيرها عطف على قلق محذوف الخبر للعلم به ، والواو فى وهى مسك وهى ذكاء للحال . والمراد بقلقها اضطرابها وحركتها والمسك طيب من دم دابة كالظبي تدعى غزال المسك ، وهتكها أى اتهاكها ، وذكاء اسم للشمس لا ينصرف . يقول : إن المليحة مسك فإذا تحركت انتهك سترها وافتضح بتضوع رائحتها ، وهى شمس فإذا سارت ليلا رآها الناس . ومثل هذا المعنى كثير فى شعر المحدثين قل البحرى :

وَحَاوَلْنَ كِتْمَانَ التَّرْحُلِ فى الدُّجَى فَنَمَّ بِهِنَّ الْمِسْكَ حِينَ تَضَوَّعَا
وقال :

وَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَلِشَيْبَا

وقال أبو المطاع ابن ناصر الدولة :

ثَلَاثَةٌ مِنْهَا مِنْ زِيَارَتِنَا

ضَوْهَ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْخَلِيِّ وَمَا

وَقَدْ دَجَا اللَّيْلُ خَوْفَ الْكَاشِحِ الْحَنِيقِ

يَفُوحُ مِنْ عَرَقِ كَالْعَنْبَرِ الْعَبِيقِ

أَسْفَى عَلَى أَسْفَى الَّذِي دَلَّهْتَنِي عَنْ عَلَيْهِ فَبِهِ عَلَى خَفَاءِ (١)
وَشَكِيَّتِي فَقَدْ السَّقَامَ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ (٢)

هَبِ الْجَبِينِ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتَرُهُ وَالْحَلَى تَنْزَعُهُ مَا الشَّانُ فِي الْعَرَقِ
هذا وقد قال ابن فوزه: الهتك مصدر متعد ولو أتى بمصدر لازم بأن قال
انتهاكها لكان أقرب إلى الفهم ولكنه راعى الوزن. قال: وقوله وهي مسك زيادة
على كثير من الشعراء إذ لم يجعل هتكها من قبل الطيب الذي استعملته بل جعل المسك
نفسها فكأنه من قول امرئ القيس:

* وجدت بها طيبا وإن لم تطيب *

وقول الآخر:

دُرَّةٌ كَيْفَا أُدِيرتْ أَضَاءتْ وَمِشَمٌّ مِنْ حَيْثَا شُمَّ فَاحَا

ومثله قول بشار:

وتوق الطيب ليلتنا إنه وَاش إذا سطعا

(١) أسفى على أسفى مبتدأ وخبر وخفاء مبتدأ ، وبه من فيه جار ومجرور خبره
والأسف الحزن ، والدله الذى أذهب المشق عقله وأذهله . يقول: إننى أسف على أن
شغلتنى عن معرفة الأسف حتى خفى على ما هو إذ عصفت بلبى يعنى: إننى أحزن لذهاب
عقلى لما لقيت فى هواك من البرح والشدة حتى لقد خفى على حزنى الذى إنما يدرك
باللب وليس لى الآن لب ، أو تقول: إنه كان يتأسف على زمان وصلها فلما أمعت فى
الهجر ذهب له حتى صار لا يعرف الأسف فأخذ يأسف على ذلك الأسف لأنه كان إذ ذاك
عاقلا أما الآن فلا عقل له .

(٢) الشكية والشكاة والشكوى والشكاية واحد . يقول: إنما أشكو عدم السقم
لأن السقم إنما كان حين كانت لى أعضاء يعروها السقام فأحسه بأعضائى فإذا طاحت
الأعضاء من جراء الجهد الذى أدركنى فى هواك لم يبق ثم ما ينزل به السقم ، وهذا
المعنى أوضحه البسى بقوله:

ولو أبقي فراقك لى فوئادا وَجَفْنَا كُنْتَ أَجْرَعُ مِنْ مُسَاهِدِي
وَلَكِنْ لَا رُقَادَ بِفَيْرِ جَنِّنِ كَمَا لَا وَجَدَ إِلَّا بِالْفَوَادِ

مَثَلَتْ عَيْنِكَ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً فَشَّابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلَاهُ (١)
نَفَذْتُ عَلَى السَّابِرِيِّ وَرُبَّمَا تَنْدُقُ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمْرَاهُ (٢)
أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَارَوْحَتْ وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي الْجُوزَاهُ (٣)

« وأما بعد » فلا تنس أن أبا الطيب إنما يقول هذه القصيدة لرجل يعرف أنه يذهب مذهب التصوفة ومن ثم تراه يهج منهمجهم في العبارة والتفكير وبالحرى ما يشبه أن يكون رمزاً وغموضاً .

(١) جراحة مفعول ثانٍ لمثلت أو تميز . وقوله : فتشابهها أى العين والجراحة ولم يقل تشابهها حملا على المعنى كأنه قال فتشابه الأمران كما قال .

إن الساحة والمرؤة ضمنا قبرا بمرور على الطريق الواضح ومثلت صورت والجراحة الجرح والنجلاء الواسعة يقول : لما نظرت إلى صورت في قلبي مثال عينك جرحا واسعا فتشابهت عينك وذلك الجرح في الاتساع .
(٢) نفذت أى العين والسابري الدرع المحكمة الدقيقة النسج نسبة إلى سابور ويقال للثياب الرقيقة سابرية ، قال ذو الرمة :

لجأت بسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق

والصعدة القناة التي تنبت معتدلة فلا تحتاج إلى تقويم يقول — إذا كان يريد بالسابري الدرع — اخترقت عينك الدرع إلى قلبي فلم تحصنه الدرع من نظرتها مع أنها تحصنه من الرمح . وإذا كان المراد بالسابري الثياب يكون المعنى أن عينك نفذت إلى قلبي فجرحته وربما كان الرمح يندق قبل وصوله إلى السكاني من الشجاعة والشجاع موق والاول أظهر .

(٣) صخرة الوادى فى العادة صلبة بما يتاورها من السيول ، ومن ثم جعلت مثلا فى الثبات لأن السيول تجرف ما حولها ولا تستطيع اقتلاعها والجوزاء من أبراج الفلك ، يقول : إذا زوحت لم يقدر على إزالتها عن موضعى كصخرة الوادى وإذا نطقت كنت فى علو النطق كالجوزاء وقال الواحدى : ويقال إن الجوزاء بيت عطارى فيكون المعنى : منى تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطى من يولد فيها البراعة والنطق .

وَإِذَا خَفَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ فَعَاذِرُهُ أَنْ لَا تَرَانِي مُقَلَّةٌ عَمِيَاءَهُ (١)
شِيمُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكِّكَ نَاقَتِي صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أُمِّ الْبَيْدَاءِ (٢)

(١) النبي : العاقل القليل الفطنة ، وقوله فعاذر : أى فأنا عاذر فهو خبر عن محذوف ، والمقلة : العين ، يقول : إذا خفي مكانى على النبي فلم يعرف قدرى ولم يقر بفضلى فأنا عاذر له لأنه كالأعمى الذى لا يرى الأشياء والأعمى معذور فكذلك النبي الجاهل . وهذا المعنى ينظر إلى قول ذى الرمة بمدح عمر بن هبيرة :

حَتَّى بَهَّرْتَ مَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْبَهٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا (١)

(٢) صدرى يريد أصدرى ، حذف همزة الاستفهام لدلالة أم البيداء عليها والبيداء الغلاة سميت كذلك لأن الشأن فيمن سلكها أن يبيد ، والشيمة العادة وشككه حمله على الشك ، وأفصى من الفضاء وهو الاتساع ، يقول : عادة الليالى أن تبعد على طلبى فترمى بطول الأسفار حتى تحمل ناقتى على الشك فى ، أصدرى بها لو جعل مكان البيداء أم البيداء أفصى ؟ لما ترى من سعة صدرى وأناى وتجدى وصبرى على المشقات والأسفار ، وهذا المعنى هو الظاهر وهو ما ذهب إليه ابن جنى ، ولكن الواحدى كما قال العكبرى نقلا عنه لم يرتضه ، قال : هذا إنما يصح لو لم يكن فى البيت بها ، وإذا رددت الكناية « أى الضمير فى بها » إلى الليالى بطل ما قل لأن المعنى : صدرى بالليالى وحوادثها وماتورده على من مشقة الأسفار وقطع المفاوز أوسع من البيداء وناقى تشاهد ما أقاسى من السفر وصبرى عليه فيقع لها الشك فى أن صدرى أوسع أم البيداء وعلى هذا أفصى أفضل كما يقال أوسع ، وقال قوم : إن الكناية تعود على الناقة ومعنى أفصى بها أى أدى بها إلى الهزال صدرى أم البيداء ؟ فمرة تقول : أى الناقة لولا سعة صدره من حيث الهمة وبعد

(١) قبله :

مازلت فى درجات الأمر مرتقيا تنمى وتسموبك الفرعان من مضرا
قال ابن برى : الذى أورده الجوهري وقد بهرت وصوابه حتى بهرت أى علوت
كل من يفاخره فظهرت عليه ، وقوله على أحد : أحد ههنا بمعنى واحد لأن أحدا
المستعمل بعد التثنية فى قولك : ما أحد فى الدار لا يصح استعماله فى الواحد .

فَتَبَّيْتُ نُسَيْدًا مُسْتَدًّا فِي نَيْبِهَا إِسَادَهَا فِي التَّمَهَةِ الْإِنْضَاءِ^(١)
 أَنْسَاعُهَا مَمْحُوطَةٌ وَخِيفُهَا مَنَكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ^(٢)

الطلب لما أتعبني بالسفر ومرة تقول البيداء هي التي تذهب لحمي وتودي بي إلى الهزال وعلى هذا أفصح فدل ويجوز أن يكون اسما وإن عادت الكناية إلى الناقة . والمعنى أن ناقتي قوية نجية يضمن بثلمها وهي ترى إتمامي إياها واستنادي عليها في الأسفار فتقول صدري أوسع بي حيث طابت نفسه في إهلاك أم البيداء ؟ أي لولا أن له صدرا في السعة كالبيداء لم تطب نفسه بإهلاكى . قال الواحدى: والقول هو الأول وهو رد الكناية إلى اللبالي « هذا » وتشبيه الصدر بالبيداء في السعة معنى قد اعتوره الشعراء .
 قال أبو تمام :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لم يضق عن أهله بلد
 وقل البحرى :

كريم إذا ضاق الزمان فإنه يضل الفضاء الرحب في صدره الرحب
 (١) الإسَادُ إيمان السير أو سير الليل خاصة والني الشحم والسمن والإنضَاءُ مصدر أنضاه ينضيه إذا هزله والمهمة الصحراء ومسدا حال من ضمير تشد العائد على الناقة وهو اسم فاعل فاعله الإنضاء وأسأدها مفعول مطلق عامله مسدا وتقدير البيت تبئت هذه الناقة تشد مسدا الإنضاء في نيبها إسأدا مثل إسأدها في المهمة يقول : تبئت ناقتي تسير سائراً في جسدها الهزال مثل سيرها في الصحراء . وهذا للمعنى ينظر إلى قول أبي تمام .

رَعْنَةُ الْفَيَافَى بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُ سَابِكُهُ
 (٢) الأنساع جمع نسع وهو سير كهيئة العنان يشد به الرجل ، والمغط المد وذلك كناية عن عظم بطن الناقة حين امتدت أنساعها فطالت ، وخفافها منكوحه أى مثقوبة بالحصى وكفى بهذا عن وعورة الطريق ومنكوحه أى مدمية من الحصى واستعمار النكاح لوطئها الأرض وإدماها الحصى إياها . وطريقها عذراء أى لم تسلك قبلها وأصل العذراء التي لم تقتض . ومن طريق ما ذكره الصراح هنا ما أورده العكبرى قال : قال الشيخ أبو محمد عبد النعم بن صالح النحوى عند قراءتي عليه هذا الديوان ومدوصلت إلى هذا البيت : سألتى الملك الكامل أبو المعالي محمد بن أبي بكر (١٠ - التتى ١)

يَتَلَوْنَ الْحَرِيتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى فِيهَا كَمَا يَتَلَوْنَ الْحَرِيَابَ (١)
 بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي قَسِيٍّ مِثْلُهُ شَمُّ الْجِبَالِ وَمِثْلَهُنَّ رَجَاءُ (٢)
 وَعِقَابُ لُبْنَانَ وَكَيْفَ بَقِطْمَا وَهُوَ الشِّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ (٣)

ابن أيوب ملك البدار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت في قوله وطريقها عذراء
 قظت له : يريد أنها صعبة لم تسلك ، فقال لي : هذا يدل على أن المدوح لا يعرف ولا له
 ذكر ولا نائل لأن الطريق إليه عذراء لم تطرق والمدوح إذا كان له عطاء وذكر
 ويعرفه القصد ، كانت الطريق إليه لا تقطع . . . ولقد أحسن في هذا النقد .

(١) الحرير الدليل صمى خريتا لاهتدائه في الطرق الحفية كخريت الإبرة كأنه
 يعرف كل حب في الصحراء ، والتوى الملاك ، والجراب دوية على شكل سام أبرص
 ذات قوائم أربع دقيقة الرأس مغططة الظهر تستقبل الشمس وتكون معها كيف
 دارت وتلون ألوانا بحر الشمس . يقول : إن هذه الأرض طريقها صعبة يتلون الدليل
 فيها خوف الملاك كما يتلون الجراب ويشير لونه فهو يدور يمينا وشمالا لطلب الطريق
 وفي هذا للمنى يقول هدية :

يظل بها الهادي يقرب طرفه من المول يدعو ويله وهو لاهف

ويقول الظرماع :

إذا اجابها الحرير قال لنفسه أتناك برحلى حائن بعد حائن

(٢) شم الجبال : بدل من « قوله مثله » ، ونصب مثلهن على الحال لأنه نعت
 للسكر المرفوعة قدم عليها فنصب على الحال كقولك : فيها قائما رجل ، وكقول
 ذي الرمة :

وَمَحَّتِ الْعَوَالِي وَالْقَنَا مُسْتَنْظَلَةً ظِلْيَاهُ أَعَارَسَهَا السُّيُونَ الْجَاذِرُ

يقول بيني وبين هذا المدوح جبال مرتفعة مثله ورجاء عظيم كهده الجبال .

(٣) وعقاب عطف على شم الجبال ، وعقاب جمع عقبة وهي المرتقى الصعب من
 الجبل والباء في بقطعها متعلقة بمحذوف تقديره : وكيف أقوم بقطعها أو كيف الظن
 مثلا . وكيف استفهام في للمنى الإنكارى ، وواو « وهو الشتاء » للحال والضمير ضمير الشأن

لَبَسَ التَّلُوجُ بِهَا عَلَى مَسَالِكِي فَكَأَنَّهَا بِيَاضِهَا سَوْدَاهُ (١)
وَكَذَا السَّكْرِيمُ إِذَا أَقَامَ بَيْلِدَةً . سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ (٢)
جَدَّ الْقَطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كَمَا تَرَى بُهْتَتْ فَلَمْ تَنْبَجْسِ الْأَنْوَاءُ (٣)

يقول : وكذلك يبي ويينه عقاب جبل لبنان وكيف أستطيع قطعها والوقت شتاء
وصيفها مثل الشتاء فكيف شتاؤها ؟

(١) لبس الشيء ولبسه عماه ، قال تعالى : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » والضمير
في بها للعقاب والضمير في كأنها للتلوج أو للمسالك وباء بياضها متعلقة بمعنى كأن أي
التشبيه ، يقول : إن التلوج في هذه الجبال أخذت على طرفي فلم أهد لكثرة بياضها
فكأنها سودت اسودت الليل إذ ضللت فيها لأن الأسود لا يهتدى فيه ، وهذا معنى حسن
كما ترى .

(٢) النضار الذهب ، والنضار أيضا الخالص من كل شيء ، وقام الماء جمد ومعنى
هذا البيت متصل بالذي قبله لأنه يقول يياض التلوج بمعنى قمام مقام السواد ، واليباض إذا
عمل عمل السواد فقد قضى العادة كذلك السكريم إذا أقام بيلدة قضت العادة فيكون
الذهب سائلا والماء جامدا ، وإعما قال هذا لأنه أتاه في الشتاء عند جمود الماء . يقول :
إن السكريم إذا أقام بيلدة أعطى المال وتحرق في السكريم حتى لكان المال ماء سائل
فما رأى للماء هذا السكريم وقف متبلدا متبلدا جامدا ، وهو تخيل بديع .

١٣. الأنواء فلعل رأته ويجوز أن ترتفع الأنواء برأته وبهتت وتبجس على التنازع
ولاعل ترى يعود على اقطار ، ويروي بدل ترى رأى : أي اقطار ولكن ترى أحسن
لأن القطار مؤنثة ، والقطار جمع قطر ، وقطر جمع قطرة وهي المطر ، وبهتت
دهشت وتغيرت ، وتبجس تفجبر ، والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب وطلوع
وقبه من الشرق وهي منازل القمر والعرب تنسب إليها الأمطار يقولون : سقينا بنوء
كذا . ويريد بجمود القطار التلوج يقول : إن المطر جمد لما رأى كرم هذا للمدوح
ولو رأته الأنواء كما رآه المطر لتغيرت ودهشت ولم تفجبر فلم تأت بمطر استظلما لما
بأتبه وخجلا من جوده .

فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٌ حَتَّى كَأَنَّ مِدَادَهُ الْأَهْوَاءُ ^(١)
 وَكُلُّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ حَتَّى كَأَنَّ مَغْيِبَهُ الْأَقْدَاءُ ^(٢)
 مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعْرَاءُ ^(٣)
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلِقَوَائِي جَوْلَةٌ فِي قَلْبِهِ وَلَا أُذُنَهُ إِضْغَاءُ ^(٤)
 وَإِغَارَةٌ فِيمَا احْتَوَاهُ كَأَنَّهَا فِي كُلِّ بَيْتٍ فَيَنْتَقِ شَهْبَاءُ ^(٥)

(١) المداد الحبر ، والأهواء جمع هوى بالقصر وهو صبوة القلب يصفه بحسن الخط يقول : كأن مداده من أهواء الناس فهم يحبون خطه ويميلون إليه شغفاً به وافتاناً بحسنه ، ويجوز أن يكون هذا كناية عن وصفه بالجوّد يقول : لا يوقع إلا بالنوال ولذلك يهفو الناس إلى خطه ، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن طاعة الناس له أي أن كتبه تقوم مقام الجيوش لأن الناس يتقارنون إليه غريزة وطبعاً ، ولعل الأقرب أن اناس لحبهم إياه وشغفهم برؤيته يهاتفون على كل ما يكتبه لأن فيه بعض ما يشتهون على حد قولهم : المكتابة نصف المشاهدة .

(٢) قرة العين كناية عن السرور ، قرت عينه بردت ، ودمع الفرح بارد والأقضاء جمع قذى وهو ما يقع في العين والشراب من تراب ونحوه والمغيب الغيبة ، يقول : كل عين تسر بقربه ورؤيته وتأذى بغيته فكان غيبته قذى للعين .

(٣) من بمعنى الذي خير ضمير محذوف يرجع إلى المدحوح وتقدير البيت : هو الذي يهتدى في الفعل إلى ما لا يهتدى الشعراء إليه في القول حتى يفعل هو فضمير يفعل يعود إلى من ، والشعراء فاعل يهتدى ، يقول : إنما يقتدى الشعراء فيما يقولون من المدائح بأفاله من للكارم والسامعي المظالم فإذا فعل هو تعلموا من فعله القول فحسكوا ما فعله .

(٤) القافية القصيدة لأن بعضها يقفو بعضها أي يتبعه أو تسمية للسكل باسم البعض ، يقول : إن الشعراء تتوارد عليه بالمدائح بالتوالي فهو لا ينفك عن الإضغاء جبا للشعر وارتياحا إلى إعطاء الشعراء .

(٥) إغارة عطف على جولة ، وما احتواه أي جمعه واقتناه من مال والفيلق الكتبية من الجيش أتمه فقال شهباء باعتبار معنى الجمع وكل جمع مؤنث والشهباء التي تخب يا ضاه على سوادها ، يعني صافية الحديد ، يقول : وللقوائى كل يوم إغارة على ماله حتى لكان كل بيت ككتيبة تنهب ما احتواه .

مَنْ يَظْلِمُ اللُّؤْمَاءَ فِي تَكْلِيفِهِمْ أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمْ لَهُ أَكْفَاءُ (١)
وَنَدِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضِدِّهَا تَقْبِينُ الْأَشْيَاءِ (٢)

(١) من بمعنى الذي خير مبتدأ محذوف تقديره هو الذي يظلم الخ والثلثم الحسيس الأصل والنفس ضد الكريم ويصبحوا هنا تامة والجملة بعد حال والأكفاء النظراء والأمثال ، يقول : إن اللثام يحاولون التشبه به حسداً له وهم لا يقدرون على ذلك فكانه ظلمهم ، إذ كلهم أن مماثلوه ولكنهم لم يستطيعوا ، قال الواحدى ما معناه : ليس في هذا كبير مدح ولقد كان أبلغ في المدح أن يقول : الكرماء بدل اللؤماء على أن مثل هذا المعنى وهو أنه أفضل من اللؤماء ولا يقدرون أن يكونوا ، مثله بما لا يليق بذهبه في إشاره البالغة. وروى الخوارزمي نظم بالنون، وقال: إذا كلفنا اللثام أن يكونوا أكفاء له فقد ظلمناهم في تكليفهم ما لا يطيقون .

(٢) ذامه كذمه ، وقوله ونديمهم مما يؤنس ما ذهب إليه الخوارزمي في روايته البيت السابق من نظم بالنون ، يقول المتنبي : ونحن نذم اللثام ولولا هم ما عرفنا فضله لأن الأشياء إنما تتبين بأضدادها فلو كان الناس كلهم كراماً لم يعرف فضله ، وهذا المعنى قد تعاوره كثير من الشعراء قال بشار :

وَكَنَّ جَوَارِيَّ الْحَيِّ مَا دَمَتْ فِيهِمْ قِبَاحًا فَلَمَّا غَبَّتِ صِرْنٌ مِلَاحًا
وقال أبو تمام :

وَلَيْسَ يَعْرِفُ طَيْبَ الْوَصْلِ صَاحِبُهُ حَتَّى يُصَابَ بِنَأْيٍ أَوْ يَهْجُرَ أُنَّ
وقال :

وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا فَهُوَ الَّذِي أَنْبَأَكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا
وقال :

سَمَّجَتْ وَنَهْنَاهَا عَلَى اسْتِنْمَاجِهَا مَا حَسَلَتْهَا مِنْ تَفْصِرٍ وَجَمَالٍ
وَكَذَلِكَ لَمْ تَفْرِطْ كِتَابَةً عَاطِلٍ حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالِي
وقال البحتري :

وَقَدْ زَادَهَا أَفْرَاطَ حُسْنِ جَوَارِهَا خَلَاقَ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيِّبِ
وَحُسْنِ دَرَارِي السُّكُوكِ كَأَنَّ تَرَى طَوَّالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْبِ

مَنْ نَفَعَهُ فِي أَنْ يَهَاجَ وَضَرَّهُ فِي تَرَكَه لَوْ تَطَّنُ الْأَعْدَاءُ (١)
 فَالْسَّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبَرُ الْمَيْجَاهُ (٢)
 يُعْطَى فَيُعْطَى مِنْ لَيْهِ يَدِهِ اللَّهُي وَتُرَى بِرُؤْيَةٍ رَأْيِهِ الْآرَاءُ (٣)
 مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقُوَى فَكَأَنَّهُ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ (٤)

يبد أن التني صرح بالمعنى وهو أن مجاورة المضادة هي التي تثبت حسن الشيء وقبحه (١) من بمعنى الذي بدل من الأول يقول : وهو الذي إذا هاجه أعداؤه واستاروه للحرب استباح أموالهم وحرعهم فانتفع بذلك وإذا تركوه لم ينتفع فاستضر بذلك فلوفطن أعداؤه لهذا منه لسأله فقتبوا إلى مضرتة .

(٢) السلم بفتح السين وكسرهما ضد الحرب ، والجناح بمعنى اليد والعضد استعاره للمال لأنه موطن القوة ، والنوال العطاء وما من قوله ما تجبر مفعول يكسر والجبر ضد الكسر والهيجاء من أسماء الحرب وهذا البيت مفرع على البيت السابق يقول : إنه في الحرب يأخذ مال أعدائه يعطيه عفاته في السلم وبذلك يكون السلم سبباً في نقص أمواله والحرب سبباً في توافرها ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

إذا ما أغاروا فاحتوا وأمال معشر أغارت عليه فاحتوته الصنائع

(٣) اللهي العطايا الجزيلة جمع لهوة بضم اللام وهي في الأصل القبضة من الجبوب يلقيها الطاحن في فم الرحي فشبهت العطية بها ، يقول : إنه يعطى عفاته العطاء الجزل الكثير حتى يعطوا غيرهم من هذه العطايا فيصير سائله مسئولاً وهو من جودة الرأي وسداده بحيث إذا نظر الناس إلى رأيه تعلموا منه سداد الآراء .

(٤) يقول : فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه فهو متفرق الطعمين مختلفهما فكأنه السراء والضراء ولكن مع ذلك مجتمع القوى غير متفرق العزائم فأفصاه تصدر عن عزم جميع ورأى مستحصد والتشبيه بالسراء والضراء في اللين والشدّة مترتب على المعنى الأول وأصل هذا المعنى للبيد :

مُنْقَرٍ مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَذْيَانِ حُلْوٌ كَالسَّلْمِ

« منقر أي مر » وقال النابغة الجعدي :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعْدَايَا

وَكَأَنَّهُ مَا لَا تَشَاءُ عُدَاتَهُ مُمَثِّلًا لِقُودِهِ مَا شَاءُوا^(١)
يَا أَيُّهَا الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذْ لَيْسَ يَأْتِيَهُ لَهَا اسْتِجْدَاءُ^(٢)
أَحْمَدُ عُنَاتِكَ لَا فُجِعْتَ بِمَقْدَمِهِمْ فَلَتَرَكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا إِعْطَاءَهُ^(٣)
لَا تَكْثُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةِ إِلَّا إِذَا شَقِيَتْ بِكَ الْأَحْيَاءُ^(٤)

وأخذه المسيب بن علس قال :

هُمُ الرِّبِيعُ عَلَى مَنْ صَافَ أَرْحَلُهُمْ وَفِي الْعَدُوِّ مَنَاكِيدٌ مَشَائِمُ
وقال علاثة :

وكنتم قديماً في الحروب وغيرها ميامين للأدنى لأعدائكم نُكْدُ

(١) ما ، في الشطرين موصولة وهي في الأول خبر كأن ، وممثلاً منصوب على المحاك يقول : وكأنه صور على ما يكرهه أعداؤه من إرغامهم ومعلمهم على الحمد حال تمثله لمن يقد عليه رجاء نواله كما يشاءون فيكون عند ظنهم به ويحقق آمالهم فيه .

(٢) المجدى عليه المعطى وروحه نائب فاعل المجدى والاستجداء الاستمطاء ، يقول يأمن روحه معطى له من العفاة إذ ليس يطلبها منه أحد منهم ، فكأنهم قد جادوا بها عليه ، يعنى أنه لو سئل روحه لبذله لتخرقه في الجود فإذا لم يسأل فكأنه وهب روحه وهذا من قول مسلم بن الوليد وضمنه أبو تمام إحدى قصائده .

ولو لم يكن في كفه غير رُوحِهِ لجلدَ بها فليتنقِ اللهُ سائِلُهُ

(٣) هذا البيت إتمام المعنى البيت قبله وتأكيده والعفاة جمع عاف وهو طالب العزوف وقوله لا فجت بفتح بتقديم دعاء له واللام في قوله فلتترك لام الابتداء ، يقول : اشكر هذا لعفاتك لا أجمعك الله بفتح تقديم لأنك تحب العطاء والسؤال . ويروى لا فجت بضمهم أى لا قطع الله شكرهم عنك

(٤) اضطربت أقوال الشراح في هذا البيت ، فذهب للمرى والواحدى إلى أن المعنى : لا تكثر الأموات كثرة يقل بها عدد الأحياء إلا إذا شق الأحياء بفضبك وتلك أيام فإذا غضبت عليهم وقتلتهم عصفت بهم فزدت في الأموات زيادة ظاهرة وتقص الأحياء تقصاً يئناً ، وإليك نص عبارة أبي العلاء : شقوا به أى قتله أيام وأن الأحياء إذا شقيت بك كثر الأموات وتلك الكثرة تؤدي إلى القلة ، إما لأن الأحياء يهلون بمن

وَالْقَلْبُ لَا يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّحْنَاءُ (١)
 لَمْ تُسَمَّ يَاهِرُونَ إِلَّا بَعْدَ مَا أَوْ تَرَغَتْ وَتَارَعَتْ اسْمُكَ الْأَسْمَاءُ (٢)
 فَفَدَوْتُ وَأَسْمُكَ فَيْكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءٌ (٣)

موت منهم وإما لأن اللبت يقل في نفسه ، وقال ابن جنى : شقيت بك أى شقيت بلفظك أى لا تصير الأموات أكثر من الأحياء إلا إذا مات للمدوح ، يقول : إنك نعمة على الأحياء وقددك شقاء لهم ، وهذا على حد قول القائل :

لَمَمْرُكَ مَا الرِّزِيَّةُ فَقَدْ مَالِ وَلَا شَاءَ تَمُوتُ وَلَا يَبِيرُ
 وَلَكِنَّ الرِّزِيَّةُ فَقَدْ شَخِصِ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ

ومنه قول الآخر :

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكُوكَ هَلَكُوكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمًا

ويكون قوله : كثرة قلة ، معناه أنك وإن كنت قليلا فى العدد فأنت كثير فى

القدر والشرف

(١) الشحنةاء العداوة ، قال ابن جنى : يريد ، لا يتصدع قلب أحد حتى يعاديك فيضمر لك العداوة فإذا تأمل ما جنى على نفسه من عداوتك انشق قلبه فمات خوفا وجزعا ، وقال الواحدى تعليقا على ابن جنى . ولم يفسر قوله عما تحته والمعنى عما فيه من الغل والحسد أى أنه وإن أضمر لك الغل والحسد لم ينشق قلبه فإذا أضمر لك العداوة انشق قلبه وبان أنه عدو لك ، والمعنى بعبارة أخرى : لا يضر القلب أمرا يتصدع به وينشق حتى تحمل عداوتك فيه . فإذا جلت ضاق بها وانشق عنها لشدة ماناله من الخوف والجزع .

(٢) اقرعت نساهمت ، يقول : تقارعت الأسماء عليك فكل اسم أراد أن تسمى به افتخارا بك وتشرفا فلم تسم بهذا الاسم حتى تقارعت الأسماء ، وقال للمرى : أراد بالاسم الصيت .

(٣) الواو فى قوله واسمك واو الحال وفيك صلة مشاوك . أى لم يشارك اسمك فيك اسما آخر إذ لا يكون للانسان أكثر من اسم ، والناس كلهم فى مالك سواء قد تساووا فى الأخذ منك لا تخص أحدا دون غيره بالعباءة . هذا قول الواحدى وغيره ، وقال

لَعَمَّتَ حَتَّى الْبَدَنُ مِنْكَ مِلاَهُ وَأَمَّتَ حَتَّى ذَا النَّسَاءِ لِقَاهُ (١)
 وَبُلِّدَتْ حَتَّى كِدَتْ تَبْخُلُ حَائِلًا لِلنُّنْهَى وَمِنْ السُّرُورِ بُكَاهُ (٢)
 أبدأتَ شَيْئًا مِنْكَ يُعْرَفُ بِدَوَاهُ وَأَعَدَّتْ حَتَّى أَنْكَرَ الْإِبْدَاهُ (٣)
 فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ وَالْمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَرَاهُ (٤)
 فَإِذَا سُلِّتَ قَلًا لِأَنَّكَ مُجُوجٌ وَإِذَا كُنِمْتَ وَشَتَّ بِكَ الْآلَاهُ (٥)

المعري : يريد بالاسم الصيت أى لم يشركك فى صيتك أحد ، يقال . فلان قد ظهر اسمه فى اناس أى صيته فذكره لا يشاركه فيه أحد وإنما مالك الناس فيه سواء غنيمهم وقيرهم (١) اللام فى لعمت واقعة فى جواب قسم محذوف على إضمار قد بعدها والمدن جمع مدينة وملاء جمع ملأى ومنك متعلق بملاء وقت تجاوزت وذا انتهاء أى هذا انتهاء واللقاء الحقيق الحسيس يقول : لقد عم برك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد وسبقت ثناء الثين عليك حتى أصبح هذا الثناء يد حقيرا فى جانب ما استحقه وهذا البيت يسمى مصرعا لأنه قفى فيه المصراع الأول كما يفعل فى أول القصائد .

(٢) حائلا متحولا ، والنهى أى لأجل الانتهاء ، ومن السرور خبر وبكاء مبتدا والجملة استئنافية يقول : ولقد بلغت من الجود أقصاه حتى كدت تتحول عن آخره حين تاهت إليه وتعود إلى البخل إذ ليس من شأنك أن تقف فى الكرم عند غاية وليس هناك جود بعد أن بلغت نهايته ، ومثل ذلك السرور إذا اشتد تحول إلى بكاء .

٣ أبدأت أحدثت وحدثت ، وأعدت كررت ، ومنك متعلق يعرف أو يبدؤه ، يقول : أحدثت من الكرم ما لا يعرف ابتداءه إلا منك لعظم بنا أئمت به ثم أتبع ذلك من الزيادة فيه بما عنى على الأول وأساءه لأنك فى كل وقت تخلق فنا من الكرم ينسب به الأول .

(٤) ناكب : عادل ، يقال . نكب عن الطريق إذا عدل عنه ، وبك متعلقة بنا كب أو بتقصير ، وبراه برىء يقع على الجمع والواحد والمذكر والمؤنث ، يقول : إن الفخر قد أعطاك مقادته وأركبك ذوته وبلغك غايته فلم يقصر بك عن غاية والمجد برىء من أن يستزيدك لأنك فى الغاية منه .

(٥) الوشى فى الأصل القيمة والمراد هنا دلت ، والآلاء انعم والعطايا وكتمت

وَإِذَا مَدَحْتَ فَلَا لِتَكْسِبَ رِفْعَةً
وَأِذَا مَطَرْتَ فَلَا لِأَنَّكَ مُجَدِّبٌ
لَمْ تَحْكِ نَائِكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا
لِلشَّائِكِرِينَ عَلَى الْإِلَهِ ثَنَاءٌ (١)
يُسْقَى الْخَصِيبُ وَتُمْطَرُ الدَّأْمَاءُ (٢)
مُحْتَمَةٌ بِهِ فَصَيَّبَهَا الرَّحْمَاءُ (٣)

حجبت ، يقول . إذا سئلت فليس لأنك أحوجت الناس إلى السؤال ولكن ذلك لكي تعرف تفاصيل حاجاتهم أو لكي يتشرفوا بسؤالك ، كما قال أبو تمام

ما زلت مُنتظراً أُعجوبة زمننا
حتى رأيتُ سؤالاً يُحتجى شرفاً
وإذا كنتُ أي حجبت عن أنظار الناس دلت عليك نعمك وصنائعك فصد
إليك العفاة كما قال :

من كان ضوءه جبينه ونوره
لم يُحجباً لم يُحجب عن ناظر

(١) الرفعة الاسم من الارتفاع والشكر عرفان الإحسان . وإن شئت قلت مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية فيثنى على النعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه موليا . وللشاكرين خبر مقدم وثناء مبتدأ مؤخر وعلى الإله متعلق بثناء ، يقول : ولقد بلغت من الرفعة غاية لا يزيدا مدح مادح ولكن تمدح لتعجز العفاة وليعد الشاعر في جملة مداحك كالمشاكركر لله تعالى يثنى عليه ليستحق أجراً ومثوبة لا أنه سبحانه محتاج إلى ثنائه .

(٢) الجذب المهل ضد الحصب . والدأماء البحر على فعلاء قال الأفوه الأودي

والليل كالدأماء مُستشعرٌ
من دونه لونا كلون السدوس (١)

يقول : إذا مطرت فليس ذلك لإجذاب محلك ولكن كما يمطر المكان الخصب والبحر وما غير محتاجين إلى المطر ومن هذا المعنى قول للعري .

وَالْبَحْرُ يُمْطِرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ
فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ

(٣) النائل العطاء ، والسحاب جمع سحابة وجمع السحاب سحب فيكون سحب جمع الجمع قال تعالى . «حق إذا أقلت سحاباً ثقلاً» والرحماء العرق أثر الحمى يقول : ليست تحكي السحاب بمائها عظامك للتابع فإنه أكثر من مائها وأغزر ولكنها تحت حسدا لك ، فما ينصب من مطرها إنما هو عرق حماها وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

(١) السدوس : الطيلسان

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بَوَجْهِ لَبْسٍ فِيهِ حَيَاةٌ (١)
فَبِأَيِّمَا قَدِيمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْفَلَا أَدُمُ الْهَيْلَالَ لِأَخْمَصِيكَ حِدَاةً (٢)
وَلَاكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وَقَايَةٌ وَلَاكَ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاةً (٣)
لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذْمِيكَ هُوَ عَقِمْتَ بِمَوْلِدٍ تَسْلِمُهَا حَوَاةً (٤)

إن السحاب لتستحي إذا نظرتُ إلى نَدَاكَ ففاسسته بما فيها
قال البديعون . وفي هذا البيت حسن التعليل لصفة لا يظهر لها في العادة علة وقد عللها
بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء المدوح ، ومن هذا الباب قول بعضهم .

رَأَى الزُّنُّ مَا تُعْطِي فَصَمَّ عَلَى الْأَسَى فَوَادَا كَأَنَّ الْبُرْقَ فِيهِ لَهِيْبُ
(١) يقول : لا حاجة إلى الشمس مع ضيائك ونورك ومن ثم كان طلوعها وقاحة
وقلة حياء منها ، واستعار للشمس وجها للمشاكلة .

(٢) الأدم . جمع أديم وهو ظاهر كل شيء ، والأخص باطن القدم ومارق من
أسفلها وتحافى عن الأرض وقيل خصر القدم وقد يراد بها انقدم كلها وقوله فبأيما قدم .
استفهام مضاء التعجب وما زائدة . يتعجب من سعيه إلى العلياء وبلوغه منها حيث لم يبلغ
أحد ، ثم دعا له بأن يكون وجه الهلال نلأ لقدميه . يعنى أن قدما بلغ سعيها هذا المبلغ
تستحق أن يكون الهلال نلأ لها

(٣) الحمام . الموت يدعوله ، يقول : ليكن الزمان وقاية لك من عواديه أى
لملك الزمان بها دونك وليجت الموت فداء لك من نفسه . وكل هذا كما ترى مبالغة
في الدعاء .

(٤) اللذ : لفة في الذى وتسكن الواو من هو ضرورة ، أو على لفة ، والعقم عدم الولد
يقول : لو لم تكن من هذا الورى الذى كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأفضل أهله
لكانت حواء في حكم العقيم التى لم تلد ولكنها بك صارت ذات ولد ، والشطر الأول
ردى . ولكن الثانى جميل على أنه يلاحظ أن التنبى يخاطب - كما أسلفنا - رجلا يذهب
مذهب الصوفية .

وغنى المغنى في دار الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج فأحسن فقال:

مَاذَا يَقُولُ الَّذِي يُفَنِّئُ يَا خَيْرَ مَنْ تَحْتِ ذِي السَّمَاءِ (١)

شَقَلَتْ قَلْبِي بِلِحْظِ عَيْنِي إِلَيْكَ عَنْ حُسْنِ ذَا الْغِنَاءِ (٢)

وبنى كافور داراً بإزاء الجامع الأعلى على البركة ، وطالب أبا الطيب

بذكرها فقال :

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدِّي مِنْ الْبَمْدَاءِ (٣)

وَأَنَا مِنْكَ لَا يَهْنِي عَضْوُ بِالْمَسْرَاتِ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ (٤)

مُسْتَقِلٌ لَكَ الدِّيَارَ وَلَوْ كَأَنَّ نَجُومًا آجُرُهُ هَذَا الْبِنَاءِ (٥)

وَلَوْ أَنَّ الَّذِي يَنْجُرُ مِنَ الْأَسْرَاهِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ (٦)

أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تَهْنِي بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ (٧)

(١) و (٢) الاستهتام للتعجب ، وذى السماء أى هذه السماء ، يقول : لا أدرى

ما يقول هذا التهنئ لأن قلبى وجوارحى مشتغلة بك وبالنظر إلى حسنك عن حسن

غناء هذا التهنئ

(٣) و (٤) يدنى من الدنو أى يقرب ، وأنا منك مبتداً وخبر ، ولا يهني عضو

كلام مستأنف يقول : إنما يهني الرجل نظراؤه والذين يتقربون إليه من الأجانب وأنا

منك ، أى أنا وأنت كإنسان واحد وإذا ألم بإنسان فرح وعراه سرور اشتركت في ذلك

جميع أعضائه فلم يهني بعضها بضا . قال الواحدى : وهذا طريق التهنئ يدعى لنفسه

المساهمة والكفاءة مع المدوحين في كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدرى

لم احتمل ذلك منه ؟

(٥) و (٦) مستقل خبر مبتداً محذوف . أى أنا مستقل ، ويروى أستقل والآجر .

الطوب المشوى ، ويحجر . من خري الماء ، يقول : أنا أستقل لك الديار وإن بنيت

بالنجوم بدل الآجر — ولو أن الماء من فضة ، وذلك لرفة قدرك وعلو شأنك .

(٧) محلة أى منزلة تميز ، وأن تهني ، في موضع نصب بإسقاط حرف الجر أى من أن تهني

وَلَكَ النَّاسُ وَالْبِلَادُ وَمَا بَنَرَاحُ بَيْنَ النَّبَرَاءِ وَالْحَضْرَاءِ (١)
وَبَسَاتِينِكَ الْجِيَادُ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ سَمَّهِرِيَّةٍ سَمَاءِ (٢)
إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمَسِكِ بِمَا يَبْتَنِي مِنَ الْعِلْيَاءِ (٣)
وَبِأَيَامِهِ الَّتِي أَنْسَلَخْتَ عَنْهُ وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ (٤)
وَبِمَا أَثَرَتْ صَوَارِمُهُ الْيَبِيضُ لَهُ فِي جَمَاجِمِ الْأَعْدَاءِ (٥)
وَبِمَسِكَ يُكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالْمَسِكِ وَلَكِنَّهُ أَرْبِجُ النَّسَاءِ (٦)
لَا بِمَا يَبْتَنِي الْحَوَاضِرُ فِي الرِّبِّ فِ مِ وَمَا يَطْبِي قُلُوبَ النَّسَاءِ (٧)

(١) و (٢) النبراء : الأرض . والحضراء : السماء . وفي الحديث : ما أقلت النبراء ولا أطلت الحضراء أصدق لهجة من أبي نذر . والسهمرية . الرماح يقول : أنت أعلى منزلة من أن تنها بمكان والبلاء كلها والناس وكل ما بين السماء والأرض ملك لك ونزعتك إنما هي الخيل وما تحمله من الرماح فهي بساتينك . جعل الرماح على الخيل كالحمل على الشجر .

(٣) يقول : إنما غفره بما يبتني من العلياء ، لا بما يبتني من الدور كما قال :

بَنَى الْبِنَاءُ لَنَا مَجْدًا وَمَكْرَمَةً لَا كَالْبِنَاءِ مِنَ الْأَجْرِ وَالطَّيْنِ

قالوا : والعلياء إذا فتحت عينها مدت ، وإذا ضمت قصرت .

(٤) و (٥) وبأيامه . عطف على قوله بما يبتني ، وكذلك قوله وبما أثرت ، وانسلخت مضت ؛ والهيجاء الحرب ؛ والصوارم السيوف . يقول : إنما غر أبي المسك بما يبتني من العلياء وبأيامه التي مضت والمعروفة بالفتوح وقتل الأعادي ، ولم يكن له إذ ذلك دار إلا ساحة الحرب ، وبها شاد عزه وعلياه .

(٦) وبمسك . عطف كذلك على بما يبتني . ويكنى به صفة مسك ، وليس بالمسك صفة أخرى ؛ والأربيج فوحان الطيب . يقول : وإنما يفخر بالمسك الذي يكنى به والذي ليس هو المسك المعروف ، وإنما هو كناية عن طيب النساء والذكر الجميل والصيت الحسن . « هذا » وهو معلوم أن كافور الأخشيدي كان يقال له أبو المسك .

(٧) يبتني الحواضر . أي أهل الحواضر ، جمع حاضرة ، خلاف البادية . والريف .

نَزَلَتْ إِذْ نَزَلَتْهَا الدَّارُ فِي أَحْسَنَ مِنْهَا مِنَ السَّنَاءِ وَالْمَنَاءِ (١)
 حَلَّ فِي مَنبَتِ الرِّيَّاحِينَ مِنْهَا مَنبَتُ الْمَسْكُومَاتِ وَالْآلَاءِ (٢)
 تَفْضَحُ الشَّمْسُ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ بِشَيْءٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاهُ (٣)
 إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لَضِيَاءُ يُرَى بِكُلِّ ضِيَاءٍ (٤)
 إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَضَاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ ابْيَضَاضِ الْقَبَاءِ (٥)

المكان الحصب الكثير الزرع والحضرة . ويطي . يستميل . قال كبير .

لَهُ نَقْلٌ لَا يَطَّيُّ الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَسْطَ الْجَالِسِ شَمَّتِ

« يعنى كثير أنها من جلد مدبوغ طيب الريح . والعمل يسكون العين مؤتمة ؛
 ولكن كثيرا فتحها لا افتتاح ما قبلها . أى إن حركتها حركة إجماع » يقول المنفى :
 إنما يفتخر أبو المسك بما تقدم من ابتناء العلياء وقتل الأعسداء . ويطيب التناء ، لا بما
 يبتنى المتحضرون من المنازل ولا بالمسك الذى يستميل قلوب النماء

(١) السناء ، المقصور : الضوء والنور . والمدود الثرف والرفعة ؛ يقول : إن هذه
 الدار حين نزلتها نزلت منك فيمن هو أفضل منها رفعة ونورا ، فكأنك أنزلت الدار
 في دار أجل منها وأجل : أى تجملت بك هذه الدار وتزينت بقربك .

(٢) الرياحين : جمع ريحانة ، والريحان كل نبت طيب الريح من
 أنواع السموم ؛ والآلاء : النعم ، والمعنى ظاهر .

(٣) ذرت الشمس : بدت أول طاعها . قال الواحدي : يريد أنه في سواده مشرق
 فهو يشرقه في سواده يفضح الشمس ، يجوز أن يريد شهرته وأنه أشهر من الشمس
 ذكرآ . أو يريد . تناءه من العيوب ، ويقال للشهور : منير ولتنق من العيوب منير ؛
 ويدل على صحة ما ذكر البيت التالى .

(٤) أخبر أنه أراد بإنارته ضياء المجد ، وضياؤه شهرته وتقاؤه عما يلج به . وأن
 ذلك الضياء أتم من كل ضياء ، فهو زرى : أى يستترين بكل ضياء .

(٥) القباء : الثوب ، يقول : إنما الجلد بمنزلة اللباس فلا قيمة لبياضه وإنما المولى
 عليه يياض النفس وتقاؤها من العيوب ، وهذا المعنى ينظر إلى قول سحيم عبد بن
 الحساس :

كِرْمٌ فِي شَجَاعَةٍ وَذَكَرَهُ
 مَنِ لَبِيسِ الْمُلُوكِ أَنْ تُبَدِّلَ اللَّوْنُ
 فَتَرَاهَا بَنُو الْحُرُوبِ بِأَعْيَانِ
 يَا رَجَاءَ الْعَيْونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ
 وَلَقَدْ أَفْنَتِ الْمَفَاوِزُ خَيْبِلِي
 فَارَمَ بِي مَا أَرَدْتَ مِنِّي فَأَنِي
 وَفَوَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا
 فِي بَهَاءٍ وَقُدْرَةٍ فِي وَقَاءٍ (١)
 نَ بِلَوْنِ الْأَسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ (٢)
 نِ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللَّقَاءِ (٣)
 لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي
 قَبْلَ أَنْ نَلْشَقِي وَزَادِي وَمَائِي (٤)
 أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِي الرَّوَاهِ (٥)
 نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّمْرَاءِ (٦)

إن كنت عبداً فنفسي حرة كرمياً أو أسود اللون إني أبيض الخلق

(١) أي لك كرم في شجاعة الخ . يقول : إنك كريم شجاع ، ذكي الطبع ، بهي النظر ، فوقدرة على ما تريد ، واف بالعهد والوعد فيما تقول .
 (٢) و (٣) السحناء : السحنة أي النظر والهيئة ، والأعيان : من جموع العين كطير وأطياف ؛ وفي أكثر الكلام عيون وأعين . يقول : إن الملوك البيض الألوان يودون أن تبدل ألوانهم بلونك وسحنتهم بسحتك ليرام أهل الحرب بالعيون التي يرونك بها وذلك أن الأسود مهيبة في الحرب ولا يظهر عليه أثر الخوف ولكن من يكفل لهم بهذه الأمنية ؟

(٤) المفاوز : الصحراوات المهلكة ؛ وصيت مفازة على سبيل القائل بالسلامة كما قيل للديع سليم . يقول : لقد أفنت المفاوز — التي جبتها إليك — خيلى وزادى ومائى . يذكر طول الطريق إليه وأنه صمد إليه من شقة بييدة :
 (٥) و (٦) الرواه : النظر والشارة . يقول : استكفني ما شئت من أي أمر عظيم تقذف بي إليه فإن قلبي قلب الأسد شجاعة وإن كنت آدمي الصورة وفوادي فؤاد الملوك عزماء ورأيا ودهاء وإن كان لساني لسان شاعر . قيل : إن أبا الطيب يقصد بهذا التعريض إلى طلب ولاية من كافور ، وقالوا : إنه لما أنشده هذه القصيدة أقسم له أن يلقه ما في نفسه .

وقال يذكر خروجه من مصر وما لقي في طريقه ويهبجو كافورا:

ألا كل ماثية الخيزلي فدا كل ماثية الهيدبي (١)
وكل مجاوة بجاوية خنوف وما بي حسن المشي (٢)

(١) الخيزلي : مشية للنساء فيها استرخاء وتناقل وتفكك . قال الفرزدق :

حوارية تمشي الضحى مرجحة وتمشي المشي الخيزلي رخوة اليد (١)

والهيدبي : ضرب من مشي الخيل فيه جد وسرعة ، من قولهم أهدب الظلم إذا أسرع . يقول : فدت كل امرأة تمشي الخيزلي كل فرس تمشي الهيدبي : يريد أنه ليس من أهل الغزل والعشق والتشبب بالنساء وإنما هو من أهل السفر . ومن ثم كان مولعا بالخيول ، وهذا من قول أبي تمام :

يرى بالكعاب الرود طلعة نائر وبالعزميس الوجناء غيرة آيب (٢)

(٢) وكل : عطف على كل ماثية الهيدبي . والنجاة : الناقة السريعة تنجو بمن ركبا قالوا: ولا يوصف بذلك البعير . ومجاوية : منسوبة إلى مجاوة وهي أرض بالنوبة تعرف نوبها بالسرعة ، وقيل : قبيلة من البربر تنسب إليها هذه النوق قال الطربائح :

بجاوية لم تستدز حول مشير ولم يتخون درها صب آفن (٣)

(١) حوارية يريد الشديدة البياض انقية ، ومرجحة : يريد سميحة ثقيلة فإذا مشت تقيأت في مشيتها . ورخوة اليد : أي مرسلتها ومن أمثال العرب : أرخ يدك واسترخ إن الزناد من مرخ ، يضرب لمن طلب حاجة إلى كريم يكفيك عنده اليسير من الكلام (٢) الكعاب : الجارية الناهد : والرود: الشابة الحسنه الشباب، والفرمس : الناقة الصلبة، والوجناء : الناقة العظيمة الوجنتين أو العظيمة :

(٣) المثبر : مثال المجلس الموضع الذي تلد فيه الناقة من الأرض وكذلك المرأة وأكثر ما يقال في الإبل ؛ ومشر الناقة أيضا حيث تنحر والتخون : انتقص ، والآفن : الذي يحلب الناقة في غير وقت الحلب ، أو الذي يستخرج جميع ما في ضرعها ، والدر اللبن ، وضب الناقة : حلبها بالكف .

قالوا: وكان أهل بجاوة هذه يتطاردون على النوق في الحروب وغيرها ، وكانت النوق تمنطف معهم كيما أرادوا ، فإذا وقعت الحرب في رمية عطف الناقة إليها فأخذها ، وإن وقعت في غير رمية عطفها إليها فأخذها فكانت نوقهم تمنطف معهم حيث أرادوا .

حكى ابن جنى عن التنبي قال : يرى الرجل من أهل بجاوة بالحربة فإذا وقعت في الرمية طار الجمل إليها حتى يأخذها صاحبها .
ويقال : خنف البعير في مشيه إذا سار قلب خف يده إلى وحشيه وناقة خنوف قال الأعشى :

وَأَذْرَتْ بِرِجْلَيْهَا النَّبْيَ وَرَاجَعَتْ
بِدَاهَا خِنَافًا لَيْتًا غَيْرَ أَحْرَدًا^(١)

وقال في الصحاح : خنف البعير يخنف خنفا وخنافا . لوى أتمه من الزمام ، والخناف الذى يميل رأسه إلى الزمام ويفعل ذلك من نشاطه ومنه قول أبي وجزة :

قَدْ قُلْتُ وَالْعَيْسُ النَّجَائِبُ تَفْتَلِي
بِالْقَوْمِ عَاصِفَةً خَوَانِفَ فِي الْبَرَى^(٢)

والخنوف من الإبل اللينة اليدين في السير والشئ جمع مشية كسدره وسدر يقول : لا أنظر إلى حسن متى النساء وما بي شهوة إلى ذلك وإنما نزاعى ويميل إلى كل ناقة خفيفة المشى ، أو تقول : إن قوله وما بي حسن المشى كالأستدراك على قوله خنوف أى لست أصفها بالخنف استحسانا لمشيها لأنى لست أنظر إلى حسن المشى ولكنى أستعين بها على نيل الرغائب يدل على ذلك البيت التالى .

(١) يقال بعير أحرد وناقة حرداء ، وذلك أن يسترخى عصب إحدى يديه من عقال أو يكون خلقه حتى كأنه ينفصها إذا مشى .

(٢) البرى : جمع برة ، وهى الحلقة فى أنف البعير واغتلت الدابة فى سيرها ارتفعت فجاوزت حسن السير .

وَلَكِنَّهُنَّ حِجَالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى^(١)
 ضَرَبْتُ بِهَا التِّيَةَ ضَرْبَ الْقِمَا رِيًّا لِهَذَا وَإِمَّا لِنَا^(٢)
 إِذَا فَرَعَتْ قَدَمَهَا الْجِيَادُ وَبِيضُ السُّيُوفِ وَسُمْرُ الْقَنَا^(٣)
 فَمَرَّتْ بِنَخْلِ وَفِي رَكَبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غَنَى^(٤)
 وَأَمَسَتْ تَخَضُّرَنَا بِالنَّقَا بِ وَادِي الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى^(٥)

(١) العداة : الأعداء ، والميط : الدفع . يقول : لست آبه للشئ سواء أكان مشى نساء أم مشى إبل ، ولكن ولوعى بالإبل إنما هو لأنها حبال الحياة يتسبب بها إلى الرزق والخروج من المهالك ، وبها تكاد الأعداء ويدفع الأذى .

(٢) اتية : هناتيه بنى إسرائيل ، وهو الذى بين القارم وأيلة ، وهو الذى سلكه حين هرب من مصر إلى العراق ، والإشارة إلى الفوز والهلاك . يقول : ضربت بها انفلاة مخاطرا كما يضرب المقامر بالسهام وهو لا يدري ما يقسم له من غم أو غرم ، كذلك أنا سلكت بناقى انفقار ملقيا بنفسى بين انفوز وبين الهلاك . فالعاقبة إما هذا وإما هذا .

(٣) قدمتها : أى تقدمتها . وقوله بيض السيوف وسمر القنا ، من المقابلة الجميلة ، يقول : إذا فزعته هذه الناقة تقدمتها الخيل — لأنهم كانوا يحبون الخيل ويركبون الإبل ، فاذا لاقوا الأعداء ركبوا الخيل — فإذا كان هناك ما يخيفها تقدمنا بالخيل وبالسيف والرمح للذود عنها .

(٤) نخل : ماء معروف ، يقول : فمرت ناقتى بهذا الموضع وفى ركبائها — يعنى نفسه وأصحابه — غنى عن العالم : أى عن خفارة أحد ، لأنهم يخفرون أنفسهم بسلاحهم ، وغنى عن هذا الماء لأنهم ذوو جلد وصبر ولا يبألون الظمأ .

(٥) النقاب : موضع يتشعب منه طريقان ، طريق إلى وادى المياه ، وطريق إلى وادى القرى . ونامن تخيرنا مفعول أول ، ووادى المياه : مفعول ثان ، وأسكن الياء ضرورة ، يقول : لما بلغنا النقاب قدرنا السير ، إما إلى وادى المياه ، وإما إلى وادى القرى ، فجعل هذا التقدير منهم كأن الإبل خيرتهم فقالت : إن شئتم سلكتم هذا الطريق وإن شئتم سلكتم الطريق الآخر ؛ وهذا على المجاز والانتساع ، قال العكبرى : وقيل

وَقُلْنَا لَهَا أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ فَقَالَتْ وَتَحْنُ بَيْرَبَانَ هَا (١)
 وَهَبْتَ بِحَسْمَى هُبُوبَ الدَّبُورِ مُسْتَقْبِلَاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا (٢)
 رَوَى الْكِفَافِ وَكَبِدِ الْوَهَادِ وَجَارِ الْبُورِيَّةِ وَادِي الْغَضَى (٣)
 وَجَابَتْ بِسَيْطَةَ جُوبِ الرِّدَا ۚ بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا (٤)

في التخيير تأويلان : أحدهما أن الهوادي من الحيل والإبل إذا وصلت مفرق طريقين تلفتت إليهما لتؤذن بالحث على سلوك أحدهما ، وهذا كأنه تخيير ؛ والثاني : أنه على سبيل المجاز ، كما قيل :

* يشكو إلى جلي طول الشرى *

لم يرد حقيقة الشكوى ، وإنما أراد صار إلى حال يشكى من مثلها .

(١) تربان هنا : موضع يبعد عن المدينة نحو خمسة فراسخ ؛ وها : حرف تنبيه ، يقول : وقلنا للإبل أين أرض العراق ؟ — لأننا كنا نريدها — فقالت — ونحن بتربان — ها هي ذه : أي دانية ، يريد أن هذه الإبل سريعة قوية على السير إلى حد أن هذه المسافة المترامية ليست في نظرها شيئاً مذكوراً ، وقال ابن جنى : تربان من أرض العراق .

(٢) هبت : أي الإبل ، يريد نشطت في سيرها ، شبه العيس بالريح على وجه الاستعارة لأنها أقبلت من المغرب إلى المشرق كما تقابل الدبور الصبا ، لأن الدبور تهب من الغرب ، والصبا تقابلها من مطلع الشمس ، وحسمى : موضع بالبادية ، يقول : وهبت في هذا الموضع هبوب الريح الغربية مستقبلة جهة الشرق .

(٣) روى : أي قواصد ، حال من ضمير النوق ، وأسكن الياء ضرورة ؛ وهذه كلها أسماء مواضع ، ووادي الغضى : بدل من جار البويرة ، يقول : إن وادي الغضى جار للبويرة قريب منها .

(٤) بسيطة موضع بين الكوفة ومكة من أرض نجد ، وجابت : قطعت والمها : بقر الوحش ، يقول : وقطعت النوق هذا الموضع كما يقطع الرداء ، سأرة بين النعام والمها ، لأنها مواضع خالية من الأناسي ، ومن تألفها الوحوش .

إِلَى عُقْدَةِ الْجُوفِ حَتَّى شَفَّتْ بِمَاءِ الْجُرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَى (١)
 وَلَا حَ لَهَا صَوْرٌ وَالصَّبَاحَ وَلَا حَ الشَّفُورُ لَهَا وَالضُّحَى (٢)
 وَمَسَى الْجُمَيْمِيِّ دِنْدَاؤُهَا وَغَادَى الْأَضَارِعَ ثُمَّ الدَّنَا (٣)
 فَيَالِكَ لَيْلًا عَلَى أَعْكَشٍ أَحَمَّ الْبِلَادِ خَفِيَ الصَّوَى (٤)
 وَرَدْنَا الرَّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى (٥)

(١) عقدة الجوف : مكان معروف . والجراوى : منهل . قال الشاعر :

أَلَا لَا أَرَى مَاءَ الْجُرَاوِيِّ شَافِيًا صَدَاىَ وَإِنْ رَوَى غَلِيلَ الرَّاكِبِ
 والصدى : العطش . يقول : جابت النياق بسيطة إلى عقدة الجوف حتى شفت
 عطشها بماء الجراوى .

(٢) قال الواحدى : صور اسم ماء ، والصحيح أنه صورى . ذكر ذلك أبو عمرو
 الجرمى ، والشفور : موضع بالسماوة قال المكبرى : هو موضع بالعراق ، تقول العرب :
 إذا وردت شغوراً فقد أعرت ؛ ثم قال : وهو مشتق من قولهم بلاد شاغرة ، إذالم
 يكن لها من يحمها ، والصبح والضحي : إما منصوبان على معنى العية ، وإما مرفوعان
 على أنهما معطوفان على ما قبلهما ، يقول : وظهر لها صور مع وقت الصباح ، وظهر لها
 الشفور مع وقت الضحي .

(٣) الجميى والأضارع والدنا : مواضع . والدنداء : سير سريع أرفع من الحجب
 يقول : لما كان وقت المساء بلغ سيرها الجميى ، وفي العداة بلغ الأضارع والدنا .
 (٤) أعكش : موضع قرب الكوفة ، وأحم وخفي : صفتان لليلا ، وليلا تميز ؛
 وبالك تعجب ، والأحم : الشديد السواد ، والصوى : أعلام من حجارة تنصب في
 الطريق ليتهدى بها ؛ يتعجب من شدة ظلام الليل على هذا المكان حتى اسودت البلاد
 وخفيت أعلام الطريق .

(٥) الرهيمه : موضع قرب الكوفة . والجوز في الأصل : الوسط ؛ والمراد به هنا
 صدر الليل لقوله : وبقية أكثر ؛ والضمير في الموضعين لليل ، يقول : وردنا هذا المكان
 صدر الليل وبقية أكثر مما مضى منه ، وقال بعضهم : ضمير جوزه لأعكش ، والرهيمة

فَلَمَّا أُنْخِنَا رَكَّزْنَا الرِّمَاءَ حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالْمَلَأَ (١)
 وَبَدَّنَا نُقَبْلُ أَسْيَافَنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا (٢)
 لَتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى (٣)
 وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا (٤)
 وَمَا كَلُّهُ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى وَلَا كَلُّهُ مَنْ سِيمَ خَسَفًا أَبِي (٥)

ماء وسط أعكش : أى وردنا هذا الماء « رهيمة » وسط هذا المكان « أعكش » وقد بقى من الليل أكثر مما مضى منه . وقال الخطيب البريزي : بعض من لا علم له بالعربية يظن أن هذا البيت مستحيل ؛ لأنه يوم أنه لما ذكر الجوز وجب أن تكون القسمة عادلة في النصفين ، وليس الأمر كذلك ولكنه جعل ثلث الليل الثانى كالوسط وهو الجوز ثم قال : وباقيه أكثر ، كأنه ورد ، والثلث الثانى الذى كالوسط ، وهو الجوز قد مضى ربهه وبقى ثلاثة أرباعه ؛ وهذا أبين وأوضح ، ويجوز أن يكون الضمير فى باقيه ليل أو للجوز .

(١) يقول : لما ألقينا عصا التسيار واستقر بنا النوى فى الكوفة وأنخنا ركبنا بها وركزنا الرماح — شنشنة من يترك السفر — كانت رماحنا مركوزة فوق مكارمنا وعلانا لما كان منا من فراق الأسود « كافور » وقتال من قاتلنا فى الطريق وظفرنا بمن عادانا ، فكل هذا مما يدل على المكارم والملاظفرت مكارمنا بما فعلنا ، فكأننا نزلنا عليها .

(٢) يقول : بتنا نقبل أسيفنا لأنها أظفرتنا بأعدائنا ونجتنا من المهالك فجدير بها أن تقبل وترفع فوق الرؤوس . ويروى بدل بتنا ثبنا ، أى رجنا قبل الح .
 (٣) لتعلم مصر : أى أهل مصر . والعواصم : بلاد قصبها إنطاكية ، وهى من حلب إلى حماه . وآل فى الفتى للاستفراق . أى الكامل الفتوة .

(٤) وفيت ، أى لسيف الدولة إذ رجع إليه ، أو تقول : وفيت أى بماقلته من أنى سأترك مصر على رغم كافور وهذا هو الأظهر . وأبيت . أى ضم كافر ؛ وعتوت . أى تجبرت على من تجبر على .

(٥) ساهه الأمر : كلفه إياه أو أكرهه عليه . والحسف : الضمير والذل ؛ وسامه خسفا : أذله .

وَلَا بَدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأَى يَصَدُّعُ صُمَّ الصَّفَا^(١)
 وَمَنْ يَكُ قَلْبُ كَقَلْبِي لَهُ يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى^(٢)
 وَكُلُّ طَرِيقٍ أَنَاةُ الْفَتَى عَلَى قَدَرِ الرَّجُلِ فِيهِ الْخَطَا^(٣)
 وَنَامَ الْخَوِيدِمُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمَى لَا كَرَى^(٤)
 وَكَانَ عَلَى قُرْبِنَا يَبِينَنَا مَهَامِيهِ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى^(٥)
 لَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَصِيِّ أَنَّ الرَّبُّوسَ مَقَرُّهُ النَّهَى^(٦)
 فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ الثَّمَمَ كُلَّهَا فِي الْخَصِيِّ^(٧)

(١) يصدع صم الصفا . يشق الحجارة القوية وينفذ فيها ، وآلة القلب العقل وما يستتبعه من الرأي والعزم والأناة . يقول : لا بد للقلب من عقل يستظهر به ورأى ماض يصدع به الأحداث والكروب ، ولو تضامت تضام الصخر . (٢) التوى الهلاك وأصله هلاك المال يقال : توى ماله إذا هلك واستعار للتوى قلبا ليقابل بين قلبه وقلب التوى يقول : ومن له قلب كقلبي في الإقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك ويغوض شدائده حتى يصل إلى العز . (٣) يقول : وكل طريق يسلكه الإنسان تتسع خطواته فيه بمقدار طول رجليه ؛ وهذا مثل معناه على قدر همة الطالب يكون سعيه . وخص الرجل من بين الأعضاء لذكره الخطا . جمع الخطوة - بضم الحاء - وهي ما بين القدمين

(٤) الخويدم : تصغير خادم ، يريد كافورا . والكرى : النوم والنماس . يقول : نام كافور عن ليلنا الذي خرجنا فيه من عنده ، وكان قبل ذلك نأتما غفلة وعمى ولم يك نأتما النوم المعروف ، وهذا كقول الآخر :

وَحَبَّرَنِي الْبَوَّابُ أَنْكَ نَائِمٌ وَأَنْتِ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَائِمٌ

(٥) مهامه : اسم كان ؛ وبيننا خبرها ؛ يقول : ولما كنت قريبا منه كان بيني وبينه مع هذا القرب صحراوات من جهله وعماه ، وبذلك كنت كأنتي بعيد عنه ؛ لأن الجاهل لا يزداد علما بالشيء وإن قرب منه

(٦) و (٧) انتهى : العقول ، جمع نهية ، سميت العقول كذلك لأنها تنهى عن كل

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبَكَاءِ^(١)
 بِهَا نَبِطِيٌّ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَاحِ^(٢)
 وَأَسْوَدٌ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَدْرُ الدَّجَى^(٣)
 وَشِعْرٌ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرَكَدْنَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرَّقَى^(٤)

ما هو قبيح يقول : كنت أظن قبل أن أرى كافوراً أن الرؤوس مقر العقول فلما رأيت عقله وما به من أفن عدلت عن ظني وقلت إن العقول كلها في الحصى ، فإنه لما حصى ذهب عقله وحمق .

(١) يتعجب مما رأى بمصر من العجائب التي تستدعي الضحك ، ثم قال : لكن ذلك الضحك كالبكاء ، كما قالوا : وشر البلية ما يضحك .

(٢) يبين ما بمصر من المضحكات ، والنبطى واحد النبط ، وهم جيل من العمم ينزلون البطائح بين العراقيين ، قال المعري :

أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْعَذَارَى إِذْ مَالَ مِنْ تَحْتِهِ الْغَيْبِطُ
 اسْتَنْبَطَ الْعُرْبُ فِي الْمَوَامِي بِمَدَكَ وَاسْتَعْرَبَ النَّبِطُ

والسواد سواد العراق ؛ والفلا : جمع فلاة ، والمراد بها البادية ؛ وأهل البادية هم العرب . قال الواحدى : يريد بالنبطى السوادى أبا انفضل بن حنزابه وزير كافور ، وقيل : أبا بكر المدرانى النسابة ، وذلك مضحك لأنه ليس من العرب وهو يعلم أنساب العرب

(٣) المشفر فى الأصل شفة البعير ، يقول : وبمصر أسود - يريد كافورا - عظيم الشفة حتى لكأنها قدز نصفه ، يموهون عليه ويشبهونه بالبدر ، والبدر هو ما هو جمالا وإشراقا ، والأسود هو ما هو قبحا وإظلاما ؛ ومع ذلك يصدقهم ويفتبط بتكذابهم .

(٤) الكركدن بتشديد الدال والعاملة - كما فى القاموس - تشدد انون : هو حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة ، قصير القوائم ، كثيف الجلد ، طلى أنفه قرن واحد ؛ ولبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ويسمى المرميس ، يقول : ورب شعر مدحت به هذا الأسود الذى يشبه الكركدن فى عظم الجثة وقلة الغناء والحير وهذا الشعر هو شعر من وجه ورقية أرقبه به وأحتال لأجلب ماله من وجه آخر .

فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوًا الْوَرَى^(١)
 وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَصْنَافِهِمْ فَأَمَّا بَرْقٌ رِيَّاحٌ فَلَا^(٢)
 وَتِلْكَ صُمُوتٌ وَذَا نَاطِقٌ إِذَا حَرَكَوهُ فَتَا أَوْ هَدَى^(٣)
 وَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^(٤)

وعاب قوم عليه علو الخيام ، فقال^(٥) :

لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عَلَاءٍ أَبَيْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الْإِبَاءِ^(٥)
 وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلثَّرِيَّاءِ وَلَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلسَّمَاءِ^(٦)

(١) قال ابن جنى : إذا كانت طباعه تنافى طباع الناس كلهم سفلا ثم مدح فذلك هجولم ؛ لأن فيه إرغامهم ومدحا لمن ينافى طباعهم . وقال غيره : يعنى لم يكن ذلك الشعر مدحا له ولكنه فى الحقيقة كان هجاء الخلق كلهم حيث أحوجوني إلى مثله .

(٢) يقول : قد ضل ناس بعبادة الأصنام لا اعتقادهم فيها أنها تنفع وتضر وهذا مشاهد ، وقد يكون أدنى إلى أن يعقل ولكن أن يضل ناس بزق ريبح - يعنى كافورا - وينقادوا إليه ويعظموه فذلك ما لم أره إلا فى مصر وأهلها - والزق أسود ، وإذا كان مملوءا ريحا فلا غناء فيه ومن هنا كان التشبيه

(٣) تلك : أى الأصنام ، وذا : أى زق الريح ، أى كافور

(٤) هذا هو بيت التصيد ، يقول : من لم يعرف قدر نفسه غرورا وإعجابا وذهابا بها خفيت عليه عيوبه ، فرأى الناس من عيوبه ما لا يرى واستبجوا منه ما استحسنت ، وإنه لبلاء عظيم . . .

* كان سيف الدولة قد نزل آمد فكثر المطر ودعا أبا الطيب فدخل عليه وهو على الشراب فقيل له : إنه قد عيب عليه قوله لسيف الدولة :

لَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ

لأن الخيام تكون فوق سيف الدولة فقال هذه الأبيات ارتجالا :

(٥) و (٦) يقول : إن الذين عابوا على هذا القول نسبوا الخيام إلى الرفعة والعلاء وما إلى هذا قصدت ؛ وإنى أبى ذلك كل الإباء لأنى لا أسلم بأن تكون الثريا والسما

وَقَدْ أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبْتَ رُبُوعَهَا ثَوْبَ الْبَهَاءِ (١)
تَنْفَسُ وَالْعَوَاصِمُ مِنْكَ عَشْرُ فَتَعْرِفُ طِيبَ ذَلِكَ فِي الْمَوَاءِ (٢)
وقال يهجو السامري (٣) :

أَسَامِرِيٌّ ضُحْكَةٌ كُلُّ رَأَى فَطِنْتَ وَأَنْتَ أَغْبَى الْأَغْيَاءِ (٣)

فوقك وهما ما هما علوا وارتفاعا ؛ فكيف أسلم بأن تكون الحيام فوقك ؟ يريد أن ريتك فوق كل شيء ؛ فليس ثم شيء يعلوك رتبة وقدرًا :

(١) يقول : لما زيلت الشام وفارقتها وأوحشتها فسلبتها بذلك ثوب الجبال الذي كانت تشتمل به بمقامك فيها ؛ فلما غادرتها غادرها جامها وأنسها .

(٢) يقول : إذا تنفست والعواصم على عشر ليالي منك عرف أهلها والقيمون بها طيب نفسك في الهواء وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي عينة :

تَطِيبُ دُنْيَانَا إِذَا مَا تَنْفَسْتُ كَأَنَّ قَتِيتَ الْمِسْكَ فِي دُورِنَا هَبًّا

وتنفس — بحذف إحدى التائين — أى تنفس ، والعواصم بلاد منها حلب وفسرين وإنطاكية وهى عاصمتها سميت كذلك لأنها كانت تصمم أهلها بما عليها من الأسوار . وقوله منك عشر : أى على مسيرة عشر ليال .

• أنشد المتنبي سيف الدولة يوما قوله :

واحرّ قلباه ممن قلبه شميم

وانصرف ؛ فاضطرب المجلس ؛ وكان فيه بنطى من كبار كتابه يقال له أبو الفرج السامري فقال لسيف الدولة : ألقه فأخذ لك رأسه ؛ فقال المتنبي هذه الأبيات يهجو بهما .

(٣) يقول : يا سامري يامن يضحك منه كل من رأى كيف فطنت إلى ما أنشدته وأنت أغبى الأغبياء ، والسامري نسبة إلى سامري بلد بناه المعتصم قرب بغداد ، وكان لما أخذ في بنائه ثقل ذلك على عسكره فقالوا ساء من رأى فلما انتقل بهم إليها سر كل منهم برؤيتها ، فقيل سر من رأى ، ثم حرف اللفظان على السنة العامة سامرا وسمرى والضحكة : الذى يضحك منه ، أما الضحكة بفتح الحاء فهو الكثير الضحك .

صَفَرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتُ أَهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَفَرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ (١)
وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ وَلَا جَرَّبْتُ سِنِّي فِي هَبَاءِ (٢)

(١) يقول : حين وجدت نفسك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لاتدرى أنك كذلك أحقر من أن تهجى ، لأن مثلك لا يأبه له الشعراء ولا يروونه أهلاً حتى للهجاء .

(٢) المحال : ما عدل به عن وجهه يقول : وكيف يخطر لي أن أهجوك وما فكرت قبلك في باطل حتى أكثرته له ، أى ماهجوت قبلك مثلك ولا حاك في صدري ذلك ، وهل يليق بمثلى أن يجرب سيفه في قطع الهباء ؟ ! وأحسب هذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

أما الهجاء فدقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ والمدحُ فيكَ كما علمت جليلُ
فأذهبْ فأنْتَ طليقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذليلُ

وقول الآخر :

قَلَّ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْى تَشَا وَأَبْرَقَ يَمِينًا وَأَرْعَدَ شِمَالَا
نَجَا بِكَ لَوْمُكَ مَنْجَى الذُّبَابِ حَمَتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يَنَالَا

وقول بعضهم :

إِنى لأكرم نفسي أن أكلفها هجاء جرمٍ وما يهجوم أحد
ماذا يقولُ لهم من كان هاجيهم لا يبلغ الناسُ ما فيهم وإن جهدوا

قافية الباء

وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره إلى الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف

بالشديين :

لَعَيْنِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ تَحَيَّرُ مِنْهُ فِي أَمْرِ عُجَابٍ (١)
حَمَالَةٌ ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابٍ (٢)

وزاد المطر فقال :

تَجِفُّ الْأَرْضُ مِنْ هَذَا الرَّبَابِ وَيَخْلُقُ مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابٍ (٣)
وَمَا يَنْفَكُ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا وَلَا يَنْفَكُ غَيْثُكَ فِي أَنْسَابٍ (٤)
تُسَايِرُكَ السَّوَارِي وَالْعَوَادِي مُسَايِرَةَ الْأَحْبَاءِ الطَّرَابِ (٥)
تُفِيدُ الْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ وَتَفْجِزُ عَنْ خِلَاتِكَ الْعِدَابِ (٦)

(١) و (٢) يقول : ترى عيناى منك كل يوم شيئا عجيبا تتحير منه . وذلك أنى

أرى سيفا يحمل سيفا وسحابا يمطره سحاب ، والحالة التى يحمل بها السيف ، والحسام الأول هو السيف ، والثانى هو سيف الدولة .

(٣) و (٤) الرباب السحاب الأبيض ويخلق يرث ويلى . يقول : أنت أفضل من

السحاب لأن الأرض تجف من مطر السحاب وثيابها التى كساها بها الغيث وهى نبات الأرض تبلى - وذلك عند هيجه - ولكن ذكرك لا ينفك الدهر رطبا به فأنت خالده وجودك دائم الانسكاب لا ينقطع وقال الواحدى : يريد برطوبة الدهر لينه وسهولته والمعنى يطيب عيش أهل الدهر بك فكأن الدهر رطب يتقاد ويلين لهم كما قال البحرى :

أشرفن حتى كاد يَحْتَبِسُ الدَّجَى وَرَطْبُنَ حَتَّى كَادَ يَجْرَى الْجَنْدَلُ

فجعل الصخر يكاد يجرى لينه برطوبة الزمان .

(٥) و (٦) السوارى السحب السارية ليلا ، والعوادى السحب المنتشرة

وأمره سيف الدولة بإجازة هذا البيت :

خَرَجْتُ غَدَاةَ النَّفْرِ أَعْتَرَضُ الدُّمَى فَلََمْ أَرِ أَحْلَى مِنْكَ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ (١)

فقال :

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلَا حَرْبٍ (٢)

نهارا . والطراب جمع طروب ، وهو الذى يطرب ويحركه الشوق وتفيد تستفيد واحتذاه اقتدى به وفعل مثله ، والحلائق ، الأخلاق . يقول : إن السحب تسير معك كما يسير الحبيب الطروب مع حبيبه وذلك كي تستفيد الجود منك فتأتى بمثله بيد أنها تعجز عن التخلق بأخلاقك العذبة الجميلة .

(١) غداة النفر يريد غداة تفرق الحجيج من منى ويقال يوم النفر وليلة النفر لليوم الذى ينفر الناس فيه من منى قال بعضهم .

أما والذى حَجَّ الْمَلِثُونَ بَيْتَهُ وَعَلَّمَ أَيَّامَ الذَّبَائِحِ وَالنَّضْرِ
لَقَدْ زَادَنِي لِلْفَمْرِ حُبًّا وَأَهْلِهِ لِيَالٍ أَقَامْتَهُنَّ لِيَلَى عَلَى الْفَمْرِ
وَهَلْ يَأْتُمْنِي اللَّهُ فِي أَنْ ذَكَرْتَهَا وَعَلَّتُ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ
وَسَكَنْتُ مَا بِي مِنْ كِلَالٍ وَمِنْ كَرَى وَمَا بِالْمَطَايَا مِنْ جُنُوحٍ وَلَا فَتْرِ

وأعرض : استقبل ، والدمى : جمع دمية وهى التماثيل تشبه بها الحسان .

(٢) فدينك دعاء ؛ والخطاب للحبيب ، وأهدى منادى باسقاط حرف النداء قال الواجدى : أهدى من قولهم هديت هدى فلان أى قصدت قصده ومنه الحديث : واهدوا هدى عمار . أى اقصدوا قصده وسيروا سيرته . يقول : يا أقتل الناس سهما إلى قلبي يريد أن عينه تصيب قلبه بلحظها ولا تحفظه ، ويا أقتل الناس للابسى الدروع من غير حرب أى أنه يقتلهم بحبه فلا تحصنهم الدروع ولا يحتاج معهم إلى الزال ولك أن تجعل أهدى وأقتل منصوبين على التمييز وأهدى من الهداية ، وإليك ما قال العلامة الكبرى النحوى الكوفى فى تعليقاته على هذا البيت قال : أفضل إذا كان للتفضيل فينه وبين أفضل التعجب مناسبة وذلك أنه يقال هذا أقول من هذا وما أقوله ويمتنع أن يقال هذا أحمر من هذا أى أشد حمرة كما يمتنع أن يقال : ما أحمره أى ما أشد حمرة

تَفَرَّدَ بِالْأَحْكَامِ فِي أَهْلِ الْهَوَى
فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخَلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ (١)
وَإِنِّي لَمَنْعُ الْمَقَاتِلِ فِي الْوَعَى
وَإِنْ كُنْتُ مَبْدُولَ الْمَقَاتِلِ فِي الْحُبِّ (٢)

وفعل التعجب يبنى من ثلاثة أفعال ثلاثية، فعل بفتح العين، وفعل بكسرها ، وفعل بضمها ولا يبنى إلا من فعل قد سمي فاعله ولا يجوز أن يبنى من فعل غير مسمى الفاعل فيقال ما أضرب أخاك لأنه مأخوذ من ضرب أخوك ثم وقع التعجب من كثرة ضربه فإذا قلت ضرب أخوك لا يصح أن يقال ما أضرب أخاك وأنت تريد ما أشد الضرب الذي ضربه أخوك ؟ وأهدى يجوز أن يكون من هدت الوحش (١) إذا تقدمت فيكون اسما منصوباً على التمييز فيكون أفعل من فعل له فاعل ويكون الفعل للسهم ويجوز أن يكون الفعل للمخاطب من قولهم هديته الطريق فإذا حمل على ذلك فسهما منصوب بفعل مضمر يدل عليه أهدى لأن فعل التعجب لا يجوز أن ينصب مفعولاً وكذلك أفعل الذي للتفضيل وعلى ذلك حمل قوله :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا فِي اللَّقَاءِ الْقَوَانِسَا (٢)

فنصب القوانس بفعل مضمر تم الكلام عند قوله وأضرب منا ثم أضمر فعلا نصب به القوانس تقديره يضرب القوانس فيكون من جنس الكلام .

(١) الخلف ترك الوفاء بالوعد وهو اسم من الإخلاف يقول : إن للهوى أحكاما تخالف سائر الأحكام لأن الخلف في الوعد غير جميل والكذب غير مستحسن وكلاهما جميل مستحسن من الحبيب * وكل ما يفعل المحبوب محبوب *

(٢) يقول : إني من الشجاعة بحيث لا يصاب مقتلى في الحرب ولكني مع ذلك يصاب مقتلى في الحب فلست أستطيع اللطاع عن شمس في ميدان الهوى وهذا من قول أبي تمام :

(١) يقال هدت الإبل والوحش والحيل تهدي إذا تقدمت وهاديات الوحش

أوائلها وهي هوداياها

(٢) القوانس : جمع قونس مقدم البيضة من السلاح

وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ

أَصَابَ الْخُدُورَ السَّهْلَ فِي الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ (١)

« وقال يعزبه عن عبده يمالك التركي وقد مات بحلب سنة أربعين وثلاثمائة » :

لَا يُحْزِنُ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَإِنِّي سَأَخُذُ مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيبِ (٢)

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بَعِيُونَ سَرَّهَا وَقُلُوبِ (٣)

كَمْ مِنْ دَمٍ يَمْجِزُ الْجَيْشَ اللَّهَامَ إِذَا بَانُوا تَحَسَّكُمُ فِيهِ الْعِرْمِسُ الْأَجْدُ
« جيش لهام: كثير يلتمه كل شيء ، والعرمس الناقة الصلبة الشديدة ، والأجد بضم
الهمزة والجرم الناقة القوية الموثقة الخلق . يريد أبو تمام الناقة التي تحمل الحبيب ،
والمراد الحبيب نفسه »

(١) يقول : ومن كان له عين بين جفنيه كعينك فتنة وسحرا ملك قلوب الناس
بأهون سعى فقلوه أصاب الخ أى وجد المرتقى الصعب حدورا سهلا وهذا تمثيل معناه
سهل عليه ما يشق على غيره

(٢) قوله لا يحزن . دعاء له . يقول . لا أحزن الله الأمير فإن حزنه يستتبع
حزنى أشاركته إياه فى أحواله فلا أصابه الله يحزن لثلاث أحزن ؛ والمعنى واضح وجميل .
ومن ثم كان قد صاحب هذا البيت - بقوله . لا أدرى لم لا يحزن الله الأمير إذا أخذ
أبو الطيب بنصيب من القلق - فى غير موضعه . ويجوز فى يحزن الجزم بلا والرفع على
أنه خبر وضع موضع الإنشاء ، ورواية سأخذها هى رواية ابن جنى وعليها مضينا ، وفى
رواية : لآخذ .

(٣) يقول : لا أبكك الله لأنك إذا بكيت حزنا بكى جميع الناس لبكائك وحزنوا
لحزرك لأن من سر جميع الناس ثم بكى لحزن أصابه ساء مصابه الذين سرهم فكأنه يبكى
بعيونهم ويحزن بقلوبهم . وفى البيت حذف لا يخفى ، فهو من قيل * علفتها تبنآ وماء
باردا * قال الواحدي : ولك أن تجعل الباء فى بعيون للتعدية أى أبكأها . والمعنى أنهم
يسعدونه على البكاء جزاء سرورهم كما قال يزيد المهلبى :

أَشْرَكْتُمُونَا جَمِيعًا فِي سُرُورِكُمْ فَلَهُونَا إِذْ حَزْتُمْ غَيْرُ انْصَافٍ

وَأَمَى وَإِنْ كَانَ الدِّفِينُ حَبِيبَهُ حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبٌ حَبِيبِي (١)
 وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الأَحِيَّةَ قَبْلَنَا وَأَعْيَا دَوَاهِ المَوْتِ كُغْلًا طَبِيبِ
 سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنَعِنَا بِهَا مِنْ جَبِيئَةٍ وَذُهُوبِ (٢)
 تَمَلَّكَهَا الآتِي تَمَلَّكَ سَالِبِ وَفَارَقَهَا العَاضِي فِرَاقِ سَلِيبِ (٣)
 وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلسَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرِ الفَتَى لَوْلَا لِقَاءَهُ شَعُوبِ (٤)

(١) الدفين المدفون ، وحبیب حبیبی مبتدأ مؤخر ، وحبیب إلى قلبی خبر مقدم ،
 والجملة خبر إنى يقول : إنى أحب كل من يحبه ومن ثم كان المدفون الذى يحبه حبیباً
 إلى قلبی وإن كان غريباً منى .

(٢) يقول : لقد سبقنا غيرنا إلى هذه الدنيا فلو عاش هؤلاء الذين سبقونا ولم يموتوا
 لنعصت بنا الدنيا وضاعت علينا الأرض حتى لا نستطيع الذهاب والرجاء لشدة الزحام
 وإنما يستقيم أمر الدنيا بموت المتقدم وحياة المتأخر . وجيئة مصدر جاء يجيء مجيئاً
 وجيئة وكذلك الذهب .

(٣) يقول : تنتقل الدنيا من قوم إلى قوم فيتملكها الحى تملك السالب ويتخلى
 عنها الميت تخلى المسلوب ؛ وعبرة الواحدى : يريد بالآتى الوارث بعد الموت وبالماضى
 الموروث أى أن الذى تملك الإرث كأنه سالب سلب الموروث ماله . والميت كأنه مسلوب
 سلب ما كان فى يده وهذا المعنى — كما قال العكبرى — مأخوذ من قولهم إنما فى أيديكم
 أسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الأولون .

(٤) شعوب من أسماء النية وهى معرفة لا تنصرف ولا تدخلها الألف واللام، سميت
 كذلك لأنها تشعب أى تفرق . يقول : لولا الموت لم يكن لهذه المعانى فضل وذلك أن
 الناس لو أمنوا الموت لما كان للشجاع فضل على الجبان لأنه قد أيقن الخلود فلا خوف
 عليه من إقدامه فى الحرب وإذن لا يحمده على شجاعته ، وكذلك لا فضل للعباد على
 البخيل . والصابر على المكروه لا فضل له على الجازع لأن فى الخلود وتنقل الأحوال
 فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس . ويهون البوس .

وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبِ
 حَيَاةِ أَمْرِي خَانَتُهُ بَعْدَ مَشِيبِ (١)
 لَأَبْتَقِي يَمَّاكَ فِي حَشَايَ صَبَابَةً
 إِلَى كُلِّ تَرْكِي النَّجَارِ جَلِيبِ (٢)
 وَمَا كُلُّ وَجْهِ أَبْيَضٍ بِمُبَارَكِي
 وَلَا كُلُّ جَفْنِي ضَمِيْقِي بِبِنَجِيبِ (٣)
 لَيْنُ ظَهْرَتِ فِينَا عَلَيْهِ كَاَبَةٌ
 لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيبِ (٤)
 وَفِي كُلِّ قَوْسٍ كُلِّ يَوْمٍ تَنَاضُلِ
 وَفِي كُلِّ طَرَفٍ كُلِّ يَوْمٍ رُكُوبِ (٥)

(١) الغابر من الأضداد يكون بمعنى الماضي وبعضى الباقي ، والمراد هنا الأول . يقول :
 إن الحياة لا بد من أن تغدر بصاحبها فهي لا محالة وإن طالت مفارقتها ولكن أوظاها له
 تلك التي تصعبه إلى وقت المشيب فلا تزياله حتى يطول استمتاعه ويستوفى لذة العيش
 ولكنها مع ذلك إلى انقضاء . وقال الخطيب التبريزي : يريد أن الدنيا تغترم الشباب
 لذة الوفاء فإذا أبتهم كان قصارها أن تفنهم فلا وفاء لها ولا رغبة فيها ؛ وهو
 تفسير حسن .

(٢) لأبقي . جواب قسم محذوف . أي والله لقد أبقى ؛ وعماك اسم مملوك سيف
 الدولة وهو تركي ؛ والنجار الأضل ، وجليب مجلوب من بلد إلى آخر . يقول . لقد أبقى
 يماك بموته في قلبي صباة وميلا إلى كل تركي أي إلى كل من هو من جنسه

(٣) العجيب الكريم « ضد اللثيم » والفاضل النفيس في نوعه . يقول : إن يماك
 ترك في قلبي هذا الليل إلى جنسه لذلك الشبه الذي بينه وبينهم وإن لم يكن كل من أشبهه
 في الصورة يشبهه في العن والنجاة ، فالبيت كالأستدراك على البيت السابق ، فهو يقول
 في الأول : إنه يحب لأجله الترك لأنه منهم والترك يوصفون ببياض الوجوه وضيق الجفون
 ثم قال : إنه ليس كل تركي مباركا ولا كل تركي نجيا كالتركي وإذن فهو يحبهم لأنهم يشبهونه
 في الصورة وإن لم يشبهوه في العن والنجاة .

(٤) و (٥) القضيبي السيف القاطع وقيل : اللطيف الدقيق ، والتناضل الترامي
 بالسهم . قال العسكري : في الحرب وغيرها وذلك أن القوم يتناضلون في الحرب
 بسهامهم رمي بعضهم بعضا وفي غير الحرب يتناضلون بسهامهم لينظروا أيهم أحسن رمياً ؛
 والطرف الفرس الكريم . يقول : إنه كان شجاعا من أهل القتال وكان حسن الرمي
 وقت الزوال وكان فارسا يحسن الركوب للغارة والطمعان ومن ثم حزنت عليه السيوف
 والقسى والحيل فلا عجب إذ حزنا نحن عليه . واللام في قوله لئن ظهرت لام القسم

يَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُخَلَّ بِمَادَةٍ وَتَدْعُو لِأَمْرٍ وَهُوَ غَيْرُ مُجِيبٍ (١)
 وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا نَظَرْتُ إِلَى ذِي لِبْدَتَيْنِ أَدِيبٍ (٢)
 فَإِنْ يَكُنِ الْعَلِقَ النَّفِيسَ قَدْتَهُ فَمَنْ كَفَّ مِتْلَافٍ أَعْرَ وَهُوبٍ (٣)
 كَانَ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كُلِّ مَا جِدِ إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ بَجَدِهِ بِعُيُوبٍ (٤)

دخلت على حرف الشرط وآتى بجواب القسم ولم يأت بجواب الشرط ، ومثله كثير في القرآن الكريم ، وفي الشعر .

(١) وتدعو عطف على يخل ، وكان الوجه فتح الواو ولكنه سكنها للضرورة . يقول : إنه يشق على يمالك أن يغير عاداته في خدمتك وأن تدعوه لأمر فلا يجيبك .
 (٢) ذي لبدين أي أشد واللبد الشعر التراكب على كتف الأسد . يقول : وكنت إذا رأيته قائما بين يديك رأيت منه أسداً وفقى أدبياً أي إنه كان جامعاً بين الأدب في الخدمة وقوة الأسد لدى الناس . واتناه في كنت وأبصرته ونظرت رويت مبنية على الضم للمتكلم وعلى الفتح للمخاطب .

(٣) العاق هو النفيس من كل شيء ، وهو خبر يكن وجملة قعدته حال ؛ والتلاف الذي يتلف أمواله سخاء وجوداً والأعر الشريف يقول : فإن يكن يملك العلق النفيس قد قعدته فإما ذهب من كف رجل يتلف الأموال ويهبها ولا يبالي بما ذهب منه ، ومن روى تكن بالهاء فهو على الخطاب لسيف الدولة ويكون العلق منصوباً على الاشتغال أو بفعل مضمحل دل عليه قوله قعدته ، والتقدير ، فإن تكن قعدت العلق النفيس .

(٤) الردى الموت ، وعاد ظالم ممتد . ولتراد بالماجد — وهو الكامل الشرف — سيف الدولة ، وعوذه علق عليه العوذة وهي الرقية يتقى بها السوء . يقول : إن الشريف لا يسلم من حدثان السهر ونوابه حتى يحصل لشرفه رقية من العيوب وأنت لا عيب فيك ، ومن هنا أصابك الدهر بمن تحب ، وهذا كقول الشاعر :

شَخَصَ الْأَنْبَامُ إِلَى كَالِكَ فَاسْتَعِذُ مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بِعَيْبٍ وَاحِدٍ
 وقول الآخر :

قد قلت حين تكاملت وغدت أفكأله زيناً من الزين
 ما كان أحوجَ ذا الكمال إلى عيبٍ يُوقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ
 « كان زائدة ، وذا الكمال . أي هذا الكمال » .

وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الجَمْعِ بَيْنَنَا
وَلَلتَرَكُ لِلإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ
وَإِنَّ الذِّي أَمَسَتْ نِزَارُ هَيْبَتِهِ
كُنْفِي بِصَفَاءِ الوَدِّ رِقًا لِمِثْلِهِ
غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ (١)
إِذَا جَعَلَ الإِحْسَانَ غَيْرَ رَبِيبٍ (٢)
غَنَى عَنِ اسْتِعْبَادِهِ لِغَرِيبٍ (٣)
وَبِالقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلْيَبِيبِ (٤)
أَجَلٌ مُثَابٍ مِنْ أَجَلٍ مُثِيبٍ (٥)
فَقَوْضَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الأَجْرُ إِنَّهُ

(١) يعتذر عن ذنوب الدهر وإساءته بالتنبيه إلى سابق إحسانه ، أى أن من شيمة الدهر أن يحسن تارة ويسوء أخرى . يقول : ولولا أن الدهر أحسن إلينا بجمعه بيننا ما كنا نعرف إساءته بتفرقه بيننا في إحسانه عرفنا إساءته . والآيدى : النعم

(٢) بعد أن اعتذر عن الدهر عاد إلى ذمه يقول : وإذ أن الدهر شاب إحسانه بالإساءة فلم يتم إحسانه بتربيته وتمهده وإعماجه فترك المحسن إحسانه أجل به من ذلك وأفضل أى أن كل محسن لم يتم إحسانه فتركه خير وأمثل ، وهذا كقوله :

أَبْدَأُ تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُّ الدُّنْيَا فَيَالَيْتَ جُودَهَا كَانَ بَخْلًا

واللام في قوله وللترك لام الابتداء ، وربيب تام من رب عمله أصلحه ونماه وآتمه .

(٣) يقول : إن سيف الدولة ملك العرب بإحسانه إليهم فلا حاجة به معهم إلى مملوك تركي ، وخص نزار لأنه أبو القبائل الأشراف كقريش وغير قریش ؛ فالمراد بنزار سائر العرب .

(٤) الباء في قوله بصفاء وبالقرب زائمة ، وصفاء والقرب في محل رفع بكفي ، والرق العبودية ، واليبيب العاقل . يقول : إن سيف الدولة استعبد العرب بمصافاته إيائهم وإقباله عليهم بالود ومثله إذا صافى إنسانا استرقه بكرة الإحسان إليه . وإن لم يئتمه كما يبتاع العبد ، وهذا هو الرق والاستعباد

(٥) يدعو له بأن يعوضه الله الأجر من يملك فإن الأجر أجل ثواب من أجل مثيب وهو الله سبحانه وتعالى ، أو تقول فإن سيف الدولة أجل عبد يثاب من الله فضمير إنه إما عائذ على الأجر ومثاب مصدر بمثابة الثواب أو عائذ على سيف الدولة ويكون مثاب مفعولا من الإثابة .

فَتَى الْخَيْلِ قَدْ بَلَ النَّجِيعُ نَحْوَرَهَا (١) يُطَاعِنُ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ عَصِيبِ
يَعَافُ خَيْمَامَ الرِّيْطِ فِي غَزْوَاتِهِ (٢) فَمَا خَيْمُهُ إِلَّا غُبَارُ حُرُوبِ
عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ إِنْ كَانَ نَافِمَا (٣) بَشَقُّ قُلُوبٍ لَا يَشَقُّ جُيُوبِ
فَرُبَّ كَثِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُؤُنُهُ (٤) وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرِ كَثِيبِ

(١) فتى الخيل أى هو « سيف الدولة » فتى الخيل وجلة قد بل النجيع نحورها حال من الخيل ، والنجيع الدم ، وضنك صفة موصوف محذوف أى فى يوم ضيق المقام فالضنك الضيق وعصيب أى شديد واعصوب اليوم والشر اشتد . ويوم عصيب وعصيب شديد وليلة عصيب كذلك ولم يقولوا عصبية ، ولعله مأخوذ من قولك عصب القوم أمر إذا ضمهم واشتد عليهم ويقال لأمعاء الشاة إذا طويت وجمعت ثم جلت فى حوية من حوايا بطنها عصب واحدها عصيب والعصيب أيضاً الرثة تصب بالأمعاء فتشوى قال حميد بن ثور يصف نساء نشأن بالبادية :

أولئك لم يذرين ماسمك القرى ولا عصب فيها رثات العارِس (١)
يقول : إن سيف الدولة أجل مثاب لأنه إذا بلت السماء نحو الخيل فهو فتاها الثابت على الطعان فى مثل ذلك اليوم .

(٢) الريط جمع ريطرة وهى اللامة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفتين ، وقيل كل ثوب لين رقيق ، ويعاف يكره ، والحيم جمع خيمة يقول : إنه يكره الاستقلال بالخيام للتحذة من النسيج وإنما يستظل بغبار الحروب .

(٣) الإسعاد الإعانة . يقول : إن كانت إعانتنا إليك على هذه الرزية نالقة مجدية أعناك بشق القلوب لا بشق الجيوب وهذا من قول حبيب :

شق جيوباً من رجال لو اسطوا عوا لشقوا ما وراء الجيوب
وجيب الصيى ما امتنع منه على النحر .

(٤) يقول : ليس بالسكاء يعلم الحزن ، فرب محزون عصى الدمع فلا يبكى ورب بك

(١) العارِس جمع عمروس والعمروس والطمروس الحروف والصب جمع عصيب وهو ما عرفت .

تَسَبَّلَ بِفِكْرٍ فِي أَيْبِكَ فَإِنَّمَا بَكَيتَ فَكَانَ الضُّحْكُ بِمَدِّ قَرِيبٍ (١)
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكُرَيْمِ مُصَابَهَا بَحْبُثٍ ثَنَتْ فَاسْتَدَّ بَرْنَهُ بِطَيْبٍ (٢)

تنسكب دموعه وليس بمحزون . قال العكبري : وأخذ هذا البيت مما أنشده أبو علي في آخر تكملة إيضاحه :

وما كلُّ ذِي لُبٍّ يَمُوتُ بِمُوتِكَ نُصْحَهُ وما كلُّ مُوتٍ نُصِحَهُ بليبي
(١) في أيك بفتح الباء كما رواها ابن جنى ، يريد في أبويك ، وهي لغة للعرب صحيحة فإن بعض العرب يقول في ثنية أب أبان كما قالوا أبوان وفي الإضافة أيك وإذا جمعت بالواو والنون قالوا : أبون ، قال الشاعر :

فَلَسَا تَبَيَّنَ أَصْوَاقُنَا بَكَيْنَ وَفَدَيْنَا بِالْأَيْبَانَا (١)

وعلى هذا قرأ بعضهم : إله أيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق . يريد جمع أب أي أيبك حذف النون للإضافة يقول : تسل عن هذا المفقود بالتفكير في مصابك بأبويك فقد يكتف لبقدها ثم ضحكت بعد ذلك بمدينة وكذلك حزنك لأجل هذا المصاب سيذهب عن قريب وعجزة بعض الشراح : تفكر في آباءك الذين ذهبوا فكل أحد سيذهب كذهابهم فلا يجب الحزن . وفي معناه :

قَضَى لِلسُّومِ عَازِلَتِي فَإِنِّي سَيَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَإِنْسَابِي

« يريد لا أنتسب إلا إلى مفقود » ومثله قول لبيد :

فَإِن أَنْتَ لَمْ تَنْفَعَكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ لِمَلِكِ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ

(٢) المصاب هنا مصدر كالإصابة ، والمراد هنا بالحث الجزع وبالطيب الصبر ، ويقال بات فلان خبيت النفس : أي ثقيلها كرهه الحال وفي حديث هرقل : فأصبح يوما وهو خبيت النفس ، أي ثقيلها كرهه الحال ومنه الحديث : لا يقولن أحدكم خبيت نفسي ، أي ثقلت وغشت كأنه كرهه اسم الحث وفاعل ثنت يعود على النفس أي صرفت الحث ، أو تقول ثنت أي اثنت يقول :

(١) يصف نساء سبين فوفد عليهن من قومهن من يفادينهم فبكين إليهم وفدينهم بأبائهم سرورا بوفودهم عليهن .

وَالْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ
سُكُونٌ عَزَاهُ أَوْ سُكُونٌ لُنُوبٍ (١)
وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ
فَلَمْ تَجْرِ فِي آفَاقِهِ بِغُرُوبٍ (٢)
فَدَتِكَ نَفْسُ الْخَاسِدِينَ فَإِنَّمَا
مُصَدَّبَةٌ فِي حَضْرَةٍ وَمَغِيبٍ
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا
وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرِيبٍ (٣)

إذا استقبل الكريم إصابة الدهر إياه بالجزع راجع عقله بعد ذلك فاعتصم بالصبر لعله أن الجزع لا يفيد. قال المكبري: وهذا من قول الحكيم: من علم أن الكون والفساد يتعاقبان الأشياء لم يحزن لورود الفجائع لعله أنه من كونها فهان عليه ذلك ليجز الكل عن دفع ذلك.

(١) الواجد المحزون، والزفرة تصيد النفس بعد مده، واللغوب الإعياء. يقول: لا بد للمحزون من سكون فإما أن يسكن عزاء وإلا سكن إعياء، فالماقل من يتعزى، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام:

أَتَصْبِرُ لِلْبَلْوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُوجِرَ أَمْ تَسْلُو سَلْوَةَ الْبِهَامِ

ويقول محمود الوراق.

إذا أنت لم تسلُ اصطباراً وحِسْبَةً سَلَوْتَ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبِهَامِ

(٢) كم هنا خبرية بمعنى كثير والواجب خفض تمييزها ولكنه نصب جدا هنا لوجود فاصل بينها وبين ممولها فبطل الخبر. وغروب جمع غرب وهو السمع يقول: كم لك من جد لم تره عينك فلم تبك عليه فهب هذا مثلهم لأنه قد غاب عنك، والغائب عن قرب كالغائب الذي طال عليه العهد. قال الخطيب: وهذا المعنى مدخول لأن أجداده لم يرهم ولم يعرفهم ويمالك قد رآه وعرفه ورثاه. أقول: وقد الخطيب واضمح وفي محله كما ترى.

(٣) من يحسد مبتدأ مؤخر، وفي تعب خير مقدم، ونورها بدل من الشمس أو مفعول ثانٍ ليحسد، وأسكن الياء من يأتي ضرورة. وأكثر ما يكون ذلك في الياء والواو. والضريب النظير يقول: مثل حسادك معك مثل من يريد أن يأتي للشمس بنظير وهذا في تعب لازب لأنه يحتاج المحال وكذلك حسادك لأنه لا نظير لك كالشمس.

وقال يمدحه ويذكر بناء مرعش سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة :

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبِّعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرِيْبًا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالقَرْبَا (١)
 وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا فَوَادًا لِمِرْفَانَ الرُّسُومِ وَلَا لُبَا (٢)
 نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَفْسِي كَرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا (٣)
 نَذَمُ السَّحَابَ الفُرَّ فِي فِعْلِهَا بِهِ وَنَعْرِضُ عَنْهَا كَلْمًا طَلَمْتُ عَتْبَا (٤)
 وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا (٥)

(١) يخاطب ربع الحبيب ويدعو له . وقوله من ربع تميز ، ومن زائدة ، والربع المنزل متى كان وبأى مكان كان ، أما المربع ومثله اللربيع والمربيع فهو اللوضع الذى ينزل فيه أيام الربيع يقول : فديناك أيها الربيع من أحداث الدهر ونوابه برغم أنك زدتنا وجدا بما هجت من ذكرى الحبيب الذى كان فيك كالشمس يخرج منك ويود إليك وكنت له كالشرق حين يظهر وكالغرب حين يختب .

(٢) يتعجب من معرفته آثار ديار الحبيب بعد أن سلبه قلبه وعقله ولم يدع له سبيلا إلى إدراك الأشياء ، ويدع روى بالياء وبالتاء ، فمن روى بالياء فهو على لفظ من ، ومن روى بالتاء حمله على المعنى لأن التصود بمن ، امرأة .

(٣) الأكوار جمع كور وهو رحل البحر ، وأن نلم مؤول بمصدر مجرور بمن محذوفة صلة كرامة أى كرامة عن أن نلم به ركباناً ، ونلم نزل يقول : لما أتينا هذا الربيع نزلنا عن رواحلنا وترجلنا كرامة للحبيب — الذى كان فيه ثم زايله — وتقديسا له أن نزل بربعه راكبين وقد أوضح هذا المعنى السرى الرفاء بقوله :

حِيَّتَ مِنْ طَلَلٍ أَجَابَ دُمُورُهُ يَوْمَ العَقِيقِ سَوَالَ دَمَعِ سَائِلِ

نَحْنُ وَنَزَلَ وَهُوَ أَعْظَمُ حَرَمَةٍ مِنْ أَنْ يُنْذَلَ بِرَاكِبٍ أَوْ نَاعِلِ

(٤) السحاب جمع ، ومن ثم جاز وصفه بالقر : أى البيض : وإنما قال القر لأنها كثيرة الماء يقول : نذم السحاب لأنها عفت الربيع وغيرت معاله بما ينهل منها من المطر وإذا طلعت عليه أعرضا عنها وأشحنا بوجوهنا عتبا عليها لتفتيتها الرسوم وفعلمها بها ما فعلت .

(٥) هذا البيت متصل بالذى قبله يقول : نحن نذم السحاب لما تفعل بالربيع ولا حق

وَكَيفَ التَّذَاذِي بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَى إِذَا لَمْ يَمُدُّ ذَلِكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَّ^(٥)
ذَكَرْتُ بِهِ وَصَلًا كَانَ لَمْ أَفُزْ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثَبًا^(١)

لنا في هذا الظم لأن من صحب الدنيا وطال امتراسه بها تعلبت أحوالها عليه حتى يرى ما اطمان إليه من صفاتها ونعيمها قد تغير وحال عما كان عليه كأن لم يغب بالأمس ، وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِيَبَّ تَكَشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : ليس ترداد حركات الفلك إلا تحيل الكائنات عن حقائقها .

(١) يقول : كيف ألتذ بالعشايا والغدايا إذا لم أستشق ذلك النسيم الذي كنت أجدّه من قبل : يعنى نسيم الحبيب ونسيم أيام الشباب والوصال ، والأصائل جمع أصيل على غير قياس وهو ما بين العصر إلى المغرب — والضحي قال الجوهري : مقصور تؤنث وتذكر ، فمن أنت ذهب إلى أنه جمع ضحوة ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وتفر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقينته ضحى وضحى إذا أردت به ضحا يومك لم تنونه . وقال ابن برى : ضحى مصروف على كل حال ، قال الجوهري : وهو حين تشرق الشمس ثم بعده الضحاء ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، وقيل : الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار .

(٢) يقول : تذكرت بهذا الربع وصلا قصرت أيامه حتى كأنه لم يكن لسرعة انقضائه ، وعيشا وشيك الانقطاع كأنى قطعته بالوثوب ، ووثب قفز وطفر ، ومن قولهم وثب إلى الشرف وثبا : أى وصل إليه دفعة واحدة . قال ابن جنى : يريد قصر أوقات السرور ، ومن بديع ما قيل فى قصر أوقات السرور قول الوليد بن يزيد :

لَأَسْأَلَ اللَّهَ تَغْيِيرًا لَمَّا صَنَعْتَ نَامَتْ وَقَدْ أَسْهَرْتَ عَيْنِي عَيْنَاهَا

فَاللَّيْلِ أَطْوَلَ شَيْءٍ حِينَ أَفْقَدَهَا وَاللَّيْلِ أَقْصَرَ شَيْءٍ حِينَ أَلْقَاهَا

والشعراء أبدأ يذكرون قصر أوقات السرور وأيام اللهو ، وسرعة زوالها وانقضائها فمن ظريفه قول بعض العرب :

وَفَتَانَةٌ الْعَيْنَيْنِ قَتَالَةٌ الْهَوَىٰ إِذَا نَفَعَتْ شَيْخًا رَوَّاحُهَا شَبَابًا (١)
لَهَا بَشَرٌ الدَّرُّ الَّذِي قُلِّدَتْ بِهِ وَلَمْ أَرْ بَدْرًا قَبْلَهَا قُلِّدَ الشُّبُهَاتُ (٢)

ليلي وليلي نفي نومي اختلافيهما حتى لقد تركاني في الهوى مثلا
يجودُ بالطولِ ليلي كلما نخلت بالطول ليلي وإن جادت به بخلا
وفي هذا البيت من الجنس الذي ترى ما يعجز عنه . وقال البحرى :
فلا تذكرا عهد التصابي فإنه تقضى ولم نشعر به ذلك المصرا
وما أبداع ما يقول الرضى :

يا ليلة كاد من تقاصرها أن يفتخر فيها المشي بالسحر
وقال بعضهم :

ظَلَلْنَا عِنْدَ دَارِ أَبِي نَعِيمٍ يَوْمَ مِثْلِ سَالِقَةِ الذَّبَابِ
شبهه في القصر بنق الذباب ، ومثله لجرير :

ويوم كأهبهم القطاة مزين إلى صباه غالب لي بأطله
وما أحسن قول إبراهيم بن العباس :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصرأ وهي ليلة الميلاد
ويقول متمم بن نويرة :

فلما تفرقنا كآني ومالكا لطول اجتماع لم تبت ليلة مما

(١) النفع تضوع رائحة الطيب يقال نفع الطيب ونفحت رائحة الطيب وعدى
النفع على المعنى كأنه قال إذا أصابت روائحها شيخاً شب ، وفتانة عطف على وصلافى
البيت قبله : أى وذكرت به فتانة يقول : وذكرت امرأة تفتن عيناها ويقتل هواها إذا
نفعت روائحها شيخاً تصابى وعاد شاباً وهذا مثل قول الصنوبرى :

بِلَفْظٍ لَوْ بَدَأَ حَلِيفِ شَيْبٍ لِفَارَقِهِ وَعَادَ إِلَى شَبَابِهِ

(٢) البشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد ، والدَّرُّ اللَّائِيءُ العظام ، والشهب الدرارى
من النجوم ؛ يقول : إن لونها مثل لون الدر الذي تقلده ، وهى كالدر حسنا وجمالا ،
وقلائدها كدرارى النجوم ولم أرقبها بدرا قلد النجوم .

فِيَا شَوْقٍ مَا أَبْقَى وَيَالِي مِنَ النَّوَى وَيَادَمْعٍ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبَمَا أُصْبَى (١)
لَقَدْ لَمِبَ الْبَيْنُ الْمَشْتُ بِهَِا وَيِي وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضَّبَّ (٢)
وَمَنْ تَكُنِ الْأَسْدُ الضَّوَارِي جُدُودَهُ يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحًا وَمَطْعَمُهُ غَضْبًا (٣)

(١) ويالى : يروى ويالى بالموحدة ، والنوى البعد . يقول : فياشوقى ما أبغاك فلست تنفد ويا من لى بمنعنى من ظلم الفراق ويادمعى ما أجزاك ويأقلى ما أصباك وأشوقك وقد حنفت كما ترى يا آت الإضافة من شوق ودمع وقلب تخفيفاً لأن الكسرة تدل عليها ولك أن تقرأ شوق ودمع وقلب مبذية على الضم على أنها مفردة أى غير مضافة إلى ياء للتسكيم وحذف الكاف للنسوبة من أبقى وأجرى وأصبي للمخاطبة التى قبلها بالنداء . وقوله ويالى استغناء قال العكبرى قوله ويالى يحتمل أن يكون أراد اللام المفتوحة التى للاستغناء كأنه استغاث بنفسه من النوى ، ويحتمل أن يكون أراد اللام المكسورة التى للمستغاث من أجله كأنه قال : يا قوم اعجبوا لى من النوى .

(٢) البين البعد ، والمشت الفرق ، والضب حيوان من الزحلات معروف يضرب به المثل فى الحيرة ، يقال : أحيّر من ضب لأنه إذا خرج من جحره لا يهتدى إليه عند أوجهه يقول : لعب الفراق بشملنا وزودنى الضلال والحيرة فلا أهتدى إلى وجهه وليس إلى لقاء الحبيب من سبيل ، وقيل إن المراد كما أن الضب لا يتزود فى المفازة لأنه لا يحتاج إلى المساء أبداً فكذا لم يزودنى الفراق شيئاً أى أنه لم يودع حبيته وفارقها من غير وداع ولا التقاء فيكون التوديع زاداً كما قال بضمهم :

زَوَّدَ الْأَحْبَابُ لِلْأَحْبَابِ ضَمًّا وَالتَّزَامًا

وَسُلَيْمِي زَوَّدَنِي يَوْمَ تَوَدَّيْتِي السَّقَامَا

وقال ابن فوزه : يريد زودنى الضلال عن وطنى الذى خرجت منه فما أوفى إلى العود إليه والاجتماع مع الحبيب والضب يوصف بالضلال وقلة الاهتداء وعبارة الواحدى يجوز أن يكون للمنى أن الضب مكانه المفازة فلا يتزود إذا انتقل منها بقوله : أنا فى البين مقيم إقامة الضب فى المفازة وليس من عادة المقيم أن يتزود فالسير والبين كأنهما منزل لإلنى إياها .

(٣) الضواري المضراة والمولعة بالصيد . يقول : من كان من نسل الشيطان وكان أباه كالأسود كان هو كذلك وعاش عيشة الأسود وإذن يكون الليل له نهراً فلا تعوقه

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِى الْعَلَا
أُكَانَ تَرَانَا مَا تَنَاوَلْتُ أُمَّ كَسْبَا^(١)
قَرُبَ غُلَامٍ عَالِمَ الْمَجْدِ نَفْسَهُ
كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّمَنِ وَالضَّرْبَا^(٢)
إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مِلْمَةٍ
كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفُ وَالسَّكْفُ وَالْقَلْبَا^(٣)
تِهَابُ سَيْوْفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ
فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا^(٤)

الظلمة عن بلوغه مآربه . وكان مطعمه مما يأخذه من أعدائه قهراً ، قال ابن جنى : قوله
يكن ليله صباحاً من قول الآخر :

فَبَادِرِ اللَّيْلِ وَلَدَانِهِ
فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيبِ

(١) كأنه يعتذر من الغضب الذى ذكر فى البيت السابق . يقول : إذا أدركت معالى
الأمور فلست أبالى بعد إدراكها أكان ما يحصل فى يدي إرثاً أم كسباً فالتراث المال
الموروث : قال بعض الشراح : وكان الوجه أن يقول أترثنا كان لأن الهمة لا يليها إلا
المستول عنه فأخبره لإقامة الوزن .

(٢) قرب غلام يعنى نفسه يقول : إن المرء يمكنه أن يعلم نفسه المجد وإن لم يكن له
من يعلمه كما علم سيف الدولة نفسه الطعن والضرب ومجالدته الأبطال بشجاعته وحذقه ،
ويروى * كتعليم سيف الدولة الضرباً * أى كما علم أهل دولته الطعان والنزال .
والرواية الأولى أظهر ، والمجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفى ، وقيل لا يكون إلا
بالآباء والظاهر أنه مأخوذ من قولهم مجدت الإبل إذا شبت وامتلات بطونها علفاً
وأمجدها راعياً ويقال من هذا أجد فلان عطاءً ومجده إذا كثره ، ولما كان من أساس
المجد كثرة المسائر والمساعى كان مأخوذاً من ذلك .

(٣) يقال : كفيته الأمر أعتته عليه وقتت به دونه ، وقد استكفانى أمره فكفيته
وعدها هنا بالباء على تضمينه معنى استعانت به يقول : إن الدولة إذا استعانت به فى أية
 مهمة أو نازلة كفاها وبلغت به وحده ما تريد فكان سيفاً لها على أعضائها وكفا تضرب
بها وقلبا تفتح به الأهوال ؛ قال العكبرى : يريد بهذا أن يفضل على سيف الحديد فإنه
لا يعمل بنفسه ولا يعمل إلا بضارب ، وسيف الدولة يعمل بنفسه .

(٤) يقول : إن السيف تهاب مع أنها حديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها
 فكيف يكون حالها فى الخوف منها إذا كانت عربية نزارية ؟ أى تقطع بنفسها دون
استعانة بغيرها ، وسيف الدولة عربى نزارى ، فيكون أحق بالخوف منه .

وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَحَدَهُ
 وَيَخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ
 عَلِيمٌ بِأَمْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللَّسَى
 قَبُورِكَ مِنْ غَيْثٍ كَانَ جُلُودَنَا
 وَمِنْ وَاهِبٍ جَزَلاً وَمِنْ زَاجِرٍ هَلَاً
 هَنِئِثاً لِأَهْلِ النَّغْرِ رَأْيِكَ فِيهِمْ
 فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللَّيْثُ لَهُ صَحْباً^(١)
 فَكَيْفَ بَمَنْ يَفْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا^(٢)
 لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكَتَبَا^(٣)
 بِهِ تُنْبِتُ الدِّيَابِجَ وَالْوَشَى وَالْمَصْبَا^(٤)
 وَمِنْ هَاتِكَ دِرْعَاوَمِينَ نَائِرٍ قُصْبَا^(٥)
 وَأَنْتَ حِزْبُ اللَّهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبَا^(٦)

(١) يقول : إن الليث يرهب إذا كان وحده فلا يجترئ أحد على مواجهته فكيف إذا كان معه ليوث آخرون ؟ يريد سيف الدولة وأصحابه .

(٢) عباب البحر تراكم أمواجه وشدتها ويغشى يغطي وعب زخر وتدفق وقد سمى القوس الشديد الجرى والنهر الشديد الجريان يعبوا من ذلك يقول : والبحر تخاف أمواجه وهو مكانه فكيف الظن بمن إذا زخر وماج عم البلاد .

(٣) التي جمع لثة يقول : هو عليم بخفيات الديانات واللغات ، يعلم منهما ما لا يصل إليه غيره ، وله في ذلك خطرات تفضح العلماء وكتبهم لأنهم لم يبلغوا في العلم ما يجرى على خاطره .

(٤) يقال : بورك وبورك لك وبورك فيك وبورك عليك يدعو له بالبركة والنماء ومن غيث تميز والديابج فارسي معرب وهو الثوب الذي سدها ولحته حرير والوشى الثوب فيه ألوان شتى والصب ضرب من برود اليمن يقول : إنك تخلع علينا هذه الثياب فكأنك غيث تمطر علينا فتبت جلودنا هذه الثياب فبارك الله عليك غيثاً .

(٥) الجزل الكثير وهلا اسم صوت تزجر به الخيل والقصب المني والجمع أقباب ؛ وفي الحديث : الذي يتخطف رقاب الناس يوم الجمعة كالجار قصبه في النار قيل اسم للأمعاء كلها ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء يقول : وبوركت من رجل يهب المطاء جزلاً ويزجر الخيل يستحها ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ويشق الأمعاء فينثرها .

(٦) رأيك مرفوع بفعله وفعله هنيئاً وأصله ثبت رأيك هنيئاً لهم فحذف الفعل وأقيم الحال « هنيئاً » مقامه فصارت تعمل عمله ، وحزب الله منادى أو منصوب على الاختصاص يقول : ليهنم حسن رأيك فيهم وأنت صرت لهم حزبا — أى أعواناً وأنصاراً — في حال أنك حزب الله .

وَأَنْكَ رُعْتَ الدَّهْرِ فِيهَا وَرَيْبَهُ
فَيَوْمًا بِمَجِيلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ
سَرَايَاكَ تَتْرَى وَالِدُمُسْتَقُ هَارِبُ
أَنِي مَرَعَشًا يَسْتَقْرِبُ الْبَيْدُ مُقْبِلًا
فَإِنْ شَكَ فَلْيُحَدِّثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبًا^(١)
وَيَوْمًا بِمَجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجُدْبَا^(٢)
وَأَصْحَابَهُ قَتَلَى وَأَمْوَالَهُ نُهَجَى^(٣)
وَأَدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا^(٤)
وَيَقْفَلُ مَنْ كَانَتْ غَيْبَتُهُ رُحْبَا^(٥)

(١) وأنك عطف على وأنك حزب الله في البيت السابق والضمير في فيها وفي بساحتها للأرض وأرجنه إلى غير المذكور على حد قوله تعالى « كل من عليها فان » ورعت أفرغت وريب الدهر صروفه وحوادثه . يقول : هنيئاً لأهل الثغر أنك صرت لهم حزبا وأنك فعلت في الأرض أفصلاً أفرغت الدهر وصروفه ، فإن شك الدهر في قولي فليحدث في الأرض خطبا . يعني أن اناس آمنون من تصارييف الدهر فليس في استطاعته أن يمسم بسوء هية لك .

(٢) عنهم : أى عن أهل الثغر . والجذب : القحط .

(٣) السرايا جمع سرية وهى الجماعة من الجيش سميت كذلك قيل لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السرى أى النفيى وقيل لأنهم ينفنون سرا وخفية وتترى متواترة متتابعة وبينها فجوات وفترات قال تعالى « ثم أرسلنا رسلا تترى » وهو معلوم أن بين كل رسولين فترة قال الجوهري تترى فيها لفتان تون ولاتون فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث وهو أجود وأصلها وترى من الوتر وهو الفرد ومن نونها جعلها ملحقة والمراد هنا التى يخلف بعضها بعضا ونهى أى منهوبة والدستق اسم لقائد الروم .

(٤) مرعش حصن من أعمال ملطية ؛ يقول : أتى الدستق هذا الثغر مهزوزاً نشيطاً مبتهجا يجد البعيد قريبا فلما أقبلت عليه ولى مدبراً وهو يرى القريب جيدا خوفاً وذعراً أن تدركه ، قال العكبرى : ولقد أحسن القائل الناظر إلى هذا المعنى :

والله ما جئكم زائراً إلا رأيت الأرض تطوى لي

ولا اثنى عزمي عن بابكم إلا تمثرت بأذيالي

(٥) يقول : كذا من أقدم على الحرب وهو يكره الجلاذ جنبا يترك أعداءه ويخيم

وَهَلْ رَدَّ عَنْهُ بِاللَّقَانِ وَوُفُوهُ صُدُورَ الْعَوَالِي وَالطُّهَمَةَ الْقَبَاً (١)
 مَضَى بَعْدَ مَا التَفَّ الرَّمَاحَانَ سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَى الْهَدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهَدْبَاً (٢)
 وَلَسِكْتُهُ وَلَّى وَاللِّطْمَنِ سَوْرَةً إِذَا ذَكَرْتَهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجُنْبَاً (٣)
 وَخَلَّى الْمَذَارِيَّ وَالْبَطَارِيْقَ وَالْقَرَى وَشُعْتِ النَّصَارَى وَالْقَرَابِينَ وَالصُّلْبَاً (٤)

عن اللقاع وينكس على عقبيه وكذا يرجع عن الحرب من لم يغم سوى الرعب : أى أن المستق عد مرعوباً فكان الرعب له بمنزلة الغنيمة لغيره .

(١) اللقاع ثمر يلاذ الروم « الأناضول » والعوالى من الرماح ما دخل فى السنان إلى ثلثه والحيل للطممة التامة الحلق والقب جمع أقب وهو الضامر البطن ووقوفه فاعل رد ؛ قال الواحدى : كان المستق قد أقام باللقان فلما أقبل سيف الدولة انهزم . يقول : فهل أغنى عنه وقوفه وهل رد عنه الرماح والحيل الحسان الضامرة .

(٢) يزيد بالرمحين رماح الفريقين فنى الجمع كما قال أبو النجم :

• بين رماحى مالك ونهشل

والهدب : أشجار العين ، يقول : انهزم بعد أن تشاجرت الرماح ساعة كما تختلط الأهداب الأعلى والأسافل عند الرقاد وهذا مثل قول بعضهم :

بأ التقينا بجمد ربى إلا مثل ما تلتقى جفون السلم

(٣) السورة الحدة يقول : لسكته انهزم وللطمن فى أصحابه حدة إذا تذكرها لس جنبه قائلا : هل أصابه شيء منه ؟ أى أنه انهزم مدهوشا مرعوبا لا يدرى ما حاله وهل أصابته طعنة نافذة ؟ قال بعض الشعراء : إنه هرب وبقى من دهشه لا يدرى ما يصنع فكان يلس جنبه هل يجد روحه بين جنبيه من الدهول والفرع وهذا من قول أبي نواس :

إذا تفكرت فى هسواى له سببت رأسى هل طار عن بدى

(٤) المذارى جمع عذارى وهى البكر من النساء والبطاريق جمع بطريق وهم قواد الروم والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس والمراد بهم هنا الرهبان والقرايين جمع قريان وهو ما يتقرب به إلى الله والمراد هنا خاصة الملك والصلب جمع صليب وسكن اللام على لنة تميم يقول : إنه انهزم وترك هؤلاء ولم يلتفت إليهم لهول ما رأى .

أَرَى كَلْنَا يَبْنِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبَابًا^(١)
فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الثَّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الْحَرِيَا^(٢)
وَيَخْتَلِفُ الرَّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هَذَا لِذَا ذَنْبًا^(٣)

(١) المستهام الذي ملك عليه المشق أمره فهم على وجهه ، والصبابة رقة الشوق :
يقول : كل منا يطلب الحياة عاشقاً لها محباً حريصاً عليها .

(٢) يقول : كل من الجبان والشجاع سواء في حب النفس وإن اختلف فعلهما
فالجبان جباناً لنفسه وإبقاء على حياته اتقى الحرب وترك القتال والشجاع إنما أقدم على
الحرب دفاعاً عن نفسه وذوداً عن مهجته لأنه يخاف على نفسه العدو إن هو قعد عن
الحرب أو لأنه إذا أرى من نفسه الشجاعة تحاماه الناس واتقوه فكان في ذلك بقاءه
كما قال الحماسي — الحصين بن الحمام — :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
وتقول الحسناء .

نُهِنَ النَّفْسُ وَهَوْنَ النَّفْسُ يَوْمَ الْكُرْبِيَّةِ أَبْقَى لَهَا

وروى أن الصديق رضى الله عنه قال لخالد بن الوليد — وقد ودعه لحرب أهل
الردة — : احرص على الموت توهب لك الحياة ، ومعناه إما أن الشجاع مهيب مرهوب
لا يحام حوله ، وإما أن ذكره يبقى بعده فيكون كأنه حي كما قال جيب :

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذَّكَرَ عَقْبًا صَالِحًا وَمَضُوا يَعْدُونَ الثَّنَاءَ خَسِلُودًا

وإما أنه إذا استشهد صار حياً كما قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » قال العسكري : وهذا البيت من الحكمة ،
قال الحكيم : النفس للتجوهرة تأبى مقارناتة الدل كل الإباء وترى فناءها في طلب العز
حياتها : والنفس الدنيئة على الضد من ذلك ، وروى بدل النفس الحرب .

(٣) قال الواحدى . يقول : إن الرجلين ليفعلان فعلاً واحداً فيرزق أحدهما بذلك
الفعل ويحرم الثانى حتى كأن إحسان المرزوق ذنب للمحروم ومثاله ذلك أن يحضر الحرب
اثنان ينضم أحدهما ويحرم الآخر فحضور الحرب إحسان من الغائم ذنب للمحروم وكلاهما
فعل فعلاً واحداً وكذلك مسافران مثلاً سافرا فربح أحدهما وخسر الآخر فيعد السفر
من الراجح إحساناً يحمد عليه ومن الخاسر ذنباً يلام عليه وهذا كما أنشده ابن الأعرابي :

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى المنى من حيث يحرم صاحبه
وفي هذا — أسعدك الله — من الدلالة على القضاء وكونه ولعبه بالإنسان وعلى الحظ
وأثره في تصرفات الناس مالا سبيل إلى إنكاره ونورد هنا بعضاً مما قاله الشعراء مما
يتصل بهذا الباب وهو باب واسع جداً . قال رهين المحبين :

لا تَطْلُبَنَّ بِاللَّهِ لَكَ رُتْبَةً قَلَمُ الْبَالِغِ بِغَيْرِ حَظٍّ مِغْزَلُ
سَكَنَ السَّمَاكَانَ السَّمَاءَ كِلَاهِمَا هَذَا لَهُ رُوحٌ وَهَذَا أُعْزَلُ

وقال :

سَيَطْلُبُنِي رِزْقِي الَّذِي لَوْ طَلَبْتُهُ لَمَا زَادَ وَالْدُنْيَا حُظُوظُ وَإِقْبَالُ
إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ افْتَرَى الْعَمُّ لِلْفَتَى مَكَارِمَ لَا تُكْرَى وَإِنْ كَذَبَ الْخَالُ
« الجد هنا الحظ والعم الجماعة . وتكرى من أكرى الزاد إذا نقص ، واقرى
كذب والحال الخيلة » . ويقول أبو تمام :

يُنَالُ الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيُكْدَى الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ (١)
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَأْتِي عَلَى الْحِجَابِ إِذَنْ هَلَكْتَ مِنْ جَهْلِهِنَ الْبِهَائِمُ

ويقول أبو إسحاق الصابي :

إِذَا جَمَعَتْ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ صِنَاعَةٌ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَدْرِي الَّذِي هُوَ أَحَدُكُمُ
فَلَا تَنْفَقَدَنَّ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ بِهِ لَهَا الْأَرْزَاقُ حِينِ تَفَرَّقُ
فَخَيْثُ يَكُونُ الْجَهْلُ فَالرُّزْقُ وَاسِعٌ وَحَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ فَالرُّزْقُ ضَيِّقُ

وقال الإمام الشافعي :

لَوْ أَنَّ بِالْحَلِيلِ الْغِنَى لَوْ جَدْتَنِي بِنَجْمٍ أَفْلَاكَ السَّمَاءِ تَعَلَّقِي
لَكِنَّ مَنْ رُزِقَ الْحِجَابُ حَرُمَ الْغِنَى ضِدَّانَ مُفْتَرِقَانِ أَيْ تَفَرَّقِي

(١) أكدى الرجل خاب ولم يظفر بشيء وأصله من حافر البئر ينتهي إلى كدية
أي صخرة صلبة — فلم يمكنه الحفر فتركه .

فَأُضْحَتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقِ بَدْنِهِ إِلَى الْأَرْضِ قَدَشَقَّ الْكَوَاكِبَ وَالتُّرْبَانَ (١)
تَصُدُّ الرِّيحَ الْهَوِجَ عَنْهَا مَخَافَةَ وَتَنْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرَ أَنْ تَلْقَطَ الْحَبَّ (٢)

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَحْرُومًا أُنِيَ مَاءٌ لِيَشْرَبَهُ فِفَاضٍ فَصَدَّقِ
أَوْ أَنْ مَحْظُوفًا غَدَاً فِي كَفِّهِ عُوْدٌ فَأُورِقُ فِي يَدَيْهِ فَخَفِّقِ
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى التَّقْضَاءِ وَكَوْنِهِ بُوْسُ اللَّيْبِ وَطَيْبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ

والإشارة في قول المتنبي هذا ولذا للمرووق والمحروم المفهومين من قوله ويختلف الرزقان .

(١) فأضحت أى قلعة مرعش يقول — كما ذهب إلى ذلك الخطيب وتاجه جماعة من الشراح — : إن هذه القلعة لعلوها في الجو كأنما ابتدئ بها من الجو فأست هناك فنشقت الكواكب والتراب : يعنى الذى ارتفع منها إلى الجو حوالها فكانها مقلوبة أسها في السماء وأطى حائطها إلى الأرض. وروى ابن جنى من فوق يرفع القاف وبدؤه بالرفع أيضا جعل فوق معرفة وبناء كقبل وبعد وأراد فوفه فلما حذف الماء بناء كقبل وبعد ورفع بدؤه على الابتداء ، قال الواحدى : على رواية ابن جنى لا يستقيم لفظ البيت ولا معناه لأنه — أى المتنبي — يقول : أضحت هذه القلعة — يعنى مرعشا — كأن سورها من فوق بدئه أى من أطلى ابتدائه قد شق الكواكب بعلوه في السماء وشق التراب برسوخه في الأرض وهو كقول السموال :

لنا جبل يَحْتَلُهُ مِنْ نَجْمِهِ مَنِيْعٌ يَرِدُ الطَّرْفَ وَهُوَ كَالْيَلِ

رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَابِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يَرَامُ طَوِيلِ

(٢) تصد تعرض والهوج جمع هوجاء وهى الرياح الحقاء التى تارة تأتى من هنا وتارة تأتى من هنا وعنهما متعلق بتصد ومخافة مفعول من أجله وأن تلتقط في موضع نصب على حذف حرف الجر أى من أن تلتقط : يقول : إن الرياح الهوج تعرض عنها مخافة أن تعجز عن الوصول إلى أعلاها وكذلك الطير تحس من نفسها العجز عن الارتقاء إليها والتقاط الحب من ذراها وقال القاضى أبو الحسن الجرجاني : يريد أن الرياح لا تدنو منها خوفا من تثقيف سياسته والطير لا تقع عليها خشية أن يجرى عليها

وَتَرْدِي الْجِيَادُ الْجُرُودُ فَوْقَ جِبَالِهَا وَقَدْ نَدَفَ الصَّنْبَرُ فِي طَرْقِهَا الْمُطْبَأِ (١)
كُنِّي عَجَبًا أَنْ يَمَجَّبَ النَّاسُ أَنَّهُ بَنَى مَرَعَشًا تَبَا لَارَاهِمَ تَبَا (٢)

إذا هي التقطت الحب ما توجه حال التناول من دون إذن ، وهذا المعنى منقول من قول حبيب :

قَدْ بَثَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انْتِقَامِهِ عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدِبُّ عِقَارُ بَنِي
وهو كقول الآخر :

وكانت لا تطير الطير فيها ولا يسرى بها للجن سارى
(١) تردى من الرديان وهو ضرب من العدو ترجم فيه الجياد الأرض بموافرها ،
والجرود اقتصار الشعر وهو من آيات العتق والسكرم ، والصنبر السحاب البارد الريح
في غيم وأيضا اسم اليوم الثاني من أيام العجوز قالوا وهي سبعة أيام وأنشدوا لابن أحرر
وقيل لابن شبيل الأعرابي :

كَسِحَ الشَّاهُ بِسَبْعَةِ غُرٍ أَيَّامَ شَهْلَتِنَا مِنَ الشَّهْرِ
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا وَتَمَضَتْ صِنٌّ وَصَنْبَرٌ مَعَ الْوَبْرِ
وَبَأَمْرِ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ وَمَعَلَّلٍ وَبِمَطْفِئِ الْجُمْرِ
ذَهَبَ الشَّاهُ مُؤَلِيًا هَرَبًا وَأَتَتْكَ وَافِدَةٌ مِنَ النَّجْرِ (١)

يقال إن عجوزا كان لها سبعة أولاد خرج كل واحد منهم في يوم من هذه الأيام
قتله البرد . والمعطب القطن والمعطب مثله كسرو عسر .
قال الشاعر :

كَأَنَّهُ فِي ذُرَى عَمَائِهِمْ مُوَضَّعٌ مِنْ مَنَادِفِ الْعُطْبِ
يقول : خيلك تعدو فوق جبال هذه القلعة وقد امتلأت طرقها بالثلج الذي كأنه
قطن ندفة فيها برد الشتاء وصقيعه .

(٢) أن يعجب فاعل كنى وعجبا تمييز وتبا : أى خسرا وهلاكاً . يقول : من العجب

(١) الكسح شدة للبر ، يقال كسعه بكذا وكذا إذا جله تابعا له ومذهبا به والسهلة
العجوز . والنجر : الحر . وكل شهر في صميم الحر ناجر للعطش الذي يسببه
(١٣ — الختي ١)

وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَبَيْنَهُ إِذَا حَذَرَ اللَّحْدُورَ وَأَسْتَضَمَّ الضُّعْبَا (١)
 لِأَمْرِ أَعْدَتِهِ الْخِلَافَةَ لِلْعِدَا وَسَمَّتهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمِ الْعَضْبَا (٢)
 وَلَمْ تَتَفَرَّقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ يَتْرِكِ الشَّامَ الْأَعَادِي لَهُ حُبًّا (٣)
 وَلَكِنْ تَقَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمٍ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا (٤)
 وَجَيْشٌ يُنْتَقَى كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ خَرِيْقٌ رِيَّاحٍ وَاجَهَتْ غُضْنَا رَطْبًا (٥)

أن يجب الناس عن بني هذه القلعة وتباً لأرائهم حين لم يدركوا أنه بقدر طي كل ما يقصد إليه فكيف يتحجبون من قادر يبلغ ما يريد ؟

(١) يقول : وأي فرق بينه وبين غيره وأية مزية يمتاز بها عما سواه إذا كان يخشى ما يخشاه غيره أو كان ممن يستصعب الصعب ؟ وإنما ينفصل عن الأغيار ويفضلهم لأنه لا يخشى شيئاً ولا يتصعب عليه أمر مهما كان .

(٢) الصارم العضب : السيف القاطع يقول : إن الخليفة ما أعدته لأعدائها وسمته سيف الدولة دون غيره إلا لأمر عظيم ، وذلك أنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغاً لم يبلغه أحد .

(٣) يقول : إن أعداءه لم يخيموا عن لقائه وانهزموا أمامه رحمة له وإشفاقاً ولم يجلوا عن الشام حجة له ورغبا ولكنهم فعلوا ذلك فرقا وفزعا وهذا المعنى كقول مروان بن أبي حفصة :

وما أحجم الأعداء عنك بقيةً عليك ولكن لم يروا فيك مطعماً
 (٤) قوله غير كريمة حال أي نفي هذه الأسنة عنه في حال كونها غير كريمة كريم انثناء الخ والمراد نفي أصحابها يقول : لم تتفرق عنه أعداؤه ولا تركوا الشام حباله وإنما تقام عن الشام أذلاء صاغرين أنه رجل كريم انثناء ماسبه أحد لأنه لا يفعل ما ياسب عليه ولا سب أحداً لأدبه وكرمه . وانثناء ممدود ولكنه قصره هنا ضرورة اسم من أنفي عليه إذا وصفه بخير أو شر ولكنه غلب في الملح ويروى الثنا وهو قريب من الثنا وقوله كريم الثنا تجريد على إضمار محذوف أي تقاهها منه رجل كريم الثنا الخ .

(٥) قوله وجيش عطف على كريم الثنا . والطود الجبل العظيم والحريق الرياح الشديدة كأنها الإحصار يقول : وتقاهها عنه جيش إذا مر بجبل كان لكثرة كأنه جبل

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُفَارَهُ فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجْبًا^(١)
فَمَنْ كَانَ يُرْضَى اللُّؤْمَ وَالْكَفْرَ مُلْكُهُ
فَهَذَا الَّذِي يُرْضَى الْمَكَارِمَ وَالرَّيْبَ^(٢)

آخر قصار به الجبل جبلين وهذا معنى قوله : يثني كل طود ، ثم قال : وهو مع هذه لكثرة والسكنافة إذا لاقى عدواً كان لشدة كآته عاصف من الريح لقي غصنا رطباً فضرب به وحطمه وعبارة التراجيح أن هذا الجيش إذا مر بجبل شقه نصفين لكثرت له صلصلة تسبح كالريح الحريق إذا مرت بنصف رطب قال الشاعر :

كَأَنَّ هُبُوبَهَا حَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيقٍ بَيْنَ أَعْلَامٍ طَوَالٍ

وهذه العبارة من الغرض بحيث تحتاج هي الأخرى إلى شرح . . .

(١) مفاراه أى إغارته والعجاجة الغبار يقول : إن غبار هذا الجيش حجب السماء حتى لم تبد النجوم فكأن النجوم خافت إغارته عليها فاحتجبت عنه بذلك الغبار حتى لا يراها ، وقد أخذ هذا المعنى الجبل الحيمس يعنى فقال :

نَفِي وَاضِحَ التَّشْرِيقِ عَنِ أَرْضِ رَبِيهِ دُخَانُ قُدُورٍ أَوْ عَجَاجَةٌ مِصْدَمٍ^(١)

(٢) يقول : إذا كان هناك من الملوك من يرضى اللؤم والكفر بأن ينزل على حكمها ويصل ما يقتضيه فهذا يرضى المكارم بعبوده وسخائه ويرضى الله بجهاده في سبيله . وقال الشريف بن السجوي في أماليه : الإشارة في قوله فهذا إلى الملك لا إلى المدوح لأمرين : أحدهما أنه لو أراد المدوح لقال فأتت الذى ترضى لأن الخطاب في مثل هذا أمدح والآخر أنه أشار إلى الملك فجعل الإرضاء له لأن الإرضاء الأول مسند إلى الملك فوجب أن يكون الإرضاء الثانى كذلك لأن وجه الإشارة إليه أن قوله ملكه قد دل عليه كما توجهت الإشارة في الضمير إلى الصبر من قوله تعالى « ولئن صبر وغفر إن ذلك » لدلالة صبر عليه وكما عاد الضمير إلى الملك من قول القطامي :

مِ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مِ وَالْأَخْذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةَ الْأُولَى

(١) رجل مصدم : محرب . من التضادم

وقال فيما كان يجري بينهما من معاتبة مستعجاباً (*):

قال: وكان الوجه لأبي الطيب أن يقول في المقابلة يرضى المكارم والإيمان ليقابل بالإيمان الكفر كما قابل بالمكارم اللؤم ولكن لما اضطرتة القافية وضع لفظ الرب موضع الإيمان فكان ذلك في غاية الحسن لأن المراد في الحقيقة إرضاء أهله وإرضاء أهله تابع لإرضاء الله تعالى.

(*) مستعجاباً: مسترضياً. قال الواحدى: لما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف العولة وقف له رجاله في طريقه ليخاطبوه فلما رأى أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم سل سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يقدموا عليه ونعى ذلك إلى أبي العثائر فأرسل عشرة من خاصته فوقفوا ياب سيف الدولة وجاء رسوله إلى أبي الطيب فسار إليه حتى قرب منهم فضرب أحدهم يده إلى عنان فرسه فسل أبو الطيب السيف فوثب الرجل أمامه وتقدمت فرسه الحيل وعبرت قطرة كانت بين يديه واجرهم إلى الصحراء فأصاب أحدهم نحر فرسه بسهم فانتزع أبو الطيب السهم ورمى به واستقلت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن إمداد إن كان لهم ثم كر عليهم بعد أن فنى النشاب فضرب أحدهم قطع الوتر وبعض القوس وأسرع السيف إلى ذراعه فوقفوا عنه واشتغلوا بالمضروب فسار وتركهم فلما يشعروا منه قال له أحدهم في آخر الليلة نحن غلمان أبي العثائر ولذلك قال: ومنتسب عندي إلى من أحبه. . ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة في الليلة الثانية مستخفياً فأقام عند صديق له والمراسلة بينه وبين سيف الدولة وسيف الدولة ينكر أن يكون قد فعل ذلك أو أمر به وعند ذلك قال هذه الآيات وجاء في الصبح للنبي ما يأتي:

قال أبو فراس الحمداني يوماً لسيف الدولة: إن هذا المتشدد — يعنى للتنبي — كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان التنبي غائباً وبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وأنشده:

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً فداه الورى أمضى السيوف مضارباً

الآيات — قال: فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته — فخرج للتنبي من عنده متعيراً وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالوا في الواقعة في حق للتنبي واقطع أبو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي أولها

* واحر قلباه ممن قلبه شم *

ثم جاء وأنشدها وجعل يتظلم فيها من التصير في حقه بقوله :

مالي أكرم حبا قد برى جسدى وتدعى حب سيف الدولة الأمم

إلى أن قال :

قد زرتك وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت إليه والسيوف دم
فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة إدلاله وإعراض سيف الدولة عنه
فلما وصل في إنشاده إلى قوله :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

قال أبو فراس قد مسخت قول دعبل وادعيته وهو :

ولست أرجو اتصافاً منك ماذرفت عيني دموعاً وأنت الخصم والحكم

فقال النبي :

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فلم أبو فراس أنه يعنيه فقال ومن أنت يادعى كندة حتى تأخذ أعراض أهل الأمير

في مجلسه ؟ فاستمر النبي في إنشاده ولم يرد عليه إلى أن قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأننى خير من تسمى به قدم

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلمانى من به صمم

فزاد ذلك أبا فراس غيظاً وقال قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد

حيث يقول :

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهرأ وأظهرت إغراباً وإبداعا

حتى فتحت بإعجاز خصصت به للعمى والعم أبصاراً وأسماعا

ولما انتهى إلى قوله :

الخليل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال أبو فراس وماذا أبقيت للأمير إذا وضفت نفسك بكل هذا ؟ تمدح الأمير بما سرقتك من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ؟ أما سرقت هذا من قول المهيم بن الأسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العباني :

أعاذلتني كم مهمسه قد قطعته أليف وحوش ساكنا غير هائب
أنا ابن الفلا والطن والضرب والشري مجرد المذاكي والقنا والقواضب
حليم وقور في البسلاد وهيبتي لما في قلوب الناس بطش الكتاب
قال المتنبي :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
قال أبو فراس وهذا سرقتك من قول مقل العجلي :

إذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني فالعيمان زور وباطل
ومثله قول محمد بن أحمد بن أبي مرة السكي :

إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمى والبصراء
وضرب سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضربه
بالدواة التي بين يديه فقال المتنبي في الحال :

إن كان سرركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم
قال أبو فراس وهذا أخذته من قول بشار :

إذا رضيتم بأن نجحتي وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر
ومثله قول ابن الرومي :

إذا ما الفجائم أكسبني رضاك فما الدهر بالفاجع
فلم يلتفت سيف السولة إلى ما قال أبو فراس وأعجبه بيت المتنبي ورضى عنه في الحال
وأدناه إليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى فقال المتنبي :

جاءت دنائرك مختمومة عاجلة ألفا على ألف
أشبهها فملك في فيلق قلبته صفا على صف

من القصيدة الميمية :

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبًا فِدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبًا^(١)
 وَمَالِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ تَنَائِفَ لَا أَشْتَأَقُهَا وَسَبَابًا^(٢)
 وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ أَحَادِيثُ فِيهَا بَدْرُهَا وَالْكَوَاكِبُ^(٣)
 حَنَانِيكَ مَسْئُولًا وَابْنِيكَ دَاعِيًا وَحَسْبِي مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبًا^(٤)

(١) فداه الورى : دعاء . وعاتبنا حال ، وأمضى السيف خبر مبتدأ محذوف : أى هو أمضى السيف مضاربا ، أو تقول إنه منصوب على اللحن ومضاربا تمييزا ، ومضارب السيف حدودها . يقول : ما لسيف الدولة غضبان ؟ أى لم غضب ؟ وما سبب غضبه ؟ فلست أعرف لى ذنبا يوجب ذلك ، ثم دعاه ، ثم قال لا سيف أمضى منه مضربا .

(٢) التنايف جمع تنوفة وهى المفازة ، والسباب جمع سبب وهى الفلاة القفر . يقول : مالى إذا اشتقت إليه أبصرت بينى وبينه فلوات بعيدة مترامية الأطراف من عتبه وتجافيه واستيحاشه ؟

(٣) أراد بالسماء مجلسه ، جعله كالسماء رفعة له وجعله كالقدر ومن حوله من ندمائه وأهل مجلسه كالكوكب ؛ وعجالة الخطيب التبريزى : شبه مجلسه بالسماء وجعله بدرأ وحوله كواكب ، فهو كقوله أيضاً :

أقلب منك طرفى فى سماء وإن طلعت كواكبها خصالا

(٤) حنانيك كلمة موضوعة المصدر استعملت مثناة كأنه خانان بعد حنان أى تمننا بعد تمنن ، ومثلها ليك من لب به إذا لزمه ، وحسبى وحسبك خبران مبتدأهما محذوفان : أى . وأنت حسبى وأنا حسبك والمنصوبات كلها على الحال وقيل : على التمييز . يقول : تمنن على تمننا بعد تمنن إذا كنت مسئولا ولك الإجابة إذا كنت داعيا وكفى بى موهوبا : أى إننى أشكر من يهينى وأشيد بذكره وكفى بك واهبا ، أى : أنك أشرف الواهبين ولست أحتاج إلى واهب آخر بعد هباتك .

أَهَذَا جَزَاءُ الصُّدْقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا
أَهَذَا جَزَاءُ الْكِذْبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا^(١)
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلُّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
تَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الْمَحْسُورِ مَنْ جَاءَ تَائِبًا^(٢)

وقال وقد عرض على سيف الدولة سيوف مذهبة وفيها سيف غير مذهب فأمر
بإذهابه :

أَحْسَنُ مَا يُخَضَّبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاضِيهِ النَّجِيعُ وَالْفَضْبُ^(٣)

(١) قال الواحدى : أى إن كنت صادقاً فى مديحك فليس ماتعاملنى به جزاء
لصدقى . وإن كنت كاذباً فليس هذا جزاء الكاذبين ، لأنى إن كذبت قد تجملت لك
فى القول فتجمل لى أنت أيضاً فى المعاملة .

(٢) يقول : إن كان ذنبى ذنباً ليس بعده ذنب فالتوبة من الذنب محو ليس بعده
محو ؛ وهذا المعنى مأخوذ من الحديث الشريف : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(٣) الذى صرح عن المتنبى : وخاضيه — على التثنية — وهو عطف على ما : أى
وأحسن خاضيه ، والنجيع الدم . يقول : إن هناك خضابين الذهب والدم وأحسنهما
الدم ، وهناك خضبان الصناعة والفضب — لأن خضبه بالذهب لا يكون إلا صناعة
الصيقل ، وخضبه بالدم إنما يكون بسبب الفضب الباعث على الجلاد بالسيف — وأحسن
الخاضبين الفضب ، وروى : وخاضيه — بكسر الباء — على أنه جمع خاضب قال ابن
جنى : وخاضيه عطف على ما ، وجمع الخاضبين جمع تصحيح لأنه أراد من يعقل ومالا
يعقل كقوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمضى على بطنه » الآية : كأنه
خلط الجميع وكفى عنهم بما يكفى به عمن يعقل : وذكر الفضب مجازاً وأراد صاحبه . وقال
ابن فورجه : خضض خاضيه على القسم أى وحق خاضيه وجعل الفضب خضاباً للحديد
لأنه يخضبه بالدم على سبيل التوسع وحسن ذلك لأن الفضب يحمر منه الإنسان ، وهذا
كقولك أحسن ما يخضب الحدود الحمراء والحجل لأن الحجل يصبغ الحد أحمر ، فلما
كانت الحمرة تابعة للحجل جمعها تأكيذاً ؛ كذلك لما كان النجيع تابها للفضب جمعها
وهو يريد للدم وحده ويكون الفضب تأكيذاً للنجيع : أتى به للفاية .

فَلَا تَشِينَهُ بِالنُّضَارِ فَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ (١)

وتشكى سيف الدولة من دمل قال فيه :

أَيْدِرِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ وَهَلْ تَرَقَى إِلَى النَّكَاحِ الْخَطُوبُ (٢)
وَجِسْمِكَ فَوْقَ هَيْبَةٍ كُلِّ دَاءٍ فَتَقْرُبُ أَقْلَهَا مِنْهُ عَجِيبُ (٣)
يُجْمَشُّكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا وَقَدْ يُؤْذِي مِنَ اللَّقَةِ الْحَبِيبُ (٤)
وَكَيفَ تَعْلُكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَيِّبُ (٥)

(١) شأنه عابه ، والنضار الذهب . يقول : لا تشنه بالأذهاب فإنه إذا أذهب — ولا يكون ذلك إلا بعد إسمائه — ذهبت سقايته أى ماؤه .

(٢) أراهه : أفزعه وأوقع به شيئاً يشك في عاقبته : أخيراً يكون أم شراً ؟ يقول : هل يدري هذا الدمل أى الناس قد ألقى ؟ وهذا استفهام تعجب واستعظام ، ثم قال متعجباً : وهل ترقى خطوب الدهر وأحداثه إلى الفلك ؟ جملة كالفلك لمؤ قدره ورفعة شأنه .

(٣) الضمير في أقلها يعود إلى كل داء : كما في قوله تعالى « وكل في فلك يسبحون » أو تقول إن الضمير يعود على المجموع المستفاد من المعنى : أى أقل الأدوية يقول : إن جسمك لا ينبغي أن تتألم منه الأدوية ، فمن العجب أن يقربك أقل الأدوية . وجعل للأدوية همة مجازاً .

(٤) التجميش : شبه المغازلة والللاعية بين الحبيبين ؛ قال أبو العباس ثعلب : قيل للمغازلة تجميش من الجش وهو الكلام الحفي وقيل من الجش الذى هو ضرب من الحلب لجنسها بأطراف الأصابع ؛ واللقة : الهبة ، وأصلها ومق . يقول : إن الذى ألم بك إنما هو تجميش من الزمان لجهه إياك وتلقه بك لأنك جماله وأمثل أهله ، وقد يكون الحب سبباً لإيذاء المحبوب .

(٥) يقول : أنت طيب الدنيا الذى تشفى أدواها فتقوم المعوج وتطرد الظلم والغيث والفساد فكيف تملك وأنت طيبها ؟

وَكَيفَ تَنْوِبُكَ الشُّكْوَى بِدَاءِ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَاثُ لِمَا يَنْوِبُ^(١)
 مَلَّتْ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ طِعَانٌ صَادِقٌ وَدَّ- صَبِيبٌ^(٢)
 وَأَنْتَ الْمَلِكُ تُمْرِضُهُ الْحَشَايَا لِهَمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ الْحُرُوبُ^(٣)
 وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا وَعَشِيرَهَا لِأَرْجُلِهَا جَنِيبٌ^(٤)
 مُجَلِّحَةٌ لَهَا أَرْضُ الْأَعَادِي وَاللُّسْمِرُ الْمُنَاحِرُ وَالْجُنُوبُ^(٥)

(١) يقول: وكيف تلم بك الشكوى وبك يستعاث مما ينوب من نوائب الدهر فتغيث وترفع الشكوى؟

(٢) و (٣) مقام: مصدر ميمي بمعنى الإقامة، يفتح ويضم. وصيب: مصبوب ويقال ماء صيب وصب كما تقول ماء سكب وماء غور، قال دكين بن رجا:

تَنْضَعُ ذِفْرَاهُ بِمَاءِ صَبِّ مِثْلِ الْكُحَيْلِ أَوْ عَقِيدِ الرَّبِّ^(١)
 والحشاياء جمع حشية معدولة عن المحشوة وهي الفرش المحشوة. يقول: لقد اعتدت الطعان والجلاد وسفك دم الأعداء ولبعد همتك لا ترى شفاء لك إلا في ممارسة الحروب ولا آلم ولا أجلب للأدواء من الجلوس على الفرش المحشوة أو النوم عليها ومن أجل ذلك تمل الإقامة يوماً واحداً لا تخرج فيه للغزو ولا يكون فيه طعن صادق ودم مصبوب.

(٤) الضمير في تراها للخيل وإن لم يجر لها ذكر لتقدم ما يدل عليها؛ والعشير مثال درهم العبار، والجنيب الذي تقوده إلى جنبك. يقول: ما بك مرض غير نزاعك إلى ملاقاته العدو بخيل يتبع العبار قوائمها كأنه جنب تقوده، أي أنك انقطعت عن ذلك فنال منك جبه كما ينال الحب من العاشق إذا انقطع عن رؤية معشوقه.

(٥) مجلحة حال ثانية للخيل والحال الأولى جملة وعشيرها لأرجلها جنب، ومجلحة

(١) الذفري الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن وهما ذفريان والكحيل النفط الذي تطل به الإبل الجرياء، ورب السمن والزيت: ثفله الأسود، وعقيدته ما غلظ منه.

قَرَطَهَا الْأَعْنَةَ رَاجِعَاتٍ فَإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبْتَ قَرِيبٌ^(١)
 إِذَا دَلَّ هَذَا بَقَرَاطُ عَنْهُ فَلَمْ يُعْرِفْ لِصَاحِبِهِ ضَرِيبٌ^(٢)
 يَسْتَفِ الدَّوْلَةَ الوُضَاءُ تُمْنِي جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَنْيِبُ^(٣)

مصممة ماضية شديدة الأقدام ؛ و يروى محجلة ، و على هاتين الروايتين يكون لها خبرا مقدما عما بعده ؛ و يروى الخوارزمي محجلة أى قد أحلت لها أرض العدو فهى تطؤها ؛ و السمير الرماح ؛ و للناهر جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق ؛ و الجنوب جمع جنب وهو ما يلى الإبط إلى الكشح . يقول : وما بك مرض غير أن ترى الخيل على تلك الحال وأن تراها مصممة ماضية أحلت لها أرض الأعداى تطؤها و تحتاحها و أحلت للرماح حناجرهم و جنوبهم تنفذ فيها .

(١) الأعنة جمع عنان سير اللجام ، و قرط الفارس عنان فرسه أرخاه حتى يجعله فى قذاله للحضر^(١) فيصير لأذنه بمنزلة القرط يقول : أرخ لها الأعنة لترجع إلى بلاد الأعداى فإنها لا تبعد عليها إذا طلبتها لسرعتها .

(٢) الهمزة للاستفهام المحض أو للتقرير ، و ذا اسم إشارة ، و هفا زل . و الضريب النظير ، و بقراط الطبيب اليونانى المشهور . يقول : أهذا الداء — داء ولوعه بالحرب إلى حد أن فيها شفاء وأنه لو قد عنها يوما نجر ومرض — أهذا داء محضل لم يهتد إليه بقراط و ليس لصاحبه نظير لأنه لا يعرف أحد يمرض لترك الحرب ، و يروى إذا داء على أن إذا أداة شرط و داء فاعل لفعل محذوف يؤخذ من لازم ما بعده أى إذا خفي داء أو إذا أعضل داء و نحو ذلك ؛ و قوله فلم يعرف جواب إذا . و الفاء زائدة على مذهب البصريين ، فيكون الفعل بعدها مستقبلا . يقول: الداء الذى لم يذكره بقراط لا نظير لصاحبه بين الناس لأنه لو كان له نظير لسبق مثله فذكره الأطباء و يروى إذا داء — بجر داء — على أن الهمزة للنسباء و ذا بمعنى صاحب : أى يا صاحب الداء الذى هذه صفته .

(٣) الوضاء ضم الواو و تشديد الضاد : الشديد الوضاءة ؛ أى الحسن من صيغ البالغة كحسان و كبار . يقول : إنه ينظر منه إلى شمس لا تنيب لأنه موجود ليل نهار بخلاف الشمس .

(١) القذال ما بين الأذنين من مؤخر الرأس ، و الحضر : الجرى .

فَأَغْزُوْ مِنْ غَزَا وَبِهِ اِقْتِدَارِي وَأَرْبِي مَنْ رَمَى وَبِهِ أُصِيبُ
وَالْحِصَادِ عُدْرٌ أَنْ يَشْحُوا عَلَى نَظْرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يَدْزُبُوا^(١)
فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ^(٢)

وأحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب
معه فأدرهم بعد ليلة بين مابين يعرفان بالغبارات والخرارات فأوقع بهم وملك
الحريم فأبقى عليه فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة - وأنشده إياها في
جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

بَغَيْرِكَ رَاعِيًا عَيْثَ الذَّئَابُ وَغَيْرِكَ صَارِمًا نَلَمَ الضَّرَابُ^(٣)
وَتَمَلِّكَ أَنْفَسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ^(٤)
وَمَا تَرَكَوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ يُعَافُ الْوَرْدُ وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ^(٥)

(١) أن يشحوا أى فى أن يشحوا : أى أنى أعذر الحساد فى شحمهم ؛ أى بخلمهم
بالنظر إليه .

(٢) يقول : إن القلوب تحسد العيون على نظر المدوح فإذا حسده على ذلك أحد
فهم معذور .

(٣) راعياً وصارماً منصوبان على التمييز ، وأصل العبث اللعب ، ويقال عبث به إذا
ابتذله واستباح حرمة ، والصارم السيف القاطع ، والضراب بمعنى المضاربة ؛ شبهه
بالراعى وشبه هؤلاء الأثأثرين بالذئاب . يقول : إن الذئاب تعبث بغيرك فى حال رعيه
وسياسته وبلم الضراب غيرك فى حال قطعه : أى إذا كنت أنت الراعى لم تعبث الذئاب
بسواملك وإذا كنت أنت الصارم لم يملكك الضرب ؛ والمعنى إذا كنت أنت الحافظ لرعيك
لم يحم حولهم أحد بما يضرهم خوفاً منك .

(٤) طرأ أى جميعاً نصب على الحال . يقول : أنت تملك أنفس الإنس والجن جميعاً
فكيف يكون لهذه القبيلة — قبيلة بنى كلاب — أن تملك أنفسها ؟

(٥) معصية نصب على أنه حال أو مفعول لأجله ، ويعاف يمقت ويتحاشى ، والورد
ورود الماء والواو فى قوله والموت الشراب : للحال . يعتذر لهم يقول : إنما تركوك

طَلَبْتَهُمْ عَلَى الْأَمْوَاءِ حَتَّىٰ تَخَوْفَ أَنْ تُفَنِّشَهُ السَّحَابُ (١)
 فَبِتُّ لِيَايَا لَا نَوْمَ فِيهَا تَحْبُّ بِكَ الْمُسَوِّمَةُ الْعِرَابُ (٢)
 يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ كَمَا فَضَّتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ (٣)
 وَتَسْأَلُ عَنْهُمْ الْفَلَوَاتِ حَتَّىٰ أَجَابَكَ بِمَعْضَمٍ وَهُمْ الْجَوَابُ (٤)
 فَاتَّلَّ عَنْ حَرَمِيهِمْ وَفَرَّوْا نَدَىٰ كَفَيْكَ وَالنَّسْبُ الْقُرَابُ (٥)

وانهزموا حين طلبتهم خوفا منك لا عصيانا وعمردا عليك لأنهم إذا ثبتوا أوردوا أنفسهم موارد التلف والهلاك .

(١) يقول : تقيت أمواه البادية في طلبهم حتى خشي السحاب أن تفتشه تطلبهم لديه لما فيه من الماء .

(٢) خب الفرس أسرع ؛ وقيل : الحجب أن يتقل الفرس أيامه جميعاً وأياسره جميعاً وقيل هو أن يراوح بين يديه ورجليه وكذلك البعير ؛ والمسومة الخيل المعلقة بعلامات تعرف بها : وقال أبو زيد في قوله تعالى « والخيال المسومة » : الخيل المسومة ، المرسله وعليها ركبتها وهو من قولك سومت فلاناً إذا خليته وسومه ، أى وما يريد والعراب العريية . يقول تعدو بك الخيل العريية المعلقة في طلبهم لاتعرف النوم .

(٣) العقاب طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوى الخالب له منقار أعقف . شبهه - وهو في قلب الجيش والجيش حوله يضطرب للسير - بقاب تهز جناحها وتحركهما لدى طيرانها .

(٤) الفلوات الصحاوى ، جعل طلبه إلام في الفلوات كالسؤال عنهم وجعل الظفر بهم كالجواب وليس ثم سؤال ولا جواب . وإنما لاستعارة رائحة . يقول : ما زلت تتبع آثارهم في الفلوات حتى أدركتهم في إحداهما .

(٥) ندى كفيك فاعل قاتل ، والواو من وفروا للحال : أى والحال أنهم قد فروا وأصل الحرى ما يحمله الرجل ويندود عنه ؛ والمراد هنا النساء ، والقراب القريب . يقول إنهم فروا أمامك وهربوا وظفرت بحرميمهم فما كان منك إلا أن أحسنت إلى الحرى وحات دون سبيه وصنته فكان جود كفيك والنسب القريب الذى بينك وبينهم قاتلا دون حرميمهم .

وَحِفْظُكَ فِيهِمْ سَلَفِي مَعَدَّةً وَأَنَّهُمُ الْعَشَائِرُ وَالصَّحَابُ^(١)
تُكْفِكُ عَنْهُمْ صُمَّ الْعَوَالِي وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُنْمِهِمُ الشَّعَابُ^(٢)
وَأَسْقَطَتِ الْأَجْنَةُ فِي الْوَلَايَا وَأَجْهَضَتِ الْحَوَائِلُ وَالسَّقَابُ^(٣)
وَعَمَرُوا فِي مَيَّامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَبُّ فِي مَيَّاسِرِهِمْ كِبَابُ^(٤)

(١) يقول : وقاتل عنهم حفظك فيهم سافى معد — يريد ربيعة ومضر لأن سيف الدولة ينتهي إلى ربيعة لأنه من تطلب وبنو كلاب ينتهون إلى مضر لأنهم من قبيل ربيعة ومضر ابنا زرار بن معد بن عدنان — وأنهم عشائرهم وأنهم أصطابك .

(٢) تكفك تكف ، والصم الصلاب ، والعوالي صدور الرملح ، وشرفت غصت والظعن جمع ظمينة وهي المرأة ما دامت في الهودج ثم كثر حتى قيل للمرأة ظمينة وإن لم تكن في هودج . والشعاب جمع شعب وهو الطريق في الجبل . يقول : إنك تكف عنهم الرماح إشفاقا عليهم وقد فروا وغصت بظمائنهم شعاب الجبال .

(٣) الأجنة جمع جنين وهو الولد في بطن أمه ، والولاياء جمع ولية وهي شبه البرذعة تحمل على سنام البعير أو كساء يحمل تحت البرذعة وقيل كل ما ولي ظهر البعير من كساء أو غيره فهو ولية ، وأجهضت أسقطت والحوائل جمع حائل : الأنثى من أولاد الإبل ؛ والسقاب جمع سقب الذكر منها . يقول : لشدة فزعهم والهول الذي ألم بهم أجهضت النساء في البراذع : أي على ظهور الإبل وأسقطت نوقهم أولادها ذكورا وإناثا .

(٤) عمرو قبيلة منهم ذهبت ذات اليمين وتفرقت فصارت عمورا وكعب ذهبت ذات اليسار وتفرقت فصارت كعابا . يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا فصارت عمورا وعمورا وكذلك كعباً ؛ وفي هذا المعنى يقول كعب بن مالك :

رَأَيْتُ الشَّعْبَ مِنْ كَعْبٍ وَكَانُوا مِنْ الشَّنَانِ قَدْ صَارُوا كَعَاباً^(١)

(١) يريد أن آراءهم تفرقت وتضادت فكان كل ذي رأى منهم قبيلة على حدته فلذلك قال صاروا كعابا .

وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَهَا وَخَاذَلَهَا قُرَيْظُ وَالضَّبَابُ^(١)
 إِذَا مَا سِرَتْ فِي آثَارِ قَوْمٍ تَخَاذَلَتْ الْجَمَاجِمُ وَالرَّقَابُ^(٢)
 فَمَدَّنَ كَمَا أَخَذَنَ مُعَكَّرَمَاتٍ عَلَيْنَهُنَّ الْقَسَالِيدُ وَالْمَلَابُ^(٣)

(١) هؤلاء بطون بني كلاب ، وأنت أبا بكر على معنى القبيلة أو العشيرة . يقول :
 إنهم لما اتهموا خذل بعضهم بعضا لتشاغلهم بأرواحهم .
 (٢) قال ابن جنى : التخاذل التأخر ، وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة تأخر الإنسان :
 أى لما سرت وراءهم تأخرت رموسهم لإدراكك إياهم وإن كانت فى الواقع قد أسرع
 واستبعد العروضى هذا المعنى قال : تخاذل الجماجم والرقاب هو أن يضربها بالسيف
 فيقطعها ويفصل بينهما فتساقط فكان كل واحد منهما خذل صاحبه . وقال الواحدى :
 الذى أراه غير هذا ، يقول : إن الرءوس تتبرأ من الأعتاق والأعتاق تتبرأ منها خوفاً
 منك فلا يبقى بينهما تعاون . وهذا المعنى أراه الخوارزمى فقال :

وكنت إذا نهدت لفزو قوم وأوجبت السياسة أن يبيدوا
 تبرأت الحياة إليك منهم وجاء إليك يعتذر الحديد
 وطلقت الجماجم كل نخذ وأنكر صحبة العنق الوريد

وعبارة بعض الشراح إذا نوت رقابهم الثبات نوت جماجمهم التأخر لشدة خوفها من
 سيفك وكذلك عند العكس فيكاد كل فريق منهما يطلب صنع الفرار بنفسه ويترك الآخر .
 (٣) للملاب : ضرب من الطيب ، فارسى معرب . قال الجوهري : كالحلوق ، قال
 جرير يهجو نساء بني تميم :

ولو وَطِئَتْ نِسَاءُ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى تَبْرَآكِ أَخْبِئِنَّ التَّرَابِ
 تَطَلَّى وَهِيَ سَيِّئَةُ الْمُعَرِّمِ بَضْنِ الْوَبْرِ تَحَسَّبُهُ مَلَابِ^(١)

يقول : لما ظفرت ببني كلاب أخذت نساءهم إلى أما كنهن مكرمات مصونات من
 من الابتدال ، عليهن قلائدهن وطيهن لم يضع منهن شيء فالضمير فى عدن وما بعده

(١) تبرآك : ماء لبني العنبر ، والصن بالكسر : بول الوبير ينثر للأفوية وهو

متن جداً .

يُثَبِّنَكَ بِالَّذِي أُوتَيْتَ شُكْرًا وَأَيِّنَ مِنَ الَّذِي تُولِي الثَّوَابَ (١)
 وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْنًا وَلَا فِي صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابٌ (٢)
 وَلَا فِي قَدَمِهِنَّ بَنِي كِلَابٍ إِذَا أَبْصَرْنَا غُرَّتَكَ أَغْتَرَابٌ (٣)
 وَكَيْفَ يَتِيمٌ بِأَسْكَ فِي أَنْاسٍ تُصَيِّبُهُمْ قِيَوْمُكَ الْمَصَابَ (٤)

يعود على النساء وإن يجر لهن ذكر اعتمادا على ما ذكر في البيت : فقاتل عن حريمهم وفروا . . . البيت .

(١) أثابه كافأه ، وأوليت أنعمت . يقول : إنهن يشكرن لك ما أوليتهن من الإحسان ولكن إحسانك أعظم وأجل من أن يكافأ .

(٢) يقول : ليس في مصيرهن إليك وصونهن لديك أى عيب لأنهن يكرامن إياهن كأنهن عند أهلهن وأزواجهن .

(٣) القرية الوجه . يقول : لا غربة عليهن إذا زأينك ؛ إذ لا فرق بينك وبين أزواجهن وأقاربهن .

(٤) البأس الشدة ؛ والمصاب مصدر ميمي بمعنى الإصابة . يقول لا يتم فيهم بأسك وشدتك لأنك حين تصيبهم بمكروه ينال ذلك منك فيأصابتك إياهم كأنك تصيب نفسك وهذا المعنى قديم تعاوره الشعراء كثيرا : قال قيس ابن زهير العبسي :

فإن أك قد بردتُ بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بناني
 وقال الحماسي — الحارث بن وعله الجرمي — :

قومي هم قتلوا أميمَ # أخي فإذا رميتُ يصيبني سَهْمِي
 ولئن عفوتُ لأعفونَ جَلالا ولئن سطوت لأوهنَ عظمي (١)
 وقال المديلي :

وإني وإن عاديتهم أوجفوتهم لتألم مما علّ أ كبادم كبدى
 وقال النيمري :

فإنك — حين تبلغهم أذاة وإن ظلموا — لمحترق الضمير

(١) أميم : مرخم أميمة ، وهو منادى وأخى مفعول قتلوا .

تَرَفَّقَ أَيُّهَا الْوَلِيُّ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ (١)
وَأَمَّهُمْ عَيْدُكَ حَيْثُ كَانُوا إِذَا تَدَعَوْا لِجَادِئَةٍ أَجَابُوا (٢)
وَعَيْنُ الْمُخْطِئِينَ هُمْ وَلَيْسُوا بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطَبُوا فَتَابُوا (٣)

(١) يقول : ارفق بهم وإن جنوا فإن من رفق بمن جنى عليه كان ذلك الرفق عتاباً لأن الصفع عن الجاني يجمله عبداً لك * وما قتل الأحرار كالعفو عنهم *
(٢) و (٣) الخطأ والخطاء ضد الصواب ، تقول أخطأ بخطيء إذا سلك سبيل الخطأ ؛ أما الخطأ بكسر الحاء فهو الذنب ؛ تقول خطأ بخطأ خطأ وخطأة كقطة ؛ والاسم الخطيئة كفعيلة ؛ ولك أن تشدد الياء لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة ، أو واو ساكنة قبلها ضمة وهما زائدتان للدلالة للألحاق ولاهما من نفس الكلمة فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واوا وبعد الياء ياء وتدغم وتقول في مقروء مقروء وفي خبيء خبي بتشديد الواو والياء ؛ وجمع الخطيئة خطايا . وكان الأصل خطأي بهمزة على فاعل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت اثنان ياء لأن قبلها كسرة واستقلت والجمع ثقيل وهو مع ذلك معتل فقلبت الياء ألفاً ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفاها بين الألفين . وقال أبو عبيدة : خطيء وأخطأ بمعنى واحد ، وهما لئتان ؛ قال امرؤ القيس :

يَالْهَفَ هِنْدٍ إِذْ خَطَبُنِي كَاهِلًا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكِ الْحَلَّاحِ (١)

وقال غيره : الخطيء من أراد الصواب فصار إلى غيره والخطيء من تمددنا لا يبنى وتخطأه وتخطأه أي أخطأه ؛ قال أوفى بن مطر المازني :

أَلَا أَبْلَغْنَا خَلْتِي جَابِرًا بَانَ خَلِيلِكَ لَمْ يُقْتَلْ (٢)
تَخَطَّاتِ النَّبْلُ أَحْشَاءُهُ وَأَخَّرَ يَوْمِي فَلَمْ يَعَجَلْ

(١) خطئن أي أخطآن ، يريد الخيل وإن لم يجر لها ذكر على حد قوله تعالى « حتى توارت بالجاباب » وهند هذه امرأة أبيه لم تلد لأبيه حبر شيئا ، خلف عليها امرأ القيس وخرج في طلب بني كاهل فأوقع بحمي من بني كنانة وهو يظن أنهم من كاهل ، وكاهل بطن من بني أسد ، والحلال السيد في عشيرته الشجاع الضخم المروءة .
(٢) الخلة الصديق ، الذكر والأنثى والواحد والجمع في ذلك سواء .

(١٤ - المتبى ١)

وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ وَهَجَرُ حَيَاتِهِمْ لَمْ تُعِقَابُ (١)
 وَمَا جَهَلْتَ أَيَادِيكَ الْبَوَادِي وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ (٢)
 وَكَمْ ذَنْبٌ مُؤَلِّدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بُعْدٌ مُؤَلِّدُهُ اقْتِرَابُ (٣)
 وَجُرْمٌ جَرَّهُ سُفْهَاءُ قَوْمٍ وَحَلٌّ بَغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ (٤)

يقول : إن كانوا عخطين فليسوا أول من أذنب وقد تابوا والتوبة تجب « تقطع » ما قبلها وهم عبيدك حيث كانوا إذا دعوتهم للموت أجابوك . يعتذر عنهم إلى سيف الدولة .
 (١) يقول : أنت التي بك بقاؤهم فإذا غضبت عليهم وهجرتهم فقد هجرتهم الحياة ولا عقاب أكثر من هجر الحياة .

(٢) أيديك نعمك والبوادي خلاف للذن ؛ يريد أهل البوادي ، والبوادي : فاعل جهلت ؛ وأيديك مفعوله ، وقال العسكري : سألت شيخنا أبا محمد عبد النعم النحوي عند قراءته عليه عن هذا البيت وقلت له يجوز أن يكون البوادي نعتاً للأيدى والبوادي في نصف البيت ، فكأنه عن الوقف وهو موضع وقف ، كقولك أجبته الداعي ؛ وقد يوقف على قوله تعالى « يومئذ يبعثون الداعي » بالسكون ، ويكون فاعل جهلت مضمرأً فيها . فقال لي : أنت مفرىء وقد قست ، ومع هذا أنت حفي (١) ، فصوب ما قلت ؛ ويكون البوادي على هذا : السابقات التي بدت إليهم . يقول : إنهم لم يجهلوا بصيانتك سوابق نعمك ، ولكن قد يخفي الصواب على المرء فيأتي غيره .

(٣) يقول : قد يتولد الذنب من الدلال فيأتي المدل بالذنب يظنه دلالاً ، وقد يكون البعد سببه القرب . يعتذر عنهم : أي أنهم أدلوا عليك لفرط إحسانك إليهم فأتوا في ذلك بما صار ذنباً وجناية منهم .

(٤) الجرم : الذنب ؛ والسفه : خفة الحلم أو تقيضه . يقول : وكم جرم جناه سفیه فذل العذاب بغيره ؟ وهذا المعنى قد طرقة الشعراء كثيراً قال :

رَأَيْتَ الْحَرْبَ يَجْنِبُهَا رِجَالٌ وَيَصَلِّي حَرَّهَا قَوْمٌ بَرَاءُ

وقال :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به إن القتي بآبن عم السوء مأخوذ

(١) لعله يريد الحق بمعنى المستقصى في السؤال .

فَإِنْ هَابُوا بِجُرْمِهِمْ عَلِيًّا فَقَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مِنْ يَهَابٍ (١)
وَإِنْ يَكُ سَيْفَ دَوْلَةٍ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودٌ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ (٢)
وَتَحْتِ رَبَابِهِ نَبَتُوا وَأَثْوَا وَفِي آيَاتِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا (٣)

وقال النابغة :

وَحَمَلْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتُهُ كَذِي الْعُرَى يُسْكُوِي غَيْرِهِ وَهُوَ رَائِعٌ (١)
وقال البحرى :

نصد حياه أن نراك بأعين جنى الذنب عاصيها فلم مطيعها
وأروع الجميع - وقه التل الأعلى - قوله جل شأنه : « واتقوا فتنة لا تصيب
الذين ظلموا منكم خاصة » .

(١) على : اسم سيف الدولة . يقول : إن ظفوه بسبب جرمهم فله رجس الفخر عنده
كما يهاب ، لأنه جواد سبب .

(٢) يقول : إن يك سيف الدولة من تطلب لا من قيس فهو ولي نعمتهم ؛ لأن
جلودهم نبتت بإحسانه إليهم ، واكتست بما خلع عليهم من ثياب .

(٣) الرباب : غيم يضرب إلى السواد ؛ يرى كأنه دون السحاب ؛ قال عبد الرحمن
ابن حسان :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُورِينَ السَّحَابِ نَعْلُمُ تَمَلُّقَ بِالْأَرْجَلِ
وَأَثْوَا : تقووا وكثروا ، من أث النبات ؛ كثروا وتف ، وهو أئمت ، ويقال كذلك
شعر أئمت ، وامرأة أئمتة : كثيرة اللحم ، ونسوة أئمت ، قال رؤبة :

وَمِنْ هَوَايَ الرَّجْحِ الْأَثْمُ تَمِيلُهَا أَجْزَاؤُهَا الْأَوَاعِثُ
« الرجح : جمع رجاج ، وهي الثقبلة السميرة ، والأواعث : اللينات ؛ فكان
الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . يقول : إنهم نشأوا في نعمته وقووا وعزوا

(٢) العر : قروح مثل القوياء ، تفرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوامها يسيل
منها مثل الماء الأصفر فتسكوى الصحاح ثلاثا تعديها للمراض .

وَتَحْتَ لَوَائِهِ ضَرَبُوا الْأَعَادِي وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الصَّعَابُ (١)
 وَلَوْ غَيْرَ الْأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا ثَنَاهُ عَنِ شُمُوسِهِمْ ضِيَابُ (٢)
 وَوَلَّى دُونَ نَائِبِهِمْ طَعَانًا يُبْلَقُ عِنْدَهُ الذُّئْبُ الْغَرَابُ (٣)
 وَخَيْلًا تَفْتَدِي رِيحَ الْوَاوِي وَيَكْفِيهَا مِنَ الْمَاءِ السَّرَابُ (٤)

إحسانه كالنبات الذي نما بماء السحاب ، فاستعار السحاب للاخسان ، والنبات للمسحون إليه .

(١) يقول : بانتسابهم إليه وإلى خدمته تمكنوا من أعدائهم واتقاد لهم من العرب من لا يتقاد لأحد :

(٢) قال الواحدي : يذكر قوتهم وشوكتهم ، وأن غير سيف الدولة لو أتاهم لما ظفر بهم ، وكفى بالشموس عن النساء وبالضباب عن الحمامة دونهم : لأن الضباب يستر الشمس ويحول دون النظر إليها . قال : ويجوز أن يكون هذا مثلا معناه لو غزاهم غيره لكان له ما يشغله بما يلقي قبل الوصول إليهم وإباحة حريمهم : أى أنه كان يستقبله من قليلهم ما يعنعه من الوصول إلى الذين هم أكثر منهم ؛ فجعل الضباب مثلا للرعاع ، والشموس مثلا للسادة ، وقال ابن الإفريقي : يريد شموس كل يوم يقاتلهم فيه .

(٣) ولاقى : عطف على ثناه ، والثاءى : جمع ثاية : كآى وآية ، وهى حجارة تجعل حول البيت بأوى إليها الراعى ليلا ، وفيها مبارك الإبل ومرابض النعم . يقول : لو غزاهم غيره لثناه ضباب عن شموسهم وللاقى دون وصوله إلى هذه الحجارة حربا يكثر فيها القتل حتى يجتمع عليهم الذئب والغراب طلبا للحوم اقتلى ، فكيف له بالوصول إلى استباحة حريمهم ؟ وقد تورك بعضهم على المتنبى أن الذئب لا يأكل إلا ما اقتصره ، بخلاف الضبع والكلب ؛ وأشد في ذلك :

ولكل سيدٍ معشرٍ في قومه دُعْرٌ يُدْنِسُ عِرْضَهُ وَيُعِيبُ

لولا سواه تجزرت أوصاله عُرْجُ الضَّبَاعِ وَصَدَّ عَنْهُ الذِّيبُ

« الدعر : الحائض الذي يعيب أصحابه » .

(٤) وخيلا : عطف على طعانا . والواوي : جمع مومة ، وهى المفازة يقول : وكان

يلاقى خيلا تصودت قطع المفاوز على غير علف وماء حتى كأن غذاءها الريح وماءها السراب لأنها هراب مضرة معودة قلة العلف والماء .

وَلَكِنْ رَبَّهُمْ أَسْرَى إِلَيْهِمْ فَمَا نَفَعَ الْوُقُوفُ وَلَا الذَّهَابُ (١)
 وَلَا آسَلَ أَجْنَ وَلَا نَهَارًا وَلَا خَيْلٌ حَمَلَنَ وَلَا رِكَابٌ (٢)
 رَمَيْتَهُمْ بِبَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفَهُمْ عُبَابٌ (٣)
 فَسَّاهُمْ وَبُسْطَهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطَهُمْ تُرَابٌ (٤)
 وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ فَنَاءٌ كَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابٌ (٥)
 بَنُو قَتَلَى أَيْكَ بِأَرْضِ نَجْدٍ وَمَنْ أُنْبِي وَأَبْقَتْهُ الْحِرَابُ (٦)
 عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِفَارًا وَفِي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سِخَابٌ (٧)

(١) رب كل شيء : مالكة ، ويقال أسرى إذا سار ليلا ، وسرى إذا سار نهراً وقيل هما لغتان تستعملان بمعنى واحد . يقول : إنك سرت إليهم فما نفعهم الوقوف في ديارهم للذود والدفاع ، ولا الذهب للهرب ، لأنهم إن وقفوا قتلوا ، وإن هربوا أدركوا .

(٢) الركاب : الإبل . يقول : ولم ينفعهم ليل يسترون تحته ، ولا نهار يكشفونك فيه ، ولا خيل وإبل تحملهم للهرب ، فهم لهيبتك تلددوا حائرين حين طلبتهم فلم ينج بهم شيء من ذلك .

(٣) العباب : معظم الماء وكثرته ، جل جيشه بجزاً من حديد لكثرة لابسى الحديد فيه . ثم جعلهم يمجون خلفهم في سيرهم ، فكأنهم بحر يمد عجابه وراءهم .

(٤) يقول : طرقتهم ليلاً وهم يفترون الحرير آمنون فيبتهم وقتلهم حتى جدلوا على على الأرض وأصبحوا وفرشهم التراب بعد الحرير ؛ وقال للمرى : يريد نهبهم فلم يترك لهم شيئاً يقدون عليه سوى التراب .

(٥) يقول : وصار الرجال كالنساء ، ذلاً واستخذاءً واتقياداً .

(٦) بنو : خبر مبتدأ محذوف : أي هم بنو قتلى أيبك ؛ ومن أنبى : عطف عليه ، وفاعل أنبى : ضمير يعود على أيبك : يشير إلى ما كان من أبي الهيجاء والد سيف الدولة مع بني كلاب ، وذلك أنه لما هم بالحج كان أوقع بهم في أرض نجد وقتك بهم . فهو لاء هم أبناء أولئك وبقيتهم .

(٧) السخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها من الجوهر شيء يلبسها الصبيان ،

وَكُلُّكُمْ أُنَىٰ مَاتَىٰ أَبِيهِ فَعَلَّ كَلِّكُمْ عَجَابٌ (١)
كَذَا فَلَيْسَ مِنْ مَلَبِّ الْأَعَادِي وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلَيْكُنِ الطَّلَابُ (٢)

وجمها سخب . يقول : إن أباك قتل آباءهم وعفا عن الأبناء فأعتقهم وهم صغار يلبسون السخاب فاشوا عتقاه سيفه .

(١) يقول : كلا كما فعل فعل أبيه ، فهم تقيوا آباءهم في التمرد والعصيان وأنت أخذت أخذ أبيك في الفرو والفران ؛ ففطهم حين عصوك عجيب ، إذ لم يتبروا بأبائهم ؛ وفعلك أيضاً عجيب إذ صفت عنهم وأجيت على باقهم وأنى مأتى فلان أى فعله وأخذ إخذه ، والفعال — بفتح الفاء — فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعال ، وفلان لئيم الفعال ، ولك أن تكسر الفاء على أنه جمع فعل .

(٢) يقول : مثل هذا الفعل فلينعل من يطلب الأعدى ، وليكن طلابه مثل هذا السرى الذى سرت حتى بلغت مرادك ، فقوله كذا فى موضع نصب بقوله فليس ، والفاء إنما تعطف أو تكون جواباً . فإذا تقدم المفعول أو الخبر جاءوا بها ليحلوا أن الخبر وضع فى غير موضعه ، وبنس الكوفيين تأول أخاك فاضرب : أنه منصوب بفعل مضمر تقديره أقصد أخاك فاضرب ، وهذا يحسن فى المفعول ، وأما فى الخبر فيعد . . وقوله مثل سراك نصب لأنه خبر فليكن .

وقال يرثي أخت سيف الدولة ، وقد توفيت بميافارقين وورد خبرها إلى الكوفة
فكتب أبو الطيب بهذه المرثية إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة :

- (١) يَا أُخْتَ خَيْرِ أَيْحَ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبِي كِنَايَةً بِيهَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ (١)
(٢) أَجَلُ قَدْرِكَ أَنْ تُسَمَّى مُؤَبَّنَةً وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَكَ لِلْعَرَبِ (٢)
(٣) لَا يَمْلِكُ الطَّرْبُ الْحَزُونَ مُنْطِقَهُ وَدَمَعُهُ وَهَمَّا فِي قَبْضَةِ الطَّرْبِ (٣)

(١) نصب كناية على الصدر ، كأنه قال كنيته كناية . يقول : يا أخت سيف الدولة
ويا بنت أبي الهيجاء ، وهو المراد بأشرف النسب ، فكفى عن ذلك ، يريد أن نسبا
من أشرف الأنساب ، فإذا كنيته بهما عرفت لأنهما خير الناس : فاذا قلت يا أخت
خير أخت ويا بنت خير أب عرفت .

(٢) مؤبنة : حال من الباء في تسمى : أى حال كونك مؤبنة : أى مرثية من
التأبين ، وهو الثناء على الميت . يقول : أنت أجل من أن أعرفك باسمك بل وصفك
يعرفك بما فيك من المحاسن والحمد التي ليست في غيرك ، وهذا يضي عن تسميتك ،
كما قال أبو نواس :

فهي إذا سُمِّيتْ لَقَدْ وُصِفَتْ فَيَجْمَعُ الْأَسْمُ مَعْنَيْنِ مَعَا

(٣) الطرب : صفة من الطرب ، وهو خفة تمرى عند شدة الفرح أو الحزن والهم .
قال النابغة الجعدي في الهم :

سَأَلْتَنِي أَمْسَى عَنْ جَارَتِي وَإِذَا مَا حَمِي فَوَاللَّبِّ سَأَلْ
سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَايْسِ هَلَكُوا شَرِبَ الدُّعْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ
وَأَرَانِي طَرِبًا فِي إِزْرِمِ طَرَبَ الرَّوَالِهُ أَوْ كَالْحَتْبَلِ

« الرواله : اثناكل ، والحتبل : الذي اختبل عقله : أى جن » يقول اللنبي : من استخفه
الحزن غلبه على لسانه ودمعه فلا يملكهما ، لأنهما إذ ذاك يكونان في قبضة الطرب
أى الحزن - يصرقهما كما يشاء .

غَدَرْتَ يَا مَوْتَ كَمْ أَفْنَيْتِ مِنْ عَدَدٍ (٤)
 بِمَنْ أَصَابَتْ وَكَمْ أَسْكَتْ مِنْ لَجْبٍ (١)
 وَكَمْ صَحَبْتَ أَخَاهَا فِي مَنَازِلِهِ وَكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبِيخَنَّ وَلَمْ تَخْبِ (٢)
 طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ فَرَزَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ (٣)
 حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقَهُ أَمَلًا شَرِقْتُ بِالذَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي (٤)

(١) اللجب : الضجيج واختلاط الأصوات ؛ وجيش لجب عرمرم : أى ذوجلبة وكثرة ، وبجر ذو لجب إذا سمع صوت أمواجه ، وأصله كل صوت عال يقول : غدرت يا موت بسيف الدولة إذ أخذت أخته وأنت تقفى به العدد الكثير وتهلك الجيوش وتسكت ضجيجهم ، وإذا كان عونك على الإقناء كان من حقاك أن ترعى ذمته ولا تتجمعه بأخته ، وقيل معنى البيت : أنه مات بموتها خلق كثير ، وسكت لجبهم وترددم في خدمتها ، أو أنهم سقطوا عن برها وصلاتها ، فكأنهم ماتوا . قال الواحدى : وجه غدر الموت أنه أظهر إهلاك شخص وأخسر فيه إهلاك عالم كان يحسن إليهم فهلخوا بهلاكه . هذا معنى : كم أفنيت من عدد ؛ وهذا كقول القائل :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه ببيان قوم تهديما
 وكقول ابن المقفع :

وأنت تموت وحدك ليس يدري بموتك لا الصغير ولا الكبير
 وتقتلنى فتقتل بى كريماً يموت بموته بشر كثير

(٢) يقول : وكم صحبت أخاها يا موت في غزواته وطلبت إليه أن يمكثك من إهلاك من أردت فأجابك إلى ذلك ومكثك بسيفه عن أردت ؛ وهذا كقوله الآنى في قافية اللام :

شريك المنايا والنفوس غنيمة فكل ممات لم يمته غلول

(٣) الجزيرة : ما بين دجلة والفرات ، وخبر تنازعه كل من طوى وجاءنى يقول : لما جاءنى هذا النى وطوى الجزيرة حتى ورد على فى الكوفة رجوت أن يكون كذبا وتعلت بهذا الرجاء .

(٤) يقول : حتى إذا صبح الخبر ولم يبق رجاء فى أن يكون كذبا غصصت بالدمع

٨ تَمَثَّرَتْ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ ألسنها

وَالْبُرْدُ فِي الطَّرْقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ (١)

٩ كَانَتْ فَعْلَةً لَمْ تَمَلَأْ مَوَاكِبَهَا دِيَارَ بَكْرِ وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبْ (٢)

١٠ وَلَمْ تَرُدَّ حَيَاةً بَعْدَ تَوَلِيَّةٍ وَلَمْ تُفِثْ دَاعِيًا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ (٣)

١١ أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مَذُنَمِيَّتٍ فَكَيْفَ لَيْلُ فِتْيَانِ فِي حَلَبِ (٤)

١٢ يَظُنُّ أَنْ فُوَادِي غَيْرُ مُنْتَهَبٍ وَأَنْ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبِ (٥)

لغلبة البكاء وكثرة الدموع حتى كاد الدمع يشرق بي : أى حتى صرت بالقياس إلى الدموع كالشيء الذى ينفص به فى القلة . والشرق بالدمع أن يقطع الانتحاب نفسه . ومحصل المعنى : كاد الدمع لإحاطته بي أن يكون كأنه غص بي .

(١) لم يلحق الباء فى به بالهاء واكتفى بالكسرة ضرورة ، والبرد جمع بريد — وسكن الراء على لفة تميم — والبريد : كلمة فارسية أصلها بريدته دم : أى محذوف الدنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذنان كالعلامة لها ، ثم سمي الرسول الذى يركب دواب البريد بريدآ . يقول : لهول هذا الخبر تلجلجت به الألسنة فى الأفواه ، وتعثرت الرسل الحاملة له فى الطرق ، ورجفت أيدى الكتاب فى كتابته .

(٢) فعلة : كناية عن اسم الرثية ؛ وهو خولة . يقول : مضت فكأنها لم تكن تلك التى ملأت جيوشها ديار بكر ، والتي كانت تهب وكانت تخلع فانطوى ذلك بموتها .

(٣) بالويل : متعلق بداعيا ؛ وتولية : أى ذهاب وإدبار : مصدر ولى ، والويل : الهلاك ، والحرب : ذهاب المال ، حرب الرجل ، سلب ماله ، والداعى بالويل والحرب الذى يصيح : واويلاه ، واحرباه . يقول : ولقد كانت ترد حياة للمهوف بالإغاثة والإجارة والبذل ، وتفيث من يدعوها إذا دعاها بالويل والحرب .

(٤) يقول : طال ليل أهل العراق منذ أتمام نعيمها حزنا عليها ، فكيف ليل أخينا سيف الدولة فى حلب ؟ قال العكبرى : ليس لهذا البيت معنى طائل ، وفيه سهاجة . . .

(٥) أراد : أيلظن ، فخذف حرف الاستفهام ، والضمير لسيف الدولة ، ويروى بالتاء على الخطاب . يقول : أتظن أى غير حزين .

(١) بَلَىٰ وَحُرْمَةٌ مِّنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً لِّحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقُصَادِ وَالْأَدَبِ (١)
 وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْزُوثٍ خَلَّاتِهَا وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْزُوثَةَ النَّسَبِ (٢)
 وَهَمَّهَا فِي الْعُلَىٰ وَالْمَجْدِ نَاشِئَةً وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ (٣)
 يَغْلَمُنَ حِينَ تَحْيَا حُسْنَ مَبْسِمِهَا وَلَيْسَ يَغْلَمُ إِلَّا اللَّهُ بِالشَّنْبِ (٤)

(١) بلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء كان مجردا أم مقرونا بالاستفهام . يقول : بلى فؤادى ملتهب ودمى منسكب بحق حرمة من كانت تراعى حرمة هذه الأمور ، وقوله وحرمة الخ : قسم .

(٢) ومن مضت : عطف على من كانت - في البيت السابق - . والحلائق : جمع خليقة بمعنى الخلق ، والنسب : المال . يقول : وبحرمة من ماتت ولم تورث أخلاقها ، لأنه لا يوجد بعدها من يشبهها فيها وإن كان مالها موروثا

(٣) أترابها : لذاتها ونظيراتها في العمر : جمع ترب - بكسر التاء - للذكر والمؤنث . يقول : همها منذ صباها منصب في العلا وتدير الملك بينها أقرانها همهم في اللهو واللعب ، وهذا من قول حمزة بن يفيص :

فهمكُ فيها جسام الأمور وهم لذاتك أن يلبوا

(٤) الشنب : قيل هو تحزيز أطراف الأسنان ، وقيل صفاؤها وتقاؤها وقيل تفلجها ، وقيل طيب نكهتها ، وقال الجرمي : سمعت الأصمى يقول : الشنب برد الفم والأسنان ، فقلت إن أصحابنا يقولون هو حدثها حين تطلع ، فيراد بذلك حدثتها وطرارتها لأنها إذا أتت عليها السنون احتسكت ، فقال: ما هو إلا بردها ، وقول ذى الرمة لمياه في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب

يؤيد قول الأصمى ، لأن اللثة لا تكون فيها حدة . يقول : إن أترابها إذا جئن إليها رأين حسن مبسمها ولا يعلم ما وراء شفتيها من الشنب إلا الله لأنه لم يذقه أحد ، قال الواحدي : وأساء في ذكر حسن مبسم أخت ملك وليس من العادة ذكر جمال النساء في مرثئين . قال ابن جنى : كان التنبي يتجاسر في ألفاظه جدا وفي معنى بيت التنبي

لا والذي تسجد الجباه له مالي بما ضم ثوبها خبر
 ولا فيها ولا هممت بها ما كان إلا الحديث والنظر

(١٧) مَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرَقَهَا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ (١)
(١٨) إِذَا رَأَى وَرَأَاهَا رَأْسَ لَابِسِهِ رَأَى الْمَقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فِي الرَّتَبِ (٢)

(١) مفرقها : موضع افتراق الشعر من الرأس ؛ وهو مبتدأ خبره مسرة قال ابن جنى : وحسرة خبر إما عن مفرقها أو عنها تقديره : الميتة حسرة في قلوب البيض واليلب إلى أن قال : والأجود أن يجعل مفرقها خبر للسرة ، أو مسرة خبره ، والجملة خبر مبتدأ محذوف : أي وهي مسرة في قلوب الطيب مفرقها ، وهي حسرة في قلوب البيض واليلب ، واليلب : اللدروع الجمانية تتخذ من الجلود ، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرموس خاصة تحت البيض ؛ واحدها يلبة ، قال عمرو بن كلثوم :

عَلِينَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْيَمَانِيُّ وَأَسْيَافٌ يَقْنُنُ وَيُنْحَنِينَا

قال الجوهري : ويقال اليلب ما كان من جنن الجلود ولم يكن من الحديد ومنه قيل للدرق يلب . قال الشاعر :

عَلَيْهِمْ كُلُّ سَابِقَةٍ دِلَاصٍ وَفِي أَيْدِيهِمُ الْيَلْبُ الْمُدَارُ

قال : واليلب في الأصل ذلك الجلد قال أبو دهل الجحى :

دِرْعِي دِلَاصٌ شَكَّهَا شَكُّ عَجَبٍ وَجَوْبُهَا الْقَاتِرُ مِنْ سَيْرِ الْيَلْبِ

«عجوبها : أي ترسها وجوب قاتر : أي ترس حسن التقدير ، والبيض : جمع بيضة ، وهي الخوذة من حديد . يقول : إن الطيب يسر باستعمالها إياه واليلب يتحسران بتركها لبسهما ، لأنهما من ملابس الرجال ، واستعار لهما قلوبا مجازاً لوصفه لها بالسرة والحسرة .

(٢) المقانع : جمع مقنع ومقنعة ، وهو ما تقنع به المرأة رأسها ، وتقدير الشطر الأول : إذا رأى البيض أو اليلب رأس لابسه ورأها ، فضمير رأى للبيض واليلب ، وأفرد الضمير لأنهما مترادفان ، فكأنهما شيء واحد . يقول : إذا رأى البيض رأس لابسه ورأى هذه المرأة وهي تلبس المقانع رأى المقانع أعلى رتبة منه فإزداد حسرة على تركها إياه وحرمانه ذلك .

(١٩)

وَإِنْ تَكُنْ خُلِقْتَ أَنْتَى لَقَدْ خُلِقْتَ

كَرِيمَةً غَيْرَ أَنْتَى الْعَقْلِ وَالْحَسْبِ (١)

(٢٠)

وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْقُلُبَاءُ عُنُصْرَهَا

فَإِنَّ فِي الْخُمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ (٢)

(٢١)

فَلَيْتَ طَالَعَةَ الشَّمْسِينَ غَائِبَةً

وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسِينَ لَمْ تَغِبْ (٣)

(٢٢)

وَلَيْتَ عَيْنَ النَّهَارِ بِهَا

فِدَاءَهُ عَيْنَ الَّتِي زَالَتْ وَلَمْ تَتُوبْ (٤)

(٢٣)

فَمَا تَقَلَّدَ بَالْيَاوُوتِ مُشَبَّهًا

وَلَا تَقَلَّدَ بِالْهِنْدِيَّةِ الْقُضْبِ (٥)

(١) الحسب : شرف الآباء أو العمال الصالح : أى شرف الفعل وأنتد ثعلب .

* وَرُبَّ حَسِيبِ الْأَصْلِ غَيْرُ حَسِيبِ *

أى له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو . يقول : إن لها عقل الرجال وحسبهم وإن خلقت أنتى .

(٢) تغلب : قبيلة سيف الدولة . والغلباء : فى الأصل الغليظة الرقبة . والمراد العززة الأبية الممتعة ، وعبارة الواحدى : الغلباء : الغلاظ القلوب ، نعمهم بظلم الرقبة لأنهم لا يذلون لأحد ولا ينفقون له . يقول : هى وإن كانت من تغلب — تلك القبيلة المعروفة بالمر والنعة — بيد أن لها مع ذلك من الفضائل ما تبارز به عنهم وتفضلهم ، كالحجر أصلها العنب ، ولكن فى الحجر من المزايا ما ليس فى العنب ، ومن ثم تفضله ، وهذا مثل قوله : فإن المسك بعض دم العزال .

(٣) جعلها وشمس النهار شمسين ثم قال : ليت طالعتما — وهى شمس النهار — غائبة وليت غائبتما — وهى المرئية — لم تغب . يقول : إن فى حياتها منافع جمّة ، فليتها بقيت وقعدنا الشمس .

(٤) آب : رجع . يقول : وليت عين الشمس فداء عين المرئية التى غابت ولم ترجع .

(٥) الهندية : السيوف ، والقضب : جمع قضيب ، وهو اللطيف الدقيق من السيوف . يقول : ليس لها شبيه ، لا من النساء ولا من الرجال .

٢٤ وَلَا ذَكْرَتْ جَبِيلًا مِنْ صَنَائِعِهَا
٢٥ فَذَكَرَتْ كَلَّ حِجَابِ دُونَ رُؤْيَيْهَا
٢٦ وَلَا رَأَيْتِ عُيُونَ الْإِنْسِ تَذَرِكُهَا
٢٧ وَهَلْ سَمِعْتِ سَلَامًا لِي أَلَمَّ بِهَا
٢٨ وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دَفِنْتَ
إِلَّا بَكَيْتُ وَلَا وَدَّ بِلَا سَبَبٍ (١)
فَمَا قَنَعَتْ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ (٢)
فَهَلْ حَسَدَتْ عَلَيْهَا أُعْيُنَ الشُّهْبِ (٣)
فَقَدْ أَطَلْتُ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ بَكْبٍ (٤)
وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَانِنَا الْغَيْبِ (٥)

(١) الصنائع : جمع صنعة ، وهى الإحسان واليد . يقول : إذا ذكرت صنائعها بكيت لمحبتي إياها ، وسبب محبتي هو صنائعها لى وإحسانها إلى وروى ابن جنى بلا ود ولا سبب أى ليس بكأى لود أو سبب سوى صنائعها التى أولت ، فهى تذكرنى فأبكي .

(٢) يقول : كانت محبوبة عن الأعين بأوفى حجاب فأحبت الأرض أن تكون من حجبها فانضمت عليها ، فكانت الأرض لم تنفع بما حولها من الحجاب حتى حجبها بنفسها .

(٣) يقول : لم تكن عيون الناس تصل إليها ، فهل حسدت الكواكب يا أرض على النظر إليها فواريتها عنهن ؟

(٤) قال الواحدى : يقول للأرض : هل سمعت سلاما لى أتاها ؟ يريد أنه يجيز إليها السلام والدعاء وسأل الأرض عن بلوغ سلامه إليها ثم قال : وقد أطلت التائبين والمرئية وتجهيز السلام عليها ولم أسلم عليها من قرب ، لأنها ماتت على بعد منه ، ولك أن تقول : إن المعنى بعبارة أخرى : هل سمعتى يا أرض أسلم عليها ؟ أى هل رأيتى قريبا منها فحسدتى على قربها فقد أطلت اليوم من السلام عليها ولم أسلم من قرب ؟ قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى معنى هذا البيت ، فجعل الاستفهام فيه إنكرا وقال . يقول : قد أطلت السلام عليها وأنا جيد عنها ، فهل سمعت يا أرض سلامى قريبا منها ؟

(٥) التيب : جمع غالب ، مثل خدم وخدام . يقول : كيف يبلغ السلام أمواتنا المدفونين وهو قد يقصر عن بلوغ أحيائنا الغائبين ؟ وكأن هذا مبنى على معنى البيت السابق : أى أن سلامه لم يكن يبلغها فى حياتها للبعد الذى بينهما ، فكيف يبلغها بعد موتها ؟ والظاهر أن الكلام على عمومته ، وليس فيه — كما ذهب بعضهم — تعرض بسيف الدولة ، وأن يقصر سلامه دونه .

- (٢٩) يَا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى الْقُلُوبِ بِهَا
(٣٠) وَقُلْ لِصَاحِبِهِ يَا أَنْعَمَ الشُّجْبِ
(٣١) وَأَكْرَمَ النَّاسِ لَا مُسْتَنْبِئًا أَحَدًا مِنْ الْكِرَامِ سِوَى آبَائِكَ النَّجْبِ
(٣٢) قَدْ كَانَ قَاتَمَكَ الشَّخْصِينَ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَفْدِيَّ بِالذَّهَبِ
(٣٣) وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَنْفَعُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ

(١) أولى القلوب بها : هو قلب أخيها - أى سيف الدولة - والضمير فى لصاحبه يعود على أولى القلوب ، وصاحبه هو سيف الدولة . يقول : يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذى هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها ، وقل لصاحب هذا القلب يا أنعم السحب : أى أن عطاءه أهنا لأنه بغير أذى ، والسحاب قد يؤذى سيلاه وتهلك صواعقه .

(٢) وأكرم الناس : عطف على أنعم السحب ، والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم من كل شئ ، ورجل نجيب : أى كريم فاضل بين النجاية ، والنجبة مثال الهمة النجيب ، يقال هو نجبة القوم إذا كان النجيب منهم ، وأنجب الرجل : أى ولد ولداً نجيباً . قال الأعشى :

أَنْجَبَ أَرْزَمَانَ وَالِدَاءُ بِهِ إِذْ نَجَّلَاهُ فَنَمَّ مَا نَجَّلَا

« وسيمر بك شرح هذا البيت فى موضع آخر » وامرأة منجبة ومنجاب : أى تله النجباء يقول : وقل له يا أكرم الناس غير مستثن أحدًا سوى آبائك الكرام . قال العكبرى : وهذا لفظ منكر يدخل فيه الأنبياء ومن دونهم . أقول : وهى إحدى مبالغات التنبي الصبيحة .

(٣) ويريد بالشخصين : أخته . ماتت إحداهما - وهى الصغرى - وبقيت الكبرى ، فكانت كدر فدى بذهب ، جعل العكبرى كالدر ، والصغرى كالذهب .

(٤) المتروك : هو الدر ، والتارك : الدر . يقول : وبعد ذلك عاد الدر يطلب الكبرى وأخذها . لأن الأيام لا تغفل عن طلب ما تركته . وهذا البيت والذى قبله

كأنهما من قول الأعرابي :

وَقَاتَمَنِي دَهْرِي بَنِي مَشَاطِرًا فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي

- ٣٣ ما كَانَ أَقْصَرَ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهُمَا
كأنه الوقت بين الورد والقرب (١)
- ٣٤ جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْأَحْزَانِ مَغْفِرَةً
فَحَزَنٌ كُلُّ أَحَى حُزْنٍ أَخُو الْغَضَبِ (٢)
- ٣٥ وَأَنْتُمْ نَفَرٌ تَسْخُو نَفُوسَكُمْ
بِمَا يَهَبْنَ وَلَا يَسْخُونَ بِالسَّبِّ (٣)
- ٣٦ حَلَلْتُمْ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كَلَاهِمٍ
مَحَلٌّ سُمِّرَ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ (٤)
- ٣٧ فَلَا تَتَلَّكَ اللَّيَالِي إِنْ أَيْدِيهَا
إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْقَرَبِ (٥)

(١) الورد : إتيان الإبل الماء ، والقرب : سير الليل لورد الغد ، وذلك أن القوم يرعون الإبل وهم في ذلك يسيرون نحو الماء . فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية مجلوا نحوه ، تلك الليلة ليلة القرب . يقول : إن أحليهما كانا متقاربين جداً حتى إن المدة التي بينهما كانت تقصرها كأنها المدة التي بين الورد والقرب ؛ وهي ليلة .

(٢) يقول : غفر الله لك أحزانك لأن الحزن للصيبة أخو الغضب على القدر حيث لم يجز بمراد الإنسان ، والغضب على القدر مما يستغفر منه .

(٣) يسخون : أى النفوس ، ووزنه يظطن ، فالواو لام الفعل ، والنون علامة الإخمار وجمع التأنيت ، وهو مثل « إلا أن يظنون » أى النساء ، ويروى تسخون — بلفظ خطاب الذكور. — والسلب : ما يؤخذ من القتل من ثياب وسلاح ، وفي الحديث الصحيح : من قتل قتيلاً فله سلبه . يقول : إنما تحزن لأن الدهر سلبك المروية وأتم قوم أهل عزة وأتفة ، تجودون بالذى تعطونه عن طيب نفس ، ولا تجودون بما يؤخذ منكم قهراً ، وهذا المعنى كقول القائل :

لَا جَزَعًا بَلْ أَنْفًا شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضْبِهِ

(٤) القنا : عيدان الرماح . يقول : أتم بين الملوك كالتقنا بين سائر القصب والقنا يفضل سائر أنواع القصب ، وكذلك أتم تفضلون سائر الملوك .

(٥) النبع : شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال تتخذ منه القسي ، والقرب نبت ضعيف ينبت على الأنهار . يدعو له يقول : لا أصابتك الليالي بسوء ، فإنها تطلب القوى بالضعيف .

وَلَا يُعِينُ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ
وَإِنْ سَرَزْنَ بِمَحْبُوبٍ فَجَعْنِ بِهِ
وَرُبَّمَا أَحْسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا
وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ
تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ
فَقِيلَ تَخَلَّصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِكَةٌ
فَإِنَّهُنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بِالْخَرْبِ (١)
وَقَدْ أَتَيْتَكَ فِي الْحَالَتَيْنِ بِالْمَجَبِ (٢)
وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُحْتَسَبِ (٣)
وَلَا أَتَى أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبٍ (٤)
إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَأُخْلِفَ فِي الشَّجَبِ (٥)
وَقِيلَ تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْمَطَبِ (٦)

٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣

(١) الحرب ذكر الجباري (١) وجمعه خربان ، يدعو له أن لا تمين الليالي من عاداه
فإنهن يصدن القوي بالضعيف ، وهو بسبب من معنى البيت السابق .
(٢) يقول : إن سرتك الأيام بوجود ما تحبه فجئتك بفقده إذا استردته وقد أرينك
العجب حيث سررتك بها ثم فجئتك بفقدها فكانت سببا للسرور والنعيمه ، وهذا عجب
أن يكون شيء واحد سببا للسرور والنعيمه .
(٣) يقول : قد يحسب الإنسان أن المحن قد تناهت فيلم به شيء لم يكن في حسابانه ،
وإذن لا تؤمن فجعات الدهر .
(٤) اللبانه : الحاجة ؛ والأرب : الغرض ، فهما متقاربان ، يقول : لم يقض أحد
حاجته من الدنيا لأن حاجات الإنسان لا تنقضى ، فإذا فرغ من أرب انتهى إلى أرب
آخر ، وذلك كما يقول أمية بن أبي الصلت :

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما تبقى

(٥) و (٦) الشجب : الهلاك ، والخلف : الاختلاف ، والمراد بالنفس : الروح .
يقول : جرى خلف الناس في كل شيء ولم يتفقوا إلا على الهلاك : أي أن منتهى كل
حيوان أن يموت فيهلك ، ثم اختلفوا في حقيقة الهلاك : ففريق يقول : إن الروح تسلم
من الهلاك ولا تنفئ ببناء الأجسام — وهؤلاء هم المقرون بالبعث — وفريق يذهب
إلى أن الروح ينفئ كالجسم — وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم .

(١) الجباري : طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقا ، وهو أنواع كثيرة ،
ويضرب به المثل في البلاهة فيقال : أبله من الجباري ؛ قيل : لأنه إذا غير عشه ذهل
وحضن يفض غيره .

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ (١)

وأنفذ إليه سيف الدولة كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله المسير إليه ، فأجابه بهذه الأبيات وأنفذها إليه في ميفارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة (٢) :

فَهَمْتُ الْكِتَابَ أَبْرَّ الْكُتُبِ قَسَمًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ (٣)
وَطَوَّعًا لَهُ وَأَبْتَهَاجًا بِهِ وَإِنْ قَصَرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجَبَ (٤)
وَمَا عَافَى غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ وَإِنَّ الْوِشَايَاتِ طُرُقُ الْكُذْبِ (٥)

(١) للهجة : الروح . يقول : من فكر في الدنيا وأنه مفارقتها ألبتة أتعبه هذا الفكر لما يجد في ذلك من الأسف على الدنيا والخوف على روحه ؛ ثم رأى في الوقت نفسه أن ذلك قضاء حتم لا يستطيع الفرار منه ، فيرى نفسه بين حالين من التعب والعجز .

(٢) هذه القصيدة من المتقارب ، وتقطعها فعولن أربع مرات ، دخله القصر فصار فعولن فعولن فعولن فعل ، وقد ارتكب أبو الطيب فيها سناداتوجيه ، وهو المخالفة في حركة ما قبل الروى المقيد ، ومن الناس من لا ينده سناداً اكتفاء باتفاق الروى .

(٣) (٤) سما وطوعا وابتهاجا : ثلاثتها مصادر دلت على أفعالها : أى سمعت أمرك سما ، وطعت طاعة ، وابتهجت بكتابتك ابتهاجا ، والابتهاج : الفرح يقال بهج بالشيء وله - بالكسر - بهاجة وبتهج : سر به وفرح . قال الشاعر :

كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بَهَجْتُ بِهِ فَقَدْ تَطَايَرُ مِنْهُ لِلْبَيْلَى خِرْقُ
يقول : إني سامع لأمرك ، مطيع له ، مبتهج بكتابتك بيد أن فعلى في طاعتك لا يبلغ ما يجب ، إذا أتى قصرت بتخلفي عن الهوى إليك .

(٥) الوشاة . جمع واش ، وهو النمام . يقول : لم يمتنعى من النهوض إليك غير خوفي الوشاة ، فإن الوشايات من طرق الكذب فلا يأمنها البريء .

وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ وَتَقْرِيهِمْ وَيَنْبَأَ وَالْحَبِّ (١)
 وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالْحَسَبِ (٢)
 وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللَّجِينُ وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتَ الذَّهَبُ (٣)
 فَيَقَاقُ مِنْهُ الْبَيْمُودُ الْأَنَاةَ وَيَغْضَبُ مِنْهُ الْبَطْلِيُّ الْغَضَبَ (٤)
 وَمَا لَأَقْنِي بَلَدٌ بَعْدَ كُمْ وَلَا أَعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نِعْمَايَ رَبِّ (٥)

(١) وتكثير قوم وتقليلهم : أى تكثيرهم معائبنا وتقليلهم مناقبنا ، والتقريب ضرب من العدو : يقال قرب الفرس : إذا رفع يديه معا ووضعهما معا فى العدو ، والحب : السرعة ، وقيل هو أن يراوح الفرس بين يديه ورجليه فى العدو يقول : وعاقبى أيضاً خوف تكثير قوم معائبى وتقليلهم مناقبى وسميهم بيننا بالفساد .

(٢) يقول : إنه كان يصنى إليهم ويسمع منهم ، بيد أن قلبه كان على أية حال مع بعضه فى ذلك شرفه ، فعد إصغاءه إليهم نصراً لهم . وزاعه إليه نصراً له .

(٣) و (٤) اللجين : الفضة ، والأناة : الحلم والرفق والتثبت ، وبعد الأناة كناية عن كونه لا يستخف من أول وهلة . وقوله فيقلق : جواب النفي فى البيت الأول ، والضmir فى منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت : أى فيقلق من قولى هذا . يقول إننى لم أنقصك مما تستحق من المدح شيئاً كما ينقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب : أى لم أهجك فتتكبر على ولم آت فى حقك ما يوجب أن ينزعج لمثلك فى بعد أناته وبطء غضبه .

(٥) لا قنى : أمسكنى وحبسنى ، يقال منه : فلان لا يليق ببلد ، أى ما يمتسك ولا يليقه بلد : أى لا يسكه . قال الأصمى للرشيد : ما ألاقنى أرض حتى أتيتك يا أمير المؤمنين : أى ما ثبت بها ، ويقال فلان ما يليق بكفه درهم : أى ما يحتبس ، وما يليق هو درهما : أى ما يحبسه ولا يلصق به . قال الشاعر :

كفك كفتى ما تليق درهماً وأخرى تعط بالسيف الدماً

ورب نعمى : صاحب نعمتى ، ووقف على الباء من قوله رب - وهى موضع نصب - ضرورة للقافية ، وخفها - وحكمها التشديد - لوقوعها روياء . يقول : ما أخذت عوضاً منكم ، ولا أمسكنى بلد بعدكم ، ولا أعجبى ، ولا لى مستقر إلا عندكم . إذ لا أصيب

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَمَا دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالغَيْبَ^(١)
وَمَا قِنتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلَادِ فَدَعَّ ذِكْرَ بَعْضِ بَيْنِ فِي حَلَبِ^(٢)
وَلَوْ كُنْتُ سَمَيْتُهُمْ بِاسْمِهِ لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا أَنْخَسَبَ^(٣)
أَفِي الرَّأْيِ يُشْبَهُ أُمَ فِي السَّخَا ءَأُمَ فِي الشَّجَاعَةِ أُمَ فِي الْأَدَبِ^(٤)
مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ الْقَلْبِ كَرِيمُ الْجَرِشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ^(٥)
أَخُو الْحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى فَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبَ^(٦)

مثلكم ، وكيف آخذ عوضاً ممن أنعم علي ؟ وهذا مثل قوله :

ومن اعتاض منك إذا افترقنا وكل الناس زور ما خلا كا

(١) الأظلاف : جمع ظلف ، وهو من البقرة والشاة والظبي بمنزلة القدم للإنسان والحنف للبعير ، والحافر للفرس والبغل والحمار ، والغيب والغيبب : للبقرة والديك ماتدلى تحت حنكهما . جعل الجواد مثلاً لسيف الدولة ، والثور مثلاً لمن لقي بعده من الملوك ؛ وهذا كقول خداس بن زهير :

ولا أكون كمن أتى رحالته على الحمار وخلي صهوة الفرس

قال الخطيب : ذكر الركوب هنا فيه جفاء ، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا

(٢) و (٣) بمن في حلب . متعلق بقست ، وقوله فدع ذكر بعض : معترضة بينهما يقول : لم أقس كل الملوك به فضلاً أن أقيس به بعضهم ، ولو أنا شبهتهم به وسميتهم سيوفاً - كما يسمى هو سيف الدولة - لكانوا سيوفاً من خشب ، وكان هو سيفاً من حديد : يعني أن مدحه إياه حقيقة ، ومدحه إياهم مجازاً ، إذا لا شبه بينهم وبينه .

(٤) هذا استفهام إنكار يقول : ليس يشبهه أحد من الملوك في شيء من ذلك .

(٥) مبارك الاسم ، لأن اسمه على . وهو مشتق من العلو . محبوب مطلوب ، ولأنه

سمى على بن أبي طالب ، وهو من هو ؟ وأغر القلب ، لأنه سيف الدولة ، وقد اشتهر هذا القلب فهو أغر : أي متعالم مشهور أبلغ . وكريم الجرشي : أي النفس ؛ وشريف النسب . لأنه من ربيعة ، وهم كرام أشراف . وكلمة الجرشي : من قبيح ألفاظ التنبي .

(٦) أخو الحرب : أي عرفت به وعرف بها فصار لها أخاً ؛ وقناه : فاعل سبى :

أي رماحه . يقول : هو أخو الحرب وصاحبها ، فإذا أعطى أحداً خادماً فهو مما سباه

إِذَا حَازَ مَالًا فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لَا يُسِرُّ بِمَا لَا يَهَبُ (١)
 وَإِنِّي لَأَتَّبِعُ تَذَكَّارَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَقَى السُّحْبُ (٢)
 وَأَتَّبِعِي عَلَيْهِ بِأَلَانِهِ وَأَقْرَبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرُبُ (٣)
 وَإِن فَارَقْتَنِي أَمْطَارُهُ فَأَكْثَرُ غُدْرَانَهَا مَا نَضَبُ (٤)
 أَيَا سَيْفِ رَبِّكَ لَا خَلْفَهُ وَيَاذَا لَلْكَارِمِ لَإِذَا الشُّطْبُ (٥)

بنفسه ، لا بما اشتراه ، لأن ماله كله جميعاً من سبائه ؛ وإذا خلع على إنسان ثوباً فهو مما سلبه من أعدائه . يريد كثرة نكاته في الأعداء .
 (١) فتى : فاعل حازه من باب التجريد . يقول : إذا جمع مالا لا يسر منه بما يدخر ، ولكن بما يهب ، وهذا كقول البحري :

لَا يَتَمَطَّى كَمَا احْتَجَّ الْبَغِيلُ وَلَا يَجِبُ مِنْ مَالِهِ إِلَّا الَّذِي يَهَبُ (٢)
 يقول : كلما ذكرته دعوت له بهذين ، فقلت له صلى الله عليه وسلم أرضه السحاب ؛ والصلاة من الله الرحمة ، وقد جرى العرف بقصر الصلاة على الأنبياء ؛ ولكن الشعراء ديدنهم البالغة وتعظيم الممدوح ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً . وقد قال ابن الرقاع :

صَلَّى إِلَهًا عَلَى أُخْرَى وَدَعَّعْتُهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

وقال الراعي :

صَلَّى عَلَى عَزَّةِ الرَّحْمَنِ وَأَبْنَتِهَا لَيْلَى وَصَلَّى عَلَى جَارَاتِهَا الْأُخْرَى (٣)
 يقول : أتتني عليه بما وصل إلى وإلى غيري من نعمه ، وأقرب منه بالموالاة والهبة : أقرب محلته أم عدت .

(٤) الغدران : جمع غدیر ، وهو البقية من الماء تبقى بعد السيل : من غادره تركه ، قال الخطيب التبريزي : سمى الغدير غديراً لعنيين : أحدهما لأن الفيث تركه ، والثاني لأنه يندر بأهله فينضب عنهم عند الحاجة . ونضب الماء . غار في الأرض وجد . وما : من قوله ما نضب : نافية . يقول : إذا كان به قد انقطع عنى فإن ما سبق إلى منه باقى كالغدران تبقى بعد المطر .

(٥) الشطب — بضم الشين والطاء ، وفتح الطاء — جمع شطبة وهي الطرائق

وَأَبْعَدَ ذِي هِمَّةٍ هِمَّةً وَأَعْرَفَ ذِي رُنْبَةٍ بِالرُنْبِ^(١)
 وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِيئَةً وَأَضْرَبَ مَنْ بِحِسَامٍ ضَرْبَ^(٢)
 بِذَا اللَّفْظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ فَلَبَّيْتُ وَاللَّهَامُ تَحْتَ الْقُضْبِ^(٣)
 وَقَدْ يَلْسُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ فَمَعِينُ ثُغُورٍ وَقَنْبٌ يَجِبُ^(٤)
 وَغَرَّ الدُّمُتْقُ قَوْلُ الْعَدَاةِ أَنْ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصَبُ^(٥)
 وَقَدْ عَلِمْتَ خَيْلَهُ أَنَّهُ إِذَا هَمَّ وَهُوَ عَلِيلٌ رَكِبَ^(٦)

التي في متن السيف ؛ وسيف مشطب ومشطوب : فيه طرائق ، وكذلك ثوب مشطب .
 يقول : لست فيما كسائر السيوف . فانت سيف الله لاسيف الناس . وانت صاحب
 المكارم لاسيف فيه طرائق من سيوف الحديد .

(١) و (٢) أجد وأعرف وأطعن وأضرب : منصوبة على النداء المضاف ، والخطية :
 الرماح . يقول : يا أجد الناس همة ويا أعرف الناس برتب الرجال وطبقاتهم قطعى كلا
 منهم المذلة التي يستحقها ، ويا أطعن من مس رحا . وأضرب من ضرب بسيف .

(٣) قوله بذا : أى بأطعن وأضرب ، والثغور : مواضع الخفاقة من فروج البلدان ؛
 والهام : الرؤوس ، والقضب : السيوف القواطع . يقول إن أهل الثغور نادوك بقولهم
 يا أطعن من طعن بخطية ، ويا أضرب من ضرب بحسام فأجبتهم ورؤسهم تحت سيوف
 الروم تكاد تطيرها .

(٤) غارت العين : دخلت في الرأس : أى من شدة الرعب ، والوجب خفقان
 القلب . يقول : إنك أجبتهم حين نادوك وقد يلسوا من الحياة ، فهم في خوف ورعب
 واضطراب حتى أتقتهم .

(٥) الدومتق : فائد الروم ، والعداة ، جمع عاد بمعنى عدو ، والثميل : الشديد
 المرض ، والوصب : المرض . يقول إنما اجترأ الدومتق على أهل الثغور لأنه اغتر بما
 أرجف به الأعداء من أنك مريض لاتستطيع إغاثتهم :

(٦) يقول : وما كان ينبغي للدومتق أن يفتولأن سيف الدولة إذا هم بالعادة وهو
 عليل ركب إلى أعدائه كما تعلم خيله من عادته .

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعٍ مِنْ أَرْضِهِمْ طَوَالَ السَّبِيبِ قِصَارَ الْعُسْبِ (١)
 تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِفَاراً إِذَا لَمْ تَغِيبْ (٢)
 وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوْهِ إِذَا لَمْ تَخْطَ الْقَنَا أَوْ تَنْبِ (٣)
 فَفَرَّقَ مَدَنَهُمْ بِالْجِيُوشِ وَأَخْفَتَ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبِ (٤)
 فَأَخْبِتَ بِهِ طَالِبًا قَهْرَهُمْ وَأَخْبِتَ بِهِ تَارِكًا مَا طَلَبَ (٥)
 نَأَيْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللِّقَاءِ وَجِئْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِالْمَرْبِ (٦)

(١) أتاهم : أى الدمستق ، وبأوسع : أى بخيل أوسع ، وطوال وقصار منصوبان على الحال ؛ والسبب : شعر الناصية والعرف والذنب ؛ والعسب جمع عسيب ، وهو منبت الذنب . يقول : أتاهم الدمستق بخيل موضعها من الأرض أوسع من أرض الروم ؛ وصف عسكر الروم بالكثرة . ثم وصف خيلهم بأنها من جياذ الخيل ، لأن طول شعر الذنب وقصر عظمه ، مما يستحب في الخيل .

(٢) يقول : إذا علا جيشه الشواهب - أى الجبال العالية - غطاها لكثرتة فغابت فيه ، وإذا تخلل جوانبها ظهرت صفاراً بالإضافة إليه وإلى سعته وانتشاره حولها .
 (٣) تخط - بخذف إحدى التاءين - أى تتخطى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لكثرة رماح هذا الجيش وتضايق ما بينها غصن الهواء بها فلا تجد الرياح منفذاً إلا أن تتخطى الرماح : أى تكون أعلى طريقاً منها أو تثب من فوقها .

(٤) اللجب : كثرة الأصوات واختلاطها . يقول : أتاهم من الجيوش بما عم بلادهم فكانت أغمقتها ، وأخفى أصواتهم بأصوات جيوشه لكثرتها وارتفاعها .

(٥) أخبت به : صيغة تعجب : أى ما أخبته في الحالين ، ويروى الثانى ؛ وأخبت به تاركا ، من الخينة ؛ وطالبا وتاركا : حالان . يقول : ما أخبته حين يحاول قتلهم لأنه استدبر في ذلك سيف الدولة خسة منه وجبناً ، وما أخبه إذ ترك هذه المحاولة وولى هارباً يطلب النجاة .

(٦) يقول : لما كنت بعيداً عن أهل النخور أتاهم ققاتلهم بالمبارزة ، فلما جئت جعل الحرب موضع القتال : أى حمى نفسه بالحرب ، فكانت قاتلهم به كى ينجو .

وَكَانُوا لَهُ الْفَخْرَ كَمَا أَتَى وَكُنْتَ لَهُ الْعُذْرَ كَمَا ذَهَبَ (١)
 سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ مَنَائِبُهُمْ وَمَنْفَعَةُ الْعَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبِ (٢)
 فَخَرُّوا نَحْلَالِهِمْ سُجْدًا وَلَوْ لَمْ تُغِيثِ سَجَدُوا لِلصُّلْبِ (٣)
 وَكَمْ ذُذَّتْ عَنْهُمْ رَدَى بِأَرْدَى وَكَشَفَتْ مِنْ كَرْبٍ بِالْكَرْبِ (٤)
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدُّ يَعُدُّ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُعْتَصِبِ (٥)

(١) يقول : إنه كان يفخر بأن قصدهم وصمد لقتالهم ، فلما ارتد عنهم هارباً كنت عذراً له في ارتداده لأنه لا يقوم لك ، ومثلك من يفر منه يعذر .

(٢) يقول : إنك أدركتهم قبل أن يعصف بهم فأغثتهم قبل أن يعطبوا ، وإعما ينفع العوث إذا كان قبل العطب والهلاك ، أما بعد ذلك فلا قيمة للعوث ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام :

وَمَا نَفَعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ ظَلَمًا إِذَا مَا سَمَاءَ الْيَوْمِ طَالَ انْهَمَارُهَا
 وقول البحرى :

واعلم بأن النيثَ ليس بنافعٍ للناسِ ما لم يأتِ في إِبَانِهِ

(٣) الصلب : جمع صليب ، وهو ذلك الذى يتخذه المسيحيون فى بيوتهم ويصمم على شكل الصلوب . يقول : لما أقدتهم وفر الدمستق سجدوا لله شكراً ، ولو لم تنقذهم لسجدوا لصلبان الأعداء خوفاً منهم .

(٤) يقول : كم دفعت عنهم الهلاك يا هلاكك من بنى هلاكهم ؟ وكم كشفت عنهم الكرب بالكرب التى أنزلتها بأعدائهم ؟

(٥) المعتصب : أى التوج الذى يعتصب التاج برأسه . يقول : وقد زعم الروم أن الدمستق سيعود ومعه الملك الأعظم ، وعبر عن مجيء الملك بالعود مع أنه لم يكن قبل ذلك قصدهم - للمشاكلة بين الفعلين ، على أن عاد قدير اد بها الإتيان لأول مرة كما قال :

فإن تكن الأيام أحسن مرةً إلى فقد عادتْ لهن ذُنوبُ
 أى أتتى .

وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَمْبُدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبَ^(١)
لِيُدْفَعَ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا فَيَا لَرَّجَالٍ لِهَذَا الْعَجَبِ^(٢)
أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الشَّرِكِينَ إِمَّا لِعِجْزٍ وَإِمَّا رَهَبٍ^(٣)
وَأَنْتَ مَعَ اللَّهِ فِي جَانِبٍ قَلِيلُ الرُّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبِ^(٤)
كَأَنَّكَ وَخُدَّكَ وَحَدَّثَهُ وَدَانَ السَّرِيَّةُ بِابْنِ وَأَبِ^(٥)
فَلَيْتَ سِيُوفَكَ فِي حَاسِدٍ إِذَا مَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ كَيْبِ^(٦)
وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فِي جَنْبِهِ وَلَيْتَكَ تَجْزِي بِبُغْضٍ وَحُبِ^(٧)
فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِي بِهِ نِلْتُ مِنْكَ أضعْفَ حَظِّ بِأَقْوَى سَبَبِ^(٨)

(١) يقول : إن المستق والملك يستنصران السيد المسيح ويسألانه النصره على المسلمين وهما يعتقدان أن المسيح صلبته اليهود وقتلته .

(٢) عنهما : صلة يدفع . يقول : ويطلبان أن يدفع السيد المسيح عنهما ما ناله من القتل في اعتقادهم ، ثم تعجب من هذا وقال : وكيف يستطيع أن يدفع عنهما الهلاك وهو لم يستطع الدفاع عن نفسه ؟ ولام في الرجال : مفتوحة ، لأنها للمستغاث به ، ولام لهذا : لام التعجب ، وهي مكسورة ، أنشد سيويه لقيس بن ذريح :

تَكَنَّفَنِي الوِشَاءُ فَأَزْجُونِي فَيَالنَّاسِ لِلِوَاثِيِ الطَّاعِ

(٣) يقول : أرى المسلمين قد هادنوا الشركين واجتمعوا معهم وتركوا قتالهم ، وذلك : إما عجزاً عنهم ، أو خوفاً منهم .

(٤) يقول : وأنت مع الله في جانب آخر تنزل على أمره بالجهاد فلا تنام عنه ، وقد جانبت غيرك من المهادين والمواعين .

(٥) يقول : كأنك وحدك الموحد لله تعالى ، وسائر الناس يدينون بدين النصارى الذين يقولون بالابن والأب .

(٦) ظهرت عليهم : ظفرت بهم وغلبتهم ، وكثب كآبة : حزن وظهر فيه الانكسار يقول : ليت الحاسد الذي يكتب لظفرك بالروم يقتل بسيفك .

(٧) و (٨) أراد بالشكاة : المرض الذي يشكوه ، وقوله تجزى به : أى بالحب أو البغض ، على أن الواو في قوله وحب : بمعنى أو . ولك أن ترجع الضمير إلى البغض

وقال في صباه ارجعلا وقد عدله أبو سعيد المجيمري (*) على تركه لقاء الملوك :

أَبَا سَعِيدٍ جَنَّبِ الْمَتَابَا قَرُبٌ رَأَى خَطَأَ صَوَابَا (١)
فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحَجَابَا وَأَسْتَوْقَفُوا لِرَدَّنَا الْبَوَابَا (٢)
وَإِنْ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا وَالذَّابِلَاتِ الشَّمْرُ وَالْعَرَابَا
يَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحَجَابَا (٣)

والحب جميعا ، لأن كليهما من أفعال القلب ، فكأنهما شيء واحد . والسبب : الوسيلة ، يقول : ليت المرض الذي تشكوه في جسم الحاسد وليتك تجزى من أبيضك يفضه ومن أجبك بجه كي أنال نصيبا من الحب ، إذ لو جزيتني على حبى لك - وهو أقوى سبب ، لأن حبى إياك أكثر من حب غيرى - لنت منك أقل حظ ، يشكو إعراضه عنه وأنه أقل الناس حظا منه مع أنه أشد حبا له . وعبرة ابن جنى : لو تهايت في جزائك إياى على حبى إياك لكان ضعيفا بالإضافة إلى قوة حبى لك قال أبو الفضل العروضى : وهذا لا يقوله مجنون لبعض نظرائه ولن هو دونه فكيف ينسب التنبى سيف الدولة إلى أنه لو احتشد وتكلف في جزائه لم يبلغ كنهه ؟ وهذا الذى لاحظته العروضى لم يوفق فيه .

* هو أبو سعيد النبجى من بنى الميصر ، قبيلة بمنج من طيء .

(١) رأى خطأ : يروى راء خطأ ، وذلك على حد قولهم : ضارب عمرو وضارب عمرا ويروى بدل هذين * قرب رأى أخطأ الصوابا * يقول : أبعدهنى يا أباسعيد عتابك فلا تماينى ، لأنك ترى الخطأ فى زيارة الملوك صوابا ولست على رأيك :

(٢) فإئهم : أى الملوك .

(٣) القرضاب : السيف القاطع ؛ والذابلات : الرماح اللينة ؛ والعراب الحيل العربية . يقول : إنما يتوصل إلى الملوك ويهتك الحجاب الذى أقاموه على أبوابهم بالسلاح والخروج عليهم لا بغير ذلك ؛ وهذا بعض ما يشف عن طموح التنبى وآماله السكار

وقال في صباه ارجع لبعض الكلابيين وهم على شراب :

لأَحْبَبِي أَنْ يَمْلَأُوا بِالصَّافِيَاتِ أَلَا كُوبًا^(١)
وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَبْذُلُوا^(٢) وَعَلَى أَنْ لَا أَشْرَبًا
حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا تِ الْمُسِمَعَاتِ فَأَطْرَبًا^(٣)

وقال يرثى محمد بن إسحاق التنوخي وينفي الشامة عن بني عمه (*):

لَأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نُعَاتِبُ وَأَيَّ رَزَايَاهُ بَوْتِرٍ نَطَالِبُ^(٤)

(١) الصافيات : جمع صافية ، وهى الخمر ؛ والأكوب جمع كوب ، وهو القدح لا عروة له .

(٢) أى يجودوا بالشراب

(٣) الباترات . السيوف اقواطع ؛ يريد : أنه لا يطرب إلا على صليل السيوف ؛ وهذا أيضا إحدى هنواته التى تدل على بعد همته ، ولا سيما إذا لوحظ أنه مما قله فى صباه ، مثل الأبيات التى قبلها .

* لما مات محمد بن إسحاق هذا رثاه المتنبي بأبيات مطلعها :

إنى لأعلم واللييب خبير

وستأنى ، ثم استزاده بنوع المبت فقال هذه الأبيات :

غاضت أنامله وهن مجور

وستمر بك ، ثم سأله أن ينفي الثلاثة عنهم فقال :

الآل إبراهيم بعد محمد إلا حنين دأتم وزفير

وترأها فى قافية الراء ، ثم سأله زيادة فى نفي الشامة عنهم فقال هذه الأبيات التى

نحن بصددها

(٤) اللام فى قوله لأى : حشو ورفر لتقوية العامل ، على حد قوله تعالى « إن كنتم

للرؤيا تعبرون » أى أى صروف الدهر نعتاب ؛ والوتر : الثأر . يشكو الدهر يقول :

إن صروف الدهر ورزاياه كثيرة متوافرة ، فلا يمكن مطابقتها ولا طلب الثأر منها .

مَضَى مَنْ قَدَدْنَا صَبْرُنَا عِنْدَ قَدِيدِهِ
 وَقَدْ كَانَ يُعْطِي الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عَارِبٌ (١)
 يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسْنَتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ (٢)
 فَتَسْفِرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّهَا مَضَارِبُهَا مِمَّا أَنْفَلْنَ ضَرَائِبُ (٣)
 طَلَعْنَ شُمُوسًا وَالنُّمُودُ مَشَارِقُ لَهْنٌ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ (٤)

(١) العازب : البعيد ، يقول : إنه كان في حياته إذا فقد الناس الصبر في الشدائد
 بينهم ويمسح إليهم حتى يصبروا على ما ينوبهم بما ينالون منه ، وقد روى يعطى - بفتح
 الطاء - فيكون معناه أنه كان يصبر في المواطن التي كان يصعب فيها الصبر .
 (٢) العجاجة : الغبار ؛ والاسنة : أطراف الرماح . جعل الغبار المرتفع في الهواء
 سماء ، وجعل الأسنة لامة فيها كالسكواكب ، وهذا من قول بشار :

كَأَنَّ مُنَارَ النَّعْقِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا كَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَلَقْنَا سَمَاءَ فَوْقَنَا بِنَجُومِهَا سِيُوفًا وَقَعْمًا يَقْبِضُ الطَّرْفُ أَقْمَا
 وَقَالَ آخَرُ :

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءَ فَوْقَهَا جَعَلَتْ أَسْنَتَنَا نَجْمَ سَمَائِهَا

(٣) تسفر : تنجلي ، ومضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف وظهره وانفلقن :
 انفلقن ؛ والضرائب : جمع ضريبة ، وهي الشيء المضروب بالسيف يقول : إن هذه
 العجاجة تنجلي عنه ، وقد تثلت سيوفه من كثرة الضرب حتى صارت كأنها مضروبة
 لاضاربة ، والعرب من عادتهم الفخر بفل سيوفها قال النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سِيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ

وفي هذا البيت - بيت النابغة - من البديع تأكيد الملح بما يشبه الدم

(٤) الهامات : الرؤوس . يقول : إن سيوفه طلعت من أعمادها كالشمس في برقيها
 ثم غربت في رؤوس المضروبين ، فصارت رؤوسهم مغارب لها ، وهذا من قول أبي نواس
 في الحمر :

طَالَمَاتِ مَعَ الشُّعَاةِ طِينَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

مَصَائِبُ شَتَّى جُمِعَتْ فِي مُصِيبَةٍ وَلَمْ يَكُنْهَا حَتَّى قَفَّتْهَا مَصَائِبُ^(١)
 رَثَى ابْنَ أَبِيْنَا غَيْرُ ذِي رَحْمٍ لَهُ فَبَاعَدْنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الْأَقَارِبُ^(٢)
 وَعَرَّضَ أَنَا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ وَإِلَّا فِزَارَتْ عَارِضِيهِ الْقَوَاصِبُ^(٣)
 أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ بَيْنَ بَنِي أَبِي لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ تَدْبُ الْعَقَارِبُ^(٤)
 إِلَّا إِمَامًا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا عَلَى أَنْ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبٌ^(٥)

(١) شتى : متفرقة ؛ وقفنا : تبعنا . يقول : إن مصيبتنا به ليست واحدة وإنما هي لعظمها كأنها مصائب شتى ، ولم يكفنا ذلك حتى تبعنا مصائب أخرى ، وهي اتهام المفسدين إيانا بأنا شامتون بموته .

(٢) قوله غير ذي رحم له : يروي ، غير ذي رحم لنا . يقول : إن هناك أجنبياً لا يمت إليه أو إلينا بأصرة قرابة يظهر الأسف على فقد ابن أبينا — يريد ابن عمنا — فأبعدنا عنه باتهامه إيانا بالتماته ونحن أقرباؤه ، فموتة إنما يحزننا نحن لا غيرنا .

(٣) عرض أنا شامتون : أى عرض فى مرثيته بأنا شامتون ، والتعرض الإشارة إلى الغرض من غير تصريح ، والعارضان : جانباً اللحية ؛ والقواضب السيوف القاطعة . وقال الواحدى : قوله ، وإلا فزارت يجوز أن يكون من كلام المرعش حكى عنه ما قال كأنه قال : هم شامتون بموته ، وإلا فزارتى السيوف : أى قتلت بها إن لم يكن الأمر على ما أقول ، فيكون هذا تارة كيداً لما ذكر من شامتهم ؛ ويجوز أن يكون من كلام الذين ينفون التمامة عن أنفسهم . يقول : إن لم يكن الأمر على ما ذكر فرمى الله عارضيه بالسيوف ، فيكون هذا تارة كيداً لنفى التمامة ، وأن الأمر ليس على ما ذكر .

(٤) أن بين بنى أب : أى أنه بين بنى أب ، فاسم إن هو ضمير الشأن ، والنجل : الولد ، وديب العقارب : كناية عن النجاسة . يقول : أليس عجيباً أن تدب عقارب يهودى بين بنى أب أى إخوة فيوقع بينهم العداوة ؟ يريد هذا الذى كان يمتى بينهم بالنجاسة ، وجعله ابن رجل يهودى مبالغة فى أجنبيته عنهم ويريد بوصفه يهودى أنه خبيث دساس .

(٥) يقول : برغم أنه كان يغب جميع الناس لم يقدر على الامتناع من الموت ، فدل ذلك على أنه ليس لله غالب ، وهذا من قول أبى تمام .

كُفِّي قَتْلُ مُحَمَّدٍ شَاهِدٌ أَنْ الْعَزِيزَ مَعَ الْقَضَاءِ ذَلِيلٌ

وقال يمدح المغيث بن علي بن بشر العبلي :

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبِيعِ مَا وَجِبَا لِأَهْلِهِ وَشَقَى أَنِّي وَلَا كَرِبَا^(١)
عُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أُبْقَى الْفِرَاقُ لَنَا مِنَ الْعُقُولِ وَمَا رَدَّ الَّذِي ذَهَبَا^(٢)
سَقَيْتُهُ عِبْرَاتٍ ظَنَنْهَا مَطْرًا سَوَائِلًا مِنْ جُفُونِ ظَنَنْهَا سُحْبَا^(٣)
دَارُ الْمَلِمِّ لَهَا طَيْفٌ تَهْدَدُنِي لَيْلًا فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِي وَلَا كَذِبَا^(٤)

هذا وقال العكبري — تعليقاً على قوله : أن ليس — ؛ أن هي الخففة من الثقيلة ، ولا تدخل إلا على الاسم ؛ ولا تدخل على الفعل حتى يحجز بينه وبينها حاجز لدخولها على الأسماء ، كقوله تعالى « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » تقديره : أنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ؛ وكقوله تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » تقديره : أنه سيكون ؛ فلا بد من حرف يحجز بينها وبين الفعل ؛ وقد دخلت هنا على ليس — وهي فعل بلا حاجز — وذلك لضعف ليس عن الأفعال ؛ ولأنها غير متصرفة كتصرف الأفعال ؛ ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ماسعى » .

(١) أنى : أى كيف وأنى بمعنى كيف كثير . قال تعالى : « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » . وكرب : من أفعال المقاربة ، تقول كرب أن يفعل كذا : أى كاد وقارب : يقول : إنه بكى في أطلال الأحبة بدمع قضى ما وجب لهم وشفاه بما ألم به من وجد ، ثم رجع عن ذلك وقال : وكيف أظن أن بكأى قضى ما يجب وشقى ما فى نفسى من لوعة وهو لم يقض الحق ولم يشف الوجد ولا قارب أن يقضى ، يريد أنه قاصر عن ذلك . وفى هذا البيت من البديع ما يسمونه الرجوع ؛ وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض والإبطال ، وهو كثير فى كلام الشعراء ، ومنه قول زهير :

قِفْ بِالْدَّيَارِ الَّتِي لَمْ يَغْفِهَا الْقِدْمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأُرُوحُ وَالِدِيمُ
(٢) عاج بالمكان : وقف به . يقول : غلظنا على هذا الربيع لنزوره فأذهب ما كان بقى من عقولنا بعد الفراق بتجديده ذكرى الأحياء فضلاً عن أن يرد علينا ما كان قد ذهب منها لدى الفراق .

(٣) يقول : سقيت هذا الربيع دموعاً سوائل ظننا مطراً من جفون ظننا سحبا .
(٤) دار الملم لها طيف : أى هذا الربيع هو دار التى ألم طيف لها ، فدار : خبر

نَأَيْتُهُ فَدَنَا أَدْنَيْتُهُ فَفَأَى جَمَّشْتُهُ فَنَبَا قَبْلْتُهُ فَأَبَى (١)
 هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَتَتْ يَبْتَأُ مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنْبًا (٢)
 مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنَا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبًا (٣)

مبتدأ محذوف ، والألف واللام — في الملم — بمعنى التي ؛ وطيف : فاعل ملم ولها حال
 مقدمة من قوله طيف . يقول : إن هذا الربيع هو دار المرأة التي زارني لها طيف .
 أو عدني ليلا . أي هددني بالمحجر فما صدقت عيني لأنها رأت خيالا لأن ذلك كان رؤيا ،
 ولا كذب الطيف في تهديده لأنه هجرني بعد ذلك ، إذ لم أتم بعدها .

(١) نَأَيْتُهُ بَاعَدْتُهُ : وَيُرْوَى أَنَأَيْتُهُ : أَي أَبْعَدْتُهُ ؛ وَدَنَا : قَرَبَ ، وَجَمَّشْتُهُ : غَاظَلْتُهُ
 وَدَاعَيْتُهُ ، وَنَبَا : تَجَافَى وَتَبَاعَدَ ؛ وَأَنْبَيْتُهُ أَنَا : دَفَعْتُهُ عَنِ نَفْسِي ؛ وَفِي الْمَثَلِ :

الصدق ينبي عنك لا الوعيد

أى أن الصدق يدفع عنك العائلة في الحرب دون التهديد ؛ ونبا السيف : إذا لم يعمل
 في الضريبة ؛ ونبا بصرى عن النبي ، ونبا به منزله : إذا لم يوافقه ؛ وأبى : امتنع ، يقول :
 كلما أردت من هذا الطيف شيئا قابلني بضده ، وهذا قريب من قوله :

* صدت وعلمت الصدود خيالها *

(٢) الهيام : أن يذهب الرجل على وجهه لعلبة الهوى عليه ؛ والطنب : جبل الحباء
 والسرادق ونحوهما ، قال ابن جنى ، يقول : ملكت قلبي بلا كلفة ومشقة ، فكانت كمن
 سكن بيتا لم يتعب في إقامته ولا مد أطنا به . وقال الواحدى : وأحسن من هذا أن يقال :
 اتخذت بيتا من قلبي فزلته ، والقلب بيت بلا أطناب ولا أوتاد .

(٣) يقول : هي مظلومة القد — إذا شبه بالفصن ، لأنه أحسن منه — وهي
 مظلومة الريق — إذا شبه بالعلس لأنه أحلى منه ؛ والضرب — وهو العسل الأبيض
 الغليظ — يذكر ويؤنث ؛ قال أبو ذؤيب الهذلي في تأنيته :

وَمَا ضَرَبُ بِيضَاهُ يَا أَوْى مَلِيكُهَا إِلَى طُنْفِ أَعْيَا بَرِاقٍ وَنَازِلِ
 بِأَطْيَبِ مَنْ فِيهَا إِذَا جِثَّ طَارِقًا وَأَشْهَى إِذَا نَامَتْ كَلَابُ الْأَسَافِلِ (١)

(١) يَا أَوْى مَلِيكُهَا : أَي يَعْسُوبُهَا ؛ وَيَعْسُوبُ النَحْلِ : أَمِيرُهُ ؛ وَالطَّنْفُ : حَيْدٌ يَنْدُرُ

بَيْضَاهُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَهُ حُلَّتَهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طَلَبًا^(١)
 كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعَهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبًا^(٢)
 مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرْبِنَهَا فَقُلْتُ لَهَا
 مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ العَرَبَا^(٣)
 فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمَيْثِ يَرَى
 لَيْثَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عَجَلٍ إِذَا أَنْتَسَبَا^(٤)

(١) الحلة : الثوب ؛ ومطلوبا : منصوب على الحال أو التمييز . يقول ؛ إنها لأنها
 ولين حدشها تطمع العاشق في نفسها ، فإذا حاول ذلك محاول عز عليه مطابقتها وصياتها ؛
 ومثل هذا قول بعضهم :

يُحْسِنَ مِنْ لِينِ الحَدِيثِ دَوَانِيَاً وَيَهِنُ عَنْ رَفَثِ الرِّجَالِ نِفَارُ
 (٢) يعي : يعجز ، والضمير في قابضه للشعاع ؛ وشعاعها فاعل يعي ، والطرف :
 النظر ؛ ومقتربا : حال . شبهها بشعاع الشمس في قربه من الطرف وبعده عن القبض
 عليه ؛ وهذا كما يقول ابن عينية :

وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْوُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ
 ويقول الطرماح :

هِيَ الشَّمْسُ لِمَا أَنْ تَفِيبَ لَيْلَهَا وَغَارَتْ فَمَا تَبْدُو لَعِينِ نَجْمُهَا
 تَرَاهَا عُمُومُ النَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ قَرِيبًا وَلَا يَسْطِيعُهَا مَنْ يَرُومَهَا
 وأجمل من هذا قول العباس بن الأحنف :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُنُهَا فِي السَّمَاءِ فَمَرَّ الفَوَادَ عَزَاءً جَمِيلًا
 فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ
 (٣) و (٤) القرب : المساوي لغيره في العمر ؛ ويقال للدة ؛ والشادن : من الظباء

من الجبل قد أعيا بمن يرقى ومن ينزل ؛ وقوله كلاب الأسافل : يريد أسافل الحمى لأن
 مواشيهم لا تبني معهم ؛ فرعاتها وأصحابها لا ينامون إلا آخر من ينام لاشتغالهم بحلبها .

جَاءَتْ بِأَشْجَعٍ مِّنْ يُسْعَىٰ وَأَسْمَحَ مِّنْ
أَعْطَىٰ وَأَبْلَغَ مِّنْ أُنْتَلَىٰ وَمَنْ كَتَبَا^(١)
لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُفَقَدٍ لَّمَشَىٰ
أَوْ جَاهِلٍ لَّصَحَا أَوْ أُخْرَسَ خَطْبَا^(٢)
إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ
وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا أُحْتَجَبَا^(٣)

الذي قوى وترعرع واستغنى عن أمه ؛ يريد به المحبوبة ؛ واستضحك : بمعنى ضحك ،
والغيث : اسم المدوح ، وكالغيث : أى أنا كالغيث ، والليث : الأسد ، والشرى : موضع
تكثر فيه الأسود ، وعجل : قبيلة المدوح . يقول : مرث بن ابى ربيعة قتل لها : أنت
من الظباء وتربك من العرب ، فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما ؟ فضحكت
ثم قالت : لانهجب من ذلك فإني كالغيث : تراه من الأسود ، وهو مع ذلك من عجل ؟
وكذلك أنا : ترانى من الظباء وأنا عربية . وفي هذين البيتين من البديع ما يسمونه حسن
التخلص ، وهو الخروج مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية
للإمامة بينهما .

(١) أى جارت هذه المحبوبة بذكر رجل هذه أوصافه : وقيل جاءت هذه القبيلة
التي هي عجل بمن هذه أوصافه .

(٢) يقول : إن خاطره لتوقده لو كان في زمن^(١) لشي ، أو في جاهل لصحا من
جهله وصار عالما . أو في أخرس لقد رطى النطق .

(٣) يقول في الشطر الأول : إذا ظهر للناس حجب هيبته عيونهم عن النظر إليه
لشدة هيبته ، وهذا كقول الفرزدق :

يُبْفِضِي حَيَاءً وَيُبْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

(١) الزمن ذو الزمالة : أى العاهة ، وهو هنا في معنى التعمد .

يَبَاضُ وَجْهَهُ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً
وَدُرٌّ لَفْظٌ يُرِيكَ الدَّرَّ مَخْشَا لَبًا (١)
وَسَيْفٌ عَزِيمٌ تَرُدُّ السَّيْفَ هَيْبَتُهُ رَطْبُ الْفِرَارِ مِنَ التَّأْمُورِ مُخْتَضِبًا (٢)

وقوله أيضاً :

وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتهم
خضع الرقابَ نواكسَ الأبصار (١)
ويقول أبو نواس :

إن العيونَ حُجِبْنَ عنكَ لهيبةٍ
فإذا بدوتَ لهنَّ نُكُوسَ نَاطِرٍ
ويقول في الشطر الثاني : إذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من ورأها
فلم تستطع حجبها ، وهذا كقول القائل :

أصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ نَلِوَةً هِيهَاتَ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرٍ
وقال ابن جنى : هذا يحتمل تأويلين : أحدهما أن حجابها قريب لما فيه من التواضع
فليس يقصر أحد أراده دونه وإن كان محتجبا ؛ والآخر أنه وإن احتجب فهو كلا
محتجب لشدة يقظته ومراعاته الامور . وعبارة الخطيب : الذي أراده المتنبي أن حسنه
وبهائه لا يحجبه شيء ، والبيت الذي يليه يشهد له

(١) الحالك : الشديد السواد ؛ والمخشب : خرز أبيض يشبه الدار ، والعرب
تسميه الخضض ؛ أما المخشب فهي كلمة بنطية . يقول : إن نور وجهه يغلب نور الشمس
حتى ترى إذا قابلها كأنها سوداء ، وأن لفظه أحسن من الدر حتى يرى الدر إذا نطق
كأنه خرز .

(٢) هبته : مضاؤه ؛ والفرار : الحد ؛ والتأمور : دم القلب . قال أوس بن حجر .

أُنْبِثْتُ أَنَّ بَنِي سُحَيْمٍ أَوْلَجُوا أَيْبَاتَهُمْ تَأْمُورَ نَفْسِ الْمُنْذِرِ
« أي مهجة نفسه وكانوا قتلوه » يقول المتنبي : إن مضاء عزمه يصير السيف رطب
الحد من دم الأعداء .

(١) خضع : جمع خضوع أي خاضع ونواكس جمع شاذ ويروى منكسى : نواكسى أي
مطاطقى رؤسهم منكسى أبحارم إجلالاه وهية وللنحو بين في نواكس كلام طريف فانظره
(١٦ - المتنبي ١)

عُمْرُ الْعَدُوِّ إِذَا لَاقَاهُ فِي رَهْجٍ أَقْلٌ مِنْ عُمْرِ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبًا^(١)
 تَوَقَّهَ فَمَتَّى مَا شِئْتَ تَبَلَّوْهُ فَكُنْ مُعَادِيَهُ أَوْ كُنْ لَهُ نَشْبًا^(٢)
 تَحَلَّوْهُ مَذَاقَتُهُ حَتَّى إِذَا غَضِبَا حَالَتْ فَلَوْ قَطَّرَتْ فِي الْمَاءِ مَا شَرِبَا^(٣)

(١) الرهج : الغبار ، وأرهج الغبار : أثاره . يقول : إذا لقي عدوه في غبار الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا أخذ في العطاء .
 وقال ابن القطاع : يريد أن عمر العدو حين يلاقيه قريب ، كما أن عمر المال عنده قريب حين يدخل إليه فلا يكاد حتى يهبه ؛ وليس يريد أن عمر العدو أقل من عمر المال ، وإنما يريد المساواة والمقارنة وأنهما لا يتيقنان . وقوله إذ وهبا : أي إذا أراد أن يهب .
 (٢) تبلوه : أراد أن تبلوه ، لحذف أن وبقي عملها . قال العكبري : تبلوه : اتصّب بإضمار أن ، وهو على مذهبننا ، فإن أهل الكوفة نصبوا بها مقدرة ، وأبى ذلك البصريون ؛ وحجتنا ما قرأ به عبد الله بن مسعود : « وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدوا إلا الله » فأعمل أن مقدرة ؛ وحجتنا أيضا قول عامر بن الطفيل :
 * وَنَهَنَتْ نَفْسِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أَفْسَلَهُ *

فنصب أفعله بأن المقدرة . والنشب : المال . يقول : احذره ولا تحم حوله بالعداء ، فإن أردت اختياره فكن عدوه أو مالا في يده حتى ترى ما يحل بك من الإباداة والإفناء ، وفي معنى هذا البيت قول مسلم بن الوليد :

تَظَلَّمَ الْمَالُ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءُ ظَلَامًا
 وَمَا أَحْلَى قَوْلَ أَبِي نَوَاسٍ :

لَيْتَ مِنْ كَانَ عَدُوِّي كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ مَالًا

(٣) حالت : تغيرت ، وجعل المذاقة مما يقطر اتساعا . يقول : هو عذب الأخلاق فإذا غضب تغيرت فأضت مرة فلو أمكن أن يمزج الماء بها لم يطق أحد شربه ؛ يعني أن فيه حلاوة لأولياته ومرارة لأعدائه ، وفي الماء يروي في البحر قال العكبري : وأراد بالبحر ههنا العذب ، قال الله تعالى « مرج البحرين » يريد للملح والعذب ؛ وأهل مصر والصعيد كلهم يسمون النيل : البحر . هذا وفي البيت تصريح ، وهو ما يحسن استعماله للخروج من قصة إلى قصة كما أسلفنا .

وَتَقْبِطُ الْأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ
وَتَحْسُدُ الْخَيْلُ مِنْهَا أَيَّامًا رَكَبًا^(١)

(١) القبضة والحسد : كلاهما بمعنى التمسى ، بيد أن القبضة أن تسمى مثل حال المعبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه ، والحسد أن تسمى مثل نعمته على أن تتحول عنه ؛ فالقبضة أخف . تقول منه غبطته بما نال أغبطه غبطا وغبطة فاغبط هو كقولك منعته فامتنع ، وحبسته فاحتبس . قال حريث بن جبلة العذرى :
وينا المرء في الأحياء مُقْبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
وغبطت الكباش أغبطه غبطا : إذا جسست إليه لتنظر أبه طرق أم لا؟^(١) وغبط الشاة والناقة : جسما لينظر منهما من هزالها . قال رجل من بني عمرو بن عامر يهجو قوما من سليم :

إِذَا تَجَلَيْتَ غَلَاقًا^(٢) لَتَعْرِفَهَا لَاحَتٌ مِنَ اللَّوْمِ فِي أَعْنَاقِهَا الْكُتُبِ
إِنِّي وَأَنْتَ ابْنُ غَلَاقٍ لِيَقْرَبِنِي

كغابيط الكلب يئبى الطرّوق في الذئب

وقد سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يضر الغبط ؟ قال : لا ، إلا كما يضر العضاة الحبط ، أراد صلوات الله عليه أن الغبط لا يضر ضرر الحسد ، وأن ما يلحق الغابط من الضرر الراجع إلى نقصان الثواب دون الإحباط بقدر ما يلحق العضاء من خبط ورقها الذى هو دون قطعها واستئصالها ، ولأنه يعود بعد الحبط ورقها : فهو وإن كان فيه طرف من الحسد فهو دونه فى الإثم . وأصل الحسد : القشر ؛ وأصل الغبط الجس ؛ والشجر إذا قشر عنها لحاؤها يبست ، وإذا خبط ورقها استخلف دون يدي الأصل ، وضمير منها : للأرض ، وضمير به : لحيث حل الذى يقع مفعولا به لتببط ، وضمير منها الثانية : للخيل ، وأيها : مفعول تحسد يقول : إن الأرض يقببط بعضها البعض الذى يحل فيه ، والخيل يحسد بعضها البعض الذى يركبه . قال ابن جنى : وجعل القبضة للأرض لأنها وإن كثرت بقاها فهي كالمكان الواحد لاتصال بعضها ببعض

(١) الطرّوق : - الشحم أو السمن .

(٢) غلاق : - كشداد رجل أبو حى .

وَلَا يَرُدُّ بَيْنَهُ كَفَّ سَائِلِهِ عَنِ نَفْسِهِ وَيَرُدُّ الْجَحْفَلَ اللَّجِبًا^(١)
وَكَلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ فِي مُلْكِهِ أَفْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا^(٢)
مَالٌ كَانَ غَرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ فَكَلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعْبَا^(٣)

والجلى ليست كذلك لأنها متفرقة فاستعمل لها الحمد ، والبيت مأخوذ من قول
أبي تمام :

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةٌ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَهَا قَبْرُ
(١) الجحفل : الجيش العظيم ، واللجب : المختلط الأصوات . يقول : إنه جواد
هجاع لا يستطيع أن يرد سائله ، ولكنه يرد وحده الجيش العظيم .
(٢) قوله من قبل يصطحبا : أراد من قبل أن يصطحبا ، حذف أن وأبقى عملها ،
يقول : إذا اتقى الديناران لديه تفرقا قبل اصطحابها ، فهما يلتقيان مجتازين لامصطحبين
وقال الواحدى : يجوز نصب الدينار وصاحبه ويكون معناه كلما لقي المدوح الدينار
مصاحباه ، وما أجمل ما يقول النضر بن جؤية بن النضر فى هذا المعنى :

قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبْقَى دِرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا سَرَفَ فِيهَا وَلَا خَرْقُ
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعْتَ يَوْمًا دِرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى طَرْقِ الْمُرُوفِ تَسْتَبِقُ
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ لِلْمَضْرُوبِ صُرْتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلِ يُخَلِّدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمِرِقُ
(٣) المجتدى : السائل ، ونعب الغراب : صياحه ، والبين : الفراق يقول : هذا

المال كان غراب البين يرقبه ، فكلماء جاء مجتد صاح فيه ففرق شمله ، وعبارة الواحدى
إن ماله يرقبه غراب البين ، فإذا جاء السائل فرق المدوح ماله ، فكأن غراب البين
نعب فى مال المدوح بالتفريق ، وما ذكر من رقبة الغراب ونعبه بيان ومثال لتفريقه
المال عند مجيء السائل ، والأصل فى هذا أن العرب تقول : غراب البين إذا صاح فى
ديار قوم تفرقوا ، أما ما قاله ابن جنى من أن المعنى : كما أن غراب البين لا يفتر عن الصياح . كذلك
هذا لا يفتر عن العطاء : فهو جيد ، ومن الذى قال إن الغراب لا يفتر عن الصياح ؟
هذا وقالوا إنما حسنت الإضافة فى غراب البين لأنه اسم مشترك يقع على أشياء ، فمنها
غراب الفأس : أى حدما . قال الشماخ يصف رجلا قطع نبعة :

بَحْرٌ عَجَابِيٌّ لَمْ تُنْبِ فِي سَمْرِ
 لَا يُفْنِعُ ابْنَ عَلِيٍّ نَزْلَ مَنْزِلَةٍ
 وَلَا عَجَابِيٍّ بَحْرٍ بَدَهَا حَجَبًا^(١)
 يَشْكُو مُحَاوِلَهَا التَّقْصِيرَ وَالتَّعْبَا^(٢)
 رَأْسًا لَهُمْ وَغَدَاً كُلُّ لَهُمْ ذَنْبًا^(٣)
 هَزَّ اللُّوَاءَ بَنُو عَجَلٍ بِهِ فَفَدَا

فَانْتَحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدِّ غَرَابِهَا عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِضَاءِ مُشَارِزُ

« أى أمال على النبعة فأسا ذات حد ، غرابها — أى حدها — مشارز: أى معاد أوسىء الخلق ، والمشارزة هى المشاركة » ومنها الغراب : فذال الرأس يقال شاب غرابه : أى شعر قذاله . والغرابان من الفرس والبمير حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب حيث التقى رأسا الورك اليمنى واليسرى ، قال الراجز .

يَا عَجَابًا لِلْمَجَبِّ الْمُجَابِ خَمْسَةَ غُرَبَانَ عَلَى غُرَابِ

(١) السمر : السامرة ، وهو حديث الليل ، وأصله أنهم كانوا يسمرون فى ظل القمر ، وأصل السمر : ظل القمر ، والسمره مأخوذة من هذا ، وسمر يسمر سمرآ وسمرورآ لم ينم : وهو سامر ، وهم السمار ، والسامر أيضاً السمار ، وهم القوم يسمرون . قال الأزهرى : وقد جاءت حروف على لفظ فاعل وهى جمع ، فنها الحامل والسامر والباقر والحاضر ، والحامل للابل ويكون فيها الذكور والإناث ، والسامر : الجماعة من الحى يسمرون ليلا ، والحاضر الحى النزول على الماء ، والباقر : البقر فيها الفحول والإناث ، قتلوا: والسامر أيضا : الموضع الذى يجتمعون للسمر فيه ، وأنشدوا :

• وَسَامِرٌ طَالَ فِيهِ اللَّهْوُ وَالسَمْرُ •

وابنا سمير الليل والنهار لأنه يسمر فيهما . يقول : هو بحر له عجائب فى باب الفضل والشجاعة لأنها كيهها عجائب البحار ولا مايتحدث به السمار ، إذ هى بالقياس إليها كالشئء المألوف لغرابه ما يبدو منه ويتحدث عنه ، وعبارة ابنى جنى : تشاغل الناس بالتعجب من فضائل هذا الرجل عن عجائب الأسفار والبحار

(٢) مهاولها : أى طالبها ، وأصله طلب الشئء بالحيلة . يقول : لايقنع المدوح أن ينال المنزلة العظيمة التى يشكو طالبها قصوره عنها وتعبه فى تحصيلها ، إذ هو دائماً يطمح إلى مايجز عنه الطالبون .

(٣) اللوواء الراية ، وبنو عجل : قبيلة المدوح . يقول : حركوا اللوواء باسمه — أى

التَّارِكِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَهْوَنَهَا
وَالرَّاكِبِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا صَمْبًا^(١)
مُبْرَقِي خَيْلِهِمْ بِالْبَيْضِ مُتَّخِذِي
هَامِ الْكَمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَابًا^(٢)

جلاوه سيدم وقأندم - فاذا حركوا رايتهم حركوها باسمه ، فصار سيدم وصاروا هم به مادة الناس ، فهو رأس بني عجل فصاروا بذلك سادة الناس ، وصار الناس أذنايا لهم وتبعوا .

(١) نصب التاركين على المدح بإضمار أعنى أو أمدح . يقول : إنهم - بعد همتهم - يتركون ما هان من الأمور وسهل وجوده ، ويرومون الصعب الشاق منها ، وفي هذا يقول الطهوي :

وَلَا يَرَعُونَ أَوْ كَنَافَ الْمُؤَيَّنَا إِذَا حَلُّوا وَلَا رَوْضَ الْمُدُونِ^(١)

(٢) البيض : السيوف ، والهام : الرؤوس ، والسكاة : الأبطال المدجون في السلاح والذب : جمع عذبة وهي الريش الملق في طرف الرمح . يقول : إن سيوفهم تحول دون خيلهم أن يصل إليها أحد بطمن أو ضرب : إما لما نزلتهم دونها ، أو لحذقهم بالضرب ، فتكون لها بمنزلة البراقع . والمعنى أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتجافيف . وعبرة أبي الفضل العروضي : أن سيوفهم مكان البراقع لخيلهم فلا يصل العدو إلى فرسانهم . وقوله متخذى هام السكاة : معناه أنهم يأخذون رؤوس الأبطال بأطراف رماحهم ، فتكون مع شعورها بمنزلة الذب التي تطلق بالرمح . وقال جرير في هذا المعنى :

كَأَنَّ رُءُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا

عَدَاةَ الْوَعَى تَيْجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا

وقال مسلم بن الوليد :

يَكْسُو السُّيُوفَ نَفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تَيْجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ

(١) الهدون : الدعة والسكون .

إِنَّ النَّيَّةَ لَوْ لَاقَتْهُمْ وَقَفَتْ خَرَقَاءَ تَتَّبِعُهُمُ الْإِقْدَامَ وَالْمَهْرَبَا (١)
 مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالْفِكْرُ يَتَّبِعُهَا فَجَازَ وَهُوَ عَلَى آثَارِهَا الشُّهْبَا (٢)
 مُحَمَّدٌ نَزَفَتْ شِعْرِي لِيَمْلَأَهَا فَالَ مَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ وَلَا نَضْبَا (٣)
 مَكَارِمُ لَكَ فَتَّ الْعَالَمِينَ بِهَا مَنْ يَسْتَطِيعُ لِأَمْرِ فَائِتٍ طَلَبَا (٤)

وقال أبو تمام :

أبدلت أرووسهم يومَ الكريهةِ من

فنا الظهورِ فنا الخطيُّ مدعماً

من كلِّ ذى لمةٍ غطتْ ضفائرها صدرَ القناةِ فقد كادت تُرسي علما
 (١) الخرقاء : الحقاء ، مؤنث الأخرق . يقول : لولاقتهم النية يوم الوغى للبطت بالأرض

خوفا وفزعا لا يتجه لها رأى في السلامة فهي تنهم الإقدام وتهم الهرب خشية الإدراك :
 أى تقدر أنها إن هربت أدركت . قال أبو تمام :

من كلِّ أروعَ ترتاعُ اللئونُ له إذا تجردَ لانكسُ ولا حذيرُ
 وقال أيضاً :

شوسُ إذا خفقتْ عُقابُ لوائهم ظلَّتْ قلوبُ الموتِ منها تحفِقُ

(٢) الشهب : الكواكب . يقول : إن لهم مراتب عالية علت في السماء فصارَت أعلى
 من الكواكب ، لأن الفكر الذى يتبعها جاز الكواكب ولم يلحقها .

(٣) نرفت : استنفدت ، وآل : عاد ورجع ؛ ونضب : جف . قال الواحدى :
 جعل اقتضاء المحامد أن تنظم بالشعر نرفا وجعل الشعر — لكونه مقتضى — منزوفا .
 يقول : لم تمتلئ هذه المحامد من شعري : أى لم تبلغ الغاية التى تستحقها من شعري ،
 ولا شعري فنى ، فأنا أبدا أمدحهم : ويان ذلك أن لهم محامد استخرجت شعري لينظم
 تلك المحامد كلها فلم تنحصر بالشعر ولم يفن الشعر يريد كثرة محامدكم وكثرة مدائحكم لم
 يعنى أنه سيعود إلى استيفاء مدائحهم ، وجعل الشعر كالماء ينزف ، واستغراق محامدكم
 فى الشعر كلثها بالماء ، ولما جعل الشعر . كالماء جعل فناءه نضوباً .

(٤) يقول : لك مكارم سبقت بها العالمين فليس فى مكنة أحد إدراكها ومن يستطيع

إدراك أمر قائمت ؟

لَمَّا أَمَّتْ بِأَنْطَاكِيَّةٍ اخْتَلَفَتْ إِلَىٰ بِالْخَيْبِ الرَّكْبَانُ فِي حَلْبَا^(١)
 فَسِرْتُ نَحْوَكِ لَا أَلْوِي عَلَىٰ أَحَدٍ أَحْتُ رَاحِلَتِي الْفَقْرَ وَالْأَدْبَا^(٢)
 أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوِي شَرِقْتُ بِهَا لَوْ ذَاقَهَا لَبَكِي مَا عَاشَ وَأُنْتَحَبَا^(٣)
 وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً وَالسَّمْهَرِيَّ أَخَا وَالشَّرِيفَ أَبَا^(٤)
 بِكُلِّ أَشْمَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُنْتَسِمًا حَتَّىٰ كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَا^(٥)
 قُحَّ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْدِفُهُ عَنْ سَرَجِهِ مَرَحًا بِالْفَزْوِ أَوْ طَرَبَا^(٦)

(١) و (٢) اختلفت : تردت وجاءت مرة بعد أخرى ، والمراد بالركبان : القصاد الذين صعدوا إلى المدوح فأبوا بالهبات والعطايا ، ولا ألوى لا أعرج . يقول : لما أمت بأنطاكية جاءتني ركبان الغاة — الذين قصدوا إليك وأنا في حلب — فما عثمت أن سرت نحوك لا أعرج في سيرى ولا أف ، حتى وصلت إليك عمولا على راحلتين من قمرى الذى يحفزنى إلى بابك طلبا لجدواك وأدى الذى تسببت به إليك .

(٣) شرقت : غصت ، وضمير ذاقها : للزمن . وقوله ما عاش . أى ما بقى وامتد . والاتحاب : رفع الصوت وتردده بالبكاء . يقول : أذاقنى الدهر من الفقر والغربة شيئا لو ذاقه هو لبكى واتحب مدة حياته ولم يستطع عليه صبرا لأنه الغاية فى الشدة ، فكيف أصبر أنا عليه ؟

(٤) عمرت : عشت ، والسهمري : الرمح ، والشرفى : السيف ، كنى بهذه القربات عن ملازمة هذه الذكورات . يقول : إن عشت وتنفس بى العمر لازمت الحرب حتى أدرك طلبى . هذا ويقال عمر الرجل بكسر الميم يعمر عمرا وعمارة وعمرا ، وعمر — بالفتح — يعمر ويعمر : أى عاش وبقى زمانا طويلا ومنه قولهم : أطال الله عمرك وعمركوما وإن كانا مصدرين بمعنى ، إلا أنه استعمل فى القسم أحدهما وهو المفتوح .

(٥) و (٦) الأشعث : المنبر من طول السفر ولقاء الحروب ؛ والقح : الخالص : أى العربى الخالص النسب ؛ وقح : نعت لأشعث ، والرح : النشاط . يقول : للزمت الحرب بكل رجل قد طال تمرسه بالحروب والأسفار حتى تراه يرمى بنفسه فى التهلكة كأن القتل حاجة له يبتغيها ويتهاك عليها ، وإذا هو سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب ؛ وروى ابن حنى بدل صهيل الخيل

فَالْمَوْتُ أَعْدَرُ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي وَالْبِرُّ أَوْسَعُ وَالْدُنْيَا لِيَنَّ غَلْبًا (١)

صهيل الجرد - جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر - وذلك مما يعمد في الخيل، ويروى بدل مرحا بالجزو : مرحا بالعز . ومن جيد ما قيل في معنى البيت الأول قول أبي تمام :
مُسْتَرَسِّلِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحَتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ
وقول البحري :

مُسْتَرَسِّعِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا وَفَرَ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يُتَنَبَّهُ

(١) يقول : الموت أعذر لي من أن أعيش ذليلاً ، فإذا قتلت في طلب العالي قام الموت بعذري ، والصبر أجمل ، لأن الجزع عادة اللثام ، والبر أوسع لي من بلد يضيق بي رزقه فأنا أسافر وأضطرب في مناكب الأرض ؛ والدنيا لمن غلب وزاحم لا لمن لزم عقرداره ، قال العكبري : وهذه الأبيات التي أتى بها في آخر القصيدة خارجة عما هو فيه لأنه لا يمدح رجلاً ، ويذكر أنه قد قصده وأن الزمان قد أذاقه بلوى وشدة ، وقد جاء يستجدي منه ثم يذكر الشجاعة منه وطلب الملوك وأخذ البلاد . . . وأين أبو الطيب والملوك ؟ رحم الله امرأ عرف قدره . . . ولقد أحسن ابن دريد فيما قال :

من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخَطَى
وقد غاب عن العكبري - رحمه الله - خلائق المتنبي وأنه لا يمدح الناس إلا للمدح
نفسه وبنوه بما تنطوي عليه من الطامع والآمال الكبار والنزاع إلى الطعن والنزال .

وقال يمدح على بن منصور الحاجب *

بأبي الشَّمْسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبًا اللَّابِسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِبًا^(١)
 الْمُنْهَبَاتُ قُلُوبِنَا وَعُقُولُنَا وَجَنَاتِهِنَّ النَّاهِبَاتِ النَّاهِبَا^(٢)
 النَّاعِمَاتُ الْقَاتِلَاتُ الْمُحْيَا تِ الْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غَرَابِا^(٣)
 حَاوِلُنَ تَفْدِيَتِي وَخِفْنَ مُرَاقِبَا فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَابِا^(٤)

* قيل: إنه لم يحزه على هذه القصيدة إلا ديناراً واحداً ، ولذلك سميت بالدينارية .
 (١) الباء للتفدية ؛ والشموس : إما مرفوعة على أنها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير :
 الشموس مفديات بأبي ؛ وإما منصوبة على أنها مفعول فعل محذوف والتقدير : أفدى
 الشموس بأبي ؛ والجائحات : المائلات ؛ والجلاب : جمع جلباب ، وهو ما يلتحف
 به من اثياب ، وأصله جلابيب : قال تعالى « يدنين عليهم من جلابيبهن » فحذف الياء
 ضرورة ؛ كنى بالشموس عن النساء ، وبشروبهن . عن بعدهن . وعبرة الواحدي :
 لما سماهن شموماً كنى عن بعدهن بالغروب ، لأن بعد الشمس عن العيون لا يكون إلا
 بالغروب ، وقد بين في آخر البيت أن الشمس : النساء الحسنان ؛ إذ قال : اللابسات الخ .
 وقال ابن جنى : غبن عنك في الحدور .

(٢) المنهبات : اسم فاعل ، وجناتهن : مفعول أول ؛ وقلوبنا : مفعول ثان ،
 وعقولنا : عطف عليه ؛ والناهبات : صفة لوجناتهن ؛ ولك أن ترفع وجناتهن على أنها
 فاعل المنهبات : أى اللاتي أنهبت وجناتهن قلوبنا ، فيكون قد اقتصم على مفعول واحد ؛
 ويقال أنهبت الشيء إذا جعلته نهباله . يقول : اللواتي جعلن قلوبنا وعقولنا نهبالها لوجناتهن
 يسبينها بحسنهن ، ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب : أى الرجل المشجاع المغوار
 الذى ينهب الناس . بعد أن أبلى البلاء الحسن فى الحرب ، وهذا من قول أبى تمام :

سَلَبْنَ غِطَاءَ الْحَسَنِ عَنْ حُرِّ أَوْجِهِ تَطَلُّ لِبِّ السَّالِيهَا سَوَالِبَا

(٣) الناعمات : أى اللينات الفاصل ، والقاتلات : أى بهجرهن ، والهيئات :
 بوصلهن ، والمبديات : أى المظهرات من الدلال عجائب ، والدلال : جرة المرأة على
 الرجل فى تكسر وتفتيح .

(٤) الترائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : حاولن أن يقلن لى تفديك بأنفسنا
 فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة إلى ذلك خوف الرقيب . وقال ابن جنى : أشرن

وَبَسْمَنَ عَنْ بَرْدٍ خَشِيتُ أَذِيهٖ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُنْتُ الذَّائِبَا^(١)
 يَا حَبْدَا الْمُتَحَمِّلُونَ وَحَبْدَا وَادٍ لَثَمْتُ بِهِ الْغَزَالَهٗ كَاعِبَا^(٢)
 كَيْفَ الرَّجَاءِ مِنَ الْخُطُوبِ تَخْلُصَا مِنْ بَدِّ مَا أَنْشَبَنِي فِي مَخَالِبَا^(٣)

إلى من بعيد ولم يجهرن بالسلام والتحية خوف الرقباء والوشاة . جعل ابن جنى هذه الإشارة تحية وتسليما ، وقال الواحدى : طلبن أن يقلن تفديك بأنفسنا وخنن الرقيب ، فنقلن التفدية من القول إلى الإشارة : أى أنفسنا تفديك ؛ وهذا أولى من قول ابن جنى لذكر التفدية فى البيت ، ولم يقل حاولن تسليمى ؛ لأن الإشارة بالسلام لاتكون بوضع اليد على الصدر . وقال ابن فورجه : وضع اليد على الصدر لا يكون إشارة بالسلام وإنما أراد وضع أيديهن فوق ترائهن تسكيننا للقلوب من الوجيب . قال الواحدى : وليس كما قال — ابن فورجه — ، وصدر البيت ينقض ماقله . هذا وبديع قول بعضهم ينظر إلى هذا المعنى :

أَضْحَى بِمَجَانِبِي مُجَانِبَةَ الْعِدَا وَيَبِيتُ وَهُوَ إِلَى الصَّبَاحِ نَدِيمٌ
 وَيَمْرُؤُ بِى خَوْفَ الْوُشَاةِ وَلَفْظُهُ شَتْمٌ وَحَشْوٌ لِحَاطِطِهِ تَسْلِيمٌ
 (١) أراد بالبرد : أسنانهن التى تشبه البرد فى نقائها ، وقوله خشيت أذيه : أى أن أذيه . يقول : إنى كنت أخاف على ثورهن أن تذوب من حرارة أنفاسى ، فلما رحلن ذبت أنا من شوقى إليهن ، ومن هذا الباب قول الصنوبرى :

وضاحكٍ عن بردٍ مُشْرِقٍ أبا حنيه دون جُلَاسِي
 فكلمًا قبلته خفتُ أن يذوبَ من نيرانِ أنفاسِي
 وقول بعضهم :

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يُذِيبَ مَفَاصِلِي مَنْ لَوْ جَرَى نَفْسِي عَلَيْهِ لَذَابَا
 (٢) التحملون : المرتحلون ؛ والمراد بالغزالة إما الشمس وإما الحيوان المعروف ، والكاعب : التى بدا ثديها للنهود . يقول : قبات غزالة فى صورة كاعب من النساء .
 (٣) الخطوب : الأمور الثقالة ، وتخلصا : مفعول الرجاء ، أعمله مع اقترانه بأل وهو ضعيف ، أنشد سيويه :

أَوْ حَدَّثَنِي وَوَجَدَنَ حُزُنًا وَاحِدًا مُتَّاهِيًا فَجَعَلَنَّهُ لِي صَاحِبًا^(١)
وَنَصَّبَنِي غَرَضَ الرَّمَاةِ تُصِيبُنِي مِمَّنْ أَحَدُهُ مِنَ الشُّيُوفِ مَضَارِبًا^(٢)
أُظْمِتَنِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَابِيًا^(٣)
وَحُبَيْتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ
مِنْ دَارِشٍ فَفَدَوْتُ أُمِّي رَاكِبًا^(٤)
حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا^(٥)

ضعيفُ النِّكَايَةِ أَعْدَاءَهُ تَحَالُ الْفِرَارَ يُرَاحِي الْأَجَلَ^(١)

وأشبهن : علقن ، والمخالب : جمع الخلب — بكسر اليم — وهو للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان يقول : كيف أرجو التخلص من الخطوب بعد أن نالت مني وتقدت في حكمها ؟

(١) أوحدني : أى الخطوب — أى صيرتني واحدا . يقول : تركتني الخطوب وحيدا بعد أن فرقت بيني وبين الأعبة ، وجعلت صاحبي بدم ما أجده من الحزن التناهي الذي هو واحد الأحزان ، وهو حزن الفراق .

(٢) الغرض : الهدف يرمى بالسهم ؛ ومضاربا : تمييز جمع مضرب — بفتح الراء وكسرها — حد السيف . يقول : إن الخطوب نصبتة هدفا للمحن .

(٣) أظمتني من الظما : العطش : فأصلها أظمتني ، فأبدل الهمزة ألفا ثم حذفها . يقول : كان حظي من الدنيا الحرمان . فلما التمس عطاها أفرغت على المصاب .

(٤) قوله من خوص الركاب : أى بدلا من خوص الركاب ، والخوص جمع الخوصاء ، وهى الناقة الغائرة العينين من الجهد والإعياء ، والركاب : الإبل ، والدارش : ضرب من السخيان ، وهو جلد أسود : يقول أعطيت عوضا من الإبل خفا أسود ، فأنا راكب ماش .

(٥) حال : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه حال ، ويروى حالا — بالنصب — على

(١) يهجو رجلا يقول : هو ضعيف عن أن ينكى أعداءه وجبان عن أن يثبت لقرنه ولكنه يلجأ إلى الفرار ويخاله مؤخرآ لأجله .

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَانِهِ وَبَنَانُهُ يَتَبَارَيَانِ دَمًا وَعُرْفًا سَاكِبًا^(١)
يَسْتَصْفِرُ الْخَطَرَ الْكَبِيرَ لَوْفِدِهِ وَيَظُنُّ دِجْلَةَ لَيْسَ تَكُنِي شَارِبًا^(٢)
كِرَمًا فَلَوْ حَدَّثْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِعَظِيمٍ مَا صَنَعْتَ لَظَنَكَ كَاذِبًا^(٣)

إضمار عامل محذوف : أى أشكو أو أذم . يقول : إن حالى هذه لو علم بها ابن منصور تلافها بإحسانه وحال دون إساءة الزمان ، فيكون إحسانه بمنزلة توبة الزمان إلى ومثل هذا لأبى تمام قال :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فَيُوقَدُ بِرَى بِنِدَاكِ وَهُوَ إِلَى مِنْهَا تَائِبٌ
وقال أيضاً :

عَضِبْتُ إِذَا هَزَهُ فِي وَجْهِهِ نَائِبَةٌ جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ
(١) السنان : نصل الرمح ، والبنان فى الأصل : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا الكف ، ويتباريان : يفعل كل منهما ما يعارض به صاحبه . ودما : تمييز أو منصوب على نزع الخافض : أى فى دم ، والعرف : المراد به الجود ، والساكب : المنسكب . يقول : إن سنان رعمه يقطر دماً من الأعداء ، وكفه تسكب جوداً على الأولياء . وهذا من قول البحرى :

تَلَقَاهُ يَقَطُرُ سَيْفَهُ وَسِنَانُهُ وَبِنَانُ رَاحَتِهِ دَمًا وَنَجِيمًا
(٢) الخطر : الأمر الخطير : أى العظيم . يقول : إنه يستصفر الشيء العظيم لمن يقصده وينتجع إليه لكرمه ويظن — لكثرة عطائه — أن نهر دجلة — ذلك النهر العظيم — ليس يكنى شارباً . ومثل هذا قول أبى تمام وزاد الشكر :

فَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَا حَبَّوتَ مِنَ اللَّهَاءِ تَزْرَأُ وَأَضْفَرَ مَا شَكَرْتُ جَزِيلاً
(٣) كرما : مفعول مطلق : أى كرم كرماً ، أو مفعول له عامله . يظن فى البيت قبله يقول : لو حدثته بما صنع من الأفعال الجسام لظنك كاذباً لخروج تلك الأفعال عن طوق المقدرة . قال الواحدى — ناقداً — : وقد أساء فى هذا ، لأنه جعله يستعظم فعله وفضده يمدح ، وإنما يحسن أن يستعظم غيره مافعل كما قال أبو تمام .

تَجَاوَزَ غَايَاتِ العُقُولِ رَغَائِبٌ تَكَادُ بِهَا لَوْلَا العِيَانُ تُكْذِبُ
وقال البحرى :

سَلَّ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَرَزَهُ مُسَالِبًا وَحَذَارٌ مُمٌّ حَذَارٍ مِنْهُ مُحَارِبًا^(١)
 فَالْمَوْتُ تُعْرَفُ بِالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ لَمْ تَلَقْ خَلْقًا ذَاقَ مَوْتًا آيِبًا^(٢)
 إِنْ تَلَقَهُ لَا تَلَقَ إِلَّا قَسْطَلًا أَوْ جَحْفَلًا أَوْ طَاعِنًا أَوْ ضَارِبًا^(٣)
 أَوْ هَارِبًا أَوْ طَالِبًا أَوْ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا أَوْ هَالِكًا أَوْ نَادِبًا^(٤)

وَحَدِيثٌ مَجْدٍ عَنكَ أَفْرَطُ حُسْنُهُ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَوْضُوعٌ

(١) حذار : اسم فعل بمعنى احذر ، ومسالما ومحاربا : حالان . يقول : سل عن شجاعته لتعرفها بالخبر ولا تحاول أن تعرفها بالمشاهدة والتمرس بها وإلا هلكت : أى لا تحاول أن تعرفها بالقتال ، فإنك إن قاتلته قتلت ، وقد ضرب البيت التالى مثلا لذلك .
 (٢) يقول : فإن الموت يعرف بالوصف لا بالتجربة ، إذ لم نجد مخلوقا مات ثم رجع فيخبرنا عن حقيقة الموت ، وإذن فالمت إن عرف بالمشاهدة أهلك ألتة ، وكذلك شجاعة المدوح ، وقوله خلقا : أى مخلوقا ، مفعول أول لتلق ، وآييا : مفعول ثان .
 (٣) انقسطل هنا : غبار الحرب ؛ وهو القسطل ، والقسطال والقسطول والقسطلان والقسطل — بالصاد — كاه . الغبار الساطع . وقال الجوهري : القسطال لغة فيه كأنه محدود منه مع قلة فعلا في غير المضاعف ؛ وأنشد أبو مالك لأوس بن حجر يرثى رجلا :

وَلنِعْمَ رِفْدُ الْقَوْمِ يَنْتَظِرُونَهُ وَلنم حَشْوُ الدِّرْعِ وَالسِّرْبَالِ
 وَلنم مأوى المستضيف إذا دعا والخيل خارجة من القسطال

وقال آخر :

* كأنه قسطال ريج ذى رهج *

الحجفل : الجيش العظيم . يقول : إنه لا ينفك عن هذه الأشياء

(٤) تبين لأحوال الناس معه . يقول : فلا ترى إلا هاربا من جيشه ، أو طالبا رفته ، أو راغبا في إحسانه ، أو راهبا من بأسه ، أو هالكا بسيفه ، أو نادبا على قتيل له من الأسرى الذين أسرم . وقال الواحدى : ويجوز أن تكون هذه أحوال المدوح : أى تلقاه هاربا من الدنيا ، وطالبا للعلی ، وراغبا في المكارم ، وراهبا من الله تعالى . وهالكا : أى مهلكا — كما قال العجاج :

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلًا وَقَوَاصِبًا^(١)
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا تَحْتَ الْجِبَالِ فَوَارِسًا وَجَنَائِبًا^(٢)
 وَعَجَاجَةً تَرَكَ الْأَخْدِيدُ سَوَادَهَا زِنَجًا تَبَسَّمُ أَوْ قَدَّالًا شَائِبًا^(٣)

وَمَهْمَهُ هَالِكٍ مَن تَعَرَّجًا^(١)

ونادبا : من يبارزه من الندب . وهذا تعسف من الواحدى كما ترى .
 (١) و (٢) العواسل : الرماح ، والقواضب : السيوف ، والجنايب : جمع الجنيبة ،
 وهى التى تقاد إلى جنب الفارس . يقول : عمت جنوده السهل والجبل ، فإذا نظرت إلى
 الجبال رأيتها رماحا وسيوفا ، وإذا نظرت إلى السهول رأيتها فوارس وجنايب :
 أى غصت بهما .

(٣) وعجاجة . بالنصب . عطف على ماتقدم : أى ورأيت عجاجة ، أو
 بالجر على إضمار رب ، والعجاجة : الغبار ، وتبسم - بحذف إحدى التائين - أى تبسم ،
 والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا ، وقال ابن الأعرابي :
 القذال : مادون القمحدوة إلى قصاص الشعر ، قال الأزهرى : اقمحدوة ما أشرف على
 القفا من عظم الرأس ، والهامة فوقها ، والقذال دونها مما يلي القذ ، ويقال : القذالان
 ما اكتنف فأس القفا عن يمين وشمال ، والزنج - بفتح الزاى وكسرهما - جيل من
 السودان ، وهم الزنوج يقول : إن بريق الأسلحة فى سواد الغبار يشبه تبسم الزنج أو شيب
 القذال ، ولحمود الوراق :

حتى تبدى الصبح يتلو الدجى كالحليشى اقر للضحك
 ولأبى نواس :

لما تبدى الصبح من حجابهِ كطلعةِ الأشمطِ من جلابهِ
 وهذا التشبيه متداول كثير فى الشعر :

(١) تمامه : هائلة أهواله من أدجا . قال فى اللسان : هالك بمعنى مهلك لغة تميم
 كما يقال : ليل غاض أى مفض ، وقال الأصمى فى قوله ، هالك من تعرجا : أى هالك
 المتعرجين إن لم يهدبوا فى السير : أى من تعرض فيه هلك .

فَكَأَنَّما كَيْسَى النَّهَارُ بِها دُجَى لَيْلٍ وَأَطْلَمَتِ الرِّماحُ كَوَأكِباً^(١)
قَدْ عَسَكَرَتْ مَعها الرِّزايا عَسْكَراً وَتَكَتَبَتْ فِيها الرِّجالُ كِتاباً^(٢)
أَسَدٌ فَرَأَيْسُها الأَسودُ يَقودُها أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الأَسودُ نَعالِياً
فِي رُتْبَةٍ حَجَبَ الأورَى عَن نَيْلِها وَعَلاً فَسَمَوَهُ عَلَيَّ الحَاجِباً^(٣)
وَدَعَوَهُ مِن فَرَطِ السَّخاءِ مُبَدِّراً وَدَعَوَهُ مِن غَضَبِ الثُّفوسِ الفَاصِباً
هَذا الَّذِي أَفنى الثُّنارَ مَواهِباً وَعَداهُ قَتلاً وَالزَّمانَ تِجارِباً^(٤)
وَمُخِيبُ العُدالِ فِيما أَمَلوا مِنهُ وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفاً خائِباً^(٥)

(١) شبه بياض الحديد في ظلمة المعالجة بكواكب في ليل . يقول : كأن النهار ألبس تلك المعالجة ظلمة ليل ، وكأن الرماح أطلعت من أسنتها كواكب ، وأطلعت هي كواكب في تلك الظلمة . بقوله : أطلعت إما قرأتها بصيغة المعلوم على أنه من فعل الرماح ، وإما بصيغة المجهول لما كلة قوله كسى ، وهذا المعنى من قول صريع الغواني :
فِي عَسْكَرٍ شَرِيقِ الأَرْضِ الفِضاءِ بِهِ كاللَّيْلِ أَنْجَمُهُ القُضبانُ والأَسَلُ
وقول بشار :

كَأَنَّ مُنارَ النَّعْمِ فوق رَمَوسِنا وَأَسِيفِنا لَيْلِ تَهَوَّى كَوَأكِبِ
(٢) عسكرت : تجمعت ، وتكتبت : تجمعت كتاب ، والكتائب : جمع كتيبة .
الفرقة من الجيش - وعسكرا وكتائب : حالان . يقول : إن الصائب تجمعت مع تلك المعالجة كأنها عسكرا تقع بالمدو ، وتكاثرت فيها رجال المدوح حتى صارت كتائب .
(٣) هذا مثل قول ابن الرومي :

كَأَنَّ أباهُ حِينَ سَمَّاهُ صاعِداً دَرَى كَيْفَ يَرَقِي فِي المَعالي وَيَصْعَدُ
وقوله على : أراد عليا ، فاضطره الوزن إلى حذف التنوين ، وسوغ له ذلك سكونه وسكون اللام في الحاجب : ومثله كثير ، وذلك كقراءة من قرأ « قل هو الله أحد »
الله « بغير تنوين ، حذفه لا لقاء الساكنين .

(٤) الثنار : الذهب ، ومواهبها وما بعده : تمييز . يقول : إنه أفنى الذهب بالعطاء ، والأعداء بالقتل ، والزمان بالتجارب : أى أنه حصل له من التجارب ما يعرف به ما يأتي فيها يستقبل من الزمان ، فكأنه أفنى الزمان لأنه لا يحدث عليه شيئا لا يعرفه .
(٥) ومخيب : عطف على « هذا الذي أفنى » في البيت قبله ، وذكر السكف وإن كان

هَذَا الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ حَاضِرًا مِثْلُ الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ غَائِبًا^(١)
 كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتَّ رَأَيْتَهُ يَهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا^(٢)
 كَالْبَحْرِ يَقْدِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا وَيَبْمَتْ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا
 كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا يَفْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

الأصح تأنيثها - على معنى الضو ، أو على إرادة السائل : أى لا يرد سائلا ، أو للراد خائبا صاحبها . ويعد : فان أكثر ما استعمل العرب الكف مؤثثة على أنها بمعنى اليد ، فهم يقولون هذه كفف واحدة ، وقال بشر بن أبى خازم :

لَهُ كِفَانٌ كَفٌّ كَفٌّ ضَرٌّ وَكَفٌّ فَوَاضِلٌ خَصِلٌ نَدَاها
 وقال الأعشى :

يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ وَأُخْرَى إِذَا مَا ضَنَّ بِالْمَالِ تُنْفِقُ
 وقالت الحنساء :

فَا بَلَغَتْ كَفُّ أَمْرِي مُتَنَاوِلٍ بِهَا الْمَجْدَ إِلا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلُ
 وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوِكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلا وَمَا فَيْكَ أَفْضَلُ
 أما قول الأعشى :

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيْفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبًا
 فانه أراد الضو ، وقيل هو حال من ضمير يضم ، أو من هاء كشحيه .

(١) أبصرت - بناء للتكلم - يعنى التنبى نفسه ، ويروى على الخطاب وحاضرا وغائبا على الروايتين : حال من فاعل أبصرت ، ومثل : يجوز فيه الرفع والنصب ، فالرفع قال ابن جنى : هذا مبتدأ أول ، والذى : مبتدأ ثان ، ومثل : خبر الذى ، والجملة خبر هذا ، والعاقد على هذا من الجملة التى هى خبر عنه الماء فى منه . والنصب يجمل هذا ابتداء ، والذى : خبره ، ونصب مثل أبصرت . يقول : إنه يرى عطاءه حينما كان حضره أو غاب عنه ، ومثله لأبى تمام :

شَهِدْتُ جَسِيَّاتِ الْمَلَأِ وَهُوَ غَائِبٌ وَلَوْ كَانَ أَيْضًا حَاضِرًا كَانَ غَائِبًا
 (٢) الثاقب : اللضىء . يقول : حينما كنت ترى عطاءه قد غمر الناس - قريبهم
 (١٧ - للتني ١)

أَمْهَجْنَ الْكُرْمَاءَ وَالزَّرِي بِهِمْ وَتَرَوْكَ كَلًّا كَرِيمًا قَوْمًا عَائِبًا^(١)

وبعدهم - كما ترى ضوء القمر حيثما كنت من البلاد ، والبيتان التاليان في معنى هذا البيت : يريد أنه عام النفع ، ومثل هذا لأبي تمام :

قَرِيبُ النَّدَى نَائِي الْمَحَلِّ كَأَنَّهُ هِلَالٌ قَرِيبُ النُّورِ نَائِي مَنَازِلِهِ
وللبحتري :

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْغُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبٍ
وله أيضا :

عَطَاءُ كَصَوِّهِ الشَّمْسِ عَمَّ قَمَرِيبٌ يَكُونُ سَوَاءً فِي سَنَاهُ وَمَشْرِقُ
وقال العباس بن الأحنف :

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ ثَبَتَ الْإِشْرَاقُ فِي كُلِّ بَلَدٍ

(١) أمهجن : أى يا مهجن ، فالهمزة للنداء ، وهجته : قبحه ، قال صاحب اللسان : الهجنة من الكلام ما يعيبك ، والهجين : العربي ابن الأمة لأنه معيب ، ولهذا المناسبة تقول : إن الهجنة في الناس والحيل إنما تكون من قبل الأم ، فإذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك : كان الولد هجينا . قال الراجز :

العبدُ والهجينُ والفلقنسُ ثلاثةٌ فأَيُّهُمُ تَلَسُّ

والأقرف : من قبل الأب ، أو الذى أمه عتيقة وأبوه ليس كذلك . روى الرواة أن روح بن زباع كان قد تزوج هند بنت النعمان بن بشير فقالت - وكانت شاعرة - :

وهل هندُ إلا مُهزَّةٌ عريية سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بِنُفْلِ

فإن نُتِجَتْ مُهزًّا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى وَإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمِنْ قِبَلِ الْفَحْلِ

وأزرى به : عابه ، قال في اللسان : الإزراء : التهاون بالشئ ، يقال أزريت به : إذا قصرت به ، وحقرته ، وهوته ، وزريت عليه ، وزرى عليه زريا ، وزراية ، ومزرية ، ومزارة ، وزريانا : عابه وعاتبه . قال الشاعر :

يَا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَى عَمْرٍ قَدِ قَلَّتْ فِيهِ عَيْدٌ مَا تَقْلَمُ

وقال الآخر :

وَإِنِّي عَلَى لِيلى لَزَارٍ وَإِنِّي عَلَى ذَاكَ فَمَا يَبْنِنَا مُسْتَدِيمَهَا

شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِدَّتْ مَنَاقِبًا وَجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بَيْنَ مَثَالِيَا (١)
 كَبَيْتِكَ غَيْظَ الْحَاسِدِينَ الرَّائِبِيَا إِنَّا لَنَخْشِرُ مِنْ يَدَيْكَ عَجَائِيَا (٢)
 تَدِيرُ ذِي حُنْكَ يُفَكِّرُ فِي غَدِي وَهَجُومُ غَيْرٍ لَا يَخَافُ عَوَاقِيَا (٣)

أى عاتب ساخط غير راض، وزرى عليه عمله : إذا عابه وعنفه ، وترك مبالغته في تارك ، وهو مضاف لكل - الذى هو مفعوله الأول - وعابها مفعول ثان ، ويروى عابها . يقول : إنك هجنت الكرماء لتقصيرهم عن بلوغ كرمك وتركتم عاتبين عليك لما يظهر من كرمك المزرى بهم أو عاتبين على أنفسهم حيث لم يفعلوا ما فعلت ، أو تركتم عاتبين لك حسدا .

(١) شادوا : بنوا ورفعوا ، وتشديد البناء : إحكامه ورفعها ، والبناء للشيد بالشديد - الطول ، أما الشيد فهو : اللبن بالشيد ، والشيد كل ما طلى به الحائط من جص أو بلاط . قال عدى بن زيد :

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلْسًا فَلَطِيرٍ فِي ذَرَاهُ وَكُورُ

هذا ما عليه أكثر أهل اللغة ، وهم من يجعل الشيد والشيد بمعنى ، وما يتفرع عن هذه المادة قولهم : أشاد بذكره : أى نوه به ورفع قدره ، وقال أبو عمرو : أشدت بالنوى : عرفته . والنائب : الفاخر ، والمثالب : المخازى والمعايب . يقول : لفضل مناقبك على مناقبهم صارت مناقبهم كالمثالب ، وهذا كقول أبى تمام :

مَحَاسِنُ مِنْ مَجْدٍ مَتَى يَقْرِنُوا بِهَا مَحَاسِنَ أَقْوَامٍ تَكُنُ كَالْمَعَايِبِ

(٢) لييك : أى إجابة لك بعد إجابة ، ونصبه على المصدر ، وغيظ الحاسدين : منادى ، والراتب : الثابت للقيم ، ونحبر : نشاهد ونعلم . قال الواحدي : أظهر الإجابة إشارة إلى أنه ببناء مناد . أى كأن المدوح يناديه بلسان كرمه للتويه به . وسماء غيظ الحاسدين إشارة إلى أنه قد بالغ في غيظهم حتى صار يعرف بذلك . قال الخطيب : وصرح البيت لا تقاله من المدح إلى الإجابة .

(٣) تدير : مبتدأ محذوف الخبر : أى لك تدير . وروى تدير وهجوم : منصوبين ، على أن تدير بدل من عجائب - في البيت السابق - وهجوم : عطف عليه . وحنك : جمع حنكة ، وهى الخبرة والتجربة ، وضده الفر : أى الذى لم يجرب الأمور ولا يفكر فى العواقب . يقول : إنك تدبر ملكك تدير مجرب مختبر مفكر فى العواقب . وإذا

وَعَطَاهُ مَالٌ لَوْ عَادَهُ طَالِبٌ أَنْفَقْتُهُ فِي أَنْ تُلَاقِيَ طَالِبًا^(١)
خُذْ مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ لَا تُلْزِمْنِي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبِ^(٢)
فَلَقَدْ دَهَشْتُ لِمَا فَعَلْتَ وَدُونَهُ مَا يُدْهِسُ الْمَلِكَ الْخَفِيفَ الْكَاتِبَ^(٣)

هجت في الوغى هجت هجوم النمر : أى أنك تفعل كلافى موضعه ، فتدبر الملك تدير
مجرى بصير بأعقاب الأمور ، وتقدم فى الحرب إقدام النمر ؛ وهذا من قول أبى تمام :
وَمُجْرَبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَاسِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَانَهُمْ أَعْمَارُ
وقوله :

كَهْلُ الْأَنَاةِ فَتَى الشَّدَاتِ إِذَا غَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْمَاجِدَ الْفَطْرِيفَا
وقال البحرى :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامٌ غِرٌّ وَعِزَامٌ مَجْرِبِ
(١) وعطاء : عطف على تدير ؛ وعدها : تجاوزه . يقول : إذا لم يأتك طالب
أتفتت مالك فى البحث عن طالب تعطيه .

(٢) أسطيعه : هو أستطيعه ، وبهما جاء التبريل الحكيم . يقول : إني إنما أثنى
عليك بقدر ما أستطيع ، لا بقدر ما يجب لك وما تستحقه ، لأنه فوق طاقتى ، فاعذرني
فى ذلك ، ثم بين عذره فى البيت التالى . وقد قصر أبو الطيب الثناء فى قوله ثنائى - وهو
ممدود - ضرورة . قال العكبرى : حكى ابن سعد عن أبى الطيب - وهو على بن سعد ،
وليس هو محمد بن سعد صاحب الطبقات ، لأن ذلك قديم الوفاة . توفى بعد المائتين ،
وأبو الطيب ولد سنة ثلاث وثلاثمائة - قال سمعت أبا الطيب يقول : ما قصرت ممدوداً
فى شعرى إلا هذا الموضع - خذ من ثنائى - وذلك أنه رأى بخط أبى الفتح - ابن جنى - :
* وقد فارقت دارك واصطفاك *

بكسر الطاء - هذا وقد قال أهل اللغة : إن الثناء ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم
أى أنه يستعمل فى الخير والشر ، وأنشدوا :

أُثْنِي عَلَىٰ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي أُثْنِي عَلَيْكَ بِمَثَلِ رِيحِ الْجُورِبِ

وخصى بعضهم به اللعج .

(٣) دهش : تخير ، ومثله شده . قال صاحب اللسان : دهش دهشا ، فهو دهش

وقال يمدح بدر بن عمار ارجالاً وهو على الشراب والفاصكة والرجس حوله :
 إِنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابٌ هَطِلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ^(١)
 إِنَّمَا بَدْرٌ رَزَايَا وَعَطَايَا وَمَنَايَا وَطِعَانٌ وَضِرَابٌ^(٢)
 مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ إِلَّا حَمْدَتَهُ جُهِدَهَا الْأَيْدِي وَذَمَّتْهُ الرِّقَابُ^(٣)

ودهش فهو مدهوش ، وحكرها بضمهم وأدهشه الله وأدهشه الأمر ودهش الرجل — بالكسر — دهشاً : تهيّر ويقال : دهش وشده ، واللغة العالية : دهش ، على فعل ، والملك الحفيظ : هو الموكل بالإنسان يكتب حسناته وسيّاته . يقول : لقد تهيّرت أمام أفضالك فلا أقدر أن أحسبها وأتّى بها ، وأقل من ذلك ما يخيّر الملك للموكل بك ، لأنه لم ير مثله من غيرك ، ولأنه لكثرة يجز عن كتابته .
 (١) يقول : هو نفاع ضرار ، مثله في ذلك مثل السحاب الذي ينهل بالمطر وتنقص منه الصواعق ، فيه حياة لقوم ، وهلاك لآخرين . قال الواحدى : هذه الآيات مضطربة الوزن ، وهي من الرمل ، وذلك لأنه جعل العروض فاعلاتن ، وهو في الأصل في المائة ، ولكن لم يستعمل العروض هنا إلا محذوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد :
 مِثْلَ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَّ بِمَدِّكَ الْقَطْرُ مَفْنَاهُ وَتَأْوِيْبُ الشَّمَالِ^(١)
 غير أن هذا البيت الأول صحيح الوزن ، لأنه مصرع ، فبعت عروضه ضربه .
 (٢) جملته هذه الأشياء مبالغة لكثرة وقوعها منه حتى صاروا إياها كالشيء الواحد ، على حد قول الحنساء :

تَرْتَعُ مَارْتَعَتْ حَتَّى إِذَا دُكِرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
 « تصف الحنساء وحشية تطلب ولدها مقبلة ومدبرة ، فجعلها إقبالا وإدبارا لكثرتها منها »

(٣) الطرف — بفتح الطاء — العين ؛ والجهد — بالضم — الطاقة ، أما بالفتح فهو المشقة ، وقيل هما لفتان : كالشهد والشهد ، والأيدى : فاعل حمدته . يقول : إنه لا يجيل رفه إلا على إحسان وإساءة ، فله في كل طرفة ونظرة إحسان تحمده الأيدي جهدها لأنه

(١) السحق : الثوب الخلق الذي انسحق وبلى ؛ كأنه بعد من الاتضاع به

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّبِعِي إِخْلَافَ مَا تَرَجُّو الذَّنَابُ^(١)
 فَلَهُ هَيْبَةٌ مِنْ لَا يُتْرَجَّى وَلَهُ جُودٌ مُرْجَى لَا يَهَابُ^(٢)
 طَاعِنُ الْفُرْسَانِ فِي الْأَخْدَاقِ شَزْرًا
 وَعَجَّاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نِقَابُ^(٣)
 بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الْمَوْلِ الَّذِي لَيْسَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ^(٤)
 بِأَبِي رِيْحِكَ لَا تَرْجِسْنَا ذَا وَأَحَادِيثُكَ لَا هَذَا الشَّرَابُ^(٥)

يملؤها بالعطاء ، وذهب اليازجي إلى أن الطرف بكسر الطاء - أي الفرس الكريم .
 قل : يقول التنبي : إنه ما أجال فرسه في الحرب إلا ملأ أيدي أوليائه من الغنائم فمدته
 جهدها ؛ وضرب رقاب أعدائه فدمته . . .

(١) يقول : لا يقتل أعدايه ليستريح منهم لأنه أمن جانبهم لعجزهم عن أذاه فلا يهجمه
 بقاؤهم ، ولكنه قد عود الذئاب أن يطعمها لحوم انقتل ، فهو إنما هو يقتل الأعداء خشية
 أن يخلف رجاء الذئاب ، وهو لم يتود أن يخيب راجيا ؛ وهذا كقول مسلم :
 قَدْ عَوَّدَ الطَيْرَ عَادَاتٍ وَثِقَنَ بِهَا فَهِنَّ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ

(٢) يقول : إنه مهيب كل الهية ، وجواد غاية في الجود ، فإنه يهاب هية من لا يرجي
 العفو عنده ، ويجود جود سمح كريم يرجي إحسانه ولا تخشى مهابته .

(٣) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال ، والعجاج : الغبار ، والنقاب : ما تستر
 به المرأة وجهها . يصفه بالحدق في الطعن . يقول : إنه يصيب أحداق الفرسان والجو
 مظلم بغبار الحرب الذي كأنه نقاب للشمس يسترها ، وهذا كقوله :

* يضع السنان بحيث شاء محالوا *

(٤) يقول : إنه يحمل نفسه على ركوب الأمر العظيم الهائل الذي لا خلاص لمن
 وقع فيه

(٥) بأبي : تفدية . قال الواحدي : يريد أن ريحه أطيب من ريح الترجس « الذي
 بين يديه » وحديثه ألد من الشراب ، وليس هذا بما يدح به الرجال : أي وإنما يخاطب
 بمثله المحبوب .

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ إِنْ بَرَزْتَ سَبْقًا غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابِ (١)

وجلس بدر بن عمار يلبع بالشطرنج وقد كثر المطرف قال أبو الطيب :

أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَرْجِيُّ عَجَائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ

تَشْكِي الْأَرْضُ غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ وَتَرْشُفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضَابِ؟ (٢)

وَأُوهِمُ أَنَّ فِي الشُّطْرَنْجِ هَمِّي وَفِيكَ تَأْمَلِي وَلَكَ أَنْتِصَابِي (٣)

(١) برز: بذ وسبق ، وسبقا: مفعول مطلق ، كأنه قال إن سبقت سبقا ، والعراب : الخيل العربية . يقول : ليس بمستكر أن تسبق الناس وتبذم لأنك أهل ذلك ، كما أن كرام الخيل لا تدفع عن السبق . هذا وكان الوجه أن يقال غير مدفوعة عن السبق العراب ، كما تقول هند غير مصروفة ، ولكنه ذكر ضرورة كأنه أراد العراب جنس غير مدفوع . قال ابن جنى : كان يجوز له أن يقول غير هذا ويقول : لا تدفع عن السبق العراب — بالتاء والياء — فأجرى غير مجرى لا ، وأجرى مدفوع مجرى يدفع ضرورة ؛ وقد يزن البيت بأن يقول :

* قط لا يدفع عن سبق عراب *

أقول : وابن قط لا يدفع عن سبق عراب من غير مدفوع عن السبق العراب ؟ ولكنه النحو والنحويون .

(٢) تشكى — بحذف إحدى التائين — أي تشكى ؛ وإليه : متعلق بتشكى ، والضمير في غيبته وفي إليه : للسحاب ؛ والرشف : المص ، وأصله أن تستقصى مافي الإناء حتى لا تدع فيه شيئا ، والرضب : الريق . يريد بيان ما ذكره في البيت السابق من العجائب . يقول : إن الأرض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها ، وعند لقائه ترشف مائه كما يرشف العاشق ريق المشوق .

(٣) يقول : إني أعما أتأمل في محاسنك لافي الشطرنج ، وأتصب جالسا لأراك لا لأراه . والشطرنج فارسي معرب من شدرنج ، ومضاه — كما قال العكبري — من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا . وكسر الشين فيه أجود ليكون من باب جردحل : وهو الضخم من الإبل : هذا وقد قال ابن جنى : إن هذه الآيات لم أقرأها عليه ، وشعره عندي أجود منها ، وقال غيره هي مقروءة عليه بمصر وبهداد .

سَأْمَضِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي مَغِيبِي لَيْلَتِي وَغَدَا إِبَابِي^(١)

وقال في لعبة أحضرت مجلس بدر على صورة جارية وأديرت فوقفت حذاء بدر رافعة رجلها وكانت ترقص بحركات :

يَاذَا الْمَالِي وَمَعْدِنِ الْأَدَبِ سَيِّدَنَا وَأَبْنِ سَيِّدِ الْعَرَبِ
أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مُعْجَزَةٍ وَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ لَمْ يُجِبِ^(٢)
أَهْدِيهِ قَابَلَتِكَ رَاقِصَةً أَمْ رَفَعَتْ رِجْلَهَا مِنْ التَّعْبِ؟

وقال يمدح على بن محمد بن سيار بن مُكرم التميمي ، وكان يحب الرمي بالنشاب ويتعاطاه ، وكان له وكيل يتعرض للشعر ، فأنفذه إلى أبي الطيب يناشده ، فتلقاه وأجلسه في مجلسه ، ثم كتب إلى عليّ يقول :

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَاقُ ضُرُوبَا فَأَعْدَرُهُمْ أَشْفَهُمْ حَبِيبَا^(٣)
وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادِي فَهَلْ مِنْ زَوْرَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا؟^(٤)

(١) يقول: إنني سأمضي وأغيب عنك ليلة واحدة ثم أعود إليك .

(٢) بكل معجزة : أي بكل مسألة يعجز الناس عن بيانها والإجابة عليها ، فلو سئل عنها غيره أجبل « انقطع » قال العكبري : هذه آيات رديئة عملها ارتجالاً في معان ليست هناك .

(٣) الضروب : الشكول والأصناف ؛ وأشفهم : أفضلهم . يقول : شكول الناس على اختلافهم يحبون شكول المحبوبات على اختلافها ، وأشفهم بأن يعذر في العشق والحب من كان محبوبه أفضل ، وهذا كالتמיד للبيت التالي . هذا وقد ذهب بعض الشعراء إلى أن ضروباً : حال ، كأنه قال : الناس عشاق مختلفين في عشقهم . ولكن الأجود أن يكون منصوباً بوقوع الفعل عليه وهو العشق : أي ضروب الناس يعشقون ضروباً .

(٤) السكن : ماتسكن تمسك إليه وتهواه . يقول : فاللذي أحبه أنا وتسكن إليه نفسى هو قتل أعدائي ، فهل من زيارة لهذا الحبيب ؟ أي هل أظفر بذلك وأتمكن منه حتى أشفي قلبي كما يشفي قلب المحب زورته الحبيب ؟

تَنْظَلُ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ ، وَالنَّيْبِيَا (١)
 وَقَدْ لَبَسَتْ دِمَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ حِدَادًا لَمْ تَشُقْ لَهَا جُيُوبًا (٢)
 أَدْمَنَا طَنْهُمْ وَالْقَتْلَ حَتَّى خَلَطْنَا فِي عِظَامِهِمِ الْكُعُوبَا (٣)
 كَأَنَّ خِيُولَنَا كَانَتْ قَدِيمًا تُسْقَى فِي قُحُوفِهِمِ الْحَلِييَا (٤)
 فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالْتَرِيَا (٥)
 يُقَدِّمُهَا وَقَدْ خُضِبَتْ شَوَاهَا فَتَى تَرِي الْحُرُوبُ بِهِ الْحُرُوبَا (٦)

(١) ترد: أى تردد: والصراصر: جمع صرصرة، وهو صوت النسر والبازي ونحوهما، وانصب: صوت الغراب. يقول: هل من سبيل إلى وقعة تكثر فيها القتل فيجتمع عليها الطير فيصرصر النسر وينب الغراب؟ جل صياح الطيور المبتعدة على القتل كأنه حديث يتحدثن به.

(٢) وقد لبست: أى الطير؛ وعليهم: متعلق بحدادا؛ والحداد: الثياب السود تلبس عند الصيبة؛ والجيوب: جمع جيب، وهو طوق اقميص؛ وعند العامة: كيس يخط في جانب الثوب من الداخل ويحمل فمه من الخارج. يقول: إن هذه الطير تغوص في دماء القتل فتلتطخ بها ونجف عليها فتسود وتصير كأنها ثياب حداد على القتل. بيد أنها لم تشق على هؤلاء القتلى جيوبا كما تعمل ربات الحداد. هذا وقد روى دماؤهم - بالرفع - فيكون للمنى أن الدماء أسودت على القتل، فكأنها لبست ثوبا غير ما كانت تلبس من الحرمة.

(٣) الكعوب: جمع كعب، وهو ما بين الأنوبتين من القناة. يقول: لم نزل نطنهم حتى كسرنا كعوب الرماح فيهم فاختلفت في أبدانهم بعظامهم.

(٤) و (٥) القحوف: جمع قحف - بكسر القاف - وهو العظم الذى فوق الدماغ؛ والجمجمة: العظم الذى فيه الدماغ؛ والتريب: عظم الصدر، والجمع: الأتراب: موضع القلادة من الصدر. يقول: كأن خيلنا كانت في صفها تسقى اللبن في أحفاف رؤوسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدورهم ونحن عليها لاتفر منهم... وقد جرت عادة العرب بأن تسقى اللبن كرام خيولها.

(٦) الشوى من الحيل: قوائمها. يقال: فرس عبل الشوى، والشوى من الآدميين اليدان والرجلان؛ وقبل اليدان والرجلان والرأس، وكل ما ليس مقتلا؛ ومن هذا

شَدِيدُ الْخُزْوَانَةِ لَا يُبَالِي أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أُمُّ أُصَيْبًا^(١)
 أَعَزَمِي طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَانظُرْ أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَثُوبًا؟^(٢)
 كَأَنَّ الْفَجْرَ حَبٌّ مُسْتَزَارٌ يُرَاعِي مِنْ دُجْنَتِهِ رَقِيبًا^(٣)

قولهم : رماء فأشواه : أى أصاب شواه ، ولم يصب مقتله ، قال الهذلي :

فَإِنْ مِنَ الْقَوْلِ الَّتِي لَا شَوْىَ لَهَا إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ انْفِلَاتَهَا

« أى إن من القول كلمة لاتشوى ولكن تقتل » وقال الفراء فى قوله تعالى « كلا إنها لظى » نزاعة للشوى « — الشوى اليدان والرجلان وأطراف الأصابع وقحف الرأس : ويقال لجلدة الرأس شواة ، وقد توسعوا فى الشوى فاستعملوه فى كل من أخطأ غرضا وإن لم يكن له شوى ولا مقتل — وقد رويت خضبت — بالبناء للمعوم ، والضمير للخيل — ، يقول : إن هذه الخيل يقدمها إلى الحرب — وقد خضبت قوائمها بالدم — فتى قد طال تمرسه بالحروب — يعنى نفسه — فكلمها فرغ من حرب : خاض حربا أخرى .

(١) الخنزوانة فى الأصل : ذبابة تطير فى أنف البعير فيشمع لها بأنفه ، واستعيرت للكبر . وتتمر . صار كالتمر غضبا . وقوله أصاب ، أى أصاب — بهمزة التسوية — يقول : إذا غضب على أعدائه وقاتلهم لايبالى أقتلهم أم قتلوه .

(٢) الهمزة فى أعزى : للنداء ، ويفرق : يخاف ، ويثوب : يرجع . يقول . — محاطبا عزمه — انظر يا عزمى هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من الاقتحام فتأخر خشية أن يصاب فى جملة أعدائى ؟ وعبرة ابن فورجه : أراد : لعظم ما عزمت عليه ولشدة ما أنا عليه من الأمر الذى قتت به ، كأن الصبح يفرق من عزمى ، ويغشى أن يصيبه بمكروه ، فهو يتأخر ولا يثوب .

(٣) الحب : المحبوب : ويراعى : يراقب وينتظر ، والدجنة الظلمة ، والدجنة من النعيم المطبق تطبيقا والريان المظلم الذى ليس فيه مطر ، يقال : يوم دجن ويوم دجنة — وكذلك الليلة على وجهين بالوصف والإضافة ، — والدجنة : الظلمة جمعها دجن ودجنات ، والداجنة : المطرة المطبقة نحو : الديمة ، والضمير فى دجنته : ليل . شبه الفجر بحبيب قد طلب إليه زيارة محبه وهو يراعى من ظلمة الليل رقيبا فتأخر زيارته خوف الرقيب — يريد طول الليل ، وأن الفجر ليس يطلع ، فكأنه حبيب يخاف رقيبا .

كَأَنَّ نُجُومَهُ حَلَىٰ عَلَيْهِ وَقَدْ حُذِيَتْ قَوَائِمُهُ الْجُبُوبًا^(١)
 كَانَ الْجُوءُ قَاسَىٰ مَا أَقَاسَىٰ فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبًا^(٢)
 كَانَ دُجَاهُ يَمْخِذُهَا سُهَادَىٰ فَلَيْسَ تَغِيْبُ إِلَّا أَنْ يَغِيْبَا^(٣)
 أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي
 أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الدُّنُوبًا^(٤)

(١) الجيوب : وجه الأرض ومنها ، من سهل أو حزن أو جبل ، وقيل الأرض الغليظة ، وقيل: الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين ، ولا يجمع . والحلى : ما تزين به من الذهب والفضة وغيرها ، وجمعها حلى : مثل ثدى وثدى ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء مثل عصى . قال الفارسي : وقد يجوز أن يكون الحلى جمعا وتكون الواحدة حلية كهديّة وهدي ؛ وحذيت قوائمه الجيوب : أى جعل الجيوب حذاء لقوائمه . يقول : كأن النجوم حلى على الليل فليست تفارقه ، وكأن الأرض قد جعلت حذاء له فلا يستطيع أن يمشى لثقل الأرض على قوائمه .

(٢) الشحوب : تغير اللون من هزال ونحوه ، والضمير من سواده ليل ، ومن فيه : للجو . يقول : كأن الجواكبد ما أكابد من طول الوجد فاسود لون الليل وصار سواده شحوبا : أى كأن الليل اسود لأنه دفع إلى مادفت إليه فصار السواد بمنزلة الشحوب

(٣) الدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة ، والسهاد : السهر . يقول : إن سواده يطول والليل يطول معه ، فكأن سواده يجذب ظلمة الليل ، فهى لا تنقضى إلا بانقضائه ، وسواده لا ينقضى ، وكذلك ظلمة الليل .

(٤) يقول : إنى أقلب أجفانى فى ذلك الليل ، ولكثرة تقليبى إياها كأتى أعد على الدهر ذنوبه ، فكأن أن ذنوب الدهر كثيرة متوافرة لاتكاد تنفى . كذلك تقليبى أجفانى كثير لا يفتى ، فلا نوم هناك . ولك أن تقول : أقلب أجفانى فى ذلك الليل وأنا أرى نجومه كأتى أعد بها ذنوب الدهر التى هى مثلها فى العدد . وهذا المعنى ينظر إلى قول ديك الجن :

أَنَا أَحْصَىٰ فِيكَ النُّجُومَ وَلَكِنَّ لِدُنُوبِ الزَّمَانِ لَسْتُ بِمُحْصِيٍّ

وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ يَبْظُلُ بِلَحْظِ حَسَادِي مَشُوبًا^(١)
وَمَا مَوْتُ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ أَرَى لَهُمْ مَعِيَ فِيهَا نَصِيبًا^(٢)
عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْخَدَنَانِ حَتَّى لَوْ أُنْتَسَبْتُ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبًا^(٣)
وَمَا قَلَّتِ الْإِبِلُ أَمْتَطِينَا إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْخَطُوبَا^(٤)
مَطَايَا لَا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبًا^(٥)
وَتَرْتَعُ دُونَ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِينَا فَمَا فَارَقْتَهَا إِلَّا جَدِيدًا^(٦)
إِلَى ذِي شَيْمَةَ شَفَعْتُ فَوَادِي فَلَوْلَاهُ لَقَلْتُ بِهَا النَّسِيبَا^(٧)

- (١) بلحظ حسادي أي بلحظي حسادي . يقول : ليس ليلى وإن طال بأطول من نهار يشوبه - أي يخالطه - أن أنظر فيه إلى حسادي وأعدائي .
- (٢) يقول : إذا كان لحسادي نصيب معي في الحياة وشاركوني فيها وعاشوا كما أعيش فليس الموت بأبغض إلى من تلك الحياة : أي أنه لا تحول له الحياة حتى يقتل حساده .
- (٣) الخدنان : حوادث الدهر ونوبه ؛ ويقال : انتسب الرجل إلى فلان : إذا نسب نفسه إليه ؛ والنقيب : الحبير بأحوال القوم وأنسابهم . يقول : لكثرة ما أصابني من نوائب الدهر صرت عارفاً بها حتى لو كان لها أنساب لكنت أنا نقيبها .
- (٤) يقول : لما أعوزتنا الإبل وقصدناها لقلة ذات اليد أدتني المهن والشدائد إلى المدوح ، فكأنها كانت مطايا ركبناها إليه .
- (٥) و (٦) رتمت الإبل : رعت في مجبوحة وخصب ؛ والجديب : ضد الخصب ؛ ومكان جديب : لا نبات فيه . يقول : إن الخطوب مطايا لا ينبغي أحد ركوبها ، وهي لا ترعى نبات الأرض ، إنما ترعانا وتعال منا . فما فارقتها عند وصولي إليك إلا جديبا لأنها رعتني وأنت على فلم تترك مني شيئا .
- (٧) الشيمة : الخلق ؛ وتقول : شفقتي جبا وشفقتي ؛ والمعنى تيمنتي وبلغت مني ، وشفقتني : من شفاف القلب ، وهو غلافه ، أو سويداؤه . والنسيب : التشبيب بالنساء في الشعر . يقول : إن أخلاق المدوح شفقتني بحسنا . فلو لا مهابته واحتشامه لغزلت بها كما يتغزل العاشق بمشوقه .

تُنَازِعُنِي هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ وَإِنْ لَمْ تُشْبِهِ الرَّشَاءَ الرَّبِيْبَا^(١)
عَجِيْبٌ فِي الزَّمَانِ وَمَا عَجِيْبٌ أَتَى مِنْ آلِ سَيَّارِ عَجِيْبَا^(٢)
وَشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخًا بِسَمَى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيْبَا^(٣)
قَسَا فَالْأَسْدُ تَفْرَعُ مِنْ قَوَاهُ وَرَقٌّ فَنَحْنُ نَفْرَعُ أَنْ يَذُوبَا^(٤)
أَشَدُّ مِنَ الرِّيَّاحِ الْهُوجِ بَطْشًا وَأَسْرَعُ فِي النَّدَى مِنْهَا هُبُوبَا^(٥)
وَقَالُوا ذَاكَ أَرْمَى مِنْ رَأْيِنَا فَقُلْتُ رَأَيْتُمْ الْقَرَضَ الْقَرِيْبَا^(٦)

(١) الضمير في هواها : للشيمة ؛ والرشاء : ولد الظبية إذا تحرك ومشى ؛ والريببى : المرابي . يقول : إن كل نفس تشق أخلاقه كما أعشقتها أنا . فهي محبوبة إلى كل إنسان ، وإن لم يكن بينها وبين الرشاء شبه ، لأنها من الرجولة والفضل بحيث تسمو عن شبهها بالظباء التي تشبه بها الحسان .

(٢) عجيب : خبر مبتدأ محذوف يعود إلى المدحوح ؛ وعجيبا : خبر ما العاملة عمل ليس . يقول : هو عجيب في الزمان ، وليس ما يأتي من آل سيار عجيبا ، لأنهم الغاية في الهدد والكرم .

(٣) وليس شيخا إلخ : أى ليس كل من بلغ الشيب يسمى شيخا ؛ فشيخا : مفعول ثان مقدم ليسمى ؛ وكل : يجوز أن يكون اسم ليس ، أو نائب فاعل يسمى على طريق التنازع . يقول : هومع أنه شاب — في حكمة الشيوخ وجودة رأيهم ورجحان ألبابهم ؛ ورب إنسان غيره بلغ للشيب ولكنه لا يستحق أن يسمى شيخا لتخلفه ونقصه .

(٤) قوله من قواه : يروى من يديه . يقول : قسا قلبه في الحروب حتى لتخاف الأسد بطشه وسطوته وهو مع ذلك في مجلسه قدرق طبعا وكرما حتى لتخاف أن يذوب ؛ ويقال فلان يذوب ظرفا : إذا لان جانبه ، واحلوت شيمته .

(٥) الهوج : جمع هوجاء . وهى الشديدة العصف في حمق وطيش . والبطش : الأخذ بقوة ؛ والندى : الجود ؛ وبتشا وهبوبا : نضا على التميز ؛ وقال آخرون : هما مصدران وقعا موقع الحال . يقول : هو لدى الوغى أشد بطشا من هوج الرياح ، ولدى الجود أسرع منها في العطاء .

(٦) القرض : الهدف يرمى بالسهم . يقول : إن الناس يقولون : إنه أرمى من رأينا

وَهَلْ يُخْطِي بِأَسْمِهِ الرَّمَايَا وَمَا يُخْطِي بِمَا ظَنَّ الْغُيُوبَا^(١)
 إِذَا نُكِبَتْ كِنَانَتُهُ أَسْتَبْنَا بِأَنْصُلِهَا لِأَنْصُلِهَا نَدُوبَا^(٢)
 يُصِيبُ بِيَعْضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ فَلَوْلَا الْكَسْرُ لَا تَصَلَّتْ قَضِيْبَا^(٣)
 بِكُلِّ مُتَقَوْمٍ لَمْ يَعْصِ أَمْرًا لَهُ حَتَّى ظَنَّاهُ لَيْبَا^(٤)
 يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ الْقَوْسِ مِنْهُ وَيَبِينُ رَمِيهِ الْهَدَفَ الْهَمِيْبَا^(٥)

رمى السهام ، قفلت: إنكم رأيتموه وهو يرمى الغرض القريب منه . فكيف لو رأيتموه
 يرمى الغرض البعيد ؟

(١) الرمايا : جمع رمية ، اسم لكل ما يرمى بالسهم من غرض أو صيد . يقول :
 إنه صائب الفكرة فهو يرمى المنيات بسهام ظنه فيصيبها لثقوب فكره ، فكيف لا يصيب
 المحسات بسهامه ؟

(٢) و (٣) الكنانة : الجعبة التي توضع فيها السهام ؛ ونكبت : قلبت على رأسها
 لينثر ما فيها ؛ واستبنا : تبينا ورأينا : والندوب في الأصل : آثار الجروح ؛ والمراد هنا
 مطلق الأثر ؛ والأفواق ؛ جمع فوق ، وهو موضع الوتر من السهم . يقول : إذا نثرت
 كنانته وأفرغ ما فيها من السهام رأينا لنصوله آثاراً في نصوله لسرعة رميه ورميه إياها
 على طريقة واحدة حتى يدرك بعضها بعضاً من غير أن يميل عنه ويصيب اللاحق منها
 فوق السابق ، فلولا أن ينكسر النصل بالفوق لاتصل بعضها ببعض وصارت مستوية
 كالقضيْب . وكان الوجه أن يقول : بأفوقها لأنصلها ندوبا بدليل البيت الثاني ، ولأن
 النصال إذ ذاك لا تقابل ، اللهم إلا إذا كان يريد بالأنصل : السهام ، لا الحديد بخصوصه .
 (٤) بكل مقوم : بدل من قوله ببعضها : أي يصيب بكل سهم هذه صفته . يقول :
 إن سهمه يتجه كيف شاء ، فكأنه عاقل يأمره فيطيع .

(٥) النزع : جذب الوتر للرمى ؛ وضمير منه : للسهم ؛ والرمى المرمى ، فهو فيعل
 بمعنى مفعول ؛ والهدف : بدل من رميه . يقول : إذا جذب الوتر ورمى السهم رأيت منه
 ناراً بين القوس والهدف ، وذلك أن حفيف السهم في سرعة مهوره يشبه حفيف النار
 في التهابها ؛ والعرب إذا وصفت شيئاً بالسرعة شبهته بالنار ؛ ومنه قول العجاج يصف
 سرعة مشي الحمار والأتان :

أَلَسْتَ ابْنَ الْأَوْلَى سَعِدُوا وَوَسَادُوا وَلَمْ يَلِدُوا أَمْرًا إِلَّا نَجِيبًا^(١)
وَنَالُوا مَا أَسْتَهْوُوا بِالْحَزْمِ هَوْنَا وَصَادَ الْوَحْشَ تَمْلَهُمْ دَيْبِيَا^(٢)
وَمَا رِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرَابِ طَيْبِيَا^(٣)
أَيًّا مَنْ عَادَ رُوحُ الْمَجْدِ فِيهِ وَعَادَ زَمَانُهُ السَّالِي قَسِيَا^(٤)

كَأَنَّمَا يَسْتَضْرِمَانِ الْعَرْجَانِ^(١)

(١) الأولى بمعنى الدين : والاستفهام للتقرير أى أنت ابن أولئك ، وسعدوا ؛ من السعادة ؛ والنجيب : الكريم .

(٢) يقول : وأنت ابن الذين أدرکوا بحزمهم ما طلبوا في رفق وأناة وتؤدة فأدرکوا الصعب البعيد بأهون سبب ودون جهد ونصب . وجعل الوحش مثلا للمطلوب البعيد ؛ ودبيب النمل مثلا لرقصهم ولطف تأنيهم .

(٣) يقول : إن الطيب الذى يتضوع من الرياض ليس لها في الحقيقة ولكنه شيء أفادته من دفن آباءه في التراب ، وهذا من قول أبي تمام :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فِطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

(٤) الضمير في زمانه : للمجد ، والقشيب الجديد ، قال ابن جنى : معناه أن روح المجد انتقل إليه فصار هو المجد مبالغة ، وقال غيره : إن روح مجد آباءه انبعث فيه فعاد إلى عالم الظهور ، وتجدد زمانه بعد انقضائه ، وقال آخرون : معناه يا من عاد به روح المجد في المجد ، أى أن المجد كان ميتاً فعاد به حياً وعاد الزمان الذى كان باليا جديداً به ، وقد نظر إلى هذا المعنى بعضهم فقال :

سَأَلْتُ النَّدَى وَالْمَجْدَ حَيَّانِ أَتَمَّا وَهَلْ عَشْتُمَا مِنْ بَعْدِ آلِ مُحَمَّدٍ

فَقَالَا نَمْ مَتَنَا جَمِيعًا وَضَمْنَا ضَرِيحَ وَأَحْيَانًا دَيْبِيَسَ بْنِ مَزِيدٍ

(١) العرفج شجر معروف سريع الاشتعال بالنار ، ولهبه شديد الحمرة ، ويبلغ بحمرته فيقال : كأن لحيته ضرام عرفجة .

تَيْمَنِي وَكَلِّكَ مَادِحًا لِي وَأُنشِدُنِي مِنَ الشَّعْرِ الْغَرِيبِ^(١)
 فَأَجْرَكَ الْإِلَهِ عَلَى عَلِيلٍ بَعَثَ إِلَى السَّبِيحِ بِهِ طَيْبِيَا^(٢)
 وَلَسْتُ بِمُنْكَرٍ مِنْكَ الْهَدَايَا وَلَكِنْ زِدْتَنِي فِيهَا أُدِيَا
 فَلَا زَالَتَ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْغُرُوبَا^(٣)
 لِأَصْبَحَ آمِنًا فِيكَ الرَّزَايَا كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبَا^(٤)

(١) تيممني تصدني ، قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا المجد كرم بن الفضل رحمه الله
 قال : سمعت والدى أبا بشر قاضى القضاة يقول : أخبرنى أبو الحسين الثامى للقلب بالمشوق
 قال : كنت عند للتنبى فجاءه هذا الوكيل فأنشده هذه الآيات :

فَوَادِي قَدْ انْصَدَعُ وَضُرْمِي قَدْ انْقَلَعُ
 وَاللَّيَالِ عَقَلِي قَدْ انْهَوَى وَمَا رَجَعُ
 يَا حَبَّ ظَلْمِي غَنْجُ كَالْبَدْرِ لَمَّا أَنْ طَلَعُ
 رَأَيْتَهُ فِي بَيْتِهِ مِنْ كَوْتِهِ قَدْ اطْلَعُ
 قَلَّتْ تَه تَه تَه وَتَه قَالِ لِي مَرَّ يَالْكَعُ
 هَاتِ قَطْعُ ثُمَّ قَطْعُ ثُمَّ قَطْعُ ثُمَّ قَطْعُ
 وَضَعُ بِكَفِي وَفِي جِيْبِي أَدْعُكَ أَنْ تَضَعُ

فهذا الذى عناه للتنبى بقوله : وأنشدنى من الشعر الغريب .

(٢) أجره الله : أثابه ؛ جعل نفسه كالسبيح ؛ وهذا الشاعر كليل قد جاء ليداوى
 اللسيح الذى يحى الموت ويبرى الأكمه والأبرص ، وإذآ فلا حاجة به إلى طيب ؛ ولا سبأ
 إذا كان الطيب عيلا .

(٣) جله شمسا لشرفه وعموم منفعته ، يدعو له بأن لاتزال دياره مشرقات بنوره
 وبأن لايشرف على الغروب : أى لا يموت .

(٤) لأصبح : تعليلا للدعاء السابق : يقول : أنا آمن عليك من العيوب فإنها
 لاتهريك ، ولكن الذى أخشاه أن نرأى فيك ، فأنا أدعو الله أن يتيك الرزايا لأصبح
 آمنا فيك المذورين معا .

وقال يصف مجلسين لأبي محمد الحسن بن عبد الله بن طنج ، قد انزوى أحدهما
عن الآخر ليرى من كل واحد منهما ما لا يرى من صاحبه :

لِلجَلْسَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا مُقَابِلَانِ وَلَكِنْ أَحْسَنَ الْأَدْبَابِ^(١)
إِذَا صَعِدْتَ إِلَى ذَا، مَالَ ذَا رَهْبًا وَإِنْ صَعِدْتَ إِلَى ذَا، مَالَ ذَا رَهْبًا^(٢)
فَلَمْ يَهَابَكَ مَا لَاحِسٌ يَرُدُّعُهُ إِنِّي لَأَنْصِرُ مِنْ شَأْنِهِمَا عَجَبًا^(٣)

وقال وقد استقل في القبة ونظر إلى السحاب :

تَعَرَّضَ لِي السَّحَابُ وَقَدْ قَفَلْنَا فَقُلْتُ لَيْتَكَ إِنْ مَسَى السَّحَابًا^(٤)
فِيهِمْ فِي الْقُبَّةِ الْمَلِكِ الْمَرْجَى فَأَسْسَكَ بَعْدَ مَا عَزَمَ أَنْسِكَابًا^(٥)
وأشار إليه طاهر العلوي بمسك وأبو محمد حاضر فقال :

أَلطَّيْبُ مِمَّا غَنَيْتُ عَنْهُ كَفَى بِقُرْبِ الْأَمِيرِ طَيِّبًا
يَبْنِي بِهِ رَبَّنَا لِلْمَالِي كَمَا بِكُمْ يَنْفِرُ الذُّنُوبَا^(٦)

(١) و (٢) يقول : إن هذين المجلسين — وإن كان قد ميز كل منهما في وضعه عن
الآخر — مقابلان بضمهما لبعض ولكنهما أحسنا الأدب فتميزا فإنك إذا صعدت إلى
أحدهما جلست عليه مال الآخر عنه هية لك .

(٣) يقول : إذا كان مالا حسا له ولا عقل يهابك فما الظن بغيره ؟

(٤) و (٥) قفلا : رجنا ، وإليك بمعنى أكفف ، وشم أمر من شام البرق إذا
نظر إليه يرجو المطر ، وتقول عزم فلان الأمر وعزم عليه إذا هم به ، وقوله قسم — البيت
— يأمر السحاب بأن ينظر إلى الأمير يرجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة
في جود الأمير حتى صار السحاب مفتقرا إلى سقيه ، ثم قال : إنه لما قال ذلك للسحاب
أمسك عن الانسكاب بعد أن هم به حياء من جوده .

(٦) ضمير به للأمير . والخطاب في بكم لطاهر العلوي ، وهو من نسل الزهراء كريمة
سيدنا رسول الله عليه وسلم ، ومن ثم قال : كما بكم ينفر الذنوبا .

وقال وقد استحسنت عين باز في مجلسه :

أَيَا مَا أَحْيَيْتِنَا مُثَلَّةً وَوَلَا لَمْلَاحَةَ لَمْ أَعْجَبِ (١)
خَلُوقِيَّةٌ فِي خَلُوقِيهَا سُوَيْدَاهُ مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ (٢)
إِذَا نَظَرَ الْبَازُ فِي عِطْفِهِ كَسْتُهُ شُعَاعًا عَلَى الْمَنَكِبِ (٣)

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوي (*):

أَعْيِدُوا صَبَاحِي فَهَوَّ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ
وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَّ لِحَظُ الْجَبَائِبِ (٤)

(١) التصغير في ما أحيسنها : مبالغة في الاستحسان ؛ وقوله لم أعجب : أي لم أقل ما أحيسنها : أي لولا حسنها لم أقل ذلك .

(٢) خلوقية : نسبة إلى الخلق ضرب من الطيب أصفر اللون — وفي خلوقها : خبر مقدم ، وسويداء : مبتدأ مؤخر يقول : هذه القلة صفراء مثل لون الخلق يتوسط صفرتها إنسان — إنسان عين — أسود كأنه الحبة الصغيرة من عنب الثعلب .

(٣) يقول : إذا التفت الباز إلى جانبه اكتسى من نور مقلته شعاعا .

* قالوا : إن الأمير أبو محمد بن طنج لم يزل يسأل المتنبي أن يخص أبا القاسم طاهراً العلوي بقصيدة من شعره وأنه قد اشتى ذلك ، وأبو الطيب يقول : ما قصدت إلا الأمير ولا أمدح سواه ؛ فقال أبو محمد : عزمتم أن أسألك قصيدة تنظمها في فاجلها فيه . وضمن له عنده مئات من الدنانير فأجاب . قال محمد بن القاسم الصوفي : فسرت أنا والمطلبي برسالة طاهر إلى أبي الطيب فركب معنا حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من الأشراف ، فلما أقبل أبو الطيب ، نزل طاهر عن سريرته والتقاء مسلماً عليه ؛ ثم أخذه بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها ، وجلس هو بين يديه وتحدث معه طويلاً . ثم أنشده أبو الطيب خلع عليه — للوقت — خلعة نفيسة . قال علي بن القاسم الكاتب : كنت حاضراً هذا المجلس ، فما رأيت ولا سمعت أن شاعراً جلس المدوح بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبي الطيب ؛ فإني رأيت هذا الشريف قد أجلسه في مجلسه وجلس بين يديه فأنشده هذه القصيدة .

(٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهي التي بدانها للنهود ، والجبائب : جمع حبيبة ولحظ الجبائب أي رؤيتهن . قول : أصبح دهرى ليلا كله بعد ظن الأجرة فليس هناك

فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُدْهِمَةٌ عَلَى مُقَلَّةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِي غِيَابٍ (١)
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّهَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبٍ (٢)
وَأَحْسَبُ أَنِّي لَوْ هَوَيْتُ فِرَاقَكُمْ
لَفَارَقْتُهُ وَالذَّهْرُ أَخْبَثُ صَاحِبٍ (٣)

صباح إلا بردهن ، وقد نفي عن الكرى فلا رقاد إلا برؤيتهن ، والمعنى ردوهن على حتى يرتد صباحى ورقادى .

(١) مدهمة: شديدة السواد ، والنياهب : الظلمات ، وهذا البيت كالتعليل لما ذكره في البيت السابق . يقول : لما رحلت لم أبر بعدكم شيئا : أى بكيت حتى عميت ، فأض نهارى ليلا حالك السواد . وعبارة الواحدى : يريد أن جفونه محتومة بمدهن لم تنفتح ، وإذا انطبقت الجفون فالنهار ليل . وقال التبريزى : هذا معنى البيت الأول : أى غلب عنى الكواعب فغاب صباحى بمدهن ، لأن الدنيا تنظم فى عين المهزون ، فردوا رقادى فقد كنت أراهم فى نومي وقد فقدتهم منذ فارقت الرقاد . رالعرب إذا وصفت الأمر الشديد شبهت النهار بالليل لإظلام الأمر .

(٢) بعيدة : بدل من مقلة — فى البيت السابق — ومن روى بعيدة بالرفع فهى خبر ابتداء محذوف أى هى بعيدة ، والهدب : الشعر النابت على أشفار العين ولكن المراد بأعلى كل هدب : ما نبت على الجفن الأعلى فهو عام قد خصص . ونص عبارة الواحدى : إذا حمل قوله كل هدب على العموم فالحاجب هنا بمعنى المانع لأننا إذا حملنا الحاجب على المهورود كان مغمضا لأن هدب الجفن الأسفل إذا عقد بالحاجب حصل التغميض ، وإذا حملنا الحاجب بمعنى المانع صح الكلام : وإن حملنا الحاجب المهورود حملنا قوله كل هدب على التخصيص ، وإن كان اللفظ عاما ، وهذا مثل قول الآخر :

وَرَأْسِي مَرْفُوعٌ لِنَجْمٍ كَأَنَّهَا قَفَاهُ إِلَى صُلْبِي بِمَخِيطٍ مَخِيطُ
يقول : إن عينيه لا تطبقان وتباعدت أجفانه حتى لكان أعلى أهدابها قد عقدت بالحاجبين ، وهذا مثل قول بشار بن برد :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ
(٣) يقول : إن الدهر مولع بمخالفتى حتى لو هويت فراقكم لو اصلتمونى : يعنى أن

فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي مِنْ الْبُؤْسِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ (١)
أَرَاكَ ظَنَنْتِ السَّلْكَ جَسْمِي فَمَقَّتِهِ عَلَيْكَ بَدْرٌ عَنْ لِقَاءِ التَّرَائِبِ (٢)
وَلَوْ قَلَمَ أَلْقَيْتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ مِنْ الشَّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ (٣)

من أهواه يعد عني ، ومن أجتوره يقرب مني لسوء صحبة الدهر إياي ، فقوله لفارقته :
أى لفارقت الوراق مضطراً بحكم الدهر — وفي هذا يقول بعضهم :

أَرَى مَا أَشْتَهِيهِ يَفْرُؤُنِي وَمَا لَا أَشْتَهِيهِ إِلَيَّ يَأْتِي
وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبْخِضُنِي عِنَاداً وَمَنْ أَشْنَاهُ يَشْبَثُ فِي لَمَائِي
كَأَنَّ الدَّهْرَ يَطْلُبُنِي بِثَارٍ فَلَيْسَ يَسْرُهُ إِلَّا وَقَائِي

وقال المكبري : قوله لفارقته : كان الوجه أن يقول لفارقتي ، لكنه قلبه لأن من
فارقتك قد فارقته ، وهذا من باب القلب . ثم قال : وكان حقه أن يقول أخبت
الأصحاب لأنه أراد خبت من صحبه ؛ وإذا كان اسم الفاعل في مثل هذا يجوز فيه
الإفراد والجمع كقوله تعالى « ولا تكونوا أول كافرين » أي أول من يكفر :
وأنشد الفراء :

وَإِذَا هُمْ طَمَعُوا فَأَلَامُ طَاعِمِهِ وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيعِ
فَاتَى الْأَمْرَيْنِ جِيعَا :

(١) يقول : ليت أحبتي واصلوني مواصلة المصائب ، وليت المصائب بعدت
عني بعدم . يعني أن المصائب ملازمة له فهو يتحى أن تكون أحبته كذلك وهذا كما
قال أيضاً :

ليت الحبيبَ المهاجِرَ هَجَرَ الكرى من غير جرم واصلى صلة الضنا
(٢) أراك أظنك ، والسلك الحيط الذي ينظم فيه الدر وغيره ، وقوله عليك بدر
يريد بدر عليك تقدم الجار والمجرور ، والترايب موضع القلادة من الصدر يقول :
أظنك حسبت السلك الذي في قلادتك جسمي لمشابهة إياه في الدقة خلقت بينه وبين
ترايبك بالدر للنظوم فيه كالأيلامس صدرك ، أي أن ولوعك بمشاقق حملك على منافرة
كل ما يشاكلني ، يشكو مخالفتها إياه ورغبتها عن وصاله وهو من معاني التنبؤ البدعية .
(٣) يقول : لشدة متعسى نعلت حتى لم يبق لي جهنم يحس به فلو ألقيت في شق

تُخَوِّفِي دُونَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ وَلَمْ تَدْرِي أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ (١)
 وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَى مُحَجَّلِي يَطُولُ اسْتِجَاعِي بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ (٢)
 يَهُونُ عَلَيَّ مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً وَتَوَعُّعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ (٣)
 كَثِيرُ حَيَاةِ اللَّزْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا يَزُولُ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ (٤)

قلم ، لم يخبر بي خط كاتب ، وهذا من مبالغات الشعراء ، وقد اقتنوا في هذا المعنى كل الاقتنان فمن ذلك قول بعضهم :

ذَبْتُ مِنَ الْوَجْدِ فَلَزَجْتُ بِي فِي مَقَلَّةِ الْوَسْطَانِ لَمْ يَنْتَبِهْ
 وقول الآخر :

فَأَسْتَبِقِ مَا أَجَبْتَنِي لِي فَلَمَّانِي يَوْمًا أَقِيكَ بِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ
 مِنْ مُهْجَةٍ ذَابَتْ أَسَى فُلُوتَانِهَا فِي الْعَيْنِ لَمْ تَنْتَمِعْ مِنَ الْإِغْفَاءِ

(١) قال الواحدى : الذى أمرت به هو ملازمة البيت وترك السفر ، والذى خوفته به هو الهلاك ؛ وتقدير اللفظ : تخوفنى بشئ دون الذى أمرت به : أى تخوفنى بالهلاك وهو دون ما تأمر به من ملازمة البيت ، لأن فيها عارا ، والعار شر من البوار ؛ والضمير فى تخوفنى . للحبيبة ، أو العاذلة ؛ وعبرة ابن جنى : تخوفنى الهلاك وهو عندى دون العار الذى أمرتنى بارتكابه .

(٢) يقول : لا بد لى من يوم مشهور أكثر فيه قتل الأعداى فأسمع بعده صياح النوادب عليهم ؛ والأغر فى الأصل : الذى فى وجهه بياض ، والمجمل : قال أبو عبيدة : المجمل من الخيل أن تكون قوائمه الأربع أيضا يبلغ البياض منها ثلث الوطيف أو نصفه أو ثلثيه بعد أن يتجاوز الأرساغ ولا يبلغ الركبتين ، المرقوبين — وأغر مجمل كما ترى من صفات الخيل — استعارها لليوم ؛ يريد يوما مشهورا يمتاز عن الأيام كما يمتاز الفرس بالفرقة والتجليل .

(٣) العوالى : صدور الرماح ؛ أى الأسننة ؛ والقواضب : السيوف القواطع يقول : مثلى إذا رام أمرا لم يبال أن يكون دون الوصول إليه رماح وسيوف ؛ يريد أنه يتوصل إليه وإن كان دونه حروب وأهوال .

(٤) كثير : مبتدأ ، ومثل : خبر أول ؛ ويزول : خبر ثان ؛ يحث على الشجاعة

إِلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا أَتَقَى

عِضَّاصَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَابِ (١)

أَتَانِي وَعَيْدُ الْأَدْعِيَاءِ وَأَنَّهُمْ أَعْدَاؤِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ (٢)

وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَخَذَرْتُهُمْ فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ (٣)

والإقدام وينهى عن الجبن . يقول : إن طول العمر وقصره سيان لأن نهاية كل منهما الزوال ، وما بقي من العيش لا حق بما ذهب فهو في حكمه ، وإذن لا وجه للحرص على الحياة . وقال ابن الرومي :

رَأَيْتُ طُوبِيلَ الْعُمُرِ مِثْلَ قَصِيرِهِ إِذَا كَانَ مُفَضَّاهُ إِلَى غَايَةِ تَرَى

قال العكبري : وهذا من كلام الحكماء قل الحكيم : أو اخر حركات الفلك كأوائلها وناشئ العالم كلاشيه في الحقيقة لا في الحس :

(١) إليك : اسم فعل بمعنى كفى . يقول : كفى عنى فإنى لست ممن إذا خشى الهلاك صبر على الذل والهوان . جعل الأفاعى مثلا للهلاك لأنها تقتل بسماها دفعة واحدة ، والعقارب مثلا للذل والهوان لأن لسعها لا يقتل ولكنه يتكرر ، فيكون أطول عذابا ، وأمر آلاما وإليك كلمات الشراح . قل ابن جنى : لست ممن إذا تخوف عظيمة صبر على مذلة وهوان ، فنبه الأفاعى بالعظيمة والعقارب بالذل . وقال الواحدى : جعل عض الأفاعى لكونه قاتلا مثلا للهلاك وجعل لسع العقارب مثلا للعار لأنه لا يقتل قال ابن فورجه تعليقا على هذا : من بات فوق العقارب أدته بكثرة لسعها إلى الهلاك كما لو نهشته الأفعى ، إنما يريد أن العار أيضا يؤدي الإنسان ذا المجد إلى الهلاك لتعير الناس إياه بل هو أشد لأنه عذاب يتكرر والهلاك دفعة واحدة فجعل الأفاعى مثلا للهلاك والعقارب مثلا للعار .

(٢) الأدعياء جمع دعى وهو المنتسب إلى غير أب يريد بهم هنا جماعة يدعون نسب على رضى الله عنه أرادوا به سوء وأعدوا له جماعة من السودان ليقتلوه . وكفر عاقب قرية بالشام من أعمال حلب .

(٣) يقول : لو كانوا قد صدقوا في دعوى انتسابهم إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم لجاز صدقهم في الوعيد أيضا فخذرتهم ، ولكنهم إذ كذبوا في نسبهم علمت أنهم لا يصدقون فهل يكون قولهم في وحدى صادقا ؟

إِلَى لَعْمَرِي قَصْدُ كُلِّ عَجِيْبَةٍ
بَأْيِّ بِلَادٍ لَمْ أَجْرَ ذُوَابِي
كَأَنَّ رَحِيْلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ
فَلَمْ يَبْنِقْ خَلْقٌ لَمْ يَرْدَنْ فِنَاءَهُ
كَأَنِّي عَجِيْبٌ فِي عُيُونِ الْمَجَابِ (١)
وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَّأهُ رَكَابِي (٢)
فَأَثَبْتَ كُورِي فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ (٣)
وَهَنَّ لَهُ شِرْبٌ وَرُودَ الْمَشَارِبِ (٤)
قِرَاعَ الْأَعَادِي وَأُبْتَدَالَ الرَّغَائِبِ (٥)

(١) يعرض بالذين توعدوه . يقول : لا عجب من قصدهم إلى بهذا الوعيد فإني لا أزال أتعثر بالعجائب حتى لكأنها بذلك تتعجب من صبري وأنا في وعلو همي فبني تيمموني وتنسل إلي من كل حذب .

(٢) ذؤابة النمل ما أصاب الأرض من المرسل على القدم لتحركه ، ويروى بدل ذؤابتي ذؤابتي ، يصف نفسه بكثرة الأسفار يقول : إنني لم أدع موضعاً من الأرض إلا جولت فيه .

(٣) الكور : الرجل ، وطاهر هو طاهر بن الحسين العلوي الذي قال فيه المتنبي هذه القصيدة . وهذا البيت من أبداع ما قيل في حسن التخلص . يقول . كما أن مواهب المدوح لم تدع مكاناً إلا أتمته كذلك أنا لم أدع مكاناً إلا أتميته ، فكأنني امتطيت ظهور مواهبه .

(٤) يقول : لم يبق أحد لم ترد مواهب المدوح داره كما ترد الناس المشارب مع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها — كما هي المادة — أن يردها الشاربون ولكنها هي ترد الشاربين ، فقوله يردن أي المواهب وهو من ورود الماء ، والفناء الساحة والنزل ، والضمير فيه للخلق والشرب المورد وحظ الوارد من الماء ، وورود : مفعول مطلق ليردن مضاف إلى مفعوله . وعجابه الخطيب التبريزي : كأنهم قد وردن عليه ورود الناس المشارب لينتفعوا بها : يعني أن هذه منفعة للخلق الذي ترد إليه كما ينفع الماء وارده . وقريب من معنى البيت قول القائل

إذا سألوا شكرتهم عليه وإن سكتوا سألتهم السؤال

(٥) الابتدال : مثل البذل ؛ والرغائب : جمع رغبة ، وهي الشيء المرغوب فيه . يقول : إن شجاعته وسخاه غريزتان موروثتان ؛ والأعادى : يروى العوالى ، وهي صدور الرماح .

قَدْ غَيَّبَ الشَّهَادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ^(١)
كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ النَّدَى فِي بَنَانِهِمْ^(٢) أَغْرَهُ أَمَّاهُ مِنْ خُطُوطِ الرَّوَاجِبِ^(٣)
أَنَاسٌ إِذَا لَاقُوا عِدِّي فَكَأَنَّمَا سِلَاحُ الَّذِي لَاقُوا غُبَارُ السَّلَاحِ^(٣)

(١) الشهاد : جمع شاهد ، بمعنى حاضر . يقول : إنه غيب عن وطنه كل من ليس من دينه السفر لأن سخاه يدعوهم إليه ، وردد إلى الأوطان بعد أن غمهم بنعمه وأغدق عليهم العطاء فاستغنوا عن السفر إلى غيره .

(٢) الندى : مبتدأ ، وأعر : خبر ؛ وأصل النان : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا : الأُكف . وقد روى بدل في بنانهم : في أكَفهم ؛ والمدوح من ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج علي ابن أبي طالب ، ومن ثم قال : كذا الفاطميون . يقول : إن الجود لا يفارقهم حتى إن خطوط الرواجب قد يمكن أن تمحى منها والجود لا يمحي من أكَفهم ، وهذا وثقت فرق بين الفاطميين وبين الملويين ؛ فالفاطيون هم أولاد فاطمة من ولها الحسن والحسين ، فكل فاطمي هو من ولد الحسن والحسين ؛ وأما الملويون فهم من ولد علي يدخل فيهم الفاطميون وغيرهم كأولاد العباس بن علي وعمر بن علي ومحمد بن علي بن الحنفية ، والرواجب : واحدها راجبة ، وهي مفاصل أصول الأصابع التي تلي الأنامل وقيل : هي بواطن مفاصل أصول الأصابع وقيل هي ظهور السلايات وقيل هي ما بين البراجم من السلايات وقيل هي مفاصل الأصابع ثم البراجم ثم الأشاجع التي تلي الكف ؛ وقال ابن الأعرابي : الراجبة البقعة للساء بين البراجم . والبراجم الشنجات في مفاصل الأصابع في كل أصبع ثلاث برجات إلا الإبهام .

(٣) السلاه : جمع سلهب ، وهو الفرس الطويل . يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث يعد سلاح أعدائهم في نظرهم كأنه غبار خيلهم لا يباؤون به ولا يكتثرون ، بل يشقونه لا يرتدون عن أعدائهم ؛ وخص السلاه لأنها أسرع وغبارها رقيق وألطف . وقال الواحدي : يجوز أن يكون السلاه جيل للمدوحين ويقال : فرس سلهب أي ماض ، ولذا قال الجوهري : السلهب من الخيل الطويل على وجه الأرض ، ومنه قول الأعرابي في صفة الفرس : وإذا عدا اسلهب ، وإذا قيد اجلب ، وإذا اتصب اتلأب . « اسلهب : امتد ، واجلب انبسط ولم يتقبض : واتلأب : أقام صدره ورأسه »

رَمَوْا بِنَوَاصِيهَا الْقِسِيَّ فَجَحَّتْهَا دَوَايِ الْهُوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ (١)
 أَوْلَيْكَ أَحْلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ وَأَكْثَرُ ذِكْرًا مِنْ دُهُورِ الشَّبَابِ (٢)
 نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا أَبْنَةَ بِيَوَاتِرِ مِنْ الْفِئَلِ لَا قَلَّ لَهَا فِي الْمَضَارِبِ (٣)
 وَأَبْهَرُ آيَاتِ التَّهَامِيِّ أَنَّهُ أَبُوكَ وَأَجْدَى مَا لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ (٤)

(١) الضمير في نواصيها : السلاهب ؛ وهي جمع ناصية ، مقدم شعر الرأس ؛ ومنه نواصي الناس أى أشرفهم . قالت أم قبيس الضبية :

وَمَشْهَدٍ قَدْ كَفَيْتُ الْغَائِبِينَ بِهِ فِي مَجْمَعٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودٍ
 وَجَتُّهَا : أى جئن القسى : أى بلغت السلاهب القسى ؛ والهوادى الأعناق .

ودواي : حال ؛ وأسكن الياء ضرورة . يقول : إنهم استقبلوا رماة أعدائهم بوجوه خيلهم فلم تثن حتى وصلت إليهم ، وقد رميت أعناقها دون أعطانها وأعجازها لأنها صممت على الإقدام لا تحرف يمنة ولا يسرة ، ولهذا لم تصب سهام الأعداء إلا أعناقها وسلمت سائر أعضائها ، وفي سبيل هذا المعنى يقول بعضهم :

شَكَرْتُ جِيَادَكَ مِنْكَ بَرْدَ مَقِيلِهَا فِي الْحَرِّ بَيْنَ بَرِاقِعٍ وَجِجَالِ
 لِحْزَتِكَ صَبْرًا فِي الْوَعْيِ حَتَّى أَثْنَتْ جِرْحَى الصَّدُورِ سَوَالِمِ الْأَكْفَالِ
 (٢) الشباب : جمع شببية ، وهو أيضاً جمع شبة : مثل ضرة وضرائر ؛ أما الشابة فجمعها شواب . تقول : نسوة شبائب وشواب ، قال الراجز :

مَجَازًا يَطْلُبْنَ شَبِيئًا ذَاهِبًا يَخْضِينَ بِالْحِنَاءِ شَبِيئًا شَائِبًا
 * يَقْلُنَ كِنًا مَرَّةً شَبَابِيَا *

يقول : هم أحلى في القلوب من الحياة إذا أعيدت على صاحبها ، وذكرهم أكثر على الألسنة من ذكر أيام الشباب .

(٣) يريد بلى : على بن أبى طالب كرم الله وجهه . لأن المدوح علوى ؛ والبواتر : السيوف القواطع ؛ والفل ؛ التلم والمضارب : جمع مضرب ، حد السيف . يقول : أتيت من الفعال ما عززت به فعال أبيك ، فكان ذلك منك بمنزلة النصر له ، وقد سلمت أفعالك من العيوب فكانت كأنها سيوف قواطع لا فلول في مضاربها .

(٤) التهامي : يريد به سيدنا رسول الله . قال ابن جنى : قد أكثر الناس القول

في هذا البيت ، وهو في الجملة شنيع الظاهر ، وقد كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعا . ومع هذا فليست الآراء والاعتقادات في الدين مما يقدح في جودة الشعر وردائه . يقول المتنبي : إن أبهر آيات النبي أنه أبوك ، وكونه أبك هو أجدى مناقبكم معشر الفاطميين . أو هو إحدى مناقبكم الكثيرة - على رواية إحدى بدل أجدى - وروى بعضهم البيت هكذا

وأكبر آيات التهامي آية

أبوك : يعني أن علي بن أبي طالب أبا المدوح هو أكبر آيات سيدنا رسول الله ؛ وهو حسن لو كانت الرواية صحيحة . وقال العروضي : هذا بيت حسن المعنى ، مستقيم اللفظ ، حتى لو قلت إنه أمدح بيت في الشعر لم أبعده عن الصواب ؛ ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم ؛ ومعنى البيت : إن كفار قريش كانوا يقولون إن عمدا صنبور - أي منفرد أبتز لا عقب له - فإذا مات استرحنا منه ، فأنزله الله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - أي الكثير ، ولست بأبتز كما قالوا ؛ ما شئتك : فهو الأبتز فقال المتنبي أنتم من معجزات النبي وآية لتصديقه وتحقيق قوله تعالى وذلك أجدى مالكم من مناقب ، ثم قال : فلن قيل : الأنساب إنما تتخذ بالآباء والأبناء لا بالأمهات والبنات كما قال الشاعر :

بَنُونَا بَنُو أَبْنَانِنَا - وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ (١)

قلنا : هذا خلاف حكم القرآن العزيز ، قال تعالى « ومن ذريته داود وسليمان - إلى قوله - ويحيى وعيسى » فجعل عيسى من ذرية إبراهيم ولا خلاف أن عيسى من غير أب وأما قوله التهامي ؛ فإن الله أنزل في التوراة على موسى : إني باعث نبياً من تهامة من ولد إسماعيل في آخر الزمان ؛ وأمر موسى أمته أن يؤمنوا به إذا بعث ودل عليه بآيات أخر ، فأنكر اليهود نبوته . فقال صلى الله عليه وسلم : أنا النبي التهامي الأملئ الأبطحي ، فلا أدري كيف تموا على المتنبي لفظة افتخر النبي بها .

(١) قيل إنه للفرزدق ؛ وبنونا خير مقدم ؛ وبنو أبناتنا مبتدأ مؤخر أي أن بني أبناتنا مثل بنينا .

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسَبِ كَأَصْلِهِ
فَمَاذَا الَّذِي تُفْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ ^(١)
وَمَا قَرَّبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدِ وَلَا بَعَدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبِ ^(٢)

(١) النسب : ذو النسب الشريف ، والمنصب : الأصول . يقول : إذا لم تكن نفس النسب مشابهة لأصله في الكرم لم ينفعه الانتساب إلى أصل كرم . يعني : إن كرم الأصل لا ينفع مع لؤم النفس . وكثيراً ما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال :
وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنَ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتْ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلِهِ
وقال أبو يعقوب الحريري :
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْمِ الْقَدِيمَ بِمَجَادِثِ مِنَ الْمَجْدِ لَمْ يَنْفَعَكَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ
وقال البحرى :

وَلَسْتُ أَعْتَدُ لِلْفَتَى حَسَبًا حَتَّى يَرَى فِي قَعَالِهِ حَسَبَهُ

(٢) الأشباه : جمع شبه بمعنى شيه والبيت كالتمة لما ذكره في البيت السابق . يقول : إن صحة النسب لا تتحقق إلا بمشابهة الفروع للأصول ؛ فإذا ادعى قوم نسبا وهم أشباه لقوم أباعد عن أهل ذلك النسب فليسوا لهم بأقارب ، وكذلك القول في الأقارب وهذا تعريض بالدين ذكرهم من الأعداء . وإليك عبارة الواحدى : لم أجد في هذا البيت ياناً شافياً ولا تفسيراً مقنعاً وكل تفسير لا يساعده لفظ البيت لم يكن تفسيراً للبيت والذي يصح في تفسيره أنه يقول : الأشباه من الأبعد لا يقرب بعضهم من بعض لأن الشبه لا يحصل القرب في النسب والأشباه من الأقارب لا يعد بعضهم من بعض لأن الشبه يؤكد قرب النسب . هذا إذا جعلنا الأشباه الذين يشبه بعضهم بعضاً كقوله :

* الناس ما لم يروك أشباه *

فإن جعلنا الأشباه جمع الشبه من قولهم بينهم شبه : فمضى البيت : لم يقرب شبه قوم أباعد أى لا يتقاربون في الشبه ولا يشبه بعضهم بعضاً ولا يعد شبه قوم أقارب ؛ يريد أنهم إذا تقاربوا في النسب تقاربوا في الشبه . أقول وهذا لعمرى من الواحدى غريب : وغريب أن يلف هذا اللف والمعنى منه قريب ؛ وتحرير لفظ البيت : إن الذين يشبهون قوماً أباعد لا يكونون أقارب والذين يشبهون قوماً أقارب لا يكونون أباعد .

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ (١)
يَقُولُونَ تَأْيِيرُ الْكَوَاكِبِ فِي الْوَرَى
فَمَا بَالُهُ تَأْيِيرُهُ فِي الْكَوَاكِبِ (٢)
عَلَا كَتَدَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ بِرَاكِبِ (٣)
وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًا وَيُدْرِكَ مَالِمًا يُدْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ (٤)

(١) النواصب : الخوارج الذين نصبوا العداء على بن أبي طالب رضى الله عنه . يقول :
إذا لم يكن العلوى تقياً ورعاً كطاهر — وهو المدوح — كان حجة لأعداء أبي تراب ،
لأنهم يستدلون بتقصه على نقص أبيه : وهذا من قوله عليه السلام الولد سر أبيه ، وفي
المثل من أشبه أباه فما ظلم وقل بعضهم ؛

شريف أصله أصل شريف ولكن فعله غير الحيد
كأن الله لم يخلقه إلا لتنمطف القلوب على يزيد

(٢) يقول : إن الناس تقول : إن الكواكب تؤثر في الخلق — يريد ما يذهب
إليه المنجمون من السعد والنحس — ولكن المدوح يؤثر في الكواكب ، إذ يجعل
النحوس بحكم النجوم سعيداً بما يفيض عليه من نعمته ؛ وكذلك يجعل السعيد بحكم النجوم منحوساً
بما ينزله به من نعمته ، فلا يستطيع الكواكب أن تحول دون ما يريد . وقال ابن فورجه :
تأثيره في الكواكب إثارتها الغبار حتى لا تظهر وحتى يزول ضوء الشمس وتظهر
الكواكب بالنهار . هذا ولك أن تجعل قوله تأثير الكواكب مبتدأ محذوف الخبر
تقديره يقولون تأثير الكواكب حق أو كائن ولك أن تجعل الخبر الجار والمجرور أى
قوله في الورى :

(٣) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان ، والذلول المتقادة التي تذلل لراكبها .
يقول : إنه استوى على ظهر الدنيا فاتقادت له اتقياد الدابة الذلول لراكبها تسير به إلى كل
غاية قصدها . هذا ومن روى علا فعلاً ماضياً نصب به كتد ؛ ومن خفض كتد على
الجاره فهي متعلقة بمحذوف تقديره ركب على كتد .

(٤) يقول : خليق به أن يسبق الناس في سبيل المعالي وهو لا يتكلف لذلك جهداً ،
ويدرك مالم يدركوه من غير ما طلب وسى ؛ يعنى أنه بلغ ما بلغه بشرف نسبه وما طمعه

وَيُحَدِّدِي عَرَائِينَ الْمُلُوكِ وَإِنَّمَا
 يَدُّ لِلزَّمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ
 لِمَنْ قَدَمِيهِ فِي أَجَلِ الْمَرَاتِبِ (١)
 لِتَفْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَابِ (٢)
 وَشِبْهُمَا شَبَّهْتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ (٣)
 بِأَقْتَلِ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِإِيَابِ (٤)

الله عليه من الفضل وعلو الممة ، وهذا مالا يكتسب ويدرك بالسي والاجتهاد . هذا وقد قال الفراء : حق لك أن تفعل ذلك وحق وإني لمحقوق أن أفعل كذا فإذا قلت حق قلت لك وإذا قلت حق قلت عليك ومعنى قول من قال حق عليك أن تفعل وجب عليك (١) المرانين : الأنوف ، وعرائين : مفعول ثان ليحدي ؛ والمفعول الأول : نائب فاعل يحدي - التي يعود على المدحوح . يقول : وجدير به أن تجعل عرائين الملوك أحذية له يطؤها بدميه ، ولو هو فعل ذلك لكانت في أجل المراتب لأنها تتصرف بوطأته . (٢) يد : خبر مقدم ؛ والجمع : مبتدأ مؤخر ؛ واليد : النعمة ؛ ومعنى البيت مأخوذ من قول أبي تمام :

إِذَا الْعَيْسُ لَاقَتْ بِي أَبَا دُلْفٍ فَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَابِ (٣)
 هو ابن رسول الله لأنه ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ، وابن وصيه لأنه ابن سيدنا علي كرم الله وجهه ، وسيدنا علي هو وصي سيدنا رسول الله . وقوله وشبههما : أي وهو شبههما ، وقوله شبهت بعد التجارب : كلام مستأنف . يقول : شبهته بهما بعد تجربتي واختباري إياه ، فليس تشبيهي عبثا . (٤) اسم أن محنوف هو ضمير الشأن ؛ وما الأولى : نافية بمعنى ليس ، والثانية : بمعنى التي ، والتقدير : يرى أنه ليس الذي ظهر من الإنسان لضارب بالسيف كالغنق ونحوه بأقتل له مما ظهر لظمن عائب . يقول : إنه يرى العيب أشد من ائقتل ، وهذا من قول أبي تمام :

فَقَى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ (١) مَقْتَلٌ وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعِيوبَ الْمُقَاتِلُ
 وَقَالَ ابْنُ جَنَى : مَا الْأُولَى زَائِدَةٌ ، وَالثَّانِيَةُ بِمَعْنَى الَّذِي ؛ وَاسْمُ أَنْ مُضَرٌّ فِيهَا .

(١) الفرصة : لحمة عند تنفض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب وهما فرصتان ترصدان عند الفرع .

أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ تَعَزَّ فَهَذَا فِعْلُهُ فِي الْكُتَابِ (١)
لَمَلَّكَ فِي وَقْتِ شَغَلَتْ فُؤَادَهُ
عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثُرَتْ جَيْشَ مُحَارِبِ (٢)
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً
سَقَاهَا الْحَجْبَى سَقَى الرِّيَاضَ السَّحَابِ (٣)

(١) تعز : يروى تسل ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهي الفرقة من الجيش .
يقول : تأس أيها المال الذي أباده المدوح ، فلست وحدك المباد على يده ، ولك الأسوة
بأعدائه الذين أبادهم مثلك قتلا وأسراً .

(٢) يقول : لملك أي هذا المال المباد شغلت فؤاد المدوح يوماً ما عن السخاء بفتنتك
أو أطمعت الأعداء في محاربه رغبة فيك ، فاستحقت عقوبته بسبب ذلك فأبادك . كأنه
يلتمس للمال ذنباً عند المدوح حتى استوجب أن يفعل به فعله بالعدو .

(٣) الحديقة : الروضة قد أحرق بها حاجز ، والمراد بها هنا : القصيدة ، والحجبي :
العقل ؛ جعل العقل ساقياً لها ، لأن المعاني التي فيها إنما تحسن بالعقل ، فجعل العقل
ساقياً كما تسقى السحاب . وقوله : سقى الرياض السحاب : أراد سقى السحاب الرياض ،
فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وهو من شواذ الاستعمال وقد جاء كثيراً في
الشرح - كقول أبي حية الفيمري :

كَأَخْطُ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيَّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ (١)
وقول عمرَةَ ائْتَلَعَمِيَّةَ تَرْمِي ابْنِيهَا :
هَمَّا أَخْوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَحَالَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْوَةَ فَدَعَاهُمَا (٢)

(١) يقول : إن رسم هذه الدار دقيق متناسب كخط الكتاب الذي كتبه ماهر
حاذق في الكتابة ؛ وخص اليهودي لأنه من أهل الكتاب ، وقيل : المراد التشبيه
في عدم الانتظام . وقوله يقارب : أي يدنى الكتابة بعضها من بعض ؛ ويزيل : أي
يلعد ما بينها . وكف : مضاف إلى يهودي ، وفصل بينهما يوما ، وهو الشاهد .

(٢) من أبيات في باب الرثاء من حماسة أبي تمام . فصل بين المضاف والمضاف

فَحِيَّتَ خَيْرَ ابْنِ خَلِيدٍ أَبِهَا لِأَشْرَفِ بَيْتِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ (١)

وقول جرير :

تَسْقِي امْتِيحًا نَدَى الْمِسْوَاكِ رِيْقَتَهَا كَمَا تَضَمَّنَ مَاءَ الْمُرْتَةِ الرَّصْفَ (١)
وقول الأعشى في كلمة يمدح بها سلامة ذا فائش :
أُنْجِبَ أَيَّامَ وَالِدَاهُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعَمَ مَا نَجَلَا (٢)

(١) خير أب : منادى ، أو حال ، وبها : أى بالحديقة المعنى بها القصيدة ؛ وكان من عاداتهم أن يحووا بازهور والرياحين ؛ ويجوز أن يكون الضمير في بها : للأرض ؛ وإن لم تذكر ؛ قال الخطيب التبريزي : إذا كان الضمير للأرض كان أمدح . ويعنى بخير ابن : الممدوح ، وبخير أب : سيدنا رسول الله ، وبأشرف بيت : هاشم بن عبد مناف ، إذ أن بيته أشرف ولد لؤى بن غالب .

إليه بقوله : في الحرب ، يعنى أنهما كانا غوثا لمن لاغوث له ؛ ونبوة السيف كلاله ، والمراد هنا : الشدة .

(١) وقوله :

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمْ إِلَّا أَرَى أُمَّ عَمْرٍو فَوْقَ مَا وَصَفُوا
كَأَنَّهَا مُرْتَةٌ غَرَّاهُ وَاصِحَّةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدْفَ

والامتياح : الاستياع ؛ والندى : البلل ؛ والمزنة : السحابة البيضاء ، والرصف : جمع رصفة - حجارة مرصوف بعضها إلى بعض ، وماؤها أرق وأصفى من غيره وامتياحاً ظرف : أى وقت امتياح أو حال . أى ممتاحة ، والمسواك : مفعول أول لتسقى ، وندى : مفعول ثان مضاف إلى ريقتها ؛ وقد فصل بينهما بالمسواك .

(٢) أنجب الرجل . ولد ولدأنجبياً ، ونجلاه : ولده ، ووالده : فاعل أنجب وأيام : ظرف لأنجب ؛ وبه : متعلق بأنجب ؛ وأيام : مضاف إلى إذ ؛ وقد فصل بينهما بقوله : أيام ، وبه .

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة : وهي من محاسن شعره :

مَنْ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حُمْرَ الْحَلِيِّ وَالْمَطَايَا وَالْجَلَايِبِ (١)
إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شُكَاً فِي مَعَارِفِهَا فَمَنْ بَلَاكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَعْذِيبِ (٢)

(١) من : استفهام ، والجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ، تشبه بها النساء في حسن العيون . والأعاريب : جمع أعراب ، وهم سكان الحيام والوبر . وقوله في زى : حال من الجاذر ؛ والعامل فيها معنى الاستفهام ؛ وحمر الحلى : حال بعد حال والجلايب : جمع جلباب - اللحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها - قالت جنوب أخت عمرو ذى الكلب تربيته ، وكان قد قتل :

تَمَشَّى النَّسُورُ إِلَيْهِ وَهِيَ لَاهِيَةٌ مَشَى الْعَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْجَلَايِبُ (١)

يقول : من هؤلاء النسوة ، الشبهات بالجاذر : وهن في زى الأعاريب ، ومتحليات بالذهب الأحمر ، ومتحطيات النياق الحمر ، ومشمتملات في اثياب الحمراء - يعنى أنهن من نساء الملوك ، لأن الحمرة لون ملابس الأشراف عندهم ، والنياق الحمر أكرم النياق لدى العرب .

(٢) شكا : مفعول لأجله : يقول - مخاطبا نفسه - : إن كنت تسأل عنهن لشك بدا لك في معرفتهن ، فمن الذى امتحك بالسهو والمذاب ؟ يعنى أنهن دهنك بمجهن حتى صرت مسهدا معذبا ، فكيف لا تعرفهن ؟ وإنما استفهم عنهن لقوة شبههن بالجاذر حتى كأنهن جاذر لا نساء ؛ وهذا من باب تجاهل العارف كما قال ذو الرمة :

أَيَا ظِيَّةَ الْوَعْصَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلِ وَبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمِ (١)

(١) قوله وهي لاهية : يريد أن النسور آمنة منه لا تخافه لكونه ميتاً ، فهى تمشى إليه مشى العذارى .

(١) جلاجل : روى حلال - بالحاء للضمومة - وقال ابن برى : روت الرواة هذا البيت في كتاب سيويه : جلاجل - بضم الجيم لا غير -

لَا تَجْزِي بِي بَضَى بِى بَعْدَهَا بَقْرٌ
تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبِ (١)
سَوَائِرُ رَبِّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْمُونٍ وَمَضْرُوبِ (٢)
وَرَبِّمَا وَخَدَّتْ أَيْدِي اللَّطِي بِهَا عَلَى نَجِيحٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْبُوبِ (٣)

(١) المراد بالبقر : النساء التي وصفها : يدعو لمن يقول : لا جزيني مقابل الضنا الذي حل بي بعد فراقهن ضنى مثله كما يجزين دموعي دموعا مثلها : يعني لا أورثن الله السقام بعدى كما أورثني بعدهن ، وإن كن قد بكين لفراقى كما بكيت لفراقهن . قوله لا تجزى : دعاء مجزوم بالدعاء ، لأنه بلفظ النهى ؛ فحكه في الجزم حكم النهى كقول مالك بن الرب من كلمة يرى بها نفسه :

يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا؟ (١)

والباء في قوله بضى : للمقابلة ، وبى : صفة لضنى : أى ضنى حال بي أو واقع بي ، وبقر : فاعل تجزى : أى لا تجزى بقر بضى حل بي ضنى يحل بهن ؛ وبعدها : أى بعد فراقها والماء : راجعة إلى قوله بقر ، وإن كانت متأخرة ، وجاز ذلك لأنها فاعل والفاعل رتبته التقديم ؛ فإذا أخر جاز تقديم الضمير العائد عليه ، لأن النية به التقديم ، وقوله : تجزى دموعي الخ صفة لبقر ؛ وقوله مسكوبا : بدل من دموعي : أى تجزى دموعي مسكوبا منها بمسكوب من دموعها ، وتصيره يقر ههنا : غير لائق .

(٢) سوائر : أى هن سوائر ، والهوادج : مراكب النساء على الإبل . يقول : إنهن من قومهن في عز ومنعة ، فمن تصدى لمن طعن أو ضرب ، فسارت هوادجهن ما بين مطمون ومضروب .

(٣) الوخذ : ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو في المشى . والنجيع الدم . يقول : ربما سارت بهن مطاياهن على دم مصبوب من الفرسان . يريد أنهن في منعة ، دونهن طعان وضراب وتقال ، فالبيت في معنى البيت السابق .

(١) الاستهمام : في قوله : وأين الخ بمعنى النهى ، ولذا وقعت «إلا» بعده .

(١٩ — المتنبي ١)

كَمْ زَوْرَةٌ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَاقِيَةٌ
أَذَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذَّيْبِ (١)
أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْفَتِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِي (٢)
قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِمِهِمَا
وَخَالَفُوها بِنَقْوِيضٍ وَتَطْنِيْبٍ (٣)
جِيْرَانُهُا وَهُمْ شَرُّ الْجَوَارِ لَهَا وَصَحْبُهُا وَهُمْ شَرُّ الْأَصْحَابِ (٤)
فَوَادُ كُلِّ حُبِّ فِي بُيُوتِهِمْ وَمَالُ كُلِّ أَخِيْدٍ لِلْمَالِ مَحْرُوبٍ (٥)

(١) يصف جرأته في زيارة الجباب بعد أن ذكر منتهن يقول - مخاطبا نفسه - كم قد زرتهم زيارة لم يشعر بها أحد كزيارة الذئب الغنم يقع فيها ، ويذهب بما يذهب منها على غفلة من الراعى . وقوله : وقد رقدوا ، جملة معترضة بين أذى ومن زورة الذيب .

(٢) جمع في هذا البيت بين خمس مطابقات : الزيارة والانشاء والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والإغراء ولوى وبى . وأنفتى : أى أعود ، وأغراه به : ضراه به وحضه عليه . يقول : أزورهم والليل لى شفيح لأنه يسترنى عنهم ، وأنصرف وكان الصبح يغرى بى ، إذ يشهرنى ويدلم على مكافى . وهذا البيت - كما ترى - من معجزات المتنبي .

(٣) يقول : إن هؤلاء الأعراب قد وافقوا الوحش في سكنى البرارى وخالفوها في أن لهم خياما ، يهدمونها لدى الرحيل وينصبونها لدى الإقامة ؛ أما الوحش فلا خيام لها ، يريد أنهم ممن يسكنون البادية ، والمرايع المسارح التى ترتع فيها الوحوش وتسرح ؛ والتقويض : الهدم ؛ والتطنيب : شد الخيام بالأطناب .

(٤) يقول : هم جيران الوحوش ، بيد أنهم يسيئون جوارها لأنهم يصيدونها ويذبحونها ، وقوله وهم شر الجوار : أى وجوارهم شر الجوار - على حد قوله تعالى « ولكن السبر من آمن بالله » والأصحاب : جمع أصحاب ؛ جمع صحب اسم جمع لصاحب .

(٥) أخيد : أى مأخوذ ؛ والمهروب : الذى ذهب كل ماله . يقول : إن فيهم الجمال والشحاعة : فمساؤهم ينهن القلوب ، ورجالم ينهون الأموال وقال التبريزى : يريد أنهم ملكوا قلوب الرجال - أى بالسخاء - وأموال الأعداء .

مَا أَوْجُهُ الْحَضْرَ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ كَأَوْجُهُ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ (١)
 حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيْقِهِ وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبٍ (٢)
 أَيْنَ الْمَيْزُ مِنَ الْآرَامِ نَاطِرَةٌ وَغَيْرُ نَاطِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطَّيِّبِ (٣)

(١) الرعايب : جمع رعبوية ، وهى المرأة التارة السمينة : والضمير فى به : للحضر
 يقول : ليست الأوجه المستحسنات بالحضر كأوجه نساء البدو يفضل نساء البدو على نساء
 الحضرة ، وبين السبب فى البيت التالى .

(٢) الحضارة - بكسر الحاء ، أو فتحها - الإقامة بالحضر ؛ والبدواة : الإقامة فى
 البدو ؛ وانتطرية : للعاجلة . تقول : طرى الطيب : خلطه بالأفاويه ، و طرى الطعام :
 خلطه بالتوابل . يذكر السبب فى تفضيل البدويات على الحضريات . يقول : إن حسن
 أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة والعلاج أما حسن البدويات فهو خلقة ، لا يعرفن
 التكلف والحسن المجلوب بالاحتيال .

(٣) الميز : اسم لجماعة العز - كالكلب والعبيد - قال العكبرى : الميز : اسم
 للمعزى ، وهو خلان الضأن ، وهو اسم جنس ، تقول العز والمعز والأمعوز ، وواحد
 المعز : ماعز : مثل صعب . وصاحب ؛ والأنثى ماعزة وهى العز والجمع مواعز .
 والمعز بالفتح والمعز بسكون العين لفتان فصيحتان قرأ أهل الكوفة ونافع بسكون العين ،
 وقرأ الباقون بفتحها . وقال سيويه : معزى منون مصروف ، لأن الألف لللاحق -
 لا للتأنيث - وهو ملحق بدرهم على فاعل ، لأن الألف للملحقة تجرى مجرى ما هو من
 نفس الكلمة ، يدل على ذلك قولهم : معيز وأريط - فى تصغيرى معزى وأرطى - فى
 قول من نون فكسروا ما بعد ياء التصغير كما قالوا دريهم ، ولو كانت للتأنيث لم يقلبوا
 الألف ياء ، كما لم يقلبوها فى تصغير جلى وأخرى . وقال اللراء : للمزى مؤتة وقال
 بعضهم : مذكرة ، وحكى أبو عبيد أن العرب كلها تون للمزى فى النسكرة ، والآرام :
 لظباء الخالصة البياض . وقوله ناظرة حال : أى فى حال نظرهن وامتداد أعناقهن ، أو
 فى حال إقبالهن . وقال بعض الشعراء : ناظرة : تميز ، وليست اسم فاعل ، والتقدير
 من حسن الآرام عيوننا . شبه نساء الحضرة بالمعز ، ونساء البدو بالآرام . يقول : أين
 تقع الميز من الظباء فى الحسن والطيب أكانت مقبلة أم معرضة ؟ فالظباء تفضلها حيواناً
 وغير هيون .

أَفْدَى فِيسَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا
مَضَعَ الْكَلَامِ وَلَا صَنَعَ الْحَوَاجِبِ^(١)
وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَامِ مَائِلَةً أَوْ ذَا كَهْنٍ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِبِ^(٢)
وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةً
تَرَكَتْ لَوْنَ مَشِيبِي غَيْرَ مَحْضُوبِ^(٣)

(١) يريد بظباء الفلاة : البدويات نساء الأعراب . ومضع الكلام : ترك إباته ، كأن التكلم يمضغ شيئا : يقول : هن فصحات مبيئات ، لا يمضغن كلامهن غنجا وتغننا كنساء الحضرم ، ولا يمضغن حواجهن طلبا للزينة مثلهن ، والحواجيب : جمع حاجب أشجع الكسرة فتولد عنها ياء كما قال الفرزدق :

* نَفَى الدَّنَانِيرِ تَنْقَادَ الصِّيَارِفِ^(١)

(٢) مائلة : شاخسة ؛ ويروى مائلة ، والأولى أظهر . والعراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل . يقول : وليست البدويات كالحضريات يجلبن حسنهن بأن يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت أوراكنهن من تحتها وصقلن عراقيبهن .

(٣) أصل التمويه : الطلى بماء الذهب أو الفضة ، ثم استعمل بمعنى التدليس والتزوير . وقوله : من هوى ، متعلق بقوله تركت . يقول : ومن أجل أني لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت ياض شيبى دون خضاب : أى لم أموهه شيبى كما لم يموهن حسنهن .

(١) صدره :

* تَنَفَّى يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ *

يصف ناقة تسرع في الهواجر فيقول إن يديها لشدة رفعها الحصى تنفيانه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصايل الدنانير ينتقدها الصيرف فينفي رديتها عن جدها وخص المهاجرة لتمذر السير فيها والشاهد في الصياريف وروى بدل الدنانير الدراهم فيكون الشاهد في الصياريف والدراهم

وَمِنْ هَوَى الصَّدَقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ
رَغِبْتُ عَنْ شَعْرِ فِي الرَّأْسِ مَكْدُوبٍ^(١)
لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتِنِي الَّذِي أَخَذَتْ
مِثِّي بِحِلْيَةِ الَّذِي أُعْطَتْ وَتَجْرِبِي^(٢)
فَمَا الْحِدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَا نَمَسَ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ^(٣)
تَرْعَرَعَ أَلْتَلِكُ الْأَسْتَاذُ مَكْهَلًا قَبْلَ الْاِكْتِهَالِ أَدِيًّا قَبْلَ تَأْدِيبِ^(٤)

(١) رغب عن الشيء : زهد فيه . والضمير في قوله : وعادته ، يرجع إلى الصدق وهو عطف على هوى . يقول : ومن أجل أني أحب الصدق وقد تعودته لم أجعل شعر رأسي مكذوبا : أي مسودا بالخطاب ، إذ هو غير لونه . قوله : ومن هوى ، متعلق برغبت ، ويروى بدل قوله عن شعر في الرأس : عن شعر في الوجه .

(٢) يقول : إن حدثان الدهر ونوائبه أخفت مني الشباب وأعطتني الحلم والتجارب ، فوددت لو أنها باعت ما أخذت مني بما أعطت : أي ردت على الشباب واستردت الحلم . والحلم العقل والأناة . وهذا من قول علي بن جبلة :

وَأَرَى اللَّيَالِيَ مَا طَوَّتْ مِنْ قَوْتِي زَادَتْهُ فِي عَقْلِي وَفِي أَفْهَامِي
وقول ابن المعتز :

وَمَا يُنْتَقَصُ مِنْ شِبَابِ الرِّجَالِ يُرَدُّ فِي نَهَايَا وَأَلْبَاهِيَا

(٣) الحدائة : حداثة السن والشباب . يريد أنه كان حليما قبل تحليم الحوادث إياه . يقول : إن حداثة السن لا تحول دون الحلم ، فالمرء قد يكون حليما في الشباب كما يكون حليما في الشيب — كما قال أبو تمام :

حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

(٤) ترعرع الصبي : نشأ وشب ، والأستاذ : لقب كافور ؛ وهي كلمة فارسية ، من معانيها : اللطم ، والدبر ، والعالم . يريد التنبي أن يؤكد بهذا البيت معنى البيت السابق ، وفيه من البديع حسن التخلص . يقول : إن كافورا نشأ على الاكتهال — أي حلم الكهول — قبل أن يكهل سنا ، وعلى الأدب قبل أن يؤدب : أي أنه ترعرع على ذلك

مُجْرِبًا فَمِمَّا مِنْ قَبْلِ تَجْرِبَةٍ مَهْدَبًا كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْدِيبٍ (١)
 حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نَهَائَتَهَا وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَآآتٍ وَتَشْيِيبٍ (٢)
 يُدَبِّرُ الْمَلِكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنَ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ (٣)
 إِذَا أَتَتْهَا الرِّيَّاحُ النَّكْبُ مِنْ بَلَدٍ
 فَمَا تَهَبُّ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبٍ (٤)

طبماً دون أن يفيد من كر الغداة ومر العشي، وهذا دليل على أن الحدائة ليست
 بمائة من حلم .

(١) قال صاحب اللسان : رجل مجرب كمرض — بالفتح — جرب في الأمور
 وعرف ما عنده ، كأن الأمور جربته وأحكمته ؛ ومجرب — بالكسر — عرف الأمور
 وجربها . ثم قال : إلا أن العرب تكلمت به بالفتح . يقول التنبي : نشأ كافور مجرباً
 قبل أن يجرب — لما جبل عليه من الفهم — مهذباً قبل أن يهذب — بما طبع عليه
 من الكرم — ففها وكرما : مفعول لها .

(٢) التشيب في الأصل : ذكر أيام الشباب : وهو يكون في ابتداء القصاد ، ثم
 سمي ابتداء كل أمر تشيباً ، وإن لم يكن فيه ذكر أيام الشباب ، ويريد بنهاية الدنيا :
 الملك ، لأنه لا شيء إلا والملك فوقه يقول : إن كافوراً أصاب الغاية القصوى من دنياه
 وهو الملك ، ومع ذلك لا تزال همته في بداية أمرها : أي أنه بعيد مرتقى الهمة .

(٣) يريد فسحة رقعة ملكه وتراعى حدودها إلى هذه الأطراف ، لأنها داخلة في
 ملكته ، لأن كافوراً لم يكن من ملكه عدن ولا العراق ولا أرض الروم — الأناضول
 — ولا النوب ، إنما مملكته تحد بهذه البلاد ؛ إذ كانت مصر والحجاز والشام حسب .

(٤) يقول : إنه لهيبته وعظمه في النفوس وغيرها إذا هبت الرياح الهوج في بلاده
 هبت مستوية رزينة مرتبة إعظاماً له وإجلالا ، والرياح مثل أراد به البالغة في إعظام
 الناس إياه وتكبرهم التمرد عليه حتى لو كانت الرياح تعقل لاستوت واطردت مهابة له .
 وعبرة الخطيب اتبريزي : يعظم أمره وسياسته ، ولم يرد الرياح بعينها ، بل يريد أن
 الناس له هائبون ، حتى الرياح إذا هبت هبت بترتيب واستواء هية له . فالضمير في
 أتها : يعود على الملك بمعنى المملكة والنكب : جمع نكباء ، وهي الريح تهب في
 غير استواء .

- وَلَا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَقَتْ إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيْبِ (١)
يُصْرَفُ الْأَمْرُ فِيهَا طَلِيْنٌ خَاتِمِهِ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبٍ (٢)
يَحْطُ كُلُّ طَوِيلٍ الرَّمْحِ حَامِلُهُ
مِنْ سَرَجٍ كُلُّ طَوِيلٍ الْبَاعِ يَغُوبُ (٣)
كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصٌ يُوسِفُ فِي أَجْفَانِ يَغُوبُ (٤)
إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْئَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجِيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبٍ (٥)

(١) هذا البيت في معنى الذى سبقه . يقول : ولا تغرب الشمس عن مملكته بعد أن تشرق إلا بإذنه ، وكل هذا مبالغة .

(٢) طلس الكتاب : طمسه ومحاه ، كطرسه . يقول : إن أمره يمثل مطاع في بلاده حتى لو كتب مكتوباً بأمر من الأمور وختم مكتوبه هذا بالطين — كما هي عادتهم إذ ذاك — ثم أمحى كل ما كتب ولم يبق إلا الخاتم امثل أمره بمجرد رؤية الخاتم إعظماً وإجلالاً . وخاتم : يقال بفتح التاء وكسرهما ، وفيه خاتم وخيتام .

(٣) يحط : ينزل ويضع ، وحامله : فاعل يحط ، والضمير في حاملة : يعود إلى الخاتم ، واليغوب : الفرس السريع الجرى . يقول : إن حامل خاتم كافور ينزل الفارس البطل الطويل الرمح من سرج الفرس السريع الجرى: أى أن الفارس إذا رأى خاتم كافور سجد له إعظماً فنزل عن فرسه ، وللعنى أنه نافذ الأمر مطاع ، وعبرة الواحدى : لم يعرف ابن جنى هذا . فقال مرة : يقتل حامل خاتمه كل فارس فينزل له عن سرج فرسه ومرة : يحط حامل كتابه أعداءه عن سروجهم ، وليس البيت من القتل ولا من إنزال الأعداء في شيء ؛ وللعنى : يريد نفاذ أمره واتساع قدرته ، وقال ابن القطاع : الهاء يعود على كافور : أى إذا رآه الأبطال انحطوا .

(٤) يقول : إنه يسر ويتهيج إذا سمع سؤال سائل — يستجديه — ابتهاج يعقوب حين رأى قميص يوسف ، وذلك لكرمه وجوده .

(٥) يقول : إنه لا يرد السائل أياً كان ، فلو صمدت إليه أعداؤه سائلة مستجديه نالت مطلوبها ، فكانها غزته بجيش لا يئلب .

أَوْ حَارَبْتُهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْبِيبٍ^(١)
 أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَفْصَى كِتَابِهِ عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتُ بِمَرْهُوبٍ^(٢)
 قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْفَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ
 إِلَى غَيْوِثٍ يَدِينُهُ وَالشَّائِبِ^(٣)
 إِلَى الَّذِي تَهَبُّ الدُّوَلَاتُ رَاحَتُهُ وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبٍ^(٤)

- (١) التقدمة : التقدم ؛ والتجيب : الهرب . قال صاحب اللسان : التجيب الفار ، وجيب الرجل تجيباً إذا فر وعرد ، وفي الحديث : التمسك بطاعة الله إذا جيب الناس عنها كالكار بعد الفار : أي إذا ترك الناس الطاعات ورغبوا عنها . يقال جيب الرجل . إذا مضى مسرعاً فاراً من شيء . يقول : إذا قصدته أعداؤه محاربين ، لم ينجوا من إرادته فيهم فلا يفيدهم الإقدام لأنهم لا يقدرُونَ عليه ولا الهرب لأنه يدركهم لا محالة .
- (٢) أضرت : من الضراوة ، وهي الدربة والعادة ، تقول : ضرى فلان بكذا : لزمه واعتاده ، وضراه ، بكذا : ألجمه به ؛ وفي الأثر : إن لحم ضراوة كضراوة الخمر : أي إن له عادة طلبة لأكله كمادة الخمر مع شاربها ، ويريد بأقصى كتابه الجبناء الذين لا يشهدون اقتال ؛ والحمام : الموت . يقول : إن شجاعته عودت الجبناء من رجاله لقاء الموت وجرأتهم عليه فليس للموت مرهوباً عندهم .
- (٣) الشؤبوب : الدفعة الشديدة من المطر ؛ وأل في الشائب تقوم مقام الضمير : أي إلى غيوث يديه وشأبيهما . يعرض التنبي - فيما يظهر - بسيف الدولة ، يقول ؛ يلومني الناس على هجري الفَيْث - يعني سيف الدولة - وهم واهمون في هذا اللوم ؛ لأنني تركت غيثاً إلى غيوث : أي أنني فارقت كريماً إلى من هو أكرم ... وقال ابن فورجه : أراد أن مصر لا تعطّر فيقول : لا مني الناس في هجري بلاد الفَيْث ، فقلت تعوضت عنها غيوث يديه . وهذا تصف من ابن فورجه ، بدليل البيت التالي .
- (٤) يقول : إنني هجرت إلى من يعطى القطاء الجزيل ويهب الهبات الخطيرة ولا يتبع هبته بالمن . وهذا تعريض بين سيف الدولة . والدولت : جمع دولة وهو ما يتداول ، فيكون مرة لهذا ومرة لتلك ؛ فتطلق على المال والغلبة ؛ والمراد هنا : المال الجزل أو الولايات والممالك .

وَلَا يَرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِهِ أَحَدًا وَلَا يُفَزِّعُ مَوْفُورًا بِمَنْكُوبٍ (١)
 بَلَى يَرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ ذَا مِثْلِهِ فِي أَحَمِّ النَّقْعِ غَرِيبٍ (٢)
 وَجَدْتَ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتَ أَذْخَرُهُ مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرَى وَتَقْرِبٍ (٣)
 لَمَّا رَأَيْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَنْدَرُ بِي وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صُمَّ الْأَنْيَابِ (٤)
 فَمَنْ الْمَالِكِ حَتَّى قَالَ قَائِلَهَا مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْجُرُودِ السَّرَاحِبِ (٥)

(١) راعه : خوفه وأفزعه ؛ وبه : صلة مغدور ؛ والموفور : الذي لم يصب في ماله ولم يؤخذ منه شيء ، والمنكوب : ضده . يقول إنه لا يندر بأحد كي يروع به غيره ولا ينكب أحداً فيتحيفه أو يسلب ماله ليفزع به للموفور الذي لم ينكب . يعني أنه حسن السيرة في رعيته ، عادل لا يظلم أحداً بحال .

(٢) يقول : لا يندر بأحد « إلى آخر البيت السابق » وإنما يروع صاحب جيش صاحب جيش آخر يصرعه على الأرض : أي ينكل بصاحب جيش ليحتر به صاحب جيش آخر ، وهو - أي كافور - في جيش أسود النبار قد علاه سواد الحديد . وبلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله ، ويجدله أي يصرعه على الجدالة وهي الأرض - وجملة يجدله : صفة لذي جيش ؛ وذا مثله : مفعول يروع ذا جيش ، مثل جيشه . وقوله في أمم : أي في جيش أمم النقع : أي أسود النبار ؛ والغريب : الشديد السواد ، ومعنى جيش غريب : أسود الحديد . وقال ابن جنى : إذا رآه ملك وقد صنع بملك آخر ما صنع فإنه يخافه ويحذره .

(٣) يقول : إني وجدت مافي الخيل من عدو وجرى أنقع الأشياء التي ادخرتها لأنها حملتني إلى كافور وأخرجتني من بين الغادرين بي كما بين ذلك في البيت التالي . فالسوابق الخيل والتقريب ضرب من العدو

(٤) : لما رأت الخيل حدثان الدهر ونوبه تندري بي - يريد الناس - وقت لي بحملها إياي عن موطن الندر إلى كافور ؛ وكذلك وقت لي الرماح لأنني استظهرت بها على الوصول إلى مصر . فصم الأنابيب . الرماح ، والصم . الصلاب ، والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو ما بين العقدين من الرمح وما شاكلة .

(٥) يقول : إن خيلنا قطعت المغاوز وفاتها حتى لو كان لها - أي للمغاوز - قائل لقال ماذا لقينا من هذه الخيل إذ جابتنا بسرعة وذلت الصعب منا ونجت من عوائلنا ،

تَهْوَى مِنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لِلْبَسِ ثَوْبٍ وَمَا كَوَّلٍ وَمَشْرُوبٍ (١)

فالمراد بالمهالك: الفاوز ، والجرد : القصيرة الشعر ، وذلك محمد في الخيل، والسراجيب: جمع سرحوب ، وهو الفرس الطويل . وعبارة ابن جنى : ضجت للفاوز من سرعة خيل وقوتها ، وقال ابن فورجه : إذا أطلقت المهالك لم يفهم منها الفاوز ، وإنما تفهم الأمور المهلكة : يعنى أن هذه الخيل لم يعلق بها شيء من الهلاك حتى تصعب المهالك من نجاتها بسلامتها منها .

(١) تهوى : أى تسرع ؛ وقوله بمنجرد : يعنى نفسه ، والنجرد : الجاد فى الأمور الماضى فيها لا يرد شيء ؛ وقوله ليست مذاهبه : أى ليست رحلاته للبس ثوب أو ليست أسفاره لهذا . يقول : إن هذه الخيل تسرع برجل جاد ليست أسفاره طلاباً لمثل كسوة أو طعام ، وإنما طلبته المعالى . وهذا كقوله :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلْبِ الْمَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلْبِ الْمَعَالِشِ

وقديما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال امرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْمَى لِأَذْنِي مَعِيشَةً كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْمَى لِجَدِّ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يَدْرِكُ الْجَدَّ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي (١)

وقال حاتم الطائي :

لِحَا اللَّهِ صُغْلُوكَا مُنَاهُ وَهَمُّهُ مِنْ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى كَبُوسًا وَمَطْعَمًا (٢)

وقال آخر :

وَلَيْسَ فِتَى الْفِتْيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لِيَشْرَبَ صَبُوحٍ أَوْ لِيَشْرَبَ غَبُوقٍ
وَلَكِنْ فِتَى الْفِتْيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لِيَضْرِبَ عَدُوًّا أَوْ لِيَنْفَعِ صَدِيقٍ

(١) ما - فى قوله ما أسى - مصدرية ومجد مؤنل قديم له أصل ، والثائل اتخاذ أصل

مال ، وقيل المؤتل : المجموع وقيل : المستمر المثبت

(٢) لحاه الله : قبحه وأهلكه . من لحوت العود ، إذا قشرته ، والصعلوك : الفقير

الذى لا مال له ، وصعاليك العرب : ذؤبانها .

- يَرَى النُّجُومَ بِمَعْنَى مَنْ يُحَاوِلُهَا كَأَنَّهَا سَلَبٌ فِي عَيْنِ مَسْلُوبٍ (١)
 حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ
 تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلِ غَيْرِ مُحَجُّوبٍ (٢)
 فِي جِسْمِ أَرْوَعَ صَافِي الْعَقْلِ تُضْحِكُهُ
 خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الْأَعَاجِبِ (٣)
 فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا وَلِلْقَنَاءِ وَإِلَادِ الْجِي وَتَأْوِيبِي (٤)

(١) السلب : الشيء المسلوب . يريد أنه بعيد مرتقى الهمة . يقول : إنه لطموحه وبعد همته يطمع في إدراك النجوم ، فهو ينظر إليها بعين من يحاول تناولها حتى لكأنها شيء قد سلب منه فلا يستريح أو يحصل عليه ، شأن المسلوب لا تطيب نفسه أو يرجع إليه ما سلب منه .

(٢) يقول : حتى وصلت إلى ملك محجب — لأن الملوك محجبون لا يتناولون أنفسهم للناس — يريد أنه وإن كان محجبا فإن نواله دان قريب لمن طلبه غير محجوب عنه ، ويجوز أن يريد بالنفس همته ، وأنها محتجبة عن الناس لا يبلغها كل أحد ، بدليل قوله في البيت التالي : في جسم أروع ، وما أبدع قول أبي تمام :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمَقْصِدٍ عَنكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تَرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ
 وقوله يقول مسلم :

كَذَلِكَ النَّيْتُ يُرْجَى فِي تَحَجُّبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْتَفْرَأً عَنِ وَابِلِ الْمَطَرِ

(٣) في جسم : صفة لنفس — في البيت السابق — أوحال منها ، والأروع هنا : النهم الذكي النفوذ وفي غير هذا الموضع الذي يروعك حسنه ؛ والخلائق : الأخلاق . يقول : إذا نظر إلى أخلاق الناس وما هي عليه من الحسة والدناءة : ضحك منها هزوا واستصغارا ، لأنه أسمى منهم نفسا وعقلا .

(٤) له : أي لكافور ؛ ولها أي للخيل ، والإدلاج : سير أول الليل ، والتأويب : سير عامة النهار . يقول : إنى أحمدك وأحمد خيلي ورماحي وإدلاجي وتأويبي إذ بلفتني إليك — كما ذكر في البيت التالي .

وَكَيفَ أَكْفَرُ يَا كَافُرُ نِعْمَتَهَا وَقَدْ بَلَّغْنَاكَ بِي يَا كَلَّ مَطْلُوبِي
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْفَائِي بِتَسْمِيَةِ
فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ عَن وَصْفٍ وَتَلْقِيْبٍ (١)
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحَبُّوبٍ (٢)

(١) الفاني : المستغنى . يقول : أنت مشهور الاسم إذا ذكر اسمك عرفت به ، فلم يحتج معه إلى وصف أو ذكر لقب ، وهذا كما يروى ، أن رؤبة بن العجاج أتى البكري النسابة فقال : من أنت ؟ قال : أنا رؤبة بن العجاج ، فقال : قصرت وعرفت ، فقال رؤبة يفتخر بذلك :

وقد رفع العجاجُ بِاسْمِي فَادْعُنِي بِاسْمِي إِذَا الْأَنْسَابُ طَالَتْ يَكْفِينِي
(٢) الضمير — في قوله به — يرجع إلى الحبيب ، ولو أمكنه أن يرده إلى الخطاب لكان أحسن ، وهذا أبلغ . يقول : إني أحبك وأنت حبيب إلى ، وإني أعود بك من أن لا تحبني ، لأن من نكده الدنيا أن تحب من لا يحبك كما قال القائل :

وَمِنَ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ

وقال يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة*):

أَغْلَبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْمَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ (١)

أَمَّا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى بَغِيضًا تُنَائِي أَوْ حَبِيْبًا تُقْرَبُ (٢)

* قالوا: إن كافوراً كان قد تقدم إلى الحجاب وأصحاب الأخبار، فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولى أبا الطيب ناحية من الصعيد، وينفذ إليه قوماً يعرفونه بذلك فلما كثر ذلك وعلم أن التنبي لا يثق بكلام سمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهباً، فقال أبو الطيب هذه انقصيدة يمدحه بها.

(١) يقول: إن بيني وبين الشوق مغالبة لأجلك، والغلبة للشوق: إذ هو يظلب صبرى، وإنى أعجب من هذا المجر لتراخيه وطوله، على أن الوصل لو واقفنا كان أعجب منه لأن من شيم الأيام التفريق. وقال الواحدى: الأغلب الغليظ الرقة الذى لا يطاق ولا يغالب، فكأنه قال: إن الشوق صعب شديد ممتنع.

(٢) تنائى تفاعل، من النأى. وهو البعد، يقال نأى وأنأته على أفعال؛ ولكنه نقله إلى فاعل، كما يقال أبعدته وبعادته وروى الواحدى تنأى بالتشديد يقول: إن الدهر مولع بتقريب من أبغضه وإبعاد من أحبه، أفلا يغلط مرة فيبعد البغض ويدنى الحبيب؟ وجعل ذلك غلطا من الدهر، لأنه خلاف ما يأتى به الدهر؛ وأصل هذا المعنى من قول مضرس:

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْخَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَى دَلَالٍ وَأَجِبٌ لِمُنْجَعٍ
وَأِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَائِرِي فَقْدَانَهُ لِمُسْتَعٍ

ويقول الطرماح:

يُفَرِّقُ مِنَّا مَنْ نُحِبُّ اجْتِمَاعَهُ وَيَجْمَعُ مِنَّا الدَّهْرُ بَيْنَ الضَّمَانِ

ويقول الآخر:

عَجِبْتُ لِنُطْوِجِ النَّوَى مِنْ أَحِبِّهِ وَإِدْنَاءَ مَنْ لَا يُسْتَلَدُّ لَهُ قُرْبُ

وقال المحدث:

وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبَغِضُنِي عِنَادًا وَمَنْ أَشْنَاهُ شِصَّ فِي لَهَائِي

وَلِلَّهِ سَيْرِي مَا أَقْلَ تَنِيَّةَ عَشِيَّةَ شَرْقِ الْهَدَالِي وَغُرْبِ (١)
 عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بِي مَنْ جَفَوْتُهُ وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِي أُتَجَبُّ (٢)
 وَكَمْ لِظْلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدِي تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ (٣)
 وَقَاكَ رَدَى الْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمْ وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحْجَبِ (٤)

(١) التثنية التلبث والتحكك قال الشاعر :

فِ بِالْأَبْيَارِ وَمُوقِفَ زَائِرٍ وَتَأَى إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ

وتثنية : منصوبة على التمييز ، وأراد ما أقله تنية ، لحذف لضيق اللقاه والهدالي : موضع بالشام ، وغرب : جبل هناك معروف ، والهدالي : مبتدأ وشرقي : ظرف خبره ، وأصله شرقيي — ثلاث ياءات — لحذفت الثانية من ياء النسبة للتخفيف . يتجب من سرعة سيره ويقول : ما كان أسرع سيري وأقل لبنة عشية كان هذان المكانان على جاني الشرقي : يعني عند رحيله من حلب .

(٢) يريد بأحفى الناس به : سيف الدولة . وعشية : بدل من عشية في البيت السابق — وأحفى : أفضل تفضيل — من حفى به حفاوة : إذا بالغ في إكرامه وإلطافه — يقول : إن سيف الدولة كان أحفى الناس بي جفوته وغادرته ، وكانت أهدى طريقى هى التى أعود فيها إليه فعدلت عنها إلى مصر . قال ابن جنى : كان يترك القصد ويتصف خوفًا على نفسه .

(٣) المانوية : أصحاب ماني — القائل بالنور والظلمة ؛ وأن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة — يخاطب نفسه يقول : كم للظلمة من نعمة عندك تبين أن المانوية الذين ينسبون الشر إليها كاذبون وليس الأمر على ما زعموا وقد بين تلك النعمة في البيت التالى .

(٤) الردى : الهلاك ؛ والسرى : السير ليلا ، يقول : إن ظلام الليل وقاك فائلة الأعداء وأنت تسير فيما بينهم ليلا فلا يصرونك وزارك فيه المحبوب آمنًا لم يخش الرقيب إذ حبه عن عيونه وقال ابن فورجه : الطيف قد يزور نهاراً ، فيكون كقول ابن المعتز :

لَا تَلْقَ إِلَّا لَيْلِي مَنْ تَوَاصَلُهُ فَالشمسُ نَمَامَةٌ وَالليلُ قَوَاد

هذا وقد ذكر شر النور في البيت التالى

وَيَوْمٍ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أَرَأَبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَقْرُبُ^(١)
 وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَغْرًا كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ^(٢)
 لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ تَجِيءُ عَلَيَّ صَدْرِي رَحِيبٌ وَتَذْهَبُ^(٣)
 شَقَقْتُ بِهِ الظُّلْمَاءَ أُذُنِي عِنَانَهُ فَيَطْفَأُ وَأُرْخِيهِ مِرَارًا فَيَلْعَبُ^(٤)
 وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأُنزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أُرْكَبُ^(٥)

(١) يقول : ورب يوم طال على طول ليل العاشقين استترت فيه خوفا من الأعداء أراقب غروب الشمس لأخرج من السكين وآمن على نفسي . فالواو واو رب ؛ وكنته : أى كنت فيه ، وأيان بمعنى متى

(٢) يقول : إنه كان في مسيره يراعى أذنى فرسه يحفظ نفسه بهما ، وذلك أن الفرس إذا أحس شيئا من بيد نصب أذنيه حياله فيعلم الفارس أنه أبصر شيئا . ثم وصف فرسه فقال : كأنه في سواده قطعة من الليل وكأن النمرة في وجهه كوكب من كواكب الليل قد بقى بين عينيه ، وهذا من قول أبي داود :

وَلَهَا جِبْهَةٌ تَلَأُلُ كَالشَّفَرِىْ أَضَامَتْ وَغَمَّ مِنْهَا النُّجُومُ

والنمرة : البياض في جبهة الفرس وباق : حال من الليل ، وسكن الياء ضرورة ثم حذفها لالتقاء الساكنين ؛ وقوله كوكب : أى كوكب - من كواكبه - أى كواكب الليل .

(٣) الإهاب : الجلد ؛ والرحيب : الواسع . يقول : إن هذا الفرس رحيب الصدر رحيب الإهاب ، ومن ثم كان واسع الخطو سريع الجرى ؛ إذ لو كان ضيق الصدر كان خطوه قصيرا ، وكذلك إذا كان ضيق الجلد ضاق عن مديديه ، ولهذا ترى الحمار يضيق إهابه عن مديديه ، وإذن ففي إهاب هذا الفرس فضلة عن جسمه تجيء وتذهب على صدره الرحيب .

(٤) يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس فإذا أدنيت لجامه إلى بجذبه وثب وطنى مرحا ونشاطا ، وإذا أرخيت لجامه لعب برأسه . فالمراد بطفيان الفرس : شدة النشاط والفرح ، والعنان : سير اللجام .

(٥) قفبته : أتبعته ، ومثله حال من الضمير في عنه ، وحين أركب : حال من الضمير

وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ

- وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يُجْرِبُ (١)
 إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيَاتِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحَسَنُ عَنكَ مُغِيبٌ (٢)
 لَخَالَهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخًا رَاكِبٌ فَكُلُّ بَعِيدٍ أَلَمٌ فِيهَا مُعَذِّبٌ (٣)
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَقْتَبُ (٤)
 وَبِي مَا يَذُودُ الشُّعْرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا ابْنََةَ الْقَوْمِ قَلْبٌ (٥)

في مثله . يقول : إذا طردت به وحشا لحقه فصرعته - قتلته - وإذا نزلت عنه بعد الصيد كان مثله حين أركبه فلم يدركه لقب ولم ينقص من جريه ونشاطه شيء ، مثل ما كان حين الركوب كما قال ابن المعتز

تَخَالَ أَخْرَهُ فِي الشَّدِّ أَوْلَهُ وَفِيهِ عَدُوٌّ وَرَاءَ السَّبْقِ مَذْخُورٌ

(١) يقول : إن الخيل بمثابة الصديق قليلة لدى التجربة والامتحان كثيرة في عين من لم يجرب ، فبالجربة تعرف الكوادر من السوابق ، كما أن الصديق يعرف بالتجربة ما عنده من صدق الود أو مذقه ، وحاصل المعنى أن الجياد من الخيل قليلة ، كما أن الصديق الذي يستحق الصداقة قليل .

(٢) الشيات : الألوان - جمع شية - يقول : إن مزايا الخيل فيها وراء ألوانها من جريها وعدوها وطباعها ، فإذا لم ترمها إلا حسن ألوانها وأعضائها لم تر حسنها ومزاياها .

(٣) لحاه الله : دعاء عليه : أي قبحه ولعنه ، وأصله من لحوت العود إذا قشرته ، ومناخا : نصب على التمييز . يذم الدنيا ويدعو عليها . يقول : بشئ المنزل الدنيا ، فإن من كان بعيد مرتقى الهمة كان أشد نصبا فيها .

(٤) يقول : ليتني أعلم هل تخلو لي قصيدة من شكاية الدهر وعتابه بأن يبلغني المراد وأناال منه ما أطلب فأترك الشكاية ؟

(٥) يذود : يدفع ويطرد ؛ وأقله : فاعل يذود ؛ وفلان قلب حول بصير عارف ذو حيلة قلب الأمور . روي أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه قال في مرضه الذي مات فيه لا بنيه : إنكما لتبكيان حولاً قلبي إن سلم من هول المطلاع . يقول المتنبي : إن

وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَدَحَهُ
 وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُنْبِئِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ (١)
 إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمِّمُ كَافُورًا فَمَا يَتَقَرَّبُ (٢)
 فَتَى يَمْلَأُ الْأَفْصَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً
 وَنَادِرَةً أَخْبِيَانِ يَرْضَى وَيَنْضَبُ (٣)

بى من هموم الدهر وما انصب على من حدثانه ونوبه ما أمله بمنع الشعر ويلهى الخاطر عنه ولكن قلبى حسن التقلب للأمر؛ فلا يضيّق بنوازل الدهر ولا تخدّمها خطراته، وقوله يا ابنه القوم فان العرب من عادتهم أن يخاطبوا النساء فسمت سمتهن، وإنما قال يا ابنه القوم إشارة إلى كثرة أهلها، وقال ابن جنى: هو كناية عن قولم يا ابنه الكرام.

(١) يقول: إن خلائق كافور من الظهور وانباهاة بحيث تنبئ عنه فما هو إلا أن تلى على فأكتب ولا أحتاج إلى جلب معنى أو جلب منقبة فأمدحه شئت أو أبيت إذ لم أت بشيء من عندى، وإنما هى أخلاقه تلى على. وقد أخذ الصحاب بن عباد هذا المعنى فقال:

وما هذه إلا وليدة ليلةٍ يغور لها شعرُ الوليد وينضب
 على أنها إملاء مجدك ليس لى سوى أنه يُبليّ عليّ وأكْتُبُ
 (٢) يمم قصد يقول: إذا اغترب الإنسان وفارق أهله وصمد إلى كافور آتسه ببطاياه وتفقدته إياه حتى كأنه بين أهله لم يفارقهم؛ وفي هذا المعنى يقول الأول:

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطانِ فى زَمَنِ المَحلِ
 فإزالِ بى إكرامهم وافتقادم وإلطافهم حتى حَسبتهم أهلى
 ويقول أبو تمام:

هُمُ رَهْطٌ مَنْ أَمسى بَمِيداً رَهْطُهُ وبنو أبى رَجُلٍ بغيرِ بِنى أبِ
 (٣) يقول: إن أفضاله مفعمة عقلا وحكمة ونوادير غريبة ترى ذلك له فى حالى رضاه وغبه لا يخلو منها فى حال وكل من نظر إلى أفضاله استشف منها العقل والسداد وأصالة الرأى. والنادرة: الشيء النادر القريب، ورواها ابن جنى بادرة: أى بديهة.

(٢٠ - التى ١)

إِذَا ضَرَبْتَ فِي الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ كَفَّهُ
تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ (١)
تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللَّبْثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ فَتَنْضَبُ (٢)
أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَا لَهُ
فَإِنِّي أَعْشَى مِنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ (٣)
وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفِّي زَمَانِنَا وَتَنْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفِّكَ تَطْلُبُ (٤)

(١) يقول : إن سيفه يعمل بكفه لا بنفسه فاذا نظرت إلى مضاء سيفه وأره في الوعى استبان لك أن سيفه إنما يستظهر بكفه على القطع ، لأن كفه يستظهر بالسيف لأن القطع إنما يحصل بقوة الكف لا بجودة السيف الماضى في يد الضميف لا يؤثر شيئاً — كما قال البحرى :

فَلَا تُفْلِحِينَ بِالسَّيْفِ كُلِّ غَلَاةٍ

لِيَمْضَى فَإِنَّ الْكَفَّ — لَا السَّيْفَ — يَقْطَعُ (١)

(٢) يقول : إن جوده أفضل من جود السحاب لأن عطاياه إذا مكثت عندك لم تنضب لأنه يعطى الجزيل الذى لا ينفد ، أو لأنه يوالى هباته ويمدها بغيرها . أما ماء السحاب فهو إذا مكث في الأرض وأقام حيناً نضب وذهب في الأرض وجف مكانه ، وقوله على اللبث : أى مع اللبث : حال من عطاياه ؛ وللبث : المكث ؛ ونضب الماء : ذهب في الأرض .

(٣) يعرض المتنبي بتقاضى ما يؤمل . يقول : إني أعشى منذ حين : أى أطربك بمديحى ، وأنت تشرب على غنائى : أى تلتذت سماع مديحى ، ومع ذلك تحرمنى الشراب ، فهل في الكأس فضلة أشربها ؟ أى هلا أعطيتنى ما يتوقمه مثلى من مثلك ؟ يعرض بطلب ولاية — كما صرح بذلك بعد .

(٤) يقول : إنك إذ تعطينى تعطينى على ما يليق بالزمان ويتفق وكرمه ، وأنا إنما أطلب ما توجه همتك ويقضيه كرمك .

(١) قوله فلا تغلين بالسيف : يقال غالى بالشيء وأغلى به إذا اشتراه بشمن غالى ؛ وغالى به وغلاه : سام فأبسط وجاوز الحد .

إِذَا لَمْ تَنْطَبِ صَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلَكَ يَسْلُبُ (١)
يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعِيدِ كُلُّ حَبِيبَةٍ حِذَائِي وَأَبْيَكِي مَنَ أَحِبُّ وَأَنْدُبُ (٢)
أَحِنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عُنُقَاهُ مَغْرِبُ (٣)
فَإِن لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو الْمِنْسِكِ أَوْهُمْ
فَإِنَّكَ أَحَلِّي فِي فُؤَادِي وَأَغْدَبُ (٤)

(١) ناطق به كذا: أسنده إليه؛ والضيعة: ما نسميه الآن «عزبة». يقول: إذا لم تقطعني ضيعة أو تقوض إلى ولاية فإن ما تكسوني إياه بجودك — أي ما يحده جودك من آمال — تسلبني إياه باشتغالك عن تحقيق تلك الآمال.

(٢) يقول: أرى كل الناس في هذا العيد فرحين مبتهجين يضاخكون من يحبون أمامي؛ أما أنا ففعل العكس منهم: أبكي من أحب وأنديه — كما يندب الميت — لأنه بعيد عني. يقصد المتنبي أن يفرى الأسود بإعطائه ما يطلب لقاء هذه الألاق التي يلاقيها من جراء اغترابه.

(٣) العنقاء المغرب قيل: العقاب، وقيل: طائر ضخمة ليس بالعقاب؛ وقيل: كلة لأصل لها: كالغول، وقال ابن الكلبي: كان لأهل الرس نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له دمع، مصعده في السماء ميل فكان ينتابه طائفة كأعظم ما يكون، لها عنق طويل، وكانت تقع منقضة، فكانت تنقض على الطير فتأكلها فجاعت وانقضت على صبي فذهبت به، فسميت عنقاء مغرباً، لأنها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت على جارية «وليدة» زرعت، وضمتها إلى جناحين لها صغيرين — سوى جناحها الكبيرين — ثم طارت بها فشكوا ذلك إلى نبيهم. فدعا عليها. فسلط الله عليها آفة فهلكت. فضربتها العرب مثلاً في أشعارها: يقولون ألوت به العنقاء المغرب، وطارته به العنقاء: يريدون هلاكه أو ذهابه إلى حيث لا يرجع. قال:

ولولا سليمان الخليفة حَلَّتْ به من يد الحجاج عنقاء مغربُ

ومغرب — من أغرب في البلاد: ذهب وأجد. يذكر المتنبي تشوقه إلى أهله، وبعد ما بينه وبينهم. بحيث لا يرجو لقاءهم.

(٤) يقول: إنني أوتر لقاءك على لقاءهم حين لا يتيسر لقاءك معاً لأنك أحب إلي منهم.

وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلَّى الْجَمِيلَ مُحْسَبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ (١)
يُرِيدُ بِكَ الْحَسَادُ مَا اللَّهُ دَافِعٌ وَسُمْرُ الْعَوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمُدْرَبُ (٢)
وَدُونَ الَّذِي يَبْتَغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا
إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ عِشْتَ وَالطُّفْلُ أَشِيبُ (٣)
إِذَا طَلَبُوا جَدْوَاكَ أُعْطُوا وَحُكِّمُوا
وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِي فِيكَ خُيَّبُوا (٤)

(١) أولاء جيلا : صنعه إليه . يقول : إنما أحببتك وآثرتك على أهلي لمأسديت إلى من الجميل ، وطابت لي الإقامة بساحتك لما القيت فيها من العز كما قال البحري :
وأحب أوطان البلاد إلى الفتى أرضٌ ينالُ بها كريم المطلب
ومعنى بيت المتنبي مبنى على ما ذكره في عجز البيت السابق .

(٢) والحديد المدرب : أى الهدد ، ومنه لسان ذرب : أى حاد - يريد السيف -
يقول إن الحساد يريدون بك السوء ، فلا ينالون ما يبتغون ، لأن الله يدفعه عنك ثم
الرماح والسيف .

(٣) يقول : ودون وصول الحساد إلى الذى يبتغون - من التيات الأمر عليك -
أحوال أى أحوال من جراء بأسك وبطشك هى أمر عليهم من الموت ، ولو لم تخلصوا
منها إلى الموت لقيت أنت وشاب أطفالهم لشدة ما يقاسون . وقد روى الجماعة بدل إلى
الموت : إلى الشيب . قال الواحدى : أى دون الذى يطلب الحساد - من زوال
ملكك وفساد أمرك - للموت وهو قوله مالو تخلصوا منه - أى الموت - أى أنهم
يموتون قبل أن يروا فيك ما يطلبون ، ولو لم يموتوا عشت أنت وشاب طفلهم لشدة
ما يرون وصعوبة ما يلحظهم وما يقاسون منك . وقال ابن جنى : دون ما يريدون من
السوء للموت الذى لو تخلصوا منه إلى الشيب لشاب طفلهم ، ولكنهم لا يتخلصون
من الموت إلى الشيب بل يقتلهم .

(٤) يقول : إذا طلبوا عطايك أعطيتهم وجعلت لهم الحكم فيما يطلبون فينالون كل
ما يقترحون ، أما إذا حاولوا أن يحصلوا على الفضل الذى آتاك الله فإنهم لا يدركونه ،
لأنه لا ينال بالاكتماب ، وإنما ذلك شئ آثره الله به . وعجاجة ابن جنى : إن راموا
فضلك منهم منه . قال ابن فورجه - مقباً على عبارة ابن الفتح : كيف يقدر الإنسان

وَلَوْ جَازَ أَنْ يَمْحُوا عُلَاكَ وَهَبْتَهَا وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُؤْهَبُ (١)
 وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ (٢)
 وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا الْمَلِكِ مُرَضِعاً وَلَيْسَ لَهُ أُمَّ سِوَاكَ وَلَا أَبَ (٣)
 وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبْلِهِ وَمَالِكَ إِلَّا الْهِنْدُوَانِيَّ مِخْلَبَ (٤)
 لَقَيْتَ الْقَنَا عَنْهُ بِنَفْسِ كَرِيمَةٍ
 إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنْ الْعَارِ تَهْرَبُ (٥)

أن يمنع آخر من أن يكون في مثل فضله ؟ وإنما الله القادر على ذلك . وقد أتى به المتنبي على ما لم يسم فاعله فأحسن .

(١) يقول : لست تؤذي من يغل وشع ، فلو كانت العلى توهب لوهبتها ، ولكنها لا توهب . والأصل في هذا المعنى قول الأول :

وإن يَقتَسِمَ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَوتِي فلن يَقسِموا خُلُقِي الكَرِيمَ وَلَا فَضْلِي
 والله قول أبي تمام :

فانفَحَ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيَمِكَ نَفْعَةً إن كانتِ الْأَخْلَاقُ مِمَّا يُؤْهَبُ (١)
 (٢) يقول : إن هؤلاء الحاسدين يتقلبون في نعمائك ، فما كان ينبغي لهم أن يحسدوك ، لأن أشد الظالمين ظمناً من قلب في نعمة إنسان ثم بات يحسده على تلك النعمة .

(٣) ذو الملك : هو علي بن الأخشيد صاحب مصر الذي رباه كافور بعد أبيه - يقول : أنت الذي رببته وقت عنه بحفظ ملكه وهو طفل مريض ، فكنت له أباً وكنت له أمّاً قوله رببت ذا الملك : أي صاحب هذا الملك : قالوا : ولو قال المتنبي وأنت الذي ربى لكان أحسن ، ولكنه قال رببت كما قال كثير :

وأنت التي حببت كل قصيرة إلى وما تدرى بذاك القصائر
 (٤) يقول : وكنت لذي الملك كالأسد لشبله تذود عنه وتحميه بسيفك الذي هو لك بمنزلة الحلب للأسد يحمي أشباله به ؛ والعرين : الأجمة ، والشبل : ولد الأسد ، والهندواني : السيف الهندي ، والحلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان .
 (٥) يقول . ذبت عنه الرماح ولقيتها بنفسك دونه ، حمية له وحفاظاً وكرماً

(١) الحميم : الحلق وقيل سعة الحلق ، والحميم الأصل

وَقَدْ يَتْرُكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَهَيَّبُ (١)
وَمَا عَدِمَ اللَّاقُوكَ بَأْسًا وَشِدَّةً وَلَسَكِنَ مَنْ لَاقَوْا أَشَدُّ وَأُنْجَبُ (٢)
ثَنَانُهُمْ وَبَرَقَ الْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ صَادِقٌ
عَلَيْهِمْ وَبَرَقَ الْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ خُلْبُ (٣)
سَلَّتْ سُيُوفًا عَلَّتْ كُلَّ خَاطِبٍ
عَلَى كُلِّ عُوْدٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ (٤)

لأنك من الشجاعة والإباء بحيث تهرب في الحرب من العار إلى الموت : أى تلقى بنفسك إلى التهلكة ، وتمتاز « تختار » ذلك على المهزيمة . فالتقنا : الرماح . والهيجا : الحرب — تمد وتقتصر ،

(١) يقول : إن الموت قد يترك الشجاع للمقدام الذى لا يهابه ولا يباله ، ويلقى بنفسه إلى التهلكة ، وقد يدرك الجبان الهياة الذى يهاب الموت ويخشاه . فالضمير فى يترك : للموت . ويخترم : أى يهلك .

(٢) يقول : وإن الذين يلاقونك فى الحرب لم يدموا بأساً وشدة : أى هم شجعان أشداء ، بيد أنك أشد منهم وأنجب ، ومن ثم تبطش بهم . ومثل هذا لزرع ابن الحارث :

سَقِينَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبِرًا

(٣) البيض - بالكسر - السيوف ، وبالفتح : جمع بيضة ، وهى الخوذة من حديد . والبرق الخلب : الكاذب الذى لا مطرفه يقول : لقد هزمتهم وصرقتهم عنك وسيوفك تفرع خوذهم ، فكان لكل من السيوف والخوذ برق فى الآخر ، غير أن برق السيوف فى الخوذ صادق لأنها تقطع الجناح فتسيل دماؤهم بعده ، أما برق الخوذ فى السيوف ، فهو خلب كاذب لأنها تبرق ولا تسيل الدم فليس لها أثر . وعجارة ابن جنى : يريد أن لمع السيوف صادق لأن السيف إذا ضرب به قطع وبلغ البيض ، وبرق البيض - الخوذ - لا يصدق على السيوف لأنه لا أثر للمع البيض فى السيوف ، فشبّه بالبرق الخلب الذى لا مطرفه ، والأول تأثيره كالبرق الصادق الذى فيه المطر :

(٤) العود هنا : النبر . قال ابن جنى : يقول ، لما رأى الناس ما صنعت سيوفك بأعدائك أذعنوا لك بالطاعة فدعوا لك على منابرهم وغبه ورهبة . وقال بعض الشعراء :

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنَسَّبُ (١)
 وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحْضِكُ قَدْرَهُ مَعْدُ بْنُ عَدْنَانَ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ (٢)
 وَمَا طَرَبَ لِمَا رَأَيْتُكَ بِدَعَا لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ (٣)
 وَتَعَذَّلْنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهَمَّتِي كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ (٤)

يريد أن سيفك تعلم الخطباء الخطبة باسمك في الدعاء : يعنى أنك أخذت البلاد بسيفك ،
 فصار كل خطيب بلد يخطب باسمك : أى يدعو لك .

(١) تناهى - بحذف إحدى التاءين - أى تنهاهى . يقول : إنك فى غنى عن
 الأنساب التى يذكرها النسابون لغيرك ، لأن المكرمات تنهاهى إليك وتعزى - إذ
 كنت أصلاهما - إليك ؛ وحسبك هذا شرفا يغنيك محموده عن النسب . ولاحظ أن
 هذا شبه غمز فى كافور قد يكون مقصوداً للمتنبى الداهية ، وقد يكون غير مقصود ،
 ومن هنا قال التبريزى : ليس هذا مما يمدح به ، ولا سبها للولك ، لأنه أشبه بنفى النسب
 عنه . على أن هذا المعنى ينظر إلى قول ابن طاهر :

خَلَاتِقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبٌ تَنَاهَى إِلَيْهَا كُلُّ مُجَدِّ مُؤَثَّلٍ
 وَقَوْلُهُ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ ، فَالنَّاسُ : فاعل ينسب ؛ والتقدير عما ينسبه الناس : أى
 عن النسب الذى ينسبه الناس .

(٢) يقول : ليس هناك من يستحق أن تنسب إليه ، لانك فوق كل أحد . قال
 التبريزى : هذا سخرية منه وقد كان المتنبى يقول لو قلبت مدحى فيه كان هجاء .
 (٣) فأطرب : عطف على أرجو . يقول : ليس طربى عند رؤيتك بدعا لائى
 كنت أرجو أن أراك فأطرب على الرجاء . قال الواحدى : هذا البيت يشبه الاستهزاء به
 لأنه يقول : طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على وؤبة القرد وكل ما يستملح
 ويضحك منه . . . قال ابن جني : لما قرأت على أبى الطيب هذا البيت قلت له ما زدت
 على أن جعلت الرجل أبازنة - وهى كنية القرد - فضحك !

(٤) يقول : إن شعرى وهمتى يلوماني على أن لم أقصدك قبل غيرك ولم أقصر مدحى
 عليك ، فكانتى أذنبت بمدحى غيرك ، فكنت أهلا لأن الام . وهذا المعنى من
 قول أبى تمام :

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُذْنِبًا يَوْمَ أَتَيْتِي سِوَاكَ بِأَمَالِي فَعَجَبْتُكَ تَائِبًا
 وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ : الْمَصْرَاعُ الْأَوَّلُ هِجَاءٌ صَرِيحٌ لَوْلَا الثَّانِي . قَالَ الْخَطِيبُ الْبَرِيزِيُّ :

وَلَكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ
أَقْتَسُ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ وَيُنْهَبُ (١)
فَشَرِقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ
وَعَرَبَ حَتَّى لَيْسَ لِلغَرَبِ مَغْرِبٌ (٢)
إِذَا قُلْتَهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ
جِدَارٌ مَمْلُؤٌ أَوْ خَبَاءٌ مُطَنَّبٌ (٣)

ليس في البيت جهاء ومعناه أن همته عدته كيف قنع بغيره ؛ والقوافي لم صرفها في مدح غيره ؟ وشهد له بذلك بقية البيت . أقول : إن الخطيب لم يقل شيئا ؛ ومالا حظه الواحدى صحيح .

(١) يقول : ولكنه طال طريق إليك ، نجبت كثيرا من البلدان حتى وصلت إليك وكنت في غضون ذلك أطالب بقول الشعر ومدح الناس ، فكان شعري لذلك كأنه ينهب منها . يتندر النبي إلى كافور عن مدح غيره .

(٢) يقول : فشرق كلامي حتى بلغ أقصى الشرق حيث لا مشرق وراء ذلك ، وكذلك غرب حتى بلغ أقصى الغرب . وهذا من قول أبي تمام :

فَفَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ المَغَارِبَا

(٣) مطنب : أى مشدود الأطناب . يقول : إذا قلت شعرا لم يمتنع من وصوله إلى ما وراءه حائط قائم مرتفع ولا خيمة مشدودة بالأطناب . يريد أن شعره قد عم الأرض حتى شمل الحضرم سكان الدر؛ والبوسكان الوبر . وهذا كقوله :

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ مِنْ مِقْوَالِي وَثَبْنَ الجِبَالِ وَخَضْنَ البحَارَا

وقال يمدحه ، وأنشده إياها في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وهي آخر ما أنشده ، ولم يلقه بعدها :

مَنْ كُنَّ لِي أَنْ الْبَيَاضَ خِضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ^(١)

(١) لك أن تقول أن البياض خضاب مؤولة بمصدر مبتدأ مؤخر ، ومنى : خبر مقدم ، وكن لي : وصف لمنى ؛ وللي : جمع منية ؛ والقرون : ضفائر الشعر ، قالقيس : وهل مالت عليك قرون ليلى كيل الأحوانة في نداها

يقول : إن مشيبي هذا وكون البياض خضاباً لي يخفى به سواد شعري منى كانت لي قديماً : يعنى أنه كان يتمنى الشيب من قديم ليخفى شبابه بابيضاض شعره لأنه أوفر وأجل في العين . وجمع المنى نظراً إلى أن ذلك قد تكرر منه مرة بعد أخرى ، فصارت كل مرة منية ، وسمى البياض بالشيب خضاباً لإخفاء السواد به ، كما أن السواد الذى يخفى البياض يسمى خضاباً .

(هذا) . ولا علينا في أن نورد هنا تحقيقاً نحوياً للعلامة العكبرى لمناسبة إعراب

* منى كن لي أن البياض خضاب *

قال العكبرى :

منى نكرة وهى مبتدأ ، وقد يفيد الابتداء بالنكرة إذا أخبرت عنها بجملة تتضمن اسماً معرفة ، كقولك امرأة خاطبتنى ، وكذلك إن أخبرت بظرف مضاف إلى معرفة كقولك رجل خلفك ؛ وإنما منع الابتداء بالنكرة لأن النفس تتنبه بالمعرفة على طلب الفائدة ، وإذا كان الخبر عنه مجهولاً كان الخبر حقيقاً باطراح الإصغاء إلى خبره لأنه لا يعرف من أخبر عنه وشرط الكلام إذا كان المبتدأ نكرة أن يتضمن الخبر اسماً معرفاً أو أن يتقدم الخبر : كقولك لزيد مال ؛ لأن الغرض في كل خبر أن يتطرق إليه بالمعرفة ويصدر الكلام بها ، وهذا موجود ههنا لأنك وضعت زيدا مجروراً لتخبر عنه بأن له مالا قد استقر ، فقولك لزيد مال في تقدير زيد ذو مال ، فالمبتدأ الذى هو مال هو الخبر في الحقيقة ، وزيد هو المبتدأ فى المعنى ، وقوله كن لي مفيد ، لأن فى ضمن الخبر ضمير التكلم ، وهو أعرف المعارف ؛ ولو قال منى كن لرجل لم يحصل بذلك فائدة لخلوه من اسم معروف وقوله إن البياض يحتمل الرفع والنصب ؛ فالرفع على إضمار ابتداء

كانه قال إحداهن أن البياض لأنه قد أخبر أن ذلك أيام شيبته بقوله ليالى عند البيض وأما النصب فعلى إضمار تمنيت لدلالة منى عليه كما أضمر تتبع في قوله تعالى « قل بل ملة إبراهيم » وإذا قيل إن التنى مما لم يثبت كالرجاء والطمع فلا يقع على أن الثقبلة لأنها للتحقيق ، فهى أشبه باليقين ، وإنما يقع التنى وما شاكلة على أن الخفيفة لأنها تخلص الفعل للاستقبال ، فهى أشبه بالطمع والرجاء والتنى من حيث تعلقت هذه المعانى بما يتوقع ، ومنه قول لبيد :

تنى ابتئى أن يعيش أبوها وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر^(١)

قل لا يمتنع وقوع التمنى على أن الثقبلة ، كما لم يمتنع وقوع وددت عليها ووددت وتمنيت بمعنى واحد . وفى التنزيل : « وتودون أن غير ذات الشوكة » الآية ويجوز أن يكون منى : منصوبة نصب الظروف ؛ والجملة التى هى كنى وأن واسمها وخبرها نعت لها ، فتتعلق أن بما قبلها كأنه قال فى منى كنى لى أى فى جملة منى ، كما قالوا : أحقا أنك ذاهب وأكبر ظنى أنك مقيم يريدون فى حق وفى أكبر ، وإذا أردت معنى الظرفية فى منى فلك فى أن مذهبان : فذهب سيويه والآخر الكوفيين رفع أن بالظرف ، وكل اسم حدث يتقدمه ظرف يرتفع عند سيويه بالظرف ارتفاع الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله غدا الرحيل وأحقاً أنك ذاهب ، قال : حملوه على أفى حق أنك ذاهب ، وإذا كان هذا مذهب سيويه ومن معه فالنية تقارب الظن ، فيحسن أن تقول أكبر منى أنك ذاهب ، فنصب أكبر بتقدير فى ، وأنشد :

أحقاً بنى أبناء سلمى بن جندلٍ تَهْدُكُمْ لِيَأَيَّ وَسَطِ الْمَجَالِسِ^(٢)

(١) من أبيات لبيد قالها قرب وفاته وبعده

فقوماً فقولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضع ولا خان عهداً ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

(٢) هذا البيت للأسود بن يعفر شاعر جاهلى ، وهو من أبيات راجعها وراجع سببها فى الأغاني وفى خزائن الأدب فى شواهد المبتدأ والخبر . وبنى منادى مضاف لما

لَيْلِي عِنْدَ الْبَيْضِ فَوَدَّأَى فِتْنَةً وَفَخَرُّهُ وَذَلِكَ الْفَخْرُ عِنْدِي عَابٌ (١)
 فَكَيْفَ أَذْمُ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي
 وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أُجَابُ (٢)
 جَلَّ اللَّوْنُ عَنِ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَنْسَلِكٍ
 كَمَا أَنْجَابَ عَنِ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابٌ (٣)

والمذهب الآخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع أسماء الحدث بالابتداء ، ويخبر عنه بالظرف التتقدم حكاة عنه سيويه قال : وزعم الخليل أن التهديد هنا بمنزلة الرحيل في غد وأن أن بمنزلة وموضعها كوضعه .

(١) البيض : النساء ، والفودان جانباً الرأس ؛ والعباب : هو العيب . يقول : إن تمنى الشيب كان في الليالي التي كان شعر رأسه فيها لدى النساء فتنة لحسن شعره وسواده ، وكن يفخرن بوصولي ؛ بيد أن ذلك الفخر عيب عندي ، لأنني ممن يعفت عن النساء ويرغب عن صالحهن .

* وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّبِيْبَةُ أَنْزَقُ *

وقوله ليالي : منصوب بفعل مضمر دل عليه مني كأنه قال تمتت ذلك ليالي فوداي عند النساء فتنة وليالي مضاف إلى الجملة بعده ، وقد فصل بالظرف وهو قبيح (٢) يقول : فكيف أذم الشيب اليوم ، وقد كنت آتمناه وأشتهيه ؟ وكيف أدعو لنفسي وأطلب لها ما إذا أجبت إليه شكوته : يعني لا ينبغي أن أشكو الشيب انتهاء وقد دعوته ابتداء . وقد سميت في هذا سميت ابن الرومي في قوله :

هِيَ الْأَعْيُنُ النَّجْلُ الَّتِي كُنْتُ تَشْتَكِي مَوَاقِعَهَا فِي الْقَلْبِ وَالرَّأْسِ أَسْوَدُ
 فَالْكُ تَأْسَى الْآنَ لِمَا رَأَيْتَهَا وَقَدْ جَعَلْتَ مَرْمِيَّ سِوَاكَ تَعَمُّدُ
 (٣) جلا : زال وانكشف — من قولهم جلا القوم عن منازلهم : إذا ارتحلوا .

وانجباب : انكشف ، والضباب : ما يصعد من الأرض إلى السماء ، مثل الدخان : الواحد ضبابة ؛ ويقال أضب يوماً : أي صعد فيه الضباب يقول : إن يياض الشيب كان

بعده ، وتجد في الخزانة تحقيقاً وافياً لهذا الموضوع الذي تعرض له الإمام العسكري فراجعه إن شئت

وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ
(١) وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْدِ مِنْهُ حِرَابٌ
لَمَا ظَفَرَتْ إِنْ كَلَّ ظَفْرُهُ أُعِدَّهُ
(٢) وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي الْفَمِ نَابٌ
يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا
(٣) وَأَبْلَغُ أَقْصَى الْمُنْصَرِّ وَهِيَ كَمَا ب
وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي بِي صُحْبَتِي
(٤) إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابٌ
غَيْءٌ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَفِزُّنِي
(٥) إِلَى بَلَدٍ سَأَفَرْتُ عَنْهُ إِيَابٌ

كأنه كامن في السواد ، فلما زال السواد عنه بدا وانكشف ، فاهتدى صاحبه إلى كل طريق من الرشد والخير : كالنهار إذا جلا عنه الضباب اهتدى السالك في ضوءه .
(١) لما ذكر أنه كان يتمنى الشيب — والشيب فيه الضعف والعجز — ذكر أن همته لا تشيب ولا ينال منها الضعف بشيب جسمه ، ولو أن الشعرات البيض في وجهه كانت حرابا . والهاء في قوله منه : للجسم .
(٢) يقول : إن كل ظفري ولم يبق في فمي ناب من الكبر ، فحتى لا يكل ظفرها ولا يذهب نابها ، قال العكبري : قوله أعده في موضع جزم ، جواب الشرط ، واختار سيويه في المضاعف الرفع في موضع الجزم
(٣) غيرها استثناء ، والكماب : الجارية يبدو ثديها للنهود . يقول : إن نفسي شابة أبدا لا يغيرها الدهر ، وإن تغير جسمي .
(٤) يقول : إذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتد للطريق اهتدى بي أصحابي وكنت لم كائنهم الذي يهتدى به ، يريد أنه خريت خيرا بالفلوات . والصحبة : اسم جمع بمعنى الأصحاب ، وروى تهتدى صحبتي به .
(٥) يستفزني : يستخفي ويحركني . يقول : إني غير مولع بالأوطان وجميع البلاد عندي سواء ، فإذا غادرت وطناء لم يستخفي حب الرجوع إليه .

وَعَنْ ذَمْلَانَ الْعَيْسِ إِنْ سَاحَتْ بِهِ وَإِلَّا فَنِي أُكْوَارِهِنَّ عُقَابٌ^(١)
 وَأَصْدَى فَلَا أُبْدَى إِلَى الْمَاءِ حَاجَةٌ وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمَلَاتِ لُعَابٌ^(٢)
 وَلِلسَّرْمِيِّ مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابٌ^(٣)
 وَلِلخَوْدِ مِنِّي سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا
 فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ الْقَاءِ تُجَابٌ^(٤)

(١) التملان : ضرب من السير ؛ والعيس : الإبل . وقوله : إن ساحت به ، كلام مستأنف وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره : سرت عليها ؛ والأكوار : جمع كور ، وهو الرحل . والقاب : الطائر المعروف . يقول : وأنا غني كذلك عن سير الإبل ، فإن سمحت به سرت عليها ، وإلا فإنني كالعقاب : أجوب الفياق دون أن أحتاج إلى ما يحملني

(٢) yeemalat : النياق النجبية العملة المطبوعة على العمل ؛ ولعاب الشمس : ما يراه المسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه . يقول : وأعطش في الفياق الحارة التي يشتد فيها حر الشمس ويسيل لعابها فوق الإبل ، فلا أبدو حاجتي إلى الماء تصبرا وتجهداً وحزماً، وهذا من قول أبي تمام :

جَدِيرٌ أَنْ يَكُرَّ الطَّرْفُ شَرَّراً إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهُوَ صَادِي

(٣) النديم : الذي ينادمك ويجالسك على الشراب . يقول : إنه كتوم للأسرار يضع السر حيث لا يطلع عليه النديم ولا يصل إليه الشراب مع تغلفه في البدن كما قال مسكين الدري :

يظلون شتى في البلاد وسرم إلى صخرة أعين الرجال انصداعها

وقد نظر التنبي في هذا البيت إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

تغلف حُبُّ عثمة في فؤادي وبأديه مع انخافي يسيرُ

تغلف حيث لم يبلغ شرابُ . ولا حُزْنٌ ولم يبلغ سرورُ

(٤) الخود من النساء : الشابة الناعمة . وتجاب : تقطع . يقول : إنما أصعب

للرأة قدرا يسيراً ثم أسافر عنها ، فيكون بيني وبينها فلا أقطعها إلى غير لقاءها . أو تقول : ثم أبتعد عنها ، وأمعن في الابتعاد .

وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبُ نَفْسَهُ فَيَصَابُ (١)
 وَغَيْرُ فُؤَادِي لِلنَّوَانِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابٌ (٢)
 تَرَكَنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ
 فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بَيْنَ لِمَابٍ (٣)
 نُصْرَفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرِ قَدِ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِمَابٌ (٤)

(١) الغرة : المرور . يقول : إن عشق النساء غرور بهن وطمع في وصلهن إذا وقعا في قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به . ويروي قصاب — بضمير النفس — فيكون المعنى : إن دواعي العشق تقع أولا في القلب ، ثم تتقاد النفس لهوى القلب ، لأنه يستهوئها ويفلها على رشدها .

(٢) النوانى : الحسان ؛ والرمية الطريدة التي ترمى . يقول : إن قلبي لا تصفيه النساء بسهام الحافظين إذلا أصبو إليهن ، وإنما أنا عزهاة عزوف النفس عنهن ، وكذلك لا أحب الخمر ومعاقرتها فبناني ليست مطايا للزجاج : أى لا أحمل كأس الخمر يدي . ويروي للرخاخ — جمع رخ — فيكون المعنى : ولست بمن يلعب الشرطج . قال ابن فورجه : يرد على هذه الرواية : البنان ركاب القدح وأما الرخ فالبنان راكبة له في حال حمله ، وأيضا فإنه كلمة أمجمية لم تستعملها العرب القدماء ولا الفصحاء ، والتنزه عن شرب الخمر أليق بالتنزه عن الفزل من اللعب بالشرطج

(٣) اللعاب : الملاعبة ومنه حديث جابر : مالك وللعذارى ولعابها ؟ والتلعاب — بالفتح اللعاب ، صيغة تدل على تكثير الصدر . ويقال رجل تلعباة — بكسر التاء — وتلعاب وتلعابة : كثير اللعب . يقول : تركنا شهواتنا للرمح : أى لالذة لنا إلا فيها ، يريد أنه فطم نفسه عن الملاهي ، وقصرها على الجد في طعان الأعداء .

(٤) نصرفه : أى القنا ؛ والحوادر : الخيل الغلاظ السمان . وتروى حوادر — بالحاء المعجمة — أى كأنها أصابها الخدر لما لحقها من التعب والجراحات ورويت حواذر — بالحاء المهملة والذال المعجمة — يعنى خيلا تحذر الطعن لأنها معودة ومن ثم تميل عنه . والكماب : المقد بين أنابيب الرمح . يقول — على رواية حوادر — : نصرف الرماح وتنقلها من حال إلى حال فوق خيل غلاظ سمان قد ألفت الطعن وانكسرت فيها كماب من القنا ؛ وهذا من قول الجاهلي :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجُ سَابِحٍ
وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ (١)
وَبَحْرٌ أَبُو الْمَسْكِ الْخَضَمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُجَابٌ (٢)
تَجَاوَزَ قَدْرَ اللَّذِجِ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَحْسَنِ مَا يُنْفَى عَلَيْهِ يُعَابٌ (٣)

وكنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَسَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاةِ بِنَايَا
هذا ورواية حواذر هي رواية ابن جنى ، وقد تقدما بعض الشراح بقوله : كيف
يصفها بالخدر وقد وصفها بانكسار الرماح فيها ؟ وقد دافع بعضهم عن هذه الرواية
بقوله : يجوز على رواية ابن جنى هذه أن يكون حواذر أى تميل عن الطمن وتخدره
بكثرة ما قد طوعن عليها ، فقد عرفت كيف تعمد عن الطمن . وقوله انقصت فهن
من الطمن كعاب ، يجوز أن يكون فى أول ما طوعن عليها وهى فى غرة من الطمن
فلما كثر الطمان عليها وألفته طارت تخدره وتبطله بميلها عنه . ويجوز أن يكون المراد
تخدر الطمن وتعمد عنه . ومن كثرة الفرسان الذين يقاتلونها يصيبها من الطمن قليل
وتسلم لخدرها من طمن كثير .

(١) الدنى : جمع دنيا ، والسابح : الفرس السريع الجرى يقول : إن سرج الفرس
هو أعز مكان لأنه يمتطى لطلب المعالى أو محاربة الاعداء لدفع شرم ، أو للهرب من
الضيم واحتمال الذل ، وأن الكتاب هو خير جليس لأنه مأمون الجانب فلا أذى ولا شر
ولا يحتاج فى مجالسته إلى مؤنة فضلا أنه يفاد من آدابه وكل ما يحتويه والله القائل :

مَا تَعَلَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُنْبِي جَلِيسًا
(٢) بحر : خبر مقدم ، وأبو المسك : مبتدأ مؤخر . والخضم : صفة له ، والخضم :
الكثير الماء ، وزخر البحر : طمى وامتد ، والعباب كثرة الموج وارتفاعه . يقول .
وأبو المسك الخضم بحر يربو على كل بحر جوداً وعطاء ، وهذا كقول الشاعر :

دَعَانِي إِلَى عُمَرٍ جُودِهِ وَقَوْلِ الْعَشِيرَةِ بِحَرِّ خَضَمٍ

وروى : وبحر أبو المسك ، على أن بحر : مبتدأ مضاف إلى أبى المسك والخضم خبره :
أى أن بحر المسك هو البحر الخضم . وروى ابن جنى وبحر - بالجر - عطا على جليس :
أى وخير بحر أبو المسك .

(٣) يقول : هو فوق كل مدح يثنى عليه به ، فإذا بالفت فى حسن الثناء عليه استحق

وْغَالِبَهُ الْأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَوْا لَهُ كَمَا غَالَبَتْ بِيضَ الشُّيُوفِ رِقَابٌ (١)
وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَى أَبَا الْمِسْكِ بَذْلَةً إِذَا لَمْ تَصْنُ إِلَّا الْحَدِيدَ ثِيَابٌ (٢)

قدره فوق ذلك ، فيصير ذلك الثناء الحسن كأنه عيب لقصوره عن استحقاقه ، وهذا كقول البحري :

جل عن مذهب المديح فقد كما د يكون المديح فيه هجاء
وقال ابن جنى : هذا من المدح الذى كاد أن يتقلب لإفراطه هجوا ، وهذا ضد قول
أبي نواس :

وكلهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندى بالذى عابوا

(١) عنوا : خضعوا وذلوا : قال تعالى : وعنت الوجوه للحى القيوم « من العنوة »
وهى القهر . يقول : وحاول الأعداء غلبه ثم عجزوا عن غلبته فخضعوا له وانقادوا
كل رقاب إذا غلبت السيوف آضت مغلوبة

(٢) بذلة : تمييز ؛ اسم من الابتذال ؛ وهو أن يترك المرء صيانة نفسه يقول :
وأكثر ما تلقاه مبتذلا نفسه لم يحصنها بالدرع حين لا يصون الأبدان شيء من الثياب إلا
الحديد : أى إبان اشتداد الوغى وتكاثر الجيش عليه يعنى أنه لشجاعته وإقدامه لا يتوقى
الحرب بالدرع والحديد . فالحديد مستثنى مقدم من الثياب . وهذا كما قال الأعشى :

وَإِذَا تَكُونُ كَتِيبَةٌ مَلُومَةٌ شِبَاهُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِهَالَهَا

كُنْتَ الْقَدَمَ غَيْرَ لِأَبِي جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أَبْطَالَهَا (١)

هذا ، وقد ذهب ابن جنى إلى غير ما أوردناه قال : إذا لبست الأبطال الثياب فوق
الحديد خشية واستظهاراً ، فذلك الوقت أشد ما يكون تبذلا للطمع فجعل الثياب كما ترى
تصون الحديد . قال العروضى يرد عليه : أظن أبا الفتح يقول قبل أن يتدبر ؛ وإنما التنبؤ
جعل الصون للحديد لا للثياب . يريد إذا لم يصن الثياب إلا الحديد يعنى الدروع ، وإنما
يريد التنبؤ لانه المستثنى وأنشد بيت الكهيت .

ومالى إلا آل أحمد شيمة ومالى إلا مذهب الحق مذهب

(١) كتبية ملومة مجتمعة : وشبهاء لما فيها من بياض السلاح والحديد ، ونهالها
عطاشها ، والجنة ما وراك من السلاح ، وأبطالها مفعول تضرب ، ومعلى : حال .
ورجل معلم إذا علم مكانه فى الحرب بعلامة أهلها . وسيأتى شرح البيتين .

وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ رِمَاءٌ وَطَعْنٌ وَالْأَمَامَ ضِرَابٌ^(١)
 وَأَنْفَذُ مَا تَلْقَاهُ حُكْمًا إِذَا قَضَى قَضَاءَ مُلُوكِ الْأَرْضِ مِنْهُ غِيَابٌ^(٢)
 يَتَقَوَّدُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ وَلَوْ لَمْ يَتَقَدَّهَا نَائِلٌ وَعِقَابٌ^(٣)
 أَيَا أَسْدًا فِي جِسْمِهِ رُوحٌ ضَيِّغَمٍ وَكَمْ أَسْدٍ أَرْوَاحُنَّ كِلَابٌ^(٤)

ومعنى البيت : أكثر ما يليق هذا المدوح في الحرب بإذلا نفسه لم يحصنها بدرع كما تفعل الأبطال ، وذلك لشجاعته وإقدامه ، ومن ثم لا يتوقى الحرب بالدرع . . . وهذا الذى قاله العروضى هو الذى قلناه .

(١) يقول : وأوسع ما يكون صدرا إذا حى الوطيس وأحاط به العدو من كل جانب وكان خلفه الرماء والطعن وأمامه الضراب . ققوله وأوسع : مبتدأ ؛ وقوله وخلفه رماء : جملة حالية قامت مقام خبر أوسع ، والرماء : الرمي ، والضراب : الضرب ؛ ولكنهما تدلان على المفاعلة ، والأمام : منصوب على الظرفية ؛ وقال ابن جنى : المعنى : أوسع ما يكون صدرا إذا تقدم فى أول السكتية يضرب بالسيف وأصحابه من ورائه بين طاعن ورام . فجعل ابن جنى الرماء من أصحاب المدوح ، وليس فى هذا مدح ، لأن كل أحد إذا كان خلفه من يرمى ويطن من أصحابه فصدرة واسع وقلبه مطمئن ، وإنما أراد - كما قلنا - خلفه رماء وأمامه طعن من أعدائه . يعنى : إذا كان فى مأزق متضايق فى الحرب ، وقد أحاط به العدو من كل جانب لم يضق صدره وإنما تراه أوسع ما يكون صدرا .

(٢) يقول : إذا أراد أمرا لا يرضى به سائر الملوك فذلك الأمر أنفذ أحكامه لأنهم لا يقدرون على خلافه وقد استقادوا له : أى أعطوه مقادتهم . فهما أبرم أمرا نفذ وإن غضبهم فيه .

(٣) النائل : العطاء . يقول : لو لم يطعمه الناس رغبة فى عطائه ولا رهبة لعقابه لأطاعوه محبة وإجلالا لما اختصه الله به من الفضل

(٤) يقول : أنت أسد قوة وبطشا ، وهمتك همه الأسود - والأسد موصوف بجاو الهمة ، فهو لا يأكل من فريسة غيره كما قال الشاعر :

وكانوا كأنفِ الليثِ لا شَمَّ مرغماً ولا نالَ قط الصيدِ حتى يُعفراً^(١)

(١) أى أنه لا يطعم إلا بما صاده بنفسه .

وقد قال أبو تمام :

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ثم قال النبي - وأراد ما عداه من الملوك - : وكم من أسد ذئب النفس ساقط الهمة؟ أى كم من ملك يشبه الاسد في قوة بطشه ولكن روحه روح كلب ؟ هذا وللعلامة العكبرى هنا كلمة في النادى أوردتها المناسبة إعرابه «أيا أسدا» رأينا أن نوردتها لنفسها ولأننا أخذنا على أنفسنا أن لا نقفل شيئا مما أوردته جميع السراح . قال العكبرى : أيا أسداً : هو نداء منكر ينتصب بفعل مضمر ، ولو رفع ونون لكان أجود؛ لأنه خصصه؛ والنكرات إذا خصصت كان حكمها في النداء كحكم المفرد العلم : قال الله تعالى « يا خيال أوبى معه » فلما خصصها بالنداء كان حكمها حكم العلم المفرد ؛ والطير من رفعه جمل . عطفنا على الجبال ، ومن نصبه - وهو المشهور - فله ثلاثة أوجه : الأول : أن يكون عطفاً على موضع الجبال لأنها في موضع نصب؛ الثانى : أن تكون الواو بمعنى مع ؛ الثالث : أن يكون مفعولاً عطفاً على ما قبله وهو قوله تعالى « ولقد آتينا داود منا فضلاً » ؛ واختلف البصريون وأصحابنا الكوفيون في النادى ؛ فقال البصريون : هو مبنى على الضم وموضعه نصب ، لانه مفعول . وقال أصحابنا : بل هو معرب مرفوع بغير تنوين ، وحجتنا أنا وجدناه لا يصحبه ناصب ولا رافع ولا خافض ووجدناه مفعولاً في المعنى ولم نحفضه لثلاث يشبهه بالمضاف إلى ياء التكلم ؛ ولم ننصبه لثلاث يشبهه مالا ينصرف فرفضناه بغير تنوين ليكون بينه وبين ما هو مرفوع برفع صحيح فرق . وأما المضاف فنصبناه لأننا وجدنا أكثر الكلام منصوباً بحملناه على وجه من النصب لأنه أكثر استعمالاً من غيره . وحجة البصريين على أنه ليس بمعرب بل هو مبنى - وإن كان يجب في الأصل أن يكون معرباً - أنه أشبه كاف الخطاب ، وهى مبنية فكذلك ما أشبهها من هذه الأوجه ، فوجب أن يكون مبنياً ؛ ووجه آخر : وهو أنه وقع موقع اسم الخطاب ، لأن الأصل في قولك : يا زيد ، يا إياك ، ويا أنت . لأن النادى لما كان مخاطباً كان ينبغى أن يستغنى عن ذكر اسمه ويؤتى باسم المخاطب ، فيقال يا إياك ؛ ويا أنت ، فلما وقع الاسم النادى موقع الخطاب : وجب أن يكون مبنياً ؛ كما أن اسم الخطاب مبنى . قالوا وبنيناها على الضم لوجهين ، أحدهما : أنه لا يخلو إما أن يبنى على الفتح أو على الكسر أو الضم ، بطل أن يبنى على الفتح لأنه كان يلتبس بما لا ينصرف ، وبطل أن يبنى على الكسر

وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلَكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيَهَابُ^(١)
لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقُّ يُلْطَهُ وَقَدْ قَلَّ إِعْتَابُهُ وَطَالَ عِتَابُهُ^(٢)
وَقَدْ تُحَدِّثُ الْأَيَّامُ عِنْدَكَ شَيْمَةً وَتَنْعِمِرُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ يَبَابُ^(٣)

لأنه كان يلتبس بالضاف إلى النفس ، وإذا بطل أن يبنى على الفتح والكسر وجب أن يبنى على الضم ؛ والوجه الآخر: أنه يبنى على الضم فرقا بينه وبين المضاف إليه لأنه إن كان مضافا إلى النفس كان مكسورا ، وإن كان مضافا إلى غيرها كان منصوبا ، فبنى على الضم لئلا يلتبس بالضاف ، وقلنا إنه مفعول لأنه في موضع نصب لأن تقدير يازيد أذعو زيدا ، وأندى زيدا ، فلما قامت «يا» مقام أذعو : عملت عمله ، فدلّت على أنها قامت مقامه من وجهين : أحدهما أنها تدخلها الإمالة نحو يازيده والإمالة لا تدخل الحروف ، وإنما تدخل الاسم والفعل . والثاني أن لام الجر تعلق بها نحو يازيد وبالعمرو ، فإن هذه اللام لام الاستغاثة وهي حرف جر ، فلم تكن قد قامت مقام الفعل : لما جاز أن يتعلق بها حرف الجر ، لأن الحرف لا يتعلق بالحرف .

(١) يقول : إن الدهر يخشاك ويهابك ولا يجترى . على أن يتصك حقا ، ومن ثم تأخذ منه كل حقوقك . يعنى : لا تجحك الأيام شيئا لنعتك .

(٢) يلطه : يجحده ويمطل به ومنه قول يحيى بن يعمر في رواية : أنشأت تطلها : أى تمنعها حقا من المهر ، ويروى تطلها وأصله لطلت حقه إذا جودته وربما قالوا تطلت حقه لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث طآت فأبدلوا من الأخيرة ياء كما قلوا من اللعاع تلمت^(١) . ويقال أطله على أى أعانه أو حمّله على أن يلط حتى . يقال : مالك تصينه على لطله . وأعبه : أزال عتبه أى أرضاه . يقول : لنا عند الدهر حق يجحده ويماطل في قضائه ، وقد طال عتابنا له ، فلم يزل عتبنا : أى لم يرضنا بقضاء الحق .

(٣) الشيمة : العادة والخلق ، وتنعمر : مطاوع عمرت المكان : إذا صيرته عامرا أهلا ، واليباب : الخالي ليس به أحد . يقول : إن الأيام قد تغيرت شيمتها لديك ، إذ أنها ترضى العائب وتسالم أهل الفضل ، فلا يلحفهم منها سوء لزلوهم في كنفك وجوارك وهذا خلاف عاداتها من اضطهاد ذوى الفضل ، والأوقات تصير عامرة لهم : بأن يدركوا

(١) اللعاع : هو الهندباء ؛ بقل معروف يؤكل ، وتلى اللعاع : أكله

وَلَا مُلْكَ إِلَّا أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهُوَ قِرَابٌ^(١)
 أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبَعَادِ يُشَابُ^(٢)
 وَهَلْ نَأْفِيهِ أَنْ تُرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا
 وَدُونَ الَّذِي أُمَّتُ مِنْكَ حِجَابٌ^(٣)
 أَقِلُّ سَلَامِي حُبًّا مَا خَفَّ عَنْكُمْ وَأَسْكُتُ كَيْمَا لَا يَكُونُ جَوَابٌ^(٤)
 وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فِطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابٌ^(٥)

مطلوبهم مع أنها عند غيرك خراب لا تسمع : بمعنى إن أظفرتني الأيام بطلوبى لديك
 فلا عجب فإنها تحدث شيمة غير شيمتها مهابة لك وإجلالا

(١) القراب : قراب السيف وهو عمده . يقول : إنما الملك في الحقيقة والواقع
 هو أنت ، لا ذلك السؤدد الذي أنت فيه والذي نلته ببلو همتك وسداد رأيك ، فهو
 بالقياس إليك نافلة وفضلة ، وكأنه قراب وأنت فيه السيف والزية كلها للسيف
 لا للقراب . ويروى بدل قوله كأنك سيف : كأنك نصل .

(٢) و (٣) قرت عينه : بردت ، وهو كناية عن السرور ، وضمير كان : يعود إلى
 القرب ، ويشاب : يمزج ويخلط ، يقول : إن عيني قريرة بقربك وأنا مبتهج بذلك لأنني
 بلغت ما كنت أود من لقاءك وإن كان هذا القرب مشوباً بالبعاد ، لأنني لم أنل منك
 ما كنت أرجوه من الصنيعة إلى ، وهل ينفعني أن لا حجاب بيننا وما أرجيه منك محبوب
 عنى ؟ وهذا كلام بديع يفزو التنبي به — وبما بعده — الإشارة إلى ما توقعه من كافور
 من الحصول على ولاية من الولايات .

(٤) حب : مفعول له ، كأنه قال : لحب ماخف عنكم . يقول : لإيثارى التخفيف
 عنكم أقلل التسليم عليكم وأسكت عن الكلام كي لا أحوجكم إلى الإجابة : هذا ولك
 أن تصب يكون : على إعمال كي ، وتكون ما : زائدة ، وأن ترفعها على أنها لا تعمل ،
 وتكون ما : مصدرية .

(٥) يقول : إن في نفسى حاجات لا ينبعث بها لساني وأنت من الفطانة بحيث
 تدركها دون أن أذكرها ، فسكوتى عنها يقوم مقام الإفصاح عنها . وهذا كما تقول أمية
 ابن أبي الصلت :

وَمَا أَنَا بِالْبَاطِعِ عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةٌ ضَمِيفٌ هَوَى يُبْنَى عَلَيْهِ ثَوَابٌ^(١)
وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أُدَلَّ عَوَازِلِي عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابٌ^(٢)

أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حِجَاؤُكَ إِنْ شِئِمَّتْكَ الْحِبَابُ^(١)
إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الثَّنَاءُ
ويقول أبو تمام :

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقَاضَيْتُهُ بِرِّكَ التَّقَامِي
ويقول أبو بكر الخوارزمي :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمَ
فَإِذَا رَأَاكَ مُسَلِّمًا عَرَفَ الَّذِي حَمَلْتَهُ وَكَأَنَّهُ مَلَزُومَ

(١) يريد أن يستدرك على نفسه ، يقول : أنا لا أطلب ما طلبته منك رشوة على حبي إياك ، لأن الحب الذي يطلب عليه ثواب ضيف . فقوله ضيف : خبر مقدم ، وهوى : مبتدأ مؤخر ، ثم ذكر السبب في البيت التالي . هذا : والرشوة ؛ ضم الراء ، وفتحها ، وكسرهما ، والجمع رشى ، ورشى . قال سيويه من العرب من يقول : رشوة ورشى ، ومنهم من يقول : رشوة ورشى ، والأصل : رشى ، وأكثر العرب يقول : رشى . ورشاه يرشوه رشواً : أعطاه الرشوة ، وارتشى منه رشوة : إذا أخذها . قال البرد : الرشوة مأخوذة من رشا الفرخ إذا مد رأسه إلى أمه لترقه . وقال ابن الأثير عند ذكره الحديث : لعن الله الراشى والمرشى والرائش : الرشوة ، والرشوة الوصلة إلى الحاجة بالصانعة ، وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء ؛ فالرائش من يعطى الذي يعينه على الباطل ، والمرشى : الآخذ ، والرائش : الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا .

(٢) يقول : وإنما أردت بطلب ما طلبت أن أعرف اللأى يلتمنى على قصدي إليك أنى كنت مصيباً في هواك ، وأنتك تفضل على وتبغنى ما أرجيه منك .

(١) الحباء : ما يحبو به الرجل صاحبه وبكرمه به ، أو هو العطاء بلامن ولاجزاء ويروى حياؤك إن شيمتتك الحباء .

وَأَعْلِمَ قَوْمًا خَالِفُونِي فَشَرُّوهُ وَغَرَّبْتُ أُنَى قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا^(١)
جَرَى الْخَلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْكَ وَاحِدٌ وَأَنْكَ لَيْتَ وَالْمَلُوكُ ذَبَابٌ^(٢)
وَأَنْكَ إِنْ قُوَيْسَتْ صَحْفَ قَارِيءٍ ذَبَابًا وَلَمْ يَخْطِيءِ فَقَالَ ذَبَابٌ^(٣)
وَأِنْ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَذْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابٌ^(٤)

(١) يقول: وأردت أن أعلم الذين خالفوني وصمدوا إلى غيرك من الملوك أني قد ظفرت بقصدي إليك ، وأنهم أخفقوا بعدولهم عنك إلى سواك . وهذا كقول البحرى :

وأشهد أني في اختياريك دونهم مؤدّى إلى حظي وتمتع رُشدي
والتشريق والتغريب في البيت تمثيل أراد به تحقيق المخالفة ، ولعله أراد به الحقيقة .
(٢) يقول: إن الخلاف جار في كل شيء إلا في أنك واحد نماز عن الأشكال ؛ وفي أنك أسد ، والملوك بالقياس إليك ذباب ، وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :
لو أن إجماعنا في فضل سُوددهِ في الدين لم يَخْتَلِفِ في الأمةِ اثنان
ويقول البحرى :

وأرى الناسَ مجمعين على فضلك من بين سيّدٍ ومسودٍ
فالخلف بمعنى الاختلاف وأنك واحد بدل اشتغال من الكاف في قوله فيك .
(٣) يقول: إذا صحف القارىء لدى هذه المقايسة لفظ الذئاب — المذكورة في البيت السابق — فقال وإنك ليت والملوك ذباب: لم يخطيء ولم يعد الصواب في هذا التصحيف ، لأن من عداك من الملوك كذلك .
(٤) الكذاب: الكذب ، يقال كذب يكذب كذباً وكذباً وكذاً وكذاياً .
قال الشاعر :

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

وأنشدوا :

نادت حايلة بالوداع وأذنت أهل الصفاء وودعت يكذاب
ورجل كاذب وكذاب وتكذاب وكذوب وكذوبة وكذبة مثال همزة وكذبان

وَإِذَا نَبَلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَلِمَالُ هَيْنٍ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصِحَابٌ^(١)
وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ فَمَا عَنَّكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابٌ^(٢)

وكيذبان وكيذبان ومكذبان ومكذبانة وكذببان وكذبب وكذبب . قال الشاعر :

فإذا سمعتَ بأنتي قد بعتمكم بوصول غانية قفل كذبب^(١)

والكذب : جمع كاذب ، مثل راع وراع . قال أبو داود الرؤاسي :

مَتَى يَقُولُ تَنْفَعُ الْأَقْوَامَ قَوْلُهُ إِذَا اضْمَحَلَّ حَدِيثَ الْكُذْبِ الْوَلَعَةُ
أَلَيْسَ أَقْرَبَهُمْ خَيْرًا وَأَبْجَدُهُمْ شَرًّا وَأَسْمَحَهُمْ كَفًّا لِمَنْ مَنَعَهُ
لَا يَحْسُدُ النَّاسَ فَضَلَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذَا تَشَوَّهُ نَفْسُ الْحَسَدِ الْجَشِيمَةَ

« الولعة جمع والع وهو الكاذب » يقول : إن الناس يمدحون بالحق وبالباطل لأن بعضه يكون كذبا : أما أنت فمدحك الحق الصراح لا كذب فيه وهذا كقول أبي تمام :

لَمَّا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقِ حَقِّ فَلَمْ آتَمِّ وَلَمْ أَتَحَوَّبْ^(١)
وَلَوْ ائْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِيقُ

عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَ كَذِبِ

(١) يقول : لولاك لكان كل بلد بلدي وكل أهل أهلي : أي لولاك لم أقم بمصر وكننت لا أزال مهاجرا في الأرض أتقل من بلد إلى بلد ومن ناس إلى ناس ، لأن جميع البلاد وجميع الناس لدى سواء .

(٢) يقول : ولكنك جميع الدنيا الحبيبة إلى والي انصبت عليها آمالي ، فإن

(١) الرواية قد بعته - يعني جملة - وقبله :

قد طال إيضاعي الخدم لا أرى في الناس مثلي في معد يخطب

حتى تأوبت البيوت عشية فحططت عنه كوره يتأب

فإذا سمعت بأنتي قد بعته الخ .

(٢) فلان يتحوب من كذا : أي يترك الحوب ، وهو الإثم ، كيتأتم : أي :

يترك الإثم .

وصرة في صباه برجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يُعجبان الناس من كبره فقال :

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْذُ الْمُسْتَفِيرُ أَسِيرَ الْمَنَابِإِ صَرِيحَ الْمَطَبِ^(١)
 رَمَاهُ الْكِنَانِيُّ وَالْعَامِرِيُّ وَتَلَاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبِ^(٢)
 كَلَا الرَّجْلَيْنِ أَتْلَا قَتَلَهُ فَأَيُّكُمْ غَلَّ حُرَّ السَّلْبِ^(٣)
 وَأَيُّكُمْ كَانَ مِنْ خَلْفِهِ فَإِنَّ بِهِ عَصَّةً فِي الذَّنْبِ

حاولت الذهاب عنك كان ذلك ذهاباً إليك ، وكذلك الدنيا : من أراد السفر عنها سافر إليها ، إذ ليس من سبيل إلى الخروج عنها . فقوله حبيبة حال من الدنيا وإلى متعلق بحبيبة . وقوله فما عنك : أى فمالي ذهاب عنك إلا إليك . وأورد العكبرى حبيبة — بالرفع — وقال إنها مبتدأ ، وإلى : خبر ، وقال ابن جنى : التقدير هى إلى حبيبة . يريد أن حبيبة خبر مبتدأ محذوف . وقال : إن العنى يريد أنك السلطان ، والسلطان هو الدنيا ، يعنى أنت جميع الدنيا ، فإن ذهبت عنك عدت إليك ، فإن الحى لا بد له من الدنيا . وهذا قريب مما قلناه .

(١) الجرذ : ضرب من الفأر ، والمستفير : الذى يطلب الفارة على ما فى البيوت وغيرها .

(٢) تلاه صرعاه ، يقال تله يتله تلا فهو متلول ، وتليل : صرعه ، قال تعالى : « فلما أسلما وتله للجبين » أى صرعه كما تقول كبه لوجهه . يقول : رماه هذان الرجلان اللذان أحدهما من بنى كنانة والآخر من بنى عامر ، وصرعاه لوجهه ، كما تفعل العرب بالقتيل .

(٣) اتلا : تولى وبأشر ، وغل : خان من الغلول : الحياطة فى المنام ، والسلب ، ما يسلب من ثياب القتيل وسلاحه وما إليهما ، وحره جيده . يقول : لقد اشتركتما فى قتله فأياكما انقرد بجيد سلبه وخانه فى ذلك ، وهذا كله من باب التهمك والسخرية ولمناسبة كلا وكلتا تقول : ذهب الكوفيون إلى أن كلا وكلتا فهما تثنية لفظية ومعنوية فأصل « كلا » كل ، خففت اللام وزيدت الألف للتثنية ؛ وزيدت التاء فى كلتا للتأنيث ، والألف فهما كالألف فى قولك الزيدان ، وحذفت نون التثنية منهما للزومهما الإضافة وذهب البصريون إلى أن فهما إفراداً لفظياً وتثنية معنوية والألف فهما كألف رحا

وعصا . وحجة الكوفيين النقل والقياس ؛ فالنقل قول الشاعر :
فِي كَلْتِ رِجْلَيْهَا سُلَامَى زَائِدَةٌ كَلْتَاهَا قَد قُرْنَتْ بِوَاحِدَةٍ (١)
فإفراده كلت يدل على أن كلتا تشية ؛ والقياس أنها تنقلب إلى الياء جرأ ونصبا إذا
أضيفت إلى الضمر ، نحو : رأيت الرجلين كليهما والمرأتين كلتيهما ، ومررت بكلتيهما ،
فلو كانت الألف في آخرهما كألف عصا ورحا لم تنقلب كما لم تنقلب ألفها نحو رأيت
عصاهما ومررت برحاهما . فلما اقلبت الألف فهما انقلاب ألف الزيدان دل على أن
تثنيهما لفظية ومعنوية ، وحجة البصريين : أن الضمير يعود إليهما تارة مفرداً حملا على
اللفظ ، وتارة مثنى حملا على المعنى ؛ فرد الضمير مفرداً كقوله تعالى « كلتا الجبتين
آتت أكلها » وكقول جرير :

كَلَا يَوْمِي أُمَامَةٌ يَوْمٌ صَدَّةٌ وَإِنْ لَمْ نَأْتِهَا إِلَّا لِمَامَا
فقال يوم بالإفراد ، وأما رد الضمير مثنى حملا على المعنى فكقول الفرزدق :
كَلَاهَا حِينَ جَدَّ الْجُرْيُ بَيْنَهُمَا قَدْ أَقْلَمَا وَكَلَا أَنْفِيهِمَا رَابِي (٢)

(١) قيل : إن هذا البيت من رجز يصف به نعامة ، فضمير رجلها يرجع إلى
النعامة ، والسلامى : عظم في فرسن البعير وعظامه صفار طول أصبع أو أقل في اليد
والرجل ، والجمع سلاميات ، والفرسن للبعير بمنزلة الحافر للفرس ، والضمير في كلتاها :
للرجلين ، والمصراع الثانى : تأكيد للأول ، وقوله قرنت بواحدة : أى من السلاميات .
(٢) من أبيات للفرزدق في جرير ؛ وكان جرير روج بنته أم غيلان من عبيدة
ابن أخى امرأته وكان منقوص العضد فغلبها منه أى طلقها فقال الفرزدق :

مَا كَانَ ذَنْبُ التِّي أَقْبَلْتَ تَعْتَلَهَا حَتَّى اتَّحَمْتَ بِهَا أُسْكِفَةَ الْبَابِ
كَلَاهَا

يا ابن المراغة جهلا حين تجعلها دون القلوص ودون البكر والناب
تعتلها : تجذبها جذبا عنيفا ، والضمير لأم غيلان بنت جرير وفي رواية : ما بال
لومكها أى لومك إياها ، والأسكفة ، عتبة الباب : أى حتى أدخلتها عتبة بابك ،
وكلاهما أى كل من ابنة جرير وزوجها ؛ وجد الجرى : أى اشتد ، وأقلما : أى أقلما

وقال يهجو ضبة بن يزيد العتيبي (*) :

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً . وَأُمُّهُ الطَّرْطُبَةُ (١)

فقال : قد أقلما حملا على المعنى - وقال رابى حملا على اللفظ - وقالوا : الدليل على أن فيهما إفراداً لفظياً أنك تضيفهما إلى التثنية . فتقول : جاءنى كلا أخويك ، ورأيت كليهما ؛ وكذلك حكم كلتا في المضمرة والمظهر ، فلو كانت التثنية منهما لفظية لما جاز إضافتهما إلى التثنية لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ويدل على أن الألف لا تكون فيهما للتثنية أنها تعال في قراءة حمزة والكسائي . وإذا أردت التوسع في هذا الباب فارجع إلى كتب النحاة وإلى لسان العرب * كان ضبة هذا فيمن كان مع الخارجي الذي نجم في بني كلاب وهو المشار إليه في القصيدة التي مدح بها دلب بن لشكروز بالكوفة - وسبب هذه الأبيات القبيحة أن قوماً من أهل العراق قتلوا أبا ضبة هذا وسبوا امرأته - أم ضبة - وفسقوا بها ، وكان ضبة غداراً بكل من نزل به ، واجتاز به أبو الطيب في جماعة من أشرف الكوفة ، فامتنع منهم ، وأقبل يجاهر بشتهم ، فأرادوا أن يجيئوه بمثل ألفاظه القبيحة ، وسألوا ذلك أبا الطيب فكلفه لهم على كراهة وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه . قال الواحدى : كان المتنبي إذا قرئت عليه هذه القصيدة ينكر إنشادها - أقول : ولولا أن يقال إننا تصرفنا في الديوان وأن هذا الديوان أدركه الحداج - إذا حذفنا منه بعض شعر المتنبي فيسيء الناس بنا الظن - لما أثبتنا هذه الأبيات التي ينبو بها السمع .

(١) يقول : ما أنصف القوم هذا الرجل إذ فعلوا بأبيه وأمه ما فعلوا ، والطرطبة : القصيرة الضخمة ، وقيل المسترخية الثديين أو الطويلة الثديين قال الشاعر :

لَيْسَتْ بِقِتَاتَةٍ سَبْهَلَةٍ وَلَا بِطَرْطُبَةٍ لَهَا هُتْبُ (١)

عن الجرى ؛ ورأى من الربو وهو النفس العالى المتتابع ، وهذا تمثيل يقول : إن بنت جرير وزوجها قد افترقا حين حصلت الألفة بينهما ولم يمضيا على حالهما كفرسين جدا في الجرى ووفقا قبل الوصول إلى الغاية :

(١) القتاة النجوم من التت وهو النجمة والكذب الميأ ، ويقال للفارغ النسيط الفرح سهللا ، ووروى عن عمر أنه قال ، إنى لأكره أن أرى أحدكم سهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة . وكل فارغ سهللا ، والهاب ما غلظ من الشعر .

رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَبَاغُوا أُمَّ غُلَيْبَةَ^(١)
فَلَا يَمْنُ مَاتَ فَضْرٌ وَلَا يَمْنُ نِيكَ رَغْبَةً^(٢)
وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتَ رَحْمَةً لَا حَسَبَهُ^(٣)
وَحِيلَةَ لَكَ حَتَّى عُدِزْتُ لَوْ كُنْتُ تَيْبَةً^(٤)
وَمَا عَلَيْنِكَ مِنَ الْقَتْلِ إِنَّمَا هِيَ ضَرْبَةٌ^(٥)
وَمَا عَلَيْنِكَ مِنَ الْقَدْرِ إِنَّمَا هُوَ سُوبَةٌ^(٦)
وَمَا عَلَيْنِكَ مِنَ الْعَا رِإِنْ أُمَّكَ قَحْبَةٌ^(٧)
وَمَا يَشُقُّ عَلَى الْكَلْبِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ كَلْبَةٍ
مَا ضَرَّهَا مَنْ أَنَاهَا وَإِنَّمَا ضَرَّ صُنْبَةٌ

(١) يقال باك الحمار الأتان : نزا عليها ، والنظية : النابذة جلهم كالحمير في غشياتها بفحش .

(٢) يقول : فلا تغر له بأبيه ولا يرغب بأمه أيضاً عما فعل بها .

(٣) يقول : وإنما قلت ما أضفوك رحمة بك لما أصابك من القتل والعار لا محبة لك وغيره عليك . يريد شدة ما وصل إليه حتى صار بالرحمة أحق منه بالثأمة ، وليلحظ أن ضبة هذا من البناء بحيث لم ير للتنبؤ بدا من أن يسلك معه هذا السلك ، قد صرح باسمه وأيضاً كان يكنى أن يقول ما أضف الناس ضبة وأمه الطرطة ، ولا يقول بعد ذلك : وإنما قلت رحمة لا محبة .

(٤) تيه بكسر التاء - مضارع ، وبه : بمعنى أبه وبالي واكثره ، وتروى لو كنت تنبه . أي تعطن . يقول : وقلت ذلك حيلة لك حتى يذرك الناس فيما أم بك إذا سمعوا قولي هذا وعرفوا أنك مظلوم .

(٥) و(٦) و(٧) مافي الآيات الثلاثة استقهام إنكارى ، وهى فى البيتين الأولين : ضمير الشأن ، والسبة : العار يسب به ، والقحبة : البنى ، والفاصلة الفاجرة . وهذا من أبى الطيب استهزاء واستهجان لضبة . يقول : لا يعلق بك من قتل أهلك عار ، وإنما ذلك ضربة وقعت بأهلك فمات منها ، والندرسبة تسب به ، فما عليك منه ؟ ولا عار عليك من جوار أمك .

وَلَمْ يَنْكُهَا وَلَكِنْ عِبَانَهَا نَاكَ زُبَّةً (١)
يَلُومُ ضَبَّةً قَوْمٌ وَلَا يَلُومُونَ قَلْبَهُ
وَقَلْبُهُ يَنْشَأُ وَيُلْزِمُ الْجِسْمَ ذَنْبَهُ
لَوْ أَبْصَرَ الْجَذْعَ شَيْئًا أَحَبَّ فِي الْجَذْعِ صَلْبَهُ (٢)
يَا أَطِيبَ النَّاسِ نَفْسًا وَالَّذِينَ النَّاسِ رُكْبَةً (٣)
وَأُحْبَبْتَ النَّاسِ أَصْلًا فِي أُخْبِثِ الْأَرْضِ تَرْبَةً
وَأَرْخَصَ النَّاسِ أُمَّا تَدْبِيعُ أَلْفَا بِجَبَّةً
كُلُّ الْفُعُولِ سِهَامٌ لِمَزِيمٍ وَهِيَ جَبَّةٌ (٤)
وَمَا عَلَى مَنْ بِهِ الدَّاءُ مِنْ لِقَاءِ الْأُطْبَةِ (٥)
وَلَيْسَ بَيْنَ هَلُوكِ وَحُرْقِ عَيْرٍ خِطْبَةٌ (٦)
يَا قَاتِلًا كُلَّ ضَيْفٍ غَنَاهُ ضَيْحٌ وَعُلبَةٌ (٧)

(١) العجان : ما بين القبل والدبر . يقول : إنها عجوز كبيرة مهزولة تصيب
بعجانها متاع من أتاها فتصكه .
(٢) هذا كناية عن الأير . يقول : لجه ذلك يجب أن يكون مصلوباً في ذلك الجذع .
(٣) يقول : إنه سمح القياد يلين لمن راوده وقد أملت ركبته لكثرة البروك عليها .
(٤) يريد بالفعول : الذين يفعلون بها ، فجعلها تجمعهم وتضمهم كما تضم الجعبة السهام .
(٥) يقول : إن الذين يأتونه كالأطباء له ، ومن كان به داء فعالجه بدوائه لم يجب
به . يهون عليه ما يسبه به من الأمر القبيح استجهالاً له .

(٦) الهلوك : البقي الفاجرة . يقول : إن الفاجرة كالجرة المخطوبة إلى أهلها لافرق
بينهما إلا الاستحلال بالخطبة .

(٧) غناه : هو غناؤه ، فقصره : أى يكفيه ضيغ وعلبة ، والضيغ : اللبن المزوج
بالماء ، والعلبة : قدح من جلد يشرب فيه اللبن . يقول : إنه لشحه ولؤمه إذا نزل به
ضيغ قتله ليتخلص من قراه ؛ ولو كان هذا الضيف صلوكا : يكتفى بقليل من الضيغ
في علبة . ويجوز أن يكون المعنى أنه لما طبع عليه من الغدر يقتل كل من ألم به ، ولو
كان صلوكا لآمال معه يطمع فيه

وَخَوْفُ كُلِّ رَفِيقٍ أَبَانَكَ اللَّيْلُ جَنِبَهُ (١)
كَذَا خَلِقْتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُفَالِبُ رَبَّهُ (٢)
وَمَنْ يُبَالِي بِدَمِّ إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهُ
أَمَا تَرَى الْخَلِيلَ فِي النَّخْلِ سُرْبَةً بَعْدَ سُرْبَةٍ (٣)
عَلَى نِسَائِكَ تَجَلُّو فَعَوْلَهَا مُنْذُ سَنَبِهِ (٤)
وَهَنَّ حَوْلَكَ يَنْظُرُ نَ وَالْأَحْيِرَاحُ رَطْبَهُ (٥)
وَكَلُّ غُرْمُولٍ بَغْلٍ يَرِينُ يَحْسُدُن قُنْبَهُ (٦)
فَسَلْ فُوَادَكَ يَا ضَبَّ أَيْنَ خَلَفَ عُجْبَهُ (٧)
وَأَنْ يَخُنَّكَ لَعْمَرِي لَطَأَلْنَا حَانَ صَحْبَهُ (٨)
وَكَيفَ تَرَعَبُ فِيهِ وَقَدْ تَبَيَّنَتْ رُغْبَهُ (٩)

(١) وخوف : عطف على قاتلا - في البيت السابق - أي ويا خوف كل رفيق الخ .
يقول : هو من الصدر بحيث إذا بايته رفيق في السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نام .
(٢) يقول : إن الله خلقه مجبولا على الصدر والسفال ، ومن ثم لا يزال على ما جبله
الله عليه لا يستطيع اناس تهذيبه ، لأن الله جل شأنه لا يفال .
(٣) و (٤) السرية : الجماعة من الخيل ، وفعولها : كناية عن غرمولها . والسنبه :
الحين والقطعة من الزمان .

(٥) الأحيراح : تصغير أحرأح - جمع حر ، وأصله حرح - الفرج
(٦) القتب : وعاء القضب من ذوات الحافر .
(٧) ضب : ترخيم ضبة . يقول : أسأل فؤادك يا ضبة أين ترك ما كان فيه من
العيب والكبر ؟ يعني حين اختبأ وامتنع منهم بالحسن وهو يسمع الشتم فلا يخرج إليهم .
(٨) و (٩) يقول : إن خانك فؤادك - أي خذلك في هذا الموقف فلم يطاوعك
على الإقدام علينا خوفا ورعباً - فلست أول من خان قلبه ، لأنه تعود خيانة
أصحابه .

مَا كُنْتَ إِلَّا ذُبَابًا فَفَتَكَ عَنَّا مِذْبَةَ^(١)
 وَكُنْتَ تَفْخَرُ تِيهَا فَصِرْتَ تَضْرِبُ رَهْبَةَ
 وَإِنْ بَمَدْنَا قَلِيلًا حَمَلْتَ رُمْحًا وَحَرْبَةَ^(٢)
 وَقُلْتَ لَيْتَ بَكْنِي عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَةَ^(٣)
 إِنْ أَوْحَشْتَكَ الْمَعَالِي فَإِنهَا دَارُ غُرْبَةَ^(٤)
 أَوْ آنَسْتَكَ الْمَخَازِي فَإِنهَا لَكَ نِسْبَةَ^(٥)
 وَإِنْ عَرَفْتَ مُرَادِي تَكَشَّفَتْ عَنْكَ كَرْبَةَ^(٦)
 وَإِنْ جَهَلْتَ مُرَادِي فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهُ^(٧)

(١) يقول : إنك حين اختبأت وتحصنت منا جينا ما كنت إلا فذباباً طردناه بمذبتنا فهرب ، وروى «عنه» بدل عنا ، والضمير في عنه وفي فيه : يرجع إلى العجب : يعنى كيف تريد العجب وقد علمت شؤمه وكنت كالذباب يقتل بالمذبة . وذهب ابن جنى إلى أن الضمير يعود إلى القلب فقال : يريد بقيت بلا قلب .
 (٢) يقول : وإذا جدنا عنك فأمنت . عاودك العجب فحملت السلاح ، وهذا مثل قوله :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطمن وحده والتزّالاً

(٣) العنان : سير اللجام ، والجرداء من الحيل : القصيرة الشعر ؛ والشطبة : الطويلة .
 (٤) و (٥) يقول : إذا استوحشت من المعالي فلا بدع في ذلك ، لأنك غريب عنها ، أما المخازي فإنك تستأنس بها لما بينك وبينها من النسب والقرباة .
 (٦) يقول : إن مرادى أن أنه إلى ما فيك من الندر والشع ، فإن عرفت مرادى هذا : سررت بما قلت ، لأنه لا يقصدك إنسان بسؤال أو قرى بعد ما أشعتمن خلاك وقال ابن جنى يقول : أنت مع ما أوضحته من جهائك غير عارف به لجهلك فإذا عرفت أنه جهاء زالت عنك كربة لمعرفتك إياه . . وهذا كلام من لم يعرف معنى البيت كما قال الواحدى .

(٧) فان الجهل بك أشبه لأنك لست بمن يفهم .

وقال يعزى أبا شجاع عضد الدولة بِمَمَّتِهِ وقد توفيت ببغداد :

أَخِرُ مَا لِلْمَلِكُ مَعْرَى بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَرَ فِي قَلْبِهِ (١)
 لَا جَزَعًا بَلْ أَنْفًا شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ (٢)
 لَوْ دَرَّتِ الدُّنْيَا بِمَا عِنْدَهُ لَأَسْتَحْيَتِ الْأَيَّامُ مِنْ عَتَبِهِ (٣)
 لَعَلَّمَهَا تَحَسُّبُ أَنْ الَّذِي لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حِزْبِهِ (٤)
 وَأَنَّ مَنْ بَغْدَادُ دَارُهُ لَهُ لَيْسَ مُقِيمًا فِي ذَرَى عَضْبِهِ (٥)
 وَأَنَّ جَدَّ الْمَرْءِ أَوْطَانُهُ مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ (٦)

(١) هذا خبر معناه الدعاء . يقول : جعل الله هذا الحادث آخر ما يعزى به الملك فلا يصاب بشيء بعده . والملك تخفيف الملك . وهذا ، مبتدأ مؤخر وآخر : خبر مقدم .
 (٢) جزعا : مفعول له ، عامله أثر ، والأنف الحمية والاستنكاف ، وشابه خالطه .
 يقول : لم يؤثر هذا الحادث في قلبه لأنه جزع له فإنه شجاع لا عهد له بالجزع ، ولكنه أخذته الحمية والألفة حين رأى الدهر قد استطاع أن يتطرق حماه ويستبيح حرمة ويفتصبه من يعز عليه

(٣) يقول : لو كانت الدنيا تدرى ما يحوزه من الفضل لأخذها الحياء من عتبه عليها ولكفت عنه أذاها ، وقيل : إن المعنى لعل الأيام لم تعلم من غاب عن حضرته من أهله وأسرته ، ولو علمت لما عرضت لشيء من أسبابه . وقد دل البيت التالي على ذلك .

(٤) يتندر عن الأيام . يقول : لعل الدنيا ظنت أن عمته — وقد توفيت في بغداد بعيدة عنه — لما لم تكن عنده لم تكن من أسرته فسقطت عليها .

(٥) الدرى : الكنف ، والغضب : السيف القاطع . يقول : ولعل الدنيا ظنت أن عمته لما كانت ببغداد ولم تكن بحضرتك لم تكن ممن يحميه سيفك فلذلك عرضت لها وأخذتها .

(٦) يقول : ولعلها ظنت أن جد الإنسان بلده ، فمن لم يكن من أهل بلده فليس من صلب جده : يعنى أن عمته لما كانت في غير وطنه ظنت الأيام أنها ليست من عشيرته ومن ثم اجترأت عليها ولم ترع حقه . ويروى : وأن حد المرء — بالحاء — فيكون المعنى أن حرمة وطنه ، فمن لم يكن مستوطننا معه لم يكن من عشيرته .

أَخَافُ أَنْ تَفْطَنَ أَعْدَاؤُهُ فَيُجْفِلُوا خَوْفًا إِلَى قُرْبِهِ (١)
 لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعِ عَنْ جَنْبِهِ (٢)
 يَنْسَى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ وَمَا أذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبِهِ (٣)
 نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ (٤)
 تَبَخَّلْ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا عَلَى زَمَانٍ مِ مِنْ كَنْبِهِ (٥)

(١) أجفل : أسرع في الهرب ، يقول : إني أخاف - إذ قلت هذا - أن تفتن أعداؤه إلى أن الأيام لا تزأ كل من كان في حماه وقربه فيسرع إلى حضرته خوفا من الأيام وطلبا للسلامة بحصولهم في ذمته واشتغالهم بهزه .

(٢) يقول : لا بد للإنسان من اضطجاع في القبر لا يتقلب معه المضطجع أى يبقى كذلك أبد الدهر ، ولو قال لن - بدل لا - لكان أحسن ؛ لأن لن تدل على التأييد .
 (٣) يقول : ينسى الإنسان بتلك الضجعة تبه وإعجاب به نفسه وما أذاقه الموت من البرح والكرب عند احتضاره : أى ينسى بتلك الضجعة كل ما لاقاه في حياته وفي مماته .

(٤) يقول : نحن أبناء الموتى لأن آباءنا كلهم ماتوا فلا بد لنا أن نرد الموت كما وردوه ؛ فما بالنا نكره ما لا بد منه ؛ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

أَلَا يَا ابْنَ الدِّينِ فَتَوَّا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا بَادُوا لَتَبَسَى
 وَأَصْلُهُ قَوْلُ مَتَمِّ بْنِ نُورَةَ :

فَمَدَدْتُ أَبَايَ إِلَى عِرْقِ الثَّرَى فِدَعْوَتِهِمْ فَعَلِمْتُ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا
 وَلَقَدْ حَطَّتْ وَلَا حِمْلَةَ أَنْفَى لِلْحَادِثَاتِ فَهَلْ تَرَانِي أَجْرَعُ ؟

وروى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمرو بن عبيدة يعزبه عن أبيه : «أما بعد» فإننا أناس من أهل الآخرة ، أسكننا في الدنيا أمواتاً آباء أموات ، وأبناء أموات فالعجب لمت يكتب إلى ميت يعزبه عن ميت والسلام .

(٥) يقول : إننا نحرص على أرواحنا ضنا بها على الزمان مع أنها بما كسب الزمان لا من كسبنا نحن ، وقد فسر ذلك في البيت التالى ؛ قال العسكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان تناسق الأرواح من كرور الأيام فما لنا نعا ف رجوعها إلى أما كتبنا .

فَهَذِهِ الْأَذْوَاحُ مِنْ جَوْهَرِهِ وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تَرْبِهِ (١)
 لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي يَنْسِبُهُ لَمْ يَنْسِبِهِ (٢)
 لَمْ يُرَ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي شَرْقِهِ فَسَكَتِ الْأَنْفُسُ فِي غَرْبِهِ (٣)
 يَمُوتُ رَاغِي الضَّانِ فِي جَهْلِهِ مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ (٤)
 وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ (٥)
 وَغَايَةُ الْفُرْطِ فِي سِلِّهِ كَفَايَةُ الْفُقْرِطِ فِي حَرْبِهِ (٦)

(١) يريد أن الإنسان مركب من جوهر لطيف - هو الروح - وجوهر كثيف - هو البدن - فجعل اللطيف من الهواء ، والكثيف من التراب . قال العسكري : وهذا من قول الحكيم : اللطائف سماوية والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد إلى عنصره ، « هذا » ؛ وليس ثم مجال للكلام على الروح وذكر المذاهب انفسية فيه ، لأن هذا إما هو تفسير لشعر المتنبي حسب .

(٢) يقول : لو فكر العاشق المستهام فيما تصير إليه محاسن معشوقه من البلى والفناء لأفزع عن عشقه ولم تملك تلك المحاسن قلبه . ولك أن تجعل هذا مطرداً في كل معنى من معاني الحياة فتقول : لو فكر الحريص التهاك على جمع المال في منتهى ذلك وأن مصير هذا المال إلى الزوال أو أنه مائت عنه لا محاله : لما تهالك على جمعه ، وهم . قال العسكري : وهو من قول الحكيم : النظر في عواقب الأشياء يزيد في حققتها ؛ والعشق عمى الحس عن درك رؤية المشوق .

(٣) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وهذا مثل : معناه . أن كل حادث لا بد أن ينتهي إلى الزوال : كالشمس من رآها طالعة لم يشك في غروبها .

(٤) قوله : في جهله وفي طبه ، حالان . يقول : إن الموت حتم على رقاب العباد لا ينجو منه إنسان : أكان شريفاً أم وضيعاً ، عاقلاً أم جاهلاً . فيموت الراعي الجاهل كما يموت الطبيب الحاذق .

(٥) السرب : النفس . يقول : وربما زاد راعي الضأن عمراً على عمر جالينوس ، وكان آمن على نفسه منه ؛ لأن الطبيب لملمه وتقديره لضروب الأدوية وارتباط الأسباب بالسببيات يبقى دائماً قلقاً خائفاً كثيراً الوسواس .

(٦) يقول : من بالغ في السلم واللودة كمن بالغ في الحرب والمعادة والتحرش بالخطر

فَلَا قَصَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ فَوَادُهُ يُخْفِقُ مِنْ رُغْبِهِ (١)
 أَسْتَفْغِرُ اللَّهَ لِشَخْصٍ مَضَى كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ (٢)
 وَكَانَ مِنْ عَدَدِ إِحْسَانِهِ كَأَنَّهُ أَفْرَطَ فِي سَبِّهِ (٣)
 يُرِيدُ مِنْ حُبِّ الْعَمَلِ عَيْشَهُ وَلَا يُرِيدُ الْعَيْشَ مِنْ حُبِّهِ (٤)
 يُحْسِبُهُ دَافِنُهُ وَحُسْدَهُ وَتَجِدُهُ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ (٥)
 وَيُظْهِرُ التَّذَكُّرَ فِي ذِكْرِهِ وَيُسْتَرُّ التَّائِبِثُ فِي حُجْبِهِ (٦)

كلاهما إلى الموت . قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : آخر إفراط التوقى أول موارد الخوف ؛ ويقال أفرط : إذا أسرف وجاوز الحد ؛ وفرط بتشديد الراء : قصر . وفي الحديث « لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً » .

(١) يقول : لا أدرك حاجته من يهرب الموت ، يعنى إذا كان لا متدوحة عن الموت فلم يخافه الإنسان ؟ بحث على الشجاعة والإقدام ، ويدعو على الهيابة الجبان . والضمير في رغبه : للفؤاد :

(٢) هذا ضرب من اللدح الذى يشبه التلم ، يقول : أستغفر الله لشخص مضى كان جوده هو غاية ذنبه : أى لا ذنب له أستغفر الله له لأجله إلا جوده ؛ يعنى للمرئية عمه عند الدولة .

(٣) يقول : وكان يكره ذكر إحسانه تناسياً للمعروف ، فمن أحصى فوائده وأياديه كان عنده كمن أسرف فى سبه .

(٤) يقول : إنه كان يحب أن يعيش لكسب للمعالى لا لحب العيش : فالضمير فى عيشه : للمرتى ، والتقدير : يريد عيشه من حب العلى ، ولا يريد العيش من حب العيش .

(٥) يقول : إن الذى يدفنه يظن أنه يدفنه وحده ، وهو قد دفن معه المجد والعفاف والبر وسائر فضائله التى هى أصحابه لا تفارقه .

(٦) يقول : إنها فى حبها وخدرها أنقى على الحقيقة ، وليس ثم إلا الصون والعفاف وما إليهما مما هو شيمة المخدرات ، أما إذا ذكرت أفعالها ومساعيها — من طلب للمعالى وإيثار المعروف وإغاثة للمهوف — فهناك التذكير حقاً ، لأن مثل هذه الأفعال إنما هى من شيم الرجال .

أُخْتُ أَبِي خَيْرِ أَمِيرٍ دَعَا فَقَالَ جَيْشٌ لِلْقَنَا لَبِّهِ ^(١)
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ مَنْ رُكْنُهَا أَبُوهُ وَالْقَلْبُ أَبُو لَبِّهِ ^(٢)
وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ كَانَتْهَا النَّوْرُ عَلَى قُضْبِهِ ^(٣)
فَخَرًّا لِدهْرِ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمُنْجِبٍ أَصْبَحْتَ مِنْ عَقْبِهِ ^(٤)
إِنَّ الْأَسَى الْقِرْنَ فَلَاحُ تَحْيِهِ وَسَيْفِكَ الصَّيْرُ فَلَاحُ تَنْبِهِ ^(٥)

(١) أخت : خبر مبتدأ محذوف : أى هى أخت ، ولبه : أجييه ، يقول : هى أخت ركن الدولة الذى هو أبو عضد الدولة خير أمير دعا إلى نفسه ، فقال الجيش للرمح أجييه : أى يدعو الجيش فيجيه بالسلاح . ويجوز أن يكون المعنى : أن عضد الدولة خير أمير دعاه جيش فقال للقنا: لب الجيش . يعنى أنه يجب الصارخ ويثبت للستيت .

(٢) يريد أن عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة وضرب لها للثل بالقلب واللب — أى العقل — فجعل اللب مثاله والقلب مثلاً لأبيه ، والقلب ، وإن كان أبا اللب — أى مصدره — إلا أن اللب أشرف من القلب ، فكذلك عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة ، وإن كان ركن الدولة أباه : قال ابن جنى : لولا حذق المتنبي ماجراً على هذا .

(٣) النور : الزهر ؛ والقضب : جمع قضيب . يقول : إن أبناء عضد الدولة زين لآبائه ، وليسوا بزین له هو ، لاستغنائهم بمزية علائقهم عن أن يزين بأبنائهم : يعنى أن أبناءك يزينون آباءك كما يزين النور القضب .

(٤) غرأ : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، واللام فى قوله لدهر : لبيان الفاعلية ؛ كما فى قولهم: تبا لزيد ؛ والمنجب : الذى يلد النجباء : وعقب الرجل : أولاده . يقول : ليفخر الدهر بكونك من أهله ، ليفخر أبوك الذى صار منجياً بكونك من عقبه .

(٥) الأسى هنا : الحزن ، وهو مقصور مفتوح ، والقرن : من قارنك ومائتك فى السن أو القوة والشجاعة ؛ ونبا السيف : إذا لم يقطع ويعمل فى الضريبة . يقول : إن الحزن — أى حزن عضد الدولة على عمته — بمنزلة القرن المغالب لك فلا تحيه بإعانتها على نفسك : وأن الصبر الذى تغالب به الحزن بمنزلة السيف فلا تجعله نايًا كليلًا . أى لا تضعه فيغلبك الحزن .

مَا كَانَ عِنْدِي أَنْ بَدَرَ الدُّجَى يُوحِشُهُ النَّقُودُ مِنْ شُبُهٍ (١)
 حَاشَاكَ أَنْ تَضْمَنَ عَنِّ حَمَلٍ مَا
 تَحْتَمِلُ السَّائِرُ فِي كُتُبِهِ (٢)
 وَقَدْ حَمَلْتَ الثَّقَلَ مِنْ قَبْلِهِ فَأَغْنَتِ الشَّدَّةُ عَنِّ سَعْبِهِ (٣)
 يَدْخُلُ صَبْرُ الْمَرْءِ فِي مَدْحِهِ وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ (٤)
 مِثْلُكَ يَنْبِي الْحَزْنَ عَنِّ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنِّ غَرْبِهِ (٥)
 إِيْمَا لِإِبْقَاءِ عَلَى فَضْلِهِ إِيْمَا لِتَسْلِيمِ إِلَى رَبِّهِ (٦)

(١) جعله كالبدر ، وأهله وعشيرته كالنجوم حول البدر . يقول : ما كان ينبغي أن
 تقعم للفقد أحدم لأن البدر يستغنى بنوره عن الكواكب .

(٢) أراد بالسائر : الذي حمل إليه الكتاب بوقاتها . يقول : حاشاك أن تضمف عن
 حمل ما أطاق حمله الرسول : أى إذا كان الرسول أطاق حمل ذكر وقاتها فأت أشد
 إطاقة له ، قال الواحدى : وهذا فى الحقيقة ضرب من المغالطة ، وإنما أراد تسكينه
 فتوصل إلى ذلك من كل وجه :

(٣) يقول : إنك قد حمات الثقيل من الأمور قبل هذا الحادث فأغنتك قوتك عن
 جر ذلك الثقل — وذلك أن حامل اشقل إذا هجز عن حمله جره على الأرض ، كما قال
 عتاب بن ورقاء :

وَجَرَهُ إِذْ كَلَّ عَنْ حَمَلِهِ وَنَفْسُهُ مِنْ حَضْفِهِ عَلَى شَفَا

واللغى : أنك صبور على تحمل الشدائد فلا تجزع عن حمل هذا الرزء .

(٤) الإشفاق : الحوف والجزع ، والتلب ، الدم — ثلثه : فمه وعابه . يقول :
 إن الصبر مما يمدح به الإنسان والجزع مما يعاب به . يريد : أن يحسن الصبر لديه ليرغب
 فيه ، ويقبح الجزع ليجتنبهه .

(٥) الصوب : القصد والناحية ؛ والغرب : مجرى الدمع . يقول : مثلك يقدر على
 صرف الحزن والتغلب عليه بالصبر إذا قصدك ؛ ومثلك يسترد الدمع عن مجراه إلى قراره .

(٦) إيماء : لئمة فى إيماء . يقول : يفضل ذلك إيماء إبقاء على فضله لتلايضح فضله
 بالجزع ، وإيماء لتسليم الأمر إلى الله ، ورعا وتقوى .

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَخْبِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهٍ^(١)

وقال في صباه يهجو القاضي الذهبي :

لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ أَبْنَاءَ لِفَيْرِ أَبِ
مُمٍّ أَمْتَحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبِ
سُمِّتَ بِالذَّهَبِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً
مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الذَّهَبِ^(٢)
مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَبِكَ بِهِ
يَا أَيُّهَا اللَّقْبُ الْمُلْتَقَى عَلَى اللَّقَبِ^(٣)

- (١) يقول : لم أعن بقولي : مثلك يثنى الحزن عن صوبه — إنساناً آخر غيرك . لأنك الفرد الذي لا مثل له ، ولكن المثل قد يذكر في الكلام صلة ويراد به عين ما أضيف إليه كقوله تعالى : « ليس كمثل شيء » — يريد إنما أردت نفسك لا غيرك .
- (٢) هذا البيت جواب لما في البيت الأول . يقول : لما لم يعرف لك أب ولم يكن لك أدب تعرف به : سميت اليوم بالذهبي : أي أن هذه النسبة مستحدثة لك ليست بموروثة واشتقاقها من ذهاب العقل ، لا من الذهب : أي إنما قيل لك الذهبي لنهاب عقلك .
- (٣) ويك : هي ويك ، حذف اللام لكسرة الاستعمال . يقول : إن الذي لقبك به هو ملقب بك : أي أنت شين وعار للقبك ، فلقبك ملقى على لقب — أي على عار وخزي — قال الواحدى : ومثل هذا الكلام لا يستحسن ولا يستحق التفسير ولا يساوى الشرح ، ولو طرح أبو الطيب شعر صباه من ديوانه كان أولى به ، وأكثر الناس لم يرو هذه القطعة ولا القطعة التي أولها :

لقد أصبح الجرذ المستغفر أسير المنايا سريع العطب

وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائي ، وقد كان أبو الطيب نزل به في أرض
حِصَى مُنصَرَفَه من مصر ؛ فاستغوى وردان عبيد أبي الطيب ، فحملوا يسرقون له
من أمتعه ؛ فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه
وأمر الغلمان فأجهزوا عليه :

لَمَّا اللَّهُ وَرَدَانَا وَأَمَّا أَنْتَ بِهِ
لَهُ كَسَبُ خَنْزِيرٍ وَخُرْطُومُ ثَمَلَبٍ^(١)
فَمَا كَانَ فِيهِ الْغَدْرُ إِلَّا دَلَالَةً
عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ^(٢)
إِذَا كَسَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ هُنَّ عَرْسِهِ
فَيَأْلُوهُمْ إِنْسَانٌ وَيَأْلُوهُمْ مَكْسَبِ^(٣)
أَهَذَا اللَّذِيًّا بِنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ
هُمَا الطَّالِبَانِ الرُّزْقَ مِنْ شَرِّ مَطْلَبِ^(٤)

(١) الخنزير يأكل العذرة ، وكذلك بنات وردان ، وهي دويبة كريمة الريح .
تألف الأماكن العذرة في البيوت - ولاتفاق الاسمين جملة كالخنزير في أكل العذرة ،
ويريد بقوله : له خرطوم ثعلب ، أنه نأى الوجه . فوجهه تخرطوم الثعلب ، وهو أنه
ولمه ؛ ولجاء الله . قبحه ولينه .

(٢) يقول : إن غدره بي دلالة على أنه ورث الغدر من أمه وأبيه : يعنى
أنهما كانا غادرين ، والغدر موروث له . لاعتى كلاله ؛ وأحسن من هذا مارواه
ابن جني .

* على أنه فيه من الأم بالأب *

أى أن غدره بي دلالة على أن أمه غدرت فيه بأبيه ، فجاءت به لغير رشده .

(٣) المهن : الفرج - قرفه بأنه ديوث يقود إلى امرأته ويجعل ذلك كسباً له .

(٤) يقول - تجاهلاً واستهزاء - : أهذا هو الذى تنسب إليه بنت وردان -

لَقَدْ كُنْتُ أَنبِيَّ الْفَدْرِ عَنْ تَوْسِ طِيٍّ
فَلَا تَعْدِلَانِي رَبِّ صِدْقٍ مُّكَذَّبٍ (١)

هذه الحشرة الحفيرة القذرة ؟ - ثم قال : هو وهي يلتمسان الرزق من شر مطلب : هي تطلبه من الحشوش - أما كفن العذرة - وهو يطلبه من هن عرسه . والذبا : تصغير الذي (٣) التوس والسوس : الأصل . يقول : لقد كنت أقول أن طيئاً لا تعدر وأن آباءهم ليسوا بقدارين ، فلا تلوماني إن قلت : إن هذا قد غدر لأنه ليس من الأصل الذي يدعى إليه من طيء . وقوله : رب صدق مكذب : يعني أنه كان صادقاً في نفي الغدر عن طيء وإن كذبه الناس لأجل وردان بادعائه أنه من طيء . يريد أنه صادق ، وأن وردان ليس من طيء .

قافية التاء

وأنفذ إليه سيف الدولة قول الشاعر :

رَأَى خَاسِرًا مِّنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا
فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ^(١)

(١) الخلة : الحاجة والفقر ، ويقال : في الدعاء للميت : اللهم اسدد خلته : أى ائتمه التى ترك . وأصله من التخلل بين الشيتين . قال الأصمى : يقال للرجل إذا مات له ميت اللهم اخلف على أهله ، واسدد خلته : يراد الفرجة التى ترك بعده من الخلل الذى أبقاه فى أموره ، وفى المثل . الخلة تدعو إلى السلة ، والسلة : السرة . ورجل محل ومخل وأخل وخليل : معدم فقير ؛ قال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالى ولا حرم

يعنى بالخليل المحتاج الفقير المحتل الحال ، والحرم : المنوع ، وقوله : من حيث يخفى مكانها يريد : من حيث لا يدركها لحاظ غيره ، وقد أدمج فى هذه الكلمة نزاهة نفسه وصيانة عرضه . وقوله : فكانت قذى عينيه : أبرع كلمة فى معنى الاهتمام بالحاجة ، وتجلت انكشفت وزالت ، والقذى : ما يقع فى العين من غبار ونحوه ، والبيت لعبد الله ابن الزبير الأسدى وقبله :

سأشكرُ عمراً ما تراخت منيتي
أبأدى لم تمنن وإن هى جلت

ففى غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النمل زلت^(١)
قيل أنه زار عمرو بن عثمان بن عفان يوماً ، فنظر عمرو فرأى تحت ثيابه ثوباً رثاً - وهذا هو مغزى قوله : رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فدعى وكيله وقال

(١) قوله سأشكر : فإن العرب تستعمل السين إذا أرادت تكرار الفعل وتأكيده ولا تريد التنفيس فيه ، ولم تمنن : لم يتبعها من ؛ وزلت نعله : يريد زلت قدمه فى مزالق الدهر فلا يجد مراكباً بقيه مصرع السوء .

وسأله إجازته ، فقال أبو الطيب والرسول واقف ارتجالاً :

لَنَا مَلِكٌ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ هُمُ نَمَاتٌ لِحَيٍّ أَوْ حَيَاةٌ لِمَيِّتٍ (١)
وَيَكْبُرُ أَنْ تَقْدَى بِشَيْءٍ جُفُونُهُ إِذَا مَا رَأَتْهُ خَلَّةٌ بِكَ فَرَّتْ (٢)
جَزَى اللَّهُ عَنِّي سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ فَإِنَّ نَدَاهُ الْغَمْرَ سَتَيْفِي وَدَوْلَتِي (٣)

وقال في صباه عند وداعه بعض الأعمام :

أُنْصُرْ بِجُودِكَ الْفِئَاءَ ظَلَمًا تَرَكَتُ بِهَا

فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنْ عَادَاكَ مَكْبُوتًا (٤)

اقترض لنا مالا ، فقال: هيات . ما يعطينا التجار شيئاً . قال: فأرجعهم ماشاءوا ، فاقترض له عشرة آلاف درهم . فوجه بها إليه مع تحت ثياب فقال هذه الأبيات .
(١) هم : مبتدأ ، وممات : خبر ، ويطعم : يذوق . يقول : لنا ملك لا يذوق النوم ، إذ ليس بصاحب لهو ، وإنما هم الحرب والجدود ؛ فميت بقتاله الأعداء ، ويحيى بنوالة الأولياء .

(٢) هذا كارد على قوله : فكانت قذى عينيه . يقول : هو أكبر من أن تقذه جفونه — أي يتأذى بشيء — فمضى رأته خلة فرت وزالت ولا تمكث حتى يراها ويقذى بها : أي أن صاحب الخلة مقي رأى هذا الملك — سيف الدولة — استغنى بتأميله قبل أن يرى خلته ، ومن ثم كان أكبر من أن يرى شيئاً يتأذى به .

(٣) حذف مفعول جزى للتعميم : أي جزاه عنى كل خير ، ونداه : أي جوده ، والغمر : الكثير ، وماء غمر : كثير مفرق ، ويقال رجل غمر الرداء وغمر الخلق : أي واسع الخلق كثير المعروف سخى ، وإن كان رداؤه صغيراً قال كثير :

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقَتْ لِيضْحَكْتَهُ رِقَابَ الْمَالِ

وكله على المثل :

(٤) مكبوتاً ذليلاً . قال الجوهري : الكبت : الصرف والإذلال . يقال : كبت الله العدو : أي صرفه وأذله ، وكبته : أي صرعه لوجهه . وفي القرآن الكريم « كبتوا كما كبت الدين من قبلهم » . وفيه أيضاً « أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » وقال الفراء : كبتوا أي غيظوا وأحزنوا يوم الخندق كما كبت من قاتل الأنبياء قبلهم . قال الأزهرى : وقال

فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحَلِي وَذَا الْوَدَاعُ فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِيتَا^(١)

وقال مرتجلا يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي :

فَدَنَّاكَ الْخَلِيلُ وَهِيَ مُسُومَاتٌ وَبِيضُ الْهِنْدِ وَهِيَ مَجْرَدَاتٌ^(٢)

وَصَفْتُكَ فِي قَوَافِ سَائِرَاتٍ وَقَدْ بَقِيَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ صِفَاتٌ^(٣)

أَفَاعِيلُ الْوَرَى مِنْ قَبْلِ دُهُمٍ وَفِعْلُكَ فِي فِعَالِهِمْ شِيَاتٌ^(٤)

من احتج للفراء : أصل الكبت : الكبد ، قلبت الدال تاء — أخذاً من الكبد وهو معدن الغيظ والأحقاد — فكان الغيظ لما بلغ بهم مبلغه أصاب أكبادهم فأحرقها. ولهذا قيل للأعداء : هم سود الأكباد . يقول : انصر ببطاياك قصائدي التي مدحتك بها والتي غاظت أعداءك في الشرق والغرب حتى تركتهم أذلاء . ومن نصره إياها أن يصدقها فيما وصفه به من الجود ويعطيه حتى يزيده منها .

(١) نظرتك : أي انتظرتك ؛ والمرتحل : الارتحال . يقول : لقد انتظرت عطاءك حتى قرب ارتحالي عنك ، وهذا وقت وداعي إياك فاختر : إما أن تجود فتكون أهلاً للمدح ، أو تمنع وتحمم فتكون أهلاً للذم . وهذا كقول أحمد بن أبي فنن :

حَانَ الرَّحِيلُ قَدْ أَوْلَيْنَا حَسَنًا وَالْآنَ أَحْوَجَ مَا كُنَّا إِلَى زَادِ

(٢) مسومات : مملات بعلامات تعرف بها . يقول : فدنتك الخيل والسيوف في

الحرب حتى تفتي هي وتبقى أنت ، إذ يبقى الخير لنا ما بقيت .

(٣) فاعل كثرت : ضمير اقوافي ، وفاعل بقيت : صفات . يقول : لقد وصفتك

بقصائد كثيرة ، بيد أنه — مع كثرتها — بقيت صفات لك لم أخط بها .

(٤) أفاعيل : جمع أفعال ، جمع فعل ، والدم : السود ، والشيات : جمع شية ،

وهي لون يخالف بقية لون الجلد كالغرة والتحجيل . يقول : إن أفعال الناس

من قبلك سود بالقياس إلى فعلك ، وفعلك متميز منها تميز الشية من اللون الأسود :

أوهي — أفعالهم — تزين بفعلك تزين الأدم بالغرة والتحجيل — كمال يقول

أبو تمام :

قَوْمٌ إِذَا سَوَّدَ الزَّمَانَ تَوَضَّحُوا فِيهِ وَغُودِرَ وَهَوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ

وقال يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران :

سِرْبٌ مُحَاسِنُهُ حُرْمَتُ ذَوَاتِهَا ذَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا^(١)
 أَوْفَى فَكُنْتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقَلَّتِي بَشْرًا رَأَيْتُ أَرْقَ مِنْ عِبْرَاتِهَا^(٢)
 يَسْتَأَقُ عَيْسَهُمْ أَنْ يَنْبِي خَلْفَهَا تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ زَجْرَ حُدَاتِهَا^(٣)
 وَكَانَهَا شَجَرٌ بَدَتْ لِكِنِّهَا شَجَرٌ جَنَيْتُ الْمَوْتَ مِنْ نَمْرَاتِهَا^(٤)

ومعنى البيت من قول أبي تمام أيضاً :

حتى لو أن الليالي صُوِّرَتْ لَفَدَّتْ أفعالُه الغرُّ في آذانها شَفْنَا^(١)

(١) السرب : القطيع من الطباء والقطا وما إليهما ، والمراد هنا : جماعة النساء ، وسرب : خبر مبتدأ محذوف : أى الذى اشتاقه أو أصفه مثلا ، وذواتها : صواحباتها . يقول : إن هذا السرب قد حرمت ربات محاسنه لما حيل بينى وبينهن ، وهو قريب الصفات لأن صفاته — أى محاسنه — لا تزال نصب عيني وطى ذكر منى ، ولكن الموصوفات بهذه الصفات — أى أشخاص النساء — بعيدة عني .

(٢) أوفى : أى السرب : أى أشرف ، والبشر : جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد . يقول : إن هذا السرب أشرف على — لما سار — من مكان عال ، أو علا هوادجه للمسير ، فكان بصري إذا وقع على بشرته رأى شيئا أرق والطف من دموع المقلّة ، ولك أن تجعل الضمير فى عبراتها : للبشر . ويراد بالعبرات : العرق الذى يسيل من البشرة ، ويكون المراد أنهم عرقن من الجهد والإعياء ، وروى الخوارزمي : نشزا ، وهو ما ارتفع من الأرض . يقول : إذا نظرت إلى النشز الذى أوفى عليه السرب رأيت طول البعد كأنه سراب ؛ والسراب أرق من العبرات . ويكون الضمير للمقلّة .

(٣) يستاق : يسوق . والعيس : الإبل ، والحداد الذين يسوقون الإبل . يقول : إن الإبل كانت تسمع أنبى خلفها فتسرع فى سيرها لأنها تظن زفراتى أصوات الحدأة تزجرها لتسرع ، فسائقها — على الحقيقة — أنبى وزفراتى .

(٤) العرب تشبه الإبل عليها هوادجها بالنخل والشجر والسفن .

(١) الشنف كفسل — وحركة ضرورة — ما يعلق فى أعلى الأذن

لَا سِرْتٍ مِنْ إِبْلِ لَوْ أُنِي فَوْقَهَا
 لَمَحَتْ حَرَارَةٌ مَدْمَعِي سِمَاتِهَا^(١)
 وَحَمَلْتُ مَا حَمَلَتْ مِنْ هَذِي الْمَا
 وَحَمَلْتُ مَا حَمَلْتُ مِنْ حَسْرَاتِهَا^(٢)
 إِنِّي عَلَى شَفْنِي بِمَا فِي خُرْمَا
 لِأَعْفُ عَمَّا فِي سَرَاوِيلَاتِهَا^(٣)

يقول : كأن هذه الإبل شجر ، بيد أني جنيت الموت من ثمراتها ، لأنها كانت سبب فراق أحبه ، وروى ابن جنى : بلوت المر من ثمراتها . وبلوت : اختبرت وذقت وهذا من قول أبي نواس :

لَا أَذُودُ الطَّيْرِ عَنِ شَجَرٍ قَدْ بَلُوتُ الْمَرْءِ مِنْ ثَمَرِهِ

(١) لا سرت : دعاء ؛ ومن إبل . تميز : وقوله لمحت : من الهو ؛ واللام : جواب لو . والمدامع في الأصل : مجرى الدمع من العين ، والمراد بها هنا : الدموع والسبات : جمع سمة ، وهي أثر الكي على الجلد . يدعو على الإبل أن لا تسير لأنها فرقت بينه وبين من يحب ، ثم قال : ولو كنت من ركاب هذه الإبل لكأنت حرارة دمى تمحو آثار وسمها ، وقوله : لو أني : حرك الواو الساكنة من لو بحركة الهمزة وحذفها وهو كثير مستعمل في كلامهم

(٢) الما : بقر الوحش ، والمراد : النساء للشبهات بالما لحسن عيونهن . وهذا دعاء أيضاً . يدعو أن يكون حاملاً ما حملته هذه الإبل من الحجاب ، وأن تحمل الإبل ما حمله هو من حسرات فراقهن .

(٣) الخمر : جمع خمار . وهو ما تغطي به المرأة رأسها ، والسراويلات : جمع سراويل ، فارسي معرب ، وهو ذلك اللباس الذي يستر النصف الأسفل من الجسم . وقال سيويوه : سراويل واحدة ، وهي أعجمية عربت ، فأشبهت من كلامهم ما لا ينصرف في معرفة ولا نكرة ، فهي مصروفة في النكرة ، وإن سميت بها رجلا لم تصرفها ، وكذلك إن حقرتها اسم رجل ، لأنها مؤنث على أكثر من ثلاثة أحرف مثل عناق ؛ ومن النحويين من لا يصرفها في النكرة . ويزعم أنها جمع سروال وسروالة ، وينشد :

عَلَيْهِ مِنَ اللَّؤْمِ سِرْوَالَةٌ فليس يَرِقُ لِلسَّتْعَطِفِ^(١)

(١) قيل : إن هذا البيت مصنوع وقيل قائله مجهول : قال السيرافي : سروالة : لغة في السراويل . وقوله من اللؤم : كان في الأصل صفة لسروالة . فلما قدم عليه صار حالاً منه واللؤم : شح النفس ودناءة الآباء .

وَتَرَى الْفُتُوَّةَ وَالْمُرُوَّةَ وَالْأَبُوَّةَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَاتِهَا^(١)

ويحتج في ترك صرفه بقول ابن مقبل يصف اثور الوحشى :

أَيَّ دُونَهَا ذَبُّ الرِّيَادِ كَأَنَّهُ فَتَى فَارِسِيٌّ فِي سِرَاوِيلِ رَامِحٍ^(٢)

قال صاحب ابن عباد : كان الشعراء يصفون للآزر تزيها لألفاظها عما يستشع ؛ حتى تخطى هذا الشاعر للطبوع . . . إلى التصريح . . . وكثير من العهر عندي أحسن من هذا العفاف . قال بعضهم : هذا مما عابه الأصحاب على المتنبي . . . ، وإنما قال للتنبي عما في سرايلاتها ؛ جمع سربال ، وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمي . يريد للتنبي : إن مع حبي لوجهن أعف عن أبدانهن ، ومثله لفظويه — أحد أئمة النحو وتليذ ثلث — :

أَهْوَى النِّسَاءَ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالِسَهَا
وَمَا أَرُوعَ قَوْلِ الْبَاصِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفُّ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقُ النَّظْرُ

(١) كل مليحة : فاعل ترى ، والفتوة وما عطف عليها : مفعول أول ترى ؛ وضراتها : مفعول ثان . والفتوة : الكرم والسخاء ، والروة والمروة الإنسانية ، والأبوة هنا الأئمة وعزة النفس والأبوة أيضاً : الآباء — مثل العمومة والخوالة — وكان الأصمى يروى قول أبي ذؤيب :

لَوْ كَانَ مِدْحَةٌ حَى أَنْشَرْتَ أَحَدًا أَحَى أَبوتِكَ الشَّمِ الْأَمَادِيحِ
وغيره يرويه .

• أَحْيَا أَبَا كَنْ بِاللَّيْلِ الْأَمَادِيحُ

يقول : إن هذه المعاني تحول بينه وبين الخلوۃ بالحسان فكأنها ضرائر لمن ، وقد زاد ذلك تبياناً في البيت التالي .

(٢) الضمير في دونها : لأتاه ، ودون : بمعنى قدام ؛ وذب الرياد : اثور الوحشى :

قال القالى : يقال فلان ذب إذا كان لا يستقر في موضع ؛ ومنه قيل للثور الوحشى : ذب الرياد . شبه الشاعر ما على قوائم اثور الوحشى من الشعر بالسراويل — وهو من لباس القيس — ولذا شبهه بقى فارسى وشبه قرنه بالرمح ، ولذا قال رامح .

هُنَّ الثَّلَاثُ الْمَانِمَايَ لَدَّتِي فِي خَلَوْتِي لَا انْلُوفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا^(١)
 وَمَطَالِبِ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتَهَا ثَبَتَ الْجَنَانَ كَأَنِّي لَمْ آتِهَا^(٢)
 وَمَقَانِبِ بِمَقَانِبِ غَادَرْتَهَا أَقْوَاتَ وَخَشِي كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا^(٣)
 أَقْبَلْتُهَا غَرَّرَ الْجِيَادِ كَأَنَّهَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبَاهِهَا^(٤)
 الثَّابِتِينَ فَرُوسَةً كَجُلُودِهَا فِي ظَهْرِهَا وَالطَّمَنُ فِي لِبَاتِهَا^(٥)

(١) يقول : إن الفتوة وما بعدها هي التي تكفه عن لذاته في خلوته لاخوفه من عواقب هذه اللذة : يعني أنه لو لم يكن للذة عواقب آتية يخشاها لاجتنبها بما طبع عليه من الفتوة والروءة والأنتة . قال المكبري : وهذا من قول الحكيم : النفوس المتجوهرة تترك الشهوات البهيمية طبعاً لا خوفاً أقول : وفيه شيخ المعرة إذ يقول : - وإن كان أعجب ولتفعل النفس الجميل لأنه خير وأفضل لأجل ثوابها

(٢) الواو : واو رب ، والجنان القلب . يقول : رب مطالب فيها الهلاك أتيتها وقلبي هو هو على حاله لم يتغير كأنني لم آتها ولم أر أهوالها . يصف نفسه بالشجاعة ورباطة الجأش وأنه لا يبالي بالأخطار .

(٣) المقاب : جمع مقنب - الطائفة من الخيل تجتمع للقتال ، وغادرتها : تركتها ، وأقوات : مفعول ثان لغادرتها . يقول : ورب جيش من الفرسان لقيته بمثله من صحبي فتركته قوتاً للوحوش التي كانت قوتاً له ، يصيدها ويذبحها ويأكلها ، وجمع الوحش على عادة العرب في أكلمهم مادب ودرج .

(٤) أقبلتها : أي المقاب التي أهلكتها : يقال أقبلته الشيء : أي وجهته إليه وجعلته قبالة مما يليه ، والغرر : جمع غرة ، وهي البياض يكون في وجه الفرس ، والأيدى هنا النعم . شبه بياض غرر خيله بنعم المدوحين ، ويد النعمة توصف بالبياض مجازاً . وقد جرت العادة في جمع يد النعمة بالأيدى وفي يد العضو بالأيدى ، ولكن التنبي وضع هذه مكان تلك في موضعين : أحدهما هذا البيت . . . وقال ابن القطاع - في قوله أقبلتها غرر الجياد : جعلتها تقبل غرر جيادها التي أوصلتهم إلى أعدائهم وشفقت صدورهم منهم كأنها أيدي بني عمران المعتادة التقبيل ، ويقال أقبلت الرجل يد فلان : أي جعلته يقبلها . وفي البيت من البديع حسن التخلص كما ترى .

(٥) يصفهم بالإقدام والشجاعة والحذق بركوب الخيل ، يقول : إنهم يثبتون في ظهور الخيل ثبات جلودها عليها حال كونهم في معمرة الحرب والطمع متتابع في لباتها ،

العَاصِرِينَ بِهَا كَمَا عَرَفْتَهُمْ وَالرَّاكِبِينَ جُدُودَهُمْ أُمَاتِهَا (١)
فَكَأَنَّهَا نَتَجَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وَلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا (٢)

وفروسة أى — أى حدقا — تميز ، والثابتين : فى موضع خفض على النعت أو البدل من بنى عمران ، ويجوز أن يكون فى موضع نصب على المدح ؛ ومن روى والطنن — بالرفع — فالواو واو الحال ، ومن رواه بالخفض فمعناه يشبتون فى ظهورها ثبوت الطنن ؛ والتقدير: كجلودها وكالطنن : واللبات جمع لبة ، وهى النحر .

(١) كان الوجه أن يقول والراكب جدودهم أماتها : أى والذين ركب جدودهم أماتها ، إلا أن هذا على لغة من يقول : قاموا إخوتك وذها أخواك ، والأمات : جمع أم لما لا يقل ، وتجمع للعائل أمهات ، هذا هو الغالب ، ويجوز العكس . قال الواحدي : **والذى يذكره الناس فى معنى البيت أن هذه الخيل تعرفهم وهم يعرفونها ، لأنها من تتأبجهم تناسلت عندهم ، فجدود المدوحين كانوا يركبون أمهات هذه الخيل ؛ وسياق الآيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لاخليل المدوحين بنى عمران — وهو قوله : أقبلتها غرر الجياد — وإذا كان كذلك لم يستقم هذا المعنى ، إلا أن يدعى مدع أنه قاتل على خيل المدوحين فإنهم يقودون الخيل إلى الشعراء . قال ابن فورجه : **والذى عندى أنه يصف معرفتهم بالخيول ولا يعرفها إلا من طال مراسمها لها ، والخيول تعرفهم أيضاً لأنهم فرسان . هذا كلامه . ولم يوضح ما وقع به الإشكال ، وإنما يزول الإشكال بأن يقال الجياد اسم جنس فى قوله : غرر الجياد أراد جياد نفسه ، وفيما بعده أراد جياد المدوحين . والجياد تعم الخيلين جميعاً . وقوله : والراكبين جدودهم أماتها : يريد أن جدودهم كانوا من ركاب الخيل ، يعنى أنهم عريقون فى الفروسية طالما ركبوا الخيل ، فهذه الخيل مما ركب جدودهم أمهاتها . ويشبه هذا قول شيخ المعرة :****

يا ابن الألى غير زجر الخيل ما عرفوا إذ تعرفُ العربُ زجر الشاء والعكر
« العكر : جمع عكرة : القطعة من الإبل : أى أنهم ملوك ما اعتادوا إلا ركوب الخيل وزجرها ولم يكونوا رعاة شاء وإبل . »

(١) هجبت — بالبهاء للمجهول — ولدت ، قال الأزهري: يقال نتجت الناقة إذا ولدت فى منتوجة ؛ وأنتجت إذا حملت ، فهى تتوج ، ولا يقال متج ، ونتجت الناقة : إذا ولدتها ؛ والناجج للإبل كإقابلة للنساء ، وعبرة الجوهري فى الصحاح : نتجت الناقة على

إِنَّ الْكِرَامَ بِلَا كِرَامٍ مِنْهُمْ مِثْلُ الْقُلُوبِ بِلَا سُؤْدَاوَاتِهَا^(١)
تِلْكَ النَّفُوسُ النَّالِيَاتُ عَلَى الْعَلَى وَالْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا^(٢)
سُقِيَتْ مَنَايِبُهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى بِيَدَيِ أَبِي أَيُّوبَ خَيْرِ نَبَاتِهَا^(٣)

مالم يسم فاعله تتج ، وقد تتجها أهلها : تتجا . قال السكيت :

وقال المذمرُ لِلنَّاسِجِينَ مَتَى ذُمِّرَتْ قَبْلِي الْأَرْجُلُ^(١)

والتتوج من الخيل وجميع الحافر الحامل ، وقد أتجت . وبضمهم يقول : تتجت ، وهو قليل ؛ أما ابن الأعرابي فقد قال تتجت الفرس والناقة : ولدت وأتجت : دنا ولادها ، كلاهما فعل مالم يسم فاعله - ولم أسمع تتجت ولا أتجت على صيغة فعل الفاعل . والصهوة : مقعد الفارس . يقول : كأن الخيل ولدت تحتهم قائمة مستعدة للجري ؛ وكأنهم ولدوا راكبين على ظهورها يصفهم بطول إلفهم للفروسية وطول مراسهم ركوب الخيل .

(١) السويداوات جمع سويداء - حبة اقلب - يقول . إن الكرام من الخيل إذا لم يكن عليها فرسان من هؤلاء المدوحين كالتقط دون سوداء . وقال بعض الشراح : ينى أنهم زبدة الكرم ولبابه . فهم من الكرام بمنزلة السويداء من القلب .

(٢) يقول : إنهم يغلبون الناس على العلى فيحزرونها دونهم ، والمجد يغلبهم على شهواتهم ؛ فلا يمكنهم من الشهوات المركبة في بني آدم خشية العيب والشين .

(٣) أراد بمنابت هذه النفوس : آباء المدوحين ، وجعل أبا أيوب أكرم نبات تلك للنبات : يعنى أن نفسه أشرف هذه النفوس . ولما جعلهم منابت أثبت لهم السقيا التي تحيي الأرض ، وجعل النبات يسقى المنابت على عكس العادة تقننا وإغرابا في الصنعة . يقول : إن آباء المدوحين الذين أحيوا الناس بجودهم قد حي مجدهم بجود هذا المدوح الذي هو خير آبائهم . وروى بدل بيدي : بندي - بالنون - وعبرة ابن جنى : لا أزال لله ظله عن أهله وذويه . قال ابن فورجه : ليس الغرض أن يدعو لقومه بدوام إفضاله عليهم ، ولكن الغرض تعظيم شأنه وعظاته .

(١) المذمر : الذى يدخل يده فى حياء الناقة لينظر أذكر جنتها أم أنثى ؟ سمى بذلك لأنه تلمس المذمر فيعرف ما هو . والمذمر : هو الكاهل والحق وما حوله إلى الذفرى . وهو الذى يذمره المذمر . يقول السكيت : إن التذمير إنما هو فى الأعناق لافى الأرجل .

لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ مَوَاقِبِ مَالِهِ بَلْ مِنْ سَلَاةِهَا إِلَى أَوْقَاتِهَا (١)
 عَجَبًا لَهُ حِفْظُ الْعِنَانِ بِأَنْمُلٍ مَا حِفْظُهَا الْأَشْيَاءَ مِنْ عَادَاتِهَا (٢)
 لَوْ مَرَّ يَرَى كُضُّ فِي سَطُورِ كِتَابَةٍ أَحْصَى بِمَخَافِرِ مُنْهَرِهِ مِجَابَاتِهَا (٣)
 يَضَعُ السَّنَانَ بِمَحِثُ شَاءَ مُجَاوِلًا حَتَّى مِنْ الْأَذَانِ فِي أَخْرَاتِهَا (٤)
 تَكْبُؤُ وَرَاءَكَ يَا ابْنَ أَحَدٍ قُرْحٌ
 لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ آلَاتِهَا (٥)

- (١) يقول : لسنا نتعجب من كثرة عطاياه وواهيه ، وإنما نتعجب كيف سلمت أمواله من بذله وتفريقه إلى وقت بذلها ؟ إذ ليس من عادته أن يمك شيئا .
 (٢) العنان . سير اللعاب ، وروى : حفظ العنان : بإضافة حفظ إلى العنان ، والبيت في معنى البيت السابق : يتعجب منه كيف حفظ العنان بأهل ماعاداتها أن تحفظ الاشياء ؟ يريد أنه شجاع يكثر ركوب الخيل في الحرب ، وأنه جواد معطاء .
 (٣) يصنف بالفروسية ، وأن فرسه يطاوعه في جميع حركاته ، فلا يضع حافره إلا حيث أراد ؛ وخص الميم لأنها أشبه بالحافر من سائر حروف اللجم .
 (٤) مجاولا : من الجولان ، وروى محاولا : من المحاولة . وهي الطلب والأخراة : جمع خرت ، وهو الثقب . يقول : إنه من الحدق في الطمن بحيث يضع رجمه في ثقب الأذن متى أراد .

(٥) القرخ : جمع القارخ من الخيل ، وهو ما أتى عليه خمس سنين ، وهو إذ ذاك يكون في جن نشاطه وقوته . والضمير في آلاتها : يعود إلى القرخ : أى أن قوائمه لا تصلح أن تكون آلات لها في لحاقت ، وهذا مثل . يقول : إنك سبقت الناس في المكارم ، فإذا أراد غولهم وكبارهم اللحاق بك كبت وسقطت وراءك ولم تستطع اللحاق بك لصعوبة مسالكك . ولك أن ترجع الضمير - من آلاتها - إلى وراء ، وهي مؤنثة أى ليست قوائمه من آلات الجرى وراءك . وإليك عبارات الشراح ، قال ابن جنى : لو تبعتك هذه القرخ لكبت وراءك ولم تحملها قوائمه لصعوبة مسالكك . وقال الواحدي : يجوز أن تكون الهاء عائدة إلى القرخ : أى أنها إذا تبعتك لم تعنها قوائمه فليست من آلاتها ، وهذا مثل ، يريد أن الكبار والفحول إذا راموا لحاقتك في مدى الكرم : عثروا وكبوا ولم يلحقوك ، والمعنى أن سيدك في العلى يخفى على من تبعتك فيعثر وإن (٢٣ - النبي ١)

رَعَدُ الْفَوَارِسِ مِنْكَ فِي أَبْدَانِهَا أَجْرَى مِنَ الْعَسَلَانِ فِي قَنَوَاتِهَا^(١)
لَا خَلْقَ أَنْتُمْحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ
بِكَ رَاءَ نَفْسِكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا^(٢)

كان قويا كالتقارح من الخيل . وقال ابن القطاع : المعنى ليست قوائم هذه الخيل من الآلات وراءك : أى ليست مما يكون خلفك فتطردك .

(١) الرعد : جمع رعدة ، والعسلان : الاهتزاز والاضطراب ؛ والقنوات - جمع قناة - الرمح . يقول : إن الارتعاد في أبدان الفرسان من جراء خوفك أظهر وأسرع جريا من الاهتزاز في رماحهم .

(٢) راء : مقلوب رأى ، كما قالوا : ناء ونأى . يقول ليس أحد أسمع منك إلا من كان عارفا بك وبما طبعك الله عليه من الكرم والجود ثم رآك ولم يسألك أن تهبه نفسك ، إذ لو سألك إياها لجدت بها ، فكان تركها لك جودا عليك بها ، وهذا من قول أبي تمام :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله

وإليك تحفة نغوية للعلامة العكبرى أوردها مناسبة قول المتنبي : لا خلق : قال العكبرى : ذهب البصريون إلى النكرة التي مع لا مبنية على الفتح كقولك لا رجل في الدار ، وتقديره : لا من رجل ، فلما حذف «من» من اللفظ وركبت مع لا : تضمنت معنى الحرف ، فوجب أن يبنى ، وبنيت على حركة لأن لها حالة تمكن قبل البناء ، وبنيت على الفتح لأنه أخف الحركات . وذهب أصحابنا إلى أنها نكرة معربة منصوبة بلا ، وحببتنا أنه اكتفى بها عن الفعل ، لأن التقدير في قولك : لا رجل في الدار ، أى لأجد رجلا ، فأكتفوا بلا : من الفعل العامل ، كقولك : إن قتقت وإلا فلا ؛ تقديره وإن لم تقم فلا أقوم ؛ فلما اكتفوا بلا من الفعل العامل : نصبوا النكرة به ، وحذفوا التنوين بناء على الإضافة ، ووجه آخر : أن «لا» تكون بمعنى غير : كقولك زيد لا عاقل ولا جاهل : أى غير عاقل وغير جاهل ، فلما جاءت هنا بمعنى ليس نصبوا بها ليخرجوها من معنى «غير» إلى معنى «ليس» ووجه آخر : إنما عملوها نصب لأنهم لما أولوها بالنكرة - ومن شأن النكرة أن يكون خبرها قبلها ، نصبوا بها من غير تنوين لما حدث فيها من التغيير . كما رفعوا النادى بغير تنوين لما حدث فيه من التغيير . . . ويقال : هات يا رجل ، بكسر التاء أى

غَلَّتِ الَّذِي حَسَبَ الْعُشُورَ بِآيَةٍ تَرْتِيكَ الشُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا^(١)
 كَرَّمَ تَبَيَّنَ فِي كَلَامِكَ مَائِلًا
 وَبَيَّنَ عَتَقُ الْخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا^(٢)
 أَعْيَا زَوَالِكَ عَنْ مَحَلِّ نَلْتَهُ
 لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا^(٣)

أعطى ، وللاثنين هاتيا : مثل آتيا ، وللجمع هاتوا ، وللرأة هاتى بالياء وللرأتين هاتيا وللنساء هاتين مثل عاطين . وتقول هات لا هاتيت وهات ، إن كانت بك مهاتاة ، وما أهاتيك . كما تقول ما أعاطيك ، ولا يقال منه هاتيت ولا ينهى بها . وقال الخليل : أصل هات من آتى يؤاتى . قلبت ألف هاء .

(١) غلت : هو غلظ ، يقال في الحساب خاصة . والعشور : جمع عشر - بفتح العين - الطائفة المعروفة من القرآن الكريم تقرأ مرة واحدة . والترتيل : التبيين في القراءة وبآية : متعلق بظلت ؛ وترتلك : مبتدأ ؛ ومن آياتها : خبره ؛ والجملة استئنافية . يقول إن الذى عد أعشار القرآن قد غلظ وفاته آية لم يعدها ، وهى ترتلك للسرور ، فإن هذا الترتيل معجزة في الإتقان وحسن الأداء : فهو آية من الآيات يبنى أن تلحق بآيات الترتيل فيزيد آية إلى آياته ، ومعجزة إلى معجزاته .

(٢) مائلا : ظاهرا ؛ والعتق : الكرم ؛ وعتقت الفرس تعتق وعتقت عتقا : سبقت الخيل فنجت ، وفرس عاتق : سابق ، ورجل متاق الوسيقة إذا طرد طريده سبق بها وأنجاها ، وفرس متاق الوسيقة . قال الأصمى : وهو الذى إذا طرد عليه طريده أنجاها وسبق بها . قال أبو المثلث يرثى صخرا :

حامي الحقيقة نسال الوديقة معتاق الوسيقة لانكس ولا واني

« الوسيقة : القطيع من الإبل يطردها الطارد » يقول : من سمع كلامك عرف منه كرمك وطيب عنصرك ، كما أن الفرس الكريم إذا سهل عرف عتقه بصهيله . وإنما يعرف كرمه من كلامه ؛ لأن كلامه يدور على أمر بالعطاء ووعد بالإحسان وما إلى ذلك مما يدل على طيب أعراقه ومحاسن أخلاقه .

(٣) أعياء الشيء : أعجز طالبه . والهالة ، الدائرة حول القمر . يقول : لقد بلغت مكانا عليا من المجد والشرف ، فأنت فيه كالقمر في علو المنزلة وهولك كالهالة . فلست تزايه ،

لَا نَعْدُلُ الرَّضَ الَّذِي بِكَ شَائِقٌ
أَنْتَ الرَّجَالِ وَشَائِقٌ عِلَاتِهَا^(١)
فَإِذَا نَوَتْ سَفْرًا إِلَيْكَ سَبَقْنَا فَأَصَفْتَ قَبْلَ مُضَائِهَا حَالَاتِهَا^(٢)
وَمَنَازِلُ الْحَمَى الْجُسُومُ قُلْنَا مَا عُدْرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا^(٣)
أَعْجَبْتَهَا شَرَفًا فَطَالَ وَقُوفُهَا لِتَأْمَلِ الْأَعْضَاءَ لَا لِأَذَاتِهَا^(٤)

كما أن القمر لا يزال هائته . قال النراج : وجمع القمر - وإن كان في المعنى واحداً - باعتبار ظهوره في كل شهر ، فحسن الجمع .

(١) شاقه : حمله على الشوق، وشائق : خبر مقدم ، وأنت : مبتدأ مؤخر ، والرجال مفعول شائق ، والتقدير : أنت شائق الرجال وعلاتها . يقول : لاناوم المرض الذي ألم بك ، لأنك أنت تشوق الرجال وتشوق علاتها : يعني أن المرض الذي بك لا يلام على إسمائه بك . فإنك شوقت الرجال إلى زيارتك وشوقت علاتها أيضاً ، فهي تزورك مثلهم وتنقل إليك عنهم شوقاً إليك . قال العكبري : وقد كان المدوح مريضاً حين مدحه المتعب بهذه القصيدة .

(٢) المضاف : مصدر بمعنى الإضافة : يقول : إذا نوت الرجال السفر إليك سبقنا علاتها فجاءت قبلها شوقاً فأصفت حالات الرجال - أي علاتها المذكورة - قبل أن تصيفهم ، لأنها وصلت إليك قبلهم . ويروى بدل سبقنا - بالنون - سبقنا - بالياء - يعني إذا أراد الرجال سفراً إليك : سبقنا بإضافة أحوالها قبل إصافتك إياها : يريد إقامة العذر للمرض الذي نزل به . وقال ابن القطاع : معناه إذا نوت الرجال سفراً إليك أعددت لها أموراً ، فكأنك ضيفت أحوالها قبل نزولها بك .

(٣) خيراتها . جمع خيرة مؤنث خير أي أفضل ، والضمير للجسوم . يقول : إن الحمى إنما تنزل على الأجسام ، فإذا تركت جسمك - الذي هو أفضل الأجسام - وألمت بغيره فما عذرهما في ذلك ؟ «هذا» ويقال حمى وحمة . قال الضباب بن سبيع لعمرى لقد برّ الصُّباب بنوهُ وبعض البنين حُمَّة وسُعَالُ

(٤) يقول : لقد أعجبت الحمى بما رأيت فيك من خصال الكرم والشرف فأطالت إقامتها بك لتأمل أعضائك المشتملة على تلك الخصال ، لا لتؤذيك . والأداة : مصدر

وَبَدَلَتْ مَا عَشِقْتَهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ حَتَّى بَدَلْتَ لَهُدِهِ صِحَّتَهَا^(١)
حَقُّ الْكَوَاكِبِ أَنْ تَزُورَكَ مِنْ عَلٍ
وَتَمُودَكَ الْأَسَادُ مِنْ غَابَاتِهَا^(٢)
وَالْجِنُّ مِنْ سُرَاتِهَا وَالْوَحْشُ مِنْ فَلَواتِهَا وَالطَّيْرُ مِنْ وَكُنَاتِهَا^(٣)
ذُكِرَ الْأَنْامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً
كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْبَاتِهَا^(٤)
فِي النَّاسِ أَمْثَلَةٌ تَدُورُ حَيَاتُهَا كَمَا تَهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا^(٥)

أذى ، فتكون من إضافة المصدر إلى فاعله : أى لتأمل الأعضاء لا لتأذى بها الأعضاء .

(١) لهذه : أى للحمى ، والضمير في صحتها للنفس . يقول : إنك بدلت كل ما أحبته نفسك ، حتى بدلت لهذه الحمى صحتك . يريد أنه جواد يجود بكل شيء بحبه .

(٢) من عل : من فوق . يقول : حق الكواكب أن تزورك عائدة لك لأنها شريكتك في العلو ، وكذلك الأسود لأنها تشبهك في الشجاعة .

(٣) والجن : عطف على الأسود . يقول : إن جميع هذه الأجناس تألم لعلتك ، لعموم نفعك ، فلو قدرت على عبادتك لجاءت إليك عائدة . والسترات : جمع سترة ، والوكنات : جمع وكنة ، عش الطائر . زاد الجوهري في جبل أو جدار : والوكر مثله ، وقال الأصمى : الوكنة والوكن : مأوى الطائر في عش ، والوكر - بالراء - ما كان في غير عش . وقال أبو عمرو ابن العلاء : الوكنة والأكنة - بالضم - مواقع الطير حينما وقعت على حائط أو عود أو شجر ؛ وتوكن : تمكن ، ووكن انطائر : دخل في الوكن ووكن يفضه : حضنه .

(٤) يقول : قد استأثرت - دون سائر الناس - بالناب والمحمد . فكنت منهم بمنزلة البيت البديع البتكر الفرد من القصيدة .

(٥) أمثلة : جمع مثال - أى صور ، وتدور صفة لأمثلة . وحياتها : مبتدأ . وكمياتها : خبره . يقول : إنهم أشباه الناس وليسوا بناس في الحقيقة تدور بين الوجود والعدم ، وحياتها كمياتها : في أنه لا غناء فيها ولا نفع ، ومماتها كمياتها : في عدم اللبالة به .

هَبْتُ النُّكَاحَ حِذَارَ نَسْلِ مِثْلِهَا
حَتَّى وَفَرْتُ عَلَى النَّسَاءِ بِنَاتِهَا^(١)
فَالْيَوْمَ صِرْتُ إِلَى الَّذِي لَوْ أَنَّهُ
مَلَكَ الْبَرِيَّةِ لَأَسْتَقَلَّ هِبَاتِهَا^(٢)
مُسْتَرْخَصٌ نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ
نَظَرْتُ وَعَثْرَةُ رَجُلِهِ بِدِيَاتِهَا^(٣)

-
- (١) يقول : خفت - إن تزوجت - أن يكون لى نسل مثل هذه الأمثلة ، فتركت البنات موفورة على الأمهات ، لم أتزوج واحدة منهن .
- (٢) يقول : لو كانت الخليفة ملكاً له ثم وهبها لا ستقل ذلك بالقياس إلى كرمه . ومن روى وهب البرية : كان المعنى أنه لو عم البرايا بالهبات لا ستقلها . والبرية : الخلق تقول : براه الله يبروه بروا أى خلقه . ويجمع على البرايا والبريات : من البرى . وهو التراب . هذا . إذا لم يهمز ، ومن ذهب إلى أن أصله الهمز : أخذه من برا الله الخلق يبرؤم : أى خلقهم ، ثم ترك فيها الهمز تخفيفاً . قال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة .
- (٣) نظر : مبتدأ مؤخر ؛ ومسترخص ، خبره مقدم ولك أن تجعل مسترخص خبر مبتدأ محذوف ، ونظر فاعل مسترخص وعثرة رجله : روى بدلها غير رجله : أى غبار رجله . والديات : جمع دية فمن دم القتل . يقول : لو اشترت البرية نظره إليه بأعينها التى بها لكان رخيصاً ولو فدت عثرة رجله بمثل أثمان دياتها لكان ذلك رخيصاً أيضاً : أى أن دية عثرته أكثر من ديات الخلائق .

قافية الجيم

وقال يمدح سيف الدولة ، وقد صف الجيش في منزل يعرف بالسنبوس وركب
قاصداً سمندو :

لَهَذَا الْيَوْمِ بَعْدَ غَدِ أَرِيحَ وَنَارٌ فِي الْعَدُوِّ لَهَا أُجِيجُ^(١)
تَبِيْتُ بِهَا الْحَوَاصِنُ آمِنَاتٍ وَتَسْلَمُ فِي مَسَالِكِهَا الْحَجِيجُ^(٢)

(١) الأريح : الرائحة الطيبة ؛ والأجيج اشتعال النار وتلهبها : أجت النار توج
وتنج أجيجا. وكذلك ائجت : على افعلت ، وتأججت ؛ وقد أججها تأججاً ، وأجج
بينهم الشر أوقده ؛ والأجوج : المضيء . قاله ابن العلاء ، وأنشد لأبي ذؤيب يصف برقا :

يُضِيءُ سَنَاهُ رَاتِقًا مُتَكَشَفًا أَعْرَ كَمِصْبَاحِ الْيَهُودِ أَجُوجُ^(١)

يقول : سيكون لهذا اليوم — الذي سرت فيه للحرب — أبناء طيبة تسر الأولياء ،
ونار حرب يضطرم لهيها على الأعداء ، وعبرة ابن جني : يأتي خبر طيب يسر المسلمين
ويسوء المشركين .

(٢) الحواصن : العقيقات ؛ وتروى الحواصن — أي النساء الرييات لأطفالهن —
وتروى : الحواصر — أي نساء أهل الحضر — يقول : إن نار هذه الحرب
تأمن بها النساء من السبي ، ويسلم الحجاج في مسالكهم فلا يتعرض لهم الروم إذ تنتصر
عليهم ، فالضمير في مسالكها : للحجيج ؛ والحجيج : الحجاج : جمع حاج ، ومثله غاز
وغزى وناج ونجى ، وناد وندى — للقوم يتناجون ويحتمون في مجلس — وللعادين
على أقدامهم عدى ، والضمير في بها : للنار ومن روى به : فالضمير للأجيج .

(١) يصف سحاباً متابعا ؛ والهاء في سناه : تعود على السحاب ، وذلك أن
البرقة إذا برقت انكشف السحاب ؛ وراتقا : حال من الهاء في سناه ، ورواه الأصمعي
راتق متكشف ، فجعل الراقق : البرق .

فَلَا زَالَتْ عُدَاتُكَ حَيْثُ كَانَتْ فَرَائِسَ أَيُّهَا الْأَسَدُ الْمَهِيجُ^(١)
عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُعْبَيَاتٌ وَأَنْتَ بَغِيرِ سَيِّفِكَ لَا تَمِيحُ^(٢)
وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُنْفِرُ مِنْ يَمِينِهِ
إِذَا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمُوجُ^(٣)

(١) المهيج : الذي هاجه غيره ؛ وفرائس : خبر زالت . لما ذكر الأسد استعار له الفريسة فقال : لا زالت عداتك أيها الأسد فرائس لك في حيثما كانت .

(٢) لا تميح : لا تبالى . وكان أبو الطيب مع سيف الدولة في بلاد الروم . فلما صف الجيش كان أبو الطيب متقدماً ، فالتفت فرأى سيف الدولة خارجاً من الصفوف يدير رماحاً ، فحرفه وجاء إليه وسأله وأنشده . يقول : عرفتك والصفوف معبأة من حولك وأنت لا تبالى إلا بسيفك . يشير إلى أنه لا يحتفل بجنده وبتعبته ، وأنه شجاع لا يبا إلا بسيفه ، هذا . ويقال عبأت الجيش عبأ وعبأهم تعبأ ، وقد يترك الهمز فيقال عبئهم تعبأ : أى رتبهم في مواضعهم وهبأهم للحرب ؛ وقد قلنا : لا تميح بمعنى لا تبالى . قال صاحب اللسان : الميح شبه الاكتراث ، وأنشد :

وَمَا رَأَيْتُ بِهَا شَيْئاً أَعْيَجُ بِهِ إِلَّا الثَّمَامَ وَالْإِمْرَاقَةَ النَّسَارَ

قال ابن سيده : ما عاج قوله عيماً و عيجوجة : لم يكثر له أو لم يصدق ؛ وما عاج بالدواء عيماً : أى ما انتفع ، وما أعيج من كلامه شئ . : أى ما أهاب به ؛ وبنو أسد يقولون ما أعوج بكلامه : أى ما ألقت إليه ؛ أخذوه من عبت الناقة . ويقال : ما عجت بخبر فلان ، ولا أعيج به : أى لم أشتف به ولم أستيقنه . قال ابن العلاء : العياج الرجوع إلى ما كنت عليه .

(٣) يسجو : يسكن تموجه ، قال تعالى « والليل إذا سجا » أى سكن بالناس ، ومنه البحر الساجى ، قال الأعشى :

فَاذْئَبْنَا إِنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ وَبَحْرُكُمْ سَاجٌ لَا يُوَارِي الدَّهَامِصَ^(١)
وليلة ساجية : إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب غير مظلمة .

(١) الدهاميص والدعاميص : جمع دحموص : دوية صغيرة تقوص في الماء ، وكثيراً ما تكون في المستنقعات .

بأرض تَهْلِكُ الأَشْوَاطُ فِيهَا
 إِذَا مِلْتَّ مِنَ الرَّكْضِ الفُرُوجُ^(١)
 تَحَاوِلُ نَفْسَ مَلِكِ الرُّومِ فِيهَا
 فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ المَلُوجُ^(٢)
 أَبالْفَعْمَاتِ تُوعِدُنَا النَّصَارَى
 وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهِيَ البُرُوجُ^(٣)
 وَفِينَا السَّيْفُ حَمَلْتُهُ صَدُوقُ^(٤)
 إِذَا لَأَقَى وَغَارَتُهُ جُلُوجُ^(٥)
 نُوذُهُ مِنَ الأَعْيَانِ بِأَسَا
 وَيَكْتُرُ بالدُّعَاءِ لَهُ الضَّحِيحُ^(٥)

قال الحارثي :

يا حبذا القمراء والليلُ الساجُ وطُرُقٌ مثلُ مُلاءِ النَّساجِ
 وامرأة ساجية : فاترة الطرف . وهو معنى حسن في النساء ؛ وناقاة سجواء : ساكنة
 عند الحلب ؛ وسجى الميت غطاءه ، والمتسجى : التغطى ، من الليل الساجي ، لأنه يغطى
 بظلامه وسكونه . يقول : إن البحر يعرف وهو ساكن فكيف إذا ماج وتحرك ؟ وضرب
 هذا مثلاً له اسأراه يدير رمحاً بيده ؛ فشبهه بالبحر المائج .
 (١) الشوط : الطلق من العدو ، قال في اللسان : الشوط الجري مرة إلى غاية ؛
 والجمع أشواط . وقد عدا شوطاً : أى طلقاً ؛ والفروج : ما بين قوائم الفرس . يقول :
 عرفتك بأرض واسعة يتلاشى فيها السير ، وإن كانت تملأ ما بين القوائم عدواً لطلوها
 (٢) تحاول : تطلب ، والضمير للخطاب ، والضمير من فيها للأرض ؛ والملج : الجافي
 الغليظ من كفار العمم . يقول : تريد أن تأخذ نفس ملك الروم في هذه الأرض
 فتفديه أصحاب الملوج إذ تفنيهم وتستأصلهم .
 (٣) الفعرات : الشدائد . يقول : أتهددنا النصارى بالحرب ونحن أبناؤها لا تثار قهراً
 كما لا تثارق النجوم منازلها .
 (٤) لج في الأمر لججاً ولجاجاً ولجاجة : تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه . يقول :
 وفينا سيف الدولة الذي إذا حمل على الأعداء صدق في حملته ، ماجبن وما خام عن اللفاء
 وإذا أغار عليهم لجت غارته ودامت ، فلا يثنى حتى يستأصلهم ويهصف بهم .
 (٥) الأعيان : العيون ، جمع عين ، قال يزيد بن عبد اللدان :

رَضِينَا وَالذُّمُّسْتَقُ غَيْرُ رَاضٍ
بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيحُ^(١)
فَإِنْ يُقَدِّمُ فَقَدْ رَزْنَا تَمَنُّدُو
وَإِنْ يُجْجِمُ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ^(٢)

ولكنني أغدو على مفاضة دِلاص كَأَعْيَانِ الْجِرَادِ الْمُنْظَمِ^(١)
وبأسا : أى شدة وشجاعة ، وهو مفعول له - أى لبأسه - كما تقول نعوذ بالله
حسنا : أى لحسنه . وقال ابن جنى : بأسا أى خوفا - من قولهم لا بأس عليك - وهو
أصح في التركيب ، إلا أن الأول أليق بالمعنى : يقول : نعوذ الممدوح بالله من أن تصيبه
العيون لدى رؤية بأسه ، لأننا لا نخاف عليه غير ذلك .

(١) الدمستق : قائد جيش الروم ؛ والقواضب : السيوف القواطع والوشيح :
عيدان الرماح ، ووشجت العروق والأغصان . اشتبكت ؛ والواشجة الرحم المشتبكة ،
وقد وشجت به قرابة فلان ، والاسم الوشيج . يقول : رضينا بما حكمت به السيوف
والرماح في الحرب ، ولكن الدمستق لم يرض بذلك ، لأنها حكمت لنا بالفوز والظفر
فرضينا ، وحكمت عليه بالهزيمة والفشل فلم يرض . هذا : والأوجه أن يكون الدمستق
مبتدأ ، خبره : غير راض ، والجملة حال ، وبما حكم : متعلق برضينا .

(٢) ممتدو : قلعة بالروم يقال هى المروفة اليوم بيلغراد ؛ والخليج : خليج
القسطنطينية . يقول : فإن أقدم على قتالنا فقد قصدنا بلادنا ، وإن هرب وخام عن
لقاتنا لحقناه إلى الخليج .

(١) مفاضة دلاص : يريد درعا .

قافية الحاء

وقال يعتذر إليه وقد تأخر مدحه عنه فظن أنه عاتب عليه :

أذنى أبْنَسَامٍ مِنْكَ تَحْمِيًا الْقَرَأْحُ
 وَتَقْوَى مِنَ الْجِسْمِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحِ ^(١)
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي حُقُوقَكَ كُلَّهَا
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ ^(٢)
 وَقَدْ تَقَبَّلُ التُّذْرَ الْحَنِيَّ تَكْرَمًا
 فَمَا بَالُ عُذْرِي وَاقِفًا وَهُوَ وَاضِحٌ ^(٣)

(١) القراءح : الطباع - يقال فلان جيد الطبيعة : إذا كان ذكي الطبع ؛ وجيد القرحة : إذا كان له نظر وفهم ومعرفة ؛ وقيل القرحة : خالص الفريزة - من قولهم ماء قراح : أى خالص - وقرحة البئر : أول ما يخرج من مائها ؛ ورجل قرحان : إذا لم يصبه جدري ولا طاعون يراد خالص الجسد . والجوارح : الأعضاء - اليدان والرجلان والعينان وانهم والأذن - وسميت كذلك لأن أصل الجرح الاكتساب ، والاكتساب يقع بهذه الجوارح من خير وشر . قال تعالى « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » أى كسبتم . وقال « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » أى اكتسبوا . يقول : إذا ابتسمت إلى إنسان انشرح صدره وحي طبعه وقويت جوارحه وإن كان ضعيف الجسم ، لأنه يفرح والفرح يقوى القلب والجسم . يشير بذلك إلى عذره فى تأخر مدحه لأنه كان معتلا .

(٢) يقول : إن حقوقك أكثر من أن يقدر أحد على القيام بقضاها ، ومن ذا الذى يرضيك بقضاء حقوقك غير الذى تسامحه وتتساهل معه ؟

(٣) تكرما : مفعول لأجله ، وواقفا : حال من عذرى . يقول : إنك لكرمك تقبل العذر الحنى . فما بال عذرى واقفا لا يلتفت إليه وهو واضح ؟

وَإِنْ مُحَالًا - إِذْ بَكَ الْعَيْشُ - أَنْ أُرَى
وَجِسْمُكَ مُتَعَلِّقٌ وَجِسْمِي صَالِحٌ (١)
وَمَا كَانَ تَرْكِي الشُّفْرَ إِلَّا لِأَنَّهُ
تَقَصَّرَ عَن وَصْفِ الْأَمِيرِ الْمَدَائِحِ
وقال في صباه وقد بُلِّغَ عن قومٍ كلاماً :

أَنَا عَيْنُ الْمَسْوَدِ الْجَحْجَاحِ هَيْجَتِي كَلَابِكُمْ بِالنَّبَاحِ (٢)
أَيَكُونُ الْمُهْجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ أَمْ يَكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحٍ (٣)

(١) يقول : إذا كان عيشنا بك فمن المحال أن تتعل ولا أشاركك في علتك . وهذا من قول أبي تمام :

وَإِنْ يَجِدُ عِلَّةً نَعَمُ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نَعَادُ فِي مَرَضِهِ
قال العكبري : قوله إن محالا : جعل اسم إن نكرة للضرورة لأنها تدخل على
البتداء والخبر ، ولا يجوز أن يكون البتداء نكرة إلا في مواضع ليست هذه منها .
(٢) للسود : الذي جعله قومه سيذا . والسيد : الكريم . ولا توصف به المرأة ؛
وجمع الجحجاج ججاجج ، قال الشاعر :

ماذا بيدر فالتفتنقل من مرأبة ججاجج
وإن شئت ججاجج ، وإن شئت ججاججة ، والماء عوض من الياء المحذوفة لا بد
منها أو من الياء ، ولا يجتمعان . ويظهر أن الجمع في الحقيقة : ججاجج ، لا الججاجج ،
وإنما حذفت الياء من البيت - ماذا بيدر الخ - ضرورة قوله ابن بري . يقول : أنا نفس
الججاجج - السيد الكريم - أثارتن وأغضبتن سفهاؤكم بسفها . ولما سماهم كلاباً
سمى كلامهم نباحا . ويروى - بدل هيجتنى - هجتني : أي تسبتني إلى المهجنة . بدل
على ذلك البيت التالي .

(٣) المهجان : الرجل الكريم الحسب النقي ، وامرأة هجان : كريمة من نسوة هجان
وهي الكريمة الحسب التي لم تترق فيها الإمامة تعريفاً . وقول على كرم الله وجهه :
هذا جنائى وهيجانه فيه إذ كل جان يده إلى فيه
معناه : خياره وخالصة ، وأنشد أبو الهيثم :

جِهْلُونِي وَإِنْ عَمَرْتُ قَلِيلًا نَسَبْتَنِي لَهُمْ رُمُوسُ الرَّمَاحِ (١)

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي :

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَغْذَاهُ ذَا الرَّشَاءِ الْأَعْنَ الشَّيْحُ (٢)

وإذا قيل من هِجَانٍ قَرَيْشٍ كُنْتَ أَنْتَ الْفَتَى وَأَنْتَ الْهَيْجَانُ
وكل ذلك مأخوذ من الإبل ؛ والهجان من الإبل : البيض الكرام . قال عمرو ابن
كثوم في معلقته :

ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءُ بَكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا
« يصف امرأة يقول : تريك ذراعين ممتلئتين لحما كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد
بعد ، بيضاء اللون ، قوله : لم تقرأ جنينا : أى لم تضم في رحمها ولدا » .
قال أهل اللغة : يستوى فيه الذكر والمؤنث والجمع ؛ يقال : بعير هجان وناقة هجان ،
وربما قالوا : هجان . قال ابن أحرر :

كَأَنَّ عَلَى الْجِمَالِ أَوْانَ خَفَتْ هِجَانٌ مِنْ نِعَاجِ أَوَارِعِينَا
والصراح : الخالص النسب . يقول : إن الكريم الخالص النسب لا يصير غير كريم
وغير خالص النسب : يعنى أن هجو الهاجى لا يؤثر فيه : لأنه ذكر في البيت الأول
شكواه من السفهاء واللثام ، وذكور في هذا البيت أن سفهم لا يقدرح في نسبه ولا يغيره .
(١) يقول : إن أولئك العائنين قد جهلوا قدرى ونسبى وأصلى ، فإن عشت قليلا
عرفتهم الرماح نسي ، إذ يرون غنائى وحسن بلائى . يتوعددهم ويهددهم بالقتل . وهجارة
الواحدى : يحتمل أنه أراد إذا طاعنتهم ورأوا حسن بلائى استدلوا بذلك على كرم نسي .
(٢) الجلل : الأمر العظيم ؛ وجللا : خبر « فليك » مقدم . والتبريح : الجهد والشدة ،
والرشأ : ولد الظبية ، والأغن : الذى فى صوته غنة ، وهو من أوصاف الأطباء . والشيح
نبات طيب الرائحة . يقول : ليكن تبريح الهوى عظيما مثل ماحل بي وإلا فلا ثم قال :
أتظنون غداء من فعل بي هذا الفعل الشيح شأن مثله من ظباء الصحراء ؟ إنما غداؤه
قلوب العشاق ينحلهم ويهزلهم فيورثهم هذا التبريح كما قال بعضهم :

يَرَعَى الْقُلُوبَ وَتَرْتَعِي السِّفْزِلَانُ فِي الْبَيْدَاءِ شَيْحَهُ

هذا : - وإليك ما أورده سائر الشراح زيادة على ما أورده . قال العكبري : يريد أن من كان في شدة فليك كما أنا - تعظيماً لما هو فيه من الشدة - وتم الكلام هنا ، ثم استأنف قولاً آخر متعباً من حسن المشبه أي كأنه ظبي في حسنه ، ووقع الشك لوقوع الاشتباه كقول قيس !

فميناك عيناها وجيدك جيدها ولكنَّ عظم الساق منك دقيقُ
وقوله أغذاء : هو استفهام معناه الإنكار ، يريد أن الرشا الذي يهواه إنس لا وحش فيغذى بالشيخ ، وقال ابن جنى : المصراعان متباينان ، فذلك أفرد كل واحد بمعنى ، وقال أصحاب المعاني : قد يفعل الشاعر مثل هذا في التشبيب خاصة ليدل به على ولفه وشغفه عن تقويم خطابه ؛ كقول جرّان العود :

يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي دُونَ بَرْدَعِي وَالْقَلْبُ مُسْتَوْهَلٌ بِالْبَيِّنِ مَشْفُولِ
ثُمَّ اغْتَرَزْتُ عَلَى نِضْوَى لِأَبْمَثِهِ إِثْرَ الْحُمُولِ الْفَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولٌ^(١)

(١) جاء في اللسان والقاموس وشرحه : جرّان العود شاعر من نيمر قال الجوهري : واسمه المستورد ، وقد غلظه الصاغاني . وقال : إنما اسمه عامر بن الحارث - وهو شاعر إسلامي - ولقب بذلك لقوله .

عَمَدْتُ لِعَوْدٍ فَالتَّحِيْتُ جَرَّانَهُ وَلَلْكَيسُ أَمْضَى فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ
خُذَا حَذْرًا يَا خُلَّتِي فَإِنِّي رَأَيْتُ جِرَّانَ الْعَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلِحُ
يخاطب امرأته . وأراد بجرّان العود - والعود البعير المسن - سوطاً قدّم من جلد عنق عود نحره ، وهو أصلب ما يكون ، ليضرب به امرأته ، وكاتنا قد نثرنا عليه . والجرّان . باطن العنق الذي يضعه البعير على الأرض إذا مد عنقه لينام ، والتحيت أخذت ؛ والكيس ، حسن الثأني في الأمور ، وباخلتي يروي يا جارتني ؛ وقوله فإنني الخ : يقول : فإنني رأيت السوط قد قارب صلاحه للضرب ، وقوله يوم ارتحلت الخ فالبرذعة المجلس الذي يلقي تحت الرحل ، ويكنى عن الزوجة بالبرذعة ، ومستوهل . فازع ، واغترزت . وضعت رجلي في الغرز ، وهو الركاب . والنضو . البعير الذي أنضاه السفر ، والحمول . الإبل ، ومعقول : أي لم يحلل عقله دهشاً .

يريد أنه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل ، ولم يدر أن بعيره معقول ؛ وفي كلامه ما يدل على وله مما ذكر من حاله ، وعلى هذا يحمل قول زهير :

* قف بالديار التي لم يَعْفُهَا الْقِدَمَ

ثم قال :

* بلى وغيّرها الأرواحُ والديمُّ *

وقال القاضى الجرجاني : بين المصراعين اتصال لطيف ، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه بين أن الذى أورثه ذلك هو الرشا الذى شكله على شكل الغزلان فى غذائه . وإليك بعد هذا تحفة نحوية للعلامة العكبرى قال : قوله : فليك : حذف النون لسكونها وسكون اثناء فى التبريح ، ولم يكن حذفها كحذفها من قوله تعالى « ولم تك شيئاً » وقوله :

لم يَكْ شَيْءٌ يَا إلهى قبلَكَ

لأنها قد ضارعت بالهجر والسكون والفتنة حروف المد محذفت كما تحذفن وهى هنا فى قول المتنبي قوية بالحركة ، لأن سيلها أن تحرك ، فكان ينبغى أن لا يحذفها ، لكنه لم يعتد بالحركة فى اننون لما كانت غير لازمة ضرورة ؛ ومثله :

لم يَكْ الحَقُّ سوى أن هاجَهُ رَسَمَ دارٍ قد تعفَى بالسرَرِ (١) .
وقد حذف النون من لكن فى الشعر ضرورة ، أنشد سيويوه .

فَلَسْتُ بِأَيْتِهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَأْوُوكَ ذَا فَضْلٍ (٢)

(١) جاء فى لسان العرب أنه للحسن بن عرفطة ، جاهلى ، والسرر لعله يريد الموضع الذى هو على أربعة أميال من مكة قال أبو ذؤيب :

بأيتِهِ مَا وَقَفْتُ وَالرَّكَابُ وَبَيْنَ الْحُجُونِ وَبَيْنَ السَّرَرِ
(٢) للنجاشى الشاعر وقوله :

وَمَاءٌ قَدِيمٌ الْعَهْدِ بِالْوَرْدِ آجِنٍ يُحَالُ رُضَابًا أَوْ سَلَاةً مِنَ الْعَسَلِ
لَقِيتُ عَلَيْهِ الذُّبَّ يَعْوَى كَأَنَّهُ صَلِيعٌ خَلَا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ

لَعِبَتْ بِمِشِيَّتِهِ الشُّمُولُ وَغَادَرَتْ
صَنَامًا مِنَ الْأَصْنَامِ لَوْلَا الرُّوحُ (١)
مَا بِالْهُ لَأَحَظَّتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ وَفُوَادِيَّ لِلْجُرُوحِ (٢)

وإذا جاز حذف النون من لكن — وقد حذف منها نون أخرى — جاز أن تحذف من قوله: فليك التبريح. وفيه قبح من وجه آخر: وهو أنه حذف النون مع الإدغام وهو غريب جدا، لأن من قال في بني الحرث بلحارث لم يقل في بني النجار بنجار... والأغن الذي في صوته غنة، وهو صوت من الحيشوم، والأغن: الذي يتكلم من قبل خياشيمه، وواد أغن: كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب، وفي أصواته غنة؛ ومنه قيل للقرية الكثيرة الأهل والعشب: غناء، وأما قولهم: واد مغن: فهو الذي صار فيه صوت الذباب ولا يكون الذباب إلا في واد مغصب معشب؛ وأغن السماء: إذا امتلأ ماء.

(١) الشمول: الحمر. يقول: إن الحمر رنحته فتأيل في مشيته وزادت في حسنه حتى تركته كأنه صنم لولا أنه ذو روح. وفي هذا البيت نظر إلى قول ديك الجن:
ظَلَلْنَا بِأَيْدِينَا نَتَمَتِّعُ رُوحَهَا فَتَأْخُذُ مِنِ أَقْدَامِنَا الْحَرُّ نَارَهَا
وقد جرت عاداتهم بأن يتهوا الحسان بالدمى والأصنام ناظرين إلى أن مصورها أبداعا في تجميلها وانتوا في تزويقها حتى صاروها كأنها الجمال مائلا. ويروى بدل - وغادرت - وجردت: أي سيرته بحيث يجرد منه صنم لحسنه. هذا: وإنما سميت الحمر شمولا؛ قيل لأنها تشمل بريحتها الناس؛ وقيل شبهت بالنمال من الريح لأنها تعصف باللب كما تعصف النمال.
(٢) يقول: إن فؤادي هو المجرع بنظري إليه، فما بال وجناته قد احمرت وظهر الدم فيها وفؤادي هو الأثمد بذلك؟ وفي هذا المعنى يقول كشاجم:

فقلت له يا ذئب هل لك في أخ
يؤاسي بلا من عايك ولا بجمل
فقال هداك الله للرشد إنما
دعوت لما لم يأته سبع قبلي
فلس بآتيه
(البيت)

والعسل: جمع عسل كأعمال. والضليع: القوى الشديد؛ والمعوج، والضروب في ضلعه، والظاهر أن هذا هو المراد.

وَرَمَى وَمَا رَمَتَا يَدَاهُ فَصَابَنِي سَهْمٌ يُعَذِّبُ وَالسَّهَامُ تُرْمَعُ (١)
 قُرْبَ الْمَزَارِ وَلَا مَزَارَ وَإِنَّمَا يَنْدُو الْجَنَانَ فَنَلْتَقَى وَيَرُوحُ (٢)
 وَفَشَتَ سَرَائِرُنَا إِلَيْكَ وَشَفَّنَا تَعْرِيفُنَا فَبَدَا لَكَ التَّصْرِیحُ (٣)

أَرَاهُ يُدَمِّي خَدَّهُ وَهُوَ جَارِحِي بِعَيْنَيْهِ وَالْمَجْرُوحُ أَوْلَى بَأْنِ يَدَمِي
 وقوله تضرجت : أى تلطخت بالدم . برید احمرت خجلا ، وأصله من انضرج : إذا
 انشق ، كأنه قد انشق جلده فظهر الدم ؛ وفي انضرج بمعنى الشق يقول ذو الرمة
 يصف نساء :

• ضَرَجَنَ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرْمَةٍ •

أى شققن . وتضرج الثوب الثوب : انشق ، وتقول : تكاد تضرج من اللذء : أى
 تنشق ؛ ومنه انضرجت له الطريق : أى اتسعت ؛ وانضرج ما بين القوم : تباعدا بينهم ،
 وتضرجت عن البقل لثاقته : إذا انتحنت .

(١) كان الوجه أن يقول : ومارمت يدها ولكنه على لغة من يقول قما أخواك ،
 وصابه : لغة فى أصابه ؛ يقول : رمانى بلحظه فأصابنى منه سهم ليس كالسهم للورفة تقتل
 قتریح ، وإنما يعذب من أصابه .

(٢) المزار الأول : مكان الزيارة ، والثانى : مصدر بمعنى الزيارة . والجنان : القلب .
 يقول : إن دارك أيها الحبيب قريبة منى ، ولكن لاصيل إلى الزيارة خشية الرقباء ،
 وإنما تلاقى بالقلوب ، فيندو قلبى إليك ويروح أى أتذكرك فامتلك فى قلبى ؛ فكأننا قد
 التقينا - كما قال ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقَى بِالذِّكْرِ إِنَّمَا لَمْ نَلْتَقِ
 ومثله لأبى الطيب :

لَنَا وَأَلْهَلِهِ أَبْدَأُ قُلُوبٌ تَلْقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلْقَى
 (٣) السرائر : بمعنى الأسرار المكتومة . وشفه : أخفه . يقول : إن كتمان الهوى
 اقتصارنا فيه على التعريف قد أسقمنا وهزلنا ، فذلك هزلنا البادى على ما تجبه الضلوع من
 الوجد ، فقام ذلك مقام التصريح .

لَمَّا تَقَطَّعَتِ الْجُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسَى وَكَأَنَّهِنَّ طُلُوحٌ (١)
وَجَلَا الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا
حُسْنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِينِ قَبِيحٌ (٢)
فَيْدٌ مُسَلَّمَةٌ وَطَرْفٌ شَاخِصٌ
وَحَشَى يَذُوبٌ وَمَدْمَعٌ مَنُفُوحٌ (٣)
يَجِدُ الْحَمَامُ وَلَوْ كَوَجْدِي لِأَنْبَرِي
شَجَرُ الْأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يَنْوَحُ (٤)

(١) الجمول : الأجمال على الإبل ، ويريد بها الإبل التي حملتها ، والطلوح : جمع طلح ، وهو شجر أسفله دقيق وأعلاه كالقبة ، تشبه به الإبل عليها الهوداج . يقول : لما تفرقت الجمول سائرة وكأنها طلوح تقطعت نفسي وجداً وحرزاً .

(٢) يقول : كشف الوداع محاسن الحبيب عند الفراق ، فصار الصبر الجميل عنها قبيحاً . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

وقد كان يذعي لابسُ الصبرِ حازماً فأصبح يدعى حازماً حين يجزعُ
ويقول العتي محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات ومنه أخذ أخذ أبو تمام :

والصبرُ يُحمَدُ في المواطنِ كلها إلا عليك فإنه مذمومٌ

وقوله حسن العزاء الخ : تقديره حسن العزاء قبيح ، وقد جلين : أي المحاسن : فأقحم بين المبتدأ والخبر جملة فعلية .

(٣) المراد بالدمع : الدمع . يصف حال الوداع . يقول : لو ترانا عند الوداع ونحن على هذه الحال لرحمتنا ، فهناك يبتشير بالسلام ، وطرف شاخص إلى وجه المودع ، وقلب يذوب حرزاً على الفراق ، ودمع مصوب .

(٤) يجد : من الوجد . وقوله ولو كوجدي : أي ولو كان وجهه كوجدي لأنبري الخ والأراك : شجر معروف . يقول : إن الحمام يحزن عند فراق إلفه ، ولو كان وجهه كوجدي لرق له الشجر وانبت يبي معه وينوح رحمة ورقة ؛ وقوله لأنبري ، يريد لاندفع وأخذ . ويقال : برى له يبري برياً وأنبري : عرض له : وباراه عارضه ، وباريت فلاناً مباراة : إذا كنت تفعل مثل مايفعل .

وَأَمَقٌ لَوْ خَدَتِ الشَّمَالُ بِرَأْسِهَا
 فِي عَرْضِهِ لِأَنَّاخَ وَهِيَ طَلِيحٌ^(١)
 نَازَعَتْهُ قُلُوصَ الرَّكَّابِ وَرَكَبَهَا خَوْفَ الْمَلَائِكِ حُدَاهُمُ النَّسِيحُ^(٢)
 لَوْلَا الْأَمِينُ مُسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَا جُسِّمَتْ خَطراً وَرَدَّ نَصِيحٌ^(٣)

(١) وأمق : الواو واو رب . يصف مهمها طويلا . والأمق : المكان الطويل .
 والوحد . ضرب من السير ؛ وخذت هنا . أسرع . والطيح : العبي ، يقال طلع البعير
 أعيا : فهو طليح ، وأطلحته أناوطلحته : حسرته ، ويقال ناقة طليح أسفار . إذا جهدها
 السير وهزلها ؛ وإبل طلع وطلائح ، والطلع - بالكسر - العبي من الإبل ، يستوى
 فيه الذكر والأنثى ، والجمع أطلاق . قال الحطيئة يصف إبلا وراعيا :

إِذَا نَامَ طَلِيحٌ أَشَمَّتْ الرَّأْسَ خَلْفَهَا هِدَاهُ لَهَا أَنْفَاسُهَا وَزَفِيرُهَا
 « يقول الحطيئة . إن هذه الإبل تنفس من البطنة تنفساً شديداً فيقول . إذا نام
 راعيا عنها وندت تنفست ، فوقع عليها وإن بعدت » يقول : لو أسرع ربح الشمال في ذلك
 المهمة وعليها راكب لأناخ ذلك الرأكب ونزل والشمال معية ، وإذا كانت الشمال تعي فيه
 فكيف الإنسان أو الناقة ؟ وإنما ذكر العرض ليدل على السعة لأن العرض أقل
 من الطول .

(٢) القلوص - جمع قلووص - الناقة الفتية . والركاب الإبل . يقول : خاصمت هذا
 المهمة على الإبل ، فهو يأبى إلا أن ينال منها ويصف بها بطوله ومشقته ، وأنا آبي إلا أن
 أستبقها لسيرى . ثم قال : وكان ركاب هذه الإبل - لحوفهم الهلاك - يسبحون الله
 ويسألونه النجاة ، فكان التسبيح حذاء للابل مكان الغناء الذي تحدى به . وقل ابن
 جنى : نازعته أخذت منه - من الأمق . أى المهمة - بقطعي إياه وأعطيته ما نال من
 الركاب ؛ قل الواحدى : ليس المعنى على ما قال ابن جنى ؛ لأن المتنازع فيها هى القلوص ،
 فالبلد يفتنيها ويأخذ منها وهو يستبقها . والمعنى . إني أحب إبقاءها ، والأمق يجب
 إفناءها بالمتنازعة فيها كقول الأعشى :

* نازعتم قُصْبَ الرِيحَانِ مُتَكِنًا *

أى أخذت منهم وأعطيتهم ، وهم أخذوا منى وأعطوني .
 (١) جشمت : كلفت . يقول : لولا المدوح ما عرضنا إبلنا لهذا الخطر ، ولا ردنا

الناصح الذي كان ينصح لنا وبينانا عن ركوب هذه الأهوال . وإليك درة نحوية
للعلمة المكبري ، قال : لولا الأمير : الأمير مرئع بالابتداء عند البصريين ، وعندنا
أن الاسم مرفوع بها ، لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ذكر لرفع الاسم كما تقول
لولا زيد لجئت ، تقديره لو لم يمنعني ، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا لا على
لو فصارا بمنزلة حرف واحد . كقولهم : أما أنت منطلقا انطلقت معك . تقديره إن كنت
منطلقا انطلقت معك . قال الشاعر :

أبا خراشةً أما أنت ذا نفرٍ فإن قومي لم تأسكهم الضيع^(١)

أي إن كنت ذا نفر ، حذف الفعل وزاد «أما» عوضا عنه ، والذي يدل على أنها عوض
عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لئلا يجمع بين العوض والمعوض ، وكقولهم
أمالا فافعل هذا ، تقديره إن لم تفعل ما يلزمك فافعل هذا ، حذف الفعل لكثرة
الاستعمال وزيدت ما على أن عوضا عنه فصارتا بمنزلة حرف واحد . ويجوز إيمانها لأنها
صارت عوضا عن الفعل ، كما أمالوا بلى ويا في النداء ، والشواهد كثيرة على أن الفعل
بعدها محذوف ، واكتفى الاسم بلولا ، ويدل على أن الاسم بعدها يرتفع بدون
الابتداء أنها إذا وقع بعدها «أن» انفتحت كقولك : لولا أن زيدا منعني ، قل الله تعالى :

(١) البيت لباس بن مرداس السلمي الصحابي ، وأبو خراشة كنية خفاف بن نديبة،
ونديبة أمه - وهو صحابي جليل وأحد فرسان قيس وشعرائها ، وهو ابن عم الحنساء .
وبعد البيت :

والسلمُ تأخذ منها مارضيتَ به والحرب يكفيك من أنفاسها جُرْعُ
وتقر الرجل رهطه ، ويقال لمدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، والمراد بالضبع
السنة المجدية ، وأصله أن الناس إذا أجدبوا ضمفوا عن الانتصار وسقطت قوامم فعاتت
فيهم الضباع والذئباب فأكلتهم . يقول : يا أبا خراشة إن كنت عزيزا بقوم كثيرا لهم
فإن قومي ليسوا بأذلاء ، ثم قال : إن السلم أنت فيها وادع تال من مطالبك ما تريد ،
أما الحرب فإنها على العكس من السلم ، وأراد بأنفاسها : أوائلها يخرضه على الصلح
ويثبته عن الحرب .

وَمَتَى وَنَتَّ وَأَبُو الْمُظَفَّرِ أُمَّهَا فَاتَّاحَ لِي وَلَمَّا الْحِمَامَ مُتَبِّحٌ^(١)
شِمْنَا وَمَا حُجِبَ السَّمَاءُ بِرُوقِهِ وَحَرَى يَجُودُ وَمَا مَرَّتَهُ الرِّيحُ^(٢)

« فلولا أنه كان من السبعين » ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تسكر ، فلما فتحت دل على صحة قولنا . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون لولا : أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان محتصاً و « لولا » يختص بالاسم دون الفعل ، وقد يختص بالفعل والاسم . قال الشاعر :

لَا دَرَّ دَرَكٌ إِنِّي قَدْ حَمَدْتَهُمْ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عُذْرِي بِمَحْدُودٍ^(١)
ونحن نقول : إن هذا البيت على معنى لولا أنى حدثت ، فصارت محتصة بالاسم دون الفعل .

(١) ضمير ونت : للابل أى تواتت وفقرت ؛ وأما قصدها : أى مقصودها وقوله فاتح لى الخ دعاء وأتاح الله الشيء قدره . يقول : إذا تواتت الإبل فى سيرها وهذا المدح مقصودها فالموت خير لى ولها . يعنى : الموت خير لنا إن تخلفنا عنه .
(٢) شمنا : فعل وفاعل ، وبروقه : مفعوله ، وما حجب السماء . جملة مترضة وشام البرق : نظر إليه يرجو المطر . وقوله : وحرى ، أى وشمنا صحابا حرى أن يجود : أى

(١) أورد عبد القادر البغدادي هذا البيت فى آيات هذا صفا :
قالت أمامة لما جئت زائرَها هَلَا رَمَيْتَ بِيَعِضِ الْأَسْهُمِ السُّودِ
لَا دَرَّ دَرَكٌ إِنِّي قَدْ رَمَيْتَهُمْ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عُذْرِي لِمَحْدُودِ
إِذْهُمْ كَرَّجَلِ الدَّبِي لَادَرَّ دَرَهُمْ يَنْفِرُونَ كُلَّ طُؤَالِ الشَّيْءِ مَحْدُودِ
فَمَا تَرَكْتُ أَبَا بَشِيرٍ وَصَاحِبَهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالْجَيْدِ
قال قيل إنها لراشد بن عبد الله السلمي الصحابي ؛ وقيل للجموح - أحد بنى ظفر من سليم بن منصور - وحددت أى حرمت ومنعت ؛ وقد حد الرجل عن الرزق : إذا منع منه ، وهو محدود . يقول : قد رميت واجتهدت فى قتالهم ولكنى حرمت النصر عليهم ، ولا يقبل عذر المحروم . والعذرى : اسم بمعنى العذرة ، والرجل : القطعة من الجراد والدبى : أصغر الجراد ، والطوال : الطويل .

مَرْجُوٌّ مَنفَعَةٌ مَخُوفٌ أَذِيَّةٌ مَغْبُوقٌ كَايِسٌ مَحَامِدٌ مَصْبُوحٌ^(١)
 حَنِيقٌ عَلَى بَدْرِ اللَّجَيْنِ وَمَا أَتَتْ بِإِسَاءَةٍ وَعَنِ الْمَسِيءِ صَفُوحٌ^(٢)
 لَوْ فَرَّقَ الْكَرَمُ الْمَفْرَقُ مَالَهُ
 فِي النَّاسِ لَمْ يَكْ فِي الزَّمَانِ شَحِيحٌ^(٣)
 أَلْفَتْ مَسَامِعَهُ اللَّامَ وَغَادَرَتْ سِمَةً عَلَى أَنْفِ النَّاسِ تَلُوحٌ^(٤)

جديرا به أن يجود — أي يمطر — . ومرته الريح : استدرته وأصله في الناقة يمسح
 ضرعها لتدر . يقول : شمنا بروق الممدوح : أي رجونا عطاءه والسماء لم يحجبها الغيم ،
 ونظرنا منه إلى سحاب حقيق بالجود : أي بالمطرو وإن لم تمره الريح . يفضله على السحاب
 لأن السحاب يحجب جمال السماء ولا يجود إلا إذا استدرته الريح ، أما الممدوح
 فليس كذلك .

(١) المغبوق : الذي يسقى بالعشى ؛ والمصبوح : الذي يسقى صباحا . يقول : إنه يحمّد
 في كل وقت ، فكأنه يسقى كأس المحامد غبوقا وصبوحا .
 (٢) البدر : جمع بدرة ، وهي عنبر آلاف درهم . واللجين : الفضة . والمعنى ظاهر .
 (٣) يقول : لو فرق في الناس كرمه الذي يفرق ماله لصار الناس كلهم أسخياء .
 وهذا ينظر إلى قول منصور الفقيه :

أقول إذ سألوني عن سماحته ولستُ ممن يُطيلُ القولَ إن مدحا
 لو أن مافيه من جودٍ تقسّمهُ أولادُ آدمَ عادوا كلهم سُمحا
 والأصل في هذا قول العباس بن الأحنف — وإن كان من باب آخر — :
 لو قسّمَ اللهُ جُزءاً من محاسنه في الناس طرأ لهم الحُسن في الناس
 ويقول أبو تمام :

لو اقتسِمَت أخلاقُه الفُرُ لم تجد مَمِيحاً ولا خَلَقاً من الناس عائباً
 (٤) يقول : إن مسامعه أهملت وأسقطت لوم من يلومه على الجود ، فلم يبال به
 ومضى على سخائه ، وروى ابن جنى : ألفت — من الألفة — أي أن مسامعه — لكثرة
 ما سمعت اللوم — ألفتها واعتادته فصار شيئاً مألوفاً لا قيمة له عنده ، وغيره ممن أطاعوا
 اللائم وأصفت مسامعهم إليه صاروا لئاماً يرى عليهم أثر اللؤم كما ترى السمة على الأنف .

هَذَا الَّذِي خَلَّتِ الْقُرُونُ وَذَكَرَهُ
وَحَدِيثُهُ فِي كُتُبِهَا مَشْرُوحٌ^(١)
أَلْبَانًا بِجَمَالِهِ مَبْهُورَةٌ وَسَحَابِنًا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحٌ^(٢)
يَفْشَى الطَّمَانَ فَلَا يَرُدُّ قَنَاتَهُ
مَكْسُورَةٌ وَمِنَ الْكِمَاءِ صَاحِحٌ^(٣)

(١) المراد بخلت ههنا: تخلو؛ وأتى بالماضي: للتحقيق - على حد قوله تعالى «أتى أمر الله» - يقول: هذا الذي تمضى القرون والأدهار ويبقى ذكره ويخلد في الكتب والأسفار. قال الواحدى: المعنى: أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام وأخلاقهم، وهو المعنى بذلك؛ إذ الحقيقة منها له، فذكره إذا في الكتب مشروح. «هذا»: وقوله وذكره وحديثه إلخ. قال العكبرى: قال ذكره وحديث مشروح ولم يقل مشروحان لأن الذكر والحديث واحد، وقيل هما جملتان: حذف الأولى لدلالة الثانية عليها، وهذا مثل قوله تعالى: «والله ورسوله أحق أن يرضوه»، وهذا مذهب سيويه، وأنشد:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ^(١)
وذهب البرد إلى أن في الكلام تقديمًا وتخييرًا، وتقديره: والله أحق أن يرضوه ورسوله. وقال قوم: بل الضمير عائد على المذكور، كقول رؤبة:

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلُّيعُ الْبَهَقِ^(٢)
أى كأن المذكور:

(٢) الألباب: العقول؛ والنوال: العطاء. والمعنى ظاهر.
(٣) يقول: يخوض الحرب فلا يرد رماحه إلا بعد أن لا يبقى من الأبطال صحيح.

(١) لقيس ابن الحظيم [راجع معاهد التنصيص ج ١ ص ٦٧].

(٢) من أرجوزته التي مطلعها:

وقاتم الأعماق خاوى المحترق *

[راجع أرجوزة العرب للبكرى، «وخزانة الأدب» للبغدادى ج ١ ص ٩٠].

وَعَلَى التُّرَابِ مِنَ الدَّمَاءِ مَجَاسِدٌ وَعَلَى السَّمَاءِ مِنَ الْعَجَاجِ مُسُوحٌ^(١)
يَخْطُو الْقَتِيلَ إِلَى الْقَتِيلِ أَمَامَهُ رَبُّ الْجَوَادِ وَخَلْفَهُ الْمَبْطُوحُ^(٢)
قَمَقِيلٌ حُبٌّ مُجَبَّدٌ فَرِحَ بِهِ وَمَقِيلٌ غَيْظٌ عَدُوٌّ مَقْرُوحٌ^(٣)
يُخْنِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَّ يَبُوحُ^(٤)

وهذا من قول الفرزدق :

بأيدي رجالٍ لمَ يَشِيمُوا سِيُوفَهُمْ ولم تكثُرُ القتلى بها حينَ سُلَّتِ
« أى لم يخدموها إلا بعد أن كثرت بها القتلى »^(١) قال الواحدي : وقوله مكسورة
حشو : أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح ، لأنه لا فائدة من أن ترد القناة من الحرب
مكسورة ، ولو ردها صحيحة لم يلحقها نقص ، والسكاة : جمع كمي : الشجاع التكمي
أى التغطى بسلاحه ؛ إذ أنه كمي نفسه : أى سترها بالدرع وخلافه .

(١) المجاسد : جمع الجسد ، وهو المصبوغ بالجساد : أى الزعفران ؛ والمسوح : جمع
مسح ، وهو ما ينسج من الشعر الأسود . يقول : لكثرة ما يسفك من الدم صبغت
الأرض به حتى كأن عليها مجاسد ، واسودت السماء بالعبار فكان عليها مسوحا .
(٢) رب الجواد : فاعل يخطو ، يعنى الفارس . يقول : قد اكتظت المعركة بالقتلى ،
فترى الفارس يخطو من قتيل إلى قتيل ، ويخلف وراءه فارسا مبطوحا - أى قتيلاً أيضاً -
ومجوز أن يكون المراد رب الجواد : للمدح .

(٣) القيل : القام . المستقر ؛ قال تعالى : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن
مقيلا » وقال ابن رواحة :

اليومَ نضربُ بكم على تنزيله ضرباً يزِيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ
« الهام : جمع هامة ، وهى أعلى الرأس ؛ ومقيله : موضعه ، مستعار من موضع
القائلة » ومقيل الحب ، ومقيل الفيظ : القلب . يقول : إن قلب هبة فرح به مبتهج ،
وقلب عدوه مقروح مكتئب .

(٤) فاعل يخنى ضمير العدو ، يقول : إن عدوه يخنى العدو خوفاً منه . يد أن

(١) قال المبرد : « وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني وتأويله : لم يشيموا لم
يخدموا ولم تكثُر القتلى ، أى لم يخدموا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سلَّت .

يَا ابْنَ الَّذِي مَا ضَمَّ بُرْدُ كَابِنِهِ شَرْقًا وَلَا كَالْجُدِّ ضَمَّ ضَرِيحًا^(١)
نَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُئِلَ النَّدَى
هَوْلٍ إِذَا أُخْتَلَطَا دَمٌ وَمَسِيحًا^(٢)

العداوة لا تخفى ، لأن نظر العدو إلى من يعاديه يظهر ما قبله من العداوة . قال ابن الرومي :

تَحْبِرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَلَا جِنٌّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ
« لا جن : لا خفاء » وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص اثتقي :
تَكَاشِرُنِي كَرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي^(١)
وقال الآخر :

خَلِيْلِي لِلْبَغْضَاءِ عَيْنٌ مُبَيِّنَةٌ وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ
(١) البرد : شكل من الثياب . والكاف - من قوله كانه - بمعنى مثل : صفة لموصوف محذوف ، هو مفعول ضم : أى ما ضم برد أحدآ مثل ابنه ولا ضم قبر مثل الجد . وشرقاً : تمييز . والضحج : القبر كله ؛ وقيل الشق في وسط القبر ، واللحد في جانبه ، وسمى كذلك لأنه يشق في الأرض شقا ، وكل ماشق فقد ضرح . قال ذو الرمة :
ضَرَحْنَ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرَّةٍ وَعَنْ أَعْيُنٍ قَتَلْنَا كُلَّ مُقْتَلٍ
يقول : ليس في الأحياء مثلك شرقا ، ولا في الأموات مثل جد أيبك في الشرف .
(٢) المسيح : العرق ؛ سمي مسيحا لأنه يمسح إذا صب . قال الراجز :

يَا رَيْبَهَا وَقَدْ بَدَأَ مَسِيحِي وَابْتَلَّ ثَوْبَايَ مِنَ النَّضِيحِ
« ياربها : يروى ناديتها » وقوله : هول ، أى وهول . فهو عطف على سيل . وكان الوجه أن يقول إذا اختلط دم ومسيح ، ولكنه قال اختلطا - على لغة من يقول : قاما أخواك - يقول : أنت سيل عند العطاء : أى مثل المطر ، وهول عند القتال إذا سالت السماء وامترجت بالعرق .

(١) مطلع أبيات جيدة في بابها يعاتب فيها يزيد هذا ابن عمه - [أمالي القالي ج ١ ص ٦٨ والحزانة ج ٣ ص ١١٨ ملفية] وفي الأغاني : ودوى صدره مرض وضغن

لَوْ كُنْتَ بَحْرًا لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ
 أَوْ كُنْتَ غَيْثًا ضَاقَ عَنْكَ اللَّوْحُ^(١)
 وَخَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا
 مَا كَانَ أَنْذَرَ قَوْمَ نُوحٍ نُوحٌ^(٢)
 عَجَزٌ بِحَرِّ فَاقَةٍ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الْإِلَهِ وَبَابُكَ الْمَفْتُوحُ^(٣)
 إِنَّ الْقَرِيضَ شَجٍ بَعِطْفِي عَائِدٌ
 مِنْ أَنْ يَكُونَ سَوَاءَكَ الْمَدُوحُ^(٤)

(١) الغيث : السحاب فيه مطر . والهواء بين السماء والأرض .
 والمعنى ظاهر .

(٢) يقول : لو كنت غيثا لخشيت منك الطوفان الذي أنذر به نوح قومه . فقوله
 وخشيت : عطف على قوله ضاق - في البيت قبله - .

(٣) يقول : من العجز أن يقاسى الحر الفاقة مع وجود رزق الإله ، وبابك الذي
 لا يحجب عنه طالب : يعنى أن الله قد وسع بك الرزق على الناس ، فمن لم يصمد إليك
 متمسكاً الرزق فذلك لعجزه ، كما قال أبو تمام :

خَابَ أَمْرٌ وَلَا يَحْسَ الْخَوَارِثُ رِزْقَهُ وَأَقَامَ عَنْكَ وَأَنْتَ سَفْدُ الْأَسْفُدِ
 وما أجمل قول بعضهم :

وَعَجَزٌ بَدَى أَدَبٌ أَنْ يَضِيقَ بَعِيشَتِهِ وَسُعُ هَذِي الْبِلَادِ

وعجز : خبر مقدم عن فاقة ، وبحر : متعلق بفاقة ، والضمير في وراه : للحر ؛
 قال العكبري : عجز ابتداء ، وقد تفيد النكرة ؛ وخبره : فاقة ، فالباء متعلقة بفاقة ؛
 ويجوز أن تكون فاقة ابتداء ، والخبر عجز مقدم عليه ، وتقديره فاقة بحر عجز ؛ فعلى
 هذا تكون النكرة قد تقدم عليها خبرها ؛ وقيل : بل عجز خبر ابتداء محذوف دل عليه
 المعنى ، تقديره : التعمود عن قصدك عجز بحر ؛ وفاقة ابتداء ثان خبره محذوف تقديره :
 به فاقة . قال : ووراءه أى قدامه ، قال تعالى « وكان وراءهم ملك » أى قدامهم -
 من الأضداد .

(٤) شج : حزين . والعطف : الجانب . وبعطفي : متعلق بعائد ، وعائد : لاجيء ،

وَذَكَرْتُ رَائِحَةَ الرِّيَاضِ كَلَامَهَا تَبَنَيْتُ الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفَوَّحُ (١)
جُهْدُ الْمَقْلِ فَكَيْفَ بَابِنِ كَرِيمَةٍ تُولِيهِ خَيْرًا وَاللِّسَانَ فَصِيحُ (٢)

والقريض : الشعر ؛ ويقال : قرضت الشعر أقرضه : إذا قلته ، ومنه قول عبيد بن الأبرص :
حال الجريض دون القريض ؛ « الجريض : النقص ، قاله للنعمان بن المنذر حين أراد
قتله فقال له أنشدني من قولك » وقوله سواءك : فسواك إذا فتحت مدت ، وإن كسرت
قصرت . يقول : إن الشعر لاجيء إلى مستعير بي من أن أمدح به غيرك ؛ إذ لا يستحقه
أحد سواك .

(١) الحيا : المطر . يقول : إن الرائحة الطيبة من الرياض بمنزلة الكلام لها ،
تحاول أن تثني على المطر الذي أحياها فتسطع رائحتها فتكون بذلك قد أمنت على المطر .
وهذا من قول ابن الرومي يصف روضة :

شَكَرْتَ نِعْمَةَ الْوَلِيِّ عَلَى الرَّوْضِ مِئِيَّ نَمِّ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ (١)
فَقَهِي تُبْنِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً طَيِّبَ النَّشْرِ شَائِعًا فِي الْبِلَادِ
مِنْ نَسِيمٍ كَأَنَّ مَسْرَاهُ فِي الْخَلْدِ شَوْمَ مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ
وأخذه السرى الرفاء فقال :

وَكَفْتُ كَرَوْضَةَ سُقَيْتِ سَحَابًا فَأَثْنْتُ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ

(٢) جهد المقل : أى ذلك جهد المقل . والجهد : الطاقة والوسع ، والمقل الذى
قلت ذات يده ؛ وتولية : تعطيه . يقول : إن رائحة الرياض جهد المقل لأنها لا تستطيع النطق ،
فكيف ظنك بي إذا أحسنت إلى وأنا شاعر فصيح ؛ أى أننى لا أغادر شعرك
والثناء عليك . والجهد - بالفتح والضم - قال العكبرى ؛ وقال الفراء بالضم ، الطاقة ،
وحجته قراءة الجمهور : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » . والجهد - بالفتح - من
قولهم أجهد جهدك فى الأمر : أى ابلغ غايتك ، ولا يقال أجهد جهدك - بالضم - والجهد
بالفتح - المشقة ، يقال : جهد دابته وأجهدها : إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها ،
وأجهد فى كذا : أى جد فيه وبالغ .

(١) الوسمى : مطر الربيع الأول ، لأنه يسم الأرض بالنبات ؛ والولى المطر يأتي
بعد الوسمى ويليه . والعهاد : جمع عهد ، وهو مطر بعد مطر .

وقال يصف لعبة على صورة جارية :

جَارِيَةٌ مَا لِحْسَمِهَا رُوحٌ بِالْقَلْبِ مِنْ حُبِّهَا تَبَارِيحٌ^(١)
فِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تُشِيرُ بِهَا لِكُلِّ طَيْبٍ مِنْ طَيْبِهَا رِيحٌ^(٢)
سَأَشْرَبُ الْكَأْسَ عَنِ إِشَارَتِهَا وَدَمْعُ عَيْنِي فِي اتِّخَاذِ مَسْفُوحٍ^(٣)

وأراد الانصراف من عند سيف الدولة ليلا فقال :

يُقَاتِنِي عَلَيْكَ اللَّيْلُ جِدًّا وَمُنْصَرَفِي لَهُ أَمْضَى السَّلَاحِ^(٤)

(١) التباريح : الشدائد . يقول : إن القلوب تحب اللفظ صورتها . وجارية - كما قال المكبري - ابتداء ، وروح اسم ما المشبهة بليس ؛ والجار والمجرور الخبر . وقوله تباريح : ابتداء خبره المقدم عليه : وهو الجار والمجرور ، وحرف الجر يتعلق بالاستقرار ، ومن حبا : يتعلق بالابتداء .

(٢) يقول : إن كل طيب يستفيد طيب الرائحة من هذه الطاقة ؛ لأنها أطيب الأشياء ريحا .

(٣) يقول : إنني سأشرب الكأس امتثالا لإشارتها ، برغم أني أكره الخمر : ومن ثم سيسيل دمي على خدي استنشاعا للخمر .

(٤) منصرفي : مصدر ميمي بمعنى انصرافي . قال الواحدى : إن الليل يقول له انصرف ، وهو يميل إلى مجلس الأمير وإطالة اللبث فيه ويعصى الليل وبذلك حصل تنازع وجعل ذلك قتالا . ثم قال : وإذا انصرفت فقد أعتته على نفسي . ويجوز أن يكون المعنى : إن الليل برده ندماءه وتقريفة جلساءه يعمل على الخلو به ، فانصرافي أمضى سلاح له وأعون على مراده . وقال المكبري - في قوله منصرفي - يريد انصرافي ، وإذا زاد الفعل على الثلاثي استوى فيه المصدر واسم الزمان والمكان ، وإذا كان متعديا ساوت هذه الأشياء لفظ المفعول ، فالمنصرف يقع على المصدر ، والموضع الذي ينصرف عنه ، وعلى الوقت الذي يقع فيه ذلك ، وانصرف فعل لا يتعدى إلى مفعول فلو بني مثل هذه الأشياء مثل اجتذب ونحوها - مما هو على أربعة أو أكثر - استوت في الأشياء الأربعة المصدر

لَأَنِّي كَلَّمَا فَارَقْتُ طَرْفِي بَعِيدٌ بَيْنَ جَنَفِي وَالصَّبَاحِ (١)

وجرى حديث وقعة أبي الساج مع أبي طاهر صاحب الأحساء ، فذكر أبو الطيب ما كان فيها من القتل ، فقال بعض الجلساء ذلك وجرع منه ، فقال أبو الطيب لأبي محمد بن طنج ارتجالاً :

أَبَاعْتُ كُلَّ مَكْرَمَةٍ طُمُوحٍ وَفَارِسَ كُلِّ سَلْمَةَ سُبُوحِ (٢)

والزمان والمكان والمفعول ، يقال جبل مجتذب ومجذب وعجيب من مجتذبى جبلك أى اجتذابى وهذا مجتذب جبلك أى الموضع الذى يجتذب فيه والوقت الذى كان فيه الاجتذاب .

(١) البيت تمليل لقوله : ومنصرفى له أمضى السلاح . يقول : لأنى كلما فارقت عيني ، ولم أرك ، لم أتم من شوقى إلى لقائك ، فطال ليلى وبعد ما بين جنفى والصبح : هذا ؛ ويجوز رفع بين على إخراجها عن الظرفية وجعله مبتدأ وخبره بعيد . قال العكبرى : ويجوز أن يكون فاعلاً يعيد ؛ كقول الشاعر :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَيْتٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَائِلِيهَا جَرُورِ (١)

ويجوز نصبه على الظرفية وتقدير المبتدأ محذوفاً : أى بعيد ما بين جنفى ؛ قال الواحدى : ولو قال بين عيني الصباح لكان أظهر ، لأن الصباح إنما يرى بالعين لا بالجنين .

(٢) الباعث : الهوى — من بعث الله الميت : إذا نشره — والطموح : الجوح ، وهى العريضة المتعنة . والسليبة : الطويلة من الخيل : والسبوح : التى تسبح فى جريها . يقول : يا عجبى كل مكرمة تستصحب على غيرك ، ويا فارس الخيل الشديداً الجرى .

(١) الأشطان : جمع شطن ، وهو الجبل الطويل الشديد القتلى الذى يستقى به وتشد به الخيل ؛ والجال : كل ناحية من نواحي البئر من أسفلها إلى أعلاها ؛ والجروور البئر البعيدة القمر ، وبين : قال ابن منظور : البين ههنا الوصل ، قال لأن البين فى كلام العرب من الأضداد ؛ إذ يكون بمعنى الفرقة ويكون الوصل كما فى هذا البيت

وَطَائِعِنَ كُلِّ نَجْلَاءِ غُمُوسٍ وَعَاصِيَّ كُلِّ عَذَالٍ نَصِيحٍ^(١)
 سَقَانِي اللَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوْمًا دَمَ الْأَعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الْجُرُوحِ^(٢)
 وأرسل أبو العشائر بازيًا على حجلة فأخذها فقال المنبي :
 وَطَائِرِي تَتَّبِعُهُمَا الْمَنَائِيَا عَلَى آثَارِهَا زَجِلُ الْجَنَاحِ^(٣)
 كَانَ الرِّيشَ مِنْهُ فِي سِهَامٍ عَلَى جَسَدٍ تَجَسَّمُ مِنْ رِيَّاحٍ^(٤)

(١) النجلاء : الواسعة ، والغموس : التي تغمس المطعون في الدم . يقول : إنه كان يطن كل طمعة واسعة تغمس صاحبها المطعون في الدم ، ويعصي كل من يعذله في الجود والإقدام .

(٢) يقول : أمكنني الله من الأعداء حتى أهريق دماءهم وآتى عليهم ، والعرب تقول شربنا دم بني فلان يريدون قتلناهم وأرسلنا دماءهم على الأرض كالماء . هذا : وسقى وأسقى لغتان فصيحتان نطق بهما القرآن الكريم قال تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » وقال جل شأنه « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » .

(٣) المراد بالطائرة : الحجلة ، والحجلة : واحدة الحجل ؛ طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين يعيش في الصرود العالية يستطاب لحمه . والزجل ذو الصوت ؛ وأراد بالزجل : جناح البازي — يعني خفيف جناحيه في الطيران . قال العكبري : من رفع زجل يكون الكلام تاماً في النصف الأول ؛ ويرتفع على لابتداء ؛ والخبر ، الجار والمجرور وهو متعلق بالاستقرار وقال الواحدى : من نصبه نصبه على الحال إذا جعل المنايا البازي لأنه سبب منايا الطير ، وتتبعها هي وتتبعها . ورواها المكبري تتبعها وقال : يقال تبعته واتبعته وتتبعته . ثم قال : تبعت القوم إذا كنت خلفهم ومروا بك فمضيت معهم وكذلك اتبعتهم وهو اقتلعت وأتبعت القوم على أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقهم وأتبعت غيرى يقال : أتبعته الشيء فتبعه ، وقال الأخفش : تبعته وأتبعته بمعنى . مثل ، ردفته وأردفته .

(٤) جعل قصب ريشه سهاما لاستوائها وسرعة مرها ، وجعل جسده جسماً من رياح لسرعة انقضاضه على الصيد ، فالضمير منه : يعود على زجل الجناح ، وفي سهام متعلق بمحذوف تقديره ظهر في سهام ، وعلى جسد : في موضع الصفة ، ومن رياح : متعلق بتجسم .

كَانَ رُؤُوسَ أَفْلَامٍ غِلَاطٍ مِسْحَنَ بَرِيشٍ جُوْجُوْرَةِ الصِّحَاحِ (١)
فَأَقْصَمَهَا بِحُجْنٍ تَحْتَ صُفْرِ لَهَا فِعْلُ الْأَسْنَةِ وَالصِّفَاحِ (٢)
فَقُلْتُ لِكُلِّ حَىٍّ يَوْمُ مَوْتٍ وَإِنْ حَرَّصَ النَّفُوسُ عَلَى الْفَلَاحِ (٣)

(١) الجُوْجُوْ: الصدر . شبه سواد صدره بآثار مسح رؤوس أفلام حبر غلاظ في ثوب أبيض ؛ وروى ابن جنى : غلاظا — نصباً على النعت للرؤوس — وهو أجود ، لأن المراد غلظ الرؤوس حتى يكون أثر الحبر عريضاً ؛ والصحاح : جمع صحيح ، وروى الصحاح — بفتح الصاد — على النعت للجُوْجُوْ أو للبريش على اللفظ لا المعنى .

(٢) أقصمها : قتلها قتلا وحيأ سريماً . والحجن : جمع أحجن ، وهو المعوج — يريد محالبه — والصفير : أصابه ؛ والأسنة : نصال الرماح ؛ والصفاح : السيف ، يريد أن البازي قتل هذه الحجلة قتلا سريماً . هذا : ويقال مات فلان قصاً إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وضربه فأقصه أى قتله مكانه ، وأقصه بالرمح وقصه : طعنه طعناً وحيأ . والقصاص داء يأخذ الغنم لا يلبسها أن تموت ؛ وفي الحديث : من أشرط الساعة موتان يكون في الناس كقص الغنم . والحجن — بالتحريك — الاعوجاج ، وصر أحجن الخالب : معوجها ، والحجن : الصولجان لاعوجاجه .

(٣) لكل حى : خبر مقدم ، ويوم موت : مبتدأ مؤخر ، والفلاح : البقاء والفوز والنجاة ، والفلاح السحور ومنه : حتى خفنا أن يفوتنا الفلاح أى السحور لأنه به بقاء الصوم ، وحى على الفلاح أى أقبل على النجاة .

قافية الدال

وقال يمدح سيف الدولة ، ويرثى ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ،
وقد توفى في حمص سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

مَا سَدِكَتِ عِلَّةٌ بِمَوْرُودٍ أَكْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدِ^(١)
يَأْنَفُ مِنْ مَيْتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ^(٢)
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ اللَّمَاتِ عَلَى غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ^(٣)
بَعْدَ عِثَارِ الْقَنَا بِلَبَّتِهِ وَصَرَبِهِ أَرْؤُسِ الصَّنَادِيدِ^(٤)

(١) سدك الشيء بالشيء : لزمه ؛ والعلة : المرض ؛ والمورود المغموم في لغة أهل
البحر وقد وردته الحمى فهو مورود قل ذو الرمة :

* كَأَنِّي مِنْ حِدَارِ الْبَيْنِ مَوْرُودِ *

والورد يوم الحمى إذا أخذت صاحبها لوقت ، ويقال : أكل الرطب موردة ، أى محمة
وقال أعرابي لآخر : ما أمار إفراق المورود ؟ فقال : الرضاء . ويروى بمولود .
يقول : ما لزمتم علة مورودا أكرم من هذا الرجل .

(٢) أصدق المواعيد : الموت . يقول : إنه يأنف من موته على الفراش لأنه شجاع
أخو حروب ؛ وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذْ نَ لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدْقِ الْكُرْنِ
(٣) القود : الطوال من الخيل . يقول : مثله في شجاعته وملايسته الحروب ينكر

موته على غير السروج : أى في غير الحروب . يحكى عن خالد بن الوليد أنه قال وهو
يختصر : ليس في جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا ذا أموت
موت الحمار ، فلا نامت أعين الجناء .

(١) يقول : مثله ينكر موته على الفراش بعد أن كانت الرماح تتعثر بصدده في
الحرب ، وبعد ضربه رؤس الأبطال . وتعثر الرماح بصدده : إصابتها إياه ، وجعله

وَحَوْضِهِ نَعْمَ كُلِّ مَهْلَكَةٍ لِلذَّمْرِ فِيهَا فَوَادُ رَعْدِيدٍ (١)
فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا صَبْرٌ وَإِنْ بَكَيْنَا فَنَبْرٌ مَرْدُودٍ (٢)
وَإِنْ جَزَعْنَا لَهُ فَلَا حَبَبٌ
ذَا الْجَزْرُ فِي الْبَحْرِ غَيْرُ مَفْهُودٍ (٣)

مطمعونا إشارة إلى أن قرنه يخاف جانبه فيقاته بالرمح ، وجعله ضاربا إشارة إلى أنه لا يخاف أن يدنو من قرنه . والصاديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع ، ومنه الصناديد من الأمور وهي الشدائد والدواهي ، وكان الحسن يقول : نعوذ بالله من صناديد القدر — أي من دواهيه ونوابه العظام العوالب — ومن جنون العمل — وهو الإعجاب — ومن ملغ الباطل ، وهو التبخر فيه .

(١) الضر : الكثير ، والمراد هنا أصعب مواضع الحروب ، والذمر : الشجاع والرعيد : الجبان . يقول : وجد حوضه كل حومة في الحرب صعبة إذا خاضها الشجاع خاف خوف الجبان .

(٢) صبر : جمع صبور . يقول : فإن صبرنا على تقدمه فإن الصبر عادة لنا وإن بكينا لم يردده علينا البكاء ، فلا تقع في البكاء ولا غناء . وإن شئت قلت : فغير مردود . أي لم يرد علينا البكاء : أي لا نصاب به ، لاستحقاقه ذلك وشدة الفجعة به .

(٣) شبهه بالبحر وشبه موته بالجزر . يقول : وإن جزعنا لموته فلا حبيب ، لأن مثل هذا الجزر لم يهد في البحر إذ المهدود في البحر إذا جزر أن يتراجع ماؤه حسب ، ولكن لم يهد فيه أن يجزر حتى ينضب ويحف . والمعنى : قد تقع للصاب ، ولكن لم تمهد مثل هذه المصيبة ، وهذا كقول أعشى باهلة :

فإن جزعنا فمثل الشر أجزعنا وإن صبرنا فإننا معشر صبر
أخذه أبو تمام فقال :

فلئن صبرت فانت كوكب ممشرٍ صبروا وإن تجزع فغير مفند
وأخذه الحريري فقال :

ولو شئت أن أبكي دما لبكيتهُ عليه ولكن ساحة الصبر أوسعُ
(٢٥٠ — التي ١)

أَيْنَ الْمَبَاتُ الَّتِي يُفَرِّقُهَا عَلَى الزَّرَافَاتِ وَالْوَاحِدِ (١)
سَالِمِ أَهْلِ الْوَدَادِ بَعْدَهُمْ يَسْلَمُ لِلْحُزْنِ لَا لِتَخْلِيدِ (٢)
فَمَا تَرْجَى النَّفْسُ مِنْ زَمَنِ
أَحْمَدُ حَالِيهِ غَيْرُ مُحَمَّدٍ (٣)
إِنَّ نَيْبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِي
أَنَا الَّذِي طَالَ عَجْمُهُا عُودِي (٤)
وَفِي مَا قَارَعَ الْخَطُوبَ وَمَا آتَنِي بِالْمَصَائِبِ الشُّودِ (٥)

(١) الزرافات: الجماعات؛ والمراد بالواحد: الأفراد، كأنه أخذها من مواجيد الجبال، وهي أكبات منفردات كل واحدة بائنة عن الأخرى. يقول: إن العطاء انقطع بعوته وانقطع ما كان يعطى الجماعات والأفراد من المبات.

(٢) يقول: إن الذي يسلم من القوم التحابين بعد ذهاب أصحابه إنما يسلم ليحزن لفقدهم، لا ليخلد، لأنه يتبعهم، وإن تأخر أجله عن آجالهم.

(٣) قال ابن جني: أحمد حاله أن يبقى بعد صديقه وذلك غير محمود لتعجل الحزن: خلاه الموت والحياة، أي وإذا كانت الحياة هوى أحمد حالى الزمان غير محمودة لأنها تقطع بالحزن على الراحلين، فماذا ترجى من الزمان؟ وقال الواحدي: أي لارضاء عند زمان أحمد حاله البقاء وهو غير محمود لأن معصه بلاء ومؤجله فناء، وإن شئت قلت أحمد حاله البقاء، ومن بقى شاب، والشيب مكروه مذموم. فيكون كما قال محمود الوراق:

يَهْوَى الْبَقَاءَ فَإِنْ مَدَّ الْبَقَاءَ لَهُ وَسَاعَدَتْ نَفْسَهُ فِيهِ أَمَانِيَا

أَبْقَى الْبَقَاءَ لَهُ فِي نَفْسِهِ شُغْلًا مِمَّا يُرَى مِنْ تَصَارِيفِ الْبَلَايَا

(٤) عجم العود: عضة ليعرف أصلب هو أم رخو؟ وعجمت عوده: بلوت أمره وخبرت حاله. قال:

أَبَى عُودُكَ الْمَجْمُومُ لِإِصْلَابَةِ وَكَفَاكَ إِلَّا نَائِلًا حِينَ تُسْأَلُ

يقول: قد طالعت صحبتي للزمان، وقد جربني وعرف صلابتي وصبري على نوائبه.

(٥) يقول: في من الجلادة والصبر ما يقارع الخطوب ويدافعها عن توهيني، ومن

مَا كُنْتَ عَنْهُ إِذِ اسْتَفَانَكَ يَا سَيْفَ بَنِي هَاشِمٍ بِمَغْمُودٍ (١)
 يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ يَا مَلِكَ الْأَمْلَاكِ طُرّاً يَا أَصِيدَ الصَّيْدِ (٢)
 قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشُرَهُ وَقَعُ قَنَا ائْطَطَّ فِي اللَّغَايِدِ (٣)
 وَرَمَيْكَ اللَّيْلَ بِالْجُنُودِ وَقَدْ
 رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَنْهِيدِ (٤)

طول إلفق للمحن ما نفي عن الجزع وصبرني آنس بالمصائب . وعلى هذا يكون : وما آنسني عطفاً على ما قارع ويجوز — كما قال العكبري — أن تكون ما — في وما آنسني — تعبيراً . وعبارة الواحدى : في ما يقارع الخطوب ويؤنسى بالمصائب العظام ، وهو علمه بثواب المصابين كما قال صلى الله عليه وسلم « ليودن أهل العافية يوم القيامة لو أن جلودهم قرضت بالمقاريض . . . لما يرون من ثواب أهل البلاء » والذى آنسه بالمصائب رأيه الذى يره المخرج منها . . . والخطوب جمع خطب : الشدة تلقى الإنسان . والمصيبة إذا عظمت قيل : مصيبة سوداء .

(١) يقول : لما استغناك وهو فى أسر بنى كلاب أغنته واستغنته من أيديهم ولم تكن سيفاً مغموداً عنه .

(٢) يا أصيد الصيد ، يا ملك الملوك . وأصل الصيد : داء يأخذ البعير فى عنقه فلا يستطيع معه أن يلتفت يمنة أو يسرة ، واستعمل فى الملك والرجل العظيم صاحب النخوة ، وأصيد أفضل وصف لا أفضل تفضيل والصيد جمعه قال العكبري : وأصيد الصيد ههنا بمعنى ملك الملوك ولا يكون هنا أعظمهم صيداً . لأن ذلك يفتح كما يفتح أعور العور أى أشد هم عوراً ، لأن الخلق والعاهات لا يستعمل فيها أفضل ولأما أفضله .

(٣) اللغاييد : لحمت بين الحنك وصفحة العنق ، وأنشره : أحياه ، قال تعالى « ثم إذا شاء أنشره ، وقنا الخطط : الرماح والخطط : موضع بالجمامة تنسب إليه الرماح وجعل أسره قبل ذلك موتاً قبل هذه الموتة . يقول : لقد مات قبل هذه الموتة بأسر الخارجى إياه ، فأنشرته من ذلك الموت بطعن الرماح فى لغاييد الأعداء حتى استغنته منهم .

(٤) يقول : وأنشره سيرك ليلا بجنودك لاستنقاذه وقد سهروا خشية هجومك عليهم ، فكأنك رميت عيونهم بالسهر ، ورميت الليل بالجنود إذ سرت فيه بجنودك ، فقوله : ورميك ، عطف على وقع القنا .

فَصَبَّحْتُهُمْ رِعَالَهَا شُرْبًا يَبْنَ ثُبَاتٍ إِلَى عَبَادِيدِ^(١)
 تَحْمِيلُ أَعْمَادِهَا الْفِدَاءَ لَهُمْ فَأَبْتَقَدُوا الضَّرْبَ كَالْأَخَادِيدِ^(٢)
 مَوْفِقُهُ فِي فِرَاشِ هَامِهِمْ وَرِيحُهُ فِي مَنَاخِرِ السَّيِّدِ^(٣)
 أَفْنَى الْحَيَاةِ الَّتِي وَهَبَتْ لَهُ فِي شَرْفٍ شَاكِرًا وَتَسْوِيدِ^(٤)
 سَقِيمَ جِسْمٍ صَحِيحَ مَكْرُمَةٍ مَنجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنجُودِ^(٥)

(١) الهاء — في رعالها — كناية عن الخيل ، وإن لم تذكر ، والرجال : جمع رعة القطعة من الخيل ، والضمير للجنود ، والشرب : جمع شارب ، وهو الضامر . والثبات : جمع ثبة ، وهي الجماعة ، والبايد : الفرق ، ولا واحد لها من لفظها . يقول : انصبت عليهم الخيل صباحا زراظلت ووحداناً .

(٢) اتقذ الدرام : قبضها ، والأخايد : جمع أخدود ، وهو الشق في الأرض ، كفى بما تحمل الأعماد عن السيوف : أى حملوا إليهم السيوف في الأعماد وجعلوها فداء . لأنهم استقذوه بها ، ولما جعل السيوف فداءً جعل الضرب بها مقبوضاً كما تقبض الدرام والدنانير التي تدفع عادة في الفداء . يعنى : إن فداء أبى وائل كان ضرباً أثر فيهم تأثير الأخدود في الأرض : أى نالتهم جراح واسعة كأنها الأخاديد .

(٣) الفراش : عظام رفاق تلى خف الرأس ، والهام : الرؤوس . والسيد : الدئب . يقول : إن هذا الضرب يقع في عظام رؤوسهم فتستشق الدئاب والوحوش منه رائحة تدلها فتأني لأكل لحومهم .

(٤) يقول : إن الحياة التي وهبها له بعد تخليصك إياه من الأسر والقتل أفناها في بناء الشرف والسيادة شاكرًا لك تلك النعمة — نعمة الحياة — التي أنعمت عليه بها . ويجوز أن يكون التسويد إقراره بسيادة سيف الدولة ، وشاكرًا : حال من ضمير أفنى ، والتسويد : مصدر سوده أى جمه سيداً .

(٥) المنجود : المكروب ؛ ويقال استنجذني فأنجذته : أى استعان بي فأعنته ، واستنجذ الرجل أى قوى بعد ضعف أو مرض ، ويقال للرجل إذا ضرى بالرجل واجترأ عليه بعد هيبته إياه : قد استنجذ عليه ، وكان المرئى قد أصابته جراحة في الحرب فبقي فيها إلى أن مات . يقول : أفنى بقية حياته سقيم جسم بسبب هذه الجراحة ، مكروباً لتلك الجراحة ، وهو مع ذلك عون المكروب .

مَّ غَدَا قَيْدَهُ الْحِمَامُ وَمَا تَخَاصُّ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودٍ (١)
 لَا يَنْقُصُ الْمَالِكُونَ مِنْ عَدَدِ مِنْهُ عَلَى مُضَيِّقِ الْبَيْدِ (٢)
 نَهَبٌ فِي ظَهْرِهَا كِتَابَتُهُ هُبُوبٌ أَرْوَاحَهَا الْمَرَاوِيدِ (٣)
 أَوَّلَ حَرْفٍ مِنْ أَسْمِهِ كَتَبْتُ سَنَابِكُ الْخَيْلِ فِي الْجَلَامِيدِ (٤)
 مَهْمًا يُعَزُّ الْفَتَى الْأَمِيرَ بِهِ فَلَا بِإِقْدَامِهِ وَلَا الْجُودِ (٥)

(١) الحمام : الموت ، والصفود : القيد . يقول : بعد أن خلصته من أسر العدو غدا سيراً للموت . ومن قيد بالموت وصفده لم يتخلص منه : هذا ، وجملة قيده الحمام : مبتدأ وخبر في موضع نصب كأنه قال ثم غدا هو ، وروى قده الحمام ، والقيد : الغل والقيد ، وروى قده الحمام أى غدا الحمام قده .

(٢) يقول : من هلك من عشيرتك لا ينتقص به عددك لأن الفلوات تضيق بأتباعك ومن معك من الجيوش : ومن — في قوله من عدد — زائدة ، وعدد : مفعول ينقص ومنه على : مبتدأ وخبر صفة لعدد ، وعلى هو سيف النولة .

(٣) الضمير — في ظهرها — للبيد ، وأرواحها : رياحها ، والمراد : الرياح تجيء وتذهب . قال ذو الرمة :

يَادَارَ مِيَةٌ لَمْ يَتْرِكْ بِهَا عِلْمًا تَقَادُمُ الْعَهْدِ وَالْهُجُجُ الْمَرَاوِيدُ

يقول : إن جيوشه تطلع على الفلوات وتنتشر فيها انتشار الرياح عند هبوبها . يريد أن جيوشه كثيرة فهي تم البيد كما تمها الرياح عند هبوبها ، وهذا على حد قوله :

إِذَا سَارَ فِي مَهْمَةٍ عَمَّهُ وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلٍ طَالَهُ

(٤) أراد بأول حرف من اسمه : العين ، لأن اسمه على . والسنبك : طرف الحافر ، والجلاميد : الصخور . يقول : إن حوافر الخيل لشدة وقمها على الصخور كانت تطبع فيها أثرًا يشبه حرف العين في استدراته وفراغ وسطه .

(٥) يقول : مهما عزاه معز بهذا البيت ، فلا عزاء بجوده وشجاعته : أى لا تقدها فالفتى : فاعل يمز ، والأمير : منصوب بوقوع العزاء عليه ، وتقديره : مهما يعز معز الأمير ، والضمير في به : للبيت . وروى — يمز الفتى الأمير — على أن الأمير صفة للفتى ، والفتى : نائب فاعل يمز البننى لما لم يسم فاعله .

وَمِنْ مَنْ بَقَاؤُهُ أَبَدًا حَتَّى يُعْزَى بِكُلِّ مَوْلُودٍ^(١)

وقال يمدحه ، ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزوه خرشنة ، ويذكر

الواقعة :

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ

وَإِنْ ضَجِيعَ الْخُودِ مِنِّي لَمَاجِدُ^(٢)

يَرُدُّ يَدَا عَن تَوْبِيهَا وَهَوَ قَادِرٌ

وَيَنْصِي أَلْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهوَ رَاقِدُ^(٣)

(١) يقول : أمنتنا أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل من ولد فيعزى بهم قال ابن جني : وهذا دعاء حسن ، كما يقال للمعزى : جملك الله وارث الجماعة ، وهو أجود في المعنى من قولهم : لا أعاد الله إليك مصيبة أبداً .

(٢) الخود : المرأة الناعمة الحسنة الخلق . يقول : إن اللواتي يعذلن هذه المرأة - التي هي صاحبة الخال على خدها - في لأجل محبتها إياي هن حواسد لها على ، لأنها ظفرت مني بضجيع ماجد .

(٣) يرد : أى الضجيع ، والطيف : الخيال في النوم . يقول : إنني أعف عنها مع كونى قادراً على ترك المغاف ، وقد صار ذلك سجية لى حتى صرت أعف عن طيفها أيضاً إذا زارنى في نومي . يصف نفسه بالعفة والرغبة عن مغازلة النساء ، كما قال هذبة :

وَلَمَّيْ لِأَخْلِي لِلنَّفْتَاةِ فِرَاشَهَا وَأَصْرِمُ ذَاتَ الدَّلِّ وَالقَلْبُ أَلِفُ

قال ابن جني : لو قدر على أن يقول موضع قادر : يقظان أو مستيقظ لكان أجود في الصناعة ، ولكنه لم يقدر . قال أبو الفضل العروضى : هذا النقد - نقد ابن جني - غير جيد ، وذلك أنه لو قال يقظان أو ساهر : لم يزد على معنى واحد ، وهو الكف في حالة النوم واليقظة ، وإذا قال قادر : زاد في المعنى أنه تركها صلف نفس وحفظ مروءة لا عن عجز ورهبة ، ولو أن رجلاً ترك المحارم من غير قدرة لم يأنم ولم يؤجر ، وإذا تركها مع القدرة صار مأجوراً . قال : والمجب من أبى الفتح يقصر فيما فرض على نفسه من التفسير ويخطئ ثم يتكافى النقد ، وقال في قوله وهو راقد : إن الراقد قادر أيضاً

مَتَى يَشْتَنِي مِنْ لَاعِجِ الشَّقِيقِ فِي الْمَشَى
مُحِبُّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدٌ^(١)
إِذَا كُنْتَ تَخْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ حَلْوَةٍ
فَلَمْ تَتَّصَبَّاكَ الْحَسَانَ الْخَرَائِدُ^(٢)
أَلْحَ عَلَى السُّنْمِ حَتَّى أَلْفَتُهُ^(٣) وَمَلَّ طَيْبِي جَانِبِي وَالْعَوْدُ

أن يتحرك في نومه ويصيح ، وليس هذا بشيء ، ولم يقله أحد ، والقدرة على الشيء أن يفعله متى شاء ، فإن شاء فعل وإن شاء ترك ، والنائم لا يوصف بهذا ولا المشى عليه ولا يقال للنائم إنه مستطيع ولا قادر ولا مرید ، وأما عصيانه الهوى في طيفها فليس باختيار منه في النوم ، ولكنه يقول لشدة ما ثبت في طبعي وغريرتي صرت في النوم كالجارى على عادتي .

(١) اللاعج : المحرق ، يقال : هوى لاعج ، لحرقه الفؤاد من الحب ، ولعج الحب والحزن فؤاده يلعج لعجا ، استحر في القلب ؛ ولعجه الضرب ، ألمه وأحرق جلده ، قال عبد مناف بن ربيع الهذلي .

مَآذَا يَغْيَرُ ابْنَتِي رِبْعٍ عَوِيلُهُمَا لَا تَرْقُدَانِ وَلَا بُؤْسِي لِمَنْ رَقَدَا
إِذَا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قَامْتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا سَبَبَتْ يَلْعَجُ الْجِلْدَا

« يغير : ينفع ؛ أى لا ينفى بكاؤها على أبيهما من طلب ثأره شيئاً ، والسبت : جلود البقر المدبوعة واحتاج إلى حركة اللام من الجلد فكسره » والحشا : ما اضطمت عليه الضلوع . وقوله في قربه : حال من فاعل متباعد . يقول : متى يجد الشفاء من الشوق المحرق محب لهذه المحبوبة إذا دنا منها بشخصه نأى عنها بفافه ؛ وعبارة ابن جنى : يريد متى تشفى مما بك وأنت كلما قدرت امتنعت ؟

(٢) تتصباك ، تدعوك إلى الصوبة ، والخرائد ، الحيات . ينكر على نفسه صبوته إلى الحسان مادام يخشى العار في الحلوة بهن . يقول : إذا كنت في الحلوة بهن تتأى عنهن وتعف ، فمالك ولعشق الحسان والزراع إليهن ؟

(٣) ألح عليه : لازمه . ويقال : ألح عليه بالمسألة ، وألح الرجل على غيره في التقاضى إذا واطب ؛ وسحاب ملحاح : دائم ، وألح السحاب بالمكان : أقام به مثل ألح ؛ وألحت

مَرَزْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَجَمَعَت
جَوَادِي وَهَلْ تَشْجُو الْجِيَادَ الْمَاهِدِ^(١)
وَمَا تُنْكِرُ الدِّمَاهُ مِنْ رَسْمِ مَنَزِلٍ
سَقَّتْهَا ضَرْبَ الشَّوْلِ فِيهَا الْوَلَائِدُ^(٢)
أَهْمُ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَانَتْهَا تُطَارِدُنِي عَنِ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ^(٣)

الناقة وألح الجمل : إذا لزما مكانهما فلم يبرحا كما يحرن الفرس ؛ وكله من اللزوق .
والعوائد : جمع عائدة ، وهي التي تعود المريض . يقول : لارمني السم فلا يفارقتني حتى
لقد ألفتة ، وقد ملني طبيبي وعوائدى لشدة ما بي من السم .

(١) يقال : فرس جواد للذكر والأنثى . والمحمدة : دون الصهيل ، كالتنخع .
وشجاء يشجوه : إذا أجزنه ؛ وأشجاء إذا غصه . والمعاهد جمع معهد ، وهو الموضع
الذي عهدت به شيئا ، وتسمى ديار الأجرة : معاهد . يقول : مررت على دار الحبيب
فجمعت جوادى حينئذ إليها لأنها عرفتها . ثم استفهم متعجبا فقال : وهل الديار تشجى
المعبوات كما تشجى الإنسان ؟ ! وقد أخذ أبو الحسن التهامي هذا وزاد
عليه فقال :

بَكَيْتُ فَحَنَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جِيَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا
ثُمَّ زَادَ السَّرَى الرَّفَاءَ عَلَى هَذَا قَالُ :

وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي وَتُرْزِمُ نَاقَتِي وَتَصْهَلُ أَفْرَاسِي وَيَدْعُو حَمَامَهَا
(٢) ما : استفهام إنكارى والفرس الدهاء : السوداء . والضرب : اللبن الخائر
يغلب من عدة لقاح . والشول : النياق التي بعد عهدها بالتاج لجف لبنها . والوليدة :
الجارية التي تخدم . نفى التعجب ورجع عنه . يقول : كيف تنكر الفرس الدهاء رسم
منزل أقامت به تسقيها الولائد فيه لبن النياق فألفتة ؟ وقال الواحدى : « ما » ههنا نفى .
(٣) عن كونه : أى عن حصوله . يقول : أريد الأمر الخطير وأحاول فعله والليالى
تدافنى عنه وتحول بينى وبينه ، فكأنها بذلك تطاردنى عن الوصول إليه ، وأنا
أطاردها عن حيلولتها بينى وبينه .

وَحِيدٌ مِّنَ الْخِلَانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ^(١)
 وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ^(٢)
 تَثْنَى عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ كَأَنَّهَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ^(٣)
 مَحْرَمَةٌ أَوْ كَمَا قَالَ خَبِيْلٌ عَلَى الْقَنَا مُحَلَّةٌ لَبَاتُهَا وَالْقَلَائِدُ^(٤)

(١) وحيد: خبر مبتدأ محذوف: أي أنا وحيد؛ ويروى وحيدا - على أنه حال من ضمير أم - يقول: إن مطلوبني عظيم، ومن ثم لا أجد من يساعدنني على ما أطلب، لأن المطلوب إذا كان عظيما قل من ينهض بالمساعدة عليه، والخلان: جمع خليل: كـرغيف وـرغفان (٢) الغمرة: الشدة « والسبوح: الفرس التي كأنها تسبح في جريها، يقول: وتعينني على توارد الضمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال لها منها أدلة عليها وفي الشطر الثاني من كثرة التكرار - وهو قوله لها منها عليها - ما قد يعاب به ولها خبر مقدم عن شواهد؛ والجملة: صفة؛ وعليها: متعلق بشواهد؛ ومنها: حال، (٣) المراد: جمع مرود، وهو حديدة تدور في اللجام - من راد يرود: إذا ذهب وجاء. يقول: إن هذه السبوح - للين مفاصلها - تميل مع الرماح كيفما اتجهت شبه مفاصلها في سرعة استدارتها - إذا لوى عنانها لدى الطعان - يسبح المرود يدور مع حلقاته كيفما أدبرت، كما قال كشاجم:

وَإِذَا عَطَفَتْ بِهِ عَلَى مَرُودِهِ لِتُسْدِيرِهِ فَكَأَنَّهُ بَرَكَارُ^(١)

وهنا قال الواحدي: أخطأ القاضى - يريد القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني - في هذا البيت، وزعم أن هذا من اللقوب، وقال: إنما يصح المعنى لو قال كأنما الرماح تحت مفاصلها مراد؛ وعندده أن المرود مثل المكحلة، شبه الرماح في مفاصلها بالليل في الجفن يفعل فيها كما يفعل الليل في العين، وهذا فاسد، لأنه يخص المفاصل، وليس كل الطعن في المفاصل لأنه قال تثنى على قدر الطعان، وإذا كانت الرماح ومفاصلها كالليل في الجفن فلا حاجة إلى تشبيها.

(٤) اللبات: أعالي الصدور. ومحللة القلائد: أي مواضع القلائد من الأعناق.

(١) البركار والبيكار: آلة ذات ساقين لرسم الدوائر - البرجل -

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنْدُ فِي يَدِي مَوَارِدَ لَا يُصْدِرْنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ^(١)
وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ
عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الْكَفَّ سَاعِدُ^(٢)
خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ^(٣)
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ^(٤)

يقول : إنه يخوض الحرب فتتال الرماح من صدور خيله وأعناقها ولا تتال من أعجازها لأنه لا يهرب منها .

(١) يقول : وأورد نفسي في الحرب — وسيفي في يدي — موارد مهلكة لا يصدر واردها حيا ما لم يكن جلدا شجاعا مثلي — أو ما لم يقاتل مثلي — وعبارة ابن جني : من وقف مثل موقفي في الحرب ولم يكن شجاعا جلدا ، هلك . هذا : والواو في والمهند : واو الحال ، والمهند : السيف الهندي ، أو السيف المشجود .

(٢) يقول : إن قوة الضرب إنما تتكون بالقلب لا بالكف ، فإذا لم تقو الكف بقوة القلب : لم تقو بقوة الساعد وقوله : على حالة : صلة يحمل .

(٣) يقول : إن من عداه من الشعراء يدعون الشعر ، والقصائد له ، لأن كلامهم لا يستحق أن يسمى شعراً . ولعله يريد أنهم يأخذون شعره ويدعونه لأنفسهم : وإذن : فهو الشاعر في الحقيقة ، أما غيره فهو شاعر باتحال شعره . وعبارة الواحدى : يريد كثرة من يرى من الشعراء الدعين وأن له التحقيق باسم الشاعر لأنه هو الذي يأتي بالقصائد لا هم . قال ابن جني : لو قال : فكم منهم الدعوى ومنى القصائد لكان أحسن وأشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم .

(٤) في هذا البيت من البديع حسن التخلص . يقول إنه في الشعراء كسيف الدولة في السيوف ، فكل منهما منقطع النظير — وإن كاله أشباه ونظائر في التسمية — وهذا كما يقول الفرزدق :

وقد تلتقى الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكن فرّقوا في الخلائق

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبِيعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضِ
 وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدٌ (١)
 وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَبَيَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدٌ (٢)
 أَحْقَمُهُمُ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطَّلِيَّ وَبِالْأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَاةُ (٣)

(١) انتضى السيف سله وجرده . يقول . إنه ليس كسيوف الحديد التي تنتضى وتعمد ، وإنما ينتضيه في الحرب كرم طبعه وما آثره الله به من الشجاعة والأنفة ، ويغمده ما تعوده من العفو والإحسان . هذا : وكما يقال : انتضى السيف . يقال : نضاه أيضاً ، ونضا الحضاب : ذهب لونه ونصل ، ونضوت البلاد : قطعها . قال تأبط شراً ولكنني أزوي من الخمر هامتي وأنضوا الفلأ بالشاحب التشلشل (١)

(٢) يقول : لما رأيت الناس دونه في المنزلة تبينت أن الدهر ناقد لهم يعطى كلاً على قدر ما يستحقه ، وهذا على خلاف ما يفعل الدهر ، لأن الدهر يرفع من لا يستحق ، ويحط من يستحق ، فهو على العكس مما قال المتنبي .

(٣) الطلي : الأعناق ، وهذا كالشرح لما ذكره في البيت السابق يقول : إن أحق الناس بأن يتقلد السيف أو يكون صاحب سيف وإمارة : من كان ضارباً للأعناق - أى شجاعاً - وأحقهم بأن يأمن جانب عدوه من هانت عليه الشدائد وغمرات الحروب . وعبارة بعض الشراح : لا يستحق أن يحمل سيفاً إلا من يضرب به الأعناق : وقوله وبالأمن : يروي وبالأمر : أى يتولى أمور الناس ، أو بمنصب الإمارة . هذا : وقد أسلفنا أن الطلي : الأعناق ، وقيل : أصول الأعناق . الواحدة طلية ، ويقال الطلاة أيضاً ، وأطلى الرجل والبعر إطلاء فهو مطل : مالت عنقه للموت أو لغيره قال :

وَسَائِلُهُ تَسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا فَقَلْتُ لَهَا وَقَعْتُ عَلَى الْخَبِيرِ
 تَرَكْتُ أَبَاكَ قَدْ أَطْلَى وَمَالَتْ عَلَيْهِ الْقُشْعَمَانُ مِنَ النَّسُورِ

وفي الحديث « ما أطلى نبي قط » أى مامل إلى هواه وأصله من ميل الطلاء أى

(١) يعنى بالمتشلشل الرجل المتخدد اقليل اللحم الخفيف ، والشاحب - على هذا - يريد به الصاحب ، وقيل : يريد به السيف . قال الأصمى : هو سيف يقطر منه الدم ، والشاحب : الذى أخلق جفنه .

وَأَشَقُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا الرُّومُ أَهْلَهَا بِهَذَا وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدٌ^(١)
 شَنَنْتَ بِهَا الْغَارَاتِ حَتَّى تَرَكَتَهَا وَجَفَنُ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدٌ^(٢)
 مَحْضَبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرَعَى كَانَهَا وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ^(٣)
 تَنَكَّسَهُمُ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالَهُمْ وَتَطْفُنُ فِيهِمُ وَالرَّمَاحُ الْمَسْكَائِدُ^(٤)

الأعناق إلى أحد الشقين؛ والطلاء: ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وبعض العرب تسمى الحمر: الطلاء. يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطلاء بينها. وفي الحديث: «سيشرب ناس من أمق الحمر يسمونها بغير اسمها» يريد أنهم يشربون النبيذ المسكر الطبوخ، ويسمونه طلاء تخرجاً من أن يسموه خمراً. والطلاء: القطران، وكل ما طليت به، والطلاء: الولد من ذوات انظف والحف والجمع أطلاء.

(١) يقول: إن أشقى بلاد الله البلاد التي أهلها الروم، وشقاؤها إنما هو بهذا: أي بكونك تضرب الطلي ولا تكترث لغمرات الحروب، ومع هذا فهم كلهم معترفون بعبدك ولا يجحدون ما أنت عليه من الشجاعة والإقدام.

(٢) شن الغارة: صبا عليهم وفرقها من كل وجه؛ والفرنجة: قرية بأقصى بلاد الروم. يقول: صبيت الغارة على بلاد الروم فشاع خوفك فيهم جميعاً حتى بات الذي في أقصى بلادهم لا ينام خوفاً وإن كان بعيداً عنك.

(٣) يقول: إن هذه البلاد ملطخة بدمائهم كأنها مساجد مغلقة—أي مطوية بالخلوق: ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران— وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجد على الأرض، وإن لم يسجدوا حقيقة. فقوله: محضبة—بالرفع— خبر ابتداء محذوف، ومن نصبه جعله حالاً من الضمير في تركتها. والقوم صرعى: يروى والخيول صرعى، وصرعى: جمع صريع: أي طريح، ومساجد: خبر كان، والجملة المعترضة: حال.

(٤) يقول: تنزلهم منكوسين من جبالهم التي تحصنوا بها، فهي لهم بمنزلة الخيول السابقة. وتأتي عليهم بكيدك: يعني أنه يكيد لهم حتى ينزلوا فيوقع بهم فيقوم فيهم كيدك مقام الرماح. ولك أن تقول والسابقات جبالهم: أي أنك تنزلهم منكوسين من خيولهم التي كأتها الجبال يستعصمون بها فتكسهم عنها. وعبرة الواحدى: تطعنهم برماح من كيد وتنزلهم عن خيولهم منكوسين؛ ونكسه: قلبه، والسابقات: الخيول.

وَتَضْرِبُهُمْ هَبْرًا وَقَدْ سَكَنُوا الْكُدَى
 كَمَا سَكَّتْ بَطْنُ التُّرَابِ الْأَسَاوِدِ (١)
 وَتَضْحِي الْحُصُونُ الْمَشْمَخَرَاتُ فِي الذُّرَى
 وَخَيْلِكَ فِي أَعْنَاقِهِنَّ قَلَانِدُ (٢)
 عَصَفْنَ بِهِمْ يَوْمَ اللَّقَانِ وَسَقَمَهُمْ
 بِهَنْزِيْطٍ حَتَّى أَيْبَضَ بِالسَّبِيِّ أَمِدُ (٣)
 وَالْحَقْنُ بِالصَّفَصَاتِ سَابُورَ فَانْهَوَى
 وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلَاهُمَا وَالْجَلَامِدُ (٤)

(١) الهبر : تقطيع اللحم ؛ والكدى : جمع كدية ، وهى الأرض الصلبة . وأصلها فى البئر يصل إليها الحافر فيقف عندها لصلابتها ، فيقال : أ كدى أى انقطع ، قال تعالى « وأعطى قليلا وأ كدى » قيل أى وقطع القليل ؛ وقيل أمسك عن العطية وقطع ، قالوا : وأصله من الحفر فى البئر ، يقال للحافر إذا بلغ فى حفر البئر إلى حبر لا يمكنه من الحفر : قد بلغ إلى الكدية ، وعند ذلك يقطع الحفر . والأساود : الحيات العظيمة : يقول : وتمعن فى تقطيعهم بالسيوف وقد اكتنوا تحت الصخور وفى المتاور والكهوف كما تكمن الحيات فى التراب .

(٢) المشمخرات : المرتفات . والذرى : أعلى الجبال . يقول : وتضحى الحصون العالية الشامخة فى رؤوس الجبال وخيلك محيطة بها إحاطة القلائد بالأعناق وروى ابن جنى : القلائد - بالتحريف -

(٣) اللقان : وهزيط من بلاد الروم ، وآمد : بلد بالثغور مما يلي الروم بينها وبين ديار بكر . يقول : عصفت بهم خيلك وأنت عليهم هلاكا يوم أغرت عليهم بهذا السكان وساقتم أسارى حتى أبيضت أرض آمد بكثرة من حصل بها من الأسارى من الجوارى والعمان ، فالضمير فى عصفن للخيل ، وتطلق الخيل ويراد بها الفرسان .

(٤) الصفصات وسابور : حصان منيعان للروم ، وانهوى : هوى وسقط . يقول : وألحقن - أى الخيل - أحد الحصنين بالآخر فى التخريب حتى سقط مثله ، وهلك أهل الحصنين وحجراتهما ، لأنه أحرقهما بالنار فصارت الصخور رماداً ، فجعل ذلك هلاكا وقوله : وانهوى . قال الواحدى : هو غريب فى القياس ، لأن انفعل إنما يبنى مما التلاى منه تمتد ، وهذا غير تمتد ؛ وفى النصيح من الكلام : هوى قال تعالى « والنجم إذا هوى » .

وَعَلَسَ فِي الْوَادِي بَيْنَ مُشَيْعٍ مُبَارَكُ مَا تَحْتَ اللَّثَامِينَ عَابِدٌ^(١)
 فَتَى يَشْتَهِي طُولَ الْبِلَادِ وَوَقْتِهِ تَضِيقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ^(٢)
 أَخُو غَزَوَاتٍ مَا تُغِيبُ سَيْوفُهُ رِقَابَهُمْ إِلَّا وَسَيْحَانُ جَامِدٌ^(٣)
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا لَمَى شَفْتَيْهَا وَالثُّدَى النَّوَاهِدُ^(٤)
 تَبَكَّى عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فِي الدُّجَى وَهُنَّ لَدَيْنَا مَلَقِيَّاتٌ كَوَاسِدُ^(٥)

(١) غلس : سار غلسا ، أى آخر الليل ؛ وبهين : أى بالخييل ، والمشيع : الجريء المقدام ، وما تحت اللثامين : الوجه ، واللثام : ما يكون على الوجه . والتلثم عادة العرب في أسفارها ؛ وعنى باللثام الثانى : ما يرسله على الوجه من حلق المقر . ومبارك الوجه عابد لله ، هو سيف الدولة .

(٢) يقول : إنه يتعنى أن تكون البلاد أوسع محامى والزمان أطول . لأن الأوقات تضيق بما يريد ، وما يقصد إليه من البلاد يضيق بهمه وجيوشه ؛ وهذا كقوله الآتى :

تَجَمَّعَتْ فِي فَوَادِهِ هِمَمٌ مِلُّهُ فَوَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا
 فَإِنْ أُنِيَ حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا

وعبارة ابن جني : يشتهى طول البلاد والزمان ليظهر ما عنده من الفضل والكمال وهو مع ذلك تضيق به أوقاته ومقاصده : أى تضيق عن همته .

(٣) أغب فلان القوم وغب عنهم : إذا جاءهم يوما وغاب عنهم يوما ، وسيحان . نهر يبلاد الروم ، وهو غير سيحون . يقول : هو مقيم على غزو الروم لا تفارق سيوفه رقابهم إلا إذا اشتد البرد وجدت أنهارهم ، لأن ذلك يحول دون غزوه إياهم .

(٤) الظبا - جمع ظبة - حد السيف . واللمى : سمرة في الشفة تستملح . ونهد الثدى : ارتفع . يقول : إنه عصف بالروم وأنى عليهم حتى لم يبق منهم إلا النساء ، فقد حماها المعنى النسوى من حد السيف ، وقد أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

فَمَا أَبْقَيْتَ إِلَّا مُحْطَفَاتٍ حَمَى الْإِخْطَافُ مِنْهَا وَالنُّهُودُ

« الإخطاف : الضمور » .

(٥) البطاريق : قواد الروم . يقول : إنه أسر بنات البطاريق فهم يكون عليهن

بِذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ^(١)
 وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنْكَ فِيهِمْ عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ^(٢)
 وَأَنَّ دَمًا أَجْرَيْتُهُ بِكَ فَأَخِرٌ وَأَنَّ فَوْادًا رُغْتُهُ لَكَ حَامِدُ^(٣)
 وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَلَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ^(٤)
 نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتُهُ لَهُنَّتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ^(٥)

ليلا ، وهن لدينا في دار الإسلام مطروحات ذليلات لا يرغب فيهن ، وبكاه : بمعنى بكاه والتشديد للمبالغة .

(١) وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

مَا إِنْ تَرَى شَيْئًا لَشَيْءٍ مَحْيِيًّا حَتَّى تَلَاقِيَهُ لَأَخْرَ قَاتِلَا

وهو معنى قديم ، ولكن التنبؤ صاغه أبداع صياغة وأوجز .

(٢) موموق : محبوب . والمقة : الهبة ، وفيهم : صلة موموق ، وعلى : بمعنى مع ، والشاكد : الملقى ، شكده يشكده ويشكده شكدا : أعطاه أو منحه ، والإقدام : الشجاعة . يقول : أنت على قتلك إياهم محبوب فيما بينهم حتى لكأنك تعطيم شيئا ، وذلك من شرف الشجاعة لأن الشجاع محبوب حتى عند من يقتله .

(٣) يقول : ومن شرف الإقدام أن الدم الذي تسفكه يفخر بأنه سفك يديك ، وأن القلب الذي تخيفه يحمدهك إعجابا بشجاعتك ، كما يقول القائل :

فَإِنْ كُنْتُ مَقْتُولًا فَكُنْ أَنْتِ قَاتِلِي فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

(٤) يقول : إن كل أحد يعرف طرق الشجاعة والكرم ، لأنه لا خفاء بهما ، بيد أنه إنما يسلك طريقهما من قاداته نفسه إليهما وكان مطبوعا عليهما . يعني أنك أنت مجبول عليهما ، ومن ثم تفودك نفسك إليهما .

(٥) قال الواحدي : هذا من أحسن ما مدح به ملك ، وهو مديح موجه — أي ذو وجهين — وذلك أنه مدحه في المصراع الأول بالشجاعة وكثرة قتل الأعداء فقال : نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ما لوعشته لكأن الدنيا مهنة يقاتك فيها خالدًا ، وهذا هو الوجه الثاني في المدح — أنه جملة جمالا للدنيا تنها الدنيا يقاته فيها ، ولو قال : ما لو عشته لقيت خالدًا : لم يكن المدح موجها . وقال الربيعي : المدح في هذا من وجوه :

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لَوَاهِ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدٌ^(١)
 وَأَنْتَ أَبُو الْمِهْجَاءِ ابْنُ حَمْدَانَ يَا ابْنَتَهُ تَشَابَهُ مَوْلُودَ كَرِيمٍ وَوَالِدَهُ^(٢)
 وَحَمْدَانَ حَمْدُونَ وَحَدُونَ حَارِثٌ وَحَارِثٌ لُقْمَانٌ وَلُقْمَانٌ رَاشِدٌ^(٣)

أحدها : أنه وصفه بنهب الأعمار لا الأموال. الثاني : أنه كثر قتلاه بحيث لو ورت أعمالهم خلد في الدنيا . الثالث : أنه جل خلوده صلاحاً لأهل الدنيا بقوله لهنت الدنيا . الرابع : أن قتلاه لم يكن ظالماً في قتلهم لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه ، فلذلك قال لهنت الدنيا : أي أهل الدنيا ، وقال ابن جنى : لو لم يمدحه إلا بهذا البيت لكان قد أبقى ما لا يمحوه الزمان .

(١) يقول : أنت للملك بمنزلة السيف ؛ ولكن الضارب بك هو الله ، وأنت للدين راية الله سبحانه الذي عقدها وأحكمها .

(٢) أبو المِهْجَاءِ : كنية عبد الله بن حمدان ، والد سيف الدولة . والمِهْجَاءُ : الحرب تمد وتقصر . يقول : يا ابن أبي المِهْجَاءِ أنت أبو المِهْجَاءِ . يريد قوة الشبه بينهما ، حتى كأنه هو . وذلك قوله * تشابه مولود كريم ووالده *

(٣) هؤلاء آباء سيف الدولة . يقول : أنت تشبه أباك ، وأبوك يشبه أباه ، وأبوه أباه . الخ ، أي أن كل واحد من آبائك يشبه أباه في كرمه وسائر محاسنه ، وقد عاب صاحب هذا البيت قال : لم نزل نستحسن جمع الأسمى في الشعر ، كقول الشاعر :

إِنْ يَتَلَوَّكَ فَقَدْ ثَلَّثَ عُرُوشَهُمْ بِقَتِيْبَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ

واحتذى هذا الفاضل حذوم فقال : وأنت أبو المِهْجَاءِ - البيتين - وهذا من الحكمة التي ذخر أرسطو وأفلاطون لهذا الخلف الصالح . قال ابن فورجة أما سبك البيت فأحسن سبك : يريد أنت تشبه أباك ، وأبوك كان يشبه أباه ، وأبوه أباه . فأنت أبوك إذ كان فيك أخلاقه ، وأبوك أبوه - إلى آخر الآباء - فليت شعري : ما الذي استقبحه ؟ فإن استقبح قوله : وحمدان حمدون : فليس في حمدان ما يستقبح من حيث اللفظ ، بل والمعنى ، كيف يصنع والرجل اسمه هكذا وهكذا آباؤه ؟ وبد : فعلاملة المكبري هنا كلمة لمناسبة ترك للتبني صرف حمدون ثبتها هنا - حسبنا شرطنا على أنفسنا في هذا الترح - قال المكبري الكوفي : ترك صرف حمدون وحارث ضرورة ، وهو جائز عندنا ، غير جائز عند بعض البصريين ، وواقنا الأخفش وابن برهان

والفارسي ، وحبنا : إجماعنا على جواز صرف ما لا ينصرف في الشعر ضرورة ، فلذلك
جوزنا ترك صرف ما ينصرف في الشعر ، وقد جاء كثيراً في أشعارهم . قال الأخطل : —

طاب الأزارق بالكثائب إذ هوت ^(١) بشيب غائلة النقوس غدور

فترك صرف شيب ، وهو منصرف ، وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

نصروا بيبهم وشدوا أزره ^(٢) بخنين يوم تواكل الأبطال

فلم يصرف حيناً ، وهو مصروف ؛ وقال الفرزدق :

إذا قال غاوٍ من تنوخ قصيدة ^(٣) بها جرب عدت على يزوبرا

فترك صرف زوبر وهو منصرف ، وقال الآخر :

والى ابن أم أناس أرحل ناقى عمرو وقتلغ حاجتي أو تزحف ^(٤)

(١) من قصيدة للأخطل يذكر فيها ما جرى بين سفيان بن الأبرد نائب الحجاج ،

وبين شيب بن يزيد رأس الأزارقة — طائفة من الحوارج — وفاعل طلب : يعود

على سفيان المذكور ، والأزارق : مفعول ؛ وغائلة : فاعل هوت ؛ وغدور :

بدل من غائلة .

(٢) تواكل الأبطال : أى تخالطهم وانكلمهم على غيرهم .

(٣) بروى هذا البيت لابن أحر ، هكذا :

* وإن قال غاوٍ من معد قصيدة *

ويقال أخذ الشيء بزوره : أى بجميعه فلم يدع منه شيئاً ، فهو يقول : نسبت إلى

بكلها ولم ألقها ، وقيل بزورا : أى كذباً وزوراً .

(٤) بعده :

ملك إذا نزل الوفود ببابه عرفوا موارِد مزبد لا ينزف ،

وقد صحنا هذين البيتين على كتاب سيويه ، وشارح شواهد الإمام الشنتمرى

الأندلسى . وقد نسبها صاحب اللسان لبشر بن أبي خازم ، وأخطأ النسخ فوردي

اللسان على غير هذه الصورة الصحيحة . وورد في سيويه أناس — بالتون — وهو

خطأ . وعمرو : بدل من ابن أم أناس ، وملك : بدل من عمرو ؛ وتزحف — يقال

(٢٦ — النبي ١)

= وعمرو هو ابن حجر الكندي - فترك صرف أناس ، وهو منصرف وأم أناس هي بنت ذهل بن شيان ، وقال الآخر :

أؤملُ أن أعيشَ وأن يومي بأولَ أو بأهـونَ أو جُبَارِ
أو الثاني دُبَارَ فإن يفتنى فمؤنِسَ أو عروبةَ أو شِيَارِ

فترك صرف مؤنس ودبار ، وهما مصروفان ، فهذه أسماء الأيام في الجاهلية : أول : الأحد ، وأهون : الاثنين ، وجبار : الثلاثاء ، ودبار : الأربعاء ، ومؤنس : الخميس ، وعروبة : الجمعة ، وشيار : السبت ، وقول الآخر :

قالت أُمَيْمَةٌ ما لثابت شاخصاً عَارِي الأشاجِعِ ناحلاً كالنصلِ^(١)

فترك : صرف ثابت ، وهو مصروف ، وقول العباس بن مرداس السلي :

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقانِ مرداسَ في جمع^(٢)

وهذه الرواية جاء في الصحيحين ، وليس بعد الصحيحين شيء يرجع إليه ؛ وقول الآخر :

وقائلةٌ ما بالُ دَوْمِرَ بعدنا صحاً قلبه عن آلِ ليلي وعن هِنْدِ

فترك صرف دوسر ، وشواهدنا كثيرة ، وأما القياس فاذا جاز حذف الواو التحركة للضرورة كبيت الكتاب :

أزحف البعير أعياناً فرسنه — ما قابل الحافر — بمدح عمرو بن هند الملك ، وأم أناس بمض جداته ؛ والوارد : مناهل النساء المورودة . شبه بها عطايه ، وجهه كالبحر للزبد لكثرة جوده ، ومعنى يرف : يستفد ماؤه .

(١) الأشاجع : مفاصل الأصابع ، واحداها أشجع . وعاري الأشاجع : أي خفيف اللحم ، وقيل : الأشاجع رؤوس الأصابع : وقيل : عصبها . والنصل : السيف .

(٢) من أبيات لابن مرداس . يعاتب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أعطى رجلاً من المؤلفات قلوبهم أكثر مما أعطاه ؛ ومنهم عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس : [راجع سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٤٠ التجارية ، والخزائن ج ١ ص ١٤٥ ط السلفية]

أُولَئِكَ أَنْيَابُ الْخِلَافَةِ كُلِّهَا وَسَائِرُ أَمْلَاكِ الْبِلَادِ الزَّوَائِدُ^(١)
 أَحْبَبْتُ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ وَإِنْ لَأَمْنِي فِيكَ الشَّهَى وَالْفِرَاقُ^(٢)
 وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بِأَهْرَهُ وَلَيْسَ لِأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بِأَرْدِهِ^(٣)

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَعَلَ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ^(١)
 فجواز حذف النون للضرورة أولى ، والواو من هو متحركة ، والتنوين ساكن ،
 ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك ، ولهذا الذي ذكرناه ، وصحته ،
 واقفنا أبو علي وأبو القاسم بن برهان ، ولم ينكره أبو بكر بن السراج . وحجة
 البصريين أن الأصل في الأسماء : الصرف . فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل
 إلى غير الأصل ، والتبس ما ينصرف بما لا ينصرف .

(١) الزوائد من الأسنان : التي تنبت خلف الأضراس . يقول : إن هؤلاء الذين
 ذكرهم هم للخلافة بمنزلة الأنياب ، تمتع الخلافة بهم امتناع السبع بنابه ، أما بقية الملوك
 فهم بمنزلة الزوائد ، لا حاجة للخلافة بهم .

(٢) السهي : نجم خفي من بنات نغش الصغرى ؛ ومنه المثل — أريها السهي
 وترى القمر — والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى
 منه ، فهما فرقدان ، وإنما جمع على إرادة كل نجم يشبههما . جعله بين الملوك كالشمس
 والبدر ، وغيره من الملوك كالنجوم الخفية ؛ يقول : إني أميل إليك بهواي وإن لأمني
 في ذلك من لا يبلغ منزلتك . وعبرة ابن جني : جعله بالنسبة إلى أعدائه كالشمس
 والقمر إلى السهي والفرقدين .

(٣) الباهر : البارع قال ذو الرمة .

(١) قال الإمام الشنتمري شارح شواهد سيويه - : يصف الشاعر بغيراً ضل عن
 صاحبه فيش منه وجعل يبيع رحله ، فينا هو كذلك سمع منادياً يبشر به - إنما وصف
 ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن . والملاط ماولى العضد من الجنب .
 ويقال للعضدين : ابنا ملاط . ووصفه برخاوته لأن ذلك أشد لتجافي عضديه عن كركرته
 صدره أو زوره - وأبعد له من أن يصيه نأكت أو ماسح أو ضبيب ؛ وهذه كلها آفات
 وأعراض تلحقه إذا حك بعضه كركرته - ومعنى يشري : يبيع . وهو من الأضداد .

فإنَّ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالْمَقْلِ صَالِحٌ وَإِنَّ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدٌ^(١)

وقد بهرت فلا تخفى على أحدٍ إلا على أكو لا يعرف القمرا^(١)
وعيش بارد : رغد هنيء يقول : إن ذاك الحب إنما هو لظهور فضلك على غيرك
لا لطيب العيش عندك ؛ إذ أن العيش قد يطيب عند غيرك ولكن لا يظهر فضله ظهور
فضلك فلا يستحق الحب ، وعبرة ابن جنى : محبى لك لفضلك لا للخير الذى
أصيه عندك .

(١) الجهل : الحق . قال العكبرى : يريد : أنا أجبك بعقل فينتفع بي ؛ وغيرى
يحبك بجهل فلا ينتفع به . . ثم قال : ولو قال النبي بالعلم صالح ، لكان أمدح وأحسن
في صناعة الشعر ، لأن الجهل ضد العلم والعقل ضد الحق :

(١) تقدم أنه من آيات يمدح بها ذو الرمة عمر بن هيرة . وقبله :
ما زلت في درجات الأمر مرتقياً تنبى وتسمو بك الفرعان من مضراً
[وروى : حتى بهرت] .

انتهى الجزء الأول ، وبليه - بعون الله وتوفيقه - الجزء الثانى وأوله :

وقال يمدح سيف الدولة بعيد الأضخى إلخ

لكل امرئ من دهره ماتعودا وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا

فهرست الجزء الأول

صفحة

- ۱۵۶ ماذا يقول الذي يفتي ... ذى السماء
 ۱۵۶ إنما التهنئات للأكفاء
 ۱۶۰ ألاكل ماشية الخيزلي
 ۱۶۸ لقد نسبوا الخيام إلى علاء
 ۱۶۹ أسامرى ضحكة كل راء

قافية الباء

- ۱۷۱ لميق كل يوم منك حظ ... عجاب
 ۱۷۱ تحف الأرض من هذا الرباب
 ۱۷۲ فدينك أهدي الناس سها إلى قلبى
 ۱۷۴ لا يحزن الله الأمير فإنى ... بنصيب
 ۱۸۲ فدينك من ربع وإن زدتنا كرابا
 ۱۹۹ ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا
 ۲۰۰ أحسن ما يخضب الحديد به. والنضب
 ۲۰۱ أيدرى ما أرابك من يرب
 ۲۰۴ بفيرك راعيا عبث الذئاب
 ۲۱۵ يا أخت خير أئخ يا بنت خير أب
 ۲۲۵ فهتم الكتاب أبر الكتب
 ۲۳۳ أبا سعيد جنب العتابا
 ۲۳۴ لأحق أن علاوا ... الأكوبا
 ۲۳۴ لأى صروف الدهر فيه نعاب
 ۲۳۷ دمع جرى قفضى فى الربع ما وجبا
 ۲۵۰ بأبى الشموس الجانحات غواربا

صفحة

- ۳ مقدمة الطبعة الأولى
 ۱۷ » » الثانية
 ۲۰ سيرة التنبى
 ۶۸ ترجمة التنبى بقلم أحد معاصريه
 ۸۱ شراح التنبى - ابن جنى
 ۹۰ الواحدى
 ۹۵ ابن فورجه
 ۹۶ ابن القطار الصقلى
 ۹۷ ابن الإفللى
 ۹۸ الصاحب ابن عباد
 ۱۰۲ أبو بكر الخوارزمى
 ۱۰۴ العميدى - صاحب الإبانة عن
 سرفات التنبى
 ۱۰۵ ابن وكيع
 ۱۰۷ الخطيب التبريزى
 ۱۱۱ العسكري
 ۱۱۲ ابن الشعربى
 ۱۱۶ القاضى الجرجانى
 ۱۲۶ أبو علاء المعربى

قافية الهمة

- ۱۲۹ القلب أعلم يا عدول بدائه
 ۱۳۴ عدل العواذل حول قلب انتائه
 ۱۳۸ أنتكر يا ابن إسحاق إئخانى
 ۱۴۰ أمن ازديارك فى الدجى الرقباء

صفحة

- ٣٤٥ أنصربجودك ألقاظا تركت بها مكبوتنا
٣٤٦ فدتك الحيل وهي مسومات
٣٤٧ سرب محاسنه حرمت ذواتها

قافية الجيم

- ٣٥٩ لهذا اليوم جد غد أريج

قافية الحاء

- ٣٦٣ بأذى ابتسام منك تحيا القرائح
٣٦٤ أنا عين السود الجحجاج
٣٦٥ جلا كما بي فليك التبريح
٣٨٠ جارية ما لجسمها روح
٣٨٠ يقاتني عليك الليل جدا. السلاح
٣٨١ أباعث كل مكرمة طموح
٣٨٢ وطائرة تنبها المنايا ... الجناح

قافية الـدال

- ٣٨٤ ماسدكت علة بمورود
٣٩٠ عواذل ذات الخال في حواسد

صفحة

- ٢٦١ إنما بدر بن عمار سحاب
٢٦٣ أم رأيها الملك المرجي... السحاب
٢٦٤ ياذا للعالي ومعدن الأدب
٢٦٤ ضروب الناس عشاق ضروبا
٢٧٣ المجلسان على التميز بينهما. الأدبا
٢٧٣ تعرض لي السحاب وقد قفلنا. السحابا
٢٧٣ الطيب مما غنيت عنه... طيبا
٢٧٤ أيا ما أحيسنها مقلة... أعجب
٢٧٤ أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب
٢٨٨ من الجآذر في رى الأرعاب
٣٠١ أغلب فيك الشوق والشوق أغلب
٣١٣ متى كن لى أن البياض خضاب
٣٢٨ لقد أصبح الجزذالستخبر. المطف
٣٣٠ ما أنصف القوم ضبه
٣٣٥ آخر ما الملك معزى به
٣٤١ لما نسبت فكنت ابنا لغير أب
٣٤٢ لحا الله وردانا وأمأت به. ثعلب

قافية التاء

- ٣٤٥ لنا ملك لا يطعم النوم همه. لميت

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ أَتَانِي هَذِهِ الطَّبَعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالْبَسْطِ وَالِاسْتِيْقَابِ . بِحَيْثُ تَلَقَّيْتُ
فِيهِ الشَّيْحَ بِمَجْمُوعِ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّيِّ وَشَرَحْتُ فِيهِ الشَّوَاهِدَ وَالنُّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بَدَلًا مَعْنِيًا عَنْ مَجْمُوعِ الشُّرُوحِ

الجزء الثاني

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

وقال يمدح سيف الدولة ويهنته بميد الأضحي سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ،
أنشده إياها في ميدانه بجلب وهما على فرسيهما :

لِكُلِّ أَمْرِيهِ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا
وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّمْنُ فِي المِدَا^(١)
وَأَنْ يُكْذِبَ الإِرْجَافَ عَنْهُ بَضْدُهُ وَيُمْسِي بِمَا تَنْوِي أَعَادِيهِ أَسْعَدَا^(٢)
وَرُبُّ مُرِيدِ ضَرِّهِ ضَرٌّ نَفْسُهُ وَهَادٍ إِلَيْهِ الْجَيْشِ أَهْدَى وَمَا هَدَى^(٣)
وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَصْرِفِ اللهُ سَاعَةً رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَّهَدَا^(٤)

(١) يقول : كل امرئ يعمل باداته ، وما تعودت وتربى عليه ، لا يتكلفه ، وعادة
هذا اللمدوح أن يذو أعداءه ويقتلهم ويطعنهم برمح . جملته سيفاً ووصفه بالطمن ،
فكانه جملته سيفاً ورمحاً .

(٢) وأن يكذب : عطف على الطمن - في البيت السابق - ويمسى : عطف على
يكذب ، وسكن الياء ضرورة . والإرجاف : توليد الأخبار الكاذبة التي يكون معها
اضطراب في الناس . يقول : وعادته أن يكذب إرجاف عادته عنه بصد إرجافهم ؛ فهم
يرجعون بقصوره وفشله وهو يكذبهم بوفوره وولجه ، وهم ينوون معارضته فيتحرشون
به فيكون ذلك سبب ظفره بهم ، إذ يمتلك رقابهم وأمواهم فيصير أسعد مما كان ويروى
بديل «تنوي» تحوى : أي أنه أملك لنا في أيديهم منهم ، لأنه متى أراد احتواه .

(٣) ضره : مصدر ، وهو مفعول مرید . يقول : ورب عدو أراد أن يضره فضر
نفسه بتحرشه به ، وقاد إليه الجيش بنية الإيقاع به ، فكان الجيش غنيمة له ، فكانه
أهدى إليه هدية وضل بذلك عن القصد . قوله أهدى : من الهدية ، وما هدى : من
الهداية . وعبارة العكبري : رب قاصد أن يضره فعاد الضرر عليه ، ورب هاد : أي
قائد إليه الجيش ليهديه الطريق فأضله بقصده له ، فصار مهدياً إليه - من الهدية - لأنه
يغمم الجيش فيكون غنيمة له ، فيكون الهادي مضلاً ومهدياً إليه ليغمه .

(٤) يقول : ورب كافر متكبر عن الإيمان بالله رآه والسيف في يده . فأمن وآتى
بكلمة الشهادة : إما خوفاً منه ، وإما ظناً بأن دينه الحق حين رأى نور وجهه
وكمال وصفه .

هُوَ الْبَحْرُ غَضُ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِنًا عَلَى الدَّرِّ وَأُحْذَرُهُ إِذَا كَانَ مُزِيدًا (١)
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَفْشُرُ بِالْفَتَى وَهَذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى مُتَمَمِّدًا (٢)
تَنْظَلُ مُلُوكُ الْأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ تَفَارِقُهُ هَلَكِي وَتَلْقَاهُ سُجَّدًا (٣)
وَتُحْبِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَيَقْتُلُ مَا يُحْبِي التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا (٤)

(١) يقول : إنه نفاع ضرار ، فمن جاءه مسالما ظفر بإحسانه ، ومن جاء مغاضبا عرض نفسه للتهلكة ، مثله في ذلك مثل البحر : إذا سكن البحر أمكن ركوبه والنوص على ما فيه من الجواهر ، وإن جاش وقذف بالزبد وجب الحذر منه . وعبارة الخطيب التبريزي : لا تأته وهو غضبان .

(٢) يقال عثر الدهر بفلان : نسبه . يقول : إن البحر يعثر براكبه - أي يهلكه عن غير قصد وعمد ، أما المدوح فإنه يهلك أعداءه متعمدا . وهذا المعنى قريب من قوله في إحدى قوافيه السابقة :

وَيُخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ فَكَيْفَ بَمَنْ يَفْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَابَا
وقال ابن جنى : المعنى : لينس إغناء البحر من يفنيه عن قصد ، وهذا يفنى من يفنيه عن تعمد . قال : ويعثر : قد يأتي في الخير والشر ، فرد عليه الواحدى : وقال فيه خطأ من وجهين ، لأن العرب لا تقول عثر الدهر بفلان إلا إذا أسابه بنسبة . ومعنى يعثر بالفتى : يهلكه من غير قصد ، لأن العثر بالشيء لا يكون عن قصد ، فهو يقول : البحر يفرق عن غير قصد ، وهذا يهلك أعداءه عن قصد وتعمد . وليس يمكن أن تحمل عثرة البحر بالفتى على إغناؤه .

(٣) يقول : من تورد عليه وفارقه من اللوك هلك ، ومن سألهم منهم خضع له وسجد ، لأنه سيدهم .

(٤) الصوارم : السيوف ؛ والقنا : الرماح ؛ والجدا - مقصورا - العطاء . يقول : إنه يأخذ بشجاعته وإقدامه وطمنه وضربه مال الأعداء ثم يفنيه بالعطاء عند التبسم والنشاط إذا جاءه العفاة ، وهذا كما قال أبو تمام :

إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَرَوْا مَالَ مَقْشَرٍ
أَغَارَتْ عَلَيْهِ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ

ذَكَرْتُ تَطْنِيهِ طَلِيْعَةً عَيْنِهِ
وَصُورَهُ إِلَى الْمُسْتَضْمَاتِ بِحَيْلِهِ
لِدَلِيكَ سَمِيَّ ابْنِ الدُّمُسْتَقِ يَوْمَهُ
سَرَبْتُ إِلَى جِيحَانَ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ
يَرَى قَلْبَهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدًا^(١)
فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَا وَرْدًا^(٢)
مَمَاتًا وَسَمَاءُ الدُّمُسْتَقِ مَوْلِدًا^(٣)
ثَلَاثًا لَقَدْ أَدْنَاكَ رَكْضًا وَأَبْعَدًا^(٤)

(١) التظني : أصله التظنن ، قبلت النون الثانية ياء ، ومعناه الظن ، وطليلة الجيش
الريثة تتقدم أمامه تستطلع طلع العدو ؛ والضمير - في قوله ماترى غدا - للعين .
يقول : إنه من الذكاء والنفاذ وتقوب البصيرة بحيث يرى ظنه الشيء قبل أن تراه عينه ،
كالطليلة تتقدم أمام الجيش ؛ ثم أوضح فقال : يرى قلبه في يومه بظنه ماتراه عينه غدا .
وهذا من قول أوس بن حجر :

الأمسي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعاً

وعبارة ابن جنى : هو لصحة ذكائه وصحة ظنه إذا ظن شيئاً رآه بعينه لا محالة
(٢) يقول : إنه يصل بحيله إلى الغايات البعيدة التي يتعذر الوصول إليها حتى لو كان
قرن الشمس - وهو أول ما يبدو منها عند طلوعها - ماء لبلغه وأورده خيله ، شجاعة
واقداما . وهذا مبالغة .

(٣) لتلك : أي لأجل ماقلته في البيت السابق ، ويومه : أي اليوم الذي أسر
فيه ، والضمير في سماء : إلى اليوم . يقول : لكون سيف الدولة على ماوصفت من
الشجاعة والإقدام وما إليهما لم يثن حتى أدرك الدمستق وابنه ، ففر الدمستق جريحا
وأخذ ابنه أسيرا ، ومن ثم سمي الابن ذلك اليوم مماتاً ، لأنه وقد أسر يئس فيه من
الحياة ، وسمى أبوه هذا اليوم مولداً لأنه نجح فيه من أخطار المنية فصار كيوم ولدته أمه .
والحاصل أن ذلك اليوم كان مماتاً لابن حياة للأب .

(٤) جيحان : نهر يبلاد الروم : وآمد : بلد بالثغور . يقول : بلغت جيحان من
آمد في ثلاث ليال - وهي مسافة بعيدة لا تقطع في مثل هذه المدة - وبذلك أدناك
الركض من جيحان - على بعده من محل قيامك - وأبعدك عن آمد - على قرب عهدك
بمغادرتها - وعبارة ابن جنى : أدناك سيرك إلى النهر وأبعدك من آمد ، قال
الواحدى ناقداً : وهذا - أي كلام ابن جنى - لا يفيد معنى ، لأن كل من سار ، هذا
وصفه ، ولكنه يريد : وصلت إلى جيحان بسيرك ثلاثاً من أرض آمد ، وهذه مبالغة

قَوْلِي وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجِيُوشَهُ
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرْفِهِ
وَمَا طَلَبْتَ زُرْقُ الْأَسْنَةِ غَيْرَهُ
فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمُسُوحَ مَخَافَةَ
وَيَمْسِي بِدِ الْعَكَازُ فِي الدَّيْرِ تَائِبًا
وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكُرَّ وَجْهَهُ
جَمِيمًا وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا (١)
وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللَّهِ مِنْكَ مَجْرَدًا (٢)
وَلَكِنْ قَسَطْنَعَيْنِ كَانَ لَهُ الْفِدَا (٣)
وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدَّلَاصَ الْمَسْرَدًا (٤)
وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشَى أَشْقَرَ أُجْرَدًا (٥)
جَرِيحًا وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّعْمُ أَرْمَدًا (٦)

لا يقطعها أحد يسير في ثلاثة أيام ، ويفهم من هذا أنك وصلت إلى هذا النهر من آمد في ثلاث ليال على ما بينهما من البعد .

(١) يقول : فانهزم الدمستق وترك ابنه وجيوشه أسرى في يدك ؛ ولم يك ذلك إعطاء منه يتعنى أن تحمده عليه لأنه إنما تركهم قهرا وعجزا .

(٢) عرضت : ظهرت واعترضت ؛ والطرف العين . وقوله : منك تجريد يقول : للاراك كنت قيد عينه لعظمك في نفسه فشغلها بتوقيع بطشك فلم ير حوله سواك وحلت بذلك بينه وبين الحياة فصار في حكم الميت في تخاذل الحواس ، لأنه أيقن هلاكه ورأى منك سيف الله مشهورا مجردا عليه .

(٣) الأسنة : نصال الرماح ؛ وقسطنطين : هو ابن الدمستق . يقول : إن الرماح لم تكن لتطلب غير الدمستق ، ولكن ابنه كان فداء له ، لأن الجيش اشتغل بأسره وأسر من معه ، فانهزم الدمستق ذلك ونجا بنفسه .

(٤) المسوح : ثياب تنسج من الشعر . ويجتابها : يقطعها ويدخل فيها ؛ والدلاص : الدرع البراقة الصافية ؛ والمسرد : المنظوم للنسوج بعضه في بعض ، يقول : إنه ترك الحرب خوفا منك وترهب ولبس المسوح بعد أن كان يلبس الدروع .

(٥) العكاز : عصا في طرفها زج ، يقول : وصار يمشى في دير الرهبان على العكاز تائبا من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشى الحيل السراع - لأن الجواد الأشقر عند العرب أسرع الحيل - بعد أن يش ونال منه المم . والأجرد : القصير الشعر .

(٦) غادر : ترك ؛ والكر : عطف القرن على قرنه في الحرب ؛ والنعم : خبار الحوافر ؛ يقول : إنه لم يترك الحرب إلا بعد أن ترك كر الفرسان - في الظن والضرب -

فَلَوْ كَانَ يُنَجِّي مِنْ عَلَيَّ تَرَهَّبُ تَرَهَّبَتِ الْأَمْلَاقُ مَتْنِي وَمَوْحِداً^(١)
وَكُلُّ أَمْرِي فِي الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ بَعْدَهَا
يُعِيدُ لَهُ نُوبًا مِنَ الشُّمْرِ أَسْوَدًا^(٢)
هَيْنًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ وَعِيدٌ لِنِ سَمِي وَضَحَى وَعِيدًا^(٣)

وجهه جريحاً ، وبعد أن رمدت عينه من غبار الجيش ، يعنى أنه اضطر إلى ذلك بكثرة ما أصابه من الجراحات والأدواء .

(١) الأملاك : الملوك : يقول : إن ترهبه هذا لا ينجيه من سيف الدولة ، ولو كان ذلك ينجيه لترهبت سائر الملوك اثنين اثنين وواحداً واحداً . « هذا » وقوله وموحداً - بفتح الحاء - هو أحد ما جاء من مفعل المعتل الفاء مفتوح العين .

(٢) بعدها : أى بعد فطة المستق ؛ ويروى بعده ، فيكون الضمير له . يقول : لو كان ينجى من على ترهب لكان كل امرئ من أعداء سيف الدولة يعد له مسوحاً يترهب فيها فينجو منه .

(٣) سمى : أى ذكر اسم الله ، يعنى عند ذبح الضحايا ، يقول : لهنك العيد الذى أنت عيدة : أى تحمل فيه محل العيد فى القلوب - إذ أن العيد مما يتهيج به الناس ، فكذلك هذا العيد يتهيج بك ، كما قال :

جاء نَوْرُوزنا وَأنت مراده

ثم قال :

وَأنت عيد لمن سمى وضحى وعيد

أى أنت عيد لكل مسلم . هذا : وقد قال ابن جنى : ارتفع العيد بفعل محذوف ، وأصله: ثبت العيد هنيئاً لك ، لحذف الفعل وأقام الحال مقامه ، فرفض العيد كما يرفضه الفعل . وهذا هو الصحيح ؛ وانتصب هنيئاً عند قوم ؛ على مذهب قولهم : ثبت لك هنيئاً - وقيل: بل هو اسم وضع موضع المصدر . كأنه قيل : هناك هنيئاً ، وربما وضوا اسم الفاعل فى هذا الموضع ، كما روى عن بعض نساء العرب وهى ترقص ابناً لها :

قُمْ قَائِمًا قُمْ قَائِمًا قَمِيَتْ عِيدًا نَائِمًا
وَعُشْرَاءَ رَائِمًا وَأَمَّةَ مُرَاغِمًا

وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لُبْسَكَ بَفْدَهُ تَسْلَمُ مَحْرُوقًا وَتُعْطَى مُجَدَّدًا^(١)
فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلَكَ فِي الْوَرَى
كَأَكُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا^(٢)

[ناقة رائم عاطفة على ولدها وبعد مراغم مضطرب على مواليه . تريد: قم قياما]
(١) اللبس : ما يلبس ، استعاره للأعياد ، فأجراها مجرى اللبوسات . يقول :
لا زلت تلبس الأعياد التكررة عليك في الدهر ، فإذا مضى عيد أتاك عيد بعده جديد ،
فصار الماضي خلقا واثمام جديداً . هذا : والأعياد جمع عيد . قال الجوهري : إنما جمع
أعياد بالياء للزومها في الواحد . وقيل للفرق بين أعياد الحشب وبينه ؛ وسمى العيد
عيداً لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد ، وعيد المسلمون : شهدوا عيدهم ، والعيد ؛ ما اعتادك
من هم أو شوق أو فرح ونحوه . قال الشاعر :

* والقلب يعتاده من حُبِّها عيد

وقال يزيد بن الحكم التقي يمدح سليمان بن عبد الملك :

أَمْسَى بِأَسْمَاءِ هَذَا الْقَلْبِ مَمْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحًّا يَعْتَادُهُ عِيدًا^(١)
كَأَنْتَى يَوْمَ أَمْسَى مَا تُكَلِّمُنِي ذُو بُغْيَةٍ يَلْتَنِي مَالِيسَ مَوْجُودًا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غَزْلَانٍ ذِي بَقْرِ أَهْدَى لَنَا شَبَةَ الْعَيْنِينَ وَالْجِيدَا
(٢) وبديع قول أبي تمام في هذا المعنى :

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ كَانَ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمُعُ

قال ابن جنى في شرحه هذا البيت - بيت التنبؤ - : في البيت نظر ، وهو أنه خص
العيد وحده - دون الأيام - بما ذكر من الشرف وكان ينبغي أن تكون أيامه كلها
كذلك لأن جميعها مشتمل عليه ثم قال : والجواب : أن العيد قد اجتمع فيه أمران :
أحدهما - وهو الأظهر - اشتتاله على سيف الدولة والآخر كونه عيداً : فصار له مزجة على
غيره مما ليس بعيد . قال العكبري بعد أن أورد كلام ابن جنى . هذا : ويجوز أن يقال

(١) قوله يعتاده عيداً فعيداً في موضع الحال تقديره يعتاده السكر عائداً ، ففي قوله
يعتاده ضمير السكر دل عليه قوله صحا ، وقوله : شبه العينين والجيدا ، أراد وشبه الجيد
لغذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَنْفُضَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا (١)
فَيَا عَجَبًا مِنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيِّفُهُ أَمَا يَتَوَقَّى شَفْرَتِي مَا تَقْلَدُ (٢)

إنما جملته في الشرف كيوم النحر لأنه من أشرف الأيام. وقال أهل التفسير في قوله تعالى « يوم الحج الأكبر » قيل هو يوم النحر ؛ ومنه الأثر : أن يهوديا قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو علينا معشر اليهود نزلت : « اليوم أكلت لكم دينكم » لا تخذناه عيدا ، فقال عمر . إني لأعلم أى يوم نزلت وفي أى ساعة نزلت . . . يوم النحر . . . وهو عندنا من أشرف الأيام . . . فلهذا خص النبي هذا اليوم بالشرف في الأيام كشرفه - أى المدوح - في الورى .

(١) هو : ضمير الشأن ؛ والجد : الحظ والبخت . يقول : إن الجد له فعله حتى في التساويين ، مثل العين والعين واليوم واليوم : قدرى العينين تتفاضلان فصح إحداها وتسقم الأخرى ، مع أنهما تجمعهما بنية واحدة ؛ وترى اليوم يسود اليوم ، وكلاهما ضوء فشمس . يعنى : أن يوم العيد كسائر الأيام في الصورة ، ولكن الجد مازه من سائر الأيام فجعله يوم فرح وسرور ؛ وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِلَادَ رَأَيْتَهَا تَثْرِي كَمَا تَثْرِي الرِّجَالُ وَتُعْدِمُ
حِظَّ تَعَاوُرُهُ الْبِقَاعَ لَوَقْتَهُ وَإِدْرِي بِهِ صِفْرًا وَآخِرُ مُقَمَّمُ

[ترا الرجل يثرى : فهو ثر ، وأثرى يثرى : فهو مثر]

(٢) الدائل : صاحب الدولة . أخرجه مخرج تامر ولابن ، يريد به الخليفة وشفرتا السيف . حدها ، يقول : أما يخشى الخليفة - وقد تقلدك سيفاً له - أن تكون سيفاً عليه ، فلا يأمن جانبك ؟ ولا يخفى ما في هذا البيت وما بعده من التعريض الذى خفى سببه . وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت فروى دائل - بالذال للمهمله - من الدولة ، ولا معنى للدولة فيه ، والصحيح بالذال للمجتمه ، وهو الرجل التقليد سيفه المتبخر في مشيته . والدائل : السيف الطويل أيضا ، وكذلك الفرس الطويل الذنب ؛ فإن كان قصيراً وذنبه طويل قيل ذيل الذنب . والدائل : الدرع الطويلة . قال النابغة :

وَكَلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٌ تُبَعِّعِيهِ وَنَسْجُ سَلِيمٍ كُلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ (١)

(١) الصموت : الدرع التى إذا صبت لم يسمع لها صوت : والنثلة : الدرع السابغة

وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْغَامَ بَارًا لِيَصِيدَهُ تَصِيدُهُ الضَّرْغَامُ فِيمَا تَصِيدُ^(١)

والذائل : الطويل من كل شيء .

(١) الضرغام : الأسد . يقول : من اتخذ الأسد بازاً يصيد به آتى عليه الأسد فصاده وقد ضرب هذا مثلاً للمعنى السابق . يعنى أنك فوق من تضاف إليه . وفي هذا المعنى يقول دعبل :

فَكَانَ كَالْكَلْبِ ضَرَّاهُ مُكَلَّبَهُ لِيَصِيدَهُ فَعَدَا يَصْطَادُ كَلَابَهُ
ومن هذا الباب البيت المشهور :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي^(١)

هذا : وقوله تصيده الضرغام رواها ابن جنى : يصيره الضرغام . قال ابن جنى : قلت له - أى للمتنبى - جعلت من شرطاً صريحاً ، فهلا جعلتها بمنزلة الذى ولم تضمن الصلة معنى الشرط حتى لاتركب الضرورة ، كقوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم » الآية . فقال : هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء وأنا جئت بلفظ الشرط لأنه أبلغ وأردت الفاء - فى يصيره - ثم حذفها . . . والذى قاله جازئ ، والوجه الذى قلت له أولى . وسيبويه يرى فى هذا التقديم والتأخير ، فتقديره على مذهبه : يصير الضرغام من يجعله بازاً فيما تصيده ؛ واكتفى بهذا القول عن جواب الشرط ومثله :

يَا أَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخْوَكُ تُصْرَعُ

والتقدير : أنك تصرع إن يصرع أخوك . انتهى كلام ابن جنى ؛ وقال العكبرى : وأما قول المتنبي : أردت الفاء ثم حذفها ، فجازئ حسن قد جاء فى الكلام الفصح ومنه الحديث : قال سعد بن مالك : مرضت عام الفتح فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

أو الواسعة ، وتبعية ، نسبة إلى تبع - أحد ملوك اليمن - وقوله ونسج سليم : يعنى سليمان ابن داود عليهما السلام ، والقضاء من الدروع : التى فرغ من عملها وأحكمت .

(٢) استد : استقام . قال الأصمى : اشتد - بالشين المعجمة - ليس بشيء ؛ قال ابن

برى : رأيت هذا البيت فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عميس حين رماه بسهم وبعده :

فَلَا ظَفِرَتْ يَمِينِكَ حِينَ تَرْمِي وَشَلَّتْ مِنْكَ حَامِلَةُ الْبَنَانِ

رَأَيْتُكَ مَحْضَ الْحِلْمِ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمَهْدَاً (١)
وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَاً (٢)
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ

وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْمَ تَمَرَّدَاً (٣)

وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْمَلَا

مُضِرٌّ كَوَضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى (٤)

وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيَا وَحِكْمَةً كَمَا قُتِبَتْهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَنَحْدَاً (٥)

قلت يارسول الله : إن لي مالا وليس لي من يرثني إلا ابنة لي فأصدق بنصف مالي ؟
قال : لا ، قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث ، واثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير
من أن تذرهم عالة يتكفون الناس * التقدير : فهو خير ، حذف الفاء .

(١) المهند : السيف ، يقول : رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز
ولا تقصير ، ولو شئت لجعلت القتل بالسيف مكان الحلم .

(٢) الحر : الكريم ، ضد الليم ؛ والكاف - من قوله كالعفو - اسم بمنزلة مثل
فاعل قتل ، ومن لك بالحر أى من تكفل لك به ونحوه ، واليد : النعمة ؛ ويحفظ :
يروى يعرف : أى يقدر العفو عنه . يقول : إن العفو عن الكرام قتل لهم ، فمن صفح
عن حر استرقه بهذا الصفح . فيذل له وينقاد ، كما قال بعضهم :

غُلَّ يَدَاً مُطْلَقَهَا وَاسْتَرَقَ رِقْبَةَ مُتَمَتِّهَا

ثم قال : ومن يتكفل لك بالكريم الذى يحفظ النعمة ويراعى حقها ؟

(٣) هذا البيت تأكيد لما سبقه . يقول : إن الكريم يقدر الإكرام حتى قدره ،
فإذا أنت أكرمت الكريم صار كأنه مملوك لك ، أما الليم فإنك إذا أكرمته زاد عتوا
وجرأة عليك .

(٤) بالعلی : متعلق بمضر . يقول : ينبغي أن يعامل كل إنسان حسبما يستحق ، فمن
استحق العطاء لم يستعمل معه السيف ، ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء ، ومن فعل
هذا أضر بعلاؤه وهدم أركان دولته .

(٥) المهتد : الأصل ؛ والنصوبات - فى البيت - تمييز . يقول : أنت أعرف

يَدِقُّ عَلَى الْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ قَيْتْرَكَ مَا يَخْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَأُ (١)

بمواقع الإساءة والإحسان من كل إنسان ، لأنك فوق كل أحد في الرأي والحكمة ، كما أنك فوقهم بالحال — إذ كنت أميراً — وبالنفوس — إذ كنت أعلام همة — وبالأصل — إذ كنت من أصل شريف .

(١) بدا : ظهر . يقول : إن ما تفعله أدق من أن تقف عليه الأفكار وتستوضحه فهي تتناول ما ظهر لها منه ، فتجول فيه ، وتترك ما خفي منه لرأيك ، لأنه لا تصل إليه ، وتقف دونه — يشير إلى تصرفاته مع الخليفة — وهذا المعنى هو الأظهر والأوجه والانسب بما تقدم هذا البيت من الآيات ؛ ولكن أئمة الشراح قد اعتسفوا ، وصرفوا النظر عن الآيات التي تقدمت ، ففسروا البيت كأنه قائم بنفسه ... قال بعضهم : إن ما يتبدعه من الكلام يدق على أفكار الشعراء فيذكرون ما ظهر منها ، ويتركون ما خفي وقال آخرون : إن للمتقين بسيف الدولة في الكلام ، يأخذون ويتركون ما خفي . أقول : ولو أراد ذلك لما أتى بالأفكار ، ولقال : يدق على الكلام . وقال ابن جني : هذا البيت مثل قول عمار الكلابي :

ما كلُّ قولِي مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
قال ابن فورجه : عمار الكلابي محدث لحنه ، وقد أدرك زماننا ، وهو رجل بدوي أمي لحنه ، وهذا البيت من آيات أولها :

ماذا لقيتُ من المستعربين ومن
إن قلتُ قافيةً بكرأ يكونُ لها
قالوا لحنَتَ وهـ هذا ليس مُنتصباً
وحَرَضُوا بين عبدِ اللهِ من حُقى
قلتُ واحداً فيها جوابهمُ
ما كلُّ قولِي مشروحاً لكم فخذوا
حتى يصيرَ إلى القومِ الذين غَدُوا
فيرفوا منه معنى ما أُوهُ بهِ
كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقيهم

قياس نحوهم هذا الذي ابتدَعوا
معنى خلاف الذي قاسوه أو ذرَعوا
وذلك خفضٌ وهذا ليس يرتفعُ
وبين زيدٍ فطالَ الضربُ والوجعُ
وكثرةُ القولِ بالإيجازِ تنقطعُ
ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
بما غُديتُ بهِ والقولُ مجتمعُ
حتى كأنى وهم في لفظهِ شرَعُ
وبين قومٍ على إعرابهم طُبِعوا

أُرِلَ حَسَدَ الْحَسَادِ عَنِّي بِكِبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حَسَدًا^(١)
إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمْ ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقَطَعُ الْهَامَ مُنْعَدًا^(٢)
وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتَهُ فَرَزِينَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدَّدًا^(٣)

وبين قومٍ رأوا شيئاً معاينةً وبين قومٍ حكوا بعض الذي سمعوا
إني غُذيتُ بأرضٍ لا تشبُّ بها نارُ الجُوسِ ولا تُتَبَّى بها البيعُ

قد نقله أبو الطيب إلى اللدح ، وأقام دقة صنيعه في اقتناء المكارم مقام دقة معنى الشعر ، وأقول : وكل هذا بعيد عن غرض المتنبي كما قلت .

(١) الكبت : الإذلال . يقول : أنت الذي غمرتني بنعمك حتى صرت محسداً ونجم لي حساد يحسدونني ويقصدونني بالسوء فأكفي شرم بإذلالهم ورد كيدهم في نحوهم ، وإعراضك عنهم ، ومعنى المصراع الثاني من قول أبي الجوربة العبدى :

فما زلت تعطيني ومالي حاسد من الناس حتى صيرت أَرْجِي وَأُحْسَدُ
وقال بعده أبو نواس :

دَعَيْتُ أَكْثَرَ حَاسِدِي بِرِخْلَةٍ إِلَى يَدِي فِيهِ انْخِصِبُ أَمِيرُ
وقال البحتري :

وَأَلْبَسْتَنِي الثَّمَمَى الَّتِي غَيَّرَتْ أَخِي عَلَى فَاضِحَى نَارِحِ الْوَدِّ أَجْنِبَا

(٢) فيهم : متعلق برأيك ؛ والهوام : الرؤس . يقول : إذا قوى ساعدي حسن رأيك فيهم بأن آنت منكم إعراضاً عنهم ، كان ذلك خذلانا أي خذلان لهم ، فلو ضربتهم إذ ذاك بسيفي وهو في غمده لقطع وأصمى ، وروى بدل فيهم : في يدي ، وبدل بسيف . بنصل ، فيكون المعنى : أنك إذا كنت حسن الرأي في ، فما أبالي بالحساد ، والقليل من إنكارك عليهم يكفي ؛ وهذا من قول أبي تمام :

يَسُوهُ الَّذِي يَسْطُو بِهِ وَهُوَ مُنْعَدٌ وَيَفْضَحُ مِنْ يَسْطُو بِهِ غَيْرَ مَعْمَدٍ

(٣) السمهرى : الرمح . ومعروضاً . أى عمولاً بالعرض ، وذلك يكون حين لا يقصد به الطعن : ومسدداً : موجهاً إلى الطعون . يقول : أنا زين لك في السلم . أمدحك وأشيد بذكرك ، وشجى لا يترزع في حلق أعدائك ، أذود عنك وأنافح بلساني وأكيد

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رِوَاةٍ قَلَائِدِي
إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَضْبَحَ الدَّهْرُ مُنْسِدًا (١)
فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مُشْمِرًا وَغَنَى بِهِ مَنْ لَا يُفْنَى مُغْرَدًا (٢)
أَجْرَنِي إِذَا أَنْشَدْتَ شِعْرًا فَإِنَّمَا بِشِعْرِي أَنْتَكَ لِلْمَادِحُونَ مُرَدَّدًا (٣)

أعداءك بقوارع لسانى . فأنا لك كالرمح : إن حملته بالعرض كان زينا لك ، وإن حملته مسدداً راع أعداءك .

(١) جعل شعره فى حسنه كالقلائد التى يتقلدها ، يقول : إن الدهر من روية شعرى لأن الناس جميعا يروونه ويتناشدونه فى كل وقت ، فكأن الدهر كله إنسان ينشد شعرى ، ويروى بدل قلائدى : قصائدى .

(٢) يقول : إن شعرى ينشط الكسلان إذا سمعه ، فيسير على سماع شعرى مجدأ مشيحا ، وإذا سمعه من لا يفنى استراح إليه وطرب وغنى به مغردا ، وللراد أن شعره سار فى الآفاق حتى لم يبق من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من روية الشعر . والتغريد : رفع الصوت للتطريب . أو تقول : إن شعره لحسنه أولع الناس بمحفظة وروايته ، فسيره فى الآفاق من لا يربم مكانه ، وغنى به من لاعادة له بالفناء لشدة طربه به واهترازه .

(٣) يقول : إذا أنشدك شاعرا شعرا فأجعل جائزته لى ، لأن الذى أنشدت إنما هو شعرى أنك به المادحون يرددونه عليك . يعنى أنهم يسلخون معانى أشعارى فىك ، ويأخذون ألفاظى فيأتون بها إليك . كما قال بشار :

إِذَا أَنْشَدَ حَمَادٌ قَلَّ أَحْسَنَ بَشَارُ

وقال أبو هفان :

إِذَا أَنْشَدَ كَمِ شِعْرًا قُفُولُوا أَحْسَنَ النَّاسُ

وقال أبو تمام فى غير هذا المعنى :

فَمَهْمَا تَكُنْ مِنْ وَقَعَةٍ بَعْدُ لَا تَكُنْ سِوَى حَسَنِ مِمَّا فَعَلْتَ مُرَدَّدِ

هذا : والجائزة العطية ، ويقال أصل الجوائز : أن قطن بن عبد عوف من بنى هلال ابن عامر بن مصعبه ولى فارس لعبد الله بن عامر ، فر به الأحنف فى جيشه غازيا إلى خراسان فوقف لهم على قنطرة . فقال أجيروهم ، فجعل ينسب الرجل ، فيعطيه على قدر حسبه . قال الشاعر :

وَدُعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَأِنِّي
 أَنَا الصَّامِحُ الْمَحْكِيُّ وَالْآخِرُ الصَّادِي (١)
 تَرَكَتُ الشَّرِيَّ خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَمْتُ أَفْرَاسِي بِنُفْعَاكَ عَسْجَدًا (٢)
 وَفِيَدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدَ (٣)
 إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الْغَنَى وَكَذَتْ عَلَى بَعْدِ جَعْلِنَكَ مَوْعِدًا (٤)

فِدَى لِلْأَكْرَمِينَ بَنِي هِلَالٍ عَلَى عَلَائِهِمْ أَهْلِي وَمَالِي
 هُمْ سَخَّوْا الْجَوَائِزَ فِي مَعَدَّةٍ فَصَارَتْ سُنَّةً أُخْرَى لِلْيَالِي

وقال بعض أهل اللغة: أصل ذلك أن أميراً واقف عدوا بينهما نهر، فقال: من جاز هذا النهر فله كذا، فكلما جاز منهم واحد أخذ جائزة، وقيل: إنما سميت جائزة لأنها تجوز لصاحبها؛ من قولك: هذا يجوز وهذا يمتنع.

(١) الصدى: الصوت الذي يهيك من الجبل وغيره، كأنه يحكي قولك وصياحك، وهذا مثل. يقول: لا تحفل بشعر غير شعري، فإن شعري هو الأصل، وغيرى كالصدي له.

(٢) السرى: سير الليل؛ والسجد: الذهب. يقول: لقد أثريت بما توالى على من نعمائك، حتى لو شئت لأخذت لحيلي نعال الذهب؛ ومن ثم تركت السير إليك لغيري من المعوزين القترين، ليسيروا إليك كما سرت، ويحظوا كما حظيت.

(٣) في ذراك: في كنفك. يقول: إنما أقت عندك جبالك، لأنك قيدتني بإحسانك وهذا كما قال أبو تمام:

وَتَرَكِي سُرْعَةَ الصَّدْرِ اغْتِبَاطًا بَدُلْ عَلَى مُوَاقِفَةِ الْوَرُودِ
 وَقَالَ أَيْضًا:

هَمِي مُتَلَقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابُهَا مَفْلُوَةٌ - إِنْ الْوَفَاءَ إِسَارُهَا
 (٤) يقول: إذا طلب الإنسان إلى أيامه أن تغنيه وكنت بعيداً عنه؛ وعدنه بالغنى لدى وصوله إليك، وعبارة الواحدى: الدهر يحيل عليك، فمن اقترح عليه الغنى يشير عليه بإتيانك، ومن هذا قول أبي تمام:

شَكُوتُ إِلَى الزَّمَانِ نُحُولَ حَالِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ

وقال بمصر وهو يريد سيف الدولة :

فَارْقُتْكُمْ فَإِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ قَبْلَ الْفِرَاقِ أَدَى بَعْدَ الْفِرَاقِ يَدُ^(١)
إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَعَانَ قَلْبِي عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي أَجِدُ^(٢)

(١ و ٢) ما — من قوله فإذا ما كان — اسم موصول بمعنى الذي ، مبتدأ وخبره :
يد — في آخر البيت — وأدى : خبر كان . يقول : غادرتكم فإذا جفاؤكم الذي كنت
أحسبه أذى قبل الفراق قد صار نعمة بعده . وعبارة ابن جني — وثقلها
الواحدى — : الأذى بعثنى على مفارقتكم ، فصار الأذى يداً لأنه كان سبباً
للفرقة . ثم قال المتنبي : إذا تذكرت الحال التي كانت بيننا فنشوقت إليكم ذكرت ذلك
الجفاء فأعان قلبي على الشوق فلا يغلبه شوق إليكم . هذا هو ما ذهب إليه ابن جني
والواحدى ، ولكن الإمام العروضى قال : إن هذا غلط ، وإنما معنى البيت الأول :
ما كنت أحسبه عندكم أذى كان إحساناً إلى جنب ما ألقاه من غيركم ، وذلك كما
قال الآخر :

عَتَبْتُ عَلَى سَلْمٍ فَلَمَّا هَجَرْتُهُ وَجَرَبْتُ أَنْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلْمٍ
ثم قال : إذا تذكرت ما بيني وبينكم من صفاء الودة أعانني ذلك على مقاومة
الشوق إذا علمت أنكم على العهد والوفاء بالموعدة .

وقال في صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب :

أَهْلًا بَدَارَ سَبَاكَ أَعْيِدُهَا أَبْعُدُ مَا بَانَ عَنكَ خُرْدُهَا^(١)
ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَيْدِ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خَلْبِهَا يَدُهَا^(٢)

(١) سباه : أسره بجهه ؛ والأعيد : اناعم التثني لنا ؛ والمراد : الحبيبة . وذكر على معنى الشخص . والخرد : جمع خريدة ، وهي البكر التي لم تمس ، أو الحية . لما دعا للدار — التي سباه من كان بها — بأن تكون مأهولة قال : أبعد شيء فارقتك جوارى هذه الدار الناعمات الأبيكار ؛ قوله : أهلا ، منصوب بمضمر ؛ والتقدير : جعل الله أهلا بتلك الدار : أي جعلها عامرة بالأهل ، وهو في الحقيقة دعاء لها بالسقيا لأن عادة الشعراء إذا وقفوا على ديار أحبايهم حيوها بالسلام وودعوا لها بالسقيا ورجوع الأهل ، كقول جرير :

سَقَى الرَّمْلَ جَوْنَ مُسْتَهْلٍ رَبَابُهُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا حُبٌّ مِّنْ حَلِّ الرَّمْلِ^(١)

« أي من أجل حب من حل بالرمل » وقوله أبعد : روى أبعد ؟ — على أنه استفهام — ويكون المعنى : أبعد ما بان عنك خردها ولم زدك عند رحيلها زاداً تدعو لها ، وروى أبعد — بالنصب — على أنه حال من الأعيد ، والعامل في الحال : سبائك . يريد سبائك أبعد ما بان عنك : أي أنه أسرك بجهه ، وهو على البعد منك . قال الواحدى والرواية الصحيحة أبعد ما بان . أقول : وهي التي أبتناها في هذا الديوان .

(٢) ظلت : أصله ظلت ، فحذفت إحدى اللامين تخفيفاً ؛ وحلب الكبد : غشاؤها ويدها : مبتدأ ؛ والخبر : الظرف المقدم عليه ، والجملة : نعت آخر لكبد . وقال العكبري يدها ارتفعت بنضيجة ، إذ أنها تعمل عمل الفعل ، كما تقول : صررت بامرأة كريمة جارتها ، ثم قاله : وجعل البنضيجة وأضافها إلى الكبد لأنها دام وضعا على الكبد ، فأنضجتها بما فيها من الحرارة ؛ فلهذا جاز إضافتها إلى الكبد . والعرب تسمى الشيء باسم غيره إذا طالت صحبتته إياه ، كما قالوا لفناء الدار : العذرة^(٢) وإذا جاز تسميته باسم ما يصحبه كانت الإضافة أهون . يقول : ظلت بتلك الدار تثني على كبدك التي أنضجتها حرارة الوجد واصما يدك فوقها ، والحزون يفعل ذلك كثيراً لما يجد في كبده من حرارة الوجد ، كأنه يخاف أن تنشق كما قال الحماسي :

(١) الجون : السحاب الأسود ، والرباب . ما كان دون السحاب ، ومستهل : منهل .

(٢) العذرة : الغائط . قال اللغويون : إنما سمى فناء الدار عذرة لأنها كانت تلتق

بأفنية الدار

يَا حَادِيَّ عِيرَهَا وَأَحْسَبِي أُوجِدُ مَيْتًا قَبِيلَ أَقْدَهَا^(١)

وَأذْكَرُ أَيَّامَ الْحَمَى نَمَّ أَنْنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشِيَّةٍ أَنْ تَصَدَّعَا^(٢)
وقال الآخر :

لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يَحْشُوا مُذْرِكَا وَضَمُّوا أُنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ
(١) العير : الإبل التي تحمل عليها الميرة ، ويروي عيسها : وهي كرام الإبل ، وقوله
قبيل أقدها : أراد قبيل أن أقدها ، فلما حذف أن : عاد الفعل إلى الرضع كبيت
الكتاب — كتاب سيويه — :

* أَلَا أَيُّهَذَا اللَّائِمِيُّ أَحْضَرَ الْوَعَى^(٢) *

(١) للصمة بن عبد الله القشيري من أبيات جميلة أولها :

حَنَنْتَ إِلَى رَبِّيَا وَنَفْسِكَ بَاعَدْتِ مَرَارِكَ مِنْ رَبِّيَا وَشَقْبَا كَمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَّ الْأَمْرَ طَائِمًا وَتَجَزَّعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أُنْمَمَا
قَفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحَمَى وَقَلَّ لِنَجْدِهِ عَفْدَنَا أَنْ يُودَعَا
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضَ مَا أَطْيَبَ الرَّبَابَا وَمَا أَحْسَنَ الْمَصْطَافَ وَالْمَرْبَابَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَمْحَنْنَ نَزْمَا
بَكْتِ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتَهَا عَنْ الْجَهْلِ بِمَدِّ الْحِلْمِ أَسْبَلْنَا مَعَا
تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَمَى حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْأَصْفَاءِ لَيْتَا وَأَخَذْنَا
وَأذْكَرُ أَيَّامَ الْحَمَى [البيت]
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَمَى بِرَوَاجِعِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدْمَعَا

الشعب : الحمى ؛ والبشر : جبل ، وأعرض : أبدى عرضه وجانبه ، وبنات الشوق
نوازعه . وزعا جمع نازع أى مشتاق ، والبيت صفحة العنق ، والأخدع : عرق فيها .
(٢) صدر بيت لطرفة بن العبد من مطلقته ، وعجزه :

* وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتِ مُخْلِيرِي *

وعصده :

فِنَا قَلِيلًا بِهَا عَلَيَّ فَلَا أَقْلَ مِنْ نَظَرٍ وَأَزُودُهَا (١)

وقوله راحسبني إلخ : جملة اعتراضية . دعا الحاديين ، ثم ترك ما دعاهما له فذكره في البيت التالي ، وآتى بهذه الجملة المترضة الجميلة . قال المكبري : نادى الحاديين ، وحذف ما ناداهما له ؛ وذكره فيما بعد البيت ، وهذا مما يسمى الاعتراض : اعترض له كلام آخر هو من شأنه وقصته ، ولو كان كلاما ليس من قصته وشأنه فسد ، وإذا كان منه كان جائزاً . كقول الآخر :

وقد أدركتني والحوادث جمّة أسنة قومٍ لا ضِفافٍ ولا عزلٍ

فصل بين الفعل والفاعل بما هو من نصته ، لان إدراك الأسنّة من جملة الحوادث .

(١) يقون — للحاديين اللذين يعدوان غيرها أو عيسها — احبسها على قليلا لأنظر إليها وأزود منها نظرة فلا شيء أقل منها . وقريب من هذا المعنى قول ذي الرمة :

وإن لم يكن إلا مُعَرَّجٌ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهُ (١)

وروي بعضهم أقل — بالرفع — على أن « لا » بمنزلة ليس ، كبيت الكتاب :

من فرّ عن نيرانها فأنا ابن قيسٍ لا براح (٢)

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

[يقول طرفة : يامن يلومني على حضور الحزب لثلا أقتل ، وعلى أن أنفق مالي في اللذات : ما أنت مخددي إن نزلت على ححكك ، وإذن دعني أسبق الموت بالتمتع بإتفاق مالي ... يعني أن الموت لا يد منه ، فلا معنى للبخل وترك اللذات] .

(١) قبله :

ألم على الدار التي لو وجدتها بها أهلها ما كان وحشاً مقيماً

ألم : إزلا ، ووحشاً موحشاً ، والقيل : النوم في الظهيرة ؛ والمرج : التعريج وهو الإقامة . وقيلها : مبتداً ؛ ونافع : خبره . والمعنى ظاهر .

(٢) من أبيات لسعد بن مالك — شاعر جاهلي من شعراء الحماسة — وأول الأبيات :

يا بؤس للحرب التي وسفت أراهم فاستراحوا

وبسده :

والحرب لا يبقى لها حيمها التخيل والمزاح

فِي فُوَادِ الْمَحِبِّ نَارُ جَوْيٍ أَحْرَهُ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرُدُهَا (١)
شَابَ مِنَ الْمَجْرِ فَرَقٌ لِنْتِهِ فَصَارَ مِثْلَ الدَّمَقْسِ أَسْوَدُهَا (٢)
بَانُوا بِمَجْرُوعِيَّةٍ لَهَا كَقَلِّ يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُعَمِدُهَا (٣)

يريد : ليس عندي براح .

(١) عنى بالمحب : نفسه ، والجوى : الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن ، والجحيم : النار العظيمة الشديدة التوقد . وكل نار توقد على نار : جحيم ؛ وجحمت النار : اضطربت وكثر جرها ولهبها وتوقدها ؛ ومكان جاحم : شديد ؛ قال الأعشى :

يُعَمِدُونَ لِلْمِجَاءِ قَبْلَ لِقَائِهَا غَدَاةَ احْتِضَارِ الْبَأْسِ وَالْمَوْتِ جَاحِمُ
يقول : إن نار الجوى أشد حرارة من نار الجحيم ؟

(٢) اللمة من الشعر : ما ألم بالنكب . وجاوز شحمة الأذن ، ويسمى الشعر القليل في الرأس : وفرة ، فإذا كثر عن ذلك : قيل جمة ، فإذا ألم بالنكب : قيل لمة . والفرق حيث يفرق الشعر من الرأس . والدقمس : الحرير الأبيض ؛ وأسودها . مسودها يقول : لعظم ما ألم به من هجر الحبيب ايض شعره حتى صار ما كان أسود من لته ايض .

(٣) الخرعويته : الشابة اللينة الطرية ؛ وقوله يكاد : يريد قرب من ذلك ، وكاد : فعل وضع لتقاربة الفعل ، وإبائته نفي في المعنى ، فأراد : قرب من ذلك ولم يفعل . قال اللغويون . كدت أفعل : معناه عند العرب قاربت الفعل ولم أفعل ، وما كدت أفعل : معناه فعلت بعد إبطاء . يقول : ذهبوا بامرأة ناعمة إذا قامت يكاد ردفها يقعدها لكثرة ما عليه من

إِلَّا لِقَى الصَّبَارُ فِي النَّجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَفَاحُ

يا بؤس للحرب - يقول : يا بؤس الحرب ، ومعنى وضعت أراهم حطهم وأسقطتهم فلم يكن لهم ذكر في هذه الحرب فاستراحوا من مكابذتها كالنساء . وقوله : فأنا ابن قيس أي أنا المشهور في النجدة لما سمعت ؛ والبراح : مصدر برح الشيء براحا ، إذا زال من مكانه والجاحم : المكان الشديد الحر ، والتخيل : التكبر ، من الخيلاء . يقول : إنها تزيد نخوة المنخو ، وذلك أن أصحاب الغناء يتكرمون عن الخيلاء ويختال للتشبع ، فإذا جرب فلم يحمد انتضح وسقط ؛ والبراح - بكسر الميم - النشاط .

رَبْحِيَّةٌ أَسْمَرٌ مَقْبَلُهَا سَبَخَلَةٌ أَيْبَضٌ مُجْرَدُهَا (١)
يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعِ فِتْنَةَ أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تَرُشِدُهَا (٢)
لَيْسَ يُجِيحُكَ الْمَلَامُ فِي هِمَمٍ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنكَ أَبْعَدُهَا (٣)

اللحم . وهم يصفون المرأة بثقل العبيزة وكثرة لحمها . وقد تعاور هذا المعنى شعراء العربية كثيراً ؛ قال ذو الرمة :

تَنَوُّهُ بِأَخْرَاطِهَا قَلَابِيًا قَيْلُمُهَا وَعَمْسِي الْهُوَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ فَتَبْهَرُ (١)
ويقول أبو العتاهية .

بَدَّتْ بَيْنَ حُودٍ قِصَارٍ أَنْطَى تُجَاهِدُ يَالْمَشَى أَكْفَالُهَا
وقال أبو دلامة :

وَقَدْ حَاوَلَتْ نَحْوِي الْقِيَامَ لِحَاجَةٍ فَأَتَقَلَّمَا عَنْ ذَلِكَ الْكِفْلُ النَّهْدُ

(١) الربيحة والسبحة : من نعوت النساء ، وهي الجسيمة الطويلة العظيمة . والمقبل موضع التقبيل ، وهو الشفة ، وتحمد فيها السمرة . قال ذو الرمة :

لِيَاءِ فِي شَفَتَيْهَا مُحْمَرَةٌ لَعْسُ وَفِي اللِّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبُ

والمجرد : ماتعري من الثوب ، وهو الأطراف وصفها بسمرة الشفة وبياض اللون ، وخص المجرد لأنه إذا ابيض المجرد - الذي تصيبه الريح والشمس ، وهو الذي يظهر للرائين - كان سائر بدنها - الذي لا تصيبه الريح ولا الشمس - أشد بياضاً .

(٢) الفتنه : الجماعة ، يريد العاشقين . يقول : يامن يلوم العشاق على عشقهم دع لومك قوما أضلهم اقد في الهوى حتى تهلكوا فيه واستولى عليهم حتى استبد بهم ، فكيف ترشدهم بعد ذلك ؟ أى أنهم لا يصغون إلى لومك ، لما بهم من ضلال العشق .

(٣) أحاك فيه النوى وحاك : آثر . يقول : إن لومك لا يؤثر في همم أقربها منك في تقديرك أبعدها عنك في الواقع : أى أن الذى تظنه يمنع فيه لومك هو الأبعد عما تظن :

(١) قوله : تنوء بأخراها يقول : إن أخراها - وهي عجيزتها - تنيشها : أى تسقطها إلى الأرض لضخمها وكثرة لحمها في أردافها ، ومن ثم كان قيامها إذا هي قامت ، بعد لأى أى بعد مشقة وجهد وإبطاء .

بِئْسَ اللَّيَالِي سَهْرَتْ مِنْ طَرَبِي شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيْتُ بِرَقْدُهَا (١)

(١) يذم الليالي التي لم ينم فيها لما أخذه من القلق وخفة الشوق إلى الحبيب الذي يرقد الليالي ساليا لا يجد من أسباب السهر ما كان يجده هو . وأين الخلق من الشجى ؟ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

شكونا إلى أحبنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وإليك ما أورده العكبري في شرح هذا البيت قال : المقصود بالتم محذوف ، وهو
نكرة موصوفة بسهرت ، والماند إليه من صفته محذوف أيضاً ، والتقدير ليل سهرت
فيها ؛ ومثله في الكتاب العزيز (ومن آياته يريكم آية يريكم بها البرق خوفاً ، وقد
جاء في الشعر حذف النكرة المجرورة الموصوفة بالجملة في قول الرازي :

مَالِكٌ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرٌ وَغَيْرُ كِبْدَاءٍ شَدِيدَةِ الْوَتْرِ

• تَرْمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمِي الْبَشَرِ (١) •

يريد بكفي رجل خذنه وهو ينويه ؛ وقوله من طربي : مفعول له ، وهو بمعنى اللام ،
كما تقول جئت من أجلك ولأجلك ، وأكرمته لخافة شره ومن مخافة شره ؛ وشوقا :
يحتمل أن يكون مفعولا لأجله عمل فيه طربي فيكون الشوق علة للطرب ، والطرب علة
للسهر ، ولا يعمل سهرت في قوله شوقا لأنه قد تعدى إلى علة فلا يتعدى إلى أخرى إلا
بماطف ، كقولك أفت سهرنا وخوفاً ، وسرت طربنا وشوقاً . ويحتمل أن ينصب بمحذوف
كأنه قل شفت شوقاً ، وشاقتني انتذكر شوقاً ، وشقت فعل مالم يسم فاعله ، كما يقول المملوك
قد بمت ، أي باعني مالكي ، وكقول الجارية — وقد سئلت عن المظر — غشنا ماشئنا :
أي أغائنا الله ، وقوله : إلى من ، يتعلق بالشوق لأنه أقرب المذكور إليها ، وإن شئت
علقته بالطرب إذا نصبت شوقاً بالطرب ، وإن نصبت بالمحذوف لم تعلقه بالطرب ، لأنك
تفصل بشوق وهو أجنبي من الطرب وصلته ، وكان الوجه أن يقول : يرقد فيها ، كما تقول

(١) قوس كبداء : غليظة القبض تملأ الكف . وقوله ترمي . يروي جادت من الجودة
وقل ابن جنى : روي أيضاً بفتح ميم «من» أي بكفي من هو في الرمي من أرمي البشر ،
وكان على هذا زائمة . وعلى هذا لا شاهد فيه .

يوم الجمعة خرجت فيه . ولا تقول خرجته إلا على سبيل التوسع في الظرف لجملة مفعولا به على السمة كقوله :

* ويوم شهدناه سُلَيَا وعامرا^(١) *

ففي البيت أربعة حذف : حذف المقصود بالدم — وهو ليال — وحذف من سهرت فيها ، وحذف الضمير من سهرت ؛ فكأنه يقول سهرتها . والرابع حذف من يرقد فيها . وروى سهرت وسهدت — بالراء والبدال — وقد فرق أهل اللغة بينهما فقالوا : السهر — بالراء — في كل شيء ، وبالبدال للدبع والعاشق . واستدلوا بقول النابغة :

* يُسْهَدُ مِنْ نَوْمِ الْمَشَاءِ سَلِيمُهَا^(٢) *

وبقول الأَعشى :

* وَبِتُّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسْهَدًا^(٣) *

(١) عجزه :

قَلِيلٌ سِوَى الطَّغْنِ النَّهَالِ نَوَافِلُهُ *

شهدناه : أى شهدنا فيه ؛ وسليم وعامر قيلتان من قيس غيلان ؛ والنوافل هنا : الثغائم يقول : يوم لم يغم فيه إلا النفوس ما أوليناهم من كثرة الطغن والنهال المرتوية بالدم . وأصل النهل : أول الشرب ، والعلل : الشرب بعد الشرب ، والطغن هنا جمع طغنة :

(٢) عجزه :

* لِحَلِيِ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهَا قَمَاعِ *

يقال فلان يسهد : أى لا يترك أن ينام .

(٣) صدره :

* أَلَمْ تَفْتَمِّضْ عَيْنَكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا *

وهذا البيت مطلع أبيات يمدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبمده :

وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهذا

وقوله: بئس : اختلف أصحابنا والبصريون في نعم وبئس ، فقال أصحابنا هما اسمان ، وقال البصريون: بل هما فعلان ماضيان لا يتصرفان ، وواقفهم من أصحابنا : علي بن حمزة القرني . حجتنا على أنهما اسمان أن حرف الجر يدخل عليهما لما قد جاء عن العرب أنها تقول ما زيد بنعم الرجل . قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه :

أَلَسْتُ بِنِعْمِ الْجَارِ يُؤَلِّفُ بِيَدَتَهُ لذي العرفِ ذَا مالٍ كثيرٍ ومُعَدِمًا (١)
وحكى عن بعض فصحاء العرب أنه قال : نعم السير على بئس العير ، وذل الفراء : إن أعرابيا بئر بأننى قليل له نعم المولود مولودتك ، قتال : والله ما هي بنعم الولد ، نصرها بكاء وبرها سرقة . فدخل حرف الجر عليهما دل على أنها اسمان . وحجة أخرى : أن حرف النداء يدخل عليهما وهو لا يدخل إلا على الأسماء في قولهم : يا نعم المولى ويا نعم النصير : ولا يجوز أن يقال المقصود بالنداء محذوف للعلم به والتقدير فيه : يا الله نعم المولى . فحذف النادى لدلالة حرف النداء عليه ، كما يحذف حرف النداء لدلالة النادى عليه ، فإن قيل ذلك ، فجوابنا : النادى إنما يقدر محذوفا إذا ولي حرف النداء فعل أمر . وما جرى مجراه ، كقراءة علي بن حمزة والحسن ويعقوب والأعرج « ألا يا اسجدوا » نديره : يا هؤلاء اسجدوا . وكقول ذى الرمة :

أَلَا يَا أَسْلَمَى دَارِمْحَى عَلَى الْبِلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِمَجْرَائِكَ الْقَطْرِ (٢)
وكقول الآخر :

أُمْسَلَمْ يَا أَسْمَعَ يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا سَائِسَ الدُّنْيَا وَيَا جِبِلَّ الْأَرْضِ (٣)

إلى آخر الأبيات . وقوله ليلة أرمدا : يريد ليلة أرمدا — أى عيناه — أى أصحابها رمد ، وهورج العين ، والسليم : الملدوغ ، والمسهد : الذى منع النوم ، والحلة : الصداقة ومهدد : اسم امرأة .

- (١) قوله يؤلف بيته لذي العرف : أى يجعله مألفاً لذي العرف أكان غنياً أم فقيراً .
(٢) مى : هى محبوبته ، وعلى : بمعنى مع ، ومنهلاً: منصباً ، والجرعاء: مؤنث الأجرع : الموضع المختلط ترابه بالحصى ؛ والقطر : المطر . يدعو لها بالحبص .
(٣) هذا البيت لأبى نخيلة يمدح به مسلمة بن عبد الملك . وقد أورده القالى على الوجه الآتى :

أراد يهَذَا : وشواهد كثيرة ، وإنما اختص هذا دون الخبر بفعل الأمر ، لأن النداء يخاطب ، والأمور أيضاً مخاطب ، فحذفوا الأول من مخاطبين اكتفاء بالثاني ، ولاخلاف أنه نعم المولى خير ؛ فيجب أن لا يقدر النداء محذوفاً ، فدل على أن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر ، أو ما جرى مجراه من الطلب والنهي ، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله نداء ينفك عن أمر أو نهى ، ولهذا لما جاء الخبر في قوله تعالى « يا أيها الناس ضرب مثل فليستمعوا له » شفعه الأمر — وهو استمعوا له — فلما كان الأمر والنداء جملي خطاب جاز أن يحذف النداء من الجملة الأولى ، وليس كذلك فإنعم المولى ، لأن نعم : خبر ، فلا يجوز أن يقدر النداء محذوفاً ، ودليل آخر على أنها اسمان ، انهما لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال ، لأنك لا تقول : نعم الرجل غداً ولا أمس ولا بشس الرجل غداً أو أمس ، ودليل آخر : أنها غير متصرفين ، والتصرف من الأفعال ودليل آخر : أنها لم يكونا ضليين ماضيين لأنه يجوز دخول اللام عليها في خبر أن ، تقول إن زيدا نعم الرجل وعمرًا لبس الغلام . وهذه اللام لا تدخل على الماضي ، وهي تدخل على الاسم ، وعلى الفعل المضارع ، فدل على أنها اسمان . ودليل آخر : أنه قد جاء عن العريب نعيم الرجل وليس في أفعال العرب فعيل ، فدل على أنها اسمان . وحجة البصريين اتصال الضمير المرفوع بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف . وحجة أخرى : اتصالها بتاء التأنيث الساكنة التي لا يقلبها أحد في الوقف هاء كما قلبوها في رحمة وشجرة ، وذلك قولهم نعمت الجارية ، وهذه التاء يختص بها للفعل الماضي .

أَسْلَمَ إِنِّي يَا بَنِي كَلِّ خَلِيفَةَ وَيَا فَارِسَ الْمَلِيجَا وَيَا قَمَرَ الْأَرْضِ
شَكَرْتِكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ اللُّتَى

وَمَا كَلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضَى

وَأَلْقَيْتَ لِمَا أَرَزْتَ تَيْتُكَ زَائِرًا عَلَى خَلْقًا سَابِغَ الطُّولِ وَالْعَرَضِ

وَنَوَّهْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلًا

وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

وإذن لا شاهد فيه :

أَحْيَيْتَهَا وَالْدُمُوعُ تُنَجِدُنِي شَوْئُهَا وَالظَّلَامُ يُنَجِدُهَا^(١)
لَا نَاقِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أُجْبِدُهَا^(٢)

(١) إحياء الليل : سهره ، وأنجده : أعانه ؛ والشئون : قبائل الرأس ، وهى مجارى الدموع ، والضمير فى أحييتها وينجدها : لليالى ، والضمير فى شئونها للدموع . يقول : كان للدموع من الشئون إمداد ، ولليالى من الظلام إمداد ، يعنى أن تلك الليالى طالت وطال البكاء فيها ، ويجوز أن يكون الضمير فى ينجدها عائداً إلى الشئون ، وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع المموم على العاشق وفى اجتماعها عون للشئون على تكثير البكاء . يبين هذا قول قيس المجنون :

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَأَصَمِّ أَرْزَارِ الْقَمِيصِ الْبِنَائِقِ^(١)
(٢) الرهان : السباق ، وأجهد الدابة وجهدها : حملها فى السير فوق طاقتها يقول : إن ناقى — ويريد نعله — لا تقبل الرديف — وهو الذى يرتد خلف الراكب — وإذا راهنت عليها لم أجدها بالسوط ؛ وهذا كما قال فى قافية قد تقدمت :

وَحُبَيْتُ مِنْ خَوْصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَفَدَوْتُ أُمِّشِي رَاكِبًا
وهذا المعنى من قول أبى نواس :

إِلَيْكَ أبا العَبَّاسِ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا أَمْتِطِينَا الْحَضْرَمَى الْمَلْسَنَا
فَلَأَنْصُ لَمْ تَعْرِفْ حَنِينًا إِلَى طَلَا وَلَمْ تَذَرِ مَا قَرَعَ الْفَنِيْقُ وَلَا الْهِنَا^(٢)
ومثله قول الآخر :

رَوَّاحِلَنَا سِتٌّ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ نُبْجَسُنَ الْمَاءَ فِي كُلِّ مَنْهَلٍ

(١) أراد بالأطفال : الأحزان المتولدة عن الحب . والبنائق : جمع بنية ، وهى طوق اثوب الذى يضم النحر وما حوله ، وإذا أشد البيت :

* كما ضم أزرار القميص البنائق

كاهو فى أصله ، فالبنائق : العرى التى تدخل فيها الأزرار :

(٢) نعل حضرمى : إذا كان ملسنا وهو الذى فيه طول ولطافة على هيئة اللسان والطلا : الولد من ذوات الظلف ، وانقرع : الجرب ، والفنيق ، الفحل المكرم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته ، والهناء : اتمطران . تقول هنأت البعير : إذا طليته بالهناء وهو اتمطران .

شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّوعُ مِقْوَدُهَا^(١)
 أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيحِ يَسْبِقُهُ تَحْتِي مِنْ خَطْوِهَا تَأْيِدُهَا^(٢)
 فِي مِثْلِ ظَهْرِ المِجَنِّ مُتَّصِلٍ بِمِثْلِ بَطْنِ المِجَنِّ قَرَدَدُهَا^(٣)

(١) الشراك : سير النعل ؛ والكور : رحل الناقة ؛ والمشفر من الناقة : بمنزلة الشفة من الإنسان ؛ وزمام النعل : ما تشد إليه شسوعها ، وهى السيور التى تسكون بين خلال الاصابع ، والمقود : الحبل الذى تقاد به الدابة . جعل شراك نعله بمنزلة الرحل للناقة ، وزمامها بمنزلة المشفر لها ، والشسوع بمنزلة المقود .

(٢) عصف الرياح : شدة هبوبها ومن روى بضم العين فهو جمع عصفوف يقال ربح عاصف وعصفوف : بمعنى ، والجمع عصف . ويريد بقوله تأيدها : تأنيها وتأييدها . يقول : أهون سيرناقتى — يعنى نعله — يسبق أشد سير الرياح . يصف التنبي نفسه بأنه شديد العدو منتعلا ، وقال الواحدى فى قوله تأييدها : التأيد تفعل من الأيد ، وهو التقوى ، وليس المعنى على هذا ، وإنما أراد التفضل من الاتئاد وهو الترفق واللين ، ولم يحسن بناء التفضل منه ، وحقه تأودها ، وقال ابن القطاع : يقال آد الشيء يئيد أيداً : إذا قوى . ولو قال تأودها لكان قد بالغ ، وآد الشيء يئود أوداً : إذا أنقل . وفى كلام العرب ما آدك فهو لى آئد : أى ما أنقلك فهو لى منقل ، فيكون المعنى أشد عصف الرياح يسبقه ثقل سيرها . وهذا غاية المبالغة ، وكذلك لو قال : تأودها لكان أيضاً قد بالغ ، فالتؤد والتؤيد الترفق . يقال : وأد يد وأدا . والتاء — فى التؤدة — مبدلة من واو ، مثل تخمة ، فيكون المعنى : أشد عصف الرياح يسبقه ترفق سيرها ؛ وهذا هو المبالغة . وقيل : إن التأيد فى بعض اللغات الترفق ، وأنشد الحليل فى ذلك :

تأيدٌ على هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

أى ترفق :

(٣) فى مثل ظهر المجن : أى يسبقها تأييدها فى مفازة مثل ظهر المجن . فمثل نعت للحدوف : أى فى مفازة أو فلاة ، والمجن : الترس ، ومتصل نعت سببى لمفازة المهدوفة . وقرددتها : فاعل متصل ، وتروى متصل — بالرفع — على أنها خبر مبتدأ مؤخر ، وهو قرددتها ، والقردد : الأرض المرتفعة العليظة أو أرض فيها نجاد ووهاد . قال ابن جنى شبه الأرض بظهر المجن لما كانت خالية من النبات ، وظهر المجن نأتى ، وبطنه لاطىء

مُرْتِمَاتٌ بِنَا إِلَى ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ غِيظَانَهَا وَقَدَفْدَهَا^(١)
إِلَى فَتَى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدَّ أَنْهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدَهَا^(٢)
لَهُ أَيَادٍ إِلَى سَابِقَةٍ أَعَدَّ مِنْهَا وَلَا أَعَدَّدَهَا^(٣)

فهو كالصعود والحدور أى أن هذه المفازة محدبة مثل ظهر الحن يتصل ما ارتفع منها بأما كن منخفضة مثل بطن الحن : يعنى أنها ذات جبال ووهاد .

(١) مرتميات : خبر مقدم ، وغيطانها : مبتدأ مؤخر ؛ وتروى مرتميات - بالنصب - صفة لمفازة ، وغيطانها ، فاعل مرتميات : والغيطان ؛ جمع غائط ، وهو الطمئن من الأرض . والقدفد : الأرض الغليظة المرتفعة . يقول : إن هذه المفاوز غيطانها وقدفدها ترمينا إلى المدوح بقطنا إياها بالسير ، فكأنها تلقينا إليه ،

(٢) إلى فتى : بدل من ابن عبيد الله . ويصدر الرماح : ينزع من الطمئن من المطعون . وأنهلها : سقاها . وموردها - بضم الميم - على أنه اسم فاعل - وهو المدوح - فاعل أنهلها ؛ ويروى بفتح الميم على معنى المصدر ، فيكون المعنى أنهلها في القلوب ووردها : يعنى أنها وردت قلوب الأعداء ؛ والأولى أجود . يقول : ينزع الرماح وقد سقاها من دماء قلوب الأعداء . وعبرة الواحدى : يرجعها ويردها وقد سقاها بموضع ورودها في قلوب الأعداء دماءهم .

(٣) الأيادى : النعم ، وإلى : صلة سابقة ، أو صلة الأيادى مضمنة معنى الإحسان ، كأنه قال : له إحسان إلى ، لأنه يقال لك عندى يد ، ولا يقال لك إلى يد ، والعرب تصل الفعل بالمعنى لا باللفظ : قال تعالى « وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن » والمعنى لطف بي . وقوله أعد منها : يريد أنى غذى نعمته ، وريبب إحسانه ، بنفسى من جملة نعمه ؛ فأنا أعد منها ، وقال ابن جنى : أنا بعضها ، كما قال الحماسى :

لَا تَلْتَنِي بَعْدَ أَنْ رَشْتَنِي فَإِنِّي بَعْضُ أَيَادِيكَ

يريد أنه وهب له نفسه ؛ وتروى : أعد منها : أى أنه يعد بعض أيديه ، ولا يأتى على جميعها عدا لكثرتها ، وهو قوله ولا أعددها . كأن هذا من قوله تعالى « وإن تمدوا نعم الله لا تحسوها » أى لا تمدوا جميعها . ومن قوله تعالى « وأحصى كل شيء عددا » .

يُعْطَى فَلَا مَطْلَةَ يُكْدَرُهَا بِهَا وَلَا مَنَّةٌ يُنَكِّدُهَا^(١)
خَيْرٌ قُرَيْشٍ أَبَا وَأَعْبَدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا^(٢)

(١) الضمير في بها : للمطلة ، وفي يكدرها وينكدها : للأيدى ؛ ويروى مطله ومنه ، وبه بدل بها . يقول : إنه لا يمطل قبل العطاء ولا يمن بده . وينكدها : أى ينغصها ويقلل خيرها ؛ وكان يقال : المنة تهدم الصنيعة ؛ وقد مدح المولى جل وعز قوما فقال : « ثم لا يتبون ما أتفقوا منا ولا أذى » وقال الشاعر :

أَفْسَدْتُ بِالْمَنِّ مَا قَدَّمْتُ مِنْ حَسَنِ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أُعْطِيَ مِمَّنَّانِ
وعبارة العكبرى : يقول : له أيد لا يكدرها مطل ولا ينكدها من ؛ ولم يرد أن له مطلا لا يكدرها ، ومنا لا ينكدها ، وإنما أراد انتفاء المطل والمن عنه البته ، ومن هذا قول امرئ القيس :

• عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ

لم يرد أن فيه منارا لا يهتدى به ، ولكنه نفي أن يكون به منار . والمعنى : لا منار يهتدى به . ومثله قوله الآخر في وصف مفازة :

لَا تَفْرَعُ الْأَرْبَ أَهْوَالُهَا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ

لم يرد أن بها أربنا لم يفرع ولا ضبا ، ولكنه نفي أن يكون فيها حيوان . وعبارة الواحدى : يعطى فلا مطله بالأيدى يكدرها : أى أنه لا يمطل إذا وعد إحساناً ، ولا يمن بما يعطى فينكده .

(٢) يقول : إن أباه خير قريش ، لأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو خيرهم أباً ، لأنه ليس فيهم أحد أبوه أفضل من أبى المدوح . والنائى : العطاء ، وأباً وثقلاً : منصوبان على التمييز ؛ والمراد بقريش : القبيلة ، ومن ثم قال : أعبدتها وأجودها والمجد قيل هو الأخذ من الشرف والسود : ما يكنى ، وقال ابن السكيت : الشرف والمجد يكونان بالآباء ، يقال رجل شريف ملحد : أى له آباء متقدمون في الشرف . قال : والحسب والكرم^(١) يكونان في الرجل ، وإن لم يكن له آباء لهم شرف ، فأجودها : أسخطها .

(١) المراد بالكرم هنا : ضد الثوم .

أَطْعَمَهَا بِالْقَنَاءِ أَصْرَبَهَا بِالسَّيْفِ جَجَجَاحُهَا مُسَوِّدُهَا^(١)
 أَفْرُسُهَا فَارِسًا وَأَطْوَلُهَا بَاعًا وَمِنَوَارُهَا وَسَيِّدُهَا^(٢)
 تَاجُ لَوْيٍّ بِنِ غَالِبٍ وَبِهِ سَمَّا لَهَا فَرَعُهَا وَخَجْدُهَا^(٣)
 شَمْسٌ ضُحَاهَا هَلَالٌ لَيْلَتُهَا دُرٌّ تَقَاصِيرُهَا زَبْرَجْدُهَا^(٤)
 بِأَلَيْتٍ بِي ضَرْبَةٍ أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا^(٥)

(١) الججاجح : السيد الشريف ، وقد تقدم الكلام عليه ، والسود : الذى سوده قومه . قال الواحدي : ذكر القنأة والسياف مع الطعن والضرب تأكيداً لكلامه ، كما قال تعالى « يطير بجناحيه » وكما يقال : مشيت برجلي ، ولكنه بمعنى
 (٢) فارسا : حال . أى هو أفرسها إذا ركب فرسه ، وأكد الكلام بذكر الحال لأن أفرس يكون من الفرس والفراصة . وطول الباع مما يمدح به الكرام . يقال فلان طويل الباع : إذا امتدت يده بالكرم . ويقال للثيم : ضيق الباع ؛ والمعوار : الكثير الغارة .

(٣) لوى : أبو قريش . يقول : هو لهم بمنزلة التاج ، به يتشرفون ويتزينون ، وبه علا فرعهم وأصولهم : أى الأبناء والآباء ، والختد : الأصل ؛ وقوله لها : أتى بها ليقيم الوزن ، أو ليؤكد الإضافة ، وإلا فقوله سما فرعها : كلام تام حسن .

(٤) انتقاصير : القلائد التى تعلق على القمصرة ؛ والقمصرة : اصل العنق ، مفردتها : تقصار و تقصارة . يقول : هو فيها بينهم كالشمس فى النهار ، والهلل فى الليل ، والهرم والزبرجد فى القلادة . أى هو أفضلهم وأشهرهم ، وبه زينتهم وغرهم ، قال العكبرى : ويجوز أن يكون أراد أحسنهم لأن الشمس أكثر ما يكون نورها وحسنها عند الضحى وهلال ليلتها ، لأنهم يعتمدون عليه ، ويتطلعون إليه ، كما يتطلع إلى الهلال ليلة يستهل فيها . يريد أن عين الناس تنظر إليه إذا ركب وجرح إلى الناس كما تنظر إلى الهلال عند بدوه :

(٥) كان هذا المدوح قد أصابته ضربة على وجهه فى بعض الحروب ، قال العكبرى كان محمد بن عبيد الله هذا المدوح قد واقع قوما من العرب بظاهر الكوفة وهو شاب دون العشرين قتل منهم جماعة وجرح فى وجهه فكسته الضربة حسنا ، يقال : لبت الضربة التى قدر لها محمدها — يعنى المدوح — كما قدرت الضربة له ، كانت بي : أى

أَثْرٌ فِيهَا وَفِي الْحَدِيدِ وَمَا أَثْرٌ فِي وَجْهِهِ مَهْنَدُهَا^(١)
فَأَغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيَّنَّهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهَا^(٢)

ليتنى كنت فداءه من تلك الضربة فوقعت بي دونه . ويجوز — كما قال الواحدى — أن يكون الممدوح أتاح وجهه للضربة حيث أقبل للحروب وثبت حتى جرح ، فمنى أبو الطيب رتبته في الشجاعة ، وأضاف محمداً إلى الضربة إشارة إلى أنها كسته الحد فأكثرت حتى صار هو محمداً بها .

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . يقول : إن الضربة والسيف قصدا إهلاكه فردهما عن قصدهما ، فذلك تأثيره فيهما . فقوله : وما أثر في وجهه مهندها : أى لم يشنه ولم يجه فلم يؤثر تأثيراً قبيحاً ، وإنما زاده حسنا ، لأن الضربة على الوجه شعار الغوار ، والعرب يقتخرون بذلك . قال الحصين بن الحمام المرى :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمِي كَلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أقدامِنَا تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ^(١)

والظعن والضرب في الظهر عندهم مسبة وفضيحة . قال الشاعر :

وَلَكِنَّا يَحْزَى أَمْرُؤُا يَكْلِمُ اسْتَهُ قَنَا قَوْمِهِ إِذَا الرَّمَّاحُ هَوِينَا

ولك أن تقول : إنه أثر في الضربة والسيف ضعفا بإرعاش يد الضارب لهيئته واستعظام الإقدام عليه ، فلم يؤثر السيف في وجهه أثر يعتد به ، أو لم يصرفه عن المضى في القتال .

(٢) يقول : إن هذه الضربة عدت نفسها سعيدة حين رأت أنها قد تزينت بحصرها في وجهه ، وحسدتها بجهة الجراحات ، إذ لم تصب موضعا كرميا مثل هذا . وقوله : بمثله يريد به ، والمثل : صلة ، تقول مثلى لا يفعل هذا ، أى أنا لا أفعله . قال الشاعر :

يَا عَاذِلِي دَعْنِي مِنْ مِثْلِكَ مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَ

(١) الكلوم : الجروح ، وقيل البيت :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُنْقَدَمَا
وبسده :

فَلَقْتُ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَزَّ وَأَكْرَمًا

وَأَيَقِنَ النَّاسُ أَنْ زَارِعَهَا بِالْمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَحْضِدُهَا^(١)

معناه أنا لا أقبل منك ، ومن هذا قوله تعالى « ليس كمثل شيء » والنبطه حسن الحال ، أو هي النعمة والسرور . تقول غبطته بما نال أغبطه غبطاً وغبطة فاغبط هو ، كقولك منعته فامتنع وحبسته فاحتبس ؛ قال حرث بن جبلة الهندي :

وَبَيْنَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعَفُّوهُ الْأَعَاصِيرُ^(١)

قال الجوهري : أنشدته مغتبط -- بكسر ابناء — أي مغبوط ، أي والاسم النبطه

وهي حسن الحال .

(١) الضمير في قلبه : يعود إما إلى الزارع — أي الضارب — أي زرعها بمكر في قلبه ، وإما إلى المدوح : أي أن الضارب قد زرع هذه العداوة في قلبه . يقول : إن هذه الضربة جاءت مماكرة وغدراً ، لا سواحية وكفاحاً ، وأن ضاربها قد بندر بندراً خبيثاً لا بد حاصده : أي ملاق جزاءه عليه من المدوح .

(١) قلبه :

فَاسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَأَرْضَيْنِي بِهِ فَبَيْنَمَا الْعَصْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ

وبسده :

يَبْكِي عَلَيْهِ غَرِيبٌ لَيْسَ يَهْرَفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورٌ
حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرُهُ وَالدهرُ أَيْتَمًا حَالِ دَهَارِيرُ

[قوله استقدر الله خيراً : أي اطلب منه أن يقدر لك خيراً . وقوله : فبينما العصر فالعصر مبتدأ ، وخبره محذوف ، تقديره : فبينما العصر كأن أو حاضر . إذ دارت مياسير ؛ أي حدثت وحلت ، والياسير : جمع ميسور ؛ والرمس : القبر ، والأعاصير : جمع إعصار وهي الريح تهب بشدة . وقوله : كأن لم يكن إلا تذكرة ، فيمكن تأمة ، وتذكرة فاعل بها ، واسم كأن . مضمير ، تقديره كأنه لم يكن إلا تذكرة ، والهاء — في تذكرة — على الهاء المقدرة ، والدهر : مبتدأ ، ودهارير : خبره ، وأيتما حال : ظرف ، والعامل فيه : ما في دهارير من معنى الشدة . وقولهم : دهر دهارير أي شديد كقولهم : ليلة ليلاء . وقيل : الدهارير ، جمع الدهور ، أراد أن الدهر ذو حالين من بؤس ونعم . وقال الزمخشري : الدهارير : تصاريف الدهر ونوائيه ، مشتق من لفظ الدهر ، ليس له واحد من لفظه ، كما بيد] .

أَصْبَحَ حُسَادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُضْعِدُهَا (١)
تَبْكِي عَلَى الْأَنْصِلِ الْقُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجْرِدُهَا (٢)
لَعَلَّهَا أَنَهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرَّقَابِ يُفْعِدُهَا (٣)
أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعِ يَذُمُّهَا وَالصَّادِقُ يَحْمَدُهَا (٤)

(١) الواو — في وأنفسهم — واو الحال . يقول : إنه رمى حاده بالقيم المقعد .
فهم لا يستقرون على حال من القلق خوفاً منه وذعراً ، وهذا كما قال :

أَبْدَى الْعِدَاءَ بِكَ السَّرُورَ كَأَنَّهُمْ فَرَحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُقِيمُ الْمُقْعَدُ
(٢) و (٣) يقول : إذا أُنذِرَ القُمُودَ - جمع غمد - بتجريد السيف بكت القُمُودُ
على السيف لعلها أن السيف المذكورة ستعمد في دماء الأعداء حتى تلتطخ بها وتصير
كأنها دم ، وأن للمدوح سيجعل الرقاب غموداً لها بدلا منها . وهذا المعنى تعاورة الشعراء
من قديم . قال عنترة :

وَمَا تَذَرِي جُرْيَةَ أَنْ تَنْبَلِي يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَّجِيدُ (١)

وقال حسان :

وَمَنْ إِذَا مَا عَصَنَّا السِّيفِ جَعَلْنَا الْجَمَاجِمَ أَغَادَهَا

وقال الحماسي :

مَتَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَغَادُهُنَّ رُؤُوسُ الْمُلُوكِ (٢)

ويقول ابن الرومي :

كَسَاهُمُ الْعِزَّ إِنْ عَرَوْا مَنَاصِلَهُمْ فَمَا لَهَا غَيْرَ هَامِ الصَّيْدِ أَجْفَانُ

(٤) يقول : أطلق الأنصل فذمها العدو خوفاً وجزعاً منها ، وحمدها الصديق لحسن

بلائها في العدو .

(١) الجفير : الكنانة والجمبة التي تجعل فيها السهام .

(٢) قبله :

وإِنَّا لَتُصْبِحُ أَسْيَافُنَا إِذَا مَا اصْطَبَحْنَ يَوْمَ سَفُوكِ

(اصطبحن : شرين وقت الغداة ، وجعل اليوم سفوكاً لأن السفك يقع فيه . وقوله

(٣ - ٢) التني

تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبَّ مَاءُ الرَّقَابِ يُخْمِدُهَا (١)
إِذَا أَضَلَّ الْهَمَامُ مَهْجَتَهُ يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا (٢)
قَدْ أَجْمَعْتَ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ لِي أَنْكَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا (٣)
وَأَنْكَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَمِلًا شَيْخَ مَعْدَةَ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا (٤)

(١) يقول : إنها من شدة الضرب تهوى إلى الأرض فتقدهح منها النار فيخمدها ما ينصب من السماء عليها .

(٢) الهمام هنا : الملك العظيم ، والمهجة : الروح ، ونشد الضالة : طلبها ليعرف مكانها يقول : إذا قتل ملك ولم يعرف قاتله ، فأعما سيفوفه هي التي تطلب مهجته منها ، لأن سيوف المدوح قوائل اللووك ؛ أو تقول : إن سيوف المدوح هي التي تتأثر له ، ويروى بدل تنشدها : منشدها اسم مكان : أى أن سيوفه هي المكان الذي تطلب بهجة القتول منه ، لأن سيوفه - كما قلنا - قوائل اللووك ؛ ويروى فأطرافهن ينشدها - بنصب أطرافهن - وينشدها - بإياء المثناة التحتية - أى ينشدها في أطرافهن .

(٣) الخليقة : الخلائق والخلق . يقول : إن هذه الخلائق قد أجمعوا موافقين لي أنك أوحدهم فضلا ونسبا وشجاعة وكرما . وقال الواحدى : يجوز أن يكون على التقديم والتأخير : أى أوحدها لي : أى أوحدها إلى إحساناً وإفضالاً ، ولا يكون في هذا كثير مدح ويجوز أن يكون أجمعت فقالت لي والقول يضر كثيرا ، كقوله تعالى « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منسأ » أى ويقولان : ربنا تقبل .

(٤) وأنك : مخففة من أنك ضرورة ، والمحتلم : الغلام بلغ مبلغ الرجال ، وهو حال من التاء في كنت ، وشيخ معد : خبر كان ، والضمير في أمردها : لمدد ؛ وقوله : وأنت أمردها : عطف على الحال : أى محتلماً أمرد . يقول : وأنك بالأمس حين كنت غلاماً أمرد كنت شيخ معد يرجعون إلى رأيك ، فكيف اليوم مع علو السن ووفور العقل ؟ هذا : وهامى ذه طرفة نحومة للعلامة العكبرى قال : قوله وأنك : أراد أنك بالتشديد ، تخفف ضرورة مع الضمير ، كقول الآخر :

منارهن : أراد أنها إذ تنتضى فكانها تخطب واعظة للأعداء زاجرة لهم . يقول : إن سيوفنا تصير إذا شربت الصبح من دم الأبطال في يوم سفوك للدماء بهذه الحالة)

قَوْلُ أَنْكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتَنِي طَلَّاقَكَ لَمْ أَبْجَلْ وَأَنْتَ صَدِيقٌ^(١)
وإنما يحسن التخفيف مع المظهر كقوله :

وَصَدْرٌ مُشْرِقُ النَّحْرِ كَانَ مُذِيَاهُ حَقَّانٌ^(٢)

لأن الضائر ترد الأشياء إلى أصولها . وإذا خففت مع المظهر فتمثلها في مقدر ، وهو ضمير الشأن ، وترفع بعدها الجملة خبرا عنها ، تقول : علمت أن زيد قائم ، ومنه « وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين » و « أن لعنة » : في قرأه نافع وعاصم وأبي عمرو وقنبل ، وإذا وليها الفعل لم يجمعوا عليها مع النقص الذي دخلها وحذف اسمها : أن يلها ما يجوز أن يلها وهي مثقلة فكان الأحسن أن يفصل بينها وبينه بأحد أربعة أحرف : السين ، وسوف ، ولا ، وقد ؛ فتقول : علمت أن سيقوم ، وسوف يقوم ، وأن لا يقوم ، وقد يقوم ، قال تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » قال جرير :

زَعَمَ الْفَرْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرِيحًا أَبْشَرَ بِطَوْلِ سَلَامَةَ يَأْمِرِيعَ^(٣)

(١) بعده :

فَأَرَدَ تَزْوِيجَ عَلِيٍّ شَهَادَةً وَلَا رُدًّا مِنْ بَعْدِ الْحَرَارِ حَتِيقُ

يروى قراؤك - بدل طلاقك - وصديق : فعيل للواحد والجمع واللؤنت ، والحرار فصدر حر بحر من باب تمب : أي صار حرا ، والمراد بالرخاء : قيل لزوم العقد ، والرخص السعة : أي وقت إمكانه ، ولم أبجل : أي به : أي بل كنت أجيبك إليه . وقوله فما رد الخ : أي لو سألتني ذلك في وقت يقبله ، وهو ما قبل العقد لعلت ، ولكنه في وقت لا يقبله ، وهو بعد لزوم العقد لأنه لا يرد تزويج بعد إتمام شروطه ولزومه بالشهادة ، كما لا رد بعد البتق حقيق إلى الرق .

(٢) مشرق : مضى ، والنحر موضع القلادة من الصدر ؛ وحقان : تثنية حق ، وهو الوعاء المنحوت من العاج وغيره . يقول : إن هذا الصدر مضى أعلاه ، وكان التدين فيه حقان في الاستدارة والصغر .

(٣) مربع - بكسر الميم - لقب وعوذة أبي سعيد راوى جرير ، وكان الفردق قد حلف لقتله ، ومطلع القصيدة :

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَأْمَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كَلَامَ رَفَعُوا لِبَيْنِ تَجْمَزَعُ

فَكَمْ وَكَمْ نِفْمَةٌ مَجَلَّةٌ رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا^(١).

وقال أمية بن أبي الصلت :

وقد علمنا لو أن العِلمَ ينفمنا أن سوف يُتبع أولانا بأخرانا
وأما قوله تعالى « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » جاء بغير حرف من هذه الحروف
الأربع ، فذلك لأن ليس صيغة في الفعلية لعدم تصرفها ؛ وقد جعلها أبو علي حرفاً زماناً ،
ثم رجع عن ذلك . وقوله محتملاً : حال ، والعامل في الحال : كان ، قال أبو الفتح وجماعة
من أهل الصناعة : من جعل كان لا تعمل في الأحوال : فغير مأخوذ بكلامه ، لأن
الحال فضلة في الخبر منسكورة ، فرائحة الفعل تعمل فيها لما ظنك بكان ، وهي فعل
متصرف يعمل الرفع والنصب في الاسم الظاهر والضمير ، وليست كان في نصبها الأحوال
بأسوأ حالا من حروف التنييه والإشارة ؛ قال الشريف ابن السجري : قال للمري : كان
لا تعمل في الحال ، ويعمل العامل في الحال وأنت بالأمس : أي الفعل للضمير الذي عمل
في قوله وأنت بالأمس قال : وهذا سهو من قائله ، لأنك إذا عقلت قوله بالأمس
بمحذوف ، فلا بد أن يكون بالأمس خبراً لأن أو لكان ، لأن الظرف لا يتعلق
بمحذوف ، إلا أن يكون خبراً أو صفة أو حالا أو صلة ؛ ولا يجوز أن يكون خبراً لأن
ولا لكان ، لأن ظروف الزمان لا تكون أخباراً عن الجثث ولا صفات ولا صلوات
ولا أحوالاً لها ، فإذا استحتم أن يتعلق بالأمس بمحذوف علقته بكان ، وأعملت كان
في محتملاً . وقوله : شيخ معد : خبر كان .

(١) مجللة : شاملة من جمل المطر الأرض : طبقها ؛ وربيتها : تهديتها بأن قربتها
بأمثالها ؛ وكان منك مبدؤها : أي ابتداءها ، أي أنك ابتدأتني بالصنعة ثم ربيتها فلم
تكن واحدة تنسى على طول العهد ، بل متعددة متوافرة . وقوله قصة : قال العكبري
رويت - نصبا وسجرا - : فمن نصب أراد الاستلهم ، ومن جر أراد الخبر ، وهذا
الأجود ، لأنه أراد الخبر عن كثرة ماله .

وآخرها :

ورأيت نَبْكَ يا فَرَزْدَقَ قَصْرَتُ

ورأيت قَوْسَكَ ليس فيها مِزْعُ

وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٌ سَمَّخَتْ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيْكَ مَوْعِدُهَا^(١)
وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِرِّ إِلَى مَنْزِلِي تَرُدُّهَا^(٢)
أَقْرَبَ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَلَا أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَحْجَدُهَا^(٣)
فَمَنْذُ بِهَا لَا عَدِثُهَا أَبَدًا
خَيْرٌ صَلَاتِ الْكَرِيمِ أَعُوذُهَا^(٤)

(١) سمحت بها : أى قضيتهالى ؛ وموعدها : أى موعد قضائها : أى أن موعد قضائها أقرب إلى من نفسى . يريد قصر الوعد وسرعة الإنجاز . وقال الخطيب التبريزى هو من كلام الصوفية ، وهذا يدل على أنه كان متصرفا فى أفانين الكلام .
(٢) المكربة : ما يكرم به الإنسان من بر والطف ، يريد بها هنا ثيابا أهدها إليه ، ولذلك يقول فى البيت التالى : أقر جلدى بها على . وقوله على قدم البر : استعارة جميلة بارعة . وقال الواحدى : قوله على قدم البر : أى أن حاملها كان من جملة الهدية لأنه كان غلاما للمدوح . ويجوز أن يراد أنها على أثر بر سابق ، وتردها : أى تعيدها إلى وتكررها على . ويروى تردها على الصدر .
(٣) أى اعترف جلدى بها لظهورها على . فكأنه باكتسائه بها ناطق مفر ، كما قال الناشئ الأكبر :

لَوْلَمْ يَبِيحْ بِالشُّكْرِ لَفِطِي نَخَبْرَتْ يَمِينِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَشِمَالِيَا
(٤) أعودها : أى أكثرها عودا . يطلب منه إعادة العطية .

وقال أيضاً في صباه :

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَهِيدٍ
بِإِيَّاسِ الطَّلِي وَوَرْدِ الخُدُودِ (١)
وَعُيُونِ المَهَا وَلَا كَمُيُونٍ فَتَكَّتْ بِالمَتِيمِ العَمُودِ (٢)

(١) الطلا : الأعناق ؛ وشهيد : صفة لتقيل . وأصل الشهيد : من قتل مجاهداً في سبيل الله ، ثم توسع فيه فأطلق على من مات غرقاً أو حرقاً وما إليهما . وجعل النبي من قتله الحب شهيداً ، وقد رووا في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « من عشق فنفث ثم مات مات شهيداً » هذا : وقد قال العكبري : كم : كلمة موضوعة للعدد ؛ وذهب أصحابنا إلى أنها مركبة ، وذهب البصريون إلى أنها مفردة ، حجبتنا أن أصلها ما زيدت عليها الكاف لأن العرب تصل الحرف في أوله وآخره ، ثم وصلته من أوله نحو هذا ، ومما وصلته في آخره نحو « إما تريني ما يوعدون » فكذلك كم : زادوا الكاف على ما ، فصارتا كلمة واحدة ، وكان الأصل أن يقال في كم مالك ؟ : كما مالك ؟ إلا أنه حذف الألف لكثرة الاستعمال ، ونظير « كم » لم ، لأن الأصل في لم : ما ، فزيدت عليها اللام ، فصارتا كلمة واحدة ، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال ، وسكنت الليم ، فقال : لم . فقلت ؟ وزيادة الكاف كثيرة . قال الله تعالى « ليس كمثل شيء » أى ليس مثله . وحكى عن بعض العرب أنه قيل له : كيف تصنعون الأقط ؟ قال كهيبن ، قال الراجز .

* لَوَاحِقَ الأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَتَّقِ *

أى المتق وهو الطول ؛ وحجة البصريين أن الأصل هو الأفراد ، والتركيب فرع ، ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ، ومن عدل عن الأصل اقتصر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل ، واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتمدة .

(٢) المها : جمع مهاة ، وهي بقر الوحش ، تشبه عيون النساء بعيونها في حسنها وسعتها . وقتكت : قتلت بغتة ، والمتيم : الذى استعبده الحب ؛ والعمود : الذى أضناه الحب وأوجعه ، وعنى بالتميم العمود : نفسه ، يقول : كم قتيل قتل بعين أحبته التى هى كعيون المها ، وليست تلك العيون التى قتله كالعيون التى قتلتى وقتكت بى فإنها لا تشبه بغيرها ؟ !

دَرَّ دَرَّ الصَّبَا أَيَّامَ تَجْرِيرِ ذُبُولِي بَدَارِ أُمَّةٍ عُودِي (١)
عَمْرَكَ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتَ بُدُورًا طَلَعَتْ فِي بَرَاقِعِ وَعُقُودِ (٢)
رَامِيَاتٍ بِأَسْنَمِهِمْ رِيَشَهَا الْهُدَى بُ تَشُقُّ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْجُلُودِ (٣)

(١) الدر : اللبث ؛ ويقال لمن يدعى له : در دره : أى كثر خيره ، لأن الخير فى ذلك عند العرب . ويقال لمن يدعى عليه لادر دره . وأيام : منادى ؛ وتجرير الذبول : كناية عن النشاط واللهو لأن النشيط أو النشوان يجر ذيله ولا يرفعه . ودار أمة : موضع بظهر الكوفة . يتمنى أن تعود هذه الأيام له .

(٢) قوله عمرك الله : قال العكبرى - تقلا عن الجوهرى صاحب الصحاح - وكثيرا ما يعتمد عليه - هو مصدر ، يقال : أطال الله عمرك وعمرك - بالفتح والضم - وهما وإن كانا مصدرين بمعنى : إلا أنه استعمل أحدهما فى القسم - وهو المفتوح - فإذا أدخلت عليه اللام رفعت بالابتداء - فقلت لعمر الله ، واللام لتوكيد الابتداء ، والخبر محذوف ؛ والتقدير لعمر الله قسى ، فإن لم تأت باللام نصبت نصب المصدر وقلت عمر الله ما فعلت كذا وعمرك الله ما فعلت كذا ، ومعنى لعمر الله وعمر الله : أحلف ببقاء الله ودوامه ، وإذا قلت عمرك الله فكأنك قلت بتعميرك الله : أى بإقرارك له بالبقاء . وقول عمر بن أبى ربيعة :

أَيُّهَا الْمَنْكُحُ الثَّرِيَا سُهَيْلَا عَمْرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

يريد : سألت الله أن يطيل عمرك ، لأنه لم يرد القسم بذلك ، وسهيل تورية ، وكذلك الثريا ، وهما رجل وامرأة ، ولم يرد النجمين ، وهو فى قول المتنبي مصدر ، معناه : سألت الله أن يعمرك تعميرا . . . يخاطب المتنبي صاحبه وشبه النساء بالدور .

(٣) راميات : صفة لدور - فى البيت السابق - والمراد بالأسهم : العيون . والهدب الشعر الذى على أشعار الأجنان : شبهه بريش السهم . يقول : إن هذه الأسهم تنفذ إلى القلوب فتشقها دون أن تشق الجلود . بخلاف الأسهم المعروفة . قال كثير :

رَمَتْنِي بِسَهْمِ رِيَشِهِ الْكُحْلُ لَمْ يُصِيبْ

ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحٌ

وقال جميل :

وَمَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ يَدٌ وَمَرَّ الْعُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ

يَتَرَشَّفَنَّ مِنْ فِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ (١)

بَأَوْشَكَ قَتْلَاكَ يَوْمَ رَمَيْتَنِي نَوَافِذَ لَمْ تُعَلِّمْ لَهْنُ خُرُوقِ (١)
(١) رشف الريق وترشفه : مصه . وقوله أحلى من التوحيد : أى كلمة التوحيد .
ويروى حلاوة التوحيد : أى هن فيه كحلاوة التوحيد . قال ابن جنى : يروى أن المتنبي
أنشده هكذا : هن فيه حلاوة التوحيد . وقالوا - للتخلص من هذه البالغة المفرطة -
إن التوحيد نوع من عمر العراق . . والوجه أن يقال إن مثل هذه البالغات مقبول مستساغ في
مذهب الشعراء ؛ على أن أفضل قد لا يراد به تفضيل الأول على الثانى فى كل المواضع ،
وهنا مثلاً قد يراد أن هذا الترشف بلغ البالغ فى الحلاوة حتى يشبه حلاوة كلمة التوحيد ،
وقد جاء مثل هذا كثيراً فى كلام العرب ، وعبارة الواحدى : كنى يعصن ريقى لهن
إياى ، فكانت الرشفات فى فى أحلى من كلمة التوحيد ، وهى لا إله إلا الله ، وهذا
إفراط وتجاوز حد ؛ وقال ابن القطاع ذهب كثير من الناس إلى أن لفظة أفضل من كذا
توجب تفضيل الأول على الثانى فى جميع المواضع ، وذلك غلط ، والصحيح أن أفضل

(١) بين هذين البيتين بيتان هما :

لَهُ مِنْ خَوَافِي النَّسْرِ حُمْ نِظَائِرٌ وَنَصَلٌ كَنْصَلِ الزَّاعِي فَتِيقُ
عَلَى نَبْعَةِ زَوْرَاءِ أَيَّمَا خِطَامُهَا فَمَتْنٌ وَأَيَّمَا عُودُهَا فَمِيتِقُ

صاب السهم نحو الرمية يصوب فهو صائب إذا قصد ولم يجر ، والتابل : ذو النبل وعمر
العقدتين ؛ يريد وترا أحكت عقدتا طرفيه ، وأصل المر : الحبل الشديد القتل . وقوله
من خوافى النسر : يريد ريش السهم ، وريش النسر أجود للسهم من ريش كل طائر ،
والحم جمع أحم ، وهو الأسود ، وجعلها نظائر فى مقاديرها لأن ذلك أقصد للسهم .
وقوله كَنْصَلِ الزَّاعِي : أى كَنْصَلِ الرَّمْحِ الزَّاعِي . قال الأصمى : الزاعى هر الذى إذا
هر فكأن كعوبه يجرى بعضها بعض اللينه وتثنيه ، من قولهم : هر يزعب بحمله إذا
مر به مرآ سهلا . وقوله فتيق : يريد حاداً رقيقاً . وقوله على نبع : يريد قوساً ، وأكرم
القسى ما كان من النبع - شجر معروف - وقوله بأوشك قتلا منك : أى بأسرع . وزوراء
أى معوجة ، وكلما كانت القوس أشد انعطافاً كان سهمها أمضى . وأيما : يريد أما ،
وخطام القوس : وترها ، ومتن : أى ذو صلابة وقوة . وقوله وأيما : عودها فتيق
يصف كرم هذه القوس وعقتها .

كُلِّ خُمْصَانَةٌ أَرْقَ مِنْ الْخُمْسِ بِقَلْبِ أَقْسَى مِنَ الْجُمُودِ^(١)

يجيء في كلام العرب على خمسة أوجه : أحدها أن يكون الأول من جنس الثاني ولم يظهر لأحدهما حكم يزيد على الأول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل ، فهذا يكون حقيقة في انفضل لا مجازا ، وذلك كقولك : زيد أفضل من عمرو ، وهذا السيف أصرم من هذا . والثاني : أن يكون الأول من جنس الثاني ، ومعملا للحاق به ، وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح ، فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل ، نحو قولك : الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عمرو ؛ وبيت التنبي من هذا القبيل : أى يرشفن من فمى رشفات هن قريب من التوحيد . والثالث : أن يكون الأول من جنس الثاني أو قريبا منه ، والثاني دون الأول ، فهذا يكون على الإخبار المحض ، نحو قولك : الشمس أضوأ من القمر ، والأسد أجراً من النمر . والرابع : أن يكون الأول من غير جنس الثاني وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة واشتهر الأول من جنسه بالفضيلة ، فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض ، والترض أن يحصل للأول بعض ما يحصل للثاني ، نحو قولك : زيد أشجع من الأسد وأمضى من السيف . والخامس : أن يكون الأول من غير جنس الثاني والأول دون الثاني في الصفة جدا ، فيكون هذا على المبالغة المحضة ، نحو قامته أتم من الرمح ووجهه أضوأ من الشمس ، وجاء في الحديث : « ما أقلت النبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لمجة من أبى ذر » ذهب من لا يعرف معانى الكلام إلى أن أباذر أصدق العالم أجمع ، وليس الأمر كذلك ، وإنما نبى عليه الصلاة والسلام أن يكون أحد أعلى منه رتبة في الصدق ، ولم ينب أن يكون في الناس مثله في الصدق ، ولو أراد ما ذهبوا إليه لقال : أبو ذر أصدق من كل من أظلت وأقلت . وروى الأكثر : أحلى من التوحيد ؛ ومن روى حلاوة التوحيد أراد هى عندى مثل حلاوة التوحيد ، فحذف المضاف ورفع .

(١) الخمصانة — بفتح الخاء وضمها : الضامرة البطن . وعنى برقتها : نومتها وصفاء لونها ؛ وقوله بقلب الخ : أى مع قلب أصلب من الحجر . يقول : أجسامهن ناعمة وقلوبهن قاسية . وقوله كل : قال البكبرى : يجوز فيه الرفع على البدل من الضمير في يرشفن ، وعلى هذا يرفع أرق : حملا على كل . ويجوز نصبه ، وهو في موضع خفض نعتا لخمصانة ، ويجوز نصب كل حملا على التعت لبدورا ، فيكون بدل تبيين .

ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّهَا ضُرِبَ الْعَنْبَرُ فِيهِ بِمَاءٍ وَزِدٍ وَعُودٍ^(١)
 حَالِكٍ كَالْعُدَافِ جَثَلٍ دَجُوجِيٍّ أَثِيثٍ جَعْدٍ بِلَا تَجْعِيدٍ^(٢)
 تَحْمِيلُ الْمِسْكِ عَنْ غَدَائِرِهَا الرِّيحُ وَتَفَرُّهُ عَنِ شَنِيبٍ بَرُودٍ^(٣)
 جَمَعَتْ بَيْنَ جِسْمِ أَحْمَدَ وَالسَّقَمِ وَبَيْنَ الْجُفُونِ وَالتَّسْهِيدِ^(٤)
 هَذِهِ مُنْجَعِي لَدَيْكَ لِحِينِي فَأَنْقِصِي مِنْ عَذَابِهَا أَوْ فَرِيدِي^(٥)
 أَهْلُ مَا بِي مِنَ الضَّنِيِّ بَطْلٌ صَيْدٌ بَتَّصْفِيفِ طُرُقَةٍ وَبِجِيدٍ^(٦)

(١) ذات : صفة أخرى لمحصانة ؛ والفرع : شعر الرأس . وضرب : خلط ، وقوله
 وعود ؛ - في آخر البيت - متعلق بمحذوف : أى ودخن بعود ، لأن ماء العود لا طيب
 له ، وإنما تفوح رائحته بالاحتراق ؛ وهذا مثل قولهم :

* عَلَفْتَهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا *

قال الشريف بن الشجرى فى أماليه : قوله وعود : برد ودخان عود ، لأن العود
 لا ماء له . يقول المتنبي : إن شعرها طيب الرائحة ، فكأنه خلط بهذه الأصواع من
 الطيب .

(٢) حالك : نعت فرع : والحالك : الشديد السواد . والعداف : الغراب الأسود .
 والجثل : الكثير الملتف ؛ والدجوجى : المظلم ؛ والأثيث : الكثيف ؛ وقوله جعد بلا
 تجعيد : أى خلق جعدا من غير أن يجعد .

(٣) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة . وتفتر : بتسم ، وعن شنيب : أى عن
 شعر شنيب ، والشنب : البياض والبريق وتخزيز أطراف الأسمان ، وقيل طيب نكمتها ؛
 وقيل تفلجها ؛ والبرود : البارد . ويروى عن شتيت ، وشعر شتيت : مفرق مفلج ،
 يقول : إنها طيبة الريح فكان الريح إذا مرت بها تحمل المسك من غداؤها .
 (٤) أحمد : يعنى نفسه ؛ والتسويد : السهر . يقول : جمعت بين جسمى والسقام وبين
 جنونى والسهاد .

(٥) المهجة : دم القلب ، وتوضع موضع الروح ؛ والحين : الهلاك . يقول : هذه
 روحى أسلمها إليك ، ولكن لأجل هلاكى ، فإن شئت فأنقصى من عذابها بالوصل ،
 وإن شئت زيدتها عذاباً بالهجر . وقال العكبرى : إن جعل هذه إشارة : فليدرك يتعلق
 بمعنى الإشارة ، وإن جعلها نداء - بحذف النداء - كان متعلقا بالاستقرار .

(٦) أهل : مبتدأ ؛ وبطل : خبره . أى يستحق ما بى من الضنى بطل الخ والطرة :

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدَّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خَلَا دَمَ الْعَنْقُودِ (١)
 فَاسْتَقِيهَا فِدَى لِمَعِينِكَ نَفْسِي مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي (٢)
 شَيْبُ رَأْسِي وَدَلَّتِي وَنَحْوِي وَدُمُوعِي عَلَى هَوَاكَ شُهُودِي (٣)

شعر الجبهة ؛ وتصنيفها ؛ تسويتها — وهذا البيت كالعلة لما قال في البيت السابق . يقول :
 افعل ما شئت فأني أهل لذلك ومستحق له ، لأن الرجل الشجاع إذا صادته المرأة بتصنيف
 طرفتها وحسن عنقها فهو أهل لما حل به . ويحتمل أنه إنما قال هذا كالتشفي من نفسه
 والألم لها على هذا المشق . وقال ابن القطاع : قوله أهل مابي الخ : معناه أنا أهل مابي
 وحقيق به وأنا بطل صيد وعبرة ابن جنى : أنا أهل ذلك وحقيق بحسن ما رأيت وأنا
 بطل صيد الخ .

(١) دم العنقود : الحمر ؛ وروى : أبنه العنقود . قال الواحدى : وليس الأمر على
 ما قالك ، لأن شرب الحمر لا يخل ، إلا أن يريد بدم العنقود : العصير ، أو مالا يسكر من
 للطبوح . . . أقول : إن مثل هذا إنما يقوله الفقهاء وأشباه الفقهاء ، وكلام النبي ساطع في
 مذهب الشراء ، وهو من قبيل قول أبي نواس :

فِي مَجْلِسِ ضَحِكِ السَّرُورِ بِهِ ، عَنْ نَاجِذِيهِ وَحَلَّتِ الْحُمْرُ

أى حلت الحمر المحرمة . والمعنى — ان المجال بلغ من البهجة والراح والأنبساط الغاية
 التي لا بعدها . قال العكبرى : وسُميت الحمر لما لأنها تسيل من العنقود كما يسيل دم القنوت
 وقال : قوله ما خلا : إذا قلت جاء القوم ما خلا زيدا : فليس إلا النصب ، وإذا قلت جاء
 القوم خلا زيدا : كان الجر لا غير ، وقال ابن جنى : إذا أسقطت «ما» جررت ، وكان أقوى
 من النصب ، لاحتماله إياه .

(٢) طارفي وتليدي : معطوفان على تسمى ؛ وقوله من غزال : تخصيص له بالفداء
 من جملة الغزلان ؛ ومثله أفيديك من رجل . والطارف — ومثله الطريف — ما استحدث
 عندك من مال ؛ والتاليد — ومثله التليد — ما كان عن إرث الآباء . يقول : استقى
 الحرة فأنا أفيديك بنفسى وما أملك . قال العكبرى : أنت الضمير في استقيها ؛ لأنه أراد
 بالدم الحمر ، وذكر ضمير عينيك ، والأفعال بعد ، لقوله من غزال على لفظه لا مضناه ،
 لأن المراد بالغزال المشوقة وتقدير الكلام : فدى لمعينك من غزال تسمى وطارفي وتليدي
 (٣) شيب رأسى : مبتدأ ، وما بعده : عطف عليه ؛ وشهودى خبره ، وعلى هواك :

متعلق بشهودى . وهذا من قول الآخر :

أَيَّ يَوْمٍ سَرَزْتَنِي بِوَصَالٍ لَمْ تَرُغْنِي ثَلَاثَةَ بَصُودٍ (١)
مَا مُقَامِي بَارِضٍ نَخْلَةٍ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ (٢)
مُفْرَشِي صَهْوَةٍ الْحِصَانِ وَلَكِنْ قَيْصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدٍ (٣)
لَأُمَّةٍ فَاضَةٌ أَضَاةٌ دِلَاصٌ أَحْكَمْتُ نَسْجَهَا يَدَا دَاوُدَ (٤)
أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنَعْتُ مِنَ الدَّهْرِ بَعِيثٍ مُعْجَلِ التَّنْكِيدِ (٥)
ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ
قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قَمُودِي (٦)

أَوْ مَا كَفَاكَ تَغْيِيرِي وَنَحْوُ جَسِي شَاهِدًا

(١) أي منصوب على الظرفية : أي في أي يوم . وراعه : أفزعه . يقول : لم تسرنني يوما بالوصول إلا رعتني ثلاثة أيام بالصد والإعراض . وقال العسكري : أي نصب ، وهو استفهام خرج مخرج النبي ، كما تقول لمن يدعي أنه أكرمك : أي يوم أكرمتني قط .
(٢) المقام بمعنى الإقامة ؛ ونخلة : قرية لبني كلب قرب بلبك . يقول : إن أهل هذه القرية أعداء لي ، كما كانت اليهود أعداء للسيد المسيح . قال الواحدي : وبهذا البيت لقب بالثني ، لتشبيهه نفسه بالسيد المسيح في هذا البيت ، وبصالح عليه السلام فيما بعده .
(٣) المفرش : موضع الفراش . ومفرشي الخ : في موضع الحال ، والصهوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس . والحصان : الفرس الفحل . والمسرودة : الدرع المنسوجة من الحديد . يقول : إنني شجاع ، مكاني ظهر الفرس ، وثيابي الدروع : أي أنني أبدأ بهذه القرية على هذه الحالة تيقظا وتأهبا .

(٤) لأمة : درع ملتزمة الصنعة ، بدل من قوله مسرودة : وفاضة : سائفة ؛ يقال درع فاضة : أي تفيض على جسم لابسها فتعمه . والأضاة : الغدير ؛ شبه الدرع به لبريقها وصفائها ؛ والدلاص : البراقة اللينة للسواء ؛ ودرع دلاص وأدرع دلاص ، الواحد والجمع على لفظ واحد ، وداود : هو سيدنا داود ، أول من عمل الدرع ، كما قال جل شأنه : «وَأَنزَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ» . يقول : قيصي لأمة محكمة النسيج من صنع داود الخ .

(٥) يقول : إذا قنعت من الدهر بعيش قد جعل لي نكده وأبطأ على خيره ، فأين فضلي ؟ يعني إذن لأفضل لي ، فكأنه قد خفي فليس يرى . ثم قال - في البيت الثاني - : لقد تصببت في طلب الرزق ولم أحصل من ذلك بطائل ، ومن ثم ضاق صدري لكثرة ما نصبت وطال سفرى وقل قمودي عن السفر .

أَبَدًا أَفْطَحُ الْبِلَادَ وَتَجْمِي فِي نُحُوسٍ وَهَمِّي فِي سُودٍ (١)
وَلَمَلِي مُؤَمِّلٌ بَعْضَ مَا أَبْلُغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدٍ (٢)
لِسِرِّي لِبَاسُهُ خَشِينُ الْقَطَنِ وَمَرْوِيٌّ مَرْوٌ لَيْسُ الْقُرُودِ (٣)
عِشْ عَرِيْرًا أَوْ مَتَّ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَمَنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ (٤)

(١) يقول: إنه طموح، بعيد الهمة؛ دائب السى وإن قل حظه من الرزق كما قال أبو تمام:

هَمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدُّهُ أَلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهَوَ حَضِيضٌ
وقال الآخر:

وَلِي هَمَّةٌ فَوْقَ نَجْمِ السَّمَاءِ وَلَكِنْ حَالِي تَحْتَ التَّرَى
فَلَوْ سَاعَدَتِ هَمِّي حَالَتِي لَكُنْتُ تَرَى غَيْرَ مَا قَدْ تَرَى

(٢) يقول: لعل العزيز الحميد سبحانه وتعالى مبلغني فوق ما أرجوه، فيكون ما أرجوه الآن بعض ما سأبلغه. أو تقول: إن الكلام على القلب: أى لعل بلطف العزيز الحميد أبلغ بعض ما أرجوه. وعبرة الواحدى يقول: لعل راج بعض ما أؤمله بلطف الله؛ ثم قال: وفيه وجه آخر، وهو أن المرجر محبوب، والمكروه لا يكون مرجوا. بل يكون محذورا، فهو يقول: لعل راج بعض ما أبلغه وأدركه من فضل الله: أى ليس جميع ما أبلغه مكروها، بل بعضه مرجو ومحبوب. وقال ابن القطاع: أوخذ في قوله ولعل مؤمل الخ؛ إذ كيف يؤمل بعض ما يبلغ؟ وإعنا وجه الكلام أن يقول: ولعل أبلغ بعض ما أؤمل، وليس كذلك، بل المعنى: ولعل أبلغ آمالي، وأزيد عليها حتى يكون ما أؤمله بعض ما أبلغه... . وقيل معناه: أنا أؤمل أكثر ما أطلب، فلعل أبلغ بعض ما أؤمله، لأن ما أؤمله بعض ما أبلغه أو لأن ما أؤمله لا يبلغ إليه أحد.

(٣) السرى: للماجد الشريف. وللروى: ثياب رفاق تنسج بمرى - وهى بله بخارس - يقول: لعل أبلغ بعض ما أؤمله بلطف الله لسرى - يعنى نفسه - يتكشف في لباسه قلبه القطن الحشن - والعرب تمدح بخشونة اللبس واللطم، وتيب الترف والنعيم أما الثياب الرقيقة فهى لبس اللثام - وروى بسرى: أى أبلغه بإقدام هذا السرى وهيمته.
(٤) البنود: الأعلام الكبيرة، وخفق البنود: اضطرابها. يقول: إما أن تبيض عزرا ممتعا من الأعداء، أو تمت موت الكرام فى الحرب، لأن القتل فى الحرب يدل على شجاعة للقتول، والقتل خير من العيش فى ذل.

فَرُّهُوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلغَيْظِ وَأَشْفَى لِغَيْلِ صَدْرِ الخُفُودِ (١)
لَا كَمَا قَدْ حَيَّيْتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مِتُّ مِتَّ غَيْرَ قَبِيدٍ (٢)
فَاطْلُبِ العِزَّ فِي لَطْفِي وَذَرِ الذَّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جَنَانِ المَوَلُودِ (٣)
يُقْتَلُ العَاجِزُ الجَبَانُ وَقَدْ يُفَجِّرُ عَن قَطْعِ بَحْنِقِ المَوَلُودِ (٤)
وَيُوقِي الفَتَى المِخْشُ وَيَدُ خَوْضٍ فِي مَاءِ لَبَّةِ الصَّنِيدِ (٥)
لَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِمَجْدُودِي (٦)

(١) الغل : الحقد . يقول : إذهب الغيظ بالرماح أكثر من إذهابه بالسلم ، وأشفي لغل صدر الخفود من أعدائه . وقال العسكري : تقول ذهبت بالغيظ ولا تقول ذهبت بل أذهته ، والوجه أن يقول أشد إذهابا لغيظ ، لأن أفضل لا يبين من الإفعال إلا في ضرورة الشعر . ولكنه جاء على حذف الزوائد ؛ ولو قال بالغيظ لاستغنى .

(٢) يقول : عش عزيزاً أو مت في الحرب كريماً ولا تحش كما عشت إلى الآن ذمياً لا تستطيع أن تصنع الناس فيحمدوك ، فإذا أنت مت وجدوا مثلك كثيراً فلا يفتقدونك ولا يكثرنون لموتك ، لأنهم إنما يبالون من له إقدام وشجاعة وأفاعيل يكرها . . . هذا ؛ ويقال حي يحيى حياة وحى - بالإدغام - وقوله تعالى «ويحيى من حي بينة» قال الفراء : كتابها على الإدغام ياء واحدة هي أكثر القراءات .

(٣) لطفي : من أسماء جهنم وهي معرفة لا تنصرف ، والكلام بكلمة مبالغة في طلب العز والبعد من الذل ، وإلا فلا عز في جهنم ولا ذل في الجنة .

(٤) الخنق : خرقه قنع بها الرأس وتشد تحت الحنك . يقول : قد يقتل العاجز الجبان ، فليس العجز والجبن من أسباب البقاء ، فإياك والعجز والجبن حبا للبقاء .

(٥) المخش : الجريء على الليل والدخال في الأمور والحروب ؛ وخوض : بالغ في الخوض . واللبنة : أعلى الصدر ؛ وماؤها : دماها ، والصنيد : السيد الشجاع . والبيت تسكته لما ذكره في البيت السابق . يقول : كما أن العاجز الجبان قد يقتل يسلم الشجاع الملوأر وقد خاض في الحروب حتى غاص في دماء الصناديد ، يحث على الإقدام كما نهى عن الجبن فيما قبله .

(٦) هذا كما قال القائل :

نفس عِصَامٍ سَوَدت عِصَاماً وَعَلَمَتُهُ الكَرُّ والإقْدَامَا

وَبِهِمْ فَخْرٌ كُلٌّ مِّنْ نَّفَقَ الضَّا
دَ وَمَوْذُ الْجَانِ وَعَاوِثُ الطَّرِيدِ (١)
إِن أُكِّنْ مُعْجَبًا فَمُعْجَبٌ عَجِيبٌ
لَمْ يَجِدْ قَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ (٢)

وَصِيرْتُهُ مَلِكًا هُمَامًا

حَتَّى عَدَا وَجَاوَزَ الْأَقْوَامَا (١)

وقال عامر بن الطفيل :

وإني وإن كنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ وفارسها المشهور في كلِّ مَوْكِبِ
فأسوِّدَتْنِي عامِرٌ عَن وِرَاثَةِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بَأَمَ وَلَا أَبِ
وَلَكِنِّي أُحِبِّي حَمَاهَا وَأَتَقِي أَذَاهَا وَأُرِي مَن رَمَاهَا بِمَنْكَبِ (٢)
قال الواحدي : لو اقتصر للتعب على هذا البيت لكان الأم الناس نسا . لكنه

قال بعده البيت التالي .

(١) كل من نطق الضاد : العرب ، لأن الضاد لا توجد في غير العربية . يقول :
على أنه بقومي نخر العرب جميعا ، وبهم عوذ الجاني : أي أن من نجى جناية وخاف على
نفسه لجأ إلى قومي ليأمن على نفسه ، وبهم غوث الطريد - وهو الذي نفي وطرد - أي
أنه يستغيث بهم فيغيثونه وينصرونه .

(٢) للمعجب : الذي يعجب بنفسه . والعجيب : الذي يعجب غيره . يقول : إن
كنت مضميا بنفسى فهذا اللعجب صادر من رجل عجيب لا يرى لأحد منزلة يمتاز بها عليه ،
فليس عجبى إذا بمنسك .

(١) عصام : هو حاجب الثمان بن اللندر ، وهو عصام بن شهر الجرمي ، وفي المثل
كن عصاميا ولا تكن عظاميا . يريدون به قول عصام هذا ، والمعطامى . الذى يفتخر
بآبائه ويتكلم على مجدهم .

(٢) أممو : من السموم ، وهو العلو والارتفاع ؛ وقوله بمنسك : يريد أرى من
رماها بجماعة رؤساء من الفوارس ، والمنسك : رأس العرفاء . وقيل أعوان العرفاء
من النكبة ، وهى العرافة .

أَنَا تَرْبُ النَّدَى وَرَبُّ الْقَوَافِي وَسِمَامُ الْعِدَا وَغَيْظُ الْحُسُودِ (١)
أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللَّهُ هُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي شُودِ (٢)

(١) رَبُّ الْإِنْسَانِ : مَنْ وَلَدَ مَعَهُ فِي وَقْتٍ ، وَالنَّدَى : الْجُودُ ، وَالنَّمَامُ : جَمْعُ سَمٍ .
يَقُولُ : أَنَا أَخُو الْجُودِ وَلِدْنَا مَعًا ، وَأَنَا رَبُّ الْقَوَافِي وَمُبْدِعُهَا ، إِذْ لَمْ أَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهَا ،
وَأَنَا قَاتِلُ أَعْدَائِي كَمَا يَقْتُلُ السَّمُ ، وَأَنَا غَيْظُ حَسَادِي ، لِأَنَّهُمْ يَتَمَنُّونَ مَكَانِي فَلَا يَدْرِكُونَهُ
فَيَتَنَاطَلُونَ .

(٢) تَدَارَكَهَا اللَّهُ : جَمَلَةٌ مَعْتَرِضَةٌ ، وَهِيَ إِذَا دَعَا لَهَا : أَي تَدَارَكَهُمُ اللَّهُ بِالْإِصْلَاحِ وَنَجَاتِهِمْ
مِنْ لُؤْمِهِمْ ، أَوْ دَعَا عَلَيْهِمْ : أَي أَدْرَكَهُمُ اللَّهُ بِالْإِهْلَاكِ لِأَنْجُو مِنْهُمْ . هَذَا وَنُجُودُ قَبِيلَةٍ مِنَ
الْعَرَبِ الْأُولَى وَاخْتَلَفَ الْقُرَاءُ فِي إِعْرَابِهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ : فَمِنْهُمْ مَنْ صَرَفَهُ : وَمِنْهُمْ مَنْ
لَمْ يَصْرِفْهُ ، فَمَنْ صَرَفَهُ : ذَهَبَ إِلَى الْحَيِّ لِأَنَّهُ اسْمُ عَرَبِيٍّ مَذْكَرٌ سُمِّيَ بِمَذْكَرٍ ؛ وَمَنْ لَمْ
يَصْرِفْهُ : ذَهَبَ بِهِ إِلَى الْقَبِيلَةِ ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ .

وأهدى إليه عبيد الله بن خلكان - من خراسان - هدية فيها سمك من سكر ولوز في غسل ، فرد إليه الجامة وكتب عليها هذه الأبيات بالزعفران :

أَفْصِرُ فَلَسْتَ بِزَائِدِي وَدَا
بَلَّغَ الْمَدَى وَتَجَاوَزَ الْحَدَا^(١)
أَرْسَلْتَهَا مَمْلُوءَةً كَرَمًا
فَرَدَدْتُهَا مَمْلُوءَةً حَمْدًا^(٢)
جَاءَتْكَ تَطْفَحُ وَهِيَ فَارِغَةٌ
مَشْنَى بِهِ وَتَطْنُهَا فَرْدَا^(٣)
تَأْبَى خَلَائِكَ الَّتِي شَرَفَتْ
أَنْ لَا تَحْنَنَّ وَتَذَكُرُ الْعَهْدَا^(٤)

(١) أقصر عن الشيء : إذا كف عنه وهو قادر عليه ، وقصر عنه : إذا عجز عنه ، وقصر فيه : إذا لم يبلغ ، والضمير في بلغ : للرد ، والجملة استئناف . يقول : إن ودي إليك قد بلغ الغاية وتجاوز الحد بحيث لا يقبل الزيادة ، فكف عن البر فإنك لا تزيدني بذلك ودا . وهذا من قول ذي الرمة :

وما زال يفلو حُبُّ مِيَّةٍ عِنْدَنَا وَيَزْدَادُ حَتَّى لَمْ نَجِدْ مَا يَزِيدُهَا

(٢) أرسلتها أى الجامة . ومملوءة حمدا : يريد ما كتبه إليه على جوانبها .

(٣) طفح الإناء : امتلأ . وتطفح : حال : أى طافحة : ومشنى : حال أخرى ، والضمير في به : للحمد ، أى الأبيات التى عليها يقول : جاءتك الجامة طافحة بالحمد وإن كانت فارغة مما كان فيها ، وقد شفعتها بالحمد - لأنه كتب هذه الأبيات على جوانبها - فصارت بذلك شيئين لاشيئاً واحداً كما تظنها .

(٤) الخلائق : ما خلق عليه الإنسان . يقول : إن أخلاقك الشريفة تأبى عليك أن لا تشناق إلى أوليائك وتذكر عهودهم ؛ قال العكبرى : قوله أن لا تحنن : أن هاهنا هى الخففة من التثيلة ، ودخلت لاتنصل بينها وبين الفعل ، فلهذا رفع تحن وتذكر ؛ ومثله قراءة أبى عمرو وحمة والكسائى فى قوله تعالى « وحسبوا ألا تكون فتنة » بالرفع ، (٤ - التنتي ٢)

لَوْ كُنْتُ عَصْرًا مُنْبِتًا زَهْرًا
كُنْتُ الرَّيِّعَ وَكَانَتْ الْوَرْدَا^(١)

* *

وروى جماعة هذا الحرف — أن لا تخن وتذكر — بالنصب ، وجعلوا أن هي الناصبة ، ولم يعتدوا بلا ، كقراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم .

(١) اسم كانت : ضمير الخلائق . يقول : لو كنت زمانا ينبت الأزهار لكنت زمان الربيع ، وكانت أخلاقك الورد : أى أنك بين الرجال كالربيع بين الأزمنة ، وأخلاقك بمنزلة الورد من الأزهار . هذا : والعصر ، والعصر ، والعصر ، والعصر : الدهر . قال امرؤ القيس في العصر :

الْأَعْمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَمِينٌ مَن كَانَ فِي الْمَصْرِ الْخَالِي
والجمع : أعصر وأعصار وعصر وعصور . قال العجاج :

* وَالْمَصْرِ قَبْلَ هَذِهِ الْمَصُورِ *^(١)

والمصراعان : الليل والنهار . قال حميد بن ثور :

وَلَنْ يَلْبَثَ الْمَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا — أَنْ يَدْرَكَمَا مَاتِيمَا^(٢)

(١) أول هذا الرجز :

جَارِي لَا تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي سِيرِي وَإِشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي
العذير : الأمر الذى يحاوله الإنسان فيعذر فيه : أى لا تستنكري ما أحاوله معذورا فيه . وسيري عطف بيان له ، أو بدل منه . وجارى : منادى مرخم : أى بإجارية . (راجع الرجز فى أراجيز العرب للبكرى) .

(٢) قبله :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلم
أى أن الصحة والسلامة مؤديتان إلى الهرم ، وهو الداء الذى لا دواء له .

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجى :

الْيَوْمَ عَهْدُكُمْ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمٍ عَهْدِكُمْ غَدٌ^(١)

(١) يقول .. مخاطبا أحبته - : اليوم ألقاكم مودعا ، فمتى يكون اللقاء بعد هذا الفراق ؟ ثم استأنف فقال : هيهات - أى بعدما أطلب - ليس لهذا اليوم - يوم لقاءكم للوداع - غد : أى لا أطمع فى أن أعيش بعد فراقكم ، فلا غد لى بعد هذا اليوم . وأين ، وإن كانت سؤالا عن المكان : إلا أن المراد بها هنا ما يراد بمتى : أى السؤال عن الزمان . وهيهات : كلمة تبيد ؛ قال جرير :

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلٌ بِالْعَقِيقِ نَحْوَالِهِ^(١)
والثناء مفتوحة ، مثل كيف ، وأصلها هيهاه ؛ وكذلك وقف عليها أحمد البرزى عن ابن كثير والكسائى بالهاء رداها إلى الأصل وقد كسرهما جماعة من العرب ؛ قال حميد الأرقط يصف إبلا قطعت بلاد أحق صارت فى انقفار :

يُصْبِحْنَ بِالْقَفْرِ أَتَاوِيَاتٍ مُعْتَرِضَاتٍ غَيْرَ عُرْضِيَّاتٍ

* هَيْهَاتَ مِنْ مُصْبِحِهَا هَيْهَاتَ^(٢)

وقد أبدلوا الهاء الأولى منهازمة فقالوا أيهات كهراق وأراق ؛ قال الشاعر :

* أَيِهَاتَ مِنْكَ الْحَيَاةُ أَيِهَاتَا *

وقال الجوهري فى صحاحه : قال الكسائى من كسر التاء وقف عليها بالهاء ، ومن فتحها وقف عليها بالتاء ، وإن شاء بالهاء ، قل أبو محمد عبدالله بن برى النحوى فى أخذه على الجوهري : قال أبو على الفارسى : من فتح التاء وقف بالهاء ، لأنه اسم مفرد ، ومن كسر وقف عليها بالتاء ، لأنه جمع لهيات المفتوحة وقال الاخفش : يجوز فى هيات أن تكون جماعة ، فتكون التاء التى فيها تاء الجمع التى للتأنيث ، ولا يجوز ذلك فى اللات .

(١) نحاوله : يروى نواصله ، والعقيق . اسم واد بالمدينة ، والحل : الصديق .

وهيات : اسم فعل بمعنى بعد .

(٢) يقال رجل أتاوى : إذا كان غريبا فى غير بلاده . فقوله يصبحن أتاويات : أى

غريبة من صواحبه لتقدمهن وسبقهن ، ومعتراضات : أى نشيطة لم يكسلهن السفر ، غير عرضيات : أى من غير صعوبة ، بل ذلك النشاط من شيمهن .

الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِجْلَبًا مِنْ بَيْنِكُمْ وَالتَّيْسُ أَبْعَدُ مِنْكُمْ لَا تَبْعُدُوا^(١)
 إِنَّ الَّتِي سَفَكَتْ دَمِي بِجَفْوَنِهَا لَمْ تَدْرِ أَنَّ دَمِي الَّذِي تَتَقَلَّدُ^(٢)
 قَالَتْ وَقَدَّرَاتٍ اصْفِرَّ ارِي مَنْ بِهِ وَتَهَدَّتْ فَأَجَبْتَهُمَا التَّمَهْدُ^(٣)
 فَضَّتْ وَقَدْ صَبَّغَ الْحَيَاءُ بِيَاضَهَا لَوْ نِي كَمَا صَبَّغَ اللَّجَيْنَ السَّجْدُ^(٤)

والعزى ؛ لأن لات و كيت لا يكون مثلهما جماعة ، لأن التاء لاتراد في الجماعة إلا مع الألف ؛ فإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقى الاسم على حرف واحد .

(١) المجلب : للمفترس من السباع وجوارح الطير ، واستعاره للموت لأنه يهلكه الحيوان كأنه يفتسه . يقول : إذ ترمعون انفراق فإن الموت سيدركني قبل أن تفارقوني فرعاً من البين . والحياة تكون عنى أبعده منكم . وقوله لا تبعدوا : دعاء لهم : أى لا بعدتم عنى ولا فارقتموني أبداً ، ومن رواه بفتح العين فهو من البعد - بفتحيتين - بمعنى الهلاك : أى لاهتكم ولا لجتكم بهم . قال تعالى « ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » أما بضم العين فهو من البعد - بمعنى البين والفراق - وقوله مجلباً : يروى مطلباً ، ومعناه أطلب الموت قبل فراقكم : أى لو خيرت بينها لطلبت الموت ولم أطلب فراقكم .

(٢) يقول : إن التي عصفت بي وأنت على وقتلتني يعيونها لم تدر أن دمى في عنقها وأنها بايتى ياتم قتلى . يقال تقلد الإثم ونحوه : أى لزمته تبعته . وتقلد الأمر : أخذه في عنقه ، وأصله من القلادة ، ومنه تقليد القضاة القضاء : أى جعله في أعناقهم . وكذلك تقليد الولاية .

(٣) يقول : لما رأته اصفرار وجهي - وجداً بفراقها - قالت من به ؟ أى من فعل به هذا الذي أراه ؟ أو من الطالب به ؟ وتهدت : أى علاصدها لشدة تنفسها ، وزفرت استعظاما لما رأته - فأجبتها وقلت : الذي فعل بي هذا - أو الطالب بي - هو التمهيد أى أنت . وقال العسكبرى : يجوز أن يكون قالت : جواباً لظرف محذوف : أى لما رأته اصفرارى قالت ؛ ويجوز أن يكون خبر إن - في البيت قبله - ويكون عبر البيت : لم تدر الخ - جملة في موضع نصب على الحال .

(٤) اللجين : الفضة ؛ والمسجد : الذهب ؛ وقوله : وقد صبغ الحياء بياضها لوني عدى الصبغ إلى مفعولين ، لأنه يضمن معنى الإحالة ؛ كأنه قال : أحال الحياء بياضها لوني . يقول : إنها استحيت فاصفر لونها ، كأنها فضة قد منسها ذهب . قال الواحدي : إن الحياء لا يصفر اللون بل يحمره . ولكن هذا الحياء كان محتلطاً بالحرف ، لأنها خافت

قَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي قَرِّ الدُّجَى مُتَأَوِّدًا غُصْنَ بِيَّ يَتَأَوِّدُ^(١)
 عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا سَلَبُ النُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوَقَّدُ^(٢)
 وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ وَذَوَابِلٌ وَتَوَعَّدُ وَتَهْدُدُ^(٣)
 أَبَلَتْ مَوَدَّتَهَا أَلْيَالِي بَدَنًا وَمَشَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ وَهُوَ مُقَيَّدُ^(٤)

الفضيحة على نفسها ، أو خافت أن يسمع الرقيب هذا الكلام ، أو خافت أن تطالب بدمه ، فاستشمارها خوف ماجنت من القتل غلب سلطان الحياء فأورث صفرة .

(١) قرن الشمس : أول ما يبدو منها وهو أصفر ، وقرن الشمس : مفعول أول لرأيت ؛ والمفعول الثاني : الظرف بمده ؛ ومتأودا : أى متايلا ، حال من قر ؛ وغصن : مبتدأ ؛ ويتأود : خبره ؛ والضمير في به : للقمر ؛ والجملة : بدل من متأودا : أى حال كونه متأودا يتأود به غصن ؛ ويجوز أن يكون غصن : فاعل متأودا ، ويتأود : نعت لغصن : أى حال كونه متأودا به غصن يتأود . يقول : إنها لما اصفر لونها كانت تلك الصفرة في ياضها كالشمس إذا حلت في القمر الذي يعيل به غصن قامتها : يعنى أن قامتها تتأيل بوجهها في حال مشيتها . وقال ابن جنى : قد جمعت بين حسن الشمس والقمر ، وجعل قامتها غصنا متايلا شبيها بالقضيب لاعتداله وتمايله وتثنيه . يريد كانت كالقمر في ياضها فلما اصفرت خيلا صارت الصفرة في ياضها كقرن الشمس .

(٢) عدوية : أى من بنى عدى ، وبدوية : نسبة إلى البادية ، أو البدو - على غير قياس - وعدوية : خبر مبتدأ محذوف : أى هى عدوية ؛ أو قاتلتى عدوية ، ومن دونها : خبر مقدم ، وسلب النفوس : مبتدأ مؤخر . يقول : إنها من قومها في منعة ، قبل الوصول إليها تسلب أرواح طالبيها وتوقد نيران الحروب ، فمن حاول الوصول إليها صلى بنار الحرب .

(٣) وهواجل الخ : عطف على سلب النفوس - في البيت السابق - والهواجل : جمع هوجل ؛ وهو اللعازة لا أعلمها والصواهل : الخيل والناصل : السيف ، والذوابل الرماح . يقول : دون الوصول إليها هذه الأشياء ، قال العسكري : والهواجل أيضاً النوق ويجوز أن يريد بها النوق ، ليكون أليق بالبيت ، لأن ذكر النوق مع الخيل أشبه من ذكر الأرض مع الخيل .

(٤) أبلت : من البلى ، ومشى عليها : أى على مودتها . يقول : آبلها بعد العهد وأنساها مودتها إيانا . وقوله ومشى عليها الدهر وهو مقيد : مبالغة في الإبادة : أى وطئها وطأ تقيلا كوطء القيد ، وذلك أن القيد لا يقدر على خفة الشئ ورفع الرجلين ، فهو يطأ

بَرَحَتْ يَأْمَرُضَ الْجُفُونَ بِمُرَضٍ مَرَضَ الطَّبِيبُ لَهُ وَعَيْدَ الْمُؤَدِّ (١)
فَلَهُ بَنُو عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الرَّضَا وَلِكُلِّ رَكْبٍ عَيْسُهُمْ وَالْفَدْفَدُ (٢)

وطأ ثقيلًا . وقال ابن جنى : هذا مثل واستعارة ، وذلك أن المقيد يتقارب خطوه ، فهو يريد أن الدهر دب إليها فقيرها . قال الواحدى : وهذا فاسد بقوله عليها ، ولو أراد ما قال : لقال ومشى إليها الدهر ، كما قال أبو تمام :

فِي أَحْسَنِ الرُّسُومِ وَمَا تَمَشَّى إِلَيْهَا الدَّهْرُ فِي صُورِ الْبِعَادِ

(١) برح به الأمر وأبرح به : جهده واشتد عليه . وأراد بالمرض : نفسه . والعود الذين يزورون المريض خاصة ، يقول : لقد برحت به الجفون الذوابل ، واشتد عليه ما يلاقيه من جراء حبها حتى مرض طيبه وزواره - حين هالم مرضه - رحمة له وورثاء لحاله . وقد ذهب ابن جنى إلى أن المعنى : برحت : تجاوزت الحد ، وعنى بالمرض : جفنها ، ومرض الطيب وعيد العود مثل : أى تجاوزت يامرض الجفون الحد حتى أحوجت إلى طيب وعود ، يبلغ فى شدة مرض جفنها . . . قال ابن فورجة - يتقدمه - : أبرح جنى فى التعسف ، ومن الذى جعل مرض الجفون متناهايا ، وإنما يستحسن من مرض الجفون ما كان غير مبرح ، كقول أبى نواس :

ضعيفة كركر اللحظ تحسب أنها قريبة عهد بالإفاقة من سُقم
ولو أراد تهايه لقال تحسبها فى برسام (١) ، أو تزع روح . . إلى أن قل والدليل على كون المرض هو التنفى : قوله بهد :

* فله بنو عبد العزيز بن الرضا *

وقوله يأمروض الجفون : يروى يامرض الجفون - بكسر الراء - وهو قليل فى الاستعمال ، إنما يقولون فلان مريض ، والقياس لا يمنع من قولك : رجل مرض كسقم قل الأعشى :

يقضى بها المرء حاجاته ويشقى عليها الفؤاد السقيم

(٢) فله : أى للمرض المذكور - وهو التنفى - والعيس : كرام الإبل ، والفدقد : المغازة . يقول : إن هؤلاء المدوحين هم الذين ينتجعهم ويلبغ بهم آماله ، بينما سائر الناس من الراكبين المسافرين الذين يقصدون غير هؤلاء ليس لهم إلا الإبل والصحراء : أى لا يحصلون من سفرهم على شيء سوى التعب وجوب الطريق . وقال ابن جنى : يريد أنه

(١) البرسام : التهاب الصدر .

مَنْ فِي الْأَنْعَامِ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا تُقْلَ
مَنْ فِيكَ شَامٌ سِوَى شُجَاعٍ يُقْصَدُ^(١)
أَعْطَى قَلْتُ لُجُودِهِ مَا يُقْتَنَى وَسَطًا قَلْتُ لِسَيْفِهِ مَا يُؤَلَدُ^(٢)

اختار هؤلاء القوم دون الناس وترك المقاصد لمن يريدها من الركبان . وقال ابن القطاع :
يريد أنهم يجودون على كل أحد فكانهم يعطون لكل ركب ركابهم وأرضهم .
(١) من : استفهام ، معناه الإنكار ؛ وشام : أى ياشأم . يقول : ليس في الخلق
كلهم كريم يصمد إليه غير شجاع ، ولا تقل : من فيك ياشأم ؟ أى لا تخص الشام وحدها
بهذا الكلام ، لأنه ليس أوحدها حسب ، بل هو أوجد جميع الخلق وتقدير الكلام :
من في الأنعام من الكرام يقصد سوى شجاع ، ولا تقل ياشأم من فيك ، فإنه أوجد الدنيا
كلها ، لا واحد الشام ، ووجه آخر : أن معناه الاستفهام ، وقد حذف منه الفعل ، كأنه
قال : قل باسمع من في الأنعام من الكرام ؟ ولا تقل ذلك للشام ، لأنه قد علم أنه ليس
من يقصد إلا هذا المدوح . هذا : والشام تذكر وتؤنث . قال ابن بري : شاهد التأنيث
قول جواس بن القمطل :

جِئْتُمْ مِنَ الْبِلَادِ الْبَعِيدِ نِيَاظُهُ وَالشَّامُ تُنْكَرُ كِهَالِهَا وَفَتَاهَا
(كِهَالِهَا وَفَتَاهَا : بدل من الشام) وشاهد التذكير قول الآخر :

يَقُولُونَ إِنْ الشَّامَ يَقْتُلُ أَهْلَهُ فَمَنْ لِي إِنْ لَمْ آتِهِ بِخُلُودٍ ؟
وقال ابن جنى : الشام مذكر ، وأجاز تأنيثه في الشعر ، والنسبة إليها شامى ، وشام
على فعال ، ولا تقل شام ، وما جاء في ضرورة الشعر فمحمول على أنه اقتصر من النسبة
على ذكر البلد ، وشاهد شام في النسبة قول أبي الدرداء ميسرة :

فَهَاتِنَاكَ النَّجْمُومُ وَهَنْ خُرْسُ يَنْحُنَّ عَلَى مُعَاوِيَةَ الشَّامِ
وامرأة شامية ، وشامية - مخففة .

(٢) لجوده : خبر مقدم ، وما يقتنى : مبتدأ مؤخر ، وكذا لسيفه ما يولد ويقتنى : من
القنية والادخار ، وسطا : قهر ، والسطو : القهر بالبطش . يقول : لما أخذ في العطاء
أكثر حتى قلت في نفسى : إنه سيعطى جميع ما يقتنيه الناس ، ولما سطأ على الأعداء أكثر
القتل حتى قلت : إنه سيقتل كل مولود ، فتكون القنيتان جميعاً لجوده ، والنسل كله لسيفه
قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أعطى قتل لجوده محاطبا : لا يقتنى أحد مالا

وَتَحَسَّرَتْ فِيهِ الصَّفَاتُ لِأَنَّهَا
 فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ كُلِّيٍّ مَفْرُوبَةٍ
 أَلْفَتْ طَرَائِقَهُ عَلَيْهَا تَبَعْدُ (١)
 يَذْمُنُ مِنْهُ مَا الْأَسِنَّةُ تَحْمَدُ (٢)
 نَعِمٌ عَلَى النَّعْمِ الَّتِي لَا تُجْحَدُ (٣)
 فِي شَأْنِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ
 وَجَنَانِهِ عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَقَّدُ (٤)

لأنهم يستغنون بك عن الجمع والادخار ، وسطا قلت لسيفه : انقطع النسل ، فقد أفنيت العباد . ووجه آخر : أعطى قلت : جميع ما يقتنى الناس من جوده وهباته ، وسطا قلت لسيفه ما يولد بمد هذا : يشير إلى إبقائه على من أبقى مع اقتداره على الإبقاء ، فخلطهم طلقاء وعقماؤه . قال ابن جنى : ظاهره وباطنه : هجاء — يعنى الصراع الثانى — وأحسن منه قول أبى تمام :

لم تبق مُشْرَكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ
 إِنْ لَمْ تَتَّبْ أَنَّهُ لِلسِّيفِ مَا تَلِدُ
 فخلطه على المشركة وما ولدت ، واحتاط بأن قال إن لم تتب ؛ وأبو الطيب قاله على الإطلاق على العلماء والأشراف والملوك — فكأنه هجا الرجل وجمله يقتل من صادف بلا معنى يوجب القتل .

(١) يقول : إن أوصاف المادحين له حارت ، كيف تحصى فضائله : لأنها وجدت طرائق المدوح ومسالكه التي تحمد وينوه بها بعيدة على الأوصاف ، لا تدركها .
 (٢) المعترك : ساحة القتال ؛ والمفرية : المشقوقة . يقول : إنه يقطع كلى أعدائه ، فالكلى تدم منه ما حمده الأسنه ، وهو الإصابة في الطعن وجودة الشق ، والكلى تدم هذا لأنه مناف للرحمة ، والأسنه تحمده لأنه بذلك أحسن استخدامها . وقال الواحدى : الناس يرون الكلوى مشقوقة فيذمونهم إذ لا رحمة له ، ويرون الأسنه منكسرة فيحمدونه لشجاعته ، فأضاف الحمد والدم إلى الكلوى والأسنه لأنهما السبب :

(٣) نعم : مبتدأ ، خبره : نعم ، وعلى — الأولى — متعلقة بصيها : والجملة نعت نعم ، وعلى — الثانية — متعلقة بمستقر محذوف نعت نعم : يقول : إن النعم التي يصيها المدوح على الأعداء — مضافة إلى نعم الزمان — هي نعم على الأولياء مضافة إلى نعمه التي لا تجحد ، يعنى اعتراز أوليائه بذلة أعدائه وما يستفيدونه من الفنائم بنسبتهم .

(٤) الشأن : الحال والأمر ، والبنان : الأنامل ، والجنان : القلب . يقول : في أحواله كلها إذا تفقدتها عجب ، لأنها لم تكمل في أحد سواه ، فأبى خصاله رأيت حمدتها .

أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهَزْبِرِ خِضَابُهُ مَوْتُ فَرَيْصِ الْمَوْتِ مِنْهُ تَرْعَدُ^(١)
 مَا مَنبِجٌ مُذْغِبَتْ إِلَّا مُقْلَةٌ سَهَدَتْ وَوَجْهَكَ نَوْمَهَا وَالْإِمْدُ^(٢)
 فَالْلَيْلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبْيَضُ وَالصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلَتْ عَنْهَا أَسْوَدُ^(٣)
 مَا زِلْتَ تَذْنُو وَهِيَ تَعْلُو عِزَّةً حَتَّى تَوَارَى فِي ثَرَاهَا الْفَرْقَدُ^(٤)
 أَرْضٌ لَهَا شَرْفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا لَوْ كَانَ مِثْلَكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ^(٥)

(١) أسد : خبر عن مبتدأ محذوف : أى هو أسد ، ودم الأسد : مبتدأ ، وخضابه : خبر ، وموت - كذلك - خبر مبتدأ محذوف : أى هو موت ، والجملة بعده نعت له ، والهزبر : الشديد ؛ والفريص : جمع فريصة ، وهى لحة عند الكنف تضطرب عند الخوف . يقول : هو شجاع يتلطح بدم الأسد حتى يصير كالخضاب له ، وهو موت لأعدائه ، حتى ليخافه الموت وترتعد منه فرائضه .

(٢) الإمد : نوع من الكحل . يقول : ليست منبج - وهى بلد المدوح ، وعلى مرحلتين من حلب - مذغبت عنها إلا كالقطة الساهدة ، ووجهك لها بمنزلة النوم والكحل - وهما اللذان تصلح بهما العين - يعنى أن صلاح منبج بحضورك .

(٣) هذا من قول أبى تمام :

وَكَانَتْ وَلَيْسَ الصُّبْحُ فِيهَا أَبْيَضُ فَأَضَحَتْ وَلَيْسَ اللَّيْلُ فِيهَا بِأَسْوَدُ
 (٤) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ؛

فهما فرقدان ؛ قال قائلهم :

وَكَانَتْ وَلَيْسَ الصُّبْحُ فِيهَا أَبْيَضُ لَعَنَرُ أَيْبِكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانُ

يقول : ما زلت تقرب من هذا البلد ، وكلما قربت منه ازداد رفعة بقربك حتى صار ثراه فوق الفرقدين رفعة وعلاوا .

(٥) أرض : خبر عن محذوف : أى هى أرض ؛ وسواها : مبتدأ ، خبره مثلها . وقال بعض الشعراء : خبره لها شرف ، والضمير فى لها : يرجع إلى سواها ، ومثلها : نعت شرف ، وهو على حذف مضاف : أى مثل شرفها . يقول : هى أرض لها شرف ، وسواها لها شرف مثل شرفها ، لو وجد فيها مثلك : أى إنما شرفها بك ؛ فلو وجد مثلك فى غيرها لسواها هذا الغير فى الشرف .

أَبْدَى الْعُدَاةُ بِكَ السَّرُورَ كَأَنَّهُمْ
فَرَحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمَقِيمُ الْقَعْدُ (١)
قَطَعْتَنَّهُمْ حَسَدًا أَرَاهُمْ مَا بِهِمْ
فَتَقَطَّعُوا حَسَدًا لِيْنِ لَا يَحْسُدُ (٢)
حَتَّى أَنْتَنُوا وَلَوْ أَنَّ حَرَّ قُلُوبِهِمْ
فِي قَلْبِ هَاجِرَةٍ لَذَابَ الْجِلْدُ (٣)
نَظَرَ الْعُلُوجُ فَلَمْ يَرَوْا مِنْ حَوْلِهِمْ
لَمَّا رَأَوْكَ وَقِيلَ هَذَا السَّيِّدُ (٤)
بَقِيَّتْ جُبُوعُهُمْ كَأَنَّكَ كُلُّهَا
وَبَقِيَّتَ بَيْنَهُمْ كَأَنَّكَ مُفْرَدُ (٥)

(١) يقول: إن أعداءك أظهروا السرور بقدمك خوفا منك لا ابتهاجا بك ،
وعندهم من الحسد والخوف ما يقيمهم ويقعدهم : أى يزعجهم ويقلقهم .

(٢) قطعتم حسدا : أى أنهم حسدوك فأتوا بشدة حسدكم إياك ، فكانك قطعتم
أربأ . وقوله أراهم ما بهم : أى أراهم الحسد ما بهم من التصير عنك والنقص دونك ،
فتقطعوا من الحسد لمن لا يحسد أحدا ، لأنه ليس فوقه أحد فيحسده ، ولأن الحسد
ليس من أخلاقه . فقوله حسدا : هو تمييز ؛ وفاعل أراهم : ضمير الحسد .

(٣) اثنوا : رجعوا ؛ والجلد : الصخر ، والهجرة : نصف النهار عند اشتداد
الحر وحمارة القيظ ؛ وقيل شدة الحر . يقول : حق انصرفوا عنك وعن مباهااتك
عالمين بتخلفهم عنك وفي قلوبهم من حرارة الحسد والموجدة مالمو كان في هاجرة لذاب
الحجر . وقوله ولوان : حرك الساكن وأسقط الهمزة كقراءة ورش . « ومن
اظلم » ونحوه .

(٤) العليج - فى الأصل - حمار الوحش السمين القوى ، أطلقوه على الغليظ الضخم
الجابى من كفار العجم ؛ والمراد هنا : قواد الروم . يقول : لما نظروا إليك ورأوا
هيتك وأنتك سيد القوم ، لم يروا من حولهم من ساداتهم : أى لم يخطر لهم سيد من
ساداتهم على بال ، أوقد شغلوا بالنظر إليك عن النظر إلى غيرك ؛ فصاروا كأنهم لا يرون
أحدا سواك ممن حولهم ، ورأوا منك مادهم على سيادتك ، فقانونا هذا هو السيد .
لا سواء من ساداتهم .

(٥) هذا البيت مترتب على ما قبله : يقول : إنك كنت وحدك مثلهم جميعا ، لأنك
وحدك اغترقت أعينهم وشغلتها عن غيرك وصار غيرك كأنه لا وجود له بجانبك ، بحيث لو
فقدوا كنت كل من بذلك المكان ، فأنت مفردا مثلهم جميعاً . وهذا المعنى ينظر لقول
أبى نواس :

لَهْفَانَ بَسْتَوِي بِكَ الْغَضَبَ الْوَرَى
 لَوْ لَمْ يُنْهِنِيكَ الْحِجَى وَالشُّوْدُدُ^(١)
 كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رَكَبْنَا
 فَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الْأَوْحَدُ^(٢)
 وَصُنِ الْحَسَامَ وَلَا تُذِلَّهُ فَإِنَّهُ
 بِشْكُو يَمِينِكَ وَالْجَمَاجِمِ تُشْهَدُ^(٣)

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
 وعبرة الواحدى : المعنى أنهم لصغرهم في جنبك كأنهم لا وجود لهم : وإذا قدوا
 كنت أنت كل من بذلك السكان ، ثم حقق هذا المعنى بالمصراع الثانى ، وأتى بكاف
 التشبيه دلالة على أن هذا تمثيل لا حقيقة ، ومعنى لا وجوداً :

(١) لهفان : حال من التاء في بقيت بينهم ؛ وأصل اللفهف : حرارة الجوف من
 شدة وكرب ونحو ذلك . والمراد باللهفان هنا : الممتلئ غضباً . ويستوى : يستعمل ،
 من الوباء ، وأصله يستوى ، تخفف للضرورة . والورى : فاعل يستوى ، والحجى :
 العقل ؛ والشوودد : السيادة . ونههه : كفه ورده . من النهى . يقول : بقيت غضبان
 حتى استوبأ الناس الغضب الذى بك : أى ظنوه وباء مهلكاً لهم ، لو لم ينهك شووددك
 وحملك عن إهلاكهم .

(٢) يقول : كن في أى موضع شئت من البلاد ، فإننا نتجمع ونصمد إليك ، فإن
 الأرض التى تعدو وتروح عليها واحدة ليس هناك أرض غيرها ، وأنت أو حدها لا نظير
 لك فيها ، واذن لا مندوحة عن السفر إليك وإن طال ، لعدم وجود غيرك ممن يستأهل
 أن يصمد إليه . وقال ابن جنى : فالأرض واحدة : أى ليس علينا للسفر مشقة لإلغنا إياه
 قال العروضى : ليت شعرى : أى مدح للممدوح فى أن يألف للتنبى السفر .

(٣) الإذالة : الامتهان والابتدال ؛ وصنه استره . والجماجم : جمع جمجمة ؛ وهى
 قحف الرأس . يقول : لقد أكثرت من القتل ، فأغمد سيفك وكفى ما حصل ، فإن
 سيفك يشكو يدك من كثرة ضربها به ؛ والجماجم التى حطمتها . تشهد له . وقال ابن جنى
 صنه فإنه به يدرك الثأر ، وتحمى به التمار . قال ابن فورجه : كيف أمن أن يقول
 ما أذنته إلا لإدراك الثأر ، وإحساء التمار ؟ وهذا تعليل لو سكت عنه كان أحب إلى أبى

يَبْسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجْرَدٌ مِنْ غَمْدِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدٌ^(١)
 رِيَانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أُسْقِنَتْهُ لَجَرَى مِنَ الْمَهَجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ^(٢)
 مَا شَارَكَتُهُ مَنِيَّةٌ فِي مُهَجَةٍ إِلَّا وَشَفَرَتْهُ عَلَى يَدَيْهَا يَدٌ^(٣)
 إِنَّ الرِّزَايَا وَالْعَطَايَا وَالْقَنَا حُلْفَاءُ طَىَّ غَوْرُوا أَوْ أُنْجَدُوا^(٤)
 صِخٌ يَا جَلْمَةَ تَحْنَبُكَ وَإِنَّمَا أَشْفَارُ عَيْنِكَ ذَابِلٌ وَمُهْنَدٌ^(٥)

الطيب ، وإنما المعنى : أ كثر القتل فحسبك وأغمد سيفك ، فقال : صن سيفك ، وإنما يريد أغمده .

(١) النجيع الدم . يقول : إن الدم جمد على سيفك حتى صار كالغمد له ، فيرى وهو مجرد كأنه مغمد . . وهذا من قول البحري :

سَلَبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَّةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا
 ومن قول الآخر :

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنِي هُشَيْمٍ بِطَعْنَةٍ لَهَا عَانِدٌ يَكْسُو السَّلِيبَ لِإِزَارًا^(١)

(٢) ريان - بالنصب - حال ، العامل فيه يبس ؛ وبالرفع : خبر مبتدأ محذوف . يقول : سيفك ريان فلو ميج ما سقنته منى دماء قلوب الأعداء لجرى منه بحر مزبد . يعنى أنك أ كثر به القتل .

(٣) المنية : الموت ؛ والهجة : الروح ؛ وشفرته حده . يقول : لم يشترك سيفه والمنية في سفك دم إلا كان سيفه يبدأ ليد المنية : أى أنها تستعين به كما يستعين العامل بيده في العمل . وعبارة ابن جنى : يعنى أن لسيفه الأثر الأقوى الأظهر في القتل .

(٤) الرزايا : جمع رزية ؛ وهى المصيبة . والقنا : الزماح ؛ والحلفاء : جمع الحليف وهو الصديق المخالف . وغوروا : نزلوا الغور ، وهو المنخفض من الأرض ، وأنجدوا : نزلوا النجد ، وهو الأرض المرتفعة . يقول : إن هذه الأشياء لا تفارقهم أينما ثقفوا ويمموا : أى أنهم حيثما كانوا رزايا ومصائب لأعدائهم ، وعطايا لأولياءهم ، كما قال أبو تمام :

فَإِنَّ الْمَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالْقَنَا أَقَارِبُهُمْ فِي الرَّوْعِ دُونَ الْأَقَارِبِ
 (٥) جلهمة : اسم طيء . وطىء لقب له . واللام : لام الاستعانة . والواو - فى

(١) عند العرق : ضال فلم يكذب يرقاً ، وهو عرق عائد . ودم بمائد يسيل جانباً

مِنْ كُلِّ أَكْبَرٍ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةٍ قَلْبًا وَمِنْ جَوْدِ الْغَوَادِي أَجُودٌ^(١)

وإنما - للحال ، وأشفار العين : منابت الأهداب . يقول : إذا صحت بالجلهمة أسرع إليك وأحدقت بك ، فهابك كل أحد ، حتى إذا نظرت إلى أي إنسان بعينك فكأنك أشرعت إليه رماحا وسللت عليه سيوفا . ققامت أشفار عينيك مقام الذابل - الرمح - والمهند - السيف . وقال الواحدى : كان الأستاذ أبو بكر يقول : يريد أنهم يتسارعون إليك ويملاؤن الدنيا عليك رماحاً وسيوفا . . هذا كلامه . وتحقيقه : حيثما يقع بصرك رأيت الرماح والسيوف فتصلاً من كثرتها عينيك ، وتحيط بعينيك إحاطة الأشفار بها ؛ وهذا ينظر إلى قول بعضهم :

وإذا دُعوا لِنَزَالِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ سَتَرُوا شَعَاعَ الشَّمْسِ بِالْخِرْصَانِ
[الخِرْصَانُ : الرماح ؛ والخِرْصَانُ : الدروع] وقال سلامة بن جندل :

إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِحٌ فَرَزَعٌ كَأَنَّ الصَّرَاخَ لَهُ قَرَعُ الظَّنَائِبِ

« يقول سلامة : إذا أتانا مستتيت كاتت إغاثته الجد في نصرته ، يقال : قرع لذلك الأمر ظنوبه : إذا جد فيه . والظنوب : هو طرف العظم اليابس من الساق ؛ فالشاعر حل قرع الصوت على ساق الخف في زجر الفرس قرعا للظنوب »

(١) الجود : المطر الغزير ؛ والغوادي : السحاب المنتثرة صباحا . يقول - يصف رجال جلهمة - : من كل رجل أكبر قلبا من الجبال - يريد قوة قلبه وشدته - وأجود من مطر السحاب . وقوله أجود : خير مبتدأ محذوف : أى وهو أجود من جود الغوادي وقلبا : تمييز . هذا : وتهامة اسم مكة . وقال الجوهري : تهامة ، بلد : والنسبة إليها تهامى وتهام ، إذا فتحت التاء لم تشدد . كما قالوا يمان وشأم ، إلا أن الألف في تهام من لفظها والألف في يمان وشأم عوض من ياء النسبة قال ابن أحرر :

وَكُنَّا كَأَبْنَى سُبَاتٍ تَقَرِّقًا سِيَوِيٍّ ثُمَّ كَأَنَّ مُنْجِدًا وَتِهَامِيًّا

وَأَتَى التَّهَامِيَّ مِنْهُمَا بِلَطَاتِهِ وَأَحْلَطَ هَذَا لِأَرِيمٍ مَكَانِيًّا^(١)

وقوم تهامون : كما قالوا يمانون . وقال سيويه : من الناس من يقول تهامى ويماى وشأمى - بالفتح - مع التشديد ؛ وقد قلنا : الجود : المطر الغزير تقول : جاد المطر

(١) السبات : الدهر ، ولطاته : ثقله ، وأحلط هذا : أى أقام ، أو خلف مجتهداً ،

ولأريم مكانيا : لا أبرحه .

يَلْقَاكَ مُرْتَدِيًا بِأَحْمَرَ مِنْ دِيمِ ذَهَبْتِ بِخُضْرَتِهِ الطُّلَى وَالْأَكْبَدُ (١)
 حَتَّى يُشَارَ إِلَيْكَ ذَا مَوْلَاهُمْ وَهُمْ الْمَوَالِي وَالْخَلِيقَةُ أُعْبَدُ (٢)
 أَنَّى يَكُونُ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمَ وَأَبُوكَ وَالنَّقْلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ (٣)
 يَفْنَى الْكَلَامُ وَلَا يَحِيطُ بِوَصْفِكَ
 أَيَحِيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لَا يَفْنَدُ (٤)

يجود جودا فهو جائد ، والجمع جود ، مثل صاحب وصحب ، وقد جادت الأرض فهي مجودة : أى أصابها مطر جود : قال الراجز :

أَرْعَيْتَهَا أَكْرَمَ عُودٍ عُودَا الصِّلَّ وَالصَّفِصِلَّ وَالْيَعِضِيدَا
 وَالْحَازِبَازِ السِّنْمَ الْجُودَا بَحَيْثُ يَدْعُو عَامِرٌ مَسْعُودَا

الصل : نبت ، وكذلك الحازباز ، والصفصل ، واليعصيد : شجر ونبت صنم مرتفع وهو الذى خرجت صنمته ، رهو ما يعلو رأسه كالسنبل ، وعامر ومسعود : راعيان « (١) بأحمر : أى بسيف أحمر . والباء متعلقة بيلقاك ، أو بمرتدياً ؛ ومن دم : صفة أحمر ، وخضرة السيف : لون فرده ، والطلّى : الأعناق . يقول . يلقاك كل منهم متقلدا سيفاً قد تلتطخ بدم الأعناق والأكباد ، فأحمر واستترت خضرتة ، وذهبت بها الطلى والأكب . هذا : والأكبذ : جمع كبد ؛ وقيل هو على هذا الجمع جمع كبد كعبد وأعبد وجمع كبد - بكسر الباء : أ كباد وكبود كوتد وأوتاد . (٢) يقول : حتى يشير الناس إليك فيقولوا هذا مولى طيء : أى رئيسهم وسيدهم ، وهم سادة الخلق والخلق عبيدهم . ويروى بدل « حتى » حى أى هم حى يشير الخلق إليك بأنك سيدهم وهم سادوا الناس .

(٣) وأبوك : مبتدأ ، ومحمد - خبره ، والنقلان أنت : جملة معترضة : يقول : كيف يكون آدم أباً الورى وأبوك محمد الطائى وأنت النقلان . أى أنك جميع الإنس والجن ، جمع الله فيك ما فرقه فهما من الفضل والكمال . روى أن أباً تمام قال لابن أبى داود - لما اعتذر إليه - أنت جميع الناس . ولا طاقة لى بنضب جميع الناس ؛ فقال له : ما أحسن هذا المعنى ! فمن أين أخذته . قال من قول أبى نواس :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

(٤) ينفد : ينفى : قال ابن جنى : لو اتفق له أن يقول ما ينفى بما لا ينفى ، أو ما ينفد

وقال وقد وشى به قوم إلى السلطان فحبسه فكتب إليه من الحبس :
أَيَا خَدَدَ اللَّهُ وَرَدَّ أُنْدُودٍ وَقَدْ قُدُودَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ (١)
فَهْنٌ أَسْلَنَ دَمَا مُقْلَتِي وَعَذَّبَنَ قَلْبِي بِطُولِ الصُّدُودِ (٢)

بملا ينفد : لكان أحسن في صناعة الشعر ، وقد أتى بالمعنى مع اختلاف اللفظ ، وهو حسن جيد ، لأن ينفد : بمعنى ينفى .

(١) التخديد . الشق ، والقد . القطع طولاً . والحسان القدود ، إضافة لفظية ، مثل الحسن الوجه . يدعو على ورد الحدود أن يشققه الله فيزول حسنه ، وأن يقطع قدود الحسان القدود ؛ قال ابن جنى . وهو دعاء على التعجب والاستحسان ، كقول جميل .

رمى الله في عيني بُشِينَةَ بالقذى وفي المرء من أنيابها بالقوادح (١)
قال الواحدى . وهذا المذهب بعيد من قول أبي الطيب ، لأنه أخرجه في معرض المجازاة لما ذكر فيها بعد . يريد جزاءه من الله جزاء بما صنع به بالتخديد والقد قال . وهنا مذهب ثالث ، وهو إمعاد دعا على تلك الحسن لأنها تيمته ، فإذا زالت زال وجهه بها ، وحصلت له السأوة ، كما قال أبو حفص الشهرزورى .

دعوت على ثفره بالقلح وفي شعر طرته بالجلح (٢)
لل غرامى به أن يقبل فقد برحت بي تلك الملح
قال العكبرى : والذي ذكره ابن جنى أحسن ، لأن الهب لا يدعو على محبوه أبداً ، والذي أنشده الواحدى للشهرزورى ليس هو مما صدر عن هب : لأن الهب الصادق يقف عند المعانى لا عند الحسن .

(٢) يقول : هن أبكين عيني حتى بخت دما : وعذبني قلبى بنار الصد وهو عذاب

(١) يقال . قد أسرع في أسنانه القوادح . جمع قاذحة ، وهى الجرائم التى تأكل السن ، أو سواد يظهر في الأسنان .

(٢) القلح صفرة في الأسنان ، ووسخ يركبها ، والجلح : ذهاب الشعر من مقدم الرأس .

وَكَمْ لِلْهَوَى مِنْ فَتَى مُدْنَفٍ وَكَمْ لِلنَّوَى مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدٍ (١)
فَوَاحِشْرَتَا مَا أَمَرَ الْفِرَاقَ وَأَعْلَقَ نِيرَانَهُ بِالْكَبُودِ (٢)

— لو علمت — ألم . هذا : ولك أن تجعل دما : مفعولا ثانيا لأسلن ومقلق مفعولا أول ، ولك أن تجعله تمييزا مقدما ، قال العكبري النحوي الكوفي : وهذا جائز عندنا ، وعند المازني والبرد من البصريين ، ومنعه باقهم كقولك تصيب عرقا زيد حجتنا نقل وقياس ، أما النقل فقول الشاعر :

أَتَهَجَّرُ سَلَمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطْلِبُ (١)
تقديره : وما كان الشأن والقصة تطيب سلمى نفساً ، فدل على جوازه ، وأما القياس فإن هذا العامل فعل متصرف ، فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة ، ألا ترى أن الفعل إذا كان متصرفاً — نحو ضرب زيد عمرا — يجوز تقديم معموله عليه ، فقول : عمرا ضرب زيد ؟ وحجة البصريين أنه لا يجوز تقديمه على العامل فيه ، وذلك أنه فاعل في المعنى . فإذا قلت : تصيب زيد عرقاً فالتصيب هو العرق ، وكذلك لو قلت حسن زيد غلاما : لم يكن لزيد حظ في الفعل من جهة المعنى ، بل التاعل في المعنى هو الغلام فلما كان هو الفاعل في المعنى لم يحجز تقديمه .

(١) يقول : كم للهوى من شاب نال منه المرض كل الليل ، وكم للفراق من قتيل شهيد ! يعني أن الحب يستقم ، والفراق يقتل ، وقال بعض الشراح : كم للفراق من قتيل قد عصف عن الحنا ، فكان موته لذلك شهادة ، هذا : والدنف : المرض الملازم الحامس ورجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : براه المرض حتى أشقى على الموت ؛ فمن قال : دنف لم يثنه ولم يجمعه ولم يؤثته ، كأنه وصف بالمصدر ، ومن كسر ثنى وجمع وأنت : فقال رجل دنف — بالكسر — ورجلان دنقان ، ورجال أدناف ، وامرأة دنقة ، ونسوة دنقات وقد دنف المريض — بالكسر — أى ثقل ، وأدنف ، مثله ؛ وأدنفه ، يتعدى ولا يتعدى ؛ والشهيد — في الأصل — من قتل مجاهداً في سبيل الله ، ثم اتسع فيه فأطلق على كل من يقتل مأجوراً .

(٢) الكبود : جمع كبد .

(١) للمخبل السعدي ، وسلمى جاءت ليلى في بعض الدواوين ، والرواية الصحيحة

في البيت وما كان نفس بالفراق تطيب .

وَأَغْرَى الصَّبَابَةَ بِالْمَاشِقِينَ وَأَقْتَلَهَا لِلْمُحِبِّ الْعَمِيدِ (١)
 وَالْمَجَّ نَفْسِي لِغَيْرِ أَهْلَانَا بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى وَالنُّهُودِ (٢)
 فَكَانَتْ وَكُنَّ فِدَاءَ الْأَمِيرِ وَلَا زَالَ مِنْ نِعْمَةٍ فِي مَزِيدِ (٣)
 لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعُودِ (٤)
 فَأَنْجِمُ أَمْوَالِهِ فِي الثُّحُوسِ وَأَنْجِمُ سُؤْلَهُ فِي الشُّعُودِ (٥)

(١) أغرى من غرى بالشيء : إذا أولع به . والصبابة : رقة الشوق ، والعميد : كالممود الذي أضناه العشق وهذه .

(٢) لمع بالشيء يلهج لهجا : أولع به ؛ والحنأ : الفحش ، وكلام خن ، وكلة خنية ؛ وقد خنى عليه - بالكسر - وأخنى عليه في منطقه : أخفى . قال أبو ذؤيب :

وَلَا تُحْنُوا كَلِّيَ وَلَا تَشْطُوا بِقَوْلِ الْفَخْرِ إِنْ الْفَخْرُ حُوبٌ

(لا تشطوا : لا تبعدوا ولا تجوروا ؛ يقال : شط وأشط ؛ والحبوب : الهلاك والإثم والوحشة) وقوله بحب : متعلق بألهج ؛ واللمى : سمرة في الشفة . يقول : ما أولع نفسي بحب السمير الشفاه ، الناهدات ، لغير الفحش والفجور .

(٣) كانت : أى نفسى - المذكور . فى البيت السابق - واسم كنى : يعود على ذوات اللمى ، وفى مزيد : خبر زال . يدعو للمدوح ، يقول : كانت نفسى وأجبانى اللانى وصفتهن ، فداء له ، ولا زال فى مزيد من النعم .

(٤) يقول : لا وعيد عنده للأعداء - وإنما يناجزهم بالسيف - ولا وعد عنده للأولياء - وإنما يبادرهم بالسيف والعطاء ، فهو يجعل ما ينوى فعله ، علما منه بما تؤول إليه الأمور ، وإقداماً منه على مطالبه ، وإذن حال سيفه بينه وبين الوعيد وحال سيئه - بحصوله عاجلاً - بينه وبين الوعود . هذا : والوعيد التهديد ، وهو يستعمل فى الشر خاصة . والوعور : جمع وعد . وهو - وإن كان يستعمل الحير والشر : إلا أن المراد به هنا : الحير .

(٥) تفریع على عجز البيت السابق . يقول : إن أمواله فى نحوس لأنه يفرقها ويسخو بها ، وسؤاله فى شعود لأنه يذل أمواله لهم فيتنعمون بها ، ويتألون منه مايقترحون عليه ، وهذا كما يقول أبو تمام :

طَلَّمْتُ عَلَى الْأَمْوَالِ أَنْحَسَ مَطْلَعِ

وَعَدَّتْ عَلَى الْأَمَالِ وَهِيَ سُودٌ

(٥ النبي ٢)

وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُلُودِ (١)
 رَمَى حَلْبًا بِنَوَاصِي الْخَيُْولِ وَسُمِرَ يَرْفَنَ دَمًا فِي الصَّعِيدِ (٢)
 وَبَيْضِ مُسَافِرَةٍ مَا يُقِمْنَ لَافِي الرِّقَابِ وَلَا فِي النُّمُودِ (٣)
 يَقْدَنَ الْفَنَاءَ غَدَاةَ اللَّقَاءِ إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرِ التَّدِيدِ (٤)
 قَوْلِي بِأَشْيَاعِهِ انْخَرَشْنِي كَشَاهِ أَحْسَ بَرَارِ الْأُسُودِ (٥)
 يُرُونَ مِنَ الذَّعْرِ صَوْتَ الرِّيَّاحِ صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفَقَ الْبُنُودِ (٦)

(١) يقول : إني إنما أخاف عليه الدهر ونوبه التي لا ينجو منها أحد ، فأما أعداؤه فإتهم لا يصلون إليه بسوء فلو لم يكن خوفي عليه إلا من جهة أعدائه لبشرته بالخلود .
 (٢) النواصي : جمع ناصية ، وهي شعر مقدم الرأس ؛ والسمر : الرماح والصعيد : وجه الأرض . يعني : أنه وجه إليها الجيش ورماحاً تريق دماء أعدائه على الأرض . وفي رواية : بنواصي الجياد .

(٣) البيض : السيوف . يقول : إنه لكثرة حروبه وغزواته لا تزال سيوفه تنتقل من الرقاب إلى الأجنان - النمود - ومن الأجنان إلى الرقاب ، فليست لسيوفه إقامة في شيء من ذلك ، ولهذا جعلها مسافرة .

(٤) يقدن : أي الرماح والجياد والسيوف .
 (٥) ولي : أدبر ؛ وأشياع الرجل : أتباعه ومشايعوه الذين يطيعونه ؛ والشاء : جمع شاة ، وإنما قال أحسن على لفظه ، لامتعاه ، فلفظه الواحد ، وزئير الأسد صوته ، والخرشني هو بدر الخرشنى ، أحد قواد الدولة العباسية ، وقد كان والياً لحلب ، وهو منسوب إلى خرشنة - بلد من بلاد الروم - يقول أدبر ومعه جنوده وأتباعه كالغتم حين تسمع صوت الأسد .

(٦) يرون - بضم الياء - أي يظنون ويخيل إليهم ؛ والضمير : للخرشني وأتباعه ؛ والذعر : الخوف والفرع ؛ وصوت الرياح : مفعول أول ؛ وصهيل الجياد : مفعول ثان ؛ والبنود : الرايات ، وخفقها : اضطرابها . يقول : إنهم لشدة خوفهم - وهم هارون - كانوا يظنون صوت الرياح صهيل خيل المدوح وراءهم وخفق راياته . وهذا من قول جرير :

مَا زِلْتُ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلاً تَكْرَهُ عَلَيْكُمْ وَرِجَالاً

فَمَنْ كَالْأَمِيرِ ابْنِ بِنْتِ الْأَمِيرِ أَوْ مَنْ كَأَبَائِهِ وَالْجُدُودِ (١)
 سَمَّوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صَبِيَّةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فِي الْمُهُودِ (٢)
 أَمَّا لِكَ رَقِيٍّ وَمَنْ شَأْنُهُ هِبَاتُ اللَّجَيْنِ وَعَتَقُ الْعَبِيدِ (٣)
 دَعْوَتِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ (٤)
 دَعْوَتِكَ لَمَّا بَرَّانِي الْبَلَاءُ وَأَوْهَنَ رِجْلِي ثِقْلُ الْأَحْدِيدِ (٥)
 وَقَدْ كَانَتْ مَشِيهُمَا فِي النَّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشِيهُمَا فِي الْقِيُودِ
 وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفَلٍ فَهَذَا أَنَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ قُرُودِ (٦)

(١) من : استفهام معناه الإنكار . يقول : لا أحد مثله ولا مثل آبائه وجدوده .
 وقال ابن بنت الأمير لأن جده لأمه كان أميراً أيضاً : يعني أن الإمارة انحدرت إليه
 من أبويه .

(٢) يقول : إنهم ورثوا المجد والسؤدد والجود عن آبائهم فحكم لهم بالمجد والجود
 والسؤدد وهم صغار على ما عهد من أجدادهم وآبائهم . هذا : والمعالي : جمع معلاة .
 وهي كسب الشرف . قال ابن بري : ويقال في واحدة المعالي : معلوه ، والصبيبة : جمع
 صبي ؛ والمهود : جمع مهد ؛ وهو مضجع الطفل .

(٣) الرق العبودية ، والهبات : العطايا ، واللجين : الفضة ؛ والعتق الحرية ، وهو
 اسم من عتق العبد إذا خرج عن الرق . يقول : يامن يملك نفسى عبودية ويا من شأنه
 أن يهب الفضة ويعتق العبيد : دعوتك إلى آخر ما يلي ، وقوله ومن شأنه - بفتح الهمزة -
 اسم بمعنى الذي ، وشأنه : مبتدأ ، خبره : هبات . ورواها ابن جنى ، ومن شأنه ، جعلها
 جارا ومجرورا : فيكون خبرا مقدما ، وهبات : مبتدأ مؤخر .

(٤) الوريد : عرق في العنق يضرب مثلا في شدة القرب ، يقال : هو أقرب إليه
 من جبل الوريد .

(٥) البلاء : الامتحان ، والغم يبلى الجسم ، وبراه : هزله وأخلجه ؛ وأوهنه :
 أضعفه والبلاء يروى البلى : أى الفناء .

(٦) المحفل : الجماعة يجتمعون في موضع ، وعني بالقرود : المسجونين معه من
 اللصوص وأصحاب الجنايات الشقي الشكول . يقول : كنت أجالس أهل الفضل فصرت
 أجالس أوباش الناس .

تُعَجَّلُ فِي وُجُوبِ الْحُدُودِ وَحَدَى قُبَيْلٍ وَجُوبِ الشُّجُودِ (١)
 وَقِيلَ عَادَتَ عَلَى الْعَالَمِينَ بَيْنَ وَلَا دِي وَبَيْنَ الْقُودِ (٢)
 فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ وَقَدَرُ الشَّهَادَةِ قَدَرُ الشُّهُودِ (٣)
 فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ وَلَا تَعْبَأَنَّ بِمَحَكِ الْيَهُودِ (٤)
 وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى أَرَدْتُ وَدَعْوَى فَعَلْتُ بِشَأْنِ بَعِيدِ (٥)
 وَفِي جُودِ كَفَيْكَ مَا جَدْتُ لِي بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشَقَى ثَمُودِ (٦)

(١) تعجل : أى أتعجل ؟ . فهو استفهام إنكارى - على تقدير الهمزة - ويحتمل أن يكون خبراً ، والحدود : جمع الحد ، وهو العقوبة . وحدى : عطف على وجوب . يقول إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب على الصلاة بعد ، فكيف أحد ؟ قال ابن جنى : وليس يريد أنه فى الحقيقة صبي غير بالغ ، وإنما يصغر أمر نفسه عند الوالى ، ألا ترى أن من كان صبياً لا يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والحلاف ؟

(٢) عدوت - من العدوان - أى البغى . والولاد : الولادة . يقول : ادعى على الناس - وأنا طفل لم أستطع الجلوس وحدى بعد - أنى جرت وخرجت على الناس ...
 يعنى أن الناس مفترون . يدفع بهذا عن نفسه الظنة .

(٣) يقول : إن الناس إنما شهدوا على زوراً فلم تقبل شهادتهم ، وقدر الشهادة على قدر الشاهد : إن كان الشاهد عدلاً : قبلت شهادته ، وإن كان من السفلة السقاط : ردت .

(٤) الكاشح : العدو الذى يضر العداوة فى كسحه . ويقال ما عبأت به : أى ما باليت . وقوله بمحك اليهود : أى لجأهم ، وروى بمخل : وهو الكيد والسعاية . قال ابن جنى : جعل خصومه يهوداً ولم يكونوا فى الحقيقة يهوداً ..

(٥) دعوى - فى اللغتين - مضافة إلى الجملة الحكمة ، والشأ والشوط والمسافة والغاية ، والباء متعلقة بفارقاً . يقول : إن بين دعوى من يقول : أردت أن أفعل كذا ودعوى من يقول : فعلت كذا ، بونا بعيداً فافرق بينهما لأنهم إنما ادعوا على أنى أردت أن أفعل ولم يدعوا على أنى فعلت ، وبينهما فرق ظاهر ، وكانوا قد وشوا به أنه يريد أن يأخذ البلد .

(٦) ما - من قوله ما جدت لى - مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مبتدأ مؤخر وفى جود كفيك : خبر مقدم وأشقى ثمود : هو «قدار» عاقر ناقة صالح . يقول : إن جودك لى بنفسى هو فى جملة عطايا كفيك .

وإمام أبو بكر الطائى وهو ينشد فقال :

إِنَّ الْقَوَائِي لَمْ تُنِكَ وَإِنَّمَا
مَحَقَّتْكَ حَتَّى صِرْتَ مَا لَا يُوجَدُ^(١)
فَكَانَ أذُنُكَ فَوْكَ حِينَ سَمِعْتَهَا وَكَأَنَّهَا بِمَا سَكِرْتَ الْمُرْقِدُ^(٢)

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسى :

مُحَمَّدُ بْنُ زُرَيْقٍ مَا نَرَى أَحَدًا
— إِذَا فَقَدْنَاكَ يُعْطَى قَبْلَ أَنْ يَعِدَا
وَقَدْ قَصَصْنَاكَ وَالتَّرْحَالُ مُقْتَرَبٌ
وَالدَّارُ شَاسِعَةٌ وَالزَّادُ قَدْ نَفِدَا^(٣)
فَخَلَّ كَفِّكَ تَهْمِي وَائِنْ وَابِلَهَا
إِذَا اكْتَفَيْتُ وَإِلَّا أَغْرَقَ الْبِلْدَا^(٤)

(١) يقول : إن الشعر لم يكن سبب نومك هذا ، ولكن السبب أنك حسدتنى على شعرى ، فمحققتك وأبطل وجودك حتى صرت كالعدم .

(٢) المرقد : ما إذا شربه الإنسان غلبه النوم . يقول : حين سمعت شعرى ، نمت فكان ما سمعت منه بأذنك مرقد شربته بفيك ؛ وقوله مما سكرت : أى من أجل سكرتك : أى خدرتك وتفتركت : فإى ؛ مصدرية .

(٣) الترحال ؛ الرحيل ؛ والشسوع ؛ البعد ؛ ونقد ؛ فرغ .

(٤) همى الماء ؛ سال ، وشناه صرفه ورده ، والوابل ؛ المطر الغزير ؛ يقول : أطلق يديك هامية بالعطاء ، واصرف عنى معظم مطرها إذا اكتفيت ، يعنى أن فى قليل عطائها غناء وكفاية ، ولا حاجة إلى كثيرها الذى هو كالوابل يفرق البلد .

وقال يمدح أبا عبادة بن يحيى البحرى :

ما الشوقُ مُفْتَنِمًا مِنِّي بذا الكمدِ حتى أكونَ بلا قلبٍ ولا كيدٍ^(١)
ولا الديارُ التي كانَ الحبيبُ بها تشكو إلىَّ ولا أشكو إلى أحدٍ^(٢)

(١) الكمد : الحزن مع المم : يقول : إن شوقى إلى الأعبة لا يقنع منى بهذا الحزن الذى أنا فيه حتى يحرق كبدى ويوله عقلى فأصير مجنوناً ذاهب العقل .

(٢) اضطربت كلمة الشراح فى تأويل هذا البيت : فقال بعض الشراح : يعنى أن دار الحبيب لا تشكو إلى إذ لا نطق لها ، ولا أنا أشكو فيها إلى أحد إذ لم يبق بها ساكن ومن شأن المحزون أن يتأسى بسمع شكوى غيره ويرتاح إلى بث شكواه ، لأن الشكوى إذا ظهرت خف المصاب . وقال ابن جنى : المعنى لم يبق فى فضل للشكوى ، ولا فى الديار لأن الزمان أبلاها ، قال ابن فورجه : ذهب ابن جنى إلى أن تقدير الكلام : ولا الديار تشكو إلى ، وقد علم أن الديار كلما كانت أشد دثوراً وبلى : كانت أشكى ، لما تلاقى من الوحشة بفراق الأعبة ، فكيف جعل الديار لا فضل فيها للشكوى ؟ وشكواها ليست بحقيقية وإنما هى مجازية ، وإنما تكون على ما ذكر لو أن شكواها حقيقية وكانت تقصر عنها لضعفها وبلاها ، كما يصح ذلك فى العاشق ، كقول البيهق :

لم يبقَ لى رَمَقَ أشكو إليك به وإنما يتشكى من به رَمَق

وأيضاً لو كان كما ادعى لم يكن لعطف هذه الجملة على قوله « ما الشوق ، مقتما » معنى . وإنما عطفها عليها دل على أنها منها ؛ وإنما يعنى : لا الشوق يقنع منى بهذا الكمد ، ولا الديار التى كان الحبيب بها تقنع منى به . وتم الكلام بقوله : الحبيب بها ، ثم ابتداء فقال هذه الديار تشكو إلى وحشتها بفراق أهلها ، ولا أنا أشكو إلى أحد : إما لجلدى ، أو لأنى كتوم لأسراى ، فيكون قد نظر إلى قول القائل :

فإنى مثلُ ما تجدىنَ وجدى ولكنى أسيرٌ وتُغْلِبِينَا

قال الواحدى : يمكن توجيه المعنى من غير أن يتم الكلام فى الصراع الأول ، وهو أن يكون : ولا تقنع الديار التى كان الحبيب بها يشكو إلى : أى يطلق على أمره ، وأنا لا أفتنى سرى ، على رواية يشكو - بالياء - ومن روى بالناء كانت الديار الشاكية : يريد بلسان الحال مادفت إليه من الوحشة والحلاء ، فتشكو : يريد به الحال لا الاستقبال ولا أشكو إلى أحد ، لأنه ليس بها غيرى .

ما زالَ كُلُّ هَزِيمِ الْوَدْقِ يُنْحِلُهُمَا
وَالسَّقْمُ يُنْحِلُنِي حَتَّى حَكَتْ جَسَدِي (١)
وَكُلَّمَا فَاضَ دَمِي غَاضَ مُصْطَابِرِي (٢)
كَأَنَّ مَا سَالَ مِنْ جَفَنِي مِنْ جَلْدِي (٣)
فَأَيْنَ مِنْ زَفْرَاتِي مَنْ كَلَفْتُ بِهِ (٤)
وَأَيْنَ مِنْكَ ابْنُ يَحْيَى صَوْلَةُ الْأَسَدِ (٥)
لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بِهَا (٦)
وَبِالْوَرَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ (٧)

(١) الودق : المطر ، وهزيم الودق ؛ يريد سبحانه هزيم الودق ، وهو الذي لا يستمسك كأنه منهزم عن مائه : ويقال غيث هزيم ومنهزم ، وأكثر ما يستعملان في صفة السحاب . وهو الذي لرعده صوت : يقال سمعت هزيمة الرعد ، ولا يستعمل في صفة الودق . وفي معنى البيت يقول مغلد بن بكار الموصلی :

يَا مَنْزِلًا ضَنًّا بِالسَّلَامِ سَقَيْتَ صَوْبًا مِنَ الْغَامِ
مَا تَرَكَ الْمَرْنُ مِنْكَ إِلَّا مَا تَرَكَ السَّقْمُ مِنْ عِظَامِي

ويقول ابن وهب :

لَيْسَا الْبَلِيَّ فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحْيَةِ مِثْلَ مَا أُجِدَا

وقال البحرى :

حَمَلَتْ مَعَالِمَهُنَّ أَعْبَاءَ الْبَلِيَّ حَتَّى كَأَنَّ نَحْوَهُنَّ نَحْوِي

(٢) غاض : نقص ؛ والمصطبر : الاصطبار ؛ والجلد : القوة والصبر . يقول : كأن دموعي جارية من جلدي ، لأنى كلما بكيت نقص صبرى ، فكان دموعي من صبرى .
(٣) الزفرات : الأنفاس الحادة ؛ وكلف به : أولع ؛ ومن زفراتى : متعلق بمعنى أين ، تقديره : أبعد حبيبي من زفراتى أم قريب ؟ . يقول : أين من عشقته وأولعت به من معرفة ما بى من الشوق إليه والحسرة على فراقه ؟ وأين تقع من صولتك أيها الممدوح صولة الأسد ؟ أنكرا أن يعرف الحبيب حاله ، وأن تكون صولة الأسد كصولة الممدوح ، وفيه من البديع حسن التخلص .

(٤) يقول : لما رجحت كفتك - وقد وضعت الدنيا وأهلها في الكفة الأخرى - علمت أن الرزانة للفضل ، لا للأشخاص : أى إذا رجح الواحد على الكثير كان ذلك الكثير قليلا بالقياس إلى ذلك الواحد الراجح . قال البحرى :

مَا دَارَ فِي خَالِدِ الْأَيَّامِ لِي فَرَحٌ أبا عُبَادَةَ حَتَّى دُرَّتْ فِي خَلْدِي (١)
مَلَكٌ إِذَا امْتَلَأَتْ مَالاً خَزَائِنُهُ أَذَاقَهَا طَعْمَ مُكَلِّ الْأُمِّ لِلْوَالِدِ (٢)
مَا صِيَ الْجَنَانِ يُرِيدُ الْحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدٍ (٣)
مَاذَا الْبِهَاءُ وَلَاذَا الثُّورُ مِنْ بَشَرٍ وَلَا السَّمَاحُ الَّذِي فِيهِ سَمَاحٌ يَدٍ (٤)

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عد ألف بواحد
(١) الخلد : البال والرؤع . يقول . لم يقع في قلب الأيام أن تسرنى حتى وقعت
أنت في قلبي أن أصمد إليك . والمعنى : ما أقبلت على الدنيا حتى أملتك وقصدتك . وهذا
ينظر إلى قول الآخر :

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِسَلْمَى لَزَمَانَ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ
(٢) الشكل : فقد الأم ولدها . جعل الجزائن كالأُم ، والسالم كالولد . يقول : إذا
امتلات خزائنه بالمال فرق بينه وبينها ، فكأنها أم فقدت ولدها ؛ وهذا كقول
أبي نواس :

إِلَى فَتَى أُمِّ مَالِدٍ أَبَدًا تَسْعَى بِجَيْبِ فِي النَّاسِ مَشْقُوقِ
(٣) الماضى : النافذ ؛ والجنان : القلب ؛ والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ
فيه بالثقة . يقول : إن حزمه في الأمور يره في يومه ما يكون بعد الغد ، فيرى قلبه
ما تراه عينه بعد غد : يعنى أنه يفتن إلى الأشياء قبل حدوثها كما قال أوس بن حجر :
الْأَلْمِجِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنَّ قَدْرَ أَى وَقَدْ سَمِعَا
ويقول أبو تمام :

وَلِذَلِكَ قِيلَ مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ حَقٌّ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ (١)
ولقد كرر المتنبي هذا المعنى في شعره . والمراد بهذا كله : صحة الحدس وجودة الظن .
(٤) ماذا : أى ليس هذا البهاء ولا هذا النور الخ . فماذا : مركبة من ما النافية وذا
الإشارية ؛ والبهاء : الحسن ؛ وسماح : من رفعه فهو على جعل «ما» تيمية ؛ ومن رواه
بالنصب جعله خبرا لما ، وهى مشبهة بليس . يقول : أنت أجل من أن تكون بشراً ،

(١) من مدحة له فى الواثق . . ولذلك : أى لأننا كنا رأينا فيه الخلافة وتفرسناها فيه .

أَيُّ الْأَكْفِ تَبَارَى الْغَيْثَ مَا اتَّفَقَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَا عَادَتْ وَلَمْ يَعُدْ (١)
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَجْدَ مِنْ مُضِرٍّ
حَتَّى تَبَحَّرَ فَهُوَ الْيَوْمَ مِنْ أُدَدٍ (٢)
قَوْمٌ إِذَا أَمْطَرَتْ مَوْتًا سُيُوفُهُمْ
حَسِبْتَهَا سُحْبًا جَادَتْ عَلَى بَلَدٍ (٣)
لَمْ أَجِرْ غَايَةَ فِكْرِي مِنْكَ فِي صِفَةٍ
إِلَّا وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ الْأَبَدِ (٤)

لأن ما نشاهده فيك من الحسن والنور لا يكون في بشر ، وليس سماحك سماح يد ، وإنما هو سماح غيث وبحر . وكل هذا مبالغة ، وفي معناه :

يَجْلُ عَنِ التَّشْبِيهِ لَا الْكُفَّ بَلَّةٌ وَلَا هُوَ ضِرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مَخْدُمٌ

(١) باراه : عارضه وفعل مثل فعله . وقوله ما اتفقا : ما : مصدرية : أي مدة اتفاقهما ؛ وقد وقعت الجملة موقع الحال ، وضمير الثنى : يرجع إلى أي الأكف والغيث ؛ يقول : أي كف سوى كف هذا المدوح تبارى الغيث في الجود ما اتفقا ما طرين ، وإذا افترقا بإقلاع السحاب عادت الكف إلى عاداتها ولم يعد الغيث : يريد أن الغيث يمطر ثم ينقطع ، وكفه تجودولا ينقطع جودها ، فهي تزيد على الغيث . والمعنى أنها تعود إلى الجود وشيكا ، أما الغيث فلا يعود عوده ، لأنه قد ينقطع زماناً طويلاً .

(٢) مضر : هو ابن نزار بن معد بن عدنان . وتبحر . انتسب إلى بني بختر ؛ وهم حى من طيء من عرب اليمن . وأدد : ابن قحطان أبو اليمن : يقول : كنت أظن المجد مضرياً حتى شله المدوح إلى بني بختر ، فهو اليوم بختري أددي .

(٣) يريد بالموت : الدم ، لأن سفوح الدم يسبب الموت ، وإذا أمطرت السيوف الدم فقد أمطرت الموت . شبهها - وهي تمطر الدم - بالسحب تجود بالمطر .

(٤) يقول : لم أفكر في صفة من صفاتك إلا وجدت غايتها لا تنتهي كغاية الدهر .

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخي :

أَحَادُ أُمِّ سُدَّاسٍ فِي أَحَادٍ لِيُيَلِّتَنَا الْمُنَوِّطَةَ بِالتَّنَادِ^(١)

(١) أحاد : يريد أحاد ، حذف همزة الاستفهام للضرورة - وإن لم يكن بالفصح -
وأحاد من الأبنية التي سمعت عن العرب ، ومثلها ثناء ، وثلاث ، ورباع ، وقاسه المولدون
إلى العشرة ، قال الكمي :
فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الرَّجَاءِ^(١) خِصَالًا عُشَارًا

(١) فوق الرجاء أي فوق الرجاء الذي كانوا يرجون أنك تبلغه

« من قصيدة للكمي يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله .

رَجَوَكَ وَلَمْ يَبْلُغِ الْعَمْرَ سَنَكَ وَلَا نَبْتَ فَيْكَ اتْفَارًا

لَأَدْنَى خَسَا أَوْ زَكَ مِنْ سَنِكَ إِلَى أَرْبَعِ قَبَقُونَ اتْفَارًا

يقول : تبينوا فيك السؤدد لسنة أو سنتين من مولدك فرجوا أن تكون سيداً أميراً
مطاعاً رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله ولا نبت فيك اتفارا أي اتفرت ولم
تنبت أسنانك بعد .

قال أهل اللغة : إذا سقطت روائح الصبي قبل ثغر فهو مشغور ، فإذا نبت قيل :
انفر ، وأصله اتفر ، فقبلت الثاء تاء ، ثم أدغمت .

وقوله : لأدنى خسا أوزكا ، فالخسا بفتح الحاء : الفرد « والزكا » بفتح الزاي :
الزوج و « خسارة » و « زكا » يونان ولا يونان .

والمعنى : أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقل ما يعبر عنه بخسا وزكا ، وهو سنة
أو سنتان ، إلى أن صار لك أربع سنين ، فظهر للناس مادهم على ما رجوه منك
وتفرسوك عند كمال سنك .

وقوله : قبون ، أي : انتظروك ، يقال : قبوت الشيء إذا انتظرته .

واتظاراً منصوب بـ « قبون » لأنه في معنى انتظروك انتظاراً ، ومعنى يستر يثوك
يجدونك راثماً أي بطيئاً ، من « الريث » وهو البطء .

ورميت زدت ، يقال رمى على الحسين وأرمى ، أي زاد .

يقول : لما نشأت نشء الرجال ، أسرع في بلوغ الغاية التي يطلبها طلاب المعالي ،
ولم يقنعك ذلك ، حتى زدت عليهم بشر خصال ، ققت السابقين وأياست الذين راموا أن
يكونوا لك لاحقين

ولا يستعمل أحاد في موضع الواحد ، فلا يقال هو أحاد - أى واحد - إنما يقولون جاءوا أحاد : أى واحداً واحداً ، وكذلك سداس. والليلة : تصغير ليلة ، والمراد بالتصغير ههنا : التعظيم ، على حد قول لبيد :

وكلُّ أناسٍ سوفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُؤَيْبِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنْامِلُ (١)

(يعنى لبيد : الموت الذى هو أعظم الدواهي) والتنادى : يوم القيامة ، سمي كذلك لأن النداء يكثر في ذلك اليوم. قال الواحدى : أراد واحدة أمست في واحدة وست في واحدة - إذا جعلتها فيها كالشيء في الظرف ولم ترد الضرب الحسابى - سبع ، وخص هذا العدد لأنه أراد ليالى الأسبوع ، وجعلها اسماً لليالى الدهر كلها لأن كل أسبوع بعده أسبوع آخر إلى آخر الدهر. يقول : هذه الليلة واحدة أم ليالى الدهر كلها جمعت في هذه الليلة الواحدة حتى طالت وامتدت إلى يوم القيامة ؟ وعبارة بعض السراخ : يقول : إن هذه الليلة منوطة بيوم القيامة ، فهى لطولها بمنزلة ليالى الدهر كلها ، إلا أن كل واحدة من تلك الليالى طويلة أيضاً حتى كأنها ست ليال في ليلة - أى سبع ليال - يعنى أن ليلته دهر بلياليه ، وكل ليلة منه أسبوع ، وهى نهاية البالغة في الطول . وقال ابن جنى : يريد : يتنادى أصحابه بما يهتم به ، ألا ترى إلى قوله :

• أفكر في معاقرة النايا •

وطى هذا استطال الليلة التي عنزم في صباحها على الحرب ، فهو قائل ما عنزم عليه ، وإنما حقر الليلة لعظم طولها ؟ ومنه قول الجباب بن المنذر الأنصارى .

(١) قبله :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ألا كل ذي لب إلى الله وائل

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وقوله أنحب فيقضى ، فالنحب النذر . يقول : أشيء أوجه على نفسه فهو يسى في قضائه أم ضلال ؟ .

كَانَ بِنَاتِ نَعَشٍ فِي دُجَاهَا خَرَائِدُ سَافِرَاتٍ فِي حِدَادٍ (١)
أَفْكَرُ فِي مُعَاقَرَةِ النَّايَا وَقَوْدِ التَّحْلِيلِ مُشْرِقَةً لِمُوَادِي (٢)

• أَنَا جُذَيْلُهَا الْمَحْكُوكُ وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ (١)

أقول : وهذا البيت - على غموضه وقبحه وأخطائه - لا يخرج عن معنى قوله :
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لِأَصْبَاحِ لَهُ كَانَ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ آخِرُهُ
(١) بنات نعش : كواكب معروفة . وقوله في دجاءها : حال من بنات نعش ، عاملها
معنى التشبيه ، والضمير في دجاءها : لقوله ليلتنا . والخرايد : العذارى لم يمسن ، أو
الحيات الطويلات السكوت ؛ والسافرات : الكاشفات عن وجوههن ؛ والحداد : ثياب
سود تلبس عند الحزن ؛ وقوله في حداد متعلق بسافرات ، أو حال من الضمير للمستتر
فيها . شبه بنات نعش - وهي مضيئة في سواد الليل - بالحسان السافرات في ثياب السود
قال ابن جني : لما شبهن بيباض النجوم في سواد الليل كان حقّه أن يذكر جوارى أيضا .
والخرد ليس من البياض في شيء ، إلا أنه في الأمر الغالب إنما يكون للبيض دون السود
الآتري أن السود فيهن التبذل ؛ وأراد شيئا ، فذكر ما يصحبه مستدلا عليه ، فشبه
بنات نعش في ظلمة الليل بوجوه جوار سافرات في ثياب سود . قال الواحدى : ولعله
أراد أن الحياء يكون في البيض دون السود ، والبيت من قول ابن المعتز :

وَأَرَى الثَّرَيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا خُرُودٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حِدَادٍ

(٢) معاقرة النايَا : أى ملازمتها ، وأن يكون معها في عقر دارها ، وهو للمترک ،

يعنى ملازمة الحروب ، ومشرفة الموادى : أى طوال الأعتاق حال ، وهى نكرة ، لأن
اسم المتاعل إذا كان بمعنى الحال والاستقبال : لم يعرف بالإضافة إلى المعرفة ، لأن الإضافة
فيه ينوب بها الاتصال . يقول : طالت على هذه الليلة مما أفكر في الحرب ، وقود التحيل
إلى الأغداء .

(١) الجذل ههنا : الأصل من الشجرة ، تحتك به الإبل فتشتق به : أى قد جرتنى

الأمر ، ولى رأى وعلم يشتق بهما ، كما تشتق هذه الإبل الجربى بهذا الجذل ؛ والعذيق .
تصغير عذق - بالفتح - وهو النخلة ، والترجيب : إرصاد النخلة من جانب لجنبها من
السقوط : أى أن لى عشيرة تضدنى وتمعننى وترفدننى .

زَعِيمٌ لِّقَنَا اَلْحَطَىٰ عَزِيمِي بَسْفِكَ دَمِ اَلْحَوَاضِرِ وَابْوَادِي ^(١)
 اِلَىٰ كَمِّ ذَا التَّخْلَفِ وَالتَّوَانِي وَكَمْ هَذَا التَّمَادِي فِي التَّمَادِي ^(٢)
 وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنِ طَلَبِ الْمَعَالِي بِبَيْعِ الشُّعْرِ فِي سُوْقِ الْكِسَادِ ^(٣)
 وَمَا مَاضِيَ الشَّابَابِ بِمُسْتَرَدِّ وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ ^(٤)
 مَتَى لَحِظْتُ بَيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِي فَقَدْ وَجَدْتَهُ مِنْهَا فِي السَّوَادِ ^(٥)

(١) زعيم : أى كفيل ، خبر مقدم عن عزمي . واقنا : الرماح . والحطى - للنسب إلى الخط - موضع باليمامة ؛ وقوله دم الحواضر والبوادي : أى دم سكنتهما ، وهما جمع حاضرة وبادية ، والحاضرة : اسم يقع على المدن والقرى والريف ، ومساواها البادية ، وهى الصحراء . يقول : عزمي كفيل بسفك دم الناس جميعاً : حاضرهم والباد .
 (٢) التمادى فى الأمر : بلوغ مده ، والتمادى فى التمادى : أن يتتابع تماديه . يقول : إلى كم أتأخر عما أطلبه من المعالى وأقصر فى ذلك ؟ وإلى كم أتمادى فى التقصير تمادياً متتابعاً ؟ .

(٣) كسد الشيء : لم ينفق لقلة الرغب فيه . يقول : وإلى كم أشغل نفسى عن طلب المعالى بنظم الشعر فى مدح من لا قيمة عنده للشعر :
 (٤) هذا كما قال :

* ولكن ما يمضى من العيش فانت *

يريد التحضيض على طلب المعالى : أى أطلب الأهم فالأهم ، فإن أيامك لتذهب عمرك .
 وروى ابن حنى بمستعاد - بدل بمستعاد .

(٥) يقول : متى رأيت عيني يابض الشيب فى شعري فكأنى وجدته فى سوادها كراهية له ، وإذا ابيض سواد العين عمى صاحبها ، فكأنه يقول الشيب كالمعى ؛ وعبارة ابن جنى : كأن مافى وجهه من الشيب نابت فى عينيه ؛ وعبارة الخطيب التبريزى : إذا لحظت يابض الشيب ، فكأنما لحظت به يابضاً فى العين ، ولا يمكنه أن يلحظ سواد عينيه إلا فى المرأة ، ولولا أنه بين سواد العين للحل على سواد القلب لاحتماله ذلك . وهذا من قول أبى دلف :

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَىٰ بِيضَاءَ قَدْ طَلَعَتْ كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِي نَاطِرِ الْبَصْرِ
 وَيَقُولُ أَبُو تَمَامٍ :

لَهُ مَنظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَيْبُضٌ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدٌ أَسْفَعٌ

مَتَى مَا زِدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي فَقَدْ وَقَعَ اُنْتِقَاصِي فِي اَزْدِيَادِي (١)
 اَأْرَضِي أَنْ اُعِيشَ وَلَا اُكْفَى عَلَى مَا لِلْاِمِيرِ مِنَ الْاِيَادِي (٢)
 جَزَى اللهُ الْمَسِيرَ اِلَيْهِ خَيْرًا وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ (٣)
 فَلَمْ تَلَقَ ابْنَ اِبْرَاهِيمَ عَنَسِي وَفِيهَا قُوْتُ يَوْمِ الْقُرَادِ (٤)
 اَلْمَ يَكُ يَبِينُنَا بَلَدًا بَعِيدًا فَصَيَّرَ طُولَهُ عَرْضَ النَّجَادِ (٥)
 وَابْعَدَ بُبْدَنَا بَعْدَ التَّدَانِي وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ (٦)

(١) يقول : إذا بلغ الشباب نهايته ، فزيادة العمر بعد ذلك وفور النقصان لما هناك من ضعف الشيخوخة ؛ وهو معنى بديع تماوره الشعراء ، قال عبد الله بن طاهر :

إِذَا مَا زَادَ عُمْرُكَ كَانَ نَقْصًا وَنُقْصَانُ الْحَيَاةِ مَعَ التَّمَامِ
 وقال آخر :

إِذَا اتَّسَقَ الْهَلَالُ وَصَارَ بَدْرًا تَبَيَّنَتِ الْحَاقِقَ مِنَ الْهَلَالِ

(٢) الأيادي : النعم . يقول : كيف أرضى بحياتي ولا أجازي المدوح على ماله عندي من سالف النعم التي أسداها إلي ؟

(٣) المزاد : جمع مزادة ، وهي قرية الماء . يقول : إن إبلنا قد أضناها السير ، وهزلها حتى تركها كالمزاد التي كانت معنا ونقد ماؤها ، جفت لطول السفر ، وعبارة ابن جني : يريد : قد هزلها وأضناها السير حتى صارت كالمزاد البالي ، لحذف الصفة ، قال ابن فورجه لا دليل على حذف الصفة ، وإنما أراد كالمزاد التي نعملها في مسيرنا إذ قد خلت من الماء والزاد لطول السفر . والألف واللام - في المزاد - للعهد ، والمعنى : إن المسير إليه أذهب لحوم المطايا ، وأفنى ما تزودنا من ماء وزاد ، فلم يبق من المطايا لحم ، ولا في المزاد زاد .

(٤) العنسي : الناقة الصلبة . والقراد : دويبة تنزق بالابل ونحوها - كالقمل للانسان - يقول : لم تصل ناقتي إلى هذا المدوح إلا بعد أن أضناها السير حتى لم يترك فيها من الدم ما يقوت القراد :

(٥) الضمير في صير : للمسير . والنجاد : حمائل السيف ، والمراد بالبلد هنا : المفازة يقول : إن المسير أدنانني إليه حتى لم يبق بيني وبينه إلا مقدار عرض حمائل السيف . وهو غاية القرب ؛ والعرب تقدر في القرب : بقباب القوس وحمائل السيف .

(٦) الضمير في الفعلين للمسير ، والمصدر الاول - في كل من الشطرين - مفعول به

فَلَا جِنَّهُ أَعْلَى مَحَلِّي وَأَجْلَسَنِي عَلَى السَّبْعِ الشَّدَادِ (١)
 تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَالَّتِي مَالَهُ قَبْلَ الْوَسَادِ (٢)
 تَلُومِكَ لِأَعْلَى لِفَيْرِ ذَنْبٍ لِأَنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَيَّ الْعِبَادِ (٣)
 وَأَنَّكَ لَا تَجُودُ عَلَيَّ جَوَادٍ هِبَاتِكَ أَنْ يُنْقَبَ بِالْجَوَادِ (٤)

والصدر الثاني : مفعول مطلق . يقول : إن المسير أبعد ما كان بيننا من البعد ، فجعله كبعد التذاني الذي كان بيننا ، وقرب قربنا ، فجعله مثل قرب العباد الذي كان بيننا : أي قربني إليه بحسب ما كان بيني وبينه من البعد ، فجعل البعد بعيداً عنى وجعل القرب قريباً منى . وحاصل المعنى : أننا كنا في غاية البعد فصرنا في غاية القرب . قال المكبري : قال الحكيم أقرب القرب مودات القلوب وإن تباعدت الأجسام ، وأبعد البعد تنافر القلوب وإن تدانت الأجسام ، ثم قال المكبري : وأخذت المعنى فقلت :

وَكَمْ مِنْ قَرِيبٍ قَلْبُهُ عِنْدَكَ نَازِحٌ وَكَمْ مِنْ بَعِيدٍ قَلْبُهُ بِكَ مُفْرَمٌ

(١) يقول : رفع منزلي في مجلسه حتى نلت من الرفعة ما كأتى به فوق السموات السبع . والشداد : التقنة المحكمة الصنعة .

(٢) تهلل : تلاً وأوجه واستبشر برؤي . والوساد : ما يتسكا عليه . ومثل هذا قول الآخر :

إِذَا مَا أَنَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّدَتْ عَلَيْهِ مَصَابِيحُ الطَّلَاقِ وَالْبِشْرِ

والمصراع الثاني من قول علي بن جبلة :

أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَمْدِ مُبْتَدَأًا عَطِيَّةً كَأَفَاتٍ مَدْحِي وَلَمْ تَرْنِي

مَا شِمْتُ بِرَقِّكَ حَتَّى نَلْتُ رَيْقَهُ كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالْجُدْوَى تَبَادَرْنِي

فَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى شُكْرَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلْقِيحُ مَدْحٍ وَنَجْوَى شَاعِرٍ فَطِنِ

شُكْرٍ لَتَعْجِيلِ مَا قَدَّمْتَ مِنْ مَنِّ عِنْدِي وَشُكْرٍ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

(٣) زريت على العباد : أي حقرت أفعالهم و مناقهم بزيادتك عليهم .

(٤) هباتك . فاعل تجود ، وأن يلقب : مؤول بمصدر في موضع نصب بإسقاط

حرف الجر . يقول : إن هباتك لا تجود على أحد بلقب الجواد لأنه لا يستحق هذا اللقب غيرك لأن جودك فوق كل جود .

كَأَنَّ سَخَاءَكَ الْإِسْلَامُ تَخَشَى إِذَا مَا حُلْتَ عَاقِبَةَ اِرْتِدَادٍ^(١)
كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُمُونَ ، وَقَدْ طُبِعَتْ سَيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ^(٢)
وَقَدْ صُنَّتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمومٍ فَأَ يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادٍ^(٣)

(١) حلت : تحولت وتغيرت . يقول : إنك تدين بالسخاء وتمتدده كما تدين بالإسلام وتعد تحولك عنه كأنه الردة ، فتخاف هذا التحول كما تخاف الردة التي عقابها القتل ودخول النار . وهذا كقول أبي تمام :

مَضَوْا وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتُ لَدَيْهِمْ - لِكثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِمْ - شَرَائِعِ
ثُمَّ قَلْبُهُ قَقَالٌ :

كَرَّمٌ تَدِينُ بِمُحْلُوهِ وَبِمُرِّهِ فَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْحِيدِ
(٢) الهام : الرؤوس ، والهيجا : من أسماء الحرب ؛ تمد وتقصر ، وطبع السيف : طريقه وعمله . جعل الرؤوس في الحرب كالعيون ، وجعل سيوفه كالرقاد يقول : إن سيوفك لاتقع إلا على الهام ولا تغل إلا في الرؤوس : كالنوم محله في الجسد : العين . أو تقول : إن سيوفك ألقت الرؤوس ألفة الرقاد للعين ، فلا تغل إلا فيها ، وعبارة الخطيب التبريزي : سيوفك كالرقاد ، فلا تمنع منه العيون ، بل تطرأ عليها : حبت أم كرهت .
(٣) الأسننة : نصال الرماح . ويخطرون : إما بضم الطاء على إرادة المموم ، وإما بكسرها على إرادة الرماح . يقول ؛ إن أسنتك لاتقع إلا في قلوب أعدائك ، كأنها المموم لاهل لها غير القلوب ، والبيت منقول من قول أبي تمام :

كَأَنَّهُ كَانَ تَرَبَّ الْحَبِّ مُذْ زَمَنِ فَلَيْسَ يَحْجِبُهُ خِلْبٌ وَلَا كِبْدٌ^(١)
وَفِي مَعْنَى الْبَيْتِ يَقُولُ دَعْبَلُ فِي سَيْدَانَا عَلَى :

كَأَنَّ سِنَانَهُ أَبْدَأُ ضَمِيرٌ فَلَيْسَ لَهُ عَنِ الْقَلْبِ انْقِلَابٌ
وَصَارِمَةٌ كَبَيْعَتُهُ بِحُمِّمْ فَوْضِعُهَا مِنَ النَّاسِ الرُّقَابُ^(١)

(١) الخلب : حجاب القلب ، وقيل حجاب ما بين القلب والكبد ، ومنه قيل للرجل الذي يحبه النساء إنه لخلب نساء : أى يحبه النساء .

(٢) خم - بضم الخاء ، وقيل بفتحها - موضع بالجلفة ، بين مكة والمدينة ، قضبت فيه عين هناك .

وَيَوْمَ جَلَبْتَهَا شُعْتَ النَّوَاصِي مُعَقَّدَةَ السَّبَابِبِ لِلطَّرَادِ (١)
 وَحَامَ بِهَا الْمَلَائِكُ عَلَى أَنْاسٍ لَهْمٌ بِاللَّادِ قِيَّةِ بَنِي عَادِ (٢)
 فَكَانَ الْغَرْبُ بَحْرًا مِنْ مِيَاهِ وَكَانَ الشَّرْقُ بَحْرًا مِنْ جِيَادِ (٣)
 وَقَدْ خَفَقَتْ لَكَ الرِّايَاتُ فِيهِ
 فَظَلَّ يَمْوجُ بِالْبَيْضِ الْحِدَادِ (٤)

ويقول منصور النمرى :

وكان موقعه بمجموعة الفتى سُكْرُ اللَّدَامَةِ أَوْ نَعَاسُ الْمَاجِعِ

ويقول مهلهل :

الطاعنُ الطمعة النجلاء تحسبها نَوْمًا أَنَاخَ بِجَفْنِ الْعَيْنِ يُفْفِيهَا

بِلَهْذَمٍ مِنْ هُمُومِ النَّفْسِ صَيْفَتُهُ فَلَيْسَ يَنْفَكُ يَجْرِي فِي مَجَارِيهَا

(١) الضمير في جلبتها : للخيول ، وإن لم يجر لها ذكر . لدلالة القرائن عليها ؛ والأشعث : الغبر ، والنواصي : جمع ناصية ، وهى شعر مقدم الرأس وجعلها شعث النواصي لمواصلة السير عليها والحرب والغارة ؛ والسباب : شعر العرف والذنب . وهذا الشعر يقعد عند الحرب ، كما قال :

عَقَدُوا النَّوَاصِيَ لِلطَّمَانِ فَلَا تَرَى فِي الْخَيْلِ - إِذْ يَعْدُونَ - إِلَّا أَنْزَاعًا

وقوله ويوم إلخ : أى أذكرك ذلك اليوم ، قال العكبرى : المعنى ويوم جلبت الخيل للقتال مغبرة من كثرة الطراد عليها ، وقد عقدت نواصيها وأذناها ، يومئذ ظفرت بمطلوبك من الأعداء .

(٢) حام : دار ، من قولهم : حام الطير حول الماء : أى دار حوله ليشرب منه ؛ والباء في بها : متعلقة بحام والضمير : للخيول ، والبنى الظلم : يقول : دار الهلاك بخيلك على أناس بغوا باللادقية وظلموا ظلم عاد وعصوا عصيانهم .

(٣) يقول : إن الأعداء وقعوا بين بحرَيْن : أحدهما من الجانب الغربي ، وهو بحر الماء - لأن اللادقية على ساحل البحر - والآخر من الجانب الشرقي ، وهو جيش المدوح ، شبه الخيل بالبحر لكثرتها ولما فيها من بريق الأسلحة .

(٤) فيه : أى في بحر الجياد ، والبيض : السيف ، والحداد : الرقاق ، يقول اضطربت الأعلام في هذا البحر - بحر الجياد - وتحركت لك - لا عليك - فظل ذلك البحر يَمْوجُ ويتحرك بالسيف .

لَقُّوْكَ بِأَكْبَدِ الْإِبِلِ الْأَبَايَا فَسَقْتَهُمْ وَحَدَّ السَّيْفِ حَادٍ (١)
وَقَدْ مَزَّقْتَ ثَوْبَ النَّعْيِ عَنْهُمْ وَقَدْ أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الرَّشَادِ (٢)
فَمَا تَرَكَوْا الْإِمَارَةَ لِاخْتِيَارٍ وَلَا انْتَحَلُوا وِدَادَكَ مِنْ وِدَادٍ (٣)
وَلَا اسْتَفَلُّوْا زُهْدِي فِي التَّعَالِي وَلَا انْقَادُوا سُورًا بِاِقْيَادٍ (٤)
وَلَكِنْ هَبَّ خَوْفُكَ فِي حَشَاؤُهُمْ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي رِجْلِ الْجِرَادِ (٥)
وَمَاتُوا قَبْلَ مَوْتِهِمْ فَلَمَّا مَنَنْتَ أَعَدْتَهُمْ قَبْلَ الْمَعَادِ (٦)
غَمَدَتْ صَوَارِمًا لَوْ لَمْ يَتُوبُوا مَحْمُورُهُمْ بِهَا نَحْوَ الْمِدَادِ (٧)

(١) الابايا : جمع الآية ، أى الآية الممتعة . يقول : لتوك عاصين غليظة أ كبادهم
كما كباد الإبل التي تأتي على أربابها ولا تقاد إليهم ، فذللتهم وسقمتهم أمامك كما تساق
الإبل ، وحاديهم الذي يسوقهم هو حد سيفك ، والإبل توصف بلفظ الكبد كما قال :
* لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ

(٢) يقول : أخرجتهم من صلال العصية إلى رشد الطاعة . وفيه من البديع المقابلة
بين النعى والرشاد .

(٣) استعمل الشيء : ادعاء . يقول : إنك اضطرتهم إلى ترك الإمارة فتركوها
خوفاً ، وادعوا جبك ادعاء ، لا لأنهم يودونك حقيقة .

(٤) استفلوا من السفال : أى تسفلوا وانخطوا ؛ وانقادوا : أطاعوا .

(٥) هب : نار واضطرب . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . والرجل من الجراد
القطعة منه . يقول : إنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك رغبة في فعله ولكن لأن ريح الخوف
عضفت بهم وفرقتهم كما تفرق الريح رجل الجراد .

(٦) يقول : ماتوا خوفاً منك قبل أوان موتهم ، فلما مننت بالعمو عنهم كان ذلك
إحياء لهم قبل يوم البعث : وهذا منقول من قول أبي تمام .

مَعَادِ الْبَعْثِ مَعْرُوفٌ وَلَكِنْ

نَدَى كَفَيْكَ فِي الدُّنْيَا مَعَادِي

(٧) الصوارم : السيوف القواطع . والمداد : الخبر ، يقول : سللت عليهم سيوفاً ،
فلما عفوت عنهم أغمدتها ، ولو لم يتوبوا وينقادوا لك لهُونهم نحو المداد .

وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى
بِمُنْتَصِفٍ مِنَ الْعُكْرَمِ التَّلَادِ (١)
فَلَا تَفْرُزُكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ تَقْلِبُنَّ أَفْئِدَةً أُعَادِي (٢)
وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْتِي لِبَاكِ بَكَى مِنْهُ وَيَرَوَى وَهُوَ صَاد (٣)
فَإِنَّ الْجُرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادِ (٤)
وَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنَ جَمَادِ
وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادِ (٥)

(١) الطريف : المستحدث . وانتصف منه : استوى حقه ، والتلاد : القديم . يقول
إن الغضب الحادث وإن كان قويا نزاعا إلى الانتقام لا يغلب الكرم القديم الذى يقتضى
العفو والصفح ، فلا ينتصف منه باستيفاء حق الانتقام .

(٢) موال : جمع مولى ، وهو الولي والصديق . يقول : إن ألسنتهم تظهر لك
المودة والمحبة وقلوبهم تضمرك لك العداوة ، يريد لا تغتر بذلك ، لأن تلك الألسنة الموالية
تقلبها أفئدة معادية .

(٣) رتى له برئى : إذا رحم : ونسدى : العطشان . يقول : كن قاسياً عليهم
كالموت لا يرحم الباكي من خوفه ؛ ويروى بما يشرب من الدماء وهو مع ذلك عطشان
لحرصه على الإهلاك . وقال ابن جنى : كأنه لطلبه الشرب بعد الرى صاد ، أى لطلب
النفوس ؛ ومعنى يروى : ينال مالو أدركه لروى ؛ وفي معناه :

* كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِئٌ وَلَا شَيْعٌ *

(٤) نفر الجرح : هاج ووزم بعد البرء . وقوله إذا كان البناء على فساد : أى إذا
نبت اللحم على ظاهره وله غور فاسد . يقول : إنهم يطوون العداوة فى أنفسهم إلى أن
تمكنهم الفرصة . وهذا من قول البحرى :

إِذَا مَا الْجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ تَقْرِيطُ الطَّيِّبِ
قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان البناء على غير قواعد كان الفساد
أقرب إليه من الصلاح .

(٥) الجماد : الصخر ؛ والزناد : جمع زند ، وهو العود الذى تقدح بالنار .
يقول : إن العداوة تكمن فى اللوداد كمن فى النار فى الزناد والماء فى الجماد . كما قال
نصر بن سيار :

وَكَيْفَ يَدِيْتُ مُضْطَجِعًا جَبَانٌ فَرَشْتَ لَجْنِبِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ (١)
يَرَى فِي النَّوْمِ رُحْمَكَ فِي كَلَاهُ وَيَحْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشَّهَادِ (٢)
أَشْرَتْ أبا الْحَسَنِ بِمَدْحِ قَوْمِ
نَزَلَتْ بِهِمْ فَسِرْتُ بِغَيْرِ زَادِ (٣)
وَوَظَّنُونِي مَدَحْتَهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي (٤)

وَإِنَّ النَّارَ بِالزَّنْدَيْنِ تَوْرِي وَإِنَّ الْفِعْلَ يَقْدُمُهُ الْكَلَامُ

وكل هذا تحذير له من أعدائه ، أن لا يفعل عنهم ، وإن لم يكونوا أكفأ له .
وعبارة ابن جني : الأشياء تكمن وتستتر ، فإذا استترت ظهرت .

(١) يريد بالجبان : عدوه ؛ والقناد : شجر له شوك . يقول : إن خوفه إياك
يجول دون نومه ، كما لو فرشت له شوك القناد ، وعبارة بعض الشراح كيف يبيت عدوك
مضطجعا . وكلا ألقى جنبه للنوم وجد نفسه يتقلب على مثل شوك القناد ، من خوفك .
يعنى : أنه لا يزال متيقظا لك لا يأخذه نوم عن محاولة الكيد لك ودفع خوفك عنه .
(٢) يقول : لشدة ارتياحه وذعره يراك في نومه كأنك طعنت كليته برمحك ، فهو
يخشى أن يرى ذلك في اليقظة ، كما قال أشجع السلمي :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانِ ضَوْهَ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْمَتَهُ وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفُكَ الْأَحْلَامِ

ولقد قصر أبو الطيب في تعبيره عن اليقظة بالسهاد ، لأن السهاد امتناع النوم ليلا ،
ولا يسمى المتصرف بالنهار ساهدا .

(٣) و (٤) يقول : مدحت قوما أشرت على — يا أبا الحسين — بأن أمدحهم ،
فما كان إلا أن فارقتهم دون أن يزودوني شيئا ، وظنوا أني كنت أمدحهم وأثنى عليهم
بذلك المديح ، مع أني إنما كنت أعنيك أنت بذلك المدح والثناء . وفي هذا المعنى
يقول أبو نواس :

وَإِنْ جَرَتْ الْأَلْفَاظُ مِنَّا بِمَدْحَةٍ لِفِعْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي تَنْغِي

ويقول كثير :

مَتَى مَا أَقْلُ فِي آخِرِ الدَّهْرِ مِدْحَةً فَمَا هِيَ إِلَّا لِابْنِ لَيْلَى الْمَكْرَمِ

وقد ذهب إليازجي — بعد أن اعترف بأن الرواية أشرت : بفتح الشين والتاء

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لِنَادٍ
وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرُ غَادٍ (١)
مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَّهْتُ رَكَابِي
وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ (٢)

— إلى أن الأظهر أن تكون بكسر الشين وضم التاء ، من الأشر ، وهو الفرح بالشيء والاعتزاز به ، كأنه يقول : إني اغتررت بمدحهم فلم أنل منهم شيئاً ، وهو حسن في ذاته ، إلا أنه يقتصر إلى ثبت .

(١) العدو الذهاب صباحاً ، ثم كثر حتى استعمل في مطلق الذهاب : أي وقت كان والفناء : الساحة والمزل . يقول : إني مرتحل عنك ، وقلبي مقيم عندك . قال العكبري وما أحسن ما قال عن فنائك ولم يقل عنك . وهذا كقول أبي تمام :

مُقيمُ الظنِّ عندك والأمانى وإن قلقت ركابي في البلاد
(٢) يقول : حيثما توجهت فأنا محبك ، وحيثما كنت فأنا ضيفك ، لأنني إنما آكل مما أعطيتني وزودتني ، وهذا من قول أبي تمام :

وما سافرت في الآفاق إلا
وَمِنْ جَدِّ وَالْ رَاحِلَتِي وَزَادِي

وقال يمدح بدر بن عمار الأسدي الطبرستاني ، وهو يومئذ يتولى حرب طبرية
من قبل أبي بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨

أَحْلَمًا نَرَى أُمَّ زَمَانًا جَدِيدًا أُمُ الْخَلْقِ فِي شَخْصٍ حَتَّى أُعِيدَا^(١)
تَجَلَّى لَنَا فَأَضَاءًا بِهِ كَأَنَّ نُجُومَ لَقِينَا سُودًا^(٢)
رَأَيْنَا بِيَدِرٍ وَأَبَاهُ لِيَدِرٍ وَلُودًا وَبَدْرًا وَوَلِيدًا^(٣)

(١) أم الأولى : متصلة معادلة للهمزة على معنى أى ، كأنه قال : أى هذين نرى ؟
فهو الآن مدح وقوع أحدهما لا محالة ؛ فجرى ذلك مجرى قولك أزيداً ضربته أم عمراً :
أى لست أشك فى ضربك أحدهما ، ولكن أيهما هو . وأم — الثانية — منقطعة ،
وهى للاضراب — بمعنى بل — مع الاستفهام ؛ والخلق : مبتدأ ؛ وجملة أعيدا : خبر
يتعجب من جمال زمان المدوح . يقول : أهدا الذى نراه حلم أم صار الزمان جديداً ؛
فهو غير ما نعهده ؟ وانقطع الاستفهام ثم قال : بل أعيد الخلق — الذين ماتوا من قبل
— فى شخص رجل حى — وهو المدوح — أى جمع فيه ما كان لهم من الفضائل
والمكارم وسائر المعاني المحمودة ، فكأنهم أعيدوا فى شخصه ، كما قال أبو نواس :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

(٢) أضاء : يكون لازماً ومتعدياً . يقول : ظهر لنا هذا المدوح فسرنا به فى
الضوء : يعنى أعدتنا سعادته ، كالنجوم التى تسعد بروجها ،

(٣) ولوداً : أى والدآ ؛ ووليداً : أى مولوداً . يقول : رأينا برؤية بدر بن عمار
بدرآ مولوداً ، وبرؤية آباءه والدآ لبدر ؛ وعبارة الواحدى : رأينا برؤية بدر وآبائه
والدآ لقمير وقرآ مولوداً . جعله فى الضياء والشهرة والعلو والحسن كالقمير ، والقمر
لا يكون مولوداً ولا والدآ ، فجعله كالقمير المولود وآباه كالوالد للقمير ، وعنى بالبدرين
الآخرين : قمرين ، ولو أراد بهما اسم المدوح : لم يكن فيه مدح ولا صفة . قال :
ويقال الإشارة فى هذا إلى أن المدوح فيه معانى الدور من الضوء والحسن والكمال
لا معانى بدر واحد . وعبارة ابن جنى : رأينا هذا المدوح وآباه قد ولد منه قمر فى
الحسن ، فكأنه قد صار للقمير والدآ ؛ ورأينا هذا المدوح قرآ وليداً ، والبدر
لا يكون والدآ ولا مولوداً حقيقة ، ولكنه أراد الإغراب وحسن الصنعة فكأنه قال
أنت قمر وأبوك أبو القمير .

طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الَّذِي رَضِينَا لَهُ فَتَرَكْنَا الشُّجُودَ^(١)
أَمِيرُ أَمِيرٍ عَلَيْهِ النَّدَى جَوَادٌ بِخَيْلٍ بَانَ لَا يَجُودُ^(٢)
يُحَدِّثُ عَنْ فَضْلِهِ مُكْرَهَا كَانَ لَهُ مِنْهُ قَلْبًا حَسُودًا^(٣)
وَيُقَدِّمُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَفِرَّ وَيَقْدِرُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَزِيدَ^(٤)

(١) يقول : رضينا أن نسجد له لا مستحقاه غاية الخضوع مناه ؛ فلم يرض ذلك ؛ فتركنا ما رضينا له — وهو السجود — طلباً لرضاه .

(٢) أمير خبر مبتدأ محذوف أى هو أمير ؛ وأمير الثانى خبر مقدم والندى مبتدأ مؤخر . أى هو أمير ، الندى أمير عليه ، أى ملك عليه أمره فلا يعصيه ، أى لا يكون بخيلاً البتة ؛ ثم قال : وهو جواد بكل شئ إلا بأن يترك الجود ، فإنه لا يجود بهذا الترك والمصراع الأول من قول التمرى :

وقفتُ على حالكما فإذا الندى عليك — أمير المؤمنين — أمير
وقول أبي تمام :

ألا إن الندى أضحي أميراً على مال الأمير أبي الحسين
(٣) يقول : لا يجب أن يمدحه أحد بحضرته تنزها عن ذلك المدح ، كأن له من نفسه قلباً يحسده ، فلا يجب إظهار فضله ومناقبه ، كما قال :

أنا بالوشاة إذا ذكرتك أشبهُ تأتى الندى ويذاعُ عنك فكرهُ
وقد قال أبو تمام :

وكأنما نافتتَ قدركَ حظه

وحسدتَ نفسك حين أن لم تحسد

اجتمع التنبي وأبو تمام في حسد النفس والقلب ؛ فأبو تمام يقول كأنك نافتت قدرك وحسدت نفسك فطفقت تباهى في الشرف ، وتزيد على كل غاية تصل إليها ، وإن كنت مفرداً فما ليس لك فيها شريك ؛ وأبو الطيب يقول : كأن قلبك يحسدك على فضائلك ، فهو يكره أن تشتغل بذكرها ، وهذا نوع آخر من اللدخ لكنهما اجتماعاً في حسد النفس والقلب .

(٤) يقول : يقدم على كل عظيم إلا على الفرار في الحرب ، فهو أهول عنده من كل

كَأَنَّ نَوَالَكَ بَعْضُ الْقَضَاءِ فَأَمْ تُعْطِي مِنْهُ نَجْدَهُ جُدُوداً^(١)
 وَرُبَيْمًا حَمَلَةً فِي الْوَعْيِ رَدَدْتَ بِهَا الذُّبْلَ الشَّمْرَ سُوداً^(٢)
 وَهَوْلٍ كَشَفْتَ وَنَضَلٍ قَصَفْتَ وَرُمَحٍ تَرَكْتَ مُبَاداً مُبِيداً^(٣)
 وَمَالٍ وَهَبْتَ بِلَا مَوْعِدٍ وَقِرْنٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْوَعِيدُ^(٤)

كل هول ؛ ويقدر على كل صعب إلا على أن يزيد على ما هو عليه من علو الشأن وجلال
 القدر ، فإنه لا غاية له ورأه ، وهذا من قول أبي تمام :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ
 (١) النوال : العطاء ؛ والجودود : جمع جد ، وهو البخت والسعد . يقول : كأن
 عطاءك مشتق من القضاء ، فإذا وصلت أحداً يبر سعد يبرك فصار برك حظاً له . قال
 الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أن القضاء سعد ونحس ، ونوالك سعد كله ، فهو
 أحد شقي القضاء .

(٢) التاء - في ربما - للتأنيث وما زائدة ، والذبل : جمع ذابل ؛ والذبل السم :
 الرماح . يقول : رب حملة لك على أعدائك في الحرب رددت بها رماحك السم سوداً :
 أى لطختها بالدماء حتى جفت عليها فاسودت ، والدم إذا جف اسود .

(٣) وهول : عطف على حملة . يقول : ورب هول كشفته عن صجك بنجذتك ،
 ورب سيف كسرته بقوة ضربتك ، ورب رمح أتلفته بالطنن في الأضلاع وقد أتلف
 نفس الملعون . فقوله مبادا مبيدا : حالان من الرمح ، ومثل هذا المعنى في السيف
 قول البعيث :

وَإِنَّا لَنُعْطِي الْمَشْرِفِيَّةَ حَقَّهَا فَتَقَطَّعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتَقَطَّعُ
 ويقول أبو تمام :

وَمَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ لَاقِي ضَرِيْبَةً فَتَقَطَّعَهَا ثُمَّ انْتَى فَتَقَطَّعَهَا
 (٤) القرن : الكفو في الحرب ، يقول رب مال وهبته بغير موعده ، بل تعطيه
 ابتداء ؛ ورب كفو لك في الحرب : سبقت إليه من غير تهديد ، وهذا كقوله :

لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعُودِ

بِهَجْرٍ سَيْوُفِكَ أَعْمَادَهَا تَمَنَّى الظَّلَى أَنْ تَكُونَ النُّمُودَا^(١)
 إِلَى الْهَامِ تَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ تَرَى صَدْرًا عَنْ وُرُودٍ وَرُودَا^(٢)
 قَتَلْتَ نَفُوسَ الْعِيدَا بِالْحَدِيدِ حَتَّى قَتَلْتَ بَيْنَ الْحَدِيدَا^(٣)
 فَأَنْدَتَ مِنْ عَيْشِينَ الْبَقَاءِ وَأَبْقَيْتَ مِمَّا مَلَكَتِ النُّفُودَا^(٤)
 كَأَنَّكَ بِالْفَقْرِ تَبْنِي الْغِنَى
 وَبِالْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ تَبْنِي الْخُلُودَا^(٥)

(١) الطلا: الأعناق، والعمود: جمع غمد، جفن السيف. يقول: إن سيوفك لأنها لا تقتر عن ضرب الأعداء وممارسة الحروب - تبقى أبدأ هاجرة أعمادها، ومن ثم تمنى الاعناق أن تكون أعماداً لها حتى تنال من الهجر ما نالت الأعماذ: أى حق تهجرها السيوف ولا تجتمع معها أبداً. وهو معنى دقيق رائع.

(٢) الهام: الرؤس يقول: إن سيوفه لا تعود إلى أعمادها أصلاً فقد هجرتها إلى الرؤس لأنها أبداً تصدر عن رأس لترد رأساً غيره، فيكون صدورها عما وردت عليه وورداً على مثله. قوله إلى الهام: متعلق بهجر في البيت السابق - أى بهجر سيوفك أعمادها إلى الهام، ويكون البيت مضمناً. ولك أن تحملها متعلقة بتصدر الواقعة حالا: أى صادرة عن مثل ما هجرت إليه: والصدر - فى الأصل - صدور الشاربة عن الماء بعد الرى، والورود عكسه؛ وصدرا وورودا: مفعولان ل ترى، وورود: متعلق بصدر: (٣) يقول: ما زلت تقتل الناس بالسلاح حتى قتلت السلاح بين: أى كسرتة وثلمته وهذا مثل قول أبى تمام:

وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنْ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا الشُّمْرُ
 (٤) أُنْدَتَ : أُنْفَيْتَ ؛ وَالنُّفُودُ : الْفَنَاءُ ؛ وَالضَّمِيرُ فِي عَيْشِينَ : لِنَفُوسِ الْأَعْدَاءِ
 وَأُنْفَيْتَ بَقَاءَ نَفُوسِ الْأَعْدَاءِ : أَيْ أَهْلَكْتَهُمْ بِإِحْلَالِ آجَالِهِمْ ، وَأَبْقَيْتَ نَفُودَ الْمَالِ الَّذِي تَمَلَّكَ : أَيْ أَتْلَفْتَهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْعَدَمُ . يَقُولُ : إِنَّكَ أَهْلَكْتَ أَعْدَاءَكَ وَفَرَقْتَ أَمْوَالَكَ .

(٥) يقول: لإفراط سرورك بالعباء وبذل المال كأنك تبني بذلك الغنى؛ لأنك تسر بما تعطيه سرور غيرك بما يأخذه. فكان الفقر عندك هو الغنى، وكان الموت فى الحرب خلود فلا تنفك تسعى إليه.

خَلَائِقُ تَهْدِي إِلَى رَبِّهَا وَآيَةٌ تَجِدُ أَرَاهَا الْعَمِيدَا^(١)
مَهْدَبَةٌ حُلُوةٌ مَرَّةٌ حَقَرْنَا الْبِحَارَ بِهَا وَالْأَسُودَا^(٢)
بِعِيدُ عَلَى قُرْبِهَا وَصَفَهَا
تَقُولُ الظُّنُونُ وَتُنْضِي الْقَصِيدَا^(٣)
فَأَنْتَ وَحِيدُ بَنِي آدَمَ وَلَسْتَ لِفَقْدِ نَظِيرٍ وَحِيدَا^(٤)

* *

(١) فاعل أراها: ضمير يعود إلى الرب . يقول : هذه خلائق - يعني ما ذكر في الآيات السابقة - يستدل بها على قدرة خالقها ؛ إذ هي أخلاق عجيبة لا يقدر عليها إلا الله الواحد القادر ، وهي آية مجد أراها الله عباده حتى يستدلوا بها على المجد والعلاء أو تقول : هذه خلائق من الكرم والفضل والإقدام ومحاسن الشيم تدل على ربها : أى صاحبها ، وهو المدوح ، وتدعو إلى معرفته ؛ وآية مجد أراها العباد كي ينجوا منهجه .

(٢) يقول : هذه الخلائق مهذبة لا عيب فيها ، حلوة للأولياء بما تنبثق به عليهم من النعماء ، مرة على الأعداء بما تنصب عليهم من النعمة والأواء ؛ ولقد حقرنا بها الأسود والبحار لأنك تربو عليهما في الشجاعة والسخاء .

وقال ابن جنى : حلوة : فكل أحد يشقها ويستحسنها ، ومرة : لأن الوصول إليها صعب لبذل المال والمخاطرة بالنفس ، وحقرنا البحار لإفراط سخائك والأسود لإفراط إقدامك .

(٣) بعيد : خبر مقدم ؛ ووصفها مبتدأ مؤخر ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ وغاله أهلكه . وأنضاه : هنأه . يقول . إن وصف أخلاقك بعيد مع قربها منا ، لأننا نراها ، ولكن لا تقدر على وصفها ؛ إذ أن الظنون تهلك دون إدراك غايتها ، ويهزل الشعر إعياء قبل الوصول إلى حقيقتها .

(٤) يقول : أنت وحيد لأنه وجد لك نظير قديما ثم فقد ، وإنما لأنه لم يوجد لك نظير ألبتة في بني آدم . وعبارة الواحدى : لم تصر وحيدا ، لأنك فقدت نظيرا كان لك ، بل أنت وحيد لم تزل ، والوحدة لازمة لك ، فهي صفة لك ، وقال غيره : أنت وحيد بني آدم في كل خلائقك ، ولست بواجد لك نظيرا ، فلست مفردا من قعدك للنظير ، فأنت غير منفك من هذه الحال : أى أنت وحيد لم تزل

وقال لما استعظم قوم ما قاله في آخر مرثية جدته :

يَسْتَعْظِمُونَ أَيَّامًا نَأَمْتُ بِهَا لَا تَحْسُدُنَّ عَلَيَّ أَنْ يَنَامَ الْأَسَدُ (١)
لَوْ أَنَّ نَمَّ قُلُوبًا يَفْقَهُونَ بِهَا أَنْسَاهُمُ الذُّعْرُ مِمَّا تَحْتَهَا الْحَسَدُ (٢)

وقال يمدح محمد بن سيار بن مكرم التيمي :

أَقْلُ قَمَالِي بَلَهَ أَكْثَرَهُ مَجْدُ

وَذَا الْجِدُّ فِيهِ نِلْتُ أُمَّ لَمْ أَنْلَ جَدُّ (٣)

(١) آيات : تصغير آيات ، صفرها تحقيرا لها . ونَامَ الأسد زار : والأسد مفعول تحسدن ، ويعنى بالأسد نفسه . يقول : إنهم يستعظمون آياتا هي عندي حقيرة . ثم قال لا تحسدن الأسد على زاره .

(٢) ثم : بمعنى هناك ، والإشارة إلى حيث هم : أى لو أن لهم أو معهم قلوبا ، والضمير - فى قوله تحتها - للآيات ، والحسد : مفعول أنساهم . يقول : لو كان لهم قلوب يعقلون بها ما تضمنته آياتى من الوعيد لأنساهم الذعر منها الحسد .

(٣) الفعل هنا : مصدر فعل فعلا : كذهب ذهابا ؛ والفعل : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه . وبه : اسم فعل بمعنى دع ، وأكثره منصوب به ، والجِدُّ - بالكسر - الاجتهاد ، وبالفتح : الحظ ؛ يقول : أقل فعلى مجد دع أكثره : أى إذا عرفت أن الأقل مجد ، أغناك ذلك عن تعرف الأ أكثر . يعنى أنى لأفعل فعلا إلا ومرماى الجِدُّ ، فكل أفعالى - قليلها وكثيرها - إنما هى فى سبيل الجِدِّ وهذا الجِدُّ والإشاحة فى سبيل الجِدِّ ، وترك التوائى فى ذلك يعد حظا لى سواء نلت مطلوبى أم لم أنل ، لأن ذلك آية علو النفس وبعد الهمة ، وحسبى ذلك حظا . وعبارة الواحدى : معنى المصراع الأول من هذا البيت : أنى لا أفعل شيئا إلا ومغزى الجِدِّ ، وإياه أطلب ولو صرح بالأقل لقال : نوبى وأكلى وشربى للمجد ؛ ولو صرح بالأكثر لقال : تعزيرى بنفسى وركوبى المهالك ؛ وشهودى الحرب كله مجد أى لأجل الجِدِّ وتحصيله . يقول : إذا عرفت كون الأقل مجدا أغناك ذلك عن تعرف الأ أكثر . وقوله وذا الجِدِّ ، معناه أن الجِدِّ فى طلب الجِدِّ جد معجل ، لأن استعمال الجِدِّ فى الأمور جد ، لأنه يستمر عادة باستعمال الجِدِّ فى الأمور .

سَأَطْلُبُ حَتَّىٰ بِالْقَنَا وَمَشَائِخٍ ۖ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّمَمُوا مُرْدٌ^(١)
يُقَالُ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا^(٢)
وَطَعْنٌ كَانَ الطَّعْنُ لَا طَعْنَ عِنْدَهُ وَضَرْبٌ كَانَ النَّارَ مِنْ حَرِّهِ بَرْدٌ^(٣)
إِذَا شِئْتُ حَفَّتْ بِي عَلَىٰ كُلِّ سَابِجٍ رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَمِهَا شَهْدٌ^(٤)
أَدُمُّ إِلَىٰ هَذَا الزَّمَانِ أَهْيَلُهُ فَأَعْلَمُهُمْ قَدَمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَعَدُّ^(٥)

(١) يقول : سأطلب حتى بالقمح وبصحب لي لا يفارقون الحروب ، فلا يفارقهم اللثام ولا ترى لحام ، فكأنهم مرد والثام في الحرب عادة العرب ، لثلا تسقط عمائهم . وقال الواحدى : كنى بالقنا عن نفسه ، وبالمشاخ عن أصحابه . يعنى أنه يطلب حقه بنفسه وبغيره ، وأراد أنهم محنكون مجربون ؛ ولذلك جعلهم مشاخي ، هذا : والمشاخي جمع شيخ ، وكذا مشيخة ومشيخة وأشياخ وشيوخ . والثام : ما يجعل على الوجه من فاضل العمامة .

(٢) يقال وما بعده : نعت لمشاخي . ومراده بكونهم ثقالا : شدة وطأتهم على العدو ، أو ثباتهم لدى اللقاء ، وكنى بالحفة عن سرعة الإجابة إذا دعوا للنجدة ، وبالكثرة عن سد الواحد مسد الجماعة : أى أنهم - على قلتهم في العدد - يفتنون غناء السواد الأعظم . وعبارة ابن جنى : وصفهم بالقلة ، لأنهم إذا اتصفوا من أعدائهم وغلبوهم في قلة عددهم فهو أخف لهم من الكثرة .

(٣) وطعن عطف على القنا . والضمير - في عنده - يعود إلى الطعن الأول ، وجملة لا طعن عنده . في موضع رفع خبر كان . يقول : وأطلب حتى بطعن شديد كأن كل طعن غيره بالقياس إليه لاشيء ، وبضرب حار كأن حر ، النار بالإضافة إليه برد ، وكل هذا مبالغة .

(٤) السابج : الفرس السريع الجرى . يقول : إنه مطاع في قومه ، فحق شاء أحاطت به رجال يستعذبون طعم الموت كما يستعذب العسل : وقوله : في فمها ، أراد : في أفواهها ، فأوقع الواحد موقع الجمع .

(٥) صفر الأهل تحضيراً لهم . والقدم : العبي في ثقل وقلة فهم . والوعد : الأحمق الحسيس .

وَأَكْرَمَهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمِيٌّ وَأَسْهَدُهُمْ فِهْدٌ وَأَشْجَمُهُمْ قِرْدٌ^(١)
وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرِّ أَنْ يَرَى
عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدٌّ^(٢)

(١) وأكرمهم كلب : أى خسة الكلب . وأبصرهم عم : أى أبصرهم بالأمر - من البصرة - أعمى القلب ، وأسهدهم فهد : أى أسهرهم وأيقظهم ينام نوم الفهد - وبه يضرب المثل فى كثرة النوم . وفى حديث أم زرع : وصفت امرأة زوجها ، فقالت إن دخل فهد ، وإن خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد ، تصف زوجها باللين والسكون إذا كان معها فى البيت ، شبهته بالفهد إذا خلا بها ، وبالأسد إذا رأى عدوه ؛ ثم قالت : ولا يسأل عما عهد كرمأ ، منه وحسن خلق . واقترد يضرب به المثل فى الجبن والحذر ويقال : إن القرد لا ينام إلا وفى كفه حجر ، ولا ينام الليل حتى يجتمع إليه الكثير .

(٢) النكد : قلة الخير ، والمراد بالحر : النكريم - ضد اللثيم - يقول : من نكد الدنيا أن الكريم لا يجد مندوحة من إظهار الصداقة فيها لعدوه مع علمه أنه له عدو ، ليأمن شره ويدفع غائلته .

قال ابن جنى : لو قال : مامن مذاجاته ، لكان أشبه ؛ والذى قاله أحسن فى اللفظ وأقوى فى المعنى وحسنه أنه ذكر العدو وضده . وفى قوة المعنى : أن المداجى : المسائر للعداوة وقد يسائر للعداوة من لا يظهر الصداقة ، فإذا أظهر الصداقة لم يكن له من إظهارها بد ، فهل يعانى من ذلك أمراً عظيماً ؛ ونكداً فى الحياة ، فهو أسوأ حالا من المداجى . وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد بهذا السلطان الذى لا بد من صداقته بإخلاص القول والنية ، فبأيها أدخل دخل منه الضرر ، وهذا الذى يقوله الخطيب أشبه بمذهب المتنبي . هذا : وقوله : أن يرى مؤول بمصدر مبتدأ خبره من نكد . وقوله بد : اسم «ما» المشبهة بليس ، ومن صداقته : خبر . قال العكبرى : وأراد مامن إظهار صداقته فحذف المضاف . وفى الواحدى - بعد هذا البيت - هذان البيتان :

فِيانَكَدِ الدُّنْيَا مَتَى أَنْتَ مُقْصِرٌ
عَنِ الْخُرِّ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ ضِدٌّ
يَرُوحُ وَيَفْدُو كَارَهَا لَوْصَالِهِ
وَتَضَطَّرُّهُ الْأَيَّامُ وَالزَّمَنُ النَّكَدُ
وَلَا يُوْجَدَانِ فِي سَائِرِ نَسَخِ الدِّيْوَانِ .

بِقَلْبِي وَإِنْ لَمْ أُرَوْ مِنْهَا مَلَالَةً
وَبِي عَنْ غَوَانِيهَا وَإِنْ وَصَلَتْ صَدُّهُ (١)
خَلِيلَايَ دُونَ النَّاسِ حُزْنَ وَعَبْرَةً عَلَى فَقْدٍ مِنْ أَحَبِّتُ مَا لَمْهَا فَقَدْ (٢)
تَلَجُّ دُمُوعِي بِالْجُفُونِ كَأَنَّهَا جُفُونِي لَتَعْنِي كُلُّ بَاكِتَةٍ خَدُّهُ (٣)

(١) بقلبي : خبر مقدم عن ملالة ؛ والضمير في منها : للدنيا ؛ والغواني : جمع غانية وهي المرأة التي غنيت بجهاها عن الزينة . يقول : لقد مللت الدنيا وإن لم أستوف حظي منها ، لما أراه من قبيح صنعها ، من مثل الإساءة إلى أهل الفضل وقعودها بهم عما يستحقونه ، ومن ثم كان بقلبي منها ملالة ، وبإيعراض عن نساءها ، وإن كنت من الشباب بحيث يرغبن في وصالي ، والله أبو العلاء المعري حين يقول :

وَقَدْ غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي مُعْطِ حَيَاتِي لِفِرَّةٍ بَعْدُ مَا غَرَضْتُ (١)

(٢) جعل الحزن والعبرة خليلين له دون الناس ؛ لأنهما يلازمانه ولا يفارقانه ، فكأنهما خليلان له . يقول : فقدت من كنت أحبه وصاحبني لفقده حزن وعبرة لست أقفدها . وقوله : دون الناس حال مقدمة عن النكرتين بعدها ، وعلى فقد : صلة الحزن ، أو العبارة على التنازع ، وجملة ما لهما فقد : صفة .

(٣) يقال لج به الحزن ونحوه : لزمه : فلم يزايله ، ويروي تلج : من قولهم ألح السحاب بالمكان : إذا أقام به ، يقول : لا تخلو جفوني من الدموع فكأن جفوني خد كل باكية في الدنيا . يعني أن ما يسيل من جفونه مثل الذي يسيل على خد كل باكية ، يريد المبالغة في كثرة ما يجرى من جفونه . ولعل الأقرب أن يكون المراد : لست أخلو من بكاء ودموع ، كما لا تخلو الدنيا من باكية تجرى دموعها .

(١) غرضت : ضجرت وسثمت . والغر : الذي لم يجرب الأمور ؛ وقبل البيت :

إِذَا الْفَتَى ذَمَّ عَيْشًا فِي شَبَابِهِ فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصَرَ الشَّبَابِ مَضَى
وَقَدْ تَعَوَّضْتُ مِنْ كُلِّ بَمِشْبِهِ فَمَا وَجَدْتُ لِأَيَّامِ الصَّبَا عِوَضًا
وبعدا البيت وبعده :

جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ أَمْرِي غَرَضًا

وَأَيُّ لَتَفُنِّيهِ مِنَ الْمَاءِ نُفْبَةٌ ، وَأَصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصْبِرُ الرَّبْدُ (١)
 وَأَمْضِي كَمَا يَمْضِي السَّنَانُ لِطَيْبِي ، وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْعُقْدُ (٢)
 وَأَكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءِ بَغِيْبِي ، وَكُلُّ أَعْتِيَابٍ جُهْدٌ مِنْ مَالِهِ جُهْدُ (٣)
 وَأَرْحَمُ أَقْرَامًا مِنَ السِّيِّ وَالغَبَا ، وَأَعْذِرُ فِي بُغْضِي لِأَنَّهُمْ ضِدُّ (٤)
 وَيَمْنَعُنِي مِنْ سِوَى ابْنِ مُحَمَّدٍ أَيَادِي لَهُ عِنْدِي تَضِيْقٌ بِهَا عِنْدُ (٥)

(١) و (٢) النغبة : الجرعة من الماء . والربد : النعام : يقال ظليم أربد ونعامة ربداء . وذلك لما في لونها من الغيرة . يضرب بها المثل في الصبر على العطش ، والطية المكان الذي تطوى إليه الراحل ويتنوى القصد إليه وأطوى : أجوع ومعناه أطوى بطن عن الزاد . والمجلحة : الذئب المصممة . يقال جلع الذئب على القوم : إذا حمل عليهم غير مبال ، وإنما يفعل ذلك عند السعار وشدة الجوع . والعقد : جمع الأعداء ، وهو الذي في ذنبه عقدة ، وقيل : الذي انعقد لحمه ضمراً وهزلاً . يصف المتنبي نفسه بالجلد والمضاء والإشاحة في أموره ، وعدم إسفائه ، وقلة مبالاته بالمشرب والمطم ، شنشنة النفوس الطموح الكبيرة التي لا يهتمها بر البدن والاحتفال به .

(٣) الغيبة : الاسم من الاغتيال ، وهو الوقوع في عرض الغائب ؛ والجهد : الطاقة يقول : إني أكبر نفسي أن أجازي عدوي بالاغتيال ، لأن ذلك طائفة من لاطاقة له بمواجهة عدوه ومحاربتة . وقته قول أياس ابن قنادة :

نَعَابِ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأِينَا وَنَسْتُمُّ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ .

(٤) أصل الي : العجز عن الحجة ؛ والي في الكلام : الحصر . والغبا : العباوة . أي قلة اللطنة . يقول : إذا رأيت أناساً من أهل الي والعباء رحمتهم وأشفقت عليهم ، وإذا أبصرتهم عذرتهم ، لأنهم أضداد لي بسبب ما بيننا من التباين ، والضد يبغيض ضده .

هذا ومفعول أعذر - كما قال العكبري - محذوف ، والمفعول محذوف كثيراً كقوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) أي شيئاً .

(٥) الأيادي : النعم ؛ يقول : يمنعني من الانصراف إلى غيره ماله عندي من النعم التي يضيّق لفظ عند عن أن يجعل طرفاً لها لكثرتها وتوافرها إذ لا يسمعها مفهوم هذا اللفظ .

تَوَالَى بِلَا وَعَدٍ وَلَكِنَّ قَبْلَهَا شَمَائِلُهُ مِنْ غَيْرِ وَعَدٍ بِهَا وَعَدٌ^(١)
سَرَى السَّيْفُ مِمَّا تَطَّعُ الْهِنْدُ صَاحِبِي
إِلَى السَّيْفِ مِمَّا يَطَّعُ اللَّهُ لَا الْهِنْدُ^(٢)
فَلَمَّا رَأَى مُقْبِلًا هَزَّ نَفْسَهُ إِلَى حُسَامٍ كُلِّ صَفْحٍ لَهُ حَدٌّ^(٣)

هذا ، وقال العكبري : رفع عند - وهي لاتستعمل إلا ظرفا - لأنه حمل الكلام على المعنى فكأنه قال : يضيق بها المكان ؛ وكقول الرجل لصاحبه ينازعه في الأمر : كذا عندي . فيقول الآخر : أولك عند ؟ أي أولك فهم ؟ فجعلها اسما ، وعند : أوسع من أخواتها الظروف لأن القائل إذا قال فوق وتحت ووراء وقدام فقد خص جهة من الجهات المذكورة ، وإذا قال : الحيز عند فلان ، احتمل الكلام أن يكون في كل الجهات . قال : وقال يونس يوما في كلامه : عند ، فقال أبو عبيدة : أيقال عند ؟ فقال : نعم ، يقال عند وعند وعند وعند . وقال أبو عبيدة : ما كان عندي ذلك ، فقال له أولك عند ؟ وقال الطائي :

وما زال منشورا على نواله وعندى حتى قد بقيت بلا عند

(١) توالى - بحذف إحدى التاءين - أي توالى . ويروى : تواتل . والضمير للأيدى ؛ وشمائله : أي أخلاقه ، اسم لكن ، وخبرها وعد . وفي البيت تقديم وتأخير وتحرير الكلام : ولكن شمائله قبلها وعد بها من غير وعد ، أي أن هذه النعم تتتابع منه ابتداء من غير أن يسبقها وعد ولكن سبق العهد بكرم أخلاقه وماله من عوائد الجود يقوم مقام الوعد بها وإن لم يعد .

(٢) صاحبي : بدل من السيف يقول . سرىت إليه ومعى السيف يصحبنى في طريق فكان مسرى سيفي إلى سيف آخر - يعني المددوخ - إلا أن سيفي مما طبعته - أي عملته - الهند ، أما هذا السيف فهو مما طبعه الله .

(٣) حسام - أي سيف قاطع - فاعل هز ؛ أو بدل من ضميره على جعل الفعل للمدوخ ، وصفح السيف جانبه ، وله نعت صفح . يقول : لما رأني مقبلا عليه هز نفسه للقائي كما يهز السيف . وقوله كل صفح له حد ، من أحسن الكلام : أي كل وجه من صفحيه حد ينفذ في أعدائه ، فهو يقطع بصفحه كما يقطع بحده .

فَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَحْرُ نَحْوَهُ
 وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تَعَانِقُهُ الْأُسْدُ^(١)
 كَانَ الْقَيْسِيُّ الْعَاصِيَاتِ تَطْبِيعُهُ هَوَىٰ أَوْ بِهَا فِي غَيْرِ أُنْمَلِهِ زُهْدُ^(٢)
 يَكَادُ يُصِيبُ الشَّيْءَ مِنْ قَبْلِ رَمِيهِ وَيُمْكِنُهُ فِي سَهْمِهِ الْمُرْسَلِ الرَّدُّ^(٣)
 وَيُنْفِذُهُ فِي الْعَقْدِ وَهُوَ مُضَيِّقٌ مِنَ الشَّعْرَةِ السُّودَاءِ وَاللَّيْلِ مُسَوِّدُ^(٤)
 بِنَفْسِي الَّذِي لَا يَزُدُّهُ بِمُحَدِّبَةٍ ، وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الذَّرَائِعُ وَالْقَصْدُ^(٥)

(١) قال الواحدي : تحقيق الكلام : فلم أرقبني من مشى نحوه رجل كالبحر في الجود ، وعانقه رجل كألسد في الشجاعة .

(٢) أراد بالعاصات : القسي الشديدة التي تستعصى على النازع فلا يستطيع جذبها يقول : إنها تطبيعه إذا جذبها حباً له أو زهداً في غير أنامله .

(٣) ويمكنه عطف على يصيب . يقول ، إن الإصابة لمساعتها إياه تكاد تسبق رميه ، ويكاد السهم لاقياده له يرجع من طريقه إليه ؛ وهذا مبالغة في وصف اقتداره على الرمي .

(٤) وينفذه : عطف أيضاً على يصيب ؛ قال أبو العلاء : وإذا عطفته على «يكاد» ففيه سرف وفيه إغرابات التنبي في شعره ويقوى ذلك أيضاً أن يكون أراد به في الحقيقة يصيت عقد الشعرة ، والعقد : العقدة . يقول : ويكاد ينفذ سهمه في العقدة الضيقة من الشعرة السوداء في الليل المظلم ، وكل هذا من المبالغة التي تعدواها .

(٥) أزداهاء : استخفه : والذرائع : الوسائل . يقول : أفدى بنفسى الممدوح الذي هو من الفطنة وثقوب البصيرة بحيث لا يفتقر بأعدائه الذين يتقربون إليه بثق وسائل الود والولاء وقلوبهم مطوية على البغض والحسد واللوجدة . وقال ابن جنى : هذا هجو كأنه قال : بنفسى غيرك أيها الممدوح ، لأنى أزدريك بالحدیعة وأسخر منك بهذا القول ، لأن هذا مما لا يجوز مثله . قال : وهذا مذهبه في أكثر شعره ، لأنه يطوى المدح على هجاء حدقا منه بصنعة الشعر ، كما كان يقول في كافور من أبيات ظاهرها مدح وباطنها هجاء : قال ابن فورجة - يرد على ابن جنى - : إنما قل ذلك في مدائح كافور استهزاء به ، لأنه كان عبداً أسود لم يكن يفهم شيئاً ، ولم يفهم ما ينشده ، فأما على بن محمد ابن سيار فمن صميم بنى تميم ، عربي لم يزل يمدح وتنتابه الشعراء ، وليس في هذا البيت ما يدل (٧ - التني ٢)

وَمَنْ بَعْدَهُ قَرُّهُ وَمَنْ قُرْبُهُ غِنَى ، وَمَنْ عَرَضَهُ حُرٌّ وَمَنْ مَالُهُ عَبْدٌ (١)
وَيَضْطَنِعُ الْمَعْرُوفَ مُبْتَدَأًا بِهِ ، وَيَمْنَعُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ ذَمَّهُ حَمْدٌ (٢)

على أنه يعنى غيره بل يعنيه به . يقول : بنفسى أنت ، ووصفه وأتبع ذلك بأوصاف كثيرة على نسق واحد لو كان كلها وصفا لغيره كانت هذه القصيدة خالية من مدحه ، وليس في إنفاذ الرمي في عقدة من شعره في ليل مظلم أول محال ادعى للدوح ، وما هذا إلا هوس عرض له تقذفه .

(١) ومن عرضه حر : أى لا مغمز فيه عزيزة الحر ، ومن ماله عبد : أى تمتهن

مبذول في سبيل المجد . وفي البيت من الطباق ما لا يخفى :

(٢) يقول : إنه يعطى المستحقين وذوى القدر قبل أن يسألوه ، ويمنع معروفه عن

كل ساقط لئيم ؛ إذا ذم أحداً كان ذمه حمداً له لدلالة ذلك على أنه لا يشاكله . وعبارة ابن جنى : يصنع المعروف مع المستحقين ، ويعطى من له قدر ومن يزكو عنده المعروف ويمنعه من كل ساقط . إذا ذم أحداً فقد مدحه ، يصفه بالتيقظ ومعرفة ما يأتي وما يدع . قال ابن الشجرى - لما ذكر كلام ابن جنى هذا - : لا يخلو من أحد معنيين . أحدهما أنه يورى عن الذم الصريح بكلام يشبه المدح ، أو يريد أن يضع المدح الصريح موضع الذم . وليس يلحقه بهذين عيب ولا يستحق أن يحرم معروفاً ؛ والمعنى غير ما ذهب إليه ، وذلك أنه وصف المدوح بالتيقظ ومعرفة ما يأتي وما يدع فيضع الصنائع في مواضعها فيعطى ذوى الأقدار قبل أن يسألوه ، كما قيل : السخى من جاد بماله تبرعا ، وكف عن أموال الناس تورعا ، ويمنع ماله من كل ذىء . إذا ذمه الناس فقد مدحوه ، الذم له مقام المدح لغيره ، يعنى أنه يقل عن المدح والمجاء كما قال :

صَفَرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ فَقَلْتُ أَهْجِي كَأَنَّكَ مَا صَفَرْتُ عَنِ الْمَجْأِ

والذم : مضاف إلى المفعول ، والفاعل محذوف ، والتقدير من ذم الناس إياه حمد ، كقوله تعالى «لقد ظلمك بسؤال نعمتك» أى بسؤاله ؛ وابن جنى ذهب إلى أن الذم مضاف إلى الفاعل والمفعول محذوف . ففسر على هذا التقدير ، فأفسد المعنى لأنه أراد من ذمه الناس حمد . ومن في قوله نكرة والجملة بعده نعت له فكأنه قال : من كل إنسان ذمه حمد ولا يجوز أن يكون بمعنى الذى لأن «كلا» لا يضاف إلى معرفة ، إلا أن يكون مما يصح تمييزه ، كقولك رأيت كل البلد ، ولا تقول لقيت كل الرجل الذى أكرمته ؛ فإن قلت : كل رجل أكرمته : حسن ذلك ، وصحت إضافته إلى المفرد النكرة ، كما تصح إضافته إلى الجمع المعرفة ، نحو لقيت كل الرجال الذين أكرمتهم .

وَيَحْتَقِرُ الْحَسَادَ عَن ذِكْرِهِ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ^(١)
وَتَأْمَنُهُ الْأَعْدَاءُ مِنْ غَيْرِ ذَلِّهِ ،
وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الَّذِي يُذْنِبُ الْحَقْدُ^(٢)
فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مُكْرِمٍ أَنْقَضَى فَإِنَّكَ مَا هِ الْوَرْدُ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ^(٣)

(١) يقول : إنه يحتقر حساده فيعرض لآعن عتبهم أو مؤاخذتهم حسب ، بل حتى عن أن يجرى ذكرهم له على لسان لأنهم لديه والعدم سواء . وعبارة بعض الشراح : يحتقر الحساد عن أن يتكلم فيهم ، وإذا لم يذكرهم كانوا كأنهم معدومون لم يخلقوا بعد ، لأن من لم تذكره لم يذكره الناس وذل قدره .

(٢) على قدر خبر مقدم ؛ والحقد : مبتدأ مؤخر . بقول إن أعداءه يأمنون جانبه لأنه ضعيف ذليل لا يستطيع إيذاءهم ، ولكن لأن الحقد يكون على قدر الذنب ، فإن كان حقيراً لم يحقد عليه ، وإذا لم يحقد عليه أمن الذنب : يعني أنه يحتقر أعداءه ولا يكثر لهم لأنهم ليسوا هناك ، وقال ابن جني : ليس يؤاخذ الذنب بقدر جرمه وإنما يؤاخذ على قدر الذنب ولا قدر عنده لمن أجرم ، فهو لا يعبأ بأحد من أعدائه ، لأنه أكبر قدراً من أن يعاقب أمثالهم .

(٣) يقول : إن كان جديك قد مات فإن فضائله ومحاسنه باقية فيك فلم يفقد إلا شخصه كما الورد يبقى بعد الورد وهو خلاصته ؛ وقد أخذ السري الرفاء هذا المعنى فقال :

يُنْحِي بِحُسْنِ فِعَالِهِ أَفْعَالَ وَالِدِهِ الْخُلَاحِلِ^(١)
كَالْوَرْدِ زَالَ وَمَاؤُهُ عَمِيقُ الرِّوَامِخِ غَيْرُ زَائِلِ

هذا : وقد كرر المتنبي تفضيل الفرع على الأصل في غير موضع فقال :

* فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعِنَبِ *

وقال :

* فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْفَزَالِ *

(١) الخلال : السيد في عشيرته ، والشجاع والتام .

مَضَى وَبَنُوهُ وَأَنْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِعَتْ وَاحِدٌ فَرْدٌ (١)
لَهُمْ أَوْجُهُ غُرٌّ وَأَيْدٍ كَرِيمَةٌ وَمَعْرِفَةٌ عِدٌّ وَالسِّنَّةُ لُدٌّ (٢)

(١) يقول : مضى جدك وبنوه وبقيت وحدك منفردا بفضائلهم جميعا . فأنت واحد صورة ، جماعة معنى ، كالألف الذى هو واحد فى الصورة ، جمع فى المعنى . وفى هذا المعنى يقول البحرى :

وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرَّجَالِ تَفَاوَتْ إِلَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ كَقَبِيلَةٍ يُعَدُّ وَأَلْفٌ لَا يُعَدُّ بِوَاحِدٍ

هذا : وقد أنت الألف فى قوله جمعت على معنى الجماعة ، وعطف وبنوه على الضمير المرفوع . وهو مذهب الكوفيين . ومنه أهل النصرة . قال العكبرى النحوى الكوفى وحجتنا بحجته فى الكتاب العزيز ، وفى أشعار العرب : فى الكتاب العزيز « ذومرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » أى فاستوى جبريل ومحمد - صلى الله عليه وسلم - فعطف وهو على الضمير المستكن فى استوى ، فدل على جوازه ؛ وفى الشعر قول عمر بن أبى ربيعة

قَلْتِ إِذْ أَقْبَلْتِ زُهْرُهُ تَهَادَى كَنْعَاجِ الْفَلَا تَمَسْتَنَ رَمَلًا
فعطف على الضمير المرفوع فى أقبلت من غير توكيد . وقال الآخر :

وَرَجَا الْأَخْيَاطُ فِي سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لَيْنًا

فعطف على الضمير المستكن فى يكن من غير توكيد ؛ وحجة البصريين أنه قد جاء فى الكتاب العزيز بالتوكيد نحو « اسكن أنت وزوجك الجنة » ، و « اذهب أنت وربك » و « براكم هو وقيله » . . وقالوا : لا يخلو إما أن يكون مقرا فى الفعل ، أو ملفوظا به ، فإن يك مقدرآ - نحو قمت قام وزيد - فكأنه قد عطف اسما على فعل وإن كان ملفوظا به - نحو قمت وزيد - فالتاء تنزل منزلة الجزء من الفعل ، فصار كعطف الاسم على الفعل .

(٢) لهم : أى لآل سيار الذين انفرد المدوح بمناقبهم . والنمر : جمع أعر ، وهو الأبيض الشرق ، والعرب تتمدح ببياض الوجه ، وإنما يريدون بذلك النقاء والطهارة مما يعاب ، كما أنهم يكونون عن العيب والفضيحة بسواد الوجه ؛ وأيد كريمه : أى بالعطاه ومعرفه عد : أى قديمة كثيرة لاتقطع مادتها كالماء العد : أى الغزير الذى لاتقطع

وَأَرْدِيَّةٌ خُضْرٌ وَمُلْكٌ مُطَاعَةٌ ، وَمَرْكَوْزَةٌ سُمْرٌ وَمُقَرَّبَةٌ جُرْدٌ (١)
 وَمَا عِشْتَ مَا مَاتُوا وَلَا أَبْوَاهُمْ تَمِيمُ بْنُ مَرْءٍ وَأَبْنُ طَابِخَةَ أَدُ (٢)
 قَبْتَضُ الَّذِي يَبْدُو الَّذِي أَنَا ذَاكِرٌ
 وَبَقْتَضُ الَّذِي يَخْفَى عَلَى الَّذِي يَبْدُو (٣)
 أَلَوْمُ بِهٍ مَن لَّامَنِي فِي وِدَادِهِ
 وَحَقُّ نَجِيرِ الْخَلْقِ مِنْ خَيْرِهِ الْوُدُ (٤)

مادته . واللذ : جمع الألد ، وهو الشديد الخصومة . يريد السنة قوية في مواطن الكلام
 (١) خضرة الرداء : يكنى بها عن السيادة ، وذلك أن الخضرة عندهم أفضل الألوان
 لأن خضرة النبات تدل على الحصب وسعة العيش . والمالك : السلطان ، يذكر ووثت
 ولذا قال مطاعة . أو تقول : إنه أراد الملكة . ومركوزة سمر : أي رماح تركز في
 الأرض وتنصب ، والمقربة : الخيل تربط قريظة من البيوت ولا ترسل إلى المرعى للحاجة
 إليها أو للبخل بها ، والجرد : القصار الشعر .

(٢) يقول : مادمت حياً فلم يمت أحد من آبائك ومن تقدمهم في النسب لأن جميع
 محاسنهم موجودة فيك فهم حينئذ بك أحياء لأموات . فما الأولى : شرطية زمانية ، وما
 الثانية : نافية . وكان الوجه أن يقول : فما ماتوا ، ولكنه حذف انفاء ضرورة كقوله :

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا

وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ

أراد فإله يشكرها . وتميم بن مر ، وأد بن طابخة : قبيلتان مشهورتان من العرب ،
 إليهما ينسب المدوح . وتميم وماعطف عليه : بدل تفصيل .

(٣) يقول : إن الذي أذكركه وأشيد به من فضائله هو بعض ما يظهر لي والذي
 يظهر لي هو بعض ما كان خافياً علي ، يعني أنه قد بقي من تلك الفضائل ما لم يعلمه ، وبقي
 مما علمه ما لم يذكره . يريد كثرة فضائله . فبعض - في الشطرين - خبر مقدم عن الموصول الثاني
 (٤) يقول : من لامني في وده لته بما وصفت من فضله فيبين أنه خليف بمودتي .

لأنه خير الأمراء وأنا خير الشعراء ، وجدير بخيرة الناس أن يود بعضهم بعضاً . وحق
 له كذا - بضم الحاء - إذا كان جديراً به ، وقد تقدم الكلام على ذلك .

كَذَا فَتَنَحَّوْا عَنِّي وَطَرِقِهِ
بَنِي اللَّؤْمِ حَتَّى يَنْعَبِرَ الْمَلِكُ الْجَعْدُ (١)
فَمَا فِي سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةُ الْعَلَى
وَلَا فِي طِبَاعِ التُّرْبَةِ الْمَسْكُ وَالنَّدُ (٢)

وودع صديقاً له يقال له أبو البهي فقال ارتجالاً عند مسيره عنه :

أَمَّا الْفِرَاقُ فَإِنَّهُ مَا أَعْهَدُ هُوَ تَوَامِي لَوْ أَنَّ بَيْنَنَا يَوْلَدُ (٣)

(١) كذا : أى كذا هو كما وصفت ، فتنحوا عن طريقه حتى يعبر فإنكم لستم ممن يجاريه في طرق المجد ؛ وبني اللؤم : أى يابني اللؤم . والجعد الكريم . شبه بالثرى الجعد ، وهو اللين الندى ، وإذا قيل فلان جعد اليدى أو جعد الأنامل ؛ أرادوا أنه بخيل لثيم لا يفضن حجره . وأنكر الأصبى الجعد بمعنى الكريم ، قال : زعموا أن الجعد : السخي ، وأنا لا أعرف ذلك ، وإنما الجعد : البخيل .
(٢) يقول : ليس في طبائعكم أن تنازعوه العلى ، كما أنه ليس في طبع التراب أن يفوح بالمسك والند .

(٣) التوأم : ما يكون مع غيره في بطن واحد . فتلد المرأة اثنين ، أو الشاة أو غيرها ويقال للاتنين إذا ولدا في بطن : هما توأمان ؛ وفي التأنيث توأمة وتوأمتان ، والجمع توأم وتوأم . قال عنتره :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي مَرْحَةٍ يُحْذَى نِعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمٍ (١)

(١) مدح ممدوحه بأربع خصال كرام : أحدها أنه جعله بطلاً : أى شجاعاً . الثاني : أنه جعله طويلاً شبهه بالسرحة - وهى الشجرة الكبيرة - الثالث أنه جعله شريفاً للبسه نعال السبت . الرابع أنه جعله تام الخلق نامياً ، لأن التوأم يكون أنقص خلقاً وخلقاً وقوة وعقلاً ، والسبت الجلد المدبوغ .

وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّنَا سَنُطِيعُهُ لَمَّا عَلِمْنَا أَنَّنَا لَا نَخْلُدُ^(١)
 وَإِذَا الْجِيَادُ أَبَا الْبَيْيِّ تَقَلَّنَا عَنْكُمْ فَأَرَادَا مَا رَكِبْتُ الْأَجُودُ^(٢)
 مِنْ خَصِّ بِالذَّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنِّي مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ^(٣)

وقال يمدح الحسين بن علي الهمداني :

لَقَدْ حَازَنِي وَجْدٌ بِمَنْ حَازَهُ بَعْدُ فَيَا لَيْتَنِي بَعْدَ وَيَا لَيْتَهُ وَجْدٌ^(٤)
 أُسْرُهُ بِتَجْدِيدِ الْهَوَى ذِكْرٌ مَا مَضَى وَإِنْ كَانَ لَا يَبْقَى لَهُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ^(٥)
 سَهَادٌ أَتَانَا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ عِنْدَنَا رُقَادٌ وَقَلَامٌ رَعَى سَرُّبِكُمْ وَرْدُ^(٦)

يقول : أما الفراق فهو شيء أعهد من قديم ، حتى لو أنه مما يولد لقلت : هو توأمي : أي لا أتفك من فراق حبيب ، فلو كان الفراق مولودا لحكمت بأنه توأمي . وقال الواحدى : يجوز أن يكون المعنى : حقيقة الفراق ما أعهد من فراقك ؛ يعنى إن وجد فراق هذا الحبيب ، فقد وجد فراق كل أحد ، حتى كأن الفراق فراقه هو : لافراق غيره (١) يقول : لما علمنا أن خلودنا في هذه الدنيا محال : علمنا أن الفراق حتم علينا لازم ، فلا مندوحة لنا عن الاقياد لحكمه : إن عاجلا وإن آجلا : وعبرة الواحدى : لما كنا نموت وتفتى ، علمنا أننا نتقاد للفراق .

(٢) أبا البهي : أي بأبا البهي — وهى كنية المدوح — يقول : إذا تقلنا الخيل عنكم وباعدت ما بيننا فإن أجودها حينئذ أردوها . لأنه يكون أسرع في إبعادنا عنكم . (٣) يقول : من يخص الفراق بالذم من بين سائر أشياء هذا الدهر ، فأنا الذى لأرى في الدهر شيئا محمودا : يعنى أن كل الأشياء مذمومة عندى لا أخص الفراق دون غيره . (٤) يقول : لقد ضمنى واشتمل على وجد بحبيب قد ضمه البعد واشتمل عليه ، فيا ليتنى بعد لأحوزه فأكون معه ، وباليته وجد ليحوزنى ويتصل بى : أى فنجتمع ولا نفرق . (٥) الصلد : الشديد الصلب . يقول إننى أسر بأن الهوى يجدد لى ذكرا ما مضى من أيام الوصال ولذاذتها ، وإن كان هذا الذكر مما يذوب له الحجر الأصم تأسفا عليه وحينئذ إليه .

(٦) فى العين وعندنا : صلة رقاد . والقلام : نبت من الحمض يكون فى السباخ . قال ابن البيطار فى مفرداته عن أبى حنيفة الدينورى القلام تسميه الأنباط قاقلى ، وهو من الحمض ، والناس يأكلونه مع اللبن ، والسرب — بالفتح المال الراعى ، وبالكسر : القطيع

مُثَلَّةٌ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ تَفَارِقِي ،
وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَصْلِكَ الْوَعْدُ^(١)
وَحَتَّى تَكَادِي تَمْسَحِينَ مَدَامِي ، وَيَعْبِقُ فِي ثَوْبِي مِنْ رِيحِكَ الْنَدُّ^(٢)
إِذَا غَدَرْتَ حَسَنَاءَ وَفَتَّ بِمَهْدِهَا فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ^(٣)
وَإِنْ عَشِقْتَ كَأَنَّتِ أَشَدَّ صَبَابَةً ،
وَإِنْ فَرَكَتِ فَأَذْهَبَ فَمَا فَرِحَ كَمَا قَصَدُ^(٤)

يقول : إن السهاد إذا كان لأجلكم لد في أعيننا كالرقاد ؛ واقلام : الذي ترعاه ماشيتكم طيب عندنا كأنه ورد ، يعنى : لحي إياكم أستلذ الألم ويحسن في عيني ما ليس بالحسن .
(١) مثلة : خبر عن محذوف : أى هى - المحاطبة - مثلة ، يقول : أنت مصورة فى خاطرى حتى لكأنك حاضرة عندى لم تفارقينى ، وحتى كأن بأسى من وصلك وعدمنك بالوصل
(٢) يقول : وحتى تكادى - لتخيلك ، حاضرة بجاني - تمسحين مدامى بيدك فيعقب طيبك فى ثوبى . قال ابن جنى ، ومثله :

* لَيْتِنُ بَعُدْتَ عَنِّي لَقَدْ سَكَنْتُ قَلْبِي *

(٣) يقول : إذا غدرت الحسناء لم تعد سجاياها ؛ لأن شئشتها الغدر ؛ وقد وفّت بالمهد : إذا غدرت ؛ لأن عهدها أن لا تبتغى على عهد ؛ فوفاؤها - إذن - غدر .
(٤) فركت المرأة زوجها تفركه فركا : أبغضته : فهى فارك وفروك ، وكذلك فركها زوجها ، والفرك - بكسر الفاء - البغض . قال رؤبة :

فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الْفَسْقِ وَلَمْ يُضْفِعْهَا بَيْنَ فِرْكِ وَعَشْقِ

قال اللغويون : إن هذا الحرف يختص بالمرأة وزوجها ؛ ولم يسمع فى غير الزوجين .
ورجل مفرك : لا يحظى عند النساء . وامرأة مفركة لا تحظى عند الرجال ، أشد ابن الأعرابي :

مُفْرَكَةٌ أُرْزِي بِهَا عِنْدَ زَوْجِهَا وَلَوْ لَوَطَّطَهُ هَيَّيَانُ مُخَالَفِ^(١)

(١) مخالف : أى مخالف عن الجودة . يقول : لو لوططته بالطيب ما كانت إلا مفركة لسوء مخبرتها ، كأنه يقول : أزرى بها عند زوجها منظر هيئان : أى يهاب ويفزع من

وَإِنْ حَقَدَتْ لَمْ يَبْتَقِ فِي قَلْبِهَا رِضَى وَإِنْ رَضِيَتْ لَمْ يَبْتَقِ فِي قَلْبِهَا حِقْدُ
كَذَلِكَ أَخْلَاقُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا يَصِلُ بِهَا الْمَادِي وَيَخْفَى بِهَا الرُّشْدُ^(١)
وَلَكِنَّ حُبًّا خَامَرَ الْقَلْبَ فِي الصَّبَا يَزِيدُ عَلَيَّ مَرَّةَ الزَّمَانِ وَيَشْتَدُّ^(٢)
سَقَى ابْنُ عَلِيٍّ كُلَّ مَزْنٍ سَقْتَكُمْ مُكَافَأَةً يَفْدُو إِلَيْهَا كَمَا تَفْدُو^(٣)

يقول : إن المرأه إذا عشقت كان عشقها أشد من عشق الرجال ؛ لأن النساء أرق طبعاً وأقل صبراً ؛ وإذا بغضت : جاوزت الحد كذلك في البغض ، وفي هذه الحالة لا تطمع في تلافى بغضها ، واذهب وشأنك ، لأن بغضها ليس عن قصد منها وإنما هي مغلوبه على أمرها - وقال الواحدي : وإن شئت قلت : فاذهب في ذلك ، الفرك .

(١) يقول : هذه هي أخلاق النساء ، يدأنهن مع ذلك يسحرن ألباب الرجال حتى يضل بهن من يهدى غيره ويخفى عليه الرشد فيبتلى بهن . وعبارة ابن جنى : يخلصن في أول الأمر فإذا تمكن من قلوب الرجال نكصن عن وصلهن ، وهذا كالتعميد للمسيح عندما عن نفسه في البيت التالي . كأنه يقول : وإني مع طبي بأخلاق النساء وتحذيري منهن لم أصن قلبي عن هواهن ووقعت في شرأكنهن .

(٢) قلنا : إن هذا كالاعتذار عن جبه إياهن بعد ما أبان مساوية أخلاقهن . يقول : وسكن جبا خالط قلبه فزمن الصبا واستحکم فيه قبل أن تحمكه التجارب فلم يقدر بعدها على تركه ، لأنه قد ألفه حتى صار ديدناً له .
يزداد ويشتد على كره الغداة ومر العشى . وخامر : خالط .

(٣) يدعو للسحب التي سقت قوم المحبوبة بأن يسقيها جود المدوح مكافأة لها على ما فعلت ، فيفدو إليها بالسقيا كما تفدو هي إليهم ، جعل المدوح يسقى السحاب لأنه أكثر منها ندى . وفي البيت من حسن التخلص مالا يخفى . هذا : والمزن جمع مزنة وهي المطرة ؛ قال أوس بن حجر :

ألم تر أن الله أنزل مزنَةً وعُفِرُ الظباء في الكناس تَقَمِّعُ^(١)

دنا منه ، أي أت منظر هذه المرأة شيء يتحامى فهو يفرغ ؛ وقيل : إنما الهيمان المخالف هنا ابنه منها ، إذا نظر إلى ولده منها أبغضها ولو لطخته بالطيب .

(١) يقال : تقمعت الظبية : إذا لسعتها القمعة ودخلت في أنفها فحركت رأسها من ذلك ، والقمعة ذباب أزرق يدخل في أنوف الدواب ، وقيل : يركب رموس الدواب فيؤذيها

لَتَرَوِي كَمَا تَرَوِي بِلَادًا سَكَنَتْهَا وَيَنْبُتُ فِيهَا فَوْقَكَ الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ (١)
 بِمَنْ تَشْخَصُ الْأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ وَيَخْرُقُ مِنْ زَحْمٍ عَلَى الرَّجْلِ الْبُرْدُ (٢)
 وَتَلْقَى وَمَا تَدْرِي التَّنَانُ سِلَاحَهَا لِكَثْرَةِ إِيمَاءِ إِلَيْهِ إِذَا يَبْدُو (٣)
 ضُرُوبٌ لِهَامِ الضَّارِبِ الْهَامِ فِي الْوَعَى خَفِيفٌ إِذَا مَا أَثْقَلَ الْفَرَسَ اللَّبْدُ (٤)
 بَصِيرٌ بِأَخْذِ الْحَمْدِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ وَلَوْ خَبَأَتْهُ بَيْنَ أَنْيَابِهَا الْأَسَدُ (٥)
 بِتَأْمِيلِهِ يَفْنَى الْفَتَى قَبْلَ نَيْلِهِ وَبِالذُّعْرِ مِنْ قَبْلِ الْمُهَنْدِ يَنْقُدُ (٦)

واللزنة أيضاً : السحابة البيضاء ، وسقى وأسقى : لغتان فصيحتان .

(١) يقول : لترتوي السحاب بدهاء كما تروي بلادك بمطرها ، وينبت فوقك الفخر والمجد ، لأن عطايك تورث المجد والشرف فتشرف السحاب بما تتال من جدواه ، ويكون الفخر والمجد نابتين فيها لما شربت من سقياه ، قاله ابن جنى والواحدى والعكبرى .
 (٢) بمن : متعلقة بتروي ، أو ينبت : أى لتروي السحاب بهذا المدوح أو ينبت به الفخر : أى بجوده أو بسببه ، والبرد : الثوب . يقول : إن الناس يوم ركوبه تشخص أبصارهم إليه لحسن منظره وجلالة قدره . ويكثر زحامهم حوالبه حتى تتخرق ثيابهم . وزحم ، مصدر زحمه ، ومصدر زاحمه ، زحام .

(٣) يقول : لشغلهم بالنظر إليه والإيماء نحوه يلقون مافي أيديهم ولا يشعرون به ، قال الواحدى : كأن هذا مقتبس من قوله تعالى « فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن »
 (٤) الهام : الرؤوس . والوعى : الحرب واللبد : ماتحت السرج . يقول : إنه شجاع ضروب لرؤوس الأبطال ميدان القتال ، خفيف مسرع إلى الوعى أو خفيف لحذقه بالفروسية حتى لا يشعر الفرس بثقله وهو قد بلغ منه الجهد إلى حد أنه يجد لبدته ثقيلًا .

(٥) يقول : إنه يتسبب إلى إحراز الحمد بكل الأسباب من إحسان وإقدام وما إليهما ، بصير بكسبه من حيث يعجز عنه غيره ، فلو لاح له الحمد في فكى الأسد لأحرزه حبا فيه .

(٦) النيل : العطاء ؛ والمهند : السيف الهندى ؛ وتأميله : متعلقة يبنى ؛ وبالذعر متعلق يبنقد . يقول : إذا أمله الإنسان استغنى بذلك الأمل قبل أن يأخذ عطاءه لأنه لا ينجب مؤملا . وإذا خافه إنسان تقطع من خوفه قبل أن يقتله بسيفه .

وَسَيِّئِي لِأَنْتَ السَّيْفُ لَا مَا تَسْلُهُ

لِضَرْبٍ وَمِمَّا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْعَمْدُ^(١)
 وَرُمِحِي لِأَنْتَ الرَّمْحُ لَا مَا تَبْلُهُ نَجِيمًا وَلَا الْقَدْحُ لَمْ يُثَقِّبِ الزَّنْدُ^(٢)
 مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِأَنَّهُمْ يُسْدِي إِلَيْهِمْ بَأْنَ يُسْدُوا^(٣)
 فَشُكْرِي لَهُمْ شُكْرَانِ شُكْرٌ عَلَى النَّدَى
 وَشُكْرٌ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي وَهَبُوا بَعْدُ^(٤)
 صِيَامٌ بِأَبْوَابِ الْقِيَابِ حِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهَا فِي قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو^(٥)

(١) الواو في قوله وسيفي : للقسم ، ومما السيف منه : خبر مقدم عن العمد ،
 و المير في منه : يعود إلى ما . يقسم بسيفه تعظيما له ، يقول : إني أقسم بسيفي على أنك
 إذا سللت سيفا لضرب فأنت السيف في الحقيقة ، لاهو ، لأن مضاه إنما هو بك .
 ولما جعله سيفا جعل غمده من الحديد الذي السيف منه يعنى الدرع ، والمعنى : إذا لبست
 الدرع كنت فيه كالسيف ، وكان لك كالعمد . وعبارة ابن جنى : لأنت السيف ، لا الذي
 تسله الأعداء . أى أنت في الحقيقة سيف لا الذي يطبع من الحديد ، فإذا لبست الدرع
 والجوشن كنت كالسيف ، وكانا لك كالعمد .

(٢) التجميع : الدم ، ونجما : تميز ، والزند : ما يفتح به ؛ ويثقب : يورى نارا
 يقول : وحق رمحي لولاك ولولا جودة طعنك لم يعمل الرمح شيئا كما أنه لولا قدح
 القادح لم يور الزند .

(٣) قوله من القاسمين : أى هو من القوم القاسمين . وأسدى إليه : أحسن ؛
 وأسدى إليه معروفا أخذه عنده . يقول : هو من القوم الذين يشكروننى على الاخذ
 والقبول كما أشكرهم على الإنعام . إذا أحسنوا إلى أحد فقبل إحسانهم ء واذلك إحسانا
 منه إليهم يستحق الشكر على حد قول زهير :

* كَأَنَّكَ تُعْضِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ *

(٤) جعل ، شكرهم له على أخذ عطائهم هبة ثانية منهم له ، فهو يشكرهم على العطاء
 وعلى الشكر الذي هو عطاء ثان . وفي هذا المعنى يقول أبو يعقوب الحريرى :

كَأَنَّ عَلَيْهِ الشُّكْرَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ يُقَلِّدُهَا بَادِيًا وَيَمِيدُهَا

(٥) صيام : أى واقفة ، تقول صام الفرس : إذا وقف . يقول : إن خيلهم واقفة

وَأَنْفُسُهُمْ مَبْدُولَةٌ لَوْفُودِهِمْ ، وَأَمْوَالُهُمْ فِي دَارٍ مِنْ لَمْ يَفِيدُ وَقَدْ^(١)
 كَهَانَ عَطِيَّاتِ الْحَسَنِ عَسَاكِرَ فَنِيهَا الْعَبْدِيُّ وَالطَّهْمَةُ الْجُرْدُ^(٢)
 أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمْسِ قَدْ لَيْسَ الْعَلَا
 رُوَيْدَكَ حَتَّى يَلْبَسَ الشَّمْرَ اتَّخَذَ^(٣)
 وَغَالَ فُضُولَ الدَّرْعِ مِنْ جَنَابَتِهَا عَلَى بَدَنِ قَدْ الْقَنَاءَ لَهُ قَدْ^(٤)
 وَبَاشَرَ أَبْكَارَ الْمَكَارِمِ أَمْرَدًا ، وَكَانَ كَذَا آبَاؤُهُ وَهُمْ مُرْدُ^(٥)
 مَدَحْتُ أَبَاهُ قَبْلَهُ فَشَفَى يَدِي
 مِنَ الْعَدَمِ مَنْ تَشَفَى بِهِ الْأَعْيُنُ الرَّمْدُ^(٦)

بأبوابهم ؛ وهي كأنها تعدو في قلوب أعدائهم لشدة خوفهم ، يعني أنهم يخوفون وإن لم يقصدوا أحداً .

(١) الوفود : جمع وفد ، بمعنى زائر . يقول : إنهم غير محجوبين عنهم يقصدهم من الوادين ، وأمواهم ترد على من لم يأتهم لأنهم يعيشونها إليهم ، فأموالهم مبدولة للحاضر والغائب .

(٢) العبدى : جمع عبد ؛ والطهمة : الخيل الحسان التامة الخلق ؛ والجرد : القصار الشعر . يقول : عطاياها كالعساكر فيها كل شيء ، حتى العبد والخيل .

(٣) جعل المدوح قرأ وأباه شمسا ، يريد رفعهما وشهرتهما ، وجعل القمر ابن الشمس إشارة إلى أن نور القمر مستفاد من نور الشمس . يقول : قد لبس العلى ثوبا ثم خاطبه وقال تمهل حتى ينبت الشعر في وجهك : أى حتى تكبر ؛ يعنى أنه قد بلغ ما بلغ وهو صغير لم يبلغ حد الرجولية .

(٤) غالما : ذهب بها : أى رفعها من الأرض ؛ وفضول الدرع : ما يفضل منها عن البدن إذا كانت واسعة ، وهو جمع فضل ؛ وجناباتها : جوانبها ، والقناة : عود الرمح يقول : إنه من ذوى البسطة في الجسم قد ملأ الدرع فلم يبق منها ما يفضل عن بدنه ، وقده مع ذلك طويل معتدل كقند القناة ، ليس بأقص ولا بأحدب .

(٥) أبكار المكارم : أى التى لم يسبقه أحد إليها . يقول : إنه باشر المكارم وتخلق بها وهو بعد ناشئ أمرد ، وكذلك كان يفعل آباؤه .

(٦) من في قوله من تشفى به : فاعل شفى : من باب وضع الظاهر موضع المضمرة أو بدل من ضميره ؛ جعل الدم — أى القمر — كالداء الذى يطلب له الشفاء ، وأن

حَبَانِي بِأَثْمَانِ السَّوَابِقِ دُونَهَا مَخَافَةَ سَيْرِي إِنَّهَا لِلنَّوَى جُنْدٌ^(١)
 وَشَهْوَةٌ عَوْدٍ إِنَّ جُودَ يَمِينِهِ ثُنَاءٌ ثُنَاءً وَالْجُودُ بِهَا فَرْدٌ^(٢)
 فَلَا زِلْتُ أَلْتَقِي الْحَاسِدِينَ بِمِثْلِهَا ، وَفِي يَدِهِمْ غَيْظٌ وَفِي يَدِي الرَّفْدُ^(٣)

أبا المدوح شفاه بجوده وعطائه وأن من نظر إليه — أى إلى أبي المدوح — قرت عينه بما يشاهد من بشره وطلاقة وجهه حتى لو كان به رمد لشفى وهذا كما يقول ابن الرومي:
 يَا رَمِدَ الْعَيْنِ قُمْ قَبْلَانْتَهُ فَدَاوِ بِاللَّحْظِ نَحْوَهُ رَمَدَكَ

هذا : والعدم والعدم إذ ضمت الأول : سكنت الثاني ، وإن فتحته فتحت الثاني :
 كالسقم والسقم ، والرشد والرشد والحزن والحزن والرمد جمع رمدة ، ورمد الرجل :
 هاجت عينه فهو رمد وأرمد .

(١) حبانى : أعطانى ؛ والسوابق : الخيل ، ودونها : حال من السوابق . يقول :
 أعطانى أثمان الخيل — أى المال الذى تشتري به الخيل السوابق — ولم يعطنى
 الخيل مخافة أن أسير عليها وأفارقه ، لأن الخيل يجربها تعين على السفر والبعد فهى من
 أسباب الفراق وأعوانه . وقوله : إنها ، لك أن تقرأها بكسر الهمزة على الاستئناف
 ويكون الكلام قد تم بسيرى ؛ وفتحتها على تقدير اللام : أى حبانى بذلك لأنها .

(٢) شهوة : عطف على مخافة . وبها : صلة الجواد ، والضمير للأثمان أو لقوله
 ثناء ؛ لأنها عطايا ثناء : أى مثنى مثنى . يقول : حبانى بأثمان السوابق شهوة عود منه إلى
 حبانى مرة أخرى قبل انصرافى لأن جوده مثنى وإن كان هو فردا لانظير له .

(٣) بمثلها : أى بمثل أثمان الخيل ، أو بمثل عطايه المذكورة فى قوله : ثناء ثناء —
 كما سبق — . يدعو لنفسه يقول : لازلت أثيراً لديه محظوظاً عنده أتلقى عطايه وألقى بها
 حسادى فأفطر قلوبهم ، فلا يكون لهم إلا أن يموتوا بغيظهم . ويروى غيظ بدل غيظ : أى
 فراغ من غاض الماء إذا نقص وجف والرفد — بالكسر — العطاء والصلة ، وبالفتح : المصدر
 رفته رفته رفداً أعطاه ؛ ومنه الرفادة وهى شئ كانت قريش تترافد به فى الجاهلية
 فيخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالا عظيماً أيام المرسوم فيشتركون
 به للحاح الجزر والطعام والزبيب للنيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضى أيام
 موسم الحج ، وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم ؛ والسدانة واللواء لبني عبد الدار ،
 وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف ، وسمى هاشماً لهشمه التريد : والرافدان
 دجلة وانهرات . قال الفرزدق يعاتب يزيد بن عبد الملك فى تقديم ابن المثنى عمر بن
 هبيرة الفزاري على العراق ويهجو .

وَعِنْدِي قَبَاطِيُّ الْهُمَامِ وَمَالُهُ وَعِنْدَهُمْ مِمَّا ظَفِرْتُ بِهِ الْجَحْدُ^(١)
يَرُومُونَ شَأْوِي فِي الْكَلَامِ وَإِنَّمَا يُحَاكِي الْفَتَى فِيمَا خَلَا الْمَنْطِقَ الْقِرْدُ^(٢)
فَهُمْ فِي جُوعٍ لَا يَرَاهَا ابْنُ دَايَةَ ، وَهُمْ فِي ضَجِيجٍ لَا يُحِسُّ بِهَا الْخَلْدُ^(٣)
وَمِثِّي أَسْتَفَادَ النَّاسُ كُلَّ غَرِيْبَةٍ ؛

فَجَازُوا بِتَرِكِ الذَّمِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدُ^(٤)

بَعَثَ إِلَى الْعِرَاقِيِّ وَرَافِدِيهِ فَرَارِيًّا أَحْذَى يَدِ الْقَمِيصِ^(١)

(١) القباطي : جمع قبطية . وهي ثياب بيض تعمل في مصر ؛ والجحد : إنكار الشيء مع العلم به . يقول : ولا زال عندي ثياب المدوح وماله ، وعند حاسدي إنكار ما ظفرت به من نعمته ؛ يقولون : لم يعطه ولم ينل جميع ما يدعى حسداً لي وسترأ لما فضلت به عليهم ، وقال ابن جني في معنى المصراع الأخير : هذا دعاء عليهم بأن لا يرزقوا شيئاً حتى إذا قيل لهم : هل عندكم خير أوبر من هذا المدوح؟ قالوا : لا ، فذلك هو الجحد وليس شيء .

(٢) الشأو : الغاية : يقول : إن هؤلاء المتشاعرين يحاولون أن يبلغوا غايقي في الشعر وهم بالقياس إلى كالتفرد بالقياس إلى الإنسان ، يحاكيه في جميع أفعاله ما خلا المنطق فإنه يعجز عنه وكذلك هم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل كلامي .

(٣) ابن داية : هو الغراب ، يقع على داية البعير - الدبر - فينقرها قال الشاعر :

إِنْ ابْنَ دَايَةَ بِالْفِرَاقِ كَمَوْلَعٍ وَبِمَا كَرِهَتْ لِدَائِمُ التَّنْمَابِ

وهو يوصف بحدة البصر . والخلد : نوع من الفأر أعمى ، يضرب به المثل في قوة السمع . يقول : هم في جوع قليلة ، لا يصرها الغراب مع حدة بصره ، ولا يسمع أصواتهم الخلد مع حدة سمعه . والمعنى أنهم غاية في الحقايرة ودقة الشأن ، حتى لو أن ذلك كان في أجسامهم ، ما رأى جموعهم الغراب ، أوفى أصواتهم ، ما سمعها الخلد .

(٤) قوله فجازوا : أمر من المجازاة . يقول : منى استفاد الناس كل شعر بارع رافع بديع واتحلوه . ثم انتفت إلى خطابهم وقال : فإن لم تجازوني بالحمد على تصاندي فليكن

(١) يصفه بالغلول وسرعة اليد . وقوله أخذ يد القميص : أراد أخذ اليد ، فأضاف إلى القميص لحاجته ، وأراد خفة يده في السرقة ، وقيل : إن الأخذ الملقطوع ، يريد أنه قصير اليد عن نيل المعالي ، فجمله كالأخذ الذي لا شعر لذنبه .

وَجَدْتُ عَلِيًّا وَابْنَهُ خَيْرَ قَوْمِهِ
وَهُمْ خَيْرُ قَوْمٍ وَأَسْتَوَى الْخُرُّ وَالْعَبْدُ^(١)
وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ
وَفِي عُنُقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ^(٢)

جزأى مشكم ترك ذى ا يريد جماعة الشعراء الذين يسرقون كلامه ثم ينتقصونه ويصغون إناءه . وقال ابن جنى : قوله لجازوا : هو كما تقول هذا الدرهم يجوز على خبث تقدمه : أى يتسامح به ، فغايتهم أن لا يذموا ، فأما أن يحمدا فلا ... قال العروضى - ينتقدم- قضيت العجب بمن يخفى عليه مثل هذا ، ثم يدعى أنه أحكم سماع تفسيره منه ، وإنما يقول : الناس استفادوا منى كل شعر غريب وكلام بارع ، ثم رجع إلى الخطاب فقال : لجازونى على فوائدى بترك الدم إن لم يحمدونى عليها .

(١) على : أبو الممدوح ؛ وابنه : الحسين ، والضمير فى قومه : لعلى ؛ يقول : هو وابنه خير قومه ، وقومه خير قوم فى الدنيا ، وبعد ذلك يستوى الأحرار والعبيد فى انحطاط الجميع عن منزلتهم ، وهذا كقول أبى تمام :

مُتَوَاطِئُو عَقَبَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَلَا وَالْمَجْدُ نُمَّتْ نَسْتَوِي الْأَقْدَامُ

(٢) منها : حال من مكانه ، وفى مكانه : خير أصبح ، والضمير : للشعر ؛ يقول : وأصبح شعري من على وابنه فى المكان الذى ينبغى أن يكون فيه ، لأنهما أهل لأن مدحا به فزاد حسنه ، كما أن العقد إذا حصل فى عنق الحسناء ازداد حسنه . وهذا كقوله أيضاً .

وقد أطال ثنائى طولن لآيسه إن الثناء على التنبالِ تنبالُ

[التنبال : القصير]

وساير أبا محمد بن طنج وهو لا يدري أين يريد ؛ فلما دخل كفرديس قال :

وَزِيَارَةٍ عَنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ كَالْعُمْضِ فِي الْجَفْنِ الْمَسْدِ^(١)
مَعَجَتُ بِنَا فِيهَا الْجِيَا دُمَعَ الْأَمِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ^(٢)
حَتَّى دَخَلْنَا جَنَّةَ لَوْ أَنَّ سَاكِنَهَا نُخَلِّدُ
خَضْرَاءَ حَمْرَاءِ التَّرَا بِ كَانَهَا فِي خَدِّ أَغَيْدٍ^(٣)
أَحْبَبْتُ تَشْبِيهَا لَهَا فَوَجَدْتُهُ مَا لَيْسَ يُوجَدُ^(٤)
وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْخَفَا تَقِي فَنِي وَاحِدَةً لِأَوْحَدٍ^(٥)

* *

(١) المسد : الذى منع النوم لئله م . يقول : اتفقت لنا زيارة هذه القرية بئته فكانت لطيبها كالنوم فى جفن الساهد .

(٢) المعج : أن يعتمد انفرس على إحدى عضادى العنان : مرة فى الشق الأيمن ، ومرة فى الشق الأيسر . وقيل : ضرب من السير لين سهل ، قال الشاعر :

يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدِّ إِذَا وَنَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَعَجٌ

(٣) شبه خضرة نباتها على حمرة ترابها بحضرة العذار على حمرة خد أغيد ، والأغيد الوسنان المائل العنق اللين الأعطاف ، وهو من أوصاف العلمان الحسان . قل الواحدى والفيد لا ينبىء عن الحمرة ، لكنه أراد أغيد مورد الخد حيث شبه الحضرة على الحمرة بما فى خده ، كما قال الشاعر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمَوْمَاءِ أَيْدَى جَوَارِ بَتْنِ نَاعِمَاتِ

يريد أن أيدى الإبل أنخضبت من الدم ، كما أن أيدى الجوارى الناعمات حمر بالخصاب ، وليست النومة من الخصاب فى شئ .

(٤) يقول : أحببت أن أشبهها بشئ فوجدت التشبيه معدوماً . ويجوز أن يراد بالتشبيه الشبه به : يقول : أردت مشبها لها فكان مستحيل الوجود ، يريد أنها لا نظير لها .

(٥) أى هى واحدة فى الحسن لأوحد فى المجد .

وهم بالنهوض فاقمده أبو محمد فقال :

يَا مَنْ رَأَيْتُ الْحَلِيمَ وَغَدَاً بِهِ وَحُرَّ الْمُلُوكِ عَبْدَاً^(١)
مَا لَ عَلَى الشَّرَابِ جِدَاً ، وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ أَهْدَى^(٢)
فَإِنْ تَفَضَّلْتَ بِانْصِرَافِي عَدَدَتُهُ مِنْ لَدُنْكَ رِفْدَاً^(٣)

وأطلق أبو محمد الباشق على سُمَانَاة فأخذها فقال :

أَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَلَفَتَ الْمُرَادَاً ، وَفِي كُلِّ شَأٍ شَاوَتْ الْعِبَادَاً^(٤)
فَمَاذَا تَرَكَتَ لِمَنْ لَمْ يَسُدْ ، وَمَاذَا تَرَكَتَ لِمَنْ كَانَ سَادَاً^(٥)
كَانَ الشَّمَانِي إِذَا مَا رَأَتْكَ تَصَيْدُهَا تَشْتَهِي أَنْ تُصَادَاً^(٦)

(١) الوغد : الرذل الدنيء الضعيف العقل ؛ والوغد : خادم القوم ، وقيل : الذي يخدم بطعام بطنه ، تقول منه : وغد الرجل - بضم الغين - ومنه الوغد : قذح من سهام الميسر لا نصيب له يقول : رأيت العاقل اثبت الرزين به رذلا دنيئاً أحقق ، وأحرار الملوك عبيداً ، يعنى شرفه وسيادته .

(٢) يقول : إن الشراب - شراب الراح - قد نال منه ، وأنه أراد النهوض فمنعه ، ثم قال : وأنت أعرف بكل شيء وأهدى الناس إلى المكارم .

(٣) رِفْدَاً : أى إنعاماً ، يريد : أنا أحمد لا أنصرف ، فإن تفضلت بانصرافي عددته منك عطية .

(٤) الشاؤ : الغاية ؛ وشآه : سبقه .

(٥) يقول : لم تدع من السيادة شيئاً يناله من لم يسد ، ولا شيئاً يذكر لمن ساد

(٦) السمانى : الطائر المعروف فى مصر بالسمان ، يكون واحداً ويكون جمعا

ويقال فى الواحدة أيضاً سماناة . وتصيدها - بحذف إحدى التامين - أى تصيدها يقول : إن السمانى استسلمت للباشق ، فكأنها تشتهى أن تضاد لتفتخر بحصولها فى يدك .

(٨ - الثنى ٢)

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال ، فأثارت الغلمان خَشْفًا ، فتلقفته الكلاب ،

فقال :

وَشَامِخٍ مِنَ الْجِبَالِ أَقْوَدِ فَرَدِي كَيَافُوحِ الْبَعِيرِ الْأَصِيدِ^(١)
 يُسَارُ مِنْ مَضِيغِهِ وَالْجِلْدِ فِي مِثْلِ مَثْنِ الْمَسَدِ الْمُعْقَدِ^(٢)
 زُرْنَاهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ لِلصَّيْدِ وَالنَّزْهَةِ وَالْتِمَرُودِ^(٣)
 بِكُلِّ مَسْقِي الدِّمَاءِ أَسْوَدِ مُعَاوِدِ مَقْوَدِ مُقْلَدِ^(٤)
 بِكُلِّ نَابٍ ذَرَبٍ مُحَدَّدِ عَلَى حِفَافِي حَنَّكَ كَالْمَبْرَدِ^(٥)
 كَطَالِبِ الثَّارِ وَإِنْ لَمْ يَحْقِدِ يَقْتُلْ مَا يَقْتَلُهُ وَلَا يَدِي^(٦)

(١) وشامخ : أى ورب جبل شامخ : أى عال ؛ والأقود : المتقاد طولاً ، والأصيد : اللتوى العنق لئاء ، والصيد : داء يصيب أعناق الإبل . يريد أن هذا الجبل مرتفع فى اعرجاج ، فشبهه يافوخ البعير الأصيد لعلوه واعوجاجه .

(٢) الجلد : الصخر . والسد : الجبل من ليف . يقول : إن السائر فى هذا الجبل يسير منه فى طريق ضيق ذى صخور ، قد تخرج واشتبك بعضه فى بعض فأشبه لذلك ما بين قوى الجبل المعقد .

(٣) لك أن تقرأ يعهد : بضم الياء - على المجهول - وبفتحها : على أنه من فعل الجبل . والمراد بالتمرد : طغيان النشاط . وقوله للصيد : بدل تفصيل من الأمر ، والنزهة : الابتعاد عن مجامع الناس ومواقع العمق وفساد الهواء . يقول : أتينا هذا الجبل للصيد والنزهة والمرح بما لم يعهد فى مثله أو لم يعهده هو فى نفسه من قبل لفرط علوه ووعورة مسالكه .

(٤) أى زرنَاهُ بكل كلب يسقى دم ما يصيده ، أسود اللون ، تعود الصيد ومارسه كثيراً ، مقود : أى جعل له مقود يقاد به إلى الصيد ، مقلد من القلادة ، وهى الطوق يجعل فى العنق .

(٥) أى معاود للصيد بكل ناب ، أو تقول : يسطو بكل ناب ذرب : أى حاد ماض ، والحفافان : الجانبان ، شبه حنكه بالمبرد ، لما فيه من التضاريس والطرائق .

(٦) ودى القتل يديه : أعطى ديته ، وهى ثمن الدم . يقول : كأن له عند الصيد ثأراً يطلبه وإن لم يضطغن عليه ، فهو يقتل ما يقتله ولا دية عليه .

يَنْشُدُ مِنْ ذَا الْحِشْفِ مَا لَمْ يَفْقِدِ
 فَتَارَ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدَى (١)
 كَأَنَّهُ بَدَهُ عِذَارِ الْأَمْرَدِ فَلَمْ يَكْذُ إِلَّا لِحِشْفٍ يَهْتَدِي (٢)
 وَلَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَى بَطْنِ يَدٍ وَلَمْ يَدْعُ لِلشَّاعِرِ الْمُجَوِّدِ (٣)
 وَصَفَا لَهُ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْأَمْجِدِ الْمَلِكِ الْقَرْمِ أَبِي مُحَمَّدٍ (٤)
 الْقَانِصِ الْأَبْطَالِ بِالْمُهَنْدِ ذِي النُّعْمِ الْفَرِّ الْبَوَادِي الْعَوْدِ (٥)
 إِذَا أَرَدْتُ عَـدَّهَا لَمْ تُعَدِّ ،
 وَإِنْ ذَكَرْتُ فَضَّلَهُ لَمْ يَنْفَدِ (٦)

(١) الحشف : ولد الظبية . ونشد الضالة : طلبها وتعرف مكانها . وقوله : من أخضر أى من مكان أخضر . يقول : يطلب من هذا الحشف ضالة لم يفقدها من قبل ، فتار الحشف بين يديه من مكان معشوشب أخضر خضل ندى :

(٢) و (٣) قوله كأنه الخ : شبه النبات الأخضر بشعر العارضين أول ما يبدو في خد أمرد . وقوله : فلم يكذ الخ يقول : لما ثار الحشف أمام الكلب انسدت عليه مسالك الفرار فلم يكذ يهتدى منها طريقا إلا كان فيها هلاكه لإدراك الكلب إياه ، ولم يقع إلا على بطن يد الكلب فحصل فيها . وقال الواحدى : إنه لما يئس من القوت مد يديه لاطئا بالأرض .

(٤) يقول : ولم يدع الكلب للشاعر وصفا يصفه به لدى الأمير ، لأنه لا يقدر أن يأتى بشيء أكثر مما رآه من أفعاله ، والقرم : السيد . وأصله من البعير القرم ، وهو الذى لا يعمل عليه ولا يذلل .

(٥) سمى أخذه الأبطال بالسيف قصا : لمشاكلة للقام ؛ والفر : البيض ، والبوادي العود : أى التى تظهر أولا ثم تعود ولا تكون مرة واحدة . ويحتمل أن تكون البوادي أصلها الحمز ، تخلفها للوزن .

(٦) لم تعدد : تزوى لم أعدد ؛ وينفد : يفرغ .

وقال ارجع لاجل يودعه :

مَاذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ الْكَمِيدِ
هَذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ (١)
إِذَا السَّحَابُ زَفَّتْهُ الرِّيحُ مَرْتَفِعًا
فَلَا عَدَا الرَّمْلَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ بَلَدٍ (٢)
وَيَا فِرَاقَ الْأَمِيرِ الرَّحْبِ مَنزِلُهُ
إِنْ أَنْتَ فَارَقْتَنَا يَوْمًا فَلَا تَعُدْ (٣)

(١) الوامق : الحب . يقول : ليس هذا الوداع وداع محب لحبيه ، وإنما هو وداع روح لجسدها . وفي هذا المعنى يقول القائل :

أنت ودموعها في الخلد تحمكي فلائدها وقد جمعت تقول
غداة غدٍ تمحَّت بنا المطايا فهل لك من وداع يا خليل
فقلت لها : لمعرك لا أبالي أقام الحى أم جدّ الرحيل
يهدّد بالنوى من كان حياً وها أنا قبل بينكم قتيلاً

(٢) زفته : ساقته ؛ والرملة : بلد المدوح ؛ وعدا : جاوز ؛ ومن بلد : يميز ؛ ومن : زائدة . دعا له بالسقيا والخصب والبركة يقول : إذا أرسل إليه سبحانه فلا جاوز بلادك .

(٣) منزله : فاعل الرحب . يقول : إن فارقتنا - أيها الفراق يوما بأن اجتمعنا - فلا تفرقنا ثانية .

ودخل على أبي العشار الحسين بن علي بن حمدان يوماً فوجده على الشراب ،
وفي يده بطيخة من الندى في غشاء من خيزران ، عليها قلادة لؤلؤ ، وعلى رأسها
عنبر قد أدير حولها ، فحياه بها وقال : أي شيء تشبه هذه ؟ فقال ارتجالاً :

وَبَيْتِيَةٍ مِنْ خَيْزُرَانَ ضُمَّتْ بَطِيخَةً نَبَتَتْ بِنَارٍ فِي يَدٍ ^(١)
نَظَّمَ الْأَمِيرُ لَهَا قِلَادَةَ لَوْلُؤٍ كَفَعَالِهِ وَكَلَامِهِ فِي الشَّهِيدِ ^(٢)
كَالْكَاسِ بِأَشْرَهَا الْمِزْجَاجُ فَأَبْرَزَتْ
زَبَدًا يَدُورُ عَلَى شَرَابِ أَسْوَدٍ ^(٣)

(١) البنية : البنية ، يريد الخيزران الذي اتخذ وعاء لهذه البطيخة ، ولما قال بطيخة
أثبت لها النبت على سبيل الترشيح ، إلا أنه جعل نبتها بنار في يد ؛ لأنها أديرت في
يد صانعها على النار حتى تمت صنعها .

(٢) شبه القلادة المنظومة في حسنها بقله وكلامه الذي يتكلم به في مشهد من الناس
(٣) المزاج : الماء الذي يمزج به ؛ والزبد : ما يطفو على وجه الكأس ؛ جعل
الشراب أسود لتسود به الكأس ثم جعله مزوجاً ليعلوه الزبد فيشبه القلادة التي عليها ؛
وقال ابن جنى : هو تشبيه واقع ، وإن كان على شراب أسود ، وفي لفظه باليس في
لفظ الشراب الأصفر والأحمر ، إلا أنه شبه ما رأى بما أشبهه . ألا ترى إلى قول القائل
في تشبيهه :

لو ترائي وفي يدي قدح الدُّو شاب أبصرت بازياً وغزالاً ^(١)

(١) الدوشاب - كما في مفردات ابن الأثير - نبيذ التمر ؛ روى نطفويه عن أحمد
ابن حمدون ، قال : تذاكرنا يوماً بحضرة اللمكتفي فقال : أفيكم من يحفظ في نبيذ
الدوشاب شيئاً ؟ فأنشدته قول ابن الرومي :

إذا أخذت حَبَّهُ وَدَيْسَهُ ثم أجدت ضربه ومرسته

ثم أطلت في الإناء حبسه شربت منه البابلَى نفسه

قلل اللمكتفي : قبحه الله ما أشربه ! لقد شوقني في هذا اليوم إلى شرب الدوشاب

وقال فيها ارتجالاً أيضاً :

وَسَوْدَاءُ مَنْظُومٍ عَلَيْهَا لَآلِيٌّ لَهَا صُورَةُ الْبَطِيخِ وَهِيَ مِنَ النَّدَى (١)
كَأَنَّ بَقَايَا غُنْبَرٍ فَوْقَ رَأْسِهَا
طُلُوعُ رَوَاعِي الشَّيْبِ فِي الشَّمْرِ الْجَمْدِ (٢)

وعمل أبياتاً بديهاً ، فتعجب أبو المثنى من سرعته قال :

أَتُنَكِّرُ مَا نَطَقْتُ بِهِ بِبَدِيهَا ، وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ سَبَقُ الْجَوَادِ
أَرَا كَيْفَ مَعْرُصَاتِ الشَّمْرِ قَسْرًا فَأَقْتُلُهَا وَغَيْرِي فِي الطَّرَادِ (٣)



هذا : والكأس مؤنثة ، قال الله تعالى « بكأس من معين يضاء » وقال أمية

ابن الصلت :

مَارَعْبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ تَحِيًّا قَلِيلاً فَلَمُوتٌ لَاحِقُهَا
يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غُرَاتِهِ يُوَاقِفُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمُوتِ كَأَسُّ وَالْمَرَّةِ ذَاتِهَا (١)
وقيل : لا تسمى كأساً حتى يكون فيها الشراب .

(١) و (٢) رواعي : جمع راعية . وهو أول شعرة تبيض شيئاً . وروى الخوارزمي

دواعي الشيب : يعني أوائله التي تدعو سائر الشعر إلى البياض . يقول : هذه البطيخة
السوداء التي عليها لآليء هي من الندى . وكان بقايا الغنبر عليها أول الشيب في السواد ،
يريد هي سوداء واللون أبيض ، فشبه اللون بأول الشيب في الشعر الأسود . قال ابن
جنى : الجمدة الأسود لأن السواد أبداً يكون مع الجمودة . قال ابن فورجه : ليس كذلك
لأن الزنج يشيون ولا تزول الجمودة ، وإنما آتى بالجمدة للقافية .

(٣) أراكس : أطارد ، ومعوصات الشعر : أي عوصاته ، وهي التي لا يهتدى لوجهها

والدبس : غسل التمر وعصارتها ؛ والرّس : مصدر مرس التمر إذا دلّكه في الماء

حتى يتحات فيه .

(١) مات عبطة : أي شابا . وقيل : شابا صحيحاً

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

أَوْدٌ مِنْ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ ، وَأَشْكُو إِلَيْهَا يَبْنِنَا وَهِيَ جُنْدُهُ (١)
يُبَاعِدُنْ جَبًّا يَجْتَمِعُنْ وَوَصَلُهُ فَكَيْفَ بِحَبِّ يَجْتَمِعُنْ وَصَدَّهُ (٢)؛
أَبَى خَلْقُ الدُّنْيَا حَبِيْبًا تُدِيْمُهُ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيْبًا تَرُدُّهُ (٣)
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِرًا تَكَلَّفُ شَيْءٌ فِي طِبَاعِكَ صِدَّهُ (٤)

يصف نفسه بسرعة الحاطر وقوة البادرة ، وشبه الشعر بالصيد . يقول : إنه يطارد العويس من الشعر فيأخذه قهراً ، وأما من عداه من الشعراء فباق في مطاردته لم يدرك شيئاً .
(١) بيننا : فراقنا . يقول : أحب من الأيام الإنصاف وأن تجمع بيني وبين أحبي ، وذلك ما لا توده الأيام ، وأشكو إليها فراقنا وإنما هي جند الفراق ، لأنها سبب البعد والتفريق ، فكيف أرجى أن تصنى إلى شكائي ؟

(٢) يباعدن : أي يبعدن ؛ والحب : المحبوب : ووصله : وصدّه ؛ معطوفان على الضمير في يجتمعن دون أن يأتي بتوكيد ، وهو جائز عند الكوفيين — كما أسلفنا — وجعل الأيام تجتمع مع الوصل والصد لأتبعها يكونان فيها ، والظرف يتضمن الفعل ، وإذا تضمنه فقد لا يسه : فكأنه اجتمع معه . يقول : إذا كانت الأيام تبعد عنا الحبيب المواصل لنا فكيف تقرب الحبيب المقاطع ؟ يعني أن الأيام تبعد عنا الحبيب ووصله موجود ، فكيف الطمع في حبيب صده موجود ؟

(٣) قال الواحدى : أى أن الدنيا قد أبت أن تديم لنا حبياً على الوصال فكيف أطلب منها حبياً تمنعه عن وصالنا؟ وكيف أطلب منها أن ترده إلى الوصل بعد أن أعرض وهر؟ وهذا كما قيل لبعضهم : قد ظهر نبي يحيى الأموات ، فقال : ما تريد هذا ، بل زيد أن يترك الأحياء فلا يميتهم ، وعبرة بعض الشراح : أى أن الدنيا لا تديم الحبيب الحاضر ، فكيف ترد الحبيب الغائب وهى سبب غيبته؟ وقال ابن جنى : إذا كان مافي يدك لا يبقى عليك ، فما قد مضى أبعد من الرجوع إليك .

(٤) فعلت : نمت مفعول ، وتغيرا : تميز ، وتكلف : خبر أسرع . يقول : إن الدنيا لو أسعدتنا بقرب أحببتنا لما دام لنا ذلك لأن الدنيا بنيت على التغيير والتنقل ، فإذا فعلت غير ذلك كانت كمن تكلف شيئاً هو ضد طباعه ، فليس إلا أن يدعه وشيكاً ويعود إلى طبيعه ، كما قال حاتم :

رَعَى اللهُ عَيْسًا فَارْتَقْنَا وَفَوْقَهَا
بِوَادٍ بِهِ مَا بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُ
مَهَا كُلَّمَا يُوَلَّى بِجَفْنِيهِ خَدَّهُ (١)
وَقَدْ رَحَلُوا جِيدٌ تَنَازَرَ عِقْدُهُ (٢)
تَفَاوَحَ مِيسِكُ الْفَانِيَاتِ وَرَنَدُهُ (٣)

وَمَنْ يَتَدَبَّرُ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْأَعْوَرِ الشَّنِيِّ :

وَمَنْ يَقْتَرِفُ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ
وَأَدْوَمُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَا نَشَأَ بِهِ ،
يَدَعُهُ وَتَقْلِبُهُ عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ
وَأَقْصَرُ أَعْمَالِ الرِّجَالِ الْبِدَائِعُ
وَمِثْلُهُ :

يَأْيَاهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شَيْمَتِهِ
إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخَلْقُ

(١) العيس : الإبل ، والمها : بقر الوحش . تشبه بها النساء الحسان . ويولي - من
الولي - وهو المطر الذي يلي الوسمي . يدعو للإبل التي حملت الحبايب وذهبت بهن ، ثم
ذكر أنهن ييكنن لأجل الفراق فقال : كلها يولي - أي يعطر - خده بجفنيه . جعل بكاءهن
كالمطر من جفونهن .

(٢) بواد : متعلق بفارتقنا - في البيت السابق - والضمير في رحلوا : لقوم الحبايب ،
والجيد ، العنق ، يقول : فارتقنا بواد به من الوجد والوحشة لفرأهم ما بالقلوب : أي
استوحش وتغير لارتحالهم ، فصار كأنه جيد تناثر عقده ، يعني أن الوادي كان متزيناً بهم
فلما ارتحلوا تعطل من الزينة وعبارة ابن جنى : بقى الوادي مستوحشاً لرحيلهم عنه كالجيد
إذا سقط عقده وبه ما بالقلوب : أي قد قتله الوجد لفقدهم . قال : ويجوز أن يكون شبه
تفرق الحمولة والظعن بدر تناثر فتفرق ؛ وقال ابن القطاع - بعد أن أورد كلام ابن جنى
هذا - يصف زهر الوادي وحسنه فتعوض بالمطل من الحلى .

(٣) الأحداج : مراكب النساء فوق الإبل كالموادج : جمع حدج ، وهو جمع قلة ،
وجمع السكرة حدوج ، وحدجت البعير أحدجه - بالكسر - حدجا : إذا شددت عليه
الحدج . قال الاعشى :

أَلَا قَلَّ لِمِثَاءِ مَا بَالَهَا أَلْبِينُ تَحْدَجُ أَحْمَالَهَا ؟

[ويروي : أجمالها - بالجيم - أي تشد عليها]

وَجَالٍ كَأَخْدَاهُنَّ رُمْتُ بُلُوعَهَا
وَمِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ (١)

والرند : نبات من شجر البادية ، طيب الرائحة ، يشبه الآس . يقول : إذا سارت
مرا كبهن فوق نبات هذا الوادى وهو من الرند وهن قد تضمخن بالمسك - اختلطت
ريح الرند بريح المسك فتفوح الريحان ، قال ابن جنى : قال لى التنبى : لما قلت هذه القصيدة
وقلت : تفاح أخذ شعراء مصر هذه اللفظة فتداولوها بينهم قال ابن جنى : وهى لفظه
فصيحة مستحسنة . قال العكبرى : سألت شيخى بالحرم مكى بن ريان الماكسى عندقراءتى
عليه هذا الديوان سنة تسع وتسعين وخمسةائة : ما بال شعر التنبى فى كافور أجود من شعره
فى عضد الدولة وأبى الفضل ابن العميد ؟ فقال : كان التنبى يعمل الشعر للناس
لا للمدوح وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة فى بلاد خالية من الفضلاء ، وكان
بمصر جماعة من الفضلاء ، والشعراء ، فكان يعمل الشعر لأجلهم ، وكذلك
كان عند سيف الدولة بن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء ، فكان يعمل
الشعر لأجلهم ولا يبالى بالمدوح ، والدليل على هذا ما قال أبو الفتح - ابن جنى - عنه
فى قوله : تفاح ، لأنه لما قالها أنكراها عليه قوم حتى حققوها ، فدل أنه كان يعمل الشعر
الجيد لمن يكون . بالمكان من الفضلاء .

(١) غول الطريق : ما يقول سالكه ؛ أى يهلكه إنضاء . يقول : ورب حال هى
فى الصعوبة والامتناع وتعذر النال كإحدى هؤلاء النسوة حاولت أن أبلغها ، وقبل
الوصول إليها بعد الطريق وما فيه من المهالك : يعنى أنه يطلب أحوال عظيمة . لا يقدر
على الوصول إليها كما أنه لا يقدر على الوصول إلى إحدى هؤلاء الفانيات . وقال ابن جنى
ويجوز أن تكون الحال حسنة كإحدى هؤلاء العوان فى الحسن . هذا : وإليك كلمة
على «رب» للعكبرى . قال : قوله وحال : أى ورب حال ؛ قال أصحابنا : واو رب تعمل
فى النكرة الحفص بنفسها : وإليه ذهب البرد : وقول البصريون : العمل لرب مقدره ،
وحببتنا أنها نائبة عنها ، فلما نابت عملت الحفص بنفسها وكانت كواو انقسم لأنها نابت عن
الباء ؛ ويدل على أنها ليست باطفة أن حرف العطف لا يجوز الابتداء به . ونحن نرى
الشاعر يبتدى بالواو فى أول القصيدة كقوله :

* وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسُ *

وَأَتَعَبُ خَلَقَ اللهُ مِنْ زَادِ هِمَّتِهِ ، وَقَصَرَ عَمَّا تَشَبَهَى النَّفْسُ وَجَدَهُ (١)
 فَلَا يَنْحَلِلُ فِي الْمَجْدِ مَالِكٌ كَلُّهُ ، فَيَنْحَلُّ بِمَجْدٍ كَأَنَّ بِالْمَالِ عَقْدَهُ (٢)
 وَدَبَّرَهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَّهُ ، إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدَهُ (٣)

ومثله كثير ، يدل على أنها ليست عاطفة ، وحجة البصريين على أن الواو واو عطف وحرف العطف لا يعمل شيئاً ، أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، وحرف العطف غير مختص ، فوجب أن يكون عاملاً ، وإذا لم يكن عاملاً وجب أن العامل «رب» مقدرة . ويدل على أن رب مضمرة أنه يجوز ظهورها معها نحو ورب بلدة .

(١) الهم : الهمة ، والوجد : السمة . قال الواحدى : هذا مثل ضربه لنفسه كأنه يقول أنا أتعب خلق الله لزيادة همى وقصور طاقى من الغنى عن مبلغ ما أم به ، وهذا مأخوذاً مما فى الحديث : إن بعض العقلاء سئل عن أسوء الناس حالاً ؟ فقال : من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضائق مقدرته ، وقد قال الخليل بن أحمد :

رُزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أُرْزَقْ مُرُوءَةً وَمَا الْمُرُوءَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
 إِذَا أُرِدْتُ مُسَامَاةً تَقَاعَدْتُ عَمَّا يُنَوِّهُ بِأَسْمِي رِقَّةَ الْحَالِ

(٢) هذا نهى عن تبذير المال والإسراف فى إنفاقه ، يقول : لا يذهبن مالك كله فى طلب المجد ، لأن من المجد مالا ينعقد إلا بالمال ، فإذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذى كان ينعقد بالمال ، قال عبد الله بن معاوية :

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أَوْرِ يُقْصَرُ دُونَ مَبْلَغِهِنِ مَالِي
 فَلَا نَفْسِي تَطَاوَعْنِي لِجَلِّ ، وَلَا مَالِي يَبْلُغُنِي فَعَالِي

يتأسف على قصور ماله عن مبلغ مراده ، وأبو الطيب يقول : ينبغى أن تقتصد فى العطاء وتدخر المال لتطيعك الرجال فتنال العلى وتصل إلى الشرف ، ثم ضرب لهذا مثلاً بالبيت التالى .

(٣) يقول : دبر مالك تدبير من إذا خاض الوغى للطعان والنزال جعل المجد بمثابة الساعد الذى تعتمد عليه الكف فى الضرب ، يعنى أنه بالمجد تقاد الجيوش ، وبالمال ينفق عليها ، فالمجد والمال كلاهما متوقف على الآخر ، كما أبان عن ذلك فى البيت التالى ،

فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ، وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
 وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
 وَمَنْ سَكُوبُهُ رِجَالُهُ وَالثُّوبُ جِلْدُهُ (١)
 وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنبَيْ مَالِهِ مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادِ أَحَدِهِ (٢)
 يَرْضَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرْتَبُهُ فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ (٣)
 يُكَلِّفُنِي التَّهْجِيرَ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ عَلَيَّتِي مَرَاعِيهِ وَرَادِي رُبْدِهِ (٤)
 وَأَمْضَى سِلَاحَ قَلْدِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ
 رَجَاءُ أَبِي الْمَسْكَ الْكَرِيمِ وَقَصْدُهُ (٥)

(١) يقول : في الناس من هودنيء الهمة يرضى بما تيسر له من العيش وبالهدون منه ويمشى على قدميه عارياً ، فلا تسمو نفسه إلى ما وراء ذلك من الثراء والعلاء . والميسور : ما تيسر . وهو من المصادر التي جاءت على مفعول .

(٢) يقول : لكن لي قلباً ليس له غاية تنتهي عند مطلوب أجعل له حداً ، يعني أنني إذا جعلت حداً لطلوبي لا يرضى قلبي بذلك بل يطلب ما وراءه .

(٣) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق ، وترتبه : تسميه وتنعمه . يقول : إن قلبي هذا يرى الجسم الذي هو فيه يترفه متنعماً بلبس الثياب الرقيقة فيأبي ذلك ويؤثر عليه أن يكسى دروعاً تهده بشقلها ، يعني أنه لا يرضى بالترف والنعم وهو مغمور ويأبى إلا ركوب الصعاب في سبيل المجد والسيادة .

(٤) التهجير : السير وقت الهجرة ، وهي حر نصف النهار والمهمة : الفلاة الواسعة؛ والربد : النعام الذي خالط سواده يياض . يقول : إن قلبي يكلفني التهجير والسير في كل فلاة بعيدة مترامية الأطراف ينفد فيها مامى من العليق والزاد فلا عليق لفرسى إلا أن يرتع في مراعيها ولا زاد لي إلا النعام أصيده فأكله .

(٥) يقول : وأمضى سلاح قلد المرء نفسه إياملقاومة النوائب هو رجاءه أبا المسك وقصده إياه ، يعني أن رجاءه كافوراً وقصده إياه هما اللذان هونا عليه مشقات الطريق وأخطاره فكأنه قاتل بهما هذه الأخطار والمخاوف : فقوله : أمضى مبتدأ، خبره رجاء ؛ ونفسه : مفعول أول لقلد ؛ والثاني : محذوف، أى قلد نفسه إياه: وهذا الخالص من أحسن الخالص

هُمَا نَاصِرَا مَنْ خَانَهُ كُلُّ نَاصِرٍ
 أَنَا الْيَوْمَ مِنْ غِلْمَانِهِ فِي عَشِيرَةٍ
 فَمِنْ مَالِهِ مَالُ الْكَبِيرِ وَنَفْسُهُ ،
 نَجْرُهُ الْقَنَا الْخَطِيُّ حَوْلَ قَبَائِهِ ،
 وَنَمْتَحِنُ النُّشَابَ فِي كُلِّ وَابِلٍ
 وَأُسْرَةٌ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ (١)
 لَنَا وَالِدٌ مِنْهُ يُفْذِيهِ وَوَلَدُهُ (٢)
 وَمِنْ مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ (٣)
 وَتَرْدِي بِنَاقُبِ الرَّبَاطِ وَجُرْدُهُ (٤)
 دَوِيُّ الْقِسِيِّ الْفَارَسِيَّةِ رَعْدُهُ (٥)

(١) أسرة الرجل أهله الأذنون يقول إن جاء كافور وقصده ، هما ينصران على الزمان من خذله أنصاره فأصبح بغير ناصر ، وهما عشيرة من لا عشيرة له ، بهما يمز فيغنيانه عن العشيرة .

(٢) الولد - بالضم - بمعنى الولد - بالفتح - يقع على الواحد والجمع قال الشاعر :

فَلَيْتَ فِلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فِلَانًا كَانَ وَوَلَدَ حِمَارٍ

يقول : إن كافوراً وهب له غلماناً وأنه منهم في عشيرة ، إذ يحنون به ويركبون معه ، وكافور له ولم كالوالد وهم له كالأولاد البررة يمدونه بأنفسهم .

(٣) الدر : اللبن يقول : إن بره عم الكبير والصغير ، فالذي يملكه الكبير حتى نفسه - أي حياته - من ماله ، لأنه إنما ينفذ بنعائه ؛ ومهد الصغير واللبن الذي يرتضعه كذلك من ماله ، وكل ذلك لأنه ملك عظيم له الأمر والتصرف في كل شيء . وقال ابن جنى : يهب للناس أنفسهم كما يهب لهم المال ، لأنه مالك الجميع : كبيرهم وصغيرهم .

(٤) القنا : الرماح ؛ والخطى : نسبة إلى الخط ، وهو موضع بالجماعة تقوم فيه الرماح وقبايه : خيامه . وتردى - من الرديان - وهو ضرب من العدو . والقب : الضامرة البطون ، جمع أقب ؛ والرباط : اسم لجماعة الحيل ؛ والجرد : القصار الشعر . يقول تقوم - يعني نفسه ومن معه من الغلمان - في خدمته أيما نزل ونصبت خيامه ، وتعدو بنا الحيل في صحبته أيما سار . وقوله وجرده : وحد الضمير ولم يقل وجردها لأن الرباط اسم واحد غير متكرر بمنزلة القوم والرهط .

(٥) نمتحن : نخبر ، والنشاب : السهام . والوابل : المطر الغزير : والقسي الفارسية أي للنسوية إلى فارس ، يريد صنعة الصم . يقول : ونمتحن بين يديه الترابي بالسهام ونهمن منها في مثل الوابل لكثرتها ، وأصوات القسي في ذلك الوابل كالرعد : يعني أنهم يترامون

فَإِلَّا تَكُنْ مِصْرُ الشَّرِيِّ أَوْ عَرِينَهُ

فَإِنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ النَّاسِ أَسَدُهُ (١)
 سَبَائِكُ كَافُورٍ وَعَقِيَانُهُ الَّذِي بِصَمِّ الْقَنَا لَا يَصَالُ أَيْعَ نَقْدُهُ (٢)
 بَلَاهَا حَوَالِيهِ الْعَدُوُّ وَغَيْرُهُ وَجَرَّبَهَا هَزْلُ الطَّرَادِ وَجِدُهُ (٣)
 أَبُو الْمَسْكَ لَا يَفْنَى بِذَنْبِكَ عَفْوُهُ وَلَكِنَّهُ يَفْنَى بِعُذْرِكَ حَقْدُهُ (٤)
 فَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالْجِدِّ سَعِيهِ وَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالسَّيِّئِ جَدُّهُ (٥)

بالسهام ويتلاعبون بالأسلحة ليتبين أيهم أشد وأبعد غلوة عند الرماء ، كمادة الفرسان والشبان في الحرب .

(١) الشري : الموضع الكثير الأسد ، وأصله مأسدة بجبل سلمى من بلاد طيء ؛ والعرين : الأجمة . وقوله : فإن الذي . رواها ابن جنى : فإن التي ، قال : لأنه أراد الفتة والجماعة . ولكن رواية الذي : أجود وأشهر . يقول : إن لم تكن مصر هي الشري ولا عرينه ، فإن الناس الذين فيها هم أسود الشري ، فالضمير في أسده : للشري .

(٢) السبائك : جمع سبيكة ، وهي القطعة من فضة أو ذهب ذوبت وأفرغت في قالب ؛ والعقيان : الذهب . وصم القنا : أى الرماح الصلبة يقول : هؤلاء الناس - الذين ذكرهم - هم ذخائر كافور وعدته في مطالبه . فهم له بمنزلة السبائك والذهب لغيره ، ولما جعلهم سبائك وعقياناً ذكر أنه اتقدم بالرماح - لا بالأصابع كما ينتقد الذهب - أى أنه امتحنهم بطمان الفرسان ، واصطفاهم بعد أن أبلوا في الحرب .

(٣) بلاها ؛ اختبرها ، وهزل الطراد : مردود إلى قوله وغيره ، وجده إلى العدو على طريق النشر الغير للرتب ، يقول : اختبرها الأعداء في الحرب حوالى كافور ، لكثرة ما حاربوا أعداءه . وشهدوا معه المعارك فصاروا مجريين بكثرة القتال ، واختبرها غير العدو في أوقات لعب الفرسان حين يطارد بعضهم بعضاً : أى جربت في حالى الجد والهزل وتمرت بالقتال في سائر الأحوال .

(٤) يقول : إنه كثير العفو ، وإن عفوه أ ثر من ذنب المذنبين ، وإنه ليس بمحقد وإذا اعتذر إليه الجاني ذهب حقده .

(٥) الجد - هنا - السعد . يقول : إن السعى والسعادة قد اجتمعا له ، فإذا سعى فى أمر نصير السعد ضعيه فيصير مجدوداً فى ذلك السعى ويدرك ما يريد من سعيه ، وإذا

تَوَلَّى الصَّبَا عَنِّي فَأَخْلَفْتَ طَيْبَهُ ، وَمَا ضَرَرَنِي لِمَا رَأَيْتُكَ فَقَدَهُ (١)
لَقَدْ شَبَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَهْوَلُهُ لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ (٢)
أَلَا لَيْتَ يَوْمَ السَّيْرِ يُخْبِرُ حَرَّهُ فَتَسْأَلُهُ وَاللَّيْلُ يُخْبِرُ بَرْدَهُ (٣)
وَلَيْتَكَ تَرَ عَائِي وَحَيْرَانُ مُعْرِضٌ فَتَعْلَمَ أَيُّ مِنْ حُسَامِكَ حَدَّهُ (٤)

حفزته السعادة إلى نيل مطلوب نهض إليه بسعيه ولم يعتمد على السعد وحده ، وإذا اجتمع السعد والسعي لإنسان بلغ أقصى المبالغ .

(١) تولى : ولى ، وفقده فاعل ضر . يقول : ولى الصبا عنى وذهب ، فأخلفت على طيبه : أى جعلت له خلفا بما أجد من طيب أيامى عندك ، يعنى أنى مبتهيج بك ابتهاجى بالشباب حتى لم يضرنى فقده مع رؤيتك .

(٢) هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق : يقول : إن الكهول بما يلاقونه فى ذراك من رغد العيش وبشاشة الحياة ونور العدل صاروا شبابا والرد عند غيرك صاروا شيئا لما يلاقون من البؤس وجهد الحياة وظلمة الظلم . وقال ابن جنى : هذا تعريض بسيف الدولة ، أى صاروا عند غيرك بظلمه وسوء سيرته شيئا . ويجوز أن يكون هذا من المقلوب هجوا . يريد أن الكهول عندك لما ينالهم من النذل والظلم والاحتقار كحال الصبيان ، وأن للرد - وهم الشبان عند غيرك بالاحترام لهم ورفع أقدارهم - صاروا شيئا : أى موقرين توقير الشيوخ .

(٣) يذكر أنه قال فى مسيره إليه حر النهار وبرد الليل يقول : ليهما يخبران فتسألها عما قاسيت . هذا وقوله : والليل عطف على يوم وحره فاعل يخبر وكذا برده . وقوله فتسأله : نصبه ، لأنه جواب التخي . وقال العكبرى - لمناسبة حر النهار وبرد الليل - وهذا يكون فى أواخر أيام الصيف وأوائل الخريف لأن النهار يكون كرابا والليل بارداً . قال : وما أحسن ما جمع بعضهم الفصول الأربعة فقال :

إِذَا كَانَ يُؤْذِيكَ حَرُّ الصَّيْفِ وَكَرْبُ الْخَرِيفِ وَبَرْدُ الشِّتَاءِ
وَيُلْهِيكَ حُسْنُ زَمَانِ الرَّبِيعِ فَفِعْلُكَ لِلْخَيْرِ قُلِّ لِي مَتَى

(٤) ترعانى - هنا - بمعنى ترانى وترابقى ؛ وحيران : ماء بالشام على يوم من سلية ومعرض : أى ظاهر ، من أعرض الشيء : بدا للنظر ، ومنه :

وَأَعْرَضَتْ الْيَمَامَةُ وَأَشْمَخَرَتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُضْلِتِينَا

وَأُنَى إِذَا بَاشَرْتُ أَمْرًا أُرِيدُهُ تَدَانَتْ أَقَاصِيدُ وَهَانَ أَشَدُّهُ^(١)
 وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِي إِلَيْكَ فَلَمَّا لَحْتُ لِي لَاحَ فَرْدُهُ^(٢)
 يُقَالُ إِذَا أَبْصَرْتُ جَيْشًا وَرَبَّهُ أَمَامَكَ رَبُّ رَبِّ ذَا الْجَيْشِ عَبْدُهُ^(٣)
 وَاللِّي الفَمَ الضَّحَاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بِذِي الكَفِّ الْمُنْدَادِ عَهْدُهُ^(٤)
 فَرَارَكَ مِنِّي مَنْ إِلَيْكَ اشْتِيَاقُهُ

وَفِي النَّاسِ إِلَّا فِيكَ وَخَدَكَ زُهْدُهُ^(٥)

يُخَلَّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً ، وَيَأْتِي فَيَدْرِي أَنَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ^(٦)

يقول : ليتك كنت تراني وأنا عند هذا الماء فترى جلدي وإشاحتي في السير فتعلم
 أني ماض في الامور مضاء حد سيفك .

(١) يصف نفسه بالجلد والشجاعة والإقدام . يقول : إنه إذا حاول أمرا تدانت
 أباعدة وهان أصعبه لغزمه وبعد همته .

(٢) يشتهون : يتشابهون ، ولي : متعلق ييشتهون . وإليك : متعلق بمحذوف حال
 من ضمير التكلم قبله : أي وأنا قاصد إليك . يقول : ما زال أهل الدهر يتشابهون
 عندي في مسيري إليك ، فلا أكاد أرى بينهم فرقا حتى ظهرت لي ، فإذا أنت فردم
 الذي لا يشبهه أحد منهم وهذا كقوله :

* النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ *

(٣) يقول : إذا رأيت جيشا ومملكة فاستعظمته قيل لي : قد أمك ملك هذا الملك
 الذي تراه عبده فكيف هو ؟ قال الواحدى : وهذا كالتفسير للبيت السابق فالذين
 رأيهم هم الذين اشتبهوا له والذي قيل له : رب هذا الجيش عبده ، هو الفرد الذي لاح له .

(٤) يقول : إذا لقيت إنسانا ضاحكا علمت أنه قريب عهدك بكفك وأخذ عطاءك
 فانتفى عنك مسرورا . فقوله بذى الكف . أى بهذه الكف وهى متعلقة بعهده ؛

وقريب : خبر مقدم ، وعهده : مبتدأ مؤخر ، وعبرة ابن جنى : لما قبل كفك كسته
 الضحك لبركتها وسعادة من يصل إليها لأنك أغنيتته فكفر ضحكك .

(٥) من نكرة موصوفة والجملة بعدها نعت لها ، أى زارك منى رجل اشتياقه كله
 إليك أنت — يعنى نفسه من باب التجريد — وزهده فى الناس كلهم إلا فىك وحدك
 يعنى أنه زاهد فى قصد سواه .

(٦) يخلف : أى يترك خلفه ؛ والجهد : الطاقة والوسع . يقول : إن دار المدوح

فَإِنْ نِلْتُمْ مَا أَمَلْتُمْ مِنْكُمْ فَرَبِّمَاءَ شَرِبْتُمْ بِمَاءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وَرِدُّهُ (١)
وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لِأَنَّهُ
تَنْظِيرٌ فَعَالَ الصَّادِقِ الْقَوْلِ وَعْدُهُ (٢)
فَكُنْ فِي أَصْطِنَاعِي مُحْسِنًا كَمَا جَرَّبَ
بَيْنَ لَكَ تَقْرِيْبُ الْجَوَادِ وَشَدُّهُ (٣)

هي غاية القصد ومنتهى التتبعين ، فمن لم يأتيها فقد ترك وراهه غاية لم يدركها ، فإذا
أناها علم أنه قد بلغ جهده الذي لاجهد بعده كما قال :

هي الغرض الأقصى وَرَوَيْتُكَ الْمُنَى

وعبارة المكبري : غاية كل طالب مرتبة دارك ونهاية ما ياتيه مكتسب المجد ، أن
يقصدك . فمن لم يأت دارك فقد خلف غاية إذا أناها علم أن ذلك جهده في ابتناء المجد
واكتساب المال .

(١) بماء : أي من ماء ، والورد : إتيان الماء . يقول : إن بلغت أملى فيك فلا يعجب
فكم بلغت الممتع الذي لا يدرك من الأمور ، وجعل الماء الذي لا يرد الطير مثلا للمتبع
من الأمور . قال الواحدى : وإنما ضرب هذا المثل لأمله فيه لبعده الطريق إليه . قال ابن
ابن جنى : يمكن أن يقلب هذا هجاء ، ومعناه إن أخذت منك شيئاً على بخلك وامتناعك
من العطاء ، فكم قد وصلت إلى المستعجاب واستخرجت الأشياء المتعصبة ؟ ولعل التبي
يشير بما أمله منه إلى ما كان يطلبه من تفويض ولاية إليه ، وكان كافور قد وعده بذلك حياء
منه وهو لا يريد ، وقد سئل في ذلك يوماً فقال : يا قوم إذا أعطينا من ادعى النبوة ولاية ، أفلا
ترونها يدعى الملك ؟ فقال أبو الطيب ذلك . يشير إلى بعد هذا للأموال وصعوبة نياله .

(٢) الضمير — في لأنه : ضمير الشأن . ووعده — في آخر البيت — مبتدأ
مؤخر . ونظير : خبر مقدم . والفعال — هنا — الفعل . يقول : إن وعدك بمثابة
الفعل الذي يقع دون أن يتقدمه وعد لأن من كان صادق القول لا يرجع عن وعده .
فوعده نظير فعله : أي أنه إذا وعد ، فكأنه قد فعل .

(٣) اصطنعه : اختاره موضعاً لصنيعته : أي بره ومعروفه . والتقريب والشد :
ضربان من جرى الخيل . قال ابن جنى : أي جربني ليظهر لك صغير أمرى وكبيره ؟

إِذَا كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فَأَبْلُهُ
 فَأَيُّمَا تُنْفِيهِ وَإِمَّا تُعِدُّهُ (١)
 وَمَا الصَّارِمُ الْمَهْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النَّجَادُ وَغَدَّهُ (٢)
 وَإِنَّكَ لِلشَّكُورِ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْبَشَاشَةُ رَفْدُهُ (٣)
 فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ
 فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِي نَدُهُ (٤)
 وَإِنِّي لِنِي بَحْرٍ مِنْ أَخْيَرِ أَصْلِهِ عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَهَا وَهِيَ مَدُّهُ (٥)

فإما اصطنتني وإما رفضتني ، فلا فضل بيني وبين غيري إذا لم تجربني . وقال الواحدى :
 جربني في اصطناعك إياي ليتبين لك أني موضع للصنعة ، فالتجربة يعرف الفرس
 وأنواع جريه من التقريب والشد .

(١) فابله : فاختبره . ويقال نفاه ؛ ونفاه : غففا ومشددا . وهذا مثل في معنى
 البيت السابق . يقول : إذا جربت السيف بان لك صلاحه وفساده ، فأما ألقيته لأنه
 كهام ، وإما أعددته للحرب لأنه حسام : يعنى جربني فإن وجدتنى أهلا لما شئت فاصطنعني
 وإلا فارضني .

(٢) الصارم : السيف القاطع . والنجاد : حمالة السيف . وهذا تأكيد لما ذكره
 في البيتين السابقين ، يقول : إن السيف القاطع الهندي لا يظهر فضله على غيره من
 السيوف حتى يسلب ويضرب به ، وبذلك يعرف مضاهه . وقد قلنا: إن التنبي كان يطلب
 من كافور ولاية ، فهو يقول له : جربني لتعرف ما عندي من الكفاية ، وأنى أصلح لأن
 أكون واليا ، وهذا من قول أبي تمام :

لَمَّا انْتَضَيْتُكَ لِلخَطُوبِ كَفَيْتَهَا وَالسَّيْفِ لَا يَكْفِيكَ حَتَّى يُنْتَضَى

(٣) للشكور ، اللام فيه للتوكيد ، والرغد : العطاء . والضمير فيه : يرجع إلى المشكور
 يقول : أنت مشكور من جهتي على كل حال وإن لم أتلق منك إلا بشاشة وجهك وطلاقتك
 (٤) النوال : العطاء ، والطرف : العين ، ونده : نظيره . يقول : نظرك إلى نظير
 كل عطاء منك أخذته أو سأخذه : أى أن نظرة منك لى تقوم مقام عطائك .

(٥) أصله عطايك : مبتدأ وخبر : وللد : زيادة الماء ، وهو ما قابل الجزر . يريد كثرة
 (٩ — المتنبي ٢)

وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسَجِدِ اسْتَفِيدُهُ^(١) وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرِ اسْتَجِدُهُ^(٢)
بِحُودٍ بِهِ مِنْ يَفْضَحُ الْجُودَ جُودُهُ
وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفْضَحُ الْحَمْدَ حَمْدُهُ^(٣)
فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النَّحُوسُ بِكَوْكَبٍ ، وَقَابَلْتَهُ إِلَّا وَوَجْهَكَ سَعْدُهُ^(٤)

ما يصل إليه من البر والصلوات . يقول : أنا في بحر من الخير ، وأصل هذا البحر عطايك ، وأنا أرجو زيادة عطايك ، فإنها زيادة ذلك البحر ، وهي مادته .

(١) المسجد : الذهب . يقول : لست أرغب من جهتك في ذهب ومال ، ولكن في فخر جديد — يعني الولاية — وهذا كقوله الآتي :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ
وفي هذا المعنى يقول المهلب :

يَا ذَا الْيَمِينِ لَمْ أُرْزَكَ وَلَمْ أَصْحَبْكَ مِنْ خَلَةٍ وَلَا عَدَمٍ
زَارَكَ بِي هِمَّةٌ مَنَارِعَةٌ إِلَى جَسِيمٍ مِنْ غَايَةِ الْهَمِيمِ

ومثله :

لَمْ تَزِرْنِي أَبَا عَلِيٍّ سِنُو الْجَدِّ بٍ وَعِنْدِي مِنَ الْكِفَافِ فُضُولُ
غَيْرَ أَنِي بَاغٍ جَلِيلًا مِنَ الْأَمْرِ وَعِنْدَ الْجَلِيلِ يُبْنَى الْجَلِيلُ
وقال ابن الزيات :

لَمْ أَمْتَدِحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ لَكِنْ لَتَلْبَسْتِي التَّجْمِيلَ وَالْفُرْرَا
ويقول أبو تمام
وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالِمَ فَإِنِّي لَمْ أَخْدَمْكَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
ويقول أيضا :

يا ربما رفعة قد كنت أملها لديك لافضة أبني ولا ذهبها
(٢) بجود به : أي بالفخر . يقول : تجود به أنت ، وجودك فاضح لجود غيرك
زيادته عليه ، وأحمدك عليه أنا ، وحمدي يفضح حمد غيري لأنه فوقه
(٣) يقول : إذا مرت النحوس بكوكب وقابلته بوجهك زال النحس عنه وحل محله
السعد : يعني أنك تسعد النحوس . وتطرده البوس ، وهذا كما يقول أبو تمام :

واتصل قوم من الفلمان بابن الأخشيد مولى كافور وأرادوا أن يفسدوا الأمر
لـ كافور فطالبه بتسليمهم إليه فسلمهم بعد أن امتنع من ذلك مُدْبِدَةً مما سبب
بنيها وحشة ، وبعد أن تسلمهم كافور ألقاهم في النيل ثم اصطالحا فقال :

حَسَمَ الصَّلْحُ مَا أَشْتَهَتْهُ الْأَعْدَى وَأَذَاعَتْهُ أَلْسِنُ الْحَسَادِ (١)
وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسُ حَالَ تَدْبِيرِكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُرَادِ (٢)
صَارَ مَا أَوْضَعَ الْمُخْبُونَ فِيهِ مِنْ حِتَابٍ زِيَادَةً فِي الْوِدَادِ (٣)
وَكَلَامُ الْوِشَاءِ لَيْسَ عَلَى الْأَحْبَابِ سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ (٤)
إِنَّمَا تُنْجِحُ الْمَقَالَةَ فِي الْمَرْءِ إِذَا صَادَقَتْ هَوَى فِي الْفُؤَادِ (٥)

تَلَقَى السُّعُودَ بِوَجْهِهِ وَتَجَبَّبَهُ وَعَلَيْكَ مَسْحَةٌ بِنَفْسِهِ فَتُحَبَّبُ (١)

(١) يقول : انتهى الأعداء أن يبيع بينكما شر ، وأذاع الحساد ذلك ، ولكن
الصلح حسم — أي قطع — ما اشتوه وأذاعوه .

(٢) يقول : وحسم الصلح ما أرادته أنفس حمر تدبرك بينهم وبين ما أرادوه من إثارة
الشر فإ — من قوله ما بينها — زائدة ؛ وحال : اعترض .

(٣) أوضع الراكب بعيره : إذا حثه على السير السريع . والخبون : الذين يعملون
مطيهم على الحجب ، وهو ضرب من العدو ؛ ومن عتاب : بيان لما . يقول : صار سعى
من سعى بينكما في الفساد زيادة في الوداد ، لأن الود بعد العتاب أصفى ، وهذا المعنى
قريب من قول أبي نواس :

كَأَنَّمَا أَتَمُّنُوا وَلَمْ يَمْلُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

(٤) على الأحباب : في موضع نصب خبرا ليس : واسمها : مستتر يعود على كلام .
وسلطانه على الأضداد : جملة استثنائية مبتدأ وخبر ؛ ولك أن تجعل سلطانه : اسم ليس
وعلى الأضداد : صلة سلطان ؛ وتقدير الكلام : وكلام الوشاة ليس له على الاحباب
السلطان الذي له على الأضداد . ومعنى البيت : إن كلام الوشاة لا يؤثر في الأحبة ،
إنما يؤثر في الأعداء .

(٥) يقول : إنما يبلغ القول النجاح إذا سمعه من يوافق هواه ذلك القول ، وكان
هذا تبرئة لابن مولاة من مواقة قلبه كلام الوشاة .

(١) يقول : إذا أتيت هذا المدوح تسعد برؤيته وتصير محبوبا عند الناس بإقباله
عليك وإن كنت بغيضا لديهم من قبل ؛ وفي رواية : ونجبه .

وَلَعَمْرِي لَقَدْ هُرِّزْتَ بِمَا قِيلَ فَأَلْفَيْتَ أَوْثِقَ الْأَطْوَادِ (١)
وَأَشَارْتَ بِمَا أُبَيَّتَ رَجَالٌ كُنْتَ أَهْدَى مِنْهَا إِلَى الْإِرْشَادِ (٢)
قَدْ يَصِيبُ الْفَتَى الْمَشِيرُ وَلَمْ يَجْهَدْ وَيُسْوِي الصَّوَابَ بَعْدَ اجْتِهَادِ (٣)
نَلْتَ مَا لَا يُنَالُ بِالْبَيْضِ وَالسَّمْرِ وَصُنْتَ الْأَرْوَاحَ فِي الْأَجْسَادِ (٤)
وَقَنَا الْخَطَّ فِي مَرَاكِزِهَا حَوْزٌ لَكَ وَالرَّهْفَاتُ فِي الْأَنْعَمَادِ (٥)
مَا دَرَرُوا إِذْ رَأَوْا فُؤَادَكَ فِيهِمْ سَاكِنًا أَنْ رَأَيْهُ فِي الطَّرَادِ (٦)

(١) ألفت : أى وجدت ؛ وأوثق : أقوى ؛ والأطواد : الجبال . يقول : لقد حركت إلى الشر بما نقل إليك من الوشائيات ، فكنت كأقوى الجبال : أى لم يؤثر فيك قول الوشاة الساعين بالنجيمة ، يريدون بذلك الفساد .

(٢) يقول : أشار عليك قوم بالشقاق والخلاف فأبيت ذلك ، لأنك لم تجده من الرشاد ، وإنما وجدت الرشاد فى الأناة والمسألة ، وبذلك أرشدتهم إلى ما هو خير مما أشاروا به عليك ، فكنت أعرف منهم بما هو الأصلح :

(٣) أشوى يشوى : إذ أخطأ ، ورماه فأشواه : إذا لم يصب للمقتل . قال الهدلى :

فإن من القول التى لأشوى لها إذا زل عن ظهر اللسان انفلأها (١)

يقول : قد يصيب المشير الذى لم يجتهد فى مشورته ، وقد يخطئ المجتهد فى مشورته بعد الاجتهاد ، يعنى أن الذين أعمالوا الرأى قد أخطأوا حين أشاروا عليك بإظهار الخلاف ، وأنت أصبت الرأى عفوا حين ملت إلى الصلح والمسألة ، فكان رأيك أرشد وأسد من رأيهم .

(٤) البيض : السيوف ، والسمر : الرماح . يقول : أدركت بالصلح مالا يدرك بالسيوف والرماح وحفظت الأرواح فلم ترق دما ولم تقتل نفساً وذلك أنه صالحه على أن يسلمه الساعين ففعل وقتلهم كافور .

(٥) القنا : الرماح ؛ والحظ : موضع تنسب إليه الرماح . وحوالك حال من مراكزها ، والرهفات : السيوف المهددة . يقول : وصلت إلى مرادك والرماح مركوزة لم تتحرك للطنن ، والسيوف مغمدة لم تسلم للضرب .

(٦) يقول : لم يعلم الناس حين رأوك ساكن القلب أنك تطارد برأيك وتعمل على طلب الصواب حتى أدركته .

(١) يقول : إن من القول كلمة لاتشوى ولكن تقتل .

فَقَدَىٰ رَأْيِكَ الَّذِي لَمْ تُفَدَّهُ كُلُّ رَأْيٍ مُّسَلِّمٌ مُّسْتَفَادٌ (١)
 وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِي طِبَاعٍ لَمْ يُحَلِّمْ تَقَادُّمُ الْمَيْلَادِ (٢)
 فَبِهَذَا وَمِثْلِهِ سُدَّتْ يَا كَا فُورٌ وَاقْتَدَّتْ كُلَّ صَغَبِ الْقِيَادِ (٣)
 وَأَطَاعَ الَّذِي أَطَاعَكَ وَالطَّاءَ عَةٌ لَيْسَتْ خَلَائِقَ الْأَسَادِ (٤)
 إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَا طِعُ أَحَقُّ مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ (٥)
 لَأَعَدَّ الشَّرُّ مَنْ بَنَى لَكُمْ الشَّرَّ
 وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ (٦)
 أَنْتُمْ مَا اتَّفَقْتُمْ الْجَنْمُ وَالرُّوحُ حُ فَلَا أُحْتَجَّتُمْ إِلَى الْعُودِ (٧)

(١) يقول : يفدى رأيك الذي لم تستفده بتجربة وتعليم وإعماهو نتاج أرائك ورويتك كل رأي مستفاد بالتعليم ؛ وعبرة العكبرى وسائر الشرايح : يريد أن رأيك تلاد قديم — معك لم يفدك إياه أحد . إنما هو إلهام من الله . ففداه كل رأي مستفاد معلم
 (٢) الحلم : الأناة والعقل . يقول : إذا لم يكن الحلم غريزة وجبلة طبع عليها المرء وفطر لم يفده بالسكبر وتقدم السن ، ومن ثم ليس الشيخ أولى ببجودة الرأي من الشباب قال العكبرى : وهذا من قول الحكم : بالغرزة يتعلق الأدب ، لا بتقدم السن .
 (٣) يقول : بهذا الرأي الذي رأيت في هذا الحادث — وبمثله في غيره — سدت الناس واتقاد لك ما لا يتقاد لغيرك

(٤) يقول : وبمثل هذا الرأي أطاعك الناس الذين أطاعوك مع أنهم أسود بأسا وشجاعة فلم يعرفوا الطاعة والاتقياد لأحد قبلك لأن الطاعة ليست من أخلاق الأسود :
 (٥) يقول : إنما أنت في تربيتك ابن الأخشيد وقومتك عليه كالوالد ، والوالد القاطع أبر بالولد من الولد الواصل بأبيه وأحق منه عليه . يريد : أنك ربيت ابن سيدك وأنت أشفق عليه من كل أحد .

(٦) عدا : جاوز . وبني : طلب ، وهذا دعاء . يقول : لاجاوز الشر من طلب لكما الشر ولاتمدى الفساد أهل الفساد : أى لازال في الشر من أراد أن يوقع بينكما الشر ، ولافارق الفساد من حاول فساد ذات بيتكما .

(٧) قوله ما اتفقنا : فإ : مصدرية زمانية : أى مدة اتفاقكما . يقول : مثلكما في اتفاقكما مثل الروح والجسد : إذا اتفاق صلح البدن ولم يعد به حاجة إلى الطبيب والمواد

وَلَمَّا كَانَ فِي الْأَنْبَابِ خَلْفٌ وَقَعَ الطَّيْشُ فِي صُدُورِ الصَّعَادِ (١)
 أَشَمَّتْ الخَلْفُ بِالشَّرَاةِ عِدَاهَا ، وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ مِنْ إِيَادٍ (٢)

وإذا تنافرا فسد البدن . ثم قال : فلا احتجبا إلى العواد ، أى لا وقع بينهما خلاف ، وشر ، وبسبارة أخرى : أتتا مادمتا متفقين كالجسم والروح اللذين يقوم بهما البدن ويعيش بائتلافهما . وقوله : فلا احتجبا إلى العواد ؛ لما جعلهما كالجسم والروح جعل اختلافهما بمثابة الداء الذى يختل به أمر البدن ويكون محوجا إلى عيادة الأطباء : أى فلا اختل أمركما بما يحوج إلى دخول السفراء والمشيرين .

(١) أنابيب الرمح : ما بين كل عقدتين . والخلف : الاختلاف . والبطيش - هنا - بمعنى الاضطراب ، والصعاد : جمع صعدة ، وهى قناة الرمح : أى إذا اختلفت أنابيب الرمح اضطرب صدره فلم يستقم عند الطعن . وهذا مثل : جعل الانابيب مثلا للأتباع والصدور مثلا للرؤساء . يقول : إن اختلاف الخدم يؤدى إلى النزاع بين الرؤساء ، قال ابن جنى : لو قال فى رءوس الصعاد لكان أولى ، لأن الطيش يكون فيها ، ولأنه أقرب إلى الرياسة بسبب العلو .

(٢) الشراة : الحوارج ؛ سموا أنفسهم بذلك يعنون أنهم شروا أنفسهم من الله بالقتال فى دينه . ورب : فارس كسرى . وإياد : حى من معد قال أبو دواد الأيادى :
 فِي قُتُوِّ حَسَنِ أَوْجُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مِضْرٍ (١)

يريد التنبي أن يقول : إن الشقاق بين الجماعات قديماً أدى إلى شماتة أعدائهم بهم ، إذ سبب التنازع بينهم تمكن أعدائهم منهم كما كان من الحوارج ، لم يظفر بهم المهلب بن أبى صفرة إلا بعد أن نزع الشيطان بينهم ، فقد قاتلهم المهلب نحو من ثلاثين شهراً فلم يقدر عليهم ، ثم وقع الخلف بينهم واقتلوا فوهنت شوكتهم وتمكن المهلب منهم فلم ينج إلا القليل . قال السكبرى : لما كان الحوارج مجتمعين لم يقو المهلب عليهم فاحتال على نصال كان يتخذ لهم نصالاً مسمومة ، فكتب إليه المهلب : وصل ما بعثت لنا من النصال المحترمة للأجال وحمدنا فملك وشكرنا فضلك وسرفع ذكرك ونعلى قدرك إن شاء الله . وبعث الكتاب على يد من أعتزهم عليه ، فاختلفوا فى قتله ، فصوبته طائفة وخطأته أخرى ، فاقتلوا حتى قل عددهم وأما إياد فقد كانت يداً واحدة ثم تفرقت كلتهم وتشتتوا بأرض الجزيرة فنهدهم إليهم سابور ذو الأكتاف وأبنى منهم خلقاً كثيراً وتفرقت سائرهم فى البلاد .

(١) فتو : جمع فتى والفتى : الشاب ، والسخى والسكرىم .

وَتَوَلَّى بَنِي الْيَزِيدِيَّ بِالْبَصْرَةِ حَتَّى تَمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ (١)
 وَمَلُوكًا كَأَمْسٍ فِي الْقُرْبِ مِنَّا وَكَطَنَسِمٍ وَأَخْتَهَا فِي الْبِعَادِ (٢)
 بِكَمَا بَتُّ عَائِذًا فِيكُمَا مِنْهُ وَمِنْ كَيْدِ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِ (٣)
 وَبِلَبِّي كَمَا الْأَصِيلِينَ أَنْ تَفْرُقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَيْنَ الْجِيَادِ (٤)
 أَوْ يَكُونَ الْوَلِيُّ أَشَقِيَّ عَدُوًّا بِالَّذِي تَدْخُرَانِي مِنْ عِتَادِ (٥)

(١) وتولى بني اليزيدي : أى تولاهم الخلف : أى اختلفوا ؛ فضمير تولى ؟ للخلف وبنو اليزيدى : كتاب وثبوا بالبصرة واستولوا عليها فى خلافة النصور وأخرجوا ابن رائق ، فعظم شأنهم وكانوا إخوة ثلاثة — أبو عبد الله وأبو يوسف وأبو الحسين — ثم اختلفوا فقتل أكبرهم أوسطهم ، فاكان إلا أن خوى نجمهم ، وذهب ملكهم ، وهلكوا جميعاً .

(٢) وملوكا : عطف على بنى اليزيدى . وأخت طسم : جديس ، وهما قبيلتان قديمتان بادتا محروب كانت بينهما . يقول : وتولى الخلف ملوكا قرب عهدهم منا كأمس وآخرين بعد عهدهم منا كطسم وجديس ، فأهلكهم هذا الخلف .
 (٣) بكما : قال الواحدى : أى لأجلكما : وقال العكبرى : متعلق بمحذوف تقديره بت عائذاً بالله أن يقع بكما . . . وفيكما : أى بينكما ؛ ومنه : أى من الخلف . والعاذى الظالم ، يقال : عدا عليه : فهو عاد عدوآ وعداء ، ومنه قوله تعالى « فيسبوا الله عدوآ بغير علم » وأصله تجاوز الحد بالظلم . يقول : أعوذ بكما من وقوع الخلف بينكما ومن كيد أهل البنى والعدوان الذين يريدون بكما السوء .

(٤) اللب العقل . والاصيلين : الراسخين أو الجيدين ؛ وصم الرماح : صلابها . والجياد : الخيل . يقول : وأعوذ بما لكما من اللب الأصيل أن تختلفا فتصيرا طائفتين تقتلان ، فتحول الرماح بين خيلكما التى هى جماعة واحدة فتصير جماعتين .

(٥) يقول : وأعوذ بكما أن يقتل بعضكم بعضاً بما تدخرانه من السلاح ، فيصير الصديق الذى يشقى به عدوآ ؛ لأن السلاح إنما يعد للأعداء لالأصدقاء ، فإذا قتل به بعضكم بعضاً فقد صرتم أعداء . فالولى : الصديق ، والعتاد : العدة : أى الشيء الذى تعده لأمر ما وتبيته له ، يقال أخذ للأمر عدته وعتاده : أى أهنته وآلته . قال الجرهري وربما سموا القدح الضخم عتادا ؛ وأنشد أبو عمرو :

فَكَلَّ هَنِيئًا ثُمَّ لَا تَزُمَّلِ وَأَدْعُ هُدَيْتَ بَعْتَادَ جُنَيْلِ

هَلْ يَسْرُنَّ بَاقِيًا بِنَدَ مَاضٍ

مَا تَقُولُ الْعِدَاةُ فِي كُلِّ نَادٍ (١)

مَنْعَ الْوُدِّ وَالرَّعَايَةِ وَالشُّوْءِ دُدُّ أَنْ تَبْلُغَا إِلَى الْأَحْقَادِ (٢)

وَحُقُوقُ تَرْقُقُ الْقَلْبَ لِلْقَلْبِ وَلَوْ ضُمَّنَتْ قُلُوبَ الْجُمَادِ (٣)

فَعَدَا الْمَلِكُ بَاهِرًا مَنْ رَأَاهُ شَاكِرًا مَا أُتَيْتُمَا مِنْ سَدَادِ (٤)

(الجنبل : قدح غليظ من خشب) .

(١) يقول : إذا اقتتلنا وأفنى أحدهما الآخر فهل يسر الذي يبق منكأن يتحدث الأعداء في المحافل بغدره وتركه حرمة صاحبه ؟ وهذا استفهام إنكاري ، أى لا يسر الباقى منكأ ذلك . هذا : والعداء جمع عدو ، وكذلك العدى ، قال ابن السكيت : لم يأت فعل في النعوت إلا حرف واحد ، يقال هؤلاء قوم عدى ؛ وأنشد لسعد بن عمرو بن حسان :

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدِّي لَسْتَ مِنْهُمْ

فَكُلُّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَيْثٍ وَطَيْبٍ

(٢) الرعاية : حفظ العهود ؛ والسؤدد : السيادة ؛ والحقد : الضغن . يقول : إن ما بينكما من الود ورعاية الحقوق وما فيكما من النبل والسؤدد — كل أولئك يمنعكم من أن يحقد أحدهما على صاحبه ويصر على عدائه إياه .

(٣) وحقوق . عطف على الود . يقول : ويمنع أن يحقد أحدهما على صاحبه تلك الحقوق — حقوق الترية وقيام كافور بأمر ابن الأخشيد — وهو طفل — تلك الحقوق التي لو كانت في قلب الجماد لرق بعضه لبعض .

(٤) يقول : باتفاقكما وتصافيكما آب إلى الملك بهاؤه ورونقه ، ومن ثم شكر لكأحسن صنعكما وما كان منكأ من صواب . « هذا » : ويقال بهره بهره بهرا : أى قهره وعلاه وغلبه ، وبهرت فلانة النساء غلبتهن حسنا ؛ وبهر القمر النجوم : غمرها بضوئه . قال ذو الرمة يمدح عمر بن هيرة :

مَارَلَتْ فِي دَرَجَاتِ الْأَمْرِ مُرْتَقِيًا تَنْمِي وَتَسْمُو بِكَ الْفُرْعَانُ مِنْ مُضْرَا

فِيهِ أَيْدِيكُمْ عَلَى الظَّفَرِ الحُلْوِ وَأَيْدِي قَوْمٍ عَلَى الأَكْبَادِ (١)
هَذِهِ دَوْلَةُ المَكَارِمِ والرَّأْفَةِ والمَجْدِ والنَّدَى والأَيَادِي (٢)

حَتَّى بَهَرْتَ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمَةٍ لَا يَعْرِفُ القَمْرَ (١)
والسداد - بفتح السين - الصواب ؛ يقال : إنه لدوسداد في منطقته وتديره : أى
إصابة ؛ وكذلك في الرمي ، يقال : سد السهم يسد إذا استقام ، واستد الشيء : أى استقام قال :
أَعْلَهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي (٢)
أما السداد - بكسر السين - فهو كل شيء سدت به خلا ، ولهذا سمي سداد
القارورة - بالكسر - وهو صمامها لأنه يسد رأسها ؛ وسداد الثغر - بالكسر - إذا
سد بالحيل والرجال . قال العرجي :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تُفَرِّقُ
قال الجوهري : وأما قولهم : فيه سداد من حرز وأصبت به سدادا من عيش : أى
ماتسد به الحلة : فيكسر ويفتح ، والكسر أفصح :

(١) فيه : أى في هذا الصلح ، أو تقول : أى فيما أتيتما من سداد ، وعلى الظفر
وعلى الأكباد : متعلقان بمحذوف ، والتقدير ثابتة . يقول : في هذا الصلح أو في هذا السداد
الذي أتيتما وضعتما أيديكما على الظفر الحلو ، ووضع الحاسدون أيديهم على أكبادهم تألما
بما فعلتما وحسرة على إخفاق مسعاهم ، وجعل هذا الظفر حلواً إذ لم ترق فيه الدماء .
(٢) الندى : الجود ؛ والأيدى : النعم . يقول : إن دولتكم دولة الأشياء التي
ذكرت فلا تعرضاها للخلاف .

(١) حتى بهرت : أى علوت كل من يفاخرك فظهرت عليه ؛ وقد أورده
الجوهري : وقد بهرت ، قال ابن بري : وصوابه حتى بهرت ، قال : وقوله على أحد :
أحد : ههنا بمعنى واحد ، لأن أحداً المستعمل بعد النفي - في قولك ما أحد في الدار -
لا يصح استعماله في الواجب « المثبت » .
(٢) قال ابن بري : رأيت هذا البيت في شعر عقيل بن علفة يقوله في ابنه عميس
حين رماه بسهم ، وبعده :

فَلَا ظَفَرْتَ يَمِينِكَ حِينَ تَرْمِي وَشَلْتَ مِنْكَ حَامِلَةَ البَنَانِ
قال الأصمعي : اشتد - بالشين المعجمة - ليس بشيء .

كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْسِفُ الشَّمْسُ

سُ ، وَعَادَتْ وَنُورُهَا فِي أَزْدِيَادٍ^(١)
يَزْحَمُ الدَّهْرَ رُكْنَهَا عَنْ أَذَاهَا بَفَتَى مَارِدٍ عَلَى الْمُرَادِ^(٢)
مُتْلِفٍ مُخْلِفٍ وَفِي أَبِي عَالِمٍ حَازِمٍ شُجَاعٍ جَوَادِ^(٣)
أَجْفَلَ النَّاسَ عَنْ طَرِيقِ أَبِي الْمَسْكِ وَذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْعِبَادِ^(٤)

(١) كسفت الشمس وكسفها الله : يتعدى ولا يتعدى ، قال جرير :

فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ
يعني جرير : أنها طالعة تبكي عليك ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر لأنها في
طلوعها خاشعة باكية لا نور فيها . وروى الليث هذا البيت :

الشَّمْسُ كَاسِفَةٌ لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ
وقال : أراد ما طلع نجم وما طلع قمر ، وهذا كما تقول : لا آتيك مطر السماء : أي
ما مطرت السماء ، وطلوع الشمس : أي ما طلعت الشمس . وفي هذا سمع بعضهم ابن
الأعرابي يقول : تبكي عليك نجوم الليل والقمر : أي ما دامت النجوم والقمر . والمراد
بكسوف الدولة ما كان بينهما من الوحشة . يقول : كان ذلك مدة قصيرة كما تكسف
الشمس مدبدة ، ثم انجلي فمادت الدولة بعودة صفاتها وهي آتق وأجل كالشمس إذا
ذهب كسوفها عادت أجهى وأنور .

(٢) يعني بـ « ركنها » : قوتها وسعادتها . يقول : إن ركن هذه الدولة يدفع الدهر عن
أذاها بفتى مارد طي المراد — يعني كافوراً — أي أنه لا ينقصد لمن تمرد
عليه وطني ، وإنما يعصف به عصفا « هذا » والمراد من الرجال : العاقب الشديد ؛
وقد مرد يرمد مزودا ومرادة : فهو مارد ومريد ؛ والمريد : الشديد المرادة ، مثل السكير
وأصله من مرده الجن والشاطين . أو تقول : المراد الحبيث . قال تعالى : « من كل
شيطان مارد » والمراد : جمع مريد .

(٣) أي متلف للأموال بالعطاء ، ومعوضها بسيفه . وأبي ؛ أي أنوف عزيز النفس
يأبى الذل . وعالم : أي بتدبير الرعية وبال حرب . والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ
فيه بالثقة . والجواد : السخي . يقول : يدفع الدهر عن أذاها بفتى هذه صفاته .

(٤) أجفل الناس : أسرعوا في الهرب . يقول : أسرع الناس ذاهبين عن طريقه

كَيْفَ لَا يُتْرَكُ الطَّرِيقُ لِسَيْلٍ
ضَئِيقٍ عَنِ أَتِيهِ كُلِّ وَادٍ^(١)
وقال يهجو في يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد سنة
خمين وثلاثمائة^(*) :
عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرٍ فَيْكَ تَجَدِيدُ^(٢)

فتركوه له ولم يعارضوه لقصورهم عنه ، وذلت له رقاب الناس فملكهم . قال ابن جنى :
ولو انقلب لكان هجوا .

(١) الأتى : السيل ، يأتي من موضع بعيد إلى آخر . يقول : كيف لا يترك الطريق
لسيل يضيق عن مائه الوادى . ومتى كان الماء غالبا وضاق عنه بطن الوادى فكل موضع
أتى عليه صار طريقاً له . وهذا مثل . يقول : إن كافورا ينضب غلبة السيل الأتى والسيل ،
لا يرد عن وجهه ، كذلك هو لا يعارضه أحد ، قال العكبرى : من روى ضيق - بالخفض -
جعله نعتا لسيل ، وهذا كقولك : مررت برجل حسن وجهه ، وهذه صفة سيية ؛ ومن
روى ضيق - بالرفع - فهي جملة ابتداء ، وخبر ، وهي في موضع جر صفة لسيل ؛ وعن
أبيه : يتعلق بضيق .

أقام للتنبي بمصر - بعد أن قال قصيدته البائية - عاما لا يأتي كافورا ولكن يسير
معه في الموكب لثلا يوحشه وتذهب ظنون كافور مذاهبا ، وفي الوقت نفسه يعمل في
خفية على الرحيل عنه ؛ فأعد الإبل وخفف الرحل وقال هذه القصيدة في يوم عرفة قبل
رحيله بيوم واحد .

(٢) عيد : خبر مبتدأ محذوف : أى هذا عيد : وقوله : بما مضى ، أى أبما مضى ؟
يقول : هذا اليوم الذى أنا فيه عيد ، ثم أقبل يخاطب العيد فقال : يا عيد بأية حال
عدت ؟ أى مع أية حال عدت على ؟ أو أية حال أعدتها على أبا الحال التى عهدتها من قبل ،
أم أحدثت فيك أمر جديد؟ . وقال العكبرى : الباء في قوله : بأية ، يجوز أن تكون للتعدية
فيكون المعنى : أية حال : « هذا » والعيد : واحد الأعياد . قال الجوهري : وإنما
جمع بالياء - وأصله الواو - للزوم الياء في الواحد ، ويقال للفرق بينه وبين أعواد
الحشب ، وهو من عاد يعود . قال ابن الأعرابى : سمى العيد عيدا لأنه يعود كل سنة
بفرح مجدد ، وأصل العيد : ما اعتادك من هم وشوق ونحوهما ؛ قال الشاعر :

أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَأَلْبَيْدَاهُ دُونَهُمْ
فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدًا دُونَهَا بَيْدًا^(١)
لَوْلَا الْعُلَى لَمْ تَجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا
وَجَنَاهُ حَرْفٌ وَلَا جَرْدَاهُ قَيْدُودُ^(٢)
وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْنِي مُضَاجَعَةً أَشْبَاهُ رَوْقَةِ الْغَيْدِ الْأَمَالِيدُ^(٣)

* والقلبُ يمتادهُ من حُبِّها عيد *
* * *

وقال يزيد بن الحكم التقي يمدح سليمان بن عبد الملك :
أَمْسَى بِأَسْمَاءِ هَذَا الْقَلْبِ مَعْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحَا يَمْتَادُهُ عَيْدَا
كَأَنْتَى يَوْمَ أَمْسَى مَا تَكَلَّمْنِي ذُو بُعْيَةٍ يَبْتَنِي مَا لَيْسَ مَوْجُودَا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِرْلَانِ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لِنَاسِنَةِ الْعَيْنِينَ وَالْجَيْدَا
والشاهد : في قوله : يمتاده عيداً ؛ ونصبه لأنه في موضع الحال ، تقديره : يمتاده السكر
عائداً ؛ وقد أسلفنا القول على ذلك :

(١) البيداء : الفلاة ، جمع ما يبد . سميت بذلك لأنها تبيد سالكها . بتأسف على بعد أحبته عنه
يقول : أما الأحبة فبعيدون عني ، فليتك أيها العيد كنت بعيدا عني وكان ما بيني وبينك
من البعد ضعف ما بيني وبين الأجرة ؛ يعني أنه لا يسر بعود العيد مع بعد الأجرة كما قال الآخر :
مَنْ سَرَّهُ الْعَيْدُ الْجَدِيدُ فَمَا لَقِيتُ بِهِ الشَّرُورَا

كَانَ الشَّرُورُ يَتِمُّ لِي لَوْ كَانَ أَحِبَابِي حُضُورَا
(٢) جاب المكان مجوبه : قطعه ؛ ووجناء : فاعل تجب ؛ والوجناء : الناقة الصلبة
الشديدة ، مشتقة من الوجين . التي هي الأرض الصلبة أو الحجارة . وقيل : هي العظيمة
الوجتتين . والضمير في بها : للوجناء ؛ والحرف : الضامرة . والبرداء : الفرس
القصير الشعر ؛ والقيدود : الطويلة ؛ وما - من قوله ما أجوب بها - اسم موصول في
موضع نصب : أي الفلاة التي أجوب . يقول : لولا طلب الملالم لأفارق أحتي ، ولم
تقطع بي ناقة ولا فرس ما أحشمها قطعه من الفلوات . وقال الواحدى : ما أجوب بها :
يعني الفلاة ، كناية عن المراحل .

(٣) العيد : جمع غيداء ، وهي الثنية لنا ، والأماليد : الناعمات المستويات القامات :

لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَيْدِي
 شَيْئًا تَنْبِيهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدٌ^(١)
 يَا سَاقِيَّ أَحْمَرٌ فِي كَثُوبِكَمَا أُمٌّ فِي كَثُوبِكَمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدٌ^(٢)
 أَصْحَرَةٌ أَنَا؟ مَالِي لَا تَحْرُكُنِي هَذِي الْمُدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ^(٣)
 إِذَا أَرَدْتُ كَمَيْتِ اللَّوْنِ صَاقِيَةً وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودٌ^(٤)

غلام أملود وجارية أملودة : والأملود — في الأصل — العنق الناعم: يقول: ولولا طلب العلى لما اخترت مضاجعة السيف وعدلت عن النساء الحسان اللواتي يشبهن رونق السيف في بياض بشرتهن وتقائها. وقوله مضاجعة: روى معاينة، وهو تمييز. (١) تيمه الحب: عبده وذلة؛ والجيد: العنق. يقول: إن الدهر بأحداثه ونوائبه جرد قلبه من هوى العيون والأعناق فلا ينزع إليها لأنه ترك اللهب والغزل وتجرد الجعد والإشاحة والتشمير.

(٢) يقول — لساقيه —: أحرر ماتسقانيه أم هم وسهاد؟ يعني ما شربه لا يزيدني إلا ها وسهرا، لأن قلبي مغمم بالهموم فليس فيه موضع للطرب والرح. وذلك لأن أحبته بعيدون عنه؛ أو لأنه وافر اللب لا يؤثر فيه الشراب

(٣) اللدام: الحجر؛ والأغاريد: الأغاني. وقوله: لا تحركني، حال من الياء في مالى. يتعجب من حاله وأن الحجر والغناء لا يطرباه ولا يؤثران فيه حتى لكانه صخرة صماء لا يؤثر فيها الشراب والغناء «هذا» وأصل الغرد التطريب في الصوت والغناء. وغرد الإنسان: رفع صوته وطرب، وكذلك الحمامة والمكاء والدينك والذباب، والتغريد والتغريد أيضا صوت معه بمح، وقد جمعها امرؤ القيس في قوله يصف حمرا:

يُفَرِّدُ بِالْأَسْحَارِ فِي كُلِّ سُدُقَةٍ تَفَرَّدَ مَرِيحِ النَّدَامَى الْمُطْرَبِ

وقال الأصمى: التغريد الصوت:

(٤) الكميت: الأحمر فيه سواد؛ يوصف به الذكر والؤنث، ويريد حمرا كميت اللون. وفي رواية: كميت الحجر. يقول: إذا طلبت الحجر وجدتها، وإذا طلبت الحبيب لم أجده: يتشوق إلى أحبته يقول: إن الحجر لا تطيب إلا مع الحبيب. وحبيبي بعيد عنى فلا معنى إذن للشراب. وقال ابن جنى: حبيب القلب عنده المجد، وإذا تشاغل بشرب الحجر فقد المالى. ويجوز أن يكون عنى بحبيب النفس: أهله. لبعده عنهم والمناسبة الكميت قال سيويه: سألت الخليل عن الكميت فقال: هو بمنزلة جميل — يعني الهدي

مَآذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهُ أَنِّي بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مُحْسَدٌ ^(١)
أُنْسَيْتُ أَرْوْحَ مَثْرَ خَازِنَا وَيَدَا أَنَا الْغَنِيُّ وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ ^(٢)
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ صَنَّفُهُمْ عَنِ الْقِرْمَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مُحَمَّدٌ ^(٣)

هو البلبل — وقال: إنما هي حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وإنما حقرها — صفروها — لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما، فيقال له: أسود أو أحمر، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب، وإنما هذا كقولك: هو دوين ذلك.

(١) أعجبه: مبتدأ، خبره ما بعده وزواية الواحدى: وأعجبها: كأن الضمير للدنيا والتذكير أوجه. يشكو ما لقيه من تضاريف الدهر ونوازل الدنيا وأحوالها، ثم يقول: وأعجب ما لقيته منها أنى محسود بما أشكوه وما أنا بك منه — يعنى انتجاعه كافوراً وأتقطعاه إليه — يريد أن الشعراء يحسدونه عليه وهو علة شكاته وبكائه. قال المكبرى: وهذا من قول الحكيم: استبصار العقلاء ضد لثمي الجهلاء فالجاهل يحسد العاقل على ما يبيكه. فالحال التي يبكي العاقل منها يحسده الجاهل عليها. ولقد نظمه أبو الطيب فأحسن، ومنه: رب مغبوط بدواء هو داؤه.

(٢) أروح: من الراحة. وخازنا ويدا: منصوبان على التمييز. والثرى: الغنى. والثراء: المال. يقول: إننى من الأغنياء ذوى الثراء، ولكن خازنى ويدي فى راحة من تعب حفظ المال، لأن أموالى إنما هى مواعيد كافور، وهى أموال لا تحتاج لحفظها إلى يدى وخازنى. قال المكبرى: وهذا من قول الحكيم: لاغنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأمانى،

(٣) يقول: إنهم كذابون: فلام يقرونه، ولاهم يتركونه يرحد عنهم. هذا؛ والقرى: قرى الضيف. تقول: قرى الضيف قرى، مثال قليته قلى وقراء: أحسنت إليه: إذا كسرت القاف قصرت، وإذا فتحت مددت: ومحدود: أى ممنوع. تقول: حددت فلانا عن الشر: أى منعته؛ ومنه قول النابغة:

إلا سليمان إذ قالَ الإلهُ لهُ قُم فى البريةِ فأحددها عن الفئدةِ

والحداد: البواب والسجان لأنهما يمنعان من فيه أن يخرج. قال الشاعر:

يقول لى الحداد وهو يقودنى إلى السجن لا تفرع فما بك من باس
وهذا أمر حدد: أى منيع — لا يحل ارتكابه. ومن ذلك الحدود، لأنها تمنع

الحدود عن المعاصى،

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِي وَجُودُهُمْ
 مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ^(١)
 مَا يَقْبِضُ المَوْتُ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ
 إِلَّا وَفَى يَدِهِ مِنْ تَنْتَهَا عُودِ^(٢)
 مِنْ كُلِّ رِخْوٍ وَكَاءِ البَطْنِ مُنْفَتِحِي لِأَنَّ الرِّجَالَ وَلَا النِّسْوَانَ مَعْدُودِ^(٣)
 أَكْلًا أُغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدُهُ
 أَوْ خَانَهُ فَهَلْ فِي مِضْرَ تَمَهِيدِ^(٤)

(١) يقول : إن هؤلاء الكذابين إنما يجودون بالمواعيد ولا يجودون بالمال على خلاف لليهود ، فإن الأجواد إنما جودهم بالمعطاء ، ثم دعا عليهم فقال : لا كانوا ولا كان جودهم ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

وأقل الأشياء محصولَ نَفْعٍ - صَحَّةُ القَوْلِ والفعالُ مَرِيضُ
 الضمير في جودهم ؛ للكذابين . وقوله : ولا الجود ، عطفه على الضمير للتصل
 للفصل بلا ، كما في قوله تعالى « ما أشركنا ولا آباؤنا » .

(٢) هذا مثل ، يقول : إن أرواحهم من النتن والقذارة خسة ولؤما بحيث إذا
 أراد اللوت قبضها لم يباشرها بيده ، وإنما يتناولها بعود كما يفعل بالجيفة .

(٣) يريد أنه - أي كافورا - خصي هو والحصيان الذين كانوا معه . والوكاء :
 ما تشد به القرية ، ومعنى رخو وكاء البطن : أنه ضراط فساء لا يوكى على مافي بطنه من
 الريح . والمنفتق : الواسع الجله لسكرة لحمه ، كأنه امتشق وانشق . وقوله : لا في الرجال
 أئح : أي لا هو معدود في الرجال ، إذ لا ذكر له ولا لحية ، ولا في النساء : إذ
 لا فرج له .

(٤) اغتاله ، قتله غيلة ، وأخذته على غفلة . يشير إلى ما فعله كافور بالأخشيذ وقله
 إياه واستقلاله بملك مصر بعد ، يقول : أكل أهلك عبد سوء سيده مهد أمره في مصر
 وملكه أهلها عليهم واتخذوا له وأطاعوه . وهذا استفهام إنكار : أي لا ينبغي أن
 يكون الأمر هكذا .

صَارَ الْخَلِصِيُّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبِدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودٌ^(١)
 نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَمَالِهَا فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفَنَّى الْعَنَاقِيدُ^(٢)
 الْعَبْدُ لَيْسَ حُرًّا صَالِحًا بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودٌ^(٣)
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ
 إِنَّ التَّيْبِدَ لِأَنْجَاسٍ مَنَاصِدٍ^(٤)

(١) الآبق : الهارب من سيده . ومستعبد : مذل . ومعبود : مطاع يقول : إن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافور عنده وأحسن إليه لأنه مثله في الحياة والتمرد على سيده ، فهو إمام الآبقين .

(٢) النواطير : جمع ناطور ، وهو في الأصل حافظ الزرع والتمر والكرم ، قيل إنها عربية ، وقيل من كلام أهل السواد . قال ابن جنى : أقره المتنبي بالمهمل ، والمزوف بالمجمة لأنه من نظرت ، وقيل ، هو بالعربية بالمعجمة - نواطير - وبالنبطية - بالمهمل - والمراد هنا بنواطير مصر : ساداتها وأشرفها ، والمراد بجمالها : عبيدها وأراملها ، وبالعناقيد : الأموال . وبشم فلان : أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل . يقول : لقد غفلت سادات مصر عن أراملها حتى عاثوا في أموال الناس وأكلوا فوق الشبع . ثم قال وما تفنى العناقيد .. يريد كثرة ما بين أيديهم من الأموال ، وأنهم كلما نهبوا شيئاً جد لهم غيره ، فلا ينفكون يطلبون المزيد .

(٣) يقول : إن العبد لا يؤاخي الحر ، لما بينهما من التباين في الأخلاق ، ولو ولد العبد في ملك الحر ، وهذا إغراء لابن سيده . يريد أن كافوراً وإن أظهر له الود فليس له مصاف مخلص . فقوله : لو أنه . يريد : ولو أنه ، لحذف ، والجملة في موضع الحال وقوله في ثياب الحر : قال الواحدى : أى وإن ولد العبد في ملك الحر ؛ وعلى هذا فآل في الحر : للعهد ؟

(٤) المناكيد : جمع منكود ، وهو القليل الخير . يريد سوء أخلاق العبد وأنه لا يصلح إلا على الضرب والهوان . قال بشار :

* الْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ *

وقال الحكم بن عبدل الأسدى :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مُحَمَّدٌ^(١)
 وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَقِدُوا
 وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودٌ^(٢)
 وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدَ الْمُثْقَبَ مِشْفَرُهُ
 تُطِيعُهُ ذِي الْمَضَارِيطِ الرَّعَادِيدِ^(٣)
 جَوْعَانُ يَا كُلُّ مَنْ زَادِي وَيُنْسِكُنِي
 لَكِنِّي يُقَالُ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودٌ^(٤)

والعبدُ لا يطلبُ الغلاءَ ولا يُرضيكَ شيئاً إلا إذا رهباً
 مِثْلُ الْحِمَارِ الْمَوْجِعِ الظَّهْرَ لا يُحْسِنُ الْمَشْيَ إلا إذا ضُرِبَ^(١)
 (١) أحسبني : أى أحسب نفسي ، ويقال أساء به وأسأء إليه ، قال كثير عزة :
 * أسيئى بنا أو أحسبني لا ملومة *

ويجوز أن يكون يسئ بي على معنى يهزأ بي ويسخر مني ، فعدها بالباء على اللفظ ،
 لا على اللفظ ، يقول : ما كنت أظن أجلي يمتد بي إلى زمن يسئ إلى فيه شر الخليفة ،
 وأراني مع ذلك مضطراً إلى مدحه وحمده ، ولا أستطيع أن أظهر الشكوى .
 (٢) كناه بأبي البيضاء سخرية منه . يقول : ولم أتوهم أن الكرام فقدوا حتى خلت
 البلاد لمن شاءها ، ولا أن مثل هذا موجود حتى رأيت على عرش مصر .
 (٣) المضاريط : جمع عضروط ، وهو الذي يخدم الناس بطعام بطنه ؛ والرعايد :
 الجبان ، وجعله مثقوب المشفر تشبيهاً له في عظم مشافره بالبعير الذي يثقب مشفروه للزمام ؛
 والمشفر - في الأصل - شفة البعير . يقول : ولا توهمت أن الأسود العظيم المشافر
 يستغوى هؤلاء اللئام الأذال الذين حولته يطيعونه ويصدرون عن رأيه . يريد بوصفهم
 بالمضاريط الرعايد تقيهم على طاعتهم إياه ، وأنهم قد صاروا بهذه الطاعة كذلك .
 (٤) وصفه بالجوع على معنى أنه للؤمه وشحه لا تسخو نفسه بشيء ولا يفيض حجره .
 وقوله : يا كل من زادى ، قال الواحدى : لهذا وجهان : أحدهما أن التني أتاه بهدايا
 والظاف ولم يكافئه عنها ، والآخر : أن التني كان يأكل من خاص ماله عنده وينفق

(١) الموقع الظهر : الذى به آثار الدبر ، والدبر : الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة .

على نفسه مما حمله وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه من الطلب ، وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئا من غلمانة وخدمه ثم أخذه ولم يعطه شيئا . يقول : هو يمسكنى عنده كي يتجمل بقصدي إياه فيقول الناس إنه عظيم القدر يقصده النبي مادحا « هذا » وقوله جوعان . يقال جائع وجوعان ، وجمع جوعان جوعى ، وجياع ؛ وجمع جائع : جوع . وقوله عظيم القدر : خبر عن محذوف : أى هو عظيم القدر . وقوله لسكى يقال : قال المكبرى الكوفى : كى حرف ناصب ، وذهب البصريون إلى أنها يجوز أن تكون حرفا خافضا ؛ وحجتنا أنها من عوامل الأفعال ، وما كان من عوامل الأفعال لا يجوز أن يكون حرف جر لأنه من عوامل الأسماء ؛ وعوامل الأسماء لا تكون من عوامل الأفعال . والدليل على أنها ليست حرف جر : دخول اللام عليها ؛ كقولك أنتيك لسكى تكرمنى ، وهذه اللام عندهم حرف جر ، وحرف الجر لا يدخل على حرف الجر ؛ وأما قول القائل :

فلا والله لا يُلَنِّي لما بى ولا للمأ بهم أبدا دوا (١)

فمن الشاذ المصنوع الذى لا يرجع عليه ؛ وإذا قيل إنها تدخل على ما الاستفهامية كما يدخل عليها حرف الجر فى قوله : كيمه ، كما تقول : له - قلنا : مه من « كيمه » ليس لسكى فيه عمل ، وليس هو فى موضع خفض ، وإنما هو فى موضع نصب لأنها تقال عند ذكر كلام لا يفهم . كقولك : أقوم كى تقوم ، فيسمعه المخاطب ، ولم يفهم تقوم فيقول : كيمه ؟ أى كيا . والتقدير كى تفعل ماذا ، تحذف تفعل ، فه فى موضع نصب على مذهب المصدر والتشبيه به ، وليس لسكى فيه عمل . وحجة البصريين دخولها على ما الاستفهامية لدخول اللام عليها فيقولون كيمه : كما يقولون له ، وهى فى موضع جر ، لأن ألف ما الاستفهامية لا تحذف إلا إذا كانت فى موضع جر واتصل بها الحرف الجار : كقولهم : لم وبم وفيم ، وإذا وقعت فى صدر الكلام لا تحذف كقولك : ما تريد وما تصنع ؟ وذهب أصحابنا إلى أن لام كى هى الناصبة للفعل من غير تقدير أن ، نحو قولك جئتك لتكرمنى ؛ وذهب البصريون إلى أن الناصب للفعل أن مقدرة بعدها . وحجتنا أنها قامت مقامها . ولهذا تشتمل على معنى كى ، فكما تنصب كى الفعل فكذلك اللام . وحجة البصريين أن اللام

(١) من قصيدة لسلم بن معبد الوالى شاعر من شعراء الدولة الأموية .

يقول ، لا يوجد شفاء لما بى من الكدر ولا لما بهم من داء الحسد
« أنظر القصيدة فى خزنة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٢٧٠ سلفية »

إِنَّ أُمَّرَأَ أُمَّةٍ حُبَلَى تَدْبِرُهُ لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ الْعَيْنِ مَقْتُودٌ^(١)
 وَيُلْبِهَا خُطَّةٌ وَيَلْمُ قَابِلِيهَا لِمِثْلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ^(٢)
 وَعِنْدَهَا لَذَّةٌ طَعَمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذَّلِّ قِنْدِيدٌ^(٣)
 مَنَ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرَمَةً
 أَقْوَمُهُ الْبَيْضُ أُمَّ أَبَاوَهُ الصَّيْدُ^(٤)

من عوامل الأسماء ولا يجوز أن تكون من عوامل الأفعال ، فوجب أن يكون الفعل منصوباً بأن مقدرة لأنها تكون مع الفعل بمنزلة المصدر الذي يحسن أن يدخل عليه حرف الجر . هذه حجة حسنة لهم .

(١) المستضام : الذي أدركه الضم ، وهو الظلم . ورجل مقتود : جبان ضعيف الفؤاد ، مثل النخوب . والمقتود أيضاً : الذي لا نؤاد له ولا فعل ، والمقتود : الذي أصيب فؤاده بوجع . وسخين العين : محزون . جعل الأسود أمة لفقدانه آلة الرجال لأنه خصي ، وجعله حبلى لعظم بطنه . وهذا تعريض بابن سيده . يقول : إن الذي آل تديره إلى من هذه صفته لمظلوم مقتود سخين العين يرثي لحاله .

(٢) ويلبها : كالمه تقال عند التعجب وأصلها : وى لأمها ، ثم حذفت الهمزة ، واللام تكسر على الأصل وتضم على حذف حركتها ، وإلقاء حركة الهمزة عليها وفي الحديث في قوله لأبي بصير . « ويله مسعر حرب » . . تعجباً من شجاعته وجراته وإقدامه . ومنه حديث طي : ويله كيلا بغير ثمن لو أن له وعاء . أي يكيل العلوم الجملة بلا عوض إلا أنه لا يصادف واعياً . وهي - كما قلنا - كلمة تعجب . وينصب ما بعدها على التمييز . والخطبة : الأمر والشأن . والمهريّة : المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، بطن من قضاعة تنسب إليه الإبل . والقود : الطوال الظهور والأعناق . يقول : ما أعجب هذه الحال وما أعجب من يقبلها ، وإنما خلقت الإبل للفرار من مثلها .

(٣) القنديد : عصارة قصب السكر إذا جمد ، والحجر ، وقيل : القنديد ، عصير عنب يطبخ ويجعل فيه أفواه من الطيب . يقول : عند هذه الحال - طاعة الأسود والاستخذاء له والنزول على حكمه - يستلذ طعم الموت ، لأن الموت أيسر من ذلك الذل . ولذ الشيء : وجده لذيقاً .

(٤) البيض هنا : الكرام : أي يفض الأعراض . والصيد الملوكة . يقول : إن هذا الأسود لا يعرف المكرمة ما هي ، لأنه عبد أسود لم يرث آباءه مجدداً ولا مكرمة .

أَمْ أذُنُهُ فِي يَدِي النَّخَاسِ دَامِيَّةٌ أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفَلَسِيِّنِ مَرْدُودٌ^(١)
أَوْلى اللثامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْدِرَةٍ فِي كُلِّ لَوْمٍ وَبَعْضُ الْمَذْرِ تَفْنِيدٌ^(٢)
وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةً
عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةِ السُّودُ^(٣)

* *

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، ويهينه بعيد النيروز ،
ويصف سيفاً قلده إياه ، وفرساً حمله عليه ، وجائزة وصله بها ، وكان قد عاب قصيدته
الرأئية الآتية:

جاءَ نَيْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ ، وَوَرَّتْ بِاللَّيِّ أَرَادَ زِنَادُهُ^(٤)

(١) النخاس . بياع الرقيق . والفلس : قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها ،
ودامية : حال . وبالفلسين : متعلق بمردود . وأذنه - بسكون الذال ، وضمها - لفتان .
يقول : إنه مملوك اشترى بثمان ، إن زيد عليه قدر فلسين لم يشتر لحسته . وهذا غاية
في التحقير لشأنه .

(٢) التفنيد : اللوم وتضعيف الرأي . وكويفير : تصغير كافور ، والمزاد : التحقير .
يقول : هو أولى اللثام بأن يعذر على لومه لحب أصله وخسة قدره وعجزه عن المكلام ،
وهذا المذر لوم له وهجاء وتوبيخ على الحقيقة . وقد صرح بمذره في البيت التالي .

(٣) الخصية : جمع خصى . يقول : إن الكرام عاجزون عن فعل الجميل فكيف
يقدر عليه اللثام . قال الواحدى . عرض في المصراع الأول بغيره من الملوك .

(٤) النيروز : أحد أعياد الفرس . قال في التاج : معرب نوروز ؛ فردته العرب
إلى فيعول ، حتى يكون على مثال قيصوم وديجور ونحوهما . وهو أول يوم من السنة
عند حلول الشمس في أول الحمل . والزناد : جمع زند ، وهو الخمر يقتدح به : وورى
الزند إذا أخرج نارا ، وورى الزناد - كناية عن بلوغ المراد ؛ تقول العرب : ورت بفلان
زنادى : أى أدركت به حاجتى ومرادى . يقول : جاء هذا اليوم وأنت مراده ومقصوده
بجيشه تيمنا بطلعتك ، وقد تحقق مراده وظفر به حين وفد عليك ورآك .

هَذِهِ النَّظْرَةُ الَّتِي نَأَلَمَّا مِنْكَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَوْلِ زَادَهُ^(١)
يَنْثَنِي عَنْكَ آخِرَ الْيَوْمِ مِنْهُ نَاطِرٌ أَنْتَ طَرْفُهُ وَرَقَادُهُ^(٢)
نَحْنُ فِي أَرْضِ فَارِسٍ فِي سُرُورٍ ذَا الصَّبَاحِ الَّذِي نَزَى مِيلَادَهُ^(٣)
عَظَمْتُهُ مَمَالِكُ الْفَرَسِ حَتَّى كُلِّ أَيَّامٍ عَامِهِ حُسَّادُهُ^(٤)
مَا لَبِسْنَا فِيهِ الْأَكَالِيلَ حَتَّى لَبِسْتَهَا تِلَاعُهُ وَوَهَادُهُ^(٥)

(١) زاده - آخر البيت - خبر هذه . يقول : هذه النظرة التي ظفر بها النيروز منك اليوم إنما تزودها إلى أوان مثلها من العام القابل - أي أنها له كالزاد يعاش به : لأنه لا يزورك إلا مرة واحدة في كل عام .

(٢) ناظر : فاعل ينثنى ؛ والناظر : العين . يقول : عند انسلاخ هذا اليوم ينثنى عنك ناظره الذي أنت ضياؤه وطيه يفارقك على حزن وأسف . وقال ابن جنى : إذا انصرف عنك هذا اليوم بانتهائه خلف طرفه - أي بصره - ورقاده لديك فبقى بلا ضياء ولا نوم إلى أن يعود إليك ؛ والمعنى أنه يفارقك وهو آسف محزون ، فلا ينام ولا يسر برؤية غيرك حتى يراك ثانياً .

(٣) في أرض فارس : حال من ضمير المتكلمين في الظرف بعده ، وهو خبر نحن وقوله : ذا الصباح : مبتدأ ؛ وميلاده : خبر ؛ والجملة : صفة لسرور . يقول : نحن في سرور بأرض فارس ، وقد ولد هذا السرور في هذا الصباح - أي صباح عيد النيروز - لأن الناس يفرحون فيه ويمرحون . وقوله : الذي نرى ، يروى : الذي يرى .

(٤) يقول : إن ممالك الفرس قد عظمت هذا اليوم حتى حسدته كل أيام السنة لتفضيلهم إياه عليها . وممالك : إما جمع ملك - مثل مشايخ وشيخ - وإما على حذف مضاف : أي أهل ممالك الفرس .

(٥) أتلأخ : جمع تلمع ، وهي ما ارتفع من الأرض . والوهاد : جمع وهدة ، ما انخفض من الأرض . والأكاليل جمع إكليل ، وهو في الأصل ما يجعل على الرأس كالتاج . قالوا : كان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجلس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والزهر فيضعوها على رؤوسهم . يقول المتنبي : ما لبسنا الأكاليل في هذا اليوم حتى كسيت الأرض - جبالها ووهادها - مثل الأكاليل من النبات والأزهار . والإضافة في «تلاعه ووهاده» : على معنى «في» ؛ والضمير : للنيروز . والبيت من قول أبي تمام :

عِنْدَ مَنْ لَا يُقَاسُ كِسْرَى أَبُو سَا سَانَ مُلْكًا بِهِ وَلَا أَوْلَادُهُ (١)
مَرَبِي لِسَانُهُ ، فَلَسَنِي رَأْيُهُ ، فَارِسِيَّةٌ أَعْيَادُهُ (٢)
كَلِمًا قَالَ نَائِلٌ أَنَا مِنْهُ مَرْفٌ ، قَالَ آخَرٌ : ذَا أَفْتَعَادُهُ (٣)

حَتَّى تَعَمَّ صَلُحُ هَامَاتِ الرُّبَا مِنْ نَبْتِهِ وَتَأَزَّرَ الْأَهْضَامُ (١)

وقال ابن جنى : يريد - التنبي - أن الصحراء قد تكامل زهرها فجعله كالأكليل عليها .. قال العروضي - ناقدا - كيف يصح ما قاله ابن جنى وأبو الطيب يقول : مالمسبنا ولم يقل ما لبست الصحراء وما يشبه هذا مما يكون دليلا على ما قال ابن جنى . ولكن كان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجالس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والأزهار فيجعلوها على رؤوسهم ، ثم أنشد بيت أبي تمام المتقدم ثم قال : وهذا البيت - بيت أبي تمام - سليم ، ووجه قول التنبي أنه أراد حتى لبستها تلاعه والتحف بها وهاده ، فيكون من باب علفتها تبنا وماء باردا . ومعنى البيت : أن النبات قد عم الأرض مرتفعها ومنخفضها ؛ وبيت أبي تمام أحسن سبكا .

(١) يقول : إن ملك المدوح - ابن العميد - أعظم من ملك الأكَسرة . وكسرى : لقب الساسانية من ملوك الفرس من ولد كيهمن بن ساسان الأكبر . وكسرى : معرب خسرو ، ومعناه واسع الملك ؛ وتنطقه العرب بفتح الكاف وبكسرهما ، وقد أنشدوا بالفتح بيت الفرزدق :

إِذَا مَا رَأَوْهُ طَالَمَا سَجَدُوا لَهُ كَمَا سَجَدَتْ يَوْمًا لِكِسْرَى مَرَازِبُهُ
(٢) يقول : هو عربي اللسان ، ورأيه رأى الفلاسفة ، لأنه حكيم ؛ وأعياده أعياد فارسية كالنيروز والمهرجان . والبيت - كما ترى - مركب من ثلاث جمل : كل جملة مبتدأ وخبر ، قدم فيها الخبر على المبتدأ .

(٣) النائل : العطاء ؛ والسرف : التبذير ؛ ومنه : حال مقدمة من سرف ، والاقتصاد ضد السرف . يقول : إنه كلما بالغ في العطاء - أي أعطى كثيرا - فقال ذلك العطاء البالغ الكثير : أنا سرف منه وتبذير ؛ أتبعه بعطاء أكثر منه وأبلغ يقول - أي هذا العطاء الأكثر - كان العطاء الأول اقتصاداً . وهذا تمثيل ، لأن العطاء لا يقول شيئاً ،

(١) الأهضام : جمع هضم ، وهو اللطمن من الأرض .. جعل ما على الربا بمنزلة العمامة ، وما على الأهضام بمنزلة الإزار .

كَيْفَ يَرْتَدُّ مِنْكِي عَنْ سَمَاءِ وَالنَّجَادُ الَّذِي عَلَيْهِ نَجَادُهُ (١)
 قَلَدَنِي يَمِينُهُ بِحَسَامِ أَعْقَبَتْ مِنْهُ وَاحِدًا أَجْدَادُهُ (٢)
 كُلَّمَا أَسْتَلَّ ضَاكَمَتْهُ إِيَاةُ تَزَعُمُ الشَّمْسُ أَمَّا أَرَادَهُ (٣)

ولكن يستدل بحاله ، فكأنه قائل . وملخص المعنى : أنه إذا استكبر الناس منه عطاء قل ذلك في جنب مايقبه ،

(١) النجاد : حماله السيف . يقول : كيف أنكل عن مفاخرة ذى غفر ؟ وكيف يقصر منكبي عن أن يزحم السماء علواً والنجاد الذى عليه — أى على منكبي — هو نجاده — أى نجاد المدوح — الذى بلغ بى أقصى الشرف ؟ يشير إلى السيف الذى قلده إياه : وملخص المعنى : أنه تشرف بتقلده سيفه حتى صار يماجد به كل ماجد .

(٢) أعقب الرجل : ترك عقباً ، أى ولداً ، يقول : قلدى سيفاً ماضياً لم تعقب أجداده منه — أى لم تلد من نوعه — إلا واحداً . يعنى هذا السيف نفسه وأراد بأجداد السيف معادن الحديد التى يستخرج منها ، وملخص المعنى : قلدى سيفاً لم يطبع مثله ، فلا نظير له .

(٣) إياة الشمس : ضوءها وشعاعها ونورها وحسنا ، قال طرفه بن العبد :

سَقَّتُهُ إِيَاةُ الشَّمْسِ إِلَّا لِثَانَتِهِ أَسْفَ وَلَمْ تَكْدِمِ عَلَيْهِ بِإِعْمَدِ (١)

وكذلك الآياء — مفتوح الأول بالمد — والإيا — مكسور الأول ، بالقصر ، والآرآد جمع رآد ، وهو ارتفاع الضحى وروثه ، يقول : كلما جرد هذا الحسام من غمده برقت فى صفحه إياة من الشمس كأنما تضاحكه ، ولشدة بريق الإياة تنخدع الشمس لدى رؤيتها فتحسب الحسام شمساً أخرى قد التهمت هذه الإياة من أشعتها . يشير إلى أن شعاع هذا السيف يضاهى شعاع الشمس وأن الشمس تقرباً أن ضوءها كضوئها ، والضمير فى أنها : للإياة ، قال الواحدى وإنما جمع الأراد مع توحيد الإياة حملا على المعنى ، فإن عند كل سلة مضاحكة

(١) من معلقة طرفه . يقول : سقى ثغر محبوبته شعاع الشمس : أى كأن الشمس أعارته ضوءها ثم استثنى اللثات ، لأن اللثة — وهى مغرز الأسنان — لا يستحب بريقها ، ثم قال : أسف : أى ذر الإعمد — وهو الكحل — على اللثة ولم تكدم — أى تعض — بأسنانها على شيء يؤثر فيها ، ونساء العرب تذر الإعمد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان .

مَثَلُوهُ فِي جَفْنِهِ خَشِيَّةَ الْفَقْدِ فِي مِثْلِ أَثَرِهِ إِعْتَادُهُ^(١)
مُنْعَلٌ لَا مِنَ الْحَفَا ذَهَبًا يَحْمِلُ بَحْرًا فَرْنَدُهُ إِزْبَادُهُ^(٢)
يَقْسِمُ الْفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لَا يَسْلَمُ مِنْ شَفَرَتَيْهِ إِلَّا بِدَادُهُ^(٣)

بينه وبين إياة الشمس . وقال العكبري : يجوز أن يكون أَرَادَ جمع رُئِد ، وهو التراب ، قال كثير ولم يهمز :

وقد دَرَعُوها وهي ذاتُ مَوْصِدٍ مَجُوبٍ وَمَلَأَ يَلْبَسُ الدَّرْعَ رِيْدُها^(١)
(١) الأثر : الفرند ، وهو جوهر السيف . ومثلوه في جفنه : أى جعلوا غمد هذا السيف على مثاله . وذلك بأن غشوه فضة . وقوله : ففي مثل أثره إغماده : يعنى أنه يغمد في غمد عليه آثار كأثره - أى فرنده . وهو جوهر السيف - يقول : إن مانسج من الفضة على غمده تصوير وتمثيل لما على منته من الفرند ، وإنما فعل به ذلك إرادة أن لا تفقده العين إذا أغمد ، بل يكون كأنها ناظرة إليه : أى أنه لحسنه لا يود مالسه أن يفقد منظره بإغماده ، ومن ثم مثله في جفنه . وقال الواحدى : خشية الفقد : يريد أن الناس يقولون : إن هذا السيف عزيز ، فلعرزه وخوف فقده غشوا جفنه بالفضة . وقال ابن جنى : صوناً للجفن من الصدا لئلا يأكله . . . وقال الخطيب التبريزى : إنما جعل غمده مشبها له فيقوم مقامه ، وفي معناه :

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم سرايلهم من مثلها والعائم

(٢) منعل : أى ملبس نعلا ، وهو ما يصاغ في طرف الغمد . والحفا : يريد الحفاء - بالمد - وهو المثنى بلا نعل ؛ وذهباً : مفعول ثانٍ لمنعل ؛ والضمير في فرنده : للسيف ؛ ومن إزباده : للبحر . يقول : إن هذا الجفن قد جعل له نعل من الذهب وليس ذلك للحفاء ، وهو يحمل من هذا السيف بحراً ، يعنى كثرة مائه ، ولما جعله بحراً جعل تومج الفرند فيه بمنزلة الزبد « هذا » والسيف لا يوصف بالحفاء ، ولكن ذكره اقتتانا لإيهام لفظ النعل .

(٣) المدجج : اللغوى بالسلاح . والبداد : حشية تجعل في جانب السرج ، وهما بدادان يقول : إذا ضرب به الفارس المنقع في سلاحه قطعه نصفين من فوق إلى أسفل ، وقطع السرج أيضاً ، فلا يسلم منه إلا جانباً السرج ، لأنحرافهما على الجانبين . وقوله : من شفرته - والحال

(١) المؤصد : صدر تلبسه الجارية - الوليدة - فإذا أدركت درعت ، وكل شئ قطع وسطه فهو مجوب ، ومنه سمي جيب القميص .

جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَيَدَيْهِ وَثَنَائِي فَاسْتَجَمَّتْ آحَادُهُ^(١)
وَتَقَلَّدَتْ شَامَةً فِي نَدَاهُ جِلْدُهَا مِنْفَسَاتُهُ وَعَتَادُهُ^(٢).

أن السيف إنما يقطع بشفرة واحدة - لأنه أراد بأى شفرته ضرب، عمل هذا العمل .
(١) يقول : إن الدهر جمع حد هذا السيف ويدي المدوح في الضرب وشعري في وصفه ، فاجتمعت بذلك آحاد الدهر التي لانظير لها ؛ فلا سيف كهذا السيف ولا يد في الضرب به كيد المدوح ولا ثناء كثنائي .

(٢) الشامة : الحال - بثرة سوداء في الجسم حولها شعر . وقوله : في نداء ، أى في جملة نداء : أى جوده : والنفسات : الأشياء النفيسة ، جمع منفس ؛ والعتاد : العدة ؛ يقول : تقلدت سيفاً هو على نفاسته وجلالة قدره في جنب ما أهدانيه - من نقائس الخيل والثياب والأسلحة - يعد قليلاً كالشامة في الجلد . شبه السيف الذى قلده إياه بالشامة ، وسأثر هداياه بالجلد الذى تكون فيه الشامة . وقد اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت اضطراباً أشفقنا عليهم منه ، لأنهم على أستاذيتهم ذهبوا في تأويله مذاهب بعيدة لم تخطر للتنبى على بال ، فضلاً أن البيت ينبو بمثلها . وإذا أبيت إلا ذكرها فإليكها . قال الواحدى : حكى أبو على بن فورجة عن أبي العلاء المعرى في هذا البيت قال : يعنى أن القمد بما عليه من الحلى والذهب أنفس من السيف ، لأنه كان محلى بكثير من الذهب ، فجعل القمد جلداً ؛ إذ جعل السيف شامة . قال أبو على : والذى عندى أنه أراد بجلده ظاهره الذى عليه الفرند ، لأن أنفس ما فى السيف فرنده ، وبه يستدل عليه فى الجودة . وقال أبو الفتح : يعنى أنه يلوح فيما أعطاه كما تلوح الشامة فى الجلد لحسنه ونفاسته . وقوله : جلدها منفساته وعتاده : أى ما يلى هذا السيف مما تقدم منه وتأخر كالجلد حول الشامة . وقال أبو الفضل العروضى منكرًا على أبي الفتح : ألم يجد التنبى مما يحسن فى الجمد شيئاً فوق الشامة كالعين الحسناء لكنه أراد أن هذا السيف - على حسنه وكثرة قيمته - كالتقطعة فيما أعطاه . ألا تراه يقول جلدها منفساته ؟ أى قدر هذا السيف وهو عظيم القيمة فيما أعطاه كقدر الشامة فى الجلد . قال الواحدى : وهؤلاء الذين حكينا كلامهم كانوا أئمة عصرهم ، ولم يكشفوا عن معنى البيت ولا بينوه ياناً يقف التأمل عليه ويقضى بالصواب ؛ ومعنى البيت : أنه جعل ذلك السيف شامة ، والشامة تكون فى الجلد ، ولما سباه شامة سمى ما كان معه من الهدايا - التى كان السيف فى جملتها - جلداً ؛ والكناية - فى المنفسات والعتاد - يعودان إلى المدوح ؛ وذلك أنه أهدى إليه أشياء نفيسة من الخيل والثياب والأسلحة ، فهو يقول هذا السيف فى جملتها شامة فى جلد ؛ قال : وقول ابن فورجة هوس لاشيء . وقال ابن

فَرَسْتَنَا سَوَابِقُ كُنَّ فِيهِ فَارَقْتُمْ لَيْدَهُ وَفِيهَا طِرَادُهُ (١)
 وَرَجَبَتْ رَاحَةً بِنَا لَا تَرَاهَا وَبِلَادٌ تَسِيرُ فِيهَا بِلَادَةٌ (٢)
 هَلْ لِمَنْدَرِي عِنْدَ الْمُهَامِ أَبِي الْفَضْلِ قَبُولٌ سَوَادٌ عَيْنِي يَدَادُهُ (٣)
 أَنَا مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ عَلِيلٌ مَكْرُمَاتُ الْمَلِكِ حُوَادُهُ (٤)

القطعاع : يريد : أن السيف - على جلالة قدره وما عليه من الذهب - كالشامة في جنب ماأخذت منه . وقوله: جلدها ، يريد ما عليه من الفرند الذي من أجله يستمد وينال في ثمنه ، وقيل: يريد بجلده جفنه وما عليه من الذهب والفضة والجوهر المكلل .

(١) كن فيه : أى كن في نداءه ؛ واللبد : ما تحت السرج . يقول : كان في جملة عطائه خيل سوابق فارقت سرج ابن العميد إلى سروجنا فصيرتنا فرسانا وتعلمنا الطراد بركوبها بما تعلمت لديه من آداب المطاردة ، فقوله : فرستنا أى علمتنا للروسية . وفارقت ليدته ؛ يريد فارقت سرج ابن العميد إلى سرجي حين أعطاناها . وفيها طراده : أى وفيها تقويمه وأدب طراده . وقال ابن جنى : أى قد صرت معه كواحد من حملته إذا سار إلى موضع سرت معه وطاردت بين يديه ، فكأنه هو للمطارد عليه ... وعلى هذا يكون معنى فرستنا حملتنا حتى ضرنا فرسانا . وقوله: وفيها طراده ، أى عليها . قال العروضي : كلام ابن جنى كلام من لم ينتبه عن نومة الغفلة . وإنما يقول : فارقت هذه الحيل ليدته ، وفيها تأديبه وتقويمه ، ثم قال : والمعنى : إن الحيل السوابق التي كانت عنده مما أعطانا علمتنا الروسية . لأنها قد فارقت ليدته حين أعطاناها . وفيها ماعله بطراده وبأديبه

(٢) يقول : إن هذه الحيل التي أهداها إلينا لما انتقلت إلى درجت أن تستريح من طول كده إياها ، لكنها لا ترى ما ترجوه مادمنافي بلاده ، لأننا لا نزال ننزومعه بنزواته ونطارده عليها مع إذا ركب للصيد ، وإنما تستريح إذا فارقتنا خدمته ، ونحن لا نفارق خدمته وبلاده فقوله: وبلاذ ألخ : جملة حالية من مبتدأ وخبر .

(٣) يشير إلى نقد ابن العميد لقصيدته الرائية ، ويعتذر عما فرط فيها بما يؤاخذ به . يقول : هل يقبل عذري ؟ أو هل لديه قبول لعذري ؟ وقوله : سواد عيني مداده : جملة استثنائية دعائية : أى جعل الله سواد عيني مدادا له وإنما دعاه بذلك إشارة إلى أن ابن العميد من أهل الأدب والعلم ، المشتغلين بالكتابة والتأليف . والمداد : الحبر ، والهمام : السيد الشجاع السخي .

(٤) المواد : جمع عائد ، وهو زائر المريض . يقول : أنا لشدة حيائي كالعليل ،

مَا كَفَانِ تَقْصِيرُ مَا قُلْتُ فِيهِ عَنِ عَلَاهُ حَتَّى ثِنَاهُ اُنْتِقَادُهُ (١)
إِنِّي أَصِيدُ الْبِرَاةَ وَلَكِنْ أَجَلُ النُّجُومِ لَا أَضْطَادُهُ (٢)
رُبَّ مَا لَا يُقْبَرُ اللَّفْظُ عَنْهُ

وَالَّذِي يُضْمِرُ الْفَوَادُ اُعْتِقَادُهُ (٣)

مَا تَعَوَّدْتُ أَنْ أَرَى كَأَبِي الْفَضْلِ وَهَذَا الَّذِي أَنَاهُ اُعْتِنَادُهُ (٤)

وهذا الذي أعلني تأتيني كل يوم كأنها عواد تعودني . وإنما كان شديد الحياء لأن ابن العميد قد شعره . ولذا جعله معلا له ؛ وقد شرح ذلك في الأبيات التالية .

(١) عن علاه : متعلق بتقصير ؛ وثناه : صار ثانيه . والضمير : للتقصير ، يقول : ما كفاني تقصير شعري عن علاه وعجزى عن وصفه حتى شفهته بقده ، فتقصير شعري وتقده هما سبب شدة حيائي .

(٢) أصيد : أفعل تفضيل ، من الصيد ، يقول : أنا في الشعراء كالبازي الأصيد في البراة ، ولكن البازي مهما كان بارعاً في الصيد ليس في مكتته أن يبلغ النجوم فيصيدها ، يعني : أتى وإن كنت حاذقاً في الشعر وبالغاً منه الغاية التي لا بعدها فإن كلامي لا يبلغ أن يصف ابن العميد ويقوم بما يجب من مدحه وقال ابن جني : لو استوى له أن يقول : أطل النجوم - بدل أجل النجوم - لكان أليق ، وقال الواحدى : يريد بأجل النجوم زحلاً ، جعل هذا مثلاً للمدوح .

(٣) يقول : رب أمر يعتقه القلب ولكن اللسان يعجز عن أن يعبر عنه باللفظ لبوغه مبلغاً لا يحيط به الوصف ، وهذا اعتذار عن قصوره في وصفه ومدحه فما - من قوله رب ما - نكرة موصوفة بمعنى شيء ، أو أمر . وقوله : والذي الخ : حال ؛ والضمير من اعتقاده : يرجع إلى ما .

(٤) يقول : لم أتعود أن أمدح مثله ، فإن قصرت عن كنه وصفه كنت معذوراً ؛ لأن عادتي لم تجر بمدح مثله ، والذي ورد عليه من الشعر شيء معتاد عنده لأنه لا يزال بمدح ، فهو أعلم الناس بالشعر . أو تقول : وهذا الذي أتاه - أى هذا الذى فعله من التقدير - هو عادته لبصره بالشعر وتقده قال الواحدى : وهذا يدل على تحرز أبى الطيب منه وتواضعه له ولم يتواضع لأحد في شعره تواضعه لابن العميد . وقال ابن جني : يريد لم أمدح مثله ، فلذلك قصرت عن وصفه له ، والذي أتاه من الكرم عادة له لم يتطبع به . قال الواحدى : وهذا الذى يقوله ابن جني ليس بشيء ، لأنه ليس في وصف كرمه ، وإنما يعتذر إليه في تقصيره .

إِنَّ فِي الْمَوْجِ لِلْفَرِيقِ لَمَذْرَأً وَاضِحًا أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهُ^(١)
لِلنَّدَى الْغَلْبُ إِنَّهُ فَاضٍ وَالشُّعْرُ عِمَادِي وَأَبْنُ الْعَمِيدِ عِمَادُهُ^(٢)
نَالَ ظَنِّي الْأُمُورَ إِلَّا كَرِيمًا لَيْسَ لِي نُطْقُهُ وَلَا فِي آدُهُ^(٣)
ظَالِمُ الْجُودِ كُلَّمَا حَلَّ رَكْبٌ سِيمَ أَنْ تَحْمِلَ الْبِحَارَ مَزَادَهُ^(٤)
غَمَرْتَنِي فَوَائِدُ شَاءَ فِيهَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِمَّا أَفَادَهُ^(٥)
مَا سَمِعْنَا مِنْ أَحَبِّ الْعَطَايَا
فَأَشْتَهَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا فُؤَادُهُ^(٦)

(١) يقول: إن فاتني عد بعض أوصافك فلم آت على جميعها، كان عذري واضحا، لأنني غرقت فيها لتوافر محامدك، والفريق في البحر إن لم يستطع تعداد الأمواج كان عذره واضحا، وتلخيص المعنى: أن فكري غرق في فضائلك، فليس لي إلى استيفاء وصفها من سبيل. وقوله: أن يفوته: أي في أن يفوته، وهو من صلة العذر؛ والتعداد: العد.

(٢) يقول: إن لجوده الغلبة فهو غالبني؛ لأن عماده ابن العميد وعمادي الشعرو هو ناقد، فكيف لي أن أغلبه بالشعر؟! فالنَّدَى: الجود؛ والضمير في عماده: للندي.

(٣) الظن - ههنا - بمعنى العلم؛ ويروى: طبي، وهو بمعنى العلم أيضا، والآد: القوة. يقول: لقد قتلت الأمور علما، غير أنني قاصر عن مدح كريم ليس لي فصاحته في الكلام ولا قوته في علم الشعر.

(٤) المزداد: جمع مزادة، وهي القرية. يقول: إن جوده ظالم، وذلك أنه كلما صمد إليه ركب أغدق عليهم من عطاياه مالا يطيقون حمله، وهذا ظلم، لأنه غير ممكن، وهل يمكن حمل البحر في القرب؟! فقله: ظالم الجود، من إضافة الوصف إلى فاعله. وسيم: كلف.

(٥) يقول: إنه أرشده بانتقاده شعره إلى صواب القول، ونبهه بذلك إلى ما كان غافلا عنه، فكان حسن القول وصحة الكلام، من جملة الفوائد التي أفادها منه.

(٦) يقول: لم نسمع قبله بجواد يحب الإعطاء ويتمنى أن يكون قلبه من جملة عطاياه يريد: أن ما أفاده العلم هو نتاج عقله وبنات فكره، فكأنه أعطاه عقله؛ والفؤاد هنا: بمعنى العتل.

- خَلَقَ اللهُ أَفْصَحَ النَّاسِ طَرًّا فِي مَكَانٍ أَعْرَابُهُ أَكْرَادُهُ (١)
 وَأَحَقَّ الْغَيْوُثِ نَفْسًا بِحَمْدٍ فِي زَمَانٍ كَلَّ الثُّفُوسِ جَرَادُهُ (٢)
 مِثْلَمَا أَحْدَثَ الثُّبُوتَ فِي الْعَالَمِ لَمْ وَالْبَعْثَ حِينَ شَاعَ فَسَادُهُ (٣)
 زَانَتِ اللَّيْلُ غُرَّةُ الْقَمَرِ الطَّا لِعِ فِيهِ وَلَمْ يَشْنُهُ سَوَادُهُ (٤)
 كَثَرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نَهْدَى كَمَا أَهْدَتْ إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عِبَادُهُ (٥)
 وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْلِ فِينَهُ هِبَاتُهُ وَقِيَادُهُ (٦)

(١) يريد بأفصح الناس : المدوح . يقول : إنه أفصح العرب ، وهم أفصح الناس ،
 بيد أنه في بلد أهله أكراد لا عرب . يريد أهل فارس . وروى ابن جنى : أفضل
 الناس ، وليس بشيء .

(٢) وأحق : عطف على أفصح . يقول : وخلق الله غيثاً هو أخلق الغيث بالحمد -
 يعنى المدوح - لمعوم صلاحه ، فأوجد هذا الغيث في زمان قد استشرى فساد أهله
 وشاع في الأرض ، فكانوا كالجراد . وقال ابن جنى : جعله غيثاً وجعل الناس كلبم -
 لا يحتاجهم إليه - جراداً ، فإن الجراد حياته في الغيث والكلاب .

(٣) يقول : لما شاع الفساد في العالم بالناس الذين جعلهم كالجراد : خلق الله ابن
 العميد ليتدارك به ذلك الفساد ، كما أنه لما عم الكفر والشرك بعث الله النبيين مبشرين
 ومنذرين . وهذا من قول الفرزدق :

بُعِثَتْ لِأَهْلِ الدِّينِ عَدْلًا وَرَحْمَةً وَبُرْءًا لِأَنْتَارِ الْجُرُوحِ الْكَوَالِمِ
 كَمَا بَعَثَ اللهُ النَّبِيَّ عَمْدًا عَلَى قَتْرَةٍ وَالنَّاسِ مِثْلُ الْبِهَامِ

قوله : والبعث ، أى بعث الرسل ، عطف على النبوة .

(٤) غرة القمر : طلوعه وضوؤه . ويشنه : يعبه . لما ذكر عموم الفساد في الناس
 والزمان : ذكر أن ذلك الفساد لا يتعدى إليه ، وأنه سبب لإصلاحه كالقمر يطلع فيجلبو
 سواد الليل ولا يشينه ذلك السواد .

(٥) و (٦) يقول : كثر الفكر في كيف نهدي إليك شيئاً كما يهدى العبيد إلى
 أربابها وكل ما عندنا من المال والخيول فمن عندك وهبته وقدمته إلينا . قوله : إلى ربها
 أى سيدها ؛ والضمير : لعباده . وعباده : أى عبيده ؛ والرئيس بدل من « ربها »
 والذى - إلى آخر البيت - حال . وفي البيت الثانى طى ونشر لا يفتنى . وهذا من
 قول ابن الرومي :

قَبَعْنَا بِأَرْبَعِينَ مِهْرًا كُلُّ مِهْرٍ مِيدَانُهُ إِنْشَادُهُ (١)
عَدَدُ عَشْتِهِ يَرَى الْجَسْمُ فِيهِ أَرْبَابًا لَا يَرَاهُ فَمَا زَادُهُ (٢)
فَارْتَبَطَهَا فَإِنَّ قَلْبًا نَمَاهَا مَرَبُطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ جِيَادُهُ (٣)

مِنْكَ يَا جَنَّةَ النِّعَمِ الْمَدَايَا أَنْهَدِي إِلَيْكَ مَا مِنْكَ يَهْدِي

(١) للمهارة : جمع مهر . يروى بالنصب على الحال ، لأن في المهر معنى الفتي والفرس إذا كان فتياً كانت الرغبة فيه أشد ، ويروى بالجر : على أنه بدل من أربعين ، أو بيان لها . وقوله : كل مهر الخ ، نعت لمهارة : أى كل مهر منها . كنى بالمهارة عن أبيات القصيدة لأنها أربعون بيتاً ، وجعل ميدانها الإنشاد لأنها تعرف به كما يعرف المهر في الميدان إذا جرى فيه عرف جريه يقول : فبعثنا إليك بأربعين بيتاً من الشعر ، ميدان كل بيت إنشاده : أى أنه إذا أنشد عرف قدره : كما أن للمهر إذا أجرى في الميدان عرف .

(٢) عدد : خبر مبتدأ محذوف : أى أن الأربعين هى عدد الخ : وقوله عشته : دعاؤه ، يدعوه بأن يعيش هذا العدد من السنين علاوة على ما عاشه ؛ قال الواحدي . وكان ابن العميد في ذلك الوقت قد جاوز السبعين وناهر الثمانين ، وقوله : يرى الجسم فيه الخ : أى أن عدد الأربعين يرى الإنسان فيه من أرب العيش وحاجه مالا يراه في السنين التي يزيدها بعد ذلك : أى فلماذا اختار هذا العدد ، فجعل القصيدة أربعين بيتاً : وقاله ابن جنى : الأربعون إذا تجاوزها الإنسان نقص عما يهد من أحواله في جسمه وتصرفه .

(٣) نماها : أى ارتفع إليه نسبها ، فهو من نماء النسب : وعبر بذلك جريا على عادة العرب في حفظ أنساب الحيل : لما سمى الأبيات مهارة عبر عن حفظها وإسماؤها بالارتباط ليتجانس الكلام : يقول : فاحتفظ بها فإن القلب الذي صدرت منه واتصلت نسبتها إليه تسبق جواده جواد كل مرابط : يعنى أن الشعر الذي يقوله أفضل من شعر سواه .

وورد عليه كتاب ابن العميد يتشوقه فقال ارتجالاً :

بِكُتِّبِ الْأَنْامِ كِتَابٌ وَرَدَّ
فَدَتْ يَدَ كَاتِبِهِ كُلَّ يَدٍ^(١)
يَعْبُرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنَا ،
وَيَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ مَا نَجِدُ^(٢)
فَأُخْرِقَ رَأْيِيهِ مَا رَأَى ،
وَأُبْرِقَ نَاقِدَهُ مَا انْتَقَدُ^(٣)
إِذَا سَمِعَ النَّاسُ الْفَاطَهَ
خَلَقْنَ لَهُ فِي الْقُلُوبِ الْحَسَدَ^(٤)

(١) أى يفدى بكتب الأنام جميعاً هذا الكتاب الوارد على لأن شرفه وقدره عظيم وقوله: فدت الخ: جملة دعائية .

(٢) يقول: إن ذلك الكتاب يعبر عن الشوق الذى لكاتبه عندنا؛ أى أنا نشاق إليه كما يشاق هو إلينا، ويذكر من شوقه إلينا ما نجد من الشوق إليه .

(٣) أخرق: أدهش وحير؛ من خرق الظبي: دهش فلصق بالأرض ولم يقدر على النهوض؛ وقد أخرقه الفزع لفرق وأبرق: حير؛ تقول: برق بصره: تحير فلم يطرف قال ذو الرمة:

ولو أن لثمان الحكيم تعرضت
لعينيه حتى سافراً كاد يبرق

يقول المتنبي: إن الذى رأى هذا الكتاب حيره ما رآه من حسن خطه ، والذى انتقد لفظه أدهشه ما انتقد من فصاحته .

(٤) يقول: إن ألفاظه تحدث له الحسد فى القلوب فتحسده قلوب السامعين على حسن لفظه .

قَوَّلْتُ ، وَقَدْ فَرَسَ النَّاطِقِينَ
كَذَا يَفْعَلُ الْأَسَدُ ابْنُ الْأَسَدِ^(١)

(١) فرس الناطقين افترسهم : جعل إحرازه الغاية من الفصاحة دون غيره من الناس كالاتراس ، أى أنه وصل في غلبهم والاستيلاء على ألبابهم بما ألقى عليهما من الدهش والحيرة إلى مثل ما يصل إليه الأسد إذا افترس فريسته : ولما وصفه بالاتراس جعله أسداً في الصراع الثاني ، لأن الاتراس من أفعال الأسد . قال الواحدى : ولو خرس المتنبى ولم يصف كتاب أبى الفتح ابن العميد بما وصف لكان خيراً له ، وكأنه لم يسمع قط وصف كلامه ! وأى موضع للاخراق والإبراق والفرس في وصف الألفاظ والكتب هلا احتذى على مثال قول البحرى يصف كلام ابن الزيات :

فِي نِظَامٍ مِّنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَ امْرُؤٌ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ
وَبَدِيعٍ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّالُّ حِكْ فِي رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ
مُشْرِقٍ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ مَا يُخْلِقُهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ
وَمَعَانٍ لَوْ فَصَلْتَهَا الْقَوَافِي هَجَجْتِ شِعْرَ جَرُولٍ وَوَلِيدِ
حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَاراً وَتَجَنَّبِينَ ظِلْمَةَ التَّعْقِيدِ

وورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره ؛ فقال عند مسيره مودعا ابن العميد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة :

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَابًا عَلَى الصَّدِّ وَلَا خَفْرًا زَادَتْ بِهِ حُمْرَةٌ الْخَلْدُ^(١)
وَلَا لَيْسَلَةً قَصَرْتُمْهَا بِقَصُورَةٍ

أَطَالَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُنْفِ حَبَّةِ الْعِقْدِ^(٢)
وَمَنْ لِي بِيَوْمٍ مِثْلَ يَوْمِ كَرِهْتُهُ قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ^(٣)

(١) الحفر . الحياء . يقول : نسيت كل شيء ولا أنسى ما جرى بيني وبين الحبيب من العتاب على الصدود ، ولا الذي غشيه عند ذلك من الحياء الذي ازدادت به حمرة وجهه . يعنى إن أنس لا أنس ذلك . وكثيراً ما يذكر الشعراء ماجرى بينهم وبين الحبيب عند التوديع ، وذلك كما يقول أحدهم :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ قَوْلَهَا يَوْمٌ وَدَعْتُ وَقَدْ رُحِلَتْ أَجْمَالُنَا وَهِيَ وَقَفَتْ
أَأَنْتَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا فَلَسْنَا وَحَقُّ اللَّهِ عَنْ ذَلِكَ نَصْدِفُ
فَقَلْتُ لَهَا حِفْظِي لِعَهْدِكَ مِثْلِنِي وَلَوْلَا حِفَاظُ الْعَهْدِ مَا كُنْتُ أَتْلِفُ

ومثله كثير ، وروى نسيت - بالبناء للمجهول - أى نسيت الحبيب .

(٢) القصورة والقصيرة : المحبوسة فى خدرها ، المنوعة من التصرف ؛ قال كثير :
وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتِ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَى وَمَا تَدْرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرُ
عَنَيْتِ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أَرِدْ قِصَارَ الْخَطَى - شَرُّ النَّسَاءِ الْبَحَائِرُ
« البحر : القصير المجتمع الخلق » . يقول المتنبي : لا أنسى ليلة قصرت على لطيب مجالسقى لهذه المخدرة ومعاتق إياها حتى طالت يدي فى جيدها مثل صفة العقد لجيدها .
قوله صفة العقد : أى مثل صفة العقد ، فهو منصوب على الصدرية .

(٣) يقول : من يكفل بأن يكون لى يوم آخر مثل يوم الوداع وإن كرهته لأنى قربت فيه من فراقهم . يتمنى أن يكون له مثل هذا اليوم ، وهم أبدأ يتمنون مثل يوم التوديع ، لأن الودع يحظى فيه بالنظر إلى أحبته والتسليم عليهم كما قال الآخر :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْوَدَاعَ فَإِنِّي أَشْتَهِيهِ لِعِلَّةِ التَّسْلِيمِ

(١١ - المتنبي ٢)

وَأَنْ لَا يَخْصُ الْفَقْدُ شَيْئًا فَإِنِّي
 فَقَدْتُ فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِي وَلَا وَجْدِي (١)
 تَمَنَّيَ يَلِدُهُ الْمُسْتَهَامُ بِمِثْلِهِ ،
 وَإِنْ كَانَ لَا يُغْنِي فَتَيْلًا وَلَا يُجْدِي (٢)
 وَغَيْظٌ عَلَى الْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَا وَلَكِنَّهُ غَيْظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَدِّ (٣)

إن فيه أعتناقاً لوداع وانتظار أعتناقاً لقدوم
 ولكم فرقةً وغيبيةً شهريةً هي أجدى من امتناعٍ مقيم
 (١) يقول : ومن لي بأن لا يكون الفقد في ذلك اليوم خصوصاً بشيء دون شيء
 فإنني فقدت فيه أحبتي ولم أفقد بكائي ولا وجدى : يتمنى أن يكون الفقد عاماً شاملاً حتى
 يفقد البكاء والوجد أيضاً :

(٢) تمن : خبر عن مبتدأ محذوف : أى هذا تمن ؛ والمستهام : الذى هيمه الحب وشرده ؛
 ويقال له يلد ، والتذ يلد ، وتلدذت كذا ألتذه لداذاً ولداذاً ، وهو لد ولذيذ ؛ والفتيل
 ما يكون في شق النواة ، وقيل هو ما تقتله بين أصبعيك من الوسخ ، وهو نائب مفعول
 مطلق : أى لا يغني غناء حقيراً مثل الفتيل : يقول : إن هذا الذى ذكرته هو تمن
 لا حقيقة له ، ولكن المستهام يلد بالتمنى وإن كان ذلك لا ينفعه ولا يغني عنه شيئاً : وفي
 معنى البيت يقول القائل :

أَمَانِي مِنْ لَيْلِي حَسَانًا كَأَمَّا
 سَقَنِي بِهَا لَيْلِي عَلَى ظَمَأٍ بَرَدًا
 مَنِي إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنِي
 وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا
 ويقول البحرى :

تَمَنَيْتُ لَيْلِي بَعْدَ قَوْتٍ وَإِنَّمَا
 تَمَنَيْتُ مِنْهَا خُطَّةً لَا أَنَا هَا
 ويقول الآخر :

وَأَعْلَمُ أَنْ وَصَلَكَ لَيْسَ يُرْجَى وَلَكِنْ لَا أَقْلَ مِنْ التَّمْنَى
 (٣) القد : سير يشد به الأسير : يقول : ولي غيظ على الأيام يلهب في الحشا التهاب
 النار ، ولكنه غيظ على مالا يكثر ولا يبالي بغيظي ، لأن الأيام لا تؤاتيني ولا تنزل
 على مرادى ، ومن ثم كان كغيظ الأسير على ما يشد به من القد :

فَإِمَّا تَرَبِّنِي لَا أُقِيمُ بِيَلَدَةٍ ۖ فَآفَةٌ غَمْدِي فِي دُلُوقِي وَفِي حَدِّي (١)
يَحُلُّ الْقَنَا يَوْمَ الطَّعَانِ بِعَقْوَتِي ۖ فَأَحْرَمُهُ عِرْصِي وَأَطْعَمُهُ جِلْدِي (٢)
تُبَدِّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي
نَجَائِبُ لَا يُفَكِّرَنَّ فِي النَّخْسِ وَالسَّغْدِ (٣)
وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءً تَلْتَمِسُوا ۖ عَلَيْنَّ لَا خَوْفًا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ (٤)
وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذُّنْبِ شِيْمَةً ۖ وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيْمَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ (٥)

(١) الدلوق : سرعة انسلال السيف وخروجه من غمده : يقول - معتذراً للحيية من فراقه لها وقلة مقامه في البلدان ومواصلته السير والتطواف : - إن رأيتني منزحاً لا أقيم ببلدة فإن ذلك لمضائي وبعد همتي كالسيف الحاد إذا أغمد أكل غمده واندلق منه وقال ابن جنى : الذي تربنه من شعوى وتغري إنما هو لمواصلة السير والتطواف في البلاد بعد همتي ، كالسيف الحاد إذا أكثر سله وإغنامه أكل جفته : قال الواحدى : وليس مما ذكره شيء في البيت ، لكنه ما هجس له في خاطره فتكلم به ، وإما - من فأما - هي إن الشرطية ، وما الزائدة :

(٢) العقوة : الساحة وما حول الدار والحلة ؛ يقال نزل : بعقوته : يقول . إذا كان يوم الطعان أطعمت الرماح جلدي وجلته وقاية لعرضي : يعنى أنه يؤثر وقوع الرماح في جلده على أن يهرب فيعاب عرضه بالهرب ؛ وهذا من قول الجاهلى :

أَخُو الْحَرْبِ أَمَّا جِلْدُهُ فَمَجْرَحٌ ۖ كَلِيمٌ ، وَأَمَّا عِرْصُهُ فَسَلِيمٌ

(٣) النجائب : جمع نجبية ، وهى الناقة الكريمة : وفكر فى الشيء وأفكر فيه ونفكر : بمعنى : يقول : إن هذه النجائب يمضين بى مصمات لا يلتفتن إلى نخس ولا سعد فتبدل على بمضين الأيام والمعاش والديار ، وكذلك المسافر له كل يوم منزل وأصحاب .

(٤) وأوجه : عطف على نجائب : وأراد بالفتيان : غلمانه الذين يسرون معه : يقول : تبدل أيامى نجائب وأوجه فتيان : أى أنا أبداً مسافر على هذه النجائب فى صحبة هؤلاء الفتيان الذين ألفوا الاسفار ، ومن ثم لا يبالون بالحر والبرد ، وإنما تلتسوا على وجوههم لشدة حياتهم ، لا اتقاء الحر والبرد ؛ والحياء شيمة الكرام .

(٥) الشيمة : الطبيعة والحلق والعادة . والاسد الورد : الذى فى لونه حمرة مثل

إِذَا لَمْ تُجْزِهِمْ دَارَ قَوْمِ مَوْدَّةٍ أَجَارَ الْقَنَا وَتَخَوَّفُ خَيْرٍ مِنَ الْوُدِّ (١)
يَحِيدُونَ عَنْ هَزْلِ الْمَلُوكِ إِلَى الَّذِي تَوَفَّرَ مِنْ بَيْنِ الْمَلُوكِ عَلَى الْجِدِّ (٢)
وَمَنْ يَصْحَبِ أَسْمَ بْنَ الْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ
يَسِرُّ بَيْنَ أُنْيَابِ الْأَسَاوِدِ وَالْأَسَدِ (٣)
يَمُرُّ مِنَ الثَّمِّ أَوْحَى بِمَا جِزِي ، وَيَعْبُرُ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ عَلَى دُرْدِ (٤)

الورد . يمدح الحياء ؛ يقول : إن الذئب المعروف بالحث والساوى ليس الحياء من شيمته وإنما شيمته القحة ، ولكن الحياء شيمة الأسد ، وذلك أن في طبعه كرما وحياء ؛ يقال إن من واجبه وأحد النظر في وجهه استجيا منه ولم يفترسه ، وللعنى أن حياءم ليس بجزر بهم ، كما أنه لا يزرى بالأسد حياؤه ، يصفهم بالإقدام مع فرط الحياء .

(١) يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث إذا مروا في أسفارهم بدار قوم لم يكن بينهم وبين قطانها مودة يجوزون أرضهم بها جازوها برماهم ولم يخافوا أهل تلك الناحية ثم قال : والخوف خير من الود : أى أن تخاف خير من أن تحب ، لأن من أطلعك خوفا منك أبلغ طاعة ممن يطبعك مودة ، كما تقول العرب : رهبت خير من رحمت : أى لأن تهرب خير من أن ترحم . وقال ابن جني : إذا خافوا من عدو اعتصموا منه بالقنا ... قال ابن فويجه — ناقدا — : أين ذكر خوفهم العدو ، وأين ذكر الاعتصام ؟ وإنما يقول : إذا لم يمكنهم أن يجتازوا على ديار بلوذة حاربوا فيها وجازوها .

(٢) حاد عن الشيء : تباعد عنه وتجنبه . وتوفر على الشيء : صرف همه إليه . يقول إن هؤلاء الفتيان يجتنبون من يهزل من الملوك : أى الذى عمله اللهب من طراد وشراب وما إليهما ، ويأتون من توفر على الجدد وترك اللهب : يعنى ابن العميد .

(٣) الأسود : الأفاعى . يقول : من جعل اسم ابن العميد صاحباً له في سفره أمكنه السير بين أنياب الحيات والأسود ، يعنى إذا عرف المسافر بأنه يقصده وينتسب إليه لم يتعرض له أحد هية له ورهبا . فالأسود والاسد مثل لمن تخشى غائلته . وعبارة الخطيب التبريزى : من نسب إليه في خدمة أو زيارة أو مدح فإنه ناج من المخافة لا يقدم عليه أحد . وفى الكلام حذف ، تقديره : يسر بين أنياب الحيات والأسود ناجيا سالما آمنا من المخافة .

(٤) الوحى : السريع . والردد : جمع أردد ، وهو الذى ذهب أسنانه . وهذا البيت مرتب على الطى والنشر ، وهو تقرير للبيت السابق . يقول : إن من يستصحب اسم ابن العميد لا يعمل فيه سم الأفاعى السريع ولا أنياب الأسود حتى لكأنها ددد . ويمر

كَفَانَا الرَّبِيعُ الْعَيْسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ فِجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءِ سَوَى الرَّغْدِ (١)
إِذَا مَا اسْتَجَبْنَ الْمَاءَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ كَرِغْنِ بَسْبَتٍ فِي إِنَاءِهِ مِنَ الْوَرْدِ (٢)

ويعر: في موضع الحال من قوله «يسر» أي يسر ماراً عابراً؛ ولك أن تجعل يمر بدل من يسر.

(١) يقول: يركته أخصب الربيع وكثر مطره ورعده فأغنانا عن تحشم حداء الإبل في المسير إليه، لأن الرعد أغنى غناء الحداء. فالعيس: الإبل. وكفانا العيس، أي كفانا حدها. والحداء: سوق الإبل بالغناء وقوله: من بركاته - أي بركات المدوح - تعليل لكفي:

(٢) يعرض نفسه: حال؛ وكرعن: شربن؛ وأصله من إدخال أكارع الشاربة في الماء للشرب؛ والسبت: جلود البقر المدبوعة بالقرظ، تحذى منه النعال السبتية. يقول: إذا مرت هذه الإبل بالمياه التي غادرتها السيول فصارت لكرتها كأنها تعرض نفسها عليها، فأجابتها الإبل وأقبلت عليها للشرب كرعت منها بمشافر لينة كالسبت * وقد أحقق الورد - والمراد الزهر أياً كان - بذلك الماء، فصار كأنه إناء له. وقد روى البيت إذا ما استحين بدل إذا ما استجبن، وكرعن بشيب: بدل بسبت. واستحين: من الحياء، والشيب: صوت مشافر الإبل عند الشرب. قال في اللسان: والشيب - بالكسر - حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب. قال ذو الرمة - يصف إبلا تشرب في حوض متلم، وأصوات مشافرها شيب شيب.

تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ فِي مُتَمَلِّمٍ جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسِلَامِ (١)

* هم يشبهون المشفر بالسبت في لينة، قال طرفة بن العبد:

وَحَدُّ كَقَرطَانِ الشَّامِيِّ وَمَشْفَرُهُ كَسِبَتْ الْيَمَانِي قَدُهُ لَمْ يُحْرَدِ
لم يحرد: روى بالحاء المهمله، وعليها اقتصر الخطيب التبريزي. قال: أي لم يمل؛ يصف أنها شابة نفية، وذلك أن الهرمة والهرم تمل مشافرها: وروى لم يحرد - بالجيم - أي أن شعره عليه.

(١) من قصيدة لذي الرمة يدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم. وقوله.

كَأَنَّا أَرَادَتِ سُكْرَنَا الْأَرْضُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُخْلِنَا جَوْ هَبْطَنَاهُ مِنْ رِفْدٍ (١)
لَنَا مَذْهَبُ الْعِبَادِ فِي تَرْكِ غَيْرِهِ وَإِتْيَانِهِ نَبِيَّ الرَّغَائِبِ بِالزَّهْدِ (٢)
رَجَوْنَا الَّذِي يَرْجُونَ فِي كُلِّ جَنَّةٍ بِأَرْجَانِ حَتَّى مَا يُتَسَنَّأُ مِنَ الْخُلْدِ (٣)

البصرة : حجارة رخوة إلى البياض ؛ والسلام - بكسر السين - الحجارة الصلبة «
(١) الجوّ - هنا - ما اتسع من الأودية ، كما جاء في قول طرفة :

خَلَائِكَ الْجَوِّ فَيَبِيضِي وَأَصْفَرِي

والرفد : العطاء : يقول : إن كل موضع نزلناه في طريقنا إليه أصبنا به ماء وكلاً .
فكان الأرض أرادت أن نشكرها عنده تقرباً إليه .

(٢) الرغائب : جمع رغبة - الأمر المرغوب فيه . يقول : لنا في ترك غيره من الملوك
وقصدنا إليه ، مذهب الزهاد الذين يزهّدون في الدنيا لينالوا خيراً مما تركوا في الآخرة :
وذلك لأننا نصيب منه أكثر مما نصيب من سواه ، فنحن إنما نطلب الرغائب عنده
زهّدنا في غيره .

(٣) رجون : أى العباد ، وأرجان : صلة رجونا ، وأرجان هى أرجان - بتشديد

وَكَمْ عَسَفَتْ مِنْ مَنَهْلٍ مَتَخَطِئًا أَفْلٌ وَأَقْوَى فَالْجَمِ طَوَامِي
إِذَا مَا وَرَدْنَا لَمْ نَصَادِفْ بِجَوْفِهِ سِوَى وَارِدَاتٍ مِنْ قَطَاً وَحَامِ
إِذَا سَاقِيَانَا أَفْرَغَا فِي إِزَانِهِ عَلَى قَلْصٍ بِالْمُقْفِرَاتِ حِيَامِ
تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ الْبَيْتِ

يصف قطعه القفار على إبله ، و « العسف » الأخذ على غير هدى ، والضمير إلى
الإبل ، و « المنهل » للورد ، و « المتخطأ » الذى تخطأه الناس فلم ينزلوه ، و « أفل »
أى لم يصبه المطر ، و « أقوى » خلا ، و « الجمام » جمع « جمّة » المكان الذى يجتمع
فيه ماؤه ، و « طوامى » مملوءة و « ساقيانا » أى اللذان يستقيان من البئر ، و « الإزاء »
مصب الماء في الحوض ، و « على قلس » صلة أفرغاً ، و « القلس » جمع « قلوص »
التياقة الشابة ، و « الحيام » جمع « حوم » القطيع الضخم من الإبل ، وبالْمُقْفِرَاتِ صفة
لقلس ، و « تداعين » أى دعا بعض القلس بعضاً ، و « الشيب » - كما قلنا - حكاية
أصوات مشافر الإبل عند الشرب ، والصوت : شيب شيب ، جعل هذا الصوت مما
يدعوهم إلى الشرب ، و « التثلم » أراد : في حوض متلم .

تَعْرِضُ لِلزُّوَارِ أَعْنَاقَ خَيْلِهِ
وَتَلْقَى نَوَاصِيهَا الْمَنَائِيَا مُشِيحَةً
تَعْرِضُ وَحَشِي خَائِفَاتٍ مِنَ الطَّرْدِ (١)
وَرُودَ قَطَا صُمِّ تَشَائِحِينَ فِي وِرْدِ (٢)

الراء - بلد بفارس ، يقيم فيه ابن العميد ، وخفف الراء للضرورة . يقول : رجونا أن ننال لديه من النعيم ما يرجو العباد نيله في جنة الخلد ، وذلك أنه محقق رجاء من يرجوه ، ومن ثم يرجو بيلده ما يرجو العباد في الجنان حتى كدنا لا نياس من الخلود فيها ، لأنها كالجنة التي هي دار الخلود .

(١) تعرض - بحذف إحدى التاءين - أي تعرض : أي توليهم عرضها : أي جانبها . والمعنى : تعرض عنهم وتزور . يقول : إن خيله تزور عن زواره خوفاً وتفراراً كما تفعل الوحش تخاف طرد الصائد ، وذلك لأنها تتوقع أن يهبها لهم ، وهي لا تبني مفارقتها . قال العسكري : ليس في هذا البيت حسن مدح . . . ولو عكس المعنى وقال : إن خيله تفرح بازوار - كي يهبها لهم لتستريح من الكد وملاقة الحروب - لكان أمدح . هذا : والطرد - بفتح الراء وسكونها - لفتان فصيحان .

(٢) الشيخ : المجد السريع الحذر . قال ابن الإطابة :

وإقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةً الْبَطْلِ الْمُسَيِّحِ
وشاح الرجل : جد في الأمر ؛ قال أبو ذؤيب الهذلي يرثي رجلاً من بني عمه ،
ويصف مواقفه في الحرب :

وَزَعَمَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا تَبَدَّدُوا سِرَاعاً وَلاَحَتْ أَوْجُهُ وَكُشُوحُ

بَدَرَتْ إِلَى أَوْلَاهُمْ فَسَبَقْتَهُمْ وَشَايَحْتِ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شَيْحُ

وقال ابن الأعرابي الإشاحة ، الحذر . وأنشد لأوس بن حجر

فِي حَيْثُ لا تَنْفَعُ الْإِشَاحَةُ مِنْ أَمْرٍ لَمَنْ قَدْ يَحْاوِلُ الْبِدَاعُ

« والإشاحة ؛ الحذر والخوف لمن حاول أن يدفع الموت ومحاولته دفعه بدعة »
قال : ولا يكون الحذر بغير جد مشيحا ، وأشاح بوجهه عن الشيء : نهأه وجد في الإعراض والورود والورد : إتيان الماء . يقول : وتلقى خيله المنايا في الحرب مجدة مسرعة إليها كما ترد القطا الماء مسرعة في الورد . وجعلها صمماً كي لا تسمع شيئاً تتشاغل به عن الطيران فيكون أسرع لها .

وَتَنْسَبُ أَفْعَالُ السُّيُوفِ نَفُوسَهَا إِلَيْهِ وَيَنْسَبُنَ السُّيُوفَ إِلَى الْهِنْدِ^(١)
 إِذَا الشَّرْقَاءُ الْبَيْضُ مَتُّوا بِقَتْوِهِ أَتَى نَسَبٌ أَعْلَى مِنَ الْأَبِ وَالْجَدِّ^(٢)

قال :

رِدِي رِدِي وَرَدَ قَطَاةٌ صَمًا كَدْرِيَةً أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا

والتواصي . جمع ناصية ، شعر مقدم الرأس ، وتشايعن : تسارعن . وقوله : ورود :

مفعول مطلق لتلقي .

(١) يقول : إن أفعال سيوفه تنسب نفوسها إليه : أي أنها حصلت بقوته وأيده ، وتنسب السيوف إلى الهند : أي أنها عملت فيها ، يعني أن ضربات سيوفه لجودتها دلت على أنها حصلت بكف المدوح ، ودلت أيضاً على أنها حصلت بسيف هندي ، أي أنه اجتمع فيها قوة الضارب وجودة النصل . فالضمير في نفوسها وفي ينسبن : عائد على الأفعال . وقال ابن جنى : أفعال السيوف أشرف من السيوف ، وأفعالها تشبه بأفعالها في مضامئ وحدته وتنسب السيوف إلى الهند : ألا ترى أنه يقال : سيف هندي وسيف يمان وفعل السيف أشرف منه ؟ لذلك أنت أشرف من الهند قال ابن فورجه : قد خلط ابن جنى حتى لا أدري أي أطراف كلامه أقرب إلى الحال ؟ ولم يجر ذكر التشبيه ، وإنما يقول : إنها تنسب أفعالها إليه : أي تقول هذه الضربة العظيمة من فعله لامن فعلنا ، وهذا كقوله : إِذَا ضَرَبْتَ بِالسَّيْفِ فِي الْحَرْبِ كَفَهُ تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ
 والمعنى أنها تنسب الفعل إلى كفه وتنسب السيوف إلى الهند . وهذا معنى لطيف ، يقول : إن ضربة السيف العظيمة تنسب نفسها إليه ، لأنها حصلت بقوته وتنسب السيف أيضاً إلى الهند ، لأنها دلت على جودة ضربته وعمله ، فالضربة قد دلت على قوة الضارب ودلت على جودة السيف ، وليس في هذا البيت أنه أشرف من الهند .

(٢) البيض ؛ السادة ، من قوله : فلان أبيض : أي نقي العرض كريم . وفلان يمت إلى فلان بكذا : يتقرب به إليه . والقتو : الخدمة ، وقيل : حسن خدمة الملوك ، والقتوى : الخادم ، والجمع : مقتوون ، قال عمرو بن كلثوم :

تَهْدِدُنَا وَتُوَعِدُنَا رُوَيْدًا مَتَى كُنَّا لِأَمْلِكِ مَقْتَوِينَا

يقول : إذا تقرب الأشراف إليه بخدمته حصل لهم نسب أعلى وأشرف من نسب الأب

والجد : أي أنهم يصيرون بخدمته ، أعز منهم بأبائهم وأمهاتهم .

فَتَى فَاتَتْ الْعُدْوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنُهُ فَمَا أَرْمَدَتْ أَجْفَانَهُ كَثْرَةُ الرَّمْدِ (١)
 وَخَافَهُمْ خَلْقًا وَخُلُقًا وَمَوْضِعًا فَقَدْ جَلَّ أَنْ يُعْدَى بِشَيْءٍ وَأَنْ يُعْدَى (٢)
 يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِي عَلَى الْعِدَى بِمَنْشُورَةِ الرِّيَاطِ مَنْشُورَةَ الْجُنْدِ (٣)
 إِذَا أَرْتَقَبُوا صُبْحًا رَأَوْا قَبْلَ ضَوْئِهِ
 كِتَابٍ لَا يَرِدُ الصَّبَاحُ كَمَا تَرَدَّى (٤)
 وَمِثْوَةٌ لَا تُتَقَى بِطَلِيقَةٍ وَلَا يُحْتَمَى مِنْهَا بِغُورٍ وَلَا بِجِدِّ (٥)

(١) و (٢) العدوى : أن يعدى الشيء الشيء فيصير مثله ؛ والرمد : جمع رمد وأرمد وهو المرض العين بالرمد . يقول : إن عينه فاتت العدوى فلم يعدها رمد غيرها . وهذا مثل ، يعنى : أنه نزه عن عمى الناس عن دقائق الكرم فلم يعده هذا العمى النفسى ؛ أى لم تعده عيوب الناس على كثرتها ، فهو بصير بالمكلام طيب بها والناس عمى عنها ، ثم قال — فى البيت الثانى : هو أجمل من سائر الناس خلقاً وأنبيل خلقاً ورتبة ، فهو أجل من أن يعديه الناس بشيء حتى يشاركونهم فى خلالهم ، ومن أن يعديهم هو ؛ لأنه شأم وفات طورهم إلى ماليس فى مكنتهم الوصول إليه من الأخلاق المالية النبيلة .

(٣) يقول : إنه يغير على أعدائه ألوان الليالى ، فإذا كانت مظلمة صيرها مشرقة منيرة بيريح أسلحة جيوشه التى هى منشورة الرايات — أى الأعلام — منصوره الجند ، وإذا كانت الليالى مقمرة جعلها مظلمة بسواد النقع — الغبار — وقال بعض الشراح : لكثرة عساكره إذا سارت بالليل أو قددت المشاعل ؛ إما للاستضاءة ، وإما لإحراق ديار الأعداء حينئذ تنجاب الظلمة .

(٤) الكتاب : جمع كتبية ، وهى الجماعة من الخيل ؛ وردى يردى : أسرع من ردت الخيل ردياً وردياناً : رجعت الأرض بمخايفها فى سيرها وعدوها . يقول : إن جيوشه إذا أتت الأعداء فى ديارهم قبل الصبح أسرعت إليهم إسرَاعاً لا يسرعه الصبح فأتت عليهم — أهلكتهم — قبل أن ينبثق ضوؤه .

(٥) وميثوثة : عطف على كتاب ، وهى الغارة التى تشن ؛ والغور : ما انخفض من الأرض ؛ والنجد : ما ارتفع .

يقول : ورأوا خيلاً متفرقة فى كل ناحية لا يستطيعون أن يتوقوها بالطلّاع — وهى التى ترسل لتستطلع طلع العدو — لأنهم لا يشعرون إلا وقد دهمتهم ، ولا أن يتحرزوا منها بمنخفض من الأرض أو مرتفع منها .

يَمْنُنَ إِذَا مَا عُدْنَ فِي مَتَقَادٍ مِنْ الْكُثْرِ غَانَ بِالْعَبِيدِ عَنِ الْحَشْدِ (١)
 حَتَّى كُلُّ أَرْضٍ تُرْبَةٌ فِي غُبَارِهِ فَهِنَّ عَلَيْهِ كَالطَّرَائِقِ فِي الْبُرْدِ (٢)
 فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ مِنْ بَانَ هَدِيَهُ قَهْذًا وَإِلَّا فَالْمَهْدِيُّ ذَا فَمَا الْمَهْدِيُّ (٣)
 يُمَلِّئُنَا هَذَا الزَّمَانُ بِذَا الْوَعْدِ وَيَخْدَعُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ مِنَ النَّقْدِ (٤)

(١) يمنن : أى خيله ، من العرس ، وقوله : فى متقاد ، أى فى جيش يفقد بعضه بضاً لكثرة واضطرابه ، كما قال الآخر :

• يجمع تفضلُ البلى فى حُجراته •

قوله : من الكثر ، أى لأجل كثرة . وغان : أى مستغن ، والحشد : الجمع ، يقول : إذا عادت سراياه أو خيله إلى مـكـره الذى بلغ من الكثرة وتراى الأطراف مبلغاً فقد فيه الشؤ فلا يوجد ، والذى استغنى بعبيد للمدوح عن أن يحشد إليه الثرباء - إذا عادت إليه سراياه أو خيله بعد تفرقها غاصت وبانت ضآلتها بالقياس إلى جمهرة للمسكر وتوافره وهذه الجيوش للكثرة كلها عبيد للمدوح ليسوا أو باشا أخلاطاً ، وروى بدل يمنن : يمنن - من غاض الماء : قص - يعنى أن هذه السرايا إذا تملألت فى سائر جيشه غابت فيه لكثرة كالماء إذا غاض فى الأرض

(٢) حث : أى ذرت وملت وأطارت ، وقوله : فى غباره ، أى غبار المسكر المتقاد ، وهن - أى الترب - جمع التربة ، والطرائق : الخطوط ، والبرد : الثوب المخطط ، يقول : إن جيشه - لبعده غزواته وكثرة أسفاره - يمر بأمكنة مختلف تراها فى غير قمع كل مكان فتختلف ألوان غباره حتى تصير تكطوط البرد : منها أسود ، ومنها أحمر ، ومنها أبيض ، ومنها أصفر ، وهذا معنى حسن ،

(٣) المهدي : هو الذى يظهر آخر الزمان ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً كما هو معروف لدى المسلمين على خلاف فى ذلك - كما هو مبسوط فى مقدمة ابن خلدون ، فراجعها إن شئت - يقول : إن كان المهدي الموعود هو من ظهر سمته وصلاحه وهدهداه : فهذا الذى نراه - أى للمدوح - هو المهدي الموعود ، وإن لم يكن هو الموعود فالذى نراه - من تقواه وحسن سيرته - هو المهدي كله ، فما معنى المهدي بعد هذا ؟

(٤) يملئنا أى يلهينا ويشاغتنا ، والنقد : خلاف الوعد : أى التمدد الحاضر ، يقول : إن الزمان يمدنا خروج المهدي فيملئنا بوعده طويل ويخدعنا عما عنده من النقد بالوعد ، يريد : أن للمدوح هو المهدي قدماً حاضراً ، وانتظار ظهوره خداع وتعليل .

هَلْ انْتَحِرُ شَيْءًا لَيْسَ بِانْتَحِرِ غَائِبٌ أَمْ الرَّشْدُ شَيْءٌ غَائِبٌ لَيْسَ بِالرَّشْدِ (١)
 الْأَحْزَمَ ذِي لُبٍّ وَأَكْرَمَ ذِي يَدٍ وَأَشْجَعَ ذِي قَلْبٍ وَأَرْحَمَ ذِي كَيْدٍ (٢)
 وَأَحْسَنَ مُعْتَمِرٍ جُلُوسًا وَرَكْبَةً عَلَى الْمَنْبَرِ الْعَالِيِ أَوْ الْفَرَسِ النَّهْدِ (٣)
 تَفَضَّلْتَ الْأَيَّامُ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا فَلَمَّا حَمَدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ (٤)
 جَمَلْنَا وَدَاعَى وَاحِدًا لِثَلَاثَةٍ جَمَالِكَ وَالْعِلْمَ الْمُبْرَحَ وَالْعَجْدِ (٥)

(١) الاستهتام هنا : إنكارى . وأم : بمعنى بل ، التى للاضراب . يقول : لا ينبغي أن يظن أن الخير والرشد المنتظرين من المهدي هما شيء آخر غير الخير والرشد الحاضرين لأن الشيء لا يغير نفسه ، وإذن : فالخير والرشد ماثلان فى المدوح ، وما ينتظر من المهدي مائل فيه ، فلم لا يكون هو المهدي ؟ .

(٢) و (٣) أحزم : نصب ، على أنه منادى مضاف ، وهو أفضل تفضيل ، وكذلك ما بعده ؛ والحزم : سداد الرأي ؛ واللُب : العقل . وجالوساً : تمييز . والركبة : هيئة الركوب . يقول : يا أحزم ذوى العقل وأكرم ذوى الأيدى - النعم - وأشجع الشجعان وأرحم الراحمين وأحسن من نعمم - لبس العمامة - وجلس على المنبر ، وأحسن الناس ركوباً على الفرس النهدي - الجسم الحسن العالى - فقوله على المنبر العالى الخ : من باب الطي والنشر . وقال ابن جنى : شبه ارتفاع مجلسه بالمنبر ، ولم يكن ذا منبر ولا خطيباً فى الحقيقة قال ابن فورجه : ظن ابن جنى أن الخطبة عيب بالمدوح ، وما ضر ابن العميد أن يدعى له للتنبى أنه يصعد المنبر ويخطب قومه كالحليفة فى الناس ؟ !

(٤) يقول : حمدنا الأيام على أن جمعت بيننا فلم تدم لنا ذلك الحمد ، لأنها أحوجت إلى الرحيل والانصراف عنك ، ففعلول حمدنا : محذوف ، تقديره حمدناها ، أو حمدنا الأيام ، وقوله : بالجمع بيننا ، تعظيم لنفسه ، لأن معناه أن ابن العميد كان يحب الاجتماع معه ، كما كان التنبى يحب ذلك . وكذلك قوله : حمدنا ، إذ جعل الحمد منهما ، فهو بذلك يعظم من حال نفسه .

(٥) يقول : إن الأيام جعلت وداعى لك وداعا لثلاثة أشياء : هى جمالك والعلم المبرح والمجد ، وكل واحد منها يعز على فراقه . هذا ؛ ولم يصف أحد العلم بأنه مبرح غير أبى الطيب ، إنما يستعمل التبريح فيما يشتد على الإنسان يقال : وجد مبرح مثلاً ، فلعله من قولهم برح الخفاء : أى انكشف ؛ أى العلم الذى يكشف عن الحقائق . أو تقول : العلم المبرح فراقى إياه .

وَقَدْ كُنْتُ أُدْرِكُ الْمَنَى غَيْرَ أَنِّي يُعَيِّرُنِي أَهْلِي بِإِذْرَاكِهَا وَحَدِيثِي^(١)
وَكُلُّ شَرِيكِ فِي الشَّرُورِ بِمُصْبِحِي
أَرَى بَعْدَهُ مَنْ لَا يَرَى مِثْلَهُ بَعْدِي^(٢)
فَجَذُّ لِي بِقَلْبٍ إِنْ رَحَلْتُ فَأَتَيْتِي مُخَلِّفٌ قَلْبِي عِنْدَ مَنْ فَضَّلَهُ عِنْدِي^(٣)
وَلَوْ فَارَقْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ حَيَاتَهَا لَقُلْتُ أَصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ^(٤)

(١) المنى ؛ جمع منية ، وهي الشيء الذي تتحناه . يقول ؛ إنني أدركت عندك من المنى والسعادة ونيل المراد ما كنت آتياه ، ولكن إذا انقردت به واستأزرت دون أهلي ولم أرجع إليهم ، عيروني بتلك الأثرة والأناية .

(٢) قوله بمصبحي : متعلق بالسرور ، وهو مصدر بمعنى الإصباح . والضمير في قوله بعده وفي يري : راجع لسكل ؛ وفي مثله : راجع لمن - من قوله من لا يري . يقول : كل من شاركني في السرور بإصباحي عنده حين أعود إليه من أهلي وغيرهم ورأى ما أوتيته ، أرى منك اليوم يا ابن العميد جد مفارقتي إياه إنسانا لا يري هو مثله ، لأنه لا نظير لك في الدنيا ؛ يعني أنه مع سروره بالعودة إلى أهله وغير أهله وسرورهم به فإنه مع هذا السرور لا يزال منتصاً لفراق ابن العميد ، لأنه لا يري عندهم بعد عودته إليهم رجلاً آخر مثله .

(٣) يقول : إنني أفارقك وأرتحل عنك وأخلف قلبي لديك لأنك أغدقت علي أفضالك فأسرت قلبي . وهذا معنى متداول .

(٤) يقول : لو فارقت نفسي حياتها إليك وآثرت البقاء لديك على الحياة معي لقلت إنها أصابت فيما فعلت ولم أنسبها إلى سوء العهد ، لأنك أربها مني .

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع ويذكر هزيمة وهشودان :

أزأرُ يا خيالُ أم عائدُ أم عند مولاك أنني راقِدُ^(١)
 ليس كما ظن غشية عرَضتُ فجئتني في خالها قاصِدُ^(٢)
 عُدْ وأعدّها فخبذاً تلفُ ألصقَ تذيبي بنديك التأهَدُ^(٣)
 وجُدتَ فيه بما يشعُ به من الشنيتِ المؤشِّرِ البارِدُ^(٤)
 إذا خيالاته أظفَنَ بنا أضحكهُ أنني لما حامِدُ^(٥)

(١) يقول - مخاطباً خيال المحبوب - : أزأراً جئتني أيها الخيال أم عائداً ؟ أي أنى مريض من الحب فأنا خالق منك بالعبادة ، ثم قال : أم عند مولاك - أي صاحبك ، وهو الحبيب - الذى أرسلك إلى - أنى راقد ؟ أي أم اعتقد مولاك أنى راقد فأرسلك إلى على هذا الاعتقاد ؟ .

(٢) قاصد : حال ، سكنه للضرورة ، واسم ليس : ضمير الشأن ؛ وغشية عرضت : جملة مستأنفة . يقول : ليس الأمر على ما ظن من أنى راقد حين زرتنى ، وإنما هى غشية - أي همة لارقدة - أدركتني من الألم ، فجئتني فى خلال تلك الغشية . يريد أنه لم يكن نائماً ، وإنما يزور الخيال النائم .

(٣) التأهد : الشاخص . يقول : عد أيها الخيال ثانية وأعد الغشية التى لحقتنى وإن كان فيها تلفى ، فخبذاً تلف يكون سبباً لقربك ومعاقبتك . قال الواحدى : وكان من حقه أن يقول للغشية : عودى وأعيدى الخيال ، لأن الغشية كانت سبب زيارة الخيال ، لا الخيال سبب لحاق الغشية ؛ ولكنه قلب الكلام فى غير موضع القلب . وهذا بديع من الواحدى

(٤) جدت فيه : عطف على البيت السابق والضمير : للتلف ؛ وشرشيت : مفرق مفلج ، والمؤشِّر : الذى فيه أشر : أى تحزير . يقول : وخبذاً هذا التلف الذى جدت فيه بما يرض به مولاك من تقبيل الثغر المفلج المحرز البارداريق ، يريد أنه قبل الطيف وارتشف رضابه .

(٥) يقول : إذا ألمت بنا خيالات الحبيب وزارتنا فحمت زيارتها : أضحك الحبيب ذلك الحمد ، لأن الخيال فى الحقيقة ليس بشيء « هذا » والخيالات يجوز أن يكون جمع خيالة ؛ قال أبو تمام :

وَقَالَ إِنْ كَانَ قَدْ قَضَىٰ أَرْبَا مِثًا فَمَا بَالُ شَوْقِهِ زَائِدًا^(١)
 لَا أَحْجَدُ الْفَضْلَ رُبَّمَا فَعَلْتُ مَا لَمْ يَكُنْ فَاعِلًا وَلَا وَاَعِدُ^(٢)
 لَا تَعْرِفُ الْعَيْنُ فَرَقَ بَيْنَهُمَا كُلُّ خِيَالٍ وَصَالُهُ نَافِدُ^(٣)
 يَا طِفْلَةَ الْكَفِّ عِبَلَةَ السَّاعِدِ عَلَى الْبَعِيرِ الْمُقَلَّدِ الْوَاحِدِ^(٤)

فلست بنازل إلا ألتت برحلي أو خيالتها الكذوب^(١)
 ويجوز أن يكون جمع خيال كجواب وجوابات ، والخيال والخيالة : ماتشه لك في
 في اليقظة والحلم من صورة ، أو الشخص والطيف .
 (١) الأرب : الحاجة . يقول : وقال الحبيب : إذا كان قد أدرك حاجته منا بزيارة
 الخيال فلم زاد شوقه إلينا ؟ وسكن « زائد » للقافية .
 (٢) يقول : وعلى هذا لأجحد فضل الخيالات ، لأنها فعلت من الزيارة ما لم يفعله
 الحبيب ، ولم يعد به ، فضلا أن يفعله .
 (٣) نافد : أى فان ذاهب ؛ قال الأسود بن يعفر الأيادي :

وَأَرَى النَّعِيمَ وَكُلُّ مَا يُلَهِّي بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَتَفَادٍ
 يقول : إنه لافراق بين الحبيب وبين خياله ، لأن كلا منهما لا يدوم وصاله ، إذا
 واصل لا يعم أن يصرم فلا يبقى إلا خيالا : وقال ابن جنى : لافرق بينها وبين خيالها ؛
 لأن كل شيء إلى تمام ما خلا الله وحده . . . قال ابن فورجه - وما أمر تده - : هذه
 موعظة وتذكرة ، وإنما يقول : هذه المرأة لو واصلت لم يدم الوصال ، كما أن خيالها
 إذا وصل لم يدم ؛ وأما قوله كل خيال : فهو الذى غلط أبا الفتح وكلفه أن يورده ما أورده ،
 وإنما بكل : كلا من اللذكورين ، كما تقول : خرج زيد وعمرو وكل راكب ؛ والكل
 يستعمل فى الاثنين كما يستعمل فى الجمع ؛ ولما قال : لاتعرف العين فرق بينهما : علم أنه يشير بالكل
 إليهما ، لا إلى جماعة غيرهما ، وأبو الطيب فى غزل وتشبيب ؛ فما معنى الموعظة هنا؟ ويقول
 كل شيء فان إلا الله ؟ وما أقبح ذكر الموت والمواعظ فى الغزل والتشبيب « هذا » وقوله
 فرق بينهما أراد لاتعرف العين فرقا بينهما . فأضاف على سلع بين عن الظرفية .
 (٤) يخاطب حبيته . والطفلة : الناعمة الرخصة . والعبلة : الممتلئة . والبعير المقلد

(١) وقيل : إنما أنت على إرادة المرأة .

زَيْدِي أَدَى مُهَجَّتِي أَزْدِكِ هَوَى فَأَجْهَلُ النَّاسِ عَاشِقٌ حَاقِدٌ^(١)
 حَكَيْتَ يَا لَيْلُ فَرَعَهَا الْوَارِدُ فَأَحْكِ نَوَاهَا لِحَفْنِي السَّاهِدُ^(٢)
 طَالَ بُكَائِي عَلَى تَذَكُّرِهَا وَصَلَتْ حَتَّى كَلَّا كَمَا وَاحِدٌ^(٣)
 مَا بَالُ هَذِي النُّجُومِ حَائِرَةٌ كَأَنَّهَا الْعُمَى مَا لَهَا قَائِدٌ^(٤)
 أَوْ عُصْبَةٌ مِنْ مُلُوكِ نَاحِيَةٍ أَبُو شُجَاعٍ عَلَيْهِمْ وَاجِدٌ^(٥)

أى الذى عليه فلائد : أى من العهن - الصوف - والواحد : أى المسرع فى السير :
 والبيت مصرع ، قال العكبرى : وهذا البيت ردىء لوقيل فى زماننا لهرب قائله من الحياء
 (١) يقول : إن أذاك مستحلى - لأن الحبيب يحلولى منه كل شئ . يصدر عنه ،
 قال : زيدى أذى أزدك هوى وحباً لأن العاشق لا يحقد على محبوبه ، فإن حقد عليه
 شيئاً كان ذلك منه جهلاً وعدم معرفة بمقامات الهوى .

(٢) حكيت أشبهت ، أو مثلت ، والفرع : الشعر ؛ والوارد من الشعر : الطويل
 المترسل . والنوى : البعد . والساهد : الساهر . يقول : أشبهت بالليل شعرها فى السواد
 فأشبه بعدها عنى : أى ابعد عنى كما بعدت ولا تطل على .

(٣) يقول : طال بكأى لأجلها وطلت - أيها الليل - حتى كلاً كما واحد فى الطول
 وروى ابن جنى تذكرة : أى الفرع .

(٤) حائرة : حال . وقوله : ما لها قائد : حال من العمى . يقول : لم حارت النجوم
 فلا تسرى لتغيب كأنها العمى ليس لها من يقودها ؟ يريد : طول الليل وأن النجوم كأنها
 واقفة . وهذا من قول بشار :

وَالنَّجْمُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ أَعْمَى تَحْيِرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدٌ

(٥) أو عصبة : عطف على العمى . وواجد : غضبان . يقول : أو كأنها جماعة من
 ملوك النواحي قد غضب عليهم أبو شجاع فبقوا حيارى رهبة وفرقا . وفى هذا البيت من
 البديع حسن التخلص « هذا » ولعل الناظر فى ديواننا يلحظ أننا اتبعنا فى مثل عليهم
 قراءة أبى عمرو بن العلاء أن نكسر اليم لا اتباع كسرة الهاء ، وإن كان الأكثرون
 على ضمها : وفى ذلك يقول علماؤنا : إذا تحركت اليم عند التقاء الساكنين تحرك بالضم
 والكسر ، والضم أولى من الكسر ، والكسر لا اتباع كسرة الهاء : وقد قرأ القراء

إِنَّ هَرَبُوا أَدْرَكُوا وَإِنْ وَقَفُوا خَشُوا ذَهَابَ الطَّرِيفِ وَالتَّالِدِ^(١)
 فَهَمُّ يَرْجُونَ عَفْوَ مُقْتَدِرٍ مُبَارَكِ الْوَجْهِ جَائِدٍ مَاجِدِ^(٢)
 أَبْلَجَ لَوْ عَادَتِ الْحَمَامُ بِهِ مَا خَشِيَتْ رَامِيًا وَلَا صَائِدِ^(٣)
 أَوْ رَعَتِ الْوَحْشَ وَهِيَ تَذْكُرُهُ مَا رَاعَهَا حَابِلٌ وَلَا طَارِدِ^(٤)
 تُهْدِي لَهُ كُلُّ سَاعَةٍ خَيْرًا عَنِ جَحْفَلٍ تَحْتِ سَيْفِهِ بَائِدِ^(٥)
 وَمَوْضِعًا فِي فِتَانٍ نَاجِيَةٍ يَحْمِلُ فِي التَّاجِ هَامَةَ الْمَاقِدِ^(٦)

السته - سوى أبي عمرو - « عليهم الذلة » بضم الميم ، وما أشبهه حيث وقع :
وكسره أبو عمرو .

(١) الطريف : المكتسب : والتالد : اللوروث : يقول : - ذاكر آسبب تخرمهم :
إنهم لا يجدون منه ملجأ لا بالهرب - لأنهم لو هربوا أدركهم وأوقع بهم - ولا بالإقامة -
لأنهم لو أقاموا خشوا أن يغير عليهم فلا يبقى على شيء .
(٢) يقول : إن هؤلاء ملوك النواحي يرجون عفو هذا الملك للبارك ذى
الجود والمجد .

(٣) و (٤) الأبلج الشرق الوجه وعادت لجأت ، وراعها ، أفزعها والحابل ،
الذى ينصب الحباله ، وهى الشرك ، يقول : إنه عزيز الجانب مهيب ، من لجأ إليه أو
استأمن بذكره ، أمن حق الطير والوحش .
(٥) كل ساعة ، فاعل تهدى ، والجحفل : الجبش ، والبائد : الهالك ، يقول :
لا تمر ساعة إلا وتهدى إليه خبراً عن جيش من جيوش أعدائه قد هلك تحت سيفه
يعنى تتابع أخبار فتوحه لكثرة سراياه إلى النواحي .

(٦) وموضعا ، عطف على خبرا - فى البيت السابق - والموضع ، السرع فى سيره ؛
والفتان ، غشاء للرحل من آدم ؛ والناجية : الناقة السريعة ؛ والهامة : الرأس ؛ والماقد
عاقد التاج ، يقول : وتهدى له كل ساعة رسولا مسرعا فى رحل ناقة خفيفة يبشره
بقتل عدو وفتح ناحية ، وأخذ ملك ذى تاج يحمل إليه رأسه وتاجه ، وكان قد ورد
الخبر على عضد الدولة بهزيمة وهشودان بعد الكرة الأولى وضربت الدبادب . على باب
عضد الدولة ، وهذا ما يشير إليه التنبئ .

(*) الدبادب ؛ الطبول ؛ وأصل الدبدبة ؛ الصياح والجلبة .

يَا عَضُدًا رَبُّهُ بِهِ الْعَاضِدُ وَسَارِيًا يَبِيعُ الْقَطْعُ الْمَاجِدُ^(١)
وَمُمْطِرَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ مِمَّا وَأَنْتَ لَا بَارِقُ وَلَا رَاعِدُ^(٢)
نَلْتِ وَمَا نَلْتِ مِنْ مَضْرَعَةٍ وَهَشُودَانَ مَا نَالَ رَأْيُهُ الْفَاسِدُ^(٣)
يَبِيدُ مِنْ كَيْدِهِ بِفَيْتِهِ ،
وَأَمَّا الْحَرْبُ غَايَةُ الْكَائِدِ^(٤)

(١) العاضد : المعين ؛ وبه : صلة العاضد ، والباء للاستعانة ، والساري ، السائر ليلًا ، ويبعث : يثير ، والمجاهد ، النائم . أى يعاضد الدولة التى يعضدها الله سبحانه به ، ثم قال : ويامن تسرى فتقطع الصحارى بجيوشك فتشير القطا عن أفاحيصها وهى نائمة ، يريد كثرة غاراته وسيره إلى الأعداء ليلًا .

(٢) يقال ، برقت السماء ورعدت ، وأبرقت وأرعدت . أنت تمطر الموت على أعدائك بالقتل وتحيي أوليائك بالبذل والإحسان ، فكأنك سبحانه يمطر الموت والحياة ، غير أنه لا برق لك ولا رعد ، يعنى أنك تفعل ذلك على غير احتقال ولا استعداد .

(٣) وهشودان ؛ هو ملك الديلم ، ويقال نال من عدوه ؛ إذا أنزل به كيد ، وقوله من مضرة ؛ صلة أحد الفعلين على التنازع ، وقوله ما نال مفعول نلت الثانى ، يضعف رأى وهشودان بأنه جنى على نفسه الشر بمحاربة ركن الدولة ، يقول : نلت من وهشودان وألحقت به المضرة ما أردت ، وما بلغت من مضرته ما يبلغ رأيه ؛ يعنى أن فساد رأيه كان أبلغ فى مضرته من قتالك له ، وهذا من قبيل قوله ؛

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ
وقد ذكر فساد رأيه فى البيت التالى .

(٤) الضمير فى غايته ؛ للكيد ؛ والغاية النهى ؛ والكائد ؛ صاحب الكيد ، وأراد بغاية الكيد ؛ الحرب ، كما بين ذلك فى عجز البيت . يقول ؛ إنه بادر إلى محاربتكم من أول وهلة فابتدأ الكيد من آخره ، لأن الحرب لا يلجأ إليها إلا إذا لم تجد الوسائل ؛ يعنى أنه كان الأحزم له أن لا يحاربكم إلا إذا اضطر إلى المحاربة .

(*) خلافاً للأصمى فإنه لا يميز أبرقت وأرعدت .

مَاذَا عَلَيَّ مِنْ أَتَى يُحَارِبُكُمْ فَدَمَّ مَا اخْتَارَ لَوْ أَتَى وَافِدًا^(١)
 بِلَا سِلَاحٍ سِوَى رَجَائِكُمْ
 فَفَازَ بِالنَّصْرِ ، وَأَنْتَنَى رَاشِدًا^(٢)
 يُقَارِعُ الدَّهْرَ مَنْ يُقَارِعُكُمْ عَلَى مَكَانِ الْمَسُودِ وَالسَّائِدِ^(٣)
 وَلَيْتَ يَوْمِي فَنَاءَ عَسْكَرِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ دَانِيًا وَلَا شَاهِدًا^(٤)
 وَلَمْ يَنْبِ غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدَهُ الصَّاعِدِ^(٥)
 وَكُلُّ خَطِيئَةٍ مُتَقَفَّةٍ يَهْرُهَا مَارِدٌ عَلَى مَارِدِ^(٦)

(١) و (٢) ذم ؛ عطف على أتى ، والوافد ؛ الذى ينفذ طلبا للعطاء وأراد وافدا بالنصب ولكنه وقف عليه بالإسكان ضرورة ؛ وبلا سلاح ؛ متعلق بأتى يقول ؛ الذى أتاكم محاربا ثم ذم ما اختاره من حربكم لإخفاقه ماذا كان عليه لو جاءكم سائلا واستعان عليكم بالرجاء بدل السلاح ؛ إنه لو فعل ذلك لفاز ورجع غائما راشدا .

(٣) يقارع ؛ يحارب ، من المقارعة بالسلاح ، والمسود ؛ الذى ساد غيره ، والسائد الذى ساد غيره ، يقول ؛ من يحاربكم ويتمرد عليكم يحاربه الدهر على مقداره رئيسا كان أو مرءوسا ، وفى هذا المعنى نظر إلى قول محمد بن وهيب - قال العكبرى ؛ كتبت جارية إلى مولأها - وقد باعها ، وكانت تهواه ؛ وهب الله لطرف يشكو إليك الشوق حضا من رؤيتك ، فما أشبه إبعاد الدهر لى عنك إلا بقول محمد بن وهيب ؛

وَحَارَبَنِي فِيهِ رَبُّ الزَّمَانِ كَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقٌ

(٤) وليت ؛ تولى ؛ والدانى ؛ القريب ؛ والشاهد ؛ الحاضر ، يقول ؛ تولى فناء عسكر وهشودان فى اليومين اللذين انهزم فيهما ، وأنت لم تحضر القتال فى الموقعتين بنفسك ولم تكن قريبا منهما ؛ يعنى أنه كتب لك النصر فيهما وإن كنت غائبا ، لأن سعدك ناب عنك فى قتالهم ؛ كما قال فى البيت التالى . وعجابه الواحدى ؛ يريد اليومين اللذين هزم فيهما أبوه وهشودان ، ولم يكن عضد الدولة فيهما ، بل كان أبوه هو الذى هزمه ؛ يريد أن من هزمه جيش أيك فقد هزمته أنت .

(٥) يقول ؛ وإن لم تحضر القتال فقد كان لك فيه خليفتان ؛ جيش أيك ، وحظك الصاعد فى مراتق السعد ، فكأنك لم تنب ، لأنه إذا حصل النصر بهذين فكأنه حصل بك (٦) وكل ؛ عطف على جيش - فى البيت السابق - والحطية المتقفة ؛ الرماح المقومة

سَوَافِكُ مَا يَدْعَنُ فَاصِلةً بَيْنَ طَرِيٍّ الدِّمَاءِ وَالْجَاسِدِ^(١)
 إِذَا النَّايَا بَدَتْ فَدَعَوْتَهَا أُبْدِلَ نُونًا بَدَلَهُ الْحَائِدُ^(٢)
 إِذَا دَرَى الْحِصْنَ مِنْ رَمَاهُ يَهَا
 خَرَّ لَهَا فِي أُسَاسِهِ سَاجِدٌ^(٣)
 مَا كَانَتْ الطَّرْمُ فِي عَجَاجَتِهَا إِلَّا بَعِيداً أَضَلَّهُ نَاشِدٌ^(٤)
 تَسْأَلُ أَهْلَ الْقِلَاعِ عَنْ مَلِكٍ قَدْ مَسَخَتْهُ نَعَامَةٌ شَارِدٌ^(٥)

المستوية . والمارد ؛ الذي لا يطاق خبثا وعتوا . يقول ؛ وكان خليفتك في القتال الرماح القومة يهزها رجل مارد على فرس مارد أو على رجل مارد مثله ؛ قال العكبري ؛ وهو أبلغ إذا لقي الشجاع شجاعا مثله ، وهذا تفصيل بهد إجمال ، لأن هؤلاء كانوا من جيش أبيه وقد ذكروهم .

(١) سوافك ؛ خبر مبتدأ محذوف تقديره ؛ هي - الخطية - سوافك الخ . والجاسد ؛ اللازق الذي قد جف . يقول ؛ هذه الرماح سوافك إذا أراقت دما نجف أردفته دما طريا دون أن تفصل بينهما . قفوله: ما يدعن فاصلة ؛ أي من غير فصل بينهما ؛ وقال ابن جنى ؛ أي ما يدعن بضعة أو مفصلا إلا أسلته دما . وهذا معنى بعيد .

(٢) الحائد ؛ نائب فاعل أبدل ؛ وجملة أبدل الخ ؛ خبر دعوتها . يقول ؛ إذا ظهرت الناياء وكشرت عن نايها عند اشتباك الجيوش دعت بأن يصير الحائد - الذي على الحيات وخام عن القتال - من جيش عضد الدولة - حائنا ؛ أي هالكا ؛ والمعنى ؛ أن عسكر عضد الدولة يقولون لدى الوغى ؛ جعل الله الحائد منا هالكا .

(٣) الضمير في بها ولها ؛ للخيل ، وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرآن . يقول ؛ إذا علم حصن العدو أن عضد الدولة هو الذي رماه بالخيل سقط ساجدا وانقضت حيطانه لها هية له .

(٤) الطرم ؛ قلاع وهشودان . والعجاجة ؛ واحدة العجاج ؛ القبار ؛ وفلان ينشد صالته ؛ يطلها . يقول ؛ إن الطرم كانت في غبار الخيل كأنها بعبير أضله طالبه ، فهو ينشده ؛ أي أن العجاج أحاط بها لكثرت حتى غابت فيه وخفيت عن الأنظار .

(٥) تسأل ؛ أي الطرم - قلاع وهشودان - أو الخيل ، يقول ؛ تسأل الطرم أهل القلاع عن وهشودان ، وقد مسخته الخيل نعامة شرودا ؛ يعني أنه أسرع في اعرب

تُسَوِّحُ الْأَرْضُ أَنْ تَقْرَبَهُ
فَكُلَّمَا مُنْكَرٌ لَهُ جَاحِدٌ^(١)
فَلَا مُشَادٌ وَلَا مُشِيدٌ حَىٰ وَلَا مَشِيدٌ أَغْنَىٰ وَلَا شَائِدٌ^(٢)
فَأَغْتَضَ بِقَوْمٍ وَهَشُودٌ مَا خُلِقُوا إِلَّا لِنَيْظِ الْعَدُوِّ وَالْحَاسِدِ^(٣)
رَأُوكَ لَمَّا بَلَوكَ نَابِتَةٌ يَا كُلَّمَا قَبْلَ أَهْلِهِ الرَّائِدِ^(٤)
وَحَلَّ زِيًّا لِمَنْ يَحْقُقُهُ مَا كُلُّ دَامٍ جَبِينُهُ عَابِدٌ^(٥)

كالنعامة عند إقبال خيلك خوفا ورعبا ، والعرب تصف النعامة بشدة النور والسرود ، والنعامة ، تقع على الذكر والأنثى ، كالبقرة والبطة والحمامة ، ومن ثم وصفها بالشارد ، (١) يقول ، تخاف الأرض أن تقربه ، أى تصرف بموضعه منها فقطأها خيلك ، فكل موضع ينكره ويجهده أنه رآه ، يريد شدة إمعانه في الحرب وتواريه حتى لا يهتدى أحد إلى مكانه ، وقد روى بدل منكر ، أنه - بالمد وكسر النون - يقال أنه بأنه أنها وأنوها ، إذا ترحم من ثقل يجده .

(٢) للشاد ، البناء المرفوع المطول ، والمشيد المثل للبناء ، وحى ، يروى على أنه فعل ماض ، ويروى مضافا لمشيد ، فيكون اسما للسكان المحمي ، والمشيد ، للمثل بالمشيد ، وهو الجحش أو الكلس ، والشائد ، فاعل منه ، يقول : لم يحم وهشودان البناء ولا البانى من بطش عضد الدولة ، أى لم تمن عنه قلمته ولا جنده ، (٣) وهشود : ترخيم وهشودان . يقول : كن أبدأ مغتاضاً قوم لم يخلقوا إلا غيظاً للأعداء والحساد . يعنى قوم عضد الدولة .

(٤) بلوك . أى اختبروك . ونابطة مفعول ثان لرأوك ، والرائد : الذى يرسل فى طلب الكلاء ، يقول : إن هؤلاء القوم اختبروك فرأوك من الضعف والقلّة بمنزلة نبات يرعاه الرائد قبل أهله . يعنى أن طلائع ركن الدولة تولت حرب وهشودان والظفر به وحدها دون أن يكون فيها ركن الدولة ولا عضد الدولة ، لانها رأته من الضعف بحيث لا يستأهل مسير أحدهما . فالضمير فى أهله : للرائد .

(٥) وحل : عطف على اغتظ ؛ وجبينه فاعل دام . يقول : إن زى الملوكة لا يليق بك فاتركه لمن هو أحق به منك ، فليس كل من تزى بزى الملوك ملوكا ، كما أنه ليس كل من دى جبينه يكون ذلك من كثرة العبادة والسجود

(١) إِنْ كَانَ لَمْ يَمِدِ الْأَمِيرُ لِمَا لَقِيتَ مِنْهُ فَيَمْنُهُ عَامِدٌ
 يُقَلِّقُهُ الصُّبْحُ لَا يَرَى مَعَهُ بَشْرَى بَفَتْحٍ كَأَنَّهُ فَاقِدٌ (٢)
 وَالْأَمْرُ لِلَّهِ رَبِّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدٌ (٣)
 وَمَتَّقِ وَالسَّهَامُ مُرْسَلَةٌ يَحِيدُ عَنْ حَابِضٍ إِلَى صَارِدٍ (٤)
 فَلَا يُبَيِّلُ قَاتِلٌ أَعَادِيَهُ أَقَاتِمَا نَالَ ذَاكَ أَمٌ . قَاعِدٌ (٥)
 لَيْتَ ثَنَائِي الَّذِي أَصُوغُ فِدَى مَنْ صَيِّغَ فِيهِ فَإِنَّهُ خَالِدٌ (٦)

(١) يعمد يقصد واليمن : السعد . يقول : إن كان الأمير لم يقصدك بنفسه ليحل بك ما لقيت منه فإن يمنه قصدك : أى فأنت قتيل سعيده وإقباله إن لم تكن قتيل سلاحه .
 (٢) يقول : إذا أصبح ولم يرد عليه من يبشره بفتح قلق كأنه فقد شيئا ، وقال ابن جنى : معنى كأنه فاقد ، أى كأنه امرأة فقدت ولدها . قال ابن فورجه : مثل عضد الدولة لا يشبه بامرأة في حال من الأحوال . وليس إذا كان يقال للمرأة الشكلى : فاقد يمتنع أن يسمى الرجل فاقدًا . وقوله : لا يرى معه . جملة حالية من الصبح .

(٣) يقول : ليس من شريطة الاجتهاد نيل المراد ، فقد يجيب الجاهد وينال مراده القاعد . يريد أنه ما أهلكه إلا اجتهاده في طلب الملك بتعرضه لهؤلاء القوم ، فصار اجتهاده سبب فشله وخيبته ، لأن الأمر لله ، لا للمجتهد ، قال عبد الله بن المعتز : تذل الأشياء للتقدير ، حتى يصير الهلاك في التدبير .

(٤) ومتق ؛ عطف على مجتهد ؛ والحابض ؛ خلاف الصارد ؛ يقال حبض السهم ؛ إذا وقع بين يدي الرامي لضعف الرمي ، والصارد ؛ السهم النافذ في الرمية والبيت في معنى الذى سبقه يقول : ورب متق خائف على نفسه من السهام إذا رميت فيهرب من سهم لا ينفذ إلى سهم ينفذ فيه فيكون فيه هلاكه

(٥) يقول ؛ من قتل عدوه فلا يبالي ، أقتله فأتما أم قاعدا ، يعنى أنه مادام الغرض هو قتل العدو ، فإذا كفيته بغيرك وأنت قاعد فليس ذلك بذى بال ؛ أى ليس بهم أن تقتله بنفسك قال الواحدى ؛ كان حقه أن يقول لا يبالي - بحذف الياء الأخيرة - للجزم ، ولكنه قاس على قولهم ؛ لا تبلى ، بمعنى لا تبالي ، وإنما جاز ذلك لكثرة الاستعمال ، ولم يكثر استعمالهم «لا يبلى» ، فيجوز فيه ما جاز في غيره .

(٦) يقول : إن هذا الشعر الذى أصوغه في الثناء على المدوح هو باق مخلد في

لَوَيْتُهُ دُمْلَجًا عَلَى عَضِدٍ لِدَوْلَةٍ رُكْنَهَا لَهُ وَالِدٌ^(١)

وقال في صباه :

وَشَادِنِ رُوحٌ مِّنْ يَهْوَاهُ فِي يَدِهِ

سَيْفُ الصَّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلِّدِهِ^(٢)

مَا أَهْتَزَّ مِنْهُ عَلَى عَضْوٍ لِيَبْتَرَهُ إِلَّا أَتَقَاهُ بِتُرْسٍ مِّنْ تَجَلِّدِهِ^(٣)

ذَمَّ الزَّمَانَ إِلَيْهِ مِمَّنْ أَحَبَّتْهُ مَا ذَمَّ مِّنْ بَدْرِهِ فِي حَمْدِ أَحْمَدِهِ^(٤)

الكتب ، فليته فدى الذى عمل فيه — أى المدوح — حتى لا يهلك ويبقى خالدًا .

(١) الدمليج : ما يلبس من الخلى فى العضد . يقول : جعلت ١٠ . أى حلية له كما يحلى العضد بالدمليج . وهو عضد لدولة ركن تلك الدولة والد له : أى أنها ملاك الدولة وقوامها ، فهو عضدها وأبوه ركنها . وسمى شعره دملجاً لذكر العضد .

(٢) الشادن : الظبي يقوى ويطلع قرناه ويستغنى عن أمه . والمقلد فى الأصل : العنق ، لأنه موضع القلادة ، والمراد هنا : موضع تقليد السيف . يقول : إنه يقتل بصدوده ؛ فكأنه تقلد سيفاً من الصدود . « هذا » وقد جعل الواحدى — وتبعه المكبرى — صدر هذا البيت قوله :

* سَيْفُ الصَّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلِّدِهِ *

أما العجز فقالوا : إنه لم يحفظ ، فقال قوم هو :

* بِكَفِّ أَهْيَفِ ذِي مَطْلٍ بِمَوْعِدِهِ *

وقال آخرون هو :

يَفْرِى طُلَى وَامِقِيهِ فِي تَجْرَدِهِ

أما الرواية التى أثبتناها فى رواية ابن القطاع .

(٣) البتر : اتقطع ؛ والتجلد : التصبر ؛ والضمير فى اهتز ؛ للسيف ، وفى منه ؛ للشادن ؛ وفى اتقاه — المرفوع — للعاشق ، والنصب ؛ للسيف ، يقول ؛ لم يهتز هذا السيف — سيف الصدود — من الشادن على عضو من أعضاء العاشق ليقطعه إلا استقبله بتجلده وتصبره ، يعنى ، أنه كلما قصده بالصدود عارضه بالصبر .

(٤) اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت ، وأوجه المعانى أن تقول يقول المتنبي ؛

شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ لَاقَتْهُ عَلَى فَرَسٍ
تَرَدَّدَ النُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ (١)
إِنْ يَقْبُحُ الْحُسْنُ إِلَّا عِنْدَ طَلْعَتِهِ فَالْعَبْدُ يَقْبُحُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِهِ (٢)

إن الزمان ذم إلى التني العيب الذي ذمه التني من بدر الزمان عند حده. هذا الرجل المسمى أحمد، وذلك العيب هو النقص والتغير اللذان في مودة الأحبة، وفي القمر بالنسبة إلى المدوح - فأحبه يحفونه ويصدون عنه؛ والبدر - على بهائه وحسنه - دون أحمد هذا، فالضمير في بدره وأحمد للزمان، وسائر الضمائر؛ للعاشق - أي التني، وإليك أقوال الشراح، قال ابن جنى: البدر هو المعشوق، جعله بدر الزمان مبالغة في حسنه؛ وأحمد؛ هو التني، وجعل نفسه أحمد الزمان، يريد؛ ليس في الزمان أحمد مثله، والمعنى؛ أن العاشق كان يذم بدر الزمان الذي هو كبدر الزمان حسنا يذم منه جفاه وهجره، واجتمع معه الزمان على تلك الحال من معشوقه في حال حمد الزمان لأحمد التني؛ فالزمان يذم هجر أحبه ويحمده هو لفضله ونجابه قال الواحدى: قد تهوس أبو الفتح في هذا البيت وآتى بكلام كثير لافائدة فيه، ومعنى البيت؛ إن الزمان ذم إلى التني من أحبة التني، لأنهم يحفونه ماذم الزمان في بدره يعني القمر في حمد أحمد، يعني المدوح، والمعنى؛ أن البدر مذموم بالإضافة إلى هذا المدوح، يعني، أن البدر على بهائه وحسنه دون أحمد هذا، وقال ابن القطاع، يريد، أن الزمان يذم معه هجر أحبه كما ذم هو بدره، أي حبيبه،

(١) على فرس؛ حال من الهاء في لاقته؛ أى وهو على فرس يقول: هو شمس إذا رآته الشمس وهو يجول في ميدانه على فرس مترددا تردد نوره في هوى الشمس، لأنه أضوأ منها، فالشمس تستفيد منه النور.

(٢) هكذا روى البيت سائر الشراح قائلين، إن «إن»، شرطية، وجوابها، فالعبد، والمعنى، هو مولى الحسن، والحسن في كل أحد قبيح إلا في طلعه كالعبد لا يحسن عند كل أحد حسنه عند مولاه، وقال اليازجى، إن قوله يقبح - في عجز البيت خطأ في الرواية، والصواب يحسن، فتكون إن، نافية، والمعنى، إن الحسن في غير هذا المدوح لا يظهر قبيحا إلا عند مقابلته بطلعه لما فيها من الكمال وفي غيرها من النقص فكل ذى حسن إنما يستحسن عند انفراده عنه، كما أن العبد إنما يستحسن عند انفراده عن سيده، فإذا قوبل به ظهر قبيحا بالنسبة إليه وهذا وجه من القول حسن جميل بارع لولا الرواية.

قَالَتْ عَنِ الرَّفْدِ طَبَّ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا
لَا يَصْدُرُ الْخَيْرُ إِلَّا بَعْدَ مَوْرِدِهِ (١)
لَمْ أَعْرِفِ الْخَيْرَ إِلَّا مُذْ عَرَفْتُ فَتَى
لَمْ يُولَدْ الْجُودُ إِلَّا عِنْدَ مَوْلَاهِ
نَفْسٌ تُصَغَّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ لَهَا نَهَى كَهْلَهُ فِي سِنِّ أَمْرِهِ (٢)

(١) الرفد ، العطاء ، ويصدر ، يرجع ، وطب نفسا عنه ، أى دعه ولا تطلبه
يقول قالت : العاذلة طب نفسا عن العطاء ، أى دعه ولا تطلبه فإنه غير مبذول ، ققلت
لها ، إن الخير إذا قصد أمرا لا ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه ، أى لا بدلى من
بلوغ ما أطلب

(٢) الضمير فى كهله وأمرده : للدهر ، والنهى : جمع نهيّة : العقل . يقول : إن
نفسه - فى عظيمها وكبرها - تصغر نفس الدهر الذى هو جمع الخير والشر .

قافية الذال

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي :

أُسَاوِرُ أُمَّ قَرْنُ شَمْسٍ هَذَا أَمْ لَيْتُ غَابَ يَقْدُمُ الْأُسْتَاذَا (١)
 شِمٌّ مَا أَنْتَضَيْتَ فَقَدْ تَرَكَتْ ذُبَابَهُ قِطْعًا ، وَقَدْ تَرَكَ الْعِبَادَ جُدَاذَا (٢)
 هَبِكَ ابْنُ يَزْدَادٍ حَطَمْتَ وَصَحْبَهُ أَتَرَى الْوَرَى أَضْحَوْا بِنِي يَزْدَادَا (٣)
 غَادَرْتَ أَوْجُهَهُمْ بِحَيْثُ لَقَيْتَهُمْ أَقْفَاءَهُمْ وَكَبُودَهُمْ أَفْلَاذَا (٤)
 فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ الْحِمَامُ عَلَيْهِمْ فِي ضَنْكِهِ وَأُسْتَحْوَذَ أُسْتَحْوَذَا (٥)

(١) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وقدم يقدم : إذا تقدم : قال تعالى « يقدم قومه يوم القيامة » والوزير : يسمى الأستاذ في بعض لغة أهل الشام . شبه في حسنه : بقرن الشمس ، وفي شجاعته : بليث الغاب ، وكان يقدم الوزير .

(٢) يقول : اغمد سيفك الذي سلته من القمد ، فقد قلت حد طرفه بكثرة استعمالك إياه ، وقد ترك سيفك الناس قطعاً . فشم أمر ، من شام السيف إذا أغمده . وانتضاه : استله ، وذباب السيف : حده ، والجذاذ . جمع جذاذة ، وهي القطعة المكسورة .

(٣) هبك : أي احسب نفسك . يقول : احسب أنك حطمت ابن يزداذ ومن معه ، أنتظن الناس كلهم أعداء لك مثل ابن يزداذ فتعاملهم معاملةك إياهم ومحاول أن تفنيهم جميعاً ، فابن يزداذ : مفعول حطمت . وهو لا ينصرف للعجمة ، ولكنه صرفه للضرورة .

(٤) يذكر ما فعله بهم يقول : إنك هزمتهم في الموضع الذي تقيتهم فيه فولوك أقفاهم حتى قامت مقام وجوههم في استقبالك ، وتركت أكيادهم قطعاً صفاراً . وقيل المعنى : طمست وجوههم بالضرب حتى صارت كالأقفاء ، بقوله غادرت : فعل وفاعل وأوجههم : مفعول أول ؛ وأقفاهم : مفعول ثان . وقوله وكبودهم : أي وغادرت كبودهم أفلاذاً ، والأفلاذ : جمع فلذ ، القطعة من الكبد .

(٥) يقول : كان هذا الفعل منك في معركة ضيقة وقف الموت عليهم فحبسهم في ضيقها حتى استولى على نفوسهم واستأصلهم جميعاً . فالحمام : الموت ؛ والضنك : الضيق .

جَمَدَتْ نَفُوسَهُمْ فَلَمَّا جِئْتَهَا أَجْرِيَّتَهَا وَسَقَيْتَهَا الْفُلُوزَا (١)
لَمَّا رَأَوْكَ رَأَوْا أَبَاكَ مُحَمَّدًا فِي جَوْشَنِ وَأَخَا أَبِيكَ مُمَادًا (٢)

ومنه قوله تعالى « معيشة ضنكا » أى ضيقة . والضمير فى ضنكك : لوقوف ؛
واستحوذ : استولى .

(١) الفلواز : من الحديد معروف ، وهو مصاص الحديد ، للثقى من خبثه
دخيل . قال ابن جنى : يعنى قست قلوبهم وصبروا وشجعوا فاشتدوا كالنبيء الجامد ،
ثم قال المتنبي : فلما جئتها أجريتها — أى أجرىتها نفوسهم : أى أسلت ذمائم على
سيوفك ، فكأنك جعلتها سقيا لها كما يسقى الفلواز للماء . وقال الواحدى : فى « جمدت »
أقوال : أحدها أنها جمدت خوفا منك ، والخوف يجمد الدم ، وعليه يتأول
قول الشاعر :

فَلَوْ أَنَا عَلَى جُحْشِرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدِّمْيَانِ بِالْحَبْرِ اليَقِينِ (١)

يريد : أن دمي يسيل لآثى شجاع ، ودمك لا يسيل لأنك جبان . والثانى أن
دمائم كانت محقونة ، فلما جئتها أبغتها بسيوفك ، فجعل خفتها كالجمود ؛ إذ كان يذكر
بعده الإجراء ، ثم أورد كلام ابن جنى الذى أوردناه .

(٢) الجوشن : الدرع . يقول : لما رأوك رأوا أبلا وعمك لأنك تشبهها ، فلصحة
شبهك بها كأنهم رأوها : يعنى اجتمع فيك فضلها وشجاعتها وكرمها .

(١) قبل هذ البيت :

لَعَمْرُكَ لَأَنْتِ وَأَبَا رَبَّاحٍ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ مُنْذُ حِينِ
كَيْبَغِضُنِي وَأَبْغَضَهُ وَأَيْضًا يَرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي

وهذه الأبيات نسبت إلى عدة شعراء ، وأصحها - كما قال ابن دريد - أنها لشاعر
اسمه على بن بدال ابن سليم ،

وانتكاشر : المباسطة من « الكشر » وهو : التبسم ، و « جعر » يضم الجيم
وسكون الحاء : الشق فى الأرض وأراد « بالحبر اليقين » ما اشتهر عند العرب من أنه
لا يمتزج دم المتباغضين .

قال ابن الأعرابي : يريد لم يختلط دمي ودمه ، من بغض له وبغضه لى بل يجرى
دمي بمنة ودمه يسرة .

وقل بعضهم : معناه لو ذبحنا على جعر لعلم من الشجاع منا من الجبان يجرى دمي
وجمود دمه ، لأنهم يزعمون أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان يجمد .

اعْجَبَاتِ السُّنَّهِمْ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ عَنْ قَوْلِهِمْ لَا فَارِسٌ إِلَّا ذَا (١)
 غُرًّا طَلَمْتَ عَلَيْهِ طِلْعَةَ عَارِضٍ مَطَرَ النَّسَايَا وَابِلًا وَرَذَاذَا (٢)
 فَقَدَا أَسِيرًا قَدْ بَلَّتْ ثِيَابُهُ بَدِيمٍ وَبَلٍّ بِيْوَالِهِ الْأَفْخَاذَا (٣)
 سَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشْرِفِيَّةُ طُرُقَهُ فَانْصَاعَ لَا حَلْبًا وَلَا بَغْدَاذَا (٤)
 طَلَبَ الْإِمَارَةَ فِي الثُّغُورِ وَنَشَوُهُ مَا بَيْنَ كَرْخَايَا إِلَى كَلْوَاذَا (٥)
 فَكَانَتْ حَسِبَ الْأَسِنَّةَ حُلْوَةً أَوْ ظَنَهَا الْبَرْنِيَّ وَالْآزَاذَا (٦)

(١) يقول : لما رأوك ورأوا شجاعتك أرادوا أن يقولوا لافارس إلا هذا ، لكنك بادرتهم بالقتل فلم يتمكنوا أن يقولوا هذا القول : أى لو أمهلهم سيفك لأقروا بأنك قريع دهرك وأوحده فروسية وشجاعة . « هذا » : والألسن جمع لسان على تأنينه . يقال فى التأنيت : ثلاث السن : كذراع وأذرع ، ومن ذكره قال ثلاثة السنة : مثل حمار وأحمره ، وهذا قياس ماجاء على فعال من المذكر والمؤنث .

(٢) غر : أى هو ابن زداذ - غر ؛ والغر ؛ والغافل ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ والوايل : المطر الشديد . والزذاذ : الخفيف وهما حالان . يقول كان غافلا عنك حتى طلعت عليه كما يطلع السحاب ، ولما جملة كالسحاب جعل مطره الموت قتلا وجرحاً وأسراً .

(٣) يريد : أنه تطلعخ بالدم والبول جميعاً

(٤) المشرفية : السيوف المنسوبة الى مشارف اليمن ، وهى قرى هناك تعمل بها السيوف . وانصاع : اتثنى وولى : وبغداد : لغة فى بغداد ، يقول : انهزم وتلد في أمره فلم يقصد الشام ولا العراق ، لأن سيوفك أخذت عليه هذه الطرق ؛ وحلبا وبغدادا : منصوبان بضمير أى لا يقصد حلب ولا بغداد وصرفها ضرورة

(٥) كرخايا وكلوذا : فريتان بسواد العراق . يقول : حاول أن يكون أميراً على الثغور ، وهو إنما نشأ فى سواد العراق : أى أنه لا يصلح لما طلب ، لأنه سوادى خسيس .

(٦) الأسنه : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والبرنى والآزاد : نوعان من التمر كثيران بالعراق . يقول : إنه تعود أكل الرطب والتمر ، وليس هو من أهل الطمان

لَمْ يَلِقَ قَبْلَكَ مَنْ إِذَا اخْتَلَفَ الْقَنَّا
جَمَلَ الطَّمَانَ مِنَ الطَّمَانِ مَلَاذًا^(١)
مَنْ لَا تُوَافِقُهُ الْحَيَاةُ وَطِيبُهَا
حَتَّى يُوَافِقَ عَزْمَهُ الْإِنْفَاذًا^(٢)
مُتَمَوِّدًا لُبْسَ الدَّرُوعِ يَخَالُهَا
فِي الْبَرْدِ خَزَاً وَالْهُوَاجِرِ لَأذَا^(٣)

والحرب ، فكأنه ظن الحرب تمرأياً يأكله . « هذا ، والمشهور في الآزاد القصر ، لكنه مده لإقامة الوزن .

(١) القنا : الرماح . والمراد باختلافها أن يطغى هذا مرة وذاك أخرى والملاذ : الملجأ . يقول : لم يلق قبلك رجلاً إذا اختلف الرماح عند المطاعنة لم يهرب من الطمان إلا إلى الطمان ولم يلجأ إلا إلى النزال لإقدامه وحفاظه وعلمه أنه لا يحصى حقيقته إلا بالطمان ، كما قال : الحصين بن الحمام

تَأَخَّرْتُ أَسْتَنْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَحِذْ

لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُنْقَدَمَا

(٢) من : في موضع نصب ، بدل من من الأولى . - يقول : إنه لا يلتذ طعم الحياة إلا إذا أمضى عزمه فأنفذه لا يرجع فيه إلى الوراء : أى أن طيب عيشه في إنفاذ عزمه فإذا رجع عن شيء لم ينفذه لم يطب عيشه ، قال العكبري : وهذا من قول الحكيم « لا يجد طعم الحياة من لا يجد لشهوته دركا . ولا لأمره تصرفا » .

(٣) الحز : ثياب غليظة تعمل من الحرير ؛ والملاذ : ثوب رقيق من الكتان ، والهواجر : جمع هاجرة ، وهي وقت شدة الحر في نهار الصيف . يقول : لم يلق قبلك إنساناً متعوداً لبس الدروع يظنها في صبارة البرد خزاً يقيه البرد : وفي حمارة القيظ لا إذا يلاذ به من الحر . فتعودك لبسها صارت عندك كلبس هذين النوعين من الثياب ، فقوله : متعوداً ، نعت لمن - على أنها نكرة - « هذا » : وفي البيت عطف على معمولي عاملين مختلفين ، لأن الوهاجر معطوفة على البرد ، ولاذا : عطف على خز ، وإنما جوزه كون عامل أولها جاراً . وأنشدوا على جوازه قول الشاعر .

أَعْجِبْ بِأَخْذِكُهُ ، وَأَعْجِبْ مِنْكُمْ
أَنْ لَا تَكُونَ لِمِثْلِهِ أَخَذًا (١)

أَكُلْ أَمْرِي تَحْتَمِينَ أَمْرًا ،

وَنَارٍ تَأْجَجُ بِاللَّيْلِ نَارًا

(١) يقول : ما أعجب أخذك إياه في قوته وعدده ا وأعجب من ذلك لو لم تأخذه
لأنك مظفر منصور على أعدائك لا يفت منك أحد تقصده .

قافية الراء

وقال يمدح سيف الدولة وقد سأله المسير معه لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولة ،
وذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

سِرَّ حَلَّ حَيْثُ تَحَلَّهُ النُّوَارُ وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْقَدَارُ^(١)
وَإِذَا أُرْتَحِلْتَ فَشَيْعَتِكَ سَلَامَةٌ حَيْثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مِذْرَارُ^(٢)
وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تَحَاوَلُ فِي الْعِدَى
حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَنْصَارُ^(٣)
وَصَدَرَتْ أَعْنَمَ صَادِرٍ عَنِ مَوْرِدٍ مَرْفُوعَةٍ لِقَدُومِكَ الْأَبْصَارُ^(٤)

(١) النوار : كالنور ، واحدته نواره . وهو الزهر . وقيل : النوار والنور الأبيض
والزهر الاصفر ؛ وذلك أنه يبيض ثم يصفر ، والقدر قدر الله . يدعوله ، يقول : سر
واذهب لطيتك حل النوار حيث تحل : أى سقى الله المواضع التى تحلها حتى ينبت فيها
الزهر ، فجعل نبات الزهر كناية عن السقى . ثم قال : ووافقك القدر على ما تريده من
المطالب فأعانك على بلوغه ؛ وقال الواحدى : ويجوز أن يريد أنك نور المكان الذى
تنزله فحيثما نزلت نزل النوار والقضاء موافق لما تريد .

(٢) الديمة المطر يدوم ساعات دون برق ولا رعد ، وأقله ثلث النهار أو ثلث الليل
وأكثره ما بلغ من العدة ، قال ليلى :

أَتَتْ وَأَسْبَلَتْ وَكَيْفٌ مِنْ دِيمَةٍ يُرْوَى أُلْحَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا^(١)
والمدرار : الدائم الدار : أى السيلان . يقول : شيعتك السلامة - أى صحبتك
حيث كنت ، وكذلك المطر ينبت لك النبات فتخشب .

(٣) يقول : وأراك الدهر ما تريده فى أعدائك من الظفر بهم ، حتى كأن حوادثه
ونوبه أعوان لك على ما تريد .

(٤) الإصدار : الاتشاء عن الماء ؛ والورود ورود الماء . يقول : وردك الله علينا
وأنت أعظم آيب تتطلع إليك أبصار من خلفهم مشرّبة شوقا إلى رؤيتك ، وهذه
الآيات كلها دعاء له .

(١) من معلقة ليلى . باتت البقرة بعد قحدها ولدها فى مطر دائم المطلقان

أَنْتَ الَّذِي بِبِحَجِّ الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ وَتَزَيَّنْتَ بِمَجْدِيهِ الْأَنْتَمَارِ (١)
 وَإِذَا تَنَكَّرَ فَالْفَنَاءُ عِقَابُهُ وَإِذَا عَفَا فَعَطَاؤُهُ الْأَعْمَارِ (٢)
 وَلَهُ وَإِنْ وَهَبَ الْمُلُوكُ مَوَاهِبُ دَرُّ الْمُلُوكِ لِذَرِّهَا أُغْبَارِ (٣)
 اللَّهُ قَلْبُكَ مَا يَخَافُ مِنَ الرَّدَى ، وَيَخَافُ أَنْ يَدْنُو إِلَيْكَ الْعَارِ (٤)
 وَتَحِيدُ عَنِ طَبِيعِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِ ، وَيَحِيدُ عَنْكَ الْجَحْفَلُ الْجَرَارِ (٥)

(١) بجمع : فرح ؛ قال الجوهري : بجمع بالشيء وبجمع به أيضا - بالفتح - لغة ضعيفة فيه وأبوجه الأمر وبوجه أفرحه . وفلان يتبجح أى يفتخر ويباهى بشيء ما، وقيل يتعظم وقد بجمع يبجح قال الراعى .

وما الفقرُ عن أرض المشيرة ساقنا إليك ولكنا بقرُباك نبجحُ
 والسر : حديث الليل . يقول : يبتجح الزمان مفتخراً إذا ما ذكرت في جملة أهله وأبنائه وتحسن الأعمار بالحديث عنك .

(٢) يقول : إذا غضب على قوم عاقبهم بالهلاك والاستئصال ، وإذا عفا عن العقوبة ترك القتل ، فكانت الأعمار عطاء منه ونوالا .

(٣) الدر : اللبن ؛ والأغبار : جمع غبر بضم الغين - بقية اللبن في الضرع . يقول : إن عطاياه تمد عطايا الملوك بالقياس إليها كاللبن القليل إلى اللبن الكثير .

(٤) لله قلبك : تعجب ؛ كقولهم : لله درك . يقول : إن قلبك الإلهى لا يتوقى الهلاك ، ولكنه يتوقى أن يدانك شيء فيه عار . وقوله : ما يخاف ويخاف يرويان ما يخاف وتخاب على الخطاب .

(٥) تحيد : تعدل ؛ والطبع : الدنس . والخلائق : الأخلاق . والجحفل الجيش الكثير . والجرار : التمثيل السير الذى لا يقدر على السير إلا رويداً لكثرتة . وقال السكري : قيل هو فعال من جر إذا جنى كأنه بكثرتة وشدة وطئه الأرض يجنى عليها بإثارة التراب ويحنى على السماء بارتفاع العبار إليها ؛ وقيل سمى جراراً لأنه يجر ذيله فى التراب فيرى له أثر عظيم ، يقول : تتسكب كل شيء يدنس الأخلاق من اللؤم وما إليه ويتسكبك الجيش الكثير انقاء بأسك فأنت هارب من وجهه ، مهروب عنه من وجهه وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وَأَجِبْنَ عَنْ تَعْرِيفِ عَرَضِ لُجَاهِلٍ وَإِنْ كُنْتَ بِالْإِقْدَامِ أَطَقْنَ فِي الصَّفِّ

يَأْمَنُ يَمِزُّ عَلَى الْأَعْزَةِ جَارَهُ ، وَيَبْذُلُ مِنْ سَطَوَاتِهِ الْجُبَارُ (١)
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحْمُولُ تَنْوُفَةً دُونَ اللَّقَاءِ وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ (٢)
وَبِدُونِ مَا أَنَا مِنْ وِدَادِكَ مُضِيرٌ يُنْضِي الْمَطِيَّ وَيَقْرُبُ الْمُسْتَارُ (٣)
إِنَّ الَّذِي خَلَفْتُ خَلْفِي ضَائِعٌ مَالِي عَلَى قَلْبِي لِإِيْدِ خِيَارُ (٤)
وَإِذَا صُحِبْتَ فَكُلِّهِ مَاءَ مَشْرَبٍ لَوْلَا أَلْعِيَالُ وَكُلُّهُ أَرْضِ دَارُ (٥)
إِذْنُ الْأَمِيرِ بَانَ أَعُودَ إِلَيْهِمْ صِلَةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِهَا الْأَشْعَارُ (٦)

(١) يقول : إن جاره الذليل يمز على الأعزة ، فلا يقدر أن ينالوه بسوء ، والتكبر العاقى العظيم يصير ذليلا لديه إذا غضب .
(٢) تحمول : تعترض وتمنع ، وائتوفة الفلاة الترامية الأطراف ، ويشط : يبعد .
يقول : كن حيث شئت من الأرض فما يمنعنا عن لقائك بعد المسافة ولا يبعد علينا مزارك ، وفي هذا نظر إلى قول القائل

قَرِيبٌ عَلَى الْمُشْتَقِ أَوْ ذِي صِبَابَةٍ وَأَمَا عَلَى الْكَسْلَانِ فَهَوَّ بَعِيدُ
(٣) المستار : مفعل من السير قال الراجز :

أشكو إلى الله العزيز الفخار ثم إليك اليوم بعد المستار
وقوله : وبدون ، أى بأقل ، وأنضى راحلته هزلها بطول السير . والمطي . جمع مطية ، وهى الركوبة ، أو اسم جمع لها . يقول : بأقل مما أضمره لك من المودة تهزل الدواب بالسير وتقرب المسافة ، فكيف وهودنى إليك كثيرة متوافرة ؟ يعنى أن الحب مها بعد عنه محبوبه فهو زائر ، إذ البعيد عنده قريب .

(٤) طى : بمعنى مع . وإليه متعلقة بقلقى على تضمينه معنى الشوق وزاع النفس .
والخيار : بمعنى الاختيار . يقول : إن من خلفته ورأى من أهلى ضائع بخروجى من عنده ، إذ قد آثرت صحبتك عليهم مع قلقي واشتياقى إليهم ولا اختيار لى فى إيثارك عليهم ، فأنا مضطر إلى ذلك لأنك قيدتنى بإحسانك
(٥) يقول : إذا صحبتك طاب لى كل ماء وواقفتى كل أرض حتى كأنها دارى لولا من خلفت من العيال :

(٦) يقول : إن إذنك لى بالعود إلى عيالى عطية منك أشكرها لك فى شعرى .
وهذا كقول المهلبى :

وخيره بين فرسين دهماً وكميت فقال :

اخْتَرْتُ دَهْمَاءَ تَيْنِ يَا مَطْرُ ^(١) وَمَنْ لَهُ فِي الْفَضَائِلِ الْخَيْرُ
وَرُبَّمَا قَالَتْ الْعَيْسُونَ وَقَدْ يَصْدُقُ فِيهَا وَيَكْذِبُ النَّظْرُ ^(٢)
أَنْتَ الَّذِي تَوْعِيَابُ فِي مَلَأٍ مَا عَيْبَ إِلَّا بَأَنَّهُ بَشَرُ ^(٣)
وَأَنْ إِعْطَاءَهُ الصَّوَارِمُ وَالْخَيْلُ وَسُمُرُ الرَّمَاحِ وَالْعَكْرُ ^(٤)

فَهَلْ لَكَ فِي الْإِذْنِ لِي رَاضِيًا فَإِنِّي أَرَى الْإِذْنَ غَمًّا كَثِيرًا

(١) قوله دهماً تين : أى الدهماء من هاتين . كما تقول : اخترت فاضل هذين : أى الفاضل منها . فتين : بمعنى هاتين . وتا : بمعنى هذه . وثنتيتها : تان . وقوله يامطر : أى ياشييه اللطيف الجود . وقوله ومن له : أى ويامن له الاختيار في الفضائل فيختار منها ما يستحسن . فالخير : جمع خيرة . اسم من الاختيار والخير ؛ قال الواحدي : يروى الخبر يريد الاشتهار في الفضائل

(٢) يقال : قال رأيه فيل قبولاً : أخطأ وضعف . قوله : قالت العيون ، أى أخطأت يقول إنى اخترت الدهماء ، ولكن ربما كنت محطفاً في الاختيار . فإن النظر قد يصدق في العيون فتصيب ؛ وقد يكذب فتخطئ .

(٣) يقول : ليس فيك من عيب ، ولا تعاب إلا بكونك بشراً ، أى أنت أجل قدراً من أن تكون بشراً آدمياً ، لأن ما فيك من الفضائل لا يكون في بشر . والملا جماعة القوم

(٤) إعطاءه : مصدر ، وضع موضع العطاء الذى هو الاسم ؛ والعكر جمع عكرة القطيع الضخم من الإبل . يقول : إنهم لو عابوك ما عابوك إلا بسخائك وإسرافك في هذا السخاء . يعنى أنهم لا يعيبونك إلا بما لا عيب فيه ، وهذا من قبيل قول النابغة .

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم
وقول عبد الله بن قيس الرقيات

ما تمعوا من بني أمية إلا أنهم يحملون إن غضبوا

وقال ابن جنى : يريد قدرك أن يكون عطاؤك فوق هذا فإذا فعلت هذا فكأنك معيب به لقلته بالإضافة إلى قدرك ... قال ابن فورجة : إن كان التفسير على ما ذكره ابن جنى فهو هو ، وكيف تهجى الكبار بأكثر من أن يقال : ما وهبت يسير في جنب

فَأَصْبَحُ أَعْدَائِهِ كَأَنَّهُمْ لَهُ يَقُولُونَ كَلِمًا كَثُرُوا^(١)
أَعَادَكَ اللَّهُ مِنْ سِهَامِهِمْ ، وَحَطَّى مِنْ رَمِيهِ الْقَمَرُ^(٢)
وجاءه رسول سيف الدولة برقعة فيها بيتان للعباس^(٣) بن الأحنف يسأله
إجازتهما فقال :

رِضَاكَ رِضَايَ الَّذِي أَوْزُرُ ، وَسِرِّكَ سِرِّي فَمَا أَظْهَرُ^(٤)
كَفْتِكَ الْمُرُوءَةَ مَا تَتَّقِي ، وَأَمْنَكَ الْوُدَّ مَا تَحْذَرُ^(٥)

قدرك فيجب أن تهب أكثر من ذلك ... ولكن العكبري قال: الذي ذكره ابن جنى صحيح؛ وقد يمدح الإنسان الكثير العطايا بأن قدره يقتضى أكثر مما يعطى؛ كقوله أيضاً :

• يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَحَلَا

(١) يقول: إنه يفضح أعداءه بظهور فضله عليهم وتخليفهم عنه وتوافر فضائله؛
فإذا قيسوا به وضيغوا إليه قلوا دقة وحقارة وإن كانوا كثيرين عدداً وكية؛ وهذا معنى
دقيق بديع؛ وقوله: كأنهم له، أى لاجله.

(٢) يدعو له أن يحفظه الله من سهام الأعداء؛ ويحتمل أن يكون خبراً. وقوله
وحطى من رميه القمر؛ فالرمي: الرمي. يقول: إنهم لا يصيبونك برميهم كما لا يصيب
القمر من رماه. لأنه أرفع محلا من أن يبلغه سهم راميه وكذلك أنت
(٣) والبيتان هما :

أَمِنِّي تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحَطَّى فِي سِتْرِهِ أَوْزُرُ
وَلَوْلَمْ أَصْنُهُ لِبُقْيَا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

« قوله: لبقيا عليك: أى لإرعاء عليك ورحمة: أى لولم أصن سرك إرعاء
عليك من إفشائه لصنته إرعاء على تقسى أنا وخشية أن تفسد حالى معك إذا اطلع
الناس على ما بيننا

(٣) أوزر: أختار؛ والعائد محذوف: أى أوزره؛ وقوله: فما أظهر، استمهام
إنكارى. يقول: إذا رضيت أمراً فهو رضى الذى أختاره وسرنا واحد، فأى شيء
أظهر منه؛ أى لا أظهر سرك لأنه سرى
(٥) يقول: اطمئن من جهتي لأنى ذو مروءة، وذو المروءة لا يكون مذباغاً.

وَمِرَّةٌ كُمْ فِي الْحَشَا مَيِّتٌ إِذَا أَنْشَرَ السَّرَّ لَا يُنْشَرُ (١)
 كَأَنِّي عَصْتُ مُقَلَّتِي فِيكُمْ وَكَاتَمْتُ الْقَلْبَ مَا تُبْصِرُ (٢)
 وَإِنْشَاءً مَا أَنَا مُسْتَوْدَعٌ مِنْ الْفَدْرِ وَالْحَرْءِ لَا يَنْفِدِرُ (٣)
 إِذَا مَا قَدَرْتُ عَلَى نَظْفَةِ فَإِنِّي عَلَى تَرْكِهَا أَقْدَرُ (٤)
 أَصْرَفُ نَفْسِي كَمَا أَشْتَهِي وَأَمْلِكُهَا وَالْقَنَا أَحْمَرُ (٥)
 دَوَّالِيكَ يَا سَيْفَهَا دَوْلَةٌ وَأَمْرُكَ يَا خَيْرٌ مِنْ يَأْمُرُ (٦)

للأسرار، وأنا - مع ذلك - محب لك ، والمحب لا يسوء إلى حبيبه بإفشاء سره .
 والمروءة كرم الأخلاق وعلو الهمة ؛ وكفاه الشيء : أغناه عن معاناته ، وتتيق : تحذر
 و«ما» في ماتق وما تحذر - اسم موصول بمعنى الذي ، وهي فيها مفعول ثانٍ للفعل قبلها .
 (١) أنشر : من النشور ، وهي بعث الأموات يوم البعث يقول : إن سرکم في
 قلبي كاليت الذي لا يحيا بعد موته ، أي أنه - لشدة إخفائه السر - أماته إمامة حتى لا بعث
 له بعدها : وهذا من قول الآخر :

إِنِّي لِأَسْتَرُ مَا ذُو اللَّبِّ سَأَرُهُ مِنْ حَاجَةِ وَأَمَيْتُ السَّرَّ كِتْمَانًا
 وَكَقَوْلِ قَيْسِ بْنِ ذَرِيْعٍ .

وإني من القوم الذين صد دورهم إذا استودعوا الأسرار فهي قبورها
 (٢) يقول : كأن عيني لما نظرت إليكم أخفت عن قلبي ما رأيت ، فلم يعلم بذلك .
 فكيف أظهره والعين قد كاتمت قلبي الذي أبصرت فلم يصل إليه ؟ ويقال : كاتمته سرى
 أي كتمته عنه . وما تبصر مفعول ثانٍ : لكاتمت ولك أن تقول : إن بين قوله عصت
 وكاتمت تنازعا ، على أن الفعلان واقعان على القلب ، أو تقول : إن المراد بالأول مجرد
 إثبات العصيان للمقلة ، فلا يكون له مفعول :

(٣) الحر : الكريم

(٤) يقول : إنه على الكتمان أقدر منه على الإفشاء لأن الإفشاء فعل ، والكتمان ترك
 الإفشاء ومن قدر على الفعل كان على ترك الفعل أقدر . والنطقة : المرة من النطق .

(٥) القنا : الرماح . يقول : إنه يملك نفسه قادر على ضبطها وتصريفها على مراده
 لا تغلبه نفسه على شيء لا يريد . وأنه يملك نفسه ويصبرها على مكاره الحرب إذا
 احمرت الرماح بالدماء ، أفلا يكفها في كتمان السر ؟

(٦) يقول : دالت لك الدولة وتناولتها دولة بعد دولة ، وأمرک : أي مر أمرک

أَتَانِي رَسُودُكَ مُسْتَعْجِلًا فَلَبَّاهُ شِعْرِي الَّذِي أَدْخَرُ
وَلَوْ كَانَ يَوْمَ وَعْنَى قَاتِمَا لَلْبَاهُ سَنِيْفِي وَالْأَشْقَرُ (١)
فَلَا غَفَلَ الدَّهْرُ عَن أَهْلِهِ فَإِنَّكَ عَيْنٌ بِهَا يَنْظُرُ (٢)

**

وقال وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكر لذلك (*):

أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ أَرْوَرَارًا وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارًا (٣)
تَرَكَتْنِي الْيَوْمَ فِي خَجَلَةٍ أَمُوتُ مِرَارًا وَأَحْيَا مِرَارًا (٤)

فهو مطاع فأمرك ؛ مفعول مطلق لم ، ودواليك : نصب على المصدر ؛ أي دالت لك الدولة دولا بعد دول ، وهو من المصادر التي استعملت مشاة . والغرض التوكيد ، ومثله لبيك وسعديك وحنانيك . ونصب دولة : على التمييز
(١) اسم كان : مضمّر ، تقديره : ولو كان دعاؤك إياي ، أو لو كان مانحن فيه من الحال . والقاتم : المظلم الذي علاه الغبار . يقول : ولو كان دعاؤك إياي يوم حرب لأجبتك مسرعاً بسيفي وبفرسي الأشقر : وقال بعض السراخ : اسم كان ضمير ، الرسول ، وخبرها ؛ محذوف دل عليه ما قبله : أي ولو كان أتاني . وهذا البيت والذي قبله من قول البحرى :

جَعَلْتُ لِسَانِي دُونَهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَهَابُوا بِسِنِّي كَانَ أَسْرَعَ مِن طَرَفِي
(٢) يقول : أنت عين الدهر التي ينظر بها إلى الناس ، فلا غفل الدهر عن الناس بهلاكك ، أي بقيت ، فإن ما يصيب الناس من إحسان وإساءة إنما هو منك ؛ فلو أنت مت لبطل ذلك كله ، فيصير الدهر كأنه غافل عن الناس .
* كان قد تأخر مدحه عن سيف الدولة ، فعاتبه مدة ثم لقيه في الميدان فرأى منه انحرافاً عنه وأنكر تقصيره فيما كان عوده من الإقبال إليه والسلام عليه ، فعاد إلى يته وأرسل إليه هذه الأبيات .

(٣) الازورار : العدول والانحراف . يعتب عليه يقول : صار طويل السلام مختصراً ، وصار ذلك القرب منك عدولاً عنى وانحرافاً .
(٤) يقول : أنا في خجلة من الناس لإعراضك عنى كلما ساورتني ذكرها صرت كاليت ، وإذا زالت حيت ، فأموت في اليرم مرات كثيرة وأحيامرات كثيرة .

أَسَارِقَكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِيًّا وَأَزْجُرُ فِي انْتِخَالِ مُهْرِي سِرَّارًا^(١)
 وَأَعْلَمُ أَيُّ إِذَا مَا أَعْتَذَرْتُ لَيْتِكَ أَرَادَ أَعْتَذَارِي أَعْتَذَارًا^(٢)
 كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرًا تِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي أَعْتِيَارًا^(٣)
 وَلَكِنْ حَمَى الشُّعْرَ إِلَّا الْقَلِيلَ هَمٌّ حَمَى النَّوْمَ إِلَّا غِرَّارًا^(٤)
 وَمَا أَنَا أَسَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ ، وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا^(٥)

(١) السرار : مصدر ساره إذا كلمه سراً . يقول : وأنظر إليك لحياي منك مسارقة ومخالسة ، وإذا زجرت مهري في الميدان زجرته بصوت خفي ، ولم أجسر أن أرفع صوتي حياء منك

(٢) يقول : إنما يعتذر الهرم ، فإذا اعتذرت إليك من غير ذنب اجترته كان هذا الاعتذار شيئاً منكراً يجهل أن اعتذرت منه أيضاً لأنه في غير محله . وقال بعض الشعراء : الاعتذار من غير ذنب كذب ، والكذب مما يعتذر منه

(٣) يقول : جحدت ما غمرتنى به من مكارمك الباهرة التي ليس في مكنة أحد أن يمجدها إن كان تركي مدحك وتأخير شعري اختياراً مني ، ولكن حمى الشعر إلخ . وقوله كفرت إلخ : قسم من أروع ما يقسم به العرب ، ولا يزال مثله جارياً بيننا الآن : كما يقول الرجل : أكون رجلاً ندلاً إذا حصل مني كيت وكيت .

(٤) الفرار النوم القليل قال الفرزدق في مرثية الحجاج :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ مِنْ تَقْيِيفِ هَالِكٍ تَرَكَ الْعَيْونَ فَنَوَّهْمُنَّ غِرَّارُ

أي قليل ، وقيل الفرار القليل من النوم وغيره . ومنه الحديث : لا غرار في صلاة ولا تسليم : أي لا نقصان . أي لا ينقص من ركوعها ولا من سجودها ولا أركانها ومنه غرار الناقة ، وهو النقصان في لبنها . وقليل : بدل بعض من الشعر : أي إلا القليل منه ، وكذا مثله في الشطر الثاني يقول : منعي ألم قول الشعر إلا القليل منه وهذا ألم أخذني منه القيم للمعد حتى منعي النوم ، فكيف لا يمنعني قول الشعر ؟

(٥) يعتذر بما ألم به من الألم الذي أسقم جسمه وأوقد في قلبه ناراً بلهيه وكان سبب انقاطعه عن الشعر . يقول : ليس ذلك من فطلي واختياري إذ لا يرضى أحد أن يسقم جسمه بالألم ويذيب قلبه بحرارته . وهذا من قول العطوى :

أَرَانِي أَنَا وَفَرُّتُ مِنْ أَلْمٍ نَصِيْبِي

فَلَا تُزِمَنِي ذُنُوبَ الزَّمَانِ إِلَىٰ أَسَاءِ وَإِيَّايَ ضَارًا^(١)
 وَعِنْدِي لَكَ الشُّرْدُ السَّائِرًا
 قَوَافٍ إِذَا مِرْنَ عَنْ مِقْوَلِي وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبَحَارًا^(٢)
 وَلِي فِيكَ مَالٌ يُقْلُ قَائِلٌ وَمَالٌ يَسِرُّ قَمَرٌ حَيْثُ سَارَا
 فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لَكَانُوا الظَّلَامَ وَكُنْتَ النَّهَارًا^(٣)

أَنَا أُعْطِيتُ الْعِيُونَ النَّجْلَ أَسْلَابَ الْقُلُوبِ
 لَوْ إِلَى الْأَمْرِ مَا أَقْدَيْتُ عَيْنًا بِرَقِيبِ

(١) ضاره وضره بمعنى . يقول : وإنما الذنب ذنب الزمان ، فهو الذي أورثني هذا الملم فسيب ذلك انقطاعي عن الشعر ، فلا تؤاخذني بذنوب الزمان . طي أن إساءته إنما ألت بي أنا ، وأنا المساء بها فلا تقع تبعها طي ، كذلك .

(٢) الشرد : جمع شرود ، يعني انقصائد التي تسير في البلاد ولا تستقر بموضع . يقول : وعندى لك انقصائد التي أقولها في مدحك فتسير في الآفاق ويتناقلها الناس لحسنها .

(٣) هذا البيت كالتفسير للبيت السابق ، والقول : اللسان . يقول : إذا خرجت هذه القوافي من لساني سارت في البلاد وقطعت الجبال والبحار إلى ماوراءها : أي أن الجبال والبحار لا تحمل دون سيرها . قال علي بن الجهم يصف شعره .

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدَكَ عَنِّي صَاغِرًا عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنِّي غَيْرُ حَامِدٍ^(١)
 بَسِيحًا تَسَاقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ ، وَتَنْقَادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ

(٤) قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول : لكاوا الظلال وكنت الضياء أو الليل وكنت النهار لكان أحسن في التطبيق ؛ ذل العكبري : قلت يمكنه : لكانوا الليالي والوزن مستقيم .

(١) يقول : إن شعره يدعو عدوك أن يثنى عليك إذا أنشدته على غير رغبة منه لاستحسانه إياه .

أَشَدَّهُمْ فِي النَّدَى هِزَّةً وَأَبَدَهُمْ فِي عَدُوٍّ مُنَارًا (١)
 سَمَّا بِكَ هِيَ فَوْقَ الْمُومِ فَلَسْتُ أَعْدُ يَسَارًا يَسَارًا (٢)
 وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَيْ لَمْ يَقْبَلِ الدَّرَّ إِلَّا كِبَارًا (٣)

وقال يهنئه بميد الفطر :

الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ وَالْأَعْيَادُ وَالْمَعْرُ مُنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٤)
 تُرَى الْأَهْلَةَ وَجْهًا عَمَّ نَائِلُهُ فَمَا يُخْصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرَ (٥)

(١) الندى : الجود ؛ والهزة - بالكسر - الأريحية ؛ والمغار : مصدر ميمي بمعنى الغارة . يقول : هو أشد الناس أريحية ساعة الجود والعطاء ، وأبد الناس مدى غارة في العدو .

(٢) الهم : الهمة ، واليسار الغنى : يقول : علت همي بخدمتك والاتباء إليك وبما يسرت لي من المطالب حتى صارت فوق همم الناس وحتى صرت لا أفتح بما يكون غنى ويسارا حتى أطلب ما فوقه .

(٣) كباراً : حال من الدر ؛ والبيت تأكيد لما قبله . يقول : إذا أدركت بك الغنى لم أقتصر عليه لأن من كان مرجوه مثلك لم يرض بالقليل

(٤) الفطر : بالكسر الاسم من الإفطار ، والعصر - بضمين - لغة في العصر وهو الدهر ويأتي أيضا جمعاً له ، وقد تقدم ذلك . وحق : حرف عطف - كالواو - يقول : إن نور هذه الأشياء إنما هو بك لأنك جمال للدهر وجمال للدين ولكل شيء ، يعني أن نورك عم كل شيء - حق الشمس والقمر اللذين يستضاء بهما . هذا : وقال العكبري - مناسبة حق - : وقد اختلف أصحابنا في حتى فقالوا هي حرف تنصب الفعل المستقبل من غير تقدير أن ، وحرف جري بحر الاسم كما تقول : سوفته حتى الصيف . وقال البصريون : هي في كلا الموضعين حرف جر ، والفعل منصوب بعدها بتقدير أن ، والاسم مجرور بتقدير إلى .

(٥) يقول : لم يخص البشر بعبثائك فقد أنلت الأهله بوجهك كمال النور فقد عم إذن نائلك البشر والشمس والقمر .

مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلَّا رَوْضَةٌ أَنْفٌ يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهْرٌ (١)
مَا يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ فَلَا أَنْتَهَى لَكَ فِي أَعْوَامِهِ عُمُرٌ (٢)
فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكَرَّرِهَا شَرَفٌ وَحَظَّ غَيْرِكَ مِنْهَا الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ (٣)

(١) الأنف : التي لم يرعها أحد وهو أحسن لها ؛ والشمائل : الخلائق يقول : الدهر بكونك فيه روضة تمت محاسنها وتوافر جمالها وأخلاقك زهر هذه الروضة ، فهي أحسن ما فيها .

(٢) ما : حرف نفي ؛ والضمير في أيامه وأعوامه للدهر - يقول : ليس ينتهي كرمك في أيام الدهر ، أي أنه يزداد كرما على الأيام ، ثم دعا له فقال : فلا انتهى عمرك في أعوامه ، أي لا أنقص لك أجلا .

(٣) الضمير في تكرارها ومنها للأعوام ، ويروى منه : أي من التكرار . يقول : إن حظك من السنين وتكرارها استزادة الشرف بما تجدد من المناقب . بينما حظ غيرك ممن لا مناقب لهم الشيب والهرم .

وقال وقد جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم ولم يصل إليه المتنبي لرحام الناس ، فعانبه سيف الدولة على تأخره وانقطاعه .
فقال المتنبي ارتجالا ، وذلك سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

ظَلِمَ لِنَا الْيَوْمَ وَصَفَ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ
لَا يَصْدُقُ الْوَصْفُ حَتَّى يَصْدُقَ النَّظْرُ^(١)
زَاحَمَ الْجَيْشُ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبَبًا^(٢) إِلَى بَسَادِكِ لِي تَسْمَعُ وَلَا بَصَرَ^(٣)
فَكُنْتُ أَشْهَدَ مُخْتَصِرًا وَأَعْيَبُهُ^(٤) مُعَايِنًا وَعِيَانِي كُلَّهُ خَبْرًا^(٥)
الْيَوْمَ يَرْفَعُ مَلِكُ الرُّومِ نَاطِرَهُ^(٦) لِأَنَّ عَفْوَكَ عَنْهُ عِنْدَهُ ظَفْرًا^(٧)
وَمِنْ أَجِبَتْ بِشَيْءٍ عَنْ رَسَائِلِهِ^(٨) فَمَا يَزَالُ عَلَى الْأَمْلَاقِ يَفْتَخِرُ^(٩)
قَدِ اسْتَرَاخَتْ إِلَى وَقْتِ رِقَابِهِمْ^(١٠) مِنْ السُّيُوفِ وَبَاقِي الْقَوْمِ يَنْتَظِرُ^(١١)

(١) يقول : إن وصفي هذا اليوم دون أن أشاهد ماجرى فيه ظلم له ، لأن صدق الوصف موقوف على صدق النظر ، فإذا لم أكن صادق النظر بالعيان والمشاهدة لم أكن صادق الوصف .

(٢) و (٣) سمع — في البيت الأول — فاعل يجد ، وسببا : أى وصلة أتوصل بها : أى سبيلا . ثم قال في البيت الثاني : كنت في هذا اليوم أحضر الناس المختصين بك لأنى كنت شاهداً بشخصى ، وكنت أعينهم عيانا لأنى غبت معاينة إذ لم أر ما يجرى فكان عياني ما يخبرني به الذين عاينوا . فأشهد أفضل تفضيل من الشهود ، وهو الحضور ومعاينا : بدل من أشهد . والجملة بعده : حال .

(٤) ناظره : عينه . وعنده : بمعنى في اعتقاده . يقول : يرفع اليوم ملك الروم عينه اعتزازاً برضاك ، وقد كان مطرقاً استخذاءً وخوفاً . لأن عفوك في اعتقاده ظفر وقلج .

(٥) يقول : إذا أجبت افتخر على الملوك .

(٦) يقول . لما هادنت الروم استراحت رقابهم من فعل السيوف بها إلى انتهاء مدة الصلح ، أما سائر الذين كنت تعرفهم فإنهم يترقبون ورود سيوفك عليهم ، لأنهم يعرفون أنك لا تنفر عن الغزو . أو يترقبون الصلح منك كما صالحت ملك الروم .

وَقَدْ تُبَدِّلُهَا بِالْقَوْمِ غَيْرِهِمْ لِكَيْ تَجِمْ رُؤُوسَ الْقَوْمِ وَالْقَصْرَ (١)
تَشْبِيهُ جُودِكَ بِالْأَمْطَارِ غَادِيَةٍ جُودٌ لِيَكْذَكَ تَانِ نَالَهُ التَّمَطَّرُ (٢)
تَكْسَبُ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّورَ طَالِعَةً
كَمَا تَكْسَبُ مِنْهَا نُورَهُ الْقَمَرُ (٣)

وقال لما أوقع سيف الدولة بيني عميل وقشير وبنى العجلان وبنى كلاب حين
عاثوا في عمله وخالفوا عليه ، ويذكر أجزالم من بين يديه وظفره بهم ، وله
خبر طويل :

طَوَالَ قَنَا تَطَاعِنَهَا قِصَارُ وَقَطْرَكَ فِي نَدَى وَوَعَى بِحَارِ (٤)

(١) الأظهر أن الضمير في تبدلها : للسيف - كما قال ابن جنى - لا للروم - كما
ذهب إليه الواحدى - وغيرهم ؛ نصب على أنه مفعول ثان لتبدلها والباء في بالقوم :
للموض . وتجم : تكثر . من جم البئر : إذا توافر ماؤه بعد الترح ، والقصر ، جمع
قصرة أصل الضق . يقول : وقد تحارب غير الروم وتدع الروم حتى يكثروا وتضمهم
ليتناسلوا ثم تعود إليهم قتلهم .

(٢) تشبيه : مبتدأ . خبره : جود : وغادية : حال ، وثان : صفة لجود : يقول :
إذا شبهنا جودك بالأمطار التي تأتي بالعدوات - وهي أغزرها - كان ذلك جوداً ثانياً
لكفك على المطر ، لأن المطر يفخر بأن يشبهه جودك .

(٣) تكسب - بحذف إحدى التاءين - أى تكسب . يقول : إن الشمس تستفيد
منك النور كما يستفيد منها القمر النور ، فإذا طلعت كسبت ، وإذا غابت عادت إلى
حالتها قبل أن تراك .

(٤) طوال : مبتدأ ، خبره : قصار ، وضمير تطاعنها : للمخاطب ؛ والجملة : صفة
لقنا ؛ والندى : الجود . والوعى : الحرب . يقول : إن الرماح الطوال التي تطاعنها
قصار في حرك ، لأنها لا تتالك ولا تبلغك ، ولأنها لا تغناه لها معك ، وكأنها قصار
كما قال :

يَجِيدُ الرَّمْحُ عَنكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طَوْلٌ

وَفِيكَ إِذَا جَنَى الْجَانِي أَنَاةً تُظَنُّ كَرَامَةً وَهِيَ اخْتِقَارٌ^(١)
 وَأَخَذٌ لِلْحَوَاصِرِ وَالْبَوَادِي بِضَبْطٍ لَمْ تَعُودَهُ نِزَارٌ^(٢)
 تَشْمَمُهُ شَمِيمَ الْوَحْشِ إِنْسَاً وَتُنْكِرُهُ قَمِيعُوهَا نِفَارٌ^(٣)
 وَمَا انْقَادَتْ لِفَيْرِكَ فِي زَمَانٍ فَتَدْرِي مَا الْمَقَادَةَ وَالصَّغَارُ^(٤)

ثم قال : والقليل منك في الجود والحرب كثير حتى تكون القطرة بمنزلة البحر .
 (١) الأناة : الرفق والحلم . يقول : فيك رفق وحلم عن الجاني لا تسرع في عقوبته .
 يظن ذاك لكرامة له عليك وهو اختقار له عن المكافأة ، لا كرامة .
 (٢) أخذ : عطف على أناة ؛ والحواصر : جمع حاضرة ، وهي حلاف البادية ؛
 والمراد : أهل الحواضر والبوادي ، وبضبط : متعلقة بأخذ ، وقوله : نزار
 يريد العريب : يقول : أنت تأخذ أهل الحضر والبدو بسياسة وضبط لم
 تعودها العرب .

(٣) يقول : إن العرب تدنو من طاعتك ، فإذا أحست ما عندك من السيادة
 أنكرت ذلك إنكار الوحش إذا شمعت ريح الإنس فتفر ، وقوله : تشممه - بحذف
 إحدى التاين - أى تشممه . وإنسا : مفعول شميم ؛ والتشمم : الشم في أناة وتؤدة .
 ويقال : شممت النىء أشمه وشمته أشمه شماً وشمياً ، قل الصمة بن عبد الله الشيرى :
 تمتع من شميم عرار نجد فما بعد المشية من عرار^(١)
 قال أبو حنيفة الدينورى : تشمم النىء واشتمه أدناه من ألقه ليجذب رائحته ،
 وتشممت النىء شمته في مهلة .

(٤) المقادة : الاقياد ، والصغار : الذل . يقول : إن العرب لا تعرف هذا لأنهم لم
 لم ينقادوا لأحد .

(١) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، وقيل هو النرجس البرى
 والبيت من أبيات هي :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَحْدِي بِنَا بَيْنَ الْمُنَيْفَةِ فَالِصَّمَارِ
 تَمْتَعُ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدِ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَةِ مِنْ عَرَارِ
 أَلَا يَا حَبِّذَا نَفْحَاتُ نَجْدِ وَرِيًّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقَطَارِ
 شَهْرٍ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَمْ نَ وَلَا سِرَارِ

فَقَرَّحَتْ الْمَقَاوِدُ ذِفْرِيَّيْنَهَا وَصَعَرَ خَدَّهَا هَذَا الْعِذَارُ (١)
 وَأَطْمَعَ عَامِرَ الْبُقْيَا عَلَيْهَا وَنَزَقَهَا احْتِمَالُكَ وَالْوَتَّارُ (٢)
 وَغَيْرَهَا التَّرَاسُلُ وَالنَّشَاكِي وَأَعْجَبَهَا التَّلْبُوبُ وَالْمَغَارُ (٣)
 جِيَادٌ تَعْمِزُ الْأُرْسَانَ عَنْهَا وَفُرْسَانٌ تَضِيقُ بِهَا الدِّيَارُ (٤)
 وَكَانَتْ بِالتَّوَقُّفِ عَنْ رَدَّهَا نُفُوسًا فِي رَدَّهَا تَسْتَشَارُ (٥)

(١) المقاوود: جمع مقود، وهو الرسن، والدفري: العظم الشاخص خلف الأذن، مأخوذة من ذفر العرق لأنها أول ما تترق من البعير، ويجمع على ذفاري وذفاري: كصحاري ووصحاري. والصعر: الليل في الحد؛ وفلان صعر خده: أماله من الكبر، والعدار من اللجام ماسال على خدي الفرس. يقول: لما وضعت على العرب المقاوود لتقودهم إلى طاعتك، وبالفتى رياضتهم تفرحت ذفاريهم من جذب المقاوود لردوسهم: أي جعلتهم كالقرحى في الندك والأتقاد، وأمال خدودهم هذا العذار: أي أمالم إلى طاعتك. والقرح: كل ما جرح الجلد من عض السلاح ونحوه. وروى الواحدى: فأفدحت - بالفاء - من أفدحه الدين: أتمله، ينى: لما وضعت على العرب المقاوود أتقلت مقاوذك ردوسهم، لأنك ضبطتهم ومنعهم عن التلصص والتارة فصاروا كالداية تهاد بحكمة شديدة وشكيمة ثقيمة.

(٢) منع عامر من الصفر لأنه أراد القبيلة، ولذلك أنها؛ والبقيا: اسم من الإبقاء؛ والبرق: الحفة والطيش. يقول: وأطعمهم في العصيان إهلاؤك عليهم وعدوك عن الإيقاع بهم، وحملهم على الطيش أناتك وحلك عنهم وتوقفك عن إهلاكهم.

(٣) تلبب الرجل: تحزم وتشم؛ والتلبب: للتحزم بالسلاح وغيره، والمغار: الإغارة. يقول: وغيرها عن الطاعة أنها كانت ترأسل فيما بينها وتتواطأ على عصيانك وتتشاكى لما يجدونه من صعوبة الاستخذاء إليك؛ واعترت بتحزبها وتأهبها ولبسها الأسلحة وكثرة غاراتها على النواحي والأطراف.

(٤) الجياد: الخيل، وهى مبتدأ محذوف الخبر: أى لم جياد. يقول: إن لم خيلا تعجز الأرسان عن ضبطها لصعوبتها وشدة ردوسها، أو تقول: لا تسمعها الأرسان لكثرتها، أى أن لم خيلا لكثرتها لا توجد لها أرسان، ثم قال: وفيهم فرسان تضيق بهم الديار لكثرتهم.

(٥) الضمير في كانت: للفرسان؛ والردى: الهلاك. يقول: وكنت تتوقف عن إهلاكهم والإيقاع بهم جريا على عادتك في الصفع والنفو؛ فكانوا - بهذا التوقف - كمن

وَكَنتَ السَّيْفَ قَائِمَهُ إِلَيْهِمْ وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدَّكَ وَالْفِرَارُ^(١)
فَأَمْسَتْ بِالْبَدِيَّةِ شَفْرَتَاهُ وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحِيَارُ^(٢)
وَكَانَ بَنُو كِلَابٍ حَيْثُ كَعْبُ نَخَافُوا أَنْ يَصِيرُوا حَيْثُ صَارُوا^(٣)
تَلَقَّوْا عِزًّا مَوْلَاهُمْ بِذِلَّةٍ وَسَارَ إِلَى بَنِي كَعْبٍ وَسَارُوا^(٤)
فَأَقْبَلَهَا الْمَرْوَجَ مُسَوِّمَاتٍ ضَوَامِرَ لَا هِزَالَ وَلَا شِيَارَ^(٥)

يستشار في إهلاكه ، وكانوا هم بتوهمهم واسترسالهم في غيهم - كأنهم يشيرون عليك بأن تقتلهم . وقد أقام الردى مقام الإرداء .

(١) و (٢) قَائِمُهُ : مقبضه . وغراره : حده . والبديّة والحيار : ماءان بأرضهم كانوا ينزلون عليهما . وشفرتا السيف : حداه . يقول : كنت سيفاً لهم مقبضه في أيديهم وحده في أعدائهم فلما عصوك صارت شفرته حيث هم : أي في البديّة . أي سرت إليهم في منازلهم ، وجاوزت الحيار حتى صار خلفك ، وأهلكتهم بسيفك الذي كنت تذود به عنهم . وفي معناه قول جعفر بن علبه :

لَهُمْ صَدْرُ سَيْبٍ فِي يَوْمٍ صَحْرَاءِ سَحْبَلٍ
وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأُنَامِلُ

(صحراء سحبل : موضع)

(٣) يقول : كانوا في التمرد والعصيان حيث كان بنو كعب ، فلما رأوا ما نزل بهؤلاء من القتل والهوان خافوا أن ينزل بهم ما نزل بكعب من القتل والسبي إن بقوا على عصيانهم . وكعب : مبتدأ محذوف الخبر . أي حيث كعب كاثنون لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل .

(٤) يقول : استقبلوا سيف الدولة بالخضوع والذلة والالتقياد وساروا معه وراء كعب قال العكبري : وذلك أن مشيخة بني كلاب تلقته وقد سار عن الحيار لطلب البديّة فطرحوا نفوسهم عليه لما رأوا حد سيفه وخشوا أن يهربوا فيهلكهم وتقتلهم القفار والعطش كما هلكت كعب

(٥) الضمير في أقبلها : للخليل ، وإن لم يجر لها ذكر وأقبلها المروج : جعل وجوها إليها . والمروج : المواضع ترعى فيها الدواب ، وأراد مروج سلمية - موضع بين الفرات وحلب كانوا فيه ثم أنهزموا - ومسومات : مغطات بسمة تعرف بها ؛ وضوامر : قليلة

تَشِيرُ عَلَى سَلْمِيَّةَ مُسْبَطِرًا تَنَآكَّرُ نَحْتَهُ لَوْلَا الشَّعَارُ^(١)
عَجَابًا تَعْتَرُّ الْعِقْبَانَ فِيهِ كَأَنَّ الْجَوَّ وَعَثُ أَوْ خَبَارُ^(٢)

المحم . وهزال : جمع هزيل . والشيار : السمان الحسنه الناظر ، ولا هزال ولا شيار في الأعراب ، مثل قول اقبال :

* لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ *^(١)

يقول : وجه خيله إلى المروج وأجاءها إليها ضامرة ، وليس ضمها عن هزال ؛ إنما هو عن تضمير وقيام عليها ، ولا هي أيضاً سميحة حسنة النظر لأنها قد شعث وأغربت بمواصلة السير .

(١) سلمية : موضع ؛ والمسبطر : القبار الممتد ؛ والشعار : العلامة يتعارفون بها . يقول : تشر خيلك على هذا المكان - سلمية - غباراً منتشرًا لا تعرف الخيل تحته بعضها بعضاً - أي أصحاب الخيل . أي الجيش لولا العلامة التي تتعارف بها . فقوله : تناكر - محذف إحدى التامين - أي الخيل .

(٢) عجاجا : بدل من مسبطرا والعجاج : القبار . والوعث من الأرض : السهل

(١) وصدر هذا البيت .

* هَذَا لَعْمَرُ كَمِ الصَّفَارُ بِعَيْنِهِ *

والبيت لهني بن أحمـر السناني ، شاعر جاهلي قديم ، وقيل لغيره ، وهو من أبيات جميلة يقول فيها . -

أَخِيَّ أَخْبَرَنِي وَلَسْتَ بَصَادِقُ	وَأَخْوَكُ نَاصِحُكَ الَّذِي لَا يَكْذِبُ
أَمِنْ الْقِضِيَةِ أَنْ إِذَا اسْتَفْنَيْتُمُ	وَأَمِنْتُمْ فَأَنَا الْغَرِيبَ الْأَجْنَبُ
وَإِذَا الْكُتَائِبَ بِالشَّدَائِدِ مَرَّةً	حَجَرْتَكُمْ فَأَنَا الْهَيْبَ الْأَقْرَبُ
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَدْعَى لَهَا	وَإِذَا يُحَاسِ الْهَيْبَ يُدْعَى جُنْدَبُ
وَلِجُنْدَبِ سَهْلِ الْبِلَادِ وَعَذْبَهَا	وَلِي الْمَلِاحُ وَحِبْتِنَ الْجَدْبُ
عَجَبٌ لِنَتِكَ قِضِيَّةً وَإِقَامَتِي	فِيكُمْ عَلَى تِلْكَ الْقِضِيَّةِ عَجَبُ
هَذَا لَعْمَرُ كَمِ الصَّفَارُ بِعَيْنِهِ	لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

الحيس لبن وأقط وسمن وتمر يصنع منه طعام ، والحبت الطمأن من الأرض وقد رويت هذه الأبيات على اختلاف في بعض كلماتها .

وَقَلَّ الطَّمَنُ فِي التَّخْلِينِ خَلْسًا كَانِ الْمَوْتَ بَيْنَهُمَا اخْتِصَارًا^(١)
 فَلَزَّمَهُ الطَّرَادُ إِلَى قِتَالِهِ أَحَدُ سِلَاحِهِمْ فِيهِ الْفِرَارُ^(٢)
 مَضَوْا مُتَسَابِقِي الْأَعْضَاءِ فِيهِ لِأَرْوُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِنَارًا^(٣)
 يَشْلَهُمْ بِكُلِّ أَقْبَبٍ نَهْدٍ لِفَارِسِهِ عَلَى التَّخْلِيلِ الْخِيَارُ^(٤)
 وَكُلُّ أَمَمٍ يَعْمَلُ جَانِبَاهُ عَلَى الْكَمْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُجَارًا^(٥)

الكثير الرمل ، وهو ماتيب فيه القوائم لسهولته . والخيار : الأرض اللينة الرخوة .
 يصف التبار بالكثافة ؛ يقول : إن العقبان التي تسيّر مع الجيش تكثر في ذلك التبار
 وكثافته ، فكان الجو أرض لينة تنفوس فيها أرجل الطير فتكثر لكثرة ما ارتفع من
 غبار الحيل وكثافته .

(١) خلسا : أى اختلاسا وهو سرعة اختطاف الشيء خفية . يقول : ظلوا يتخالسون
 الطمن فيسرع فيهم للموت حتى كأنه اختصر الطريق إليهم .
 (٢) لزمه إلى الشيء : ألجأه إليه وأدناه منه . يقول : أوجههم طرادك لإناهم إلى قتال
 شديد لم يكن لهم سلاح يدفعه عنهم غير الفرار .

(٣) يقول : لإسراعهم في الحرب والمزمنة خوفا من القتل كانت أعضاؤهم كأنما
 يسابق بعضها بعضا : الأرجل تسابق الرءوس ، والرءوس تسابق الأرجل وكأن الرءوس
 تكثر بالأرجل حين تريد الرءوس الإسراع فتمنحها الأرجل وقال ابن جنى : إذا ندر
 رأس أحدهم فتخرج يثر برجله أو برجل غيره ، وهذا غير للمهود أن يثر الرأس
 بالرجل ؛ قال الواحدى : أحسن من قوله أن يقال . بأرجلهم عثار لأجل حفظ رءوسهم
 فهم ينهزمون فيسرعون ويثرون .

(٤) يشلهم : يطردم . والأقرب من الخيل : الضامر البطن . والنهد : للشرف
 المرتفع . يقول : يطردم بكل فرس ضامر نهد لفارسه الخيار ، إن شاء لحق ، وإن شاء
 سبق : أى إن شاء جارته سائر الخيل وإن شاء سبقها فلحقته .

(٥) أمم : أى رمح صلب ليس بأجوف لين ؛ ويمسل : يضطرب . وممار : مسال مهرق
 يقول : ويطردم بكل رمح صلب يضطرب جانباة الأعلى والأسفل . قال الواحدى :
 وأراد بالكمين اللذين في عامله . وهما يخيان في المظنون ، وتلك وصفهما بأن عليهما
 دما ، ويجوز أن يريد الكعب الذى فيه السنان والذى فيه الزج ؛ فإن الطمن يقع بهما
 قال ابن جنى : يجوز أن يريد بالثنية الجمع ، لأن أول الجمع ثنية .

يُغَادِرُ كُلُّ مُلْتَمِتٍ إِلَيْهِ وَلَبَّتُهُ لِشَمْلَيْهِ وَجَارُ^(١)
 إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضُّوءَ عَنْهُمْ دَجَا لَيْلَانَ لَيْلٍ وَالنُّبَارُ^(٢)
 وَإِنْ جُنِحُ الظَّلَامِ انْجَابَ عَنْهُمْ أَضَاءَ الْمَشْرِقِيَّةِ وَالنَّهَارُ^(٣)
 يُبْكِي خَلْفَهُمْ دُزْرُ بُكَاهُ رُغْلَا أَوْ تُوْاجِحُ أَوْ يُعَارُ^(٤)
 غَطَا بِالْعَثِيرِ الْبَيْدَاءِ حَتَّى تَحْمِرَّتِ التَّلَالِي وَالْمِشَارُ^(٥)

(١) يغادر : يترك ، والضمير للرمح . واللبة : أعلى الصدر . والثعلب - هنا -
 مادخل من الرمح في السنان ، والوجار : بيت الوحش من الضبع والثعلب ونحوهما .
 يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحوه مطعون يدخل ثعلبه في
 نحوره . ولقد أبدع في هذه التورية والاستعارة بذكر الوجار والثعلب .

(٢) و (٣) دجا : أظلم ؛ وجح الليل : جانبه ؛ وانجاب : انكشف ؛ والمشرقية :
 السيف ، نسبة إلى مشارف الشام . يقول : إذا ذهب عنهم ضوء النهار كان مع الليل
 ليل آخر من العجاج - الغبار - وإذا انقضى الليل أضاء مع النهار نهار آخر من بريق
 السيف : أى أنهم في ليلين مظلمين من الليل والغبار ، وفي نهارين من ضوء السيف
 والنهار « هذا » وإليك خلافاً نحوياً بين البصريين والكوفيين أمارة العلامة العسكري
 النحوي الكوفي لمناسبة إعراب جنح الظلام ، قال : ارتفع جنح الظلام ، عندنا بالابتداء ،
 وهو قول الأخفش ، وعندنا أيضاً أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل .
 وقال البصريون : يرتفع بتقدير فعل ؛ وحيثنا أن إن الشريطة هي الأصل في باب الجراء .
 فلقوتها جاز تقديم المرفوع معها وقلنا إنه يرتفع بالعائد لأن المكنى المرفوع معها في الفعل
 هو الاسم الأول ، فينبغي أن يكون مرفوعاً كقولهم : جاءني الظريف زيد ، وإن لم يكن
 مرفوعاً لم يفتقر إلى تقدير فعل ، وحجة البصريين أنه يجوز أن يفصل بين حرف الجزم
 وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ولا يجوز أن يكون هنا عاملاً ، لأنه لا يجوز
 تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ؛ ولو لم يقدر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعاً بلا رافع ، وذلك
 لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل .

(٤) الدر : المال الكثير . والرزاء : صوت الإبل ، وانثواج : صوت النعم .
 واليعار : صوت المعز . يقول : إنهم ساقوا مواشيهم هارين ، فكانت تصيح خلفهم
 لما ألم بها من النعب والإعياء في السير : فالإبل ترغو ، والمعزى تيعر ، والنعم تأنج ؛
 وكأنها بهذا الصياح تبكي .

(٥) غطاء وغطاء : بمعنى ؛ والعثير : الغبار ؛ والتلالي : جمع متلية ، وهي الناقة

وَمَرُّوا بِالْجَبَاةِ يَقْمُ فِيهَا كَلَّا الْجَيْشِينَ مِنْ تَقْمٍ لَزَارُ^(١)
 وَجَاءُوا الصَّحْحَانَ بِلَا سُورِجٍ وَقَدْ سَقَطَ الْعِمَامَةُ وَالْحِمَارُ^(٢)
 وَأَرْهَقَتِ الْعَذَلِي مَرْدَفَاتٍ وَأَوْطِئَتِ الْأَصْيِيَةَ الْمَّسْفَارُ^(٣)
 وَقَدْ نَزَحَ الْفُؤَيْرُ فَلَا غُؤَيْرُ وَنَهْيَا وَالْيَيْبِضَةَ وَالْجَفَارُ^(٤)
 وَلَيْسَ بِغَيْرِ تَدْمُرٍ مُسْتَفَاتٌ ، وَتَدْمُرُ كَانِيَهُمْ لَمْ دَمَارُ^(٥)

يتلوها ولدها؛ والعشار: التي قربت ولادتها - جمع عشاء. والمتالى والعشار: أعز أموال العرب، ولذلك خصهما بالذكر. يقول: غطى البيداء بالعبار حتى تحيرت النعم - على حدة أبصارها - في ذلك العبارة؛ ورواية ابن جنى بالغنثر: بدل بالعثير، والغنثر؛ ماء هناك، وتحيرت - بالحاء، بصيغة المجهول - فيكون المعنى: غطى سرحهم البيداء عند هذا الماء لكثرت حتى تغير منه سيف الدولة المتالى والعشار لما وصل إلى ذلك الماء. (١) الجبابة: اسم ماء. والققم: العبارة. يقول: إنهم مروا بهذا الماء في هربهم وقد أدركهم جيش سيف الدولة هناك، فاشتمل العبارة على الجيشين حتى صاروا منه في إزار لشدة انتشاره.

(٢) الصححان: يريد بالصححان هنا: صحراء بينها هناك، وفي غير هذا الموضع كل أرض واسعة فضاء. يقول: جاءوا هذه الصحراء وقد انخلت سروج خيلهم فسقطت وسقطت عمائم رجالهم وخمر نسائهم لإسراعهم وإشاحتهم في الهرب.

(٣) أرهقه: كلفه ما فيه مشقة. ومردفات: أى مركبات خلف الرجال، وأوطئت أى جعلت الخيل تطؤها. لحذف الخيل للعلم بها، والأصيبة: تصغير أصيبة. جمع صبي، والعداري: جمع عذراء. وهى البكر التي لم يفتقرها حبل. يقول: إن العداري قد كلفن بأردافهن خلف الفرسان مشقة لا يطقنها، ولم يثبت الصبيان الصنار على الخيل في الركض فسقطوا ووطأتهم الخيل. وعبارة ابن جنى: أوطأوا الخيل الصبية لأنهم لم يقدروا أن يحملوهم لشدة هربهم وأردفوا العداري طلبا للنجاة وحفظا لهم.

(٤) هذه كلها مياه معروفة. يقول: لما بلغوها نزحوها لما لحقتهم من العطش والجهد حتى لم يبق منها شيء، ولذلك قال: فلا غوير.

(٥) يقول: لم يكن لهم مفرع يفرعون إليه إلا تدمر، ظنوا أنهم إذا بلغوها حصنتهم من سيف الدولة، ولكن خاب ظنهم، إذ لم يعمتوا أن غشيم جيشه بها فصارت دماراً - هلاكاً - لهم كاسمها. وتدمر هي المدينة المعروفة.

أَرَادُوا أَنْ يُدِيرُوا الرَّأْيَ فِيهَا فَصَبَّحَهُمْ بِرَأْيٍ لَا يَدَارُ^(١)
 وَجَيْشٍ كَلَّمَا حَارُوا بِأَرْضٍ وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارُ^(٢)
 يَحْفُ أَغْرَ لَا قَوْدٌ عَلَيْهِ وَلَا دِيَةَ تُسَاقُ وَلَا أَعْتِدَارُ^(٣)
 تُرِيْقُ سُوْفُهُ مُهَجَ الْأَعَادِي وَكَلَّ دَمِ أَرَاقَتَهُ جُبَارُ^(٤)
 فَكَانُوا الْأُسْدَ لَيْسَ لَهَا مَصَالٌ عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَطَارُ^(٥)

- (١) يقول : أرادوا أن يقلبوا وجوه الرأي في تدمير ، فأتاهم سيف الدولة صباحا وعصف بهم ، فكان عصفه بهم - إهلاكه إياهم - رأيا لا سبيل إلى تقليبه .
- (٢) جيش : عطف على رأي ؛ يقول : وصبحهم بجيش كلما أشرف هؤلاء المهاربون على أرض واسعة حاروا فيها لسعتها وشدة ذعرهم ، ثم لما أقبل هذا الجيش أقبلت تلك الأرض تتحير فيه لكثرتة وتوافره ، فكأنه أوسع منها .
- (٣) يقول : يحيط هذا الجيش بأغر - سيد شريف - يعنى سيف الدولة - إذا قتل عدوه لم يكن عليه قود ولا دية ولم يعتذر من فعله ، لأنه ملك قاهر ذو عز ومنعة لا يرجع فيما فعل . والقود : قتل النفس بالنفس ، والدية : ثمن الدم .
- (٤) تريق : تسفك ؛ والمهجة : دم القلب والروح والجنار : الهدر الذي لا قود فيه ولا دية يقال : ذهب دمه جبارا إذا لم يطلب ؛ والبيت في معنى البيت السابق .
- (٥) مصال : مصدر : أى صولة وقوة . وكذلك المطار يعنى الطيران . قال العروضي وواقفه الواحدى : هذا من صفة خيل سيف الدولة ، يقول . هم - فرسان سيف الدولة أسود ولا يشينهم عدم إدراكهم هؤلاء القوم لأن الأسد - على قوته - لا يمكنه صيد الطائر لأنه لا مطار للأسد ؛ يعنى أن هؤلاء القوم أسرعوا في الهرب إسرار الطير في الطيران ؛ وهذا كالعذر لهم في التخلف عن لحوقهم لسرعة هربهم ؛ وقال آخرون : هذا من صفة القوم شبههم بالأسود في قوة البأس ، وشبه جيش سيف الدولة بالطير في سرعة الجرى ورائهم . يقول : الأسود مع شدة بطشها لا تقدر أن تسطو على الطير لأنه يفوتها ولا تقدر على الطيران أمامه فتوته . يريد أنهم لم يقدروا على مقاومة الجيش لأنهم لا ينالونه بسلاحهم ولا وسعهم الهرب من أمامه ، لأنه أسرع جريا منهم فهو يدركهم أينما ذهبوا . وعبارة ابن جني ؛ كانوا أسدا قبل ذلك ، فلما غضبت عليهم وقصدتهم لم تكن لهم صولة لضعفهم ولم يقدروا على الطيران فأهلكتهم .

إِذَا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلْتَهُمْ بَارِمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْفِغَارُ (١)
يَرَوْنَ الْمَوْتَ قَدَامًا وَخَلْفًا فَيَخْتَارُونَ وَالْمَوْتَ أَضْطَرَّارُ (٢)
إِذَا سَلَكَ السَّمَاءَ غَيْرُ هَادٍ فَتَنَلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ (٣)
وَلَوْ لَمْ تَبْقِ لَمْ تَعِشِ الْبَقَايَا وَفِي الْمَاضِي لِمَنْ بَقِيَ أَعْتَبَارُ (٤)
إِذَا لَمْ يَرْزُقْ سَيِّدُهُمْ عَلَيْهِمْ فَمَنْ يُرْعَى عَلَيْهِمْ أَوْ يَغَارُ (٥)
تَفَرَّقَهُمْ وَإِيَّاهُ السَّجَايَا وَيَجْمَعُهُمْ وَإِيَّاهُ النَّجَّارُ (٦)
وَمَالَ بَهَا عَلَى أَرْكٍَ وَعُرْضٍ وَأَهْلُ الرِّقَّتَيْنِ لَهَا مَزَارُ (٧)

(١) يقول: إذا فاتوا رماح سيف الدولة ونجوا منها بالهرب هلكوا في القفر من العطش، فقام العطش في قتلهم مقام الرماح
(٢) يقول: يرون الموت قداماً وخلفهم من العطش وخلفهم من الرماح فيختارون أحد الموتين، وليس ذلك اختياراً في الحقيقة لأن الموت يضطر إليه ولا يختاره أحد، فهم — لا محالة — هالكون.

(٣) النار: العلم ينصب في الطريق. يقول: إذا ضل أحد بصحراء السبوة قامت له جثث قتلاهم بها مقام النار فاهتدى وعرف الطريق بهم كما يهتدى بالنار؛ وهذا من قول ثابت قطنه:

هَذَاكَ اللَّهُ بِالْقَتْلِ تَرَاهَا مُصَلَّبَةً بِأَفْوَاهِ الشُّعْبِ

(٤) يقول: لولا إبقاؤك على من بقي منهم وصفحك عنهم لهلكوا جميعاً لكنك أردت تأديبهم، لا إفناءهم، فكان في من هلك منهم عبرة لمن بقي، فلا يعصى لك أمراً أبداً.

(٥) أرعى فلان على فلان - مثل أبقى عليه - رحمه وكف عنه يقول: أنت سيدهم. فإذا لم تبق عليهم فمن يرحمهم أو يغار عليهم؟ إذ المولى إذا لم يرحم عبده لا يرحمه غيره.

(٦) السجايَا: الطباع والأخلاق، والتجار: الأصل. يقول: إن أصله وأصلهم واحد لا اشتراكهم في نزار، إلا أن الطباع والأخلاق مختلفات، وأين هم منه؟

(٧) أرك وعرض: بلدان قرب تدمر، والرقتان: بلدان على الفرات، وهما الرقة والرافقة، قيل لهما الرقتان تفلسيا، والضمير في بها ولها للخيل. يقول: مال سيف الدولة بجيلة على البلدين المذكورين على تباعدهما عن قصده وهو متوجه إلى الرقتين:

وَأَجْفَلَ بِالْفَرَاتِ بَنُو نُمَيْرٍ
فَهُمْ حِرْزٌ عَلَى الْخَابُورِ صَرَغِي
وَزَارَهُمُ الَّذِي زَارُوا خَوَارِ (١)
بِهِمْ مِنْ شَرْبِ غَيْرِهِمْ خُمَارِ (٢)
وَلَمْ تَوْقَدْ لَهُمْ بِاللَّيْلِ نَارِ (٣)
فَلَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمُ الْحِذَارُ (٤)
وَجَدَّوَاهُ الَّتِي سَأَلُوا اغْتِفَارِ (٥)
فَخَلَّفَهُمْ بَرْدٌ أَلْبِيضٍ عَنْهُمْ
وَهَامَهُمْ لَهُ مَعَهُمْ مُعَارِ (٦)

يعنى بذلك طلبه لبنى كعب في كل مكان . وقال ابن جنى : أى مال بجيله على هاتين البقعتين وأهل الرقتين قريب لو أراد زيارتهم لما بعد ذلك عليها .
(١) الزئير : صوت الأسد ، والحوار : للبقر : يقول : إنهم انهزموا بالفرات فصار زئيرهم خوارا : أى كانوا قبل ذلك يظنون أنفسهم أسودا ، فلما أتاها أجفلوا من وجهه إجفال الثيران .

(٢) الحزق : الجماعات - جمع حزقة ، والخابور : نهر على الفرات ، والخمارة بقية السكر . يقول : ظنوا أنهم المقصودون فهربوا خوفا من سيف الدولة حين توجه إلى ناحيتهم يريد الرقتين ، فصاروا جماعات صرعى - مطروحين - حوالى هذا النهر ، وقوله بهم الخ : أى أنهم لم يذنبوا ، وإنما أذنب غيرهم فأدركهم تب الحرب ، فأراد بالشراب المعصية . وبلخار ؛ ماخفهم من الخوف .
(٣) المراد بالمال : الواشى . يقول : لخوفهم لم يصرحوا نعمهم نهرا ولم يوقدوا نيرانهم ليلا .

(٤) يقول : هم : وإنما فعلوا ذلك خشية أن يعرف مكانهم فيقصدهم ، وهو حذر في غير موضعه ، لأنه إذا كان غير راض عنهم ، فإن حذرهم هذا لا يجديهم شيئا ، فهو يدركهم أينما كانوا ، ولو في أقصى البلاد أو في الجواء ، فقوله : حذار ، مفعول له ، عامله في البيت السابق ، وهو مصدر حاذر .

(٥) الجدوى : العطية . يقول : إنهم يفتدون إليه يسألونه العفو لاغير . والوفود : جمع وفد ، وهو جمع وafd ، والوافد : القادم على أمير أو غيره ليطلب منه شيئا .

(٦) خلفهم : استبقاهم ، والبيض : السيوف ، والهام : الرءوس يذكر ويؤنث - وهو مبتدأ ، خبره : له ، والجملة : حال ، ومعار : خبر آخر ، ومعهم : حال من نائب معار . يقول : فاستبقاهم بأن رد سيوفه عنهم وترك رءوسهم معهم عارية منه متى شاء أخذها لأنها في ملكه . وهذا كلام بديع .

وَهُمْ يَمِنُ أَدَمَ لَمْ عَلَيْهِ كَرِيمُ الْعِرْقِ وَالْحَسْبُ النُّضَارُ^(١)
 فَأَصْبَحَ بِالْعَوَاصِمِ مُسْتَقِرًّا وَلَيْسَ لِبَحْرِ نَائِلِهِ قَرَارُ^(٢)
 وَأَضْحَى ذِكْرُهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ تَدَارُ عَلَى الْفِنَاءِ بِهِ الْعُقَارُ^(٣)
 تَحْرَهُ لَهُ الْقَبَائِلُ سَاجِدَاتٍ وَتَحْمَدُهُ الْأَسِنَّةُ وَالشُّفَارُ^(٤)
 كَانَ شِعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فَنِي أَبْصَارِنَا مِنْهُ أَنْكَسَارُ^(٥)
 فَمَنْ طَلَبَ الطَّعْمَانَ فَذَا عَلِيٌّ وَخَيْلُ اللَّهِ وَالْأَسْلُ الْحِرَارُ^(٦)

(١) أدم لهم : صيرهم في ذمامه ؛ والضمير في عليه : لسيف الدولة . والعرق : الأصل ؛ والحسب : ما تعدده من مآثر الآباء . والنضار : الخالص من كل شيء . يقول عقد النعمة لهم وصيرهم في ذمامه كرم أصله وصحة حسبه .

(٢) العواصم : بلاد حاضرتها إنطاكية ؛ والنائل : العطاء يقول : فاستقر بهذا للسكان بعد عودته من هذه الفزوة لأنه مقره ، أما جوده فلا يستقر . كالبحر ليس له قرار .

(٣) العقار : الحمر . يقول : إن ذكره قد ملاً الآفاق حتى إن الشرب - جماعة شاربى الحمر - يفتنون بما مدح به من الأشعار ويشربون على ذكره . هذا وسميت الحمر عقاراً ؛ قيل لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدن : أى لزمته ، وأصله من عقر الحوض لأن الواردة تلازمه ، وقيل : لأنها تعقر شاربها ، وقيل : لشبهها بالعقار ، وهو نبت أحمر .

(٤) الأسنة هنا : الرماح ، والشفار : جمع شفرة . حد السيف يقول : إنه لمنعته تخضع له القبائل كل الخضوع . وتثنى عليه الرماح والسيوف . لحسن استعماله إياها لأنه أذل بها تلك القبائل .

(٥) يقول : لإجلنا إياه وإعظمانا له لا نستطيع أن نملأ أعيننا من النظر إليه ، كما لا نستطيع أن ننظر طويلاً إلى شعاع الشمس ، كما قال الفرزدق :

يُفْضِي حَيَاءً وَيُفْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ

وهو من قول الآخر :

إِنَّ السُّيُوزَ إِذَا رَأَتْكَ حِدَادُهَا رَجَعَتْ مِنَ الْإِجْلَالِ غَيْرِ حِدَادٍ

(٦) الأسل : الرماح ، والحرار : العطاش ، جمع حران ، والأنثى حرى . والحران

يَرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ بِأَرْضِ مَا لِنَازِلِهَا أُسْتَتَارُ^(١)
يُوسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ طِلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الْإِنْتِظَارُ^(٢)
تَصَاحِلُ خَيْلُهُ مُتَجَاوِبَاتٍ وَمَا مِنْ عَادَةِ الْخَيْلِ السَّرَارُ^(٣)

العطشان . يقول . من أراد المطاعنة بالرماح ، فهذا على - اسم سيف الدولة - قد تفرع من قتا هؤلاء ومعه خيل الله - جيشه - والرماح العطاش لانها لا تروى من الدم .

(١) و (٢) كعب . اسم القبيلة . وبأرض : صلة يراه ، والمفاوز : الصحارى . يقول : إنه دائما يسرى إلى أعدائه ويجوب إليهم الصحارى التي لا يستتره فيها شيء فهو يتوسط الصحارى كل يوم ليطلب الأبطال الذين يطلبون القتال لا ينتظر لحاقهم به : يعنى أنه دائما يقصد أعداءه حيث هم ولا ينتظر أن يأتيه فيقاتلهم ، أى أنه دائما طالب لا هارب . والعادة أن الخائف يترأى المفاوز خوفا ممن يلحقه ، ولكن المدوح ينزلها طلبا لمن يهرب منه إليها . « هذا » ، وقوله لا الانتظار : فألف لا : ساقطة لفظا ، وإن تحركت اللام بعدها ، لأن حركة اللام عارضة دفعا لالتقاء الساكنين بينها وبين النون . وقوله طلاب الطالبين : تروى طلاب الطاعنين : أى طاعنى الأعداء .

(٣) تصاهل - بحذف إحدى التائين - أى تصاهل . والسرار : مصدر ساره ، كمله سرا . وقد اضطربت كلمة الشراح في تأويل هذا البيت فذكر ابن جنى معنيين ، والخطيب خالفه إلى معنى آخر ، وأوجهها ما ذهب إليه ابن فورجة قال ما محصله : إن خيله تصاهل من غير سرار ، وليس السرار من عادة الخيل ، يعنى أن سيف الدولة ليس من شأنه أن يباغت العدو ولا يحاول أن يخفى قصده إلى أعدائه لقوته وتمكنه واقتداره ، ومن ثم لا يكف خيله عن الصهيل ، لأن من يباغت عدوه يضرب خيله إذا صهلت ليقطع صهيلها ، كما قال القائل :

إِذَا الْخَيْلُ صَاحَتْ صِيْحَ النَّسْرِ جَزَرْنَا شِرَاسِيْفَهَا بِالْجَدْمِ^(١)

وأحد معني ابن جنى : إن خيله يسر بعضها إلى بعض شكية مما يجسمها به من ملاقة الحروب وقطع المفاوز . والمعنى الآخر : إن خيله مؤدبة فتصهل سرا هييه له ، وقال الخطيب : إنما أراد أن خيله إذا سارت أخفى صهيلها صوت الحديد ، فكأنما هي في سرار وأخذته من قول عترة :

(١) الشرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن ، والجدم ، جمع جذمة السروط .

بَنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَرَتْ فِيهِمْ يَدٌ لَمْ يَدْمِهَا إِلَّا السَّوَارُ^(١)
 بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَتَقْصُ وَفِيهَا مِنْ جَلَالَتِهِ أُفْتِخَارُ^(٢)
 لَمْ حَقُّ بِشِرْكَكَ فِي نِزَارِ وَأَذْنَى الشَّرْكَ فِي أَصْلِ جِوَارِ^(٣)
 لَعَلَّ بَيْنِهِمْ لِبَيْنِكَ جُنْدٌ فَأَوْلُ قُرْحِ أَلْحِيلِ الْمَهَارِ^(٤)

وازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتمحّم

(البان : الصدر)

(١) و (٢) اليد : الجارحة المعروفة ، والسوار : الحلية من الذهب أو الفضة ، كالطوق تلبسها المرأة في رندها أو معصمها ، وبنوكب : مبتدأ ، ويد : خبر وما أثرت : أى وتأثيرك . يقول : إن بنى كعب وما أثرت فيهم من الذل والقتل مثلهم مثل اليد التي يدميها السوار ، فإن اليد تتحلّى بالسوار وتتفخر وإن كان يؤلمها ، كذلك بنوكب يتفخرون بك وأنت زين لهم ، وإن أثرت فيهم .

(٣) الشرك : مصدر شركة ، جوزن علمه ، ونزار : جد العرب . يقول : إنهم يشاركونك في الانتساب إلى نزار ، وأقل ما يقتضيه حق الشركة في أصل جوار : أى نعام ورعاية حرمة .

(٤) يستعظمه عليهم ويحتمه على المفوعهم . يقول : لعل أبناءهم يكونون جندا لأبنائك وعبيدا إذا سلوا ، فإن المهار من الحيل تصوير قرحا : أى أن الصغار تصير كبارا كما قيل :

وإنما القرم من الأفيل وسحق النخل من الفسيل

« القرم : الفعل من الإبل ، والأفيل : الفصيل ، والفسيل : ما يقلع من صغار النخل ليغرس ، والقرح : جمع قرح ، وهو الذي استكمل سنه بأن بلغ خمس سنين والمهارة جمع مهر ، الصغير من الحيل : هذا : ولناسبة لعل : قال العكبري : ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لام لعل الأولى أصلية ، وقال البصريون : بل هي زائدة ، وحيثما أنها حرف ، والحروف في الحروف كلها أصلية ، لأن حروف الزيادة : العشرة - التي يجمعها « هويت السمان » - إنما تختص بالأسماء والأفعال ، فأما الأفعال فتزاد فيها . وكذلك الأسماء ، وأما الحرف فلا يدخله شيء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، فدل على أن اللام أصلية ويدل على أنها أصلية أن اللام لا تنكاد تزداد فيها يجوز فيه الزيادة إلا شاذا ، فإذا كانت اللام لا تزداد إلا على طريق الشذوذ فكيف يحكم بزيادتها فيها لا تجوز فيه الزيادة ؟ وحجة

وَأَنْتَ أَبْرٌ مَنْ لَوْ عَقَّ أَفْعَى وَأَعْنَى مَنْ عُمُوبَتُهُ الْبَوَارُ (١)
وَأَقْدَرُ مَنْ يَهَيِّجُهُ أَنْتِصَارُ وَأَحْلَمُ مَنْ يُحَلِّمُهُ أَقْتِدَارُ (٢)
وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبٌ وَلَا فِي ذِلَّةِ الْعِبْدَانِ عَارُ (٣)

البصريين أنهم قالوا : وجدناها مستعملة في كلامهم وأشعارهم يفسر لام ، قال نافع الطائي :

ولستُ بِلَوَامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أْتَقْدَمَا

(١) أبر : أفضل تفضيل ، من بره إذا أحسن إليه ووصله ، وعق مجهول عق ، يقال عق والده إذا عصاه ، وهو ضد «بره» وأعنى : تفضيل بن العفو ، والبوار : الهلاك . يقول : أنت أبر الدين إذا عصوا أفنوا ، وإذا كنت أبرهم لم تقن ، وأنت أعنى الدين يعاقبون بالهلاك ، وإذا كنت أعفاهم لم تهلك : أى أنت أبر الملوك القادرين وأعفاهم ، وإذا لا تقنى من عصوك ولا تؤذيهم .

(٢) يقول : وأنت أقدر من يحركه حب الانتصار : أى إذا حركك الانتقام من عدوك قدرت على ماتطلب ، فأنت أقدر المتصرين ، وأنت أحلم من يدعو إلى الحلم اقتداره على عدوه فصيح وعفا ، وإذا كان الأحلم كان الأعنى والأصيح عن العدو إذا اقتدر عليه ،

(٣) يقول : لا يلحقهم عار بسطوتك عليهم ، لانك ربههم - سيدهم - ولا في تذللهم لك عار ، لأنهم عبيدك . وذلك كما قال النابغة :

وَعَيْرَتْنِي بَنُو ذُبْيَانَ رَهْبَتُهُ وَهَلَّ عَلَىَّ بَأْنُ أَخْشَاكَ مِنْ عَارِ ؟
وكما قال الآخر :

وإن أمير المؤمنين وِفِعْلُهُ لكالدهر لا عار بما فعل الدهر
وقال أبو تمام :

حَصَّصَتْ لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارُ

وقال ارتجالاً يهجو سوارا الديلمي وقد نزلوا منزلاً أصابهم فيه مطر وريح :

بَقِيَّةُ قَوْمٍ آذَنُوا بِبِوَارِ
وَأَنْضَاهُ أَسْفَارَ كَشْرَبِ عُقَارِ (١)
نَزَلْنَا عَلَى حُكْمِ الرِّيَّاحِ بِمَسْجِدِ
عَلَيْنَا لَمَّا ثَوَّبًا حَصَى وَغُبَارِ (٢)
خَلِيْلِي مَا هَذَا مُنَاحًا لِمَثَلِنَا
فَشُدًّا عَلَيْهَا وَأُرْحَلَ بِنَهَارِ (٣)
وَلَا تُنْكِرْ أَعْصَفَ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا
قِرَى كُلِّ ضَيْفٍ بَاتَ عِنْدَ سِوَارِ (٤)

وقال في صباه وهو بيت مفرد ، وروى قوم أنهما بيتان وهما :

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتَغِي الْقَمَرُ قَاعِدًا
فَقُمْ وَأَطْلُبِ الشَّيْءَ الَّذِي يَبْتَغِي الْعَمْرُ (٥)
هُمَا خَلَّتَانِ ثَرْوَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ
لَعَلَّكَ أَنْ تُبْتِغِي بِي وَاحِدَةٍ ذِكْرًا (٦)

(١) بقية قوم : خبر مبتدأ محذوف . يقول : نحن بقية قوم آذن - أعلم - بعضهم بعضاً بالبوار - الهلاك - أى علموا أنهم هالكون ، ونحن مهازيل أسفار لاجراك بنا من الجهد والتعب كأننا سكارى ، فأنضاه : جمع نضو ، وهو المهزول الذاهب اللحم من الناس والإبل ؛ والشرب : جمع شارب ؛ والمقار : الحجر

(٢) يقول تحمكت فينا الرياح بهذا المكان حتى سفت علينا من الحصى والتراب ما سترتنا به .

(٣) المناخ : للنزل ، وأصله مبرك الناقة يقول : ليس هذا المكان منزلاً لنا فشدنا رحالكم على الإبل وارجحوا قبل هجوم الليل . فالضمير في عليها : للإبل ، وإن لم يتقدم لها ذكر .

(٤) يقول : لا تنكرا شدة هبوب الرياح ، فإنها طعام من بات ضيفاً عند سوار ؛ وهذا سوار اسم رجل نزلوا في المسجد قرب داره فهبت عليهم الرياح ولم يلتفت إليهم ولم يقرهم .

(٥) يبتغى : يقطع ؛ وقاعداً : حال من المخاطب ؛ وأراد بما يبتغى القمر : الثروة والغنى . يقول : إذا لم تجد الغنى وأنت قاعد عن السعى فقم واطلب ما يقطع العمر : أى الحرب ، يعنى مقاتلة الملوك وأشباه الملوك للحصول على ما حصلوا عليه من الملك والرياسة والثراء .

(٦) هما : ضمير الخلتين ، فسره بها ؛ والخلة الخصلة ؛ والثروة : المال الكثير ، وهى بدل تفصيل من خلتان ؛ والمنية : الموت . وإن - هنا - زائدة بعد لعل ، لتأكيد

وقال في صباه في جعفر بن كيطلغ ولم ينشده إياها :

حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَانَتُهُ صَمَائِرُهُ وَعَيْضَ الدَّمْعِ فَأَنْهَلْتُ بَوَادِرُهُ^(١)
وَكَاثِمُ الْحُبِّ يَوْمَ الْبَيْنِ مِنْهَتِكَ وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لَا تَخْفَى سَرَائِرُهُ^(٢)
لَوْلَا ظِبَاءُ عَدِي مَا شَفِيتُ بِهِمْ وَلَا بِرَبْرَبِيهِمْ لَوْلَا جَادِرُهُ^(٣)

الاستقبال، كما تزداد في خبر عسى . يقول : هما خصلتان : إما الغنى وما إليه من الرياسة والملك ، وإما الموت ، فاقبل لكل أحد هذين يخلد ذكرك .

(١) حاشاه : تجنبه وتوقاه . والضائر : جمع صمير ، وهو ما يضره الإنسان ويغنيه . وعيض الدمع : حبسه ونقصه ، وانهلته : انصبت . وبوادره : سوابقه ومسرعاته . يقول : تباعد عن الرقيب يوم الفراق مخافة أن يطلع على هواه وحاول أن يجبس دموعه عن الجرى فظهر عليه ما يكتمه لأنه لم يقدر على كتمانها وسبقه الدمع فوقف الرقيب على سيره .

(٢) متذر لما في البيت الأول . يقول : إن الذي يكتم جه كيلا يطلع عليه يضل به الوجد والجزع يوم الفراق فيبدو سره وينهتك ستره ؛ لأنه يجزع ويكي ، فيستدل بجزعه وبكائه على جهه .

(٣) كفى بالظباء عن الزناء، وعدي : قبيلة من قريش . وكفى بالربرب - وهي القطيع من بقر الوحش - عن جماعة النساء مطلقا . وبالجآذر - جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية - عن الشواب منهن . يقول : لولا نساء هذه القبيلة اللاتي هن كالظباء في عيونهن وأعتاقهن ماشغفت بالقيبه كلها ، ولولا الشواب المليحات منهن ماشغفت بنسأهم جميعاً ، ويروى بدل ماشغفت : ماشغيت . أى لولا نساء هذه القبيلة ماشغيت بالقبيلة : أى أحتاج إلى مجاملتهم واحتمال الذل لأجل نسأهم الحسان ، ولولا الشواب ماشغيت بالكبار في مضايقتهم . وإليك طرفة نحوية للعلامة العكبرى قل : ظباء عدى مرفوعة عندنا بلولا ، وعند البصريين بالابتداء ؛ وججتنا أنها ترفع الاسم لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم ، لأنك تقول : لولا زيد لجت : أى لو لم يمنعني زيد . إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا « لا » على « لو » فصارا بمنزلة حرف واحد ، كقولهم : أما أنت منطلقا انطلقت معك . وتقديره : إن كنت منطلقا انطلقت معك قال الشاعر :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ (١)

تقديره أن كنت ، فحذف الفعل وزاد « ما » عوضاً عن الفعل ، كما كانت الألف في اليماني وضاً عن إحدى ياءى النسب ؛ والذي يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لثلاثي الجمع بين العوض والم عوض . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون « لولا » أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، و« لولا » غير مختصة بالاسم ، فقد قال الشاعر :

لَا دَرَّ دَرَكِي إِيَّيْ قَدْ رَمَيْتُهُمْ لَوْلَا حُدِّدَتْ وَلَا عُدْرِي لِمَحْدُودٍ (٢)

(١) البيت للعباس بن مرداس السلمي الصحابي رضى الله عنه وبعد :

السُّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعُ

وأبا خراشة : منادى : وأبو خراشة : كنية ، واسمه خفاف بن نذبة ، ونذبة : اسم أمه ؛ وخفاف ، هذا : صحابي ، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها ، وكان أسود حالكا وهو ابن عم الحنساء . وأنت اسم لكان المحذوفة ؛ وذاتقر : خبرها . وروى هذا البيت : أبا خراشة أما كنت ذاتقر ، وعليها لا شاهد في البيت : وما : زائدة . ونقر الرجل : رهطه . ويقال إن الضبع إذا وقعت في الغنم عاثت ولم تسكنف بما يكتبي به الذئب ؛ ومن إفسادها وإسرافها استعارت العرب اسمها للسنة المجدبة فقالوا : أكلتنا الضبع وقال ابن الأعرابي : ليس يريدون بالضبع السنة ، وإنما هو أن الناس إذا أجذبوا ضعفوا هن الانتصار وسقطت قواهم . فعاثت فيهم الضباع والذئب فأكلتهم . يقول : إن قومي ليسوا بضعاف تعيث فيهم الضباع والذئب . والسلم : الصلح . والجرع : جمع جرعة وهي ملاء الغنم يجبره أن السلم هو فيها وادع ينال من مطالبه ما يريد ، فإذا جاءت الحرب قطعتة ، بن لذاته وشغلته بنفسه . وهذا تحريض على الصلح وتثبيط عن الحرب ؛ وأراد بأنفاسها : أوائلها .

(٢) من أبيات للجموح - أحد بني ظفر - من سليم بن منصور - وقبله :

قَالَتْ أُمَامَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا هَلَّا رَمَيْتَ بِنَبْضِ الْأَسْهِمِ السُّودِ

وبعده :

إِذْ هُمْ كَرَجَلِ الدَّبِيِّ لَادَرَدَرَهُمْ يَغْفِرُونَ كُلَّ طُوالِ الْمَشْيِ تَمْدُودِ

مِنْ كُلِّ أَحْوَرَ فِي أُنْيَابِهِ شَنْبٌ خُمْرٌ يُخَامِرُهَا مَسْكٌ تُخَامِرُهُ (١)
نُجَجٌ مَخَاجِرُهُ دُعُجٌ نَوَاطِرُهُ خُمْرٌ غَفَائِرُهُ سُودٌ غَدَائِرُهُ (٢)
أَعَارَنِي سَقَمَ عَيْنِيهِ وَحَلَنِي مِنَ الْهَوَى ثِقْلَ مَا تَحْوِي مَازِرُهُ (٣)

(١) الحور : شدة بياض العين في شدة سوادها ، والشنب صفاء الأسنان ورقة مائها ، وسئل ذو الرمة عن الشنب ، فأخذ حبة رمان فقال: هذا هو الشنب ، أشار إلى صفائها ورقة مائها . وذهب الواحدى في إعراب خمر : إلى أهمابتدأ ؛ ومسك : فاعل يخامرها ؛ والجملة : صفة لخر ؛ وتخامره : ضمير الفاعل فيه للخرم ؛ وضمير المفعول : للشنب . والجملة ، خبر خمر ، وجملة ، خمر ، ومايلها - إلى آخر البيت - صفة لشنب يقول : بلائى أو شقائى من كل أحور في أنيابه شنب تخالطه خمر يخالطها مسك . وقال بعض الشعراء : قوله من كل : « من » متعلقة بمحذوف ، حال من جأزده

(٢) نجج : جمع أنجع ، والنجع : البياض . والمخاجر : جمع المخجر ، وهو ما دار بالعين ، جعلها بياض الوانهم ، والدعج : السواد ، والنواظر : الأحداق ، والغفائر جمع الغفارة ، وهى خرقة تكون على الرأس تقي بها المرأة الخمار من الدهن ، وقد تكون اسما للخمار . جعلها خمرأ لكثرة استعمال الطيب من نحو زعفران ومسك ، وإن جعلنا الغفائر الخمر فإنما جعلها خمر لأنهن شواب ، كما قال :

* خُمْرَ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ *

والقدائر : الضفائر من الشعر .

(٣) يريد بسقم عينيه : الفتور ، وهو مما توصف به الحسان ، كما قال ابن المعتز :

ضَعِيفَةٌ أَجْفَانُهُ وَالْقَلْبُ مِنْهُ حَجْرٌ

فَا تَرَكْتُ أَبَا بَشِيرٍ وَصَاحِبَهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالْجَيْدِ
وكان من خبر الجموح هذا أنه بيت بنى لحيان وبنى سهم بواديقال ذات البشام ، وكان الجموح قد جمع جمعا من بنى سليم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبى بشر فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت وكان في كنانة الجموح نبل معلقة بسواد حلف ليرمين بها كلها قبل رجعتة في عدوه ، قتل أبو بشر ، وهزم أصحابه وأصابتهم بنولحيان تلك الليلة وأبحر الجموح ، فقالت امرأته - واسمها أمانة - وهى تلومه : هلا رميت تلك النبل التى كنت آليت ليرمين بها ؟ وحدثت - بالباء للمفعول - أى حرمت ومنعت والمذرى : اسم بمعنى المذرة . يقول : قد رميت واجتهدت في قتالهم - ولكنى حرمت النصر عليهم ولا يقبل عذر المحروم ؛ والرجل : القطعة من الجراد ؛ والذئب : أصفر الجراد ؛ والطوال ؛ الطويل .

يَأْمَنُ نَحْمَكُمَ فِي نَفْسِي قَعْدَ بَنِي
وَمَنْ فُوَادِي عَلَى قَتْلِي يُضَافِرُهُ (١)
بِعَوْدَةِ الدَّوْلَةِ الْغُرَاءِ ثَانِيَةً
سَلَوْتُ عَنْكَ وَنَامَ اللَّيْلَ سَاهِرُهُ (٢)

كَأَنَّمَا الْحَاظُهُ مِنْ فِعْلِهِ تَعَمَّزِرُ

وهو كثير . والمآزر : جمع المآزر ، وهو الإزار ، وما تحويه المآزر : الكفل .
يقول : أمرضني كمرض جفونه ، وأتقلني بالهوى كقتل أردانه . وهذا كقول منصور
ابن الفرج :

حَلَّ فِي جِسْمِي مَا كَانَ بَعَيْنَيْكَ مُقِيمًا

ومثله للبحري :

وَكَأَنَّ فِي جِسْمِي الَّذِي فِي نَاطِرِيكَ مِنَ السَّخَمِ

وقال السري الرفاء :

وَنَوَاطِرِي وَجَدَ الْمَحِبُّ فُتُورَهَا لَمَّا اسْتَقَلَّ الْحَى - فِي أَعْضَانِهِ

ويعين قول العكبري : وذكر الكفل في الشعر وغيره ليس بجيد ، وإن كان
قد ذكره قوم من العرب .

(١) المضافة : المعاونة . يقول : إن فواده يعين الحبيب على قتله حيث لا يسلم مع
ما يروى من كثرة الجفاء ، وهذا كما يقال : قلب العاشق عون عليه مع حبيبه : ويقول العباس
ابن الأحنف :

كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي

(٢) هذا تخلص . يقول : لما عادت دولة المدوح - وكان قد عزل ثم ولي ثانيا
ذهب حبك من قلبي ونمت الليل بعد أن كنت أسهره . قال العكبري : وهذا نقص ،
لأن الحب الصادق لا ينفك عن المحبوب ولا يسلمه أحسن إليه أم أساء ، لقد أحسن
البحري بقوله :

أحب على أيما حالة إساءة ليلى وإحسانها

والحب الصادق كلما عنت له خطرة من السلورده الحب الصادق عما كان عزم .
ولقد أحسن البحري أيضا بقوله :

أحنو عليك وفي فوادي لوعة وأصد عنك ووجه وددي مقبل

وإذا طلبت وصال غيرك ردي وله إليك وشافع لك أول

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ كَانَ أَوَّلَ يَوْمِ الْحُسْرِ آخِرُهُ (١)
 غَابَ الْأَمِيرُ فغَابَ الْخَيْرُ عَنْ بَلَدِي كَادَتْ لِفَقْدِ أُمِّهِ تَبْكِي مَنَابِرَهُ (٢)
 قَدْ أَشْتَكْتُ وَخَشَةَ الْأَحْيَاءِ أَرْبُمَهُ
 وَخَبَّرْتُ عَنْ أَسَى الْمَوْتَى مَقَابِرَهُ (٣)
 حَتَّى إِذَا عُقِدَتْ فِيهِ الْقِيَابُ لَهُ أَهْلَ اللَّهِ بِأَدْبِهِ وَحَاصِرَهُ (٤)
 وَجَدَدْتُ فَرِحًا لَا الْقَمَّ يَطْرُدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ فِي قَلْبٍ تَجَاوَرَهُ (٥)
 إِذَا خَلْتُ مِنْكَ حِمصٌ لَا خَلْتُ أَبَدًا
 فَلَا سَقَاها مِنْ الْوَسْمِيِّ بَاكِرَهُ (٦)

(١) يقول: من بعد ما كنت أفأسى من الحزن ما يسهرني فيطول على الليل حتى كأنه متصل بيوم الحسر. وهذه مبالغة في وصف الليل بالطول

(٢) هذا من قول أشجع السلمي:

فَمَا وَجْهُ يَحْيِي وَحَدَهُ غَابَ عَنْهُمْ وَلَكِنْ يَحْيِي غَابَ بِالْخَيْرِ أَجْمَعًا
 ويقول الآخر:

بَكَتِ الْمَنَابِرُ يَوْمَ مَاتَ وَإِنَّمَا أَبْكِي الْمَنَابِرَ فَقَدْ فَارِسِهِنَّ (٣)
 (٣) الضمير في أربعه ومقابره: للبلد؛ والوحشة: الاكتئاب يجده الإنسان عند اعتزاله الناس؛ والرابع: المنزل؛ والأسى: الحزن. يقول: لما غاب الأمير عن البلد حزن لعيبته الأحياء حتى أحست بذلك دورم ومنازلهم، وكذلك الموتى حزنوا حتى أخبرت المقابر عن حزنهم.

(٤) المراد بالقياب - جمع قبة - تلك التي تتخذ للزينة والنثار؛ وعقدت: ضربت وأهل لله: أي رفع أهل البادية وأهل الحضرة أصواتهم بالدعاء سرورا بعودته.

(٥) يقول: إن عودة دولته جددت فرحا لا يفلبه الغم ولا يجاوره الشوق في قلب: أي لامتلاء كل قلب بهذا الفرح لا يكون فيه موضع للعشق.

(٦) حمص: بلد المدوح. وقوله لا خلت أبدا، جملة دعائية معترضة جميلة. يقول: إذا خلت منك حمص فلا نزل بها المطر - أي لا أنبتت - ولا سقاها باكر الوسمي. والوسمي: أول مطر الحريف، سمى كذلك لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثرًا في أول السنة. والولي: ثانيه. وباكره أوله، ومنه باكرة الثمار.

دَخَلَتْهَا وَشَعَاعُ الشَّمْسِ مُتَّعِدٌ وَنُورٌ وَجْهَكَ بَيْنَ انْخِلَاقِ بَاهِرِهِ (١)
 فِي قَيْلَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَذَفَتْ بِهِ صَرَفَ الزَّمَانَ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ (٢)
 تَمَضَى الْوَاكِبُ وَالْأَبْصَارُ شَاخِصَةً مِنْهَا إِلَى الْمَلِكِ الْيَمُونِ طَائِرُهُ (٣)
 قَدْ حِرْنَ فِي بَشَرٍ فِي تَاجِهِ قَمَرٌ فِي دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمَى أَظْفَرُهُ (٤)
 حُلُو خَلَاتِقُهُ شُوشٍ حَقَائِقُهُ تُخْصَى الْخُصَى قَبْلَ أَنْ تُخْصَى مَا بَرَهُ (٥)
 تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحِبَتْ

كَصَدْرِهِ لَمْ تَبْنِ فِيهَا عَسَاكِرُهُ (٦)
 إِذَا تَغَلَّغَلَ فِكْرُ الرَّءِ فِي طَرْفٍ مِنْ مَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ (٧)

(١) باهره : غاليه ؛ والضمير فيه : للشعاع . يقول : دخلت حمص وقت إشراق الشمس وشعاعها - ضياؤها - يتوقد ، ولكن نور وجهك قد غلب نور الشمس
 (٢) القيلق : العسكر ، وجمله من حديد لكثرة ما عليه من الدروع وخلافها . يقول : لو حاربت بعسكرك هذا الزمان مادارت على الناس دوائره وهي حركاته وصروفه التي تدور على الناس وتأتي حالا بعد حال .

(٣) المراد بالطائر : الفأل ؛ والعرب يتفاءلون في الخير والشر بالطيور ، فيسمون الفأل : الطائر ، واليمون : المبارك . يقول : العيون شاخصة إلى الملك لا تنظر إلى غيره .
 (٤) حرن : أي الأبصار ، وأراد بالبشر : المدوح ؛ وبالقمر : وجهه ؛ وجعله أسدا في درعه لشجاعته ، وتدمى أظفاره : أي تلتطخ لكثرة ما يفترس من الأعداء
 (٥) الخلائق : جمع خليفة ، وهي الخلق ؛ والشوش : جمع الأشوس ، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه نظر التكبر ؛ والحقيقة ؛ ما يحق على الرجل حفظه من الجار والحليف والولد . يقال : فلان حامى الحقيقة . قول : إن أخلاقه حلوة معسولة وحقائقه محمية ممنوعة لا يقدر أن ينال منها أحد ، فهي متممة امتناع التكبر ، وهو كثير المآثر حتى لا تكاد تحصى .

(٦) هذا من قول أبي تمام :

وَرُحْبَ صَدْرٍ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ

كَوْسُهُ لَمْ يَضِيقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدٌ

(٧) تغلغل في الشيء : دخل فيه وأمعن يكون في الجواهر والأعراض . يقول : إن أدنى مجده يستغرق الفكر والحواطر لمن أراد أن يصفه .

تَحْمَى السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَأَنَّهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ (١)
إِذَا أُنْتَضَاهَا لِحَرْبٍ لَمْ تَدْعُ جَسَدًا إِلَّا وَبِاطْنَهُ لِلْمَعِينِ ظَاهِرُهُ (٢)
فَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الْحَسَقَ فِي يَدِهِ وَقَدْ وَثِقَنَ بِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ (٣)
تَرَ كُنَّ هَامَ بَنِي عَوْفٍ وَثُمَّلِيَّةٍ عَلَى رُءُوسِ بِلَانَسٍ مَغَافِرُهُ (٤)
فَخَاضَ بِالسُّيْفِ بِحَرَالْمَوْتِ خَلْفَهُمْ وَكَانَ مِنْهُ إِلَى الْكَمْبَيْنِ زَاخِرُهُ (٥)

(١) حمى الشيء يحمى : اشتد حره ؛ والعشائر : الأهل الأقارب . يقول : إذا حارب أعداءه واشتد غضبه غضبت سيوفه عليهم معه ، حتى لكأنها أقاربه الأدنون الذين يفضبون لغضبه ؛ وهذا من قول أبي تمام :

كَأَنَّهُا وَهِيَ فِي الْأُودَاجِ وَالْفِئَةِ وَفِي الْكَلْبِيِّ تَجِدُ الْغَيْظَ الَّذِي تَجِدُ
ويقول البحرى :

وَمُصَلَّتَاتٍ صَكَانَ حِقْدًا بِهَا عَلَى الْمَامِ وَالرَّقَابِ

(٢) يقول : إذا استل سيوفه من أعقادها ليحارب بها لم تترك جسدًا إلا قطعته إربا حتى تبدو بواطنه للمعين كما تبدو ظواهره .

(٣) أى لكثرة مرات ذلك واعتادته . يعنى أنها لو كانت ممن يعلم : لعلمت . وهذا ينظر إلى قول النابغة الديبائى :

جَوَانِحُ قَدْ أَيَقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانَ أَوْلُ غَالِبِ
(يصف النابغة عصائب الطير التى تتبع الجيش) .

(٤) المام : جمع هامة وهى أعلى الرأس ومستقر الدماغ : وهامة القوم : سيدهم على اللئىل ، وقد يراد هنا . وعوف وثملية : قبيلتان ؛ وللمغافر : جمع مغفر ، وهو مايفغر الرأس . أى يغطيه من الحديد ؛ والضمير فى مغفرة : للهام . وحلى رؤس : خبر مقدم . ومغفرة مبتدا مؤخر . والجملة : حال ، أو مفعول ثان لتركبن . يقول : إن سيوفه فرقت بين رؤوس هؤلاء القوم - وكان قد أوقع بهم - وبين أبدانهم حتى صارت مغافر هامهم على رؤوس بلا أبدان قال ابن جنى : وذلك لأنه لما قتلهم جاءوا برءوسهم وعليها للمغافر .

(٥) زخر البحر : طمس موجه وعلا . قال ابن جنى : أى ركب معهم أمر عظيم

حَتَّىٰ أَتَيْتِ الْفَرَسُ الْجَارِي وَمَا وَقَمْتِ
 فِي الْأَرْضِ مِنْ جُنْثِ الْقَتْلِ حَوَافِرُهُ (١)
 كَمْ مِنْ دَمٍ رَوَيْتِ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ وَمُهْجَتُهُ وَأَمْتِ فِيهَا بَوَاطِرُهُ (٢)
 وَحَائِنٍ لَعَبْتِ سُمْرُ الرَّمَاكِ بِهِ فَالْعَيْشُ هَاجِرُهُ وَالنَّسْرُ زَائِرُهُ (٣)
 مَنْ قَالَ لَسْتُ بِمُخَيِّرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 فَجَهَلُهُ بِكَ عِنْدَ النَّاسِ عَازِرُهُ
 أَوْ شَكَ أَنْكَ فَرَدُّ فِي زَمَانِهِمْ بِلاَ نَظِيرٍ فِي رُوحِي أَخَاطِرُهُ (٤)
 يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أَوْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ (٥)
 وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْبَحْرَ رَاحَتُهُ جُوداً وَأَنَّ عَطَايَاهُ جَوَاهِرُهُ
 لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ
 وَلَا يَهَيِّضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ (٦)

عليهم صغيراً عليه ، فيكون بحر الموت مثلاً للأمر العظيم وقرب غوره له مثل لصغره في نظره . وقال الواحدى : بحر الموت : الحرب والمعركة لكثرة ما فيها من الدماء ، يقول خاض ذلك البحر خلف هؤلاء ، إلا أنه لم يفرق ولم يبلغ ماؤه فوق كعبيه .

(١) يقول : حتى بلغ فرسه نهاية جريه ولم تقع حوافره على أديم الأرض لكثرة القتلى ، وإنما وطئ أجسادهم . ويروى بدل جث : جيف .

(٢) الأسنه : الرماح ، والمهجة : دم القلب . وأصل الولوغ : شرب السباع الماء بالستها ، والبواتر : السيوف القواطع .

(٣) يقول : وكمن حائناً - هالكاً - لعبت رماحك به - أى نالت منه وقتلته - فهجرته الحياة وفارقت ، وزاره النسْر لياكل لحمه .

(٤) أخاطره : أراهنه . يقال : خاطر فلان فلانا على كذا : أى راهنه عليه . ويكون عادة فى السباق وفى رمى النبل وإنما قال هذا لثقتة بكونه فرداً .

(٥) ألوذ : أعود وألجأ . ومثله لا بن الرومى :

ولا المائدُ اللّاجي إليه بمخائفٍ ولا الرائدُ الراجي ، نداهُ بمخائبٍ

(٦) الجبر : إصلاح الكسر ؛ والهيف : الكسر بعد الجبر ، يقال : هضت العظم فهو

وقال يمدح أبا أحمد عبيد الله بن يحيى البحتري المنبجى :

أَرَيْكَ أُمَّ مَاءِ الْعَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ بِنِي بَرُودٍ وَهَوَى فِي كَبْدِي جَمْرٌ (١)
أَذَا الْفُضْنِ أَمْ ذَا الدَّغْصِ أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ
وَذِيَا الَّذِي قَبْلَتْهُ الْبَرْقُ أَمْ ثَمْرٌ (٢)

رَأَتْ وَجَهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلِي عَوَاذِلِي

فَقُلْنَ نَرَى شَمْسًا وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ (٣)

مهيض : وانهاض : إذا انكسر بعد الجبر . يقول : إنهم لا يقدرون على خلافك في حال من الأحوال . « هذا » ويروى بعد هذا البيت قال الواحدى : إنه منحول وهو :

أَرْحَمُ شَبَابٍ فَتَى أَوْدَتْ بِجِدَّتِهِ يَدُ الْبَلْبِ وَذَوَى فِي السَّجْنِ نَاضِرُهُ
(أودى به : أهلكه . والجدة : مصدر الجديد . وذوى : ذبل)

(١) يقول : لست أدري : أريق ماذقته من فمك ، أم هو ماء سحاب ، أم خمر ، وهو بارد في فمى ، حار في كبدي . لأنه يحرك الحب ويذكي جمر الهوى ؟

(٢) ذا : بمعنى هذا . والهمزة : للاستفهام . وعنى بالعنص : قوامها ، وبالدهص - وهو كشيء الرمل - ردفها ، ثم قال : أم أنت فتنة تفتنين الناس بحبك حتى يظنوا قدك غصنا وردفك كثيراً ؟ كما قال أبو نواس :

قَمْرٌ لَوْلَا مَلَاَحَتُهُ خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

و«ذيا» : تصغير ذا . والتصغير ههنا مغزاه أن ثمرها محبوب عنده قريب من قلبه ، أو إرادة صغر أسنانها . وثمرها البرق لضوئه وثقائه .

(٣) يقول : تعجب عواذلى من رؤية الشمس في الليل والفجر لم يطلع لأنهن حسين وجهها شمساً ، وخص العواذل لأنه إذا اعترفن له بهذا مع إنكارهن عليه حبا كان ذلك أدل على حسنها . والله أبو تمام إذ يقول :

لَحِقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَمَ الْهَوَى قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهَى وَقِعُ
فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهْمُ مِنْ جَانِبِ الْخَلْدِ تَطَّلِعُ
نَضَاضُوهَا صَبِغَ الدُّجْنَةَ وَانطَوَى لَبْجَتَهَا ثَوْبُ الظَّلَامِ الْجَزَعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَأَخْلَامَ نَائِمٍ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرُّكْبِ يَوْشَعُ

رَأَيْتِ النَّبِيَّ لِلسُّجْرِ فِي لَحَظَاتِهَا سَيْوْفٌ ظُبَاهَا مِنْ دَمِي أَبَدًا حُمْرًا (١)
تَنَاهَى سُكُونُ الحُسْنِ فِي حَرِّ كَاتِبِهَا
فَلَيْسَ لِرَأَاهِ وَجْهَهَا لَمْ يَمُتْ عُدْ نَذْرًا (٢)
إِلَيْكَ ابْنَ يَحْيَى بْنِ أَلْوَيْدٍ تَجَاوَزَتْ
بِي الْبَيْدَ عَيْسٌ نَحْمَهَا وَالذَّمُّ الشُّفْرًا (٣)
نَضَحْتُ بِذِكْرِكَ حَرَارَةَ قَلْبِيهَا
فَسَارَتْ وَطُولُ الأَرْضِ فِي عَيْنِهَا شِبْرًا (٤)

(١) الظبي : أطراف السيوف ، جمع ظبية : قال بشامة بن حزن النهشلي :
إذا الكفاة تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا
وأصل الظبية : ظبو، بوزن جرد ، غذفت الواو وعوض منها الماء ، والجمع ظليات ،
وظبون وظبون قال كعب بن مالك :

تَعَاوَرُوا أَيْمَانَهُمْ بَيْنَهُمْ كَثُوسَ المَنَايَا بِحَدِّ الظُّبِينَا

لما جعل سجر عينها قاتلا استعار له سيوفاً ثم جعلها حمر الظبي من دمه لأنها تقتله .
(٢) يقول : إنها كيفما تحركت فالحسن ساكن في حركاتها قد بلغ الغاية في ذلك ،
فن رأها ولم يستهوه هذا الحسن حتى يعصف به ويأتي عليه فليس له عذر ، لأن مثل
هذا الحسن قاتل .

(٣) البيد : الصحارى ، والعيس : الإبل ؛ ويروى عيس ؛ والعنس . الناقة الصلبة
قال الليث : تسمى عنسا إذا تمت سنها واشتدت قوتها ووفر عظامها وأعضاؤها ، وقيل
هو التي اعنوس ذنبها أى وفر وكثر . قال العجاج :

* كَمْ قَدْ حَسَرْنَا مِنْ عِلَاةِ عَنَسٍ

وقوله : لحمها والدم الشعر . يقول : كنت أحدها بشعري الذى مدحتكم به فتقوى
على السير : أى أن شعري قام لها مقام اللحم والدم في تقويتها على السير ؛ والعرب تزعم
أن الإبل إذا سمعت الغناء والحدااء نشطت للسير . وروى الخوارزمي ، الشعر - بفتح
الشين - يعنى أنها هزلت حتى لم يبق منها غير الشعر أو الوبر . والأولى أجود ؛ يوافقها
البيت التالى ، ولأنه لا شعر للإبل وإنما لها الوبر .

(٤) نضح الشيء بالماء : رشه عليه ، ويقال : نضح الماء العطش ينضحه : رشه فذهب .

إلى لَيْثِ حَرْبٍ يُلْحِمُ اللَّيْثَ سَيْفَهُ
وَبِحَرْبِ نَدَى فِي مَوْجِهِ يَفْرَقُ الْبَحْرُ (١)
وَإِنْ كَانَ يُبْقِي جُودَهُ مِنْ تَلِيدِهِ
شَدِيدًا بِمَا يُبْقِي مِنَ الْعَاشِقِ الْمَهْجُرِ (٢)
فَتَى كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَوِي نَفْسَ مَالِهِ
رِمَاحُ الْمَعَالِي لِالرَّدِينِيَّةِ الشُّمْرِ (٣)
تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَهُ
فَنَائِلَهَا قَطْرُهُ وَنَائِلُهُ غَمْرُ (٤)
وَلَوْ تَنَزَّلَ الدُّنْيَا عَلَى حُكْمِ كَفِّهِ
لَأَضْبَحَتِ الدُّنْيَا وَأَكْثَرُهَا نَزْرُ (٥)

به ؛ أو كاد يذهب به . والنضيج : الحوض . لأنه ينضح عطش الإبل : أى يبله ؛ يقول بردت بذكراكم وبشعري الذى قتله فيكم حرارة قلب هذه الناقه - يعنى غلة عطشها - فأسرعت واستقرت البعيد لنشاطها على هذه الذكري وهذا المدح .

(١) يلحم الليث سيفه : أى يمكن السيف من لحم الليث ؛ من قولهم : ألمت الرجل إذا قتلته فهو ملحم ولحم : أو تقول : يلحم الليث سيفه ، أى يجعل الليث طعمه له . يعنى أن المدوح شجاع بحيث يجعل الليث طعمة السيف ، وهو بحر جود يفرق فى موجه بحر الماء لأنه أعظم منه .

(٢) التليد : المال المورث من الآباء يقول : سارت ناقى إليه وقصدته وإن لم أكن واتقا بإبقاء نواله شيئاً من ماله ، يعنى أن جوده لا يبقى من ماله إلا القدر اليسير الذى لا مطعم فيه لكثرة عطائه كما لا يبقى المهجر من العاشق إلا النفس والرمق والعظام .

(٣) احتوى الشيء واحتوى عليه : أخذه وحازه ؛ والردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . يقول : إن المعالي تغزو أموال المدوح كل يوم فتحوزها ، يعنى أنه يفرق أمواله فيما يورثه المجد والعلاء ، فلما له عرضه لرماح المعالي تستولى عليه لا الرماح الحقيقية ، لان أعداءه ليس فى مكنتهم أن يصلوا إلى ماله بالحرب والقهر لأنه من القوة بحيث لا يقدر أحد أن يظهر عليه وينصبه ماله .

(٤) نائلها : أى السحاب ، والنائل . العطاء ؛ والقطر : المطر ؛ والمراد هنا : قليل والغمر فى الأصل : معظم البحر ، والمراد هنا . كثير .

(٥) النزر : القليل . يقول : لو أطاعت الدنيا كفه لفرقها كلها . وكان ذلك قليلا عند عطاياه ، لأن جوده يقتضى أكثر من ذلك ، أو تقول : لفرقها كلها فأصبح أكثر ما فيها شيئاً يسيراً بالنسبة إلى جوده كما قال :

* يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلًا *

أَرَاهُ صَغِيرًا قَدْرَهَا عَظْمُ قَدْرِهِ
 مَتَى مَا يُشْرِ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ
 تَرَ الْقَمَرَ الْأَرْضِيَّ وَالْمَلِكَ الَّذِي
 كَثِيرُ سُهَادِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ
 لَهُ مِثْنُ تَفْسِي الثَّنَاءِ كَأَنَّهَا
 فَمَا لِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ (١)
 تَخْرُ لَهُ الشَّعْرَى وَيَنْخَسِفُ الْبَدْرُ (٢)
 لَهُ الْمَلِكُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَجْدُ وَالذِّكْرُ (٣)
 يُورِقُهُ فِيمَا يُشْرِهُ الْفِكْرُ (٤)
 بِهِ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا يُودَى لَهَا شُكْرُ (٥)

(١) يقول : أراه عظم قدره قدر الدنيا حقيرا ، وليس لشيء عظيم الخطر والقدر عنده خطر وقدر ، لأن خطره يربى على كل شيء . قوله : أراه ، فعل ماض ، فاعله عظم قدره ، والهاء من أراه : مفعول أول ، وصغيرا : مفعول ثالث مقدم ، وقدرها : مفعول ثان . وقوله : لعظيم ، خبر مقدم عن قوله : قدر - في آخر البيت - وقدره : فاعل عظيم .

(٢) المراد بالشعري : الشعري العبور ، لإضاءتها ، وقد عبدتها العرب في الجاهلية قال تعالى : « وأنه هو رب الشعري » . يقول : إن وجهه آتم نورا وإضاءة من الشعري والبدر ، فإذا أشار بوجهه إلى السماء سقطت الشعري حياء منه وخجلا وانخسف البدر لغلبة ضوء وجهه البدر . وقوله : تخر ، أى تسقط ، وهو جواب الشرط ، وهو من المضاعف . قال العكبري : وفتح قوم ورفعه آخرون ، فأما إذا كان معه ضمير فالرفع عند سيويه لا غير ، نحو لم يرد ، وما أشبهه . وقرأ أهل الكوفة وابن عامر ، « لا يضركم » برفع الراء ، وهو جواب الشرط .

(٣) تر - بغير ياء - بدل من جواب الشرط - في البيت السابق - ومن رواه بالياء جعله استثناء للمخاطب ، يقول : ترى الشعري برؤيته القمر الأرضي ، أو ترى أنت أيها الرائي برؤيته القمر الأرضي . وكذلك ترى الملك الذى له الملك بعد الله الخ .

(٤) السهاد : السهر ، ولا يستعمل إلا في السهر لشدة ، والفكر فاعل يؤرقه . يقول : هو يسهر من غير علة توجب السهر ولكنه يفكر في كل ما يزيده شرفا إلى شرفه ، فسهاده لأجل ذلك .

(١) يقول : إن منته على الناس بإحسانه وإنعامه تستغرق الثناء وتربى عليه حتى لكأنها أقسمت بحق المدوح أن لا يبلغ أحد تمام شكرها ، والقسم به عظيم لا يجرى فيه حنث ، ومن ثم كانت منته زائدة على ثناء الثنين وشكر الشاكرين . والثمن : جمع منة : ولذلك معنيان : أحدهما إحسان المحسن غير معتد بالإحسان ، يقال لحقت فلانا من

أَبَا أَحْمَدٍ مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِهِ
وَمَا لِأَفْرَىءٍ لَمْ يُنْسِ مِنْ بُحْتَرٍ فَخْرٌ (١)
هُمُ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ مَكَارِمٍ يُفْنَى بِهِمْ حَضْرٌ وَيَحْدُو بِهِمْ سَفْرٌ (٢)
بِمَنْ أَضْرِبُ الْأَمْشَالَ أَمْ مَنْ أَقَيْسُهُ
إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالِدَّهْرِ (٣)

فلان منة : أى ، نعمة . والثانى : أن يعظم المحسن إحسانه ويفخر به ويبدى فيه ويعيد
حق يفسده وينغصه ، والمراد هنا الأول .

(١) بحتر : قبيلة المدوح يقول : إنما الفخر لمن يستحق الفخر ويستأهله ، وليس
لمن لم ينم إلى قبيلتك فخر ، فقد استأثروا بالفخر دون الناس بك .

(٢) الحضر : الحاضرون فى البلاد ؛ جمع حاضر . والسفر : المسافرون . ولا يقال

فى الفرد : سافر . يقول : هم الناس فى الحقيقة ، إلا أن الله سبحانه خلقهم من طينة
المكارم ، لكثرة ما ركب فىهم من الكرم - ضد اللؤم - فالحاضرون يغنون بمدائحهم وبما
قيل فىهم من الأشعار ، وكذلك المسافرون حداؤهم بذلك : أى اشترك المقيم والمسافر
فى ذلك . فقوله من مكارم : من فى لبيان الجنس : أى أنها مخلوقون من طينة المكارم :

(٣) يقول : ليس هناك من يليق أن أشبهك به أو أقيس بينه وبينك وأوازن ،

لأنك أجل وأعلى من أهل الدهر ، ومن الدهر ، الذى يتصرف على مرادك والذى
تحدث أنت فى النعيم والبؤس . وعبارة الواحدى : ضرب المثل إنما يكون لشبه عين
بعين أو وصف بوصف ، فإذا كان هو أجل وأعلى من كل شيء لم يمكن ضرب المثل
بشيء فى مدحه . وهذا معنى قوله : أم من أقيسه إليك ؟ ووصل القياس بإلى : لأن
فيه معنى الضم والجمع .

وقال برنئ محمد بن إسحاق التنوخي :
 إِنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرٌ
 وَرَأَيْتُ كَلًّا مَا يُعَلِّلُ نَفْسَهُ
 أَنْ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَصْتَ غُرُورٌ^(١)
 بِتَعَلُّةٍ وَإِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ^(٢)
 فِيهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَالنُّورُ^(٣)

(١) اللبيب : العاقل . وهو مبتدأ ؛ خبره : خير ، والجملة اعتراضية ؛ وأن وما يتصل بها : صلة أعلم . والواو من « وإن حرصت » للحال : والجملة بعدها معترضة ؛ وإن : وصلية مهدوفة الجواب دل عليه ما قبله ، وغرور : خبر أن ، يجوز فيه ضم العين على المصدر ، وفتحها على الصفة . قال الواحدى : قوله : واللبيب خير ، إشارة إلى أنه هو لبيب ، لذلك علم أن الحياة - وإن حرص عليها الإنسان - غرور يفتريها الانسان يظن أنه يبقى وتطول حياته ، كما قال البحرى :

وليس الأمانى فى البقاء وإن مضت
 به عادة إلا أحاديث باطل
 ومثله لابن الرومى :

وَمَنْ يَرْجُو مُسَالَةَ اللَّيَالِي لَمُفْرَرٍ يُعَلِّلُ بِالْأَمَانِي

(٢) ما : زائدة للتوكيد ، كقوله تعالى « فبما نقضهم ميثاقهم » وعمله بالشيء : لها به وشغله ومناه ؛ ويصير : ينتهى ، وهو مضارع صار التامة يقول : رأيت كل أحد يعلل نفسه بشيء يلهمها به عن ترقب الموت ، وهو لا محالة صائر إلى الفناء .

(٣) الديماس : السرب المظلم ، أو حفرة مظلمة لا ينفذ إليها الضوء ومنه ليل دامس أى مظلم ، ودمست الشيء : دفتته ؛ وكان للحجاج سجن يسمى الديماس لظلمته ؛ وفى حديث المسيح عليه السلام : أنه سبط الشعر ، كثير خيلان الوجه ، كأنه خرج من ديماس . يعنى فى نضرتة وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن ، لأنه قال فى وصفه كأن رأسه يقطر ماء . وهو بكسر الدال : يجمع على دماميس كقيراطو وقراريط ، وبتفتح الدال : يجمع على دياميس ، مثل شيطان وشياطين ؛ وأراد بالديماس هنا : القبر . والقرار : كل موضع يستقر فيه شيء ، والمراد القبر أيضاً ، وجعل الميت رهن القبر لإقامته هناك إلى يوم البعث ، فكان القبر استرهنه ، ثم قال : إن قبره المظلم أشرق بنور وجهه . وقوله : رهن قرارة ، نصب على الحال . وقال ابن جنى : ويصح أن يكون بدلاً مما قبله ، فيكون منادى مضافاً .

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَلَّ دَفْنِكَ فِي التَّرَى

أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي التُّرَابِ تَفُورُ (١)
 مَا كُنْتُ أَمَلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى رَضْوَى عَلَى أَيْدِي الرُّجَالِ تَسِيرُ (٢)
 خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكِ خَلْفَهُ صَمَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ ذَلِكَ الطُّورِ (٣)
 وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ (٤)

(١) تفور : تذهب وتختفي . يقول : ما كنت أظن قبل موتك أن النجوم تختفي في التراب حتى رأيتك وأنت أضوأ من الكواكب قد غبت في التراب . وفي هذا البيت نظر إلى قول الآخر :

ما كنت أحسب والمنية كاسمها أن المنية في الكواكب تطمع هذا : ويقال : أحسب وأحسب - بكسر السين ، وفتحها - في المضارع . ولا خلاف في كسرها في الماضي .

(٢) النعش : ما يحمل عليه الميت ؛ ورضوى : اسم جبل بالمدينة . شبه المرثى به لعظمه وغمامة شأنه ، وهذا من قول ابن المعتز :

هذا أبو القاسم في نعشه قوموا انظروا كيف تسير الجبال
 ولا بن الرومي :

من لم يمان سير نعش محمد لم يدبر كيف تسير الأجيال
 (٣) الصمقات : جمع صمقة ، وهي انغشية ؛ ودك : هدم وسوى بالأرض ؛ وأصل الدك : الكسر والدق ، وأرض دك ، والجمع دكوك ؛ قال تعالى : « جعله دكا » ويحتمل أن يكون مصدرا ، لأنه حين قال جعله كأنه قال دكه فقال دكا وأراد جعله ذا دك . فخذف وقد قرئ بالذ : أي جعله أرضا دكاه فخذف لأن الجبل مذكور ، ومن هذا : دك الركبة إذا دفنها وطمها ، ودك الرجل - على صيغة ما لم يسم فاعله - فهو مذكوك إذا دكته الحمى وأضعفته . والطور : الجبل ؛ والمراد به : طور سيناء . وقوله : يوم دك الطور ، إشارة إلى قوله تعالى : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صمقا » .

(٤) كبد السماء : وسطها ؛ وواجفة : مضطربة ، وتمور : تذهب وتجيء . يقول : إن ضوء الشمس ضعف بموته ، فكأنها مريضة ، واضطربت الأرض فهي تذهب وتجيء . وهذا كله تعظيم أوت المرثى . وأصل هذا المعنى قول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز :

وَحَفِيفُ أَجْنِحَةِ الْمَلَائِكِ حَوْلَهُ وَعَيُونُ أَهْلِ اللَّادِئِيَّةِ صُورٌ (١)
حَتَّى أَتَوْا جَدَّتَنَا كَأَنَّ ضَرْبَهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحَّدٍ مَحْفُورٌ (٢)
بِمَزُودٍ كَفَنَّ الْبَيْلَى مِنْ مُلْكِهِ مُغْفٍ وَإِمْدُ عَيْنِهِ الْكَافُورُ (٣)

الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةً تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمْرُ (١)
ويقول ابن الرومي :

عَجِبْتُ لِلْأَرْضِ لَمْ تَرَجُفْ جِوَانِبُهَا وَلِلْجِبَالِ الرَّوَاسِي كَيْفَ لَمْ تَمِدْ
عَجِبْتُ لِلشَّمْسِ لَمْ تَكْسِفْ لِمَهْلِكِهِ وَهُوَ الضُّيَاءُ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ تَقْدِ
(١) الحفيف : صوت أجنحه الطير إذا حركتها ، والملائك : الملائكة ، جمع ملك
على غير قياس - وصور : جمع أصور ، وهو المائل ، ومنه قول الشاعر :

اللَّهُ يَنْلَمُ أَنَا فِي تَلَقُّتِنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى أَحْبَابِنَا صُورٌ
واللاذقية : بلد الرقي . يقول : أحاطت بعشه ملائكة السماء حتى سمع لأجنحتهم
حفيف ، وعيون أهل بلده مائلة إلى نعشه لا يصرفون عيونهم عنه شوقاً إليه وحزناً
عليه لشدة حبه إياه ، أولأنهم - كما قال بعض الشراح - يسمعون حس الملائكة
فيميلون إلى ذلك الحس الذي يسمعونه . قال المكبري : وقوله : اللاذقية وصور - هما
بلدان - فيه تورية :

(٢) الجدث : القبر ؛ والضريح : الشق في وسط القبر . والحد في جانبه . وقوله
حتى : غاية فخرجوا - في البيت الأسبق - تقديره : خرجوا به حتى أتوا القبر . وهذا
من قول ابن الزيات :

يقول لي الخللانُ لو زرتَ قبرها فقلت وهل غيرُ الفؤاد لها قبرٌ ؟
(٣) بمزود : متعلق أتوا - في البيت السابق - والفقى : النائم ، وأغفى إغفاء :
فهو مغف ؛ والإمد : الكحل الأسود ؛ وملكه : تقرؤها بضم الميم وبكسرهما -
روايتان - يقول : لم يزود من ملكه إلا كفنا يلى ، وقد جعل الكافور .. الذي يذر

(٤) يقول : إن الشمس طالعة تبكي عليك ، ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر
لأنها في طلوعها خاشعة باكية لا نور لها : وقد تقدم الكلام على هذا البيت بأوفى
من ذلك .

فِيهِ الْفَصَاحَةُ وَالسَّمَاخَةُ وَالثَّقِيُّ وَالْبَأْسُ أُجْمَعُ وَالْحَجِيُّ وَالْخَيْرُ^(١)
كَفَلَ النَّسَاءَ لَهُ بُرْدٌ حَيَاتِهِ لَمَّا أَنْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنشُورُ^(٢)
وَكَأَنَّمَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ وَكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصَهُ الْقُبُورُ^(٣)

على وجه الميت - في موضع الكحل . وعبارة الواحدى : لم يزود من ملكه إلا كفنا
بيلى ، وهو مغف كالنائم لإطباق جفنه ، وقد كحل بكافور - لا يأمد - والإمد : كحل
الحى ؛ والكافور : للميت .

(١) فيه : أى فى الكفن ، وأجمع تأكيد للناس . والحجى : العقل . والخير .
الكرم . وهذا من قول عبد الصمد بن العذل

فَضْلٌ وَحَزْمٌ وَجُودٌ ضَمَّهُ جَدَثٌ وَمَكْرَمَاتٌ طَوَاهَا التَّرْبُ وَالطَّرْ
(٢) يقول . إن ثناء الناس عليه وذكركم إياه بعده كفيل برد حياته ، لأن من بقى
ذكره كأنه لم يميت ، وهذا من قول منصور التمرى :

رَدَّتْ صِنَائِمُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنشُورُ
ويقول أبو تمام :

سَلَفُوا يَرُونَ الَّذِي كَرَّ عَيْشًا ثَانِيًا وَمَضَوْا يُمَدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودًا
ويقال : أنشر الله الميت ونشره ؛ قال المكبرى : ولما قال : انطوى وذكر الطى ، قال
منشور : وهو أضعف اللقبين .

(٣) يقول : ذكره أبدا يحيه كما أحيأ عيسى عليه السلام عازر بعد أن مات :

واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالا :

غَاضَتْ أَنَامِلُهُ وَهَنَّ بِحُورٍ وَخَبَّتْ مَكَائِدُهُ وَهَزَّ سَعِيرٌ (١)
 يُبْسِكِي عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ فِي اللَّحْدِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورُ (٢)
 صَبْرًا بَنِي إِسْحَاقَ عَنْهُ تَكْرُمًا إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورٌ (٣)
 فَلِكُلِّ مَفْجُوعٍ سِوَاكُمْ مُشْبِهٌ وَلِكُلِّ مَفْقُودٍ سِوَاهُ نَظِيرٌ (٤)
 أَيَّامَ قَائِمٍ سَنِيهِ فِي كَفِّهِ الْيُمْنَى وَبَاعَ الْمَوْتَ عَنْهُ قَصِيرٌ (٥)
 وَلَطَالَمَا أَنهَمَّتْ بِمَاءِ أَحْمَرٍ فِي شَفْرَتَيْهِ جَاهِجٌ وَنُحُورٌ (٦)
 فَأَعِيدُ إِخْوَتَهُ رَبِّبٌ مُحَمَّدٍ أَنْ يَحْزَنُوا وَمُحَمَّدٌ مَسْرُورٌ (٧)

(١) غاضت: غارت؛ وخببت النار: سكن لها؛ والمكاييد: جمع مكيدة، وهي ما يدبره الرجل في الحرب وغيرها من الرأى؛ والسعير تسعير النار: يقول: للمات غاض بمر جوده الذي كان يفيض على الناس بالعطاء وانطفأت نار كيدته وكانت سعيرا على أعدائه:

(٢) يقول: ليس من حقه البكاء عليه، لأنه لم يستقر في قبره حتى صافحته الحور في جنة الخلد، وإذا كان بهذه المنزلة من الكرامة عند الله فلا يحق له البكاء، قال الشاعر:

إِنْ يَكُنْ مُفْرَدًا بِغَيْرِ أَنْيْسٍ فَمَسَى أَنْ يَكُونَ بِالْحُورِ آنَسٍ

هذا ويحوز في «قراره» الرفع على الفاعلية، والنصب على المصدر. قال ابن جنى:

ويختار النصب:

(٣) على العظيم: أي على الأمر العظيم: وروى ابن جنى عن العظيم: أي عن

المفقود العظيم:

(٤) يقول: ليس في العالم مثلكم ولا مثله، وكلاهما عظيم:

(٥) العامل في أيام: محذوف؛ تقديره لم يكن له نظير أيام الخ: أي أيام يقاتل

أعداءه، ويد الموت غير ممتدة إليه، أو تقدير: أذكركم تلك الأيام التي لم ينل منه عدو

فيها: ولكن إذا جاء أمر الله فلا بد من تقاذه:

(٦) انهملت: جرت وسالت، وبرى: انهمرت، وشفرتا السيف: حدها:

يقول: طالما سالت الجماجم والنحور من أعدائه في حدى سيفه بالدماء

(٧) أعدته باقه من كذا: عصمته به منه، وهي كلمة تقال في مقام التزيه؛ وأن

أَوْ يَرْتَعِبُوا بِقُصُورِهِمْ عَنْ حُمْرَةٍ
حَيَاهُ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ (١)
نَفَرٌ إِذَا غَابَتْ نُجُودُ سُيُوفِهِمْ
عَنْهَا فَاجَالَ الْعِبَادُ حُضُورَ (٢)
وَإِذَا لُقُوا جَيْشًا تَبَيَّنَ أَنَّهُ
مِنْ بَطْنِ طَيْرٍ تَنُوقُهُ مَحْشُورٌ (٣)
لَمْ تُتَنَّنْ فِي طَلَبِ أَعْنَةِ حَيْلِهِمْ
إِلَّا وَعَمَّرُ طَرِيدُهَا مَبْتُورٌ (٤)

يخزنوا : في تأويل مصدر مجرور بمن محذوفة صلة اعيد . قال ابن جنى : الوجه أن يكون محمد الأول : النبي عليه الصلاة والسلام ، والثاني : المرئي . ويجوز أن يكون الأول واثاني كلاهما المرئي . يقول : لا ينبغي لهم أن يخزنوا عليه لأنه مسرور بما أصاره الله إليه من السكرامة والنعيم الدائم .

(١) يقال : رغب به عن هذا الامر : أى رفعه عنه . يقول : وأعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت خيراً له من قبر صار روضة من رياض الجنة حتى حياه فيه الملكان منكر ونكير - أى أن قبره خير له من تلك القصور ومنزله في الآخرة - أشرف من منازل التي كانت في الدنيا . وقال ابن جنى : يعنى : وأعيذهم أن يرغبوا عنه ويتركوا زيارة قبره ويلزموا قصورهم . . . قال العروضى - ناقداً - ما أبدع ما وقع . . . أراد - التنبي - أن لا يحسبوا قصورهم أوفق له من الحفرة التي صارت من رياض الجنة حتى حياه فيها الملكان . . . وقال ابن فورجة : لكنه يقول : أعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت لهم خيراً له من قبر حياه فيه الملكان . والمعنى : أعيذهم أن يرفعوا قصورهم فيجعلوها في حكمهم خيراً له من قبره ، فإن قبره خير له من تلك القصور : ومنزله في الآخرة أشرف من منازل في الدنيا .

(٢) يقول : هم - أى بنو إسحاق - نفر - أى رهط وجماعة - إذا سلوا سيوفهم فغابت بذلك عن أعينها ، حضرت آجال أعدائهم لأنهم يستأصلونهم في التو واللحظة نفر : خبر مبتدأ محذوف ، وحضور : جمع حاضر .

(٣) التنوفة : الأرض البعيدة - المفازة - يقول : إذا حاربوا جيشاً من جيوش الأعداء تبين ذلك الجيش أنهم قاتلوه لاجمالة ، فأكله الطير حتى إذا جاء يوم إجلس - البعث - بعث من بطون الطير .

(٤) المبتور : المقطوع والأعنة : جمع عنان ، وهو صير اللجام . يقول : لم تعطف

يَمَّمْتُ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نِيَّتِي
إِنَّ الْمَحَبَّ عَلَى الْبِعَادِ يَزُورُ^(١)
وَقَنِمْتُ بِاللَقِيَا وَأَوَّلَ نَفْرَةٍ
إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرٌ^(٢)

أعنة خيل هؤلاء القوم في طلب عدو إلا وعمر ذلك العدو الذي طردته خيلهم واتبته
قد انقطع أجله .

(١) الشاسع : البعيد . وعن نية : أى عن قصد ، أو تقول : النية بمعنى النوى :
أى البعد . يقول : قصدت ديارهم البعيدة لحبي إياهم لأن المحب يزور حبيبه وإن شطت
به النوى ، كما فاك القائل :

زُرُّ مَنْ تَرْبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ
لَا يَمْنَعُكَ بُعْدٌ مِنْ زيارته
(٢) هذا من قول الموصلي :

وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ
إِنَّ الْمَحَبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ
وَقَلِيلٌ مِمَّنْ تَحِبُّ كَثِيرُ
إِنْ مَاقَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي
ومثله لجليل بئنة :

وَإِنِّي لِيرْضِي قَلِيلَ نَوَالِكُمْ
وَلِتُوبَةٌ
وَإِنْ كُنْتَ لَا أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلِ
وَأَقْنَعُ مِنْ لَيْلِي بِمَا لَا أَنَالُهُ
أَلَا كُلَّ مَاقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ
وَلَا آخِرُ :

جودوا على بمنطقٍ أحياء به
إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْمَحَبِّ كَثِيرٌ

وسأله بنو عم الميت أن يبنى الشمامة عنهم ؛ فقال ارتجالا :

أَلَالَ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِلَّا حَيْنٌ دَائِمٌ وَزَفِيرٌ^(١)
 مَا شَكَّ خَابِرٌ أَمْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ أَنَّ الْعَزَاءَ عَلَيْهِمْ مَحْظُورٌ^(٢)
 تُذِمِّي خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وَتَنْقُضِي سَاعَاتُ لَيْلِهِمْ وَهُنَّ دُهُورٌ^(٣)
 أَبْنَاهُ عَمَّ كُلُّ ذَنْبٍ لِأَمْرِي إِلَّا السَّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَفْغُورٌ^(٤)
 طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وَدَادِهِمْ
 وَكَذَا الذَّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ^(٥)

(١) هذا استفهام إنكاري؛ والزفير: امتلاء الجوف من النفس لشدة الكرب والغم؛ يقول : ليس لهم إلا الحنين إليه والزفير على فقدته :
 (٢) الخابر : العالم بالشيء ، مثل الخبير أو المهرب : يقول : لا يشك من خبرهم
 وعرف أمرهم أن السلوان ممنوع محرم عليهم لشدة حزنهم على فقدته : أي لا يصبرون عنه
 وهذا من قول البحترى :

حالتُ بكَ الأشياءِ عن حالاتِها فألحزنُ حِلِّيَّ والعزَاءُ حرام
 (٣) يقول : إنهم سيكون عليه دما ويسهرون لفقده حتى يطول عليهم الليل فكأنه
 دهر : وهذا معنى تداوله الشعراء كثيرا ، وأصله بيت الحماسة :

يطول اليومُ لألثاكِ فيه وعامٌ نلتقي فيه قصير
 (٤) يقول : كل من أذنب إليهم ذنبا فإنهم يغفرون له ذلك الذنب إلا الذنب من يسعى
 بينهم بالثيمة والإفساد :

(٥) يقول : إن الوشاة نموا بينهم قصد أن يكذبوا صفاء ما بينهم من ود ؛
 مثلهم في ذلك مثل الذباب الذي يطير على الطعام ، كأنه يريد إفساده . وقال ابن جنى :
 معنى طاروا : ذهبوا وهلكوا لما لم يجدوا بينهم مدخلا .. قال العروضي - ناقدنا - : يظلم
 نفسه ويفر غيره من فسر شعر النبي بهذا النظر ، ألا تراه يقول : وكذا الذباب على
 الطعام يطير ؛ أذهب هذا أم اجتمع عليه ؟ وقال : طار الوشاة على ؛ ولو أراد ما قال
 ابن جنى لقال : طار عنه ؛ وأراد أن الوشاة نموا بينهم وتآلثوا بالثيمة . . وقال ابن
 فورجة : كيف يعنى بقوله طار الوشاة ذهبوا وهلكوا وقد شبه طيرانهم على صفاء الود
 بطيران الذباب على الطعام ؟ يريد أن الوشاة تعرضوا لما بينهم وجهدوا أن يفسدوا
 ودادهم ، كما أن الذباب يطير على الطعام . والمعنى : أن اجتماع الوشاة وسعيهم فيما بينهم

وَلَقَدْ مَنَحْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مَوَدَّةً جُودِي بِهَا لِعِدْوَةٍ تَبْذِيرُ^(١)
مَلِكٌ تَصَوَّرَ كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا يَجْرِي بِفَضْلِ قَضَائِهِ الْمَقْدُورُ^(٢)

وقال ارنجالا في أبي الحسين بن إبراهيم وقد دخل عليه وهو يشرب :

مَرَّتْكَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ صَافِيَةَ الْخَمْرِ
وَهُنَّتْهَا مِنْ شَارِبِ مُسْكَرِ الشُّكْرِ^(٣)

بالتأم دليل على ما بينهم من المودة ، كالذباب لا يجتمع إلا على طعام ؛ وكذا الوشاة إنما
تعرضون للأجبة المتوادين ومثله :

وَجَلَّ قَدْرِي فَاسْتَحَلُّوا مُسَاجِلَتِي
إِنَّ الذَّبَابَ عَلَى الْمَازِيِّ وَقَاعِ
« الماذي : العسل الأبيض »

(١) أبو الحسين : أحد إخوة الرئي . يقول : بذلت له من الود مالو بذلت مثله
لعدوه لكان ذلك مني إسرافا وتبذيرا ، لان من عاداه لا يستحق مني مثل ذلك الود ،
فإذا بذلته له كنت متلافا واضعا للشيء في غير موضعه .

(٢) المقدور : القدر ؛ وفصل قضائه : حكمه الفاصل بين الحق والباطل . يقول :
كأن القدر يجري بمراده واختياره ؛ وصدر البيت من قول أبي تمام ،

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَرِدْهَا
عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ
وعجزه من قول ابن الرومي :

لَسْتَ تَحْتِجُ بِالزَّمَانِ وَلَا الْمَقْدُورِ وَأَنْتَ الزَّمَانُ وَالْمَقْدُورُ

(٣) في قوله مررتك - كما قال الواحدى - نوعان من الضرورة : أحدهما أنه كان
يجب أن يقول : أمرأتك ؛ لأنه إنما يقال : مرأك إذا كان مع هناك فإذا أفرد قالوا أمرأى
الطعام . والآخر أنه حذف همزة مرأتك . وقوله : مسكر السكر يريد أن السكر يستعذب
شماله ويستحسنها ، فيسكر السكر حسنها ، ويجوز - كما قال الواحدى - أن يكون
المراد أنه يغلب السكر ، والسكر لا يغلبه ، وعادته أن يغلب كل شيء ، فكأنه
قد غلبه .

رَأَيْتُ الْحَمِيَّاءَ فِي الرَّجَاجِ بِكَفِّهِ فَشَبَّهْتُهَا بِالشَّمْسِ فِي البَدْرِ فِي البَحْرِ (١)
إِذَا مَا ذَكَرْنَا جُودَهُ كَانَ حَاضِرًا نَأَى أَوْ دَنَا يَسْعَى عَلَى قَدَمِ الخَضِرِ (٢)

* * *

وقال ارتجالاً وقد دخل على بدر بن عمار يوماً فوجده خالياً ، وقد أمر الغلمان أن يحجبوا الناس عنه ليخلو للشراب :

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ نَخْلُوقُ هَيْهَاتَ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرٍ
مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ لَمْ يُحْجَبَا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَاطِرٍ (٣)
فَإِذَا احْتَجَبْتَ فَأَنْتَ غَيْرُ مُحْجَبٍ وَإِذَا بَطَنْتَ فَأَنْتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ (٤)

(١) الحمياء : من أسماء الحجر : شبه الحجر بالشمس ، والزجاجة بالبدر ، وكفه بالبحر وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي نواس :

فكأنها وكان شاربها قمر يقبل عارض الشمس
(٢) زعموا أن الخضر عليه السلام لا يذكر في موضع إلا حضر ؛ والخضر عند الصوفية : حى يرزق ، ولكن رجال الحديث ينكرون ذلك : يقول : لا تذكر جوده إلا كان حاضراً كالخضر ، يعنى أن جوده يدركننا حينما كنا :
(٣) نظر في ضوء الجبين إلى قول قيس بن الخطيم :

قضى لها الله حين يخلقها الخالق أن لا يكونها سداف (١)
ونظر في الجود إلى قول أبي تمام :
يا أيها الملك النأي برويته وجوده لمراعى جوده كتب
ويقول أبو نواس :

ترى ضوءها من ظاهر الكأس ساطعاً عليك ولو غطيتها بغطاء
(٤) يقول : إذا احتجبت كنت غير محبوب ، وإذا اختفيت فأنت ظاهر ، يعنى بجودك وهيتك : وهذا من قول أبي تمام :

فنعمت من شمس إذا حُجبت بدت : من خذرها فكأنها لم تُحجب

(١) السداف : الظلمة ؛ والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة .

وقال وقد أخذ الشراب منه عند بدر وأراد الانصراف فلم يقدر على الكلام ،
فقال هذين البيتين وهو لا يدري :

نالَ الَّذِي نَلْتُ مِنْهُ مِنِّي اللَّهُ مَا تَصْنَعُ الْخُمُورُ (١)
وَذَا انْصِرَافِي إِلَى مَحَلِّي أَأَذِنُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ

(١) يقول : الشراب الذي نلت منه باحتسائه نال مني بالأخذ من عقلي وحيويتي ثم
تعب بما تعلمه الحمر ، والله أبو تمام إذ يقول :

وكأس كعسول الأمانى شربتها ولكنها أجلت وقد شربت عقلي
إذا اليد نالتها بوثر توقرت على ضيفها ثم استعادت من الرجل
ويقول أيضاً :

أفكم قتي حبي فيخبرني عني
بما شربت مشروبة الراح من ذهني
(١٦ - التنبؤ ٢)

وقال يصف لعبة في صورة جارية ، وذلك أنه كان لبدر بن عمار جليس أعورُ يعرف بابن كروّس ، يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره ، لأنه لم يكن شيء يجري في المجلس إلا ارتجل فيه شعراً ، فقال الأعور لبدر : أظنه يعمل هذا قبل حضوره وَيُعِدُّهُ ، فقال بدر : مثل هذا لا يجوز وأنا أمتحنه بشيء أحضره للوقت ؛ فلما كمل المجلس ودارت الكؤوس أخرج لعبة لها شعر في طولها ، تدور على لولب ، وإحدى رجلها مرفوعة ، وفي يدها طاقة ريحان ؛ فإذا وقفت حذاء إنسان شرب فدارت ؛ فقال ارتجالاً :

وَجَارِيَّةٍ شَعْرُهَا شَطْرُهَا مُحْكِمَةٍ نَافِذِ أَمْرُهَا^(١)
تَدُورُ وَفِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تَضَمَّنَهَا مُكْرَهَا شِبْرُهَا^(٢)
فَإِنْ أَسْكُرْتَنَا فِي جَهْلِهَا بِمَا فَعَلْتَهُ بِنَا عُدْرُهَا^(٣)

* * *

(١) يقول : إن شعر هذه الجارية طويل قد جلل نصف بدنها ، فكأنه نصفها وقد حكمت في أهل المجلس فأطاعوها فيما تأمرهم به . لأنها كانت تدور ، فإذا وقفت حذاء واحد منهم شرب ، فأمرها فيهم نافذ مطاع . فشطرها : أى نصفها ؛ وقوله : نافذ أمرها ، يجوز في «نافذ» : الجر ، على أنه نعت سببي ، و«أمرها» فاعل ؛ والرفع : على أنه خبر مقدم عن أمرها ؛ والجملة : نعت .

(٢) يقول : إن هذه الطاقة من الريحان وضعت في كفها دون اختيار منها ، بل كرها ، لأنها لا تعقل :

(٣) يقول : فإذا أسكرتنا بوقوفها حذاءنا لنشرب ، فجهلها ما فعلت عذر لها ، لأنها لاتعلم ما تفعل :

وقال في بدر أيضاً وقد وقفت هذه الجارية حذاءه :

إِنَّ الْأَمِيرَ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ لِفَاخِرٍ كَسَيْتَ فَخْرًا بِهِ مُضَرًّا^(١)
 فِي الشَّرْبِ جَارِيَةٌ مِنْ تَحْتِهَا خَشَبٌ
 مَا كَانَ وَالِدَهَا جِنًّا وَلَا بَشَرًا^(٢)
 قَامَتْ عَلَى فَرْدِ رَجُلٍ مِنْ مَهَابَتِهِ
 وَلَيْسَ تَقْفِلُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ^(٣)

- (١) يقول : إن العرب جميعا قد لبسوا فخراً به ، ويروى : كسبت
 (٢) في الشرب : أى بينهم . والشرب : جمع شارب ، وجن : اسم كان ؛ ووالدها
 خير . وقد جعل اسم كان نكرة ضرورة . ومثله لحسان بن ثابت :
 كَانَ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاهُ^(١)
 وللقطامي :
 قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضَبَاعًا وَلَا يَكُ مَوْقِفَ مَنْكَ الْوَدَاعَا^(٢)
 (٣) ما تأتى وما تذر : أى ماتقله وما تركه .

(١) السبيئة : الحمر ، وبيت رأس : موضع بالشام ، وخبر كان - فى البيت
 التالى - وهو :

على أنيابها أو طعمُ غض من التفاح هَصَرَهُ اجْتِنَاءُ
 (٢) مطلع قصيدة للقطامى يمدح بها زفر بن الحارث الكلابى ، وضباع مرخم
 ضباعة وهى بنت زفر . وبعد البيت

قَفِي فَادِي أَسِيرِكِ إِنْ قَوْمِي وَقَوْمِكَ لَا أَرَى لَهُمْ اجْتِمَاعًا
 وقد كان القطامى أسيراً عند والدها . وقوله ولا يك موقوف إلخ : يحتمل وجهين
 أحدهما أن يكون على الطلب والرغبة كأنه قال : لا تجعلى هذا الموقف آخر وداعى منك
 والآخر أن يكون على الدعاء ، كأنه قال : لا جعل الله موقفك هذا آخر الوداع

وقال لبدر : ما حملك على إحضار اللبنة ؟ فقال : أردت أن أتقى الظنة عن أدبك فقال :

زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنْفِي الظَّنَّ عَنِّ أَدْبِي وَأَنْتَ أَعْظَمُ أَهْلِ المَصْرِ مِقْدَاراً (١)
إِنِّي أَنَا الذَّهَبُ المَعْرُوفُ مَخْبَرُهُ يَزِيدُ فِي السَّبْكِ لِلدِّينَارِ دِينَاراً (٢)

فقال بدر : بل للدینار قنطاراً فقال :

بِرَجَاءِ جُودِكَ يُطْرَدُ الفَقْرُ وَبِأَنَّ تَعَادَى يَنْفَعُ العُمُرُ (٣)
فَخَرَّ الزُّجَاجُ بِأَنَّ شَرِبْتَ بِهِ وَزَرَّتْ عَلَى مَنْ عَافَهَا الخُمُرُ (٤)
وَسَلِمْتَ مِنْهَا وَهِيَ تُسْكَرُنَا حَتَّى كَأَنَّكَ هَابِكِ السُّكْرِ (٥)
مَا يُرْتَجَى أَحَدٌ لِمِكرَمَةٍ إِلَّا الأِلَهِ وَأَنْتَ يَا بَدْرُ

(١) تنفي الظن : أى ما أتهم به من أنه لا يقدر على ارتجال الشعر ، وفي تعبيره بـ «زعمت» ما يشعر بأنه يريد أنى أبعد من أن يظن بى مثل ذلك ، فليس يعوزك أن تتجشم نفي هذا الظن عنى .

(٢) يقول : إذا امتحنت تضاعف فضلى وارتفعت منزلتى ، ومثلى فى ذلك مثل الذهب الإبريز الخالص إذا اختبر بالسبك ، فإن ما كان منه يظن بآدى ذى بده أنه يساوى ديناراً قد يزيد قيمته ديناراً آخر . والمعروف : صفة للذهب ، ومخبره : مبتدأ ؛ خبره : بعده ؛ والمخبر : الخبر .

(٣) إذا رجونا جودك ذهب عنا الفقر ، لأنه فى أيدينا ؛ فبه يطرد الفقر ؛ وإن عوديت فى عمر من يعاديك لأنه عرض نفسه للتلف .

(٤) يقول إنك السكّوس تفخر بشربك فيها ، والخمر تعيب من يعافها - يكرهها - إذ تشرفت بشربك إياها .

(٥) يقول : إنك تشرب وتسلم من غوائل الخمر ، بينما هى تسكر كل من شربها ، فكأنها لهيتها إياك وخوفها سطوتك ، لا تقدر أن تنال منك وتسرك .

وأراد الارتحال عن علي بن أحمد الخراساني فقال :

لَا تُنْكِرَنَّ رَحِيلِي عَنْكَ فِي عَجَلٍ فَإِنِّي لِرَحِيلِي غَيْرُ مُخْتَارٍ
وَرُبَّمَا فَارَقَ الْإِنْسَانُ مُهْجَتَهُ يَوْمَ الْوَعْيِ غَيْرَ قَالِ خَشِيَةَ الْعَارِ (١)
وَقَدْ مُنِيتُ بِمُحْسَادٍ أَحَارِبُهُمْ

فَأَجْمَلُ نَدَاكَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ أَنْصَارِي (٢)

وقال يصف مسيره في البوادي وما لقي في أسفاره ويذم الأعراب ابن كروس :

عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى مِنْ أُمُورٍ سَكَنَ جَوَائِحِي بَدَلَ الْخُدُورِ (٣)
وَمُبْتَسِمَاتٍ هَيْجَاوَاتٍ عَصْرِي عَنِ الْأَسْيَافِ لَيْسَ عَنِ الثُّغُورِ (٤)
رَكِبْتُ مُشْمَرًا قَدَمِي إِلَيْهَا وَكَلَّ عَذَافِرِي قَلْبِي الضُّفُورِ (٥)

(١) للهجة : الروح ، والقالي : من قلاه أبغضه ؛ وخشية : مفعول لأجله ، عامله فارق . شبه فراقه الممدوح بفراق الإنسان روحه . يقول : قد يعرض للسر ما يوجب فراق روحه من غير بغض للروح ، كذلك أنا أفارقك كارها لذلك مضطرا .

(٢) منيت : بليت ، والندی : الجود ؛ والأنصار : جمع نصير ، بمعنى ناصر . يقول : إنني مبتلي بمحساد أعاديهم فانصرتني عليهم بجودك حتى أفتخر عليهم بذلك فيموتوا كندا .

(٣) يقولون : عذيري من فلان ، إذا أرادوا الشكاية منه : أي من يعذرنى منه أي إذا أوقعت به وأسأت إليه فإنه يستحق ذلك . والعذارى : الأبقار لم يفرعن بعلم والمراد هنا : الأمور العظام والحطوب التي لم يسبق إليها ولا عهد بمثلها . و«من» الأولى صلة عذيري والثانية : بيانية ، وهي مع مجرورها في موضع النعت لعذارى . والجوامح : الضلوع . يقول : إن هذه الأمور قد اتخذت ضلوعي وقلبي مسكنا كما تسكن العذارى الخدور .

(٤) الهيجاوات : جمع الهيجاء ، وهي الحرب ؛ ومبتسمات : عطف على عذارى ، وإضافة مبتسمات إلى هيجاوات بيانية ، وعن الأسياف صلة مبتسمات وليس هنا حرف بمنزلة لا . يقول : ومن عذيره من حروب تبسم هبواتها عن بريق السيوف لا عن الثغور - جمع ثغر مقدم الأسنان .

(٥) أصل التشمير : رفع الذيل ، يراد به الإشاحة والجد والإسراع . وقدمي :

أَوَانًا فِي بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحَلِي وَأَوْنَةً عَلَى قَدَدِ الْبَعِيرِ (١)
 أُعْرِضُ لِلرَّمَاكِحِ الصَّمِّ نَحْرِي وَأَنْصِبُ حُرًّا وَجْهِي لِلْمُهْجِرِ (٢)
 وَأُسْرِي فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَحَدِي كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مِنْسِرِ (٣)
 قَقُلْ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا عَلَى شَفَعِي بِهَا شَرَوِي نَقِيرِ (٤)

مفعول ركبت ، وإيها : متعلق بركبت ؛ والضمير للهيجوات . والعذافر : القوي من الإبل ؛ والناقة : عذافرة ؛ والصفور : جمع صفر ، وهو النسع - الحبل - تشد به الرحال . والضمير : الحبل ؛ ومنه الحديث : « إذا زنت الأمة فبعها ولو بضمير » أي بحبل مفتول من شعر . فيعل بمعنى مفعول . يقول : قصدت الهيجوات - الحروب - راجلا وراكبا : أي مارستها في كل حال . وكفى بقلق الضفور عن شدة السير والهزال . (١) الأونة : جمع أوان ؛ كزمان وأزمنة . والرحل : ما يستصحبه الرجل من الأثاث ؛ والقند : خشب الرحل . وقيل : القند من أدوات الرحل ؛ وقيل ، جميع أدواته ، والجمع اقتاد وقتود وأقند . قال الراجز .

كَأَنِّي ضَمَمْتُ هِقْلًا عَوْهَقًا اقْتَادَ رَحَلِي أَوْ كَدَرًا مُخْنَقًا

« الهقل الظليم ؛ والعوهق من النعام : الطويل ؛ والكدر : الغليظ ؛ والمخنق : الضامر القليل اللحم » يصف طول ارتحالها وقلة مقامه ، ومن ثم قال في النزول : أوانا وفي الارتحال : آونة .

(٢) حر الوجه . ما بدا منه . والمهجير . شدة الحر وقت الهجرة ، وهي نصف النهار . والرماح الصم . أي الصلاب . وصدر البيت من قول القائل .

نُعْرِضُ لِلطَّعْمَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعْرِضُ لِلسَّبَابِ
 وعجزه من قول الآخر .

أَقُولُ لِبَعْضِهِمْ إِنْ شَدَّ رَحَلِي لِهَاجِرَةٍ نَصَبَتْ لَهَا جَبِينِي

(٣) السرى والإسراء . السير ليلا . ومنه . في موضع الحال من الضمير المستتر في الظرف بعده . يقول : كأني في الظلام أسير في القمر الوضاء لمرفقي بالطرق والمفاوز واهتدائي فيها .

(٤) ققل في حاجة . أي قل ماشئت ، فإن مجال القول ذوسعة . وعلى . بمعنى مع . والظرف في موضع الحال من فاعل أقض . وشغفي بها : حبها ، وشروى الشيء ، مثله والتعير . نكته في ظهر النواة . يضرب مثلا للشيء الحقير . يذكر كثرة تبعه وقلة

وَنَفْسٍ لَا تَجِيبُ إِلَىٰ خَسِيْسٍ وَعَيْنٍ لَا تَدَارُ عَلَىٰ نَظِيرٍ (١)
 وَكَفٍّ لَا تَنَازِعُ مِنْ أَنَانِي يُنَازِعُنِي سِوَىٰ شَرَفِي وَخَيْرِي (٢)
 وَقِلَّةٍ نَاصِرٍ جُوزِيَتْ عَنِّي بِشَرِّ مَنِكَ يَا شَرَّ الدُّهُورِ (٣)
 عَدُوِّي كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ حَتَّىٰ
 نَحَلْتُ الْأَكْمَ مُوْغَرَةَ الصُّدُورِ (٤)

نيله . يقول : كم من حاجة حاولت الحصول عليها ثم لم أنل منها شيئاً على شدة شغفي بها وحبتها ؟ .

(١) يقول : وقل ماشئت في نفس - يعني نفسه - لاتؤاتيني على أمر خسيس ولا تمنع به . وعين لا تمنع ولا تدار على نظيري .

(٢) ينازعني : حال من فاعل أناني : وسوى . مفعول تنازع : والخير : الكرم . يقول : وقل ماشئت في كف - يعني كفه - سخية لاتمسك شيئاً وتترك كل شيء لمن ينازعني إلا شرفي وكرمي فإني لا أسخو بها .

(٣) أي : وقل ماشئت في قلة من ينصرني على ما أطلبه ، ثم خاطب الدهر فقال : رماك الله يادهر بدهر شر منك يحني عليك كما جنيت على وأنت شر الدهور ؛ و« شر » أصله أشر ، تركوا همزته لكثرة الاستعمال .

(٤) عدوي : خبر مقدم ؛ وكل مبتدأ مؤخر . وخت : ظننت : واللام : للتوكيد أدخلها على الماضي على إضمار قد : والأكم : التلال ، جمع أكمة : وموغرة الصدور : متوقدة من الغيظ : يقول : إن كل شيء في الدهر يعاديه حتى ظن التلال التي لاتعقل تعاديه ، يريد بذلك البالغة : وقال ابن جني : قوله حتى لحلت إلخ : يحتمل أمرين ؛ أحدهما : يريد أن الأكم تنبوه ولا تطمئن إليه ، فكان ذلك لعداوة بينها ؛ والآخر - وهو الوجه - أنه يريد شدة ما يقاسى فيها من الحر ، فكانها : موغرة الصدور من قوة حرارتها ... قال ابن فورجة : أما المعنى الأول فيقال : لم يرد أن يستقر في الأكم فتنبوه وبشما يختار داراً ومقاماً . وأما المعنى الثاني فيقول : كيف خص الأكم بشدة الحر والمكان الضاحي للشمس أولى بأن يكون أحر ، وللاكمة ظل ، وهو أبرد من المكان الذي لا ظل له ؟ فهذا أيضاً خطأ ، والذي عن أبو الطيب أن كل شيء يعاديه حتى خشى أن الأكم التي لا تعقل تعاديه ، ويريد بذلك : البالغة ، وإن لم يكن ثم عداوة .

فَلَوْ أَنِّي حُسِدْتُ عَلَى نَفِيسٍ لَجَدْتُ بِهِ لَذِي الْجُدِّ الْعُثُورِ (١)
 وَلَكِنِّي حُسِدْتُ عَلَى حَيَاتِي وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ إِلَّا سُرُورِ (٢)
 فَيَا ابْنَ كَرُوسٍ يَا نِصْفَ أَعْمَى وَإِنْ تَفَخَّرْ فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ (٣)
 تَعَادِينَا لِأَنَّا غَيْرُ لُكْنٍ وَتُبَغِضُنَا لِأَنَّا غَيْرُ عُورِ (٤)
 فَلَوْ كُنْتَ أَمْرًا يُهْجَى هَجُونًا وَلَكِنْ ضَاقَ فِترٌ عَن مَسِيرِ (٥)

(١) و(٢) النفيس : تقيض الحسيس : والجد العثور أو العائر ؛ الحظ التعس الذي يتمثر صاحبه ويعانى العناء في سعيه : يقول : لو حسدني الناس على شيء نفيس يرغب فيه لجدت به على المهروم والمهروب منهم ، ولكنهم إنما يحسدونني على حياتي مع أنها ليست بالشيء الذي يحسد عليه ويرغب فيه لأنها خلو من السرور ، وإلا لجدت بها عليهم أيضاً كي أستريح منهم ومن سرورهم : وقال بعض الشراح : يعني حسدوني على سروري وأناسي وأرادوا أن أكون محزوناً أبداً ، وإذا طلبوا ذلك فكأنهم طلبوا موتي ، فإن حياة الحزين موت : وكفى بالحياة عن السرور لأن الحياة إذا عدم منها السرور لم تكن حياة : هذا : وقوله : لذى الجدد العثور ، يروي لذا الجدد العثور : أي لهذا الجدد العثور ، يعني لجدت به لهم لما أنا فيه من الحظ النحوس .

(٣) هذا ابن كروس كان أعور ، وكان يعاديه ، ومن ثم سماه نصف أعمى ونصف بصير لأنه باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى ، وباعتبار الباقية نصف بصير ، يعني إن غرت يبصرك فأنت ذو بصر واحد .

(٤) يقول : إنما تعادينا لما بيننا من الضادة لأنك الكن - ثقل اللسان - وأنا فصيح ؛ وأنت أعور وأنا بصير .

(٥) يقول : لحسبك لا مجال للشعر فيك ، فإن الهجاء يرتفع عن قدرك والفتور يضيق مقداره عن السير فيه ، كذلك أنت : ليس لك عرض يهجي ومثل هذا قول القائل .

بما أهجوك لا أدري لسان فيك لا يجري
 إذا فكرت في عرضك أشفتك على شعري

وقال يمدح أبا محمد الحسين بن عبد الله بن طنج :

وَوَقَّتْ وَفَى بِالذَّهْرِ لِي عِنْدَ وَاحِدٍ وَفَى لِي بِأَهْلِيهِ وَزَادَ كَثِيرًا^(١)
 شَرِبْتُ عَلَى اسْتِحْسَانِ ضَوْءِ جَبِينِهِ وَزَهْرٍ تَرَى لِلْمَاءِ فِيهِ خَيْرًا
 غَدَا النَّاسُ مِثْلِيهِمْ بِهِ لَا عَدِمْتُهُ وَأَصْبَحَ ذَهْرِي فِي ذَرَاهُ دُهُورًا^(٢)

وقال وقد كره الشرب وكثر البخور وارتفعت رائحة الند والأصوات بمجلسه :

أَنْشَرُ الْكِبَاءَ وَوَجْهَ الْأَمِيرِ وَصَوْتُ الْفِنَاءِ وَصَافِي الْخُمُورِ^(٣)
 فِدَاؤِ خُمَارِي بِشُرْبِي لَهَا فَإِنِّي سَكِرْتُ بِشُرْبِ الشُّرُورِ^(٤)

(١) يقول : إن وفق عنده يفي بالدهر كله ويمادل ، كما أن المدوح يفي بأهل الدهر ويزيد عليهم . وقوله : عند واحد ، يروي : عند سيد .

(٢) في ذراه : في كنفه . يقول : إنه لعظمة شأنه يعادل بالناس كلهم ، فالناس به ضعفا ما هم عليه ، ودهره عظيم القدر به ، فصار به الدهر دهوراً .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة . والكباء : العود الذي يتبخر به . ونشر : مبتدأ ، خبره محذوف للعلم به ، كأنه يقول : آتجتمع هذه الأشياء لأحد كما اجتمعت لي ؟ قال بعض الشراح : يعني : لا تجتمع هذه الأشياء لأحد ولا يشرب إلا كان معدوم الحس . وقال بعض الشراح : إن الواو — في قوله : وصافي الخمر — للمصاحبة ، سد العطف بها مسد الجر ، كما في قولهم : كل رجل وضيعته .

(٤) يقول : إني قد سكرت من سروري حين اجتمعت لي هذه الأشياء فداؤ خماري والخمار : صداع الخمر — شرب الخمر ، أي إنما أريد شرب الخمر ، لأنفي الخمار ، لا للسكر ، فإنني سكران من السرور . وعبارة بعض الشراح : قوله : بشربي ، صلة خماري والمعنى : لا تزدني من الخمر ، ولكن التمس لي دواء من سكرى بها ، فإنني قد سكرت من سروري بهذه الأشياء ، فلا أحتمل سكرًا آخر

وقال أبو محمد يوماً : إن أباه استخفى مرة ، فعرفه رجل يهودى فقال :

لَا تَلُومَنَّ الْيَهُودِيَّ عَلَى أَنْ يَرَى الشَّمْسَ فَلَا يُنْكِرُهَا^(١)
إِنَّمَا اللُّؤْمُ عَلَى حَاسِبِهَا ظُلْمَةٌ مِنْ بَعْدِ مَا يُبْصِرُهَا^(٢)

وسئل عما ارتجله فيه من الشعر ، فأعاده ، فمجبوا من حفظه إياه فقال :

إِنَّمَا أَحْفَظُكَ لِأَنَّ دِيحَ بَيْتِي لَا يَقْلِبِي لِمَا أَرَى فِي الْأَمِيرِ^(٣)
مِنْ خِصَالٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظَّمْتُ لِي غَرَائِبَ الْمَشُورِ^(٤)

(١) و (٢) روى هذان البيتان برفع القافية ونسبها ، فالرفع على الاستئناف ، والنصب عطف على يرى ؛ وإذن : يروى البيت الثانى من بعد أن يبصرها . يقول : لا يلام من رأى الشمس وقال : هذه شمس ، لا ، إنما اللوم على من رآها وقال : هذه ظلمة وضرب ذلك مثلاً . يقول : إن أباه شمس فلا يستطيع الاختفاء ، لأن الشمس لا تخفى ؛ ومثله للعكوك :

سما فوق الرجال فليس يخفى وهل فى مطلع الشمس التباس ؟
(٣ و ٤) من خصال : بيان لقوله لما أرى . يقول : لا أحتاج إلى حفظ مدائمه بقلبي لحضور معانيها أمام عيني ؛ وهى ما أراه من خصال الأمير ، فإني كلما نظرت إليها هيأت لى ما أنظمه فيها من غرائب المشور فأنتطق به ؛ أو تقول : أنا أشاهد بعيني ما أمدح به الأمير من خصال إذا نظرت إليها نظمت غرائب المشور ، فبيني تنظم فضائله لأنها تدركها وتساهدها ، لا قلبي ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

وحاكة شِعْرٍ حَسَنُوا الْقَوْلَ مِنْهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ أَفْعَالِكَ أَمْتَارٌ حُسْنُهُ
ومثله لابن المعتز :

إذا ما مدحناه استمعنا بفعله لناخذ معنى مدحه من فعاله

وعاتبه أبو محمد على تركه مدحه فقال :

تَرَكَ مَدْحِيكَ كَالهَجَاءِ لِنَفْسِي وَقَلِيلٌ لَكَ اللَّدِيحُ الْكَثِيرُ (١)
غَيْرَ أَنِّي تَرَكْتُ مُقْتَضِبَ الشُّعْرِ لِأَمْرِ مِنْحَلِي بِهِ مَعذُورٌ (٢)
وَسَجَّايَاكَ مَا دِحَاتُكَ لَا لَفْظِي وَجُودٌ عَلَى كَلَامِي يُغَيِّرُ (٣)
فَسَقَى اللَّهُ مَنْ أَحَبُّ بِكَفْيِكَ وَأَسْفَاكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ (٤)

* * *

(١) مدحك : أى مدحى إياك. وقوله: وقليل لك اللديح الكثير ، من قول إسحاق ابن إبراهيم الواصل :

إِذَا اسْتَكْرَأَ الْحَسَادَ مَا قِيلَ فِيكُمْ فَإِنَّ الَّذِي يَسْتَكْثِرُونَ قَلِيلٌ

(٢) المقتضب — هنا — مصدر بمعنى الاقتضاب ، وهو فى الأصل : الاقتطاع والمراد : ما أتى به بديها . هذا : ولم يبين للتبني ذلك العذر الذى اعتذر به فى ترك الشعر ، كأنه كان عذرا واضحا قد عرفه المدوح فأهمل ذكره .

(٣) ينول : إنما يمدحك ما فىك من الأخلاق الحميدة التى أراها فأتعلم المدح منها ، والجود الذى يستغرق كلامى فى وصفه حتى كأنه يغير عليه وينبهه ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

وَلَا مَدْحَ مَا لَمْ يَمْدَحِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ بِأَفْعَالِ صِدْقٍ لَمْ تَشْنِهَا الْخَسَائِسُ

(٤) سقاه الله وأسفاه : أمطر بلاده ، لغتان نطق بهما القرآن الكريم ، قال تعالى :

« وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا » . وقال سبحانه : « وَسَقَامُ رَبِّهِمْ شَرَابًا طَهُورًا » يقول : سقى الله أحبائى غيث كفيك حتى يخلصوا بجمودك ، وسقائك غيثه حتى تتاح لهم السقيا بسقياك .

وقال عند منصرفه من مصر وقد وصل إلى البسيطة ، فرأى بعض غلمانة ثوراً فقال : هذه منارة الجامع ، ورأى آخر نعامة في البرية فقال : هذه بخلة : مضحك أبو الطيب وقال :

بُسَيْطَةٌ مَهْلًا سَقَيْتِ الْقَطَارَا تَرَكَتِ عُمُونَ عَبِيدِي حَيَارِي (١)
فَطَلَنُوا النَّعَامَ عَلَيْكَ النَّخِيلَ وَظَنُّوا الصُّوَارَ عَلَيْكَ الْمَنَارَا (٢)
فَأَمْسَكَ صَخْبِي بِأَكْوَارِهِمْ وَقَدَّ قَصَدَ الضُّحْكَ فِيهِمْ وَجَارَا (٣)

وقال يمدح على بن أحمد بن عامر الأنطاكي :

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
وَحِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَيِّ الصَّبْرِ (٤)
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَتِي
وَمَا ثَبَّتَتْ إِلَّا وَفِي نَفْسِهَا أَمْرٌ (٥)

(١) بسيطة : موضع بقرب الكوفة ؛ والقطار : جمع قطرة ، أى قطر المطر ، وحيارى : جمع حيران .

(٢) عليك — فى الشطرين — حال من المنصب قبله ، والصوار : القطيع من البقر ، والمنار : منارة الجامع — المثناة :

(٣) الأكوار : الرجال ، وقصد : اقتصد ، وجار : مال . يقول : أمسك أصحابي برحلم لأنهم لم يملكوا أنفسهم من الضحك وقد ذهب الضحك فيهم كل مذهب فذهب من اقتصد ومنهم من أفرط فيه .

(٤) وحيدا حال من فاعل أطاعن ، وقوله : ما قولى ، استفهام ، وكذا مفعول قولى يقول : أنا أقاتل فرسانا الدهر أخدم : أى أى أقاتل الدهر وأحداه وحيدا لا ناصر لى ثم رجع عن هذا وقال : لم أقول لى وحيد والصبر مئى ؟ يريد مقاساته شدايد الدهر ونوبه وصبره على ذلك وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

* فإنى من زمانى فى حروب *

(٥) يقول : إن سلامتى وبقاها مئى فى هذه الطاعة أشجع مئى ، وهذا مجاز ،

تَمَرَسْتُ بِالْأَفَاتِ حَتَّى تَرَكَتُهَا
تَقُولُ أَمَاتَ الْمَوْتَ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ (١)
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْآتِيِّ كَأَنَّ لِي
سِوَى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتَرُ (٢)
ذَرِ النَّفْسَ نَحْذُ وَسُقْمًا قَبْلَ بَيْنِهَا
فَمَفْتَرِقُ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعَمْرُ (٣)
وَلَا تَحْزَنْ لِلْمَجْدِ زَقًا وَقَيْنَةً
فَا الْمَجْدُ إِلَّا السِّيفُ وَالْفَتَكَةُ الْبَكْرُ (٤)

يريد أى اسلم من هذه الأحداث فلا تصينى بسوء، ثم قال : وما بقيت سلامتى إلا للأمر عظيم، يعنى ليس بقائى وسلامتى إلا للأمر عظيم سيظهر على يدي .

(١) تمرس بالشيء : احتك به . والآفات : جمع آفة ، وهى فى الأصل العاهة والمراد هنا : ما يصيب من يتصدى للأخطار والمهلك من قتل وجراحة ونحوهما ، والذعر : الخوف . يقول : تمرست بالآفات فى الأسفار والحروب حتى تصببت من سلامتى وتجلبى لها وقالت : هل مات الموت إذ لم يصب هذا التمرس بى ، أو خافت المخاوف فلا تخيفه ؟ يريد أن الآفات لو كانت ممن ينطق لقاتل هذا القول لكثرة ما ترانى أمارسها من غير خوف يلحقى ولا هلاك يصينى .

(٢) الآتى : السيل الذى لا يردده شيء ، والوتر : الذحل والثأر . تقول : أقدمت على الشدائد والأهوال إقدام الآتى الذى لا يردده شيء ، حتى كأن لى سوى نفسى نفساً أخرى إن ذهبت نفسى كانت لى بدلاً أو كأن لى ثأراً عند نفسى فأنا أريد إهلاكها .

(٣) ذر : بمعنى دع ؛ وتروى : دع ؛ والوسع : الطاقة . ومفترق : مبتدأ ، سد المرفوع بعده مسد الخبر ، جرى فيه على مذهب من لا يلتزم اعتماد الوصف . جعل الجسم والروح جارين والعمر دارهما ، وصحبتهما تكون مدة العمر ، فإذا فى العمر افترقا . يقول : دع نفسك تأخذ ما تطيق مما تصبو إليه نفسك من لذة أو مال أو سلطان فإنها غير باقية مع الجسد . قال العكبرى : وهذا من أحسن الكلام ، وهو من الحكمة . قال الحكيم : من قصر عن أخذ لذاته عدما وعدم صحة جسمه .

(٤) الزق : وعاء الحجر . والقينة هنا : المغنية . والفتكة : المرة من الفتك وهو

وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ
لَكَ الْهَبَوَاتُ الشُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ (١)
وَتَرْزُكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَمَّا
تَدَاوُلُ تَسْمَعُ الْمَرْءُ أُنْمَلُهُ الْقَشْرُ (٢)
إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعَكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ
عَلَى هَيْبَةٍ فَالْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ (٣)

البطش ، والبكر من كل شيء ، الذي لم يسبقه نظير . يقول : لا تظنن المجد والشرف أن تلهو بشرب الخمر وسماع القيان ، لا — فليس المجد إلا ضرب السيف والبطش بالأعداء بطشاً لم يسمع بمثله .

(١) وتضرب : عطف على السيف . والهبوات : جمع هبوة ، وهي الغبرة العظيمة والمجر : الجيش الكثير . وأن ترى لك الهبوات السود : أى أن تثير الغبار بحوافر الخيل لدى الطعان والنزال .

(٢) الدوى : الصوت العظيم يسمع من الريح وخفيف الأشجار . وتداول — بجذف إحدى التاءين — أى تداول ، ولك أن تقرأها على أنها فعل ماض ؛ والأتمل : رؤوس الأصابع . يقول : وأن ترك في الدنيا جلبة وصياحا عظيماً — جلبة الساعى الجسام وصياح الأفاعيل العظام — كأن المرء سد مسامعه بأنامله على وجه التداول : إذا أنأى واحدة أدنى أخرى ، وذلك أن الإنسان إذا سد أذنه سمع ضجيجاً وجلبة ، وعبرة الواحدى : يريد أنه لا يسمع إلا الضجة حتى كأنه سد مسامعه عن غيرها ونقل بعضهم هذا المعنى ، وجعل ذلك خريراً دموعه فقال :

فَأَحْسُ صِمَاخِيكَ بِسَبَابَتِي كَفَيْكَ تَسْمَعُ لِذَمُّوعِي خَرِيرًا

قال العكبرى : وهكذا من يتعرض لمعانى التنبي يحمى شعره أبرد من الزمهرير (٣) يقول : إذا لم يرفعك فضلك عن أخذ هبة الناقص وشكره عليها ، فالفضل حينئذ له ، لا لك ، لأنه قد استوجب شكرك ، فصار له عليك فضل المشكور على الشاكر . يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتزهد عن الأخذ منه حتى لا يحتاج إلى أن تشكره . وهذا المعنى يتضمن الحض على أن يهترم الأديب نفسه وأن يربأ بأدبه

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ
مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي قَعَلَ الْفَقْرُ (١)

عن أن يسف به . قال العكبري : وهذا من كلام الحكمة . قال الحكيم : من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل ، يرفع قدر الجاهل عليه ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

عِيَّاشُ إِنَّكَ لِلثِّيمِ وَإِنِّي إِذْ صَرْتُ مَوْضِعَ مَطْلَبِي لِلثِّيمِ

وقد ذهب ابن جنى في تفسير البيت مذهباً أثار عليه نقد سائر الشراح قال : إذا اضطرتك الحال إلى أن تشكر أصغر الناس على ما تبلغ به فالفضل فيك ولك لاللدوح المشكور . . . قال العروضي — مشعراً — يقول أبو الطيب فالفضل فيمن له الشكر : ويقول أبو الفتح : فالفضل فيك ولك ؟ فتغير اللفظ وفسد المعنى ؛ والذي أراد التنبي أن الفضل والأدب إذا لم يرفعا عن شكر الناقص على هبة فتمدحه طمعا وتشكره على هبته ، فالناقص هو الفاضل لا أنت ، يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتزه عن الأخذ منه حتى لا تحتاج إلى أن تشكره . . . وقال ابن فورجة : الذي أراد أبو الطيب أنه إذا كان الفضل لا يرفعك عن شكر ناقص على إحسان منه إليك ، فإن الفضل لمن شكرته لا لك لأنك محتاج إليه : يعني أن الغنى خير من الأدب ، يريد إذا كان الأديب محتاجا إلى الغنى ، فالغنى أنه يحرض على ترك الانبساط إلى الثيم الناقص حتى لا يشكر فيكون له الفضل . وقال الواحدى : الذي أدخل الشبهة على أبي الفتح أنه تأول في قوله : فالفضل فيمن له يريد الشاكر ، فالشاكر له الشكر من حيث إنه يشكر ، فذهب إلى هذا فأفسد المعنى . وإنما أراد أبو الطيب بقوله من له الشكر : المشكور على إحسانه .

(١) يقول : من يجمع المال خوف الفقر كان ذلك هو الفقر ، لأنه إذا جمع حرم ، والحرم أن فقر . وعبارة الخطيب : إذا أفنيت دهرك في جمع المال ولم تنفقه فقد مضى عمرك في الفقر . فمضى يكون غناك ؟ فقد تسبعت الفقر . قال العكبري : وهذا البيت من أحسن الكلام وبديعه ، وهو من كلام الحكمة . قال الحكيم : من أفنى مدته في جمع المال خوف الفقر والعدم فقد أسلم نفسه للعدم . ويقول قائلهم :

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَجَّلْتَهُ وَأَخَّرْتَ إِفْثَاقَ مَا تَجْمَعُ

فَصِرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ فَمَا كَانَ يَنْفَعُ مَا تَصْنَعُ

وقال آخر :

عَلَى لِأَهْلِ الْجُبُورِ كُلِّ طَيْرَةٍ عَلَيْهَا غُلَامٌ مِنْ حَيْرُومٍ غَيْرٍ^(١)
يُدِيرُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمْ كُؤُوسَ الْمَنَائِيحِ حَيْثُ لَا تُشْتَهَى الْحَمْرُ^(٢)
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جَبْتُ تَشْهَدُ أَنَّي الْجِبَالُ وَبَحْرٍ شَاهِدِ أَنَّي الْبَحْرُ^(٣)
وَخَرَقٍ مَكَانُ الْعَيْسِ مِنْهُ مَكَانُنَا
مِنْ الْعَيْسِ فِيهِ وَاسِطُ الْكُورِ وَالظَّهْرُ^(٤)

يخوفني بالفقر قومي وما دروا بأن الذي فيه أفاضوا هو العسر
قلت لم لما لحوني وأكثروا ألا إن خوف الفقر عندى هو الفقر
وقال لقمان الحكيم : من دفع الفقر بالعدل قبل الفقر فقد تسجل الفقر .
(١) الجبور : الظلم ؛ والطمرة : الفرس الوثابة نشاطاً ومراحاً : والحيزوم :
الصدر ، والنمر : الحقد . يقول : يحق على أن أسوق إلى أهل الظلم صكراً لجا فيه
كل فرس نشيط يحمل فارساً قد امتلأ صدره حقداً عليهم وغيظاً وحقاً فلا تأخذه بهم
رأفة . وعبارة جميع الشراح : أنا كفيلاً بخيل فرسانها هؤلاء .
(٢) يدبر : أى التلام . يقول : يدبر عليهم كئوس اللوت حين لا تشتهي الحمر ولا
تراد لهول مام فيه من القتال ، وإنما الحمر تشتهي عند وقت الفرح والأريحية والفراف .
(٣) جبت : قطعت . يقول : كم من جبال تشهد لى بالأناة والوقار ، وبحار تشهد
لى بسعة الصدر والسخاء ؟ ولله ينظر إلى قول القائل .

فنى لا يراه البحر إلا أظله خواطر فكر أنه زاخر البحر
(٤) وخرق : عطف على جبال ؛ والخرق : المفازة الواسعة ؛ ومكان العيس مبتداً .
ومكاننا : خبره . وواسط الكور بدل من مكاننا . والعيس : الإبل ، وواسط الكور
مقدم الرحل والضمير فى منه وفيه : للخرق . وقال ابن القطيع : مكان العيس : مبتداً
ومكاننا : ابتداء ثان ، وواسط الكور : خبر الابتداء الثانى ، والجملة خبر الأول .
يقول : لسعة هذا الخرق وطول مسافته وترامى أطرافه كانت إبلنا كأنها لا تنتقل عن
ظهره ولا تزال متوسطة له ، كما أننا كنا على ظهور إبلنا لا تنتقل عنها ولا تزال متوسطة
ظهورها ؛ وهذا المعنى من قول ذى الرمة :

وَمَهْمَةٌ فِيهِ السَّرَابُ يَلْسَحُ يَدَابُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَحُوا
ثُمَّ يَظْلُونَ كَأَنَّ لَمْ يَبْرَحُوا كَأَنَّمَا أَسْتَوْنَا بِمَيْثِ أَصْبَحُوا

يَخْدُنَ بِنَا فِي جَوْزِهِ وَكَأَنَّهَا عَلَى كُرَّةٍ أَوْ أَرْضُهُ مَعَنَا سَفَرٌ (١)
 وَيَوْمَ وَصَلْنَاهُ بِلَيْلٍ كَأَنَّهَا عَلَى أَفْقِهِ مِنْ بَرَقِهِ حُلٌّ مُجْرَمٌ (٢)

وقال ابن جنى : الإبل كأنها واقفة لا تذهب ولا تجيء لسعة هذا الحرق ، فكأنها ليست تبرح منه ؛ فكما نحن في ظهور العيس لا نبرح منها في أوساط أكوارها : كذلك هي كأن لها من أرض هذا الحرق كورا وظهراً فقد أقامت به لا تبرحه . . . قال الواحدى — ناقداً — : وقد غلط ابن جنى فيما ذكر ، إنما يصف مفازة قد توسطها ، فهو على ظهر البعير في جوزه — وسطه — فكأنه من ظهر الناقة مكانها من الحرق ، والمعنى : أنا في وسط ظهور الإبل ، والإبل في وسط ظهر الحرق ! ولم يتعرض في هذا البيت لوقوفها ولا لبراحها ، ثم ذكر سيرها في البيت الثانى فقال : يخدن بنا الخ : فكيف يتجه قول ابن جنى مع قوله يخدن بنا ؟ وهذا يحتمل معنيين : أحدهما : إنا وإن كنا نسير فكأننا لا نسير لطول المفازة ، وإنه ليس لها طرف كالكرة لا يكون لها طرف ينتهى إليه والثانى إنه يصف شدة سيرهم : والكرة توصف بشدة الحركة كقول بشار :

كَأَنَّ فَوَادَى كُرَّةً تَنْزَى حِذَارَ الْبَيْنِ لَوْ نَعَى الْحِذَارُ

(١) يخدن : يسرن سيراً سريعاً ، وجوزه : وسطه ، وسفر أى مسافرة . يقول : إن إبلنا كانت تسير مسرعة في هذا الحرق ولا تبلغ آخره فكأننا نسير على كرة — والكرة ليس لها طرف تنتهى إليه — أو كأن أرض هذا الحرق تسير معنا فلا تقطعها ولا نفوتها ، وهذا ، كما يقول السرى الرفاء :

وَخَرَقَ طَالَ فِيهِ السَّيْرُ حَتَّى حَسْبِنَاهُ يَسِيرٌ مَعَ الرَّكَّابِ

وإذا أسرع الإنسان في السير رأى الأرض كأنها تسير معه من الجانبين ، لهذا قال : أو أرضه معنا سفر ، يعنى نحن نسير بسرعة ولا نبلغ مدى هذا الحرق ، فكأنه يسير معنا ، كما قال أبو النجم :

فَكَأَنَّ أَرْضَ اللَّهِ سَائِرَةٌ مَعَنَا إِذَا سَارَتْ كِتَابُهُ

(٢) ويوم : عطف على ما تقدم ، والضير في أفقه : ليل ، وليس ليل أفق ، وإنما أراد أفق السماء في ذلك الليل : أى ناحيتها . يصف إدابهم السير ووصلهم فيه اليوم بالليل . وقوله : كأنما على أفقه الخ : مثله قول ابن ميادة :

وَأَلَيْسَ عُرْضُ الْأَفْقِ ثَوْبًا كَأَنَّهُ عَلَى الْأَفْقِ الْقَرْبَى ثَوْبٌ مُصْفَرٌ

(١٧ — المتنبي ٢)

وَلَيْلٍ وَصَلْنَاهُ يَوْمَ كَأَنَّما
عَلَى مَتْنِهِ مِنْ دَجْنِهِ حُلَّةٌ خُضْرٌ (١)
وَعَيْثُ ظَنَنَّا تَحْتَهُ أَنَّ عَامِراً
عَلَامٌ يَمُتُ أَوْ فِي السَّحَابِ لَهُ قَبْرٌ (٢)
أَوْ ابْنِ ابْنِهِ الْبَاقِي عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ
يَجُودُ بِهِ لَوْ لَمْ أَجْزُ وَيَدِي صِيفٌ (٣)

ومثله ليحيى بن الفضل :

حتى إذا ما الفجر لاح كأنه ثوب على أفق السماء مُعْصَفَرٌ

(١) متنه : ظهره ؛ والدجن : الظلمة . وأراد به الغيم ، والدجن : إلباس الغيم السماء . يقول : كأن على متن ذلك اليوم من ظلمة السحاب حلالاً سوداء ، والسواد يسميه العرب خضرة ، قال ذو الرمة :

في ظلٍّ أخضرَ يدعو هامهُ اليومُ *

أو يريد أنه سافر في أيام الريح والأرض خضراء .

(٢) قوله تحتته : حال من ضمير المتكلمين . يقول : ورب مطر ظنناه ونحن تحته أن عامراً - وهو جد المدوح - في السحاب ارتفع إليه ولم يمُت ، فهذا المطر من جوده ، أو أن قبره في السحاب فأعداه بجوده . وقبر : معطوف على خبر أن ، تقديره : علام يمُت أو أن له قبراً في السحاب .

(٣) ابن : عطف على عامراً ، والباقي : نعت ابن ، وسكنه ضرورة ، وصفرت اليد فهي صفر ، ولا يقال صفرة . يقول : لو لم أعبر هذا الغيث وبدي خالية لقلت : إن ابن ابنه - يعني المدوح - كان في السحاب ، وهو الذي يجود بذلك الغيث ، ولكن لما عبرت وبدي خالية علمت أنه جود - بفتح الجيم : أي مطر - لا جود ، لأن عادته أن يملأ يدي بالهبات .

والبيتان من قول أبي تمام :

وراحةٌ مُزَنَّةٌ هطلاءً تهى
مواهرها وهنَّ على سكبٍ
فقلت يدُ السماء أم ابنُ وهبٍ
تجلى للندى أم عاشُ وهبُ ؟

وَإِنْ سَحَابًا جَوَدَهُ مِنْهُ جُودِهِ سَحَابٌ عَلَى كُلِّ السَّحَابِ لَهُ فَخْرٌ (١)
فَتَى لَا يَضُمُّ الْقَلْبُ هِمَاتِ قَلْبِهِ وَلَوْ ضَمَّهَا قَلْبٌ لَمَا ضَمَّهُ صَدْرٌ (٢)
وَلَا يَنْفَعُ الْإِمْكَانُ لَوْلَا سَخَاؤُهُ
وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلَا الْأَكْفُ الْقَنَا السُّمْرُ (٣)
قِرَانٌ تَلَاقَى الصَّلْتُ فِيهِ وَعَامِرٌ كَمَا يَتَلَاقَى الْهِنْدُؤَانِيُّ وَالنَّصْرُ (٤)

(١) الجود - بفتح الجيم - المطر . يقول : إن السحاب الذى يشبه مطره بسخائه يحق له أن يفتخر على جمع السحب .

(٢) يقول : إن ما توافر في قلبه من الهمم لا يجمعه قلب غيره ، ولو ضمها قلب أحد لكان عظمًا مثلها ، ولو كان كذلك لما وسعه الصدر لعظم القلب قال الواحدي : وهذا مما أجرى فيه الهجاز مجرى الحقيقة ، لأن عظم الهمة ليس من كثرة الأجزاء حتى يكون محلها واسعًا لسعتها ألا ترى أن قلب المدوح قد وسعها صدره قد وسع قلبه وليس بأعظم من صدره غيره ؟ وقد قال ابن الرومي :

كَصَمِيرِ الْفُوَادِ يَلْتَهُمُ الدُّنْيَا وَتَحْوِيهِ دَقَّتَا حَيْرُومَ

فبين أن الفؤاد يستغرق الدنيا بالعلم والفهم ثم يحويه جانبنا الصدر :

(٣) المراد بالإمكان : اليسر والغنى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لولا سخاؤه لما اتبع الناس بضائه ، لانه قد يكون الغنى مع الشح فلا ينفع ، لأن المال لا ينفع إلا مع السخاء الذى يصرفه فى المنافع ؛ والمعنى أن الوجود لا ينفع بلا جود ، كالرماح لا تعمل ولا تنفع بدون الأيدي الطاعنة بها . كما يقول البحترى :

إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلٌ فَلَا قَطْعَ إِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقَطَّعُ
ويقول أيضاً :

فَلَا تَغْلِيَنَّ السَّيْفَ كُلَّ غَلَاثِهِ لِيَمْضَى فَإِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقَطَّعُ

(٤) الصلت جد المدوح لأمه ، وعامر جده لأبيه . وقوله قران : لك أن تجعله مرفوعاً بفعل مضمّر تقدير أنجب به قران هذه حاله ، مثلاً ؛ والقران فى الأصل : اسم لقارئة الكوكبين . جعل جديه من الطرفين فى المصاهرة ونسب المدوح كقران الكواكب تعظيماً له ، ثم شبه اجتماعهما . باجتماع السيف الهندى مع النهر ، فإذا اجتمعا حسن أثرهما وعلا أمرهما وبلغا غاية العز والمجد ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلى .

فَجَاءَ بِهِ صَلَّى الْجَبِينِ مُعْظَمًا تَرَى النَّاسَ قُلًّا حَوْلَهُ وَهُمْ كَثُرُ^(١)
 مُغْدَى بِآبَاءِ الرِّجَالِ سَمِيذَعًا هُوَ الْكِرَامُ الَّذِي مَالَهُ جَزْرُ^(٢)
 وَمَا زَلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشُّوقُ نَحْوَهُ يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ^(٣)
 وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا التَّقِينَا صَفَرَ الْخَبَرَ الْخَبْرُ^(٤)
 إِلَيْكَ طَعْنَا فِي مَدَى كُلِّ صَفْصَفٍ بِكُلِّ وَاوَةٍ كُلُّ مَا لَقِيَتْ نَحْرُ^(٥)

(١) جَاءَ بِهِ : أى الجدان المذكوران ؛ و يروى جَاءَ : أى القران : وصلت الجبين وضحه أو الواسع المستوى الجليل وهو حال . يقول : ترى الناس حوله وهم كثيرون فى العدد ، قليون بالقياس إليه . والقل : القلة ، والكث : الكثرة ؛ والتقدير : ذوى قل ، أى فى المعنى ، وهم ذوو كثرة فى العدد ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

إِن الْكِرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ قَلُوا كَمَا غَيْرُهُمْ قَلٌ وَإِنْ كَثُرُوا
 (٢) مغدى : حال أخرى ، كما أن معظما - فى البيت السابق - حال أولى : أى يقول له الرجال : فدينك بآبائنا ، والسميزع : السيد الكريم ؛ واللد : زيادة الماء ؛ والجزر : نقصانه ؛ وجمله كراماً - وهو مصدر - مبالغة لكثرة وجوده منه : أى هو ذو الكرم ذى اللد : يقول : هو كرم زائد لا نقصان له .

(٣) خبر ما زلت : يسايرنى ؛ والركب : جماعة الراكبين . يقول : ما زلت يسايرنى فى كل ركب ذكره حتى قادنى الشوق إليه : أى أننى قبل أن أصل إليه كنت أسمع ذكره ، وما صاحبت أحداً إلا وهو يذكره بمدح وثناء ، وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

لأشياء أحسن من ثنائى سائراً ونذاك فى أفق البلاد يسايره
 (٤) الخبر : الخبر والاختبار . يقول : كنت استعظم ما أسمعه من الناس من أخباره وذكره الشائع قبل أن ألقاه ، فلما لقيته وخبرته صغر الاختبار الخبر : أى وجدته خيراً مما كنت أسمع . وهذا من قوله صلوات الله وسلامه عليه لزيد الحنبل وقد وفد عليه : « ما وصف لى أحد إلا رأيتُه دون الوصف سواك ، فإنك فوق ما وصفت لى » . ويقول القائل :

كانت مُحَادَّةَ الرِّكْبَانِ تَخْبِرُنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ طَيْبَ الْخَبْرِ
 ثُمَّ التَّقِينَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْت أُذُنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصْرِي
 (٥) الصفصف : الفلاة المستوية ؛ والوأة : الناقة القوية . جعل سير الناقة فى الفلاة

إِذَا وَرِمَتْ مِنْ لَسَعَةٍ مَرَحَتْ لَهَا
 كَانَ نَوَالاً صَرَ فِي جِلْدِهَا النَّبْرُ^(١)
 فَجِئْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى
 وَدُونِكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ^(٢)
 كَأَنَّكَ بَرْدُ الْمَاءِ لَا عَيْشَ دُونَهُ وَلَوْ كُنْتَ بَرْدَ الْمَاءِ لَمْ يَكُنِ الْهَيْشُ^(٣)

طعناً ، وجعل ما يقطعه من الأرض نحرأ : أى كل ما مرت به كأنه صدر طعناه بها ،
 يقول : أيتها قصدت من الأرض قطعه وجازته لا تبالي بسهل ولا وعسر : بمنزلة الطعنة
 إذا أصابت نحرأ فإتها تنفذ فيه نفاذاً ذا أثر بالغ . قال الوجدى : ويجوز أن يكون
 المعنى : كل ما لقيه هذه الناقة من مشاق الطريق نجر لها : أى يفعل بها فعل النحر ،
 فكأنها تنحر في كل ساعة .

(١) النبر : دويبة تلسع الإبل فيرم موضع لسعها . يقول : إذا لسع النبر هذه
 الناقة فورمت من أثر اللسع مرحت - نشطت واحتدت - في سيرها حتى لكأنه صر في
 جلدها نوالاً - عطاء - شبه موضع اللسعة المتورم بصرة فيها دنائير ودرام ، فكأنها
 مرحت لذلك وقالوا : إن النبر إذا لسع الجمل ورم مكان اللسعة حتى يصير مثل الرمانة
 الصغيرة ، فلذلك حسن تشبيهه بالصرة في جلدها : يقول : إن الشدائد لا تقل حد
 مراحها : أى أيتها لا تبالي في طريقها إلى المدوح بشيء ينالها .

(٢) يقول : جئناك وأنت دونهما فى البعد : أى أقرب إلينا مطلباً منهما وهما -
 الشمس والبدر - دونك فى جميع أحوالك ، فأنت أعم نفعاً وأشهر ذكراً وأعلى منزلة
 وقدرأ : أى أنك - على بعدك - فإن الوصول إليك والإفادة منك أقرب وأيسر . وقوله
 دون الشمس : حال من المخاطب ؛ والنوى : البعد . قال الخطيب : ولم يعبر
 عبارة جيدة .

(٣) العشر : أبعد أظاء الإبل ، وهو أن ترها يوماً وتدعه ثمانية أيام وترد اليوم
 العاشر أعطش ما تكون . يقول : لو كنت برد الماء لما غادرت غلة إلا أطفأتها حتى
 تستغنى الإبل عن معاودة الشرب ، وقال الواحدى : لو كنت الماء لو سمت بطبع الجود
 كل حيوان فى كل مكان وفى ذلك ارتفاع الأظاء . وقال ابن جنى : أى كانت تجاوز المدة
 فى وردها العشر لتغناها بعدوبتك وبردك .

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجْبِيُّ وَالْحَجْبِيُّ
وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكَادُ بَيُّوتُهُ إِذَا كُتِبَتْ يَبْيِضُ مِنْ نُورِهَا الْحَبْرُ (٢)
كَأَنَّ الْمَعَانِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا نُجُومُ الثَّرِيَا أَوْ خَلَائِقُ الزُّهْرِ (٣)
وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتَهَا وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمَا النَّسْرِ (٤)
وَلِأَنِّي رَأَيْتُ الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنظَرًا وَأَهْوَنَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبَرٌ (٥)

(١) يقول: دعاني إلى أن أتبعك وأصمد إليك ما آثرك به الله من العلم والحلم والحجبي - العقل - وما أعدته لك من منظومي في مدحك وما عهدناه فيك من انثائل - العطاء - الذي تنثره نثرا على قاصديك ، وقيل يعني بالكلام النظم : كلام المدوح ونظمه .

(٢) يروي قلت - بضم التاء - فيكون ذلك تأييداً لما ذهبنا إليه من تأويل البيت السابق ؛ ويروي بفتح التاء فيكون المعنى ماذهب إليه الواحدى ، قال : يقال إن هذا المدوح حسن الشعر مليحه . وقوله بيوته : أى آيات الشعر . وقوله يبيض من نورها : أى من نور معانيها ، أو من نور ما تضمنته من محاسنك . وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومي :

وَلِذَٰئِكَ قُلْتُهَا كَلِمَاتٌ هُذِّبَتْ فِيكَ أَيَّمَا تَهْذِيبِ

سَوَدَتْ فِيكَ كُلُّ بِيضَاءٍ تَسْوِيْدًا تَرَاهُ الْمَيُّونُ كَالْتَهْذِيبِ

(٣) الخلاق : الأخلاق ؛ والزهر : جمع أزهري ، وهو اللؤلؤ المشرق . شبه معاني شعره في فصاحة ألفاظه بنجوم الثريا في اتساقها وجمالها ، وبأخلاق المدوح الزاهرة المشرقة في إشراقها وسطوعها وشهرتها .

(٤) يقتضيني يطالبني . يقول . تسكبت السلاطين وتنحيت عن تصديهم لأنى اجتويهم وأمقتهم ولأنه بودى أن أعصف بهم وأقتلهم حتى أقدم لحومهم للنسور التي تترقب أكلها ، فهي تطالبني بجماجمهم ، وهو المتنبي يقول ذلك وأكثر من ذلك لطموحه وبعد مرتقى همته ، وإن كان كثيرون يعدون مثل ذلك من حماقته .

(٥) الضر هنا : الفقر وسوء الحال . يقول : إن معاناة الفقر والحاجة أهون عندي وأحب إلى من أن أرى أو ألقى صغيراً - حقيراً - متكبراً ويروى بدل مرأى : لثيا ، قال المعكبرى : وهذا من قول الحكيم : أعظم ما على النفوس : إعظام ذوى الدناءة .

لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفَوَادُ وَهَمَّتِي
 أَوْدُ اللَّوَاتِي ذَا اسْمِهَا مِنْكَ وَالشُّطْرُ^(١)
 وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشُّعْرِ كَلَّهُ
 وَلَكِنْ لِشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ^(٢)
 وَمَاذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوْنَقًا
 وَلَكِنْ بَدَأَ فِي وَجْهِهِ تَحْوِكَ الْبِشْرِ^(٣)
 وَإِنِّي وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَعَالِمٌ
 بِأَنَّكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ^(٤)

(١) تقول: رجل ود — بتثنية الواو — بمعنى ودود، والجمع أود. وقوله والشطر: الأوجه أنه عطف على لساني. يقول: إن لساني وعيني وفؤادي وهمتي تود لسانك وعينك وفؤادك وهمتك. وكذلك شطري: أي أن كل شطر مني يود شطراً منك؛ يعني أن كل يود كلك، وقوله: أود اللواتي ذَا اسمها منك: أي ودودة اللواتي تسمى منك بهذه الأسماء: أي اللسان الخ. قال الواحدى: والغرض من هذا البيت: التعمية فقط، وإلا لما الفائدة من هذا البيت مع ما فيه من الاضطراب؟ أقول: ومن ثم تخطب فيه السراح أيما تخطب.

(٢) يقول: إنني لم أستقل وحدي بهذا الشعر ولكن ظاهرني عليه شعري، لأنه تهالك على مدحك ونزع إليه ورضب فيه كما رغبت. والمعنى: إن شعري كان يطاوعني ويؤاتيني في مدحك حتى لكأنه كان ينظم معي، والله قول أبي تمام في هذا المعنى:

تَفَايَرِ الشُّعْرُ فِيهِ إِذَا رَقْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَائِمَهُ سَتَقْتَلُ

(٣) ما: نافية؛ وذا: اسم إشارة. ورونق: السيف والوجه وما إليهما ماؤه ونضرتة. والبشر: طلاقة الوجه وتهله. يقول: ليس الذي يرى في شعري من الحسن رونقه هو: أي رونق فصاحته وبلاغته، ولكن شعري تهلل وجهه ابتهاجاً بلقائك واحتشراً ضاحكاً ناضراً حين رآك، فهذا الرونق إنما هو مستفاد منك.

(٤) الذي يوجب القدر: أي الذي يستدعيه قدرك ويستحقه؛ ورواه قوم نلت بضم التاء — أي وإن نلت أنا وأنا من بعض خلمك، وليس بشيء.

أَزَالَتْ بِكَ الْأَيَّامُ عَتْبِي كَأَنَّمَا بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرٌ^(١)

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن العميد^(*) :

بَادٍ هَوَاكَ صَبْرَتَ أُمِّ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَاءَ إِنْ لَمْ يَجْرِدْ مَعَكَ أَوْ جَرَى^(١)

(١) يقول : لما سمحت الأيام بلقائيك أزالت عتبي عليها لأنى رأيت من إحسانك ما أنساني سيئات أهلها ، فكأن الأيام أنت بك عذراً عن ذنوب بنها . والمصراع الأول من قول أبي تمام :

نَوَالِكَ رَدَّ حُسَّادِي فُلُولَا وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَبَيْنِي
والثاني من قوله أيضاً :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِي وَقْدِ يُرَى بِنِدَاكَ وَهُوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبٌ
ويقول أبو نواس :

يَرِمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ عَتَّبُوا فَأَعْتَبْتَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ
ويقول ابن الرومي :

أَتَمَّ أَنْاسٌ بِأَيَادِيكُمْ يَسْتَمْفِرُ الدَّهْرُ إِذَا أذُنَا
إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهِ وَزَادَ فِي عِدَّتِكُمْ أَعْتَابَا

(*) ذكر الخطيب التبريزي - في شرحه - : إن المتنبي لما قصد مصر ومدح كافوراً
مدح الوزير أبا الفضل جعفر ابن الفرات وزير كافور بقصيدته الرائية التي أولها :

* باد هواك صبرت أم لم تصبرا *

وجعلها موسومة باسمه ، فكانت إحدى قوافيها جعفرأ ، وكان قد قال فيها :

صفت السوار لأي كف بشرت بابن الفرات وأى عبد كبرا

فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده إياها ، فلما توجه إلى عضد الدولة قصد أرجان -
وبها أبو الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة والد عضد الدولة ؛ والكاتب الأديب
الكبير المعروف - فحول القصيدة إليه ، وحذف منها لفظ جعفرأ ، وجعل ان العميد
مكان ابن الفرات .

(٢) يقول - مخاطباً نفسه - : سواء أصبرت أم لم تصبر : هواك ظاهر للناس باد ،

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَأَبْتَسَامُكَ صَاحِبًا لِمَا رَأَىكَ وَفِي الْحَشَى مَا لَا يُرَى (١)

وأى عجب يستطيع أن يكتم حبه وهناك آياته من التحول والاصفرار وما إليهما وبكاؤك كذلك غير خاف على الناس : أجرى دمعك أم لم يجر ؟ لأن ما يبدو في صوت الهب من نعمة الحزن والزفير والشهيق والتهيو للبكاء شواهد على الدموع . وقال بعض الشراح : وبكائك : عطف على الضمير في قوله صبرت ، تقديره صبرت وصبر بكأؤك فلم يجر دمعك أو لم تصبر فجري ، « هذا » : وقد قيل للمتنبى خالفت في هذا البيت بين سبك الصراعين فوضعت في الصراع الأول إيجابا بعده نفى ، وفي الثاني نفيا بعده إيجاب ، فقال لأن كنت خالفت بينهما من حيث اللفظ فقد وقعت بينهما من حيث المعنى . وذلك أن من صبر لم يجر دمه ، ومن لم يصبر جرى دمه : يعنى أنه أراد : صبرت فلم يجر دمعك أو لم تصبر فيجرى . . . وقوله لم تصبرا : أراد تصبرن - بنون التوكيد الخفيفة - فأبدلها ألفا . قال المكبرى : ومثله كثير في الكلام كقوله تعالى « ألقيا في جهنم » الخطاب لمالك وحده ، وإنما المعنى ألقين ، ومثله قول الحجاج : يا حرسى اضربا عنقه . والخطاب لواحد . والمعنى : اضربن عنقه ، ومثله لسويد بن كراع العقيلي :

فإن تزجرانى يا ابن عفان أنزجر وإن تتركانى أحمر عريضا ممنعا
والخطاب لواحد . فهذا شاهد على ألقيا واضربا ، ومثله :

* فلا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا *

قد جاء في الكتاب العزيز : النون الخفيفة بالألف خطأ في قوله تعالى « ليسجنن وليكونا » ومثله : « لنسفعا بالناصية » وقول الراجز :

يحسبه الجاهل ما لم يعلم شيخا على كرسيه معمما

(١) يقول : كم غر صبرك وابتسامك من نظر إليك حتى ليظن أنك غير عاشق لأنه يرى صبرا وضحكا ظاهرين ولا يرى ما في الباطن من الاحتراق والوجد ؟ ورد في الصباح النبى : أنه لما أنشد هذا البيت قال ابن العميد : يا أبا الطيب أتقول ياد هواك ثم تقول كم غر صبرك ؟ فما أسرع ما تقضت ما ابتدأت به ! فقال المتنبى : تلك حال وهذه حال . . . وإني لأحسب المتنبى حين سمع هذا النقد من ابن العميد قد امتعض ، فاختصر الجواب أجزاء اختصار . . . ومراده أن الحال التي يذكرها في البيت الثانى سابقة على الحال المذكورة في البيت الأول ، لأنه يريد أن صبره كان يغر الناظر إليه قبل أن أسقمه الهوى وغير منظره ، ولكنه لما اتحل جسمه بعد ذلك : استدل الناظر بنحوه على

أَمَرَ الْفُؤَادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ فَكَتَمْتَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرًا^(١)
تَمَسَّ الْمَهَارِي غَيْرَ مَهْرِي غَدَا
بِمُصَوِّرٍ لَيْسَ الْحَرِيرَ مُصَوِّرًا^(٢)

كونه عاشقاً فبدا هواه ولم يعد صبره ولا ابتسامه يغنيان عنه شيئاً في كتم المهوى ؛ وقد زاد هذا المعنى بياناً في البيت الذي يلي .

(١) الفؤاد في الجسد بمنزلة الملك ، فلماذا جعله آمراً للسان والجنف . يقول : أمر القلب اللسان بالكتمان والجنفون يمسك الدموع فأطعنه وكتمن ولكن جسمك بنحوه دل على ما في قلبك ؛ والضمير في قوله فكتمته : عائد على قوله مالا يرى - في البيت السابق - وجسمك : فاعل كفى ؛ والباء : زائدة ، ومخبراً : خلف من موصوف تميز . وهذا المعنى بسبيل من قول الآخر :

خَبِرِي خُذِيهِ عَنِ الضَّنِيِّ وَعَنِ الْأَمْسِيِّ لَيْسَ اللُّسَانُ وَإِنْ تَلَفْتُ بِمُخْبِرِ
(٢) تمس : كبا وعثر ، وقد يراد به الهلاك ، والمهاري : جمع مهري والبعير مهري والناقة مهرية نسبة إلى مهرة بن حيدان : أبي قبيلة عرفت بحسن القومة على الإبل وتقول في الجمع : مهاري ومهار ومهاري . قال رؤبة :

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلُّ مَيْلِهِ بِنَا حَرَاجِيجُ الْمَهَارِي الثَّنْفَةِ^(١)

وقوله غير مهري : استثناء ، وغدا : أي ذهب غدوة . يدعو بالتمس على الإبل كلها ما عدا ركوبة الحبيب لتسلم من العثار فيسلم الحبيب من الوقوع - هذا الحبيب الذي لبراعة حسنه كأنه صور تصويراً ، والذي يلبس الديباج منقشاً بالصور .

(١) قبله :

وَنَخْفِي مِنْ لَهْلِهِ وَلَهْلِهِ فِي مَهْمَةٍ أَطْرَافِهِ فِي مَهْمَةٍ
أَعْمَى الْمَهْدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعَمَّةِ بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلُّ مَيْلِهِ
بِنَا حَرَاجِيجُ الْمَهَارِي الثَّنْفَةِ يَجْذِبْنَهُ بِالْبُوعِ وَالتَّأْوِهِ

الحقق : الموضع الذي يخفق فيه السراب ، واللهله : المكان المستوي الذي ليس به علم ، وغول كل ميله : أي بعده يريد مكاناً بعيداً يخال المشي فلا يستبين فيه ولا يكاد يقطع من بعده ، والميله الفلاة التي توله الناس وتخيروهم ، والحراجيج : جمع حرجوج ، وحر جيج : الناقة الوقادة الحادة القلب أو الضامرة ، والثنفه : جمع نافه

نَافَسْتُ فِيهِ صُورَةَ فِي سِتْرِهِ لَوْ كُنْتُهَا تَلْفَيْتُ حَتَّى يَظْهَرَ^(١)
لَا تَتْرَبِ الْأَيْدِي الْمُقِيمَةَ فَوْقَهُ

كِسْرَى مَقَامَ الْحَاجِبَيْنِ وَقَيْصَرَ^(٢)

يَقِيَانٍ فِي أَحَدِ الْهُوَادِجِ مُقَلَّةً رَحَلَتْ فَكَانَ لَهَا فُؤَادِي مَحْجِرًا^(٣)

(١) يقول: إني أنفس لأجل الحبيب المصور على الصورة التي في ستره هو دجه وأحسدها لقربها منه، ولو كنت تلك الصورة لحفيت حتى يظهر هو، فأراه ويذول الحجاب وخفاء الصورة يستتبع خفاء الستر فمضى خفاء الصورة انكشاف الستر، ومتى انكشف انكشف الحبيب فيراه المحب. وإليك عبارات سائر الشراح قال ابن جنى: لو كنت الصورة التي في ستره لزلت حتى يظهر الذي فيه لرأى العين وذلك أن كل أحد يحب أن يراه ودونه ستر فلو كنت ذلك الستر لانكشفت حتى يظهر للناس ويذول ذلك الحجاب. وقال الواحدي: أنا أحسد الستر لأجل الحبيب الذي في هودجه لقربها منه، يعني الصورة، ولو كنت الصورة لحفيت حتى يظهر الحبيب قتره الأجار. وقال ابن القطاع: إنما تعني أن يكون صورة في سترها ليشاهدها كل وقت، ثم قال: لو كنتها لحفيت من نحو لي فلم أسترها عن العيون وكانت تظهر للناظرين.

(٢) لا تترب: لا تفتقر، ويقال ترب الرجل: افتقر وصار على التراب، ولا تترت يداك: أي لا افتقرب «أو مسكينا إذا مترية» صار على التراب لفقره. وكسرى: لقب ملوك العجم، وقيسر: لقب ملوك الروم. يريد أن صورة كسرى وقيسر كانت على الستر وكأنهما أقما مقام حاجبين يحجبان هذا المصور. يدعو التنبي للأيدي التي نسجت ذلك الستر وصورت الملكين عليه بأن لا تترب. وفيه نظر إلى قول أبي نواس:

قَرَارَتَهَا كَسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهَى تَدْرِيهَا بِالْقِسَى الْفُؤَارِسِ

(٣) الهوادج: جمع هودج، مركب النساء على الجمال، والحجر: ما حول العين، يقول: إن هذين الحاجبين يصرفان السوء - من الغبار، وحر الهواء وحر الشمس -

وهي اللعينة. وفي الحديث: نقيت نفسك: أعييت وكلت، وقال أبو سعيد: لم يجد رؤية موضعها إنما يقال رجل منقوه الفؤاد إذا ضعف من صوم أو جهد، ويجذبته يريد يجذب أنفسه فيه. وقوله والتأوه. هو مثل قول النقيب العبدى.

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلِيلٍ تَأَوَّهَ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَائِنًا أَنْ يَحْذَرَ (١)
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ إِذْ أَغْتَدْتُ رُؤُودَهُمْ لَمَنْعْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقَطُرَ (٢)
 فَإِذَا السَّحَابُ أَخُو غَرَابٍ فَرَأَيْهِمْ جَعَلَ الصِّيَاحَ بَيْنَهُمْ أَنْ يُمَطِّرَ (٣)
 وَإِذَا الْحَمَائِلُ مَا يَحْدِنُ بِنَفْنَفٍ إِلَّا شَقَقْنَ عَلَيْهِ ثَوْبًا أَخْضَرَ (٤)

عن مقالة أحد الهوادج - يعنى هودج الحبيب - وكفى عنه بالقلعة - العين - لعزته ،
 وجعل فؤاده محجراً لتلك القلعة ، والمعنى أنها كانت ضياء قلبى بمثابة عين القلب ، فلما
 ارتحلت عنى عمى قلبى والتبس على أمرى وهدت لى كتمقه ذهبت وبقي الحسبر ، وينظر
 فى هذا التشبيه إلى قول أبى تمام :

إِنِ الْخَلِيفَةَ حِينَ يُظْلِمُ حَادِثٌ عَيْنُ الْمَدَى وَهِيَ الْخَلِيفَةُ مَحْجَرٌ

(١) الحائِنُ : الهالك . يقول : كنت أحذر بينهم - بدمهم وفراقهم - قبل حدوثه
 ولكن الحذر لا يدفع المذور ، لأنه متى قدر وقع لا محالة .

(٢) الرواد : جمع رأود ، وهو الذى يرتاد لأهله السكلاً والماء ، واحتدت مثل
 غدت : أى ذهبت غدوة . يقول : لو قدرت حين بعثوا روادهم لمنعت السحاب أن يمطر
 حتى لا يجدوا ماء ولا سكلاً يرتحلون إليهما للاستنجاع .

(٣) قال الواحدى : هذا كلام فيه حذف لا يتم المعنى دون تقديره ، كأنه قال :
 لمنعت كل سحابة أن تمطر لأنى تأملت الحال ، فإذا السحاب - الذى هو أخو الغراب
 فى التفريق - أبعدهم عنا . جعل السحاب أخوا الغراب ، لأنه سبب الافتراق عند الاستنجاع
 وتتبع مساقط الغيث فى الريح كمادة أهل العير السيارة ، ولما جعله أخوا الغراب جعل
 المطر كصياح الغراب ، لأن صياح الغراب سبب للافتراق على زعمهم ، كذلك سقوط
 الغيث من السحاب سبب للارتحال فى تتبع الغيث . فالسحاب - فى قوله : فإذا السحاب
 مبتدأ ؛ وأخو غراب فراقهم : نعت له ، وجمله جعل الصياح : خبر ، ولك أن تجعل
 أخو : خبر عن السحاب وجعل الصياح : خبراً آخر عنه .

(٤) الحمائل - بالحاء المهملة - جمع حمولة ، وهى الإبل يحمل عليها ؛ وهذه رواية
 ابن جني ؛ وروى غيره : الجمائل - بالجيم - جمع جمالة ، جمع حمل . ويحدن : من
 الوحد ، وهو ضرب من السير سريع ؛ والنفنف : المغازة والهوى بين جبلين . يقول :
 كلما مرت جمالمهم بأرض مخضرة بالسكلاً بدت عليها آثار سيرها ، فكأنما شقت ثوباً
 أخضر . والمعنى : أنهم فارقونا أيام الريح عند اخضرار الأرض . أو تقول : كثر الحصب

يَحْمِلْنَ مِثْلَ الرُّوضِ إِلَّا أَنَّهُمَا أَسْبَى مَهَابَةً لِلْقُلُوبِ وَجُوذْرًا^(١)
فَبِلَحْظِهَا نَكِرَتْ قَنَائِي رَاحَتِي ضَعْفًا وَأُنْكَرَ خَاتَمَايَ الْخُنْصِرَا^(٢)
أَعْطَى الزَّمَانَ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ وَأَرَادَ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أُخَيَّرَا^(٣)

أمامهم ، فكانت ركبهم لا تقطع موضعاً إلا وقد كستته الخضرة فتبدو آثار سيرها فيه كالشوق في الثوب .

وفي هذا نظر إلى قول الآخر :

فكأنما الأنواء بعمدهم كست الطلول غلائلاً خضرا

(١) يقول : إن هذه الإبل تحمل هودج مثل الرياض - أي أريئت بالأحاط والدياج ، فكانت مثل الرياض في تلون أزهارها - غير أن ما تحمله الإبل من مهاها وجاذرها - . - يعني : الحجاب - أسى لقلوب الرجال من مها الرياض وجاذرها والمهابة البقرة الوحشية . تشبه بها النساء لحسن عيونها ؛ والجوذر : وله المهابة قال الواحدى : قوله إلا أنها : رواها ابن جني : إلا أنه ، كناية عن المثل ، والناس يروون « أنها » ، لأن مثل الروض روض . فالضمير على الروايتين : لمثل ، إلا أن ابن جني رده على اللفظ . وغيره رده على المعنى . والبيت ينظر إلى قول أبي تمام :

خرجن في خضرة كالروض ليس لها إلا الخليلي على أعناقها زهر
وقد سبق الجميع عدى بن زيد . إذ يقول :

لمن الظفن كالبساتين في الصباح نرى بينها أئيناً نضيرا

[الأئيت : النبات الملتف] .

(٢) بلحظها من إضافة المصدر إلى مفعوله : أي فبلحظى إياها ؛ ونكره وأنكره : بمعنى ، ضد ، عرفه ؛ وضعفاً : مفعول لأجله . يقول : بسبب نظري إلى هذه الهودج يوم الفراق صرت ضاويًا مهزولًا حتى أنكرت قنأى يدي لضعفها عن حملها ، وأنكر خاتمي خنصرى لأنه صار يقلق فيه واتسع عليه من الهزال وقلة اللحم .

(٣) هذا تمهيد للتخلص من النسب اللديج . قال الواحدى . يقول : لم أقبل عطاء الزمان ترفعاً وبعدهمة : أي أردت عطاءك دون عطاء الزمان ، وأراد الزمان أن أقصد سواك فأردت اختيارك . والمعنى أن الزمان أراد أن يسترقني بإحسانه فأبيت ذلك واخترتك على طول الزمان ، فإنك إذا ملكتني ملكت الزمان بما فيه .

أَرْجَانَ أُيْتَهَا الْجِيَادُ فَإِنَّهُ عَزَمِي الَّذِي يَذَرُ الْوَشِيحَ مُكْسَرًا (١)
 لَوْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا اشْتَهَيْتَ فَعَالَهُ مَاشِقٌ كَوْ كَبُكِ الْعَجَاجِ الْأَكْدَرَا (٢)
 أُمِّي أَبَا الْفَضْلِ الْمُبَرِّ الْأَيْتِي لَا يُؤْمِنَنَّ أَجَلَ بَحْرِ جَوْهَرَا (٣)
 أَفْتِي بِرُؤْيَيْتِهِ الْأَنَامُ وَحَاشَ لِي مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقْصَرًّا أَوْ مُقْصِرًا (٤)
 صُنْتُ السَّوَارَ لِأَيِّ كَفَّ بَشَرْتِ بَابِنِ الْعَمِيدِ وَأَيُّ عَبْدٍ كَبَّرَا (٥)

(١) أرجان : أى اقصى أيتها الجياد أرجان ؛ وأرجان : بلد المدوح - بلد بنارس - بتشديد الراء فى الأصل ، إلا أنه خففه ضرورة - والضمير فى أنه : للشأن . والوشيح : شجر الرماح . يقول لحيه : اقصى هذا البلد ولا يلقين فى روعك أن ثم شيئاً يصدك عنه فإنه عزمى القوى الذى يكسر الرماح بقوته ؛ يعنى أن الرماح لا تعوق عن هذه العزيمة ، وهى الوجه الذى تخيره على ما أشار إليه فى البيت السابق .

(٢) الفعّال : الفعل ؛ وكوكب الخيل : جماعتها المجتمعة ؛ والعجاج : النبار ؛ والأكدر . الكدر : يقول لحيه : لو فعلت ما تريدن ماركضتك فى النبار المظلم ، يعنى أن الخيل تريد الجمال والراحة ، وهو يتمها بالأسفار .

(٣) أمى : اقصى ؛ والألية . اليمين ؛ وأبريمينه وبر فى يمينه : صدق . يقول : اقصى أيتها الخيل هذا المدوح الذى يبر قسمى إذا أقسمت أن أقصد أجل البحار جوهرًا ؛ أى إذا قصدته برت يمينى هذه لأنه هو ذلك البحر .

(٤) يقال قصر عن الشيء إذا تركه عجزاً . وأقصر عنه : إذا تركه قادراً عليه يقول : أفتانى الناس فى إبرار هذا اليمين بقصده ورؤيته ، وأعوذ بالله أن أقصر فى إبرار هذا القسم أو أقصر عنه ، فإنى إذا فعلت ذلك كنت شاقاً لعصا الإجماع ، لأن الإجماع على أن قسمى لا تبر إلا برؤيته . هذا ويقال حاش لله : أى تنزيهاً له ؛ ولا يقال حاش لك قياساً عليه ؛ وإنما يقال حاشك وحاشى لك ؛ وهى تعرب إعراب المصدر ؛ واللام لبيان المفعول ، كما تقول تنزيهاً لك ، وقال أبو إسحاق الزجاج فى قوله تعالى « وقلن حاش لله » اشتق من قولك : كنت فى حشا فلان ، أى فى ناحية فلان . والمعنى فى « حاش لله » براءة لله من هذا ؛ وإذا قلت حاشى لزيد فهذا من التنحى ، والمعنى قد تنحى زيد من هذا وتباعد عنه . وقال ابن الأنبارى فى قولهم حاشا فلانا : معناه قد استثنيت وأخرجته فلم أدخله فى جملة المذكورين .

(٥) يقول : أى كف أشارت إلى ابن العميد فبشرتنى به فلها عندى السوار أحلها

إِنَّ لَمْ تُغِيثِي خَيْلَهُ وَسِلاحَهُ فَمَتَى أُتَوْتُ إِلَى الْأَعَادِي عَسْكَرًا (١)
 بِأَبِي وَأُمِّي نَاطِقٌ فِي لَفْظِهِ ثَمَّنْ نُبَأُ بِهُ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى (٢)
 مَنْ لَا تُرِيدُ الْحَرْبُ خَلْقًا مُقْبِلًا فِيهَا وَلَا خَلْقٌ يَرَاهُ مُذْبِرًا (٣)
 خَنَى الْفُحُولَ مِنَ الْكَمَاءِ بِصَبْغِهِ مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الْحَدِيدِ مُعْصَفَرًا (٤)

به ؟ وكذلك أى عبد من عبيده كبر — قال الله أكبر — عند وقوع بصره على بلده وعلى داره سروراً يرقسى ؟ .

(١) قال الواحدي : هذه إشارة إلى أنه يمدحه بالمال والعبيد فيقدر بذلك على محاربة الأعداء ؛ وعادة المتنبئ طلب الولايات ممن يمدحه ، لا طلب الصلات .

(٢) بأبي وأمى : أى أفتيه بهما ، يصفه بالبلاغة ، يقول : إنه يملك القلوب بحلاوة لفظه فيصير لفظه ثمناً للقلوب فيتصرف فيها كما يريد بما أوتي من بلاغة ، وإن شئت قلت إن ألفاظه عزيزة تحمل القلوب أماناً لها لم توجد غيرها . وقوله : تباع وتشتري . أى إن الناس يبيعونها بهذا الثمن وهو يشتريها فيصير مالكمها ، وإن شئت جعلت الشراء يباع فيكون مكرراً بلفظين معناها واحد . قاله الواحدي .

(٣) يقول : لا يقدم أحد على لقائه في الحرب تهيأه ، ولا يدبر هو عن قرن لشجاعته : وقوله « من » : بدل من ناطق .

(٤) خنى الفحول : أى صيرهم خنائى ؛ والكما : جمع كمي ، وهو المستر في الحديد ؛ والمعصر : المصبوغ بالصفر ، وما يلبسون : مفعول أول لصبغه ؛ ومعصفاً : مفعول ثان على تضمينه معنى التحويل . يقول : جعل أبطالهم الفحول خنائى حين صبغ ما يلبسون من الحديد بالدم ، فأشبهت الثياب المصفرة التي يلبسها النساء والمخشون « هذا » وقد قلنا : إن معنى خنى الفحول : أى جعلهم وصيرهم مخشين ، فهو فعل ماض . قال العكبري : وزنه فعلل : مثل دحرج . وقال ابن القطاع : أصله خنث ، فكرهوا اجتماع التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا في خنطي وخنطي : أبدلوا ألفاً من حروف التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا في تقضى البازي وقصبت أظفاري . وتظني : من الظن ؛ قال : وزعم النحويون أن حروف الزوائد تكون للإلحاق ، وأبى ذلك أهل اللغة العلماء بالتصريف والاشتقاق ، وقالوا : لا تدخل حروف الزوائد في الإلحاق ألبتة . وإنما تدخل في الإلحاق : الحروف الأصلية التي هي فاء الفعل وعينه ولامه ، فالفاء نحو قولهم : درج : للناقة المسنة ، تكررت فيه الفاء للإلحاق

يَتَكَسَّبُ الْقَصَبَ الضَّعِيفُ بِكَفِّهِ شَرَفًا عَلَى صُمِّ الرِّمَاحِ وَمَفْخَرًا^(١)
 وَبَيِّنٌ فِيهَا مَسٌّ مِنْهُ بِنَانُهُ تِيَهُ الْمُدِلُّ فَلَوْ مَشَى لَتَبَخَّرًا^(٢)
 يَا مَنْ إِذَا وَرَدَ الْبِلَادَ كَتَابَهُ قَبْلَ الْجِيُوشِ نَتَى الْجِيُوشِ تَحْيَرًا^(٣)

بجعتن ، وهى أصول الصليان^(١) والعين ، كقولهم حدرد : اسم رجل ، تكررت فيه العين للالحاق بجمفر ؛ واللام كقولهم : تعدد ، تكررت فيه اللام للالحاق بيرثن ؛ وقال النحويون : الألف فى مثنى للالحاق وفى رضوى وسلمى للتأنيث ، ثم تقضوا قولهم فقالوا الألف فى بهى وعزهى : ليست للتأنيث ولا للالحاق ، وهذا كلام فاسد لا يحتاج إلى إقامة دليل . وإنما أوقعهم فى هذا الغلط أنهم رأوا العرب قد جمعوا بين تأنيثين ، فقالوا بهما وعلقاء وعزهاة ؛ فقالوا : لا يجوز أن يجمع بين تأنيثين ، وقد جمعت العرب بين تأنيثين فى أكثر كلامهم : فكيف يجعل ما وضعه النحويون للتقريب والتعليم مما لا أصل له ولا ثبات حجة على لسان العرب الفصحاء ؟ هذا لا يكون ولا يحتاج به إلا جاهل .

(١) بكفه : رواها ابن جنى : بخطه . يقول : إن الأقلام حين كتابته بها تفضل الرماح إذا باشرتها كفه . وعبارة ابن جنى : قلته أشرف من الرماح لأن كفه يباشره عند الحط فيحصل له الشرف والفخر على الرماح التى لم يباشرها . وهو من قول البحرى :

وأقلام كتاب إذا ما نصصتها إلى نسبٍ صارت رماح فوارس

(نصصتها : من نص الحديث إلى فلان : رفعه) .

(٢) الضمير فى منه : للقصب ، والبنان : أطراف الأصابع ؛ والتهيه : الكبر والإدلال جرأة الرجل على صاحبه لمزية يراها فى نفسه . يقول : إن القلم الذى يمس به بينانه يظهر فيه الكبر ، حتى لو مشى ذلك القلم لتبختر تشرفا وعجبا بسمه إياه .

(٣) يقول : إذا ورد كتابه الأعداء يندرم ويتوعدم فعل كتابه فعل الجيش فردم حائرين متلذذين خوفا وذعرا بللاغة كلامه وشدة وعيده . وعبارة الواحدى : يسحرم يبيانه فيصرفون عنه حين عمل فيهم كلامه عمل السحر . وعبارة ابن جنى : إذا كتب إلى مخالف كتابا لم يحتج معه إلى لقاء الجيوش لانه يبلغ ما يريد بالكتاب ، فكتابه يرد الجيوش راجعة تحيرا من فعل الكتاب ، وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

(١) الصليان : نبت .

أَنْتِ الْوَحِيدُ إِذَا أُرْتَكِبَتْ طَرِيقَةٌ
وَمَنْ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنْفَرًا (١)
قَطَفَ الرَّجَالُ الْقَوْلَ وَقَتَ نَبَاتِهِ
وَقَطَفْتَ أَنْتِ الْقَوْلَ لَمَّا نَسَوَا (٢)
فَهَوَّ الْمُسَمِّعُ بِالْمَسَامِيعِ إِنْ مَضَى وَهُوَ الضَّاعِفُ حُسْنُهُ إِنْ كَرَّرَا (٣)

تكفى عن التنبل أحياناً مكايدهُ وربما خانت أعلامه الأسلا
ومثله لآخر :

في كلِّ يومٍ له جُنْدٌ مُوجَّهَةٌ من المكاييد تطوى في الطوامير
(الطوامير : جمع طامور ، وهو الصحيفة)

(١) الغضنفر : الأسد ؛ والرديف : الراكب خلفك ، وارتكبت طريقة : يروي
ركبت طريقة . يقول : أنت منفرد في كل طريقة تأتها وتحاولها لا يقدر أحد أن يحدو
حدوك في طرائقك لصعوبتها وامتناعها . كراكب الأسد لا يقدر أحد أن يكون رديفاً
له . يعنى أن أفعالك صعبة لا يقدر عليها أحد فلا يتبعك ، عليها مخافة تقصيره فيفتضح ،
قال الواحدي : وعلى هذا المعنى يكون الغضنفر مركوباً - يريد أنه مفعول ركبت - ويجوز
أن يكون حالاً للمدح : أى لا يقدر أحد أن يكون رديفاً لك وأنت غضنفر .
(٢) يقول : إن أقوال الناس كالثمرة تقطف قبل ينعمها وإدراكها فى خداج ليست
بخلوة ولا غناء فيها ، أما أنت فقولك كالنبات إذا نور - أزهى - وبلغ أناه فهو حلو
معسول قد بلغ الغاية فى الحسن والكمال ، ويروى : قبل نباته ، قال العكبرى : أى
قبل تمامه .

(٣) يقول : إن مسامع الناس تشيع قولك - أى تتبعه - فى مسيره إذا انفصل
من فيك بالإقبال عليه والإصغاء إليه جبا له وشغفا به . وإذا كرر - ازداد حسنه ، طى
خلاف ما عهد من الكلام : فإنه إذا أعيد سمع ، وإذا تكرر تكرج (١) وفى هذا نظر
إلى قول أبى نواس :

(١) من تكرج الطعام والحبر : فسد وتعفن .

وَإِذَا سَكَتَ فَإِنَّ أْبْلَغَ خَاطِبٍ قَلَمَ لَكَ أَخَذَ الْأَصَابِعَ مِنْبِرًا^(١)
وَرَسَائِلٍ قَطَعَ الْعُدَاءَ سِحَاءَهَا
فَرَأَوْا قَنًا وَأَسِنَّةً وَسَنَوْرًا^(٢)
فَدَعَاكَ حُودَكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا
وَدَعَاكَ خَالِكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَ^(٣)
خَلَقَتْ صِفَاتِكَ فِي الْعُيُونِ كَلَامَهُ
كَأَخْطُ يَمْلَأُ مِمْسَعِي مَنْ أَبْصَرَ^(٤)

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا
ويقول البحري :

مُشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ لَا يُخْ لَقَهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمَسْتَعِيدِ
وَالشَّيخُ : يَرُوى الْمَتَّبِعُ .

(١) يقول : إذا سكت ناب عنك قلمك ، فكان أبلغ خاطب ، منبره الأصابع .
(٢) ورسائل : عطف على قلم - في البيت السابق - والسحاء : ما يشد به الكتاب
من آدم . والسنور : الحديد والدروع . وهذا البيت كالتفسير لقوله : ثني الجيوش تهيروا
يقول : إن الأعداء إذا قطعوا سحاء كتبك ورسائلك رأوا من بلاغتك وجزالة ألفاظك
وقوة وعيدك ما يقتلهم ذعرا ويأسون معه من الاقتدار عليك فيقوم ذلك مقام السلاح
في دفع الأعداء . ومثل هذا ما يحكى أن الرشيد كتب في جواب كتاب ملك الروم :
قرأت كتابك والجواب ما تراه لا ما تقرأه ، فانظر إلى هذا اللفظ الوجيز كيف يملأ
الأحشاء نارا ، ويدع القلوب أعشارا ، ويشعر النفوس حذارا ، ويعقب أقدام ذوى
الإقدام نكوصا وفرارا ؟ وجميل قول بعضهم مما ينظر إلى هذا المعنى :

هَلْ تَذْكَرِينَ إِذِ الرِّسَالِ بَيْنَنَا

تَجْرِي عَلَى الْوَرَقِ الَّذِي لَمْ يُفْرَسِ

أَيَّامَ أَسْرَارِي لَدَيْكَ وَسِرِّكُمْ يَهْدِي إِلَيَّ مَعَ الْفَصِيحِ الْأَخْرَسِ .

« ويريد بالورق الذي لم يفرس : البردى ونحوه ؛ وبالفصيح الأخرس : الكتاب » .
(٣) و (٤) المسمع الأذن . يقول : إن ما يشاهده الناس فيك من الصفات الشريفة

أَرَأَيْتَ هِمَّةً نَاقَتِي فِي نَاقَةٍ نَقَلَتْ يَدًا سُرْحًا وَخَفًا مُجَمَّرًا (١)
تَرَكَتْ دُخَانَ الرَّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا
طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْقَنْبِيرَ (٢)

التي آثرك الله بها : تدل على أنه سبحانه قد فضلك على سائر الرؤساء وجعلك الأكبر بينهم وإن لم ينطق بذلك لفظاً ، فكأنما هذه الصفات الظاهرة فيك خلف لكلامه ، يفهم منها ما يفهم منه ، ثم مثلها بالخط ؛ فإن معناه إما يتناول بالبصر فيستفيد منه القلب ما يستفيدة بسماع الآذان ، فكأنه لفظ مسموع . وعبارة سائر الشراح : سماك الأعداء الرئيس وأمسكوا وسماك الله الرئيس الأكبر ، وقد علمنا ذلك لما قامت صفاتك الشريفة مقام كلام الله ، وهى تلك التي خصك الله بها في الدلالة على أنك أفضل الناس فصار كأنه - جل شأنه - دعاك الأكبر قولاً من حيث دعاك فعلاً ، كالخط فإن من كاتب كمن شافه وخاطب ، ومن أعلم حطفاً فكأنه أسمع فأفهم . وحاصل المعنى : أن الإنسان إذا رأى ما حصك الله به من كمال الفضل علم أنك مستحق عند الله أن تسمى الرئيس الأكبر ، فقوله خلفت صفاتك : تبيين لقوله : ودعاك خالقك الرئيس الأكبر .

(١) السرح : السهلة السير ؛ والمجرم : الشديد الصلب ؛ ويقال أيضاً خف مجرم : أى خفيف سريع . قال الخوارزمي : أراد خفاً خفيفاً فلم يوافقه اللفظ ، ولو وافقه لكان تجنيساً ظاهراً ، وإلا فإذا لم يوافقه فهو تجنيس معنوي . يذكر المتنبي علو همة ناقته حين قصده وأنها استأثرت بذلك دون غيرها من النياق ، وهو إخبار عن علو همة هو لأنه يحمل ناقته في السير ما لا يطيق أمثالها :

(٢) الرمث : بنت يوقد به . يشبه النضا ، وهو من مراعى الإبل ؛ أما الرمث - بالفتح والتحريك - فهو خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب عليه في البحر ، والجمع أرمات . قال أبو صخر الهذلي :

تَمَنَيْتُ مِنْ حَسْبِي بُتَيْنَةَ أَنَا عَلَى رَمْثٍ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفْرٌ
(وفر : مال) .

يقول : تركت الأعراب ووقودهم وأتت قوماً ووقودهم العنبر ، يعنى المدوح . وهذا من قول البحترى :

نزلوا بأرض الزعفران وجانبوا أرضاً ترب الشيع والقيصوما

وَتَكْرَمَتْ رُكْبَاتُهَا عَن مَّيْرِكِ
تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِنْكَ أَذْفَرًا^(١)
فَاتَتْكَ دَامِيَةً الْأَطْلَنُ كَأَنَّهَا
حُدَيْتِ قَوَائِمَهَا الْعَقِيْقَ الْأَحْمَرًا^(٢)
بَدَّرَتْ إِلَيْكَ يَدَ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا
وَجَدْتَهُ مَشْفُولَ الْيَدَيْنِ مُفَكَّرًا^(٣)
مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَنَّى بَعْدَهَا
شَاهَدْتُ رَسَطًا لَيْسَ وَالْإِسْكَندَرَا^(٤)

(١) الأذفر: أى الذكى الرائحة . يقول: تكرمت ناقى عن أن تبرك إلا على المسك الأذفر . يريد أن العنبر بحضرة المدوح يوقد به والمسك ممتن عنده بحيث يبرك عليه البعير ؛ والركبات : جمع ركة ، وإنما عنى اثنين بدليل قوله تقعان . قال العكبرى ركباتها جمع ركة ، وإنما عنى اثنين وهو كقوله جل وعلا « فقد صغت قلوبكما » وذلك أن أقل الجمع اثنان فجاز أن يعبر عنهما بالجمع ، ودل على أنه أراد التثنية أنه أخبر عنهما بالتثنية فقال تقعان ؛ ويجوز أن يكون أراد الجمع فسمى كل جزء منهما ركة ، كقولهم : شابت مفارقه ، وهو مفرق واحد ، وإنما أراد كل جزء من الفرق ، ثم رجع إلى الحقيقة فقال تقعان .

(٢) الأطل : باطن خف البعير ؛ وحذيت : أى جعل لها حذاء ، وهو النعل . يقول : أتت الناقة وقد دميت أخفافها لطول السير وحزونة الطريق حتى كأنها اتلعت العقيق الأحمر ، كما قال الآخر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمَوْمَاتِ أَيْدِي جَوَارٍ بَيْنَ نَاعِمَاتِ

أى تخضبت بالدم خضاب هؤلاء الجوارى .

(٣) بدرت : سبقت . يقول : سبقت إليك العوائق وصروف الزمان فكأنتها وجدت الزمان مشغولاً عنها فاتهزت الفرصة فى تصدك فإن الزمان موكل صرفه بدفع الخيرات .

(٤) بعدها : أى بعد الأعراب . يقول من الذى يبلغ الأعراب أنى بعد أن فارقتهم

وَمَلَّتْ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَ فِي
مَنْ يَنْحَرُ الْبِدْرَ النَّضَارَ لِيَنْ قَرَى (١)
وَسَمِيَتْ بِطَلِيمُوسَ دَارِسَ كَتَبِهِ
مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرًا (٢)

رأيت عالماً هو في علمه وحكمته مثل أرسطوطاليس . وملكا هو في سعة ملكه
كلالإسكندر؟ قال الواحدى : وأرسطوطاليس : اسم رومى ، لما أراد المتنبي استعماله :
حذف بعضه ، فإن العرب تجترى على استعمال الأسماء الأعجمية ؛ فإن أمكن نقلها إلى
أوزانهم : نقلوها ، وإن لم يمكن نقلها حذفوا بعضها ، ومثل هذا الاسم في كثرة حروفه
لا يوجد في كلام العرب .

(١) العشار : جمع عشراء ، وهى فى الأصل : التى لعلها عشرة أشهر ، والمراد هنا :
النياق الوالدات ، والبدر : جمع بدوة ، وهى كيس فيه سبعة آلاف دينار ، وقيل عشرة؛
والنضار : الذهب . يقول : مللت فى صجة الأعراب نحر الإبل ولحومها فأضافنى من
يجعل قراه بدر الذهب ، وإنما استعمل النحر فى البدر لذكوره نحر العشار ، ومعنى
نحر البدر : فتحها لإعطاء ما فيها من الذهب . وهذا من قول البحترى :

مَلِكٌ بَعَالِيَةِ الْمِرَاقِ قِيَابُهُ
يَقْرَى الْبُدُورَ بِهَا وَنَحْنُ ضِيُوفُهُ

(٢) بطليموس : هو الفلكى صاحب المجسطى ، يشبه ابن العميد بيطليموس فى
علمه وحكمته . يقول : سمعت ابن العميد وهو يدرس كتب نفسه - أى يتكلم بالعلوم
التي فيها - وقد جمع بين جلالة الملك ، وفصاحة اليد ، وظرافة الحضر . قال الواحدى :
وبطليموس : يعنى ابن العميد ، سماه بهذا : للشابهة بينه وبين هذا الحكيم ؛ ونصب
دارس كتبه : على الحال ، وكذلك ما بعده . ويجوز أن يريد أنه سمع من ابن العميد
ما عفا ودرس من كتب بطليموس لأنه أحياء بذكائه وجوده قريحته . ويكون التقدير
سمعت دارس كتب بطليموس ولكنه قدم ذكره ثم كنى عنه ، ويجوز أن يكون
دارس كتبه : مفعولا ثانيا ، كما تقول : سمعت زيدا هذا الحديث .

وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَهُهُمُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصُرَ (١)
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا
وَأَنِّي فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا (٢)
يَالَيْتَ بَاكِئَةً شَجَانِي دَمْعُهَا
نَظَرْتُ إِلَيْكَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَعَذَّرًا (٣)

(١) يقول : لقيت بلقائه كل من له فضل وعلم من المتقدمين ، فكان الله أحيام
ورد عصورهم حتى لقيتهم كلهم : يعنى أن فيه من الفضل ما كان في جميع الفضلاء . وفي
مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي :

أَتَيْتُهُ وَأَنَا الْمَلُوءُ مِنْ غَضَبٍ عَلَى الزَّمَانِ فَسَرَى عَنِّي الْغَضْبَا
فَلَوْ حَلَفْتُ لَمَا كَذَّبْتُ يَوْمَئِذٍ

أنى لقيت هناك العُجْم ، والعربا

(٢) نسقوا : سردوا . وقوله فذلك : فاعل أنى . وهى حكاية قول الحاسب
إذا أجمل حسابه : فذلك كذا وكذا . يقول : إن هؤلاء الفضائل قد تابعوا
متقدمين عليك في الزمان ، فلما أتيت بعدهم جمعت ما كان فيهم من الفضائل فكنت
منهم بمثابة إجمال الحسابة : الذى تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل فيكتب
في آخرها : فذلك كذا وكذا . وعبارة الواحدى : يقول : جمع لنا الفضلاء في الزمان
ومضوا متتابعين متقدمين عليك في الوجود ؛ فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضائل
ما كان فيهم : مثل الحسابة تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب في
آخر الحسابة ؛ فذلك كذا وكذا : فجمع في الجملة ما ذكر في التفصيل ، كذلك أنت :
جمع فيك من الفضل ما فرقت فيهم . وهذا ينظر إلى قول القائل :

وَفِي النَّاسِ مِمَّا خُصِّصْتُمْ بِهِ

تَفَارِيقٍ لَكِنَّ لَكُمْ مُجْتَمِعٍ

(٣) يقول : ليت الباكية التى بكت على فراقى وأحزنى بكاؤها رأيتك كما رأيتك ،
لتعذرنى في فراقها وركوب الأهوال والأخطار فى سفرى إليك . وقوله : فتعذرا قال
العكبرى : نصبا على جواب التنى بإضمار « أن » عند البصريين وبالفاء تنسبا عندنا .

وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةَ
 الشَّمْسِ تُشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنُحُورًا (١)
 أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلًا
 وَأَسْرُّ رَاحِلَةً وَأَرْبَحُ مَتَجَرًّا (٢)

(١) ترى : أى الباكية ؛ ولا ترد فضيلة : مفعول ثان ل ترى ؛ والشمس : بدل من الفضيلة ؛ والسحاب معطوف عليها وتشرق حال من الشمس ؛ والكنهور : العظيم المتكاثف ، وهو حال من السحاب ، يقول : إن هذه الباكية ترى الفضيلة عندك لا ترد عندها من الفضائل على ما عهدنا في المتضادين ، ثم فسر ذلك فقال : يريك الشمس مشرقة والسحاب كنهوراً : أى يريك المدوح في حال واحدة هذين المتضادين ؛ فوجهه كالشمس إضاءة ، ونائله كالسحاب الكنهور أيضاً ، فقد اجتمعان في وقت واحد ، مع أن السحاب الكنهور في الحقيقة يستر الشمس فلا يجتمعان . والمراد : أنه يتدفق بالنوال ويتبلج عند السؤال . وقد قال في هذا المعنى محمد بن طلى بن بسام :

الشَّمْسُ غَرْتُهُ وَالغَيْثُ رَاحَتُهُ . فَهَلْ سَمِعْتُمْ بَغِيثٍ جَاءَ مِنْ شَمْسٍ
 وأوضحه ابن الرومي فقال :

يُلْقِي مُعِيماً مُشِمِسًا فِي حَالَةٍ هَطَلِ الْإِغَامَةِ نَيْرِ الْإِشْمَاسِ
 وقال أيضاً :

لِكُلِّ جَلِيسٍ مِنْ يَدَيْهِ وَوَجْهِهِ
 مَدَى الدَّهْرِ يَوْمٌ غَاثٌ الْجَوْ شَامِسٌ

وتبعه البحرى فقال :

وَأَبْيَضَ وَضَاحٌ إِذَا مَا تَغَيَّيْتُمْ يَدَاهُ تَجَلَّى وَجْهُهُ فَتَقَشَّمَا
 وقال الرضى :

أَمْطَرُوا الْجُودَ مُضِيئًا بِشَرْمُ فَرَأَيْنَاهُمْ شُمُوسًا وَغَمَامًا

(٢) يقول : طاب مكانى ومنزلى بقصده ، وسرتنى راحلق إذ أدتنى إليه ، وتجارنى أربح من تجارة غيرى إذ اشترى شعري بأوفر الأثمان . فقد بلغت فى ذلك كله ما لم يبلغه أحد من الناس ؛ وقال الواحدى . قوله : وأسر راحلة : هو مبالغة من السر ؛ أى

زُحَلٌ عَلَىٰ أَنْ الْكَوَاكِبَ قَوْمُهُ
لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَعْشَرًا (١)

أخفتي بسرهما ليلاً حتى أتيتك ؛ وإن كان من السرور فيكون سرور صاحبها هو المراد بسرورها . وقوله : منزلاً وما بعده ، منصوب على التمييز ، والتجر : ما يتخذ للتجارة .
(١) جعل الكواكب المحيطة بزحل : كالقوم له ، إذ أنه يسمى شيخ النجوم .
يقول : لو كان زحل من عشيرتك لكانت عشيرته حينئذ أكرم من عشيرته الآن مع أن عشيرته النجوم : يعني أن قوم للمدوح ورهطه أشرف من النجوم . هذا وقوله زحل : مبتدأ ، وقوله : لو كان منك الخ ، خبر ، والمشر والعشيرة : قوم الرجل وأهله .

قافية الزاي

وقال بدمشق يمدح أبا بكر علي بن صالح الروذباري الكاتب :
 كَفَرَنْدِي فَرِنْدُ سِنِّي الْجَرَّازِ لَدَّةُ الْعَيْنِ عُدَّةٌ لِلْبِرَّازِ^(١)
 تَحْسَبُ الْمَاءَ خَطًّا فِي لَهَبِ النَّارِ
 رَأْدَقٌ أُخْلَطُوطٍ فِي الْأَحْرَازِ^(٢)
 كَلَّمَا رُمْتَ لَوْنَهُ مَنَّعَ النَّارِ ظِلْمَ مَوْجٍ كَأَنَّهُ مِنْكَ هَازِي^(٣)

(١) الفرند : جوهر السيف ، وهي الخضرة التي تردد فيه ، معرب دخيل، والجرزاز : القاطع . والبراز : مبارزة الأقران في الحرب . يقول : إن سيني يشبهني في اللضاء ، وهو حسن في امرأة العين ، عدة لمبارزة الأقران ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :
 فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ فَرِنْدٌ مُشْرِقٌ وَهِيَ الْفَرِنْدُ لِهَوْلَاءِ النَّاسِ
 (٢) الأحرزاز : جمع حرز . وهو العوذة يكتب فيها الرقي . سميت كذلك لأنها تحرز صاحبها من العين . شبه بريق سيفه باللهب وآثار الفرند فيه ودقته بخطوط من الماء دقيقة كأدنى الخطوط في الأحرزاز وقد جرت العادة بتدقيق خطوط الأحرزاز . وهذا ينظر إلى قول القائل :

مَاضٍ تَرَى فِي مَتْنِهِ مَاءَ بِنَارٍ مُخْتَلِطٍ
 ومثله :

كَأَنَّهُ فِي طَبَعِهِ وَاللَّوْنِ مَاءٌ وَلَقَى
 (٣) هازي : أسلها هازي - بالهمز - خفف للقافية : يقول : كما حاولت أن تعرف لونه وأنعمت النظر : منع ناظرك من الوقوف عليه ماؤه وبياضه الذي يتردد فيه كالوج فكأنه يهزأ بك ، لأنه لا يستقر حتى ينفذ فيه شعاع عينيك . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

وَكأن الْفَرِنْدَ وَالرُّونْقَ الْجَارِيَّ فِي صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينٌ
 ولا بن أبي زرعة :

مَتَرَدُّدٌ فِيهِ الْفَرِنْدُ تَرَدَّدَ الْمَاءُ الزُّلَالُ

وَدَقِيقٌ قَدَى الْمَبَاءِ أُنِيقٌ مُتَوَالٍ فِي مُسْتَوٍ هَزَاهَا (١)
وَرَدَّ الْمَاءَ فَأَلْجَوَابُ قَدْرًا شَرِبْتُ وَالَّتِي تَلِيهَا جَوَازِي (٢)

هذا : ويقال هزأ به يهزأ هزأ وهزؤا ومهزأة وتهزأ به واستهزأ : سخر، ورجل هزأة - بالتحريك - يهزأ بالناس ، ورجل هزأة بالتسكين - يهزأ به ، وقالوا إنما يقال هزئت بك ، ولا يقال هزئت منك . ويقال سخرت منك ، ولا يقال سخرت بك .
(١) دقيق : عطف على موج ، وهو نعت لحدوف : أى وفرند دقيق . والقذى فى الأصل : ما يقع فى العين . وقذى : فاعل دقيق ، أو مشبه بالفعل - على حد قولك : زيد حسن وجه الأب - والمباء : ما تراه فى الشمس إذا دخلت من موضع ضيق . والأنيق : الحسن اللجب . والمتوالى : المتتابع . ومستو : نعت لحدوف . أى فى صفتح ، أو متن مستو . وهزهاز : مضطرب . أى ويمنع الناظر من لونه فرند دقيق كأنه قذى يتطير إلى عينه فيمنعه النظر . وهذا الفرند حسن متتابع الخطوط فى صفتح مستو كثير الاضطراب والحركة يذهب ويجيء ، ويقال : سيف هزهاز وهزاهز : كأن ماءه يذهب عليه ويجيء ، وروى ابن جنى : قذى المباء : من قولم قذى رمح ، وقادرمح ، وقيد رمح : أى مقداره .

(٢) الجوازى : أصلها الهمز ، جمع جزئة : من قولم جزأت الإبل أو الوحش بالرطب - أى بالخضرة - عن الماء : أى استغنت به عنه ، قال الشماخ بن ضرار :

إِذَا الْأُرْطَى تَوَسَّدَ أُبْرَدِيهِ خُدُودُ جَوَازِيءَ بِالرَّمْلِ عَيْنِ (١)

وقوله قدراً شربت : أى شربت قدراً ؛ قدراً مفعول شربت . يقول : إن هذا السيف أشربت جوانبه من الماء عند صنعه مقداراً يلبسها ، أما ما يلبسها من اللبن فلم يشرب لأنه لا يسقى جميع السيف ، بل تسقى شفرتاه ويترك اللبن ليكون أثبت عند الضرب . فلا يتصف .

(١) الأُرطى : مقصور ، شجر يدبغ به ، وتوسد أبرديه : أى أخذ الأُرطى فى أبرديه كالوسادة ، والأبردان : الظل والنقى ، سبياً بذلك لبردما ، والابردان أيضاً : الغداة والضحى ، واتصاب أبرديه : على الظرف ، والأرطى : مفعول مقدم لتوسد ، أى توسد خدود البقر الأُرطى فى أبرديه ، والجوازى : البقر التى جزأت بالرطب عن الماء ، والعين : جمع عيناء وهى الواسعة العين

حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ الدَّهْرِ حَتَّى هِيَ مُخْتَاةٌ إِلَى خِرَازٍ^(١)
وَهُوَ لَا تَلْحَقُ الدَّمَاءُ غِرَارِيَهُ وَلَا عِرْضَ مُنْتَضِيهِ الْمُخَازِي^(٢)

(١) الجمائل : جمع حمالة ، ما يحمل به ، والخراز : الذى يخز الجمائل وغيرها بالسيور . يقول : إن هذا السيف من قدمه وتداول الأيدي عليه قد أخلقت حمائله ، واحتاجت لذلك إلى الخراز لتجديدها ، وإضافة الجمائل إلى الدهر مجاز ، أراد أنه قديم قد أخلق طول الدهر حمائله ، فلما كثر حاملوه بطول الدهر كان كأن الدهر حامل له . وهذا ينظر إلى قول البحترى :

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقَلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَةً لَمْ تَذْبُلْ

(٢) غراره : حدها ، والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ، واتضى السيف : سله ، والمخازى جمع مخزاة ، ما يخزى به الإنسان . يقول : إن سيفى لسرعة قطعه يسبق الدم فلا يلصق به ولا يتلطح . ولا تدرك المخازى عرض منتضيه . يعنى نفسه . لحسن بلائه عند الوغى . وهذا من قول الأول :

بِكُلِّ حُسَامٍ كَالْعَقِيقَةِ صَارِمٍ إِذَا قَدَّ لَمْ يَنْتَلِقَ بِصَفْحَتِهِ الدَّمُ

هذا ، ولذكر العرض نورد ما أورده السكبرى هنا من معانى العرض ، إذ اشترطنا على أنفسنا أن لا ندع شيئاً مما أورده سائر الشراح إلا أثبتناه فى هذا الشرح ، وإن كان الكثير منه لا ضرورة إليه .

قال - وقال معه أهل اللغة وعمدته دائماً فى اللغة الجوهري صاحب الصحاح :-
والعرض النفس ، والعرض الحسب ، وفلان نقي العرض : برىء من أن يشتم ،
والعرض : الجسد . وفى صفة أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم : « لا يتغوطون
ولا يبولون ، إنما هو عرق يجرى من أعراضهم مثل ريح السك » أى من أجسادهم ،
والعرض كل واد فيه شجر ، قال الشاعر :

لِعِرْضٍ مِنْ الْأَعْرَاضِ يُسَمَّى حَمَامَةً وَيُضْحَى عَلَى أَفْنَانِهِ النَّيْنِ يَهْتَفُ
أَحَبُّ إِلَى قَلْبِي مِنَ الدِّيَكِ رَنَةٌ وَبَابٌ إِذَا مَا مَالَ لِلْفَلَقِ يَصْرِفُ

(١) النين : جمع غيناء ، أى خضراء كثيرة الورق ملتفة ، وصريف الباب : صريره .

يَا مَزِيلَ الظَّلَامِ عَنِّي وَرَوْضِي
يَوْمَ شُرْبِي وَمَعْقِلِي فِي الْبَرَازِ^(١)
وَاليَمَانِي الَّذِي لَوْ اسْطَعْتُ كَانَتْ
مُقَلَّتِي غِمْدَهُ مِنَ الْإِعْزَازِ^(٢)

(١) البراز : الحلاء أو الصحراء . يقول — لسيفه — : أنت تزيل عنى الظلام صفائك وروتك : يعنى أنه يستصبح بريقه إذا اشتد سواد العيار فصار كالظلام ، وأنت روضى يوم شربى : يريد كما أن شارب الراح يشربها على الرياض والبساتين : فروضى يوم أشرب دماء الأعداء — أى يوم الحرب — هو أنت ، وذلك لحضرته ، والسيف يوصف بالحضرة ، كما قال الحمادى فى مقصورة له :

مُهْنِدٌ كَأَنْمِطَاغُهُ أَشْرَبَهُ بِالْمُهْنِدِ مَاءَ الْمُهْنِدِ بَا^(١)

ومثله للبحرى :

سَحَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَدْبُلِ

ثم قال الثنبى : ويا حصى الذى أتحصن به وأذود عن تقسى فى البراز : أى الصحراء وما إليها من الفضاء .

(٢) يقول : لشدة إعزازى له وإيقائى عليه لو استطعت لجعلت عيني غمداً له ، واليمنى : أى النسب إلى اليمن ، والأفصح : يمنى ويمنان ، لأن الألف عوض من ياء النسب ، فلا يجتمعان .

قال سيبويه : وبعضهم يقول يمانى — بالتشديد — قال أمية بن خلف :

يَمَانِيًّا يَنْظَلُ يَشْدُ كِبْرًا وَيَنْفُخُ دَائِمًا لَهَبَ الشَّوَاظِ

وقال المكبرى : اليماني فى موضع نصب بالنداء ، كأنه قال : يا مزيل الظلام ، ويا اليماني ، ثم قال : وهو جائز عندنا — يريد الكوفيين — أن ينادى ما فيه التعريف نحو : يا الرجل ، ويا الغلام ، وأبى البصريون ذلك . وحببتنا أنه قد جاء فى أشعارهم وكلامهم ، قال الشاعر :

(١) الهندبا — عمد ويقصر — بقلة من أحرار البقول .

إِنَّ بَرَقِي إِذَا بَرَقْتَ فَعَالِي وَصَلِيلِي إِذَا صَلَّاتَ أُرْتَجَاوِي (١)
لَمْ أَحْمَلْكَ مُنْقَلًا هَكَذَا إِلَّا لَضَرْبِ الرُّقَابِ وَالْأَجْوَاوِي (٢)
وَلِقَطْعِي بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا فَكِلَانَا لِحَنَسِهِ التَّيَوْمِ غَاوِي (٣)

فِي السَّلَامَانَ اللِّدَانَ فَرَا إِيَا كَمَا أَنْ تَكْسِبَانَا شَرَا (١)
وقال الآخر :

فَدَيْتُكَ يَا الَّتِي تَيْمَمْتُ قَلْبِي وَأَنْتِ بِحَيْلَةٍ بِالْوَصْلِ عَنِي (٢)
وبدل على صحة قولنا : إجماعنا على أنه يجوز أن يقال في الدعاء : يا الله ، والألف واللام فيه زائدتان . وحجة البصريين أن الالف واللام للتعريف ، وحرف النداء يفيد التعريف ، وتعريفان في كلمة لا يجوز .

(١) الفعال : الفعل الحسن ، والصليل : الصوت ، والارتجواز : قول الرجز من الشعر . يقارن ما بين سيفه ونفسه ؛ يقول : إذا كان لك برق ، فهناك فعالي بإزائه ، وإذا ارتفع صليلك — صوتك — في الضريبة ، فإن صليلي هو إنشادي الأراجيز من شعري .

(٢) المعلم : الذي قد شهر نفسه في الحرب بعلامة يعرف بها ، وهو مما كانت تفعله الأبطال من العرب ؛ ومعلماً : حال من التكلم ؛ والأجواز : الأوساط ، جمع جوز ، يقول : لم أحملك في الحرب لزينة ، وإنما لضرب الرقاب وأوساط الرجال . وروي : ولم أحملك . ، قال العكبري : حرك الساكن وحذف الهزمة ، وهي لغة جيدة جاءت في أشعارهم وخطبهم وكلامهم .

(٣) يقول : ولم أحملك إلا لأقطع بك الحديد الذي على الرقاب والأجواز

(١) هذا البيت والذي بعده شائمان في كتب النحو ولم يعرف لها قائل ولا ضميمه وإيا كما : تحذير ، وأن تكسبانا : أي من أن تكسبانا ، وماضيه كسب : يتعدى إلى مفعولين يقال كسبت زيداً مالا وعلماً : أي أنلته . قال ثعلب : كلهم يقول كسبك فلان خيراً إلا ابن الأعرابي ، فإنه يقول : أ كسبك ، بالألف .

(٢) قوله فديتك : روي من أجلك . أي من أجلك قاسيت ما قاسيت مثلاً وقوله : تيمت كان القياس أن يقول تيمت بناء التأنيث على الغيبة ، لكن جاء على نحو

* أنا الذي سمئني أمي حيدر

والقياس : سمته ، وجملة أنت بحيلة : حال عاملها « تيمت » .

سَلُّهُ الرِّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ فَتَصَدَّى لِلنَّيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ (١)
وَتَمَنَيْتُ مِثْلَهُ فَكَأَنِّي طَالِبُ لَابِنِ صَالِحٍ مِنْ يُوَازِي (٢)
لَيْسَ كُلُّ السَّرَاةِ بِالرُّوْذِبَارِ يَّ وَلَا كُلُّ مَا يَطِيرُ بِيَّازٍ (٣)

— الأوساط — يعنى الدروع والمناظر فأنا أغزو الناس وأنت تغزو الحديد ، فكلانا يغزو جنسه .

قوله : ولتطعى : عطف على قوله لضرب الرقاب ، وعليها : حال من الحديد . هذا ، ويقال : رجل غاز ، والجمع غزاة كقماض وقضاة ، وغزى - بتشديد الزاى - مثل سابق وسبق ؛ وغزى ، على مثال فعل مثل حاج وحبيج وفاطن وفطيف . قال زياد الأعجم :

قل للقوافل والغزى إذا غزوا والبواكرين وللمجبد الرامح
وغزاه أيضا بالمد : مثل فاسق وفساق ، قل تأبط شرا :

فيوماً بغزاه ويوماً بسرية ويوماً بحشاش من الرجل هيضل
« سرية : اسم من الأسراء ، والحشاش : الجماعة الكثيرة ، والهيضل : الجيش الكثير ، والرجل : اسم جمع أو جمع راجل ، أى مشاة » والنسبة إلى الغزو غزوى ، وكله الذى يغزو العدو ، وأصله التصد .

(١) الركض : العدو السريع ، والوهن : هو نحو من نصف الليل ؛ ومثله الموهن ، وقيل : هو حين يبرد الليل ؛ وتصدى : تعرض ، والنيث : المطر . يقول : ركضنا الخيل فكان من شدة جريها أن انسل هذا السيف من عنقه ونحن بنجد بعد صدر من الليل ، فظن أهل الحجاز لمانه ضوء برق فارتقبوا نزول المطر . وهذا من قول على بن الجهم فى قبة التوكل :

إذا أوقدت نارها بالمراق أضاء الحجاز سنا نارها
والأصل قول الواصل :

ماسله أهل الحجاز لحاجة إلا يبشر بالسحاب الشاما

قال ابن جنى : خص أهل الحجاز لأن فيه طمعا ، أو لأن القافية جرت إليهم .

(٢) يوازي : يعادل ويمتثل . وابن صالح : هو الممدوح . يقول : هما فريدان ، لا نظير لسيفي ولا لهذا الممدوح . وهذا من أحسن الخالص .

(٣) السراة : جمع سرى - الشريف - والروذبارى : الممدوح ، نسبة إلى بلد

فَارِسِيٌّ لَهُ مِنَ الْمَجْدِ تَاجٌ
كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ عَلَى أَبْرَوازٍ^(١)
نَفْسُهُ فَوْقَ كُلِّ أَصْلِ شَرِيفٍ
وَلَوْ أَنِّي لَهُ إِلَى الشَّمْسِ عَازِيٌّ^(٢)
وَكَانَ الْفَرِيدَ وَالذَّرَّ وَالْيَا
قُوتَ مِنْ لَفْظِهِ وَسَامَ الرِّكَازِ^(٣)
شَفَلْتُ قَلْبَهُ حِسَانُ الْمَعَالِي
عَنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ وَالْأَعْجَازِ^(٤)

أيه « روذبار » بلد من بلاد العجم . يقول : هو من العلية الأشراف ، وهو بيهم
كالبازي بين سائر الطير : أي ليس أحد مثل هذا المدوح الذي قد جمع ما تفرق في
غيره من العلية . وهذا المعنى ينظر إلى قول الحماسي :

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فَرَاخًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مَقْلَاتٌ نَزُورٌ
(١) أبرواز : هو أبروز أحد الأكَاسرة ، ملوك العجم ، تصرف فيه كمادة العرب
تتصرف في الأسماء الأعجمية ما شاءت . يقول : إنه من أولاد ملوك فارس ، وله تاج
من المجد كان مثله من الجوهر على رأس أبروز ، يريد أنه معرق له عظامي .

(٢) تقول : عزوته إلى فلان : إذا نسبته إليه ، أعزوه ، فأنا عاز . يقول : هو
هو بنفسه أجل من كل أصل شريف ، حق لو نسبته إلى الشمس كان أشرف منها .

(٣) وسام الركاز : عطف على الفريد . والفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره ، أو هو
الكبار من الدر . والسام : عروق الذهب ، وأضافه إلى الركاز لأن الركاز معدن
الذهب . يقول : إن هذه الأشياء كأنها أخذت من لفظه لحسنه واتظامه .

(٤) الأعجاز . جمع عجز ، وهو أسفل كل شيء . يقول : إن شغله الشاغل إنما هو
للمعالي ، لا مغازلة النساء . وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

ومن كان بالبيض الكواعب مفرماً
فما زلت بالبيض القواضب مفرماً
ومن تيمت شمراً الحسان وأدماً
فما زلت بالسمر العوالي متيماً

تَقْضِمُ الْجَمْرَ وَالْحَدِيدَ الْأَعَادِي
دُونَهُ قَضِمَ سُكْرَ الْأَهْوَازِ (١)
بَلَفَتْهُ الْبَلَاغَةُ الْجُهْدَ بِالْعَفْوِ وَنَالَ الْإِسْهَابَ بِالْإِيحَازِ (٢)
حَامِلُ الْحَرْبِ وَالذِّيَاتِ عَنِ الْقَوْمِ مِثْلُ الدُّيُونِ وَالْإِعْوَازِ (٣)

ويقول :

عَدَاكَ حَرَّ الثَّفُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثَّفُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْخَصِيبِ (١)
(١) القضم : أكل الشيء اليابس . والآهوز : كور بين البصرة وفارس . يقول :
لحق أعدائه عليه وشدة غيظهم من جراء قصورهم دونه يقضمون الجمر والحديد كما
يقضم السكر . وهذا من قول الأعمش :

قَضِمَ حَدِيدَ الْأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا

بِفَيْكَ وَأَحْجَارَ الْكَلَابِ الرَّوَاهِصِ (٢)

وقول أبي العتاهية :

كَأَنَّ الْمَطَايَا الْمُجْهَدَاتِ مِنَ الشَّرِيِّ إِلَى بَابِهِ يَقْضِمْنَ بِالْجُهْدِ سُكْرًا
(٢) العفو : الليسور — من عفو المال : ما فضل عن النفقة فبذل بسهولة . والجهد :
المشقة ، والإسهاب : الإكثار . يقول : إنه من البلاغة بحيث يبلغ باليسر والسهولة
ما يبلغه غيره بالمشقة وجهد الروية . وينال بإيجازه . في انقول ما ينال غيره بالإسهاب
وما أجمل قول البحرى :

فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَ امْرُؤٌ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ

حُرْنِ مَسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنَّبَنِ ظِلْمَةَ التَّعْقِيدِ

(٣) الذيات : جمع دية ، ما يؤخذ من القاتل عن القتال . والإعواز : الحاجة والفقر .

(١) سلسالها : يريد ريقها ، والحصب : الذي فيه الحصباء ، وهي صفار الحصى .

(٢) عض : أمر ، من عض يعض ، والكلاب — بضم الكاف ، وتخفيف اللام —

اسم ماء كانت عنده إحدى الوقائع ؛ والرواهص : صفة للأحجار ، وهي الثابتة
المرتقة المتراففة .

كَيْفَ لَا يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشْكُوا

- وَبِهِ لَا يَمُنُّ شَاكِهًا الْمَرَاذِي^(١)
 أَيُّهَا الْوَاسِعُ الْفِنَاءُ وَمَا فِيهِ مَيْتٌ لِمَالِكِ الْمُجْتَازِ^(٢)
 بِكَ أَضْحَى شَبَا الْأَسِنَّةِ عِنْدِي كَشَبَا أَسْوَقِ الْجِرَادِ النَّوَازِي^(٣)
 وَأَنْتَنِي عَنِّي الرَّؤْدَيْنِي حَتَّى دَارَ دَوْرَ الْخُرُوفِ فِي هَوَازِ^(٤)
 وَبَابَاتِكَ الْكِرَامِ التَّاسِي وَالْتَسْلِي عَمَّنْ مَضَى وَالتَّمَازِي^(٥)

(١) المرادى : الرزايا ، جمع مرزئة . فأصله المزد . وخفف للضرورة . وضمير تشكوا : للقوم . يقول : إني لأعجب كيف لا يشتكى ثقل ما يحمل عن قومه ، وكيف يشتكى رزية أحد من قومه وهو حاملها عنه ؟

(٢) فناء الدار . ساختها ، والمجتاز : الذي يجوز بالمكان ولا يرجع عليه . يقول : إن فناء داره واسع ودوره كثيرة متوافرة ، ومع ذلك يجتاز به ماله فلا يقيم عنده ولا يجد مكانا يبيت فيه . يعنى أنه معطاء يذل ماله فلا يبتغي عنده .

(٣) شبا الأسننة : حدها . وأسوق : جمع ساق . والنوازي - من قولك نزا الجراد ينزو - وثب . يقول : لما صرت في جوارك واعتصمت بك صرت لا أكثر لمدو ولا سلاح حتى صار سنان الرمح في نظري كساق الجراد لقله مبالا في به .

(٤) قوله في هواز : أراد في هوز . والعرب تنطق بهذه الكلمات على غير ما وضعت ، كما قال أبو حنن في البرامكة :

أَبُو جَادِهِمْ بَدَلُ الذَّسْوَى يُلْهَمُونَهُ وَمُعْجَبُهُمْ بِالسُّوْطِ ضَرْبُ الْفَوَارِسِ
 وإنما هو أجمد . يقول للثني : ارتد الرمح عنى والتوى على نفسه التواء الحروف الدورية في هوز ، وهى الهاء والواو والزاي ؛ والجيد في تعطف الرماح قول أبي العلاء المرى :

وَتَعَطَفَتْ لَعِبَ الصَّلَالِ مِنَ الْأَسَى فَالزُّجُّ عِنْدَ الْلَهْدَمِ الرَّعَافِ
 (يقول المرى : تعطفت الرماح من الحزن كما تتعطف الحيات ، وتتوى إذا لعبت حتى تجمع رؤوسها إلى أذنانها : أى تتأود الرماح من الحزن حتى تجتمع أسننها وزجاجها) .

(٥) التأسى : التعمزى ؛ والتمازى : جمع تعزية . يقول : إنما يعزى عمن مضى منا بذكر آبائك الكرام ، فإذا ذكرنا قدمهم : هان علينا قدم من بعدهم .

تَرَسُّوْا الْأَرْضَ بَعْدَ مَا ذَلُّوْهَا وَمَشَتْ تَحْتَهُمْ بِلَا مِهْمَازٍ (١)
وَأَطَاعَتْهُمْ الْجِيُوشُ وَهَيَّبُوا فَكَلَامٌ الْوَرَى لَمْ كَالنُّحَازِ (٢)
وَهَجَانٍ عَلَى هِجَانٍ تَأَيَّتِكَ عَدِيدَ الْخُبُوبِ فِي الْأَقْوَازِ (٣)

(١) المهماز : حديدة تجمل في عقب الراكب ، ينخس بها بطن الدابة لتسرع في المشي . يقول : ماتوا بعد أن ملكوا الأرض وانقادت لهم اقياد الدابة الذلول التي تمشى بغير مهماز .

(٢) النحاز : داء يصيب الإبل والغنم في صدورها يشبه السعال . وهيوا : أي هاجمهم الناس . قال ابن جنى : أي لما صاروا إلى هذه الحالة من علو الكلمة وإطاعة الجيوش إيّام صاروا لا يعاؤون بكلام أحد . وقال الواحدى : وأجود من هذا أن يقال : السعال يرقق الصوت ؛ والمعنى : لهيبتهم كان الناس لا يرفعون الصوت :

(٣) وهجان : أي ورب هجان ؛ والهجان من الإبل والناس : الكرام الخالصة النسب ، وتأيتك وتأيتك : أنت إليك وقصدتك ، يقال تأيا الشيء وتأياه : أي تعد آيته ، أي شخصه ، وقصده ؛ وآية الرجل : شخصه ، قال :

الْحُصْنُ أَذَى لَوْ تَأَيَّيْتَهُ مِنْ حَثِيكِ التَّرْبِ عَلَى الرَّاكَبِ (١)
وقال لقيط بن معمر الأيادي :

أَبْنَاءُ قَوْمٍ تَأَيَّوْكُمْ عَلَى حَقِّكُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَضَرَ اللَّهُ أَمْ نَقَعًا
وقد استشهد بعض الشراح ببيت الأعشى :

إِذَا مَا تَأَيُّ يُرِيدُ الْقِيَامَ تَهَادَى كَمَا قَدَرَأَيْتَ الْبَهْرَةَ (٢)

موردين إياه إذا ماتا ، وهذا خطأ منهم ، لأنه إذا ماتا ؛ وتأى للشيء : تهيأ له والأقواز : جمع قوز ، القطعة المستديرة من الرمل ، شبه الزاوية . يقول : رب رجال كرام على إبل كريمة قصدوك في مثل عدد حبات الرمل كثرة ،

(١) هذا البيت لا مرأة تخاطب ابتها ، وقد قالت لها :

يَا أُمَّتِي أَبْصُرِي رَاكِبٌ يَسِيرُ فِي مُسْحَنَفَرٍ لَاحِبٍ

مَازَلْتُ أَحْشُو التَّرْبَ فِي وَجْهِهِ عَدُوًّا وَأُحْمِي حَوْزَةَ الْغَائِبِ

قَالَتْ لَهَا أُنْهَا : الْحُصْنُ ... الخ ...

(٢) بهراً : أي مبهورا ، أي أصابه البهر ، وهو انقطاع النفس من الإعياء .

صَفَهَا السَّيْرُ فِي الْعَرَاءِ فَكَانَتْ فَوْقَ مِثْلِ الْمَلَاءِ مِثْلَ الطَّرَازِ (١)
 وَحَكَى فِي اللَّحُومِ فِعْلَكَ فِي الْوَفْرِ فَأَوْدَى بِالْعَنْتَرِيسِ الْكِنَازِ (٢)
 كُلَّمَا جَادَتِ الظُّنُونُ بِوَعْدِ عَنكَ جَادَتْ يَدَاكَ بِالْإِنْبَازِ (٣)
 مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ
 وَاضِعُ الثُّوبِ فِي يَدَيْ بَرَازِ (٤)
 وَلَنَا الْقَوْلُ وَهُوَ أَدْرَى بِفَحْوَا هُ وَأَهْدَى فِيهِ إِلَى الْإِعْجَازِ (٥)
 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ شُعْرَاءَ كَأَنَّهَا أَنْكَازِ بَارِ (٦)

(١) العراء : الأرض الواسعة كالفضاء ؛ والملاء : جمع ملاءة ، الربطة ذات لفتين ، والإزار ؛ والطرّاز ؛ ما يكون في الثوب من النقش ، فارسي معرب . شبه استواء الإبل وانتظامها صفوفاً في سيرها على سعة الفضاء بطراز - نقش - طي ملاءة . وإذا كان هناك في هذه الحالة سراب كان التشبيه أوقع لياضه ، وهكذا سير الإبل إذا كان في بسيط من الأرض وكانت كراماً استقامت في السير كأنها صف فلم تتقدم واحدة على أخرى ، كما قال أبو نواس :

تَدْرُ الْمَطِيَّ وَرَاءَهَا فَكَأَنَّهَا صَفَّ تَقَدَّمُنْ - وَهِيَ إِمَامٌ
 (٢) فاعل حكي : ضمير السير ؛ والوفر : المال الكثير ، وأودى : أهلك ، والعنتريس : الناقة الشديدة الصلبة ، والكناز : المكتنزة اللحم . يقول : إن السير ذهب بلحوم هذه الإبل وأفنى كل ناقة صلبة منها فحكي - مائل - في ذلك جودك في إهلاك المال .
 (٣) يقول : كلما ظن إنسان أنك تعطيه شيئاً فوعده ظنونه بذلك عنك وعدا صدقت ظنونه وأنهجت ذلك الوعد ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

صَدَّقْتَ ظَنِي وَصَدَّقْتَ الظُّنُونَ بِهِ وَحَطَّ جُودُكَ عِنْدَ الرَّحْلِ عَنِ جَمَلِي
 (٤) القريرض الشعر والبزاز : تاجر الثياب . يقول : انه عارف بالشعر معرفة البزاز بالثياب .

(٥) يقول : تقول القول وهو أدري منا بمغزاه وأبصر بمواطن الإعجاز فيه . وقال ابن جنى : أى ينسب إلينا القول وهو أعلم بمغناه وأولى منا أن يأتي في القول بالمعجز .
 (٦) الحازباز - بيناء الجزأين على الكسر - حكاية صوت الذباب ، ثم سمي به الذباب

وَيَرَى أَنَّهُ الْبَصِيرُ بِهَذَا وَهُوَ فِي الْعَمَى ضَائِعُ الْكَلْبِ (١)

نفسه . يقول : أنت طب بالشعر ناقد له ، وغيره لا يعرف الشعر ولا يميز جيده من رديته ، فيجوز عليه شعراء يهدون بما لا حفل له كأنهم الذباب حين يطن . هذا ؛ وإليك عبارة اللسان في الخازباز توفية لهذه المادة ، وإن كان قد سبق لنا القول في ذلك ، قال :
والخازباز : ذباب ، اسمان جملا واحدا ، وبنيا على الكسر لا يتغير في الرفع والنصب والجر ؛ قال عمرو بن أحمَر :

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السُّوَارِي وَجُنَّ الْخَازِبَازُ بِهِ جُنُونًا

« الخازباز » وسمى الذبان به - وهما صوتان جملا واحداً - لأن صوته خازباز ، ومن أعربه نزله بمنزلة الكلمة الواحدة فقال خازباز ؛ وقيل أراد النبت ، وقيل أراد ذبان الرياض ؛ وقيل : الخازباز ، حكاية لصوت الذباب فسماه به ، وأنشد أبو نصر تقوية لقوله :

أَرْعَيْتَهَا أَكْرَمَ هُودٍ عُودًا الصَّلِّ وَالصَّفْصَلِ وَالْيَعْقُضِيدَا

وَالْخَازِبَازِ السِّنِّمِ الْمَجُودَا بِحَيْثُ يَدْعُو عَامِرَ مَسْعُودَا

« نبت سنم حرجح ، وهو الذي خرجت سنمته ، وهو ما يملو رأسه كالأكليل ، والمجود الذي أصابه المطر » وعامر ومسعود راعيان « وكل من الصل والصفصل واليعضيد نبات » والخازباز - في غير هذا - داء يأخذ الإبل والناس في حلوقها . أقول : « له من لسع ذباب بعينه » وقال ابن سيده : الخازباز : قرحة تأخذ في الحلق ، وفيه لغات ، قال :

يَا خَازِبَازِ أَرْسِلِ اللَّهَازِمَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ لِأَزْمَا

والخزباز : لغة وأنشدوا :

مِثْلُ الْكَلَابِ تَهْرٌ عِنْدَ دِرَابِهَا

وَرَمَتْ لَهَا زَمُهَا مِنَ الْخَازِبَازِ

« الدارب : جمع درب ، والهازم : جمع لهزيمة ، وهي لحمة في أصل الحنك ، شبههم

بالكلاب النابحة عند الدروب »

(١) يقول : ويظن أنه طب بالشعر بصير بمعرفته مع أنه فيه كالأعمى الذي ضاعت

كُلُّ شِعْرِ نَفِيرٍ قَائِلُهُ فِيكَ وَعَقْلُ الْمُجِيزِ عَقْلُ الْمُجَازِ (١)

عصاه فهو لا يهتدى للطريق ، وقوله : وهو في العمى الخ ، أى هو ضائع العكاز حال كونه فى جملة العميان .

(١) المجيز : المدوح الذى يعطى الجائزة ، والمجاز : الشاعر الذى يأخذ الجائزة .
وقوله : عقل المجاز ، أى مثل عقل المجاز : حذف المضاف .

يقول : إن الشعر حسب قارضه : فإن كان الشاعر مجوداً ذا قريحة بصيراً به كان شعره حسب طبقته هذه ؛ وكذلك التخلف يكون شعره متخللاً ، والمدوح الذى يجيز يشبه عقله عقل من يأخذ جائزته ، فهو إن أجاز على الشعر الجيد البارع : كان عقله جيداً كعقل قارضه وإن أجاز على الشعر الدون كان عقله دوناً كذلك . والحاصل أن الشعر يحك للمادح والمدوح معاً ، فهو يدل على مكانة الشاعر من القدرة على التعويد والابتكار ، وعلى مكانة المدوح من البصر بالشعر وتقدمه ومعرفة ما يستحقه . ويرى بدل « قائله فيك » قابله منك ، فيكون الخطاب للشاعر . يقول للشاعر : إذا مدحت أحداً قبل شعرك فهو نظيره : يعنى أن العالم بالشعر لا يقبل إلا الجيد ، والجاهل به يقبل الردىء .

قافية السين

وقال وقد أذن المؤذن ، فوضع سيف الدولة الكأس من يده ، قال أبو الطيب
ارتجالاً :

أَلَا أذُنٌ فَمَا أَذْكَرْتَ نَائِي وَلاَ لَيْتَ قَلْبًا وَهُوَ قَائِسٌ ^(١)
وَلاَ سُجِلَ الْأَمِيرُ عَنِ الْمَعَالِي
وَلاَ عَن حَقِّ خَائِنِهِ بِكَائِسٍ ^(٢)

وقال يمدح عبيد الله بن خلكان الطرابلسي :
أَعْظِيْبَةَ الْوَحْشِ لَوْلاَ ظَلَيْبَةَ الْأَنْسِ
لَمَّا غَدَوْتُ بِجِدَّةٍ فِي الْهَوَى تَيْسٍ ^(٣)

(١) يقول - للمؤذن - أذن فلم تذكر بأذنانك نائياً : يعني أنه محافظ على الصلوات
لا ينسى أوقاتها ، فهو غير محتاج إلى أن يتذكرها بالأذان ، وهو لين القلب خاشع ،
فلا يحتاج إلى مايلينه . وكان حقه أن يقول نائياً ، ولكنها الضرورة ، أو على لغة من
يقول : رأيت قاض . وقوله : وهو قاس ، في موضع الحال ، كأنه قال : ولا ليت
قلباً قاسياً .

(٢) يقول : لم تكن الكأس لتشغله عن حق الله تعالى ، ولا عن مراعاة أسباب
المعالي ، فهو ليس بمن يستهلكون أوقاتهم فيفعل عما يلزمه من أداء فرض أو مراعاة
حق . وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

وَلَمْ يَشْمَلْكَ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي ، وَلاَ لِنَاتِهَا لَهْوٌ وَلَعِبُ

(٣) الأنس : جماعة الناس . تقول : رأيت بمكان كذا أنساً كثيراً ؛ أي ناساً
كثيراً ، والأنس أيضاً : الحمى المصمون ؛ والأنس كذلك : لغة في الإنس . وأنشد
الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبي :

الدرر اليسرى من ١٩ ص ٢٢٤

أَتَوَا نَارِي ، فقلتُ مَنْوَنَ أُنْتُمْ ؟ فقالوا : الجن ، قلتُ : عَمَّوَا ظلاما
فقلتُ : إلى الطعام ؟ فقال مِنْهُمْ زَعِيمٌ : تَحْسُدُ الأَنْسُ الطعاما
لقد فَضَلْتُمُو بِالْأَكْلِ فِينَا ولكن ذاك يُفَقِّمُكُمْ سَقَامَا
والأنس . أيضاً : خلاف الوحشية ، وهو مصدر أنست به - بالكسر أنساوانسة .
وفيه لغة أخرى : هي أنست به أنسا ، مثل كفرت به كفرآ . والجد : الحظ والبخت ،
والتمس : الانحطاط والكب والثور : ضد الاتعاش وقيل الهلاك ، وتمس - بالفتح -
يتمس تمساً ، وأتمسه الله . قال مجمع ابن هلال :

تقولُ وقد أفرَدَتْهَا مِنْ خَلِيلِهَا تَمَسَّتْ كما أتمَسَّنِي بِأَجْمَعٍ
والمراد بالجد التمس : للنحوس المشوم . وقد عابوا قوله : تمس ، قائلين : إنما يقال
جد تاعس ، من تمس - بفتح العين . ولا يجوز بكسرها إلا ماروى عن الفراء ، واحتج
أهد اللغة بيت الأعمش :

بِذَاتِ لَوْثٍ عِفْرَةٍ نَامَةٍ إِذَا عَثَرَتْ فَالتَّمَسُّ أَذَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَمَأً (١)
ولو جاز تمس - بالكسر - لكان المصدر تمساً ، فعلى هذا لا يقال : جد تمس .
وإنما يقال : تاعس . يخاطب الظبية الوحشية لأنها ألفتها لكثرة ملازمته الفياقي ومساءلته
الأطلال ، كما قال ذو الرمة :

أَخْطُ وَأَمْحُو أَخْطُ ثُمَّ أَعِيدُهُ بِكَيْفٍ وَالْفِرْزَانَ حَوْلِي تَرَعُ
أى قد ألفتنى وأنسن بى لكثرة ما يرينى . يقول : لولا شبيتهك من الإنس أيتها
الظبية - يعنى حبيته - لما صرت فى الحب ذا جد منحوس .

(١) قوله بذات لوث : متعلق بكلفت - فى بيت قبله - وهو :

كَلَّفْتُ مَجْهولَهَا نَفْسِي وَشَايَعِنِي هُمى عَلَيْهَا إِذَا مَا آلَهَا لَمَعَا

اللوث - بالفتح - القوة . وعفرناة ، شديدة قوية ، والعرب تدعو على العائر من
الدواب إذا كان جواداً بالتمس فتقول : تمساً له ، وإن كان بليداً كان دعاؤهم له إذا عثر :
لماً لك ، وهى كلمة يراد بها : أن ينتمش .

- (١) وَلَا سَقَيْتُ الثَّرَى وَاللُّزْنَ مُخْلَفَةً دَمْعًا يُنَشِّفُهُ مِنْ لَوْعَةِ نَفْسِي (١)
وَلَا وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُسَى ثَالِثَةً
(٢) ذِي أَرْسَمٍ دُرُسٍ فِي الْأَرْسَمِ الدُّرُسِ
صَرِيحَ مُقَلَّتِهَا سَأَلَ دِمْنَتِهَا
(٣) قَتِيلَ تَكْسِيرِ ذَاكَ الْجَفْنِ وَاللَّعْسِ
خَرِيدَةً لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ
(٤) وَلَوْ رَأَاهَا قَضِيْبُ الْبَانَ لَمْ يَمَسِ

(١) الثرى : التراب ؛ واللزن : السحاب الأبيض ؛ ومخلفة : أى غير ماطرة من إخلاف الوعد . يصف حرارة وجده وكثرة دموعه ، وأن حرارة نفسه تنشف دموعه إذا جرت على الأرض . وهذا ينظر إلى قول الآخر :
لَوْلَا الدَّمُوعُ وَفِيضُهُنَّ لَأَحْرَقَتْ أَرْضَ الْوَدَاعِ حَرَارَةُ الْأَكْبَادِ
وقول الآخر :

وتكاد نيران القلوب إذا التظت يوماً تنشفُ في العيون الماء

(٢) المسى : المساء ، مثل الصبح والصبح . وهو ظرف للوقوف ؛ ومسى ثالثة : أى مساء ليلة ثالثة . وذى أرسم : صفة لجسم . والأرسم جمع رسم : الآثار ، والدرس : جمع دارس ودارسة : أى التى اتمحت . لولا هذه الظبية لما وقفت برسوم دارها مساء الليلة الثالثة من ظننها - أى لما وقفت بربعها مع قرب العهد بلقائها - بجسم دارس ناحل قد أبلاه الحزن وأنحله حتى آض مثل تلك الرسوم . ومثله للعكوك :

خَلَفْتَنِي نِضْوُ أَحْزَانٍ أَعَالِجُهَا بِالْجِرْعِ أَنْدُبُ فِي أَنْضَاءِ أَطْلَالِ

(٣) الدمنة : جمعها دمن - ما اسود من آثار الديار - ، واللّس : سمرة في الشفة مثل اللمي ، وصريع وسأل : حالان . ومن خفضهما : فعلى أنهما نعتان لجسم . واللّس : عطف على تكسير . وكاف ذاك : رويت بالكسر لأنه يخاطب الظبية . يذكر شدة وجده بها ، وأن مقَلَّتِها قد صرعته بسحرها وأنه يتسلى بسؤال آثارها عنها أين ذهبت . وأنه مقتول بما في جفنها من الانكسار وقصور النظر وما في شفتها من السمرة .
(٤) الحريدة : الحفرة الحية . وماس النسن يمس : مال وتنى . ولليس : أصله

مَا ضَاقَ قَبْلَكَ خَلْخَالٌ عَلَى رَشَاءٍ وَلَا سَمِعْتُ بِدِيَّاجٍ عَلَى كَنَسٍ (١)
 إِنْ تَرَمِي نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْ كَتَبٍ
 تَرَمِ أَمْرًا غَيْرَ رَعْدِيدٍ وَلَا نِكْسٍ (٢)

التبختر . وهو للانسان ، واستعاره للقصيب من حيث إن حسن تمايله يشبه التبختر .
 يقول : إنما أحسن من الشمس حتى لو رأتها الشمس لم تطلع حياء منها . وهي أحسن
 ثنيا من ثنى غصن البان ، فلو رآها لم يتأيل . قال الواحدى : وفي هذا إشارة إلى أنها
 فى غاية السر ، وأن الشمس لم ترها ولا النصف .

(١) الرشاء : الطيب الصغير . والكنس والكناس الموضع الذى تتخذة الطباء من
 أغصان الشجر تستظل به من الحر . يقول : إن الرشاء دقيق القوائم لا يضيق الخلل
 على قوائمه ، وأنت رشاء غليظ القوائم كثير اللحم يضيق عليك الخلل ، ولم أسمع أن
 كناس الرشاء يسز بالدياج - ضرب من الثياب الحريرية - أما أنت فستورة الكناس
 بالدياج - يريد هودجها . وفيه نظر إلى قول ابن دريد :

أَعْنِ الشَّمْسُ عِشَاءً رُفَعَتْ تِلْكَ السُّجُوفُ
 أُمُّ عَلَى أَذْنِي غِرَالٍ عُلِّقَتْ تِلْكَ الشُّنُوفُ

(٢) الكتب : القرب . والرعديد : الجبان . والنكس : الساقط الفشل ، وأصله
 بكسر النون وسكون الكاف ، فلما احتاج إلى تحريكه نقله إلى فعل . بفتح فكسر ، أو
 بكسرتين : على حد قول عبد مناف بن ربح الهذلى :

مَاذَا يَفْسِرُ ابْنَتِي رِبْعٌ عَوِيْلُهُمَا لَا تَرَقْدَانِ وَلَا يُؤْسَى لِنِ رَقْدَا
 كَلْتَاهَا أَبْطَنْتَ أَحْشَاؤَهَا قِصْبًا مِنْ بَطْنِ حَلِيَّةٍ لَا رَطْبًا وَلَا نَقْدَا
 إِذَا تَجَاوَبَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيًّا سَبَبَتْ يَلْمَجُ الْجِلْدَا (١)

(١) يقول هذه الآيات فى أخيه وبكائهما على أبيهما . قوله : ماذا يغير الخ ، أى
 لا يغي بكاؤهما على أبيهما من طلب نأرة شيئاً . وقوله : كلتاها أبطنت الخ ، يقول : كأن فى
 أجوافهما قصب للزأمر من شدة البكاء . وفى الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان يبكى فى صلاته حتى يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل . وقوله : ولا تدا ؛ أى لم يتأكل
 والشاء فى «ترقدان» للمؤث الغائب . والحلية : مأسدة بالعين والنوح : النساء يجتمعن
 للنواح ؛ وقد كانت نساء العرب فى مناحتهن يلطمن خدودهن بالجلود .

يَفْدَى بِبَيْدِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ حَاسِدُهُمْ
 بِجَبْهَةِ الْمَعِيرِ يُفْدَى حَافِرُ الْفَرَسِ (١)
 أَبَا النُّطَارِقَةَ الْحَامِينَ جَارَهُمْ وَتَارِكِي اللَّيْثِ كَلْبًا غَيْرَ مُفْتَرَسِ (٢)
 مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ وَضَّاحٍ عِمَامَتُهُ كَأَنَّمَا أُشْتَمَلَتْ نُورًا عَلَى قَبَسِ (٣)

[يغير : ينفع . والسبت : جلود البقر المدبوعة . واللعج : الحرقه . أراد الجلد ، فرك اللام بالكسر لكسر ما قبله] . ومثله كثير . يقول المتنبي : إن زمانى الدهر بنوابه عن قرب - يعنى من حيث لا يخطىء - فإنى غير جبان ولا ساقط دنىء - يعنى لا أخاف ذلك ولا أجنب منه .

(١) عبيد الله : منادى وحاسد هم : فاعل يفدى . جعل المعير - الحمار - مثلاً للدنىء . والفرس : مثلاً للكريم ، والمعنى : بأعز شيء فى اللثيم يفدى أحسن شيء فى الكريم : أى أن حاسدهم إذا فداهم كان كما يفدى حافر الفرس بوجه الحمار . ومثل هذا لأبى جعفر الأسكافى :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَهِيَ غَيْرِ عَزِيزَةٍ فِي جَنْبِ شَخْصِكَ وَهُوَ جِدِّ عَزِيزِ
 فَلَقَدْ يَتَّقِي الْحَرَّ الْبَيْتِ أَذَاتَهُ فِي وَقْتِهَا كَفَاءً مِنَ الشُّونِيزِ
 « الشونيز والشينيز : الحبة السوداء ؛ ومثله لأبى نصر العتبي :

اللَّهُ يَشْهَدُ وَالْمَلَأْتُكَ أَنْفِي لِجَلِيلِ مَا أَوْلَيْتَ غَيْرُ كَفُورِ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ لَا لِقَدْرِي بَلْ أَرَى أَنَّ الشَّعِيرَ وَقَايَةَ الْكَافُورِ

(٢) أبى النطارقة : نصب على البدل من عبيد الله ، الذى هو منادى . والنطارقة : جمع غطريف ، وهو السيد . والحامين : جمع حام ، وهو الذى يحمى قومه وجيرانه . يقول : يا أبى السادة الذين يحفظون جارهم ويتركون الأسد كلباً لا يصيد شيئاً ، يعنى أن الأسد - أى البطل الشجاع - عندهم كالكلب غير الصائد ، لجبنه عنهم .

(٣) الأبيض هنا : الكريم النقى العريض . والوضاح : المشرق الواضح الجبهة . والقبس : الشعلة من النار . وعمامته : مبتدأ . والخبر : الجملة التى بعده . أى أنه تحت عمامته كأنه شعلة نار لنور وجهه وإشراق لونه . وهو من قول عبد الله بن قيس الرقيات (١) :

(١) إنما أضيف قيس إلى الرقيات؛ قيل لأنه كان يشب بعبدة نساء يسمين جميعاً رقية :

دَانَ يَمِيدٍ مَحَبَّةً مُبْفِضٍ بَهْجٍ أَغْرًا حُلُوًّا مِمْرَةً لَيْنَ شَرِسٍ (١)
 نَدِيَّ أَبِي غَرٍّ وَافٍ أَخِي ثِقَةً
 جَعَدَ سَرِيًّا نَهًا نَدْبٍ رَضَى نَدُسٍ (٢)
 لَوْ كَانَ فَيْضُ يَدَيْهِ مَاءً غَادِيَةً
 عَزَّ الْقَطَا فِي الْغِيَا فِي مَوْضِعِ الْيَبَسِ (٣)

إنما مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
 (١) أمر الشيء : صار مرأاً . يقول : هو دان - قريب - بمن يحبه ويقصده بعيد
 عن من ينازعه ، محب للفصل وأهله ، مبغض للنقص وأهله . بهج بالقصاد ، حلو لأوليائه
 مر على أعدائه ، لين في الرضا . شرس - صعب - على الأعداء . وروى الخوارزمي
 محب مبغض - بصيغة اسم المفعول . وبهج بالشيء وله ، بالكسر بهاجة : أى فرح به ،
 وسر ، فهو بهج وبهيج قال الشاعر :

كَانَ الشَّبَابُ رَدَاءً قَدْ بَهَجَتْ بِهِ قَدَّ تَطَايَرَ مِنْهُ لِلْبَلِي خِرْقُ
 (٢) ند : جواد ندى الكف . وأبي : أنوف يأبى الدنيا . وغير : مغرى بالفعل
 الجميل مولع به . واف : بالعهد والوعد . أخى ثقة : صاحب ثقة يوثق به . وروى ابن
 جنى : أخ - منونا - أى هو مستحق لإطلاق هذا الاسم - الأخ - عليه لصحة مودته
 لمن خالطه ، وثقة : موثوق به مأمون عند الغيب - وهو مصدر وصف به : كقولهم زيد
 عدل - وجعد جواد . قال الزمخشري : وأما قولهم جعد للجواد (١) فمن الكناية عن
 كونه عريياً سخياً ، لأن العريب موصوفون بالجمودة . قال :

هَلْ يُرْوِيَنَّ دَوْدَكَ نَزْعٌ مَقْدُ وَسَاقِيَانِ سَبِطٌ وَجَعْدُ
 أى عجمي وعربي ، لأنهما لا يتفاهان فلا يشتغلان بالكلام عن السقي . وسرى ؛
 شريف ، ونه : ذونية ، وهى العقل . والنذب : الخفيف فى الأمور يندب لها : أى
 يدعى فينتدب . ورضى . أى مرضى . والندس - بضم الدال وبكسرهما - الفطن الباحث
 عن الأمور العارف بها .
 (٣) فيض يديه : أى الفائض من يديه . والغادية : السحابة تمدو بالمطر . والغيافى :

(١) لأن الأصل أن يقال : فلان جعد ، أى بخيل .

أَكْرِمٌ حَسَدَ الْأَرْضِ السَّمَاءَ بَيْنَهُمْ
وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَن طَرَابُلُسٍ^(١)
أَيُّ الْمُلُوكِ - وَهُمْ قَصْدِي - أَحَافِرُهُ

وَأَيُّ قِرْنٍ وَهُمْ سَيْبِي وَهُمْ تَرْمِي^(٢)

وسأله صديق له يعرف بأبي ضبيس الشراب معه فامتنع وقال ارتجالاً :

أَلَدُّ مِنَ الْمُدَامِ الْخَنْدَرِيسِ وَأَخْصَلِي مِنَ مُعَاطَاةِ الْكُثُوسِ^(٣)

مُعَاطَاةُ الصَّفَائِحِ وَالْعَوَالِي وَإِحْيَايَ خَيْسًا فِي خَيْسِ^(٤)

جمع اليفاعة ، وهي للمازة لآماء بها . واليس : اللكان اليابس . يقول : لو كان عطاؤه ماء سحابة لم الدنيا كلها حتى لا تجد القطا - وهو الطائر المعروف بالهداية - في الغلوات موضعاً جافاً تتقط منه الحب أو تنام فيه ، وعن - هنا - أعبا . وأصله غلب وقهر ، ومنه بيت الحماسة :

قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تَجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

أى أعباها وجود موضع اليبس : أى للكان اليابس وامتنع عليها .

(١) أكرم : جمع أكرم . كأفاضل وأفضل . يقول . بسببهم وكونهم في الأرض

حسدتها السماء إذ لم يكن في السماء مثلهم ، وتأخر كل مصر - بلد - عن بلدهم طرابلس الشام لفضلهم على أهل سائر الأمصار .

(٢) هذا استفهام معناه الإنكار . ويقول : إذا قصدت هؤلاء لم أحذر أحداً من

الملوك ، وإذا امتنعت بهم لم أحذر قرناً يقابلني . والقرن : كفتوك في الشجاعة : أما القرن من الناس : فهم أهل زمان واحد ، قال :

إِذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَتَخَلَّقْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ

والقرن : الوقت من الزمان ، يقال هو أربعون سنة ، وقيل ثمانون سنة ، وقيل مائة .

(٣) و (٤) الخندريس : الحجر القديمة . والصفائح : السيوف العريضة ؛ والعوالي :

صدور الرماح ؛ والإقحام : دخول الشيء في الشيء ؛ وإحْيَايَ : الجليش ؛ ومعنى معاطاة

الصفائح : مد اليد بالسيوف إلى الأقران بالضرب ؛ كمد المتناول يده إلى من ناوله الشيء

يقول : إن الحرب ألد عنده من الشرب : فقوله : ألد ، مبتدأ ؛ وخبره : معاطاة -

فَوَتِي فِي الْوَعَى أَرَبِي لِأَنِّي رَأَيْتُ الْعَيْشَ فِي أَرَبِ الْنَفُوسِ (١)
وَلَوْ سَقَيْتَهَا بِيَدِي نَدِيمِ أَسْرَهُ بِهِ لَكَانَ أَبَا ضَبَّيْسِ (٢)

•••

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي :
هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجَّتْ رَسِيماً مُمَّ أَنْتَنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ كَنَسِيماً (٣)

في البيت الثاني — ومثل هذا يسميه العلماء : التضمين ، وهو عيب عندهم ، ومثله قول القائل :

لَسَلَّ السِّیُوفِ وَشَقَّ الصَّفُوفِ وَخَوَّضَ الْحَتُوفَ وَضَرَبَ الْقُلُلَ

أَلَذَّ إِلَيْهِ مِنَ الْأَسْمَاعِ وَشَرِبَ الْمَدَامَةَ فِي يَوْمِ طَلَنَ

(١) الوعى : الحرب ؛ والأرب : الحاجة . يقول : إذا قتلت في الوعى — الحرب —

فذلك هو حياتي ، لأن حقيقة الحياة ما يكون فيها تشبيه النفس ، وأنا أشتهي أن أموت محارباً ، وإذا أدركت ما أشتهي : فكأنى حيث .

(٢) يقول : لو رغبت في شرب الخمر لشربتها من يدي أبي ضبيس ، لأنى أسر

بمنادته .

(٣) هذى : أى ياهنه ، ناداها وحذف حرف النداء ضرورة ، وقال للمرى : هذه

موضوعة موضع الصدر وإشارة إلى البرزة الواحدة كأنه يقول : هذه البرزة برزت لنا كأنه يستحسن تلك البرزة الواحدة ، وأنشد :

يَا إِبْلَى إِمَّا سَلَيْتِ هَذِي فَاسْتَوْسِقِي لَصَارِمِ هَذَاذِ

أَوْ طَارِقِي فِي الدَّجْنِ وَالرَّذَاذِ

يزيد هذه الكرة ؛ والرسيس — فى الأصل — مس الحمى وأولها ، وهو ما يتولد عنها من الضعف . وللراد هنا : مارس فى القلب من الهوى : أى ثبت ، قال ذو الرمة :

إِذَا غَبَرَ النَّأْيُ الْحَبِيْبُ لَمْ يَكْذُ رَسِيْسُ الْهَوَى مِنْ ذِكْرِ مَيَّةٍ يَبْرَحُ

والنسيس : بقية النفس بعد المرض والمزال . يقول : برزت لنا لحركت ما كان فى

قلبنا من هوائك ثم انصرفت عنا مودعة وما شفيت ما أبقى عليه الهوى من نفوسنا — بالوصال .

وَجَمَلْتِ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي فِي الْكُرَى

وَتَرَكْتِنِي لِلْفَرَقْدَيْنِ . جَلِيسًا^(١)
 قَطَعْتِ ذِيَاكَ الْخُمَارَ بِسَكْرَةٍ وَأَدْرَتِ مِنْ خَيْرِ الْفِرَاقِ كُوُومًا^(٢)
 إِنْ كُنْتَ ظَاغِنَةً فَإِنَّ مَدَامِي تَكْنِي مَزَادَ كُمْ وَتُرَوِي الْعَيْسَا^(٣)
 حَاشِي لِمَثَلِكِ أَنْ تَكُونَ مَخِيلَةً وَلِمِثْلِ وَجْهِكَ أَنْ يَكُونَ عَبُوسًا^(٤)
 وَلِمِثْلِ وَصْلِكَ أَنْ يَكُونَ مُنْمَعًا وَلِمِثْلِ نَيْلِكَ أَنْ يَكُونَ خَسِيسًا^(٥)

(١) يقول : حلت بيني وبينك كما حلت بيني وبين النوم ، لحظي منك ومن وصالك كحظي من النوم ، يعني لا حظ لي من الوصال ولا من النوم ، فهو ساهر طول الليل يراعي الفرقدين ، وهما نجمان لا يفترقان ، يضرب بهما المثل في الاجتماع .

(٢) ذياك : تصغير ذاك ؛ والخمار : بقية السكر . يقول : كنا مع قربك في شبه الخمار لما كنا تقاسي من بخلك بالوصل ، فجاء ماطم على الخمار بإسكارك إيانا بفراقك ، يعني : بلينا من فراقك بأشد مما كنا تقاسيه من منعك مع قربك ، فشبّه بخلها في قربها بالخمار وفراقها بالسكر ، والخمار إذا قيس بالسكر : صغر .

(٣) الظمن : الارتحال . والمدامع : مجارى الدموع من العين ، والمراد : الدموع . والمزاد : جمع الزادة : القرية . والعيس : الإبل . يقول : إن كنت مرتحلة فإني أكثر عليك من البكاء حتى إن دموعي تملأ ما معكم من أوعية الماء ، وتروي إبلكم فتكتفون بها عن نشدان الماء .

(٤) و (٥) حاشي : كلمة تزيه ، تعرب إعراب المصادر المحذوفة العامل ، ولا تنون لأنها منقولة عن الحرف . وقد وفينا القول عليها فيما أسلفنا من هذا الشرح . و«أن تكون» في موضع جر بـ«من» مضمرة . واسم تكون : يرجع إلى مثل ، وهو يذكّر ويؤنث بحسب ما يقع عليه . وعبس : قطب وجهه ، والنيل : اسم لما يتال . والحسيس : القليل . يقول مثلك في حسنه وكرم أصله لا ينبغي أن يبخل على من يحبه بالوصال ، ومثل وجهك في توافر ملاحظته لا ينبغي أن يكون عبوساً للناظرين إليه ، وبودي أن تجودي بوصلك وأن لا تمنعه عنا . هذا : ولم يرد المتنبي ما قيل — في هذا البيت — أنه أراد أنها تكون مبذولة الوصال ، وإنما يحسن الوصال ويطيب إذا كان ممنماً ، وإذا كان مبذولاً مل ، وأهزفت النفس عنه ، وما أحسن قول القائل :

خَوْدٌ جَفَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَازِلِي حَرْبًا وَغَادَرَتِ الْفَوَادَ وَطَيْسًا^(١)

ما أحلى الهوى ما لم تنل فيه المنى والحب أعدل ما يكون إذا اعتدى
وإذا اختبرت رأيت أصدق عاشق من لا يمد إلى مواصلة يدا
وقد قال كثير :

وإني لأسمو بالوصول إلى التي يكون نتيًا وصلها وازديارها
أى إنما أُرغب في ذات القدر المصونة ، لا المبدولة ، وأنشد بعضهم قول الأعشى :
كَأَنَّ مِشِيَّتَهَا فِي بَيْتِ جَارَتِهَا مَشَى السَّحَابَةُ لِارِثٍ وَلَا عَجَلُ
فقال هذه خراجة ولاجة ، هلا قال كما قال الآخر :

وتشاقها جاراتها فيزرنها وتمتلّ عن إتيانهن فتُعدّر ؟
قال ابن فورج : هذا اعتراض على التثنية بوصفه حييته بأتمها مبدولة الوصال ،
ولم يتعرض لذلك بشيء ، وإنما قال لها حاشاك من هذا الوصف ، وليس في اللفظ ما يدل
على أنها مبدولة الوصل أو منعمة ، بل فيه أنه يريد أن يكون مبدولا وصلها له ، وأى
عجب لا يجب ذلك ؟ وإن كان لا يراد منه أنه يتمنى بذل حييته فهو محال ؟
قال أبو الفتح إنما أراد حاشى لك أن تمنى وصلك بالنية إن لم يكن بالفعل ، ألا ترى
إلى قول القائل :

أحب اللواتى هنّ في رونق الصبا وفيهنّ عن أزواجهنّ طِاحُ
مُسِيرَاتٍ وَوَدٌّ مُظْهِرَاتٍ لُضْدَهُ تَرَاهُنَّ كَالرَّمْضِيِّ وَهِنَّ صَحَاحُ ؟
أى هن يظهرن خلاف ما يكتمن . قال الخطيب : أما هذا الشاعر فقد أظهر
ما يجب وبينه ، وأنه يجب كل لعوب طامحة عن زوجها . وهذا مذهب بعض الهجين .
وأما قول للتثنية فهو مبين لهذا بقوله : أن يكون ممنا : فهو مهر صراح .

(١) الخود : — بفتح الحاء — الشابة الناعمة ، وجمعها : خود — ضمها —
وارتفاع خود على أنها خبر مبتدأ محذوف . والوطيس : تور من حديد ، ويقال حمى
الوطيس : أى اشتدت الحرب . يقول : لسكرة ما يلغنى — أى العوازل — فى هواها ،
ويراجعنى ويفضبنى صار كأن بينى وبينهن حربا من جرائمها ، ثم قال : وقد تركت
فؤادى مثل الوطيس : أى لمتها بما فيه من حرارة الوجد .

يَيْضَاهُ يَمْنَعُهَا تَكْمٌ دَلَّهَا تَيْبًا وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمِيسًا^(١)

(١) يقول : إنها يضاء - نية العرض - يمنها دلها أن تكلم ويمنعها حياؤها أن تميس - تثنى - فقوله تكلم ، يريد أن تكلم ، حذف وأعمل ، وكذلك ؛ تميس ويروي بدل تكلم : التكلم . وإليك ما قال العكبري الكوفي : قوله تكلم : أراد أن تكلم ، حذف وأعمل ، وكذلك أن تميس ؛ وهو كثير في أشعارهم ، والبصريون لا يرون ذلك ؛ وحبثنا قول الشاعر :

انظرا قَبْلَ تَلَوْمَانِي إِلَى طَللِ بَيْنِ النِّقَا وَالْمُنْحَى

وقول طرفة :

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَعْيَ

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي^(١)

وقراءة عبد الله « لا تعبدوا إلا الله » فنصب بتقدير « أن » مع حذفها ؛ وقول عامر ابن الطفيل :

* وَنَهَيْتُ نَفْسِي بَعْدَ مَا كَلِمْتُ أَفْقَلَهُ *

وقد ألزمنام بقولهم : إنها تعمل مع الحذف من غير بدل في جواب الستة بالفاء مقدره وحبثهم أنها تصب الفعل ، وعوامل الأفعال ضميعة ، فلا تعمل مع الحذف من غير بدل ، ولهذا بطل عملها في قوله تعالى « أفغير الله تأمروني أعبد » وقال الشاعر :

أَنْ تَقْرَأَنَّ قَلِيَّ أَسْمَاءَ وَيَحْكَا مِنْهُ السَّلَامَ وَأَنْ لَا تُشْعِرَا أَحَدًا^(٢)

(١) من مطلقه طرفة ، وبعده :

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَذَرْنِي أَبْأَدِرْهَا بِمَمْلَكَتِ يَدِي

يقول في البيت الأول : يا من يلومني في حضور الحرب لثلا أقتل . وفي أن أتفق مالي لثلا أفقر - ما أنت مخلدني إن قبلت منك ، فدعني أتفق مالي في الفتوة ولا أخلفه لغيري ثم قال في البيت التالي : إن كنت لا تقدر أن تدفع مودتي فذرني أسبق الموت بالتمتع بإتفاق مالي : يعني أن للموت لا بد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات .

(١) قبله :

يَا صَاحِبِي فَدَتِ نَفْسِي نُفُوسَكَ وَحَيْثَا كُنْتَمَا لَا قَيْتَمَا رَشْدَا

لَمَّا وَجَدْتُ دَوَاءً دَائِي عِنْدَهَا هَانَتْ عَلَيَّ صِفَاتُ جَالِينُوسَا^(١)
 أَبْنَى زُرَيْقٍ لِلثُّغُورِ مُحَمَّدًا أَبْنَى نَفِيسٍ لِلنَّفِيسِ نَفِيسًا^(٢)
 إِنْ حَمَلٌ فَارَقَتْ أَخْزَانُ مَالَهُ أَوْ سَارَ فَارَقَتْ الْجُسُومُ الرُّوسَا^(٣)
 مَلِكٌ إِذَا عَادَيْتَ نَفْسَكَ عَادِهِ
 وَرَضَيْتَ أَوْ حَشَّ مَا كَرِهْتَ أُنَيْسًا^(٤)

(١) دواؤه عندها : هو الوصال ، وصفات جالينوس — وهو الطبيب اليوناني المشهور — ما وصفه من الأدوية في تواليه الطبية .

(٢) هذا اقتضاب ، فقد انتقل من التشبيب إلى الملايمة إليه بسبب ، وهو مذهب الجاهلية والمخضرمين ؛ وزريق : أبو المدوح ، ومحمد : اسم المدوح .

يقول : لما مات أبوه ورثه ولاية الثغور ، وهو نفيس وابنه نفيس وحفظ الثغور — مواضع الحفاقة من فروج البلاد — نفيس ، فقد أتى رجل نفيس لابن نفيس أمراً نفيساً ، وهو حفظ الثغور وذب الأعداء عنها .

(٣) يقول : إن كان نازلاً في وطنه وهب أمواله حتى تفارق خزائنه ، وإن سار للحرب فرق بين جسوم أعدائه وبين رؤوسهم ، يصفه بالكرم والشجاعة .

(٤) تقدير البيت هكذا : إذا عاديت نفسك ورضيت أوحش ما كرهت أنيساً فعاده ولكنه حذف الفاء ضرورة . قال الواحدى : ولا يجوز أن يريد بعاده التقديم كأنه قال ملك عاده إذا عاديت نفسك ، لأن ما بعد ملك من الجملة صفة له . وقوله : عاده . أمر والأمر لا يوصف به ، لأن الوصف لا بد من أن يكون خبراً يحتمل الصدق والكذب ، والأمر والنهي والاستفهام لا تحتمل صدقاً ولا كذباً . يقول المتنبي : إن عاديته فقد

أن تحملاً حاجة لي خف بحملها وتصنعا نعمة عندي بها ويداً ولا يعلم قائل هذه الأبيات . وقوله : فدت نفسى الخ جملة دعائية ، وكذا قوله : لاقيتما الخ . والرشد — محركا — الاهتداء إلى الصواب . وقوله أن تحملاً : قيل أن « إن » هذه شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبله عليه ، وقيل أن مفتوحة مصدرية ، وهى وما دخلت عليه منصوب بفعل مقدر . أى أسألكم ، وأن تقرأن : بدل منه . ومحملها : مصدر ميمي ، أى حملها . وقوله بها : أى بحملها ؛ ويداً : عطف مرادف على النعمة ، وويحكاً معترض بين تقرأن وبين مفوله . وهو السلام ، وويح : كلمة ترحم .

الْحَائِضَ الْعَمْرَاتِ غَيْرَ مُدَافِعٍ وَالشَّمْرِيَّ الْمَطْعَنَ الدَّعِيسَا (١)
 كَشَفْتُ جَهْرَةَ الْعِبَادِ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا مَسُودًا جَنْبَهُ مَرْمُوسًا (٢)
 بَشْرٌ تَصَوَّرَ غَايَةً فِي آيَةٍ تَنْفِي الظُّنُونَ وَتُقْسِدُ التَّقْيِيسَا (٣)

عاديت نفسك ورضيت أوحش الأشياء — وهو الموت — أنيسا ، أى أن من عاداه أتى عليه وقتله لقدرة .

(١) نصب الحائض بفعل مضمر : كأنه قال : أردت ، أو مدحت الحائض ولك أن تجمله بدلا من الماء في «عاده» والعمرات: الشدائد ؛ والشمري — بفتح الشين وكسرها الجاد الشيخ في أمره ؛ والمطعن : الجيد الطعن ؛ والدعيس : فعيل ، من الدعس ، وهو الطعن ، يقول : هو الذى يخوض شدائد الحروب فلا يدافعه أحد للجز عنه .

(٢) جمهرة الشيء وجمهوره : أكثره ومعظمه ، ونصب جنبه : تشبيها بالظرف أراد أنه بالإضافة إليه مسود ومرؤوس ، كما يقال : هذا حقير في جنب هذا . والمسود : من ساده غيره : يقول : بلوت جمهور الناس فلم أجد أحداً إلا والمدوح فوقه في السيادة والرياسة ، يعنى هو رئيس على الناس ، سيد لهم .

(٣) غاية الشيء : منتهاه ، وحده الذى لا يعدوه ؛ والآية : العلامة ، وأكثر ما تستعمل الآية في العلامة على قدرة الله سبحانه ، كما قال أبو العتاهية :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدْرِكُ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

يقول : إن الله صورته بشراً وجعله غاية للناس تنهى إليها كآلاتهم بأسرها وكان ذلك الخلق في آية من خوارق العادات تنفي بها ظنون الناس فيه ، فلا تقع على حقيقة كنهه ، ويفسد قياسهم له غيره ، لأن الشئ إنما يقاس بمثله ولا مثل له . وقال ابن جني : أنت الذى صورك الله بشراً ينفي الظنون حتى لا يتم في حال ولا تسبق إليه ظنة . . . وليس هذا من ظن التهمة ، وإنما هو من الظن الذى هو الوهم : أى أنه إنسان لا كالناس لما فيه من صفات ليست فيهم ، وقد وقع للناس الشبهة والشك في أمره وأفسد مقايستهم عليه ، وعبرة الواحدى : إن ظننته بجرأ أو بدرأ أو سيداً أو شمسا فليس على ما ظننت بل هو أفضل من ذلك ، وفوق ما ظننته : أى أنه غاية في الدلالة على قدرة الله تعالى حين خلق صورته بشراً آدميا ، وفيه مالا يوجد في غيره حين نفي ظنون الناس ، فلا يدرك بالظن ، وأفسد مقايستهم ؛ لأن الشئ يقاس على مثله ونظيره ، وهو لا نظير له فيقاس عليه . وفي معناه .

وَبِهِ يُضْنُ عَلَى السَّبْرِيَّةِ لَا بِهَا
 لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ
 أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفِهِ
 أَوْ كَانَ لُجُّ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ
 أَوْ كَانَ لِلنَّبِيرَانِ ضَمُّهُ جَبِينِهِ
 لَمَا سَمِعَتْ بِهِ سَمِعَتْ يَوْاحِدٍ
 وَعَلَيْهِ مِنْهَا لَا عَلَيْهَا يُوسَى (١)
 لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسًا (٢)
 فِي يَوْمٍ مَعْرَكَةٍ لِأَعْيَا عِيسَى (٣)
 مَا أَنْشَقَّ حَتَّى جَارَ فِيهِ مُوسَى
 عُبِدَتْ فَصَارَ الْعَالَمُونَ مَجُوسًا
 وَرَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ خَيْسًا (٤)

أنت الذي لو يعاب فح ملأ ما عيب إلا بأنه بشر

(١) الضن : البخل بالثمن ؛ والبرية : الخليفة . وقوله منها : أى من بينها ، وهو في موضع الحال من الضمير في «عليه» ويوسى : يحزن . تقول : أسيت عليه أسى : حزنت عليه ؛ وأصله يؤسى ؛ فلين للقافية . يقول : إنه يضن به على الناس جميعا لا بالناس عليه . أى لو جعل هو فداء جميع الناس بأن يسلموا هم كلهم دونه لم يساواوا قدره ، ولو جعلوا كلهم فداء له لم ييخل عليه بهم ، لأنه أفضل منهم ، فيه منهم خلف ولا خلف منه في جميع الناس ، وعليه يحزنون لو هلك لا على الناس كلهم . والمصراع الثانى كالتفسير للأول وقال ابن جنى : وجه الضن هنا أن يكون فيهم مثله حسداً لهم عليه . قال الواحدي : وهذا محال باطل . لأنه إذا بخل به التنبى على الناس فقد تمى هلاكه ، وأن يفقد من بين الناس حتى لا يكون فيهم .

(٢) حديث الإسكندر ودخوله في الظلمات معروف . يقول : لو استعمل ذوالقرنين رأى للمدوح لأضامت له تلك الظلمات ؛ وهذا وما بعده من العلو للذموم . ومثله قول الآخر :

لو كان في الظلمات شغشع كاسها ما جاز ذوالقرنين في الظلمات
 وقول الآخر :

لو أن ذوالقرنين في ظلماته ورآه يضحك لاستضاء بثغره

(٣) عازر . رجل من بنى إسرائيل ، أحياء الله تعالى بدعاء سيدنا عيسى . يقول : لو كان قتل بسيفه في الحرب لأعجز عيسى إحياءه .

(٤) الخسيس . الجيش العظيم يقول : إنه يقوم بنفسه مقام الجيش ويفى غناؤه ، وهو

وَلَخَطْتُ أَنْمَلَهُ فَسَلِنَ مَوَاهِبًا وَلَمَسْتُ مُنْصَلَهُ فَسَالَ نَفُوسًا^(١)
يَا مَنْ نَلُوذُ مِنَ الزَّمَانِ بِظِلِّهِ أَبَدًا وَنَطْرُدُ بِأَسْمِهِ إِبْلِيسًا^(٢)
صَدَقَ الْمُخْبِرُ عَنْكَ دُونَكَ وَصَفَهُ مِنَ الْعِرَاقِ يَرَاكَ فِي طَرْسُوسًا^(٣)

كما يقول ابن جنى — ضد قولك أن تسمع بالمعدي خير من أن تراه ، والله أبو تمام حين يقول :

لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَعَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَّهَا فِي جَحْفَلِ جَلْبِ
ويقول :

تَبَّتْ الْمَقَامَ يَرَى الْقَبِيلَةَ وَاحِدًا وَيُرَى فَيَحْسَبُهُ الْقَبِيلُ قَبِيلًا
ويقول ابن الرومي :

فَرَدُّ وَحِيدٌ يَرَاهُ النَّاسُ كُلَّهُمْ كَأَنَّهُ النَّاسُ طَرًّا وَهُوَ إِنْسَانُ
(١) مواهبا ونفوسا : تميزان ؛ والمراد بالأنمل . الأصابع ؛ والنصل : السيف . قال الواحدى . لحظ الأنامل كناية عن الاستمطار ، ولس النصل كناية عن الاستنصار . يقول : تعرضت لعطائه فبالت بالمواهب أنامله ، وتعرضت لإعائه إياى فسال سيفه بنفوس أعدائى وأرواحهم لأنه قتلهم . قال البحرى .

تلقاه يقطر حَيْفُهُ وَسِنَانُهُ وَبَنَانِ رَاحَتِهِ نَدَى وَنَجِيمَا
« نجيماً : دماً » ؛ ولدعبل .

وعلى أيماننا يجرى الندى وعلى أسيافنا تجرى المهج

(٢) يقول : إذا أصابتنا شدة من الزمان لجأنا إليه فكفاننا ذلك : أى نهرب إلى ظله وجواره من جور الزمان ، وإذا ذكرنا اسمه هرب الشيطان خوفا ورعباً منه . قال العكبرى : ولأن اسم المدوح محمد — وهو اسم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه — والشيطان يطرد بذكر الله ورسوله .

(٣) وصفه : مبتدأ ؛ ودونك . الخبر . يقول : إن الذى أخبر عنك مادحا مثنيا قد صدق ، ووصفه لك دون ما تستحقه ، وهنا تم الكلام ، ثم قال : من بالعراق يراك فى طرسوس : أى لأن آثاره ظاهرة . وذكره شائع ، فكأن من بالعراق يراه وهو بطرسوس ؛ والمراد التعميم : أى إن آثاره قد عمت . وقال الواحدى : من بالعراق يراك فى طرسوس : أى ليله إليك وعجته إياك كأنه يراك ، كما قال كثير :

بَلَدٌ أَقَمْتَ بِهِ وَذِكْرُكَ سَائِرٌ يَشْنَأُ الْمَقِيلَ وَيَكْرَهُ التَّعْرِيسَ^(١)
فَإِذَا طَلَبْتَ فَرِيصَةَ فَارْقَتَهُ وَإِذَا حَدَرْتَ تَحَدَّثَهُ عَرِيصًا^(٢)

أريدُ لأنسى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا
وَمَا قَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثَالَهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَحُلْ مِنْ مَكَانٍ

(١) يشنا: أراد يشنا - من شنأت: أى أبضت - والمقيل: القيولة - النوم -
وقت القائلة - الظهيرة - والتعريس: النزول في آخر الليل للراحة؛ والضمير في يشنا
ويكره: للذكر. يقول: إن طرسوس بلد أنت به مقيم وذكرك سائر في البلاد كلها
ليلا ونهاراً لا يتوقف ولا يطلب المقيل ولا التعريس. وهو من قول أبي تمام:

جَرَّرْتُ فِي مَدْحِكَ حَبْلَ قِصَائِدٍ جَالَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُقِيمٌ
(٢) خدر الأسد وأخدر: غاب في أجمته ولزمها؛ ويقال أخدر فلان في أهله:

أى أقام فيهم: وأنشد الفراء:

كَأَنَّ تَحْتِي بِأَزْيَا رَكَضًا أَخْدَرَ خَسًا لَمْ يَذُقْ عَضَاضًا^(١)

وأسد خادر: مقيم في عرينه داخل في الحدر - أى الأجمة - وأسد مخدر أيضاً. قالت
ليلى الأخيلية:

فَتَى كَانَتْ أَحْيَا مِنْ فَتَاةِ حَيِّبَةٍ وَأَشْجَعَتْ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَّانِ خَادِرٍ^(٢)

وتخذت: بمعنى اتخذت. والعريس والعريسة: أجمة الأسد وعرينه، شبه المدوح
بالأسد فاستمار له هذه الأشياء. يقول: هذا البلد لك بمنزلة العرين للأسد تفارقه
عند طلب الهريسة: أى العدو، وتأوى إليه بعد ذلك كما يأوى الأسد إلى عرينه،
وفيه نظر إلى قول ابن الرومي:

هُوَ اللَّيْثُ طَوْرًا بِالْعِرَاقِ وَتَارَةً لَهُ بَيْنَ آجَامِ الْقَنَا مُتَأَجِّمٌ

(١) لم يذوق عضاضاً: أى ما يعض عليه. يريد أن هذا البازي أقام في وكره خمس
ليال مع أيامهن لم يذوق طعاماً، ثم خرج بعد ذلك يطلب الصيد، وهو قزم إلى اللحم
شديد الطيران، فشبّه ناقته به.

(٢) خفان: مأسدة.

إِنِّي نَثَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَانْتَقَدَ كَثُرَ الْمُدَّنُ فَاحْذَرِ التَّدْلِيْسَ (١)
 حَجَبْتُهَا عَنْ أَهْلِ أَنْطَاكِيَّةِ وَجَلَوْتَهَا لَكَ فَاجْتَلَيْتَ عَرُوسًا (٢)
 خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى الْقُصُورِ وَشَرُّهَا يَاوَى الْخَرَابِ وَيَسْكُنُ النَّاوُوسَا (٣)

(١) تقول : نقدت الرجل الدراهم والدنانير : إذا أعطيته إياها فانتقدتها : أى أخذها ؛ هذا هو الأكثر في كلام العرب ؛ وقد يستعملان في تمييز الجيد ونقي الزيف . يقال : نقد كلامه وانتقده ، وكذلك في الدراهم والدنانير ، وهو المراد هنا . شبه شعره الذى مدحه به بدر نثره عليه . والتدليس إخفاء العيب فى السلعة . يقول : كثر المدلسون من الذين يبيعون الشعر ، فاحذر تدليسهم عليك ، وانتقد ما نثرت من در الشعر عليك لتعرف جيد الشعر من رديئه . وصدر البيت من قول أبى نواس :

نَثَرْتُ عَلَيْكَ الدَّرَّ يَا دُرَّ هَاشِمٍ فَيَا مَنْ رَأَى دُرًّا عَلَى الدَّرِّ يُنْثِرُ
 وعجزه ينظر إلى قول ابن الرومى :

أول ما أسأل من حاجةٍ أن يُقرأ الشعرُ إلى آخره
 ثم كفانى بالذى ترتى فى جودَةِ الشعرِ وفى شاعره

(٢) الضمير فى حجبتها وجلوتها : للقصيدَة ، وإن لم يجر لها ذكر ، وإنما ذكر الدر ، وجلا العروس على بعلها : عرضها عليه سافرة فاجتلاها هو : أى نظر إليها كذلك . جعل قصيدته التى مدحه بها كالعروس . يقول : حجبتها عن أهل هذا البلد - أنطاكية - أى لم أمدحهم بها - يعرض بعض الأكاير - ثم أظهرتها لك وعرضتها عليك كما تعرض العروس وتجلى على الزوج فاجتليت منها عروسا ، وخصصتك بها دون غيرك ؛ وعروسا : حال من القصيدة . قال الواحدى : ويجوز أن يكون حالا من المدوح لأن العروس يقع على الذكر والأنثى ، وهذا إذا أراد فاجتليتها : أى قدر ضميراً ؛ وإذا لم يقدر فهى مفعول لاجتليت .

(٣) الناووس والناءوس : مقبرة النصارى والمجوس ، دخيل ، ويطلق على حجر منقور تجعل فيه جثة الميت ؛ وهذا مثل . يقول : خير الشعر ما يمدح به الملوك كالطيور النفيسة - مثل البزاة - تطير إلى قصور الملوك ، وشعر الشعر ما يمدح به الثام والأراذل كالطيور التى تأوى إلى الخراب والمقابر يعنى : أنت خير الناس وكلاهما خير الكلام فأنت أولى به . يعرض بالذين لم يمدحهم من أهل أنطاكية . هذا ويقال : أويت منزلى وأويت إلى منزلى : أى عدت .

لَوْ جَادَتِ الدُّنْيَا فِدَّتَكَ بِأَهْلِهَا أَوْ جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَيْسًا^(١)

* *

ودس عليه كافور من يستعلم ما في نفسه ، ويقول له قد طال قيامك عند هذا الرجل ، فقال :

يَقِيلُ لَهُ الْقِيَامُ عَلَى الرَّهْمُوسِ وَبَذَلَ الْمُكْرَمَاتِ مِنَ النَّفُوسِ^(٢)
إِذَا خَانَتْهُ فِي يَوْمٍ ضَحُّوكِ فَكَيْفَ تَكُونُ فِي يَوْمِ عَبُوسِ^(٣)

وقال يهجو كافوراً ، وقد خرج من عنده .

أَنُوكُ مِنْ عُبْدٍ وَمِنْ عَرْسِهِ مَنْ حَكَّمَ الْعَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ^(٤)

(١) الحبيس : المحبوس ، وهو الوقف الذي لا يباع ولا يوهب . يقول : لو كانت الدنيا ذات جود لأبقيت عليك وفدتك بمن فيها ، أو لو كانت غازية مجاهدة في سبيل الله لجلعت نفسها وقفاً محبوساً عليك ، فكانت لا تغزو إلا لك وعنك وبأمرك . وإنما قال هذا : لأن المدوح كان على الثغور في وجه الروم يجاهد في سبيل الله .

(٢) يقول : يقل له أن تقوم في خدمته ولو على الرءوس وأن نبذل في خدمته النفوس المكرمة ؛ وتروى المكرمات - بفتح الميم وضم الراء - أى الأفعال الكريمة . والله قول أبي تمام :

لَوْ يَقْدِرُونَ مَشَوْا عَلَى وِجَنَاتِهِمْ وَخَدِدِهِمْ فَضَلَا عَنِ الْأَقْدَامِ

(٣) الضمير في خاتته : للنفوس ؛ والعبوس : الكريه . يقول : إذا خانتها النفوس فلم تهم بحقه ولم تخدمه في السلم ، فكيف تخدمه في الحرب ؟

(٤) النوك : المحق ؛ والأنوك : الأحمق ؛ وعرسه : زوجته ، يريد بها الأمة . ومن حكم : مبتدأ ؛ خبره : ما قبله . يقول : الذي يجعل العبد حاكماً على نفسه أحمق من العبد ومن عرس العبد : أى أمته . ولك أن تقول : من يكون في طاعة العبد أحمق من العبد ومن المرأة ؛ فقله : من عرسه ، أى من عرس نفسه ، يعنى المرأة . وهذا عتاب يعاتب به نفسه حين قصد الأسود فاحتاج إلى أن يطيهه .

وَإِنَّمَا يُظْهِرُ تَحَكِيمَهُ تَحَكَّمَ الْإِفْسَادِ فِي حِسِّهِ (١)
 مَا مَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي وَعْدِهِ كَمَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي حَبْسِهِ (٢)
 الْعَبْدُ لَا تَفْضُلُ أَخْلَاقَهُ عَنْ فَرْجِهِ الْمُنْتَنِ أَوْ ضَرْبِهِ (٣)
 لَا يُنْجِزُ لِلْمِعَادِ فِي يَوْمِهِ وَلَا يَبْعِي مَا قَالَ فِي أَمْسِهِ (٤)
 وَإِنَّمَا تَحْتَالُ فِي جَنْبِهِ كَأَنَّكَ الْمَلَّاحُ فِي قَلْبِهِ (٥)

(١) يقول: إن من حكم العبد على نفسه: يدل تحكيمه هذا على سوء اختياره، وسوء الاختيار يدل على تحكم الفساد في الحس. والحس، أو الحس المشترك أو الحس الباطن - وهو الذي أطلق عليه بعض متأدبي عصرنا (العقل الباطن) خطأ - هو - كما جاء في تعريفات السيد الجرجاني - القوة التي ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة، فالحواس الخمس الظاهرة كالحواسيس لها، فتطلع عليها النفس من نعمة فتدركها. قال: ومحلّه مقدم التحديد - الأول من الدماغ كأنها عين تتشعب من خمسة أنهار. وقد عرفه أحد فلاسفة الفرنجة - كلود برنار - قال: هو جملة التغيرات الحاصلة في الجسم الحي بواسطة الهيجات، أو هو تكيف في التأثير لكيفية في المؤثر، ويسميه أهل اللغة: الإدراك.

(٢) أي الذي يرى أنك في وعده يحسن إليك؛ والذي يرى أنك في حبسه يسئ إليك. يريد أنه مرهون في مواعيد كافور ولكن كافوراً يعامله معاملة المحبوس عنده؛ فلا هو يفيه ما وعده، ولا هو يؤسسه فيجعل حبله على غاربه فيرتحل. وقال الخطيب التبريزي: إنما أراد أن العبد جاهل بحق مثله، فهو يرى أنه في حبسه، فليس له منه مخلص فما يبالي به. والحر الكريم يرى أنك في وعده فهو يضيق الإنجاز فيما وعد.

(٣) يقول إن همة العبد مقصورة على فرجه وبطنه فلا فضل فيها عن هذين لمكرمة وبر وإحسان. يصفه بقصر الهمة عن العالي.

(٤) الضمير في يومه: للميعاد؛ وفي أمسه: لكافور. يقول: لا ينجز للميعاد في يومه الذي وعد أن ينجزه فيه ولا يحفظ ما قاله بالأمس؛ يعني أنه لفلته وسوء فطته: ينسى ما يقوله.

(٥) القلس. جبل للسفينة ضخم تجذب به. يقول: إن كافوراً لا يأتي مكرمة بطبعه، بل تحتال فتجذبه كما يجذب الملاح - البحار - السفينة لتجري؛ يعني أنه يجر إلى فعل الخير بقوة وصعوبة كما تجر السفينة من الانحدار إلى الإصعاد، وهو لا يتفق

فَلَا تُرْجُ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ
مَرَّتْ يَدُ النَّحَّاسِ فِي رَأْسِهِ (١)
وَإِنْ عَرَكَ الشَّكُّ فِي نَفْسِهِ
بِحَالِهِ فَأَنْظِرْ إِلَى جِنْسِهِ (٢)
فَقَلَّمَا يَلُومُ فِي تَوْبِهِ
إِلَّا الَّذِي يَلُومُ فِي غَرَسِهِ (٣)
مَنْ وَجَدَ الْمَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ
لَمْ يَجِدِ الْمَذْهَبَ عَنْ قَنْسِهِ (٤)

وشنشتها ، لأنها تطلب جريان الماء لتتحدرم معه سريعة ؛ وإذا جذبت إلى الإصعاد أتعبت الجاذب لها ، وكذا كافور قد تعود البخل واللؤم ؛ فإذا جذب إلى فعل الخير صعب عليه لأنه ضد عاداته .

(١) النحاس : الذي يبيع الدواب لأنه ينخسها لتنشط ، ويطلق على بائع الرقيق . ورجاه ورجاه - بالتشديد - وترجاه : بمعنى . وفي رأسه : أي على رأسه ومثله قوله تعالى « ولأصلبكم في جذوع النخل » . يقول : لا تأمل الخير من عبد قد رأى الهوان والذلة وسبق للبيع كما تساق الدواب .

(٢) عراك : اعتراك وغشيك وألم بك . يقول : إن شككت في حاله بالنظر إلى نفسه ولم تعرفه : فقسه بغيره من العبيد . فإنك لا ترى أحداً منهم له مروءة وكرم ، وبحاله : يروى بحالة .

(٣) الفرس : جلدة رقيقة تخرج على رأس الولد عند الولادة . يقول : إن اللؤم طبيعة ، طبع عليها اللئيم في غرسه ، فمن كان لئيماً في كبره فإنما كان مولوداً على اللؤم .

(٤) القنس - بفتح القاف وكسرهما - الأصل . يقول : من ذهب عن قدر استحقاقه في الدنيا فقال ملكاً أو ولاية أو غنى وهو لا يستحق ذلك لم يذهب عن أصله في اللؤم ، لأن الأشياء تعود إلى أصولها ، والعرق نزاع ، فمن كان لئيم الأصل فهو ينزع إلى ذلك اللؤم .

وأحضر أبو الفضل بن العميد مجرة محشوة بالزرجس والآس حتى خفيت نارها
والدخان يخرج من خلال ذلك ؛ فقال مرتجلا :

أَحَبُّ أَمْرِيءِ حَبَّتِ الْأَنْفُسُ وَأَطْيَبُ مَا شَمَّهُ مُفْطِسٌ (١)
وَنَشْرٌ مِّنَ النَّدِّ لَكِنَّمَا مَجَامِرُهُ الْآسُ وَالزَّرْجِسُ (٢)
وَلَسْنَا نَرَى لَهَا هَاجَهُ فَهَلْ هَاجَهُ عِرْكَ الْأَقْسِ (٣)

(١) للمفطس : الأنف : يقول : أنت أحب امرئ حبته النفوس ، وهذا الند
أطيب رائحة شمها الأنف . وحذف الابتداء من الجملتين لأن المخاطبة والحال دللتا عليه ،
هذا : والأكثر أن يقال أحبه فهو محب وهو محبوب - طى غير قياس - وقد قيل محب -
على القياس - وقال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذاً فى الشعر ، قال عنتره :

ولقد نزلت فلا تظننى غيره مئى بمنزلة المحب المكرم (١)

قال الفراء : وجبته : لغة ، وقال غيره : وكره بعضهم حبيته ، وأنكر أن يكون
هدا البيت لفصيح ، وهو قول عيلاق بن شعاع النهشلى :

أَحِبَّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْقَى
فَأَقْسَمُ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَيْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَذْنَى وَمُشْرِقٌ

وجه يحبه - بالكسر - فهو محبوب . قال الجوهري : وهذا شاذ ، لأنه لا يأتي
فى المضاعف : يفعل - بالكسر - إلا ويشركه يفعل - بالضم - إذا كان متعدياً ،
ما خلا هذا الحرف . هذا : وروى أحب وأطيب : بالنصب على النداء .

(٢) ونشر : عطف على خبر الابتداء المحذوف ، كأنه قال : وأطيب ماشمه الأنف
هذا البخور ونشر من الند ؛ أو الواو زائدة - على حد قوله تعالى : « حتى إذا جاءوها
وفتحت أبوابها » - والنشر : الرائحة ؛ والمجامر : الباخر . يقول : إن هذا النشر
من الند إلا أن مجامره الآس والزرجس ، وليس بمعروف عنهما أن يخرج
منهما الدخان .

(٣) الأقس - ومنه العزة القعاء : الثابت ، وقيل : العالى المرتفع

(١) من ملقعة عنتره . ونزلت : خطاب مع محبوبته عبلة . وقوله : فلا تظننى غيره
جملة معترضة بين نزلت ومنى . فإن منى : متعلقة بنزلت . يقول : ولقد نزلت من قلبى
منزلة من يحب ويكرم . ومفعول ظن الثانى : محذوف : أى فلا تظننى غيره واقما : أى
غير نزولك منى منزلة المحب .

وَإِنَّ الْفِتَامَ الَّتِي حَوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرُوسَ^(١)

* * *

الذى لا يوضع ظهره على الأرض ، كالأقمس الذى لا ينال ظهره الأرض . يقول : لا ترى نارا هيئت ریح هذا الند ، فهل هاجه عزك الأقمس ؟ فهذه زفرات نار حسده لعزك .
(١) الفتام : الجماعات من الناس . ويروى القيام . جمع قائم . قال بعض الشراح :
وليس بجائز إلا إن قال : الذين حوله . يقول : ليس بدعاً أن يحسد الند عزك ، فإن هؤلاء الطوائف اللتين حولك لخدمتك تحسد رءوسهم أرجلهم ، لأنها وقفت في خدمتك على الأرض ، وكان بود الرؤوس أن تكون هي الواقفة مكانها . وقال ابن جنى : لأنها تباشر الأرض التي باشرها المذبوح لسعيها إليه ، فهي كقوله أيضاً :

خير أعضائنا الرؤوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

قافية الشين

وقال يمدح أبا العشائر على بن الحسين بن حمدان ويذكر إيقاعه بأصحاب
بافيس ومسيره من دمشق :

مَبِيَّتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشٍ حَشَاهُ لِي بِحَرِّ حَشَايَ حَاشٍ (١)
لَقِيَ لَيْلٍ كَعَيْنِ الظَّنْبِيِّ لَوْنًا وَهَمَّ كَالْحَمِيَاءِ فِي الْمَشَاشِ (٢)

(١) مبيق : اسم مكان ، ومن دمشق : بيان لمبيق ؛ وعلى فراش : خبر مبيق ؛
وحشاه الخ : في موضع الصفة لفراش : يصف شدة هواء وحرارة قلبه من الحب ، يقول:
إني أتيت من دمشق على فراش حار حتى بحرارة قلبي من الهوى : يعنى حرارة الهوى
وأن فراشه صار حاراً لذلك . وأنه يبيت ساهراً من ثم .

(٢) لقي : حال ؛ أى أبيت على فراش حال كوني لقي ليل اللقي : التواء اللقي .
والحميا : سورة الحجر . والمشاش : رهوس العظام الرخوة . وعين الظبي : يضرب بها
المثل في السواد ، ولونا : تميز . يقول : إننى طريح ليل أسود ، وهم قد خالطه وتمشى
فيه تمشى الحجر في العظام ، وفيه نظر إلى قول أبي نواس :

وتمشت في مفاصلهم كتمشى البرء في السقم
والمصراع الأول من قول أبي تمام :

* إِلَيْكَ تَجَرَّعْنَا دُجَى كَجِدَادِنَا *

ومثله قول التنوخي :

والليلُ كالتَّاكِلِ فِي إِحْدَادِهَا وَمُقَلَّةِ الظَّنْبِيِّ إِذَا الظَّنْبِيُّ رَنَا
والثاني من قول زهير :

فَظَلْتُ كَأَنِّي شَارِبٌ مِنْ مُدَامَةٍ مِنَ الرَّاحِ تَسْمُو فِي الْمَفَاصِلِ وَالْجِسْمِ
ومثله قول الأبيرد :

عَسَاكِرُ تَغَشَى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّي

أخو سكرة دارت بهامته الحجر

وَشَوْقٍ كَالْتَوْقَدِ فِي فُؤَادِ كَجَفَرٍ فِي جَوَانِحِ كَالْمِحَاشِ (١)
 سَقَى الدَّمُ كُلَّ نَضَلٍ غَيْرِ نَابِ وَرَوَى كُلَّ رُمَحٍ غَيْرِ رَاشِ (٢)
 فَإِنَّ الْفَارِسَ الْمَنْعُوتَ خَفَّتْ لِمَنْضَلِهِ الْفَوَارِسُ كَالرَّيَاشِ (٣)
 فَقَدْ أَضْحَى أَبَا الْغَمْرَاتِ يُكْنَى كَانَ أَبَا الْعَشَائِرِ غَيْرُ فَاشِ (٤)
 وَقَدْ نَمَى الْحُسَيْنُ بِمَا يُسَمَى رَدَى الْأَبْطَالَ أَوْ غَيْثَ الْعِطَاشِ (٥)
 لِقُوهِ حَاسِرًا فِي دِرْعِ صَرْبِ دَقِيقِ النَّسْجِ مُلْتَهَبِ الْخَوَاشِي (٦)

(١) وشوق : عطف على ليل ، والمحاش - بضم الميم وكسرها - ما أحرقتة النار ، تقول : امتحش الحبز ، أى احترق . ومحشته النار وامتحشته : أحرقتة . شبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء ، شوقه : بتوقد النار ، وقلبه - الذى هو محل الشوق - بحجر النار . وجوانحه - أضلاعه - بشواء أحرقتة النار .

(٢) يدعو بالسقيا لكل فصل - سيف - لا ينبو عن الضريبة - أى لا يكل ولا يرتفع - ولكل رمح غير راش - أى غير ضعيف خوار .

(٣) المنعوت الموصوف : أى الذى توأصف الناس شجاعته وسار بينهم ذلك وعرفوه بهذا الوصف ، يعنى به أبا العشار . وهذه رواية الخوارزمي : وروى ابن جنى المنعوت وهو الذى بفته الشيء : أى فاجأه ، يريد ما كان قد عرض لأبى العشار من الجيش الذى كبسه بأنطاكية ، وكان قد أبلى ذلك اليوم بلاء حسنا ، وخفت لمنضله - سيفه - الفوارس : أى تطايرت الفوارس عن سيفه تطاير الريش .

(٤) يقول لكثرة خوضه الغمرات - الشدائد - والتباسه بالحرب وأهوالها : صار يكنى أبا الغمرات ، وعرف بذلك حتى كأن كنيته المعروفة - أبا العشار - غير فاشية ، إذ غمرتها هذه وأخملتها .

(٥) الردى : الهلاك ، وما - فى قوله بما يسمى - مصدرية : أى بتسميته ردى الأبطال ، والنيث : المطر . يقول : وقد نسي اسمه العلم - وهو الحسين بما سموه - به من ردى الأبطال - أى هلاك الشجعان - أو غيث العطاش ، يعنى إن صفق الشجاعة والجود غلبتا على اسمه المشهور حتى ترك ، فلا يسمى إلا بهذين .

(٦) الحاسر : الذى لا درع له ، وهو حال ، وفى درع ضرب : حال أخرى . يقول : لقوه ولا درع عليه ، لأنهم فاجأوه ، ثم قال : لكنه من ضربه الأعداء فى درع ،

كَانَ عَلَى الْجَمَاجِمِ مِنْهُ نَارًا وَأَيْدِي الْقَوْمِ أَجْنِحَةُ الْفَرَاشِ (١)
 كَانَ جَوَارِي الْمُهْجَاتِ مَاءً يَمُودُهَا الْمَهْنَدُ مِنْ عَطَاشِ (٢)
 فَوَلَّوْا بَيْنَ ذِي رُوحٍ مَفَاتٍ وَذِي رَمَقٍ وَذِي عَقْلِ مُطَاشِ (٣)
 وَمُنْعَفِرٍ لِنَصْلِ السَّيْفِ فِيهِ تَوَارِي الضَّبِّ خَافَ مِنْ احْتِرَاشِ (٤)
 يَدْمِي بَعْضُ أَيْدِي الْخَيْلِ بَعْضًا وَمَا بِمُعَايَةِ أَثَرِ لَمْرَتِهَاشِ (٥)

لأن ضربه بالسيف يحميه ، ثم شبه الآثار الدقيقة على سيفه بالنسج الدقيق ، وكفى عن بريقه بأنه ملتهب الحواشي . وللغنى : أن ضربه الأبطال يصد عنه كما يصد الدرع . (١) يقول : كأنه يحرق الجمجم لشدة ضربه إياها ، ولأن سيفه يلمع كالنار عليها ، وكان أيدي القوم أجنحة الفراش لأنها تطير بضربه إياها ، فشبه أيدي القوم المقطعة حوله بالفراش الذي يتهافت على النار .

(٢) المهجة : دم القلب ، والمهند : السيف ، والعطاش : شدة العطش ، وهو من باب فعال - الذي للأدواء : كصداع وزكام - شبه ما أجرى من دماء قلوب الأعداء بالماء وجعل سيفه يعاودها مرة بعد مرة : كالعطشان يعاود الماء ، يقول : إن سيفه لا يزال يعاود دماء أعدائه كأنه عطشان يعاود شرب الماء .

(٣) مفات : مفعول - من الفوت - أي حيل بينه وبين روحه ؛ يقال أفاته الشيء : أي جعله يفوته ؛ والروح ؛ يذكر ويؤنث ، وتذكيره أكثر ، والرمق : بقية الروح . يقول : فانهزموا عنه وهم بين مقتول قد فارقه روحه ، وآخر به رمق ، وثالث قد عقله : أي ذهب وتحير لما لاقى من الأهوال .

(٤) المنفر : التلطح بالفر ، وهو التراب ؛ ولنصل : خير مقدم ، وتواري : مبتدأ مؤخر ، والتواري : الاختفاء . والاحتراش : صيد الضب . يقول : قد غاب السيف في هذا المنفر كما يغيب الضب في جحره خشية الاحتراش : أي الصيد .

(٥) المعاية : عصبة في اليد فوق الحافر ، والارتهاش : أن تصك الدابة إحدى يديها بحافر الأخرى ، حتى تدمى الرواهش وهي عصب الذراع . يقول : انهزمت الخيل بين يديها هاربة وهي تعوص في دماء القتلى فيلطح بعض أيديها بعضاً بالدم فكأن بها ارتهاشا ولم يكن ثم ارتهاش لأن أيديها سليمة . وقال ابن القطاع في قوله يدمى وفي البيت بعده : يريد أن المدوح لا نظير له في شجاعته ولا له قرن يصادمه ، وضرب الثل بأيدي الخيل ، ويريد : لا يقا تل الرجال إلا أكفاؤها .

وَرَائِعُهَا وَحَيْدٌ لَمْ يَرَهُهُ تَبَاعُدُ حَيْشِهِ وَالْمُسْتَجَاشُ (١)
كَأَنَّ تَلَوَّى النَّشَابِ فِيهِ تَلَوَّى الْخُوصِ فِي سَعْفِ الْعِشَاشِ (٢)

(١) رائعها : مزرعها ومخوفها ، والمستجاش : الذى يطلب منه الجيش ، يقول : إن الذى أفرغ الخيل وحيد أغار عليها بنفسه لم يحمه بعد جيشه عنه وانفراده هو منه ، ولا بعد سيف الدولة الذى يستجيشه : أى يطلب منه الجيش ، لأن المدوح - وهو أبو العشار - كان عاملا على أنطاكية من قبل سيف الدولة .

(٢) الخوص : ورق النخل ، والسعف : أغصانها ، والعشاش : جمع عشة ، النخلة إذا قل سعتها ودق أسفلها ، وقد عشتت النخلة : قل سعتها ودق أسفلها ، وشجرة عشة : دقيقة القضبان ، لثيمة النبات : قال جرير :

فَمَا شَجَرَاتِ عَيْصِكَ فِي قَرَيْشٍ بِنَشَاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاحِي (١)
وَأَمْرَاءِ عِشَةٍ : قَلِيلَةِ اللَّحْمِ : وَرَجُلٍ : مَهْزُولٍ . أَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

* تَضَحَّكَ مِنِّي أَنْ رَأَيْتَنِي عِشًا (٢) *

يريد أنه كان يرمى بالسهم فتلوى فيه كتلوى الخوص وأغصان النخل فلا تنال منه ولا تنفذ من درعه . فهو لشجاعته لا يكثر للطنف ولا الضرب ولا الرمي .

(١) العيص : منبت خيار الشجر . والعيص : الأصل . وفي المثل : عيصك منك وإن كان أشبأ . يعنى أصلك منك ، وإن كان غير صحيح . وما أكرم عيصه ، وم أبأوه وأعمامه وأخواله وأهل بيته ، والضواحي من الشجر القليلة الورق التى تبرز عيداتها للشمس .

(٢) بعده :

* لَبِستُ عَصْرِي عَصْرًا فَاْمَتَشًا *

بَشَاشَتِي وَعَمَلًا فَتَشًا وَقَدْ أَرَاهَا وَشَوَاهَا الْهَمَّشًا

وَمِشْفَرًا إِن تَغَلَّتْ أَرَشًا كَشْفَرِ النَّابِ تَلُوكَ الْفَرِشَا

قوله فامتشا : هو من امتش ماق الضرع إذا حلب جميع مافيه . وكذلك تقول فش الضرع فشا : أى حلب جميع مافيه . والشوى : الأطراف . والحمش : الدقيقة ، وأرش : أى جاء بالرش ، والرش فى الأصل المطر اقليل والفرش الغمض من الأرض فيه العرفط والسلم ، وإذا أكلته الإبل : أرخت أفواهاها .

وَنَهَبُ نَفُوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أَوْلَى بِأَهْلِ الْأَحْسَدِ مِنْ نَهَبِ الْقَمَاشِ (١)
تُشَارِكُ فِي النَّدَامِ إِذَا نَزَلْنَا بَطَانٌ لَا تُشَارِكُ فِي الْجَحَاشِ (٢)
وَمِنْ قَبْلِ النَّطَاحِ وَقَبْلَ يَأْنِي تَبِينُ لَكَ النَّعَاجُ مِنَ الْكِبَاشِ (٣)
فَيَأْبَحُرُ الْبُحُورِ وَلَا أُورَى وَيَأْمَلِكُ الْمُلُوكِ وَلَا أَحَاشِي (٤)
كَأَنَّكَ نَاطِرٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ غَاشٍ (٥)

(١) النهب : الغارة : وأهل النهب : الجيش : والقماش : متاع البيت . يقول :
إن الأعداء هجموا على أنطاكية يريدون نهب أمتعتها ، ولكن أبا العشار نهب نفوسهم ،
ونهب النفوس أليق بالأشراف من نهب الأمتعة ، وهذا من قول أبي تمام :

إِنَّ الْأَسُودَ أَسُودَ الْغَابِ هَمَّتْهَا

يَوْمَ الْكَرْيَهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

(٢) الندام : النادمة على الشراب ، والبطان : جمع بطين ، وهو العظيم البطن
الريغب . والجحاش : المجاشة . وهي المدافعة في القتال : يقول : إذا نزلنا عن الخيل
شاركنا في شرب الخمر رجال ذبونهم يكثرون الأكل ولا يشاركون في
القتال ، ومثله :

يَفِرُّ مِنَ الْكُتَيْبَةِ حِينَ يُلْقَى وَيَثْبُتُ عِنْدَ قَائِمَةِ الْخُوَانِ

(٣) النطاح : مناطحة ذوات القرون ، ويستعمل في الحرب . و« قبل » رواه الخوارزمي
نصباً على الظرف ، ورواه غيره بالحذف عطفاً على ما قبله . ويأني : يحين - من قولهم
أني الشيء يأني إني - أزداد قبل أن يأني : خذف ، يقول : قبل المناطحة وقبل أوانها
يتبين ما يناطح من الكباش مما لا يناطح ، ومن يقاتل ممن لا يقاتل من الأناسي ،
وذلك أن الكباش تتلاعب بقرونها وإن لم ترمد الطعن بها ، وكذلك يتلاعب الناس
بالأسلحة فيعرف من يحسن استعمالها ممن لا يحسن .

(٤) أكثر الرواية : ويا ملك الملوك ، وروى . ويا بدر الدور . وورى الحديث
أخفاء وأظهر غيره . يقول : لا أستر قولي بل أجهر به . ، ولا أحاشي : أي لا أذع
أحدأ ولا أستثنى إنساناً .

(٥) الغاش : الذي يغشاك ويזורك ؛ وغاشية الرجل : الذين يأتونه ويזורونه .
ومنه قول ذي الرمة يصف سفوداً :

أَصْبِرُ عَنْكَ لَمْ تَبْخُلْ بِشَيْءٍ وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَيَّ كَلَامَ وَاشٍ^(١)
 وَكَيْفَ وَأَنْتَ فِي الرُّؤْسَاءِ عِنْدِي عَتِيقُ الطَّيْرِ مَا بَيْنَ الْحَشَاشِ^(٢)
 فَمَا خَاشِيكَ لِلتَّكْذِيبِ رَاجٍ وَلَا رَاجِيكَ لِلتَّخْيِيبِ خَاشِي^(٣)

وَذِي شَمَبٍ شَقِي كَسَوْتَ فَرُوجَهُ لِفَاشِيَةِ يَوْمًا مُقَطَّعةً حُرًّا
 وقال حسان :

يُفْشُونَ حَتَّى مَاتَهُرُهُ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(١)
 يقول المتنبي : إنك من الفطنة والنفاذ وثقوب البصيرة بحيث ترى ما في قلوب الناس وتعلم ما يطلبون ، فليس يخفى عليك حال قاصد إليك وزائر يشاك . ومثل هذا في المعنى قوله الآتي :

وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ وَيَفْضِي عَلَى عِلْمِهِ بِكُلِّ مُمَخْرِقٍ
 (١) (٢) لم تبخل : أي وأنت لم تبخل ، فهي حجة حالية ؛ والاستفهام إنكارى ؛
 والواشي : الخمام ؛ وكيف : حال محذوفة العامل ؛ أي وكيف أصبر عنك ، والعتيق :
 الكريم . والحشاش - بكسر الحاء ، وقد تفتح - صغار الطير نحو المصافير وأضرابها -
 والحشرات . يقول - في البيت الثاني - : وكيف أصبر عنك وأنت بين الرؤساء
 كالكريم من الطير بين صغارها ؟

(٣) يقول : ليس يرجو من يخشى بأسك أن تكذب خوفه لتقته باتقائك وقوة
 بطشك ، فبأسك نازل به لا محالة ، وليس يخشى من رجا إحسانك أن تخيب رجاءه ،
 لأنه على يقين من فيض سخائك ، فأنت موضع الخوف والرجاء ؛ وعبارة ابن جني : ليس
 يرجو من يخشاك أن يلقى من يكذبه ويخطئه في خوفك ، لأن الناس مجمعون على خوفك
 وخشيتك . وعبارة ابن فورجه : يريد : خاشيك نازل به بأسك وواقع به سخطك

(١) يشون - بالبناء للمفعول - أي يتردد إليهم - من غشيه : إذا جاءه - وهو
 الكلب يهر - من باب ضرب - هرباً : إذا صوت ، وهو دون النباح . يعني أن منازلهم
 لا تخلو من الأضياف والعمارة ، فكلابهم لا تهر على من يقصد منازلهم لاعتيادها بكثرة
 التردد إليها من الأضياف . وقوله لا يسألون الخ : أي هم في سعة لا يسألون كم
 نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير - وهو السواد - إذا قصدوا نهوم .
 (٢١ - المعنى ٢)

تَطَاعِنُ كُلَّ خَيْلٍ كُنْتَ فِيهَا وَلَوْ كَانُوا النَّبِيطَ عَلَى الْجَحَاشِ (١)
أَرَى النَّاسَ الظَّلَامَ وَأَنْتَ نُورٌ وَإِنِّي مِنْهُمْ لِأَلَيْكَ عَاشِ (٢)
بِيلِيَتْ بِهِمْ بَلَاءَ الْوَرْدِ يُبْلَقِي أَنْوَفًا هُنَّ أَوْلَى بِالْحَشَاشِ (٣)

واتقاكم ، فما رجو تكذسا لما خافه لشدة خوفه ، ولا راحيك بمعنى أن تخيه لفيض عرفك . وقال الواحدى : الصحيح في هذا البيت رواية من روى :

* فما خشيك للتثريب راج *

أى من خشيك لا يخاف أن يثرب ويعير خشيتك ؛ فراج بمعنى خائف . قال : ومن روى للتكذيب : لم يكن فيه مدح ، لأن اللدح فى العفو - لا فى تحقيق الخشية - وإنما مدح بتحقيق الأمل وتكذيب الخوف ، كما قال السرى الرفاء :

إذا وعد السراء أنجز وعده وإن وعد الضراء فالعفو مانمه

(١) النبيت : قوم بسواد العراق حرثون ؛ وكل خيل : فاعل تطاعن ؛ والمراد : كل أهل خيل - على حد قوله صلى الله عليه وسلم « ياخيل الله اركبى » ؛ يقول : إن القوم الذى تكون فيهم وتغزو بهم يتشجعون بك ويطاعنون ، ولو كانوا من أولئك الأبناط الحراثين الذين لا يعرفون ركوب الخيل ، وإنما ركوب الخيل : أى أن من كان معك كان شجاعا لشجاعتك .

(٢) يقال : عشا إلى النار بعشو فهو عاش : إذا أتاها ليلا . هذا هو الأصل ، ثم صار كل قاصد عاشيا ، قال صاحب الصحاح : عشوت إلى النار إذا استدلت عليها يبصر ضعيف . قال الخطيئة :

مَتَى تَأْتِيهِ تَفْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

وقوله « منهم » حال من ضمير مخاطب بعده . يقول : الناس فى قلة خيرهم كالظلام ، وأنت مشرق بينهم بفضلك وكرمك كالنور ؛ وقد قصدتكم من بينهم أطلب الخير كما توتى انوار فى الظلام .

(٣) الحشاش : عود يحصل فى عظم أنف البعير يشد فيه الزمام . أراد أنوف اللثام من الناس وأنها أولى بالحشاش من أن تشم الورد . شبه نفسه بالورد وشبه من رآه من الناس بأنوف الإبل . وقال ابن جنى : تأذيت بقاء غيرك من الرؤساء ولم يلبقوا بى كما لا يلبق الورد بأنوف الإبل .

عَلَيْكَ إِذَا هُرِّزْتَ مَعَ اللَّيَالِي وَحَوْلَكَ حِينَ تَسْمَنُ فِي هِرَاشٍ (١)
 أَيْ خَيْرَ الْأَمِيرِ قَتِيلَ كَرُوا فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَوْ لِحَقُوا بِشَاشٍ (٢)
 يَقُودُهُمْ إِلَى الْمَيْجَا مُلْجُوجٌ يُسِنُّ قِتَالَهُ وَالْكَرُّ نَاشِي (٣)
 وَأَسْرَجَتِ الْكَمِيْتُ فَنَاقَلْتُ بِي عَلَى إِعْقَاقِهَا وَهَلَى غِشَاشِي (٤)

(١) يقول : هم عليك مع الدهر أعوانا له إذا كنت مهزولا . أى إذا افتقرت : فصرت كالمهزول الذى لا لحم له ، وإذا سمنت ، أى أثريت وكثر مالك — التثواء حولك وتهاشوا تهاش الكلاب يطلبون نوالك ، وكذلك حال الناس ، فقوله : عليك أى هم عليك ؛ والمراد بالهمزال والسمن : الفقر والغنى . والمهراش : مأخوذة من مهارشة الكلاب . وقال الواحدى : المعنى : هم عيال فى الحرب فإذا رجعت بالفتيمة خيموا لديك وتهاشوا .

(٢) شاش : بلد فى ما وراء النهر . يقول : ورد خبر الأمير وأنه مع جيشه كروا على العدو ، فقلت : نعم — تصديقا لهذا الخبر — بكر الأمير وأصحابه ولو لحق جيش عدوه بشاش : أى ولو أمعن عدوه فى الحرب وكان بعيداً ، وهذا من قول البحرى :
 يَضْحِي مُطَلًّا عَلَى الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَفُوا

بِالصَّيْنِ فِي بُعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصَّبِيْنَا

قال ابن جنى : كان أبو العشار قد استطرد الخيل ثم ولى بين أيديهم هاربا ثم جاء خبره أنه كره عليهم راجعا ، فيقول المتنبي : نعم يكرون — أى الأمير وأصحابه — ولو لحقوا من فرارهم بشاش . وقال ابن فورجه : الرواية بضم الكاف — كاف : كروا — والمعنى أى خبر الأمير بظفره بالعدو ، فقيل لنا معشر المستمحين : كروا ، فقلت : نعم نكر ، ولو لحقوا بشاش : أى ولو كان على البعد منا . والأولى أظهر .

(٣) أراد بالملجوج : أنه لا ينثنى عن أعدائه ولا يزال يهزوم . ويسن قتاله : أى يطول ، من أسن : أى طالت سنه — أى عمره . وناشى : هى ناشىء — بالهمز — خفيف ، أى حديث السن ، يقول : إن هذا المدوح يقود جيوشه إلى الميغا — الحرب — وهو ملجوج فى قتال أعدائه قد أطال قتالهم حتى أسن وكره لا يزال شابا ؛ فهو فى آخر القتال ، كما كان فى أوله ؛ وفيه نظر إلى قول البحرى .

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرَّةٍ وَأَعْتِرَامُ مُجْرَبٍ

(٤) الكميت : ما كان بين الأشقر والأدم من الخيل — يقال للذكر والأنثى —

قال الكلبة .

مِنَ الْمُتَمَرِّدَاتِ تَذَبُّ عَنْهَا بِرُوحِي كُلِّ طَائِرَةِ الرَّشَاشِ (١)
وَلَوْ غُفِرَتْ لَبَلَّغَنِي إِلَيْهِ
حَدِيثٌ عَنْهُ يَجْعَلُ كُلَّ مَاشٍ (٢)
إِذَا ذُكِرَتْ مَوَاقِفُهُ خِلَافٍ وَشِيكَ فَمَا يُنْكَسُ لِانْتِقَاشِ (٣)

كَيْتٌ غَيْرُ مُخْلَفَةٍ وَلَكِنْ كَلُونِ الصَّرْفِ عَلَ بَدِ الْأَدِيمِ

[يعنى أنها خالصة اللون لا يخلف عليها أنها ليست كذلك] .

والناقلة أن تحسن نقل يديها ورجليها بين الحجارة : وأعقت الدابة إعقاقا ، انفتق
بطنها للحمل . والنشاش : العجلة ؛ يقال لقيته غشاشاً وعلى غشاش : إذا لقيته على هجلة
قالوا : وهى كنانية . وأنشدت عمودة الكلاية :

وما أنسى مقاتلها غشاشاً لنا والليلُ قد طرد النهارا

وصاتك بالههود وقد رأينا غراب البين أو كب ثم طارا

[أو كب الطائر : تهباً للطيران] أى أنها أسرعت بى على ثقلها وعلى عجلتى .

(١) التمرد : تفعل ، من المارد ، والمريد ، وهو الذى قد أعيا خبتاً ، والتمردة
اللمتمة . يصفحفرسه بالحث وترك الاقياد لمن لا يحسن ركوبها ؛ وتذب : تدفع . وكل
نائب فاعل تذب ؛ وطائرة الرشاش : أى كل طعنة طائرة الرشاش ، وهو ما يترشش من
الدم . يقول : هى من الحيل الشديدة للراس وإنى أصونها برعى عن أن تطعن .

(٢) يقول : لو غفرت فرسى — قطع عصب رجلها ؛ وللراد : هلكت فلم تحملنى
إليه ، بلغنى إليه حديث عنه — أى عن المدوح — يحمل كل ماش إليه فلا يحتاج إلى
اللطية : أى يشوقه إلى قصده ما يسمع من الثناء عليه ؛ أو تقول : إنه إذا ذكرت أخباره
وما يكون منه لم يجد الماشى مس النصب والإعياء لاستطابته ذلك الحديث ، فكان الحديث
حمله إليه وهذا كما قيل : إن رجلين اصطحبا ، فقال أحدهما لصاحبه : تحملنى وأحملك .
يريد تحملى وأحدثنى حتى تقطع الطريق بالحديث لاستطابته يحمل الماشى ؛ هذا على
رواية كل ماش بالنصب ومن رواها بالرفع رد الضمير فى عنه للحديث : أى أن كل ماش
يحمل حديثه لاستفاضته أخباره وشيوها .

(٣) شيك : أى دخلت الشوكة رجله ؛ والانتقاش : إخراج الشوكة من الرجل
يقول : إذا وصفت لشجاع مواقف المدوح فى الحرب تاق إليهورغب فى صحبته فأسرع

تَزِيلُ مَخَافَةَ الْمَصْبُورِ عَنْهُ وَتُلْهِى ذَا الْفِيَاشِ عَنِ الْفِيَاشِ (١)
وَمَا وَجَدَ اشْتِيَاقُ كَاشِفِيَا فِي
وَلَا عُرِفَ انكِمَاشُ كَانِكِمَاشِي (٢)
فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَآشِ (٣)



فيه لإعجابه حتى إنه - لدهوله - لو كان حافيا ودخلت شوكة في رجله إذ ذاك لم يكذب بحسبها فلا ينكس رأسه - لا يبطأ طيء - لإخراجها . وقيل: المراد بمواقفه ، مواقفه في الجود والبطاء .

(١) للصبور : المحبوس على القتل ؛ يقال: قتل فلان صبراً وهو أن يحبس حتى يقتل والدياش : المفايشة - أى المفاخرة - يقول : إن مواقف المدوح في القتال واقتحامه المهالك تشجع أخبارها المصبور وتزيل عنه خوف القتل ؛ أو تقول : إن التاء - في تزيل وتلهي - للمخاطب : أى أنك أيها المدوح تستنقذ المصبور من القتل فتزيل خوفه وتشغل المفاخر عن المفاخرة ؛ إذ يستخذي إليك حين يسمع بمفاخرك ويقر بفضلك : وفي رواية « تزيل » و « يلهي » بالياء -

(٢) الانكماش : الإساحة والجد في الأمر . يقول : لم يشتق أحد اشتياقي إليك ولم يسرع أحد سرعتي في تصدك .

(٣) هذا كقول أبي تمام :

وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُوا نَوَالَهُمْ
فَلَيْ لَمْ أَخْدُمَكَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
وقد تقدم .

قافية الضاد

وأمر سيف الدولة بإفناذ خلعة إليه فقال :

فَعَلَّتْ بِنَا فِقْلَ السَّمَاءِ بِأَرْضِهِ خَلَعَ الْأَمِيرُ وَحَقَّهُ لَمْ تَقْضِهِ (١)
فَكَانَ صِحَّةً نَسَجَهَا مِنْ لَفْظِهِ وَكَانَ حُسْنًا نَقَاهَا مِنْ عَرْضِهِ (٢)
وَإِذَا وَكَلْتَ إِلَى كَرِيمٍ رَأْيَهُ فِي الْجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ تَحْضِيهِ (٣)

(١) يقول : أحيثنا خلع الأمير والبستنا الوشي ، كما يحيي المطر الأرض ويوشها بالنبات والأزهار وما إليها ، ولم تقض حقه كما يستحقه من الثناء . والضمير في أرضه : إما للممدوح ، أضاف الأرض كلها إليه تفخيماً لشأنه ، أو يريد أرض مملكته - إشارة إلى ما أفاض الله عليها من الخصب والجماء ؛ وإما راجع إلى السماء وذكره على إرادة المطر ، أو السقف ونصب حقه بإضمار ما فسر به ، ومثله :

والذئبَ أخشاه إن مررتُ به وحدي وأخشى الرياح والمطرا

(٢) يقول : إن نسج هذه الخلع يشبه لفظ الأمير في جودته وسلامته من السخف ، وكان نقاهها من نقاء عرضه ؛ إذ سلم مما يعاب به ، وهذا من قول ابن الرومي في ثوب استهداه :

صَحِيحًا مِثْلَ رَائِكَ إِنَّهُ وَالْحَزْمُ فِي قَرَنِ
نَقِيًّا مِثْلَ عَرْضِكَ إِنَّ عَرْضَكَ غَيْرُ ذِي دَرَنِ

(٣) المذيق : المذوق ؛ أي الممزوج . والحض : الخالص ، وهما من أوصاف اللبن استعارها للبعد . يقول : إذا فوضت الأمر في الجود إلى الكريم ولم تقترح عليه شيئاً وتركته إلى رأيه : بلغت ما تريد ؛ وبأن لك صحيح الرأي من معيه ، لأن صحيح الرأي لا يحتاج إلى سؤال ، بل يعطى بطبيعة الكرم ؛ ومعيب الرأي لا يعطى حتى يسأل مراراً . أو تقول : إن الكريم إذا ترك رأيه من غير سؤال بان جوده هل هو مشوب يأتيه تكلفاً وحياء أم أنه خالص يعث به طبعه ونهجزته ؟

وقال لما مرض سيف الدولة :

إِذَا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الْأَرْضُ
وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَأْسُ وَالْكَرَمُ الْخَضُّ^(١)
وَكَيفَ انْتَفَاعِي بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا^(٢) بَمِلَّتِهِ يَعْتَلُّ فِي الْأَعْيُنِ الْغَمَضُ^(٣)
شَفَاكَ الَّذِي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ لِأَنَّكَ بِحَرِّ كُلِّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُ

* * *

وقال في بدر بن عمار ، وقد قام منصرفا في الليل :

مَضَى اللَّيْلُ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَكَ لَا يَمْضِي وَرُؤْيَاكَ أَحْلَى فِي الْعْيُونِ مِنَ الْغَمَضِ^(٣)

(١) البأس : الشدة والسطوة ؛ والمخص : الخالص . والمعنى ظاهر وهو من قول

أبي تمام :

لَا تَعْتَلِلْ إِنَّمَا بِالْكَرُمَاتِ إِذَا أَنْتَ اعْتَلَّتْ تَرَى الْأَوْجَاعُ وَالْعِلَلُ
وقوله :

إِنَّا جَهَلْنَا فَخَلْنَاكَ اعْتَلَّتْ وَلَا وَاللَّهِ مَا اعْتَلَّ إِلَّا الْمَلِكُ وَالْأَدَبُ
وقوله :

وإِنْ يَجِدُ عِلَّةً نَعَمُ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ مِنْ مَرَضِهِ

ومثله لاسم بن الوليد :

نَالَتْكَ يَا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عِلَّةٌ يَفْدِيكَ مِنْ مَكْرُوهِيَا الثَّقَلَانِ
فِي كُلِّ قَلْبٍ مِنْ شَكَاتِكَ عِلَّةٌ مَوْصُوفَةُ الشُّكُورَى بِكُلِّ لِسَانٍ

(٢) اعتلال الغمض : كناية عن امتناعه عن العين ، فجعل ذلك اعتلالا له .

(٣) قوله في العيون : يروى في الجفون : وكان يجب أن يقول : ولقياك ؛ لأن

الرؤيا تستعمل في المنام ؛ لكنه ذهب بالرؤيا إلى الرؤية لأنه كان بالليل : كقوله تعالى
« وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » لم يرد رؤيا المنام ، بل رؤيا اليقظة ،

وكان ذلك ليلا - ليلة الإسراء - . يقول : إن الليل قد مضى ، أما فضلك فهو ثابت باق
وعجز البيت من قول ابن الرومي :

وَلَطَعْمُ امْتِحَانِهِ مِنْهُ بِالزَّا ثُرَ أَحْلَى فِي عَيْنِهِ مِنْ رُقَادٍ

كَأَنَّ طَوْقَتُ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ شَهِدْتُ بِهَا بَعْضِي لِقَائِي عَلَى بَعْضِي (١)
سَلَامٌ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَرْشُهُ تُخَصُّ بِهِ يَا خَيْرَ مَا شِئْتَ عَلَى الْأَرْضِ

(١) قال الواحدى : أنصرف عنك ، مع أنك قلدتني نعمة يشهد بها بعضى على بعضى ؟ أى من نظر إلى استدلال نعمتك على ، والمعنى أن القلب إن أنكر نعمتك شهد الجلود بما عليه . من الخلع . وقال ابن جنى : فى الكلام حذف تقديره : أمدحك وأثنى عليك بما طوقتنى به من نعمك ، فحذف للدلالة عليه ، ثم قال فى قوله شهيد بها الخ : لسانه يشهد على سائر جسده ، وهو من قول ابن بسام الكاتب .

وَقَدْ سَبَقَتْ مِنْهُ لِي نِعْمَةٌ تَقِرُّ عَلَى وَإِنْ لَمْ أَقِرَّ

قافية حرف العين

وخرج يماك مملوك سيف الدولة إلى الرقة ؛ فخرج سيف الدولة بشيعه ، وهبت
ريح شديدة فقال :

لَا عَدِيمَ الْمَشِيحِ الْمَشِيحُ لَيْتَ الرِّيَّاحَ صَنَعَ مَا تَصْنَعُ^(١)
بَكْرُنَ ضَرًّا وَبَكْرُنَ تَنْفَعُ وَسَجَسَجَ أَنْتَ وَهُنْ زَعَزَعُ^(٢)
وَوَاحِدٌ أَنْتَ وَهُنْ أَرْبَعُ وَأَنْتَ نَبِيعٌ وَالْمُلُوكُ خِرْوَعُ^(٣)

وقال يمدحه ويذكر الوقعة التي نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث ،
وذلك في جهادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة^(*) :

(١) الشيع — بصيغة اسم الفاعل — سيف الدولة ؛ والمشيع — بصيغة اسم
المفعول — غلامه يماك ، يدعوه له . يقول : لا عدمه غلامه ، ثم قال : ليت الرياح تصنع
ما تصنع أنت من نفع الناس .

(٢) بكرن ضرا : أراد بكرن — أى الرياح — يضررن ضرراً ، أو بكرن ذوات
ضر . والسجسج : السهل اللين الذى لا حر فيه ولا برد . والززعزع : الريح الشديدة
المؤذية . يقول : إن الرياح تضر الناس وأنت سهل تنفع الناس فليتها مثلك .

(٣) عنى بالأربع : الجنوب ، والشمال . والصبأ ، والدبور . والنبيع : شجر صلب
تتخذ منه القسي ، وهو عندهم من جيد الشجر . والخروع : نبت ضعيف متثن ، وكل
شئ لين فهو خروع وخريع .

* مر سيف الدولة في هذه الغزوة بعمدو وعبر آلس — وهو نهر عظيم على يوم
من طرسوس — ونزل على صارخة ، وهى مدينة هناك ، فأحرق ربهضاً وكنائسها
وربض خرشنة وما حولها وأقام بمكانه أياماً ، ثم عبر آلس راجعاً فلما أسى ترك السواد
وأكثر الجيش ، وسرى حتى جاز خرشنة ، وانتهى إلى بطن لقان ظهر الغد ، فلقى

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ
إِنْ قَاتَلُوا جَبِينُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَمُوا^(١)

الدمستق في ألوف من الخيل ، فلما رأى الدمستق أوائل خيل المسلمين ظنها سرية لها ، فانتشب القتال بين الفريقين . فانهزم الدمستق ، وقتل من فرسانه خلق كثير ، وأسر من بطارقه ووزارزته نيف وثمانون ، وأفلت الدمستق وعاد سيف الدولة إلى عسكره وسواده حتى وصل إلى عقبة — تعرف بمقطعة الأنغار — فصادفه العدو على رأسها ، فأخذ ساقا الناس بحميمهم ، ولما انحدر بعد عبور الناس ركبته العدو ، فخرج من الفرسان جماعة ، ونزل سيف الدولة على بردى — وهو نهر بطرسوس — وأخذ العدو عليه عقبة السير — وهي عقبة طويلة — فلم يقدر على صعودها لضيقها وكثرة العدو بها ، فعدل متياسراً في طريق وصفه بعض الأدلة ، وجاء العدو آخر النهار من خلفه ، فقاتل إلى العشاء ، وأظلم الليل ، وتساند أصحاب سيف الدولة : أي أخذوا في سند الجبل يطلبون سوادهم . فلما خفت عنه أصحابه سار حتى لحق بالسواد تحت عقبة — قرية من بحيرة الحدث — فوقف وقد أخذ العدو الجبلين من الجانبين ، وجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلم ينفر أحد ، ومن نجا من العقبة نهراً لم يرجع ، ومن بقى تحتها لم تكن فيه نصره ؛ وتخاذل الناس وكانوا قد ملوا السفر ، فأمر سيف الدولة بقتل البطارقة وبقية الأسرى ، فكانوا مئآت ، وانصرف ؛ واجتاز أبو الطيب آخر الليل بجماعة من المسلمين بعضهم نيام بين القتلى من التعب ؛ وبعضهم يحركونهم فيجهزون على من تحرك منهم ، فقال يصف ذلك .

(١) يقول : لا أنخدع بالناس فأتأول فيهم الخير وأظن فيهم الجليل لأنهم يجبنون عند القتال . ويشجعون عند الحديث ، فشجاعتهم بالقول لا بالفعل ، فلا أغتر بقولهم ؛ وإنما قال هذا الناس ولم يقل هؤلاء ؛ لأنه ذهب إلى لفظ الناس ، لا إلى معناه . هذا : ويقال خدعه يخدعه خدعا — بالكسر — مثل سحره يسحره سحراً ؛ وخدعا — بالفتح أيضاً — وخديفة وخدعة : أي أراد به المكر وختله من حيث لا يعلم ، وتخاذع وأنخدع أرى أنه قد خدع ؛ وخدعته فأنخدع ورجل خدعة بالتسكين إذا كان يخدع كثيراً ، وخدعة : يخدع الناس كثيراً وأصله من خدع الضب يخدع خدعا ، وأنخدع : إذا استروح ربح الإنسان ، فدخل في جحره لثلا يحترس ؛ ومن ذلك خدع الدهر : إذا تلون ،

أهل الحفيظة إلا أن تجربهم وفي التجارب بعد النسي ما يزرع^(١)
وما الحياة ونفسي بعد ما علمت أن الحياة كما لا تشتهي طبع^(٢)

وخذت العين : لم تنم ؛ وما خدعت بعينه نفسه ؛ أى ما مرت بها . قال المزمق العبدى
أرقت فلم تخدع بعيني نعمة ومن يلق مالا قيت لا بد يأرق^(١)

(١) الحفيظة : الحمية والأتفة : والنسي : الإهمالك فى الجهل — خلاف الرشد . ويزع
يكف ويردع . يقول : هم أهل الحمية ما لم تجربهم ، فإذا جربتهم لم تجدهم كذلك ، وفى
تجربتهم بعد ظهور غيهم ما يمنعك عن مخالطهم . قال العكبرى : يشير إلى ما ظهر من
عجز أصحاب سيف الدولة فى النزاة التى جبنوا فيها ، وقال : هم يظهرون الحمية والجلد والإقدام
ويتزينون بذلك ما لم تقع التجربة ، فإذا جربوا تركوا . وقال بعض الشراح : يريد بالنسي الاغترار :
أى وفى تجربة الشيء بعد الاغترار به ما يكشف عن دخلته ويكف عن الاغترار به .

(٢) الطبع : الدنس . وقوله ونفسي : فى موضع رفع عطفا على الحياة أى مع الحياة
كما تقول ما أنت وزيد : أى مع زيد — وما : استفهامية . يقول : ما لنفسي والحياة ؟
أى لا أريدها بعد ما علمت أن الحياة غير المشتهة دنس ، وشين لها ، نغلام الحرص إذن
على هذه الحياة والركون إليها ؟ أى لا أريد حياة ولا أشتهاها إذا كانت كذلك ؛ وفيه
نظر إلى قول قطرى بن العجاء :

وما للمرء خير فى حياة إذا ما عُهد من سقَطِ المتاع
هذا : وأصل الطبع : الذى هو الدنس والشين ؛ من قولهم طبع السيف طبعاً فهو
طبع ؛ أى صدى . قال الفعسى : وتروى لحكيم بن معية الربى وأنشدها الأصمى :

إنّا إذا قلت طحاريرو القزع وصدّر الشارب منها عن جرع
نفحلها البيض القليلات الطبع من كل عراض إذا هز اهترع
مثل قدامى النسرما مس بصنع يثولها ترعية غير ورع

(١) أى لم تدخل بعيني نعمة ، ثم قال : ومن يلق مالا قيت لأبد : أى لا بد له
من الأرق .

ليس الجبال لوجهٍ صَحَّ مَارِنُهُ أَنْفُ التَّرْزِزِ بِقَطْعِ الْيَزْزِ يُجْتَدَعُ (١)
أَطْرَحُ الْجَدُّ عَنْ كَيْتِنِي وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فِي غَمْدِي وَأَنْتَجِعُ (٢)
وَالْمَشْرِفِيَّةُ لَا زَالَتْ مُشْرِفَةً دَوَاهُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْهَى الْوَجْعِ (٣)

ليس يَفَانٍ كِبَرًا وَلَا ضَرَعٍ تَرَى بِرِجْلَيْهِ شَقُوقًا فِي كَلْفٍ

من بَارِيٍّ حَيْصَ وَدَامَ مُنْسَلِعٍ (١)

(١) للارن : مالان من الأنف . واجتدع أنه : قطعه . يقول : ليس كل وجه صحيح للارن بجميل ، فإن العزير من قطع عزه ذل ، فسار كمن جدد أنه وإن كان صحيح الأنف وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

ليس جَدَّعَ الْأَنْوْفَ كَمَنْدَى جَدَّعًا إِنَّ ذَلَّ النَّفْسَ قَتْلٌ وَجَدَّعٌ
واختص الأنف لأن العرب تقصد الأنف من بين سائر الأعضاء ، فيقولون أرغم الله أنفه : أى أزرقه بالرغام ، وهو التراب . هذا هو الأصل ، ولكنهم يريدون الذل والعجز عن الاتصاف والالتقيا على كره .

(٢) الاتجاع — فى الأصل — طلب الكلاء ، ثم صار كل طلب استجاعا وللراد بالغيت : لازمه من الخصب وسعة العيش . يقول : إن المجد وسعة الرزق إنما يطلبان بالسيف . فلم أطلبها بنى آخر ؟ يقول : أترك أن أحوز المجد بالسيف وأكسب المال من طريق الطعن والزال ، وأحاول ذلك بالطلب والسؤال ، فأكون بذلك كمن طرح عن كتفه ما يطلبه وترك فى غمده ما ينتجه ؟

(٣) المشرفية : السيف ، والمشرفية : مبتدأ ؛ والحبر : دواء ؛ وجملة لازالت مشرفة : دعائية ؛ ومن روى مشرفة — بكسر الراء — فغناه : لا كانت داء ، بل كانت دواء يقول : إن السيف دواء الكريم أو داؤه ، لأنه : إما أن يدرك بها طلبته فيملك فتكون دواء ، وإما أن يقتل بها دون غايته فهلك فتكون داء . وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وَعِنْدَ بُهْرَامَ دَاوَى لَوْ تَأَمَّلَهُ قَالَ الشَّفَاهُ بِحَدِّ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

(١) القزع . جمع قزعة ، السحابة أو القطعة من النعم . والطخارير : سحابات متفرقة ويقال أخفت إلى : إذا أرسلت فيها غلا ؛ والبيض السيف وتعلمها الخ يريد نزعها بالسيف ، وهو مثل ، وأراد بالمراس : السيف البراق المضطرب ، واهزغ : اضطرب وكلمت رجله تكلم كلما وكلاعا تشققت واتسخت ، وترعية راع ، ويؤلها يجمعها من آل يثول فهو مؤثله . ومنسلع متشقق .

وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَتْ فَوَقَّرَهَا
وَأَوْحَدْتَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ
بِالْجَيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلَّهُمْ
قَادَ الْمَقَانِبِ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهْلٌ
لَا يَعْتَقِي بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ
فِي الدَّرْبِ وَالْدَمُّ فِي أُعْطَافِهَا دُفْعٌ^(١)
وَأَغْضَبْتَهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَدَحٌ^(٢)
وَالْجَيْشُ بَابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ^(٣)
عَلَى الشَّكِيمِ وَأَذَى سَيْرِهَا سِرْعٌ^(٤)
كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلَا شَبَعٌ^(٥)

(١) يريد يفارس الخيل : سيف الدولة ، لأن خيله أرادت الهزيمة ، فثبتها في مضيق من مضايق الروم . فقوله خفت : أى أسرعت في الهزيمة فزعا : ووقرها : ثبتها والدرب : المضيق والدخل إلى بلاد العدو ؛ والأعطاف : الجوانب ؛ والدم في أعطافها دفع : يعنى أن الدم منصب عليها دفعة بعد دفعة . وقال ابن جنى تعليقا على قوله : وفارس الخيل — يريد إذا اجتمعت الخيل موصوفة بالفروسية كان أفرسهم ؛ كتقولك شاعر القوم ؛ فيحتمل أن يكونوا كلهم شعراء ؛ ويجوز أن يكون وحده شاعراً ؛ وإذا قلت هذا شاعر الرجلين لم يختص به الوصف دون الآخر ، بل تعمهما الصفة لأنه يجرى مجرى أشعر الرجلين ، فلا بد من أن يكونا شاعرين . ولا تقول هذا غلام الرجلين وأحدهما الغلام والآخر صاحبه ، كما لا تقول : شاعر الرجلين ، وأحدهما شاعر دون صاحبه

(٢) أوحدته : أى الخيل — أى تركته وحيداً . والقذع : اللعش . يقول فتركته وحيداً وتفرقت عنه فلم يقلق لشجاعته وأغضبته بأغيازها عنه فلم يك في لفظه فحش ولا خنى : أى أنه شجاع وإن كان وحده ، وحليم عند الغضب .

(٣) ابن أبي الهيجاء : هو سيف الدولة . يقول إن عز الملوك ومنعتهم بجيوشهم لأنهم بهم يقرون ويمتنعون على أعدائهم ، وعز جيشك بك لأنهم لا يمتنعون على عدوهم إذا تكن فيهم ، فأنت عزهم وبك منعتهم .

(٤) المقاب : جمع مقب ، جماعة الخيل زهاء الثلاثمائة ؛ والتهل : الشرب الأول . والشكيم : جمع شكيمة ، الحديدية المعترضة في فم الفرس من اللجام ؛ والسرع : السرعة مصدر سرع . يقول : قاد الجيوش مسرعا بها حتى كان أقصى شرب خيلهم مرة واحدة وهى ملعبة ولم يتفرغوا — أشدة السير — أن يخلعوا اللجم ، وأقل سيرها إسراع . يصف ما كان عليه سيف الدولة من الإشاحة والجد في لقاء العدو .

(٥) لا يعتقى : أى لا يعتاق ؛ يقال عاقه واعتاقه ، ثم يقلب ؛ ويقال : عناه واعتناه يقول : إن سيره إلى بلد لفتح لا يعوقه عن سيره إلى غيره ، كالوت الذى يم فلا يرتوى

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَشْنَةَ
لِلسَّبِي مَا نَكَبَحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا
تَشَقَّى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانَ وَالْبَيْعَ (١)
وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارَ مَا زَرَعُوا (٢)
مُحَلِّي لَهُ لِلرَّجُلِ مَنْصُوبًا بِصَارِخَةٍ
لَهُ النَّابِرِ مَشْهُودًا بِهَا الْجَمْعَ (٣)
يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمْ
حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَانِهِمْ تَقَعُ (٤)
وَلَوْ رَأَاهُ حَوَارِيُّوهُمْ لَبَنَوْا
عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الَّذِي شَرَعُوا (٥)

ولا يشبع : أى لا يقنمه كثرة من يفنيه ، كذلك هو لا يقنع بفتح بلد من بلاد الأعداء أو بفتح غيره .

(١) خرشنة : بلد بالروم ؛ والأرباض : جمع ربض ، ما حول المدينة من العمارة — الضواحي — . يقول : ما زال يسرع بجيوشه حتى نزل بأرباض خرشنة وقد شقيت به الروم ، لأنه يقتلهم ويحرق صلبانهم ويخرب يعهم .

(٢) يقول : لما أقام على أرباض خرشنة نكل بالروم فسي نساءهم وأطفالهم وقتل أولادهم الكبار ونهب أموالهم وأحرق زرعهم : هذا : وقد أقام ما : مقام من في المصراع الأول ليوافق «ما» في المصراع الثانى ، على حد قوله تعالى «والسباء وما بناها» ويجوز أن يكون حمل ما على المصدر . يريد للسبي نكاحهم والقتل ولادتهم ، قال العكبرى : واللام في قوله للسبي : لام العاقبة . كقوله :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلخَرَابِ *

أى عاقبتما هذا وقد زاد التنبي على أبى تمام في قوله :

لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَتْ . إِنْ لَمْ تَنْبُ أَنَّهُ لِلسَّبِي مَا تَلَدُ

(٣) المرج : موضع ببلاد الروم ؛ وصارخة : مدينة من مدائنهم ؛ ومحلى ومنصوبا حالان من ضمير أقام — أى سيف الدولة — ومشهوداً : حال من صارخة ، وكان الوجه أن يقول : منصوبة ومشهودة . إلا أن التذكير جائز على حد قولك : نصب النابير وشهد الجمع . يقول : إنه بلغ النهاية في النكابة بهم حتى أدخل له المرج ونصبت النابير التي هى شعار الإسلام بصارخة وشهدت صلوات الجمع ، والجمع جمع جمعة كجمعات .

(٤) يقول : إن طول أكل الطير من لحوم قتلاهم أغرى الطير بهم ، فقد ألفت لحومهم حتى تكاد تقع على لحوم الأحياء وتختطفهم في غدواتهم ورواحاتهم .

(٥) الحواريون : أصحاب السيد المسيح ؛ وأضافهم إلى ضمير الروم لأنهم من أهل

هذا نظر الاستدراك
٢٨٠ ص ٤٤٦

ذَمُّ الدُّسْتِقِ عَيْنِهِ وَقَدْ طَلَمَتْ سُودُ القَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَرَعٌ (١)
 فِيهَا الكِمَاةُ الَّتِي مَقْلُومُهَا رَجُلٌ عَلَى الجِيَادِ الَّتِي حَوْلَيْهَا جَدَعٌ (٢)
 تَدْرِي اللِّقَانَ غُبَاراً فِي مَنَاحِرِهَا وَفِي حَنَاجِرِهَا مِنْ آلسِ جُرْعٌ (٣)

دعوتهم . يقول لو رأى الحواريون سيف الدولة وشاهدوا عدله وإنصافه وكرمه لأوجبوا محبته وطاعته فيما يشرعون للمسيحيين من الشرع . هذا : وإنما سمي أصحاب السيد المسيح — صلوات الله عليه — بالحواريين : قيل لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ؛ وقيل : الحواريون صفوة الأنبياء الذين قد اخلصوا لهم ؛ ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي » أى خاصى من أصحابي وناصرى ؛ وتأويل الحواريين فى اللغة : الذين اخلصوا وتقوا من كل عيب ؛ وكذلك الحواري من الدقيق : سمي به لأنه ينقى من لباب البر ، وتأويله فى الناس : الذى قد روجع فى اختياره مرة بعد مرة ، فوجد نقيا من العيوب . والحواريات من النساء : النقيات الألوان والجلود لبياضهن ؛ ومنه الحور العين : لبياض عيونهن ؛ والعرب نساء الأمصار حواريات لبياضهن وبعدهن عن قشف الاعراب بنظاقتهن . قال أبو جلدة :

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكُنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَابِحُ
 يَبْكِينَ إِلَيْنَا خِيفَةً أَنْ تَبِيحَهَا رِمَاحُ النَّصَارَى وَالسُّيُوفُ الْجَوَارِحُ
 [جعل أهل الشام نصارى لأنها تلى الروم ، وهى بلادها] .

(١) الدمستق : صاحب جيش الروم ، والقزع : المتفرق من السحاب واحدها قزعة . يقول : رأى الدمستق كتاب سيف الدولة فظنها شرازم قليلة ورأى سحاباً متراكمة فظنها قطعاً متفرقة فلما وجد الأمر على خلاف ما أدركته عيناه ذم نظر عينيه . وعبارة ابن حنى : تخير حتى أنكر حاسة بصره ؛ وهذا يشبه قول البحترى :

فَلَمَّا التَّقَى الجَمَاعَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ يَدَاهُ وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى البَيْضِ نَازِرُهُ
 (٢) فيها : أى فى سود القمام ، وهى عساكر سيف الدولة ؛ والكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع المتسلح . والحولى الذى آتى عليه حول . والجذع الذى آتى عليه حولان . يقول : فيها أبطال صبيهم رجل لدى الوغى وحولى خيلهم جذع ، يعنى الصغير فى جيشه ، كبير يعظم أمره .

(٣) اللقان : موضع ببلاد الروم . وآلس : نهر هناك . يصف سرعة جرى خيله ومواصلتها السير . يقول : شربت الماء من آلس وبلت اللقان قبل أن تزدرد — تبتلع —

كَأَنَّهَا تَتَلَقَّاهُمْ لَتَسْلُكَهُمْ فَالطُّغْنُ يَفْتَتِحُ فِي الْأَجْوَافِ مَا تَسَعُ (١)
تَهْدِي نَوَاطِرَهَا وَالْحَرْبُ مُظْلِمَةٌ مِنَ الْأَسِنَّةِ نَارٌ وَالْقَنَا شَمْعٌ (٢)

ما شربته ، فإذ هذا النهر في حلوقها وقد وصل إلى مناخرها تراب اللقان وبينهما مسافة بعيدة . وعبارة ابن الأقبلي : وصلت اللقان وحناجرهما لم تحب من ماء النهر . يشير إلى ركض الخيل وشدة إسراعها ، وهذا مبالغة . وقال ابن جنى : لا تستقر فتشرب ، إنما تحتلس الماء اختلاصاً بمواصلة السير . قال : ويجوز أن يكون شربت الماء قليلاً لعلها بما يعقب في الركض ، وكذا يفعل كرام الخيل .

(١) يقول : كأن خيله تلتقي الروم لتدخل فيهم لأن طغن فوارسها يفتح في أجوافهم جراحات تسع الخيل . يصف سعة الطغن ، وهذا ينظر إلى قول قيس بن الخطيم :

طَمَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَمَنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفْدٌ لَوْلَا الشَّمَاعُ أَضَاءَهَا (١)
مَلَكَتْ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَمَّهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَّرَاءَهَا (٢)

وعبارة ابن الإقبلي : لتسلك أجسادهم وتتخذها طرقات ، وطغن فوارسها يفتح ما يسعمهم ويخرق ملايضيق بهم . وليس هذا الإفراط بأعجب من قول النابغة يصف السيوف :

تَقْدُّ السَّلَاقِي المِضَافَ نَسِجُهُ وَتَوَقِدُ بِالصُّفَاحِ نَارَ الحِبَابِ

[السلاقى : الدرع المنسوبة إلى سلاق - قرية باليمن - والصفاح : الحجر العريض .
ونار الحباب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة . وقيل : الحباب ذباب يطير بالليل - كأنه نار ، له شعاع كالسراج] .

(٢) نار : فاعل تهدي . والقنا : الرماح ، وهو مبتدأ . خبره : شمع . والجملة : حالية . يقول : إذا أظلمت الحرب بالنقع - الغبار - هدت عيون الخيل فيها نار الأسنة ، ولما استعار للأسنة ناراً جعل القنا شمعاً ، والأسنة في ردوس القنا - كما هو معروف - قال ابن وكيع : ينظر فيه إلى قول النمرى :

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ إِلَّا حَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشُّرْعُ (٣)

ولقد أحسن البحرى فيه بقوله :

مَدَّ لَيْلًا مِنَ العَجَاجِ فَأَيْمٌ شُونَ إِلَّا بِضَوْءِ السِّيُوفِ

(١) النفذ : الثقب ؛ والشماع : حمرة الدم ؛ أى لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين .

(٢) ملكت : شددت وضبطت ، وأنهرت أوسعت .

(٣) للمذروبة الشرع : أسنة الرماح الحادة المشرعة .

دُونَ السَّهَامِ وَدُونَ الْقُرِّ طَافِحَةً عَلَى نُفُوسِهِمِ الْمُقَوَّرَةُ الْمُرْعُ (١)
 إِذَا دَعَا الْعِلْجُ عِلْجًا حَالَ بَيْنَهُمَا أَطْمَى تُفَارِقُ مِنْهُ أُخْتَهَا الضَّلْعُ (٢)
 أَجَلٌ مِنَ وَلَدِ الْفُقَاسِ مُنْكَتِفٌ إِذْ فَاتَهُنَّ وَأَمْضَى مِنْهُ مُنْصَرِعٌ (٣)
 وَمَا نَجَا مِنْ شِفَارِ الْبَيْضِ مُنْقَلِتٌ نَجَا وَمِنْهُنَّ فِي أَحْسَانِهِ فَرَعٌ (٤)
 يُبَاشِرُ الْأَمْنَ دَهْرًا وَهُوَ مُحْتَبِلٌ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حَوْلًا وَهُوَ مُتَمَتِّعٌ (٥)

(١) يقال لو هج الصيف وغبراه : سهام . بفتح السين . والسهام : حر السموم . وقد سهم الرجل - على ما لم يسم فاعله - إذا أصابته السموم . والقر : البرد . وطافحة : حال - أى سرعة - يقال طفع يطفح : إذا ذهب يعدو . والمقورة : الضامرة : والمزح : السريعة - يقال مزح الفرس والظبي يمزح : إذا مر مسرعاً خفيفاً . يقول :
 قبل حمارة الصيف وصبارة البرد تأتتهم خيل سيف الدولة وتعدو على نفوسهم فخطوهم
 بهوا فرها . وكان لسيف الدولة غزوتان في كل سنة : غزوة في الربيع ، وغزوة في الخريف . وروى ابن جنى « دون السهام » بكسر السين - ودون القر : أى قبل أن
 تصل إليهم سهام الرماة ، وقبل أن يفروا تهجم عليهم هذه الخيل للسرعة الضامرة . قال
 ابن جنى : سأله - أى المتنبي - فقال : هذه الخيل طفحت عليهم ، وقد صارت أقرب
 إلى نفوسهم من السهام ومن أن يفروا . يصف سرعة الخيل وأنها قد ركبتهم وغشيتهم .
 (٢) العليج : الرجل الغليظ من كفار العجم ، وأطمى : يعنى رحما أسمر ، ومنه :
 تعليب . يقول : إذا استعان العليج بعلج آخر حال بينهما رمح أطمى يفرق بين الضلعين ،
 فكيف بين العليجين ؟

(٣) انفقاس : جد الدمستق . وقال ابن جنى : هو الدمستق كأنه لقبه . وأجل
 وأمضى : مبتدآن . خبرهما : المرفوع بعدهما . يقول : إن هرب الدمستق وسبق الخيل
 بالفرار فلم تدركه فأجل منه وأعظم قدرا أسير منكثف - مشدود الكتفين - لأنه
 قاتل حتى أسر - وكان قد أسر من أصحابه نيف وخمسون رجلا - وأشجع منه قتيل
 مصروع لأنه قاتل حتى قتل ولم ينهزم .

(٤) شفار : جمع شفرة ، حد السيف . يقول : لم ينج من السيوف من نجا إلا وفى
 قلبه منها فرع لأن ذلك يقتله ولو بعد حين . والله أبو تمام إذ يقول :

إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَصْرِ قَمَنْ قَدَرٍ تَنْجُوا الرَّجَالُ وَإِلْكَنْ سَلَهُ كَيْفَ نَجَا
 (٥) المختبل : الداهل المضطرب ؛ والمتمتع : للتغير اللون . يقول : يصير إلى مأمنه

كَمْ مِنْ حُشَاشَةٍ بِطَرِيقٍ تَضْمَنَهَا لِلْبَابِرَاتِ أَمِينٌ مَالَهُ وَرَعٌ^(١)
يُقَاتِلُ اخْطَطَوْ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ^(٢)
تَفْذُو النَّايَا فَلَ تَنْفَكُ وَاقِفَةً حَتَّى يَقُولَ لَهَا عُودِي فَتَنْدَفِعُ^(٣)
قُلْ لِلدُّمُسْتُقِ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ خَانُوا الْأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا^(٤)

فيعيش في الأمن حيناً من الدهر وهو ذاهل مخنبل العقل. لشدة مالحقه من الفرع، ويحتسئ الخمر وهو ممتنع اللون لاستيلاء الصفرة عليه فلا تحيل الخمر لونه إلى الحمرة مع إدمانه عليها.

(١) الحشاشة : بقية الروح . والبطريق الفارس من الروم أو القائد . وتضمنها : كفلها . والباترات : السيوف . والورع : التقى والكف عن المحرم ، والمراد بالأمين : الذي لا ورع له : القيد . يقول : كم من بطريق أسر ليقتل إذا دعت الحاجة إلى قتله ، فأرواحهم في ضمان القيد للسيوف ؛ قال العكبري : وقوله : أمين ماله ورع من أحسن الكلام ، لأن الأمين هو الذي يؤتمن على الأشياء فلا بد له من ورع .

(٢) يقاتل ويطرده : أي الأمين ، وهو القيد ؛ وعنه : أي عن القيد . يقول : إن القيد يمنعه الخطو إن أراد السير ويمنعه النوم عند الاضطجاع فإذا أراد المشي قاتله بتضييقه . يريفه أوجهه بالضيق على ساقه ، فكأنه يقاتله ؛ وإذا أراد النوم يمنعه ؛ فكأنه يطرده عنه . ولعله ينظر إلى قول أبي نواس :

إِذَا قَامَ أَعْيَبَتْهُ عَلَى السَّاقِ حِلْيَةٌ لَهَا خَطْوُهُ وَسَطَّ الْفِنَاءُ قَصِيرُ
(٣) يقول : إن الناياء تنتظر أمر سيف الدولة . فهي إن كفها ولت وإن أمرها بأن تعود إليهم تدفقت عليهم ، ومثله قول بكر بن النطاح :

كَأَنَّ النَّايَا لَيْسَ يَجْرِيْنَ فِي الْوَسْغَى إِذَا التَّقَتِ الْأَبْطَالُ إِلَّا بِرَأْيِهِ
ويقول صريع الغواني :

كَأَنَّ النَّايَا عَالِمَاتٌ بِأَمْرِهِ إِذَا خَطَرَتْ أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ
(٤) المسلمين - بفتح اللام - الذين أسلمهم سيف الدولة للعدو لتخاذلهم عنه ، وذلك أن سيف الدولة لما قتل من قتل وأسر من أسر : غادر ذلك الموضع وبقي فيه جماعة من جيشه يجهزون على من بقي فيه رمق من القتلى ، ومنهم من أخذه النوم فجاءهم العدو وأخذوهم وقتلوهم . يقول : إن هؤلاء الذين تركهم سيف الدولة وأسلمهم هم لكم ، فاصنعوا

وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَامًا فِي دِمَائِكُمْ كَأَنَّ قِتْلَاكُمْ إِيَّاهُمْ فَحَعُوا^(١)
 ضَعْفَى تَعَفَّى الْأَيْدَى عَنِ مِثَالِهِمْ مِنَ الْأَعَادَى وَإِنْ هُمَا بِهِمْ نَزَعُوا^(٢)
 لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسْرَتُمْ كَانَ ذَارِمًا فَلَيْسَ يَا كَلُّ إِلَّا الْمَيْتَ الضَّبُعُ^(٣)
 هَلَّا عَلَى عَقَبِ الْوَادِي وَقَدْ صَعِدَتْ أُسْدٌ تَمْرُهُ فُرَادَى لَيْسَ تَجْتَمِعُ^(٤)

بهم ما شئتم ، خانوا الأمير بالانحياز عنه فجازاهم بأن أسلمهم إليكم ، ثم بين ما صنعوا في البيت التالي .

(١) في دمائكم : أى في دماء قتلاكم ، وذلك أنهم تخللوا القتلى فتلطخوا بدمائهم وألقوا أنفسهم بينهم تشبهاً بهم خوفاً من الروم . يقول : كأنهم كانوا مفعوعين بقتلاكم فهم فيما بينهم يتوجعون لهم .

(٢) ضعفى : جمع ضعيف ؛ ونزع عن الشيء : رغب عنه وأعرض . يقول : إن هؤلاء الذين فعلوا ذلك هم خساس عسكر سيف الدولة إن هموا بعدوم أعرض عنهم أنفة من ضعفهم وخستهم . وقد حقق هذا فيما يلى .

(٣) يقول : ليس لكم أن تفخروا بهؤلاء الذين أسرتهم ولا تظنوهم كان فيهم رمق - بقية حياة - وإنما هم أموات من الجبن والخوف ؛ وأنتم لحستكم ودناءة نفوسكم لا تقدرون إلا على أمثالهم ، كما أن الضبع لا تقترس إلا الجثث الميتة ، وقد عاب ابن وكيع هذا البيت وقال : كيف أطلق على الضبع هذا وأنها تأكل الميتة ؟ كأنه لم يقرأ كتاب الوحوش ، ولم يسمع وصفها فى أشعار العرب ؛ لأن الضبع تخنق عشرآ من الغنم حتى تأخذ واحدة ؛ وهى من أخبت السباع على الغنم . قال : ولو هو قال « ما كل من قد أسرتكم كان ذارمق » لكان أوضع وأحسن .

(٤) العقب : جمع عقبه وفرادى : جمع فردان ؛ أى فرد . يقول : هلا وقفتم أو قاتلتم هناك وقد صعدت إليكم رجال أبطال يسرعون إلى الحرب أفرادآ لا يتوقف بعضهم على بعض لشجاعتهم وتقتهم بقوتهم كما قال الحماسى :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا
 قال العكبرى : قوله ، هلا يريد هلا صرتم ، أو هلا وقفتم مثلاً ، لأن هلا للتخصيص ولا بد لها من الفعل - مظهرآ أو مضمراً - ومنه قول جرير :

تعدون عقرَّ النيبِ أفضل مجدكم بنى ضوطرى لولا الكمى المقتنعا^(١)

(١) تعدون هنا بمعنى تجملون وتحسبون ، ولهذا عداه إلى مفعولين ، ويجوز أن

تَشَقُّمٌ بِفِتَاهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ
وَالضَّرْبُ بِأَخْذِ مِثْلِكُمْ فَوْقَ مَا يَدَّعُ (١)
وَإِنَّمَا عَرَضَ اللَّهُ الْجُنُودَ بِكُمْ
لِكَيْ يَكُونُوا بِلَا قَسَلٍ إِذَا رَجَعُوا (٢)
فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَلَهُ وَكُلُّ غَازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعِ (٣)

أى هلا عدتكم الكى المقنع

(١) السلهبة: الطويلة من الخيل. يقول: يشق صهوفكم كل فرس من خيل هؤلاء الرجال بفارسها ويمكن سيفه منكم حتى يكون من يأتي عليه الضرب أكثر ممن يدعه. وروى بقناها: أى برماحها؛ أى تشقكم كل سلهبة برمحها، والمراد كل صاحب سلهبة، لان أصحاب السلاهب - الخيل - وفرسانها هم الذين يشقون بالطنن. هذا: ويدع: مضارع فعل ترك استعماله.

(٢) القسل: الرذل الدنى العاجز. يقول: إنما عرض الله لكم الجنود - الذين انقطعوا عن عسكر سيف الدولة... وهم الأوباش الذين قتلتموهم - ليجرد الله عسكر الإسلام من أمثالهم فيعود إليكم سيف الدولة في الأبطال المنتخبين ليس فيهم قسل ولا دنى. قال الواحدى: كل الناس رروا «بكم» والصحيح في المعنى لكم - باللام - لأنه يقال عرضت فلاناً لكذا فتعرض له. ويجوز أن تكون بكم: من صلة معنى التعرض، لا من لفظه، ومعناه: إنما ابتلى الله الجنود بكم: أى إنما خذلهم الله وجعلهم لكم عرضة.

(٣) يقول: فكل غزوة إليكم بعد اليوم تكون عاقبتها له - لا عليه - لأن الأوباش والضفاء من جنوده قد قتلوا، ولم يبق إلا الإبطال المصطفين الأخيار وكل غاز تبع له. لأنه أمير الغزاة وسيدهم.

يكون من العد، ويكون على إسقاط «من» الجارة، تقديره: تعدون عقر النيب من أفضل مجدكم؛ فلما أسقط الحافض: تعدى الفعل فصب؛ وبنو ضوطرى: حتى معروف. وقال ابن سيده: يقال للقوم إذا كانوا لا يفتنون غناء: بنو ضوطرى؛ ومنه قول جرير مخاطب الفرزدق الخ. ومعنى البيت: إنكم تعدون عقر الإبل للسنة التي لا ينتفع بها ولا يرجى نسلها أفضل مجدكم، هلا تعدون قتل الشجعان أفضل مجدكم؟ وهذا تعريض بجنبهم عن مقارنة الشجعان ومنازلة الأقران:

يَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ
وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتُ كُنْتَ فَارِسَهُ
مَنْ كَانَ قَوْفِي مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعَهُ
لَمْ يُسَلِّمِ الْكُرَّ فِي الْأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ
لَيْتَ الْمُلُوكَ عَلَى الْأَقْدَارِ مُعْطِيَةً
وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ^(١)
وَكَانَ غَيْرِكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرْعُ^(٢)
فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ^(٣)
إِنْ كَانَ أَسْلَمَهَا الْأَصْحَابُ وَالشُّيْعُ^(٤)
فَلَمْ يَكُنْ لِدُنْيِهِ عِنْدَهَا طَبْعُ^(٥)

(١) يقول: إن أفعالك أباكرا لم يسبق إليها، فأنت مبتدع في كل مأثرة لا متبع أحداً فيها، أما غيرك من الكرام فإنهم يقتفون آثار غيرهم.

(٢) الضرع: الضعيف. يقول: إذا كنت الفارس الشجاع وغيرك الضعيف العاجز فلا يصيبك عجز العاجز. يريد أن قتلهم وأسرمهم ضعاف أصحابك لا يشينك. قال الشراح: وفي نظم هذا البيت عيب عند الحدائق بصناعة الشعر لأنه كان ينبغي أن يقول في صدر البيت الأول: «كنت حازمه» لما قال في العجز العاجز الضرع، لأن ضد الحازم العاجز. أو يقول فارسه وجيانه.

(٣) ولا يضع: أى ولا يضعه شيء. يقول: من بلغ الغاية في الرفعة فليس وراء الغاية موضع. وإذن لا يرفع بنصرة أحد ولا يتضع بخذلان أحد.

(٤) أسلمه: خذله: والسكر: الرجوع إلى الحرب مرة بعد أخرى، والأعقاب: جمع عقب، وهو مؤخر كل شيء، واسم كان: ضمير الشأن: والجملة بعدها خبرها: والشيع: الأتباع. يقول: إذا كان أصحابه قد خذلوه وأسلموه للأعداء بهذا التخاذل فإن كره على الأعداء في الأعقاب - أى أواخر الخيل - لم يخذله: يعنى أنه من شجاء: نفسه في منعة، وبذلك دافعت نفسه عن نفسه، ومثله لأبي تمام:

مَا غَابَ عَنْهُ مِنَ الْإِقْدَامِ أَشْرَفُهُ فِي الرَّوْعِ إِنْ غَابَتِ الْأَنْصَارُ وَالشُّيْعُ

(٥) الدنى: مهموز، وقام ابن جني فلت له - للفتى: عند القراءة عليه ألهمة؟ قال: لا تهمزه، فقلت له: هو من باب المهموز. فقال لا: ألا ترى الإجماع على قوله تعالى «أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير» بترك الهمزة؟ أقول: والذى يؤخذ من كلام أهل اللغة أن الدنى بمعنى الحسيس: لايهمز - كما هنا - أما الدنى بمعنى الحثيث اللاجن، فإنهم يهمزونه. قال أبو زيد في النوادر: رجل دنى: هو الحثيث البطن والفرج دنؤ دناءة، ورجل دنى، وقد دنى يدنى، ودنو يدنو دنوا، وهو الضعيف الحسيس الذى لا غناء عنده، المقصر في كل ما أخذ فيه، وأنشد:

رَضِيتَ مِنْهُمْ بِأَنْ زُرْتَ الْوَعْيَ فَرَأَوْا

وَأَنْ قَرَعْتَ حَبِيكَ الْبَيْضِ فَاسْتَمَعُوا^(١)

لَقَدْ أَبَاحَ غِشَاكَ فِي مُعَامَلَةٍ

مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصَّدَقِ تَلْتَفِعُ^(٢)

فلا وأبيك ما خلقتي بوغري^(١) ولا أنا بالذني ولا المدني^(٢)

يقول: ليت الملوك يعطون الشعراء على أقدارهم في الاستحقاق بفضلهم، ولو هم فعلوا لما طمع في نواهم خسيس . وهذا تعريض بأنه يسويه مع غيره ممن لم يبلغ درجته في الفضل .

(١) الحبيك : جمع حبيكة - كسفين وسفينة - وهي الطرائق تكون في السماء وفي الماء الساكن أو الرمل ، إذا هبت عليهما الريح فيتجعدان ويصيران طرائق ، والبيض . إما قراءتها بفتح الباء - جمع بيضة ، وهي الخوفة من حديد تجعل على الرأس للوقاية في الحرب - وحبيكها طرائقها . وإما بكسر الباء : أي السيوف ، وحبيكها تلك الطرائق التي في السيوف . يقول : رضيت من الشعراء بالنظر إلى قتالك والاستماع إلى قراعتك في الوعي - الحرب - دون أن يباشروا القتال : يعني أنا الذي أبشر القتال معك دون غيري من الشعراء

(٢) لعله يريد أن يقول : لقد غشك من انتفاعك منه بغير الصدق . يعني شعر هؤلاء الشعراء : أي أن هؤلاء الشعراء إنما يتقربون إليك ويأخذون أموالك بذلك الشعر الكاذب الذي لا يصحبه فعل إذ لا يباشرون معك القتال ، فكأنهم يشونك . أما أنا : فإني أصدقك إذ أمدحك وأبشر معك القتال . وعبارة العكبري : من لم يصدقك بقوله فقد غشك ، فإنه يظهر لك الشجاعة والجبين عنده ، ويظهر لك الجلد والضعف حقيقته ، فهو يتعاطى ما ليس عنده . قال ابن وكيع : لو قال « من كان منك بغير الصدق » لسلم من الاعتراض . وقال الواحدى : معنى البيت : من لم يصدقك فقد غشك يعني أي قد صدقتك فما ذكرت ، لأنى لو لم أصدقك كنت قد غششتك . قال : ويجوز أن يكون المعنى : إن من غشك بتخلفه عنك فقد أباحك أن تغشه في معاملتك إياه . وجعل ما يفعله سيف الدولة غشاً لأنه جزاء النفس . وقوله على هذا « بغير الصدق » أي بغير صدق اللقاء . يعني بالنظر والسماع .

(١) المدني : المقصر عما ينبغي أن يفعله .

الدَّهْرُ مُتَعَدِّرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظَرٌ وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبِعٌ (١)
وَمَا الْجِبَالُ لِنِصْرَانٍ بِحَامِيَةٍ وَلَوْ تَنَصَّرَ فِيهَا الْأَعْمَمُ الصَّدْعُ (٢)
وَمَا حَمْدُكَ فِي هَوْلِ نَبَتْ لَهُ حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالْأَبْطَالُ تَمْتَصِعُ (٣)
فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعًا مَنْ بِهِ خَرَقٌ وَقَدْ يُظَنُّ جَبَانًا مَنْ بِهِ زَمَعٌ (٤)
إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبْعُ (٥)



(١) المصطاف والمرتبع : الزل في الصيف والريبع . يقول إن الدهر معتذر إليك مما فعل - يعني من قتل الروم ضعفاء أصحابك - والسيف ينتظر كرتك عليهم فيشفيك منهم وأرضهم لك منزل صيفا وريبعاً تنزلها متى شئت، إذ هي ملك لك. وصدر البيت من قول أبي تمام :

عَضْبًا إِذَا سَلَّهُ فِي وَجْهِ نَائِبَةٍ جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَدِرُ
يعجزه من قوله أيضا :

وَأَمْتُ فِيهَا وَإِدَاعًا مُتَمَهَّلًا حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهَا لَكَ دَارُ

(٢) نصران ونصراني : واحد ؛ والأعمم : الوعل الذي في إحدى يديه بياض ، والصدع : الوعل لا بالسن ولا بالصغير : أى الفقى . يقول : إن اعتصامهم بجبالهم لا ينفعهم لانها لا تحميمهم ؛ ولو أن أو عالمها تنصرت لم تحمها الجبال .

(٣) الامتصاع والماصعة : القتال والتجالد بالسيوف ؛ وامتنع في الأرض ذهب فيها هاربا . يقول : لم أحمك على شجاعتك ونباتك في الحرب إلا بعد أن بلوتك - خبرتك وجربتك - لهدى قتال الأبطال ، أو والأبطال تهرب فارة منك .

(٤) الخرق : الحفة والطيش ، والزمع : الرعدة . يقول : الظن قد يخطيء ، فالأخرق قد يظن شجاعا ، والشجاع الذى تمتره الرعدة من الغضب قد يظن جبانا ؛ وإنما يتحقق الأمر عند التجربة : يعنى إنى قد مدحتك بعد الخبرة ولم أخطيء ولم أكذب .

(٥) كل : مبتدأ ؛ والنسبع : خبر ؛ والجملة خبر ليس ؛ واسمها ضمير الشأن ؛ والمخلب : للطير والسباع : بمنزلة الظفر للانسان . وهذا مثل ضربه . يقول : ليس كل من يحمل السلاح شجاعا ، كما أنه ليس كل ذى مخلب أسداً يفترس .

وقال في صباه يمدح على بن أحد الطائي :

حُشَّاشَةُ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَعُّوا فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ الظَّاعِنِينَ أَشْبَحُ (١)
أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجَدُّنَا بِأَنْفُسٍ تَسِيلُ مِنَ الْأَمَاقِ وَالسَّمُ أَدْمَعُ (٢)
حَشَايَ عَلَى جَمْرٍ ذَكَرِي مِنَ الْهَوَى

وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ (٣)

(١) الحشاشة : بقية الروح في الرريض ؛ والظاعنين : المرتحلين . يقول : لى بقية نفس ودعتني وفارقتني يوم ودعتني الأحباب فذهبت البقية والحبيب فبقيت حائرًا لا أدري أى المرتحلين أودع ؟ يعنى الحشاشة والحبيب المودع في جملة من ودعو . قوله : الظاعنين بلفظ التثنية - وروى بلفظ الجمع على إرادة الحشاشة ، والأحبة الذين ذكروهم في قوله ودعوا . وهذا المعنى ينظر إلى قول بشار :

حَدَا بَعْضُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَبَعْضُهُمْ شِمَالًا وَقَلْبِي بَيْنَهُمْ مُتَوَزِعٌ
(٢) اللؤق : طرف العين مما يلي الأنف ؛ والجمع : آماق ؛ وهو مهموز العين ، ويقلب : فيقدم الهمز ، فيقال : آماق ؛ مثل بئر وآبار ، والسَم : لغة في الاسم - بكسر السين ، وضمها ، وفتحها - يقول : أشاروا إلينا بالسلام علينا فجدنا عليهم بأرواح سالت من الاماق تسمى دموعا : أى أنها كانت أرواحنا سالت من عيوننا في صورة دموع ؛ ومثله :

خَلِيلِي لَا دَمْعًا بَكَيتُ وَإِنَّمَا هِيَ الرُّوحُ مِنْ عَيْنِي نَسِيلٌ عَلَى حَدِّي
ويقول بشار :

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاءَهَا وَلَكِنهَا رُوحِي تَذُوبٌ فَتَقَطِرُ
ويقول ديك الجن :

لَيْسَ ذَا الدَّمْعِ دَمْعَ عَيْنِي وَلَكِنْ هِيَ نَفْسِي تَذِيبُهَا أَنْفَاسِي
ولابن دريد :

لَا تَحْسِبُوا دَمْعِي تَحَدَّرُ مِنْهَا رُوحِي جَرَتْ فِي دَمْعِي الْمُتَحَدِّرِ
(٣) الحشا : مافي داخل الجوف ؛ والمراد به . هنا : القلب . يقول بقلبي على جمر شديد التوقد من الهوى لأجل توديعهم وفراقهم ، وعيناي ترتعان من وجه الحبيب في روض من الحسن ، والله أبو تمام حين يقول :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُضْحِي بقلبي مَا تَمُّ مِنَ الشُّوقِ وَالْبَلْوَى وَعَيْنَايَ فِي حُرْسِ

وَلَوْ حُمِّلَتْ صُمُّ الْجِبَالِ الَّذِي بِنَا
 غَدَاةَ افْتَرَقْنَا أَوْ شَكَّتْ تَتَصَدَّعُ (١)
 بِمَا بَيْنَ جَنبَيْهِ الَّتِي خَاضَ طَيْفَهَا إِلَى الدِّيَابِجِي وَالتَّخْلِيُونَ هُجْمُ (٢)

والأصل في هذا المعنى قول ابن الدمينة :

غَدَّتْ مُقَلَّتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جِهَالِهَا وَقَلْبِي غَدَاً مِنْ هَجْرِهَا فِي جَهَنَّمَ
 هذا : وإنما لم يقل ترتمان لأن حكم العينين حكم حاسة واحدة ، فلا تكاد تنفرد
 إحداها برؤية دون الأخرى ، فاكثفي بضمير الواحد . قال العكبري : وأفرد الخبر
 لأن العينين - وهما عضوان مشتركان في فعل واحد مع اتفاقهما في التسمية - يجرى
 عليهما ما يجرى على أحدهما ؛ ألا ترى أن كل واحدة من العينين لا تكاد تنفرد بالرؤية
 دون الأخرى باشتراكهما في النظر : كاشتراك الأذنين في السمع ، والقدمين في المشي ؟
 وقد استعمل هذا الباب على أربعة أوجه : أحدها على الحقيقة في الخبر والخبر عنه ،
 فتقول : عيناى رأته ، وأذناى سمعته . والثاني : أن تخبر عن اثنين وتنفرد الخبر -
 كبيت أبي الطيب - فتقول : عيناى رأته . والثالث : أن تعبر عن اثنين بواحد وتنفرد
 الخبر ، فتقول : عيني رأته ، وأذنى سمعته . والرابع أن تعبر عن اثنين بواحد ، وتثنى
 الخبر حملا على المعنى ، فتقول : عيني رأته وأذنى سمعته ، كقول الشاعر :

إِذَا ذَكَرْتَ عَيْنِي الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى بِصَحْرَاءَ فَلَجَّ ظِلَّتَا تَكْفَانِ

(١) الصم : الصلاب ؛ وتتصدع : تتشقق ؛ وهذا من قول البحترى :

وَلَوْ أَنَّ الْجِبَالَ فَقَدْنَ الْفَأَّ لَأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ

(٢) بما بين جنبي : أى أفتديها بما بين جنبي ؛ يعنى قلبه أو روحه . فالباء للتنديدية ؛

وقال ابن القطاع : يريد هى مطالبة بتلاف روحى التى بين جنبي . والديابجى : جمع
 ديجوج ، وكان القياس دياجيج ، ولكنهم خففوا الكلمة بمحذف الجيم الأخيرة ، كما قالوا :
 مكوك ومكاكى . والحلى : الذى يخلو قلبه من الهوى والمم ، والمهجع : النيام . يقول :
 أفتدى بقلبي المرأة التى أتانى خيالها فى ظلام الليل تقطع الظلمة إلى والذين خلوا من الحب
 كانوا نياما ، قال الواحدى : وهذا كالتضارب لأنه أيضاً كان نائماً حين رأى خيالها ،
 لكن يجوز أن يكون نومه نعمة خفيفة ، فرأى خيالها فى تلك النعمة ؛ وغيره من الحليين
 نام جميع ليلته .

أَنْتِ زَائِرًا مَا خَاَمَرَ الطَّيْبُ ثَوْبَهَا وَكَالِمِسْكَ مِنْ أَرْضَانِهَا يَتَضَوَّعُ^(١)
 فَأَجَلَسَتْ حَتَّى انْتَفَتْ نُوسِيعُ انْطَلَا كَمَا طَمِعَتْ عَنْ دَرَّهَا قَبْلَ تَرْضِيعِ^(٢)
 فَشَرَّدَ لِإِعْطَايَ لَهَا مَا أَتَى بِهَا مِنَ النُّومِ وَالتَّاعِ الْفَوَازِدُ لِلْفَجْعِ^(٣)
 فَيَا لَيْلَةَ مَا كَانَ أَطْوَلَ بِنَهَا وَسُمُّ الْأَفَاصِي عَذْبُ مَا أُتَجَرَّعُ^(٤)
 تَذَلَّلَ لَهَا وَأَخْضَعَ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى
 فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذَلُّ وَيَخْضَعُ^(٥)

(١) زائراً : حال من فاعل أنت : أى أنت خيالاً زائراً؛ وخامر: خالط؛ والكاف - فى «كالمسك» اسم ، بمنزلة مثل ، مبتدأ ؛ والحبر : الجملة بعدها . والأردان : جمع ردن أصل السك . ويتضوع : يفوح : يقول : أنت زائرة ما خالط الطيب ثوبها : أى لم تطهر ، ومثل المسك يفوح من ثيابها ، لأنها طيبة الرائحة طبعاً - لا تطبعاً - كما قال امرؤ القيس :
 ألم ترائنى كلما جئت طارفاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب ؟
 أى أن طيبها خلقة فيها لا تسكته .

(٢) قبل ترضع : أى قبل أن ترضع :

(٣) أعظمه إعظاماً : استعظمه ، وما : موصولة ، وهى مفعول شرد . ومن - فى قوله من النوم - بيانية . والتاع : احترق ، واللوعة . الحرقه ، والتجع : المرجع . يقول : لما رأيت خيالها استعظمت رؤيتها ، فنفى ذلك نوى الذى أتى بها ، واحترق قلبى لنفد رؤيتها .

(٤) تجرعة : شربه على تكلف واستكراه ، يقول : ما كان أطول تلك الليلة التى فارقتى فيها خيالها فتجرعت من حرارة فراقها ما كان السم بالقياس إليه عذبا . فقوله ما كان أطول . أى ما كان أطولها ، فحذف الضمير للوزن .

(٥) يقول : ارض بما تحكم متقاداً مطيعاً لها ، والخضوع فى القرب : الطاعة والاقتياد ؛ وفى البعد : الرضا والتسليم لقطبها ، وذلك آية الحب ، كما قال أبو نواس :

أيا كثيرَ النوحِ فى الدَّمَنِ لا عليها بل على السكَنِ
 سُنَّةُ المُشَاقِّ وَاحِدَةً فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكَنِ

ويقول :

كن إذا أحببت عبداً للذى تهوى مُطيعاً
 لن تنال الوصلَ حتى تُلزمَ النفسَ الخضوعاً

وَلَا تَوْبَ تُجَدِّ غَيْرَ تَوْبِ ابْنِ أَحْمَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بُلُومٍ مَرْتَعٍ (١)
وَإِنَّ الَّذِي حَابَى جَدِيلَةَ طَيِّءٍ بِهِ اللَّهُ يُعْطَى مِنْ بَشَاءٍ وَيَمْنَعُ (٢)

ويقول العباس بن الأحنف :

تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تُحِبُّهُ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا قَتَلْنَا ظَالِمًا
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَحْمِلِ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى يَفَارِقُكَ مَنْ تَهَوَّى وَأَنْفَكَ رَاغِمًا

(١) يقول : إنه لم يسلم الحمد لأحد خالصاً غير مشوب باللؤم إلا للمدوح . ولا توب : روى بالرفع عطفاً على عاشق - في البيت السابق - وبالنصب : على جعل لا : نافية للجنس . وغير : منصوب على الاستثناء ، وابن أحمد : المدوح ؛ وعلى أحد : صلة توب الأول . واللؤم الحسة ، ضد الكرم . ومرتع : خبر ، ورواها ابن جني ، يرفع .

(٢) جديلة : رهط المدوح من طيء . قال ابن جني : حابي : بمعنى حبا : أى أعطى ، وعلى هذا يكون المعنى : إن الذى أعطى بنى جديلة هذا المدوح فجعله منهم هو الله تعالى يعطى من يشاء ويمنع من يشاء . ونص عبارة ابن جني : حابي : بمعنى حبا . مأخوذ من الحباء . وهو العطية ؛ واسم الله : مرفوع به ؛ والجملة - التى هى يعطى وفاعله - خبر إن ؛ واسم إن : الذى قاله المكبرى : وخولف فى هذا قليل : معنى حابي بارى ، تقول : حابيت زيدا ؛ إذا باريته - مثل باهيته - فى العطاء ؛ وليس بمعروف أن المعنى حابيته بكذا : حبوته به . قال الشريف هبة الله بن محمد بن على بن محمد للشجرى : فطى هذا يكون فاعل حابي : مضمرأ فيه ، يعود على الذى ؛ واسم الله : مرتفع بالابتداء ؛ وخبره : الجملة ، تقديره : إن الذى حابى به جديلة فى الحباء الله يعطى من يشاء ، ومفعول يمنح : محذوف : دل عليه مفعول يعطى ؛ وكذلك مفعول يشاء المذكورم والمحدوفان تقديرهما : يعطى الله به من يشاء أن يعطيه ، ويمنع من يشاء أن يمنعه ، والضميران : يعودان للمدوح . وقال المكبرى : أصل حابي : فاعل ، ولا يكون إلا : ن اثنين إلا فى أحرف يسيرة : طارقت النحل ، وعاقبت اللص ، وعافاه الله ، وقاتلهم الله . وأبو الفتح ذهب بها مذهب هذه الأحرف وقال : حابي : بمعنى حبا ، كما فى قول أشجع يمدح جعفر بن يحيى حين ولاء الرشيد خراسان :

إِنَّ خِرَاسَانَ وَقَدْ أَصْبَحَتْ تَرْفَعُ مِنْ ذِي الْهَمَةِ الشَّانَا
لَمْ يَحْبُ هُرُونٌ بِهَا جَعْفَرًا وَإِنَّمَا حَابَى خِرَاسَانَا

بِذِي كَرِيمٍ مَا مَرَّ يَوْمٌ وَشَمَسُهُ عَلَى رَأْسِ أَوْفَى ذِمَّةٍ مِنْهُ تَطْلُعُ (١)
فَأَرْحَامُ شَعْرٍ يَتَّصِلْنَ لَدُنْهُ وَأَرْحَامُ مَالٍ لَا تَنِي تَنْتَقِعُ (٢)

وقد جاء حابي : بمعنى باري في قول سيرة بن عمرو الفقعسي :

نُحَابِي بِهَا أَكْفَاءُ نَا وَنُهَيْنَا وَنَشْرَبُ فِي أُمَانِهَا وَنَقَامِرُ
وقد جاء حابي بمعنى اختص ، قال :

أَصْبُرُ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ إِذَا ثِقَةٌ وَاشْكُرْ حَيَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ حَابَا كَا
وقال الواحدى : وحابي لا يكون بمعنى حبا ، وإنما المعنى : إن الذى بنى جديلة :
أى غالهم وباهام فى العطاء - يعنى المدوح - به الله يعطى من يشاء ويمنع لأنه ملك
قد فوض الله تعالى إليه أمر الخلق فى النفع والضر ، فقوله : به الله ، خبر «إن» .
(١) بذى كرم : بدل من قوله به - فى البيت المتقدم - ، يقول : لم يمر يوم وشمس
ذلك اليوم تطلع على رأس إنسان أوفى بالدم من هذا المدوح ؛ يريد أنه أكثر الناس
وفاء وأكرمهم عهداً ؛ فالواو - فى قوله وشمسه - واو الحال ؛ وشمسه : مبتدأ ؛ وجملة
تطلع : خبر ؛ وعلى رأس : متعلق بتطلع ؛ وذمة : تمييز ، وأوفى : صفة لمحذوف أى على
رأس إنسان أوفى .

(٢) يريد أن الأشعار الكثيرة التى يمدح بها تتلاقى لديه فتصل اتصال الأرحام ،
وأن أمواله التى يثيب بها الشعراء وكانت مجتمعة عنده تتفرق بالعطاء فكأنها تقاطع
أرحامها . فقوله : لاتنى : أى لا تزال . وقال الواحدى : هو من الونى ، وهو الضعف ،
فوضعه موضع لا تزال ، لأنها إذا لم تفتقر عن التقطع يكون المعنى لا تزال تنتقع . وشدد
النون - فى لدنه - للضرورة ، وروى : يتصلن ببابه . وقال ابن جنى : قوله لدنه : فيه
قبح وشناعة ، وليس هو معروفاً فى كلام العرب ، وليس يشدد إلا إذا كان فيه نون
أخرى : نحو لدنى ولدنا . هذا كلامه . وقد يحتج لأبى الطيب فىقال : شبه بعض
النحويين بعضها ببعض فكما يقال لدنه : يقال لدنه ، يحمل أحد الضميرين على الآخر ،
وإن لم يكن فى الهاء ما يوجب الإدغام من زيادة نون قبلها ، كما قالوا يعد ، فحذفوا الواو
لوقوعها بين ياء وكسرة ، ثم قالوا أعد ، ونعد ، وتمد ، فحذفوا الفاء أيضاً ، وليس
هناك ما يوجب حذفها ، ويجوز أن يكون ثقل النون ضرورة ، كما قالوا فى القطن :
القطن ، وفى الجبن : الجبن . وأنشد أبو زيد يقول .

إِنَّ شَكْلِي وَإِنْ شَكْلِكَ شَتَّى فَأَلْزِمِي الْخُصَّ وَأَخْفِضِي تَبْيِضِي

فزاد ضادا ، وقال منجيم :

وما قرية من قرى ميسنا نَ مُعجبة نظرا واتصافا^(١)

أراد : ميسان ، وحذف وزاد نونا . وقال الأسدی .

وجاشت من جبال الضفد نفسى وجاشت من جبال خوارزيم .
أراد خوارزم فغيرها . وقال الجرجاني : لما كانت الهاء خفيفة ، والنون ساكنة ،
وكان من حقها أن تتبين عند حروف الحلق : حسن تشديدها لتظهر ظهورا شافيا ،
فهذه علة وقرينة محتمل للشاعر تغيير الكلام عندها ، والنون أقرب الحروف إلى حرفي
العله - الواو والياء - لأنها تدغم فيهما ، وتبدل منها الألف في الوقف إذا كانت خفيفة
نحو : يا حرسى اضربا عنقه ، وجعلت إعرابا في الأفعال الخمسة . نحو : يفعلان وأخواتها
كما جعلت إعرابا في التثنية والجمع وتحذف إذا كانت ساكنة لا لتقاء الساكنين في نحو :
اضرب الغلام - بفتح الباء - فلما حلت هذا المحل احتملت ما تحتمله من الزيادة .
وحروف العلة أوسع الحروف تصرفا . ولهذا أجازوا زيادة الياء في الصياريف في قوله :
تَنفِي يداها الحصى في كل هاجرة نَفَى الدراميم تنقاد الصياريف^(٢)
وزيادة الواو في قوله :

* من حينما سلكوا أدنوا فأنظور^(١) *

(١) ميسان : بلد من كورة دجلة ، أو كورة بسواد العراق .
(٢) الدرامم : روى الدراهم ، وروى : الدنانير . ونفى : مضاف إلى تنقاد - من
إضافة المصدر إلى فاعله - والدراهم : مفعول ، ففصل بالمفعول - وهو الدراهم - بين
التضامين . وروى أيضاً : بإضافة نفى إلى الدرامم ، ورفع تنقاد ، فيكون من إضافة
المصدر إلى مفعوله . قال الأعمش : وصف الفرزدق ناقته بسرعة السير في المواجر . يقول
إن يديها لشدة وقهما في الحصا ينفيانه فيقرع بضه بعضه ويسمع له صليل كصليل الدنانير
إذا اتجدها الصيرفي فينفى رديتها عن جيدها ، وخص المهاجرة لتعذر السير فيها .

(١) عجز بيت ثان أنشدتهما الفراء وهما :

الله يصلم أننا في تلفتنا يوم الفراق إلى أحبائنا صور
وأنتى حينما يئنى الهوى بصرى من حينما سلكوا أدنوا فأنظور

يريد : فأنظر وزيادة الألف في منترج من قول ابن هرمة :

فَأنت من الفوائِل حين تُرعى ومن ذمّ الرجال بِمُنْتزَاح

يريد بمنترج . وقد ذكرنا لهذا التشديد كل وجه شديد ، كما ذكرنا العلة في إدغام النون في الجيم . في قراءة عبد الله بن عامر وأبي بكر بن عباس في كتابنا الموسوم بالروضة المزهرة في شرح كتاب التذكرة . وقال أبو الفتح : استعمل لدن بغير من ، وهو قليل ، ولا يستعمل إلا معها ، كما جاء في القرآن « من لدنى ومن لدنه ، ومن لدن حكيم عليم » وقد غاب عن أبي الفتح قول الشاعر فيما أنشده يعقوب :

فإن الكثر أعيانى قديما ولم أقتِرْ لدُنْ أنى غلام^(١)

وقول كثير :

وما زلت من ليل لدُنْ إن عرَفْتُها لكاهلأم القَصَى بِكلِّ سبيل^(٢)

والصور : جمع أصور ، وهو المائل من الشوق . ويجوز أن يكون جمع صورة ، أى إذا تلفتنا إلى الأحباب عند رحيلهم ، فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح وحياتنا تروى حوث ما ، وحوث : لغة في حيث ، وهو خبر أن ، وثناه : أماله : أى أنا في الجهة التى يميل الهوى بصرى إليها ، ومن حيثنا : متعلق بأذنو وبأنظر : أى أدتو فأنظر إليهم من الجهة التى سلكوا فيها . وقوله أذنو فأنظور : روى أننى فأنظور : أى أننى عنق فأنظر نحووم : من ثناه ، بمعنى لواه .

(١) الكثر من المال : الكثير . وعيى بأمر : إذا لم يهتد لوجهه ، وأعيانى هو ، قال ابن السيرافى فى قوله فإن الكثر الخ : أى طلبت الغنى فى أول أمرى وخين شبابى فلم أبلغ ما فى نفسى منه ، ومع ذلك فلم أكن فقيراً ، فلا تأمرنى بطلب المال وجمعه وترك بذله فإنى لا أبلغ نهاية الغنى بالمنع ولا أفترق بالبذل .

(٢) من قصيدة كثير التى أولها :

ألا حَيِّيا ليلي أجدّ رحيلي وآذن أصحابي غدا بقفول

ومنها :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلي بكل سبيل

وروى هذا البيت : بكل مزاد ، وروى : بكل مراد ، والصواب : بكل سبيل

فَتَى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ أَقَلُّ جُزْيِيءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ^(١)
عَمَامٌ عَلَيْنَا مُمَطَّرٌ لَيْسَ يُقَشِّعُ وَلَا الْبَرْقُ فِيهِ خُلْبًا حِينَ يَلْمَعُ^(٢)
إِذَا عَرَضَتْ حَاجٌ إِلَيْهِ فَنَفْسُهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفِّعٌ^(٣)

وقول القطامي :

صريعٌ غوانٍ راقهنٍ وورقنه^(١) لدنٍ شبّ حتى شاب سودّ الدوائِبِ^(٢)
(١) ترتيب البيت هكذا : فتى رأيه في زمانه ألف جزء ، أقل جزىء من هذه الأجزاء الألف بعضه - أى بعض جزئى من رأيه - الرأى الذى فى أيدى الناس كله ، فقوله فتى : خبر عن محذوف ، أى هو فتى ، وألف جزء خبر مقدم ورأيه مبتدأ مؤخر وأقل جزىء مبتدأ ، والجزىء : تصغير الجزء وبعضه : مبدأ ثان ، وهو مضاف إلى ضمير المبتدأ الأول ، والرأى : خبر المبتدأ الثانى - وهو بعضه - والجملة : خبر الأول - وهو أقل - وأجمع : تأكيد للرأى . والمعنى : أن هذا الممدوح فتى رأيه فى أحوال زمانه يقدر بألف جزء ، وأقل جزء من هذه الأجزاء يعادل جزء منه كل مالمدى الناس من الرأى : قال العسكبرى : وفيه نظر إلى قول أبى تمام .

لَوْ تَرَاهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ قَمْرًا أَوْفَى عَلَى غُصْنِ

كُلِّ جُزْءٍ مِنْ مُحَاسِنِهِ فِيهِ أَجْزَالٌ مِنَ النَّتَنِ

(٢) المطر : مثل الماطر ، يقال مطرت السحابة وأمطرت ، وأقشع السحاب : ألقع وتفرق ، يقال أقشع وأقشع وتقشع ، والبرق الخاب : الخلف الذى لا مطر فيه وخلبا : خبر لا ، كأنه قال : وليس البرق فيه خلباً . يقول : هو غمام يمطر علينا المطايا دائماً ، وليس هو كالغمام الذى يمطر مرة وينقشع أخرى ، وإذا رجوناه بلغنا منه أوفى ما نرجو ، وإذا وعد أنجز الوعد . وضرب الغمام والبرق مثلاً ، ولما جعله غماماً جعل له المطر ، وبرقا جعل برقه صادقا بموعوده ، وهذا عكس ما يقول البحرى :

رَأَيْتَكَ إِنْ مَنَيْتَ مَنِيَّتَ مَوْعِدًا جِهَامًا وَإِنْ أَبْرَقْتَ أَبْرَقْتَ خُلْبًا

(٣) الحاج : جمع حاجة ، ويقال فى جمعها أيضاً : حاجات ، وحوج وحاج

(١) الصريع : المصروع ، وهو المطروح على الأرض غلبة ، والغوائى : جمع غانية وهى التى غنيت بحسبها عن الزينة ، وراقهن أعجبهن ، والدوائِب : جمع ذؤابة ، وهى الحصلة من الشعر ، ولدن : تنازع فيه صريع وراقهن ورقنه ، يقول : إنه صريع مغلوب على أمره من جراء الحسان اللاتى تعلق بهن منذ نشأ وتعلمن به حتى شاب

وحواجج - على غير قياس - كأنهم جمعوا حائجة ، وكان الأصمى ينكره ، ويقول هو مولد . قال الجوهري : وإنما أنكره لخروجه عن القياس ، وإلا فهو كثير في كلام العرب ، وأنشدوا :

نَهَارُ الْمَرَّةِ أَمْثَلُ حِينَ تَقْضَى حَوَائِجُهُ مِنَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ
وأنشد ابن الأعرابي :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الْوَجْهِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهٌ مَبْذُولُ
والحوجاء : الحاجة . يقال : مالى فيه حوجاء ولا لوجاء . قال قيس بن رفاعه :

مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ حَوْجَاءً يَطْلُبُهَا عِنْدِي فَإِنِّي لَهُ رَهْنٌ بِأَصْحَارِ
أَقِيمْ نَحْوَتَهُ إِنْ كَانَ ذَا عِوَجٍ كَمَا يُقَوْمُ قِدْحَ النَّبْعَةِ الْبَارِي (١)
والشفع : الذى تقضى الحاجة بشفاعته . يقول : إذا سئل حاجة شفعت نفسه إلى نفسه فى قضائها ، وإذا كان المسئول شفيحاً إلى نفسه فإن الحاجة مقضية ألبتة . ومثل هذا قول الحريرى :

شَفَعْتُ مَكَارِمَهُ لَمْ فَكَّتْهُمْ جَهْدَ السُّؤَالِ وَلَطْفَ قَوْلِ الْمَادِحِ
وقول أبى تمام :

طَوَى شَيْئاً كَانَتْ تَرُوحُ وَتُعْتَدِي وَسَائِلَ مَنْ أَعَيْتُ عَلَيْهِ وَسَائِلَهُ
وقال الحطيئة :

وَذَاكَ امْرُؤٌ إِنْ تَأْتَيْهِ فِي نَفْسِهِ إِلَى مَالِهِ لَا تَأْتِيهِ بِشَفِيعِ
ولأبى التماهية :

فِيَأْجُودَ مُوسَى نَاجِحِ مُوسَى بِمَاجَتِي فَالَى سِوَى مُوسَى إِلَيْهِ شَفِيعُ
ولابن الرومى :

أَبَا الصَّقْرِ مَنْ يَشْفَعُ إِلَيْكَ بِشَافِعِ فَالَى سِوَى شِعْرَى وَجُودِكَ شَافِعُ

(١) قوله بإصحار : ففى حديث لعلى رضى الله عنه « فأصحر لعدوك وامض على بصيرتك » أى كن منه على أمر واضح منكشف ، من أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء ، والقدح : السهم قبل أن ينصل ويراش .

خَبَتِ نَارُ حَرْبٍ لَمْ تَهْجَبْهَا بِنَانُهُ وَأَسْمَرُ عُرْيَانٍ مِنَ الْقِشْرِ أُصْلَعُ^(١)
 نَحِيفُ الشَّوَى يَبْدُو عَلَى أُمَّ رَأْسِهِ
 وَيَحْفَى فَيَقْوَى عَدُوَّهُ حِينَ يُقَطَعُ^(٢)
 يَمْجُ ظَلَامًا فِي نَهَارٍ لِسَانُهُ وَيُفْهَمُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ^(٣)
 ذُبَابُ حُسَامٍ مِنْهُ أَنْجَى ضَرِيئَةً وَأَعْصَى لِمَوْلَاهُ وَذَا مِنْهُ اطْوَعُ^(٤)
 فَصِيحٌ مَتَى يَنْطِقُ يَجِدُ كُلَّ لَفْظَةٍ أُصُولَ الْبَرَاعَاتِ الَّتِي تَنْفَرَعُ^(٥)

(١) خبت النار : سكن لها ؛ والبنان : الأصابع ؛ وأسمر عطف على بنان : أى وقلم أسمر الخ . وجعل القلم أصلع : لئنه وملاسته ، كالرأس الأصلع . يقول : إن كل حرب تشب بغير قلبه وأنامله لا بد أن تنطفئ ولا تطول مدتها ؛ أما الحرب التي يشبها هو فإنها لا تنطفئ لقوة عزمه وشدة نفسه .

(٢) الشوى : الأطراف ؛ أى اليدان والرجلان والرأس ، ونحيف : دقيق ، ويعدو : يجزى ، وأم الرأس : أعلاه ، وقيل وسطه ، ويحفى : يكل . يقول : إن هذا القلم دقيق الأطراف — يريد دقة خلقته — وهو يعدو على رأسه ، فإذا حفى — أى كل عن الشئ — قطع — أى قط — فيقوى عدوه : أى يمضى فى الكتابة ويحسن به الخط . ومن قومهم : القلم أنف الضمير ، إذا رجع : كشف أسراره ، وأبان آثاره .

(٣) يمج : يقذف ، ويريد بالظلام : الداد ، وبالنهار : القرطاس ، ولبسانه طرفه الهدد . وقوله : ويفهم الخ : أى أنه يعبر عما يريد الكاتب دون أن يسمع منه لفظاً ، وهو من قول أبى تمام :

أَحَدُ اللَّفْظِ يَنْطِقُ عَنْ سِوَاهُ فَيُفْهَمُ وَهُوَ لَيْسَ بِذِي سَمَاعٍ

(٤) ذباب السيف : طرفه الهدد ، ومنه متعلق بأنجى ، والضرية : اسم للمضروب ، كالرمية للرمى ، وضرية : تميز . يفضل القلم على السيف ، يقول : إن المضروب بالسيف قد ينجو إذ ينبو عنه ، وقد يعصى صاحبه الذى يضرب به لأنه قد لا يقطع ، أما المضروب بالقلم — وهو المكتوب بقلته — فإنه لا ينجو والقلم أطوع من السيف ، لأنه لا يرجع عن مراد الكاتب به ، وإذن : فالقلم أفضل من السيف . قال ابن الرومى .

لَعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَيْبِ بِأَنْفَذَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ

(٥) يقول : إن كل لفظة من ألفاظه أصل من أصول البراعة — وهى الكمال فى الفصاحة — والناس يبنون كلامهم عليها ويرجعون فى استعمال الفصاحة إليها .

بِكَفِّ جَوَادٍ لَوْ حَكَمَهَا سَحَابَةٌ
لَمَا قَاتَهَا فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ مَوْضِعٌ^(١)
وَلَيْسَ كِبَحْرِ الْمَاءِ يَشْتَقُّ قَمْرَهُ
إِلَى حَيْثُ يَفْنَى الْمَاءُ حُوتٌ وَضِفْدَعٌ^(٢)
أَبْجَرٌ يَضُرُّ الْمُعْتَمِنِينَ وَطَعْمُهُ زُعَاقٌ كِبَحْرِ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ^(٣)
بِنَيْهِ الدَّقِيقُ الْفِكْرُ فِي بُعْدِ غُورِهِ وَيَفْرَقُ فِي تَيَّارِهِ وَهُوَ مِصْقَعٌ^(٤)

(١) يقول : إن هذا القلم الموصوف يجرى بكف جواد لو كانت السحابة مثل كفه في عموم النفع لعمت الشرق والغرب بالمطر ، وقال ابن الرومي :

خِرْقَى يُعْمَ وَلَا يَخْصُ بِفَضْلِهِ كَالغَيْثِ فِي الإِطْبَاقِ كُلِّ مَكَانٍ
[الحرق : السخى الكريم] .

(٢) اسم ليس : ضمير يعود إلى الجواد في البيت السابق - ويشتق : يشق ، وحوت فاعل يشق . يقول : ليس بحر جوده كبحر الماء الذي يفوس فيه الحوت والضفدع حتى ينتهي إلى قمره ، وإنما هو بحر لا يبلغ منتهاه ؛ يعني أن جوده لا ينقطع ، وقال ابن القطاع قوله : يفنى الماء ، هي نصب الماء لا برقصها : أي يتخذها فناء ؛ يقال فنيت المكان وبالمكان : إذا أمت به . ويلفن : فالضلعان - يشق ويلفن - للحوت . والضفدع .

(٣) المعنى : السائل . عفاه واعتفاه : أتاه سائلا ؛ والزعاق : المر . يريد أن يفضل المدوح على البحر . فالاستفهام إنكارى . يقول : ليس البحر الذي يضر من ورده بالفرق ، وهو مع ذلك من الطعم لا يمكن شربه ، مثل بحر ينفع الواردين بالعطاء ولا يضرهم . فقوله : وينفع ، معطوف على « لا يضر » وقد تقد ابن جنى البيت قائلا : إن المعروف عندهم أن ينسب المدوح إلى النفع لأوليائه والضر لأعدائه ، كما قالوا :

وَلَكِنْ فَتَى الْفَتِيَانِ مَنْ رَاحَ وَاعْتَدَى لَضَرَ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقٍ وَقَالُوا :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعِ فَضَرَ فَإِنَّمَا يُرْجَى الْفَتَى كَمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

ولكن فاته أن المتنبي أراد كبحر لا يضر المعتنين ، فلا ينافي ذلك أنه يضر الأعداء .

(٤) الغور : المنتهى والقمر ؛ وضميره : للبحر ؛ والتيار : الموج . والمصقع : الصبيح البليغ ، لأنه يأخذ في كل صقع من القول ؛ والدقيق الفكر : الفهم الفطن الذي يدق يدق فكره وخطره حين يهكز . يقول : إن المدوح بحر بعيد الغور لا يصل أحد

أَلَا أَيُّهَا الْقَيْلُ الْمُقِيمُ مِمَّنْجِجٍ وَهَمَّتُهُ فَوْقَ السَّمَائِ كَيْنِ تُوَضِعُ (١)
أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ وَصَفَكَ مُعْجِزٌ وَأَنْ ظُنُونِي فِي مَعَالِيكَ تَظْلَعُ (٢)
وَأَنَّكَ فِي تَوْبٍ وَصَدْرِكَ فِيكُمْ
عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ (٣)

إلى قصره فتيه في صفاته الواصفون . ولا يبلغون نهايته ولا يستطيعون وصفه مهما علت منزلتهم من البلاغة . هذا : وقد قال العكبري : الرواية الصحيحة في الدقيق : بلام التعريف ، وهو حسن في الإضافة : كالجمل الوجه ، والطويل الذيل : لأن الدقيق : نمت لحدوف . تقديره : يتيه الرجل الدقيق الفكر . ألا تراه يقول : وهو مصقع ، وهو نمت للرجل ؟ ومن رواه دقيق الفكر : جملة نعتاً للفكر ، تقديره : يتيه الدقيق من الأفكار : والأول أبلغ في المعنى .

(١) القيل — في الأصل — الملك من ملوك حمير : وممنجج : بلد بالشام : والسما كان : نجان ، وهما السماك الرامع والسماك الأعزل : والإيضاع : السير السريع ، من أوضعت الناقة : إذا أسرعت وهذا من قول العطوي :

إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ لَابَسًا سَمَلًا فَهَمَّتِي فَوْقَ هَامَةِ الْمَلِكِ
وَلِلتَّوْحَى :

وَأَنْفَسُ مَسْكُنُهَا مَا بَيْنَنَا وَهَمَّهَا فَوْقَ السَّمَائِ وَالشَّهَى

(٢) ظلمت الناقة : عرجت من يدها أو رجلها . يقول : أليس من العجب أني مع جودة خاطري وبلاغة كلامي أعجز عن وصفك ولا تبلغ ظنوني معاليك فلا أدركها لو فرتها ؟ !

(٣) وصدرك — بالرفع — استئناف . والضمير — من فيكما — للدوج والثوب . يقول : أليس عجيباً أن صدرك على أنه أوسع من الأرض — قد اشتمل عليك ثوب وهو — الصدر — فيك وفي الثوب قد اشتملتا عليه . ومثله لابن الرومي :

كَضْمِيرِ الْفُؤَادِ يَلْتَهُمُ الدُّنْيَا وَمَحْوِيهِ دِفْتَا حَيْرُومِ

ولأبي تمام :

وَرَحِبِ صَدْرِي لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِيَةً

كَوْسَعِهِ لَمْ تَضِيقْ عَنْ أَهْلِهَا بَلْدُ

وَقَلْبِكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلْتَ بِنَا

وَبِالْجَنِّ فِيهِ مَا دَرَّتْ كَيْفَ تَزْجِعُ^(١)

أَلَا كُلُّهُ سَمِيحٌ غَيْرُكَ الْيَوْمَ بَاطِلٌ وَكُلُّهُ مَدِيحٌ فِي سِوَاكَ مُضِيعٌ^(٢)

* * *

وقال في صباه على لسان من سأله ذلك :

شَوْقِي إِلَيْكَ نَفِي لَدَيْدِ هُجُوعِي فَأَرَقْتَنِي فَأَقَامَ بَيْنَ ضُلُوعِي^(٣)

أَوْ مَا وَجَدْتُمُ فِي الصَّرَاةِ مُلُوحَةً يَمَّا أُرْقِرُقُ فِي الْفُرَاتِ دُمُوعِي^(٤)

مَا زِلْتُ أَحْذَرُ مِنْ وَدَاعِكَ جَاهِدًا حَتَّى أَغْتَدِّي أَسْنِي عَلَى التَّوْدِيْعِ^(٥)

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِخَالَتِي فَكَأَنَّهَا أَتْبَعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيْعِ^(٦)

* * *

(١) يقول : أو ليس عجيبا أن قلبك قد أحاطت به الدنيا وهو من السعة بحيث

لو دخلت الدنيا بمن فيها من الإنس والجن فيه لضلت وما اهتدت للرجوع ؟

(٢) السمع : الذى يسمح بماله . يقول : كل جواد سواك باطل — أى بالإضافة

إليك — وكل مدح مدح به غيرك مضيع لأنه ليس فيمن يستحقه : وهو من قول

ابن الرومى :

وكلُّ مدحٍ لم يكن في ابن صاعدٍ ولا في أبيه صاعدٍ فهو هابط

وقوله غيرك : هو منصوب ، لأنه تقدم على الستتنى ، كقول الكيت :

فألى إلا آلَ أحمدَ شيعَةً ومالى إلا مذهبَ الحق مذهبٌ

(٣) المهجوع : النوم . وأقام : أى الشوق .

(٤) الصرأة : نهر يأخذ من الفرات فينسكب في دجلة ماراً بالموصل ، وكان حبيبه

على جانب الصرأة . هذا : ورقرق الدمع : صبه . وما — من قوله يما أرقرق —

مصدرية . يقول : أو ما وجدتم طعم ملوحة من دموعي في مائكم لبكائى في الفرات ؟

وهم يقولون : إن دمع الحزن ملح ، ودمع الفرح حلو .

(٥) يقول كنت أحذر من وداعك خوف الفراق ، أما الآن وقد فارقتى فإنى

أشتاق إلى الوداع وأتأسف عليه ، لأنى لقيتك عند الوداع ، فبودى أن أودعك لأتفأك .

وقال ابن جنى : كنت أكره الوداع ، فلما تطاول البين أسفت على التوديع ، لما يصعبه

من النظر والشكوى والبث .

(٦) يقول : ارتحل العزاء — الصبر — عنى بارتحالى عنكم ، فكأن أنفاسى

وقال يمدح علي بن إبراهيم التنوخي :

مُلِكَ الْقَطْرِ أُعْطِشَهَا رُبُوعًا وَإِلَّا فَاسْقِهَا السَّمَّ النَّقِيعًا (١)
 أَسْأَلُهَا عَنِ الْمَتَدِيرِ بِهَا فَلَا تُدْرِي وَلَا تُدْرِي دُمُوعًا (٢)
 كَلَّهَا اللَّهُ إِلَّا مَا ضِيَّهَا زَمَانَ اللَّهُوَ وَالْحُودَ الشَّمُوعًا (٣)

تبعث العزاء مشبعة له ، فهي صاعدة متصلة دائمة . قال ابن جنى : وقال برحلي أى مع ارتحالى . كما تقول سرته بمسرك : أى معك - أى فكما لا ترجع إلى أنفاسى لا يرجع إلى صبرى . فعناه : ارتحل الصبر عنى بارتحالكم .

(١) المثلث : الدائم القيم . والقطر : المطر . وربوعاً : تمييز : أى من ربوع . والنقيع والنقع : الرطب . يقول : يا أيها السحاب الدائم المطر أعطش هذه الربوع أى لا تسقىها - وإن لا تعطشها فاسقها السم النقيع فى الماء . وإنما دعا عليها لأنه لما وقف بها وسألها لم تجبه ، ولم تنك من رحل عنها ، قال ابن وكيع : لم يسبق أباً الطيب أحد فى الدعاء على الديار بالسم ، ولو قال حجارة أو صواعق : لكان أشبه ، إلا أن جريراً قال بعد ما استأنف لها ذنبا :

سُقِّيتِ دَمَ الْحَيَّاتِ مَا بَالُ زَائِرٍ يُبْلِمُ فَيُعْطَى نَائِلًا أَنْ يَكَلِمَا
 والعرب من عادتها أن تدعو بالسقيا للديار ، كقول القائل :

يا منزلاً ضنَّ بالسلام سُقِّيتَ صَوْبًا مِنَ الْغِيَامِ

ما ترك العُزْنَ منك إلا ما ترك السقم من عِظَامِي

(٢) للتدبير بها : أى المتخذها داراً . وتدرى دموعاً . أى تلقها - من إذراء الحب للزرع . يريد تمليل مافى البيت السابق . يقول : إنما طلبت إلى السحاب أن يعطشها أو يسقىها السم النقيع لأنى أسألها عن أهلها أين ذهبوا ؟ فلا تدرى ذلك ولا تجيب ولا تساعدنى على البكاء .

(٣) لحاء - فى الأصل - قشره : من لحوت العود : إذا قشرته ، ثم صار يستعمل فى الدعاء على الشيء : أى لعنه وقبحه : وزمان : بدل تفصيل من قوله ماضيها والحود - بفتح الحاء - الجارية الناعمة ، وجمعها خود - بضم الحاء - والشموع : اللعوب الضحوك . قال الواحدى : قوله : إلا ماضيها استثناء من غير الجنس ، ويجوز أن يكون جنساً ، لأن زمان اللهو والحود ربع الأنس ، فاستثنى ربع الأنس من ربع الأنس لاشتراكه عليه ، فدعا على الدار إلا ما كان له بها من زمن الأنس ووصل الحود . قال ابن وكيع : ماضيها يوجبان لها الدعاء بالسقيا كقول البحترى :

مُنْعَمَةٌ مُنْعَمَةٌ رَدَّاحٌ يُكَلِّفُ لِنَفْسِهَا الطَّيْرَ التَّوْقِعَاً (١)
تُرْفَعُ نُوبُهَا الْأُرْدَافُ عَنْهَا قَيْبَتِي مِنْ وَشَاحِنِهَا شَسُوعَاً (٢)
إِذَا مَا كَسَتْ رَأَيْتَ لَهَا أَرْجِحَاجَا لَهُ لَوْلَا سَوَاعِدُهَا نَزُوعَاً (٣)

فإذا ما السحاب كان رُكَّامًا فسَقَى بالربابِ دارِ الربابِ

(١) امرأة رذاح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك ، وكذلك ناقة رذاح وكبش رذاح : ضخم الألية ، ودوحة رذاح : عظيمة : وجفنة رذاح عظيمة قال أمية بن أبي الصلت :

إلى رَدَّحٍ مِنَ الشَّيْزِيِّ مِلَاءً لِبَابِ الْبَرِّ يُبَلِّكُ بِالشُّهُوِ (١)

وكتيبة رذاح : ضخمة ملئمة كثيرة الفرسان ثقيلة السير لكثرتها ، ثم وصفها بحسن اللفظ وعذوبة الكلام . يقول : إذا سمعت الطير لفظها وقعت وسقطت لحسنه ، ومثل هذا قول كثير :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتَنِي بِقَوْلِ يَحْيَى الْعَصْمِ سَهْلِ الْأَبَاطِحِ (٢)
وقال أيضاً :

بَعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ لَوْ رَقَرْتَهُمَا لِنَوْءِ الثَّرْيَا لِاسْتَهْلِ سَحَابِهَا
وقال ابن دريد في مقصورته :

لَوْ نَاجَتِ الْأَعْصَمَ لِانْحَمَلَ لَهَا طَوْعَ الْقِيَادِ مِنْ شَمَارِيخِ الدُّرَا
(٢) أراد بالوشاحين : قلادين توشع بهما المرأة ترسل إحداهما على جنبها الأيمن والأخرى على الأيسر . والشسوع : البعيد : يقول : إن أردفها عظيمة شاحسة عن بدنها ترفع نوبها وتمنعه عن أن يلاصق جسدها حتى يكون بعيداً عما توشحت به من القلائد : وهذا من قول بعض الكلايين :

أَبَتْ الْفَلَائِلُ أَنْ تَمْسَ إِذَا مَشَتْ مِنْهَا الْبَطُونُ وَأَنْ تَمْسَ ظَهْرَهَا

(٣) ماست : مشت متبخرة . والضمير في له : للشوب . ونزوعا : صفة لارجحاجا . يقول : إذا ماست رأيت لروادفها اضطرابا وحركة يكادان يزعجان نوبها عنها لولا أن سواعدها تمسك عليها نوبها لدخولها في الكين . وفيه نظر إلى قول الآخر :

(١) يقال للجفان التي تسوى من شعرة الشيزي : شيزي . قال الجوهري : الشيزي خشب أسود تتخذ منه القصاع .
(٢) العصم : جمع الوعل ، وهو الوعل .

تَأَلَّمُ دَرَزُهُ وَالذَّرَزُ لَيْنٌ كَمَا تَتَأَلَّمُ الْعَضْبُ الصَّيْنِيماً^(١)
 ذِرَاعَاهَا عَدْوًا دُمْلَجِيهَا يَظُنُّ ضَجِيعُهَا الرَّنْدَ الضَّجِيعاً^(٢)
 كَأَنَّ نِقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيقٌ يُضِيءُ بِمَنْعِهِ الْبَدْرَ الطَّلُوعاً^(٣)

لولا التمنطق والسوار معاً والحجل والدملوج في العصد
 لتزايلت من كل ناحية لكن جعلن لها على عبد

(١) الدرز: موضع الخياطة من الثوب: والعضب: السيف، والصنيع المحكم: الصقال والصنعة. يصف نعومة بدنها وأنها تتوجع إذا أصابها موضع الخياطة من ثوبها مع لينه كما تتوجع من السيف. يقول: إن للدرز في بدنها تأثيراً كتأثير السيف، فقوله تألم — بخذف إحدى التائين — أى تألم، والتألم: كالتوجع، لازم، يقال تألم به أوله أو منه، وعدها ههنا: ضرورة. ومما يستظرف في هذا الباب ما روي أن سابور لما حضر صاحب الحصن بعثت بنت صاحب الحصن إليه — وكانت من أجمل النساء — إن عاهدتني أنك تزوج بي أسلمت إليك المفاتيح، فمأهدها على ذلك، فسكر أبوها ليلة ونام، فدفعت المفاتيح إلى سابور. فأخذ المدينة وتزوج بها، فبينما هي معه ذات ليلة على فراش الحرير تألمت وتوجعت وقلقت، فدعا بالشمع ونظر إلى مضجعيها، فرأى ورقة ورد على الفراش قد نالت جسمها فأثرت فيه فقلقت لذلك، فقال لها: ما كان يفتدك به أبوك؟ فقالت له: لب البر بالعسل والحجر، فقال: وكان جزاؤه منك ما جزيته فأخذها وشد ضفائرها إلى أذنان الخيل ولم يزل يطرد الخيل حتى قطعها أرباً أرباً.

(٢) يقول: إن دملجها يضيقان عن ذراعها، فهما ممتثلان بهما يكادان لذلك يفصانهما ويكسرانهما، وإذا ضاجها إنسان ظن أن زندها — لسمنه — هو ضجيعه، لاهى.
 (٣) شبه النقاب على وجهها: بالنعيم الرقيق، ووجهها: بالبدن. يقول: سترت وجهها بالنقاب فأضاء بضوء وجهها تحته كما يضيء النعيم الرقيق بضوء البدن. فقوله يضيء: لازم، لا يتعدى؛ والبدن: مفعول أول لئمه؛ والطلوع: مفعول ثان. وقد إلى هذا المعنى عبد الله بن المدينة، قال:

مُبرِّقَةٌ كَالشَّمْسِ تَحْتَ سَحَابَةٍ وَكَالْبَدْرِ فِي جَنَحِ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٍ
 وَقَالَ بِشَارُ :

بدالك ضوء ما احتجبت عليه بدو الشمس من خلل الغمام

أَقُولُ لَهَا أَكْشِفِي ضُرِّي وَقَوْلِي
 أَخْفَتِ اللَّهُ فِي إِحْيَاءِ نَفْسِ
 غَدَا بِكَ كُلِّ خِلْوٍ مُسْتَهَامًا
 أَحْبَبْتُ أَوْ يَقُولُوا جَرًّا تَمَلُّ
 بَعِيدُ الصَّيْتِ مُنْبَثُ السَّرَايَا
 بَغْضُ الطَّرْفِ مِنْ مَكْرٍ وَدَهْيٍ
 بِأَكْثَرٍ مِنْ تَدَلُّهَا خُضُوعًا^(١)
 مَتَى عَصَى إِلَهُهُ بَانَ أُطِيمًا^(٢)
 وَأَصْبَحَ كُلُّ مَنْشُورٍ خَلِيمًا^(٣)
 ثَبِيرًا وَأَبْنُ إِبْرَاهِيمَ رَيْمًا^(٤)
 يُشَيَّبُ ذِكْرُهُ الطِّفْلَ الرِّضِيمًا^(٥)
 كَانَ بِهِ وَلَيْسَ بِهِ خُشُوعًا^(٦)

(١) قوله وقولي الخ؛ أي أن خضوعي لها في قولي هذا أكثر من تدللها على كثرة قولي: مبتدأ. وبأكثر: خبر وخضوعاً: تمييز.
 (٢) يقول. إن إحياء النفس مما يتقرب به إلى الله، وليس مما يخاف منه: يعني أنك إذا واصلتني كنت كأنك قد أحييتني، وإحياء النفس طاعة لله، والله سبحانه لا يعصى بالطاعة، ومثله قول القائل:

ما حرامٌ لإحياءِ نفسٍ ولكن قتلِ نفسٍ بغيرِ نفسٍ حرامٌ

(٣) الخلو: الخالي من الهوى. والمستهام: الذي يصيره الهوى هائماً ذاهب اللب. والحليع: الذي خلع العذار وترك الحياء وتهتك في الهوى، قال ابن وكيع، لوقال:

غدا بك كلُّ خلوٍ في اشتغالٍ وأصبح كل ذى نسلٍ خليماً
 لكان أحسن.

(٤) أو يقولوا: أي إلى أن يقولوا، غذف أن وأعملها، وثبير: جبل بالحجاز معروف. وريع: أخيف. وابن إبراهيم: هو المدوح. علق زول حبه بما لا يمكن وجوده. يقول: لا أزال أحبك، لأن الجبل لا يجره النمل، والمدوح لا يرتاع ولا يروعه شيء. وهذا من حسن التخلص.

(٥) الصيت والصات: ذهاب الذكر الحسن بين الناس. والسرايا: جمع سرية، الطائفة من الجيش. يقول: إنه كثير الغارات، سراياه مبشورة في الآفاق، فإذا ذكر اسمه للطفل الرضيع شاب خوفاً ورعباً.

(٦) الدهم والدهاء: السكر وجودة الرأي. والخشوع: الاستكانة والتذل. وخشوعاً: اسم كان. واسم ليس: ضمير الخشوع. والجملة: اعتراض. يقول: يخفى مكره ودهاءه بغض الطرف كأن به خشوعاً، وليس به ذلك الخشوع، والله قول ابن الرومي في هذا المعنى:

إِذَا اسْتَعَطَّيْتَهُ مَا فِي يَدَيْهِ فَقَدْكَ سَأَلَ عَنْ حِرْمَانِيَّةٍ (١)
 قَبُولِكَ مِنْهُ مَنْ عَلَيْهِ وَإِلَّا يَبْتَدِيءُ بِرَهُ فَطِيئًا (٢)
 لِهَوْنِ الْمَالِ أَفْرَشَهُ أَدِيمًا وَلِلتَّفْرِيقِ يَكْرَهُ أَنْ يَضِيعًا (٣)
 إِذَا ضَرَبَ الْأَمِيرُ رِقَابَ قَوْمٍ فَأَلْكَرَامَةَ مَدَّ النَّطُوعًا (٤)
 فَلَيْسَ بِوَاهِبٍ إِلَّا كَثِيرًا وَلَيْسَ بِقَاتِلٍ إِلَّا قَرِيبًا (٥)

سأله وما تتسقى في رأي سقطته دام وما ينطوي منه على ريب
 فذهبه للدواهي الرئيد بدمعاً وسهوه عن عيوب الناس والغيب
 (١) قدك : أى حسبك وكفاك ، وقوله مذيباً - أى مفشياً - مفعول سألت يقول :
 إذا سألته جميع ماله كفاك ذلك السؤال كالرجل المذيع للأسرار إذا سألته عن سر
 أقشاه ولم يكتمه . كذلك هو يعطيك ما يملكه ولا يرضن به لأريحته .
 (٢) المن : النعمة . يقول : لأريحته واستلذاه العطاء بعد قبولك عطاءه منه -
 نعمة - مننت بها عليه ، وإن لم يبتدىء بالعطاء قبل السؤال رأى ذلك أمراً منكراً
 قبيحاً . ومثله لأبي تمام :

يُعْطِي وَيَشْكُرُ مَنْ يَأْتِيهِ بِسَأَلِهِ فَشَكَرَهُ عَوْضٌ وَمَالُهُ هَدَرٌ
 (٣) قالوا : إن المدحوح كان قد حمل إليه مال عجي ، فأمر أن يفرش له أديم -
 جلد - ويطرح عليه فاعتذر له النبي وقال : إنه لم يفعل ذلك لكرامة المال عليه وإنما لهونه -
 أى هوانه - لأنه يريد أن يفرقه على القعماد والشعراء وهو لم يفعل هذا ليحفظه من
 الضياع ويدخره في خزائنه ، ولكن يفرقه على السؤال . وقد مثل لهذا بالبيت التالي ،
 وهذا قريب من قول علي بن الجهم :

وَلَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالُ إِلَّا لِبَدْمَا كَمَا لَا يَسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ
 (٤) النطوع : كالأنطاع ، جمع نطع ، وهو الجلد الذي يبسط تحت من يراد قتله .
 يقول : ليس بسط النطوع لضرب الرقاب كرامة ، وإنما ذلك ليسان المجلس عن تلطيخه
 بالدم ، فكذلك بسطه النطع - الجلد - للمال ليس ذلك كرامة للمال وادخاراً له وإنما
 لتفريقه وإتلافه .

(٥) القربع - فى الأصل - الفحل الكرم ؛ سمى بذلك لأنه يفرع الإبل ؛

وَلَيْسَ مُؤَدِّبًا إِلَّا بِنَصْلِ كَفَى الصَّمَامَةَ التَّعَبَ الْقَطِيعًا (١)
 عَلِيٍّ لَيْسَ يَمْنَعُ مِنْ مَجِيءِ مُبَارِزِهِ وَيَمْنَعُهُ الرَّجُوعَا (٢)
 عَلِيٍّ قَاتِلِ الْبَطْلِ الْمَقْدِيِّ وَمُبَدِّلُهُ مِنَ الزَّرْدِ النَّجِيمَا (٣)
 إِذَا اعْوَجَّ الْقَنَا فِي حَامِلِيهِ وَجَازَ إِلَى ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا (٤)
 وَنَالَتْ ثَأْرَهَا الْأَكْبَادُ مِنْهُ فَأَوْلَتْهُ ائْتِدَاقًا أَوْ صُدُوعَا (٥)

والمراد به هنا : السيد الشريف . يصفه بأنه غاية في كرم النفس وعلو الهمة فهو لا يهب إلا المال الكثير ، ولا يقتل إلا الشريف العظيم ؛ ولعله من قول مسلم بن الوليد :

حَدَّارٍ مِنْ أَسَدٍ ضِرْغَامَةٍ شَرِسٍ لَا يُولُغُ السَّيْفَ إِلَّا هَامَةً الْبَطْلِ
 وبيت المتنبي أشمل ، لأنه ذكر الكرم والهمة

(١) النصل : شفرة السيف ، والصمصامة : السيف الذي لا يثنى ، والقطيع : السوط الذي يقطع من جلد البعير . يصف شدته على المذنبين وأهل الريب يقول : أقام سيفه مقام سوطه في التأديب ، فأغنى الديف السوط عن التعب .

(٢) يقول : إن علياً - وهو اسم المدوح - لا يمنع أحداً يأتي لمبارزته في الحرب ، ولكن يمنع من بارزه أن يرجع سالماً ، لأنه لا يكون إلا قتيلاً أو أسيراً

(٣) المقدي : الذي يقول له الناس فدتك نفوسنا ، لما روى من شجاعته وهدية بأسه ، والزرد : حلق الدرع ، والنجيع : الدم الطيرى . يقول : يسلب البطل المقدي درعه ويكسوه بدله دماً ، أى أنه يخضبه بدمه حتى يصير عليه الدم درعاً مكان الدرع .

(٤) جواب إذا : قوله الآتي غداً . واعوجج : يعنى انحنى والتوى ، لأن الرمح إذا طعن به اعوجج والتوى . وقوله في حاملية : يعنى أهل الحرب الذين حملوا الرماح إلى الحرب . وقوله وراز إلى ضلوعهم الضلوعا : أى نفذ من هذه إلى هذه كأنه شق الضلع من الجانبين قال الواحدي : قال المتنبي : كنت قلت :

* وَأَشْبَهَ فِي ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا *

ثم أنشدت بيتاً لبعض المولدين يشبهه فرغبت عنه ، يعنى بيت البحترى :

فِي مَأْزِقِ ضَنْكَ تُمَخَّلُ بِهِ الْقَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا ائْتِدَاقًا ضُلُوعَا

(٥) منه : أى من القنا ؛ وأولته : أنالته ، والصدوع : الشقوق ، جمع صدع

فَحِذْ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلَيْنِ عَنْهُ وَإِنْ كُنْتَ الْخَبِئَةَ الشَّحِيمَا (١)
 إِنْ اسْتَجْرَأْتَ تَرْمَقُهُ بَعِيدَا فَأَنْتَ اسْطَعْتَ شَيْئًا مَا اسْتَطَعَا (٢)
 وَإِنْ مَارَيْتَنِي فَارْكَبْ حِصَانَا وَمَثَلُهُ تَخْرُ لَهُ ضَرِيعَا (٣)
 غَمَامٌ رُبَّمَا مَطَرَ أَنْتِقَامَا فَأَقْطَطَ وَذَقَهُ الْبَلَدَ الْرَبِيعَا (٤)
 رَأَى بَعْدَ مَا قَطَعَ الْمَطَايَا تَيْمَمُهُ وَقَطَعَتِ الْقُطُوعَا (٥)

يقول: واندقت الريح - انكسرت - وتصدعت في الأكباد لشدة الطعن فكأن الأكباد أدركت بذلك منها ثأراً .

(١) هذا جواب: إذا عوج القنا، والتقدير: إذا عوج القنا وجاز الضلوع إلى ضلوعهم ونالت ثأرها الأكباد منه: فخذ عنه، والخبئة: من أسماء الأسد، ويقال للنمر - والشجيع: الشجاع. يقول: إذا كان كذلك والتقى الجمعان فخذ - أي مل وتباعد عنه - وإن كنت شجاعاً قوى القلب كالأسد، وإلا هلكت .

(٢) قال ابن جني: استجراً الرجل بمعنى جرؤ، أي صار جريئاً، وترمقه أي أن ترمقه، فخذف ورفع الفعل. يقول: إن قدرت على النظر إليه في الحرب من بعيد فقد قدرت على شيء عظيم لم يقدر عليه أحد، وهذا من قول أبي تمام:

أَمَا إِذَا عَشْتَ يَوْمًا بَعْدَ رُؤَيْتِهِ فَاذْهَبْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْفَارِسُ النَّجِدُ

(٣) يقول: إن جادلتني ولا جبتني في قولي هذا فاركب فرساً وصوره في تنسك كأنك تحاربه، فإنك إذا فعلت ذلك سقطت على الأرض صريعاً قبل أن تلاقيه لهيبته وخوفك منه .

(٤) الودق: المطر؛ وللريح الممرع: أي المنصب. يقول: هو غمام يطر النعم فيحي بها البلاد ولكن الغمام قد يكون فيه صواعق مهلكة وبرد وأحجار، كذلك هو ربما أمطر نعمة على الأعداء، فسير مطره البلد المريع قحطاً مجدباً لما يلم به من الدمار .

(٥) القطوع: جمع القطع، وهو الطنفسة تحت الرحل تغطي كتفي البعير. يقول: رآني بعد ما طال سفرى حتى قطع تيممه - أي قصدى إياه - مطايي - أي مطي - أي أنضاه وأجهزها عن السير، وقطعت الإبل ما عليها من الطنافس: أي أبلتها بكثرة السير وطول المسافة .

فَصَيَّرَ سَيْلُهُ بَلَدِي غَدِيرًا وَصَيَّرَ خَيْرُهُ سَنِي رَيْبِعًا^(١)
 وَجَاوَدَنِي بَأْنَ يَعْطِي وَأُخْوِي فَأَغْرَقَ نَيْلُهُ أَخَذِي سَرِيْعًا^(٢)
 أُمْنِسِي الشُّكُونَ وَحَضْرَمُونَ وَوَالِدِي وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيْعًا^(٣)

(١) الغدير : القطعة من السيل يفادرها المطر . يقول : أعطاني حتى ملأني بالعطاء كما يملأ السيل الغدير ، وأصلح دهري حتى صار كالربيع فصل الخصب والأمطار . وقد نحا في هذا منحى ابن الرومي في قوله .

فَضِيْفُهُ فِي رَيْبِعٍ طَوَّلَ مَدَّتِهِ وَجَارُهُ كُلَّ حِينٍ مِنْهُ فِي رَجَبٍ
 وابن هفان في قوله .

لِرَيْبِعِ الزَّمَانِ فِي الْحَوْلِ وَقْتُ وَابْنُ يَحْيَى فِي كُلِّ وَقْتٍ رَيْبِعُ
 وكذلك البحرى :

فَكَمْ لِبَسْتِ الْخَفْضِ فِي ظِلِّهِ عُجْرِي شَبَابٌ وَزَمَانِي رَيْبِعُ
 (٢) جعل الأخذ منه جوداً عليه كما في قوله :

* قَبُولِكَ مِنْهُ مِنْ عَلَيْهِ *

يقول : جاودني ، أي غالبني في الجود ، فكان يجود على بالعطاء وأنا أجود عليه بالأخذ فغلبني ؛ إذ لم أتمكن من استيعاب كل ما يعطينه لتوافره حتى طفع عطاؤه على أخذني فأغرقه : أي كان في الإعطاء أسرع مني في الأخذ .

(٣) هذه أسماء أما كن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنونها . يقول : إن إحسانه ألماه عن بلده وأهله ، وهذا من قول البحرى :

جَفَوْتُ الشَّامَ مُرْتَبِعِي وَأَنْسِي وَعَلَوَةَ خَلَوْتِي وَهَوَى فَوَادِي
 وَمِثْلُ نَدَاكَ أَذْهَلَنِي حَبِيْبِي وَأَكْسَبَنِي سُلُوءًا عَنِ بِلَادِي
 ومثله للراعي :

رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكَّرَ إِخْوَتِي وَمَالُكَ أَنْسَانِي بُوْهَيْنٍ مَالِيَا^(١)

(١) وهيين : اسم موضع ، وجبل من جبال الدهناء .

قَدْ اسْتَقْصَيْتَ فِي سَلْبِ الْأَعَادِي فَرَدَّ لَهُمْ مِنْ السَّلْبِ الْهَجُوعَا^(١)
 إِذَا مَا لَمْ تُسِرْ جَيْشًا إِلَيْهِمْ أَسْرَتَ إِلَى قُلُوبِهِمُ الْهَلُوعَا^(٢)
 رَضُوا بِكَ كَالرَّضَا بِالشَّيْبِ قَسْرًا وَقَدْ وَخَطَ النَّوَاصِي وَالْفُرُوعَا^(٣)
 فَلَا عَزْلٌ وَأَنْتَ بِبَلَا سِلَاحٍ لِحَاظِكَ مَا تَكُونُ بِهِ مَنِيعًا^(٤)
 لَوْ اسْتَبَدَّلْتَ ذِهْنَكَ مِنْ حُسَامٍ قَدَدْتَ بِهِ الْمَغَافِرَ وَالذُّرُوعَا^(٥)

(١) استقصى في الأمر: بالغ؛ والسلب الأول: بسكون اللام - مصدر؛ والثاني - بفتحها - المعنى للسلب؛ والهجوع: النوم. يقول: بالغت في سلب الأعداء فسلبتهم كل شيء حتى النوم، فرد ذلك النوم عليهم فإنهم لا يجدون النوم خوفا منك.

(٢) الهلوع: الجزع والخوف الشديد. يقول: إذا لم تغزم بجيشك غزوتهم بالخوف، فهم لا يزالون خائفين منك جزعين، وهذا قريب من قول أبي تمام:

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ

(٣) وخط الشيب الشعر: خالطه؛ والنواصي: جمع ناصية: مقدم الرأس؛ والفروع: جمع فرع: الشعر. يقول: إنهم صبروا على الذل لك كارهين كما يصبر المرء على الشيب إذا جلل رأسه.

(٤) العزل: مصدر الأعزل، وهو الذي لا سلاح معه؛ واللحاظ - بفتح اللام وبكسرهما - مؤخر العين ومنع الرجل يمنع مناعة: فهو منيع. والضمير في به: يعود إلى ما: أي لحاظك الشيء الذي تكون به منيعا. يقول: إذا كفت بلا سلاح قام لحاظك مقام السلاح، لأنك إذا نظرت إلى عدوك قتلتها هبة لك، فقام لحاظك مقام سلاحك فصرت به منيعا. وفي مثل هذا المعنى يقول الآخر:

لِحَظَاتٍ طَرَفِكَ فِي الْوَعْيِ تُغْنِيكَ عَنْ سَلِّ السِّيَوفِ
 وَعَزِيمُ رَأْيِكَ فِي النَّهْيِ يَكْفِيكَ عَاقِبَةَ الصَّرَوفِ
 وَسِيُولُ كَفِّكَ فِي الْوَرَى بَحْرٌ يَفِيضُ عَلَى الضَّعِيفِ

(٥) المغافر: جمع مغفر: زرد ينسج من الدرع يوضع على رأس الفارس. يصفه هنا بالذكاء وحدة الذهن حتى لو أخذ ذهنه بدلا من السيف لقطع به المغافر والدرع على الأعداء.

لَوْ أُسْتَفْرَغَتْ جُهْدُكَ فِي قِتَالِ
سَمَوْتٍ بِهَيْمَةٍ تَسْمُو فَتَسْمُو
أَتَيْتَ بِهِ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعًا^(١)
فَمَا تُلْفَى بِمَرْتَبَةٍ قَنُوعًا^(٢)
وَهَبَكَ سَمَحَتْ حَتَّى لَا جَوَادٌ
فَكَيْفَ عَلَوْتَ حَتَّى لَا رَفِيعًا^(٣)

(١) الجهد : الطاقة ، وأتيت على الدنيا : أى أهلكت من فيها جميعا .

(٢) تلفى : توجد ؛ وقوله فتسمو : يجوز أن تكون خطابا للمدوح : أى كلما سميت همتك ازددت علوا ، ويجوز أن تكون خبراً عن الهمة . يقول : سموت بهمة ، وتلك الهمة تسمو بك أبدا فتسمو ولا تقنع بنيل مرتبة .

(٣) يقول : أحسب أن جودك مما اسم الجواد عن الناس ، فكيف مما علاؤك اسم الرفيع عن كل شيء ؟ وجواد : مرفوع ، على أن لا : بمعنى ليس ، والألف - فى رفيعا - ليس بدلا عن التنوين ، لأن لا : تنصب النكرة بغير تنوين ، وإنما هى للوصل والإطلاق .

﴿ تم - بحمد الله - الجزء الثانى ؛ وبليه - إن شاء الله - الجزء الثالث ﴾

فهرس

قوانى الجزء الثانى من ديوان المتنبى

تابع قافية الدال

صفحة	مطلع القصيدة
٣	لكل امرئ من دهره ما تعودا ... في العدا
١٦	فارتكم فإذا ما كان عندكم ... يد -
١٧	أهلا بدار سبائك أعيدها ... خردها
٣٨	كم قتيل كما قتلت شهيد ... الحدود
٤٩	أقصر فلست بزائد ودا ... الحدا
٥١	اليوم عهدكم فأين الموعد ... غد
٦٣	أيا خدد الله ورد الحدود ... القدود
٦٩	إن القوافي لم تنمك وإنما ... يوجد
٦٩	محمد بن زريق ما زى أحداً ... سدا
٧٠	ما الشوق مقتنماً مني بذالكمد ... كجد
٧٤	أحد أم سداس في أحاد ... بالتناد
٨٦	أحلم زى أم زمانا جديدا ... أعيدا
٩١	يستعظمون أياتا نامت بها ... الأسدا
٩١	أقل فمالي به أكثره مجد ... جد
١٠٢	أما الفراق فإنه ما أعهد ... يولد
١٠٣	لقد حازني وجد بمن حازه بعد ... وجد
١١٢	وزيارة عن غير موعد ... للسهد
١١٣	يامن رأيت الحليم وغدا ... عبدا
١١٣	أمن كل شيء بلغت المرادا ... العبادا
١١٤	وشامخ من الجبال أقود ... الأصيد
١١٦	ماذا الوداع وداع الوداع الكمد ... للجسد

صفحة

مطلع القصيدة

- ١١٧ وبنية من خيزران ضمنت . . . في يد
١١٨ وسوداء منظوم عليها لآلى . . . من الند
١١٨ أتنكر ما نطقت به بديها . . . الجواد
١١٩ أود من الأيام مالا توده . . . جنده
١٣١ حسم الصلح ما اشتته الأعداى . . . الحساد
١٣٩ عيد بأية حال عدت يا عيد . . . تجديد
١٤٨ جاء نيروزنا وأنت مراده . . . زناده
١٥٩ بكتب الأنام كتاب ورد . . . يد
١٦١ نسيت وما أنسى عتابا على الصد . . . الحد
١٧٣ أزار ياخيال أم عائد . . . راقد
١٨٢ وشاذن روح من يهواه في يده . . . مقلده

قافية الذال

- ١٨٥ أمساور أم قرن شمس هذا . . . الأستاذا

قافية الراء

- ١٩٠ سرحل حيث تحلج النوار . . . المقدار
١٩٣ اخترت دهاء تين يامطر . . . الحير
١٩٤ رضاك رضاي الذي أوثر . . . أظهر
١٩٦ أرى ذلك القرب صار ازورارا . . . اختصارا
١٩٩ الصوم والفطر والأعياد والعصر . . . والقمر
٢٠١ ظلم لهذا اليوم وصف قبل رؤيته . . . النظر
٢٠٢ طوال قنا تطاعنها قصار . . . بحار
٢١٧ بقية قوم آذنوا بيور . . . عقار
٢١٧ إذا لم تجد ما يتر الفقرا قاعدآ . . . العمرآ
٢١٨ حاشى الرقيب خفاته ضمأره . . . بوادره
٢٢٦ أريقك أم ماء الغامة أم حمر . . . جمر
٢٣١ إنى لأعلم والليب خير . . . غرور

صفحة	مطلع القصيدة
٢٣٥	غاضت أنامله وهن بحور سعير
٢٣٨	آلال إبراهيم بعد محمد وزفير
٢٣٩	مرتك ابن إبراهيم صافية الحجر السكر
٢٤٠	أصبحت تأمر بالحجاب لحلوة بقادر
٢٤١	نال الذي نلت منه مني الحبور
٢٤٢	وجارية شعرها شطرها أمرها
٢٤٣	إن الأمير أدام الله دولته مضر
٢٤٤	زعمت أنك تنفي الظن عن أدبي مقداراً
٢٤٤	برجاء جودك يطرد الفقر العمر
٢٤٥	لا تنكر رحيلي منك في عجل مختار
٢٤٥	عذيري من عذارى من أمور الحدور
٢٤٩	ووقت وفي بالدهم لي عند واحد كثيراً
٢٤٩	أنشر الكعباء ووجه الأمير الحبور
٢٥٠	لا تلومن اليهودى على فلا ينكرها
٢٥٠	إنما أجزف المديح بعيني في الأمير
٢٥١	ترك مدحيك كالمجاء لنفسى الكثير
٢٥٢	بسيطة مهلا بقت القطارا حيارى
٢٥٢	أطاعن خيلا من فوارسها الدهر الصبر
٢٦٤	بادهواك صبرت أم لم تصبرا جرى
	قافية الزاى
٢٨١	كفرندى فرند سيني الجراز للبراز
	قافية السين
٢٩٤	ألا إذن فما أذكرت ناس قاس
٢٩٤	أطبية الوحش لولا ظبية الأنس تعس
٣٠٠	ألد من اللدام الخندريس الكثوس
٣٠١	هذى برزت لنا فهبت رسيماً نسيماً
٣١١	يقبل له القيام على الرؤوس النفوس

صفحة	مطلع القصيدة
٣١١	أنوك من عبد ومن عرسه . . . نفسه
٣١٤	أحب امرئ حب الأنفس . . . معطس
	قافية الشين
٣١٦	مببق من دمشق على فراش . . . حاش
	قافية الضاد
٣٢٦	فعلت بنا فعل السماء بأرضه . . . نقضه
٣٢٧	إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض . . . المحض
٣٢٧	مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضى . . . الغمض
	قافية العين
٣٢٩	لا عدم الشيع الشيع . . . تصنع
٣٣٠	غيرى بأكثر هذا الناس ينجذع . . . شجعوا
٣٤٤	حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا . . . أشيع
٣٥٦	شوق إليك نبي لذيد مجوعى . . . ضلوعى
٣٥٧	ملث القطر أعطشها ربوعاً . . . التقيماً

المشتم
عفا الله عنه

شرح ديوان المتنبي

وَصَّعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدَّامَاتُ هَذِهِ الطَّبَعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالْبَسْطِ وَالِاسْتِيْعَابِ بِمِثْلِ تِلْكَ
فِي الشَّرْحِ جَمِيعِ شُرُوحِ المُنْتَبِي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشَّوَاهِدَ وَالنُّظَارَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

الجزء الثالث

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

بيروت - لبنان

وقال يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الأصعب الكاتب :

أَرَكَايِبَ الْأَحْبَابِ إِنْ الْأَذْمَاءُ تَطِيسُ الْخُدُودَ كَمَا تَطِيسَنَّ الْيَزْمَاءُ (١)
فَاعْرِفْنَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكِنَّ النَّوَى وَأَمْشِينَ هَوْنًا فِي الْأَزْمَاءِ خُضْمًا (٢)
قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَاءِ فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَاءُ أَنْ يَمْنَعًا (٣)
حَتَّى كَانَ لِكُلِّ عَظْمٍ رَنَّةٌ فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَدْمَعًا (٤)
وَكَفَى بَيْنَ فَضْحِ الْجِدَايَةِ فَاضِحًا لِحَبِّهِ وَبِمَصْرَعِي ذَا مَصْرَعًا (٥)

(١) أركائب . أى ياركائب ؛ والركائب : جمع الركوب ، وهى الإبل تركب ؛
وتطيس : تدق ؛ والوطس : الدق ؛ واليرمع : حجارة بيض صغار رخوة . يقول : إن
الدموع تفعل بالحدود فعل أخفاف الإبل بالحجارة التى تطؤها : يعنى أن تأثير الدموع
فى الحدود كتأثير الإبل فى الحجارة .

(٢) النوى : البعد ، فاعل حملت ، وهى مؤنثة ، والأزمة جمع زمام ما تقاد به
الدابة . يقول للابل : اعرفنى قدر الحبيبة التى حملها البعد عليكى ، واعرفنى لينها
ورقتها ، وأنها لا تصبر على احتمال الأذى ، فامشين بها رويداً خضماً حتى لا تتأذى
بسيركن ومرحكن .

(٣) البكا : - يمد ويقصر - والأشهر : البد . يقول : قد كان حياى يغلب بكأى ،
واليوم غلب بكأى حياى .

(٤) الرنة : فعلة من الرنين ، وهو صوت البكاى ، والضمير فى جلده : للعظم ؛
ويحتمل أن يكون للعاشق على الالتفات . والمدمع : مجرى الدمع ؛ يقول : لكثرة
بكأى صار كأن كل عظم من عظامى يرن رنيناً ، وكل عرق لى يبكى : أى غلب البكاء
حتى صارت حالتى بهذه الصفة . قال ابن وكيع : وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :
وَمُتِّمٌ جَرَّحَ الْفِرَاقُ فَوَادَهُ فَالدمع من أحنانه يترقرق
وإلى قول الآخر :

وكان لى فى كلِّ عضوٍ واحدٍ قلباً يرنُّ وتأنطراً ما يطرِفُ

(٥) الجداية : الطيبة ، وفاضحة : تميز ، والمصرع : المقتل ، مصدر ميمي - من
صرعه : أى طرحه على الأرض - يقول : من فضح الجداية بحسنه كنى فاضحاً لمن يحبه
وكنى بمصرعى فى حبه بمصرعاً ؛ يعنى أنه غاية فى الحسن وأنا غاية فى الحب والعشق .

سَفَرَتْ وَبَرَقَمَهَا الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ سَتَرَتْ مَحَاجِرَهَا وَلَمْ تَكْ بُرْقَمًا^(١)
 فَكَأَنَّهَا وَالِدْمَعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبٌ بِسِنِّطَى لَوْلُؤٍ قَدْ رُصِّعًا^(٢)
 كَشَفَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرَهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيْسَالِي أَرْبَعًا^(٣)
 وَأَسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتِنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا^(٤)
رُدِّي الْوِصَالَ سَتَى طُلُوكِ عَارِضٌ لَوْ كَانَ وَصْلُكَ مِثْلَهُ مَا أَقْشَعًا^(٥)

(١) يقول: سفرت - كشفت عن وجهها للوداع ، وقد ألبسها وجل الفراق صفرة كأنها برقع يستر محاجرها - ما حول العين - ويخفي محاسنها ، ولم تكن برقعا على الحقيقة ؛ يعني أنها جزعت للفراق حتى اصفر لونها .

(٢) السمط : خيط الفلادة . والضمير من كأنها : للصفرة . يقول : كأن صفرتها والدمع فوقها ذهب مرصع بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط . شبه صفرة وجهها بالذهب والدمع باللؤلؤ .

(٣) يقول : صارت الليلة بدوائبها الثلاث أربع ليال ، لأن كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها . والدوائب : جمع ذؤابة ، وهي الحصلة من الشعر ؛ والأصل ذائب ، فأبدل من الهمزة الأولى واوآ تخفيفا .

(٤) قال الواحدى : يجوز أن يريد بالقمرين : القمر والشمس ، وهى وجهها ، وجعل وجهها شمساً فى الحسن والضياء ؛ ويجوز أن يشبه وجهها بالقمر ، فهما قران فى وقت واحد . وهذا كقول الآخر .

وإذا الغزاةُ فى السماء ترفعتُ وبدأَ النهارُ لوقته يترحَّصل
 أبدتُ لوجهِ الشمسِ وجهاً مثله يلقى السماءَ بمنلِ ما تسْتَقِيلُ
 ويقول صريع الغواني :

فَبِتْ أُسِرْ البدرَ طوراً حديثها وطوراً أناجى البدر أحسبها البدرا
 إلى أن رأيتُ الليلَ منكشف الدجى يودُّعُ فى ظلماتِهِ الأنجم الزُّهرا
 وهذا المعنى كثير فى كلامهم .

(٥) الطلول : جمع طلل ، وهو رسم اليدار ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ وأقشع : أقلع وتفرق . يقول : أعيدى لنا وصالك ، ثم دعا للطلول بالسقيا وقال لو كان وصالك مثل السحاب الذى أعناه للطلول أى دائماً لا يتفرق - لكان دائماً لا ينقطع

زَجَلٌ يُرِيكَ الْجُوهَ نَاراً وَالْمَلَأَ كَالْبَحْرِ وَالتَّلَمَاتِ رَوْضاً مُمْرِعاً^(١)
كَبْنَانَ عَبْدَ الْوَاحِدِ الْعَدَقِ الَّذِي أَرَوَى وَآمَنَ مَنْ يَشَاهُ وَأَفْرَعاً^(٢)
أَلْفَ الْمُرُوءَةِ مُذُنَشَا فَكَأَنَّهُ سَقَى اللَّبَانَ بِهَا صَبِيئاً مُرَضِعاً^(٣)

(١) زجل : يسمع له زجل ، وهو الصوت : يعنى صوت الرعد ؛ والملا : المتسع من الأرض أو الصحراء ؛ والتلمات : جمع تلمة ، التل يجرى منه الماء إلى الوادى والمرع المنصب . يصف هذا السحاب يقول : إنه يملأ الجو بيرقه حتى يرى نارا ، ويملاً المتسع من الأرض ماء حتى يرى كالبحر ، ويخصب التلال بمائه حتى تصير كالروض الحصيب ؛ وقد جمع فى هذا البيت ما فرقه غيره وأبدع فيه ، قال أبو تمام .

أَصْ لَنَا مَاءٌ وَكَانَ بَارِقًا

[أى رجع ماء بعد البرق] وقال ابن دريد :

كَأَنَّمَا الْبَيْدَاهُ غِيبٌ صَوْبُهُ بِحَرِّ طَلْمَا تَيَّارُهُ ثُمَّ سَاجِبًا
(٢) العدق : الكثير قال تعالى « لأستقينهم ماء غدقا » أى كثيراً . شبه ذلك السحاب الذى وصفه بينان - أصابع - المدوح الكثير الجود ، وهذا مخلص حسن ؛ ومثله للبحترى :

كَأَنَّمَا حِينَ تَجَلَّتْ فِي تَدَقُّقِهَا أَيْدَى الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَدَائِمَا

(٣) المروءة : الكرم ؛ واللبن : جمع اللبن ، وصبيها حال . يقول : ألف الكرم ناشئا ، فكأنه غذى به مع اللبن الذى شربه رضيعا . وهذا من قول أبي تمام :

لَيْسَ الشَّجَاعَةُ لِمَنْهَا كَانَتْ لَهُ قَدِمًا نَشُوغًا فِي الصَّبَا وَلِدُودًا

«النشوغ : الوجور والسعوط يقال نشفت الصبي وجوراً فانتشفه جرعه جرعة بعد جرعة واللدود ما يصب بالسعط من السقى والدواء فى أحد شقى الفم ولديد الفم جانباه » وإليك طرفة نحوية للكبرى النحوى الكوفى ، قال : مذ ومنذ عندنا أنهما يرتفع الاسم بعدهما بإضمار فعل مقدر محذوف . وقال البصريون : هما اسمان يرتفع ما بعدهما لأنه خبر عنهما ، ويكونان حرفين جارين فيكون ما بعدهما مجروراً بهما ، وحجتنا أنهما مركبان من «من» و«إذ» تغيرا عن حالهما فى أفراد كل واحد منهما ، فحذفت الهمزة ووصلت «من» بالذال وضمت الميم للفرق بين حالة الأفراد والتركيب . والدليل على أنها مركبة من «من» «إذ» أن من العرب من يقول فى «منذ» منذ -

نُظِمَتْ مَوَاهِبُهُ عَلَيْهِ تَمَامًا فاعْتَادَهَا فَإِذَا سَقَطْنَ تَفْرَعًا^(١)
تَرَكَ الصَّنَائِعَ كَالْقَوَاطِعِ بَارِقًا تِ وَالْمَعَالِي كَالْعَوَالِي شُرْعًا^(٢)
مُتَبَسِّمًا لِعِفَاتِهِ عَن وَاضِح تَعَشَى لَوَامِعُهُ الْبُرُوقَ اللَّمَعًا^(٣)

بكسر اليم - فدل على أنها مركبة وإذا ثبت أنها مركبة كان الرفع بعدها بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن بعد « إذ » والتقدير : ما رأيته مذ مضى يومان ومذ مضى شهران ؛ وإذا كان الاسم بهما مخفوضا كان الحذف بهما اعتباراً بـ « من » ، ولهذا المعنى كان الحذف بمنذ أجد لظهور نون « من » فيها ؛ والرفع بـ « مذ » أجد لحذف النون منها تغليبا لإذ ؛ ويدل على أن أصل « مذ » و « منذ » واحد : أنك لو سميت بهما قلت في تصغير مذ : منيد وفي تكسيره : أمناذ ؛ فترد النون المحذوفة ، لأن التكسير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها : وحجة البصريين أنهما معناهما الأمد ، إذا قلت ما رأيته مذ يومان : فمعناه أمد انقطاع الرؤية يومان ؛ والأمد في موضع رفع بالابتداء فكذلك ما قام مقامه وإذا ثبت أنهما مرفوعان بالابتداء وجب أن يكون ما بعدهما خبراً .

(١) التأمم : جمع تيممة : العوذة تعلق على الصبي للوقاية من العين ، قال الواحدي : من روى نظمت - بضم النون - فالعنى أن هباته وما يفعل من الإعطاء جعلت له بمنزلة التأمم التي تعلق على من خاف شيئاً ، فإذا سقطت عنه عاد الحوف : أى أنه ألف الإعطاء واعتاده ، حتى لو ترك ذلك كان بمنزلة من سقطت تأممه ؛ ومن روى بفتح النون : فإنما يعنى ما حصلت له المواهب من الحمد والثناء والمدح والأشعار وأدعية الفقراء ، فهو إذا لم يسمع ما تعود أنكر ذلك ، وكان كمن ألقى تيممته فيفزع ؛ وهذا من قول أبي تمام :

تَكَادَ عَطَايَاهُ يُجِنُّ جُنُونُهَا إِذَا لَمْ يَعُوذْهَا بِنِعْمَةِ طَالِبِ

(٢) الصنائع : الأيادي والنعم والمعروف . والقواطع : السيوف ، وبارقات مشرقات والعوالى : الرماح ؛ وشُرْعًا : منتصبه مرتفعة . يقول : جعل نعمه وأياديه مشرقة لامعة كالسيوف ، ومعاليه مرتفعة كالرماح لاشتهارها بين الناس وقال ابن جنى : يحارب أعداءه وحساده بأياديه كما يحارب بالسيوف والرماح .

(٣) متبسمًا : حال من فاعل ترك ؛ والعفاة : جمع عاف : السائل ؛ وعن واضح : أى عن ثغر واضح ؛ وتعشى : تغطى . ولوامعه : ثنياه . يقول : يتسم للسائلين عن عن ثغر واضح يذهب لمعانه بضوء البرق ، ويروى ، تعشى : أى تذهب نور أبصارها ؛ وهو من قول العباس بن الأحنف :

مُتَكَشِّفًا لِدُأْتِهِ عَن سَطْوَةٍ لَوْ حَكَ مَنَكِبَهَا السَّمَاءُ لَزَعَرَا^(١)
أَلْحَازِمَ التِّيْقِظَ الْأَعْرَ الْعَالِمَ الْفَطْنَ الْأَلْدَ الْأَرِيحَى الْأَزْوَعَا^(٢)
أَلْكَاتِبَ اللَّبِقَ الْأَطْيِبَ الْوَاهِبَ النَّدْسَ اللَّيْبَ الْهَبْرِيَّ الصَّقْعَا^(٣)
نَفْسٌ لَهَا خُلِقَ الزَّمَانُ لِأَنَّهُ مُفْنِي النَّفُوسِ مُفْرَقٌ مَا جَمَعَا^(٤)
وَيَدٌ لَهَا كَرَمٌ الْفَنَامُ لِأَنَّهُ بَسَقِي الْعِمَارَةَ وَالْمَكَانَ الْبَلَقْعَا^(٥)

مُسْتَرْبِلِينَ سَوَائِفًا مَازِيَةً تَعْسِي الْقَوَانِسُ فَوْقَهَا الْأَبْصَارَا^(١)

(١) حك : بروي صك ؛ والمعنى : زاحم : يقول : إنه يظهر للأعداء سطوة لوزاحم منكبها السماء لزعرها : أى أنه يجاهر الأعداء بالقدرة عليهم ولا يكاتمهم العداوة ؛ واستعمار لسطوته منكباً لما جعلها زاحم السماء ، لأن الزحام يكون بالنناكب .
(٢) و (٣) الحازم : ذو الحزم فى أموره ؛ واليقظ : الكثير التيقظ الذى لا يغفل عن أموره والأعر : الشريف ، و يروى الأعز ؛ والألد : الشديد الحصومة ، والاريمى : الذى يرتاح للمعروف والكرم : أى يهتزلها ويتحرك ؛ والأروع : الذى بروعك بجماله أو الحاد الذكى ؛ واللبيق : الخفيف فى الأمور ؛ والندس : الفطن . والهبزى : السيد الكريم ؛ والصقع : الخطيب البليغ .

(٤) يقول : إن الزمان من خلقه إفناء الأشياء ، وكذلك هذا المدوح يفتى أعداءه كما يفتى ماله ، فهو جواد كثير الغارات ، وهذا قريب من قول أبي نواس :
وما هو إلا الدهرُ تأتي صُرُوفُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَشَقُّ بِهِ وَيُمَادِي
(٥) العماره — بكسر العين — الأرض العامرة ؛ والبلقع : المكان الخالى الذى لاعماره فيه . يقول : إنه يعطى كل أحداً كان غنياً أم فقيراً ، كما أن الغنام يسقى كل موضع : أعامراً أم غامراً . ومثله لا بن المعتز :

وَيُصِيبُ بِالْجُودِ الْفَقِيرَ وَذَا الْفَنَى كَالْفَيْثِ يَسْقِي مُجْدِبًا وَمَرِيحًا
وَلَاخِرٌ يَخَاطِبُ الْفَيْثَ :

وَلَيْسَ يَخُصُّ أَرْضًا دُونَ أَرْضِ وَكِفَاهُ تَمَّانِ الْبِلَادَا
وَرَوَى الْخَوَارِزْمِي : الْعِمَارَةَ — بفتح العين — وَقَالَ : يَعْنى الْقَبِيلَةَ ، كَأَنَّهُ قَالَ
يَسْقِي الْمَكَانَ الَّذِي بِهِ النَّاسُ وَالْخَالِي .

(١) القوانس : جمع قونس ، وقونس البيضة من السلاح : مقدمها أو أعلاها ،
والمأذية : الدرع البيضاء أو السهلة اللينة .

أَبْدَا يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفِرٍ وَافِرٍ وَيَلْمُ شَعْبَ مَكَارِمٍ مُتَّصِدًا (١)
يَهْتَزُّ لِلْجُدُوى أَهْتَزَّازَ مَهْنَدٍ يَوْمَ الرَّجَاءِ هَزَزَتْهُ يَوْمَ الوَعَى (٢)
يَا مُغْنِيَا أَمَلِ الْفَقِيرِ لِقَاؤُهُ وَدُعَاؤُهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا (٣)
أَقْصِرْ وَلَسْتَ بِمُقْصِرٍ جُزْتَ الْمَدَى
وَبَلَّغْتَ حَيْثُ النَّجْمُ تَحْتَكُ فَارَبَمَا (٤)

(١) الشعب: الشمل؛ ويصدع: يفرق؛ والوفر: النقي؛ ويلم: يجمع. يقول: إنه أبدأ يفرق شمل المال بالمطاء. ويجمع مفرق المكارم، وقد جمع في هذا البيت بين التطبيق والتجنيس، وقال أبو تمام:

له كل يوم شمل مجدي مؤلفٍ وشمل ندي بين العفاة مُشْتَتٍ
وقال البحرى:

ومعال أصارها لاجتماعٍ شمل مال أصاره لافتراقٍ

(٢) الجدوى: العطا؛ والمهند: السيف؛ ويوم الرجاء: متعلق بهتز؛ والوعى - بالعين والغين - جلبة الحرب وصوتها؛ والجملة قبله: صفة لمهند. يقول: بهتز للجدوى يوم الرجاء اهتزاز المهند يوم الحرب. وهذا من قول الخطيئة:
كسوبٌ ومتلافٌ إذا ما سألته تهللٌ واهتزاز اهتزاز المهند
ولتم بن نويرة:

تراه كنفصل السيف يهتز للندى إذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

(٣) لقاؤه: فاعل مغنيا. يقول: إن لقاء الفقير إياك ودعائه لك حين يدعو بعد الصلاة يغنيان أمل الفقير لما عرف عنك من فرط السخاء وإغاثة البائسين.
(٤) أقصر عن الشيء: تركه مع القدرة عليه. وقوله فاربعا: أراد فاربعم، فوقف بالألف؛ ومعناه: كف حسبك. وقوله: ولست بمقصر. جملة اعتراضية. قال الواحدي: يحتمل أمرين: أحدهما: أني أعلم أنك لا تقصر وإن أمرتك بالإقصار، والآخر: أنك وإن أقصرت لست بمقصر لتجاوزك للمدى - الغاية - وهذا قريب من قول أبي تمام:

يأليت شعري من هذى مناقبه ماذا الذى يبلوغ النجوم، ينتظر

وَحَلَّتْ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ مَوَاضِعًا
لَمْ يَحْتَلِ الثَّقَلَانِ مِنْهَا مَوَاضِعًا^(١)
وَحَوَيْتَ فَضْلَهُمَا وَمَا طَمِعَ امْرُؤٌ فِيهِ وَلَا طَمِعَ امْرُؤٌ أَنْ يَطْعَمًا^(٢)
نَفَذَ الْقَضَاءَ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كَلِمًا أَرْمَمْتَ شَيْئًا أَرْمَمًا^(٣)
وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ الْعَصِيَّ كَأَنَّهُ عَبْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لَبِي مُسْرِعًا^(٤)
أَكَلَتْ مَفَاخِرَكَ الْمَفَاخِرَ وَانْتَفَتَّ عَنْ شَأْوِهِنَّ مَطِيٌّ وَصَفِيٌّ ظَلَمًا^(٥)

(١) لك أن تقرأ الفاعل بفتح الفاء : اسم للفعل الحسن ؛ وبكسرهما : جمع فعل ؛ والثقلان : الجن والإنس :

(٢) يقول : حويت فضل الثقلين - الجن والإنس - وهذا الفضل لم يطعم في نيته أحد ولا حدثته به نفسه لبعده مناله .

(٣) أزمع الشيء عزم عليه . يقول : كأن القضاء لك ، فكلمنا أردت شيئاً وأزمعته أنفذه ، فقوله : لك ، خبر كأن : أى كأنه موافق لك ولك أن تجعل لك : صلة أزمع : أى أن القضاء منفذ لما تريد ، فكلمنا أزمعت أمراً أزمع هو ذلك الأمر لأجلك . هذا : وقد قال الخليل : أزمعت على الأمر فأنا مزعم عليه : إذا مضيت فيه وثبتت عزمك عليه . وقال الكسائي : يقال أزمعت الأمر ، ولا يقال أزمعت عليه ؛ قال الأعشى :

أأزمعت من آلِ ليلي ابتكاراً وشطت على ذى هوئى أن تزارا
وقال الفراء : أزمعته وأزمعت عليه بمعنى ، مثل أجمعت وأجمت عليه :

(٤) العصي : العاصي ، فعيل بمعنى فاعل . يقول : والدهر الذى لا يطيع أحداً قد أطاعك فيما أردت منه طاعة العبد السريع الإجابة .

(٥) انتفتت ؛ رجعت ؛ والشأو : الغاية ؛ والمطى : جمع مطية : الركوبة ؛ والظلم جمع الظالم ، الذى يغمز من يد أو رجل . يقول : غلبت مفاخرك مفاخر الناس حتى أنتها فليس لأحد منهم غير ، وانصرفت مطايا وصفى قلمرة عن غايتها - أى لم يبلغ قولى وصف مفاخرك ، وفى هذا يقول أبو تمام :

هدمت مساعيه المساعى وانتفتت خطط المكارم فى عراض الفرقد

وَجَرَيْنِ تَجْرَى السَّمْسِ فِي أَفْلاكِهَا فَقَطَمَنْ مَغْرِبَهَا وَجُزْنَ الْمَطْلَعَا (١)
لَوْ نَبِطَتِ الدُّنْيَا بِأُخْرَى مِثْلَهَا لَعَمَّمَهَا وَخَشِينَ أَنْ لَا تَقْنَعَا (٢)
فَمَتَى يُكْذَبُ مُدَّعٍ لَكَ فَوْقَ ذَا وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنْ حَقًّا مَا أَدْعَى (٣)
وَمَتَى يُؤَدِّي شَرْحَ حَالِكَ نَاطِقٌ حَفِظَ الْقَلِيلَ النَّزَرَ مِمَّا ضَيَّعَا (٤)

(١) يقول : وجرت مفاخرك في الأرض مجرى الشمس في الفلك حتى قطعت المشرق والمغرب . قال ابن وكيع : هذا مأخوذ من قول حبيب :

أَمَطَّلَعَ الشَّمْسُ تَبْعِي أَنْ تَوْمَ بِنَا فَقَلَّتْ كَلَا وَلَكِنْ مَطَّلَعَ الْجُودُ
وهذا تعسف من ابن وكيع ، وقد كان من المولعين بنقد المتنبي وإصغاء إنائه ،
وإلا فأى تناسب بين البيتين ؟ وإنما بيت أبي تمام فيه حسن التخلص وكان الأقرب
أن يقول : إنه من قول علي بن الجهم :

وسارت مسير الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر
أو من قول أبي قيس بن أبي رفاعة - شاعر جاهلي - يصف قصيدة :

تسير مسير الشمس شرقاً ومغرباً ويحلو بأفواه الرجال نشيدها
(٢) يقول : لو قرنت الدنيا بدنيا أخرى مثلها وضمت إليها لعمتها مفاخرك أيضاً
وخافت أن لاتنفع منها بذلك . وروى لعمتها - والضمير للممدوح - وخشيت - بضم
التاء - والضمير للمتنبي : أي لعمتها بهمتك وسعة صدرك وخفت أنا أن لاتنفع بها
لأن همتك تقتضي فوقها .

(٣) يقول : لا يكذب من ادعى لك فوق هذا ، لأن الله يشهد بتصديقه ، وذلك
ماخلقه الله فيك من علو الهمة والفضائل المتوافرة ، وكان الوجه أن يقول : إن ما ادعى
حق ، فجعل الخبر الذي هوى نكرة - وهو حق - في موضع الاسم ونصبه بأن ،
وجعل الاسم الموصول - ما ادعى - في محل الخبر ، وذلك جائز في ضرورة الشعر .

(٤) النزر . هو القليل ، فهو تأكيد معنوي : يعنى نفسه . يقول : إنما يحفظ
القليل من أحوال مفاخره ، لأنها أكثر من أن يمكنه حفظها - على حد قول
أبي نواس :

* حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ *

إِنْ كَانَ لَا يُدْعَى الْفَتَى إِلَّا كَذَا رَجُلًا قَسَمَ النَّاسَ طُرًا إصْبَعًا^(١)
إِنْ كَانَ لَا يُسَعَى الْجُودُ مَا جِدُّ إِلَّا كَذَا فَالْفَيْثُ أَبْجَلُ مَنْ سَعَى^(٢)
قَدْ خَلَفَ الْعَبَّاسُ غُرَّتَكَ أَبْنَهُ مَرَأَى لَنَا وَإِلَى الْقِيَامَةِ مَسْمَعًا^(٣)

* * *

وحفظ القليل مما ضيعا : أى من جنس ماضيه ، لأن المحفوظ لا يكون من المضيع ،
ولكن يكون من جنسه .

(١) رجلا : مفعول ثانٍ ليدعى ؛ وطرا : أى جميعاً ، حال . يقول : إن كان
لا يدعى الفتى رجلاً إلا إذا كان كذا : أى كهذا المدوح فسم الناس جميعاً إصبعاً ،
لأنهم لو وزنوا بإصبعك ماوفوا ؛ أو لأنهم بالقياس إليك كالإصبع من الرجل ، قال .
الواحدى : وكان هذا المدوح يلقب بذى الإصبع ، وكان له إصبع زائدة : وروى
الحوارزى أصبعا - جمع الضبع - يريد . كلهم بالإضافة إليك ضباع لأنك حزت شرفاً
وقدرأ لم ينله إلا أنت . قال ابن وكيع : وهو من قول أبي النجم :

لو كان خلق الله جنبا واحداً وكنت فى جنبٍ لكنت زائداً
ومن قول عمر بن أبى ربيعة :

ولو سلك الناس فى جانب من الأرض واعتزلت جانباً

ليمت جانبها إننى أرى قربها العجب العاجب

(٢) يقول : إن كان لا يصح سعى ما جد لجد حتى يفعل مثل فعلك ، فالغيث أبجل
الساعين بعد ما بينه وبينك ووقوعه دونك ؛ وجعل الغيث أبجل الساعين مبالغة ،
قال ابن وكيع :

سقيت فكان الغيث أدنى مسافة وأضيق باعاً من ندادك وأقصر

(٣) ابنه - بحذف حرف النداء - أى يابنه ؛ وغرة الشخص : طلته ؛ ومرأى
ومسمعا : حالان . يقول : قد خلف أبوك العباس لنا طلعتك لنشاهد فضلك وكرمك
وليبق ذكرها إلى يوم القيامة .

وقال يرثي أبا شجاع فاتكا ، وقد توفى بمصر سنة خمسين وثلاثمائة ، وكانت هذه
المرثية بعد خروجه من مصر :

أَلْحَزَنُ يُقْلِقُ وَالتَّجْمَلُ يَرْدَعُ وَالدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِي طَبِيعٌ (١)
يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ هَذَا يَجِيءُ بِهَا وَهَذَا يَرْجِعُ (٢)
النُّومُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ وَاللَّيْلُ مُعْنَى وَالكَوَاكِبُ ظَلَمٌ (٣)
إِنِّي لِأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتَحْسُنُ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجَعُ (٤)
وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الأَعَادِي قَسْوَةً وَيُؤَلِّمُنِي بِي عَتَبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ (٥)

(١) يقول : الحزن لأجل المصيبة يقلق ، والتجمل - تكلف الصبر - يمنعي عن
التهاك والجزع ، والدمع بين الحالين عاص لدى التجمل فيحتبس مطيع للقلق فينسكب ،
وبذاك يعصى صاحبه تارة ويطبعه أخرى .

(٢) عني بالمسهد - أي الكثير السهاد ، المنوع عنه النوم - نفسه . يقول : الحزن
والصبر يتنازعان دموع عيني فالحزن يجيء بها - أي يجريها والتجمل يردها .

(٣) يقول : النوم بعد أبي شجاع لا يألف العين : أي لا تنام العيون بعده حزنا
عليه ، والليل يطول فلا ينقضى ، كأنه قد أعيأ عن المشي - كل من التعب - فانقطع ؛
والكواكب ظلم - كالعرجي - لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب . يريد طول الليل
لاستيلاء الحزن عليه والهم على قلبه . وعبارة ابن جنى : لو كان الليل والكواكب مما
يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته . وقال الخطيب : إنما أراد أن الليل طويل لفقده
فالليل معي والكواكب ظلم ما تسر . يريد طول الليل للحزن .

(٤) الحمام : اللوت . يقول : أنا جبان عند فراق الأحبة أخافه خوف الجبناء وأشجع
عند الموت في ميدان الوغى فلا أهابه : يعني أن الفراق أعظم خطبا عنده من الموت ،
كما قال أبو تمام .

جليد على عتب الخطوب إذا عرت ولست على عتب الاخلاء بالجلد

(٥) يقول : إنه صعب على أعدائه لا يلين لهم ، بل يزداد عليهم قسوة إذا غضبوا ،
ويجزع عند عتب الصديق فلا يطيق احتماله ، كما قال أشجع السلمي :

يُعْطِي زَمَامَ الطَّوْعِ إِخْوَانَهُ وَيَلْتَوِي بِالْمَلِكِ الْقَادِرِ

تَصِفُوا الْحَيَاةَ لَجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ (١)
 وَلَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمَحَالِّ فَتَطْمَعُ (٢)
 أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ (٣)
 تَتَخَلَّفُ الْآثَارُ عَنِ أَصْحَابِهَا حِينًا وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَنْتَبِعُ (٤)

وبعد : فإن المتنبي يريد بهذين البيتين عطفه ورقة قلبه عند الموادة والملاينة ، وشدته عند المباطشة والمقاومة .

(١) قوله عما مضى : متعلق بغافل ؛ ويتوقع : ينتظر . يقول : إنما تصفو الحياة لجاهل لا يدرك أحوالها ومصايرها ، أو غافل عما مضى فيها من العبر وما ينتظر في العواقب من انقضائها أو أحداثها التي لا يطيق لها احتمالاً ، أما العاقل الفطن الذي ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصاريضها فإنها لا تصفوله .
 (٢) يسومها : يكافئها ؛ ويعني بالحقائق : ما لا شك فيه للعاقل ، وهو أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار ، والإنسان فيها على خطر عظيم ، وأن الحياة ، فانية فمن غالط في هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفاه العيش حين ألتى عن نفسه الفكر في العواقب وسام نفسه طلب المحال من البقاء في السلامة مع نيل المراد فطمعت في ذلك .

(٣) الهرمان : هما الهرم الأكبر والهرم الأوسط - وهما معروفان ، وكل ما يتعلق بهما ، وبمن بناهما ، والغاية التي بناها لها : معروف ، فراجعه إن شئت : يقول أين من بناهما ؟ وأين قومه ؟ ومتى كان يوم موته ؟ وكيف كان مصرعه ؟ يعني أنهما بقيا بعد من بناهما واندرس ذكره وذكر قومه ، فما يعرفون ولا يعرف بأى ميتة هلك ، ولا في أى وقت لطول عمر الدهر عليه . يريد أن الدنيا مغبية لأهلها منكرة على من اغتر بها ، وأن الفناء حتم في رقاب العباد ، وأن الجميع صائرُونَ إلى الفناء . وعبرة العكبرى : قوله أين الذي الهرمان من بنيانه : استدل بينائهما على تمكنه وأقامهما شاهدين على قوته وقدرته : أى أين هو وقوته ؟ وأين قومه وكثرتهم ؟ وأين عددهم وعددهم ؟ أما عفت الدنيا آثار ملكه وأفته ؟ أما فرقت شماله وشنته ؟ أما في بطن الأرض غيبته ؟ وكأنه في هذا ينظر إلى قول عدى بن زيد :

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمَلُوكِ أَنْوَشَرُ وَإِنَ أَمِ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ

يريد أن الفناء حتم في رقاب العباد ، وأن الجميع صائرُونَ إلى الفناء .

(٤) يقول : إن الآثار تبقى بعد أصحابها حيناً من الدهر تدل على تمكنهم وقوتهم

لَمْ يُرِضْ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعَهُ مَوْضِعٌ^(١)
كُنَّا نَنْظُرُ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا فَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلْقَعٌ^(٢)
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَبَنَاتُ أُعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ^(٣)
الْمَجْدُ أَخْسَرُ وَالْمَكَارِمُ صَافِقَةٌ

مِنْ أَنْ يَعْيشَ لَهَا الْكَرِيمُ الْأَرْوَعُ^(٤)

وسطوتهم ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء فتذهب كما ذهب أصحابها وهذه شنشنة الدنيا مع أهلها ، والمعهود من تصاريها .

(١) يقول : إنه - بعد مرتقى همته - لم يكن يرضى بمبلغ يبلغه في الملا حتى يطلب ما فوقه ، ولم يكن ليسعه موضع من الأرض لأنه لا يشبع طموحه .

(٢) البلقع : الخالي . يقول : كنا نظنه صاحب ذخائر من الأموال فلما مات لم يخلف مالا لأنه كان جواداً معطاء .

(٣) وإذا : عطف على وكل دار بلقع - في البيت السابق - وكل روى بالرفع وبالنصب والتقدير على الرفع . كل شيء يجمعه وعلى النصب يجمع كل شيء من هذه الأشياء . يقول : وإنما كل ما كان يجمعه في حياته المكارم والأسلحة والخيول ، أما الذهب فلا ، لأنه كان يفرقه بالعطاء ، فبنات أعوج : يعني الخيل ؛ وأعوج : خيل مشهور من خيل العرب ، تنسب إليه الخيل الأعوجية ؛ قيل سمي بذلك لأن غارة وقعت على أمحابه ليلا وكان مهرا ، ولضنهم به حملوه في وعاء على الإبل حين هربوا من الغارة ، فاعوج ظهره وبقى فيه العوج ، فلقب بالأعوج ؛ وقد جاء في معنى بيت المتنبي شعر كثير للجاهليين ومن بعدهم ، وقد قائلهم :

إِذَا خَزَنَ الْمَالَ الْبَخِيلُ فَإِنَّمَا خَزَائِنُهُ خَطِيئَةٌ وَدَرُوعٌ

وقال مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة يرثيه :

وَلَمْ يَكْ كَنْزُهُ ذَهَبًا وَلَكِنْ حَدِيدَ الْهِنْدِ وَالْحَلَقَ الْمَذَلَّالَ

(٤) الأروع : الذكي الفؤاد . يقول : إن المجد والمكارم أخسر صفقة وأتقص حظا من أن يعيش لها هذا المرثى ؛ يعني أنها شقيت لذهاب من كان يحفظها ويجمع ثمنها وقال العكبري - عند إعراب قوله المجد أخسر والمكارم صفقة : إذا جعلت التقدير المجد والمكارم أخسر صفقة اختل ، لأنك تفصل بالمكارم بين أخسر وبين صفقة ،

وهي منصوبة بأخسر - التي هي عطف على المجد - وهذا غير جائز ، لأن صفة تحمل من أخسر محل الصلة من الموصول ؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول زيد أحسن وعمرو وجها ، ولكن لك أن تصرفه إلى وجه آخر ، وهو أن تجعل المكارم عطفاً على الضمير في أخسر ؟ فإن عطفه على الضمير الذي فيه لم يكن أجنياً منه ، فلا يعد فصلاً بينه وبين صفة ، فيصير نحو قولك . مررت برجل أكل وعمرو خبزاً ، بعطف عمرو على الضمير في أكل ونصب خبزاً بأكل ، وفي نوادر أبي زيد :

نخیر نحنُ عند البأسِ منكم إذا الداعي الثوبُ قال يالاً^(١)

فلا يجوز أن يكون نحن : مرفوعاً بالابتداء ، ومنكم : متعلق بنخیر - على أن يكون «خير» خبر المبتدأ - لكلا يفصل «نحن» بين «خير» ومنكم ، ولكن يجوز أن يكون «نحن» توكيداً للضمير في «خير» ويكون «خير» خبر مبتدأ محذوف ، فكأنه قال : فنحن خير عند الناس منكم ؛ وحسن حذف «نحن» الأولى التي هي مبتدأ للجمي الثانية توكيداً للضمير في «خير» ، ويجوز وجه آخر وهو أن تنصب « صفة » بفعل مضمر يدل عليه «أخسر» ، وتجعل «المكارم» عطفاً على «المجد» - لا على الضمير في «أخسر» فلا تكون على هذا قد فصلت بين ما يجرى مجرى الصلة والموصول ، فيصير التقدير : المجد أخسر والمكارم أيضاً كذلك ، ثم قال صفة وكأنه قال خسرت صفة فدل أخسر على خسرت كما دل أعلم في قوله تعالى «إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله» على يعلم

(١) بعده :

ولم تثقِ العواتقِ من غيورٍ بغيرتهِ وخَلينِ الحجالِ
وقد نسب أبو زيد في نوادره هذين البيتين لزهير بن مسعود الضبي ولأئمة النحاة في إعراب «نخیر نحن» كلام كثير لا متسع لإيراده هنا والبأس : الشدة والقوة : والثوب : الذي يدعو الناس يستنصرهم ؛ والأصل فيه أن المستغث إذا كان بعيداً يتعرى ويلوح بثوبه رافعاً صوته ليرى فيغاث ؛ ويالا : أراد يالفلان ، أو يالبنی فلان . وجملة لم تثق : عطف على مدخول إذا ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهي التي خرجت عن خدمة لأبيها وعن أن يملكها الزوج ، والحجال : جمع حجلة ، وهو بيت كالقبة . يريدأنهن في يوم فزع أو غارة لا يثقن بأن يحمهن الأزواج والآباء والإخوة ، فنحن عندهن أوثق منكم

وَالنَّاسُ أَنْزَلُ فِي زَمَانِكَ مَزْلًا
بَرِّدْ حَشَايَ إِنْ اسْتَطَمْتَ بِلَفْظَةٍ
مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا
وَلَقَدْ أَوَّاكَ وَمَا تُنِيمُ مُسَلِّمَةً
وَيَدُّ كَانَ قِتَالَهَا وَنَوَّالَهَا
مِنْ تَعَايَشِهِمْ وَقَدْرِكَ أَرْزَعُ (١)
فَلَقَدْ تَضَّرْتُ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ (٢)
مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ (٣)
إِلَّا نَفَاها عَنكَ قَلْبُ أَصْمَعُ (٤)
فَرَضُ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبْرَعُ (٥)

أو علم ، فيكون «من يضل» : منصوبا بالفعل الذي دل عليه «أعلم» ، وإنما حملناه على ذلك هربا من أن يكون «من يضل» في موضع جر بالإضافة إلى «أعلم» ، لأن الأعم أفضل ، وأفضل إذا أضيف إلى شيء كان بعضا له ؛ نحو قولك زيد أكرم الناس ، فلا بد أن يكون من الناس ؛ ولا تقل زيد أفضل النعام لأنه ليس من النعام ، فكذلك لا يجوز أن تضيف «أعلم» إلى «من يضل» لأن الله تعالى لا يكون بعض الضالين .

(١) يقول : إن الناس في زمانك أقل قدرا من أن تكون بينهم مخالطهم وتعاشرهم ، وقدرك أجل من أن تعاش أهل هذا الزمان .

(٢) يقول : كلني كلمة وأصمعي منك لفظة إن قدرت عليها ليسكن مافي قلبي من لوعة الحزن ، فلقد كنت في حياتك تضر - إذا تشاء - أعداءك ، وتنفع أوليائك : أى فانفعي بكلامك

(٣) يقال استراب به : أى رأى منه ما يريه ؛ أى يقلقه . يقول : لم يكن منك إلى أخلائك قبل هذه المرة : أى قبل أن تلجمهم بنفسك : ما يريهم منك أو يوجعهم ، فلما فقدت أو جعت قلوبهم وأبكيت عيونهم .

(٤) الأصمع : الذكي الحاد ؛ وقوله وماتلم : حال . يقول : كنت أراك في حال حياتك وما تنزل بك نازلة من نوازل الدهر إلا دفعها عنك قلب ذكى .

(٥) يقول : ونفاها عنك يد شغشتها إعطاء الأولياء وقتال الأعداء حتى لكان الهوال والقتال واجبان عليها ، وهما تبرع لا وجوب ، وفي هذا يقول أبو تمام :

ثوى ماله نهبُ المعالي فأوجبت عليه زكاة الجود ما ليس واجبا
ويقول ابن الرومي :

ملكٌ لا يرى الله تستحق الوسائل

يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُنَزَعُ (١)
مَا زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا حَتَّى لَبِستَ الْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرِ فَادِحٍ حَتَّى أَنَّى الْأَمْرَ الَّذِي لَا يَدْفَعُ (٢)
فَطَلَّاتَ تَنْظُرُ لَأَرِمَا حُكَّ شُرْعٍ فِيمَا عَرَكَ وَلَا سِيُوفُكَ قُطِعُ (٣)
بِأَبِي الْوَحِيدِ وَجَيْشِهِ مُتَكَائِرٍ يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السَّلَاحِ الْأَذْمُعُ (٤)
وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ فَحَشَاكَ رُعْتُ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ (٥)

وَيَرَاهَا فَرَانِضًا وَتُسَمَّى نَوَافِلًا

ويقول آخر :

أَغْرُهُ مَتَى تَسْأَلُهُ جَادَ فَرِيضَةَ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْهُ جَادَ تَبْرَعًا

(١) يريد : يامن كان في حياته يلبس كل يوم لباساً جديداً . . إذ يخلع اللبوس على من يقصده - كيف ترضى أن تلبس الآن حلة لا تخلع ؟ يعني الكفن - والحلة : اللباس من ثوبين - إزار ورداء - ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .

(٢) الفادح : الذي يشغل حمله ، وفي هذا المعنى يقول الحماسي :

دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تُرِيدُكَ لَمْ نَسْطِيعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعًا

(٣) عراك : أصابك ونزل بك ؛ وشرع الرمح : بسط اليد به وسدده . يقول :

ظَلَّلتُ - أَقمتُ - تَنْظُرُ إِلَى الْمَوْتِ نَظَرَ الْعَاجِزِ لَمْ تَعْمَلْ رِمَا حُكَّ وَلَا سِيُوفُكَ فِي دَفْعِ
مَازِلِ بَكَ ؛ إِذْ لَا مَدْفَعَ لِلْمَوْتِ .

(٤) بأبي : تفدية . وقوله وجيشه متكائر : حال من ضمير الوحيد ؛ ومتكائر :

خبر أول لجيشه ؛ ويبكي : خبر ثان . يقول : إنه - مع كثرة جيوشه - كان وحيداً من الأنصار ، فلم يكن لجيوشه غناء فيما نزل به غير البكاء ، ولا عدة غير الدموع ، مع أن الدموع من شر الأسلحة ، لأنها تضر صاحبها ولا تنفي شيئاً عند المصيبة . وقد فسر هذا في البيت التالي .

(٥) رعت : أفزعت وأخفت ؛ وتقرع : تضرب . يقول : إذا لم يكن لك سلاح

غير البكاء فلا غناء في البكاء ؛ وإنما ترزع به القلب وتقرع به الحد : أي أنه لا يجدي ولا يدفع شيئاً .

(٢ - المعنى ٣)

وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا الْبَارِزِيُّ الْأَشْهَبُ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ (١)
 مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالشَّرِيِّ فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَبِيْرًا لَا يَطْلَعُ (٢)
 وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيْفَةً ضَاعُوا وَمِثْلَكَ لَا يَكَادُ يَضِيْعُ (٣)
 قُبْحًا لَوَجْهِكَ يَا زَمَانَ فَإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بَرْقِعٌ (٤)

(١) الأشهب - تصغير الأشهب - وهو الذي غلب عليه البياض ؛ والأبقع : الذي في صدره بياض ، وهو في الطير والسكلاب ، كالأبلق في الدواب . يقول : وصلت إليك - مخاطب المرئي - يد - يريد يد النية - سواء لديها الصغير والكبير والشريف والوضيع فالبارزي مثل للشريف ، والغراب مثل للوضيع . ويروي ألباز الأشهب - بقطع همزة ال : من الباز - ووصل همزة أشهب بناء على أن همزة ال قد وقعت في أول الشطر الثاني ، فكأنه أخذ في بيت ثان ، كما قال حسان :

لَتَسْمَعُنَّ وَشِيْكََا فِي دِيَارِكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عِمَانَا
 وقال الآخر :

حَتَّى أَتَيْنَ فَتَى تَأْبَطَ خَائِفًا أَلْسِيْفَ فَهَوَّ أَخُو لِقَاءِ أَرْوَعٍ

(٢) المحافل : جمع محفل ، وهو المجتمع ؛ والجحافل : جمع جحفل ، العسكر العظيم . والسرى : يريد سير الجيوش ليلا للغارة ، والنير : الكوكب الكثير النور ؛ والنيران : الشمس والقمر . يقول - متفعماً عليه - : من للمحافل في إرشاد جماعتها ، والجحافل في تصريف كتابتها ، والسرى عند انتهاز فرص الحرب ، وطلب الغرة من الأعداء في الغزو ، ولقد فقدت بفقدك المرشد الذي كانت تستمد برأيه ، والنير الذي كانت تهتدى بضوءه ، فعدمت ما كانت تعهده عنده ، وغرب غروباً لا يطلع بعده ، قاله العكبري .

(٣) يقول : ومن الذي اتخذته خليفة لك على ضيوفك الذين كنت تسر بقراهم ؟ لقد ضاع تصادك ببدك ومثلك من لا يضيع في حياته قاصده .

(٤) يقول : قبح الله وجهك يا زمان فإن وجهك وجه توافرت فيه القبايح ؛ فكأنه اتخذ القبايح برقعا . فقله : قبحا ، مفعول مطلق نائب عن عامله - من قولهم قبحه الله : أى أقصاه ونحاه عن الخير ؛ واللام من قوله . لوجهك : لبيان المفعول . كما يقال سقياه ؛ والقبح - في المصراع الثاني - الحسن .

أَيُّمُتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكُ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخُصْمِيُّ الْأَوْكِعُ (١)
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالِي رَأْسِهِ وَقَفًّا يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَصْفَعُ (٢)
أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ
وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ (٣)
وَتَرَكَتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ (٤)
فَالْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَخْشٍ نَافِرٍ دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَّلَعُ (٥)

(١) الأوكع في الأصل : الذي أقبلت إبهام رجله على السبابة حتى يرى أصلها خارجا كالعقدة ، وأكثر ما يكون ذلك للاماء اللواتي يكددن في العمل ، ويقولون أمة وكماء : أى حماة ، وعبد أوكع : أى أحمق أو لثيم . والاستفهام هنا : للتعجب ، يتعجب من موت أبي شجاع فاتك في جوده وفضله مع بقاء حاسده - يعنى كافورا - الأحمق أو اللثيم . وفاتك : يروى بالرفع . وبالجر ؛ فالرفع على أنه بدل من مثل ، والجر بدل من أبي شجاع .

(٢) يقول : إن كافورا لسقوطه أهل للاذلال ، فكأن قفاه يصيح ألا من يصفع ؛ ولكن للأيدى التى حوله مقطعة لا تقدر على صفعه : أى ليس عنده من فيه خير . إذ رضوا بأن يملك عليهم مثله . يهجو من حوله من أصحابه لرضاهم بمثله وتأخرهم عن الإيقاع به . وهذا استطراد من التنبي ، إذ خرج إلى هجم كافور وأصحابه من رثاء فاتك .

(٣) يخاطب الزمان . يقول أبقيت أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم ؛ أى هو - كافور - أكذب من بقى من الكاذبين ؛ وأخذت أصدق القائلين والسامعين - أى أصدق الناس - يعنى المرئى . فقوله أبقيته : صفة لكاذب ، و«من» : نكرة موصوفة بالجملة بعدها .

(٤) الريحه والريح : واحد ، وتضوع : تفوح .

(٥) يقول : بعد موتك قرت دماء الوحوش ، وكانت كأنها تتطلع للخروج من أبدانها خوفا منك وجزعا . يعنى أنه كان صاحب طرد وصيد بمواصلته الغزوات وتبديه فى الفلوات ، فبموته قرت دماء الوحوش . قدمه : فاعل قر . وقوله وكان : الضمير للدم . والواو : واو الحال . ويقال دابة نافر ، ولا يقال : والتطلع : الاستشراف

وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السَّيَاطِ وَخَيْلُهُ وَأَوْتُ إِبْنَا سُوْقَهَا وَالْأَذْرُعُ (١)
 وَعَفَا الطَّرَادُ فَلَا سِنَانٌ رَاعِفٌ فَوْقَ الْقَنَاةِ وَلَا حَسَامٌ يَلْمَعُ (٢)
 وَوَلَى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ بَعْدَ اللُّزُومِ مُشِيعٌ وَمُودِعٌ (٣)
 مَنْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأٌ وَلِسَيْفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعٌ (٤)
 إِنْ حَلَّ فِي فُرْسٍ فِيهَا رَبِيهَا كِسْرَى تَذِلُّهُ الرِّقَابُ وَتَخْفَعُ (٥)
 أَوْ حَلَّ فِي رُومٍ فِيهَا قَيْصَرٌ أَوْ حَلَّ فِي عُرْبٍ فِيهَا تَبَعٌ (٦)

(١) ثمر السياط : العقد التي تكون في عذباتها . وأوت : عادت إليها ورجعت . والسوق : جمع ساق . يقول : حصل بموته الصلح بين الخيل والسياط لأنه أبدا كان يضربها بسياطه لتركض في قصد عدو أو طرد أو إغاثة مستصرخ، وهي - في شدة جريها أو كثرتها - كأن سوقها وأذرعها ليست منها ، كأنها كانت ترميها عن أنفسها . والآن لما ترك ركضها صارت أيديها وأرجلها كأنها عادت إليها .

(٢) يعنى بالطراد : مطاردة الفرسان في الحرب ؛ وعفا : درس وذهب ؛ والراعف الذي يسيل منه الدم - من رعاف الأنف - والقناة : الرمح . والحسام : السيف القاطع يقول : ذهب ذلك واندرس بموته ؛ قال ابن وكيع : ومعنى البيتين من قول التيمي :

تَرَكْتُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِيَّ مُخَلَّاةً وَقَدْ حَانَ الْوَرُودُ

وَعَادَرْتُ الْجِيَادَ بِكُلِّ مَرَجٍ عَوَاطِلَ بَعْدَ زَيْتِنِهَا تَرُودُ

(٣) و (٤) المخالم : الصديق ؛ وأصل الخلم : مريض الظبية أو كناسها تتخذُه مألفا وتأوى إليه ، فهو من هذا ؛ والنادم : النديم ؛ وشيع الرجل : خرج معه عند الوداع ؛ و « من » - في البيت الثاني - فاعل ولي ؛ والمرتع : المرعى . يقول : ولي وذهب من كان ملجأ أوليائه ، وكان لسيفه مرتع في كل قوم من أعدائه وكل من كان يؤمه ويعول عليه وينادمه مشيعون غير مؤانسين ومودعون غير ملازمين . وذلك عند تشييعه إلى القبر .

(٥) و (٦) يقول ؛ إنه كان عظيما أينما كان حتى لو حل في العجم لكان ملكهم كسرى ، وكذلك في كل قوم ؛ فقوله ففيها : أى فهو فيها ؛ ومثله في البيت الثاني ؛ وكسرى : بيان لرب ؛ والجملة بعده : حال .

قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فِي طَمَنَةٍ فَرَسًا وَلَكِنَّ النَّيَّةَ أَسْرَعَ (١)
لَا قَلْبَتْ أَيْدِي الْفَوَارِسِ بَعْدَهُ رُمْحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعٌ (٢)

وقال في صباه :

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَأَفْتَرَقْنَا وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْتِمَاعًا (٣)
فَأَفْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا التَقِينَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعًا (٤)

-
- (١) فرساً : نسب على التمييز . يقول : كان أسرع الفرسان في الطعان ؛ أي كان إذا طعن لم يدركه ، ولكن النية كانت أسرع منه فأدركته .
(٢) يقول : إن الفرسان لا يحسنون الركض ولا الطعان بعده ؛ فهو يقول - على طريق الدعاء - : لا حمل الفرسان بعده رمحاً ولا حملت الحيل قوائمها .
(٣) بأبي : هذه الباء باء التندية ؛ أي أهدى بأبي من وددته : أي جعل فداء له .
(٤) يقول : كان تسليمه علي عند اللقاء توديعاً لفرأق ثان . وفي هذا يقول علي ابن جبلة العكوك :

رَكِبَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلِمَ حَتَّى وَدَّعَا
ويقول الآخر :

بِأَبِي وَأُمِّي زَائِرٌ مُتَقَنَّعٌ لَمْ يَخْفِ ضَوْءُ اللَّبْدَرِ تَحْتَ قِنَاعِهِ
لَمْ أَسْتَمِعْ عِنَاةَ لِقَائِهِ حَتَّى ابْتَدَأَتْ عِنَاةَ لَوْدَاعِهِ

قافية الفاء

وقال وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه إليه :

مَوْعُ أَنْحِيلٍ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ
وَلَوْ أَنَّ الْجِيَادَ فِيهَا أَلُوفُ^(١)
وَمِنَ اللَّفْظِ لَفِظَةٌ تَجْمَعُ الْوَصْفَ وَذَاكَ الْمُطَهَّمُ الْمَعْرُوفُ^(٢)
مَا لَنَا فِي النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارُ
كُلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ^(٣)

(١) الطفيف : القليل الحقيق - من قولهم : طف له الشيء ، وأطف ، واستطف : إذا أمكن ؛ فالطفيف : الممكن غير المتعذر . يقول : إن عطايك من الكثرة بحيث يعد ما أهديته من الخيل بالقياس إليها نذرا قليلا ، ولو كان في الخيل التي تهبا ألوف من الجياد .

(٢) المطهَّم : التام الجمال . يقول : إن من الألفاظ التي توصف بها الخيل لفظة واحدة تجمع أوصافها ، وتلك اللفظة هي لفظة المطهَّم ؛ يعنى أنك أمرتني أن أختار وصف فرس تهبه لي ، والذي أختاره هو المطهَّم ، وهو المعروف عند أهله : أي أنه متى أطلق عند أرباب الخيل عرف أن ما يوصف به هو التام المحاسن الخالي من العيوب والإشارة بقوله وذلك ، إلى الوصف ، لأن المطهَّم وصف .

(٣) يقول : إنك سألتني الوصف ، فذكرت وصفا واحداً امتثالاً لأمرك ، فأما الذي عندي فهو أن لا أختار لنا عليك فيما تهب ، لأن ما تمنحه جليل شريف ، لأنك جليل شريف .

وأهدى إليه رجل يعرف بأبي دلف بن كنداج هدية وهو ممتقل بمحص ،
وكان قد بلغه أنه ثلبه عند الوالى الذى اعتقله ؛ فكتب إليه من السجن (*) :

أَهْوَنُ بَطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ وَالسَّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا دُلْفِ (١)
غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبْلْتُ بَرَكَ بِي
وَالْجُوعُ يُرْضِي الْأُسُودَ بِالْجَيْفِ (٢)

(*) كان أبو دلف هذا سجان الوالى الذى اعتقله وكار سديقاله من قبل . قال
صاحب الصبح النبى : لما اشهر أمر المتنبي ، وشاع ذكره ، وخرج بأرض سليمة - من
عمل حمص فى بنى عدى - قبض عليه ابن على الهاشمى فى قرية يقال لها « كوتكين »
وجعل فى رجليه وعنقه خشبتين من خشب الصنصاف ، فقال المتنبي .

زعم المقيم بكوتكين بأنه من آل هاشم بن عبد مناف
فأجبتهُ مذ صيرت من أبنائهم صارت قيودهم من الصنصاف
ولما طال اعتقاله فى الحبس كتب إلى الوالى .

يَيْدِي أَيُّهَا الْأَمِيرِ الْأَرِيبِ لَالشَّءِ إِلَّا لِأَنِّي غَرِيبِ
أَوْ لَأَمْ لَمْ لَمَّا إِذَا ذَكَرْتَنِي دَمَ قَلْبِي بِدَمْعِ عَيْنِي يَذُوبِ
إِنْ أكن قَبْلَ أَنْ رَأَيْتَكَ أخطأ ت فإني على يَدَيْكَ أتوبِ
عَائِبٌ عَائِبِي لَدَيْكَ وَمِنْهُ خُلِقْتُ فِي ذَوِي الْعِيُوبِ الْعِيُوبِ

وهاتان القطعتان ليستا فى الديوان وتجدها فى التذييل .

(١) أهون بكذا . أى ما أهونه - صيغة تعجب - والثواء . الإقامة . يريد مقامه
فى السجن . يقول . ما أهون على هذه الأشياء ! أى أنى ووطنى نفسى عليها ، ومن
وطن نفسه على شئ هان عليه - وإن اشتد - كما قال كثير .

قللت لها يا عزُّ كل مصيبة إذا وُطئت يوماً لها النفس ذلت
ولأنه شجاع قوى القلب صبور لا يهوله ذلك .

(٢) غير اختيار : حال ؛ والمصدر : فى تأويل اسم الفاعل ؛ والبر . الإحسان .
يعنى به الهدية . وكان أبو دلف هذا قد بر المتنبي وهو فى السجن وأهدى إليه هدية .

كُنْ أَيُّهَا السَّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ وَطُنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفٍ (١)
لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنْقَصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدْفِ (٢)

يقول : قلت برك بي اضطرارا - لا اختيارا - لاحتياجي إليه ، كالأسد يرضى بأكل الجيف إذا لم يجد غيرها لها . وفي مثل هذا يقول المهلبى الوزير .

ما كنت إلا كلحمة ميتة دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَارُ
ومثله لأبي على البصير :

لَعَمْرُ أَيْكَ مَا أَنْتَسِبُ الْمَلَى إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمُ
ولكن البلاد إذا اقتشرت وَصَوَّحَ نَبْتَهَا رُحَى الْمَشِيمُ
ومثله قول الآخر :

فلا تحمدوني في الزيارة لاني أزوركم إذ لا أرى متعللا
ومثله :

خذ ما أتاك من اللثا ح إذا نأى أهل الكرم

فالأسد تفتس الكلا ب إذا تعذرت الغنم

(١) المعترف : الصابر على ما يصيبه ، ووطن نفسه : مهدها وذلكها . يقول - للسجن - : كن كيف شئت من الشدة ، فإنى صابر عليك .

(٢) السكى . اسم بمعنى السكون . يقول : لو كان نزولى فيك يلحق بي قصا لما كان الدر على شرف قدره ساكنا في الصدف الذى لا قدر له . شبه نفسه في السجن بالدر في الصدف . قالوا : وهو من قول أبي هفان .

تمجبت درُّ من شيبى فقلت لها لا تعجبي فطلوع البدر في الشدف
وزادها عجبا أن رحتُ في سمل وما درت درُّ أن الدرِّ في الصدف

وقال يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضى :

لِحَنِتِّهٖ أَمْ غَادَهُ رُفِيعَ السَّجْفِ لَوْحَشِيَّةٍ لَأَمَّا لَوْحَشِيَّةٍ شَنْفِ (١)
نُفُورٍ عَرَّتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَادَبَتْ سَوَالِفَهَا وَالْحَلَى وَالْخَصْرُ وَالرُّذْفِ (٢)

(١) لحنية : أراد اللحية ؛ فحذف همزة الاستفهام ؛ وقد جاء مثله فى الشعر ، أنشد
سيبويه للأسود بن ينفى :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا شَعِيثُ بْنُ سُهَيْمٍ أَمْ شَعِيثُ بْنُ مِثْقَلِ (١)
ولعمري ربيعة .

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا بِسَمِيعِ رَمِيَنِ الْجَمْرِ أَمْ بِنَانِ (٢)
والعادة والعيادة : المرأة الناعمة ؛ والسجف : جانب الستر إذا كان بصفين ، وقوله
لوحشية : يجوز أن يكون استفهاما - كالأول - ويجوز أن يكون جوابا لنفسه ، كأنه
قال : ليس لحنية ولا لغادة ، بل هو لوحشية - أى لظبية وحشية - ثم رجع منكرا
على نفسه فقال : ما لوحشية شنف - والشنف : ما يعلق فى أعلى الأذن - يعنى أن
السجف الذى رفع إنما رفع لإنسية لأن عليها شنفا ، واللوحشية لاشنف لها . يتعجب
من محاسن المحبوبة يقول : هذه التى رفع لها السجف حنية أم امرأة حسناء ؛ والعرب
إذا بالغت فى مدح شئ جعلته من الجن ، كما قال قائلهم :

حَنِتَّةٌ أَوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبَ بِقُوسِ مَا لَهَا وَتَرُّ

(٢) السوالف : جمع السالفة ، صفحة العنق . وعمرتها : أصابتها ؛ والمراد بالحلى
هنا : عقدها . يقول : هى نفور طبعاً وأصابتها نفرة حادثة فاجتمعت نفرتان : نفرة
أصلية ، ونفرة من رؤية الرجال فتجادبت سوالفها والحلى : يعنى أن العقد الذى كانت
تحلى به جذب عنقها بثقله ، والعنق أمسكه ، فحصل التجاذب ، ورددتها يجذب خصرها
لعظم الردف ودقة الخصر . هذا : والحلى مفرد حلى وحلى .

(١) يقول : ما أدري أشعيت من بنى سهم أم هم من بنى منقر ؛ وشعيت حى من تميم
ثم من بنى منقر ، فجعلهم أدياء ، وشك فى كونهم منهم أو من بنى سهم ، وسهم هنا
حى من قيس . قال الشنمري : ويروى شعيب - بالباء - وهو تصحيف :

(٢) يقول : الهامى النظر إلهن واشتغال البال بهن عن تحصيل رميمهن الجمار بلا منى»
وعلم عدد المرات : أهى سبع أم ثمان ؟

وَحَيْلٌ مِنْهَا مِرْطُهَا فَكَأَنَّمَا تَنْثِقُ لَنَا خُوطًا وَلَا حَظَنًا خِشْفٌ (٢)
زِيَادَةٌ شَيْبٍ وَهِيَ نَقْصُ زِيَادَتِي وَقُوَّةُ عِشْقِي وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي صَعْفٌ (٣)
هَرَاقَتُ دَمِي مِنْ بِي مِنَ الْوَجْدِ مَا بَهَا
مِنَ الْوَجْدِي وَالشُّوقُ لِي وَلَهَا حِلْفٌ (١)

(١) المرط : كساء من صوف أو خز ؛ وخيل منها مرطها : أى مثلها - من قوله تعالى : « ويحيل إليه من سخرهم أنها تسعى ، أى يرون ذلك كالحيال . فالجار من قوله منها : زائد ، كما فى قولهم : جاء يهز من عطفيه ؛ والحوط : الفصن ؛ والحشف : ولد الظبية . يقول . إن مرطها - ثوبها - أرانا ومثل لنا صورتها لدى تلك النقرة ، فإذا هى كفنن بان يتثنى ، وظبي يرنو - ينظر - وخص القامة واللاحظ لأن المرط ستر محاسنها ولم يستر القد ولا اللاحظ . وروى ابن جنى : وخبل - بالباء الموحدة - والخبل : الذى قطعت يده ، هذا أصله ؛ والمراد أن مرطها ستر محاسنها ، فكان ذلك خبل منه لها . قالوا : وهو ينظر إلى قول ابن الرومى :

إِنْ أَقْبَلْتُ فَالْبَدْرَ لَاحَ وَإِنْ مَسَّتْ فَالْفِصْنَ مَالٍ وَإِنْ رَنَتْ فَالرَّيْمُ

(٣) يقول : حالى - أو شأنى - زيادة شيب ، وهذه الزيادة على الحقيقة نقص زيادتى أى نقص ما ازددت من الشباب ، وقوة عشق ، وهذه القوة ضعف : أى كلما قوى العشق ضعفت قوة البدن ، كما قال القائل :

وَأَسْرُهُ فِي الدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ زِيَادَتِي فِيهَا هُوَ النِّقْصُ

وكما قال المتنبي - وقد تقدم - :

مَتَى مَا أَزْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهَى فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي أَزْدِيَادِي

(٢) هراقت : أراقت ، والهاء : بدل من الهمزة ؛ والحلف : اللزام . يقول :

أراقت دمي بمهما تلك التي أجدها من الحب ما تجدي والشوق لي ولها ملازم ، أى أى أحبها كما تحبني ، وأشتاق إليها كما تشتاق لي . قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول : بي من الوجد بها ما بها من الوجد بي لكان أشد اعتدالا ، لكنه - للوزن - حذف بعضه للعلم . كما قال أبو تمام :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِلَادَ رَأَيْتَهَا تُثْرِي كَمَا تُثْرِي الرِّجَالَ وَتَعْدِمُ

أراد كما يعدمون ، لحذف

وَمَنْ كَلَّمَا جَرَدْتَهَا مِنْ نِيَابِهَا كَسَاهَا نِيَابًا غَيْرَهَا الشَّعْرُ الْوَحْفُ^(١)
 وَقَابَلَنِي رُمَاتَنَا غُصْنٌ بَانَةٌ يَمِيلُ بِهِ بَدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفُ^(٢)
 أَكِيدُ لَنَا يَا بَيْنُ وَأَصَلْتَ وَصَلْنَا فَلَا دَارُنَا تَدْنُو وَلَا عَيْشُنَا يَصْفُو^(٣)
 أَرَدُّدُ وَبِئِ لَوْ قَضَى الْوَيْلُ حَاجَةً وَأَكْثَرُ لَهْفِي لَوْ شَفَى غَلَّةَ لَهْفِ^(٤)
 ضَنِّي فِي الْهُوَى كَالشَّمِّ فِي الشَّهْدِ كَامِنًا لَذَذْتُ بِهِ جَهْلًا وَفِي اللَّذَّةِ الْحَتْفِ^(٥)
 فَأَفَنِي وَمَا أَفْتَنَهُ نَفْسِي كَأَنَّمَا أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِي لَهُ دُونَهَا كَهْفِ^(٦)

(١) الوحف : الكثير اللتف . يقول : إن لها من الشعر الكثيف اللتف ما يقوم لها في سترها إذا عريت من الثوب مقام الثوب ، وهذا ينظر إلى قول القائل :
 رأت عين الرقيب على تدان فأسبغت الظلام على الضياء

(٢) الحقف : ما اعوج من الرمل ؛ وأراد بالرماتين : نديها ؛ وبالغصن : قدها وبالبدر : وجهها ؛ وبالحقف : ردفها ، يعني : أنها قامت عند الوداع بحذاءي فقابلني من نديها رماتان على قد كالغصن يميله وجه كالبدر ؛ والمعنى أنها إذا قصدت شيئاً بوجهها مالت إليه نحو الوجه ، فكأن وجهها يميل قامتها ، ثم يمسك الردف بثقله قامتها الخفيفة ، فلا تقدر على سرعة الحركة .

(٣) أ كيداً : أى أتكيد كيداً ؟ فهو منصوب على المصدر . يقول : أتكيد لنا أيها البين - البد - فتواصل وصلنا - أى تلازمه ؟ - أى كلما تواصلنا تعرض لنا ففترقتنا فلا تدنو لنا دار ولا يصفو لنا عيش ؛ ومثله للبحترى :

فوا أسنى لو قاتل الأسفُ الجوى ولهفي لو أن اللهف من ظلمي يُجدى

(٤) ويل : كلمة يقولها كل واقع في هلكة ؛ واللهمف : التحسر على ما فات ؛ والغلة : العطش وحرارة الجوف . يقول : إنى أ كسر القول بهاتين الكلمتين لو نفع القول بهما وترديدى إياها ، وهذا على حكاية ما كان يقول .

(٥) ضنى : مبتدأ محذوف الخبر : أى بى ضنى ، وهو شبه الهزال من المرض ؛ وكامنًا : حال من السم ؛ وجهلاً : مفعول له ؛ والحنف : الموت . يقول : بى ضنى مستر كما يكن السم فى الشهد - العسل - إذا مزج به ، وقد استلذت الهوى جهلاً بذلك لضنى وحنفى فى تلك اللذة .

(٦) فأننى : أى الضنى . والكهف - هنا - اللجأ ، ففاعل أننى : ضمير الضنا ؛ وفى

قَلِيلُ الْكِرَى لَوْ كَانَتْ الْبَيْضُ وَالْقَنَا كَارَأَيْمًا أَغْنَتْ الْبَيْضُ وَالزَّغْفُ (١)
يَقُومُ مَقَامَ الْجَيْشِ تَطْيِيبُ وَجْهِهِ
وَيَسْتَفْرِقُ الْأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفٌ (٢)
وَأِنْ قَدَّ الْإِعْطَاءَ حَتَّى يَمِينَهُ إِلَيْهِ حَيْنَ الْإِلْفِ فَارَقَهُ الْإِلْفُ (٣)

الكلام تنازع : لك أن تجعل نفسى فاعل أفنت ، فيكون مفعول أفنى ضميرها محذوفا
لتأخر مرجعه لفظاوية : أى فأفناها ، وما أفنته نفسى ؛ ولك أن تجعلها مفعول أفنى ،
فيكون فاعل أفنت ضميرها مستترا . وكهف : خبر عن أبو الفرج . وله : حال مقدمة
عن كهف . والضمير : للضنى ، ودونها : صلة كهف . يقول : فأفنى الضنى نفسى وما أفنته ،
كأن للمدوح كهف له دون نفسى فليست تقدر على إفنائه . وهذا من حسن التخلص .

(١) الكرى : النوم . والبيض الأولى - بكسر الباء - السيوف . والثانية - بفتح
الباء - جمع بيضة : الخوذة من حديد . والقنا : الرماح . والزغف : جمع زغفة ، الدرع
الينة . يقول : هو قليل النوم لاشتغاله بتدبير الحكم وسياسة الدولة وبما يعمل على حصوله
من المجد والعلاء ، وهو نافذ الآراء حتى لو كانت السيوف والرماح كآرائه في النفاذ لما
أغنت العروق والخوذ عن أصحابها شيئا ؛ وفي مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

يَقْظَانُ أَحْصَدَتِ التَّجَارِبُ عَقْدَهُ شَزْرًا وَثَقَّفَ عَزْمَهُ ثَقِيْفَا
وَاسْتَلَّ مِنْ آرَائِهِ الشُّعْلَ الَّتِي لَوْ أَنَّهُنَّ طُبِعْنَ كَنَّ سِيَوْفَا

(٢) يقال : قطب وجهه : إذا جمع ما بين عينيه عبوساً . يقول : هو مهيب إذا
عبس روع الناس غضبه فلجأوا إلى الطاعة فقام ذلك مقام الجيش ، وإذا قال قام القليل
من كلامه مقام الخطب الطوال ، فهو لبلاغته يجمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة .
وفى مثل هذا يقول البحترى :

وَإِذَا خِطَابُ الْقَوْمِ فِي الْخَطْبِ اعْتَلَى فَصَلَ الْقِصِيَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفِ

(٣) يقول : ألفت يده الإعطاء حتى لو لم يعط لاشتاقت يده إلى الإعطاء كما يمن
الإلف إلى الإلف إذا فارقه . وفى مثله يقول أبو تمام .

وَاجِدٌ بِالْعَطَاءِ مِنْ بَرَاءِ الشُّوْ قِ وَجِدَانٍ غَيْرِهِ بِالْحَبِيبِ
وَيَقُولُ غَيْرُهُ :

يَحْنُ إِلَى الْمَعْرُوفِ حَتَّى يُنِيلَهُ كَمَا حَنَّ إِلَى الْإِلْفِ إِلَى الْإِلْفِ

أَدِيبٌ رَسَتْ لِعِلْمٍ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالُ جِبَالِ الْأَرْضِ فِي جَنْبِهَا تُقِفُ^(١)
 جَوَادٌ سَمَتْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَفَهُ سُمُوا أَوْدَ الدَّهْرِ أَنْ أَسْمَهُ كَفُ^(٢)
 وَأَضْحَى وَبَيْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ سَيِّدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي سَيَادَتِهِ خَلْفُ^(٣)
 يُفَدُّونَهُ حَتَّى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ لِحَارِي هَوَاهُ فِي عُرُوقِهِمْ تَقْفُو^(٤)
 وَقُوفِينَ فِي وَقَفَيْنِ شُكْرٍ وَنَائِلٍ فَنَائِلُهُ وَقَفٌ وَشُكْرُهُمْ وَقَفُ^(٥)

(١) رست : ثبتت ؛ والقف : الغليظ من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلا ، واستعار لعله اسم الجبال لكثرة علمه وزيادته على علم الناس وعدة رسوخه ومئاته ، ولما استعار له اسم الجبال استعار لصدره الأرض ، لأن الجبال تكون على الأرض ثم فضلها على جبال الأرض فضل الجبال على القفاف ، يعنى أن جبال الأرض تصغر في جنب جبال العلم التي في صدره .

(٢) الجواد : الكريم العطاء . وسمت : علت وارتفعت . وأود الدهر حمله على أن يود ويتمنى . والدهر : وعاء الخير والشر ، والعرب تعزو إليه ما يوجد فيه . يقول : إن لكفه الذكر العالى في كل خير لا وليأته وشر لأعدائه - لأنهما يصدران منه - حتى إن الدهر يتمنى أن يسمى كفا ليشاركه كفه - الذى هو جمع الخير والشر - في الاسم ، فيسمى الكف ولا يسمى الدهر ، لأن كفه أغلب فيهما من الدهر .

(٣) أضحى هنا : تامة ؛ والخلف : الاختلاف ؛ وخلف : مبتدأ ؛ خبره : بين الناس ؛ والجملة : حال . يقول : أضحى والناس مجتمعون على سيادته لا يدافع في ذلك اثنان ، أما سيادة غيره ففيها اختلاف .

(٤) تقفو : تتبع . يقول : من حب النفس إياه يقولون له : نقديك بأنفسنا ، فكان هواه جرى أولا في عروقهم قبل الدم ثم تبعه الدم : أى أن حب الناس إياه أشد من حبهم أنفسهم ، قالوا : إنه ينظر إلى قول أبي تمام :

لِوَأَنْ إِجْمَاعَنَا فِي فَضْلِ سُودِدِهِ فِي الدِّينِ لَمْ يَتَخَلَّفْ فِي المَلَّةِ ائْتَانِ
 وَقَوْلِ البَحْتَرِيِّ :

وَأَرَى النَّاسَ جَمْعِينَ عَلَى فَضْلِكَ مَا بَيْنَ سَيِّدٍ وَمَسُودٍ

(٥) وقوفين : نصب على الحال منه ومن الناس ، والعامل فيه يقدونه ، كما تقول دأيتك راكبين : أى أنا راكب وأنت راكب ؛ وأراد بالوقوف : الواقف . مصدر يوصف به الواحد والجمع ، والوقف : ما حبس على جهة مخصوصة ؛ وشكر : بدل تفصيل من

وَلَمَّا قَدَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشَفْنَا
عَلَيْهِ فَدَامَ الْفَقْدُ وَانْكَشَفَ الْكَشْفُ^(١)
وَمَا حَارَتِ الْأَوْهَامُ فِي عَظَمِ شَأْنِهِ بِأَكْثَرِ مِمَّا حَارَ فِي حُسْنِهِ الظَّرْفُ^(٢)
وَلَا نَالَ مِنْ حُسَادِهِ الْفَيْضُ وَالْأَذَى بِأَعْظَمَ مِمَّا نَالَ مِنْ وَفَرِهِ العُرْفُ^(٣)
تَسْكُرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفٌ^(٤)

وقفين ؛ وبمثل : عطف عليه ؛ والنائل : العطاء . يقول : إن الناس والمدوح فريقان
واقفان في شيئين وقفين - محبوسين - أحدهما على الناس منه وهو العطاء ، والثاني على
المدوح من الناس وهو الثناء ؛ يعنى أنه أبدأ يعطى والناس أبدأ يشكرونه ، وفي مثل
هذا يقول البحرى .

أعيال لهم بنو الأرض أم ما لهم راتب على الناس وقف

ويقول : ابن الرومى :

أمواله وقف على تنقيلتنا وثناؤنا وقف على تحقيقه

[تنقيلتنا : إصلاحنا - من نقل الحف أو النعل : رقعته وأصلحه] .

(١) كَشَفْنَا : بحثنا ؛ والضمير في عليه للمثل . يقول : لما لم نجد مثله في الجهد
والسخاء جعلنا نبحث عن أحد يشاكله ، وحاولنا ذلك واستفرغنا الجهد فدام الفقد :
أى لم نجد أحداً وانكشف : افتضح أو زال وبطل ، الكشف أى البحث - لأننا
يئسنا من وجود مثله فهو منقطع النظر .

(٢) يقول : حارت الأوهام في عظم شأنه ، والظرف - النظر - في حسنه وجماله ،
وليست حيرة الأوهام بأكثر من حيرة الطرف : أى أنه بلغ الغاية في العظمة والحسن
(٣) الوفرة : المال ؛ والعرف : الجود واصطناع المعروف . يقول : إن الحسد قد
نال من حساده وأثر فيه نقصاً وهزالاً كما نال عطاؤه من ماله ونقصه ، وليس ذلك
النقصان بأكثر من هذا . ومثله لديك الجن :

فقلت مقاتلك بالصبِّ ما تفعل جدوى الأمير بالأموال

(٤) يقول : إذا فكر فإنما يفكر في العلم ، وإذا نطق بنطق بالحكمة . وباطنه ينطوى

على الدين ويظهر للناس الظرف والكياسة ومحاسن الأخلاق . قال الحريرى :

أَمَاتَ رِيَّاحَ اللُّؤْمِ وَهِيَ عَوَاصِفٌ
وَمَنْعَى العُلَى يُودِي ورَسْمُ النَّدَى يَعْفُو (١)
فَلَمْ نَرَ قَبْلَ ابْنِ الحُسَيْنِ أَصَابِعًا
إِذَا مَا هَطَلْنَ اسْتَحْيَتِ الدِّيمُ الوُطْفُ (٢)
وَلَا سَاعِيًا فِي قُلَّةِ المَجْدِ مُدْرِكًا بِأَفْعَالِهِ مَا لَيْسَ يَدْرِكُهُ الوُوصْفُ (٣)
وَلَمْ نَرَ شَيْئًا يَحْمِلُ العِبَّ حَمْلَهُ وَيَسْتَصْرِفُ الدُّنْيَا وَيَحْمِلُهُ طِرْفُ (٤)
فَتَى جَهْرُهُ ظَرْفٌ وَباطِنُهُ تُقَى تَزِينٌ مَا يُحْفَى بِصَالِحِ مَا يُبْدَى

قال ابن جني : هذه القصيدة من الضرب الأول من الطويل ، وعروض الطويل
أبدأ تعي ، مقبوضة على مفاعلن ، إلا أن يصرع البيت ويكون ضربه مفاعيلن أو فاعولن
فيتبع العروض الضرب ، وليس هذا البيت مصرعا ، وقد جاء عروضه على مفاعيلن ،
وهو تخطيط منه . وأقرب ما يصرف إليه أن يقال إنه رد مفاعل إلى أصلها وهي مفاعيلن
لضرورة الشعر ، كما أن للشاعر إظهار التضعيف وصرف مالا ينصرف وإجراء المعتل
مجرى الصحيح وقصر المدود ونحو ذلك مما ترد فيه الأشياء إلى أصولها . قال الواحدي :
ولو هو قال ومنطقه هدى أوتقى : لصح الوزن .

(١) اللؤم : ضد الكرم - أي الحسة - والمعنى : المنزل ؛ ويودي : يهلك ، والرسم : أثر
الديار ؛ ويعفو : ينجي ؛ والواو - في قوله ومعنى الملا - واو الحال . ولما استعار اللؤم
رياحاً استعار للعلی معنى وللندی رسماً ؛ إذ أن الرياح تعفو الرسوم وتمحو المغاني . يقول
سكن المدوح رياح اللؤم بعد شدة هبوبها عن معنى العلى ورسم الندى وقد كادت
تعفوها وتذهب بهما أي أن اللؤم كاد يغلب العلى والجود فأذهب بكرمه قوة اللؤم .
(٢) هطلت السماء . اشتد انصباب مائها ؛ والوطف . جمع الوطفاء ، وهي السحابة
المسترخية الجوانب لكثرة مائها ؛ والديم . جمع الديمة ، وهي المطر يدوم أياماً .
يقول : لم ير قبل هذا المدوح أحد إذا أعطى استحييت السحب وخجلت من عطائه .
وفي هذا يقول أبو نواس :

إن السحاب لتستحي إذا نظرتُ إلى نَدَاكَ فقاستهُ بما فيها
(٣) قلة المجد : أعلاه يقول : إن المدوح أدرك بمساعيه الجسام وأفعاله الضخام في
قلة المجد مالا يدركه الوصف ، وقد انفرد بذلك دون غيره .
(٤) العباء : الحمل الثقيل ، وحمله : مفعول مطلق ؛ والطرقت : القرمز الكريم .

وَلَا جَلَسَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِقَاصِدٍ وَمِنْ تَحْتِهِ فَرَشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفٌ (١)
فَوَاعَجَبًا مِنِّي أَحَاوِلُ نَفْتَهُ وَقَدْ فَنَيْتَ فِيهِ الْقَرَاطِيسُ وَالصُّحُفُ (٢)
وَمِنْ كَثْرَةِ الْأَخْبَارِ عَنِ مَكْرُمَاتِهِ يَمُرُّ لَهُ صِنْفٌ وَيَأْتِي لَهُ صِنْفٌ (٣)
وَتَفْتَرُ مِنْهُ عَنِ خِصَالِ كَانِهَا ثَنَائًا حَبِيبٍ لَا يُعْلَمُ لَهَا رَشْفٌ (٤)
قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِي إِلَيْهِمْ
كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالذَّنْبِ الْأَنْفِ (٥)

يقول : إنه يحمل من أفعال المهمات ما لا يستطيع غيره حمله ويرى الدنيا صغيرة ، وهو مع ذلك يحمله طرف ، وذلك لعظمة نفسه . وبعد مرتقى همته وقوة نبعده ؛ إذ العبارة بذلك لا يبسطه الجسم .

(١) جملة كالبحر المحيط بالدنيا في كثرة عطاياه وغازاة نداء . يقول : لم يجلس قبله البحر لمن يقصده ومن تحته فرش يجهه ومن فوقه سقف يظله .

(٢) الضمير من «فيه» للنعت والقراطيس : جمع قرطاس ، الورق ، والصحف جمع الصحيفة : الكتاب . يقول : أعجب من نفسي كيف أحاول أن أبلغ وصفه وقد وصفه غيري حتى فنيت القراطيس والصحف ولم يستوف حقه ؟ وفي مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

تَرَكْتَهُمْ سَيْرًا لَوْ أَنَّهَا كَتَبَتْ لَمْ تُبْقِ فِي الْأَرْضِ قَرَطَاسًا وَلَا قَلَمًا

(٣) يقول : إن أخبار مكرماته كثيرة متوافرة لا حد لها ، ولذلك تتجدد ، يمر صنف منها ويأتي غيره . وهكذا حتى لا آخر لها ؛ ويجوز أن يكون الصنف من القصاد الذين يقصدونه : أي لكثرة ما يسمعون من تلك الأخبار يمر صنف قد صدروا عنه ويأتي صنف يقصدونه ، وقوله : له أي لأجله .

(٤) وتفتَر : أي الأخبار ؛ أي تسفر وتنجلي ؛ وأصله الابتسام إذا بدت له الأسنان والثنايا : الأسنان في مقدم الفم ؛ والرشف : اللص ؛ شبه خصاله في حسنها وحلاوتها . بثنايا حبيب لا يعلم مص ريقها .

(٥) يقول : إني قصدتك والحال أن الذين يرجون أن أقصدم وأمدحهم كثير ، ولكني آرتك عليهم لأنك تفضلهم كما يفضل الأنف الذنب ، وفيه نظر إلى قول الحطيئة .

وَلَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ وَالتَّبَرُّ وَاحِدٌ نَفُوعَانَ لِلْمَكْدِيِّ وَبَيْنَهُمَا صَرْفٌ (١)
وَلَسْتَ بِدُونِ يُرْتَجَى الْغَيْثُ دُونَهُ وَلَا مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِي خَلْفَهُ خَلْفٌ (٢)
وَلَا وَاحِدًا فِي ذَا الْوَرَى مِنْ جَمَاعَةٍ وَلَا الْبَهْضُ مِنْ كُلِّ وَلَيْسَ كُنْكَ الضَّفْ (٣)

قومٌ هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الدنيا
وقد كان الحطيئة مدح بهذا قوما كانوا يبرزون بأنف الناقة وكانوا يكرهونه ، فلما
قال فيهم هذا غفروا بلقبهم .

(١) نفوعان : أى هما نفوعان ؛ والبيضاء من التمت للراد به التأكيد كما فى أمس
الدار ؛ والتبر : الذهب . والمكدي : الفقير الذى لا خير عنده والصرف : الفضل ؛
تقول له على صرف : أى فضل ؛ والمراد بينهما تفاوت . يقول : ليس الذهب والفضة
سواء وإن اجتمعا فى النعمة ، وكذلك الفرق بينك وبينهم ؛ ومثل هذا لابن الرومى :

وجدتكم مثل الدنانير فيهم وسائر هذا الخلق مثل الدراهم

(٢) الدون : الخسيس ؛ وقوله خلفه خلف ؛ خلفه : خبر مقدم ، منصوب على
الظرفية ؛ وخلف : مرفوع بالابتداء . يقول : لست خسيسا فيرتجى الغيث دونك ولا
ترتجى أنت : أى أنت والغيث سواء فى رجاء الخير . وليس وراءك للوجود منتهى ، يعنى
أن الجود مقصور عليك لا يرتجى الجود دونك ولا يتجاوز عنك ، أى أنك الغاية
القصى للوجود التى من بلغ إليها لم يبق له مذهب وراءها ، كما قال بعضهم :

ما قصر الجود عنكم يا بنى مطر ولا تجاوزكم يا آل مسمود
يحل حيث حلتم لا يفارقكم ما عاقب الدهرين البيض والسود
وقال أشجع السلى :

فما خلفه لأمرى مطمع ولا دونه لأمرى متقع

وقال أبو تمام :

إليك تنهى المجد من كل وجهة يصير فما يعدوك حيث تصير
وقد زاد أبو الطيب على هذا المعنى فأساء العبارة ، ورفع خلف لأنه جعله
اسما لا ظرفا .

(٣) ولا واحداً : عطف على خبر ليس - فى البيت السابق - . يقول : ولست
واحداً من جماعة الناس ولا بعضاً من كلهم ، وليكنك ضعف جميعهم ، أى أنت تنفى
غناهم وتزيد عليهم زيادة ضعف الشيء على الشيء .

وَلَا الضُّعْفَ حَتَّى يَنْبَغِ الضُّعْفَ ضِعْفَهُ وَلَا ضِعْفَ ضِعْفِ الضُّعْفِ بَلْ مِثْلَهُ أَلْفٌ (١)
 أَقَاضِينَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ غَلَطْتُ وَلَا الثَّلَاثَانَ هَذَا وَلَا النَّصْفَ (٢)
 وَذَنبِي تَقْصِيرِي وَمَا جِئْتُ مَادِحًا بِذَنبِي وَلَكِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَعْفُو (٣)

(١) يقول : ولست أيضا ضعف الورى حتى يكون ذلك الضعف ضعفين ، فتكون أنت ضعف ضعف الضعف . ثم تزيد على ذلك بأضعاف كثيرة حتى تبلغ ألفا: أى تكون ألف ضعف من هذا الضعف . والمعنى أنك فوق الورى بكثير ، ونصب مثله لأنه نعت نكرة - وهو ألف - قدم عليها ، ونعت النكرة إذا قدم عليها انتصب على الحال ، كما قال القائل :

* لَمِيَّةٌ مُوَحِّشًا طَلَّلٌ (١) *

وَأَلْفٌ : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى بل أنت ألف مثله . وفى هذا البيت من الغثاء والتكلف والغلو ما ترى .

(٢) يقول : أنت أهل لما أثبتت به عليك ، ثم قال : غلطت - ليس هذا ثلثى ما أنت أهله ولا نصفه ؛ ولا الثلثان : عطف على محذوف ، دل عليه ما تقدم : أى لا الذى أنت أهله هذا ولا الثلثان منه . والهمزة فى أقاضينا : للنداء .

(٣) يقول : إن تقصيرى فى مدحك ذنب لى والذنب لا يمدح به ، فأنا لم أجد مادحا ولكن جئت سائلا العفو عن هذا الذنب ، قال :

وَعِنْدِي أَيَادٍ جَبَّةٌ لَمْ أَجِدْ لَهَا يَأْخُضُّهَا عِنْدِي لِسَانًا مَعْبَرًا
 وَلَكِنْ جُهْدِي أَنْ أَقُولَ وَمَا عَسَى لَدَى الْجَهْدِ إِلَّا أَنْ يَقُولَ فَيَعْذِرَا
 ولأبى تمام :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مَذْنِبًا يَوْمَ أَتَيْتُكَ سِوَاكَ بِأَمَالِي لِحَبَّتِكَ تَائِبًا

(١) عجزه :

* يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلْلٌ *

وهو لذى الرمة . والخلل - بالكسر - جمع خلة . قال الجوهري : الخلة واحدة خلل السيف ، وهي بطائن ينشئ بها أجناف السيف منقوشة بالذهب .

وأخرج له أبو العشائر جوشناً حسناً* فقال كيف تراه فقال مرتجلاً :
بِهِ وَبِمِثْلِهِ شُقَّ الصُّفُوفُ وَزَلَّتْ عَنْ مِبَاشِرِهِ الحُتُوفُ (١)
فَدَغَّهُ لَتَى فَإِنَّكَ مِنْ كِرَامِ جَوَاشِئِهَا الأَسِنَّةُ وَالسُّيُوفُ (٢)

وكان أبو العشائر قد غضب على أبي الطيب فأرسل غلاماً له ليقوموا به فلحقوه بظاهر حلب ليلاً فرماه أحدم بسهم وقال خذه وأنا غلام أبي العشائر ، فقال أبو الطيب (*) :

وَمُنْتَسِبٌ عِنْدِي إِلَى مَنْ أَحْبَبُهُ وَلِلنَّبْلِ حَوَالِي مِنْ يَدَيْهِ حَفِيفُ (٣)

* الجوشن : الدرع .

(١) يقول : إن لابس هذا الجوشن - الدرع - يشق صفوف الأعداء يوم القتال أمانا على نفسه لحصاته ، ولا تعمل الحتوف - الناي - في من لبسه .

(٢) لقي : أي ملقياً . يقول : ألقه ولا تلبسه فإن مثلك يدفع عن نفسه بالرمح والسيوف لمكانه من الشعاعة ولا يحتلج إلى الدروع ، وفي مثله يقول الآخر :

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَأَحْصُونَ بَأَرْضِنَا نَلُودُ بِهَا إِلَّا القَنَا وَالقَوَاضِبُ

* وكان ذلك بعد أن فارق أبو الطيب أبا العشائر واتصل بسيف الدولة ، وكان سيف الدولة قد رفع منزلته وأغدق عليه عطاياه ، فأوغر ذلك صدور قوم من حساده ، فسعوا به عند سيف الدولة حتى غيروه عليه ، فأنشده أبو الطيب القصيدة الميمية التي مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن بحسمى وحالي عنده سقم

وفيها يعرض بيني حمدان أبناء عم سيف الدولة ، وكان ذلك بحضور من أبي العشائر فلما خرج أبو الطيب ألحق به أبو العشائر بعض غلمانة ليقوموا به ، وقد تقدم ذلك في موضعه .

(٣) إلى من أحبه : يعني أبا العشائر - يقول : هو منتسب إلى من أحبه ، ولكنه مع ذلك أراد قتلي ، فلنبل حوالى من يديه صوت يحف بي .

فَهَيِّجَ مِنْ شَوْقِي وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ حَنَنْتُ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ الْوَفَّ (١)
وَكُلُّهُ وَدَادٍ لَا نَدَاهُ عَلَى الْأَذَى دَوَامٌ وَدَادِي لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفٌ (٢)
فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَزَنَ الْوَفَّ (٣)
وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءِ لِنَفْسِهِ وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنيفٌ (٤)

وقال في عبده إذ أخذ فرسه وأراد قتله :

أَعَدَدْتُ لِلنَّادِرِينَ أَسْيَافًا أَجْدَعُ مِنْهُمْ بَيْنَ آنَافًا (٥)

(١) «من» الأولى : زائدة ؛ والثانية : للتعليل ، متعلقة بحننت . يقول : لما ذكر اسم أبي العشائر هاج شوقي وحنيني إليه ، وما كان شوقي إليه في هذه الحال ذلة ومهانة ولكن كرم طبع ، لأن الكريم طبعه الألفة .

(٢) على . بمعنى مع ؛ ودوام : نصب على المصدر ؛ وللحسين . متعلق بودادي ؛ وضيف . خبر كل . يقول : إن كل وداد لا يدوم مع معاناة الأذى كما دام ودادي للحسين - أبي العشائر - هو وداد ضعيف .

(٣) واحداً : خبر يكن . يريد أن إحسانه أكثر من إساءته والقليل لا يعنى الكثير ولا يظلمه . يقول : إن ساءني بفعل واحد فقد سرني بأفعال كثيرة ؛ وفيه نظر إلى قول الآخر .

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدًا أَنْ أَسَانَتْهُ بِصَالِحِ أَيْمِي وَحُسْنِ بِلَائِيَا (٤)
نفسى له : أى أنا مملوك له إذ أسرني بإحسانه ، لكنه مالك عنيف لا يرفق بي ، كما قال الآخر :

* أريد حياؤه ويريد قتلى *

وقوله : نفسى الفداء لنفسه : دعاء ؛ أى أفتديه بنفسى .

(٥) معنى بالنادرين عبيده الذين أرادوا أن يسرقوا خيله . يقول : أعددت لهم سيروفا أجدة - أقطع - بها أنوفهم ، يعنى أظلم بها وأنكل .

لا يَرْحَمُ اللهُ أَرْوَسًا لَمْ
أَطْرَنَ عَنْ هَامِيْنٍ أَفْعَافًا^(١)
مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قَلْتِهِمْ
وَأَنْ تَكُونَ المِثْوَنَ آلاَفًا^(٢)
يَاشِرٌ لَحْمٍ فَجَعْتُهُ بِدَيْمٍ
وَزَارَ لِلخَامِعَاتِ أَجْنَوَافًا^(٣)
قَدْ كُنْتَ أُغْنِيَتْ عَنْ سُؤَالِكِ بِي
مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِىَ وَمَنْ عَافَا^(٤)
وَعَدْتُ ذَا النِّصْلِ مَنْ تَمَرَّضَهُ
وَحِخْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلَافًا^(٥)

(١) الهام : جمع هامة ، أعلى الرأس ؛ والأفعايف : جمع فحفف - بكسر القاف - العظم الذى فوق الدماغ . يقول : لارحم الله رءوسهم التى أطارت السيوف تحوفها عن هامها ، فضمير « أطرن » للسيوف .

(٢) يقول : ما ينقم السيف - أى ما ينكر ويحب ويكره - إلا قلة عددهم أى أن السيف يريد أن يكونوا أكثر حتى يأتى عليهم ويقتلهم جميعاً ؛ وأن تكون المئون منهم آلافا حتى يقتل كل غادر وكل عبد سوء فى الدنيا . قوله : وأن تكون أى وأن لا تكون ، لحذف « لا » وهو يريد بها .

(٣) فحمة : أوجهه شئء يكرم عليه ؛ والخامعات : الضباع ، لأنها تخمخ فى مشيها - أى تمشى شئء الأعرج . يقول - لمن قتل من عبيده - : ياشر لحم أسلت دمه فجعته بذهاب دمه وتركته ملقى للضباع حتى أكلته فدخل أجوافها .

(٤) كأن هذا البعد سأل عاففاً عن حال للتنبى فذكر له من حاله ما زبن له العدر به . وقوله : سؤالك بى أى عنى ، كما قال تعالى « فاسأل به خبيراً » وزجر الطير وعياقتها ضرب من التسكين كانت العرب تذهب إليه ، فكانت تنفر الطير ؛ فإن نفر عن يمين تفاءلت ، أو عن شمال تشاءمت . يقول - للبعد الذى قتله - لقد كنت فى غنى عن أعمال الزجر والعيافة فى إقدامك على وتمرضك للعدر بى .

(٥) يقول : وعدت هذا السيف - يعنى سيفه - أن أضرب به من تعرض له وأحوج إلى ضربه ، ولما اعترضت لسيفى بالعدر بى وأخذ خيلى خفت إن تركت قتلك إخلاف ما وعدت السيف : أى أن لا أفى بوعدى إياه . فذا اسم إشارة ؛ ومن : مفعول ثان لوعدت ؛ وتمرضه : أى تمرض له ؛ والإخلاف : ترك الوفاء بالوعد ، وهو مفعول خفت .

لَا يُذَكِّرُ الْخَيْرُ إِنْ ذُكِرْتَ وَلَا تُتَّبِعُكَ الْمَقْتَلَانِ تَوَكَّافًا^(١)
إِذَا أَمْرُ رَاعِي بِفِئِدَتِهِ أُورِدَتْهُ الْفَيْيَةُ الَّتِي خَافًا^(٢)

* * *

-
- (١) التوكاف : تفعال من الوكف ، وهو قطران الماء - جريانه - يقول : لم يكن
فيك خير تذكر به ولا تبكي عليك العين .
- (٢) يقول : إذا راعى - خوفى - امرؤ بفئدته كافأته بالقتل وهو غايه ما يخافه المرء

قافية القاف

وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهماء وجارية :

أَيَذْرَى الرَّبِيعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقًا وَأَيُّ قُلُوبٍ هَذَا الرَّكْبِ شَاقًا^(١)
لَنَا وَلَا أَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى^(٢)
وَمَا عَفَّتِ الرِّيحُ لَهُ مَحَلًّا عَفَاهُ مَنْ حَادَيْهِمْ وَسَاقًا^(٣)

(١) أراق : سفك ؛ والركب : جماعة الركبان ، وهذا استفهام إنكار واستعظام لما فعله الربيع من قتله بشوقه إلى أحبته . يقول : هل يدرى هذا الربيع - ربيع الأجنة - ما فعل من إراقة دمي وما هاج في قلبي من الشوق ، وذلك أن وقوفه بالربيع هيج شوقه وجدد له ذكر الأجنة ، فكان البكاء والنحيب ، وكانت اللوعة والأسى . وكان حق الكلام أن يقدم « شاق » على « أراق » ، لأن الربيع إذ لم يشق لم يرق الدم ، لكن الواو لا توجب الترتيب ؛ أو تقول إنه ابتداء باللام ثم عاد إلى ذكر سببه ، وهو الشوق ، وشاقه يشوقه : حملة على الشوق .

(٢) تلاقى : أى تلاقى ، فحذف إحدى التائين . يقول : لنا وللذين كانوا أهل هذا الربيع - يعنى الأجنة - قلوب تلاقى فى جسام ما تلاقى ، يعنى نحن نذكرهم وهم يذكرونا ، فكأننا تلاقى بالقلوب وإن لم نتلاقى بالأشخاص كما قال ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالنَّفَرِيقِ لَنَلْتَقَى بِالذِّكْرِ إِن لَّمْ نَلْتَقِ

(٣) عفته الريح : درسته . يقول : لم تدرس الرياح لهذا الربيع منزلا ، فلا ذنب للريح فى دروس منازلها ، إنما عفاها الحادى الذى ساق الإبل بأهله فلو لم يخرجوا منه لما درس الربيع . وهذا كما قال أبو الشيبان :

مَا فَرَّقَ الْأَلْفَ بَنَهُ دَا اللَّهُ إِلَّا الْإِبِلُ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرًّا بِ الْبَيْنِ لِمَا جَهَلُوا
وَمَا إِذَا صَاحَ غُرًّا بٌ فِي الدِّيَارِ احْتَمَلُوا
وَلَا عَلَى ظَهْرِ غُرًّا بِ الْبَيْنِ تَطْوَى الرَّحْلُ

فَلَيْتَ هَوَى الْأُحْبَةِ كَانَ عَذْلًا فَحَمَلْ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقًا^(١)
نَظَرْتُ لِإِنِّهِمْ وَالْمَيْنُ شَكَرَى فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمَغِ مَاقًا^(٢)
وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ الْبَدْرُ فِيهِمْ وَأَعْطَانِي مِنَ السَّقَمِ الْمُحَاقًا^(٣)
وَبَيْنَ الْفَرْعِ وَالْقَدَمَيْنِ نُورٌ يَقُودُ بِلَا أَرْمَتَهَا النِّيَاقًا^(٤)

وَمَا غَرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا نَاقَةٌ أَوْ جَمَلٌ

(١) يريد أن العشق بلغ منه الغاية ، وأن الهوى حمله مالا يطيق لجار عليه يشير إلى أنه أعشق العشاق ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

فِيَارَبِّ قَدْ حَمَلْتَنِي فَوْقَ طَاقَتِي مِنَ الْهَبِّ حَمَلًا قَاتَلِي فَوْقَ مَا بِيَا
وَالْإِسْكَو الْهَبِّ يَا رَبِّ بَيْنَنَا يَكُونُ سِوَاهُ لَا عَلِيَّ وَلَا لِيَا

(٢) عين شكرى : ملأى بالدمع ؛ وللساق : طرف العين مما يلي الأنف وهو مخرج الدمع من العين . يقول : نظرت إلى الأُحبة لدى ارتحالمهم والعين ممتلئة بالدموع فسأل الدمع من جميع جوانبها لامتلائها به حتى كأن جميع الجواب ماق يسيل الدمع منه ، يشير إلى غلبة السكاء من لوعة الفراق .

(٣) المحاق - بضم الميم ، وكسرهما - نقصان القمر آخر الشهر ؛ والتمام : السكالم ، وقد طابق بين التمام والمحاق . يقول : لما ارتحلوا أخذ الحبيب الذى هو كالبدر فيهم السكالم فى الحسن والإشراق ، وأنا لسقمى كأنه أعطانى المحاق يعنى : أن الحبيب كان فى الحسن كالبدر كله نور وبهاء وكنت أنا فى الدقة والنحول كالقمر فى المحاق ، وقد أخذ هذا القائل :

يَأْمَنُ بِمَحَاكِي الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ إِزْحَمَ فَنِي يَحْكِيهِ عِنْدَ مُحَاقِهِ

(٤) الفرع : الشعر ؛ والأزمة : جمع زمام ، ما تقاد به الدابة ، والنياق : جمع ناقة . وقوله : بين الفرعين والقدمين ظرف لنور وما يليه فى البيتين التالين ، والضمير فى أزمته : للنياق ، وجاز تقديمه لأنه مؤخر فى الرتبة . لما جعله بدرآ والبدر لا يخص النور بضمه وصفه بأنه من فرقه إلى قدمه نور ، وأن نياق الركب تهتدى بنوره فكأنه يقودها بلا أزمة ؛ ويجوز أن يريد بالنور وجهه ، وذلك أنه أراد أن يذكر تفاصيل المحاسن التى بين شعره وقدميه ، فبدأ بالوجه ثم نى بالطرف ثم ثلث بالخصر ، وفى هذا البيت نظر إلى قول أبى الصنابية :

وَطَرَفٌ إِنْ سَقَى الْمَشَاقَ كَأَسَا
وَحْضَرٌ تَنْبَتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ
سَلِيٌّ عَنْ سِيرَتِي فَرَسِي وَسِنِّي
تَرَكَنَا مِنْ وِرَاءِ الْعَيْسِ نَجْدًا
فَمَا زَالَتْ تَرَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ
بِهَا نَقَصُ سَقَانِهَا دِهَاقًا^(١)
كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقِ نِطَاقًا^(٢)
وَرُيْحِي وَالْمَهْلَمَةَ الدَّفَاقًا^(٣)
وَنَكَبْنَا السَّهَاةَ وَالْعِرَاقًا^(٤)
لَسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ اثْنَلَاقًا^(٥)

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْشُوكَ لَقَادِمٌ نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرِّكْبُ
(١) دهاقا: ملأى. يقول: وله طرف ساحر إذا سقى عشاقه كأساً ناقصة سقانيها
مترعة، يعني أنه أعشق المشاق له، وفيه نظر إلى قول القائل:

وَمَا لَيْسَ الْمَشَاقُ مِنْ حُلَلِ الْمَوَى وَلَا أَخْلَقُوا إِلَّا الثِّيَابُ الَّتِي أُبْلِ
وَلَا شِيرُبُوا كَأَسَا مِنْ الْحَبِّ حُلُوةً وَلَا مُرَّةً إِلَّا شَرَابُهُمْ فَضْلِي
(٢) يقول: إن الأبحار تنبت في خصره استحساناً له وتكثر عليه من الجوانب
حتى تصير كالنطاق عليه. وفي هذا المعنى يقول بشار:

وَمُكَلَّلَاتٍ بِالْعِيُودِ نِ طَرَفِنِي وَرَجَعَنْ مَلَسْنَا
[يريد بشار أنهن - لحسنهن - تملو الأبحار إلى وجوههن ورءوسهن حتى كأن لمن
إكليلاً من العيود. وملسا: أى لم يعلق بهن أذى ولا رية] ويقول أبو الصاهية:

أَحَاطَتْ عِيُونُ الْعَاشِقِينَ بِمُخَصَّرِهِ فَهِنَّ لَهُ دُونَ النِّطَاقِ نِطَاقُ
(٣) المهلمة: الباقة السريعة؛ والدفاق: التدفقة في السير. يخاطب محبوبته يقول:
سلى عن حال سيرى هذه الأشياء تخبرك بإقداى وتجهدى للأهوال؛ يعنى أنه كان وحده
لم يصحبه غير ما ذكر فلا يستخبر عن سيره غير الفرس والرمح والسيف والناقة.

(٤) العيس: الإبل البيض؛ ونكبه: عدل عنه؛ والسهاوة: فلاة بين الشام
والعراق. يقول: خلفنا - فى قصدنا إلى المدوح - نجداً وراءنا وملنا عن طريق
السهاوة وطريق العراق ومتوانا حلب.

(٥) ترى: أى العيس؛ ودجى الليل: أظلم؛ والاتلاق: البريق والاتجام؛ يقال:
اتلقى البرق وتألّق: إذا لمع. يقول: لم تزل العيس ترى نور وجه سيف الدولة فى ظلمة
الليل يسطع لها فنتصبح به ويمتادها، وهذا من قول سحيم:

أَدْلَتْهَا رِيَّاحُ الْمِسْكِ مِنْهُ إِذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا أَنْتَشَاقًا^(١)
أَبَاحَكَ أَيُّهَا الْوَحْشُ الْأَعَادِي فَلِمَ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقًا^(٢)

إِذَا نَحْنُ أَدْبَجْنَا وَأَنْتَ أَمَامَنَا كَفَى لِمَطَايِنَا بِوَجْهِكَ هَادِيَا
ومثله قول أبي الطمحان القيني :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجِرْعَ ثَاقِبُهُ^(١)
(١) انتشاقًا : حال ، أو مفعول له . يقول : أدلة العيس في طريقها إلى سيف
الدولة انتشاقها رياح المسك منه إذا فتحت مناخرها ، وفي مثل هذا المعنى يقول ابن
الرومي :

فَهَدَّتْ عُيُونَهُمْ لَهُ أَضْوَاؤُهُ وَهَدَّتْ أَنْوْفَهُمْ لَهُ أُرْوَاغُهُ
ويقول أيضاً :

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْنِي لَنَا مَنَزِلًا فَقُلْ لَهُ يَمْشِي وَيَسْتَنْشِقُ
ولعلمهم يريدون المعنى المجازي فيريدون بريحه طيب ثنائه ويريدون باتتلاقه مجده
ومكافئه ؛ فعبروا عن المعنوي بالحسي مبالغة في ظهوره حتى أدركته النياق فاهتدت
به إليه .

(٢) التعرض : القصد ؛ والرفاق : جمع رفقة ، وهي الجماعة في السفر . يقول : -
للوحش - إن سيف الدولة أباحك أعداءه بأن قتلهم وجعلهم طعمة لك ، فلم تقصد
الرفاق التي تسير إليه ؟ وهو يشير بذلك إلى كثرة إيقاعه بمن يخالفه وشدة استظهاره على
من يمارضه ويخفر ذمته ، قال الواحدى قوله : فلم تتعرضين الرفاقا ، تقديره فلم تعرضين
الرفاق له : أى رفاقه .

(١) الجزع - بفتح الجيم ، وكسرهما - ضرب من الخرز الجماني فيه يياض وسواد
تشبه به العيون . وقبل البيت :

وَبَانِي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هَمُّهُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيْدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجْمٌ سَمَاءَ كَلَّمَا غَارَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
وبعده :

وما زال منهم حيث كانوا مُسَوِّدٌ تسير المنايا حيث سارت ركائبه
إلى آيات يمدح بها أبو الطمحان بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي .

وَلَوْ تَبَعْتَ مَا طَرَحَتْ قَنَاهُ لَكَفِكَ عَنْ رَذَائِبِنَا وَعَاقًا^(١)
 وَلَوْ سِرْنَا إِلَيْهِ فِي طَرِيقٍ مِنَ النَّيِّرَانِ لَمْ نَخَفِ احْتِرَاقًا^(٢)
 إِمَامٌ لِلْإِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقًا^(٣)
 يَكُونُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا حُسَامًا وَلِلْهَيْجَاءِ حِينَ تَقُومُ سَاقًا^(٤)
 فَلَا تَسْتَفْكِرَنَّ لَهُ ابْتِسَامًا إِذَا فَهَقَ الْمَسْكِرُ دَمًا وَضَاقًا^(٥)

(١) تبع : بمعنى اتبع ، والقنا : الرماح . والرذايا : المهازيل من الإبل ، واحدها رذية : ما هزل من الإبل وانقطع عن السير فلا يستطيع براحا ، يقول : لو تبعته أيها الوحش ما طرحته رماحه من القتل لكفك ذلك عن مطايبنا ولكان لك فيه غناء عن التمرض لنا - لكثرة .

(٢) يقول : نحن آمنون في طريقنا إليه حتى لو سرنا في النيران ما قدرت على إحراقنا ، يريد أن الخوف من سطوته شامل فالسالكون إليه في أمن وطمأنينة . ومثله لأبي تمام :

فَمَضَى لَوَّانٌ النَّارَ دُونَكَ خَاضَهَا بِالسَّيْفِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ النَّارَا
 « يريد جهنم » ولأبي حية النخري :

لَوْ أَنَّ جَبْرَ النَّارِ دُونَ بِلَادِمِ لَعَلَّمْتَ أُنَى جَبْرَهَا مُتَخَوِّضُ

(٣) من قریش : حال من الأئمة . يقول : هو إمام للخلفاء - يعني خلفاء بني العباس - إذا شاقهم عدو - أي تمرد عليهم - يهذرون شقاقه - خلافه وعصيانه - تقدمهم إليه وكفاهم ذلك العدو ، وذلك لما وقدره وارتفاع أمره وشدته - سطوته . فقوله إلى من يتقون : متعلق بما في إمام من معنى التقدم ، وقد بين هذه الإمامة في البيت التالي .

(٤) يقول : فهو سيفهم الذي يبطشون به عند غضبهم ، وإذا قامت حرب فهو ساقها الذي تعتمد عليه .

(٥) الفهق : الامتلاء ، ومنه التفهيق الذي يفهق فيه بالكلام . والمسكر : مجال الحرب . يقول : لا تنسكر تبسمه في أهوال ساعة الحر ، وهو عند ضيق المسكر بازدهام الأبطال وامتلائه بالدم ، يعني أنه ملك عظيم إذا رام مطلباً أدركه بالأسلحة والحيل ، ثم بين علة ترك الإنكار لتبسمه في البيت التالي وفيه مثل هذا يقول البحري :

فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمَهْجَ الْعَوَالِي وَحَمَلَ هَمَّهُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ^(١)
 إِذَا أُتْمِنَ فِي آثَارِ قَوْمٍ وَإِنْ بَعْدُوا جَمَنَهُمْ طِرَاقًا^(٢)
 وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيحُ إِلَى مَكَانٍ نَصَبِنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دَقَاقًا^(٣)
 فَكَانَ الطَّمْنُ بَيْنَهُمَا جَوَابًا وَكَانَ اللَّبْتُ بَيْنَهُمَا فُوقًا^(٤)

ضَحُوكٌ إِلَى الْأَبْطَالِ وَهَـ بِرُوعِهِمْ وَالسَّيْفِ حَدَّ حِينَ يَسْطُورُونَ^(٥)

(١) المهج : الأرواح ، والعوالي : الرماح ؛ وهمه : همته ؛ والعناق : الخيل الكرام يقول : لا تنكر ابتسامه في هذه الحالة لأنه لا كلفة عليه في الحرب إذ أن الرماح قد ضمنت له أرواح أعدائه ، وإذا هم بأمر أدركه على ظهور خيله ، فقد حملت همته ، وقد كشف عن هذا المعنى في البيت التالي .

(٢) إنعال الخيل : تصفيح أيديها بالحديد ، والطراق : نعل تحت نعل . يقول : إذا أنعلت خيله لتصد قوم أدركتهم فداستهم بجوارفها حتى تصير جلودهم ولحومهم طراقا لنعالها وإن بعد المطلوبون ، ومثل هذا لأبي الأخرز الحمانى :

لَمْ تَشْكُ خَيْلَهُمُ الْوَجْبَى مِنْ رَوْحَةٍ إِلَّا انْتَعَلْنَ مِنَ الدَّمَاءِ قَتِيلًا

(٣) نقع : ارتفع صوته وبعد . والصريح : المستغيث . وضيمر نصبين للخيل والمؤللة المحددة ، يريد آذانها وآذان الخيل توصف بالدقة . قال الشاعر :

يَخْرُجْنَ مِنْ مُسْبِطِ الرَّفْعِ دَامِيَةً كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ

يقول : إذا سمعت الخيل صوت المستغيث نصبت آذانها الرهفة لاستماعه لأنها تعودت إجابة المستغيث وإن كان يدعو غيرها ، وهذا معنى قوله إلى مكان : أى إلى مكان سوى مكانهن .

(٤) الضمير في بينهما للصريح والخيل : والفواق - بضم الفاء ، وفتحها - مقدار ما بين الحلبتين ، ويضرب مثلا في السرعة . والفواق أيضاً : الشهقة الغالبة للإنسان يقول : إن خيله متى دعاها المستغيث كان جوابها الطمان من غير بطء في إجابته فتجعل الطمن جوابا ، ومقدار اللبت بين الإجابة وبين دعاء المستغيث مقدار فواق ناقة ، أو فواق إنسان : أى لا لبت بينهما . والله سلامة بن جندل حين يقول :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِيحٌ فَرِيعٌ كَأَنَّ الصَّرَاخَ لَهُ قَرَعُ الظَّنَابِيذِ^(٦)

(٦) يقول : إذا استغاث بنا مستغيث ، كان جوابه الجدى في نصرته ، ويقال قرع

مَلَايِقَةٌ نَوَاصِيهَا النَّايَا مَعْوَدَةٌ فَوَارِسُهَا الْعِنَاقَا^(١)
تَبِيْتُ رِمَاحَهُ فَوْقَ الْهَوَادِي وَقَدْ ضَرَبَ الْعَجَاجُ لَهَا رِوَاقَا^(٢)
تَعْمِيلُ كَرَانٍ فِي الْأَبْطَالِ خَرًّا عُلِّنَ بِهَا أَصْطَبَاحًا وَاعْتَبَاقَا^(٣)
تَعَجَّبَتِ الْمَدَامُ وَقَدْ حَسَّاهَا فَلَمْ يَسْكُرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا^(٤)

(١) النواصي : جمع ناصية : شعر مقدم الرأس ؛ وملايقة ومعاودة : حالان من الخيل ؛ والعامل فيها : الصدر - من قوله وكان الطعن يقول: إن خيله تلقى نواصيها النايا مقدمة عليها بوجهها مسرعة وقد اعتادت نواصيها معاينة الأبطال في الحرب ، قالوا : والمعانقة آخر حالة في الحرب ؛ وأولها الملاقة من بيد ، ثم المراماة بالسهم ، ثم المنازلة بالرمح ، ثم المنازلة إلى الاقتران ، ثم المعانقة .

(٢) أراد - - بالهوادي : أعنق الخيل ؛ والعجاج : الغبار . يقول : تبيت رماحه معروضة فوق أعناق خيله في سراه إلى عدوه فلا ينزل بالليل أخذا بالحزم ، وكأنها من الغبار الذي تثيره تحت رواق ، وهو من قول ابن الرومي :

وإعمالي إليك بها المطايا وقد ضرب العجاجُ بها رواقا

(٣) الملل : الشرب مرة بعد أخرى ؛ والاصطباح : الشرب في الصباح ؛ والاعتباق الشرب في العشي . يقول : تميل هذه الرماح كأن دم الأبطال خمر علت بها صباحاً وغبوقاً فهي لسكرها تميل ، وميلانها إنما هو لينها وفيه إشارة إلى أنه كثير الغارات لا تفتر خيله جائلة غدواً وعشياً وفي مثل هذا يقول البحري :

يتعثرن في النحور وفي الأو جهُ سكرًا لما شربنَ الدماء

(٤) حساها : شربها . يقول : شرب سيف الدولة الخمر فلم تغلبه الخمر على عقله حتى تعجبت حين لم تقدر عليه ، وذلك لقوته ومئاته ، ولما جاد بالمال لم يبق من سكر الجود ولم يصح من أريحته ، وقد أحسن البحري في هذا المعنى إذ يقول :

تسكرمت من قبل الكئوس عليهم فما استطعن أن يُحِدثن فيك تسكرما

لهذا الأمر ظنوبه : إذا جد فيه ؛ والظنوب : طرف العظم اليابس من الساق فجعل قرع الصوت على ساق الخف قرعا للظنوب .

أَقَامَ الشَّعْرُ يَنْتَظِرُ الْعَطَايَا ، فَلَمَّا فَاقَتْ الْأُمَطَارَ فَاقًا (١)
 وَزَنَا قِيَمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْهُ وَوَفَيْنَا الْقِيَانَ بِهِ الصَّدَاقَ (٢)
 وَحَاشَا لِارْتِيَا حِكَ أَنْ يُبَارَى وَلِلْكَرَمِ الَّذِي لَكَ أَنْ يُبَاقَى (٣)
 وَلَكِنَّا نَدَاعِبُ مِنْكَ قَرَمًا تَرَا جَعَتِ الْقُرُومُ لَهُ حَقَاقًا (٤)
 فَتَى لَا تَسْلُبُ الْقَتْلَى يَدَاهُ وَيَسْلُبُ عَفْوَهُ الْأَسْرَى الْوَثَاقَا (٥)

(١) يقول : أقام الشعر يبابه ينتظر عطاياه ، فلما فاقت عطاياه الأمطار في كثرتها فاق الشعر الامطار كذلك ؛ يعني كثرت عطاياه وكثرت الأشعار في مدحه .

(٢) الدهماء : يريد الفرس الدهماء ؛ أى السوداء ؛ والقيان : جمع قينة ، الجارية للعبية وغير المغنية . والصداق مهر المرأة . وكان سيف الدولة أعطاه فرساً وجارية يقول : وزنا قيمة الفرس من الشعر وبذلنا مهر الجارية منه : أى ملكنا الفرس والجارية بالشعر . يريد أنه كافأ هبته بمدحه . قال العكبرى : وسمى قيمة الجارية صداقا لأن القيمة للأمة ، كالصداق للحرمة ؛ لأنها تستحل بالثمن كما تستحل الحرمة بالمهر .

(٣) حاشا : كلمة للاستثناء والتبديد للشيء ؛ والارتياح : الاهتزاز لابذل ويبارى : يجارى . ويباقى : يغالب من البقاء . وقد استدرك في هذا البيت ما ذكره في البيت السابق من أنه كافأه بالشعر . يقول : حاشا لارتياحك للعطاء أى لجودك ، أن يبارى بشيء ، فهو أكثر من أن يعارضه شيء . وحاشا لكرمك أن يباهى بالبقاء فهو أبقي من كرم غيرك ، يعنى أن جوده وكرمه أكثر وأبقى من شعرنا الذى نجازيها به .

(٤) منك تجريد ؛ والقرم : الفحل الكريم من الإبل ، ثم أطلق على السيد الشريف ؛ والحقاق : جمع حقة ، وهى التى دخلت فى السنة الرابعة من النوق فاستحقت الركوب والحمل . يقول : بيد أنى قلت ذلك - أى أنا وزنا قيمة الفرس والجارية من الشعر - مازحة ، فنحن نداعب منك سيداً كل سيد ، فى جنبه يتصاغر حتى يصير كالحقة فى جنب الفحل الكريم .

(٥) يقول : إذا قتل قتيلا لم يأخذ سلبه ترفماً عن ذلك ولكن عفوه يسلب أسراه أغلامهم وقيودهم ؛ أى يعفو عنهم ويطلقهم ؛ والأصل فى هذا المعنى قول عنترة :

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيمَةَ أَنَّنِي

أَغْنَى الْوَعَى وَأَعِفُّ هِنْدَ الْمُغْنَمِ

وَلَمْ تَأْتِ الْجَمِيلَ إِلَيَّ سَهْوًا وَلَمْ أَظْفَرْ بِكَ مِنْكَ أُسْتَرَاقًا^(١)
فَأَبْلِغُ حَاسِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّي كَبَا بَرَقٌ يُجَاوِلُ بِي لَحَاقًا^(٢)
وَهَلْ تُغْنِي الرِّسَالَةُ فِي عَدْوٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غُطِّي رِقَاقًا^(٣)
إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَيْبٌ فَلَيْ قَدْ أَكْتَهُمْ وَذَاقًا^(٤)
فَلَمْ أَرِ وَدَّهْمٌ إِلَّا خِدَاعًا وَلَمْ أَرِ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقًا
يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرِ وَعَمَّا لَمْ تُلْقَهُ مَا الْآقَا^(٥)
وَلَوْلَا قُدْرَةُ الْخَلْقِ قُلْنَا أَعْمَدًا كَانَ خَلْقُكَ أَمْ وَفَاقًا^(٦)

(١) يقول : إنك لم تحسن إلى غفلة منك وإنما عن علم وتجربة أحسنت إلى ، ولم أظفر بإحسانك من غير استحقاق كمن يسرق شيئاً ، ولكنني كنت أهلاً لما أسديت وكنت أنت مصيباً فيما أوليت .

(٢) يقول : أبلغ هؤلاء الذين يحسدوني عليك أنهم لا يلحقونني ولا يلغون شأوي لأن البرق إذا حاول اللحاق بي كبا على وجهه - عثر وسقط - وإذا لم يلحقني البرق فكيف يلحقونني هم ؟ قال الواحدى : وتحمله المدوح الرسالة إلى أعدائه قبيح لولا قوله - حاسدى عليك .

(٣) الظبي : جمع ظبة ، وهي حد السيف . وهذا استفهام إنكار . يقول : إن حاسدى لا تكفي أمرهم الرسائل وإنما يكفي أمرهم السيوف ، يعنى ليس يشفينى منهم الرسالة ، وإنما يشفينى منهم القتل بالسيف .

(٤) يقول إنى أعرف الجربين الألباء بأحوال الناس ، لأن غيرى إذا كان قد ذاقهم فإنى قد ذقت وذقت حتى صرت كالآكل والآكل أعرف بالما كول من الذائق .
(٥) ألاق الشيء : أمسكه ، قال الشاعر :

كفأك كغف ما تُلِقُ دِرْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسِّيفِ الدِّمَاءَ
يقول : كل بحر لا يبلغ شأوك فى الجود ، وما يمسكه من مائه على كثرته أقل مما لم يمسكه وجدت به .

(٦) يقول : لولا أن الله سبحانه قادر على أن يخلق ما يشاء لساورنا الشك هل أنت خلقت وفاقاً - اتفاقاً - أو عن عمد ، لاستبعاد الوم أن يكون مثلك فى جوده وتناهى محاسنه قد خلق .

فَلَا حَطَّتْ لَكَ الْهَيْجَاهُ سَرَجًا وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقًا^(١)

وقال يمدحه ويذكر الغداء الذي طلبه رسول ملك الروم وكتابه إليه :

لَعَيْنَيْكَ مَا يَلْقَى الْفَوَادُ وَمَا لَقِيَ وَالْحُبُّ مَالَمَ يَبْقَ مِنِّي وَمَا بَقِيَ^(٢)
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ وَلَسَكِنْ مِنْ يُبْصِرُ جُفُونَكَ يَمْشِقُ^(٣)
وَيَبِينُ الرِّضَا وَالسُّخْطَ وَالقُرْبَ وَالنُّوَى مَجَالٌ لِلدَّمْعِ الْمُقَلَّةِ الْمُتَرَفِّقِ^(٤)

(١) يدعو له . والهيجاء : الحرب : قالوا : وهذا منقول من قول البحري :

حَطَّتْ سَرُوجُ أَبِي سَعِيدٍ وَاعْتَدَّتْ أَسْيَافُهُ دُونَ الْعَدُوِّ تَشَامُ

(٢) يقول . إن عينيك ما دأى فكل ما لقيه قلبي من برح الهوى وما سيلقاه إنما هو لأجل عينيك وما تضمنته من السحر . وإن الحب هو الذي أذاب جسمي وأكل لحمي فالذي لم يبق مني - وهو الذاهب - وما بقي ، كلاهما له يفنيه ويذهبه : فاللام - في قوله لعينيك - للتعليل : ومن قوله للحب : للملك ويروي بدل للحب : للشوق .

(٣) يذكر أنه عزهارة يعزف عن النساء ولا يعيل إلى الغزل والعشق ولكن جفون عيني حبيبه فتانة لمن يراها فتضطر من لم يمشق إلى العشق ، وفي هذا نظر إلى قول صريع التواني :

وَقَدْ كَانَ لَا يَصْبُو وَلَكِنْ عَيْنُهُ رَأَتْ مَنظَرًا يُضْنِي الْقُلُوبَ فَرَأَتْهَا

وقوله ولكن من يصير : أراد ولكنه - بضم الشان - فحذفه وجزم بعده

على الشرط .

(٤) يقول : إنه يبكي في كل حال رضى عنه الم محبوب أو سخط عليه ، قرب منه أو

بعد عنه . لأنه في حالة الرضا يخاف السخط وعند قربه يخاف البعد ؛ فالنوى : البعد .

والمترقق الذي يحول في العين ولا ينحدر . وعبرة العكبري : ما بين ما أرجوه من

رضا من أحبه وأحذره من سخطه وما آتمناه من اقترابه وأخافه من بعده مجال للدموع

التي تترقق في القل كلفنا بالحبيب وحذارا من الرقيب ، وقد شرح هذا المعنى الحماسي

حين يقول :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقِي مِنْ مُحِبِّ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُومَ الْمَذَاقِ

وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبَّهُ وَفِي الْهَجْرِ فَهَوِ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي (١)
وَعُضْبِي مِنَ الْإِذْلَالِ سَكْرَى مِنَ الصَّبَا شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَبِّي (٢)

تَرَاهُ بَاكِياً فِي كُلِّ وَقْتٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لِاشْتِيَاقِ
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقاً إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ
(١) ربه : صاحبه ؛ والدهر : ظرف . يقول : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه
شاكاً بين الوصل والهجر ، لأنه إذا كان كذلك كان للوصل أشد اغتناماً ، أما إذا
تيقن الوصل فإنه لا يلتذ به عند حصوله وإذا كان يائساً منه فقد لذة الرجاء ، فالهوى
عليه بلاء كله ، كما قال الآخر :

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ بِيذِي الْهَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ مَعَ يَأْسِ
وفي هذا المعنى يقول قيس بن الرقيات :

تَرَكْتَنِي وَاقِئاً عَلَى الشُّكِّ لَمْ أَصْدُرْ يَأْسَ مِنْكُمْ وَلَمْ أُرِدْ
ويقول ابن أبي زرعة الدمشقي :

فَكَأَنِّي بَيْنَ الْوِصَالِ وَبَيْنَ الْهِجْرِ تَمَنُّ مَقَامُهُ الْأَعْرَافُ
فِي مَحَلِّ بَيْنَ الْجَنَانِ وَبَيْنَ النَّارِ أَرْجُو طَوْرًا وَطَوْرًا أَخَافُ
قال المكبري : وأصل البيت من قول الحكيم : الرجاء تمن والشك توقف ،
وهما أصل الأمل . وقال الآخر : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه بين يأس وطمع
ومخافة وأمل ، فهو يحذر الهجر ويتقيه ويؤمل الوصل ويرتجيه . ولقد أحسن أبو حفص
الشاطبي في قوله :

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي تَهَدَّدُ بِالتَّحْرِيشِ فِيهِ وَبِالْعُتْبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سَخَطٌ وَلَا رِضَى فَأَيْنَ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكُتُبِ

(٢) وغضبي : أي ورب غضبي . ورب الغضب : أوله ، ومنه ريق المطر : أوله .
جعلها غضبي لفرط دلالها ، فهي ترى من نفسها الغضب دلالة على عاشقها ، وجعلها
سكراً من الصبا والحدادة فهي مزهوة مختالة . ثم جعل شبابه شبيهاً إليها كما قال
عمود الوراق :

وَأَشْنَبَ مَفْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاصِحَ
سَتَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَفَقَبِلَ مَقَرِّي^(١)
وَأَجْيَادِ غَزْلَانَ كَجَيْدِكَ زُرْنِي
فَلَمْ أَتَّبِعْ عَاطِلًا مِنْ مُطَوَّقِ^(٢)
وَمَا كَلُّ مَنْ يَهْوَى يَمَفُّ إِذَا خَلَا
عَفَافِي وَيَرْضَى الْحَبَّ وَالْحَيْلُ تَلْتَقِي^(٣)

كَفَاكَ بِالشَّبَابِ ذَنْبًا عِنْدَ غَانِيَةٍ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

أَخِيْبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَالِي شَافِعُ
وَأَرَدَ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رَسُولُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَإِذَا تَوَسَّلَ بِالشَّبَابِ أَخُو الْهَوَى
وَأَشْنَبَ : عَطَفَ عَلَى غَضْبِي ؛ وَالْأَشْنَبُ : الْأَبْيَضُ الْأَسْنَانِ الْحَسَنُ
وَالْمَسْوُولُ : الْحَلْوُ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ عَسَلًا . وَالثَّنِيَّاتُ الْأَسْنَانُ الَّتِي فِي مَقْدَمِ
الْفَمِ ، وَالْمَفْرُقُ مَوْضِعُ افْتِرَاقِ الشَّعْرِ مِنَ الرَّأْسِ . يَقُولُ : وَرَبُّ حَبِيبٍ حَسَنِ الْأَسْنَانِ
حَلْوُ رَضَابِ الثَّنَائِيَا وَاصِحُ الْوَجْهِ - مَشْرُقُهُ - تَعَفَّفَتْ عَنْهُ وَتَصَوَّنَتْ بِسِتْرِ الْفَمِ مِنْهُ عَفَّةً
وَتَوَرَعًا كَيْلَا يَقْبَلُنِي قَبْلَ رَأْسِي إِجْلَالًا لِي وَمِيلًا إِلَيَّ . يَرِيدُ أَنَّهُ أَحَبُّ وَصَلَهُ وَتَعَفَّفَ
هُوَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ .

(٢) الْأَجْيَادُ : جَمْعُ جَيْدٍ ، الْعُنُقُ . وَالْعَاطِلُ : الَّذِي لَا حَلِيَّ عَلَيْهِ ، وَالْمَطْوَقُ الَّذِي
قَدْ تَطَوَّقَ بِالْحَلِيِّ . يَصِفُ نَفْسَهُ بِالْعَفَّةِ وَالزَّاهَةِ ، وَأَنَّهُ قَدْ زَارَهُ مِنَ الْحَسَانِ عَاطِلَاتٍ
وَحَالِيَّاتٍ ، فَلَمْ يَعْرِفْ ذَاتَ الْحَلِيِّ مِمَّنْ لَا حَلِيَّ عَلَيْهَا .

(٣) الْحَبُّ - بِكَسْرِ الْحَاءِ - الْمَهْجُوبُ ؛ وَعَفَافِي مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ . وَقَوْلُهُ : وَالْحَيْلُ تَلْتَقِي
حَالٌ . يَقُولُ : لَيْسَ كُلُّ عَاشِقٍ عَفِيفًا مِثْلِي وَقَدْ الْحَلْوَةُ بِالْمَهْجُوبِ وَمَعَ أَنِّي عَفِيفٌ أَرْضَى
الْمَهْجُوبِ فِي الْوَعْدَى - الْحَرْبِ - بِشَجَاعَتِي ؛ قَالَ ابْنُ جَنِّي : سَأَلْتُهُ - التَّنْبِيْ - عَنْ مَعْنَاهُ
وَقَدْ الْقِرَاءَةُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : الْمَرْأَةُ مِنَ الْعَرَبِ تَرِيدُ مِنْ صَاحِبِهَا أَنْ يَكُونَ مَقْدَمًا فِي الْحَرْبِ
فَتَرْضَى حَيْثُذُ عَنْهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ عَمْرٍو بْنِ كَلْثُومٍ :

يَقْتَنُ جِيَادَنَا وَيَقْلُنَ لَسْتُمْ
بِعَوْلَتْنَا إِذَا لَمْ تَمْنَمُونَا^(١)
وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الْقَائِلُ

(١) مِنْ مَعْلَقَتِهِ . يَقُولُ : يَلْفَنُ خَيْلَنَا وَيَقْلُنَ لَنَا : لَسْتُمْ أَزْوَاجَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَمُوا مِنْ
سَبِي الْأَعْدَاءِ إِيَابًا .

سَقَى اللهُ أَيَّامَ الصَّبَا مَا يَسُرُّهَا وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمُعْتَقِ (١)
إِذَا مَا لَيْسَتْ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعًا بِهِ تَخَرَّقَتْ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ (٢)
وَلَمْ أَرَ كَالْأَلْحَاطِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ بَعَثَنَ بِكُلِّ الْقَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقِ (٣)

أَخَذْتُ لَطْرَفِ الْعَيْنِ مَا تَصِيبُهُ وَأَخْلَيْتُ مِنْ كَفِّي مَكَانَ الْمُخَالَخَلِ
ويقول الآخر .

لِي مَا حَوَاهُ فِنَاعِهَا مِنْ فَوْقِ مَا حَوَتْ الْجِيُوبُ وَلِي مَكَانُ ثَرَاهَا
لَمْ تُلْفِ مُعْتَنَقِينَ لَيْسَ عَلَيْهِمَا حَرَجٌ سِوَايَ مَعَ الْهُوَى وَسِوَاهَا
وقال العكبري : هذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : لسنا نمنع حجة ائتلاف
الأرواح إنما نمنع حجة اجتماع الأجسام فإنما ذلك من طباع البهائم .

(١) ما يسرها : مفعول ثان لسقى ؛ والبابلي : الحمر نسبة إلى بابل . يدعو لأيام
الصبا . يقول : سقاها الله ما يورثها السرور والطرب ويفعل فعل الخمر المعتقة ؛ وهذا
على عادة العرب من الدعاء بالسقيا . وهو مجاز ، لأن الأيام ليست مما يسقى :

(٢) يقول : إن الدهر مشتمل على ناسه احتمال الثوب على لابسه ، بيد أن هذا
الثوب - الدهر - باق لا يبلى - أما لابسه - وهو الإنسان - فإنه يبلى ويفنى . ومن
ثم يسمى الدهر الأزلم الجذع - أي أنه باق على حاله لا يتغير على طول إناه ، فهو أبدأ
جذع لا يسن . قال الأخطل :

يَا بَشْرُ لَوْلَمْ أكنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةِ أَلْقَى عَلَى يَدَيْهِ الْأَرْزَلُ الْجَذْعُ
وفي مثل هذا المعنى يقول ابن دريد في مقصورته :

إِن الْجَدِيدِينَ إِذَا مَا اسْتَوْلِيَا عَلَى جَدِيدِ أَدْنِيَاهِ لِلْبِلَى

(٣) الكاف - في قوله كالألحاط - اسم بمنزلة مثل ، مفعول به . وجملة بعثن حال ؛
وبكل القتل : أي بقتل فظيع . يقول : لم أر مثل الألحاط ولا مثل فعلها يوم رحيل
الذين أحبهم ! بعث لنا القتل ؛ أي قتلنا بسحرها دون أن يقصد ذلك من أدارها ،
والأصل في هذا قول النابغة :

فِي إِثْرِ غَايَةِ رَمْتِكَ سِيَّهَا مَهَا فَأَصَابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ
[رماه فأقصده . قتله في المكان]

أُدرنَ عيوننا حارباتٍ كأنها مَرَكَبَةٌ أَحداقها فَوْقَ زُبَيْ (١)
عَشِيَّةً يَعدُوننا عَنِ النَّظَرِ البُكا وَعَنِ لَذَّةِ التَّوَدِيحِ خَوْفُ التَّفَرُّقِ (٢)
نُودِعُهُمُ وَالْبَيْنُ فِينا كَأَنه قَتانُ ابْنِ أَبِي التَّهِيَّجاءِ فِي قَلْبِها فَيَلقِي (٣)

(١) الضمير - في أدرن - للحبيبات ، لدلالة المقام . والأحداق : جمع حدقة - سواد العين . يقول : أكثرن من إدارة عيونهن وتقليبها لصعوبة الموقف وترقب ما يكون من الفراق فلم تستقر الأعين حتى كأن أحداقها مركبة على زبيق . وهو معروف أن الزبيق يوصف بقلة الثبات وبالترجرج ، وقال بعضهم يصف عققا - طائر على شكل الغراب أو هو الغراب :

يُقلِبُ عَيْنينِ فِي رَأْسِه كَأَنهما قَطْرَتانِ زُبَيْ (٢)
(٢) يعدونا : يمنعنا ويصرفنا ، والبكاء يمنع من النظر ، لأن السمع إذا امتلأ به العين غاض البصر ؛ كما قال القائل :

نَظَرْتُ كَأني مِن وِراءِ زُجاجةٍ إِلَى الدارِ مِن فِوطِ الصَّبابةِ أَنْظُرُ
وخوف الفراق كذلك يمنع من لذة الوداع ، ألا ترى إلى قول البحري :
لا تَمَذُّنِي فِي مَسِيرِي يَوْمَ سِرتُ ولم أَلِقْ
إِنِّي خَشيتُ مَواقِفاً لِلبَيْنِ تَسفَعُ غِربَ ما قِلكِ
وَذَكَرتُ ما يَجِدُ المَودُ دَعِ عِندَ ضَمِّكَ واعتناقكِ
فَتَرَكتُ ذاكَ تَمَعِداً وَخَرَجْتَ أَهْرَبُ مِن فِراقكِ

ومن هذا قول الآخر :

يَوْمَ الفِراقِ شَكَرتُ تَرَكَ وَداعِكمِ
أَوهَلْ رَأيتَ وَهَلْ تَمِعْتِ بِواحدِ
والمعذر فيه موسع توسيعاً
يَمْشِي يُودِعُ رُوحَهُ تَودِيعاً
وقول الآخر :

صَدَنِي عَنِ حَلاوَةِ النَشِيعِ حَذَرِي مِن مَرارةِ التَّوَدِيحِ
لَمَ يَقُمْ أَنسُ ذَا بَواحِشِهِ هَذا فَرَأيتُ الصَّوابَ تَرَكَ الجَمِيعِ
(٣) القنا : الرماح . وأبو الهيجاء : هو والد سيف الدولة ؛ والفيلق : الكتيبة

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسَجُ دَاوُدَ حِنْدَاهَا إِذَا وَقَمَتْ فِيهِ كَنَسَجِ الْخَدْرَتِقِ (١)
 هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الْجِيُوشِ كَانَهَا تَخَيْرُ أَرْوَاحَ الْكَمَاةِ وَتَنْتَقِي (٢)
 قَدُّ عَلَيْهِمْ كُلِّ دِرْعٍ وَجَوْشِنٍ وَتَفْرِي إِلَيْهِمْ كُلِّ سُورٍ وَخَنْدَقِ (٣)

من الجيوش . يقول : إن البين - البعد - يفتك بنا فتك رماح سيف اللولة بجيوش أهداه . وهذا من حسن التخصيص وهو بديع .

(١) قواض : قوائل ، يعنى الرماح ، وهو خبر عن معذوف ضمير القنا ، ومواض : نوافذ ؛ ونسج داود : الدروع ؛ والخدرتق - بالذال والذال - الضكبوت وإذا جمعت حذف آخره قلت خدارن ؛ وفي الصحاح : بالذال المهملة ؛ وأنشد أبو عبيدة لزيان السدي :

وَسَهْلٍ طَامٍ عَلَيْهِ الْفَلَقُ يُبِيرُ أَوْ يُسَدِّي بِهِ الْخَدْرَتِقِ (١)

يقول : هي - أي رماح سيف اللولة - قوائل من يقصدها نوافذ في دروع الأبطال تخرقها إليهم ، كأنها تخرق نسج الضكبوت .

(٢) هواد - من الهداية - يقال هداه فهدي ، والأملاك الملوك : وتغير بحذف إحدى التاءين أي تنغير ، والسكاة جمع كمي : البطل المستتر في سلاحه . يقول : إن هذه الرماح تهدي أربابها أو تهدي هي بنسها إلى الملوك فتقتلهم كأنها تنخير الأبطال فتأبى إلا خيارهم وسادتهم ، وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

قَفَا سِنْدَابَايَا وَالنَّسَايَا كَانَهَا تَهْدِي إِلَى الرُّوحِ الْخَفِيِّ فَتَهْتَدِي (٢)

(٣) الجوشن : الدرع . يقول : لا تحصنهم منها الدروع فإنها تقدها - تقطعها - ولا الأسوار والخنادق فإنها تفرها - تقطعها - وتأتي عليها وذلك لشدة طعن فرسان للمدوح وشجاعتهم .

(١) الفلق الطلعب : الحضرة على رأس الماء ، يقال : ينبت في الماء ذو ورق عريض

(٢) قال ياقوت : سندابايا : موضع بأذربيجان بالبذ ، من نواحي بابك الحرمي .

قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف :

رَمَى اللَّهُ مِنْهُ بَابِكَا وَوَلَاتَهُ بِقَاصِمَةِ الْأَصْلَابِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

فَتَى يَوْمَ بَدِ الْخَرْمِيَةِ لَمْ يَكُنْ بِهَيَّابَةَ نَكْسٍ وَلَا بِمَعْرَدِ

قَفَا سِنْدَابَايَا وَالرَّمَاحِ مُشِيحَةَ تَهْدِي إِلَى الرُّوحِ الْخَفِيِّ فَتَهْتَدِي

يَغِيرُ بِهَا بَيْنَ اللَّقَافِ وَوَأَسِطٍ وَيُرُ كِرْهَا بَيْنَ الْفِرَاتِ وَجَلِقِ (١)
 وَيُرْجُمُهَا حُمْرًا كَانَ صَحِيحَهَا يُبْكِي دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَقِّقِ (٢)
 فَلَا تُبَلِّغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ شُجَاعٌ مَتَى يَذْكَرُ لَهُ الطَّعْنَ يُشْتَقُّ (٣)
 ضُرُوبٌ بِأَطْرَافِ الشُّيُوفِ بَنَانُهُ لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمُشَقِّقِ (٤)
 كَسَائِلِهِ مَنْ يَسْأَلُ الْغَيْثَ قَطْرَةً كَمَاذِلِهِ مَنْ قَالَ لِلْفَلَكَ أَرْفُقِ (٥)

(١) اللقان : بلد من بلاد الروم . وواسط : بلد بالعراق بناها الهجاج وخلق : دمشق أو غوطها . قال الواحدي : وكان أوقع بيني البريدي بواسط ، يريد كثرة غاراته وفسوها في البلاد من العراق إلى أقصى الروم ، وانتشار عساكره إذا عادوا إلى ديارهم ما بين الفرات إلى أقصى الشام .

(٢) المتدقق : المتكسر . يقول : برد الرماح من القتال متلطخة بالدماء تقطر منها ، كأن صحاحها تبكي على ما تكسر منها من شدة الطعن رثاء لها ورحمة ويكي كيكي . والتشديد للبالغة .

(٣) فلا تبغاه أي المدوح ، يقول — مخاطباً صاحبه على عادة العرب — لا تبغاه ما أقول فإنه لحبه الحرب وشجاعته متى ذكر له وصف الحرب والطمان اشتاق إليها وحن والبيت منقول من قول كثير :

فَلَا تُذْكَرَاهُ الْحَاجِبِيَّةُ إِنَّهُ مَتَى تُذْكَرَاهُ الْحَاجِبِيَّةُ يَحْزَنُ

(٤) بنانه : فاعل ضروب ؛ والكلام المشقق : الذي شق بعضه من بعض ويقال شقق الكلام : إذا أخرجه أحسن مخرج . يقول : إنه شجاع في الحرب بليغ لدى القول قادر عليه حسن التصرف فيه مبدع ، قال العكبري : وقد نقل هذا المعنى في الهجاء إلى المدح من قول الأول :

فَبَاعِدْ يَزِيدًا مِنْ قِرَاعِ كَتَيْبَةٍ وَأُذِنْ يَزِيدًا مِنْ كَلَامِ مُشَقِّقِ

(٥) يقول : إن من يسأل الغيث قطرة يتكلف ما هو في غنى عنه ، إذ أن قطرة الغيث مبذول لمن أراده ، كذلك من يسأل للمدوح يتكلف ما لا حاجة به إليه ، إذ أنه يعطى بلا سؤال ، ولما كان المدوح مطبوعاً على الجود لم يكن في استطاعته العدول عنه ، وإذن يكون عاذله عليه ، كمن يقول للفلك ارفق في حركتك ؛ فقوله كسائله : خبر مقدم ومن يسأل : مبتدأ مؤخر ومثله كماذله من قال . وذهب ابن جنى إلى أن المعنى : كما أن

لَقَدْ جُدَّتْ حَتَّى جُدَّتْ فِي كُلِّ مِلَّةٍ وَحَتَّى أَتَاكَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقٍ (١)
 رَأَى مَلِكُ الرُّومِ أُرْتَبَاحَكَ لِلنَّدَى فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِي التَّمَنَّى (٢)
 وَخَلَّى الرَّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا لِأَدْرَبَ مِنْهُ بِالطَّعَانِ وَأَحْذَقِ (٣)
 وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضِ بَعِيدٍ مَرَامَهَا قَرِيبٍ عَلَى خَيْلِ حَوَالِيكَ سُبْقِ (٤)
 وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكِ مِنْهَا رَسُولُهُ فَاسَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ (٥)

الغيث لا تؤثر فيه القطرة؛ كذلك سائله لا يؤثر في ماله وجوده، قال العروضي - ناقدًا -: وهذا على خلاف العادة في الملح لأن العرب تمدح بالعطاء على القلة والمواساة مع الحاجة إليه، قال تعالى: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» وقال الشاعر:

ولم يك أ. كثير الفتيانِ مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

والذي فسره - أي ابن جني - مدح بكثرة المال لا الجود . . . وإنما أراد - أي التني - : من عادته وطبعه الجود كمادة الغيث أن يقطر - أي يمطر - فسائله مستغن عن تكليفه ما هو في طبعه .

(١) يقول: لقد عم جودك أهل كل ملة وأهل كل لغة حتى حمدوك جميعاً لما نالوا من برك وإحسانك .

(٢) الارتفاع: الانبساط؛ والندى: الجود؛ والمجتدي: طالب العطاء؛ والمتعلق: للتودد، أو الذي يخضع ويلين كلامه - مأخوذ من الصخرة الملقاة، وهي اللساء - يقول: لما علم ملك الروم انبساطك للجود وأريحيتك له تملق إليك تملق السائل؛ وفي هذا نظر إلى قول القائل:

ولولم تُناهضه وأبصرَ عظيمَ ما تُنيلُ من الجُدوى لجاءك سائلاً

(٣) الرماح السمهرية: نسبة إلى سمهر، زوج ردينة، كانا يقومان الرماح؛ وأدرب: من الدربة، وهي العادة؛ يقال درب بالشيء: اعتاده وضرى به. والحاذق:

الخبير بالشيء. يقول: وترك ملك الروم الرماح صفاراً لاختياراً لمن هو أحذق بالطعان وأجرى عادة به منه - يعني سيف الدولة - يعني ترك الحرب صاغراً واستأمن بالكتاب.

(٤) يقول: استأمن إليك من أرضه البعيدة لعله أنها لا يبعد على خيلك سبق فإنك تدركه بهامتي أردت. وقوله بعيد: يروى بالجر، على أنه نعت سببي لأرض. ومرامها -

أي مطلبها . . . فاعل له؛ ويروى بالرفع على أنه خبر مقدم، والجملة: نعت أرض. (٥) المسرى: الموضع الذي يسار فيه ليلاً: والهام: الرؤوس. يذكر كثرة قتلاه

فَلَمَّا دَنَا أَخْبَقَ عَلَيْهِ مَكَانَهُ شُعَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمُنَاتِقِ (١)
وَأَقْبَلَ بِمِشْيِ فِي الْبِسَاطِ فَأَ دَرَى إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي (٢)
وَلَمْ يَثْنِكَ الْأَعْدَاءُ عَنْ مُهْجَاتِهِمْ يَمْتَلِ خُضُوعٍ فِي كَلَامِ مُنَقِّ (٣)
وَكُنْتُ إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَدَالِ الدُّسْتَقِ (٤)

في أرض الروم ، وأن رسوله سار إليك عند قصده إياك في طريقك فما سار إلا فوق
ردوس القتلى . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

بِكُلِّ مُنْعَرَجٍ مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ جَنَاحِينَ فَاتَّقَ فِيهَا قَنَاءَ قِصْدِ (١)
وقول الأول :

بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَبِكُلِّ نَجْدٍ بَنَانُ فَتَى وَجُحْمَةٌ فَلَيْقُ

(١) يقول : لما قرب الرسول أعشى بصره لمان الحديد والسلاح حتى لم ير مكان
سيف الدولة ولم يبصر موضعه لشدة لمان الأسلحة حواليه . وقال العسكري : الضمير في
« مكانه » للرسول : أي حتى لم يبصر طريق نفسه لشدة لمان الحديد في عسكر
سيف الدولة .

(٢) في البساط : يروى في السباط ؛ والسباط : صف يقومون بين يدي الملك .
وقوله إلى البحر : أي إلى البحر ، حذف همزة الاستفهام . ويرتقي : يصعد ، يقول :
وأقبل الرسول يمشي إليك بين السباطين فضبه من هيبتك مالا يمرض مثله إلا لن قصد
إلى البحر أو ارتفع إلى البدر ، لعظم ما عين .

(٣) لم يثنك : لم يصرفك ؛ والمهجة : الروح ؛ ونمق الكلام : زينه : يقول : لم يجد
الأعداء شيئاً يصرفونك به عن العبث بأرواحهم وإراقة دماهم مثل أن يخضعوا لك في
كتاب يكتبونه إليك لأنك لاتدفع بالمقاومة . ولعله من قول أبي تمام :

فَخَاطَ لَهُ الْأَقْرَارُ بِالذَّنْبِ رُوحَهُ وَجُمَانَهُ إِذْ لَمْ تَحْطُهُ قِبَالَهُ
وقوله أيضاً :

عَدَا خَائِفًا يَهْتَجِدُ الْكُتْبَ مَدْعَنَا عَلَيْكَ فَلَا رُسُلَ تَمَتَّتِكَ وَلَا كُتُبَ

(٤) الإشارة بهذه : إلى المرة ؛ والقذال : مؤخر الرأس : والدستق : القائد من
قواد الروم . يقول : كنت قبل استغاثته بك إذا أردت مكابته كتبت إليه بما تحدته

(١) الجنانج : عظام الصدر : ويروى ججاجم .

فَإِنْ تُمْطِرُ مِنْكَ الْأَمَانَ فَسَائِلٌ^(١) وَإِنْ تُمْطِرُ حَدَّ الْحَسَامِ فَأَخْلِقِ^(٢)
 وَهَلْ تَرَكَ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمْ^(٣) أُسَيْراً لِفَادٍ أَوْ رَقِيقًا لِمُعْتِقِ^(٤)
 لَقَدْ وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا شَفَرَاتِهَا^(٥) وَمَرُّوا عَلَيْهَا زَرْدَقًا بَعْدَ زَرْدَقِ^(٦)
 بَلَعْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً^(٧) أَثْرَتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ^(٨)
 إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِحْيَةِ أَحْمَقِ^(٩) أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْخَلْقِ^(١٠)

صيوفك في قذال الدمستق من الجراحات : أى إن هذه الجراحات التي تصيبه وهو منهزم كالكتاب إليه ، لانه يتبين بها كيفية الامر كما تتبين بالكتاب - وكان الدمستق قد جرح في بعض وقائع سيف الدولة ، فأشار النبي إلى ذلك ودل به على ضرورة ملك الروم إلى ما ظهره من الخضوع ، وقد فصل ذلك أبو تمام وما أبدعه :

كُتِبَتْ أَوْجُهُمْ مَشَقًا وَنَمْنَةً ضَرَبْنَا وَطَفْنَا يُقَاتُ الْمَامَ وَالصُّلْفَا
 كِتَابَةً لَا تَنِي مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطَتْ بِهَا لَامًا وَلَا أَلْفَا
 فَإِنْ أَلْطَا يَانِكَارٍ قَدْ تَرُكْتَ وَجُوهُهُمْ بِالذِي أَوْلَيْتَهُمْ صُحْفَا

[المشق : مد الحروف ؛ والنميمة : النقش ؛ والصلف : جمع صليف ، صفحة العنق والظوا يانكار - بالطاء والظاء - لازموه ولم يفارقوه] :

(١) أخلق صيغة تعجب من قولهم فلان خلق بهذا أى جدير به . يقول : فإن أعطيته ما يطلب من الأمان فهو سائل يسألك ؛ وأنت لا تخيب سائلا ، وإن قتلته فهو جدير بذلك لأنه حرى مباح الدم .

(٢) البيض : السيوف ؛ والصوارم : القواطع ؛ والرقيق : العبد . يقول : إنك عممتهم بالقتل فلم تترك أسيرا يفدى أو رقيقا يعتق .

(٣) الضمير في شفراتها : للبيض الصوارم ؛ وشفرة السيف : حده ؛ والزردق : الصف من الناس - تعريب رسته . يقول : إنهم وردوا شفرات السيوف كما ترد القطا مناهل الماء ومروا عليها صفا بعد صف حق أفنتهم . وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لَقَدْ وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا بِنَفْسِهِمْ رِضًا لِلَّهِ مَصْفُوفِ الْقَنَا الْمَشَاجِرِ

(٤) وصفه بالنور لبعده صيته وشهرة اسمه في الناس كشهرة النور المستضاء به . يقول : هو نور وقد بلغت بخدمته رتبة ارتفع بها ذكرى واشتهر صيقي اشتهاه النور في المشرق والمغرب .

(٥) الأحق : الجاهل الذي لا عقل له . يقول : إذا أراد سيف الدولة أن يسخر من

وَمَا كَمَدُ الْخَسَادِ شَيْئًا قَصَدْتُهُ وَلَكِنَّهُ مِنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغْرِقُ ^(١)
وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ وَيُغْفِضِي عَلَى عِلْمِهِ بِكُلِّ مُمْخَرِقٍ ^(٢)
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقٍ ^(٣)

أحق من الشعراء أمره باللاحق بي ؛ فهو بحمته يظن أنه يقدر على إدراك شأوى وليس يقدر ، والقبار واللاحق استعارة من سباق الخيل .

وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

يا طالباً مَسْمَاتَهُمْ لِيَنَالَهَا هِيَهَاتَ مِنْكَ غِبَارُ ذَلِكَ الْمَوَكِبِ
قيل إن الخالدين - أبا بكر وأخاه عثان - قالا لسيف الدولة : إنك لتغالي في شعر النبي ، اقترح علينا ما شئت من قصائده حتى نعمل أجود منها ، فدافعها زمانا ، ثم كررنا عليه ، فأعطاها هذه القصيدة : فلما أخذها قال عثان لأخيه أبي بكر : ما هذه من قصائده الطنانات فلائى شئ ، أعطانا ؟ ثم فكرا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله ما أراد إلا هذا البيت ، فتركا القصيدة ولم يعاوداه ولم يعملها شيئا .

(١) يقول : لست أقصد أن أكمد حادى لأنى لا آبه لهم ولا أحفل إلا أنهم لما تعرضوا لي لم يطبقوا مزاحمتي فكمدوا وحزنوا لذلك ، فكانوا كمن زاحم البحر فغرق في تياره . وقال الخطيب التبريزي المعنى : وما الإزراء على أهل الحسد أردت بما أبدعته ولا المعجز لهم قصدت فيما خلدته ، ولكنى كالبحر الذى يغرق من يزاحمه غير قاصد ويهلك من اعترضه غير عامد ، وهو منقول من قول زياد الأعجم :

وَلَمَّا وَسَا يَهْدَى بِهِ مِنْ هِجَائِنَا لِكَالْبَحْرِ مَهْمًا يَزْمُ فِي الْبَحْرِ يَغْرِقُ
(٢) المخرق : لغة عراقية مولدة يراد بها صاحب العيب والأباطيل : مأخوذة من المخرق ، وهو شئ يلبس به : إما منديل يلف أو خشب . ومنه قول عمرو ابن كلثوم :

كَانَ سَيُوفِنَا فِينَا وَفِيهِمْ تَحَارِيقُ بَأَيْدِي لَاعِيِنَا

يقول : يمتحن الناس بقلبه ليعرف . اعندهم ثم يفضى مع علمه بذى العيب منهم فلا يفضحه لكرمه .

(٣) الإطراق : أن ترمى إلى الأرض ؛ وطرف العين : نظرها . يقول : إن إغضاه عن هؤلاء العاشقين لا ينفعهم إذا كان يعرفهم بقلبه فلا يخفى عليه حالهم ؛ وعبارة العكبرى : يريد هو يفضى للمخرق إغضاه تجاوز وحلم لا إغضاه غيظ وسوء ، وغض العين

فِيَا أَيُّهَا الْمَطْلُوبُ جَاوِزُهُ تَمْتَنِّعُ ، وَيَا أَيُّهَا الْحَرُومُ يَمِّمُهُ تُرْزَقِ (١)
 وَيَا أَجْبَنَ الْفَرَسَانَ صَاحِبَهُ تَجْتَرِيْ وَيَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانَ فَارِقَهُ تَفْرُقِ (٢)
 إِذَا سَعَتِ الْأَعْدَاءُ فِي كَيْدِ مَجْدِهِ سَعَى جَدُّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَعَى مُحْنَقِ (٣)
 وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلَ السَّعِيدِ الْمُوَفَّقِ (٤)

لطرفها وكفها للحظها لا ينفع الموه الغالط والمقصر المخرق ، إذا كان طرف القلب يلحظه وينظر إليه . وفي هذا نظر إلى قول ابن الرومي :

والنؤاد الذكي للناظرِ المطرِّقِ عينٌ يَرَى بها مِنْ وِراءِ

ولابن دريد :

ولم يَرَ قَبْلِي مُنْضِيًّا وَهُوَ نَاطِرٌ وَلَمْ يَرَ قَبْلِي سَاكِنًا يَتَكَلَّمُ

(١) يقول : يامن يطلب فيخاف طالبه كن جاراً له حتى تصير منيعاً لا يصل إليك سوء ، ويامن حرم حظه من الرزق اقصد سائلاً تصر مرزوقاً ، فهو ذو نجدة يحمي الدمار معطاء .

(٢) يقول : إن من صاحبه صار جريثاً إما لأنه يعديه بشجاعته وإما ثقةً بنصرته . ومن فارقه - وإن كان شجاعاً - فرق - خاف وفرغ - وصار جباناً ؛ قال علي بن جبلة :

بِدِ عِلْمِ الْإِعْطَاءِ كُلُّ مُبْخَلٍ وَأَقْدَمَ يَوْمَ الرَّوْعِ كُلُّ جَبَانٍ

وقال البحتري :

يَسْخُو الْبُخَيْلُ - إِذْ رَأَى كَبْنَفَهُ وَالنَّكْسُ يَمْلَأُ مَضْرِبَ الصَّمَامِ

(٣) المحنق : الغضب . يقول : إذا سعت أعداؤه ليكيدوا مجده ويطلوه سعى جده - سعده - في إبطال كيدهم سعى محنق ، ويروى سعى جده في مجده : أي في تشييد مجده أي أن جده يرفع مجده إذا قصد الأعداء وضعه .

(٤) المبين : الظاهر البين ، يقال أمنت الشيء ، وأبان هو ؛ واسم يكن : ضمير الفضل الأول : أي إذا لم يكن ذلك الفضل فضل السعيد . يقول : لا عينيك فضلك الظاهر إذا لم يكن جديك القاهر ، أي أنه إذا لم يكن مع الفضل سعادة وتوفيق لم يكن ذلك الفضل صاحبه شيئاً ، قال حسان :

وقال يمدحه ويذكر إيقاعه بين عقيل وقشير وبني العجلان وكلاب لما عاتوا
في نواحي أعماله ، وقصدته إمام ، وإهلاك من أهلكتهم ، وعضوه عن عفا بعد
تضارهم وتضامهم عن لقائه سنة ٣٤٤ .

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْمَذِيبِ وَبَارِقِ

مَجْرَى عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ (١)

وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ بِفَضْلَةٍ مَا قَدْ كَسَرُوا فِي الْمَافِقِ (٢)

وَلَيْلًا تَوَسَّدْنَا الثَّوْبَةَ تَحْتَهُ كَانَ ثَرَاهَا عَنَبَرٌ فِي الْمَرَافِقِ (٣)

رُبَّ حَيْلٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ لِوَجْهِلٍ غَطَى عَلَيْهِ النِّعِيمُ

[الحلم : العقل ؛ والجهل : الحق وعدم العقل] وقال ابن دريد :

لَا يَرْفَعُ الْجِدَّ بِلَالٍ وَلَا يَحْطُكُ الْجَهْلُ إِذَا الْجَدَّ عَلَا

(١) المذيب وبارق : موضعان بظاهر الكوفة ؛ والعوالى : الرماح ؛ والسوابق :
الحيل ؛ وما بين : لك أن تجعله ظرفاً لتذكرت ، ومجر عوالينا بدل منه بدل اشتغال ؛
كأنه قال مجر عوالينا فيه . ولك أن تجعل « ما » زائدة وبين المذيب : ظرفاً للمجر ،
ومجرى - بفتح الميم وضمها - وهو ومجر : مصدران ميميان . يقول تذكرت نزلنا
بين هذين الموضعين حين كنا نجر رماحنا عند مطاردة الفرسان وتتسابق على الحيل .
يعنى أنه تذكر أرضه ومنشأه ومطاردة الفرسان وإجراء الحيل .

(٢) القنيس : الصيد ؛ والمافق : جمع مفرق ، موضع افتراق الشعر من الرأس .
يقول : وتذكرت صحبة قوم صمالك كانوا من البطولة والشجاعة بحيث كانوا
لا يكسرون سيوفهم إلا في جماجم الأبطال ، وكانوا من الأيد وشدة السواعد وإجادة
الضرب بحيث يذبحون ما يصيدون بفضول ما بقي من سيوفهم التي كسرت في
رؤوس الأعداء .

(٣) الثوبية : موضع بقرب الكوفة ؛ وتوسد الشيء : جعله كالوسادة تحت رأسه ؛
والمرافق : جمع مرفق ، مرفق اليد ؛ وثرأها : ثرابها . يقول : وتذكرت ليلاً اتخذنا
فيه هذا المكان مخدات لنا : أى نمنا عليه وكان طيب التراب ، فكان ثرابه الذي
ارتفتنا به حين اتكأنا عليه عنبر في المرافق ، وقال ابن جنى : المرافق جمع مرفقة وهي
الوسادة . وهذا غير موافق للقام ، لأنه يصف تصعلك وتصعلك أصحابه وجلدهم على

بِلَادٍ إِذَا زَارَ الْحَسَانَ بِغَيْرِهَا خَصَا تَرْبَهَا تَقْبِنَهُ لِلْمَخَانِقِ (١)
سَقَتْنِي بِهَا الْقَطْرُ بُرْبُلِي مَلِيحَةً

عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءَ صَادِقٍ (٢)

سُهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَاظِرٍ وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِنَاشِقٍ (٣)

مشقة السفر وأن الفضلات المكسرة من السيوف مداوم والأرض وسائدم ، ولا يفتخر الصلوك بوضع الرأس على الوسادة والبيت من قول البحترى :

فِي رَأْسٍ مُشْرِفَةٍ حَصَاهَا لَوْلُوًّا وَتَرَابُهَا مِسْكٌ يَشَابُ بِمَنْبَرٍ

(١) بغيرها : حال من الحسان ؛ وحصى : فاعل زار ؛ والمخانيق : جمع مخنقة ، وهي القلادة . يقول : هذه البلاد بلاد إذا حمل حصاها إلى النساء الحسان بأرض غيرها ثقبته كما يثقب اللؤلؤ وجعلته قلائد لمن لحسنه ونفاسته ؛ وقال الخطيب التبريزي : إنما أراد ما يوجد حول الكوفة من الحصا الفروحي أي أن تراب تلك الأرض ينوب عن العنبر ، وحصاها ينوب عن الدر والياقوت ، كأن النساء يتحلين به وينظمنه في عقودهن . وفيه نظر إلى قول دعبل :

فَسَكَاتِنَا حَصْبًا وَهِيَ فِي أَرْضِهَا حَرَزُ الْعَمِيقِ نُظْمَنَ فِي سِلَاحٍ

(٢) قطربل : ضيعة من أعمال بغداد ، تنسب إليها الحمر القطربلية ، وعلى كاذب خبر مقدم على ضوء ؛ ومن وعدها ؛ نعت لكاذب يقول . سقتني الشراب القطربلي امرأة مليحة على وعدها الكاذب ضوء الوعد الصادق : أي يستحسن كلامها فيقبل كذبتها قبول الصدق ؛ ويجوز أن يريد أنها تقرب الأمر وتعد كأنها تريد الوفاء بذلك ، فهو ضوء الصدق ؛ ويجوز أن يريد ، أن الوعد الكاذب منها محبوب مطلوب ، وفي مثله يقول منصور النخعي :

تَعَلَّلَهُ مِنْهَا غَدَاةَ يَرَى لَهَا ظَوَاهِرَ صِدْقٍ وَالبِوَاتِنَ زُورٍ

(٣) قال ابن جنى : أي قد اجتمعت فيها — أي المليحة — الأضداد ، فعاشقها لاينام شوقاً إليها ، وإذا رآها فكأنه يرى بها الشمس ، وهي سقام لبدنه ، ومسك عند الشم ، فذهب ابن جنى — كما ترى — إلى أن البيت صفة للمليحة ؛ وقال العروضي : إنما يصف القطربلي — الحمر — والحمر تجمع هذه الأوصاف ، فإن من اشتغل بشربها لها عن النوم ، وهي — بشعاعها — كالشمس للناظر ، وهي ترخي الأعضاء فيصير شاربها كالسقيم لعجزه عن النهوض ، وهي طيبة الرائحة فتمسك لمن شمها ، والأظھر ما ذهب إليه ابن جنى . وقد عاب ابن وكيع على المتنبي هذا ، وقال ينفى : أن يقول :

وَأَعْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ
عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقٍ^(١)
أَدِيبٌ إِذَا مَا جَسَّ أَوْ تَارَ مِزْهَرَ
بَلَا كُلُّ تَمَعٍ عَنِ سِوَاهَا بِعَاتِقٍ^(٢)
يُحَدِّثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ وَصُدَّغَاهُ فِي خَدَى غُلَامٍ مُرَاهِقٍ^(٣)
وَمَا الْخُنُنُ فِي وَجْهِ الْقَتَى شَرَفًا لَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَأَتْلُ لَاتِقٍ^(٤)

سُهاد لأجفان ونوم لساهرٍ وسقم لأبدان وبره سقام

حتى يصح التقسيم والعباق .

(١) وأعيد : عطف على مليحة ؛ ويروى بالجر - على إضمار رب - والأعيد :
الناعم المثني لينا . يقول : وسقاني أعيد جمع بين خفة الروح وحسن الجسم ، فالفاسق
يميل إليه جبا لجسمه ، والعاقل العفيف - الذي لا يفسق - يصبو إلى روحه لحفته
وظرفه . وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

فَتَنَّتَنِي وَصِيفَةٌ كَالْفِطَامِ الْمُرَاهِقِ

هَمَّةُ النَّاسِكِ الْعَفِيفِ وَسُؤْلُ الْمُنَافِقِ

(٢) المزهر : العود ؛ والعائق : اللانع . يقول : إذا تناول العود جس الأوتار أتى
بما يشغل كل سمع عما سوى الأوتار لحذقه وجودة ضربه ، كما قال الآخر :

إِذَا مَا حَنَّ مِزْهَرُهَا إِلَيْهَا وَحَنَّتْ نَحْوَهُ أَذِنَ الْكِرَامُ

وَأَصْفَوْا نَحْوَهَا الْأَسْمَاعَ حَتَّى كَانَهُمْ - وَمَا نَامُوا - نِيَامٌ

ووصفه بالأدب : إما لأن ضرب العود من آداب اليد ، وإما لأنه يحفظ الأبيات
الحلوة والأشعار النادرة ؛ ويؤكد هذا البيت التالي .

(٣) عاد : هي تلك القبيلة العربية القديمة ؛ والمراهق : الذي قد راهق اللحم - أي
دافاه وقاربه - يقول : إنه يأتي بالألحان القديمة والأشعار التي قلت في الدهور الماضية ،
فهو بغنائمه يحدث عما بين زمان عاد وبين زمانه مع أنه غلام لم يبلغ الحلم ؛ وعبارة ابن
جنى : هو أديب حافظ لأيام الناس وسيرهم .

(٤) صمير يكن : للحسن . والحلائق : كالثمائل - الحصال - أي الأخلاق .

وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمَوَافِقِ وَلَا أَهْلُهُ الْأَذْنُونَ غَيْرُ الْأَصَادِقِ (١)
وَجَايزَةٌ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَلَامُ الْمَنَافِقِ (٢)

يقول : إذا لم تكن أفعال النقي وأخلاقه حسنة جميلة فليس حسن وجهه شرفاً له ، قال العباس بن مرداس :

وَمَا عِظْمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ نَحْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
وقال الفرزدق :

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجِسْمِ وَطَوْلِهَا إِذَا لَمْ يَزِنْ حَسْنَ الْجِسْمِ عُقُولُ
وقال دعبل :

وَمَا حُسْنَ الْجِسْمِ لَهُمْ بَزِينٌ إِذَا كَانَتْ خَلَائِقُهُمْ قَبَاحًا
(١) الأذنون : الأقربون - جمع أدنى - والأصادق : جمع أصدقاء ، جمع صديق قال الواحدى : هذا حث على السفر والتغرب . يقول : ليس بلد الإنسان إلا ما يوافقه ، ولا أقاربه إلا أصدقاؤه ، يعنى أن كل مكان واقفه وطاب به عيشه فهو بلده ، وكل قوم صادقوه وأصفوا له المحبة فهم رهطه الأذنون . قال العكبرى : وأخذ صدره من قول القائل :

يُسْرُ الْفَتَى وَطَنٌ لَهُ وَالْفَقْرُ فِي الْأَوْطَانِ غُرْبَةٌ
وأخذ مجزئه من قول الآخر :

دَعْوَتُْ وَقَدْ دَهَنْتِي دَاهِيَاتٌ وَلِلْأَيَّامِ دَاهِيَةٌ طَرُوقُ
صَدِيقًا لَا شَقِيقًا فِيهِ غِلٌّ أَلَا إِنَّ الصَّدِيقَ هُوَ الشَّقِيقُ

(٢) يقول : يجوز أن يدعى المحبة من لا يعتقدها ويتظاهر بها من لا يلتزمها ، ولكن المنافق لا يخفى اضطراب لفظه . قال العكبرى : وهذا إشارة إلى أن شكره لسيف الدولة ليس كشكر من يتصنع له ولا مخلص له حقيقة وده ؛ وقال الواحدى : يعرض فى هذا بمشيخة من بنى كلاب إذ طرحوا أنفسهم على سيف الدولة لما قصدهم يبدون له المحبة غير صادقين . وفى مثل هذا يقول الآخر :

وَالعَيْنُ تَقْلَمُ مِنْ عَيْنِي مَهْدِيهَا مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا
ويقول القائل :

خَلَيْتُ لِلْبَغْضَاءِ حَالٌ مُبِينَةٌ وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ

بِرَأْيِ مَنْ أُنْقَادَتْ عُقَيْلٌ إِلَى الرَّدَى
 أَرَادُوا عَلِيًّا بِالَّذِي يُعْجِزُ الْوَرَى
 فَمَا بَسَطُوا كَفًّا إِلَى غَيْرِ قَاطِعِ
 لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذِ
 وَلَمَّا كَسَا كَعْبًا نِيَابًا طَفَفُوا بِهَا
 وَلَمَّا سَقَى الْغَيْثَ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ
 وَإِشْمَاتٍ مَخْلُوقٍ وَإِسْخَاطٍ خَالِقِ^(١)
 وَيُوسِعُ قَتْلَ الْجَحْفَلِ الْمُتَضَاقِ^(٢)
 وَلَا حَمَلُوا رَأْسًا إِلَى غَيْرِ فَاقِ^(٣)
 وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لَا حَقِ^(٤)
 رَمَى كُلَّ نَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقِ^(٥)
 سَقَى غَيْرَهُ فِي غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ^(٦)

(١) عقيل بن كعب : قبيلة من قبائل قيس عيلان ، ومنهم كان رؤساء الجيش الذي أوقع بهم سيف الدولة . يقول : من الذي أشار على عقيل هذه أن يعصوك ويتمردوا عليك حتى ألقوا بأيديهم إلى التهلكة وأشتموا أعداءهم وأسخطوا الله سبحانه ؟ يعني أنهم أساءوا في هذا التدبير .

(٢) علي : هو سيف الدولة ؛ ويوسع : يكثر ؛ والجحفل : الجيش العظيم ؛ والذي يعجز الوري : هو عصيان سيف الدولة . يقول : أرادوا عصيانك الذي يعجز الناس — لأنه لا يقدر أحد على أن يعصيك — والذي يكثر به قتل الجيش العظيم المتضايق لكثرة وازدحامه ؛ يعني أنه لا يقدر أحد على عصيانه ولا يقدر جيش على ملاقاته .

(٣) يقول حين عصوه وقتلوه بسطوا أي كفهم إلى من قطعها وحملوا رءوسهم إلى من فلقها — يريد بني عقيل — وأنهم كانوا في تلك الحرب جزر السيوف وغرض الحتوف .

(٤) يقول : لقد أقدموا على الحرب ، ولكنهم وجدوا منك من أخذهم عند الإقدام ولحقهم عند الهرب ، فلم ينفعهم الإقدام ولا الهرب ؛ يعني أنهم لم يؤثروا من ضعف في حربهم ولا من تقصير في هربهم ، ولكنهم رأوا من لا يوافق في حرب ولا يمتنع منه هرب .

(٥) كعب : قبيلة منهم ؛ وطفنوا تمردوا ؛ والسنان : الرمح . يقول : لما أنعم عليهم فألبسهم ثياب نعمته طفقوا وتمردوا ولم يشكروا نعمته فسلبهم النعمة بالإغارة عليهم وقتيلهم ، فكأنه خرق بأسنته ما ألبسهم من ثياب نعمته .

(٦) أراد بالغيث : إنعامه عليهم . والبوارق : جمع بارق ، وهو السحاب فيه برق . وقوله : سقى غيره : أي سقاهم كأس الموت في غير بوارق الغيث ؛ يعني في بوارق السيوف .

وَمَا يُوجِعُ الْحِزْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِيمٍ
 كَمَا يُوجِعُ الْحِزْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقٍ (١)
 أَتَاهُمْ بِهَا حَشْوُ الْعَجَاجَةِ وَالْقَنَا سَنَابِكُهَا تَحْشُو بَطُونَ الْحِمَالِقِ (٢)
 عَوَابِسَ حَتَّى يَأْسُ الْمَاءَ حَزْمَهَا فَهِنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالنَّاطِقِ (٣)

والعنى لما أمطر عليهم الخير والجود وكفروا به أمطر عليهم العذاب لأنه أتاهم من عسكره في مثل السحاب البارقة ، فكانت ضد السحاب التي أحسن إليهم بها فكفروا بها . وفي مثل هذا يقول البحرى :

لَقَدْ نَشَأْتُ بِالشَّامِ مِنْكَ سَحَابَةٌ تَوَقَّلْ جَدْوَاهَا وَبُحْشَى دَمَارُهَا
 فَإِنْ سَأَلُوا كَانَتْ غَمَامَةً وَابِلٍ وَغَيْثًا وَإِلَّا فَالْمَمَارُ قِطَارُهَا

(١) يقول : إن إساءته إليهم أوجع من إساءة غيره لأنه كان محسنا إليهم وهم تعودوا إحسانه ، فإذا تنكر لهم كان أشد عليهم . فهو يقول — موبخا لبنى كعب لما حرمت نفسها فضل سيف الدولة ، الذى كان عندهم عادة دائمة ونعمة ساجدة — : وما يوجع الحرمان ممن لا يرتقب فضله ، ولا يؤلم المنع ممن لا يؤمل بذله ، كما يوجع ذلك ممن قد أنست النفوس إلى كريم عوائده وسكنت القلوب إلى جميل عواطفه . يريد أنهم كانوا أصدقاءه فخرموا فضله ورفده .

(٢) بها : أى بالخيول — وإن لم يجر لها ذكر — ؛ وحشو : حال ، كأنه قال : محشوة ، والعجاجة : واحدة العجاج : الفبار . والقنا : الرماح ؛ والسنايك : أطراف الحوافر ؛ والحمايق — بحذف الياء ، لأنها الحمايق — جمع حملاق : بطن جفن العين . يقول : أتاهم بالخيول وقد أحاطت بها الرماح والفبار فهي حشو هذين ، وحوافرها تحشو العينون بما تثير من الفبار . وقال العروصى : أبلغ من هذا أن الخيل تطأ رءوس القتلى فتحشو حماليتها بسنايكها ، كما قال :

* وَمَوَاطِنُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهُ *

فأما أن يرتفع الفبار فيدخل في العينون فلا كثير افتخار في هذا .

(٣) عوابس : حال — أى كالحلة لما أصابها من الجهد — ؛ وحلى : من الحلية . وأراد ييايس الماء : ما جف من العرق ، وعرق الخيل إذا جف أبيض ؛ والحزم : جمع حزام ؛ والناطق : جمع منطقة ، ما يشد به الوسط . يقول : أتتهم الخيل كالحلة وقد جف العرق على حزمها فايبس ، فصارت الحزم كأنها الناطق المحلاة بالنفضة .

فَلَيْتَ أَبَا الْهَيْجَا يَرَى خَلْفَ تَدْمِرِ طَوَالَ الْعَوَالِي فِي طَوَالِ السَّمَائِقِ (١)
 وَسَوْقَ عَلِيٍّ مِنْ مَمَدَّةٍ وَغَيْرِهَا قِبَائِلَ لَا تُعْطَى الْقَفِيَّ لِسَائِقِ (٢)
 قُسَيْرٌ وَبَلْمَجْجَانٍ فِيهَا خَفِيَّةٌ كَرَاءِينَ فِي الْأَفَاطِ الْأَثَغِ نَاطِقِ (٣)
 تُخَلِّبُهُمُ النَّسْوَانَ غَيْرَ فَوَارِكِ وَهُمْ خَلَوْا النَّسْوَانَ غَيْرَ طَوَالِقِ (٤)
 يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَبَيْنَهَا بِضَرْبِ يُسَلِّي حَرَّهُ كُلَّ عَاشِقِ (٥)
 أَتَى الظَّنَّ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ مِنْ أَلْتَلِيلِ إِلَّا فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ (٦)

(١) أبو الهيجا : كنية والد سيف الدولة ؛ وتدمر : البلد القديم المعروف ؛ والعوالي الرماح ؛ والسماقي : جمع سملق ، للفازة المستوية الأرض للترامية الأطراف . يقول : ليت أباك حي فيراك وقد خلفت تدمر تطارد قبائل العرب برماحك الطويلة في المفاوز الطوال .
 (٢) القفي : جمع قفا ؛ وعلى : اسم سيف الدولة . يقول : ويراك تسوق أمامك من بني معد وغيرهم قبائل لا تنهزم من أحد ولا تولى أقيمتها من يسوقها ، يعني ؛ إنك أذلت من العرب من لم يذله غيرك . واللام في لسائق : زيادة في التوكيد .

(٣) بلعجلان : يريد بني العجلان ، نحذف النون لمشايتها اللام ، كما قالوا في بني الحارث : بلحارث . وقوله فيها : أي القبائل . يقول : إن هاتين القبيلتين قد تبددشمهما بين ما تبدد من القبائل التي هربت بين يديك ، فقلنا وخفيتا فيها خفاء راءين في لفظ ألتغ إذا كرهما ؛ وفيه إشارة إلى كثرة الجموع التي ظهر عليها سيف الدولة من العرب ، ومع هذا إنما اعتصموا منه بالهرب .

(٤) فركت المرأة : إذا أبغضت الزوج ، فهي فارك ؛ والطوالق : جمع طالق . يقول : لشدة ما لحقهم من الخوف وتشقتهم في كل وجه تركت النساء أزاجهن من غير بغضة ، والرجال النساء من غير طلاق ؛ وهذا ينظر إلى قول النابغة :

دَعَانَا النِّسَاءُ إِذْ عَرَفْنَ وُجُوهَنَا دُعَاءَ نِسَاءٍ لَمْ يُفَارِقَنَّ عَنْ قَلِيٍّ

(٥) الضمير في يفرق : لسيف الدولة ؛ والكمأة : الأبطال عليهم السلاح - جمع كمي - والضمير في بينها للنسوان . يقول : يفرق سيف الدولة بين الأبطال وبين نسايمهم بضرب شديد ينسى العاشق معشوقه : أي أن شدة ذلك الضرب أنستهم حيطة أحببهم وحملهم على إسلام ذريتهم ، وكل هذا مما يقيم لهم العذر في هربهم منه .

(٦) الظنن : جمع ظعينة ، وهي النساء في الهوادج ؛ والرشاشة : واحدة الرشاش ،

بِكُلِّ فَلَائَةٍ تُفَكِّرُ الْإِنْسَ أَرْضُهَا
ظَلْمَانُ حُمْرُ الْحَلِيِّ حُمْرُ الْأَيَاتِقِ (١)
وَمَلُومَةٌ سَنِيفِيَّةٌ رَبِيعَةٌ يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيحَ اللَّقَالِقِ (٢)
بَعِيدَةٌ أَطْرَافِ الْقَنَا مِنْ أُصُولِهِ قَرِيبَةٌ بَيْنَ الْبَيْضِ غُبْرُ الْيَلَامِقِ (٣)

مارشرش من الدم ونحوه؛ والعواتق: جمع عاتق، وهي الجارية التي قد أدركت
وشبت في بيت أبيها. يقول: إن خيل سيف الدولة لحقت بنساء هؤلاء القوم فكان
فرسانه إذا طعنوا تناضح الدم في نحور النساء، وإذا لحقوا بالعواتق فهو أعظم من لحاقهم
بغيرهن لأنهن أحق بالصون والحماية. هذه رواية ابن جنى وتفسيره. وروى ابن فورجه:
أنى الطعن حتى ما يطير رشاشه: الطعن - بالطاء المهملة؛ ورشاشه: بالهاء ضمير
الطعن أى طاعن الأعداء وهم في بيوتهم حتى يطير رشاشه في نحور النساء: أى أنه غزا
العدو في عقر داره.

(١) بكل: خبر مقدم، وظمأن: مبتدأ مؤخر. والظمأن: جمع ظمينة، وهي
النساء المحمولات في الهوداج، وحر الحلى: أى أن حلين الذهب، والأياتق: جمع
أيتق، جمع ناقة: أى أنهن من الأشراف. ذوى اليسار حلين الذهب ومركوبين
النياق الحمر - وهي أكرم النياق عند العرب - يقول: إنهم أبدووا في الحرب حتى
انتشرت نساؤهم في كل فلاة منقطعة لاعهد لها بالأنس، ومع ذلك أدركهم، فما ينفعهم
هربهم؛ أو تقول: حمر الحلى وحر الأياتق من الرشاش الذى أصاب نحور العواتق
غمر حلين ونوقهن؛ فيكون الكلام متصلاً بما قبله.

(٢) وملومة: عطف على ظمأن؛ والكنتية: اللومة المجتمعة؛ وسيفية نسبة إلى
سيف الدولة: وربعية: لأنه من ربعة، واللقالق: جمع لقلق، طائر كبير كثير في
العراق. ويصيح الحصى فيها: أى عند وقع حوافر الخيل عليه. شبه صوت الحصى
بصوت اللقالق. يقول: إن جيش سيف الدولة بلغ تلك الفلاة البعيدة.

(٣) بعيدة: صفة للمومة؛ والقنا: الرماح؛ والبيض: جمع بيضة: الخوذة تكون
على الرأس؛ واليلامق: الأقبية، جمع يلقى: وغبر: جمع أغبر، وكان الوجه أن يقول
غبراء اليلامق، لأنها صفة للكنتية، لكنه جمع ذهاباً إلى المعنى، لأن الكنتية جماعة،
وهذا كما تقول: مررت بكنتية صفر الأعلام طوال الرماح: يقول: إن رماحهم طويلة
قد تباعدت أطرافها من أصولها وهم متضايقون متكاثفون مجتمعون، لازدحامهم،

نَهَاهَا وَأَغْنَاهَا عَنِ النَّهْبِ جُودُهُ فَمَا تَبَتَّنِي إِلَّا حُمَاةَ الْحَقَائِقِ ^(١)
 تَوَهَّمَهَا الْأَعْرَابُ سُورَةَ مُتَرَفٍ تَذَكَّرُهُ الْبَيْدَاءُ ظِلَّ السَّرَادِقِ ^(٢)
 فَذَكَرْتَهُمْ بِالْمَاءِ سَاعَةً غَبَّرَتْ سَمَاوَةَ كَلْبٍ فِي أَنْوْفِ الْخَزَائِقِ ^(٣)

فتقارب ما بين رءوسهم وقد اغبرت ثيابهم لما تثير خيلهم من الغبار . وفي هذا إشارة إلى أن الفلوات التي لجأ إليها هؤلاء القوم ظانين أنها تعصمهم من خيل سيف الدولة لم تجدم فقد أقحمها عليهم ولم يتيب اختراقها .

(١) جوده : يروى سيبه ؛ والحقائق : جمع الحقيقة ، ما تحق حمايته من أهل ومال ونحوهما . يقول : إن جود سيف الدولة يفضيهم عن نهب الأموال فهم لا يطلبون إلا قتل الشجعان الذين يحمون ما يحق عليهم حمايته كما قال أبو تمام :

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكُرَيْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

(٢) السورة : الوثبة ؛ والهاء في توهمها : للسورة ؛ أي توهم الأعراب هذه السورة منك سورة مترف . ويجوز أن تكون ضمير الشأن فسره بمفرد ؛ والأعراب : سكان البادية ؛ والمترف : التمتع ؛ والبيداء : الفلاة المهلكة ؛ والسرادق : ما يدار حول الخيمة من شقق بلا سقف . يقول : توهم الأعراب أن حרבك سورة متمتع إذا صار في البيداء تذكر ما كان فيه من الظل والنعم كمادة الملوك فانصرف عنهم وتركهم هرباً من العطش والحرق ؛ وفي هذا نظر إلى قول البحري :

أَلْوْفُ الدِّيَارِ فَإِنَّ أَرْمَعَ التَّرْحُلِ حَرَّمَ لِيَطَانَهَا
 إِذَا هُمْ لَمْ يَهْتَدِمْ عَزَمَهُ مَقَاصِيرُ يَعْتَادُ أَكْفَانَهَا

وإلى قول منصور العمري :

كَذَّبَ الْعِدَا لَوْ كُنْتَ صَاحِبَ نِعْمَةٍ صَرَعَتْكَ بَيْنَ إِقَامَةٍ وَكَلَالِ

(٣) غبرت : أثارت الغبار ؛ وسماوة كلب : أي سماوة بني كلب ، وهي بركة معروفة بناحية العواصم ؛ والخزائق : جمع حزيقة ، وهي الجماعة . يقول : في هذا الوقت ذكرتهم أنت بالماء ، أي حملتهم على تذكر الماء حين اشتد عطشهم في بركة السماوة وقد ملأ غبارها أنوفهم وهم هاربون بين يديك ، يعني عرفتهم صبرك عن الماء وأن الأمر لم يكن على ما ظنوا من أنك لا تصبر عن الماء وأنت تبجمهم .

وَكَانُوا يَرَوُعُونَ الْمُلُوكَ بَأْنَ بَدَوْا وَأَنْ نَبَتَتْ فِي الْمَاءِ نَبَتَ الْفَلَاقِقِ^(١)
فَهَا جُوكَ أَهْدَى فِي الْفَلَا مِنْ نُجُومِهِ
وَأَبْدَى بِيُوتَا مِنْ أَدَا حِي الْفَنَانِقِ^(٢)
وَأَصْبَرَ عَن أُمُوَاهِهِ مِنْ ضِيَابِهِ وَأَلَفَ مِنْهَا مُقَلَّةً لِلْوَدَائِقِ^(٣)

(١) يروعون : يخيفون ؛ وبأن بدوا : أى بأنهم أقاموا بالبادية ؛ وأن : مخففة من التثنية ؛ والضمير في نبتت : للملوك . والفلاقق : جمع غلفق ، وهو الطحلب . يقول : إن هؤلاء القبائل كانوا يخيفون الملوك بأنهم نشأوا في البادية فلا يكثرثون للحر والعطش ويصبرون على عدم الماء : وأن الملوك لا صبر لهم عن الماء لأنهم نشأوا فيه - أى في جواره - كما ينشأ الطحلب في الماء ، فظنوا أن سيف الدولة مثل أولئك الملوك .

(٢) أهدى : أفضل تفضيل - من الهداية - وهو حال من ضمير مخاطب ؛ والفلا : جمع فلاة . والضمير من نجومه يرجع إلى الفلا : لأن كل جمع بينه وبين واحد التاء يجوز فيه التأنيث والتذكير ؛ وأضاف النجوم إلى ضمير الفلا مجازاً على تشبيه النجوم بالقوم المسافرين ؛ وأبدى : أظهر . وأداحى : جمع أدحى - ككرسى - موضع يرض النعام من الرمل ؛ والتفانق : جمع التفنق ، ذكر النعام . يقول : فهججوك وأثاروك عليهم بمصائبهم فكنت أهدى إليهم في الفلوات من النجم وأظهر بيوتا فيها من مبيض النعام ، وذلك أن النعامة لا عش لها ولكنها تدحو الرمل برجلها ، أى تبسطه ثم تبيض فيه . يريد أنه لم يتلمس مواضع الشجر والظل ولكن ينزل على وجه الصحراء معرضاً لحر الشمس .

(٣) الضباب . جمع ضب ، الدوية البرية المعروفة ؛ والودائق : جمع وديقة ؛ شدة الحر عند دنو الشمس من الرؤوس ؛ قال بعضهم : سميت وديقة لأنها ودقت إلى كل شئ . أى وصلت إليه . قال أبو المثلم الهذلي يرثى صخرأ :

حامي الحقيقة نسالُ الوديقة مغتاق الوسيقة لا نكسُّ ولا واني^(١)

(١) قبله :

أبي الهضيمة نأبٍ بالعظيمة متلاف الكريمة جلا غير ثنيان

قال ابن الأعرابي : يقال فلان يحمي الحقيقة وينسل الوديقة يقال للرجل المشمر القوى : أى ينسل نسلانا في وقت الحر نصف النهار والوسيقة الطريدة من الإبل وفرس معتاق الوسيقة وهو الذي إذا طرد عليه طريدة أنجأها وسبق بها .

وَكَانَ هَدِيرًا مِنْ فُحُولٍ تَرَكَتَهَا مُهَلَبَةً الْأُذْنَابِ خُرْسَ الشَّقَاشِقِ (١)
فَمَا حَرَمُوا بِالرَّكْضِ خَيْلِكَ رَاحَةً

وَلَكِنْ كَفَاهَا الْبَرُّ قَطَعَ الشُّوَاهِقِ (٢)

وَلَا شَفَلُوا صُمَّ الْقَنَا بِقُلُوبِهِمْ

عَنِ الرَّكْزِ لَكِنْ عَنِ قُلُوبِ الدَّمَاسِقِ (٣)

وأصبر : عطف على أهدى - في البيت السابق - . يقول : وكنت أصبر على الماء من الضب - والضب لا يرد الماء قط - وكنت آلف مقلة للهبير - شدة الحر - من الضب مع أنها تسكن الفلوات . وكل هذا إشارة إلى أنهم أخطأوا في تقديرهم سيف الدولة وخبرته باختراق القفار ، وأنهم عجزوا عما بدامنه من الأيد والجلد .

(١) اسم كان : ضمير فيها ؛ وهديرًا : خبرها ؛ والتقدير : وكان فعلهم أو كيدهم . والهدير : صوت البعير إذا رددته في حنجرته ؛ والمهلبة : اللقطة الهلب ، وهو شعر الذنب ؛ والشقاشق : جمع الشقشقة ، وهي لهمة البعير إذا هدر أخرجها من فمه يقول : كان طغيانهم وغيرهم مثل هدير فحول تهادرت فانتدب لها قرم - فحل كريم - هو سيف الدولة - مصعب فضعمها - عضها بلاء فمه - أي نال منها - وسار عليها فتركها - صيرها مهلبة الأذنان ساكنة الهدير ، يعني أذلم وصغر أمرهم ، لأن الفحل إذا أخذ هلبه ذل ، لأن الفحول إنما تتخاطر بأذنانها . وإذا أخذ شعر ذنبها ذلت ، قال الشاعر :

أَبَى صِفْرُ الْأُذْنَابِ أَنْ تَحْطُرُوا بِهَا

والمنى : تركت فحول تلك القبائل كفحول إبل تستدل بقطع الأذنان ، وسكنتها بعلبتك عليها فانتقطعت أصوات شقاشقها . يريد أنه أذل أعزاء الأعراب وذهب بقوتهم وظفر بهم .

(٢) الشوايق : جمع شاقق ، الجبل الشامخ العالى . يقول : إنهم بفرارهم منك وإحواجمهم إياك إلى الركض خلفهم لم يحرموا خيلك راحة لأنك لو لم تذهب إليهم لقصت الروم ، فلما قصدت هؤلاء الأعراب أغنى خيلك السير في البرارى عن تجشم قطع الجبال بأرض الروم .

(٣) الصم : الصلاب ؛ والقنا : الرماح ؛ وبقلوبهم : متعلق بشغلوا ؛ وركز الرمح : غرزه في الأرض قائمًا لا يطمئن به ؛ والدماشق : جمع دمهشق - على حذف التاء - والدمهشق : قائد الروم . يقول : إنك لو لم تحاربهم ما كنت تركز رماحك

أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذِي يَمْسَخُ الْعِدَا وَيَجْعَلُ أَيْدِيَ الْأَسَدِ أَيْدِيَ الْخِرَانِقِ^(١)
 وَقَدْ عَابَنُوهُ فِي سِوَاهُمْ وَرُبَّمَا أَرَى مَارِقًا فِي الْحَرْبِ مَصْرَعِ مَارِقِ^(٢)
 تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضِمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعِ جُنُوبَ الْعَلَّاقِ^(٣)
 وَلَا تَرِدَ الْفُذْرَانَ إِلَّا وَمَاؤُهَا مِنْ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ^(٤)

تاركا للحرب بل كنت تغزو الروم، فهم إنما شغلوا رماحك بحجرهم عن دمار قلوب قواد الروم: أى فلا راحة لحيلك ولا لسلاحك.

(١) المسخ: قلب الخلق؛ والخرانيق: جمع خرنيق - بكسر الخاء - وهن الإناث من أولاد الأرانب أو الصغار منها. يريد بمسخته الأعداء أن يجعل الشجعان منهم جناء والأقوياء ضعفاء، فتصير الأيدي القوية التي كأنها أيدي الأسد أيديا ضعيفة كأنها أيدي الأرانب. وعبارة العكبري: ألم يحذر الأعداء سطوته التي هي على عدوه كالسوخ الذي يقبل الخلق ويقبح الصور ويعيد بها عزيزهم ذليلا وكثيرهم بالقتل قليلا ويجعل أيدي الأسد من أعدائه وقد تناهت في القوة كأيدي الخرانيق قصيرة مما يكسبهم من الذلة والصغار؟ وفي هذا المعنى يقول أبو تمام:

لَوْ أَنَّ أَيْدِيَكُمْ طُولًا قَصَّرَتْ عَنْهُ فَكَيْفَ تَكُونُ وَهِيَ قِصَارُ

(٢) وقد عابنوه: حال من ضمير يحذروا - في البيت السابق - والمارق في الأصل: الذي يمرق من الدين؛ والمراد: الخارج عن الطاعة - من مروق السهم - والمصرع: مصدر صرعه، إذا طرحه على الأرض؛ ويراد به القتل. يقول: قد عابنوا بطشه بغيرهم فما اعتبروا بتلك المصارع وكان جديراً بهم أن يعتبروا بها وقد أراهم سيف الدولة مصرع العاصي المتمرد عليه حتى يعتبر الثاني بالأول، كما قال أشجع:

شَدَّ الْخَطَامَ بِأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ الَّذِي لَمْ يَخْطَمْ

(٣) القضم: أكل الشيء اليابس؛ والهام: الرءوس؛ والعلائق: جمع عليقة، وهى الخلالة تعلق من رأس الدابة لتعتلف؛ وجنوبها: نواحيها. قال ابن جني: سألته - المتنبى - عن معنى هذا البيت فقال: الفرس إذا علقت عليه الخلالة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم ياكل؛ فخيله أبداً إذا أعطيت عليقتها رفته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرتهم حولها، فقد تعودت خيله ذلك في غزواتها.

(٤) ولا ترد: عطف على لا تقضم؛ والقدران: جمع غدير، وهو ما غدره السيل - تركه - والشقائق: نور أحمر؛ يقال له شقائق النعمان، قال ابن جني: أى

لَوْفَدُ نَمِيرٌ كَانَ أَرْشَدَ مِنْهُمْ وَقَدْ طَرَدُوا الْأَطْمَانَ طَرَدَ الْوَسَائِقِ (١)
أَعَدُّ رِمَاحًا مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا بِهَا الْجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الْفَيَالِقِ (٢)

لكثرة ما قتله من أعدائه جرت دماؤهم إلى الغدران فغلبت على خضرة الماء حمرة الدم، والساء يلوح من خلال الدم كالريحان تحت الشقائق، وماء الغدير أخضر من الطحلب فشبّه خضرة الماء وحمرة الدم بالريحان تحت الشقائق. وقال ابن فورجه: إنما يعني أنه لا يروم الهوننا ولا تشرب خيله الماء إلا وقد حاربت عليه واحمر الماء من دم الأعداء، كما قال بشار:

فَتَى لَا يَبِيْتُ كُلِّي دِمْنَةً وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

وقال المكبري: ويجوز أن يكون أراد أن خيله لا تقرب الغدران واردة، ولا تقتحم مياهها شاربة إلا وتلك المياه تحت ما يسفك من دماء أعدائه كالريحان في خضرته إذا استبان تحت الشقائق، واستولت بجمرتها على جلته؛ وأشار بخضرة الماء إلى صفاته وكثرته، ونبه بذلك على جمومه، وأن هذه الخيل إنما تأنس من الماء ما هذه صفته، وترد منه ما هذه حقيقة؛ وفيه نظر إلى قول جرير:

وما زالت القتل تمر دماؤها بدجلة حتى ماه دجلة أشكل (١)

(١) لوفد: اللام للابتداء؛ والوفد: القوم الوافدون؛ ونمير: قبيلة منهم استسلمت لسيف الدولة - كما سيذكر في البيت التالي - والأطمان: جمع ظعن، جمع ظعينة، للمرأة مادامت في المودج. والوسائق: جمع وصيقة: الطريدة من الغنم أو الإبل. يقول: إن هؤلاء الذين وفدوا إليك من بني نمير كانوا أرشد من الذين هربوا عاصين وطرّدوا نساءهم كما تطرد الوسائق.

(٢) ضمير رد: للخضوع؛ وغرب كل شيء: حده. والفياق: جمع فيلق، القطعة من الجيش. يقول: إن هؤلاء الوافدين عليك من نمير أتوك خاشعين قمام خضوعهم مقام رماح طاعنوا بها جيشك مدافعين عن أنفسهم، وهذا كما يقول أبو تمام:

فحاط له الإقرار بالذنب روجه وجنانه إذ لم تحطه قنابله

(١) تمر: نجري؛ وأشكل: فيه بياض وحمرة، قد اختلط.

فَلَمْ أَرَ أَرْقَى مِنْهُ غَيْرَ مُحَاتِلٍ وَأَسْرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ مُسَارِقٍ^(١)
تَصِيبُ الْجَانِيقِ الْعِظَامُ بِكَفِّهِ دَقَائِقَ قَدْ أُعْيَتْ قَيْسَ الْبِنَادِقِ^(٢)

وقال في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أرس بن معن بن الرضى الأزدي :

أَرْقَى عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرَقُ وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرْتَقُ^(٣)
جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ^(٤)

(١) المحاتل : المتحاح ؛ والمسارق ؛ الذى يتربص غفلة . يقول : لم أر أحداً يرمى أعداءه جهاراً ويسرى إلى أعدائه معالنا غير مسرك كما يرمى هو ويسرى ، فهو لا يحتاج إلى المحاتلة والمسارقة في الظفر بعده ، وفي هذا يقول البحرى :

فَنَدْرِكُ بِالْإِقْدَامِ بُغَيْقَنَا الَّتِي نَطَالِبُهَا لَا بِالْخُدَيْعَةِ وَالْمَكْرِ

وهو معنى قديم .

(٢) الجانيق : جمع منجنيق ، آلة ترمى بها الحجارة ونحوها على الحصون في الحصار ؛ والدقائق : الأشياء الدقيقة ؛ وأعيت : أعجزت ؛ والقسى : جمع قوس ، وهو من القلب المسكاني . والبنادق : جمع بندقة ، ما يعمل من الطين ويرمى به الطير . يقول : إنه يقدر على ما لا يقدر عليه غيره حتى يصيب بالمنجنيق مع اختلاف رمية وتمذر ضبطه من الأشياء الدقيقة ما يعجز غيره عن أن يصيبه بالقسى التي ترمى بها البنادق ، يعنى أنه معان موفق مؤيد .

(٣) الأرقى : فقد النوم ؛ والجوى : الحرقه - من حزن أو عشق - . والعبرة : الدسعة تتردد في العين ؛ وتقول : رقرقت الماء فترقرق : مثل أسلته فسال . يقول : لى سهاد بعد سهاد على أثر سهاد ، ومثل بمن كان عاشقا يسهد لامتناع النوم عليه ، وحررفته تزداد كل يوم ودمه يسيل .

(٤) جهد الصبابة : مبتدأ ؛ خبره : أن تكون ؛ والجهد - بالفتح - المشقة ، والمضام الطاقة والوسع ؛ وقيل هما لفتان بمعنى . والصبابة : رقة الشوق . وعين : خبر مبتدأ محذوف ، تقديره لى عين ؛ ويجوز أن تكون عين : خبرا عن جهد الصبابة ، وأن تكون في موضع الحال . يقول : غاية الشوق أن تكون بهذه الحال التي أنا فيها ، وقال البحرى :

مَالَا حَ بَرَقَ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ إِلَّا أَنْذَنْتُ وُلَى فُوَادُ شَيْقٍ^(١)
 جَرَبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِي نَارُ الْغَضَى وَتَكِلُ عَمَّا تُحْرِقُ^(٢)
 وَعَدَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ
 فَمَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَفْشِقُ^(٣)

هل غاية الشوق المبرح غير أن يملؤ نسيج^١ أو تفيض مدامع^٢

(١) انثنت : رجعت ؛ ولى فؤاد : جملة حالية ؛ والشيق : المشتاق ؛ وهو معلوم أن لمان البرق بهيج العاشق ومحرك شوقه إلى أحبته لأنه يتذكر به ارتحالهم للنجعة وفراقهم ، ولأن البرق ربما لمع من الجانب الذى هم به ، وكذلك ترنم الطائر . وهذا كثير في أشعارهم ومنه قول بعضهم :

مَا تَغْفَى الْقُمْرَى إِلَّا شَجَانِي وَغِنَاهُ الْقُمْرَى لِلصَّبِّ شَاجِي

(٢) الغضى : شجر معروف يستوقد به ، فتكون ناره أبقى . يقول : جربت من نار الهوى نارا تكل نار الغضى عما تحرقه تلك النار وتنطفئ عنه ولا تحرقه . يريد أن نار الهوى أشد إحراقا من نار الغضى ؛ وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَوْ كَانَ قَلْبِي فِي نَارٍ لِأَحْرِقَهَا لِأَنَّ إِحْرَاقَهُ أَذْكَى مِنَ النَّارِ

فما - من قوله ماتنطفئ - : مصدرية ؛ والضمير في تحرق : لنار الهوى ؛ وعمما تحرق : متعلق بتكل ؛ ومعمول تنطفئ - كما يقول العكبرى - محذوف على رأى البصريين في إعمال ثانى الفعلين ؛ كقولك : رضيت وصفححت عن زيد ، محذفت معمول الأول لدلالة الثانى عليه ؛ وحببتهم أن الثانى أقرب إلى المعمول واختار الكوفيون إعمال الأول . لأنه أسبق في الذكر ، وقد جاء في الكتاب العزيز إعمال الثانى . فهو دليل «للبصرى» ، وجاء في أشعار العرب إعمال الأول ففي القرآن «آتونى أفرغ عليه قطرا . هاؤم أقرءوا كتابيه» وفي البيت محذوفان هذا الذى ذكرناه ؛ والثانى حذف العائد إلى «ما» الثانية من صلتها ؛ وفيه حذفان آخران تقديرها جربت من قوة نار الهوى انطفاء نار الغضى وكلولها عن إحراق ما تحرقه نار الهوى .

(٣) يريد أن يعظم أمر العشق ويجعله غاية فى الشدة . يقول : كيف يكون موت من غير عشق ؟ أى من لم يعشق يجب أن لا يموت لأنه لم يقاس ما يوجب الموت ، وإنما الذى يوجبه هو العشق . وقال بعض الشراح : لما كان المتقرر فى النفوس أن الموت فى أعلى مراتب الشدة قال : لما ذقت العشق وعرفت شدته عجبت كيف يكون هذا الأمر المتفق على شدته غير العشق !

وَعَذَرْتَهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنِّي عَزَّيْتَهُمْ فَلَقِيتُ فِيهِ مَا لَقُوا (١)
 أبنِي أَيْبِنًا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلِ أبدأ غَرَابُ التَّيْنِ فِيهَا يَنْعِقُ (٢)
 نَبِيكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَشْرِيرٍ بَجَمَّتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا (٣)
 أَيْنَ الْأَكْسِرَةِ الْجِسَابِرَةُ الْأَلَى
 كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا يَقِينَ وَلَا بَقُوا (٤)
 مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِحَيْثِهِ حَتَّى تَوَى فَحَوَاهُ لِحَدِّ ضَيْقِ (٥)

(١) يقول: لما ذقت مرارة العشق وما فيه من ضروب البلاء عذرت العشاق في وقوعهم في العشق وفي جزعهم وعرفت أني أذنبت بتصيرهم بالعشق فابتليت بما ابتلوا به ولقيت في العشق من الشدائد ما لقوا، وفي مثل هذا يقول علي بن الجهم:

وقد كنتُ بالعشاق أهزأ مرّةً وها أنا بالعشاق أصبحتُ باكيًا

ويقول أبو الشيص:

وكنْتُ إِذَا رَأَيْتُ فَتَى يُبَيْكِي عَلَى شَجْنِ هَزَأَتْ إِذَا خَلَوْتُ
 وَأَحْسَبُنِي أَدَالَ اللَّهُ مِثْنِي فَصِرْتُ إِذَا بَصُرْتُ بِهِ بِكَيْتُ

(٢) نطق الغراب ونطق: صاح. انتقل أبو الطيب من النسيب إلى الوعظ وذكر الموت، ومثل هذا — كما قال الواحدى — يستحسن في المرأى لافي المدح. وقوله: أبنينا: أى يا إخواننا. يجوز أن يكون نداء لجميع الناس — لأن الناس كلهم بنو آدم — ويجوز أن يريد قوما مخصوصين: إما العرب، وإما رهطه وقبيلته. يقول: نحن نازلون في منازل يتفرق عنها أهلها بالموت. وإنما ذكر غراب البين لأن العرب تتشام بصياح الغراب، يقولون: إذا صاح الغراب في دار تفرق أهلها، وهو كثير في أشعارهم. (٣) مثله:

لا يُلبِثُ القَرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكْرَهُ عَلَيْهِمِ وَنَهَارٌ

(٤) الألى: أى الذين، ويقين: أى الكنوز؛ وبقوا: أى الأكسرة.

(٥) من — فى أول البيت — للتفسير؛ والجار والمجرور فى موضع الحال من الأكسرة؛ ومن — المضافة إليها كل — نكرة موصوفة. والجمله بعدها: صفتها. ونوى: أى أقام فى قبره؛ وبروى: نوى، أى هلك. يقول: أولئك الذين ذكرناهم من كل

خُرُسٌ إِذَا نُودُوا كَانَ لَمْ يَفْلَمُوا أَنْ الْكَلَامَ لَمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ^(١)
 وَالْمَوْتُ آتٍ وَالنَّفُوسُ تَفَائِسُ وَالْمُسْتَعْرِ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ^(٢)
 وَالْمَرْءُ بِأَمَلٍ وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ وَالشَّيْبُ أَوْ قَرُّ وَالشَّبِيَّةُ أَنْزِقُ^(٣)
 وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَوَلَّتِي مُسَوَّدَةٌ وَلِمَاءَ وَجْهِ رَوَتْ^(٤)
 حَذْرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِي أَشْرَقُ^(٥)

ملك كثر جنوده حتى ضاق بهم الغضاء لجمعه لحد - شق في جانب قبر - ضيق بعد أن كان الغضاء الواسع يضيق عنه ، قال أشجع :

رَأْسُ بَحْرٍ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ ضَيْقٌ وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاصِحُ

« الصحاصح : جمع صحصح : الأرض الجرداء ليس بها شجر ولا ماء »

(١) يقول : إنهم موتى لا يحييون من ناداهم كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم لا يحل لهم أن يتكلموا . ولو وصفهم بالمعجز عن الكلام وعدم القدرة على النطق لكان أولى وأحسن ، لأن البيت لا يوصف بما ذكره قاله الواحدى .

(٢) النطيس : الشيء الذى ينفس به ؛ أى يرضن به ؛ والمستعر : المغرور . يقول : الموت يأتى على الناس فيودى بهم وإن كانت نفوسهم عزيزة ؛ والكيس لا يفتخر بما جمعه من الدنيا لعله أنه لا يبقى ولا يدفع عنه شيئا ، ومن لم يعلم هذا فهو أحمق . وروى المستعر : أى الذى يطلب العز بما له هو أحمق ، وفى معنى البيت :

وَإِنْ أَمْرًا أَمِنَ الزَّمَانُ نَ الْمُسْتَعْرِ أَهْمُ

(٣) شهية : مشتة طيبة ؛ وأوقر : من الوقار ؛ والشبيبة : اسم بمعنى الشباب ؛ وأنزق : أخف وأطيب . يقول : إن المرء يرجو الحياة لطيبها عنده ، ويكره الشيب وهو خير له لأنه يمهده الحلم والوقار ، ويحب الشباب وهو شر له لأنه يجعله على الطيش والحفة .

(٤) اللثة من الشعر : ما جاوز شحمة الأذن ؛ والواو قبلها : للحال . والرونىق : الحسن والنضارة .

(٥) حذراً : مفعول لأجله ؛ والعامل فيه : بكيت ، واللام من قوله لكدت : للتوكيد ؛ والتقدير : لقد كدت فحذف «قد» ويقال شرق بالماء . كما يقال غص بالطعام يقول : لكثرة دموعى كاد يشرق بها جفنى : أى يضيق عنها ، وإذا شرق جفنه فقد شرق هو ، ويجوز أن يغلبه البكاء فلا يلبع ريقه ويكون التقدير : بسبب ماء جفنى أشرق بريقى ، وفى هذين البيتين نظر إلى قول الآخر - وهو من باب غير هذا الباب - :

أَمَا بَنُو أَوْسِ بْنِ مَعْنِ بْنِ الرِّضَا فَأَعَزُّ مَنْ تَحَدَى إِلَيْهِ الْأَيْتُقُ (١)
كَبُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ (٢)
وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضِ سَحَابٍ أَكْفُهُمْ
مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ (٣)

مَا كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتُ رَاضِيَةً عَنِّي بِذَلِكَ الرِّضَا بِمَفْتَبِطِ
عِلْمًا بِأَنَّ الرِّضَا سَيَتَّبِعُهُ مِنْكَ التَّجَنُّيَ وَكَثْرَةَ السَّخَطِ

(١) الأيتق : النياق ، جمع ناقة - على غير قياس - والقياس : الأتوق يقول :
إن قوم هذا للمدوح أعز الناس لمنعتهم وشرفهم ، فهم أعز من يقصد ويرى إليه الطلاب
والقصاد ويحدون جمالهم . قال الواحدي : روى الأستاذ أبو بكر الخوارزمي الرضا -
بضم الراء - وهو اسم صنم ؛ وأراد ابن عبد الرضا : كما قالوا ابن مناف . ويريدون
ابن عبد مناف .

(٢) جعلهم كالشموس في علو ذكركم واشتبارهم أو في حسن وجوههم . يقول :
كبرت لله - أي قلت الله أكبر - تعجباً من قدرته حين أطلع شمساً لا من المشرق ،
وكانت منازل المدوحين في جهة المغرب : قال العكبري : وإنما جمع الشموس ليجعل
كل واحد منهم شمساً ، فقابل جماعة بجماعة ، واستجاز ذلك ، لأن الشمس يختلف طلوعها
وغروبها وازدياد حرها وانقاصه وتغير لونها في الأصائل وغيرها ، فيقال : شمس
الضحى ، وشمس الأصائل ، وشمس الصيف ، وشمس الشتاء . كقوله تعالى « رب المشرقين
و رب المغربين » و « رب المشرق والمغرب » وقال الله تعالى « والله المشرق والمغرب »
وقال النخعي :

حَمِيَّ الحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ لِمَعَانِ بَرَقِ أَوْ شُعَاعِ شَمُوسٍ

(٣) يقول : إذا كانوا يسقونها بندي أيديهم فلم لا تورق صخورها لفضل ندى
أيديهم على ندى السحاب : أي كان من حقها أن تلين حتى تثبت الورق وهذا من قول
البحرئى يصف أيام للتوكل :

أَشْرَقَنَ حَتَّى كَادَ يَحْتَبِسُ الدُّجَى وَرَطَبُنَ حَتَّى كَادَ يَجْرِي الجَنْدَلُ

ويقول أبو الشمقمق - وكان مع طاهر بن الحسين في حراقة في دجلة - :

وَتَفُوحٌ مِنْ طَيْبِ الشَّنَاءِ رَوَّاحٌ (١)
لَهُمْ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ (١)
مِنْ سَكِيَّةِ النَّفْحَاتِ إِلَّا أَنَّهَا وَحْشِيَّةٌ بِسِوَاهُمْ لَا تَعْبِقُ (٢)
أَمْرِيْدٌ مِثْلُ مُحَمَّدٍ فِي عَصْرِنَا لَا تَبْلُنَا بِطِلَابٍ مَالًا يُلْحَقُ (٣)

عَجِبْتُ لِحِرَافَةِ ابْنِ الْحَسَنِ كَيْفَ نَعَمُ وَلَا تَفْرَقُ
وَبِحِرَانٍ مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَأَخْرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عَيْدَانِهَا وَقَدْ مَسَهَا كَيْفَ لَا تَوْرُقُ
ويقول مسلم :

لَوْ أَنَّ كَفًّا أُعْشِبَتْ لِسَاحَةٍ لَبَدَأَ بِرَاحَتِهِ النَّبَاتُ الْأَخْضَرُ

(١) مكانة : أى مكان ؛ ومثله منزلة ومنزل ، قال تعالى « على مكاتكم » والثناء يوصف بطيب الرائحة ، لأن طيب أخبار الثناء فى الآذان مسموعة كطيب الروائح فى الأنوف مشمومة . يقول : إن أخبار الثناء عليهم تسمع بكل مكان لكثرة اللتين عليهم ، والله ابن الرومى حين يقول :

أَعْبَقْتَهُ مِنْ طَيْبِ رَيْحِكَ عِبَقَةً كَادَتْ تَكُونُ ثَنَاءَكَ السَّمُوعَا
ولآخر :

لَوْ كَانَ يُوْجَدُ رَيْحٌ مُجَدِّ فَأَحْمَا لَوْجَدْتَهُ مِنْهُ طَلَى أَمِيَالٍ
ولابن الرومى أيضاً :

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْنِى لَنَا مَنزَلَا فَقُلْ لَهُ يَمْشِى وَيَسْتَنْشِقُ

ومثله :

لَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْوُكُ لِقَادَهُمْ شَمِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرَّكْبُ

(٢) النفحات : الروائح ؛ وتعبق : تفوح . يقول : روائح ما يسمع من الثناء عليهم مسكية — لها طيب المسك — إلا أنها نافرة لا تعلق بغيرهم ولا تفوح إلا منهم ، يعنى لا يثنى على غيرهم كما يثنى عليهم .

(٣) أمريد : نداء . يقول : يامن يريد أن يوجد له نظير لا تمتحننا بطلاب مالا بدرك ، أى أنه لا يوجد له نظير ، وفى مثل هذا يقول ابحترى :

وَلِئِنْ طَلَبْتُ نَظِيرَهُ لِيْ إِذْنٌ لِمَكَتَّفٍ طَلَبَ الْمَحَالِ رِكَابِيْ

لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ أَبَدًا وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ (١)
 يَأْذَا الَّذِي يَهَبُ الْغَزِيرَ وَعِنْدَهُ أُنَى عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَنْتَصِدُقُ (٢)
 أَمْطِرْ عَلَى سَحَابِ جُودِكَ ثَرَةً وَأَنْظُرْ إِلَى بَرِيحَةٍ لَا أَغْرَقُ (٣)

(١) يقول : إذا كان الله سبحانه لم يخلق له مثلاً كان طلب مثله محالاً ، وعبارة العكبري : لا تطلب مثله ، فظني أنه لا يخلق الله مثل محمد ، وصدق إن أراد الاسم لا الصورة — لأن الله تعالى لم يخلق في الأول ولا في الآخر مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، ومثله لأبي الشيبان :

ما كان مثلك في الورى فيمن مضى أَحَدٌ وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ
 ولا بن الرومي :

فهل من سبيل إلى مثله أبا الله ذاك على من خلق

وللحصني :

لم يكن في خليقة الله نِدٌّ لك فيما مضى وليس يكونُ
 (٢) وعنده : أي وفي اعتقاده أي إذا أخذت هبته فقد تصدقت عليه وأعطيته ، فهو متقلد المنة بذلك وموجب لى الشكر ؛ والأصل في هذا قول زهير :
 تراه — إذا ماجئته — متهللاً كأنك تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَأَلْتَهُ
 فقوله : أنتصدق ، أي أعطيه الصدقة وأهبها له : وقد جاء تصدق . بمعنى سأل ، وأنشدوا :

ولو أنهم رزقوا على أقدارهم للقيت أكثر من ترى يتصدق

(٣) ثرة : غزيرة كثيرة الماء . يقول : اجعل سحاب جودك ماطرأ على مطراً غزيراً ثم ارحمني بأن تحفظني من الفرق كيلا أغرق في كثرة مطرك وهذا ينظر إلى قول ابن أبي السمط في وصف سحابة :

حتى ظلت أقول في إلحاحها بالوبل : هل أنا سالم لا أغرقُ

هذا : وقد قال ابن الشجري في أماليه تليقاً على قوله لا أغرق : تقديره فإن تنظر إلى لا أغرق ، ويحتمل رفعه وجبين : أحدهما أراد لئلا أغرق ، لحذف لام العلة ثم حذف أن ، فارتفع ، كقوله :

أوجدُ ميتاً قبيلَ أفقدها

كما جاء في قول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى^(١) *

أراد أن أحضر ، حذفها ؛ بذلك طى حذفها قوله : وأن أشهد اللذات . والثاني : أن يكون بالفاء مقدره ، وإذا كانت في الجواب مقدره ارتفع الفعل بتقديرها ، كما يرتفع بإيبتها ، وإذا كانوا يحذفونها من جواب الشرط الصريح فيرفعون حذفها من جواب الأمر أسهل كقوله :

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا^(٢)

وأما قوله تعالى « لا يضركم » في قراءة الكوفيين وابن عامر ، ففيه ثلاثة أقوال : أحدها بتقدير الفاء ، والثاني على التقديم والتأخير ، كأنه قال : « لا يضركم كيدهم » « وإن تصبروا وتيقوا » وبهذا التقدير ارتفع قول الشاعر — وهو بيت الكتاب — :

* إنك إن يُصرَع أخوك تُصرَع^(٣) *

والثالث : أن يكون الضم للاتباع .

(١) من معلقة طرفة ، وقد تقدم شرحه في غير موضع من هذا الشرح

(٢) لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وقوله :

إِن بَسَلْ المرء من قتل ومن هريم

فإنما هذه الدنيا وزينتها

من يفعل الحسنات الله يشكرها

والشر بالشر عند الله سِيَانِ

(٣) من رجز لمرو بن خنارم البجلي وهو :

يا أقرعُ بن حابس يا أقرعُ

إني أخوك فانظرن ما تصنعُ

إني أنا الداعي نزاراً فاسمعوا

به يضرُ قادرٌ وينفعُ

عزُّ الدُّ شامخٌ لا يُقمَعُ

هل هو إلا ذنبٌ وأكرعُ

وزمَعُ مؤنَّسٌ مجَمَعُ

وحَسْبُ غلٌّ وأنفٌ أجَدعُ

كَذَّبَ ابْنُ فَاعِلَةَ يَقُولُ بِجَهْلِهِ مَاتَ الْكِرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرْزَقُ (١)

وقال في صباه ارتجالا :

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِي أَيَّ عَظِيمٍ أَتَقِي (٢)
وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقْ (٣)
مُحْتَقَرٌ فِي هِمَّتِي كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي (٤)

(١) كذب ابن فاعلة : أى كذب ابن زانية . كفى بالفاعلة عن الزانية يقول : كذب من قال إن الكرام قد ماتوا مادمت في الأحياء مرزوقا ؛ ويرى ترزق — بفتح التاء — أى ترزق الناس . أى تعطيم أرزاقهم ، والأولى أجود .
(٢) أى : استفهام معناه الإنكار . يقول : لم يبق محل ولا درجة في العلو إلا وقد بلغها ، وليس يخاف عظيما .

(٣ و ٤) المرفق : وسط الرأس حيث يفترق الشعر وقوله وما لم يخلق : قال الواحدى : ليس معناه ما لا يجوز أن يكون مخلوقا كذات الباري عز وجل وصفاته ، لأنه لو أراد هذا للزمه الكفر بهذا القول ، وإنما أراد : وما لم يخلقه مما سيخلقه بعد ، وإن كان قد لزمه الكفر باحتقاره خلق الله ، وفيهم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون .

وأقرع بن حابس صحابي ، وكانت هذه المنافرة في الجاهلية قبل إسلامه ؛ والصرع الهلاك ؛ وزار : هو أبو القبيلة . والباذخ : العالى . ويفرع : يعلو . والألد : الأشد ، والشامخ : للارتفاع . ويقمع : يقهر ويذل وقوله هل هو : الضمير لرجل اسمه خالد ابن أرطاة . والأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق ، استعاره لأسفل الناس كالذئب . والزمع : رذال الناس . والمؤتشب : أى غير الصريح في نسبه . والوغل : النذل من الرجال . والأجدع : المقطوع الأنف .

(٦ — التلبي ٣)

وقال يمدح الحسين بن إسحق التنوخي :

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَزَائِنُ وَيَا قَلْبٍ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ^(١)
وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بِنَا وَوَقُفْنَا فَرِيقِي هَوَى مِمَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ^(٢)
وَقَدْ صَارَتْ الْأَجْفَانُ قَرَحَى مِنْ الْبُكَاءِ
وَصَارَ بَهَاراً فِي الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ^(٣)

(١) هو : كناية عن البين ، والنحويون يسمون ما كان مثل هذا : الإضمار على شرطية التفسير ، كقوله تعالى « قل هو الله أحد » يؤجى : ابتدائية . وتأني - بحذف إحدى التاءين - أي تتمهل وتترفق ، والحزائيق : الجماعات ، جمع حزيقة . يقول : هو البين يفرق كل شيء حتى لا تتمهل الجماعات ولا تلبث أن تتفرق إذا جرى فيها حكم البين ؛ ثم خاطب قلبه فقال : وأنت أيضاً - على مالك من علائق القرب - ممن أفارقه ؛ يعني أن الأعبة إذا فارقتني ذهب القلب معهم ففارقتني وفارقته . ومثله للعباس ابن أحنف .

تَفَرَّقَ قَلْبِي مِنْ مُقِيمٍ وَظَاعِنٍ فَلَهُ دَرَى أَيَّ قَلْبٍ أُشَيِّعُ
وَلَاخِر :

كَانَ أَرْوَاحَنَا لَمْ تَرْتَحِلْ مَعَنَا أَوْ سِرْنَا فِي أَمْرِ الْحَيِّ الَّذِي سَارَا
(٢) البث : الحزن . وفريق هوى : نصب على الحال من الضمير في وقوفنا .
يقول : وقفنا للوداع ومما زادنا حزنا أنا وقفنا فريقين يجمعهما الهوى ، منا مشوق - وهو العاشق يشوقه الحبيب بعد فراقه - وشائِق - وهو الممشوق يشوق عاشقه - وجعل هذه الحالة تزيدنا حزنا ؛ لأن فراق الأعبة أشق على القلب من فراق الجيران والمعارف ومن لف لفهم ممن لا علاقة بينك وبينهم .

(٣) قرحى : كجرحى ومرضى ، جمع قرح : أي جرح ، فهو بدون تنوين ؛ وقال ابن جنى : قلت له - ليلتني - عند القراءة عليه قرحى : أتريده بالتنوين ؟ فقال : نعم ، جمع قرحة ، وهي اسم لا وصف ، والبهار : زهراً غراً ، والشقائق جمع شقيقة ، زهر أحمر يقال له شقائق النمان . يقول : صارت الجفون قرحى من كثرة البكاء ، وحمرة الحدود صفرة لأجل البين ، كما قال عبد الصمد بن العذل :

عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ^(١) وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالَ وَوَامِقٌ^(٢)
تَفَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا وَشَبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْفُرَاتِيقُ^(٣)
سَلِ الْبَيْدَ : أَيْنَ الْجَنُّ مِنَّا بِمَجُوزِهَا وَعَنْ ذِي الْمَهَارِيِّ : أَيْنَ مِنْهَا التَّفَاتِيقُ^(٤)

بَاكَرْتُهُ الْهَمِّي وَرَاحَتْ عَلَيْهِ فَكَسْتُهُ حُمَى الرُّوَّاحِ بِهَارَا
لَمْ تَشْنُهُ لَمَّا أَحْتَّ وَلَكِنْ بِدَلَّتُهُ بِالْأَحْرَارِ اصْفَرَّارَا
وقال أبو تمام :

لَمْ تَشْنُ وَجْهَهُ الْمَلِيحَ وَلَكِنْ حَوَّلْتُ وَرَدَ وَجْنَتِيهِ بِهَارَا
وقال أيضاً :

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ احْتِرَاقٌ يُعِيدُ بِنَفْسِنَجَا وَرَدَّ الْخُدُودِ

(١) اجتماع : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لهم اجتماع ؛ والجملة : حال . وقوله وميت : أى ومنهم ميت يذكر أحوال الناس واختلاف الدهر بهم ، يقون : على هذا مضى الناس قبلنا ، لهم اجتماع مرة وفرقة مرة ، ومنهم ميت يموت ومولود يولد ، ومنهم قال - مبنض - ووامق - محب - كما قال الأعشى :

شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثِرْوَةٌ فَللهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا
وقال الآخر :

وَمَا النَّاسُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رَزِيَّةٌ مَالٍ أَوْ فِرَاقٌ حَبِيبِ

هذا : وقد عاب أبا الطيب بعض المتحدلقين ، فقال كأن يبنى أن يقول : على ذا عهدنا الناس : راض وساخط ، وميت ومولود ؛ أو يقول : اجتماع وفرقة ، وموت وولادة ، وقلى ومقة .

(٢) الفرائق الشباب الناعم الجميل ، وجمعه غرائق - بفتح العين - ويقال الفرائيق ، وهو فى الأصل طائر مائى يشبه السكركى . يقول : تمر الليالى وتجىء وهى على حالها وبمرها تغير حالى وشيبتى وهى لا تشيب . يعنى أن الزمان يبلى ولا يبلى .

(٣) جوز كل شىء : وسطه : والمهاري : جمع مهريه ، وهى الإبل النسوبة إلى قبيلة من اليمن يقال لها مهرة بن حيدان . ويجوز فى المهاري فتح الرء وكسرهما : - كصحارى وصحارى - بتشديد الياء وتخفيفها - قال رؤبة :

وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ كَأَنَّا جَلَّتْ لَنَا
مُحْيَاكَ فِيهِ - فَاهْتَدَيْنَا السَّمَالَقَ^(١)

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلِّ مِيلَةٍ بِنَا حَرَا جِيجُ الْمَهَارِي النَّفْهَةِ^(١)
والنفاق : جمع نفاق ، وهو ذكر النعام . يقول - لصاحبه - : سل البيد تخبرك
أين تقع الجن منا بهذه المغازة : أى أننا كنا أسرع فيها من الجن - وعن إبلا أين تقع
منا الظلمان فى السرعة : أى أن إبلا كانت أسرع من النعام .
(١) وليل : أى ورب ليل ؛ وليل : فى . وضع رفع مبتدأ ؛ خبره : جملة كَأَنَّا جَلَّتْ .
ودجوجى : مظلم ؛ وجلت : كشفت وأظهرت . ولنا : متعلق بجلت ؛ والهيأ : الوجه .
والسالمق : فاعل جلت ، جمع سملق ، وهى الأرض البعيدة الطويلة ؛ والضمير من فيه :
ليل ، وهى متعلقة باهتدينا . يقول : رب ليل مظلم كأن السالمق الذى كنا نقطعها أظهرت
لنا وجهك فاهتدينا للطريق بنوره ، وهذا من قول مزاحم العقيلي :

وَجُجُوهُ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ اغْتَشَوْا بِهَا
صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي

(١) قبله :

وَمَخْفِقٍ مِنْ لَيْلِهِ وَلَيْلِهِ
أَعْمَى الْمُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعَمَةِ
بِنَا حَرَا جِيجُ الْمَهَارِي النَّفْهَةِ
بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلِّ مِيلَةٍ
يَجْذِبْنَهُ بِالْبُوعِ وَالتَّأَوُّهِ

المخفق : الموضوع الذى يخفق فيه السحاب ، والليله : المكان المستوى الذى ليس به
علم ؛ وغول كل ميله : أى بعد يريد مكانا بعيدا يقتال الذى فلا يستبين فيه ، ولا يكاد
يقطع من بعده ، ويعبر ناهه : كالمدى ، والجمع نفه ويجذبته : يريد يجذبنا أنفسنا فيه ،
والتأوه مثل قول المثقب العبدى :

إِذَا مَا قَتَّ أَرْحَلَهَا بِلَيْلٍ تَأَوُّهُ آهَةً الرَّجُلِ الْحَزِينِ

فَا زَالَ لَوْلَا نُورٌ وَجْهَكَ جُنْحُهُ وَلَا جَابِهَا الرَّكْبَانُ لَوْلَا الْأَيَاتُ^(١)
وَهَزُّ أَطَارِ النَّوْمِ حَتَّى كَأَنَّي مِنَ الشُّكْرِ فِي الْفَرَزِينَ ثَوْبٌ شَبَارِقُ^(٢)

ويقول أشجع السلي :

مَلِكٌ يَنْوَرُ جَبِينَهُ تَسْرِي وَتَحْرُ اللَّيْلُ طَائِي
ولصريح الفوائى :

أَجِدْكَ هَلْ تَدْرِينِ أَنْ بَتُّ لَيْلَةً كَانَ دَجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
صَبْرَتْ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِفُرَّةٍ كَفُرَّةٍ يَحْمِي حِينَ يُذَكَّرُ جَعْفَرُ

(١) زال — من الزوال — أى ذهب ؛ وجنحه : فاعل ، وجنح الليل : إقباله بظلامه ينجح على النهار ، أى يميل عليه فيذهب ضوءه . وجابها : قطعها — أى السائق — والأياتى : النياق ، جمع ناقة . يقول : لولا نور وجهك لما زال الظلام ، ولولا النياق لما قطعنا السائق .

(٢) وهز : عطف على الأياتى ؛ والمراد بالسكر : النعاس ؛ والفروز : ركاب للابل من جلد محروز ، ويقال ثوب شبارق : خلق ممزق . ويقال شبرق شبرقة وشبراقا : مزقة قال امرؤ القيس :

فَأَدْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا كَأَشْبَرِقِ الْوَلْدَانِ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِيِّ^(١)
والهز : التحريك ، يعنى تحريك الإبل ركبائها فى سرعة سيرها ، وذلك يمنع النوم حتى يصير الإنسان من غلبة النوم مأثدا بين الفريزين كالثوب الخلق لكثرة تمايله . يقول : لولا هذا الهز الذى وصفه والذى سببه الإسراع لما قطعنا السائق إليه .

(١) المقدسى : الراهب يترى من صومعته إلى بيت المقدس فيمزق الصبيان ثيابه تبركا ، والنسا قال الأصمى : بوزن المصارعق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعروق حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمعت الدابة انقلقت نغذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان ، وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وحنى النسا ، ولا يقال عرق النسا .

شَدَوْا بِابْنِ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ذَفَارِيهَا كِبِيرَانَهَا ، وَالنَّمَارِقُ (١)
بِمَنْ تَنْشَمِرُ الْأَرْضُ خَوْقًا إِذَا مَشَى عَلَيْهَا وَتَرْتَجُّ الْجِبَالَ الشَّوَاهِقُ (٢)
فَتَى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُنْحَشَى وَيُرْتَجَى يَرْجَى الْحَيَا مِنْهَا وَنُحْشَى الصَّوَاعِقُ (٣)

(١) شدوا بابن إسحاق : أى غنوا بمدح ابن إسحاق ؛ وصاغت : أى ماست مأخوذ من مصاغة الألف . والذفارى : جمع الذفرى ، اللوضع الذى يعرق من البعير خلف الأذنين ؛ والكيران : جمع السكور ، وهو الرجل ؛ و النمارق : جمع نمرة ، وهى الوسادة تحت الراكب ؛ والمراد هنا : التى تكون قدام الرجل يجعل الراكب عليها ساقه للاستراحة إذا أخرجها من الفرز . يقول : غنوا بمدح ابن إسحاق فنشطت الإبل ورفعت رءوسها حتى صاغت أبقاؤها الرجال والوسائد التى عليها - وذلك لطيب مدحه وأن الإبل طربت مع حداتها لمدحه ،
وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

لَا تَضْرِبُ الرَّكْبُ الطَّلَاحُ نَحْوَهُ بَلْ بِاسْمِهِ يَزْجُرْنَ كُلَّ طَلِيحٍ
ويقول إسحاق بن خلف :

إِذَا مَا حُدِّثَ بِمَدْحِ الْأَمِيرِ سَبَقْنَ لِحَاظَةِ الْحَيْثِ الْعَجَلِ

(٢) بمن ؛ بدل من ابن إسحاق ، إلا أنه أعاد العامل ؛ والاقشعرار : أن ينتفش شعر الرجل على بدنه إذا أصابه خوف ؛ وترتج : تضطرب وتتحرك ؛ والشوايق : جمع شاقق ، وهو العالى . يقول : تهابه الأرض إذا مشى عليها ، وتتحرك الجبال خوفا منه .

(٣) الجون : جمع جون - بفتح الجيم - وهو الأسود ؛ والسحاب ؛ من الجموع التى بينها وبين مفرداتها الهاء ، ولذلك وصفها بالجون الذى هو جمع ؛ والحيا : المطر . يقول : إنه مرجو مهيب يرجى نفعه ويهاب ضره كالسحاب يرجى مطرها ونحشى صواعقها . وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

سَمَّاحًا وَبَأْسًا كَالصَّوَاعِقِ وَالْحَيَا

إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْعَارِضِ الْمُتَأَلَّقِ

وَلَكِنَّهَا تَمْتَضِي وَهَذَا مُخَمِّمٌ
تَحَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَّتْ
غَدَا الْهِنْدُ وَأَنْبِيَاتِ بِالْهَامِ وَالطُّلَى
تَشَقُّقٌ مِنْهُنَّ الْجُيُوبُ إِذَا غَزَا
وَتَكْذِبُ أَحْيَانًا وَذَا الدَّهْرُ صَادِقٌ (١)
مَعَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَالشَّارِقُ (٢)
فَهِنَّ مَدَارِيهَا وَهِنَّ الْخَانِقُ (٣)
وَتُخَضَّبُ مِنْهُنَّ اللَّحَى وَالْمَفَارِقُ (٤)

ويقول الآخر :

هَوَ عَارِضٌ زَجِلٌ فَمَنْ شَاءَ الْحَيَا
أَرْضَى وَمَنْ شَاءَ الصَّوَاعِقُ أَغْضَبَا
(١) شبهه بالسحاب ثم فضله عليها بأن السحاب تمتضى ، وهذا مقيم في كل وقت ،
والسحاب قد تكذب في الرعد والبرق — بأن لا يكون فيها مطر — والمدوح صادق
فيما يعد ويقول . وهذا من قول ابن الرومي :

فَضَلْتُ أَحَاكَ الْغَيْثَ بِالْعِلْمِ وَالْحِجْبِي
عَلَى أَنَّهُ يَمِضِي وَأَنْتَ مُخَمِّمٌ
وحاصصته في الجلود أي حصاص
سماؤك مِدْرَارٌ وَرَوْضُكَ وَاصٍ (١)
ومثله للبحري :

أَنْى يَكُونُ لَهُ احْتِفَالُكَ فِي النَّسْدَى
وَوُقُوعُهُ فِي الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ
(٢) يقول : زهد في الدنيا وانقطع عن أهلها لينسى إعراضاً عن الخلق فلم يزد
ذلك إلا جلالة قدر وبعد صيت ، إذ لم تحمل الدنيا من ذكره ، لأن صنائعه عامة ومعروفه
شامل . ولعله ينظر إلى قول البحري :

وَشُهْرَتُْ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا
فَكَأَنَّتِي فِي كُلِّ نَادٍ جَالِسٌ
(٣) الهندوانيات : السيوف الهندية ؛ أي التي عملت ببلاد الهند ؛ والهام : الروس ،
والطللى : الأعناق ؛ والدارى جمع مدري ، وهو ما يفرق به الشعر ؛ والخانق جمع
مخنقة ، وهى القلادة . يقول : غذى سيوفه بلحوم رؤوس الأعداء وأعناقهم فقد طالت
محبته للروس والأعناق كما تصاحبها الدارى والخانق ؛ يعنى إذا علت سيوفه الروس
صارت بمنزلة الدارى ، وإذا علت الأعناق صارت بمنزلة الخانق .

(٤) تشقق — بحذف إحدى التاءين — أى تتشقق ؛ وبروى تشقق — بضم التاء

(١) حصاص : يقال حاصه محاصة وحصاصا : قاصمه فأخذ كل واحد منهما حصته
وروض واصل متصل النبات .

يُجَنَّبُهَا مَنْ هَتَفَهُ عَنْهُ غَافِلٌ وَيَصَلِّي بِهَا مَنْ نَفَسَهُ مِنْهُ طَالِقٌ^(١)
يُحَاجِّي بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهُوَ سَاكِتٌ يُرَى سَاكِتًا وَالسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقٌ^(٢)
نَكَرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَمَعُّبِي وَلَا حَجَبَ مِنْ حُسْنِي مَا اللَّهُ خَالِقٌ^(٣)
كَأَنَّكَ فِي الإِغْطَاءِ لِلْمَالِ مُبْفِضٌ وَفِي كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَةِ عَاشِقٌ^(٤)

على البناء للمجهول - والجيوب : نائب فاعل ؛ وضير منهن للسيوف والجيوب : جمع جيب ، ما يفتح على النحر من أعلى الثوب ؛ والمفارق : جمع مفروق ، وسط الرأس . يقول : إذا غزا شققت الثالكات جيوبهن من جراء ما يفعله سيوفه من القتل ، وخضبت لحمى الفرسان ومفارقهم بما يسيله من الدماء .

(١) جنبته الشيء : إذا باعدته عنه ؛ وصلى بالأمر يصلى : إذا قاسى حره وشدته ؛ وأصله من صلى بالنار : إذا قاسى حرها . يقول : من غفل عنه حتفه - موته وهلاكه ولم ينقص أجله يبعد من سيوفه فلا يصير مقتولا بها ، وإنما الذى يقاسى بلاءها هو من نفسه طالق منه : أى مفارقتها : كالمرأة الطالق من زوجها تفارقه . إذ هى لا محالة قاتلته (٢) يحاجى به : أى يخالط - من الأحمية ، وهى الكلمة المخالفة للفظ المعنى ، كالشيء للفرز به يلقي على الإنسان ليستنبط معناه ، كما قال أبو ثروان : مادو ثلاث آذان ، يسبق الخيل بالرديان ؟ يعنى السهم وآذانه قذذه ، وأصل الكلمة من قولهم : حجاجا يحجو إذا أقام وثبت ، فقيل لها أحمية ، لأن الملقى عليه يحتاج إلى الثبوت والتفكير . يقول : إن الناس يحاجى بعضهم بعضاً بهذا المدوح يقولون : ماناطق وهو ساكت ، ثم فسر هذا المصراع الثانى فقال يرى ساكتاً - يعنى المدوح - لا يفتخروا ولا يذكر شجاعته والسيوف عن فيه ناطق بما يبدو من آثاره ، يعنى أن الناس إذا سأل بعضهم بعضاً عن هذه الصفة فالجواب : الحسين بن إسحاق .

(٣) نكرت الشيء وأنكرته : إذا لم تعرفه ، ولم يستعمل من نكر إلا هذا اللفظ لفظ - الماضى - ومنه قول الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذى نكرت - من الحوادث إلا الشيب والصلعاً
يقول : أنكرت أن يكون أحد مثلك فى فضلك ؛ واستغربتك لكثرة ما رأيت
فيك من المحاسن فأتى لا أراها فى غيرك حتى طال تعجبى ثم علمت أن الله قادر على أن
يخلق ما يريد ؛ وإذن لا عجب .

(٤) من قول البحتري .

أَلَا قَلَّمَا تَنبَقَى عَلَى مَا بَدَأَ لَهَا ، وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ الْقَنَا وَالسَّوَابِقُ^(١) ،
 سَيْحِي بِكَ الشَّمَارُ مَا لَاحَ كَوَكَبُ^(٢) وَيَمْحَدُو بِكَ الشَّفَارُ مَا ذَرَّ شَارِقُ^(٣) ،
 خَفِ اللَّهُ وَأَسْتَرْ ذَا الْجَمَالَ يَبْرِقُ^(٤) فَإِنْ لَحْتُ ذَابَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ^(٥) ،
 فَمَا تَرَزُقُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمُ^(٦) وَلَا تَحْرِمُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ^(٧) ،
 وَلَا تَفْتَقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقُ^(٨) وَلَا تَرْتَقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ^(٩) .

تَسْرِعُ حَتَّى قَالَ مَنْ لَبِيَ الْوَهْيَ لِقَاءَهُ أَعَادِ أُمَّ لِقَاءَهُ حَبَائِبَ

(١) الأداة : استفتاح ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ وبدا ظهر وعرض ، والقنا أى الرماح - فاعل تنبقى - والسوابق : الخيل . يقول : إن الرماح والخيل لا تنبقى على ما نزل بهامتك من كثرة استعمالها في الحروب والغارات .

(٢) السمار : جمع سامر ، الذين يسمرون ليلاً ؛ والسفار : جمع سفر وسافر وهم الذى يلازمون الأسفار . وذر : طلع ؛ والشارق : الكوكب . وقوله ملاح وماذر : لما مصدرية زمانية ؛ أى مدة ظهور الكواكب ، وهذا كناية عن الدوام والتأييد ؛ يعنى : أنت أبدأ يحيى السمار الليل بذكرك وحديثك ، ويغنى السافرون بمدائحك فيحidon الإبل بها .

(٣) العواتق : جمع عاتق ، الشابة من النساء ؛ والحدور : جمع خدر . يقول : استر جمالك يبرقع ترسله على وجهك ، فإنك إن ظهرت ذابت الشواب في خدورهن شوقاً إليك وهياماً بك ، ويروى حاضت ؛ وذلك أن المرأة إذا اشتدت شهوتها وأفرطت سال - زعموا - دم حيضها ؛ والمعنى : استر جمالك عنهن وإلا ذبن وهلكن عشقاً وهياماً .

(٤) و (٥) و (٥) الرتق : ضد الفتق . يقول : إن الأقدار والأيام لا تخالفه فيما يصنع من حرمان ورزق ورتق وفتق ، بل هى موافقة له مؤاتية ، كما قال أشجع :

فَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مِنْ حَطِّهِ وَلَا يَضَعُ النَّاسُ مَا يَرْفَعُ

وقال آخر :

كُنَّا مُلُوكًا وَكَانَ أَوْلُنَا لِلْحِلْمِ وَالْبَأْسِ وَالنَّدَى خُلُقُوا

لَا يَرْتَقُ الرَّاتِقُونَ مَا فَتَقُوا يَوْمًا وَلَا يَفْتَقُونَ مَا رَتَقُوا

والأصل في هذا كله قول العباس بن مرداس للنبي صلوات الله وسلامه عليه :

لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامٍ مِنْ غَيْرِكَ الْغَفَى وَغَيْرِي بِغَيْرِ اللَّاذِقِيَّةِ لِأَحْنٍ^(١)
 هِيَ الْفَرَضُ الْأَقْصَى وَرُوَيْتِكَ الْمَنَى وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ أَتْلُحْلَاقُ^(٢)

وعرض عليه بدر بن عمار الصحبة للشرب في غد فقال ارتجالاً :

وَجَدْتُ الْمُدَامَةَ غَلَابَةً نُهَيْجٌ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ^(٣)
 نَسِيَهُ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيبُهُ وَلَسِكِنْ تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ^(٤)
 وَأَنْفَسُ مَا لِلْفَتَى لُبُهُ وَذُو اللَّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ^(٥)
 وَقَدَّمْتُ أَمْسٍ بِهَا مَوْتَهُ وَلَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَهُ^(٦)

وما كنتُ دونَ امرئٍ منها ومن تضحج اليوم لا يُرْفَعُ

(١) لك الخير : دعاء للمدوح بأن يرزق الخير . فهو يقول : الخير لك لا لغيرك ؛
 ورام : قصد ؛ واللاذقية : بلد المدوح يقول : غيرى يطلب الغنى من غيرك أى أنا
 لا أطلبه إلا منك ، وغيرى يلحق بغير بلدك ؛ أى أنا لا أقصد إلا البلد الذى أنت فيه .
 (٢) يقول : إن بلدك — اللاذقية — هى المطلوب الأبعد : أى هى غاية ما يطلبه
 الإنسان ، فإذا بلغها لم يطلب بعدها شيئاً ، والدنيا كلها منزلك أى فى منزلك ؛ وأت
 جميع الناس .

(٣) الدمامة : الخمر ؛ وغلابة : تطلب العقل فلا يستطيع مقاومتها ؛ ثم قال وتحرك
 الشوق ، كما قال البحرى :

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِي الْمَمُومَ وَتُبْعَثُ الشُّوقَ الَّذِي قَدْ ضَلَّ فِي الْأَحْشَاءِ
 (٤) أراد بسوء الأدب : ما يكون من الشارب — من قول الحنا ، والعريدة
 والحركات المفرطة — وتحسين الأخلاق ما تحدثه فيه من الساحة والبذل ؛ وفى الخمر
 يقول القائل :

رَأَيْتُ أَقْلَ النَّاسِ عَقْلًا إِذَا انْتَشَى أَقْلَهُمْ عَقْلًا إِذَا كَانَ صَاحِبًا

تَزِيدُ حُمَيَّاهَا السَّفِيَةَ سَفَاهَةً وَتَتْرُكُ أَخْلَاقَ الْكَرِيمِ كَمَا هِيَ

(٥) يقول : أعزوا أئمن ما للسان : عقله ، والعائل يكره ضياع عقله .
 (٦) جعل غلبة السكر على عقله كاللوت ، ثم قال : ومن مات مرة لا يشتهي العود

وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار :

وَذَاتِ غَدَائِرٍ لَا عَيْبَ فِيهَا سِوَى أَنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْعِنَاقِ (١)
أَمَرْتُ بِأَنْ تُشَالَ فَفَارَقْتَنَا وَمَا أَلِمْتُ لِخَادِنَةِ الْفِرَاقِ (٢)
إِذَا هَجَرْتَ فَعَنْ غَيْرِ أُخْتِيَارٍ وَإِنْ زَارَتْ فَعَنْ غَيْرِ أُشْتِيَاقِ

وعرض عليه محمد بن طنج الشرب فامتنع فأقسم عليه بحقه فشرب وقال :

سَقَانِي أَنْظِرَ قَوْلُكَ لِي بِحَقِّي وَوَدُّ لَمْ تَشْبُهُ لِي بِمَذْقِ (٣)
يَمِينًا لَوْ حَلَفْتَ وَأَنْتَ نَاهٍ عَلَى قَتْلِي بِهَا لَصَرَبْتُ عَنْقِي (٤)

إليه ، وقد تجنى ابن وكيع - شغشته مع النبي - فزعم أن هذا مأخوذ من قول بعضهم في معنى السكر :

بِئْسَى وَيَعْذِرُهُ حُسْنُهُ لَدَى عَاشِقِيهِ بِغَيْرِ اعْتِزَارِ
مَحَاسِنُ تُغْفَرُ ذَنْبَ الصَّدُودِ كَمَا غَفَرَ السُّكْرُ ذَنْبَ الْخُمَارِ

وأي هذين من بيت النبي ؟ على أن قوله كما غفر السكر ذنب الخمار : غير صحيح .

(١) الغدائر ؛ جمع غديرة ، الدؤابة من الشعر . يقول : هذه لعبة ذات شعر ولكنها

لا تصلح للعناق لأنها غير آدمية . هذا : وقوله أن ليس : قال العكبري « أن » هي

مخفة من الثقيلة ؛ والتقدير أنها ؛ ولا يدخل عليها الفعل إلا بفواصل يفصل بينها : نحو

سوف والسين ولا نحو أن سيقوم ، وإنما دخلت على ليس لضعفها عن الفعلية ، فإنها فعل

لا تصرف فيه ، ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ما سئ »

(٢) تشال : ترفع .

(٣) المذق . المزج ؛ وشابه : خلطه . يقول : إنما شربت الخمر لأنك أقسمت

بحياتك فشربتها ، ولأني أحبك حبا خالصا غير مشوب .

(٤) يقول : سقانيها إقسامك على بذلك قسا لو أقسمته يزيد به قتل لفعلت ذلك .

وكان لأبي الطيب حِجْرَةٌ (*) تسمى الجهمامة ، ولها مهر يسمى الطخورور ، فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية وتعذر المرعى على المهر ، فقال :

مَا لِلْمَرْوَجِ أَنْخَضِرَ وَالْحَدَائِقِ يَشْكُو خَلَاهَا كَثْرَةَ الْعَوَائِقِ (١)
 أَقَامَ فِيهَا التَّلْجُ كَالْمُرَافِقِ يَمَقْدُفُوقَ السَّنِّ رِيْقَ الْبَاصِقِ (٢)
 ثُمَّ مَضَى لِأَعَادَ مِنْ مُفَارِقِ بِقَائِدٍ مِنْ ذَوْبِهِ وَسَائِقِ (٣)
 كَأَنَّهَا الطُّخْرُورُ بَاغِي آبِقِ يَا كَلُّ مِنْ نَيْتِ قَصِيرٍ لِاصِقِ (٤)
 كَقَشْرِكَ الْحَبْرِ عَنِ الْمَهَارِقِ أَرُوْدُهُ مِنْهُ بِكَالشُّوْذَائِقِ (٥)

* أى فرس أنثى ، والذي فى كتب اللغة أنها الحجر ، قالوا : والحجر الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الماء لأنه اسم لا يشركها فيه الذكر ، والجمع أحجار وحجورة وحجور ، قالوا : وأحجار الخيل ما يتخذ منها للنسل ، وسميت كذلك لأنهم جعلوها كالحمرمة الرحم إلا طى حصان كريم .

(١) المروج : جمع مرج ، الموضع تخرج فيه الدواب : أى ترسل لترعى والحدائق جمع حديقة ، وهى البستان المسور ؛ وتطلق على كل روضة ذات شجر والحلا : الكلاء الرطب ؛ والعوائق : جمع عائق ، ما يعوق عن النفاذ فى الشيء . يقول : نبتنا يشكو كثرة الموانع من الطلوع . وأراد بالعوائق : البرد والثلج التى تمنع من الظهور .

(٢) يقول . أقام الثلج فى هذه المروج كالمرافق لها فلا يفارقها ، ومن شدته أن الرجل إذا جبق حمد ريقه فوق أسنانه ، وهذا من قول عبد الصمد بن العذل :

ونسج الثلج على الطيور وأجد الريق على الثغور

(٣) ثم مضى : أى الثلج بإذابة الحر إياه ، وجعل أوائل ما ذاب من الثلج قائداً له وأواخره سائقا ؛ يعنى أن الثلج قد انحسر بذوبه ، فكان الدوب قاده وساقه حتى ذهب ويروى من دونه : أى من قدامه ، وذلك أن قائم الشيء يكون أمامه ، وسائقه يكون خلفه .

(٤) الطخورور : اسم المهر ؛ وهو فى اللغة القطع القليلة من السحاب ، جمعها طخارير . وباغى : طالب ؛ والآبق : المارب ؛ ولاصق : أى بالأرض لا يرتفع عنها . يقول : إنه - لإعواز المرعى - كان يلتمس العشب من ههنا وههنا فلا يشبت فى مكان واحد كأنه يطلب آبقاً لترده فى طلب المرعى .

(٥) المهارق : جمع المهرق ، وهو الصحيفة يكتب فيها ؛ معرب ؛ وذلك أنهم كانوا

بِمُطْلَقِ الْيَمْنَى طَوِيلِ الْفَائِقِ عِبِلِ الشَّوَى مُقَارِبِ الْمَرَّافِقِ (١)
 رَحْبِ اللَّبَانِ نَائِهِ الطَّرَائِقِ ذِي مَنْخَرِ رَحْبٍ وَإِطْلٍ لِاحِقِ (٢)
 مَحْجَلِ نَهْدٍ كَمَيْتِ زَاهِقِ شَادِخَةِ غُرْتُهُ كَالشَّارِقِ (٣)
 * كَأَنَّهَا مِنْ لَوْنِهِ فِي بَارِقِ (٤) *

يأخذون الحرق ويطلونها بشيء ثم يصفونها ويكتبون عليها ، شبه رعى مهره النبات اللاصق بالأرض بقر الكاتب الخبر عن الصحيفة ، وأروده : أى أطلبه ؛ والضمير : للنبت ؛ وضمير منه : للنهر ؛ والظرف : حال مقدمة من الشوذانق . وقوله بكالشوذانق الباء متعلقة بأروده ، والكاف : اسم بمنزلة مثل : أى بهر مثل الشوذانق ، والشوذانق الشاهين — الصقر -- معرب مه دانك : أى نصف درهم ؛ يراد أنه ك نصف البازي يقول : أطلب الكلا والنبات من هذا المهر بمهر كالشوذانق لحفته ، يريد مهره على سبيل التجريد .

(١) بمطلق اليمنى : بدل من بكالشوذانق ؛ والمراد بكونه مطلق اليمنى : أنه لا تحجيل فيها ، بناء على تشبيه التحجيل في القوائم الثلاث بالقييد . والفائق : مغرز الرأس في العنق ، وإذا طال الفائق طال العنق فهو محمود ؛ وعبل الشوى : ضمخ الأطراف ، والمرافق : جمع مرفق ، موصل الذراع في العضد ؛ وإذا تدانت مرافقه كان أمدح له .

(٢) رحب اللبان : واسع الصدر ؛ ويستحب من الفرس أن يكون جلد صدره واسعا يحمى ويذهب ليكون خطوه أبعده ، فإنه إنما يقدر على توسيع الخطو بسعة جلد صدره . وقوله نائه الطرائق : فالطرائق طرائق اللحم ؛ ونائه من ناه الشيء ينويه : إذا علا ونهت به ونوهته : إذا أشدت به ؛ والمعنى أن طرائق اللحم على كفله ومته عالية . وقال ابن جنى : الطرائق الأخلاق : أى مرتفع الأخلاق شريفها لعتقه وكرمه . وقال ابن جنى : الرواية نابه ، يقال امرؤ نابه إذا كان عظيما جليلا . وقوله ذى منخر رحب : فإنه يستحب سعة المنخر ، لئلا يخبس نفسه والإطل : الحاصرة ولحوقها : ضمورها .

(٣) التحجيل : بياض القوائم . والنهد : الجسم العالى المشرف . والكسيت : الأحمر إلى السواد ؛ والزاهق : الذى بين السمين والمهزول ؛ والفررة : البياض فى وجه الفرس ، والفررة : الشادخة التى تملأ الوجه ، وتمتد سفلا ، والشارق : الشمس عند شروقها . شبه بياض وجهه بالشمس لانتشار أشعتها فى نواحي الأفق .

(٤) البارق : السحاب ذو البرق . شبه لونه بالسحاب الذى انتشر عليه ضوء البرق لما فيه من الحمرة المشوبة بالسواد .

بَاقٍ عَلَى الْبُوعَاءِ وَالشَّقَاتِقِ ^(١) وَالْأَبْرَدَيْنِ وَالْمُهْجِرِ الْمَاحِقِ ^(٢)
 لِلْفَارِسِ الرَّأِضِ مِنْهُ أَوَاتِقِ خَوْفُ الْجَبَانِ فِي فُؤَادِ الْعَاشِقِ ^(٣)
 كَأَنَّهُ فِي رَيْدٍ طَوْدٍ شَاهِقِ ^(٤) بِشَأَى إِلَى الْمِسْمَعِ صَوْتِ النَّاطِقِ ^(٥)
 لَوْ سَابَقَ الشَّمْسَ مِنَ الْمَشَارِقِ جَاءَ إِلَى الْغَرْبِ نَجِيءَ السَّابِقِ
 يَتْرُكُ فِي حِجَارَةِ الْأَبَارِقِ آثَارَ قَلْعِ الْخَلِي فِي الْمَنَاطِقِ ^(٦)
 * مَشِيًّا وَإِنْ يَعْدُ فَكَأَنَّهَا دِقِ ^(٧) *
 لَوْ أُورِدَتْ غِبَّ سَحَابٍ صَادِقِ لِأَحْسَبَتْ خَوَامِسَ الْأَيَاتِقِ ^(٨)

(١ و ٢) باق : أى ثابت ، خبر عن محذوف يعود إلى المهر ؛ والكلام مستأنف والبوبعاء التربة الرخوة . والشقاقات جمع الشقيقة ، وهى أرض يكون فيها رمل وحصى والأبردان : الغداة والعشى . والمهجير : شدة الحر وقت المهاجرة - نصف النهار - والمالحق الذى يمحق كل شيء بحرارته يقول : إن مهره ثابت على السير فى السهل والحزن والحر والبرد : أى صبور على الشدة ،

(٣) للفارس : خبر مقدم ؛ وخوف : مبتدأ مؤخر . وركض الفرس : ضربه برجله ليعدو ؛ ومنه : صلة الخوف . يقول : لنشاطه وشدة قوته إذا عدا بالفارس الواثق بفروسيته أخذته منه خوف شديد كأنه خوف الجبان إذا حل فى فؤاد ضعيف كفؤاد العاشق .

(٤) فى ريد : أى على ريد ؛ والريد : الحرف الشاخص من الجبل ؛ والطود : الجبل والشاهق : العالى . يقول : لعظم هذا المهر كأن فارسه منه على جبل عال .

(٥) بشأى : يسبق . يقول : لسرعته وحدته فى جريانه يسبق إلى الأذن صوت الصارخ فيصل إليها قبل وصول الصوت ؛ يعنى أنه يسبق مسير الصوت .

(٦) الأبارق : جمع الأبرق ، وهو آكام فيها حجارة وطين . وآثار : مفعول يترك والناطق : جمع منطقة ، ما يشد بها الوسط . يقول : لشدة عدوه وقوة وطئه إذا وطئ الأبرق بمخوافه ترك فيه آثاراً كأن آثار الخلى إذا قلع من الناطق .

(٧) مشياً : حال على تأويله بالوصف . يقول : إن هذا التأثير الذى ذكره إنما يكون إذا مشى فإن عدا - جرى - ترك آثاراً كالحنادق .

(٨) الضمير فى أوردت : للآثار المشبهة بالحنادق وغب سحاب : أى بعده . وأحسبت :

إِذَا اللَّجَامُ جَاءَهُ لِيَطَّارِقَ شَحَا لَهُ شَحْوَ الْغُرَابِ النَّاقِ (١)
كَأَنَّ الْجَدُّ لِعُرْمِي النَّاهِقِ مُنْحَدِرٌ عَنْ سَيْتِي جُلَاهِقِ (٢)

كفت ، ومنه : حسبنا الله ؛ أى كفانا . والحوامس : الإبل التى ترد الخمس — بكسر
الحاء — وهو أن ترى ثلاثة أيام وترد فى اليوم الرابع ؛ والأيانق : جمع أيتق ، جمع
ناقة . يقول : لو أوردت هذه الآثار التى هى كالحنادق بعد إقلاع سحب صادق المطر
لكان فيها من الماء ما يكتفى نياقا عطاشا ترد الخمس : يعنى إذا أقلع السحاب وامتلأت
آثار حوافره كفت الإبل العطاش . يريد المبالغة فى وصف عظم آثاره فى الأرض
إذا عدا .

(١) كححا : فتح فاه . والناغق — بالعين والعين — الصائم . يقول : إذا ألجم
لحدث طرق ليلا فتح فاه كما يفتح الغراب فاه للنعيق ، يريد أنه — مع شدته وعنفه —
لا يمنع من اللجام ؛ ولعله يريد أيضاً أنه واسع الفم .

(٢) الناهق : عظم نأق* فى مجرى الدمع من الفرس ، وهما ناهقان ، ويستحب
عريهما من اللحم ؛ قال أهل اللغة : الناهقان عظام شاخصان يندران — يبرزان — من
ذى الحافر فى مجرى الدمع يخرج منهما الناهق — أى الصوت — ويقال لهما أيضاً النواهق .
قال النابغة الجعدي يصف فرسا :

بِعَارِي النَّوَاهِقِ صَلَّتِ الْحَبِيبِينَ يَسْتَنُّ كَالْتَيْسِ ذِي الْحَلْبِ (١)
وفى التهذيب : النواهق من الحيل والجر حيث يخرج الناهق من حلقه ؛ وأنشد
للنمر بن تولب :

فَأرسل سهماً له أهزعا فشكَّ نواهقه والنهأ (٢)

(١) الحلب : نبات ينبت فى الميظ بالقيعان وشطآن الأودية ويلقى بالأرض حتى
يكاد يسوخ ، ولا تأكله الإبل ، وإنما تأكله الشاء والظباء ، وهى مغزرة مسمنة وتختبل
عليها الظباء ، قال الأصمى : أسرع الظباء تيس الحلب أو ذو الحلب لأنه قد رعى
هذا النبات .

(٢) الأهزع : قيل هو خير سهام ، وأفضلها ، تدخره لشديدة ، وقيل هو آخر
ما يبق من السهام فى الكنانة : جيداً كان أوردنا .

بَزَّ الْمَذَاكِي وَهُوَ فِي الْمَعَاتِقِ وَزَادَ فِي السَّاقِ عَلَى النَّقَاتِقِ ^(١)
وَزَادَ فِي الْوَتْعِ عَلَى الصَّوَاعِقِ وَزَادَ فِي الْأُذُنِ عَلَى الْخِرَاتِقِ ^(٢)
وَزَادَ فِي الْحِذْرِ عَلَى الْمَعَاتِقِ يُمَيِّزُ الْهَزْلَ مِنَ الْحَقَاتِقِ ^(٣)
وَيُنْذِرُ الرَّكْبَ بِكُلِّ سَارِقٍ يُرِيكَ خُرْقًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ ^(٤)

وسيتا القوس : جانباه . والجلاهو : البندق الذي يرمى به . يقول : إن هذين العظمين منه عاريان من اللحم باديان تحت الجلد كأن جلدها مشدود على سيقى قوس البندق .

(١) بز : غلب وفاق ؛ والمذاكي : جمع مذك : الفرس أتى عليه بعد قروحه سنة . قال أهل اللغة : للمذاكي الحيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ؛ والذكاء السن . قال الحجاج : فررت عن ذكاء ، وبلغت الدابة الذكاء : أي السن ، قالوا والمذكي أيضاً من الحيل الذي يذهب حضره - جريه - وينقطع ؛ وفي المثل : جرى المذكيات غلاب : أي جرى المسان القرح من الحيل أن تغالب الجري غلاباً ؛ قالوا : وتأويل تمام السن النهاية في الشباب ، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له الذكاء . والمعاتيق : جمع عقيقة ، وهي الشعر الذي يولد المولود وهو عليه ؛ والنقائيق : جمع نقيق ، وهو ذكر النعام . يقول : إنه سبق الحيل السنة وهو بعد فلو - أي مهر - صغير لا يزال شعر الولادة عليه ، وزاد على النعام في طول الساق وصلابته ، وذلك محمود في الحيل كما قال امرؤ القيس :

* لَهُ أَيُّطَلَا ظَبِّي وَسَاقًا نَعَامَةً *

(٢) الخرائق : جمع الخرنق ، وهو ولد الأرنب . يقول : إن صوت وقع حوافره أشد من صوت الصواعق . قال الواحدي : ويجوز أن يريد أن نار وطاء حوافره تزيد على صواعق السحاب ، ثم قال المتنبي : وإن أذنه تزيد في الدقة والانتصاب على آذان الأرانب .

(٣) المعاتيق : جمع ععقيق ، ضرب من الغربان يضرب به المثل في الحذر فيقال : أحذر من ععقيق . وقوله يميز الهزل من الحقائق : يريد أنه إذا أحضره صاحبه - أي ركضه - فطن إلى غرضه وعرف هل يريد صاحبه اللعب أو الجد ؟ وبعبارة أخرى : هل يريد الميدان أو الغارة ؟ فلعب أو جد حسب مراد صاحبه .

(٤) الخرق في الأعمال : خلاف الرفق أو هو الحمق ؛ والحاذق : الماهر . يقول

يَحْكُ أَنْى شَاءَ حَاكَّ الْبَاشِقِ قُوبِلَ مِنْ آفَقَةٍ وَأَفِقِ (١)
 بَيْنَ عِتَاقِ لَطِينِ وَالْمَعَاتِقِ فَمُنَّقَهُ يُرْبِي عَلَى الْبِوَاسِقِ (٢)
 وَحَلَقَهُ يُمَكِّنُ فِترَ الْخَانِقِ أَعِدُّهُ لِلطَّعْنِ فِي الْفِيَالِقِ (٣)
 وَالضَّرْبِ فِي الْأَوْجِهِ وَالْمَفَارِقِ وَالسَّيْرِ فِي ظِلِّ اللُّوَاءِ اتَّخَافِقِ (٤)

إنه لذكائه وحذقه إذا أحس سارقا بليل سهل ليعلم مكانه ، وكذلك خيل الأعراب ،
 أى لشدة جريه وتناهيه فى العدو - الجرى - تظن به خرقا وهو مع ذلك حاذق ،
 وحذقه أنه لا يخرج ما عنده من الجرى مرة واحدة ، وإنما يعرف ما يراد منه فيستبقي
 جريه ، كما قال القائل :

وللقارحُ اليبغوبُ خيرُ علالةٍ من الجذعِ المرخى وأبعدُ منزها
 وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

ذو أولقٍ عند الجراء وإنما من صحة إفراط ذلك الأولقِ
 [الأولق : الحفة من النشاط كالجنون]

(١) أنى : كيف . يصفه بلين المعاطف وأنه يحك بدنه كيف شاء وأين
 شاء كالباشق - طائر من أصغر الجوارح - الذى ينتهى رأسه ومناقره إلى أى موضع
 أراد من جسده ، ثم قال : إن العتق - الكرم - يكتنفه من قبل أبيه وأمه ؛ فكرم الأم
 يقابل فيه كرم الأب . فالآفق من الحيل : الكرم الطرفين ، وهى آفقه ، ومن آفقه :
 حال ، أى مولودا من آفقه و آفق : أى إنه كريم الام والأب وكل من أمه وأبيه كذلك
 (٢) البيت تمة لما فى المصراع الأخير من البيت السابق ؛ والعتاق من الحيل :
 الكرام ؛ والإناث عتائق ؛ والبواسق : جمع باسقة : النخلة العالية . يقول : إن أبويه
 آفقان بين كرام الحيل وكرأئهما : أى إنه وسيط فى العتق ، ثم قال : وعنقه يزيد على النخل
 الطوال طولا والحيل توصف بطول الأعناق ، كما قال القائل :

* وهاديها كأن جذع سحوق *

(٣) يقول : إن أعلى حلقة دقيق حتى لو أراد الخائق أن يطوفه بفتره - ما بين
 الإبهام والسبابة - لاستطاع وأمكنه ذلك ، والفيالق : الكتاب من الجيش .

(٤) والضرب : عطف على الطعن والمفارق : أوساط الرءوس حيث يفرق الشعر
 واللواء : الراية ؛ وخفقه : اضطرابه فى الهواء .

يَحْمِلُنِي وَالنَّصْلُ ذُو السَّقَاسِقِ يَنْظُرُ فِي كَمِي عَلَى الْبَنَائِقِ ^(١)
 لَا أَلْخُظُ الدُّنْيَا بِعَيْنِي وَأَمِقِ ، وَلَا أَبَالِي قِصَاةَ الْمُرَافِقِ ^(٢)
 أَي كَبِتَ كُلَّ حَاسِدٍ مُنَافِقٍ أَنْتَ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْخَالِقِ ^(٣)

وقال يهجو إسحاق بن كَيْفَلِغ وقد بلغه أن غلامه قتلوه :

قَالُوا لَنَا : مَاتَ إِسْحَاقُ فَقُلْتُ لَهُمْ :

هَذَا الدَّوَاهِ الَّذِي يَشْنِي مِنِ الْخُفِيِّ ^(٤)

إِنْ مَاتَ مَاتَ بِلَا قَدِيدٍ وَلَا أَشْفِ ، أَوْ عَاشَ عَاشَ بِلَا خَلْقٍ وَلَا خُلُقٍ ^(٥)

(١) النصل : حديدة السيف ؛ وسفاسقه ؛ طرائقه ؛ والبنائق : جمع بنيقة ، لبنة التميمي . يقول : يحملني في الحرب وسيني يقطر دما - دم القتلى - في كمي على بنائقي . أي يحملني والسيف هذه حاله ؛ قال المعكبري : الرواية التي قرأت بها الديوان على شيخني أبي الحزم وعبد النعم : والنصل ذو ، بالرفع ، ورفعته على الابتداء ، والواو للحال ، أي في هذه الحالة ، ورواه الواحدى وغيره بنصب النصل وما بعده عطفا على الضمير المنسوب في يحملني ؛ ويجوز أن يكون على أنه مفعول معه : أي مع النصل .

(٢) لحظه : نظر إليه مؤخر عينه . والوامق : الحب . يقول : لا أنظر إلى الدنيا بعين عاشق محب لها فيذل طلبها ولا أبالي أن لا أجد فيها من يوافقني على طلب معالي الأمور ، بل أعمل على طلبها وحدي .

(٣) أي : جرف نداء ؛ وكبت عدوه ؛ أذله وردته بغيظه ، وكبته الله لوجهه : صرعه . قال ابن جنى يخاطب ممدوحا له ، قال الواحدى : ليس في هذه القصيدة ذكر ممدوح ولم يمدح بها أحد ، فكيف يخاطب ممدوحا ؛ إنما يخاطب المهر الذي وصفه ، يقول : أنت تكبت حسادى لأنهم يحسدونني عليك ثم قال : أنت لنا ونحن وأنت لله .

(٤) يقول : لادواء للأحمق إلا الموت ، كما قال البحرى :

مَا قَضَى اللَّهُ لِلْجَهْلِ بَسْتَرٌ يَتَلَفَاهُ مِثْلُ حَتَفِ قَاضِي

(٥) يقول : إن موته وحياته سواء ، فهو إن مات مات وليس من يأسف على موته

ولا يتبين بموته خلل فيكون مفقوداً كما قال :

فَإِذَا مِتَّ مِتَّ غَيْرَ فَقِيدٍ

مِنْهُ تَعَلَّمَ عَبْدٌ شَقَّ هَامَتَهُ خَوْنَ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الْغَدْرَ فِي الْمَلَقِ (١)
 وَحَلَفَ أَلْفَ يَمِينٍ غَيْرَ صَادِقَةٍ
 مَطْرُودَةٍ كَكُؤُوبِ الرُّمَحِ فِي نَسَقِ (٢)
 مَا زِلْتُ أَعْرِفُهُ قِرْدًا بِلَا ذَنْبٍ صِفْرًا مِنَ الْبَأْسِ مَمْلُوءًا مِنَ النَّزَقِ (٣)
 كَرِيشَةٍ بِمَهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ (٤)

وإن عاش عاش وليس من يحمل به أو يبالي؛ إذ ليس له خلق كريم أو خلقة جميلة كما قال الحزب أرزى:

فَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ لَا وَجْهَ وَلَا بَدَنَ وَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ لَا عَقْلَ وَلَا أَدَبَ
 (١) هامته: رأسه؛ والحون: الحياة؛ والملق: إظهار المحبة. يقول: إن العبد الذي قتله وغدر به منه تعلم خيانة الصديق والغدر به وإظهار الحب وفي قلبه دغل. فلا جناح عليه إذا سقاه بكأسه.

(٢) وحلف: عطف على خون. يقول: وتعلم منه أن يحلف ألف يمين كاذبة مطرودة — مطردة متتابعة — كأنابيب الرمح، وفيه نظر إلى قول البحترى من جهة التشبيه: شَرَفٌ تُتَابِعُ كَابِرًا عَنِ كَابِرِ كَالرُّمَحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبِ وَقوله أيضاً:

نَسَبٌ كَمَا اطْرَدَتْ كُؤُوبٌ مُتَقَفٌ لَدُنَّ يَزِيدُكَ بَسْطَةً فِي الطُّوْلِ
 (٣) يقول: ما زلت أعرفه قرداً إلا أنه لا ذنب له، وأعرفه فارغاً من الشجاعة إلا أنه قد امتلأ حماقة وطيشاً، والله ابن الرومي حين يقول:

مَعشَرٌ أَشْبَهُوا الْقُرُودَ وَلَكِنْ خَالَفُوهَا فِي خِفَةِ الْأَرْوَاحِ
 (٤) يقول: هو من القلق كريشة بمهب — مجرى — الريح ساقطة لا تستقر من القلق على حال، يصفه بالطيش وأنه لا يثبت على حال، كما قال ابن الرومي:
 فَلَئِمَكَ أَطْيَشٌ مِنْ رِيشَةٍ وَرُوحُكَ مِنْ هَضْبَةٍ أَرْجَحُ
 ولبعضهم:

يَارِيشَةٌ فَوْقَ مَهَبِّ الصَّبَا يَهْفُوبُهَا الرِّيحُ عَلَى مَرَصَدِ
 أَطْيَشٍ مِنْ قَلْبِ فَتَى عَاشِقٍ مَتِيمٍ بَاتَ عَلَى مَوْعِدِ

تَسْتَفْرِقُ الْكَفَّ فَوَدَيْهِ وَمَنْكِبُهُ وَتَكْتَسِي مِنْهُ رِيحَ الْجُورِبِ الْعَرَقِ (١)
 فَسَأَلُوا قَاتِلِيهِ كَيْفَ مَاتَ لَمْ مَوْتًا مِنَ الضَّرْبِ أَوْ مَوْتًا مِنَ الْفَرَقِ (٢)
 وَأَيْنَ مَوْقِعِ حَدِّ السَّيْفِ مِنْ شَبْحِ بَغَيْرِ رَأْسٍ وَلَا جَنْمٍ وَلَا عُنُقِ (٣)
 لَوْلَا اللَّثَامُ وَشَيْءٌ مِنْ مُشَابَهَةِ لَكَانَ الْأُمُّ طِفْلٍ لُفٍّ فِي خِرْقِ (٤)
 كَلَامٍ أَكْثَرَ مِنْ تَلْقَى وَمَنْظَرُهُ مِمَّا يَشُقُّ عَلَى الْأَذَانِ وَالْحَدَقِ (٥)

* * *

(١) الفودان : جانبا الرأس ؛ والجورب : هو «الشراب» الذي توضع فيه الرجل من صوف أو قطن أو حرير . والعرق : الذي به العرق . يقول هو صغير الرأس قصير العنق ، وهو أيضاً قميء حقير ، فإذا صفع استغرقت أكف الصافعين هذه المواضع من بدنه فككتسى أكتفهم تتنامنه لتأثر رائحته ، ولعل هذا ينظر إلى قول بعضهم :

قل ما بدالك أن تقول فإنني أنثى عليك بمثل ريح الجورب

(٢) موتا : مفعول مطلق ؛ أي أمات لهم موتا ؛ والفرق : الخوف والفرع . يقول : هو جبان فسألوا قاتليه هل مات خوفاً أو مات بالضرب ؟ والله أبو تمام حين يقول :

وإلا فأعلمه بأنك ساخط عليه فإن الخوف لاشك قاتله

(٣) الشبح : الشخص ؛ يصفه بأنه غير شيء لدمامته وصغر قدره فكأنه لا أعضاء له .

(٤) يريد باللاثام آباءه . يقول : لولا أنهم سبقوه في اللؤم وجاء مشابهاً لهم فيه لكان الأم طفل ولكنهم شركاؤه في ذلك فليس هو الأم ، وبهذا قد سوى بينه وبينهم ؛ وفي هذا نظر إلى قول بعضهم :

إذا ولدت حليمةً باهلي غلاماً زيد في عدد اللثام

(٥) ومنظره : أي وجهه ، أو النظر إليه ، ويشق : يشغل . يقول : إن أكثر من تلقاه من الناس يشق كلامه على الآذان لما فيه من السقط والمهذر ، ومنظره على الأحداق — العيون — لما ينطوي عليه من الغل والحجب وإضمار غير الجميل وإن كان يلقاك بالبشر .

يلقاك والعسلُ المصنَى يُجتنَى من قوله ومن الفِعالِ العَلْمُ

وقال يمدح أبا العشار الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي :
أُتْرَاهَا لِكثْرَةِ الْعُشَاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِي (١)
كَيْفَ تَرَى التِّي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ رَأَاهَا غَيْرَ جَفْنَهَا غَيْرَ رَاقِي (٢)
أَنْتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفْسَكَ لِكِنَّكَ عُوْفِيَتْ مِنْ ضَنْفِي وَاشْتِيَاقِي (٣)

يُبدى الهوى ويثور - إن عرضت له فرص - عليك كما يثور الأرقمُ
« الأبيوردى »

فلا تفرغ نك السنّة رطاب بطائهن أ كباد صَوَادِي
« الديلمى »

فيأرب وجه كصافي النمير تشابهه حامله والنمير
« شوقي »

إن شئت أن يسود ظنك كله فأجله في هذا السواد الأعظم
ليس الصديق بمن يُميرك ظاهراً مُتبسماً عن باطن متجهم
« أبو تمام »

(١) حسب يحسب - بفتح السين في المضارع وكسرهما لفتان - وأتراها :
أتنظنها : والمآقي : جمع موق ، مؤخر العين مما يلي الأنف . يقول - لصاحبه :
أتنظنها لكثرة ما ترى الدمع في مآقي عشاقها تتوهم أنه خلقه فيها فلا ترحم من يسكى
ولا ترى ، كما قال في البيت التالي .

(٢) رآها : أصله رآها ؛ قدم الألف وأخر الهمزة ضرورة وغير الأولى : منصوبة
على الاستثناء ، والثانية على الحال . وراقى : أى منقطع الدمع ، وأصله راقى : تقول
رقاً الدمع والدم يرقاً إذا انقطع ، فلينه . يقول : إن هذه المشوقة لا ترحم با كياً ،
وكيف ترحمه وهي ترى كل جفن من الناس إلا جفنها سائل الدمع لهجرها فهي
لا ترحم أحداً لأنها تظن الدموع في أجفان العشاق خلقة ؟ .

(٣) منا خبر أنت ، والجملة بعده خبر ثان ، أو مجال من الضمير المستتر في الخبر يقول
أنت أيضاً من معشر عشاقك : أى أنت عاشقة لنفسك حين منعها منا إلا أنك عوفية
من الضنى - النحول - والاشتياق . لأنك واصلت محبوبك وهو نفسك ؛ ومعها

حُلتِ دُونَ الْمَزَارِ فَالْيَوْمَ لَوْزُرُ تِ لَحَالِ التُّحُولُ دُونَ الْعِنَاقِ (١)
 إِنَّ لِحَفَا أَدَمْتِهِ وَأَدَمْنَا كَانَ عَمْدًا لَنَا وَحَتَفَ اتِّفَاقِ (٢)
 لَوْ عَدَا عَنكَ غَيْرَ هَجْرِكَ بُعْدُ لَأَرَارَ الرَّسِيمُ مَخَّ الْمَنَاقِ (٣)
 وَلَسِرْنَا وَلَوْ وَصَلْنَا عَلَيْهَا مِثْلَ أَنْفَاسِنَا عَلَى الْأَرْمَاقِ (٤)

فنتت نفسك : أى بالحب ؛ أى فأنت مفتونة بعشق نفسك ؛ والأصل فى هذا المعنى قول جعظة :

لو ترى ما أراه منك إذا ما جال ماء الشباب فى وجنتيك

لتميت أن تُقبَّلَ خديك وإن لم تصل إلى خديك

(١) يقال حال دونه حائل ، كما يقال عاق دونه عائق ؛ والزار ههنا : مصدر بمعنى الزيارة يقول : منعتنى عن زيارتك حتى نعلت شوقا إليك ، فلو زرتنى اليوم لم تقدرى على معانقتى لشدة نحولى ودقة جسمى . فليس فى بقية لعناقك .

(٢) يقول : إن النظر الذى كررته إلينا وكررناه إليك كان عن تمعد منا فاتفق لنا فيه الحنف - الهلاك - من غير قصد منا إليه لأنه أوقعنا فى جبال الهوى .

(٣) عدا عنك . صرف عنك ومنع من لعناقك . وغير : استثناء مقدم ؛ وجد : فاعل عدا ، وقال العكبرى : نصب غير على الحال ، والتقدير : بعد غير هجرك ، فلما قدم وصف التكرة نصبه على الحال . وأرار : بمعنى أذاب ، والرسيم : ضرب من سير الإبل ، والناقى : جمع منقبة ، وهى الناقة السمينة التى فى عظامها نقى - أى مخ - يقول : لو كان الحائل بيننا وبينك هو بعدك لاهجرك لو اصلنا السير إليك حتى تنضى الإبل ويسيل عنها : أى لأنبناها فى طى البعد بيننا ، ولكن الذى يحول بيننا هو الهجر ، وهو مالا سيبيل إلى قطع مسافته بالسير ، كما قال أيضاً :

أبعدُ نأى المليحة البخلُ فى البعدِ مالا تُكلفُ الإبلُ

(٤) الضمير فى عليها : للمناقى ، والأرماق : جمع رmq ، بفيه الروح : يقول : ولسرنا ولو وصلنا وقد نلحنا وهزلنا من عدة الشوق حتى نصير من الحفة كأننا أنفاس على أرماق : أى على إبلنا التى نال منها الجهد حتى هزلت ولم يبق منها إلا الدماء فكأنها أرماق ، كما قال الآخر .

* أنضاه شوقى على أنضاه أسفارى *

مَا بِنَا مِنْ هَوَى الْمُيُونِ اللّوَائِ لَوْنُ أَشْفَارِهِنَّ لَوْنُ الْحِدَاقِ (١)
 قَصَّرَتْ مُدَّةَ اللَّيَالِي الْمَوَاضِي فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيَالِي الْبَسْوَاقِ (٢)
 كَاثَرَتْ نَائِلَ الْأَمِيرِ مِنَ الْمَا لِ بِمَا نَوَّاتٍ مِّنَ الْإِيرَاقِ (٣)
 لَيْسَ إِلَّا أَبَا الْعَشَائِرِ خَلْقٌ سَادَ هَذَا الْأَنَامَ بِأَسْتَحْقَاقِ (٤)

وكما قال هو أيضاً :

بَرَّتْنِي الشَّرَى بَرَى الْمَدَى فَرَدَدْنِي أَخْفُ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جَرْنِي
 وقال ابن جنى : ولسرنا ولو وصلنا إليك وهي تحملنا على استكراه ومشقة كما
 تحمل أرقامنا أنفاسنا لشدة الجهد لأننا قد بلغنا أو اخر أنفسنا ؛ قال الواحدى : هذا محال
 كيف يحمل الرمق النفس ؟ وكيف تكون الأنفاس على الأرقام بالمعنى الذى ذكره ؟ ثم
 فسره الواحدى بما لا يخرج عما أسلفناه .

(١) ما بنا : استفهام ، معناه التعجب ؛ والأشفار : جمع شفر منبت الهدب ؛ والحداق :
 جمع حدقة سواد القلة . يقول : أى شيء أصابنا من هوى العين الكحلء الجفون السوداء
 الأحداق ؟

(٢) يقول : قصرت الليالى الماضية بالوصال وأطالتهابالهجران ، وأيام الوصال توصف
 بالقصر وأيام الهجر توصف بالطول . وقوله فأطالت بها : أى أطالت ليالى الهجر بليالى
 الوصال . أى بذكرها والتحسر عليها .

(٣) قال الواحدى : الإبراق مصدر قولهم أورق الصائد إذا لم يصد شيئاً وأورق الغازى : إذا
 لم يغم ، وأورق الطالب إذا لم ينل شيئاً . قال : وكان الخوارزمى يقول فى تفسير هذا البيت :
 هى تطاب بإسهاها إيانا الغاية طلب الأمير بإنالته النهاية ، فكأنها تكأثره نوالا ، لكن نوالها
 الأرق ونواله الورق . قال الواحدى : فإن كان أبو الطيب أراد بالإبراق هذا — أى أنه من
 الأرق — فقد أخطأ لأنه لا يبنى الإبراق من الأرق إنما يقال أرق بأرق وأرقه تأريقاً ،
 والأولى أن يحمل الإبراق على منع الوصل والتجنب منه . يقول : هى فى منعها وصلها
 فى النهاية ، كما أن الأمير فى بذله نائله قد بلغ الغاية فكأنها تكأثر عطاءه بمنعها ينظر
 أيهما أكثر ، ولا يخفى ما فى البيت من حسن التخلص .

(٤) خلق : اسم ليس ؛ وأبا العشائر : خبرها ؛ أو تقول خلق ؛ اسم ليس ؛ وخبرها
 الجملة بعده ؛ وأبا العشائر : مستثنى . يقول : ليس أحد قد استحق السيادة فسادالخلاتو
 بحق غير هذا المدوح ؛ وبما يتصل بمعنى البيت قول البحترى :

طَاعِنُ الطَّعْنَةِ الَّتِي تَطْعَنُ الْفَيْلِقَ بِالذُّعْرِ وَالذِّمَّ الْمَهْرَاقِ (١)
ذَاتُ فَرِيحٍ كَأَنَّهَا فِي حَشَا الْمَخْبِرِ عَنْهَا مِنْ شِدَّةِ الْإِطْرَاقِ (٢)
ضَارِبُ أَلْهَامٍ فِي الْغُبَارِ وَمَا يَرُ ۖ هَبُّ أَنْ يَشْرَبَ الَّذِي هُوَ سَاقِي (٣)
فَوْقَ شَقَاءٍ لِلْأَشَقِّ مَجَالٌ ۖ بَيْنَ أَرْسَاقِهَا وَبَيْنَ الصَّفَاقِ (٤)

قدره مرتفع عن حظه لا يرُعك الحظُّ لم يوجد بحق

(١) طاعن : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو طاعن ؛ والفيلق : الجيش ؛ والذعر : الفزع ؛ والمهراق : الصبوب . يقول : إذا طعن واحداً من الجيش فرأوا الطعنة وسعها وبعد غورها جبنوا جميعهم وخافوا لذلك خوفاً شديداً فكأنه طعن الجيش كله ؛ قال الشراح : والدم المهراق أحسن ما في البيت ، يريد أنه يخرج منها دم نائر يضرب صدور القوم ، فكأنه قد طعنهم كلهم .

(٢) ذات : خبر مبتدأ محذوف : أى طعنته ذات فرغ ، ومن نصب ذات : فهى حال من الطعنة بمعنى واسعة ، كأنه قال تطعن الفيلق طعنة واسعة . والفرغ : مخرج الماء من الدلو . ويقال أطرق رأسه إذا خفضه وطأطأه . والخبر : يروى بفتح الباء وبكسرهما يقول : إن طعنته واسعة حتى كأن دمها يجري من فرغ دلو ، وإذا جرى حديثها أطرق لها السامع أو المحدث خوفاً واستعظماً حتى لكأنها في جوفه .

(٣) يقول : هو ضارب الهام - الروس - في الهيجاء وبسقي الأقران كؤوس الموت ولا يبالي أن يشرب ما يسقيهم شجاعة وولوعاً بالمجد والفخار ومن ثم لا يبالي بالموت .

(٤) فوق شقاء : أى هو ضارب الهام حال كونه فوق فرس شقاء ، وشقاء : مؤنث أشق ، ويقال فرس أشق . إذا كان رجب الفروج طويل القوائم ، قال جابر أخو بني معاوية بن بكر التلي :

وَيَوْمَ الْكَلَّابِ اسْتَنْزَلَتْ أَسْلَاتُنَا شُرَحْبِيلَ إِذْ آلَى الْيَتَمَ مُقْسِمِ

لَيْتَنَزِعَنَّ أَرْمَاحُنَا فَازَالَهُ أَبُو حَنْشٍ عَنِ ظَهْرِ شَقَاءٍ صِلْدَمِ (١)

والأرساغ : جمع رسع ، وهو مستدق ما بين الخافر ومفصل الوظيف ؛ والصفاق

(١) عن ظهر : يروى عن سرج ، والصلدم : القوية ، يقول : - حلف عدونا لئتنزعن

أرماحنا من أيدينا قتلناه .

مَا رَأَاهَا مُكَذِّبُ الرُّسُلِ إِلَّا صَدَّقَ الْقَوْلَ فِي صِفَاتِ الْبِرَاقِ ^(١)
 هَمُّهُ فِي ذَوَى الْأَسِنَّةِ لَا فِيهَا وَأَطْرَافُهَا لَهُ كَالنُّطَاقِ ^(٢)
 ثَابِتُ الرَّأْيِ ثَابِتُ الْحِلْمِ لَا يَقْدِرُ أَمْرٌ لَهُ عَلَى إِفْلَاقِ ^(٣)
 يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ لَا تَقْدَمْكُمْ فِي الْوَعْيِ مُتُونُ الْعِتَاقِ ^(٤)

جلدة البطن ؛ قال الأصمعي : الصفاق الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر ،
 وأنشد للجعدى :

لَطِينٌ بِتَرَسٍ شَدِيدِ الصَّفَا قِي مِنْ خَشَبِ الْجُوزِ لَمْ يُثَقِّبِ ^(١)
 يقول : هو ضارب فوق فرس أنثى طويلة واسعة الفروج حتى يجول الحصان -
 الذكر - الطويل بين قوائمها وبطنها .

(١) البراق : هو ذلك الذي روى أن سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ركبته
 ليلة الإسراء وقطع به ما بين الأرض والسماء في ليلة ، وقيل في وصفه أنه يضع يديه عند
 منتهى بصره ، وأنه دون البغل وفوق الحمار . يقول : إن هذه الفرس تجرى جرى
 البراق . فإذا نظر مكذب الرسل إلى سرعتها صدق ما قيل في وصف البراق .

(٢) الضمير من فيها : للأسنة ؛ والواو بعدها : للحال ؛ والنطاق : ما يشد به
 الوسط : يقول : إذا أحاطت به الأبطال حتى صارت أسنتها - رماحها - حوله كالنطاق
 فإن همته حينئذ إنما هي في الأبطال وأخذ أرواحهم لا في اتقاء رماحهم ، فهو لا يبالي
 بها ولا هي تثنيه عنهم .

(٣) ثقوب الرأى : نفاذه ؛ وأصل الثاقب : الضوء ؛ ويروى ثاقب العقل ؛ والحلم :
 الأناة والتعقل . يقول : لا يقلقه أمر من الأمور لثبات حلمه ؛ وفيه نظر إلى قول
 ابن دريد :

يَعْتَصِمُ الْحِلْمُ بِجَنبِي حَبَوْتِي إِذَا رِيَا حِ الْطَيْشِ طَارَتْ بِالْحَبَا
 (٤) الحارث بن لقمان : جد أبي العتائر ؛ والعتاق : الخيل الكريمة ، يدعو لهم بأن
 لا يفارقوا ظهور الخيل فرسانا في الوعى - الحرب - قال ابن جنى : قوله في الوعى حشو
 إلا أن فيه نكتة ، وهى أنهم ملوك إنما يركبون الخيل للحرب أو دفع ملم ، لذلك خسر
 حالة الحرب ؛ إذ لو لم يقل في الوعى لا تقتضى الدعاء أن لا يفارقوا ظهورها في وقت

(١) يقول : ذلك للوضع منه كأنه ترس وهو شديد الصفاق .

بَعَثُوا الرَّغْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعَادِ ۖ فَمَا كَانَ الْقِتَالُ قَبْلَ الْقِتَالِ (١)
 وَتَكَادُ الظُّبَا لِمَا عَوَّدُوهَا تَنْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الْأَنْتَاقِ (٢)
 وَإِذَا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا أَشْفَقُوا مِنْ الْإِشْفَاقِ (٣)
 كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي الْمَوْتِ حُسْنًا كَبِدُورٍ تَمَامُهَا فِي الْمُحَاقِ (٤)

وهذا من أفعال الرواض لامن أفعال الملوك لأن الملوك يحتاجون إلى تدبير الملك بالرأى إلى الفراغ والاستقرار .

(١) يقول : بعثوا خوفهم في قلوب الأعداء قبل وصولهم إليهم ، فكانتهم قاتلهم قبل أن يلقوهم لشدة خوفهم قبل اللقاء ، قال أبو تمام :

لَوْلَمْ يَزَاحِفْهُمْ لَزَاحِفْهُمْ لَهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَوْجَالِ

هذا : والأعدى - بالتشديد - جمع الأعداء ، وأصله أعادى بالهمز فأدغم .

(٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ؛ والمراد هنا : السيوف نفسها ؛ وتنتضي :

تستل . يقول : إنهم عودوا السيوف أن تغمد في الأعناق ، فهى لذلك تكاد تخرج من أعمادها إلى الأعناق قبل أن يستلها أحد ؛ وهذا من قول أبي تمام :

وَنَبَّهَنَ مِثْلَ السِّيفِ لَوْلَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَلَّتَهُ ظُبَاهُ مِنَ الْغَمْدِ

(٣) الإشفاق : الخوف والفرع . يقول : إذا خاف الفرسان من وقع الرماح خافوا

هم من الخوف ومن أن ينسبوا إلى الجبن والحزج فتجلدوا وصبروا .

(٤) الذمر : الرجل الشجاع ؛ وكل : خبر مبتدأ محذوف : أى هم - المدحون - كل

ذمر الخ ؛ والمحاق : آخر ليالى القمر . يقول : إنهم إذا قتلوا في طلب المجد والرفعة

ازداد شرفهم فازداد حسن ذكركم بموتهم ، كالبذور فإنها تستفيد الكمال بالحاق ، ومالم

تصر إلى الحاق لم تتم ، لأنها في الحاق ترتفع إلى درجة الكمال ، فحاقها سبب كمالها ؛

كذلك هؤلاء إذا قتلوا اكتسبوا ذكراً وشرفاً . وقال ابن جني : تمامها في الحاق

الكلام متناقض الظاهر ، لأن الحاق غاية النقصان وهو ضد الكمال ، وإنما سوغ له

ذلك قوله « يزيد في الموت حسناً » : أى هو من قوم أحسن أحوالهم عندهم أن يقتلوا في

طلب المجد ، فشبههم بيدور تمامها في محاقها ، فجاز له هذا اللفظ على طريق الاستطراف

والتعجب منه ، فشبه ما يجوز أن يكون بما لا يجوز أن يكون اتساعاً وتصرفاً . . وقال

ابن فورجة : أراد أن البدور يفضى أمرها إلى الحاق . فهو غايتها التي تجرى إليها ومصيرها

الذى تصير إليه ، وهؤلاء القوم تمام أمرهم قتلهم ، وليس التمام في هذا البيت الذى

جَاعِلٌ دِرْعَهُ مَنِئْتَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ الْعَارِ وَاقٍ^(١)
كَرَمٌ خَشَنَ الْجَوَانِبَ مِنْهُمْ فَهَوَ كَالْمَاءِ فِي الشَّفَارِ الرَّفَاقِ^(٢)

يعنى به استكمال الضوء؛ والدليل على ذلك قوله «كبدور» والبذور لا تكون بدوراً إلا بعد استكمال ضوءها، ولو أراد استكمال الضوء لقال كأهلة... قال الواحدي: وعلى هذا لا مدح فى البيت لأن كل حى يفضى أمره إلى الموت وآخره الهلاك؛ وإنما شبههم ببذور تمامها فى المحاق بزيادتهم حسناً بالموت لانتهاه آخر أمرهم إلى الموت، ثم أوضح ذلك بما لا يخرج عما ذكرناه أولاً.

(١) جاعل: صفة لذمر. يقول: إنه يتقى العار ولو بموته، فإذا لم يجد وقيامن العار غير منيته جعلها درعاً له، فأتقى بها العار كما يتقى بالدرع الموت والهلاك. قال أبو تمام:

وقد كان فَوْتُ الْمَوْتِ سَهلاً فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْحِفَاظُ الرُّهُ وَأَنْطَلَقُ الْوَعْرُ

وقال بعضهم:

وَمَوْتُ لا يَكُونُ طَلَى عَاراً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَيْشِ رِمَاقٍ^(١)

(٢) الكرم: ضد اللؤم؛ والشفار: جمع شفرة، حد السيف. والرفاق هنا: الحداد القاطعات. يقول: إن لم كرمًا خشن جوانبهم على الأعداء لأن هذا الكرم يأبى عليهم أن يساموا الحسف ويقبلوا الإهانة، ثم شبه ذلك الكرم بالماء، فهو مع لينة وعدوبته إذا سقيته السيوف شحذت شفارها واستفادت صلابه ومضاء ونفاذاً، كذلك كرمه فيه لين لأوليائه وخشونة على أعدائه. وهذا من قول بعضهم:

وكالسيف إن لا يَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ حَاشَتْهُ خَشِينَانِ

وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

فَإِنَّ الْحَسَامَ الْهِنْدُوَانِيَّ إِنَّمَا خُشُونَتُهُ مَا لَمْ تُقَلَّلْ مُضَارِبَهُ

(١) الرماق: العيش اليسير الدون الذى يمكك الرمق؛ ومن كلامهم: موت لا يجر

إلى عار خير من عيش فى رماق، ومثله العيش الرمق: أى الدون قال الكسيت:

أرانا على حُبِّ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا يُجَدُّ بِنَسَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَتَهْزِلُ

نُعَالِجُ مُرَمَقًا مِنَ الْعَيْشِ فَانِيًا لَهُ حَارِكٌ لا يَحْمِلُ الْعِبْءَ أَجْرَلُ

[الحارك: أعلى الكاهل].

وَمَعَالٍ إِذَا أَدْعَاهَا سِوَاهُمْ لَزِمْتُهُ جِنَايَةَ الشَّرَاقِ (١)
يَأْتِي مَنْ كَلَّمَا بَدَوْتَ بَدَا لِي غَائِبَ الشَّخْصِ حَاضِرَ الْأَخْلَاقِ (٢)
لَوْ تَنَكَّرْتَ فِي الْمَكْرِ لِقَوْمٍ حَلَفُوا أَنَّ ابْنَهُ بِالطَّلَاقِ (٣)
كَيْفَ يَقْوَى بِكَفِّكَ الزُّنْدُ وَالْآ فَاقُ فِيهَا كَالْكَفِّ فِي الْآفَاقِ (٤)
قَلَّ نَفْعُ الْحَدِيدِ فِيكَ فَمَا يَلْقَاكَ إِلَّا مَنْ سَيِّفُهُ مِنْ نِفَاقِ (٥)
إِنْفُ هَذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعَ فِي الْأَنْفُسِ أَنَّ الْجِمَامَ مَرُّهُ الْمَذَاقِ (٦)

(١) يقول: لكم معال شريفة لم ينلها أحد سواكم فإذا ادعاها سواكم نسب إلى الحيانة والسرقة .

(٢) يقول: أنت شديد الشبه بأبيك ، فإذا ظهرت لي شاهدت فيك أخلاقه ، وإن غاب شخصه ، وقال ابن الرومي :

إِذَا سَلَفُ أَوْدَى وَخَلَفَ مِثْلُهُ فَمَا ضَرَّهُ أَنْ غَيَّبْتَهُ الرَّوَامِسُ

(٣) تنكرت: غيرت زيك حتى لا تعرف ، والمكر: مكان الكر في الحرب . يقول: لو غيرت زيك في ساحة الحرب حتى لا يعرفك أهلها لعرفوك بأفمالك التي لم يكن يفعلها غير أبيك حتى يحلفون بالطلاق أنك ابنه ، قال ابن جنى: في المكر حشو وفيه نكتة ، وهي أنه إنما شبهه في المكان الذي يتبين فيه الفضل والشجاعة فذكر أنفس المواضع ، فجعله شبهه فيها لافي غيرها مما ليس له شهرتها ، وقال التبريزي: حلفوا أنك ابنه: أي ابن المكر إذ يجدونك فيه سالما من الطعن والضرب ، فكان المكر أب يشفق عليك من أن يصل إليك جرح أو طعنة .

(٤) الاستفهام تعجب ، وقوى به: أطاقه ؛ والآفاق: نواحي الدنيا وأقطارها . يقول: كيف يطيق زندك حمل كفك وهي قد اشتملت على نواحي الأرض ، أي استوت على أطرافها حتى صارت الآفاق صغيرة بالقياس إليها كالكف بالقياس إلى الآفاق ، يريد أنه اقتدر على الدنيا وصغرت في قبضته .

(٥) يقول: إن أعداءك لا يقدرون عليك بسيف الحديد لا متناحك على أسلحتهم بيأسك وشجاعتك وعدة شوكتك . فلا يلقونك الا بسيف النفاق ، يعني أن أعداءك يعدلون عن مجاهرتك بالحرب إلى مواراتك بالنفاق .

(٦) قال أبو العلاء المعري: إن هذا البيت والذي بعده يفضلان كتابا من كتب

وَالْأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ وَالْأَسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ (١)
كَمْ ثَرَاءَ فَرَجَتْ بِالرُّمُحِ عَنْهُ . . . كَانَ مِنْ بَحْلِ أَهْلِهِ فِي وَثَاقِ (٢)
وَالْفَيْ فِي يَدِ اللَّيْمِ قَبِيحٌ قَدَرُ قُبْحِ الْكَرِيمِ فِي الْإِمْلَاقِ (٣)

الفلاسفة ، لأنهما متناهيان في الصدق وحسن النظام ، ولو لم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرف منهما وجمال . . . يقول : إن نفوسنا ألقت هذا الهواء فظننت أن الموت كرهه الذوق ، وذلك لإلها الهواء الرقيق الطيب ، وهذا أوقع في الأنفس أن الموت مر الطعم . قال الواحدى : وفي هذا بيان عذر أعدائه حين جبنوا عنه ولم يجأهروه بالحرب لأن حب الحياة زين لهم الجبن وأراهم طعم الحمام . قال : ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام لا يتصل بما قبله ؛ قال العسكبرى : وهذا من قول الحكيم : النفوس البهيمية تألف مساكنة الأجساد الترابية ، فلذلك تصعب عليها مفارقة أجسامها والنفوس الصافية بصد ذلك .

(١) يقول : إن خوف الموت من أكاذيب النفس ومن إلتقا هذا الهواء وإلا فهو معلوم أن الجزع من الموت قبل وقوعه عجز ينشأ عن الجبن وضعف النفس ، وأنه لا جزع بعد الموت لعدم حس الليت بشيء مما هو فيه . وعبارة أبي الفضل العروضى : لا يحسن أن يحزن الإنسان للموت بعد تيقنه بوقوعه فإنه قبل الوقوع : لا ينفع الحذر وينقص العيش ، وإذا وقع فلا حزن عليك ولا علم لك به ، ثم قال : وقد نسب في هذا إلى الإلحاد . قال الواحدى : وهذا البيت والذي قبله حث على الشجاعة وتحذير من الجبن وتهوين للموت لئلا يخافه الإنسان فيترك الإقدام قال : هذا ما أراده أبو الطيب ولم يرد الإلحاد وإنما قال هذا من حيث الظاهر

(٢) الثراء : كثرة المال . يقول : كم مال كان البخل قد أوثقه ومنعه عن طلابه قتلت أربابه فأطلقته من إساره وأبجته لطلابيه ؟

(٣) الإملاق : الفقر والعدم . يقول : إن المال في يد اللئيم قبيح - لأنه يضمن به عن حقوقه - كما يقبح الفقر في يد الكريم ، فقوله قدر قبيح الكريم في الإملاق : يريد أن يقول قدر قبيح الإملاق في الكريم ، قلب للضرورة والقافية : وللصراع الأول من قول أبي تمام :

كَمْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ فَكَانَتْهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارٍ
وقول العطوى :

لَيْسَ قَوْلِي فِي شَمْسٍ فَمَلِكٌ كَالشَّمْسِ وَلَكِنْ فِي الشَّمْسِ كَالْإِشْرَاقِ^(١)
شَاعِرُ الْمَجْدِ خِدْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْظِ كِلَانَا رَبُّ الْمَعَانِي الدَّقَاقِ^(٢)
لَمْ تَزَلْ تَسْمَعُ الْمَدِيحَ وَلَكِنْ صَهِيلَ الْجِيَادِ غَيْرُ النَّهَاقِ^(٣)
لَيْتَ لِي مِثْلَ جَدِّ ذَا الدَّهْرِ فِي الْأَذَى هُرُّ أَوْ رِزْقِهِ مِنْ الْأَرْزَاقِ^(٤)

نعمة الله لا تُعَاب ولكن ربما استُغْبِحت على أقوام
لا يليق الغنى بوجه أبي يع
وسخ الثوب والقلائس والبر ذون والوجه والقفا والغلام

(١) يقول : إن قولي لا يبلغ فعل المدوح في الشرف والرفعة ، ولكنه يدل عليه ، فهو بمنزلة الإشراق من الشمس ، وتروى : ولكن كالشمس في الإشراق : أي أن قوله في فعل المدوح الذي هو كالشمس ليس كالشمس كذلك ، فيكون كفوؤا له ، ولكنه بالقياس إليه كالشمس بالقياس إلى إشراقها ، شبه قوله بالشمس وفعل المدوح بأشعة الشمس التي تملأ الكائنات .

(٢) يقول : أنت شاعر المجد الناظم لمحاسنه العليم به وبدقائقه وأنا شاعر اللفظ ، فكل واحد منا خليل الآخر ، وكل واحد صاحب المعاني الدقيقة فهو يهتن في صناعته : وأراد بالخدن ؛ نفسه ، جعل نفسه خدنا - صاحبنا وصديقا - للمدوح ترغبا وافتخارا . ومثل هذا البيت قول أبي تمام :

غَرَبْتُ خِلَاتَهُ فَأَغْرَبَ شَاعِرٌ فِيهِ فَأَبْدَعَ مُغْرَبٌ فِي مُغْرَبٍ
(٣) يقول : لم تزل تمدح وتسمع الأشعار في مديحك - لأنك ملك همم كبير المداح - ولكن شعري يفضل ما سمعته كما يفضل صهيل الجياد نهيق الحير ، ولعله ينظر في هذا إلى قول خدش بن زهير :

وَلَنْ أَكُونَ كَنْ أَلْتِي رِحَالَهُ عَلَى الْحِمَارِ وَخَلِي مَنْسِجَ الْفَرَسِ
وقول الآخر :

أَلْمَى بِابْنِ عَمِّكَ لَا تَكُونِي كَمَخْتَارِ عَلَى الْفَرَسِ الْحِمَارَا
(٤) يقول : إن دهرك محدود - محظوظ - مرزوق بك ، فليت لي مثل ماله من الحظ والرزق ، ثم بين ذلك في البيت التالي .

أنت فيه وكان كلُّ زمانٍ يشتهي بعضَ ذا علي الخلاقِ^(١)

* * *

وضرب أبو العشائر خيمة على الطريق فكثرتُ سؤاؤه وغاشيته فقال له إنسان
جعلت مضر بك على الطريق فقال : أحب أن يذكره أبو الطيب فقال :

لَا مَ أَنَا أَنَسٌ أَبَا الْعَشَائِرِ فِي جُودِ يَدَيْهِ بِالْعَيْنِ وَالْوَرَقِ^(٢)
وَأِنَّمَا قِيلَ لِمَ خُلِقْتَ كَذَا وَخَالِقُ الْخَلْقِ خَالِقُ الْخَلْقِ^(٣)
قَالُوا أَلَمْ تَكْفِهِ سَمَاحَتُهُ حَتَّى بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الطَّرِيقِ^(٤)
فَقُلْتُ إِنَّ الْفَتَى شَجَاعَتُهُ تَرِيهِ فِي الشُّحِّ صُورَةَ الْفَرَقِ^(٥)

(١) يقول : كان كل عصر يشتهي بعض هذه السعادة لأنه لا يطعم في كلها ومثله

لمسلم بن الوليد :

كالدهرٍ يحسُدُ أولاهِ أوَاخِرَهُ إذ لم يكن كان في أعصاره الأول
وفيه نظر إلى قول أبي تمام .

مَضَى طَاهِرَ الْأَنْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةً ثَوْبِي إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

(٢) العين : الذهب ؛ والورق : الفضة ، وقيل هي الدراهم المضروبة .

(٣) يقول : إن الذي يلومه على جوده كأنه يقول له لم خلقت كريما ؟ أى أنه طبع

على الجود وليس ينفع اللوم على ما طبع عليه الإنسان ؛ لأن المطبوع على الشيء لا يستطيع أن يجحد عنه إلى غيره كما لا يستطيع أن يغير خلقته ، والذي خلق خلقه خلق خلقه .

(٤) كان أبو العشائر بميافارقين ، فضرب بيتا على الطريق لينتابه الناس فلا يرون
دونه حجابا ، فذكر ذلك أبو الطيب وقال : إن الناس قالوا أما كفته سباحته ونداه في

البلد حتى بنى بيته على الطريق للقصاد ؟ !

(٥) الشح : البخل ؛ والفرق : الحروف والدعر . يقول : إن الشجاع لا يكون بخيلا

وإنما يتعجب البخل كما يتعجب الحوف ، وذلك أن الشح خوف الفقر : والشجاع لا يفرق ،
كما قال الجاحظ : البخل والجن غريزتان يجمعهما سوء الظن بالله . وهذا كما يقول

أبو تمام :

وإذا نظرتَ أبا يزيد في وَغَى وَندَى ومُبدِي غارةٍ ومُعيدا

بِضَرْبِ هَامِ الْكِمَاةِ تَمَّ لَهُ كَسْبُ الَّذِي يَكْسِبُونَ بِالْمَلَقِ (١)
السَّمْسُ قَدْ حَلَّتِ السَّمَاءَ وَمَا يَحْجُبُهَا بَعْدَهَا عَنِ الْحَدَقِ (٢)
كُنْ لُجَّةً أَيْهَا السَّمَاحُ فَقَدْ آمَنَهُ سَيْفُهُ مِنَ الْفَرَقِ (٣)

* * *

يَقْرَى مُرَجِّبِهِ مُشَاشَةً مَالَهُ وَشَبَا الْأَسَدَةِ ثُغْرَةً وَوَرِيدًا (١)
أَيْقَنَتْ أَنْ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً تُذِي وَأَنْ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودًا
ويقول الآخر :

إِلَى جَوَادٍ يَمُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبَيْنِ وَبِاسْمِ بُلْبُلٍ يُحْلَهُ يَعْتَدُهُ جُبْنَا
يَلْقَى الْعَفَاةَ بِمَا يَرْجُونَ مِنْ أَمَلٍ قَبْلَ السُّؤَالِ وَلَا يَبْنِي بِهِ ثَمْنَا
(١) الهام : الرؤوس ؛ والسكاة : جمع كمي ، الشجاع المستتر في سلاحه . يقول :

إِنْ كُلُّ أَحَدٍ يَجِبُهُ لَشَجَاعَتِهِ كَمَا يَجِبُ مِنَ يَتَمَلَّقُ النَّاسَ وَيَلِينُ لَهُمْ وَيَتَوَدَّدُ إِلَيْهِمْ فَمِ لَهُ بِضَرْبِ
الهام ما يكسبه التملق ، كما قال :

وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنْكَ فِيهِمْ عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدٌ (٢)
(٢) يقول : إنه لم يكن قبل ذلك مستتر الجود ولا محجبا عن القصاد كالشمس مع
بعدها يراها كل راء -

(٣) يقول : كن أيها الجود بجرأ ذا لجة مهلكا ، فهو لا يخاف الفقر ولا يقدر
على إغراقه بالفقر ، لأن سيفه قد آمنه من ذلك لأنه كلما أعطى سؤاله وقصاده مالا أخذ
له سيفه أضعاف ذلك ؛ وهذا كقوله :

فَالسِّمُّ يَكْسِرُ مِنْ جِنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجَبَّرُ الْمِيجَاءُ
وقيل المعنى : كن أيها الجود بجرأ إن شئت فإنه لا يخاف أن يفرق لأن سيفه أعطاه .
الأمان من كل تهلكة ، يريد أنه مع سباحته شجاع حق لو صار الجود تهلكة ما خافه .

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذي يمكن مضغه ، والثغرة - بالضم

نقرة النحر .

(٢) شكده : أعطاه أو منحه .

قافية الكاف

وقال وقد أجل سيف الدولة ذكره :

رُبَّ نَجِيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ أَنْسَفَكَ وَرُبَّ قَافِيَةٍ غَاطَتْ بِهِ مَلِكًا^(١)
 مَنْ يَنْسِرِفُ الشَّمْسَ لَا يُنْكَرُ مَطَالِعَهَا
 أَوْ يُبْصِرُ الخَيْلَ لَا يَسْتَكْرِمُ الرَّمَكَا^(٢)
 تَسْرُ بِالمَالِ بَعْضَ المَالِ تَمْلِكُهُ إِنَّ البِلَادَ وَإِنَّ العَالَمِينَ لَكَ^(٣)
 ولما أنشد أجب دمي^(٤) الخ استحسناها فقال :
 إِنَّ هَذَا الشُّعْرَ فِي الشُّعْرِ مَلَكٌ سَارَ فَهَوَ الشَّمْسُ والدُّنْيَا فَلَكِ^(٥)

- (١) النجيع : الدم ؛ والقافية : القصيدة . يقول : رب دم انسفك - انصب - بسيف الدولة ؛ أى بسببه لأنه سفكه هو أو أمر بسفكه : ورب قصيدة مدح بها فغاطت تلك القصيدة ملكا وحسده عليها لحسها .
- (٢) الرمك : جمع رمكة ، البرذونة تتخذ للنسل دون الركوب . يقول : من عرفك لم يحمد فضلك كالشمس لا يدفع ارتفاعها من عرفها ، ومن رآك لم يستعظم غيرك ، كمن أبصر عتاق الخيل لم يستكرم الرمك منها ، ويروى بدل يستكرم : يستفره ، ها بمعنى .
- (٣) يقول : إن الناس كلهم لك فإذا وهبت أحداً شيئاً فقد سررت بملك مالك ، لأن الكل لك . ولعله ينظر في هذا إلى قول عدى بن زيد :
- ولك المال والبلاد وما يملك من ثابتٍ ومُستاقٍ
- (٤) أراد القصيدة التي مطلعها :
- أجاب دمي وما الداعي سوى طللٍ دعاه فلباه قبل الركب والإبل
- (٥) يقول : إن شعره بين الشعر كالمالك بين الناس يفضل سائر الأشعار كما تفضل الملائكة الخالق ، وهو سائر في الدنيا سير الشمس في السماء . هذا : والمالك - بالتحريك - واحد وجمع . قال الكسائي : أصله مالك - بتقديم الهجزة - من الألوكة ، وهي
- (٨ - التنى ٣)

عَدَلَ الرَّحْمَنُ فِيهِ يَبِينُنَا فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِي وَالْحَمْدُ لَكَ^(١)
فَإِذَا مَرَّ بِأُذُنِي حَاسِدٍ صَارَ مِنِّي كَأَنَّ حَيًّا مَفْلُوكًا^(٢)

* * *

الرسالة . ثم قلبت ، وقدمت اللام ، فقيل ملاك . وأنشد أبو عبيدة لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك ، قيل هو النعمان ؛ وقال ابن السيرافي : هو لأبي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير :

فَأَسْتَلِ الْإِنْسِيَّ وَلَكِنْ لِمَلَاكٍ تَنْزَلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ
ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك ، فلما جمعه ردوها إليه ، فقالوا : ملائكة وملائك أيضاً ، قال أمية بن أبي الصلت :

وَكَأَنَّ بَرَقَعَ وَالْمَلَائِكُ حَوْلَهَا سَدْرٌ تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ أَجْرَبُ^(١)
قال ابن بري : صوابه أجرد - بالدال - لأن القصيدة دالية ، وقوله :
فَأَتَمَّ سِتًّا فَاسْتَوَتْ أَطْبَاقَهَا وَأَتَى بِسَابِعَةٍ فَأَتَى تَوْرَدَ
وفيها يقول في صفة الهلال :

لَا نَقْصَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ خَبِيئَتُهُ قَمَرٌ وَسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُقَمَدُ^(٢)

(١) يقول : عدل الله فيه بيني وبينك فقضى لي بالإحسان في نظمه وقضى لك بما يختلج فيه من الحمد والثناء عليك ، فخسك لي بلفظه وحسنه ولك بالحمد دائماً ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

خُذْ مِنْ فَوَائِدِكَ الَّتِي أُعْطَيْتَنِي فَالِدُرُّ دُرُّكَ وَالنُّظَامُ نِظَامِي
(٢) يقول : إذا سمع شعري حاسد لي من الشعراء أو حاسد لك من الملوك مات من الحد ، لأن لفظه يعجز الشعراء عن الإتيان بمثله . ومافيه من الحماد لم يمدح به أحد من الملوك .

(١) برقع : اسم من أسماء السماء قيل هي السابعة ، وسدر : أي بحر . شبه السماء بالبحر ، أراد للملاسته لا لجره . وقوله تواكله القوائم : أي تواكلته الرياح فلم يتموج .
(٢) الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كسف فيما تزعمه العرب .

وقال لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه إلى جانب المصباح :
أَمَا تَرَى مَا أَرَاهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَأَنَّنا فِي سَمَاءِ مَالِهَا حُبُكُ (١)
الْفَرَقْدُ ابْنُكَ وَالْمِصْبَاحُ صَاحِبُهُ
وَأَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى وَالْمَجْلِسُ الْفَلَكَ (٢)

* * *

وقال يمدح عبيد الله بن يحيى البحتري :
بَكَيْتُ يَا رَبِّعُ حَتَّى كِدْتُ أَبْكِيكَ وَجُدْتُ لِي وَبَدَمِي فِي مَعَانِيكَ (٣)
فَعِمُّ صَبَاحًا لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي شَجَنًا وَأَرْدُدُ تَحِيَّتَنَا إِنَّا نُحْيُوكَ (٤)

(١) الحبك : طرائق النجوم في السماء . جعل مجلسه في علو قدره كالسما . غير أنه ليست له طرائق كما للسماء .

(٢) الفرقد : نجم معروف ، وهما فراقدان . جعل ابنه - وهو قريب من المصباح - كالفرقد ، وأراد بالصاحب : الفرقد الآخر ، وفي هذا نظر إلى قول علي بن الجهم :
كَأَنَّهُ وَوَلَاةُ الْأَمْرِ تَتَّبِعُهُ بِدْرِ السَّمَاءِ تَلِيهِ الْأَجْمُ الزُّهْرُ

وقال ابن وكيع : هذا التشبيه من قول أبي نواس :

قَضَى أَيْلُولٌ وَارْتَفَعَ الْحَرُورُ وَأَذَكَتْ نَارَهَا الشُّعْرَى الْعَبُورُ
فَقُومًا فَانْكِحَا خِزَا بِمَاءِ فَإِنَّ تَتَاجَ بَيْنَهُمَا السَّرُورُ
تَتَاجُ لَا تَدِرُّ عَلَيْهِ أُمُّ بِحَمَلٍ لَا تَعْدُ لَهُ الشُّهُورُ
إِذَا الْكَاسَاتُ كَرَّتْهَا عَلَيْنَا تَكُونُ بَيْنَهَا فَلَكَ يَدُورُ
تَسِيرُ نَجْمُهُ عَجَلًا وَرَيْثًا مُشْرِقَةً وَأَحْيَانًا تَفُورُ
إِذَا لَمْ يُجْرِهِنَّ الْقُطْبُ مِتْنَا وَفِي دَوْرَاتِهِنَّ لَهَا نَشُورُ
(٣) المغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذي كان به أهله . يقول : بكيت عليك يارب حتى لو كنت ممن يعقل لرثيت لحالي وبكيت لبكائي ، فقد أنفقت نفسي وأفانيت دمي في مغانيك أسفا عليك وتذكر آ لأهلك . فقوله وجدت بي : أى بنفسى ؛ أى بكيت حتى أنفقتها .

(٤) عم صباحا : بمعنى أتمم ، يخاطب الربيع على عادة العرب في مخاطبة الربوع

بِأَيِّ حُكْمٍ زَمَانَ صِرْتَ مُتَّخِذًا
رَثْمَ الْفَلَا بَدَلًا مِنْ رَثْمِ أَهْلِيكَ (١)
أَيَّامَ فِيكَ شُمُوسٌ مَا أَنْبَعْتَنَ لَنَا
إِلَّا أَنْبَعْتَنَ دَمًا بِاللَّحْظِ مَسْفُوكًا (٢)
وَالعَيْشُ أَخْضَرُ وَالْأَطْلَالُ مُشْرِقَةٌ
كَانَ نُورَ عَيْبِدِ اللَّهِ يَقُولُوكَا (٣)
نَجْمًا أَمْرُؤُ يَا ابْنَ يَحْيَى كُنْتَ بُغْيَتَهُ
وَخَابَ رَكْبٌ رِكَابٍ لَمْ يَوْمُوكَا (٤)

والأطلال بعد ارتحال الأحبة عنها يتسلون بذلك . يقول للربيع — على سبيل الدعاء :
أنهم صباحا ، لقد حركت لى وجدا حين نظرت إليك تذكرا لما سلف لى فيك
من وصل الأحبة ، ونحن مسلمون عليك فاردد علينا . وهذا مما يدل على وله العاشق
لفقد الأحبة .

(١) الرَّم : الظبي الخالص البياض ، والفلا ، جمع فلاة ، الصحراء ، يقول : أى
حكم من أحكام الزمان جرى عليك حتى أفقرت فأوت إليك ظباء الصحارى بدلا
من ظباء الإنس اللاتي رحلن عنك ؟ ومثله لأبى تمام

وَظَبْيَاءَ أَنْسِكَ لَمْ تَبْدَلْ بَعْدَهَا
بِظَبْيَاءِ وَحَشِكَ ظَاعِنًا بِمَقِمِ
(٢) أراد بالشموس : الحسان ؛ وانبعثن : ذهبن وجئن وتحركن ؛ وانبعثن :
اسلن . يقول : إني لأذكر أيام فيك شموس ما ظهرن لنا إلا أبكيننا دماء صبوبا بنظرنا
إلهن : أى أجرين بالحاطهن دماء عشاقهن ؛ قال أبو نواس :

يَا نَاظِرًا مَا أَقْلَعْتُ لِحْظَاتَهُ
إِلَّا تَشْحَطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ
وقال أشجع السلمي :

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عَاسِنِهَا
فَلِكُلِّ مَوْضِعٍ نَظْرَةٌ قَتْلُ
وقد أخذ هذا المعنى بعضهم فقال :

وَجَفُونَ لَكَ لَا تَطْرَفُ إِلَّا عَنِ قَتِيلِ

مَا جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ مِثْلِي بِجَمِيلِ

(٣) خضرة العيش : كناية عن الحصب والرغد ؛ والأطلال : رسوم الديار .
يقول : كان العيش رغداً طيباً وأطلاك — أى التى هى أطلال اليوم — كانت مشرقة
قبل تفرق الأحبة وارتحالمهم عنك . وفى البيت من البديع حسن التخلص :

(٤) الركب : جمع راكب ؛ والركاب : الإبل ؛ ولم يؤموك : لم يقصدوك ؛ يقول :
تخلص من مكاره الزمان من كنت طلبته : أى من قصدك بإتباعه وخاب من لم يقصدك

أَحْيَيْتَ لِلشُّعْرَاءِ الشُّمْرَ فَأَمْتَدَحُوا جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَ^(١)
 وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ الْمَجْدَ وَأَقْتَدَرُوا عَلَى دَقِيقِ الْمَعَانِي مِنْ مَعَانِيكَ^(٢)
 فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ أَوْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلَقَ يَدَايِكَ^(٣)
 شُكْرُ الْعُفَاةِ لِمَا أَوْلَيْتَ أَوْجَدَنِي إِلَى نَدَاكَ طَرِيقَ الْعُرْفِ مَسْلُوكًا^(٤)

ويروى بدل ركب ركاب: ركب رجاء؛ أي قوم ركبوا وفي قلوبهم الرجاء ثم لم يقصدوك
 (١) يقول: إنك أحييت للشعراء الشعر بما أريتهم من دقائق الكرم والجد،
 وعلّمتهم من غوامض المعاني حتى استغنوا عن إخراجها بالفسر، فسهل عليهم الشعر حتى
 كأنه صار حياً بعد أن كان ميتاً، فامتدحوا ومدوحهم بما فيك من خصال الجود ومعاني
 الشرف وهي لك، غير أنهم ينخلونها بمدوحهم، وفي هذا نظر إلى قول ابن الرومي:

مدح الأولون قوماً بأخلا فِكْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرَى مَخْلُوقًا
 نخلوم ذخائراً لك بالببا طَلِ مِنْ قَوْلِهِمْ وَكَانَ زَهْوَقًا
 فانتزَعْنَا الحقوقَ مِنْ غاصبيها فَجَبَا صَادِقٌ بِهَا مَصْدُوقًا

وفي البيت التالي زيادة بيان لمقصوده.

(٢) مثله لأبي العتاهية:

شِيمٌ فَتَحَّتْ مِنَ الْمَدْحِ مَأْقَدَ كَانَ مُسْتَفْلِقًا عَلَى الْمَدَاحِ
 ولا بن أبي فتن:

يُعَلِّمُنَا الْفَتْحَ الْمَدِيحَ بِجُودِهِ وَيُحْسِنُ حَتَّى يُحْسِنَ الْقَوْلَ قَائِلُهُ
 وقال أبو تمام:

ولو لا خِلالَ سِنِهَا الشُّعْرُ مَا دَرَى بُنَاةَ الْعَلِيِّ مِنْ أَيْنَ تَوَنَّى الْمَكَارِمِ
 وقال أيضاً:

تُغَرِّمِي الْعَيُونَ بِهِ وَيُفْلِقُ شَاعِرُ فِي وَصْفِهِ عَفْوًا وَلَيْسَ بِمُفْلِقِ

(٣) يقول: كن على الحالة التي أنت عليها أو كما شئت فليس أحد يقاربك في
 أوصافك وأخلاقك، وإنما قال: كما شئت: لأنه لا يكون إلا على طريقة من الكرم
 والمجد بديعة في جميع أحواله.

(٤) العفاة: جمع عاف، وهو طالب العروف؛ وأوليت: أعطيت. وأوجدني:

وَعُظْمُ قَدْرِكَ فِي الْآفَاقِ أَوْهَمَنِي أُنِي بِقِلَّةِ مَا أَمْنَيْتُ أَهْجُوكَا^(١)
 كَفَى بِأَنْتَكَ مِنْ قَحْطَانَ فِي شَرْفٍ . وَإِنْ فَخَرْتَ فَكُلُّ مَنْ مَوَالِيكَ^(٢)
 وَلَوْ نَفَصْتُ كَمَا قَدَّ زِدْتَ مِنْ كَرَمٍ عَلَى الْوَرَى لَرَأُونِي مِثْلَ شَانِيكَ^(٣)
 لَبِي نَدَاكَ لَقَدْ نَادَى فَأَسْمَعَنِي يَفْدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِي وَأَفْدِيكَ^(٤)

جعلني أجد . يقول : إن شكر السائلين لمطائرك دلتني عليك ، فوجدت طريق العرف مسلوكا إليك فسلكته إلى جودك .

(١) الآفاق : النواحي . يقول : إن ثنائى يقل ويحقر في جنب قدرك حتى لتخيل الثناء هجاء إذ لم يكن على قدر استحقاقك ، قال البحرى :

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ الْمَدِيحِ قَدْرُكَ دِيكُونِ الْمَدِيحِ فِيهِ هِجَاءٌ

(٢) بأنك : الباء فيها زائدة ، وأن وخبرها : في موضع رفع فاعل كفى ؛ وفي شرف : خبر أن ؛ ومن قحطان : حال مقدمة عن الضمير المستتر في الخبر ؛ والشرط وما يليه : معطوف على خبر أنك ؛ والوالى : العبيد . يقول كفاك أنك من هذه القبيلة — قحطان — في موضع شريف أو نسب شريف فإن غفرت بهذا الشرف فكل بنى قحطان عبيدك .

(٣) الشانى : البغض ، وأصله الشانىء — بالهمز — فلينه للقافية ، يقول لوتقصت أنا عن الناس كما زدت أنت عليهم لرأونى فى الذلة والقله مثل عدوك الذى يبغضك ، وهذا من قول أبى عيينة :

لَوْ كَمَا تَنْقُصُ تَزِدَا دِ إِذْنِ نِلْتَ السَّمَاءَ

ثم نقله أبو تمام فقال :

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا إِذْنِ لَتَفَدَّتْ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ

(٤) لبي : تثنية لب — مثل لبيك ، واللبي : اسم من الإلباب ، وهو للالزمة يقال ألب بالمكان : إذا أقام به ؛ وإنما ثنوا اللب لأنهم أرادوا إلباباً بعد إلباب : أى إجابة بعد إجابة ؛ وهو يلزم الإضافة إلى ضمير المخاطب كقولهم لبيك ، ولم تسمع إضافته إلى غيره إلا شذوذاً كما فى هذا البيت ، وقوله من رجل : «من» زائدة ؛ والمجورور فى موضع نصب على التمييز . يقول : دعانى جودك فأسمعنى فأنا أجيبه فأقول لبي ندادك ، أو تقول : دعانى جودك بما ذاع ، من ثناء الناس عليه ، وها أنا ذا محجب لما يريد بى من الاحسان

مَا زِلْتُ تُبَسِّعُ مَا تُولِي بَدَأَ بِيَدِي حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ أَيَادِيكَ^(١)
فَإِنْ تَقُلْ هَا فَعَادَاتُ عُرِفَتْ بِهَا أَوْ لَا فَإِنَّكَ لَا يَسْخُو بِهَا فَوْكَ^(٢)

إلى وصوغ الديدع له . ثم دعا للمدوح فقال : يفديك من رجل صحي وأنا أفديك من بين الرجال .

(١) تولى : تعطى ؛ وبدا : بدل بعض من الموصول قبله : واليد : النعمة . يقول : لم تزل تبسع نعمة بنعمة حتى كثرت أيديك عندي فظننت أن حياتي كذلك من جملة عطاياك ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَا تَنْتَفِنِي بَعْدَ أَنْ رَشَيْتَنِي فَإِنِّي بَعْضُ أَيَادِيكَ^(١)

(٢) ها - هنا - بمعنى خذ . يقول : فإن قلت لي : خذ فذلك عادة معروفة لك وإن لم تقل خذ ، فإنك لا تقول لا - أي لا أعطيك أولا أقضى حاجتك - فإن فاك - فمك - لا يوجد بهذه الكلمة ، ولسانك لا يؤتيك عليها ، لأنك لم تعود ذلك ؛ وفي مثل هذا يقول الفرزدق :

مَا قَالَ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ لَوْلَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَاءُهُ نَعْمُ
ويقول أبو العتاهية :

وَإِنْ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْضِ لَا إِلَيْهِ كَيْبُفِضُ مَنْ قَالَهَا
ويقول العسكوك في أبي دلف :

مَا خَطَّ لَا كَاتِبَاهُ فِي صَحِيفَتِهِ كَمَا تَخَطُّ لَافِي سَائِرِ الْكُتُبِ
وحكى الواحدى قال أهدى العميرى إلى صاحب كتبها وكتب معها :

العميرى عبد كافي الكفاءة ، وَإِنْ اعْتَدَّ مِنْ وَجْهِ الْقَضَاءِ
خَدَمَ الْمَجْلِسَ الرَّفِيعَ بِكُتُبِ مُتْرَعَاتٍ مِنْ حَسَنَاتِ مَقْعَمَاتِ

(١) يقال راسه يريشه إذا أحسن إليه ، وكل من أوليته خيرا فقد رشته ، وتنف الريش نزعها ، والمراد هنا : سلبه ما أعطاه إياه .

ورود كتاب من ابن رائق على بدر بن عمار بإضافة الساحل إلى عمله فقال :

تُهَنَّا بِصُورِ أُمِّ نُهْنَيْهَا بِكَأَ وَقَلَّ الَّذِي صُورَهُ وَأَنْتَ لَهُ لَكَأَ^(١)
وَمَا صَغُرَ الْأَرْدُنُّ وَالسَّاحِلُ الَّذِي حُبِّيتَ بِهِ إِلَّا إِلَى جَنْبِ قَدْرِكَأَ^(٢)
تَحَاذَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوْ أَنَّهُا
نُفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالغَرْبُ نَحْوَكَأَ^(٣)

فكتب إليه صاحب

قد أخذنا من الجميع كتاباً وَرَدَدْنَا لَوْقَتَهَا الْبَاقِيَاتِ
لستُ أَسْتَفْهَمُ الْكَثِيرَ فَطَبْعِي قَوْلُ خُذْ لَيْسَ مَذْهَبِي قَوْلُ هَاتِ

(١) صور : بلد معروف بساحل البحر الأبيض من بلاد الشام وتنها بصور : أي
أنتها بصور ؛ لحذف همزة الاستفهام لمادلت عليه أم ولين همزة تنها للوزن . يقول : أنتها
بولاية صور أم نهى صوراً بك ؟ ثم قال : وقل لك الذي صور له وأنت له : أي أنت
أحد أصحابه « يعني ابن رائق ، يريد : لو كنت أنت ابن رائق - أي لو كنت تملك
ما يملكه - لقد ذلك قليلاً بالنسبة إلى ما تستحقه ، فصور - في الشطر الثاني - مبتدأ ؛
وأنت : عطف عليها ؛ وله خبر ؛ ولكا : متعلق بقول ؛ وفي مثل هذا . يقول إسحاق بن
إبراهيم الموصلي :

أُنْهِنِّيكَ بِطُوسٍ أُمُّ نُهْنَيْ بَكَ طُوسُهَا
أَصْبَحْتَ بَعْدَ طُلَاقٍ بِكَ يَا فَضْلَ عَرُوسَا

ويقول أشجع السلمي :

إِنْ خِرَاسَانَ وَقَدْ أَصْبَحْتَ تَرَفَعُ مِنْ ذِي الْهَمَّةِ الشَّانَا
لَمْ يَحِبُّ هَارُونَ بِهَا جَفْفَرًا لَكِنَّهُ حَابِي خِرَاسَانَ

[هرون : هو الرشيد ؛ وجعفر : هو جعفر البرمكي]

(٢) الأردن : معروف ؛ وحببت به : أعطيته : يقول : إن هذه الولاية إنما تصغر
بالنسبة إليك وإلى عظيم قدرك وإلافه عظمة الشأن في نفسها .
(٣) يقول : إن البلدان يحسد بعضها بعضاً على ولايتك ، فلو أن لها نفوساً تعقل

وَأَصْبَحَ مِصْرًا لَا تَكُونُ أَمِيرَهُ وَلَوْ أَنَّهُ ذُو مُقَلَّةٍ وَقَمَّ بِبَكِّي (١)

وسقاه بدر ولم يكن له رغبة في الشراب فقال :

لَمْ تَرَ مَنْ نَادَمْتُ إِلَّا كَا لَا لِيَسْوَى وَدَكَ لِي ذَا كَا (٢)
وَلَا لِحَبِيبِيَا وَلَكِنِّي أُمْسَيْتُ أَرْجُوكَ وَأَخْشَا كَا (٣)

لسمى إليك الشرق والغرب تهالكا عليك وتلمساً للافتخار بك ؛ ومثل هذا المعنى كثير في كلامهم ، قال أبو تمام :

لَوْ سَعَتْ بِلَدَةِ لِإِعْظَامِ نَعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانَ الْجَدِيبُ

وقال البحترى :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ

(١) مصر : أحد الأمصار ، أى المدائن الكبيرة . وأصبح - ههنا - تامة . والواو - من قوله ولو أنه - واو الحال ؛ وبكى : جواب لو ؛ أى لو كان للنصر الذى حرم إمارتك عين تدمع وفم يبين عن شكواه لبكى أسفا على أن لم تكن أميرا عليه .
(٢) يقول : لم تر أحداً غيرك نادمته ، وليس ذلك لشيء سوى ودك لى ؛ أى إنما أنادمك لأنك تودنى لا لمعنى آخر . فمن - ههنا - نكرة بمعنى أحد ؛ وإلاك : فيه قبيح ؛ والوجه : إلا إياك ، لأن «إلا» ليس لها قوة الفعل ، ولا هى أيضاً عاملة ، وهو جائز فى ضرورة الشعر ، كقول القائل :

فَمَا نُبَالِي إِذَا مَا كُنْتَ جَارَتَنَا أَنْ لَا يَجَاوِرَنَا إِلَّا كَ دِيَارِ (١)

(٣) لحبيبا : أى لحبى إياها - يعنى الحجر - كفى عنها وإن لم يجر لها ذكر : يقول : لست أنا دمك لأننى أحب الحجر ، ولكن لأنك مرجو لأوليائك مهيب يهابك ويخشاك أعدائك ؛ ومن كان كذا ، تجب طاعته .

(١) ديار : أحد ، يقال ما بالدار ديار : أى ما بها أحد ، وهو فيعال : من دار يدور

يقول : إذا كنت جارتنا فلا نكثر لعدم مجاورة غيرك لنا .

وقد كان تاب بدر بن عمار من الشرب مرة بعد أخرى ، فرآه أبو الطيب يشرب فقال ارجعاً :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نُدَمَاؤُهُ شُرَكَاءُ فِي مَلِكِهِ لَا مَلِكَ (١)
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبِينُنَا دَمُ كَرَمَةٍ لَكَ تَوْبَةٌ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْ سَفِكِهِ (٢)
وَالصَّدَقُ مِنْ شِيمِ الْكِرَامِ فَنبْنَا
أَمِنَ الشَّرَابِ تَتُوبُ أُمٌّ مِنْ تَرَكَهِ (٣)

وقال في محمد بن طنج وعو عند طاهر العلوي :

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ مِنَ الْبُرِّ رَوْ مِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَ (٤)
وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فِي وَقْتِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَ (٥)

* * *

وقال في أبي العشائر وعنده إنسان ينشده شعراً وصف فيه بركة في داره فقال :

لَيْتَ كَانَ أَحْسَنَ فِي وَصْفِهَا لَقَدْ تَرَكَ الْحُسْنَ فِي الْوَصْفِ لَكَ (٦)

(١) يقول : أنت ملك وندماؤك شركاؤك في مالك ، لافي ملكك ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

وَمَنْ كَثُرَتْ فِي مَالِهِ شُرَكَاءُهُ غَدَا فِي مَعَالِيهِ قَلِيلُ الْمَشَارِكِ

(٢) جعل الحر دم الكرم ، وجعل شربها سفكاً لذلك الدم . يقول : كل يوم تتوب من شرب الخمر ثم تتوب من تلك التوبة ، والتوبة من التوبة ترك التوبة .

(٣) يقول الصدق ديدن الكرام الأشراف تخبرنا عن أيهما تتوب ؟ قيل لما قال هذا ، قال له بدر بل من تركه ، وقوله : فنبتنا ، هي فنبتنا ، فترك الهمز .

(٤) و (٥) يقول - وكان عنده في مجلس الشراب ليلاً وأطال - : قد بلغت بنا ما أردت من الإكرام وقضيت حق هذا الشريف فقم إلى منزلك وإذا لم تقم خفت أن تجيء إليك الدار اشتياقاً إليك ومحبة لك .

(٦) يقول : إن كان قد أحسن في وصف البركة فقد ترك الحسن في وصفه إليك إذ لم يصفك ولم يمدحك .

لَأَنَّكَ بَجْرٌ وَإِنَّ الْبِحَارَ لَتَأْتَفَ مِنْ مَدْحِ هَذِي الْبِرْكَ (١)
 كَأَنَّكَ سَيْفُكَ لَا مَأْمَلُكَ يَبْقَى لَدَيْكَ وَلَا مَأْمَلُكَ (٢)
 فَأَكْثَرُ مِنْ جَرِيهَا مَا وَهَبْتَ
 وَأَكْثَرُ مِنْ مَائِهَا مَا سَفَكَ (٣)
 أَسَأْتَ وَأَحْسَنْتَ عَنْ قُدْرَةٍ وَذُرْتَ عَلَى النَّاسِ دَوْرَ الْفَلَكَ (٤)

وقال يمدح أبا شجاع عضد الدولة ويودعه ، وهو آخر ما قال ، وجرى فيها كلام كأنه يعنى نفسه وإن لم يقصد ذلك ، وأنشدها في شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وفيها قتل :

فِدَاكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلِكٌ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ (٥)

(١) يقول : كان وصفه لك أولى من وصف البركة لأنك بحر والبحار تأنف من البرك لاستصغارها إياها ؛ قال الواحدي : والذى سمعته في معنى البيتين أن ذلك الشاعر كان قد شبه البركة بأبي العشائر ؛ فقال أبو الطيب إنه قد ترك الحسن في وصفك حيث شبهها بك ، وأنت بحر والبحر فوق البركة بكثير .
 (٢) يقول : أنت كسيفك لأنك تنفى ما تملكه فلا يبقى لديك ، وكذلك سيفك يعنى ما ينظر به فلا يدع أحدا حيا ؛ وجعل السيف مالكا - حيث قال ولا ما ملك - مجازاً ، ويقال ملكتهم السيوف : إذا لم يمتنعوا منها .
 (٣) من جريها : أى من جرى ماء البركة . يقول : إن ماجرى من هياتك وعطايك أكثر مما جرى من ماء البركة ، وما سفك سيفك من الدماء أكثر من مأها .
 (٤) يقول : أسأت إلى أعدائك وأحسنيت إلى أوليائك عن قدرة وعممت الناس بالخير والشر عموم الفلك إياهم بالسعد والنحس .

(٥) يقول : يفديك كل من لم يبلغ غايتك ؛ وإذن يفديك جميع الملوك ، لأنه لم يبلغ ملك غايتك وكلهم دونك . وقد أخذ هذا المعنى أبو إسحاق الصابى فقال :
 أيهذا الوزير لا زال يفديك لك من الناس كل من هو دونك
 وإذا كان ذاك أوجب قولى أن يكونوا بأسرهم يفدونك
 هذا : ويقال فداء يفديه فداء وفداه يفاديه مفاداة : إذا أعطى فداءه وأتقذه ؛ وفداء بنفسه وفداء : إذا قال له جملة فديك . قال صاحب الصحاح : الفداء إذا كسر

وَلَوْ قُلْنَا فِدَىٰ لَكَ مَنْ يُسَاوِي دَعْوَنَا بِالْبَقَاءِ لِمَنْ قَلَاكَ (١)
وَأَمَّا فِدَاءُكَ كُلِّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ لِمَلِكَةٍ مِلاكَ (٢)

أوله يد ويقصر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال قم فدى لك أبى ، ومن العرب من يكسر فداء - بالتونين - إذا جاور لام الجر خاصة ، فيقول فداء لك ، لأنه نكرة . يريدون به معنى الدعاء وأنشد الأصمعي للنابغة :

مَهْلًا فِدَاءُ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ وَمَا أُمِرُّ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ

وقال الفراء : العرب تقصر الفداء وعمده يقال هذا فداؤك وفداك ، وربما فتحوا الفاء إذا قصروا ، فقالوا فداك . وقال في موضع آخر : من العرب من يقول فدى لك فيفتح الفاء ، وأكثر الكلام كسر أولها ، ومدها . وقال النابغة - وعنى بالرب : - النعمان بن المنذر -

* فِدَىٰ لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفٍ وَتَالِدَى *

(١) قلاك : أبغضك ، يقال قلاه يقلبه قلبه وقلاه إن فحنت القاف مددت ومقلية : أى أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه . وحكى سيديويه قلاه يقلاه وهو نادر ؛ وفي الحديث : « وجدت الناس أخبر ثقلة (١) » وتقلى الشيء تبغض قال كثير :

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَةٌ إِنْ تَقَلَّتْ (٢)

يقول التنبي : ولو قلنا بفديك من يساويك لكان ذلك دعاء منا لأعدائك بالبقاء ، لأنهم كلهم دونك ولا يساوونك : وقال ابن جنى : المراد أن الخلق كلهم فداء للمدوح لأنهم يقصرون عن مدها فإذا قلنا فداك من يساويك منهم دون غيرهم لكان هذا دعاء لمن يبغضك من الملوك بالبقاء لأنهم لا يساوونك في الملك ، بل يقصرون عنك .

(٢) وآمنا : عطف على قوله دعونا . وملاك الشيء : قوامه . يقول : ونأمن أن تكون كل نفس فداءك ولو كانت نفس ملك كبير الشأن تقوم مملكته به ويضمن لها البقاء ببقائه : إذا كان بفديك من يساويك لأنهم جميعاً يقصرون عنك ؛ وعبرة العكبرى : المعنى : قد آمنت أن تفديك نفوس الخلائق أجمعين ؛ وملوكتهم المترفين ، وإن كان من

(١) يقول جرب الناس ؛ فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم . لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الخبر : أى من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم ، ومعنى نظم الحديث : وجدت الناس مقولا فيهم هذا القول .

(٢) خاطب ثم غاب .

وَمَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الْحَبِّ جُوداً وَيَنْصِبُ تَحْتَ مَا نَثَرَ الشَّبَاكَ (١)
 وَمَنْ بَلَغَ التَّرَابَ بِهِ كِرَاهُ وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ الشُّكَاكَ (٢)
 فَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ صَدِيقاً لَقَدْ كَانَتْ خَلَا تُقُهُمْ عِدَاً (٣)
 لِأَنَّكَ مُبْغِضٌ حَسَبًا نَحِيفًا إِذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَاهُ ضِنَاكَ (٤)

بين تلك النفوس من هو ملاك ، ومن ينفرد بعلو منزلة ، فهم عند إصافتهم إليك كالعوام الذين لا يحصل لهم نفع ، والسوام الذين لا حظ لهم في الملك . . . قوله فداءك : مفعول ثانٍ لآمننا مقدّم ، وكل نفس : مفعول أول .

(١) ومن يظن : عطف على قوله كل نفس . ويظن : يفتعل ، من الظن . وهذا تعريض بسائر الملوك ، يشير إلى أنهم يجودون طمعاً في جر المنافع ، كمن نثر حباً تحت شبكة لم يعد ذلك جوداً بالحب ، لأنه إنما نثر لأخذ الصيد الذي هو خير من الحب .

(٢) الكرى : النعاس ؛ والسكاك : الهواء الذي يلاقى عنان السماء . ومن بلغ التراب : روى ومن بلغ الحضيض . يقول : وآمننا فداءك كذلك من ألقاه عماء وغفلته بالتراب أو بالحضيض - وإن علت رتبته وحاله من ناحية المال والثراء حتى بلغ أعنان السماء ، فحسبهم أنهم دونك .

(٣) الصديق : يقع على المذكر والمؤنث والجمع والتثنية ؛ وعداك : جمع عدو ؛ والحلائق : بمعنى الأخلاق . يقول : إن هؤلاء الملوك إن ولتلك قلوبهم فقد عادتكم أخلاقهم لأنها مضادة لأخلاقك . يريد أن هؤلاء الملوك وإن كانوا يوادونك فإن بينك وبينهم بوناً بعيداً ، إذ لم يبلغوا كرم أخلاقك ولا شرف نفسك ، وقد بين ذلك في البيت التالي .

(٤) الحسب : ما يحدثه الرجل لنفسه من المفاخر ، والضناك : الموثق الخلق المكتنزة ، يكون ذلك في الناس والإبل ، الذكر والأنثى فيه سواء ، وامرأة ضناك : ضخمة - من الضنك الذي هو الضيق ، كأن الجلد ضاق بكثرة اللحم . قال العجاج يصف جارية :

فَهِ ضِنَاكَ كَالْكُتَيْبِ الْمُنْهَالِ عَزَزَ مِنْهُ وَهُوَ مَعْطَى الْأَسْهَالِ

* ضَرْبُ السَّوَارِي مَتْنُهُ بِالْمُنْهَالِ * (١)

(١) الضناك : الضخمة - كالكتيب الذي ينهال عزر منه - أي سدد من الكتيب ضرب السواري : أي أمطار الليل ، فإزحم بضنه بعضاً . شبه خلقها بالكتيب وقد أصابه المطر ، وهو معطى الأسهال : أي يسطيك سهولة ماشيت .

أُرُوحٌ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي بِحَبِّكَ أَنْ يَجِلَّ بِهِ سِوَاكَ (١)
 وَقَدْ حَمَلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا نَقِيلًا لَا أُطِيقُ بِهِ حَرًّاكَ (٢)
 أَحَازِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمَطَايَا فَلَا تَمْشِي بِنَا إِلَّا سِوَاكَ (٣)
 لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُهُ رَحِيلًا يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَ (٤)

يبين المنفي الوجه في معاداة أخلاقهم له ، يقول : إنك تبغض أن ترى أحداً قلت مفاخره ، وهو كثير المال يقدر على كسب المال والحمد ، ولكنه لا يفعل ذلك لشحه وصغر همته ، والنحف والضناك : استعارة ، ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم :

سَلِيلٌ خِلَافَةٌ وَغَذَى مُلْكٍ جَسِيمٌ مَحَامِدٍ مَنُوهُكِ مَالٍ

(١) يقول : أروح عنك وقد ختمت على قلبي بحبك واستخلصته لنفسك بما ترادف على من برك فلم يدع حبك فيه لعيرك مكافأ ينزل بساحته ؛ وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :

لَا أَشْرِكُ النَّاسَ فِي مَحَبَّتِهِ قَلْبِي عَنِ الْعَالَمِينَ قَدْ خُتِمًا

(٢) وقد حملتني : عطف على الحال - في البيت السابق - والحراك بمعنى الحركة . كفى بثقل الشكر عن كثرة النعم التي تقتضيه ، وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مَعْتَدِرًا مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفًا

لَا تُسَدِّينَ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا

(٣) الضمير - في يشق - للشكر ؛ والسواك : بطن السير من عجب أو إعياض ، يقال تتساوك الدواب سواكا : إذا مشت هزلي ضعيفة ، قال الشاعر :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا جَرَى بِجِيَادِنَا تَسَاوَكُ هَزَلِي مُحْنٌ قَلِيلٌ

يقول : أحاذر أن يشغل هذا الشكر على دوابي لكثرة ما حملتني منه - وللراد النعم - فلا تمشي بنا إلا ضعيفة .

(٤) الضمير في يجمعه : للرحيل ، وأراد يجعل هذا الرحيل رحيلًا ، فأضمر للأول

جوفه بالثاني . والنرا : الكنف والتأحية . يقول : أسأل الله أن يجعل هذا الفراق سببًا لإقامتي عندك بأن أصلح أموري وأعود إليك ، أو بأن أحمل أهلي إلى حضرتك فأقيم عندك فارغ البال ؛ وفي هذا نظر إلى قول عروة بن الورد :

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَدْرِ أُنَى لِلْمُقَامِ أَطْوَفُ

وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ حَتَّىٰ أَرَاكَ (١)
 وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَقَدْ كَفَانِي نَدَاكَ الْمُسْتَفِيضُ وَمَا كَفَاكَ (٢)
 أَتَتْهُ كُنْيَا: وَعَيْنُ الشَّمْسِ نَعْلِي فَتَقَطَعَ مِشْيَتِي فِيهَا الشَّرَاكَ (٣)
 أَرَىٰ أَسْنِي وَمَا سِرْنَا شَدِيدًا فَكَيْفَ إِذَا غَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكَ (٤)

وقول أبي تمام :

أَلْفَةَ النَّجِيبِ كَمْ افْتِرَاقٍ أَظَلَّ فَكَانَ دَاعِيَةً اجْتِمَاعٍ
 وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأُوبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَىٰ تَرَجِ الْوَدَاعِ
 (١) يقول : لو قدرت لغمضت عيني ولم أرفع بصري إلى أحد بالنظر إليه حتى
 أعود إليك ، قال أبو النجم :

لَمَّا تَبَيَّنْتُ أَيَّ لَا أُعَايِنُكُمْ غَضَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ أَحَدًا
 وقال صريع التواني :

إِنْ يَحْجُبُوهَا عَنِ الْعُيُونِ فَقَدْ حَجَبْتُ طَرْفِي لَهَا عَنِ الْبَشْرِ
 (٢) يقول : كيف أصبر عنك وقد كفاني ماجدت به على ولم يكفك ذلك فتأني إلا
 أن تعطيني فوق ما أعطيتني وأنا غير مستزيد ، فكيف والحال هذه أصبر عنك ولا
 أسرع العود إليك : وفيه نظر إلى قول البحري :

فَلَمْ أُمْلَ إِلَّا مِنْ مَوَدَّتِهِ يَدِي وَلَا قَلْتُ إِلَّا مِنْ مَوَاهِبِهِ : حَسْبِي
 (٣) أتركني : أراد أتركك فقلب ، ومثله كثير ، لأن من تركته فقد تركك ؛
 والاستفهام إنكارى : أى لا أتركك ، ونصب « فتقطع » لأنه جواب الاستفهام :
 والشراك : سير النعل . يقول : إذا كنت بحضرتك كنت من الرفعة بمنزلة من اتعل
 عين الشمس ، وإذا فارتقت فارتقتى هذه الرفعة ، فكأني مشيت في تلك النعل حتى
 قطع مشي شرا كها . وإليك عبارة ابن جنى : بحصولي عندك وقصدي لك شرفت عند
 الناس ، فإذا بدت عنك زال ما كسوته من الشرف والرفعة فصرت بمنزلة من كانت
 نعله عين الشمس فمشى فيها فاقطع شرا كها فسقط من رجله .

(٤) وما سرنا : حال معترضة بين مفعولى أرى ، والابتراك : سرعة السير ؛ وأصله
 السقوط على الركب . يقول : أرى أسنى لمفارتك شديدا وأنا لم أسر بعد ، فكيف
 يكون أسنى إذا جد بنا المسير ؟ وفي هذا المعنى يقول سحيم عبد بن الحساس :

وَهَذَا الشَّوْقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ فَهَا أَنَا مَا ضُرِبْتُ وَقَدْ أَحَاكَ (١)
 إِذَا التَّوَدِّيعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي عَلَيْكَ الصَّمْتُ لِصَاحِبَتِ فَأَاكَ (٢)
 وَلَوْلَا أَنْ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّى مُعَاوَدَةً لَقُلْتُ وَلَا مُنَاكَ (٣)

أَشَوْقًا وَلَمَّا يَمُضِ غَيْرُ لَيْلَةٍ فكيف إذا جدَّ المطىُّ بنا عشرًا؟
 وقال أشجع السلمي :

فَهَا أَنْتَ تَبْسِكِي وَهُمْ حَبِيرَةٌ فكيف تسكون إذا ودَّعوا
 لَقَدْ صَنَعُوا بِكَ مَا لَا يَحْمِلُ ولو راقبوا الله لم يصنعوا
 أَتَطْمَعُ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْفِرَاقِ مُحَالٌ لَعَمْرُكَ مَا تَطْمَعُ
 وقال آخر :

لَقَدْ كُنْتُ أَبِيكَ خَيْفَةً لِفِرَاقِهِ فكيف إذا بَانَ الحبيبُ فودَّعَا

(١) البين : الفراق ؛ والظرف : حال مقدمة من السيف ؛ وحاك وأحاك - لغتان -
 - أُر . والبين : البعد والفراق . يقول : هذا الشوق عمل في عمل السيف ولم تتفارق
 وأُر في تأثيره ولم أضرب به بعد ! أى إذا كان هذا حال الشوق قبل الفراق فكيف
 يكون بعده ؟

(٢) أعرض الشيء : بدا وظهر ؛ وعليك : اسم فعل بمعنى الزم . يقول : إذا
 حضر الوداع قال لى قلبى الزم الصمت بعد مفارقتة ولا تمدح غيره ، فقوله لا صاحبت
 فاك : أى لانطقت . وقال بعض الشراح : أى لا تتكلم بالوداع .

(٣) معاودة ؛ خبر أن . والى : جمع منية وهو ما يتمناه الإنسان . يقول : لولا
 أن أكثر ما تمناه قلبى أن أعود إليك لقلت له ولا بلغت أنت أيضا منك فى الارتحال
 حتى لا أفارقه ، ولكنه يتمنى الارتحال للعود إلى الممدوح . وعبارة بعض الشراح :
 قوله ولا مناك : أراد ولا صاحبت منك - بضم تاء صاحبت - ضمير الشاعر ، أو
 بفتحها خطابا للقلب على أحد الوجهين - فى البيت السابق - يقول : ولولا أن أكثر
 ما تمناه قلبى أن أعود إليك لقلت له ولا صاحبت منك أيضا : أى لا كانت لك منية
 تتمناها ، وهو دعاء عليه بالياس ، وذلك لأن قلبه يتمنى الرجوع حينئذ ، فهو من جملة
 تلك الذى ؛ يعنى أنه كان يدعو عليه بزوال الذى لزول هذه المنية من بينها فيبقى
 عند الممدوح .

قَدْ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءِ بَدَاهِ وَأَقْتُلُ مَا أَعَلَّكَ مَا شَفَاكَ (١)
 فَأَسْتُرُ مِنْكَ تَجْوَانَا وَأَخِي هُمُومًا قَدْ أَطَلْتُ لَهَا الْغِرَاكَ (٢)
 إِذَا عَاصَيْتَهَا كَانَتْ شِدَادًا وَإِنْ طَاوَعْتَهَا كَانَتْ رِكَاكَ (٣)
 وَكَمْ دُونَ الثَّوْبَةِ مِنْ حَزِينٍ يَقُولُ لَهُ قُدُومِي ذَا بَدَاكَ (٤)

(١) استشفيت : طلبت الشفاء . يقول : مخاطبا قلبه - : قد طلبت الشفاء من داء الشوق إلى الأهل والوطن بداء الفراق للمدوح ، وما شفاك من داء الشوق هو أقتل مما أعلك : أى أنك تداويت من فراقه بما هو أقتل لك من الشوق إلى الأهل . ويرى إذا استشفيت فأقتل : أى إذا استشفيت من داء الشوق إلى الأهل بداء فراق المدوح ، فالداء الذى يشفيك هو أقتل الداءين ؛ يعنى إذا داويت شوقك بفراقه فقد داوته بما هو أقتل لك من الشوق . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : إذا كان سقم النفس بالجهل كان شفاؤها بالموت ، وهو منقول أيضا من قول حميد بن ثور :
 أَرَى بَصْرِي قَد رَأَيْتَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسَلَّمَ
 وقال بعضهم :

أَفْضَى بِكَ الْمَجْرُ إِلَى أَلْمَا فَجُتَّ مِنْ دَاءِ إِلَى دَاءِ
 (٢) النجوى : الحديث الخفى . يقول : فلست عنك ياعضد الدولة ما يجرى بينى وبين قلبى من المناجاة ، وأخفى عنك هموم فراقك التى قد أطلت عرا كها ومغالبتها .
 (٣) الركاك : الضعاف ، جمع ريك : أى ضعيف . يقول : إذا عاصيت هذه المموم - هموم الشوق إلى الأهل - ولم أجبها إلى السفر والرحيل اشتدت على وإذا طاوعتها وأزمت الرحيل ضعفت وهانت . وقال الواحدى : المعنى : إذا عاصيت هذه المموم فى فراق المدوح اشتدت على وإن طاوعتها فى الإقامة عنده سهلت شدتها .
 ومثل هذا قول أبى العتاهية :

كَمْ أُمُورٍ عَاصَيْتُهُنَّ زَمَانًا ثُمَّ هَوَّتَهَا عَلَى فَهَانَتِ
 (٤) الثوبية ؛ مكان بالكوفة . وذا . مبتدأ ؛ خبره : الظرف بعده . يقول : كم دون هذا المكان من إنسان حزين لفراقى إذا قدمت عليه سر بقدمى فيقول له القدم هذا السرور بذلك الغم الذى كنت لقيته بالبعد ، كما قال أبو تمام :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةَ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ طَلَى تَرَحَّ الْوَدَاعِ
 (٩ - اللئى ٣)

وَمِنْ عَذْبِ الرُّضَابِ إِذَا أَنْخْنَا يُقْبَلُ رَحْلُ تَرْوِكَ وَالْوَرَاكَ^(١)
يُحْرَمُ أَنْ يَمَسَّ الطَّيِّبَ بَعْدِي وَقَدْ عَبِقَ الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَ^(٢)
وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ وَيَمْنَحُهُ الْبِشَامَةَ وَالْأَرَكَ^(٣)
يُحَدِّثُ مُفْلَتِيهِ النَّوْمُ عَنِّي فَلَيْتَ النَّوْمَ حَدَّثَ عَنِّي نَدَاكَ^(٤)

وقال ابن الرمي مخاطب أمه وقد أراد سفراً :

فَقُلْتُ لَهَا إِنْ أَكْتَابَا بِشَاخِصٍ سَيَتَّبِعُهُ اللهُ ابْتِهَاجًا بِقَادِمٍ
(١) ومن عذب : عطف على من حزين ؛ والرضاب : الريق ؛ وأنخنا : أى
أنخنا مطايانا وهو كناية عن النزول . وتروك : إسم ناقة حملها عضد الدولة ؛
والوراك : الثمرقة : التى تلبس مقدم الرحل ثم تثنى تحته زين بها ، والجمع ورك .
قال زهير :

مَقْوَرَةٌ تَنْبَارَى لَا شَوَارَ لَهَا إِلَّا الْقَطُوعُ عَلَى الْأَجْوَازِ وَالْوُرُكِ^(١)
يقول : وكه هناك من شخص عذب الرضاب يشتهى تقبيل فيه إذا وصلنا فأنخنا
مطايانا قبل رحل ناقى ووراكها لأنها أدنى إليه .
(٢) صاك به الطيب يصيك : أى لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلِكَ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبِّ ابِ صَاكَ الْعَبِيرُ بِأَجْلَادِهَا
والعبير أخلاط من الطيب . يقول : إن هذا الشخص لم يمس بعدى طيباً حزناً على
فراقى ، وهو مع ذلك تشم منه روائح الصب حتى لكأن الطيب قد لصق به .
(٣) الثغر : مقدم الأسنان ؛ والطيب : العاشق ؛ والبشام والأراك : نوعان من
الشجر يستاك بفروعهما . يقول : لا يصل إلى ثغره عاشق لتصونه وعفته ولكنه يبذل
ثغره لسواك المتخذ من هذين الشجرين .

(٤) يقول : إذا نام هذا الشخص المولع بقدمى رأى خيالى فى النوم ، فليت نومه
حدثه عن إحسانك إلى حق يعذرنى فى الإقامة عندك .

(١) الشوار والشارة : اللباس والهيئة ، ويقال : جاءت الإبل مقورة : أى شاسفة
يابسة - من الضمر ، والمقور أيضاً من الخيل الضامر ، والقطوع : جمع قطع ، الطنفسة
تكون تحت الرحل على كفتى العبير ، والأجواز : الأوساط .

وَأَنَّ الْبُخْتَ لَا يُعْرِفَنَّ إِلَّا وَقَدْ أَنْضَى الْعَذَافِرَةَ اللَّكَاكَ^(١)
 وَمَا أَرْضَى لِقُلْتِهِ بِحُلْمٍ إِذَا أَنْتَهَتْ تَوْهَمُهُ أُبْنِشَاكَ^(٢)
 وَلَا إِلَّا بَأَنَّ يُصْنِي وَأُحْكِي فَلَيْتَهُ لَا يَتِيَمُهُ هَوَاكَ^(٣)
 وَكَمْ طَرِبَ السَّمِيعَ لَيْسَ يَدْرِي أَيْعَجَبُ مِنْ ثَنَائِي أَمْ غَلَاكَ^(٤)
 وَذَاكَ النَّشْرُ عَرَضُكَ كَانَ مِسْكَ^(٥)
 وَذَاكَ الشَّعْرُ فِهْرِي وَالْمَدَاكَ^(٥)

(١) البخت الجمال الحراسانية ، وروى البدن : أى السمان من الإبل ؛ ويعرفن : أى يأتين العراق ؛ والكوفة بلد أبو الطيب - : أحد بلاد العراق وأنضى العذافرة : أى هزلها ؛ والضمير للندى ؛ والعذافرة الناقة الشديدة ؛ واللكاء : المكثرة اللحم . يقول : ولت النوم حدث هذا الشخص أن ركابنا لا تبلغ العراق إلا وقد أنضاهها ثقل ما حملت من عطاياك .

(٢) الابتشاك : الكذب . يقول : وإن حدثه النوم عنى فليست أرضى له بحلم إذا انتبه من نومه تومه كذبا : أى أى أبى عليه إلا أن يرانى فى اليقظة على ما وصف له الحلم .
 (٣) ولا إلا : أى ولا أرضى إلا ، غذف الفعل للعلم به . يقول : ولا أرضى بشيء إلا بأن يستمع إلى وأحكى ما أغدقته على من نعمك وإفضالك ، فليته عند ذلك لا يتيمه هواك ويستعبده حبك لأن الإحسان يستعبد الإنسان ؛ و«فليته» و«لا يتيمه» على حذف إشباع الضمير ، وهى رواية ابن جنى ، وروى فليتك . وأسكن الباء من يصنى وأحكى ضرورة أو على لغة .

(٤) يقول : وكم من إنسان تطرب مسامحه إذا سمع شعري فيك ولا يدرى أيتعجب من حسن ثنائى عليك أم من علوشأنك الذى يقتضى هذا الثناء ؛ وعبرة العكبرى : والمعنى كلاهما محجب لأنى أثبت فى شعري من فضلك وأظهرت فيه من مدحك ما ليس يدرى عند سماعه لذلك ، أيعجب من علاك وما تبلغه من الرفعة والجلالة أم من ثنائى ؟
 (٥) النسر : الرأحة الطيبة ؛ ويريد به : اثناء ؛ والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والفهر : الحجر الذى يسحق به الطيب ؛ والمداك : الصلاة التى يداك عليها أى يدق ويسحق . يقول : ذاك الثناء الطيب الرأحة الذى هو عرضك كان بمنزلة المسك ؛ وكان شعري بمنزلة الفهر والمداك لذلك المسك ، وطيب المسك إنما يظهر من الفهر والمداك ؛ كذلك رأحة الشتاء إنما تفوح بالشعر ؛ كما قال ابن الرومى :

فَلَا تَحْمَدُهُمَا وَأَحْمَدُ هُمَا إِذَا لَمْ يُسْمَحَامِدُهُ عَنَاكَ (١)
 أَعْرَ لَهُ شِمَائِلُ مِنْ أَبِيهِ غَدَا يَلْقَى بَنُوكَ بِهَا أَبَاكَ (٢)
 وَفِي الْأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدِ وَأَخْرُ بِدَعَى مَعَهُ أَشْتَرَاكَ (٣)
 إِذَا أَشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودِ تَبَيَّنَ مَنْ بَسَكَ يَمِّنَ تَبَاكَ (٤)
 أَذَمَّتْ مَكْرُمَاتُ أَبِي شُجَاعِ لَعْنِي مِنْ نَوَايَ حَلَى أَوْلَاكَ (٥)

وما ازدادَ فضلُ فيكَ بِالمدحِ شهرةً بَلَى كَانَ مِثْلَ الْمِسْكِ صَادَفَ مَخُوضَا
 [الخوض : الذي يحرك به الطيب ؛ وذلك لا يزيد الطيب فضلا بل يظهر رائحه ،
 كذلك هذا الشعر يظهر فضائل المدوح للناس ولا يزيده فضلا] .

(١) الهام : الملك العظيم الهمة . يقول : لا نحمد الفهر والذالك اللذين جعلتهما
 مثلا لشمرى واحمد نفسك فإنك تستحق الحمد بمصالحك الحميدة . وقوله إذا لم يسم حامده
 يعني بحامده نفسه . يقول : إذا حمدتك بذكر إنيامك ولم أذكر اسمك كنت أنت
 للعنى بذلك الحمد ، لأنه لا يليق إلا بك ؛ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

وإن جرت الألفاظُ مِنَّا بِمدحَةٍ لغيرِكَ إنسانًا فأنْتَ الذي نَعْنِي
 (٢) أعر : صفة لهما ؛ والمراد بالأعر : الشريف ؛ والشمائل : الأخلاق . يقول
 أنت ورثت شمائل أبيك ، وكما ورثتها من أبيك تورثها بئيك ، فهم غدا : أى إذا شبوا
 عن الطوق وظهرت تلك الشمائل فيهم - يلقون أبالك بها فيرى شمائله فيهم كما رآها فيك .
 قال الواحدى : وكان حقه أن يقول أباهم ، لكنه قال أبالك : إشارة إلى أنهم لم يبلغوا
 بعد رتبته حتى يشبهوه ، بل يشبهون أباه .

(٣) يقول : إن حال الأحباب تتشابه ، ففهم من يكون حزيننا عند فراق أحبته
 مختصا بالوجد دون غيره ، وفهم من يدعى الاشتراك في الوجد وليس لدعواه حقيقة ،
 يريد أنه صحيح الود والموالاة غير مدخول المحبة ، فليس كمن يدعى الاشتراك
 على غير حقيقة .

(٤) اشتبهت : تشابهت ؛ وتباكى : تكلف البكاء . يقول : إذا تشابهت الدموع
 ظهر الذى يبكى عن حزن دفين فى القلب ممن يتكلف البكاء وقلبه خال من دواعيه .
 (٥) يقولون : أدم له من فلان : أخذ له الذمة والعهد ، وأدم له على فلان : أخذ
 له الذمة ليحيره منه ؛ والنوى : البعد ؛ وأولاك : لغة فى أولئك ، وقد اختلف الشراح

فَزُلْ يَا بُعْدُ عَنْ أَيْدِي رِكَابٍ لَهَا وَقَعُ الْأَسِنَّةُ فِي حَشَاكَ (١)
وَأَيَّا شِئْتِ يَا طُرُقِي فَكُونِي أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكَ (٢)
فَلَوْ سِرْنَا وَفِي تَشْرِينَ خَمْسٌ رَأَوْنِي قَبْلَ أَنْ يَرَوْا السَّمَاءَ (٣)

في معنى البيت ، فذهب ابن جنى إلى أن المعنى : أن مكرمات أبي شجاع أخذت لعيني عهداً من البعد أن تكون في مأمن من تلك الدموع : أى دموع التباكي ، يعنى أن مكرماته تمنع عيني أن تجرى على فراقه دموعاً كاذبة لأنه قد ملك قلبي بإحسانه ، فأنا أبكي على الحقيقة لا تكلفاً ، فالإشارة في أولها كالدموع الكاذبة . وقال الواحدى : إن مكرماته منعت عيني وعقدت لها عقداً على أهل من فراق عضد الدولة ، يريد أنى أشتهى ملازمتك والبعد عن أولئك ، فالإشارة في أولها كالأهل ، وهذا على رواية نواى ؛ وروى : نواى - مقصور الثوى - أى المقام ، يعنى أن مكرماته أذمت لعيني من المقام عليهم - أى على أهل - أى عقدت لعيني عقداً يؤمنها من النظر إلى أولئك . يريد أنها قصرتها على عضد الدولة فلا تنظر إلى غيره ، ويكون على أولها كاتعلق بالثوى .

(١) الركاب : الإبل تحمل القوم ؛ والأسنة : نصال الرماح . يخاطب البعد ، يقول :

تمح عن أيدي هذه المطايا فإنها تقطعك كما تقطع الأسنة الأحشاء .

(٢) قال الواحدى : هذا كلام ضجر ، يقول - لطريقه - : كوني كيف شئت فإنى لا أبالي وإن كان الهلاك في سلوكك ، قيل إن عضد الدولة قال تطيرت عليه من تركه النجاة بين الأذاة والهلاك .

(٣) تشرين : اسم لشهرين بين أيلول وكانون الأول من السنة الشمسية : تشرين الأول وهو الشهر العاشر وأيامه ٣١ ، وتشرين الثانى وهو الحادى عشر وأيامه ٣٠ ؛ والسما كان : كوكبان نيران ، يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه ، وللآخر : السماك الأعزل لأنه ليس أمامه شيء ، والمراد هنا : السماك الأعزل ، وقد كان هذا النجم يطلع في الثالث عشر من تشرين الأول . يقول : لو سرننا وقد مضت خمس ليال من تشرين الأول لبلغت الكوفة قبل أن يطلع هذا الكوكب ، فرأى أهلها قبل أن يروه ؛ يريد أنه لسرعة سيره وإدابه السير لا يمضى عليه أسبوع حتى يبلغ الكوفة - بلده - وهذا مبالغة ، لأن بين شيراز بلد عضد الدولة وبين الكوفة ما يزيد على عشرين مرحلة .

يُشَرِّدُ يُبْمِنُ فَنَاقُخَسِرَ عَنِّي قَنَا الْأَعْدَاءَ وَالطَّعْنَ الدَّرَاكَ (١)
 وَأَلْبَسُ مِنْ رِضَاهُ فِي طَرِيقِي سِدِّحًا يَذْعَرُ الْأَبْطَالَ شَاكَ (٢)
 وَمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ إِذَا أُنْفَرْنَا وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلَاكَ (٣)
 وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءِ يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ أُمْدَسَاكَ (٤)
 حَيِّيُّ مِنْ إلهِي أَنْ يَرَانِي وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَأَصْطَفَاكَ (٥)

(١) فناخسرو : اسم عضد الدولة ؛ والظعن الدراك : المتابع . يقول : سعده
 ويمنه يطرد عن رماح الأعداء وطمعنا المتتابع .

(٢) سلاح شائك وشاك - على حذف العين - حاد ذو شوكة يقول : رضاه عن
 بمنزلة السلاح الحاد أخوف به الأعداء الأبطال فيجبنون عنى . هذا : والسلاح اسم
 جامع لآلة الحرب ، وخص بعضهم به ما كان من الحديد - يؤث ويذكر والتذكير
 أعلى ، لأنه يجمع على أسلحة ، وهو جمع المذكر - مثل حمار وأحمره ورداء وأردية -
 ويجوز تأنيته . قال الطرماح - يذكر ثوراً يهز قرنه لكلاب الصيد ليطعنها به :

يَهْزُ سِلَاحًا لَمْ يَرِنْهَا كِلَالَةً يَشْكُ بِهَا مِنْهَا أَصُولُ الْمَغَابِنِ (١)

(٣) هذا استفهام إنكارى . يقول : إذا فارقتك لم أجد خلفا عنك أعتاضه من
 جميع الناس لأنهم كلهم بالقياس إليك زور وباطل ، لهم صورتك وليس لهم معنالك ،
 وهذا كقول عمران ابن حطان :

أُنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

(٤) يقول : أنا في انطلاق من عندك وسرعة عودى إليك كالسهم إذا رمى به في
 الجو فإنه لا يصادف ما يمسكه هناك فلا يلبث أن يتقلب ويعود إلى الأرض يشير بهذا
 البيت والذي قبله إلى أنه ينوى الرجوع إليه .

(٥) حيي : أى أنا حيي . وقد فارقت دارك : حال . يقول : إني أستحي من إلهي
 أن يراني وقد فارقتك وزهدت فيك ، وهو سبحانه وتعالى قد اصطفاك ووكّل إليك
 أرزاق العباد ، فكأنى إذ فعلت قد شاققت الله سبحانه ولم أرض باختياره . وروى ابن

(١) سمي روقه سلاحاً لأنه يذب بهما عن نفسه ؛ والعرب . تقول : لم يرته كلاله
 أى لم يرته عن عرض بل عن قرب واستحقاق .

جنى : واصطفاكا - بكسر الطاء - قال وهو من باب قصر المدود ، واستشهد على قصره بأشعار ، وقصر المدود كثير ، وأنشد فيما أنشد :

وأنتَ لو باكرتَ مَشْمُولَةً صَفْرًا كَلَوْنَ الفرسِ الأشقرِ

وأنكر ابن فورجه وجماعة كسر الطاء ، وقالوا لم يستحي من الله إذا فارق دار المدوح واختياره له ؟ بل لاوجه لحياته في فعله ذلك ، وإنما يستحي من الله إذا فارق دار المدوح ، والله قد اختاره على أرضه ، وكل من فارقه يجب أن يستحي من خالقه وإنما يقول : أستحي من الله أن أفارقك ، وقد اصطفاك وكل إليك الأرزاق ؛ ألا تراه كيف بين وجه حياته ، إذ ذكر اصطفاه ولو لم يذكره لكان له مخلص من الحياء ؟ فالأشبه أن يكون اصطفاك فعلا ماضياً ، وقد ذكر محمد بن سعيد أن المتنبي قال لم أقصر في شعري بمدوداً إلا في موضع واحد وهو :

خذ مني ثنای عليك ما أسطيمه لا تلتزمني في الثناء الواجبا

هذا : وقد أكثر المتنبي من التشاؤم على نفسه في هذه القصيدة بما لم يقع له في غيرها وما لم يخطر على قلبه في جميع عزائمه وأشعاره مع كثرتها وتراجمها في البلاد ، وقد وقع له في أثناءها كلام كأنه ينمى به نفسه وإن لم يقصده ، وذلك أنه بعد ارتحاله من شيراز ومفارقتها لأعمال فارس قتل في الطريق كما تراه في مدخل هذا الشرح وهذا - عمرك الله - من غريب الاتفاق .

قافية اللام

وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية وكثر المطر :

رُوَيْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ تَأَنَّ وَعُدَّهُ مِمَّا تُنِيلُ^(١)
وَجُسُودَكَ بِالْمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً فَمَا فَيَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلاً^(٢)
لَأَكْبَتَ حَاسِداً وَأَرَى عَدُوًّا كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ وَالرَّحِيلُ^(٣)

(١) تأن : تمهل ، ويروي : تأى توقف ؛ والضمير في عده يعود إلى المصدر المفهوم من تأن ؛ وتنيل : تعطى . يقول : أمهل سيرك وترفق في رحيلك واحسب هذا التمهّل من جملة ماتعطيه ، يعنى أنا نعده منك نوالا وعطاء لو أقت ساعة ؛ وهو ما ذكر في البيت التالى .

(٢) وجودك : أى وجد جودك : مصدر نائب عن عامله منصوب به . والمقام : الإقامة ؛ وقليلاً : خبر كان محذوفة بعد «لو» ، واسمها ضمير المقام : يقول جد بالإقامة عندنا ولو كانت قليلة ، فإن الذى تجوده لا يمد قليلاً ، لأن كل ما كان من جهتك فهو كثير وإن قل ، كما قال ابن الطثرية :

وليس قليلاً نظرةٌ إن نظرتُها إليكِ وقلٌّ منكِ غيرُ قليلِ
وكما قال إسحاق الموصلى :

إن ما قلٌّ منكِ يَكْثُرُ عندي وكثيرٌ يَمُنُّ بحبِ القليلِ
(٣) الكبت : الإغظة والإذلال ؛ وأصل الكبت : الكبد فقلبت الدال تاء ، أخذ من الكبد ، وهو معدن الفيظ والأحقاد ، فكان الفيظ لما بلغ بصاحبه مبلغه أصاب كبده فأحرقه ، لهذا يقال للأعداء : هم سود الأكباد وأرى من الورى - وهو إصابة الرئة . وقال أهل اللغة : الورى - على مثال الرى - قرح شديد يقاء منه القيح والدم ؛ والعرب تقول للبيض إذا سعل ورياوقحاً . وللحبيب إذا عطس رعيّاً وشباباً ، وفي الحديث : «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراء» يقول المتنبي : جد بالإقامة لأكبت من يحسدنى على قربك وأوجع رئة عدوى ، ثم شبه الحاسد والعدو بؤداعه وارتحالهما لأنهما يلذعان قلبه ويوجمانه ، وقال أبو تمام في قبح الوداع :

وَيَهْدَأُ ذَا السَّحَابِ فَقَدْ شَكَّكْنَا
 أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاهُ لَكُمْ قَيْلٌ^(١)
 وَكُنْتُ أَعِيبُ عَذْلًا فِي سَمَاحٍ فَهَآ أَنَا فِي السَّمَاحِ لَهُ عَدُولٌ^(٢)
 وَمَا أَخْشَى نُبُوكَ عَنْ طَرِيقِ وَسَيْفِ الدَّوَالَةِ الْمَاضِي الصَّقِيلِ^(٣)
 وَكُلُّهُ شَوَاةٌ غَطْرِيفٍ تَمْنَى لَسِيرِكَ أَنْ مَفْرَقَهَا السَّبِيلِ^(٤)

قُبَحَتْ وَرَدَّتْ فَوْقَ الْقَبْحِ حَتَّى كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ مِنَ الْوَدَاعِ
 (١) ويهدأ : عطف على أ كبت ؛ وتغلب : قبيلة للمدوح ؛ والحياء : المطر ؛ والقيل :
 العشرة . يقول : أقم بنا حتى يسكن هذا السحاب ويمسك عن المطر خجلاً من أيديك
 الغزار فقد أفرط حتى شككنا : أبنو تغلب قبيلكم أم مطر هذا السحاب ؟ شبههم بالمطر
 في الكثرة وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

فَقَلْتُ نَدَى السَّمَاءِ أَمْ ابْنُ وَهْبٍ تَجَلَّى نُورُهُ أَمْ عَاشُ وَهْبٍ
 (٢) يقول : كنت فيما مضى أعيب من يلوم على الجود ، فلما رأيت إفراط سيف
 الدولة في الجود صرت ألومه ، قال أبو تمام :

عَطَا لَوْ اسْتَطَاعَ الَّذِي يَسْتَمِيحُهُ لِأَصْبَحَ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى وَهُوَ عَاذِلٌ
 وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

إِلَى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا لَدَيْهِ لِأَضْحَى حَاتِمٌ وَهُوَ عَاذِلُهُ
 وَقَالَ ابْنُ الْقَطَاعِ : الضمير في « له » للسحاب ، يعني صرت الآن ألوم السحاب لإفراطه
 في السباح مخافة أن يكدر عليه الطريق .

(٣) النبو : الكلال ، وسيف الدولة : مبتدأ ؛ خبره : ما بعده ؛ والجملة حال .
 يقول : لا أخشى أن تعجز عن قطع الطريق وأنت سيف الدولة الماضي الصقيل ،
 والسيف إذا كان ماضياً لا يخاف عليه الكلال . يريد : إنى لم أطلب إليك عدم الرحيل
 في المطر خشية أن تعجز عن التغلب على الطريق .

(٤) الشوأة : جلدة الرأس ، وجمعها شوى ؛ والغطريف : السيد الكريم في قومه
 وتمنى : يحذف إحدى التامين - أى تمنى . والفرق : وسط الرأس . يقول : إن كل
 سيد شريف يتمنى أن يكون مفرق رأسه طريقاً لسيرك ، يعني لنفرك لا يستنكف
 السيد من وطئك رأسه ، بل يتمنى ذلك تشرفاً بك ، وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام :

وَمِثْلِ الْعَمَقِ تَمْلُوءُ دِمَاءٌ جَرَّتْ بِكَ فِي مَجَارِيهِ الْخِيُولِ^(١)
 إِذَا أَعْتَادَ الْغَتَّى خَوْضَ الْمَنَائِيَا فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولِ^(٢)
 وَمَنْ أَمَرَ الْخُصُونَ فَمَا عَصَتْهُ أَطَاعَتْهُ الْحَزُونَةُ وَالسَّهْلُ^(٣)
 أَنْخَفِرُ كُلٌّ مَنْ رَمَتْ اللَّيَالِي وَتُنَشِّرُ كُلٌّ مَنْ دَفَنَ الْخُمُولِ^(٤)

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةً تَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنهَا قَبْرُ
 (١) ومثل العمق : أى ورب مكان مثل العمق ؛ والعمق : الوضع العميق ؛ وقيل
 واد بعينه . يقول : ورب مكان عميق مثل هذا المكان قد حمى فيه الوطيس حتى امتلأ
 من دماء القتلى جرت بك الخيل فى مجاريه ولم تكثرث لذلك ، فكيف أخشى عليك
 قطع الطريق ؟ وقد زاد ذلك إيضاحا بالبيت التالى .

(٢) المنايا : جمع منية ، الموت ؛ والوحول : جمع وحل ، ما يبقى فى الأرض من
 آثار المطر يقول : إذا تعود الإنسان خوض المهالك التى هى أسباب المنايا لم يبال بالوحول ؛
 يريد أن الوحل لا يمنع من السفر لأنه تعود أن يخوض ما هو أشد من الوحل .

(٣) الحزونة : جمع حزن ، ما خشن من الأرض وصعب : ضد السهل . يقول : من
 طعيه حصون الأعداء وتنفتح له لم يعصه مكان من الحزن والسهل : أى لم يتمتع عليه
 ولم يصعب سلوكه .

(٤) نشر الله الميت وأنشره : بثه وأحياه ؛ والخمول : سقوط الذكر ؛ والحامل :
 الساقط الذى لا نباهة له ، والاستفهام : للتعجب . يقول : كل من نكبته الليالى وأصابته
 بالحن تحفره وتجيده منها بإحسانك ، وكل من أماته الخمول تحييه فتشهره وترفع ذكره
 بإنعامك عليه ؛ قال ابن وكيع : وهذا البيت منقول من قول ابن الرومى :

نَشْرَتْكَ مِنْ مَوْتِ الْخُمُولِ بِقُدْرَةٍ لِمَا هُوَ أَدْمَى لَوْ عَلِمْتَ وَأَنْكَرَ^(١)
 هذا : ويقال خفر الرجل يخفر خفراً : أجاره ومنعه وأمنه ، وكان له خفيرا يمنع به ،
 وكذلك خفره تخفيرا ، قال أبو جندب الهذلى :

(١) من أبيات يهجو بها ابن الرومى خالدا القحطبي ، وقيله :

أَخَالِدُ أَعْيِنْتَ الْمَجَاءَ وَفَنَّهُ فَقَوْلِي وَإِنْ أَبْلَغْتُ فَيْكَ مُقْصِرُ
 وبعده :

وللموت خير لامرى من نشوره إذا كان للتخليد فى الناس ينشر

وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ يَمِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ^(١)
 وَمَا لِلسَّيْفِ إِلَّا الْقَطْعُ فِغْلٌ وَأَنْتَ الْقَاطِعُ الْبُرِّ الْوَصُولُ^(٢)
 وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْقَوَالُ صَبْرًا وَقَدْ فَنَى التَّكَلُّمُ وَالصَّهِيلُ^(٣)
 يَجِيدُ الرَّمْحَ عَنكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ^(٤)
 فَلَوْ قَدَرَ السَّنَانُ عَلَى لِسَانٍ لَقَالَ لَكَ السَّنَانُ كَمَا أَقُولُ^(٥)

ولكنني جمرُ الغضى من ورائه يُخَفِّرُنِي سَيْفِي إِذَا لَمْ أُخَفَّرْ
 والاسم من ذلك الحفرة والحفارة والحفارة - بالفتح والضم - ويقال أخفرت إذا
 بعثت معه خفيرا ، وأخفرت الرجل : إذا نقضت عهده وغدرت به ، وأخفر الذمة :
 لم يف بها .

(١) الحسام : السيف القاطع ، يقول : نسميك الحسام وعادة الحسام أن يقطع الآجال
 وأنت حسام يعيش به القتل : أى أنك تحي من قتله الفقر وأماته الذل بمجودك - كما
 بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) يقول : إن فعل السيف هو القطع فقط ، أما أنت فقد اجتمع فىك الوصل
 والقطع ، لأنك تصل الأولياء وتقطع الأعداء . والقطع : منصوب لأنه استثناء مقدم .
 ومثله قول الكميث :

ومالى إلا آل أحمدَ شِيعةٌ ومالى إلا مذهبَ الحق مذهبُ

والبر : المحسن ؛ والوصول . الذى يصل الناس : أى يجيزهم بالعطاء .

(٣) يقول . أنت الفارس الرابض الجأش الذى يصبر الجيوش ويقول لهم اصبروا
 صبورا على عض الحرب وقد عظم الخطب واشتد القتال ، فلا يقدر الرجل على الكلام ولا
 الفرس على الصهيل . فقوله صبورا : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، وهو مقول القول .

(٤) وفيه قصد . أى استقامة . يقول : قد بلغت من المهانة والشرف أن الجماد يعرفك
 فالرمح يخافك فيجيد عنك ويميل ، مع أن فيه قصدا إذا طعن به غيرك ويقصر عن أن
 ينالك مع طوله هية لك ؛ والمعنى أن الأبطال تتحاماه فى الحروب فلا تجترى
 على مطاعنته .

(٥) يقول : لو كان الرمح يقدر على الكلام لقال أنا أحميد عنك وأقصر - مع طولى -
 عن طمنك لميبتك وشرفك . وهذا من قول الآخر :

إن السنانَ وصدرَ السيفِ لو نطقا لَخَبَّرَا عَنكَ يَوْمَ الرَّوْعِ بِالْمَعْجَبِ

وَلَوْ جَازَ الْخُلُودُ خَلَدَتْ فَرْدًا وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلٌ^(١)

وقال يرثي والده سيف الدولة وقد توفيت بميما فارقين وجاءه الخبر بموتها إلى حلب

سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وأنشده إياها في جمادى الآخرة من السنة :

① نَعْدُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلْنَا الْمُنُونَ بِلَا قِتَالٍ^(٢)

② وَزَرَّتِ بَطِطُ السَّوَابِقِ مُقْرَبَاتٍ وَمَا يَنْجِيَنَّ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي^(٣)

وللحصى :

يُثْنِي عَلَيْكَ إِذَا النُّفُوسُ تَطَايَرَتْ حَدُّ الْمُهَنْدِ وَالسَّنَانُ اللَّهْدَمُ
وأصله قول عنترة :

لو كان يمل ما المحاورة اشتكى ولو كان لو علم الكلام مكلّمى

(١) يقول : لو جاز أن يخلد إنسان لخلدت وحدك لما جمع الله فيك من الفضائل ، ولكن الدنيا لا تخلد أحدا وشنشتها إفناء خلانها ، فهي مطبوعة على القدر ، وإلا لخلدتك . وهذا من قول عدى بن زيد :

فلو كان حي في الحياة مخلداً لخلدت لكن ليس حي بمخلد
ومثله لمحمد بن يزيد الهلبي :

لو خلد الله مخلوقاً لنجدته لكان ربك في الدنيا مخلده

(٢) المشرفية : السيوف ، والمراد بالعوالي : الرماح ؛ والنون : المنية ، وقيل الدهر ، ومن ثم يؤنث ويذكر ، ويكون واحداً وجما : يقول : نعد السيوف والرماح لمنازلة الأعداء ومدافعة الأقران ، ولكن المنية تحترم نفوسنا وتقتل من تقتله منا من غير قتال ، فلا تغنى عنا تلك الأسلحة شيئا .

(٣) السوابق : الخيل ؛ والمقربات : المدناة من البيوت ، إما لفرط الحاجة أو للضن بها ، فلا ترسل إلى الرعى ؛ والحجب : ضرب من العدو - الجرمي - لا يستفرغ الجهد : يقول : وزربط الخيول الكريمة لتنجو بنا إذا أم بنا حادث ، ومع هذا لاتنجينا من سعى الليالي ، وخبها في آثارنا ، فإنها تقتلنا وتدركننا حيثما كنا ، وبديع قول عبد الله بن طاهر في الدهر :

كأننا في حروبٍ من حوادته فنحن من بين مجروحٍ ومطمونٍ

- (٣) وَمَنْ لَمْ يَمَشِقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ (١)
- (٤) نَصِيْبِكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ هَبِيبٍ نَصِيْبِكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالٍ (٢)
- (٥) رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فَوَّادِي فِي غِشَاءِهِ مِنْ نِبَالٍ (٣)
- (٦) فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ طَلَّ النَّصَالُ (٤)

(١) من : استفهام إنكارى ؛ وقوله إلى الوصال : يروى إلى وصال - أى مواصلة - يقول : من الذى لم يشق الدنيا من قديم الدهر ؟ أى أن كل أحد يهواها ، ولكن لا سبيل إلى دوام وصالها ، فقوله إلى الوصال : أى إلى دوام الوصال ، فكثير من عشاقها واصلها وواصلته ، ولكنها لا تدوم على الوصال .

(٢) نصيبك - الأول - مبتدأ . خبره : نصيبك - الثانى - يقول : إن حظ الإنسان من وصال حبيبه في حياته كحظه من وصال خياله في منامه ، فإن ذلك الوصال ينقطع عن قريب بالموت ، كما ينقطع التمتع بخيال الحبيب بالانتباه ، جعل العمر كاللنام والموت كالانتباه من المنام ، كما قال أبو تمام :

نَمِ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلِهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَخْلَامٌ

وقال التهامى :

فَالْمَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنْيَةُ يَقْظَةٌ وَالرَّمْدُ بَيْنَهُمَا خِيَالٌ سَارِي

(٣) الأرزاء : جمع رزء ؛ المصيبة ، وحقى : ابتدائية ؛ والغشاء : ما يغطى الشيء ، يقول : كثرت على أرزاء الدهر وترادفت على قلبي جماعة حتى لم يبق منه موضع إلا أصابه سهم منها فصار في غلاف من سهام الدهر .

(٤) النصال : جمع نصل ، الحديدية التى فى السهم . يقول : فصرت الآن إذا رماني الدهر بسهامه لم تصل إلى قلبي ، إذ لا تجد لها موضعاً الاصابة ، وإنما تكسر نصالها على النصال التى قبلها ، لأنها تصطك بعضها ببعض ، قال الواحدى : وهذا تمثيل معناه أن الأرزاء توالى على حتى هانت عندى والشيء إذا كثر اعتاده الإنسان كما صرح بذلك فى البيت التالى . وإليك إحدى مماحكات ابن وكيع - وما أكثر ما يتجنى على المتنبي - قال : لا يصح معنى البيت إلا أن يكون يرمى من جنبيه فيبلغ نصل الجانب الأيمن نصل الجانب الأيسر ، وأما أن يكون الرمي من ناحية واحدة فلا يصح ذلك ، ولو قال كما قال عمر بن المبارك لصح .

(٧) وَهَانَ فَمَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا لِأَيِّ مَا أُنتَفَعْتُ بِأَنْ أَبَالِي (١)
(٨) وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ (٢)

لم يَنْتَظِرُنْ فَنَسْتِيكَ قلوب حَتَّى رَمَيْنَ فَرَشَقَهْنَ مَصِيبُ
نَجَلٌ يُدَبِّغُنَ السَّهَامَ بِمِثْلِهَا فلهن من تحت الندوب ندوب
فهذا كلام يصح مثله ، لأن الندوب القديمة يتبعن ندوباً حديثة ؛ ومثله لأخي
ذى الرمة .

ولم يُنْسِنِي أَوْفَى المصِيبَاتُ بعدهُ وَلَكِنَّ نَكَأَ القَرَحَ بالقَرَحِ أَوْجَعُ (١)
(١) ضمير هان للدهر أو لرميه لدلالة قوله رماني الدهر . يقول : وهان الدهر
على فلا أحفل بمصائبه علماً بأنه لا ينفع الحذر ولا المبالاة ؛ وهذا من قول الحماسي :
وقد جَعَلْتُ نَفْسِي عَلَى البَيْنِ تنطوى وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الحَبِيبِ تَنَامُ
وفارقتُ حَتَّى مَا أَبَالِي مِنَ النوى وَإِنْ بَانَ جِيرَانِ عَلَى كِرَامِ
ومثله قول الحريري :

صَبْرْتُ فَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَفِيَّةٍ وَهَلْ جَزَعُ أَجْدَى عَلَى فَأَجْزَعُ
ويروى بدل هان فما أبالي : وهاناً ما أبالي .

(٢) يقول : هذا الناعي - وكان نعمها ورد إلى أنطاكية - أول الناعين جميعاً لأول
امرأة ماتت في هذا الجلال ، يعني لم تمت امرأة قبلها أجل منها ، وميئة - بفتح الميم -

(١) قيل إن إخوة ذي الرمة هم مسعود وهشام وجرفاس وأن مسعوداً رثي بشعره
بشعره هذا أخاه غيلان وأوفى بن دلهم ابن عمهما وقيل كانوا أربعة غيلان ومسعود
وهشام وأوفى وكلهم شعراء كان أحدهم يقول الأبيات فيزيد فيها ذو الرمة ويغلب
عليها ، وقبل هذا البيت :

تَمَزَيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغِيلَانَ بعده
نَمَى الرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ وَافَتْ رِكَابَهُمْ
لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءُوا بِشَرًّا وَأَوْجَعُوا
تَكَادُ الجِبَالُ التُّصْمُ مِنْهُ تَصَدَّعُ
وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمَهُ قَدْ تَضَمَّنْتَهُمْ
خَوَى الْمَسْجِدُ الْمُعْمُورَ بِعَدِ ابْنِ دَلْهَمِ

(٩) كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِيَأَلٍ (١)

أى ميتة ، تخفتت ؛ ورويت ميتة - بكسر الميم - يعنى الحال التى ماتت عليها ، قال الواحدى والرواية الأولى أوجه ، لأنه أراد أول الأموات ولم يرد أول الاحوال هذا : وقولهم جاءنى القوم طراً أى جميعاً منصوب على المصدر أو الحال ، قالوا ولا تستعمل إلاحالا واستعملها خصيب النصرانى المتطبب فى غير الحال ؛ وقيل له كيف أنت ؟ فقال أحمد الله إلى طر خلقه ؛ قال ابن سيده : أنبأنى بذلك أبو العلاء ، وفى نوادر الأعراب رأيت بى فلان بطر إذا رأيتهم بأجمعهم . والناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت ؛ والنهى والنمى : خبر الموت أو الدعاء بموت الميت ، والإشعار به ، نعاء ينعاء ونمياً ونعياناً ، وقال الجوهري . كانت العرب إذا مات منهم ميت له قدر وشرف ركب راكب فرساً وجعل يسير فى الناس ويقول نعاء فلاناً . أى انعمه وأظهر خبر وفاته ، وقال ابن الأثير . أى هلك فلان أو هلكت العرب بموت فلان ، وهى مبنية على الكسر مثل قطام ودراك وزال ، بمعنى أدرك وازل ، وأنشدوا للكثير .

نعاء جذاماً غير موتٍ ولا قتلٍ ولكن فراقاً للدعائم والأصل
(١) يستعظم موت هذه المرأة حتى كأن الناس لم يروا موتاً ولم يخطر على قلب أحد منهم قبلها ، وموت العظيم يعظم عند الناس مع فشو الموت وعمومه ، ومن بديع ما قيل فى الموت - وليس من قبيل بيت المتنبي ، ولكنه ينظر إليه من بعيد - قول الحسن البصرى . مارأيت حقاً أشبه يباطل من الموت وقال البحرى .

ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه
وقال زين العابدين أو جرير

زراعُ إذا الجنائزُ واجهتنا
ونلهو حين تغدو رائحاتِ
كروعةٍ مُلثةٍ لمغارِ ذئبٍ
فلما غاب عادتُ راتِماتِ (١)

وأخذه محمد بن وهب فقال .
زراعُ لذكر الموتِ ساعةٍ ذكروه
يقينٌ كأنَّ الشكَّ أغلبُ أمره
وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب
عليه وعرفانٌ إلى الجهلِ يُنسبُ

(١) الثالثة . القطيع من الغنم .

صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْفَنِ بِالْجَمَالِ (١)
عَلَى الْمَذْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْنًا وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِي كَرَمِ الْخِلَالِ (٢)
فَإِنَّ لَهُ يَبْطُنَ الْأَرْضِ شَخْصًا جَدِيدًا ذِكْرُنَا وَهُوَ بَالِي (٣)

١٢٠

١١١

١٢١

(١) صلاة الله : مغفرة ورحمة ؛ والحنوط : طيب مخلط لغسل الميت يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت ، وجمل وجهها مكفنا بالجمال ، كأن الجمال كفن لوجهها ، وفي ذلك إشارة إلى أن الموت لم يغير محاسنها ، وكأنه يقول : رحم الله وجهها الجميل ، قال ابن وكيع : وصفه أم الملك بالوجه الجميل غير بخار ، وهو من قول النخعي تَحِيَّاتٌ وَمَغْفِرَةٌ وَرَوْحٌ عَلَى تِلْكَ الْحَلَّةِ وَالْحُلُولِ

وعبارة ابن الألبلي : رحمة الله ورضوانه حنوط هذه المرأة التي غيبتها الجمال كما غيبتها الكفن وسترها كما سترها القبر فكانت مستورة من أعين الناس .

(٢) على المدفون : بدل من قوله على الوجه - في البيت السابق - وذكر على إرادة الشخص ؛ وصونا : مفعول له ؛ واللحد : الشق في جانب القبر ، والخلال : الحصال يقول : إنها كانت مدفونة بالصون قبل أن تدفن في التراب ، وقبل أن تدفن في اللحد كانت مدفونة في كرم الخلال : أي أنها كانت محمية مستورة قبل أن تستر بالتراب ، وكان كرم خصالها يمنعها ويغنها عن كل مالا يليق قبل أن تحمل إلى اللحد .

(٣) ذكرناه . أي ذكرنا إياه ، فاعل جديدا . ووضع الضمير المتصل موضع الضمير المنفصل جائز ، ومثله قوله تعالى « أنزل مكوها » وأنشد سيويه وقد جعلت نفسي تَطِيبُ لِضَعْمَةٍ لِضَعْمَيْهَا هَا يَفْرَعُ الْعَظْمَ نَابَهَا (١)

(١) الضغم : العض ما كان ، وقيل أن يملأ فمه بما أهوى إليه ، ومنه سمي الأسد ضغما - زيادة الياء - قال الشنتمري : وصف هذا الشاعر عضة أصابه بهارجلان فيقول . قد جعلت نفسي تطيب لإصابتها بمثل الشدة التي أصابني بها ، وضرب الضغمة مثلا ثم وصف الضغمة فقال يفرع العظم نابها فجعل لها نابا على السعة ، والمعنى يصل الناب فيها إلى العظم فيقرعه . قال : واسم هذا الشاعر مغلس بن لقيط الأسدي والرجلان من قومه وهما مدرك ومرة وقبله :

سقيتكما قبل التفوق شربة يمرُّ على باغي الظلام شرابها
« والظلام جمع ظلامه »

١٣	وَمَا أَحَدٌ يُخَلِّدُ فِي الْبَرَايَا	بَلِ الدُّنْيَا تَوَوَّلُ إِلَى زَوَالٍ
١٤	أَطَابَ النَّفْسَ أَنْكَ مَتَّ مَوَاتَا	تَمَنَّتُهُ التَّبَوَاتِ وَأَتَلَّوَالِي (١)
١٥	وَزُلَّتْ وَلَمْ تَرَى يَوْمًا كَرِيهَا	يُسْرُ الرُّوحِ فِيهِ بِالزَّوَالِ (٢)
١٦	رِوَاقُ الْعِزِّ حَوْلَكَ مُسَبِّطٌ	وَمُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكَ فِي كَالِ (٣)
١٧	سَقَى مَثْوَاكَ غَادٍ فِي الْعَوَادِي	نَظِيرُ نَوَالٍ كَفَّكَ فِي النَّوَالِ (٤)
١٨	لِسَاحِيهِ عَلَى الْأَجْدَاثِ حَفْشٌ	كَأَيْدِي أَتَخَلَّلِ أَبْصَرْتَ الْعَالِي (٥)

يقول : إن شخصه وإن كان يبلى في القبر إلا أن فكرنا إياه جديد باق أبداً لا يبلى : قال الحريري :

وإن تك للبيلى أمسيت رهنًا فقد أبقيت مجدًا غير بآلى
 (١) الخوَالِي : المواضِي . يقول : مت في العز والعلاف ، فموتك كان موتاً يتمم مثله من بقى النساء ومن مضى منهن . وهذا يسلى النفس عنك إذ فزت بخيرى الدنيا والآخرة .
 (٢) يقول : ومما يسلى النفس عنك أنك فارتقتنا دون أن ترى يوماً كرها ينفذ لك عيشك ويحبب الموت إليك حتى يسر الروح بفراق البدن في مثل هذه الحال ، وهذا من قول بعضهم :

وَهَوْنٌ مِنْ وَجْدِي وَلَيْسَ بِهِيْنِ سَلَامَتُهُ بِالْمُوتِ مِنْ جَرَعَةِ الشُّكْلِ
 (٣) مسبطر : متمد ؛ ويروى مستظل ومستطيل ، وقد أنكر الصاحب بن عباد لفظة مسبطر . قال : إن ذكرها في مرثية النساء من الخذلان الميين . والصاحب مولع بنقد التنبي وذمه بالحق وبالباطل ، وإلا فالكلمة لا غبار عليها ؛ وقال العروضي : سمعت أبا بكر الشعراني خادم للتنبي يقول : قدم علينا التنبي وقرأنا عليه شعره فأنكر هذه اللفظة ، وقال مستظل ، قال العروضي : وإيما غيرها الصاحب وأنكرها عليه . يقول : مت وأنت في هذه الحال من العز المتطاوول والملك الكامل من ملك ابنك .

(٤) المثوى : المنزل يريد قبرها الذي أقامت به . والغادى : السحاب يغدو بالمطر ؛ والنوال : العطاء . يدعو لها بأن يسقى قبرها سحاب يفضل السحب فيضاً كما كان عطاء كفيها يفضل عطاء الأ كف سخاء ؛ وفيه إشارة إلى أنها كانت كثيرة العطاء .

(٥) الساحي : الذي يقشر الأرض بشدة انصبابه ؛ والأجداث : الصبور ؛ والحفش : شدة الوقع ، ويقال حفشت السماء حفشاً ؛ إذا جادت بالمطر ؛ وحفشت الأودية : سالت

أَسْأَلُ عَنْكَ بِمَدِّكَ كُلِّ مَجْدٍ ، وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ عَنْكَ خَالِي (١)
يَمُرُّ بِقَبْرِكَ الْعَافِي قَيْبِي ، وَيَشْفُلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ (٢)
وَمَا أَهْدَاكَ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ ، لَوْ أَنَّكَ تَقْدِرِينَ عَلَى فَمَالٍ (٣)

١٨

٢٠

٢١

والخالي : جمع مخلاة ، الوعاء الذي يجعل فيه التبن والشعير للدابة . بالغ في وصف المطر حيث جعله في إلحاحه على القبر بالقشر كأیدی الخيل إذا رأت مخالي الشعير فإنها تنشط وتحفر الأرض بقوائمها . قال الواحدي : وليس هذا من مختار الكلام ولا من المستحسن أن يسأل السقيا لقبر بمطر يحفر حفر أیدی الخيل . وقال ابن جنى : الغرض من الدعاء للقبور بالغيث : الإنبات وما يدعو الناس إلى الحول والإقامة ، وهو مذهب العرب ؛ ألا ترى إلى قول النابغة :

ولا زال قبر بين بصرى وجاسم عليه من الوسمى سح ووابل
فئبت حوذانا وعوقا منورا سأبعه من خير ما قال قائل (١)

وكلما اشتد المطر كان أجم لنباته وأمرع له .

(١) يقول : لم أر مجدا خاليا منك أيام حياتك فأنا بعد وفاتك أسأل عنك كل مجد لأنك كنت صاحبه اللازمة له ، فأنا أطلبك منه كما يطلب الإنسان ممن طالت صحبته معه . وقوله خالي : إما جعلته نعتا لمجد — أى ليس لى عهد بمجد خال عنك — وإما جعلته حالا سادة مسد الخبر ، كما تقول : عهدي بك شجاعا ؛ وأسكنه للضرورة ، أو على لغة من يقول : رأيت قاضي

(٢) العافي : السائل وطالب المعروف . يقول : إذا مر بقبرها السائل ذكر ما كان يشمله منها فبكي وشغله ذلك البكاء عن أن يسألها كمادته ، قال البحرى :

فلم يدر رسم الدار كيف يُجيبنا ، ولا نحن من فرط البكا كيف نسأل (٣) ما — فى ما أهداك — تعجبية ؛ والجدوى : العطاء والإفضال ؛ والفعل : الفعل الحسن . يقول : ما أعرفك بالإفضال على العافي ؛ ولكن الموت حال بينك وبين العطاء ولولا ذلك لكنت تعطينه وإن لم يسأل كمادتك فى الحياة .

(١) الخوذان : نبت يرتفع قدر الذراع . له زهرة حمراء فى أصلها صفرة ، وورقته مدورة ؛ والحافر يسمن عليه ، وهو من نبات السهل ، حلو طيب الطعم ؛ والعوف : نبت طيب الريح .

بِعَيْشِكَ هَلْ سَلَوْتُ فَإِنَّ قَلْبِي ، وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكَ غَيْرُ سَالِي (١)
 نَزَلَتْ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ بُمَدَّتِ عَنِ النُّعَامِي وَالشَّمَالِ (٢)
 تُحَجِّبُ عَنْكَ رَائِحَةُ الْخَزَامِي ، وَتُمْنَعُ مِنْكَ أَنْدَاءُ الطَّلَالِ (٣)
 بَدَارُ كُلِّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنْبَتُ الْحِبَالِ (٤)
 حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الزُّنِّ فِيهِ كُنْتُمْ السَّرَّ صَادِقَةٌ الْمَقَالِ (٥)
 يُعَلِّمُهَا نِطَاسِي الشُّكَايَا ، وَوَأَحِدُهَا نِطَاسِي الْمَعَالِي (٦)

٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧

(١) قال الواحدي : يقسم عليها بحياتها ؛ يقول لها : هل سلوت عن حب النوال فإن قلبي وإن بعدت عنك غير سال عن نوالك ؟ وقال ابن جنى وآخرون : هذا مما وضعه في غير موضعه ، ولا يجوز أن يرئى بمثل هذا ، قالوا : والمعنى هل سلوت عن الحياة فإنني غير سال عن الحزن عليك ، أذكرك وإن كنت بعيدا عن أرضك ، وأندبك وإن كنت منتزعا عن موضعك .
 (٢) على : بمعنى مع ، وجملة بعدت الخ : نعت لمكان ؛ والعاقد محذوف أي بعدت فيه - والنعامي : ريح الجنوب ، سميت بذلك لأنها أبل الرياح وأرطبها وأنعمها ؛ والشمال : الريح التي تهب من ناحية القطب . يقول : نزلت - على كراهتنا لنزولك - في مكان لا يصيبك فيه نسيم الرياح :

(٣) الخزامي : نبت طيب الريح ؛ والطلال : جمع طل . المطر الخفيف . يقول : وحببت عنك روائح الأزهار لا تصل إليك وكذلك ندى الأمطار . يشير إلى ما كان يحيط بها في حياتها من الرياض والبساتين ، وإنما حرمت ذلك بعد وفاتها .

(٤) أراد بالدار : القبر ؛ ومنبت : منقطع ، ومن سكن القبر بعد عن أهله وعشيرته وطال هجره أيام ، وانقطع وصاله عنهم . فالمراد بالحبال : الشمال . وهذا ينظر إلى قول إبراهيم بن المهدي :

تَبْدَلُ دَرَأً غَيْرَ دَارِي وَجِـيْرَةَ سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنْوِبُ

أَقَامَ بِهَا مَسْتَوِطَنَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى طَوْلِ أَيَّامِ الْمَقَامِ غَرِيبٌ

(٥) الحصان : العنيفة ؛ وحصان : مبتدأ ؛ وفيه : خبر ، والمزن : السحاب ، يقول في هذا المكان امرأة عنيفة مثل ماء الزن في النقاء والطهارة ، كاتمة للسر ، صادقة في القول :

(٦) يعلها : أي يعالجها من علتها ؛ والنطاسي : الطيبب الحاذق . والشكاياء : واحد

٤٦	إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً يَنْفَرِ	سَقَاهُ أَسِنَّةَ الْأَسَلِ الطَّوَالِ (١)
٤٩	وَلَيْسَتْ كَالْإِنَاثِ وَلَا الْأَوَاتِي	تُعَدُّ لَهَا الْقُبُورُ مِنَ الْحِمَالِ (٢)
٣٠	وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تَجَارٌ	يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النَّعَالِ (٣)
٣١	مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَ لَيْهَا حُفَاةً	كَانَ الْمَرْوُ مِنْ زِفِّ الرَّثَالِ (٤)

شكوى ، يريد الأمراض التي تشكى ، وأراد بواحد : ابنها سيف الدولة الذي هو واحد الناس ؛ والواو : للحال . يقول يعالجها قبل موتها ليزيل علتها طبيب الأمراض والحال أن ابنها طبيب المعالي : أي العالم بأدواء المعالي فيزيلها عنها حتى تصح معاليه فلا يدركها نقص أوعاب .

(١) الثغر : موضع الخفاة من فروج البلدان ؛ والأسل : الرماح . جعل انتقاض الثغر عليه بمنزلة الداء ، ولما استعار لذلك اسم الداء استعار السقي لنفي ذلك الداء عنه بالرمح لتجانس الكلام ؛ إذ يلاحظ أن الثغر يكون بمعنى الفم أيضاً ، فزاد الاستمارة بذلك حسناً . يقول . إذا ذكروا له انتقاض ثغر من ثغور المسلمين لعلبة الكفار نفاهم عنه بأسنة الرماح فعاد إلى الطاعة ؛ يعني : ولكنه مع ذلك لم يدفع عنك الموت لأنه لا دافع له ، والأصل في هذا المعنى قول ليلي الأخيلية :

إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْمُضَالِ الَّذِي بَهَا غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا

وقال أبو تمام :

وقد نكس الثغر فابعث له صدور القنا في ابتغاء الدواء

(٢) الحجبال : جمع حجلة ، بيت صغير في جوف البيت يستر النساء . يقول : ليست كغيرها من النساء اللواتي يعدلن القبر مستراً لأنها كانت مصونة مستورة قبل أن تستر بالقبر .

(٣) الجنازة — بالفتح والكسر — واحد ، وقيل بالفتح : النعش إذا كان الميت فيه ، وبالكسر : النعش وحده ؛ والتجار : جمع تجر — بالفتح — جمع تاجر ، مثل صحاب وصحب . يقول : ولم تكن من نساء السوقه يتبع جنازتها تجار وباعة ينفضون النعال من التراب إذا انصرفوا عن القبر ، أي أنها كانت ملكة .

(٤) حولها : كحولها ، تقول حولك وحوليك وحوايك وحوايك : الجميع بمعنى واحد ؛

وَأَبْرَزَتْ الْخُدُورُ مُحَجَّبَاتٍ وَيَضَعْنَ النَّفْسَ أَمَكِنَّةَ الْفَوَالِي (١)
أَتْنَهْنَ الْمَصِيْبَةَ غَافِلَاتٍ فَدَمَعُ الْحَزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ (٢)
وَلَوْ كَانَ النَّسَاءُ كَمَنْ قَقْدَنَا لَفَضَّلَتِ النَّسَاءُ عَلَى الرَّجَالِ (٣)
وَمَا التَّأْنِيثُ لِاسْمِ الشُّمُسِ عَيْبٌ
وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ (٤)

واللرو : حجارة بيض براقه ؛ والزف : صغار الريش ؛ والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام . يقول : لشرفها وشرف ابنها شيعة الأمراء ومشوا حوايلها حفاة يطأون الحجارة فلا يحسون غلظها لشدة الحزن كأنهم يطأون ريش النعام .

(١) النفس : الداد ؛ والفوالى : جمع الغالية ، أخلاط من الطيب يتضمخ بها . يقول خرجت لموتها نساء كن محجبات في الحدور غير مباليات بالتستر وهن يسودن وجوههن بالداد مكان الغالية التي كن يتطين بها حزنا للمصيبة بموتها ؛ ولعله يريد جوارى المريثة ، وهذا منقول من قول بعضهم :

قد كانت الأبكار بيضا فاعتدت سوداً لفقْدك أوجه الأبكار
وهتكن أستار الحياء وطالما سُترت محاسنهن بالأستار
وظهرن للأبصار بعد تَسْتَرٍ بِالْحُجْبِ دُونَ لَوَاحِظِ الْأَبْصَارِ
ومثله :

قد كن يحبان الوجوه تستراً فالآن حين بدون للنظار

(٢) يقول : فجمن بفقدها على حين غفلة . فيبينهن يكنين دلالة على سبيل الدعابة إذ يكنين حزناً ، فاختلط الدمعان ، فهن يبدن الدلال مع الحزن والدلة مع الحسن .

(٣) يقول : لو كان نساء العالم كهذه المريثة في الكمال لفضلن على الرجال . يعني أن هذه المريثة كانت أفضل من الرجال ، فلو أشبهها غيرها من النساء لكن مثلها في الفضل - أي فضلن على الرجال - قال ابن وكيع : وهذا ينظر إلى قول علي بن الجهم :

إذا ما هُءد مثلك رجالاتاً فما فضل الرجال على النساء

(٤) ما - هنا - تيمية ؛ ولك أن تجعلها حجازية فتصب «عيب» و«فخر» يقول :

- وَأَفْجَعُ مَنْ قَدَدْنَا مِنْ وَجَدْنَا قُبَيْلَ الْفَقْدِ مَقْقُودَ الْمِثَالِ (١)
يُدْفَنُ بِنَفْسِنَا بِنَفْسِنَا وَنَمْسِي أَوْ آخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي (٢)
وَكَمْ عَيْنٍ مُقْبَلَةِ النَّوَاحِي كَحَيْلٍ بِالْجِنَادِلِ وَالرَّمَالِ (٣)
وَمَنْضٍ كَانَ لَا يُفْضِي لِحَلْبِ ،
وَبَالَ كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْمُزَالِ (٤)
أَسِيفَ الدَّوَالَةِ أَسْتَنْجِدُ بِصَبْرِ ، وَكَيْفَ يَمِثِلُ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ (٥)

لم نزر بها الأنونة ، كما لا يزرى بالشمس تأنيث اسمها ، والذكرة لا تعد فضيلة في أحد كما لا يحصل للقمر نخر بتذكير اسمه :

والشمس ليس بضائر تأنيثها وتزيد بالنور المنير على القمر
(١) أفجع : مبتدأ ، خبره : من وجدنا ؛ ومفقود المثل : مفعول ثان لوجدنا . يقول
أعدد للمفقودين لجة على الفاقدين من كان مفقود النظير في حال حياته ، فإن من وجد له
نظير يتسلى عنه بوجود نظيره ، وبمن يتسلى عنمن لا نظير له ؟
(٢) الهام ؛ الروس ؛ ويريد بالأوالى : الأوائل ، قلب ، وهو كثير في كلامهم .
يقول : ندفن أمواتنا ونمشي على رؤوسهم بعد الموت ؛ يعني لا نخلو من فقد ودفن ثم
لا نعتبر بمن ندفن ، بل ندوس عليهم غير معتبرين بهم ، والأصل في هذا المعنى
قول النابغة :

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ أَنْ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بِالِ
(٣) النواحي : الجوانب ؛ وكحيل : بمعنى مكحولة ، خبر « كم » يقول : كم عين كانت
تقبل إعزازا وإكراما فصارت تحت الأرض مكحولة بالرمل والحجارة ؟
(٤) أغضى الرجل عينه : قارب بين جفنيها ؛ هذا أصل الإغضاء ، ثم استعمل في
الحلم ، فقيل أغضى على القذى : إذا أمسك عفوآ عنه . والخطب : الأمر العظيم .
والمزال : التحول : يقول : وكم من إنسان أغضى للموت وكان لا ينفى لنزول خطب
به ، وكم من بال تحت التراب وكان إذا رأى في جسمه هزالا يشتغل قلبه به ويفكر في
علاجه ، وهذا ينظر إلى قول البحري يرئى غلامه قيصر :

وَأَصْفَحُ لِيَلِيَّ عَنْ ضَوْءِ وَجْهِ غَنِيَتْ يَرُوعُنِي فِيهِ الشُّحُوبُ
(٥) يقول : استعن بالصبر على هذا الرزء الذى لجت به ، فأنت أهل الصبر الثابت
على الأرزاء حتى لفتت الجبال في هذا وبودها أن تكون مثلك في نباتك .

٤١) فَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّمَزِّيَ

وَخَوْضَ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ السَّجَالِ (١)

٤٢) وَحَالَاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى وَحَالُكَ وَاحِدٌ فِي كُلِّ حَالٍ (٢)

٤٣) فَلَا غِيضَتُ بِحَارِكُ يَاجُومًا عَلَى عِلَلِ الْفَرَائِبِ وَالِدُّخَالِ (٣)

٤٤) رَأَيْتَكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالٍ (٤)

٤٥) فَإِنْ تَفَقَّى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ

فَإِنَّ الْمَسِيكَ بَعْضُ دَمِ الْفَزَالِ (٥)

* * *

(١) الحرب السجال : التي تكون مرة لك ومرة عليك . يقول : مثلك في غنى عن أن يصبر ويمزى ، فقد ألفت الخطوب وتمرت بشدائد الدهر وغمرات الحروب حتى تعودت الصبر وصرت تصبر الناس فصرت في غنى عن أن تصبر :

(٢) شتى جمع شتيت ، بمعنى متفرق . يتلون الزمان وتختلف حالاته عليك من الصفو والكدر ، ومع ذلك لا تتحول حالك من الصبر والكرم والحلم والرزانة ، فإلك لا تختلف وإن اختلفت أحوال الزمان ، كما قال الآخر :

لَا أُمْسِكُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أُتْلِفُهُ وَلَا يُفَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ

(٣) غاض الماء : قل ونضب ؛ وغيض الماء : فعل به ذلك . والجموم : الذي يزداد ماؤه وقتا بعد وقت ؛ و«على» : بمعنى مع ؛ والظرف : في موضع الحال من فاعل ججوما والعلل : الشرب الثاني بعد النهل ؛ والفرائب : الإبل الغريبة التي ترد على الحوض وليست لأهل الحوض . والدخال : أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد شربا . يقول - على طريق الدعاء - لانهقت بحارك يا بحرأ كثير الماء وإن وردت عليه الإبل الغريبة وعلت منه . وهذا تمثيل ؛ يريد لا ينقض عطاؤك وإن كثرت العفاة والسائلون كما لا ينقص البحر الكثير الماء وإن كثرت وراده ، أو تقول : لا ينقطع صبره على توالي المحن وشدتها . يدعوله بذلك

(٤) المهال : الموج ، من قولهم حالت القوس والمصا ونحوهما : إذا اعوجت بعد استواء . يقول : أنت بين الملوك كاللستقيم بين الموج : أى أنك تفضاهم فضل اللستقيم على الموج . وقوله في الذين أرى ملوكا : أى في الذين أراهم ملوكا ؛ فلوكا : مفعول ثان لأرى ؛ والمفعول الأول : الضمير المحذوف .

(٥) يقول : إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فلا عجب ، فقد يفضل بعض الصبيء

وقال يمدحه ويذكر استنفاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوي من أسر
الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

إِلَامَ طَمَاعِيَةَ الْمَاذِلِ ، وَلَا رَأَى فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ (١)

جملته ، كالمسك - وهو بعض دم الغزال - وقد فضله فضلا كثيراً . قال الواحدى :
قال أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالشاعر المغربي : كان سيف الدولة يسر بمن
يحفظ شعر المتنبي ، فأنشدته يوماً :

* رأيتك في الذين أرى ملوكا *

وكان أبو الطيب حاضرا فقلت هذا البيت والذي يتلوه لم يسبق إليه ؛ فقال سيف
الدولة : كذا حدثني الثقة أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت ، فأعجب المتنبي
واهتز ، فأردت أن أحرره ، فقلت إلا أن في أحدهما عيباً في الصنعة ، فالتفت المتنبي
الثقات حنق فقال : ما هو ؟ فقلت قولك : مستقيم في محال ، والمحال ليس ضد الاستقامة ،
وإعماضها الاعوجاج ؛ فقال الأمير : هب القصيدة جيمية ، فكيف تعمل في تغيير
قافية البيت الثاني ؟ فقلت عجلا كرد الطرف :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن البَيْضُ بعضُ دم الدجاج
فضحك ، وضرب يده الأرض ، وقال : حسن مع هذه السرعة ، إلا أنه يصلح
أن يباع في سوق الطير ، لأنه مما لا يمدح به أمثالنا يا أبا الحسن .

(١) إلام : هي «إلى» الجارة ، و «ما» الاستفهامية ، وسقطت الألف من « ما »
طلباً للخفة وإعداداً يلى الجارة ، وكذلك يفعلون في : «م» و «فيم» ، و «عم» ،
و «علام» . و «حتام» . والماذل : اللأم ؛ والواو - في «ولا رأى» - حالية . و «الطماعية»
مصدر بمعنى الطمع ، كالسكراهية والعلانية . يقول إلى متى يطعم العاقل في أن أستمع
كلامه والحب يقع اضطراراً لا اختياراً ، والعاقل لا يقع في شرك الحب برأيه واختياره
فلا معنى للوم فيه لأن الحب مغلوب على أمره ؟ وهذا منقول من قول بعضهم :

وما من فتى في الناس يُحمَدُ عقله فيوجدُ إلا وهو في الحب أحقُّ

قال العكبري : وهذا البيت ظاهره أن معنى عجزه غير متعلق بمعنى صدره ، وأين
قوله في ظاهره : ولا رأى في الحب ، من قوله : إلام طماعية ؟ قال : وفي تعلقه به وجوه
أحدها يريد إلام يطعم عاذلي في إصغائي إلى قوله ، والعاقل إذا أحب ، لم يبق له مع
الحب رأى يصنى به إلى قول ناصح فمذله غير مجد نفما ؟ والثاني أن العاقل لا يرتى في

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْتِي الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ (١)
 وَإِنِّي لِأَعْشَقُ مِنْ عَشِقِكُمْ نُحُولِي وَكُلِّ أَمْرِيءِ نَاحِلِ (٢)
 وَلَوْ زَلْتُمْ مِمُّ لَمْ أَبِكِكُمْ بَكَيْتُ عَلَى حُبِّي الزَّائِلِ (٣)
 أَيْنِكِرُ خَدْيِي دُمُوعِي وَقَدْ جَرَّتْ مِنْهُ فِي مَسَلِكِ سَابِلِ (٤)

الحب فيقع فيه اختياراً ، وإنما يقع اضطراراً ، فلا معنى لعذله ، والثالث أن العاقل ليس من رآه أن يورط نفسه في الحب وإنما ذلك من فعل الجاهل ؛ وعذله الجاهل أضعف من سراج في الشمس ؛ وكيف يطمع في نزوعه ؟

(١) يقول : يريد العاذل من قلبي أن ينساكم ويسلو عنكم وأنا مطبوع على حبكم ، فكيف أنتقل عن شيء طبعت عليه والطبع لا يقبل النقل ؟ وهذا كقول العباس بن الأحنف :

لَا تَحْسَبْنِي عَنْكُمْ مُقْصِراً إِنِّي عَلَى حُبِّكُمْ مَطْبُوعٌ

ويروى : ويأبى الطباع ، على أن الطباع مفرد ، بمعنى الطبع ، لا جمع طبع ، وجمعه طبع : ككتاب وكتب .

(٢) يقول : بلغ من عشقي لكم وحيي إياكم أني أحب نحولي فيكم لأن سببه حبكم ، وأحب كل ناحل من الناس في الحب لأنه يشبهني في أثر حبكم . قال ابن جنى ، وفيه معنى قول أبي الشيص :

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْلُنِي اللَّوْمُ

وهو معنى قول الآخر :

أَحِبُّ لِحُبِّهَا السُّودَانَ حَتَّى أَحِبُّ لِأَجْلِهَا سَوْدَ الْكِلَابِ

(٣) زلتم : بعدتم . يقول ، ولو فارقتموني ولم أباك على فراقكم سلوا عنكم لبكيت على ما زال من حبي إياكم ، يعني : أحبكم وأحب حبكم حتى لو ذهب عني الحب لبكيت على فراقه لا غتباطي بما ألاقه في هذا الحب . قال المنكبرى : وقوله ولو زلتم وتعقيبه في آخر البيت بالزائل : من أبواب البديع في الشعر .

(٤) المسلك السابل : الطريق الكثير المارة . يقول : كيف ينكر خدي ما يسيل عليه من الدموع وهو مسلك لها وهي تجري منه في طريق مذلل قد جرت فيه كثيراً فهو يسكن من ذلك إلى حال قد عرفها وألفها ؟

أَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ ، وَأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلٍ ^(١)
 وَهَبْتُ السَّلْوُ لِمَنْ لَامَنِي ، وَبِتُّ مِنَ الشُّوقِ فِي شَاغِلٍ ^(٢)
 كَانَ الْجُفُونَ عَلَى مُقَلَّتِي ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى نَاكِلٍ ^(٣)
 وَلَوْ كُنْتُ فِي أَسْرِ غَيْرِ أَلْهَوَى
 ضَمِنْتُ ضَمَانَ أَبِي وَائِلٍ ^(٤)
 فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النَّضَارِ وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الدَّابِلِ ^(٥)

(١) يقول: ليس دمعي الآن باول دمع جرى فوق خدي، وليس حزني على هذا الفراق باول حزن على مفارق. يعني أنه قديم العشق قد بكى كثيرا وحزن على فراق الأحبة.

(٢) يقول: تركت السلو لمن يلومني على الوجد، فهو حظه - لاحظي - إذ لي من الشوق شغل شاغل عن السلو واستماع لوم اللأم.

(٣) الناكل: التي فقدت ولدها. يقول: تباعد ما بين جفوني سهرا فليست تلتقي النوم، فكأنها ثياب ناكل شقت. يعني: إنني فقدتهم وفقدت النوم بعدهم، فكان جفوني شقت لفقدهم كما تشق الناكل ثوبها من الحزن، وهذا كقوله الآتي:

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنْأُ الْبَيْنِ أَجْفَانًا

قال العكبري: شبه مقلتيه في حزنهما بتلك الناكل في وجدها، وتبعد السهر لما بين جفونهما بتشقيق الناكل الثياب حدادا، وهذا مما شبه فيه شيثان بشيئين، وهو من أرفع وجوه البديع. وأخذ المهلب الوزير هذا المعنى فقال:

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لِمَا صَرَمَنِي فَمَا تَلْتَقِي إِلَّا عَلَى عِبْرَةِ تَجْرِي

(٤) أبو وائل: هو ابن عم سيف الدولة، وقد خرج إلى وصفه أحسن خروج. يقول: لو كان الذي أسرنى شيثا غير الحب لخرجت من أسره بحيلة وضمان كما فعل أبو وائل، إذ ضمن للخارجي الذي أسره مالا حتى خرج من أساره، وقد بين ذلك فيما يلي.

(٥) النضار: الذهب؛ والقنا الدابل: الرماح، والرمح يوصف بالذبول لقينه. يقول: ضمن لهم الذهب ثم أعطى بدل الذهب صدور الرماح، وذلك أن سيف الدولة استنقذه من أيديهم بغير فداء، إذ أتى الخارجي بجيشه وقتله وأخذ أبا وائل.

وَمَنَّا مُمُّ الْخَيْلِ مَجْنُوبَةٌ فَجِئْنَا بِكُلِّ فِتْنَى بَاسِلٍ (١)
 كَانَ خَلَاصَ أَبِي وَائِلٍ مُعَاوَدَةُ الْقَمَرِ الْآفِلِ (٢)
 دَعَا فَسَمِعَتْ وَكَمْ سَاكِتٍ عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ (٣)
 فَلَبَّيْتُهُ بِكَ فِي جَحْفَلٍ لَهُ ضَامِنٌ وَبِهِ كَافِلٍ (٤)
 خَرَجْنَا مِنَ النَّعْجِ فِي عَارِضٍ وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فِي وَائِلٍ (٥)
 فَلَمَّا نَشَفْنَا لَقَيْنَا السَّيَاطَ بِمِثْلِ صَفَا الْبَلَدِ الْمَاحِلِ (٦)

(١) مناه الشيء : جعله أمنية له ؛ والأمنية : ما يتمنى . والمجنوبة : الخيل التي لا تركب وإنما تجنب للحاجة إليها . والباسل : الشجاع . يقول : أعطاهم مناهم فوعدمهم أن تقاد إليهم الخيل في فدائه ، فجاءت الخيل ولكن تحمل الفرسان لمحاربتهم .
 (٢) أفل القمر : غاب . يقول : كنا بعد أسره كأننا في ظلمة ، فلما عاد إلينا كان كماودة القمر بعد أفوله .

(٣) يخاطب سيف الدولة . يقول : دعاك لا استنقاذه فأجبتة ، ولو سكت لما قدمت عنه ولما غفلت ، فكلم ساكت وهو بعيد عنك لم تغفل عنه حتى كأنه قائل يسألك حاجة؟ وبعبارة أخرى : دعاك على بعد محله فأجبتة على انتزاح مستقره ، ورب ساكت لبعده عنك ، كالمخاطب لك ، لما يوجهه كرمك من اهتمامك بشأته ، واعتنائك بأمره .

(٤) بك : أى بنفسك : والجحفل : الجيش . يقول : فجعلت إجابته أن أتيتة بنفسك في جيش عظيم ضمن له استنقاذه وكفل برده إلى مكانه .

(٥) النعج : الغبار ؛ والعارض : السحاب ؛ والوايل : المطر الكثير ؛ وخرجنا : أى الخيل . يقول : خرجت الخيل للحرب فكانت من الغبار في سحاب ومن العرق في مطر .

(٦) الصفا : الصخر . والماحل : الذى لم يمطر . يقول : لما نشفت الخيل من العرق تلقت السياط من أعجازها بمثل الصخر الذى لا ندوة به ، يعنى أنها لم تسترخ ولم تضعف لما لحقها من التعب ، وإنما كانت صلبة تضرب بالسياط فتقع من جلودها على مثل صخر البلد الماحل .

شَفَنَ لِحْمَسٍ إِلَى مَنْ طَلَبَنَ قُبَيْلَ الشُّفُونِ إِلَى نَازِلٍ (١)
 فَدَانَتْ مَرَّافِقُهُنَّ الثَّرَى عَلَى نَفَقَةِ بَالِدَمِ الْفَاسِلِ (٢)
 وَمَا بَيْنَ كَاذَبِ الْمُسْتَفِيرِ كَمَا بَيْنَ كَاذَبِي الْبَائِلِ (٣)

(١) يقال شفت الرجل : إذا نظرت إليه بمؤخر عينك ، أو نظرا في إعراض ،
 وأنشد الجوهري للقطامي :

يُسَارِقُنَ الْكَلَامَ إِلَى لَمَّا حَسِسْنَ حِذَارَ مُرْتَقِبِ شَفُونِ
 قال : وهو النيور .. والمراد هنا : النظر . يقول : نظرت الخيل إلى أبي وائل -
 الذي كانت جادة في طلبه - قبل النظر إلى نازل عن ظهورها ، يعني أن فرسان هذه
 الخيل لم يزلوا عن ظهورها خمس ليال حتى بلغوا أبا وائل في ركضة واحدة وأوقفوا
 بالقوم الذين أسروه .

(٢) دانت : فاعلت . من الدنو : أى قاربت . والثرى : التراب ؛ يقول فساخت
 قوائمها في التراب إلى مراقبتها ثقة بأن الدم الذى سيفسكه فرسانها سيفسها ويزيل
 عنها ذلك التراب ، ويروى بدل الثرى : البرى ، وهو التراب قال مدرك بن حصن الأندى
 مَاذَا ابْتَفَتْ حُبِّي إِلَى حَلِّ الْعُرَى حَسِبْتَنِي قَدْ جِئْتُ مِنْ وَادِي الْقُرَى
 بِنَيْفِكَ مِنْ سَارٍ إِلَى الْقَوْمِ الْبَرَى (١)

والبرية منه لأنهم من التراب ، فهو على هذا غير مهموز ، تقول براه الله يروه برواً
 أى خلقه ؛ وقيل : البرية الحلق ، وأصله الهمز ، يقال براه الله .

(٣) الكاذة : لحم الفخذ ؛ والمستفير : الذى يطلب الغارة . والبائل : الذى
 يتفجع - يواعد ما بين رجليه - ليبول . يقول : إن هذه الخيل المستفيرة على هؤلاء
 الحوارج كانت لشدة العدو - الجرى - تفجع كما يتفجع البائل لثلا يصيه البول . ويجوز
 أن يريد - كما قال الواحدى - أنها تعرق في عدوها حتى يسيل العرق بين أرجلها
 كأنها تبول .

(١) يقال في الدعاء على الإنسان بفيه البرى ، كما يقال بفيه التراب ؛ ومن دعائهم .
 بفيه البرى ، وحى خيرا ، وشر ما يرى ، فإنه خيسرا

فَلَقَيْنَ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ وَمَصْبُوجَةٍ لَبِنَ الشَّائِلِ (١)
 وَجَيْشَ إِمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ صَحِيحِ الْإِمَامَةِ فِي الْبَاطِلِ (٢)
 فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدَامَهُ نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ (٣)
 فَلَمَّا بَدَوْنَ لِأَصْحَابِهِ رَأَتْ أَسْذَاهَا آكِلَ الْآكِلِ (٤)

(١) الردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة ، امرأة كانت تقوم الرماح . والمصبوحة : الفرس التي تسقى اللبن صباحاً لكرامتها على أهلها ؛ والشائل : يريد بها الشائلة ، تحذف الماء ، وهي الناقة التي قل لبنها وخف ومرؤ ونجم في شاربها ، ولا يسقاه إلا كرائم الخيل ؛ قال ابن القطاع . حذف الماء لإقامة الوزن ، والشائلة . التي مر عليها من وقت نتاجها سبعة أشهر خف لبنها ، وجمعها شول ، والشائل - بلاهاء - التي تشول بذنبها ولا لبن لها ، وجمعها شول : كرا كع وركع . . قال ابن جنى . سألت النبي عن قوله الشائل وقلت له الشائل لا لبن لها ، وإنما التي لها بقية من لبن يقال لها الشائلة بلاهاء ، فقال أردت الماء وحذفتها ، كقول كثير .

أَعْمَرِي لَبِنُ أُمِّ الْحَكِيمِ تَرَحَّلَتْ وَأَخْلَتْ نَحِيَاتِ الْعُذَيْبِ ظِلَالَهَا
 أراد العذبية ، تحذف الماء . يقول للنبي : إن خيل سيف الدولة استقبلت من الخارجي بالرماح الردينية وبالخيل التي تسقى لبن النياق صباحاً لكرمها .

(٢) وجيش : عطف على كل - في البيت السابق - والمراد بالإمام : الخارجي . يقول : ولقيت هذه الخيل جيش إمام في قومه صحيح الإمامة عليهم ، إذ سلموا له الإمامة ولكنه إمام المبطلين . . . وإنما لكلمة بارعة قوله صحيح الإمامة في الباطل . وقال ابن جنى : معناها قد صح أن إمامته باطلة لاشك في ذلك . والتفسير الأول أوجه .

(٣) ينحزن : من الانحياز ، وهو كالانهزام ، الانضمام إلى جانب . والعاسل : الذي يجنى العسل من خلايا النحل . قال شارحو الديوان جميعاً . أى أقبلت خيل الخارجي تنفر وتهرب من جيش سيف الدولة نفور النحل من العاسل . وقال اليازجي . أى إن خيل المدوح انحازت أمام هذا الجيش ونفرت منه كما ينفر النحل من العاسل . يشير إلى كثرة هذا الجيش وما ألقاه من الهول على جيش سيف الدولة ، وهو الأظهر والأوجه .

(٤) يقول ، فلما ظهرت لأصحاب الخارجي رأى شجعانهم منك شجاعاً يأكلهم ويفنهم ، يعني كنت أشجع منهم وإن كانوا مجاهدين

بَضْرِبِ يَبْضِرُهُمْ جَارٍ لَهُ فِيهِمْ قِسْمَةُ الْعَادِلِ (١)
 وَطَعْنٍ يَجْمَعُ شَذَائِهِمْ كَمَا اجْتَمَعَتْ دَرَّةُ الْحَافِلِ (٢)
 إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَى فَارِسٍ تَحَيَّرَ عَنِ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ (٣)
 فَظَلَّ يُخَضَّبُ مِنْهَا اللَّحَى فَتَى لَا يُعِيدُ عَلَى النَّاصِلِ (٤)
 وَلَا يَسْتَنْغِيثُ إِلَى نَاصِرٍ وَلَا يَتَضَعُّعُ مِنْ خَاذِلِ (٥)
 وَلَا يَزِعُ الطَّرْفَ عَنْ مُقَدِّمٍ وَلَا يَرْجِعُ الطَّرْفَ عَنْ هَائِلِ (٦)

(١) يقول : إن أكلك إياهم كان بضرب أتى عليهم جميعاً ، وأنت وإن بالعت في الضرب وأسرفت إسراف الجائر - الظالم - إلا أنك قسمت الضرب بينهم قسمة العادل ؛ إذ لم ينفلت منهم أحد ، وهو معنى بديع . وقال ابن جنى : هذا الضرب وإن كان لإفراطه جوراً فهو في الحقيقة عدل لأن قتل مثلهم عدل وقربة إلى الله ؛ وفي معناه لحبيب :

أَنْ لَسْتَ نِعَمَ الْجَارِ لِلْسُّنَنِ الْأَلَى إِلَّا إِذَا مَا كُنْتَ بئْسَ الْجَارِ (١)

(٢) الشذان : للفرقون ؛ والدرة : اللبنة إذا كثرت وسال ؛ والحافل . التي حفلت بضرعها ؛ أي امتلأ باللبنة . يقول : إن هذا الضرب لم يتخلص منه شاذ ولا نافر ، بل اجتمعوا فيه اجتماع اللبنة في الضرع ، وبعبارة : جمع متفرقهم بشدته وحصرهم بخافته ، كجمع الضرع لدرته .

(٣) يقول : إذا نظرت إلى الفارس - وهو أقدر على الفرار من الراجل - تحيرت فزعاً منك وهيبة فلم يقدر على الهرب منك ، وأن يذهب ولو ذهاب الواحد من الرجالة .

(٤) الناصل : الذي ذهب خضابه . يقول : فظل سيف الدولة يخضب من الأعداء الحامم بدمائهم ، غير أنه لا يعيد الخضاب على من نصل خضابه فذهب يعني أنه إذا ضرب إنساناً بسيفه لم يبق فيه ما يحتاج إلى إعادة الضربة .

(٥) يقول : إنه مستغن بقوته عن ينصره فلا يستنصر أحداً مستغنياً إليه ولا يجمع ولا يستكين من خذلان من يخذله ، لأنه من نفسه الكبيرة في جيش .

(٦) يزع : يكف ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والمقدم : مصدر ، أو اسم مكان ؛ أي عن إقدام أو عن محل إقدام ؛ والطرف : النظر . والهائل الأمر العظيم الخفيف .

(١) بئس الجار : يريد للكفار .

إِذَا طَلَبَ التَّبَلَّ لَمْ يَشَأْ^(١) وَإِنْ كَانَ دَيْنًا عَلَى مَا طَلَّ^(١)
 خُذُوا مَا آتَاكُمْ بِهِ وَأَعِذُوا^(٢) فَإِنَّ الْغَنِيمَةَ فِي الْعَاجِلِ^(٢)
 وَإِنْ كَانَ أَعْجَبَكُمْ عَامُكُمْ^(٣) فَعُودُوا إِلَى حِمصَ مِنْ قَابِلِ^(٣)
 فَإِنَّ الْحُسَامَ الْخَضِيبَ الَّذِي^(٤) قُتِلْتُمْ بِهِ فِي يَدِ الْقَاتِلِ^(٤)
 يَجُودُ بِمِثْلِ الَّذِي رُمْتُمْ^(٥) فَلَمْ تَذَرِكُوهُ عَلَى السَّائِلِ^(٥)
 أَمَامَ الْكُتَيْبَةِ تَزْهَى بِهِ^(٦) مَكَانَ السَّنَانِ مِنَ الْعَامِلِ^(٦)

يقول : ولا يكبح فرسه عن إقدام أو عن شيء يقدم عليه ؛ أي لا يخاف شيئاً ولا يخشى أحداً فيرتد ويرجع ، ولا يهوله شيء فيرد طرفه - نظره - عنه .

(١) التبل : الثأر ؛ و«لم يشأ» : لم يسبقه : يقول : إذا طلب ترة - ثأراً - لم تفته وإن كانت ممتنة صعبة الحصول كالدين عند الماطل ؛ وإن طال العهد .

(٢) يستهزي بهم . يقول : اعذروه فيما آتاكم به من ضمان أبي وائل وخذوه فإن الغنم فيما عجل لكم ، وما تأجل وتأخر لعله لا يصل إليكم . . . والذي آتاهم به هو الواقعة بهم .

(٣) حمص : كانت موضع الواقعة ، ومن قائل : أي العام القابل . يقول : إن كان قد حصل لكم مرادكم في عامكم هذا من قصد حمص فعودوا في السنة التالية ليعود إليكم القتال . . .

(٤) الحسام : السيف القاطع . والخضيب : الخضوب . يقول : فإن السيف الذي خضب بدمائكم وقتلتم به لا يزال في يد من قتلكم به ، فتمت لقيمته في المرة الثانية كما لقيتم في الأولى .

(٥) على السائل : متعلق ب«يجود» : يقول : هو جواد يجود على سائله بمثل الذي طلبتموه من الضمان فلم تتركوه لأنكم طلبتموه لاعتن طريق السؤال فكان منه لكم ما كان .

(٦) الكتيبة : الجماعة من الجيش ؛ والظرف : حال عن الضمير المستكن في الخبر بعد - وهو قوله : مكان السنان ، فإنه خبر عن محذوف ، هو ضمير المدحج - وتزهي : تفتخر ؛ والجملة : حال من الكتيبة ؛ والعامل : صدر الرمح . يقول : هو من عساكره

وَأِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ قِتَالًا بِكُمْ عَلَى بَازِلٍ (١)
 أَقَالَ لَهُ اللَّهُ لَا تَلْقَهُمْ بِمَاضٍ عَلَى قَرَسٍ حَائِلٍ (٢)
 إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً بَرَاهَا وَغَنَّاكَ فِي الْكَاهِلِ (٣)
 وَلَيْسَ بِأَوَّلِ ذِي هَمَّةٍ دَعْتَهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ (٤)
 بِشُّمْرِ اللَّجِّ عَنْ سَاقِهِ وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فِي السَّاحِلِ (٥)

الذين يفخرون به بمكان السنان من عامل الرمح ، فهو يتقدمهم كما يتقوم السنان الرمح ، وهو الطاعن ، وهم بدونه لا يفتنون شيئاً .

(١) البازل من الإبل : الذي قد فطرنا به وظهر في السنة التاسعة ، وجمل بازل وناقة بازل ، بلفظ واحد : وكان الخارجي قد ركب ناقة ، وهو يشير بكمه بحث أصحابه على القتال ، فهو يقول . إني لأعجب ممن يؤمل ظفراً بتحريك كم وركوب ناقة !

(٢) بماض : أى بسيف ماض : أى قاطع ؛ والحائل من الحيل : التي لم تحمل ، وإذا حالت الفرس فهو أشد لها . يقول : هل أوحى الله سبحانه إليه أن لاتلقى جيش سيف الدولة بسيف على فرس ؟ وقد كان هذا الخارجي يدعى النبوة ويقول : لا آتي إلا ما أمرني الله به - فقال النبي : آله أمره أن لا يأخذ للحرب عدتها ؟

(٣) الهامة : الرأس . وبراها : قطعها . والكاهل : أعلى مجتمع الكتفين يقول : هل قال الله له لاتلقهم بسيف إذا ضربت به رأساً قطعه ووصل إلى عظم الكاهل حتى يسمع صوته من قطعه ؟ وجمل ذلك الصوت كالغناء منه كما قال أبو نواس :

إِذَا قَامَ غَنَّتُهُ عَلَى السَّاقِ حَلِيَّةٌ لَهَا خَطْبُوهُ وَسَطُ الْغِنَاءِ قَصِيرٌ

« يعنى بالحلية : القيد » فنقل النبي وصف القيد إلى السيف .

(٤) يقول : ليس الخارجي بأول من دعتهمته إلى مالائنه ؛ وكان هذا الخارجي يطمع في الخلافة والملك .

(٥) اللج : معظم الماء ؛ والبيت مثل . يقول إن هذا الخارجي فيما يعالجه من مقاومة جيوش سيف الدولة وعجزه عن أقلها ؛ أو أنه في ادعائه النبوة وطعمه بها في الخلافة ثم عجزه عن سيف الدولة - وهو أحد أمراء الإسلام - كمن يريد أن يقتحم لجة البحر والوج يغمره في ساحله ؛ يعنى أنه يتعرض للصعب الكبير وهو يعجز عن السهل الصغير .

أَمَّا لِلخِلافةِ مِنْ مُشْفِقٍ عَلَى سَيْفِ دَوْلَتِهَا الْفَاصِلِ (١)
يَقْدُ عِدَاهَا بِلَا ضَارِبٍ وَيَسْرِي إِلَيْهِمْ بِلَا حَامِلٍ (٢)
تَرَكَتْ جَمَاهِمُهُمْ فِي النَّقَا وَمَا يَتَخَلَّصَنَّ لِلنَّاخِلِ (٣)
فَأَنْبَتَ مِنْهُمْ رَيْعَ السَّبَاعِ فَأَنْتَنَتْ بِإِحْسَانِكَ الشَّائِلِ (٤)
وَعُدَّتْ إِلَى حَلَبٍ ظَافِرًا كَعَمُودِ الْحَلِيِّ إِلَى الْعَاطِلِ (٥)
وَمِثْلُ الَّذِي دُشِنَتْهُ حَافِيًا يُؤَثِّرُ فِي قَدَمِ النَّاعِلِ (٦)

(١) الفاصل : القاطع ، و يروي : الفاضل ، يقول أما أحد يشفق على سيف دولة الخلافة ويبقى عليه ويحول بينه وبين كثرة الحروب خشية أن يصيبه سوء فتبقى الخلافة ولا سيف لها ؟

(٢) هذا بيان لسبب وجوب الإشفاق عليه . يقول : هو سيف لهذه الدولة لكنه يقطع الأعداء من غير أن يضرب به ويسرى إليهم غير محمول ؛ يعني إذا افتقر السيف إلى من يضرب به كان هو منفرداً بفعله ، وإذا التجأ إلى من يحمله كان مكتفياً بنفسه ؛ والمعنى أنه المستقل بالحمامة عن الخلافة الناهض بنصرتها بنفسه .

(٣) النقا : الكتيب من الرمل . يقول : دست رءوس أصحاب الخارجى بجوافر الخيل فطختها وامتزجت بالرمل حتى لو نخل الرمل لم يتخلص من رؤوسهم شيء .

(٤) يقول : تركتهم جزراً للسباع فأخصبت بكثرة القتلى ، فكأنك أنبت لها ريعاً بما وسعت عليها من لحومهم ؛ فلو قدرت السباع لأنفت عليك بما شملتها من إحسانك

(٥) الحلى : جمع حلى ، ما يزين به ؛ والعاطل : الذى لا حلى عليها . يقول : وانصرفت إلى دار ملكك — حلب — بعد الظفر بأعدائك كما تعود الحلى إلى من لا حلى لها ، أى أن زينة حلب بك .

(٦) الناعل : ذو النعل ، كما أن الدارع ذو الدرع ، وفى المثل : أطرى إنك ناعلة (١) يقول : إن ما فعلته وأنت غير متأهب له يعجز عنه المتأهب ؛ جعل الحافى مثل لمن لم يتأهب والناعل مثلاً للمتأهب .

(١) قال أهل اللغة : هذا المثل يقال فى جلادة الرجل ، ومعناه اركب الأمر الشديد فإنك قوى عليه ؛ وأصل هذا : أن رجلاً قاله لراعية له وكانت ترعى فى السهولة وتترك الحزونة ، فقال لها : أطرى — أى خذى فى أطرار الوادى — وهى نواحيه — فإنك ذات نعلين . قال الجوهري : وأحسبه عنى بالنعلين : غلظ جلد قدميها .

وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ لَهُ شِيَّةُ الْأَبْلَقِ الْجَائِلِ (١)
 وَيَوْمَ شَرَابُ بَيْتِهِ الرَّدَى بَغِيضُ الْخُضُورِ إِلَى الْوَاغِلِ (٢)
 تَفَكُّ الْعِنَاةَ وَتُنْفِي الْعَفَاةَ وَتَفْرِغُ لِلْمُذْنِبِ الْجَاهِلِ (٣)
 فَهَنَّاكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ وَأَرْضَاهُ سَقِيكَ فِي الْآجِلِ (٤)
 فَذِي الدَّارِ أَخُونُ مِنْ مُوسَى وَأَخْذَعُ مِنْ كِفَّةِ الْخَالِلِ (٥)

(١) الشية : لون يخالف بقية لون الجلد ؛ والأبلق : الذي فيه سواد وبياض ؛ والجائل الذي يجول بين الصفيين . يقول : كم لك من خبر اتصار وظفر شاع واشهر اشتها العية في الفرس الأبلق حين يجول بين الخيل .

(٢) الواغل : الداخِل على القوم في شراهم من غير أن يدعى ، أما الذي يدخل على القوم في طعامهم فهو الوارش . يقول : وكم لك من يوم حمى فيه الوطيس وتعاطى بنوه كؤوس المنية فأبغض الواغل حضور مثله ، وتكره المشاركة في ذلك الشراب ، وهذه استعارة جميلة .

(٣) العناة : جمع عان ، الأسير ؛ والعفاة : جمع عاف ، السائل . يقول : ديدنك فك الأسرى ، وإغناء السائلين . والعفو عن المذنبين .

(٤) معطيكه : معطيك إياه ، والآجل : ما قابل العاجل . والآجل في غير هذا الموضع : من قولهم أجل عليهم شرا يأجله أجلا : خبأه وهيجه ؛ قال توبة ابن مضرس العبيسي :

وأهلِ خِيبَاءِ آمَنِينَ لِحِقْمَتِهِمْ بِشَيْءٍ عَزِيزٍ عَاجِلٍ أَنَا آجِلُهُ
 وَأَقْبَلْتُ أَسْمَى أَسْأَلُ الْقَوْمَ مَا لَهُمْ سُؤَالَكَ بِالْشَيْءِ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهُ
 د أنا آجله : أى جانيه ؛ وقد كان مرصبية يتضاربون ، فاستغناه بعضهم على بعض ، فضرب صيبا منهم فمات ، ثم جاء إلى أهل المقتول يسألهم عن الخبر كأنه جاهل به ، يدعو المتنبي له بأن الله الذي أعطاه النصر على الأعداء يجعله هنيئاً له وأن يرضى عنه في الآخرة بسعيه .
 (٥) المومس والمومسة : الفاجرة . والكفة : الحباله ، أى الشرك ؛ والخالل : الصائد ذو الحباله . يقول : إن هذه الدنيا خوانة لأصحابها كالمومس لا تقيم على خليل ، وهى أخذع من حباله الصائد التي تصرع من اطمأن إليها .

تَفَانَى الرَّجَالُ عَلَى حُبِّهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلٍ (١)

وسار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه ناصر الدولة ، لما قصده معز الدولة الديلمي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فقال أبو الطيب :

أَعْلَى الْمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسْلِ وَالطَّنُّ عِنْدَ مُحِبِّينَ كَالْقَبْلِ (٢)

وَمَا تَقْرَهُ سَيْوْفٌ فِي تَمَالِكِهَا حَتَّى تُتَقَلَّلَ دَهْرًا قَبْلُ فِي الْقَلْلِ (٣)

مِثْلُ الْأَمِيرِ بَنَى أَمْرًا قَفَرَهُ

طُولُ الرَّمَاحِ وَأَيْدِي الخَنْزِيلِ وَالْإِبِلِ (٤)

(١) الطائل : كل شيء يرغب فيه أو مافيه غناء . يقول : تفانى الناس في التشاح على الدنيا ولم يحصلوا على شيء ، لأنها تأخذ ما تعطى ، وتهدم ماتبني وتعر بعد حلاوتها ، وتعوج بعد استقامتها ، قبها الله وقيح من تهالك عليها .

(٢) الأسل : الرماح . يقول : أعلى المالك رتبة ما أخذ اقتسارا وغلابا ، لا ما جاء عفوا ، ومن أحب المالك كان الطعن عنده كالقبل : أى يستلذ الطعن استلذاذ القبل وعجز البيت من قول أبي تمام :

يَسْتَعْذِبُونَ مِنْ أَيَّامِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

والذي يؤخذ من كلام العكبري أن الضمير في محبين للطعن — على أنه جمع طعنة وإلا لقال عند محبيه ؛ والأظهر عوده إلى المالك — جمع مملكة — سلطان الملك في رعيته .

(٣) تقلل : تحرك حركة عنيفة ؛ والقيل : جمع قلة ، أعلى الرأس ؛ من قلة الجبل يقول : لا تستقر السيوف في الممالك حتى تتحرك زمانا في رهوس الأعداء ، يريد لا يثبت لك الملك حتى تقطع رهوس المعادين لك . قال العكبري : وأشار بذلك إلى انصرف الديلمي عن الموصل بغير حرب هية لسيف الدولة ، قال : وفيه نظر إلى قول حبيب :

سَأَجْهَدُ عَزْمِي وَالْمَطَايَا فَإِنِّي أَرَى الْعَفْوَلَا يُمْتَاخُ إِلَّا مِنَ الْجَهْدِ

ونصب دهر على الظرفية ورفع قبل لأنه لما قطع عن الإضافة بناه على الضم .

(٤) يقول : مثلك إذا حاول أمرا بعيد النال قربته عليه الرماح وأيدي الخيل والمطايا يعنى أنه لا يتعدو عليه أمر طلبه لأنه يتمكن منه بماله من العدة والاعتزام الذى ذكره في البيت التالى .

وَعَزْمَةٌ بِعَمَّتْهَا هِمَّةٌ زُحَلٌ

مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التُّرْبِ مِنَ زُحَلٍ (١)
 عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ تَوَحُّشٌ لِمَلْتَقَى النَّصْرِ مُقْتَبِلٍ (٢)
 تَتَلَوُ أَسِنَّتُهُ الْكُتُبَ الَّتِي نَفَذَتْ وَيَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالًا مِنَ الرُّسُلِ (٣)
 يَلْتَقِي الْمُلُوكَ فَلَا يَلْتَقِي سِوَى جَزَرَ وَمَا أَهْدُوا فَلَا يَلْتَقِي سِوَى نَفْلِ (٤)
 صَانَةَ الْحَلِيمَةَ بِالْأَبْطَالِ مُهَجَّتَهُ صِيَانَةَ الذِّكْرِ الْهِنْدِيَّ بِالْخَلَلِ (٥)

(١) عزيمة : عطف على طول الرماح ؛ وزحل : مبتدأ ؛ خبره : بمكان التراب ؛
 والجملة : نعت همة . يقول : وقربها عليه عزيمة حركتها همة تملو على زحل - السكوك
 المعروف - بقدر علو زحل عن التراب .

(٢) الأعاصير : جمع إعصار ، الريح تلتف بالغياب وتعلو مستطيلة ؛ والتوحش :
 بمعنى الوحشة . ويريد ملقى النصر : سيف الدولة ؛ أى يلقى النصر حيشما قصد : أى
 يستقبل به : ومقتبل : قال الواحدى : أى حسن تقبله العيون ، وقيل من قولهم رجل
 مقتبل الشباب : أى ليس عليه للكبر أثر . يقول : على الفرات - النهر المعروف - رياح
 تثير الغبار لمكان جيش أخيك ناصر الدولة ، وفي حلب وحشة لأنك بعدت عنها .

(٣) تتلو : تتبع ؛ ونفذت : مضت ، والأبدال : جمع بدل . يقول : إن رماحه
 تتبع كتبه إلى أعدائه فهو يندرم أولاً ، فإن لم يطيعوه صمد إليهم بجيوشه ، ويجعل الخيل
 بدلا من الرسل : أى لا يستجلب طاعتهم إلا بالإكراه ، فليست كتبه لاستصلاح أو
 استتباب وإنما هى للإعلام بأنه قادم ، لأنه لا يجب الظفر اغتيا لا قمواراة لثقتة بنفسه
 وهذا من قول الفرزدق :

شديدُ الحميِّ لا يَخَاتِلُ قِرْنَهُ وَلَكِنَّهُ بِالصَّحْصَحَانِ يَنَازِلُهُ

وقول صريع الغواني :

مَنْ كَانَ يَخْتَلِ قِرْنًا عِنْدَ مَوْقِفِهِ فَإِنَّ قِرْنَ عَلَى غَيْرٍ مَخْتَلٍ

(٤) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ، ويقال تركوم جزرا : إذا قتلوهم ؛ وما أعدوا
 عطف على الملوك . والنفل : الغنيمة يقول : إنه يلقى الملوك الذين يخالفونه فيوقع بهم
 ويجيوشهم ، فلا يكونون إلا ما كلال للسباع . ولا تكون أسلابهم إلا غنيمة لأصحابه .
 (٥) الضمير فى مهجته : لسيف الدولة ؛ والذكر : من أوصاف السيف ؛ والهندي

الْفَاعِلُ الْفِعْلُ لَمْ يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكَ وَلَمْ يَقُلْ ^(١)
 وَالْبَاعِثُ الْجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَابَتُهُ ضَوْءُ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالطِّفْلِ ^(٢)
 أَلْجَوْهُ أَضِيقُ مَا لَقَاهُ سَاطِعَهَا وَمُقَلَّةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحْيَرُ الْمُقَلِّ ^(٣)
 يَنَالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وَهِيَ نَازِرَةٌ فَمَا تَقَابَلُهُ إِلَّا عَلَى وَجَلِّ ^(٤)

السيف؛ والحلل أغشية الأعماد يقول: إن الخليفة أكرمه فصانه بما وجه إليه من الأبطال والرجال كما يسان السيف الهندي بالحلل. وعبارة العكبرى: لما علم الخليفة أنه سيفه الذي يسطوبه صانه وحفظه بالأبطال الذين أثبتهم في رسمه والحماة الذين اختارهم لحفظه، كما يسان السيف الكريم بالأعماد التي يتخلل فيها، والجفون التي يحفظ بها؛ وأشار بهذا إلى أن الخليفة شرفه بتلقيه بسيف الدولة.

(١) يقول: إنه يفعل ما لم يفعله أحد لصعوبته على من يحاوله فهو قد آتى به بكرة ويكون أبا عذرة ذلك الفعل، ويقول ما لم يقله أحد في بلاغته وجزالته ولم يترك أيضاً لأن كل بليغ يريد أن يأتي بمثله فهو يقصده ويتكلفه ولا يقدر عليه. قال العكبرى: من روى الفعل؛ بالنصب أراد: يفعل الفعل ويقول القول، لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل؛ ومن روى بالجر جملة مضافاً: كقوله تعالى «والمقيمي الصلاة».

(٢) غاله يفعله: ذهب به؛ وأصله الإهلاك، والمعجاجة: الغبرة؛ والطفل: وقت غروب الشمس. يقول: يبعث إلى أعدائه الجيش الكثيف الذي يستر ضوء الشمس بشاره حتى يصير الظهر كوقت الطفل؛ وهذا إشارة إلى كثرة جيشه.

(٣) الساطع: المنتشر؛ والضمير المضاف إليه: للمعجاجة. يقول: إن ماسطح من غبار هذا الجيش ملاء كل فضاء، فكان الجو أضيّق شيء به، لأنه على سعته ملاء حتى ساوى أضيّق ما فيه، وكانت عين الشمس فيه أحيّر العيون، لأنه بلغ إليها وأحاط بها؛ وكل هذا مبالغة. وعبارة العكبرى: ما بعد من الهواء أضيّق بساطع هذا الغبار بما قرب، لأنه فيه تجتمع حملته وتتراق كثرته، وما قرب فإنما يرد الشيء بعد الشيء فينجلي منه ولا يجتمع، وعين الشمس أحيّر العيون بقربها من مستقره ودنوها من مجتمعه.

(٤) يقول: إن سيف الدولة ينال أبعد من الشمس وهي ترى ذلك لما تقابله إلا على خوف أن ينالها أيضاً لو قصدتها، لأنها ترى أنه مظفر يدرك ما يقصده. وقال من الشراح: يريد أن هذا الغبار بتتابعه واتصاله وترادفه يعلو على الشمس مع ارتفاع

قَدْ عَرَضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ
 وَظَاهَرَ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالغَيْلِ (١)
 وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالْأَسْرَارِ فَأُنْكَشَفَتْ لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ (٢)
 هُوَ الشَّجَاعُ يَعْدُ الْبُخْلَ مِنْ جُبْنٍ وَهُوَ الْجَوَادُ يَعْدُ الْجُبْنَ مِنْ بَخَلٍ (٣)

موضعها وهى ناظرة إليه غير مساوية فى الارتفاع له فتقابلة وجلة من ذهابه بنورها ، وهذا كله إشارة إلى عظم الجيش وكثرته .

(١) عرضه : جعله معترضا ؛ والنازلات : النواب ؛ ويقال ظاهر بين ثوبين : إذا لبس أحدهما فوق الآخر ، وأصله المعاونة . والغيل : جمع غيلة ، اسم من الاعتيال ؛ يقال قتل فلان غيلة : أى اغتبيلا . يقول : جعل سيفه معترضا بينه وبين نواب الدهر فلا تصل إليه واستعان بالحزم فى دفع الهلاك عن نفسه وأقامه حاجزا بينهما . أى تحصن بحزمه كما يتحصن بالدرع ، أى جعل حزمه كالدرع الواقية له وقد لبس الحزم فوق الدرع فجعله حائلا بين نفسه وبين الهلاك .

(٢) يقول : إنه وكل صادق ظنه بما ينطوى عليه الناس جميعاً ويخفونه دونه ، فعلم ما أسروه وانكشف له ما أضمروه ؛ يعنى أنه ألقى صادق الفراسة يدرك المغيبات بظنه حتى تنكشف له الضمائر .

(٣) يقول : هو شجاع غير بخيل ، لأن الشجاع يعد البخل جبنا ، لأن البخل معناه خوف الفقر ، والخوف جبن ، والشجاع لا يجبن ، وهو جواد غير جبان ، لان الجواد يعد الجبن بخلا ، لأن معنى الجبن البخل بالروح ، والجواد لا يبخل ، وإذن هو شجاع غير بخيل ، وجواد غير جبان : أى أن الشجاعة والجود فيه وصفان متلازمان ، وهذا من قول أبى تمام :

وَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدٍ فِي وَغَى وَنَدَى وَمُبْدَى غَارَةٍ وَمُعِيدَا
 يَقْرِى مُرَجِّبِهِ مُشَاشَةً مَالِهِ وَشَبَا الْأَسِنَّةِ ثُقْرَةَ وَوَرِيدَا (١)
 أَيْقَنْتَ أَنَّ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً تُدْبِي وَأَنْ مِنَ الشَّجَاعَةِ جَوَادَا

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذى يمكن مضغه ؛ والثقرة : نقرة النحر

يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرِ مُفْتَخِرٍ وَقَدْ أَغَدَّ إِلَيْهِ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ ^(١)
وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بُعَيْتَهُ وَلَا تُحَصِّنُ دِرْعٌ مِنْهُجَةَ الْبَطَلِ ^(٢)
إِذَا خَلَّتْ عَلَى عَرَضٍ لَهُ حُلَلًا وَجَدَتْهَا مِنْهُ فِي أَهْبَى مِنَ الْحُلَلِ ^(٣)

وعبارة ابن الإقليل : يريد أنه الشجاع التناهي الشجاعة ؛ فالبخل عنده باب من الجبن لأن من سمح بنفسه لم يبخل بكرام ماله وهو الجواد التناهي الجود ، والجود بالنفس غاية الجود ، ومن جاد بنفسه لم يجبن عن عدوه ، ومن كان كذلك فالجبن عنده باب من البخل ، فدل على أن الشجاعة والجود من طريق واحد ، وهذا منقول من قول الآخر :

إلى جوادٍ يعدُّ الجبن من بخلٍ وباسلٍ بخله يعتدُّ جُبْنًا
يلقى العفاء بما يَرَجُونَ من أملٍ قبل السؤال ولا ينبغي به ثمنا
وقد بين صريع العوائى أن الشجاعة جود بالنفس في قوله :

يجودُ بالنفس إذ ضنَّ الجواد بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود

(١) أغد : أسرع في السير ؛ واحتفل بالأمر : اهتم . يقول : كثرت فتوحه وتوالت ومن ثم لا يفخر بها ، إذا سار إلى بلد يفتحه سار غير مبال لثقلته بقوته وشجاعته ؛ وعبارة العكبرى : هو يفتح الفتوح العظيمة فلا يفخر بها ويسرع إليها ، ولا يحتفل لها . استقلالاً لمعظم ما يفعله وارتفاعاً عن نهب من يقصده . قال ابن جنى : فإن قيل كيف يكون مغذاً غير محتفل ، فالمعنى أنه غير محتفل عند نفسه ، وإن كان محتفلاً عند غيره ، لأن كبير الأشياء عند غيره صغير عنده .

(٢) أجار عليه : منعه مما يطلبه . قال تعالى : « وهو يجير ولا يجار عليه » أى لا يمنع مما يريد . يقول : إذا رام المدح شيئاً لا يجيره عليه الدهر ولا يحميه منه ، ولا يحصن الدرع منه مهجة من خالفه ، ولا يعصمه من الهلاك إذا أراده كان ما كان من البطولة . أو تقول : إذا تحصن قرنه بالدرع لم يتمتع بها .

(٣) خلعت : روى جملة . يريد أن يقول : إذا مدحته تزين مدحى به أكثر مما يتزين هو بمدحى . فضرب لهذا المعنى مثلاً فقال : إذا ألبست عرضه حلاً وجدت تلك الحلال من عرض المدح في شيء أحسن من الحلال : أى أن عرضه أحسن من الحلال ، وهذا من قول أبي تمام :

بِذِي الْغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ كَمَا تُضِرُّ رِيَّاحُ الْوَرْدِ بِالْجَمَلِ ^(١)
 لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَا لَهَا وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَ الدُّوَلِ ^(٢)
 فَمَا تُكْشِفُكَ الْأَعْدَاءُ مِنْ مَلَلٍ مِنْ الْهُرُوبِ وَلَا الْآرَاءُ عَنْ زَلَلٍ ^(٣)
 وَكَمْ رِجَالٍ بِلَا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ تَرَكَتْ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بِلَا رَجُلٍ ^(٤)

ولم أمدحك تَفخِيماً لشعري واسكني مدحتُ بكِ المديحَا
 والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والحلل : جمع حلة ، الثياب . قالوا : ولا
 تسمى حلة إلا إذا كانت ثوبين ، أو إزارا ورداء .

(١) الجمل : ضرب من الخنافس . شبه شعره بالورد ، وحاسده بالجمل . يقول :
 إذا أنشد الجاهل شعري تضرر به ، لأنه لا يعرفه ويغيبه ذلك ، فيظهر عليه من أثر
 الجهل والغيظ ما يظهر على الجمل إذا أصابه ريح الورد فإنه ينال منه كل النيل ؛ وعبارة
 العكبري : إذا أنشد شعري بعد على فهم الجاهل ، وأثر ذلك في نفسه ، وانكشف له
 قدر تقصيره ، واستنصر بحسن قولي وبديع شعري كما يستنصر الجمل برائحة الورد التي
 تؤذيه وتقتله لصادته لها . يعني إنما يعرف شعري وجودته وجوهره من هو صحيح
 الفكر ، وإن كان ضد ذلك نال منه كما ينال الورد من الجمل ، وإن كان مستلذا في الحقيقة .
 قال : وهذا من قول الحكيم : الألفاظ المنطقية مضرة بذوى الجهل لنبو إحساسهم عنها .
 (٢) يقال : زيد خير الرجال ، وهند خيرة النساء ، خيرة : مؤنث خير ، بمعنى
 أفضل ؛ أنثوها بالناء تشبيها لها بالوصف المحض لفارقها صيغة التفضيل ؛ وجربت :
 يروي وجردت . يقول : أنت ملء كل عين مهيبتك وبهائتك وأنت خير سيف خبير
 دولة ، يعني دولة الإسلام .

(٣) كشفه عن كذا : أكرهه على إظهاره . يقول : لا أمل للحرب وإن طالت ، لأنك
 ألفت التمرس بالحروب حتى لا تستطيع الأعداء والأيام أن تحملك على الملل من الحروب ،
 ولا تزل في رأي ، فقد أوتيت السداد في التدبير حتى لا يفضى بك رأي إلى زلل .

(٤) يقول : كم جمع الأعداء لك جموعا تغيب الأرض من كثرتهم وتخفي عن الأبصار
 حتى كأنهم رجال بلا أرض ، ققتهم وأفنتهم حتى خليت أرضهم بقيت ولا رجل فيها ؛
 قال العكبري : وفيه نظر من ناحية كثرة الجيش إلى قول حبيب في صفة الجيش :

ملاً الملا عصباً فكاد بأن يُرى لا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَامُ

مَا زَالَ طِرْفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمْ .
 حَتَّى مَشَى بِكَ مَشَى الشَّارِبِ الثَّمَلِ (١)
 يَا مَنْ يَسِيرُ وَحُكْمُ النَّاطِرِينَ لَهُ فِيمَا يَرَاهُ وَحُكْمُ الْقَلْبِ فِي الْجَذَلِ (٢)
 إِنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَأَعْلُهُ وَقَمْتَ مُرْتَحِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلِ (٣)
 أَجْرُ الْجِيَادِ عَلَى مَا كُنْتَ تُجْرِيهَا وَخَذَ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلَاقِكَ الْأُولِ (٤)
 يَنْظُرُونَ مِنْ مَقَلٍ أَدْمَى أَحْبَبْتَهَا قَرَعُ الْفَوَارِسِ بِالسَّالَةِ الذُّبُلِ (٥)

(١) الطرف : الفرس الكريم ؛ والثمل : السكران يقول : مازلت تخوض دماءهم بفرسك حتى تعثر بالقتلى فمشى بك فرسك مشى السكران : أى أن الدماء لكثرتها أمالته عن سنن جريه وأزلقته حق مشى مشى السكران .

(٢) الناظران : العينان ، والجذال : الفرح : يقول : إنه ملك لا يرد عن شيء ، فما حكمت به عيناه استحسنانا فهو له : أى ما يريد بما يراه يأخذه ولا يعارضه أحد ، ولقلبه ما يحكم به مما يسر : أى إذا غنى قلبه شيئاً وصل إليه لا يحول دونه حائل . وقال ابن الإفيلي : وله حكم ناظريه أن لا يريهما إليه إلا ما يسره ، وحكم نفسه أن لا يعرفه الله إلا ما يفرحها من نصر وظفر بالأعداء . . . قال الواحدى : الحكم - ههنا - اسم للمفعول ، لا للفعل ؛ فإن الناس مستوون في أفعال نواظريهم ، وإنما يختلفون في المحكوم به . يقول : ما حكم به ناظرك استحسنانا فهو لك لا يعارضك فيه مانع ، وكذلك الحكم فيما يسره .

(٣) وقمت : دعاء . يقول : أنت مسعود فيما تفعله : أقمت أو ارتحلت ، قال العسكري يشير بهذا إلى ارتحال الديلمي عن الموصل . يقول : إن الذى فعله الله لك من الموادة التى اختارها محاربك قد جعل لك فيه السعادة وقرن لك به الخيرة .

(٤) يقول : عاود القتال ودع السلم وأجر خيلك على ما كنت تجريها من قصدك الأعداء والسير إليهم ، وخذ نفسك بما عودتها من أخلاقك الأولى قال العسكري : وذلك أن سيف الدولة كان قد ترك الحرب مدة ، فقال له أجر خيلك على ما كنت تجريها ، وأولاً من غزو الروم وحماية الثغور ، فقد كافاك الله ما كنت تحذره على أخيك من الديلمي ، وخذ نفسك بما سلف من أخلاقك وعادتك ، واعدل عن السلم إلى الحرب والجهاد

(٥) ينظرون : أى الجياد : والأحبة : جمع حجاج ، وهو العظم فوق العين .

فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ وَلَا وَصَلْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى أَمَلٍ^(١)

* * *

وقال يرثى أبا المهيحاء عبد الله بن سيف الدولة بحلب ، وقد توفى بميفارقين في صفر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة :

بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بَكَ فِي الرَّمْلِ
وَهَذَا الَّذِي يُضْنِي كَذَلِكَ الَّذِي يُبْلِي^(٢)
كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الَّذِي بِي وَخِيفْتَهُ
إِذَا عِشْتَ فَأَخْتَرْتَ الْحِمَامَ عَلَى الشُّكْلِ^(٣)
تَرَكْتَ خُدُودَ الْفَانِيَاتِ وَفَوْقَهَا
دُمُوعٌ تُدَيِّبُ الْحُسْنَ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ^(٤)

والعسالة : الرماح تهتز وتضطرب ؛ والذبل : جمع ذابل ، وهو اليابس يقول : إن خيلك تنظر من عيون قد آدمى حجاجها قرع الفوارس إياها بالرمح : أى إن الرماح لا تقع إلا في مقاديعها ، لأنها لا تنتهي حتى تصاب أعجازها لإقدام فرسانها ، قال العكبري يشير بذلك إلى ما حرضه عليه من غزو الروم وحماية الثغور ، وأن خيله قد آلت ذلك (١) يدعو له يقول : لا هجمت بخيلك إلا على ظفر بعدوك ، ولا وصلت بها إلا إلى ما تؤمله من الغلبة والظفر

(٢) يقول : بنا منك ونحن فوق الأرض الذي بك وأنت فيها ، يعنى أننا أموات حزناً عليك ، كما أنك ميت في الأرض ، فإن هذا الحزن يضني ويهزل مثل الموت الذي يبلى الإنسان ؛ وهذا من قول يعقوب بن الربيع يرثى جارية له تسمى ملكا :

يَا مَلِكُ إِنْ كُنْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ بِأَلِيَّةٍ فَإِنِّي فَوْقَهَا بِأَلٍ مِنَ الْحَزَنِ
(٣) الحمام : الموت ؛ والشكل : فقد الحبيب . يقول : كأنك أبصرت ما بي من الوجد بك والحزن عليك خفت أن تبثلى بمثله لو عشت وفقدت حبيبا عزيزاً عليك ، فأخترت الموت على فقد الأعرزة والحزن عليهم

(٤) الفانيات : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسبها عن الحسنيين ، والأعين النجل الواسعة الحسننة يقول : تركت خدود الحسان من نوادبك وفوقها دموع مسفوحة هلك

تَبْلُ الثَّرَى سُوداً مِنَ الْمِسْكِ وَحَدَهُ وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْراً عَلَى الشَّعْرِ الْجَثَلِ (١)
فَإِنْ تَكَ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَى
وَإِنْ تَكَ طِفْلاً فَأَلْسَى لَيْسَ بِالطُّفْلِ (٢)

تذهب بحسن العيون ؛ قال الواحدى : وجه إذابة الدمع الحسن أنه يفسد العين، ويزيل
حسنها ، كما قال :

أليس يضرُّ العينَ أن يكثرَ البُكاُ وَيَمْتَعَ عنها نومُها وهُجُودُها
وإنما قال «تذيب» ولم يقل «تزيل» لأن الدمع لما كان يذهب بالحسن شيئاً فشيئاً،
كان استعارة الإذابة لثله أحسن ، وأيضاً لما كان الذوب في معنى السيلان والدمع سائل،
كان كأن الحسن سال معه ، وهناك قولان آخران : أحدهما أن الحزن يحمى الدمع
ويسخنه وسخونة الدمع تذيب شحمة اللقطة ، فتذيب حسنها ، والثاني أن الحسن عرض
لا يقبل الإذابة يقول : هذه الدموع تذيب ما لا يقبل الإذابة ، فكيف ما يقبلها ؟

(١) الثرى : التراب ، ومن المسك : تليل ، والجثل : الكثيف يقول : إن هذه
الدموع تصل إلى الأرض قبلها وهى سود لا متزاجها بالمسك وحده لأن الغائيات لا
يكتسطن لأجل المصيبة ، ولأن كحل أعينهن يفنهن عن التكحل ، وقد استعملن المسك
قبل المصيبة فبقى في شعورهن ، والكحل لا يبقى طويلاً ، وهذه الدموع قطرت وهى
حمر لا متزاجها بالدم ثم غلب عليها سواد المسك فعادت سوداً ، وإنما قطرت على الشعر
لأنهن نشرن الشعور وهى كثيرة ، وفيها مسك ، فمر الدمع بها فاسودت من مسكها ،
وهذا من قول أبى نواس :

وقد غلبتها عبْرَةٌ فدموعها على خدِّها حُمْرٌ وَفَى نَحْرِها صُفْرٌ

جعلها صفراً على النحر لأنها اختلطت بالطيب الذى فيه الزعفران

(٢) الأسى : الحزن ، يقول : إن كنت قد تضمنك قبر فإنك لم تفارق القلب ، وإن
كنت طفلاً صغيراً فإن الحزن عليك ليس بالصغير والرزه بك ليس باليسير . ومعنى المصراع
الأول من قول أبى تمام :

لها منزلٌ تحت الثرى وَعَهْدَتُها لها منزلٌ بين الجوامحِ والقلبِ

والثانى من قول الآخر :

إن تَكُنْ مُتَّ صَفيراً فالأسى غيرُ صَفيِرٍ

وَمِثْلِكَ لَا يُبْكَى عَلَى قَدَرٍ سِنَّهُ وَلَكِنْ عَلَى قَدَرِ الْمَخِيْلَةِ وَالْأَصْلِ (١)
 أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْأَلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ (٢)
 بِمَوْلُودِهِمْ صَنَتُ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنَّ فِي أَعْطَافِهِ مَنَظِقَ الْفَضْلِ (٣)
 تُسَلِّمُهُمْ عَلَيْهِمْ عَنْ مُصَابِهِمْ وَيَسْفُلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ (٤)

(١) المخيلة - ههنا - الفراسة ، وهي في الأصل : السحابة التي يرحى مطرها يقول : ليس البكاء عليك على قدر سنك لأنك صغير لم تبلغ مبالغ الرجال فتوجب فرط البكاء عليك ، وإنما تبكى على قدر أصلك ، إذ أنت من أصل كبير ، وعلى قدر الفراسة فيك ، إذ كنا نفرس فيك الملك ، فلهذا يكثر البكاء عليك

(٢) الاستفهام : للتقرير ؛ والألى : بمعنى الدين . يقول - مخاطبا لليت - أنت من القوم الذين كرمهم من سلاحهم ، ونداهم من رماحهم ، والبخل من قتلام : أي أنت من القوم الذين أفنوا البخل بجمودهم ، فاستعار للبخل مهجة وجعل جودهم بمنزلة رماح تطعن بها مهجة البخل ، وهذا من قول أبي تمام :

وإن أزماتُ الدهرِ حلتْ بِمَعَشَرٍ أَرِيقت دماءَ المَحَلِّ فِيهَا فَطُلَّتْ (١)
 وقال ابن الرومي :

وما في الأرضِ أسمحُ من شُجاعِ وإن أعطى القليلِ من النوالِ
 وذاكُ لأنه يُعطيكِ بِمَا تقيءُ عليه أطرافِ العوالِ

(٣) الأعطاف : جمع العطف ، وهو الجانب . يقول : إن صبي هؤلاء القوم كغيره من الأطفال لا ينطق ، شأن كل طفل ، ولكن من يتفرس فيه يجد الفضل في أعطافه ناطقا ، ومخايل الكرم والسيادة ظاهرة واضحة الدلالة :

(٤) المصاب : مصدر ، بمعنى الإصابة . يقول : إن معاليهم تعزيمهم عما يصيبهم ، فهم يترفعون عن الجزع الذي هو شنشنة النفوس الوضيعة ، أما من نبذ قدره ؛ وارتقت في المعالي همته ؛ فإنه يتسلى بالمعالي عن الجزع والملح ، واهتمامه بكسب الثناء والحمد يشغله عن الشغل بما عدا ذلك . والعلياء - : بفتح العين والمد . أما بضم العين فهي مقصورة .

(١) المحل : الجذب ، ويقال طل دمه : أي أهدر .

أَقْلُ بِلَاءٍ بِالرِّزَايَا مِنَ الْقَفَا وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ (١)
عَزَاءُكَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ (٢)
مُقِيمٌ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ فِي أَهْلِ (٣)

(١) أقل: خبر مبتدأ محذوف؛ أي هم أقل بلاء؛ والبلاء: فعال من اللبالة؛ والرزايا: جمع رزية، المصيبة؛ والقنا: الرماح. وأقدم: أي أشد إقداماً، استعمل: أفضل منه على حذف الزوائد لضرورة الوزن، أو تقول إنها من قدم يقدم إذا تقدم؛ قال حسان بن ثابت:

كَلَّمَاهُمَا حَلْبُ الْعَصِيرِ فَعَاطِنِي بَرْجَاجَةً أُرْخَاهُمَا لِلْمَفْصِلِ (١)
أراد أشد إرخاء. والجحفل: الجيش العظيم. يقول: هم لا يباليون بما يصيبهم من الرزايا كما لا يبالي بها من لا يعرفها — وهو معنى قوله من القنا، والقنا جماد، والجماد لا يوصف باللبالة — وهم أشد إقداماً لدى الوغى من السهام للمرسة التي تأتي إلا التقدم وبعبارة أخرى: إذا أصابهم مصيبة لم يباليوا بها، كأنهم لشدة تجلدهم لا يشعرون بها، فهم في ذلك كالرماح تغشى الوغى ولا تنبأ بما يصيبها، وإذا كانوا بين جيشهم وجيش العدو لم يرد وجوههم شيء؛ كالنبل إذا انطلق فإنه لا يقف دون غايته.

(٢) الفصل: حديدة السيف. يقول: الزم عزاءك أو تعز عزاءك الذي يقتدى به الناس فيتعلمون منه التعزى، لأنك قد تعودت الشدائد، لأنك سيف والسيف شيمته التمرس بالحروب وعدم اللبالة بمقارعة الحديد. فقوله عزاءك: منصوب على الإغراء؛ أي الزم عزاءك؛ أو بفعل مضمّر تقديره تعز عزاءك؛ والمقتدى به في موضع نصب صفة لـ «عزاءك» والمضمير في «به» للعزاء.

(٣) مقيم: إما صفة لنصل — في البيت السابق — أو خبر مبتدأ محذوف. أي أنت مقيم. والهيجاء: من أسماء الحرب، والصوارم: السيوف القواطع. يقول: أنت مقيم في كل منزل من منازل الحرب تأنس بها ولا تزايلها حتى لكأنك إذا كنت بين السيوف كنت في أهلها، وهذا من قول أبي تمام:

(١) قبله:

إِن التِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ قُتِلَتْ فَهَاتِمَا لَمْ تُقْتَلِ
فقوله كَلَّمَاهُمَا: أي التي قتلت — أي مزجت بالماء — والتي لم تقتل — أي لم تمزج وأرخاها للمفصل: أي التي لم تمزج — أي الصرف.

وَلَمْ أَرَأِ عَصَىٰ مِنْكَ لِاحْزَنِ عِبْرَةٍ
وَأَثْبَتَ عَقْلًا وَالْقُلُوبُ بِلَا عَقْلِ (١)
تَخَوُّفُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ
وَتَنْصَرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ (٢)
وَيَبْقَىٰ عَلَىٰ مَرِّ الْخَوَادِثِ صَبْرُهُ
وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفَرِنْدُ عَلَى الصَّقْلِ (٣)
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةً
فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلِي (٤)

حَنَّ إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلَهُ
بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَقًّا إِلَى الْوَطَنِ
وقوله أيضاً :

لَتَعْلَمَ أَنَّ الْفَرَّانَ مِنْ آلِ مُضْعَبٍ
غَدَاةَ الْوَسْغَىٰ آلِ الْوَسْغَىٰ وَأَقَارِبُهُ

(١) يقول : لم أر أحداً غيرك لا يطيع دمة الحزن ، ولا أثبت عقلاً منك حين تخلو القلوب من العقول ، يعنى عند شدة الفرع وهول الحروب ؛ يشير إلى أنه صبور عند الشدائد رابط الجأش في الحروب . وعبرة : أى دمة ، تميز .

(٢) السليل : الولد ؛ والأثني : سليله ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : السليل بنت الرجل من صلبه ؛ وقالت هند بنت النعمان :

وَمَا هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ
سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلٌ (١)

والرجل : جمع راجل ، وهم المشاة . يقول : متعجباً — : إن المنايا تخونه في ولده فتخترمه فلا يستطيع لها دفاعاً ولكنها تنصره في الحرب وتنفذ مراده في أعدائه ، وفي هذا إشارة إلى أن الموت حتم على رقاب العباد لا يدفع بقوة ولا يعصم منه رفعة ولا سلطان وفيه نظر إلى قول مسلم بن الوليد :

أَلَمْ تَتَّعَبْ لَهُ أَنْ الْمَنَايَا
فَتَكُنَّ بِهِ وَهْنٌ لَهُ جُنُودُ

(٣) الفرند : جوهر السيف وماؤه ؛ ويبدو : أى الصبر . يقول : إن صبره باق على حوادث الدهر ظاهرة آثاره ظهور فرند السيف إذا صقل ؛ جعل مرور الحوادث به كالصقل للسيف ؛ والسيف إذا صقل فزال ما عليه من الطبع — الصدأ — ظهر فرنده ، كذلك هو ؛ إذا امتحن بالحوادث والشدائد ظهر صبره .

(٤) يقول : من كانت نفسه حرة كريمة كنفك أعتته عن تعزية غيره وأسلته عن

(١) تجللتها : علاها ؛ وقوله بغل : قال بعضهم إنه تصحيف ؛ والصواب : نغل —

بالنون — وهو الحسيس من الناس والدواب ، لأن البغل لا ينسل .

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْمَى بِلَا رَجُلٍ (١)
 يَرُدُّ أَبُو الشَّيْبِلِ أَحْمِيْسَ عَنِ ابْنِهِ وَيُسَلِّمُهُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ لِلنَّمْلِ (٢)
 بِنَفْسِي وَلَيْدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمَلِهِ إِلَى بَطْنِ أُمَّ لَا تَطْرُقُ بِالْحَمَلِ (٣)

مصيته لأنه يعرف أن الإنسان لا يخلو في دهره من الحوادث؛ ومن عرف هذا ووطن نفسه على فقد الأعبة .

(١) يقول : ليس الموت إلا سارقا ، يد أنه ليس كسائر السراق يصول مثلهم بكف يظهرها ويسمى برجل ينقلها حتى يمكن الاحتراس منه ، وإنما هو سارق دق شخصه — أى لا شخص له — يصول دون كف يظهرها ، ويسمى دون رجل ينقلها ، فلا يدري كيف يأتي ، وكيف يعصف بالأرواح ويسرقها من الأجساد : ومن ثم لا سبيل إلى الاحتراس منه

(٢) الشبل : ولد الأسد ، وأحميس : الجيش ، يقال : إن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد أكله وأهلكه . يقول : إن الأسد يقاوم الجيش الكثير دفعا عن ولده ولكنه لا يقدر على أن يذود النمل عن ولده مع ضعف النمل ، وإنما يسلمه له ، فهو يحمي ولده من الجليل الكثير ويسلمه إلى الحقير اليسير ، وهذا مثل . يقول : إن سيف الدولة مع بطشه بالجيوش والممالك لم يستطع أن يدفع الموت عن ولده ، مع كون الموت على ما وصفه لا جيش له ولا سلاح ، فلو غير الموت قصد ابنه لدفعه عنه وإن كان عظيما ، ولكن لا مدفع للموت

(٣) الوليد : المولود ، وطرقت المرأة والناقاة وكل حامل : نشب ولدها في بطنها ولم يسهل خروجه : قال أوس بن حجر :

لَهَا صَرَخَةٌ ثُمَّ إِسْكَاتَةٌ كَمَا طَرَقَتْ بِنَفْسِ بَكْرٍ

يقول : أفدى بنفسى مولوداً صار بعد حمل الأم إياه إلى بطن أم — وهى الأرض لا تطرق بالحمل . قال الواحدي : وإنما قال لا تطرق لأنها إما جماد لا توصف بالتطريق وإن كانت تسمى أما ، لكون الأموات فى بطنها ، وإما لأن الله تعالى قادر على إخراجها من بطنها بسهولة وسرعة ، كما قال عز من قائل «فإنما هى زجرة واحدة . فإذا هم بالساهرة» ، وفسر قوم هذا البيت على العكس ، قالوا : معنى لا تطرق بالحمل : لا تخرج الولد من بطنها ، والتطريق : إظهار الطريق — من قولهم طرق طرق : أى خل

بَدَا وَلَهُ وَعَدُّ السَّحَابَةِ بِالرَّوَى وَصَدَّ وَفِينَا غَلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحَلِّ (١)
 وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عِيُونَهَا إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرَّكَّابِ مِنَ النَّعْلِ (٢)
 وَرَبِيعَ لَهُ جَيْشُ الْقَدُودِ وَمَا مَشَى
 وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَعَلَّى (٣)
 أَيْفِطْمُهُ التُّورَابُ قَبْلَ فِطَامِهِ وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الْأَكْلِ (٤)
 وَقَبْلَ يَرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتَهُ وَيَسْمَعُ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْعَدْلِ (٥)

الطريق — يقول : فالأرض أم للموتى لا يخرجون منها ، ثم قال : إن اللتني كان لا يقول بالبعث ، وليس بوجه .

(١) الروى — بكسر الراء — مصدر روى من الماء ، يقال ماء روى — بالكسر والقصر — ورواء — بالفتح واللد — أى كثير مرو . والعلقة : العطش . يقول : ظهر هذا الوليد وشماله واعدة بالخير وعد السحاب بالرى ثم غاب عنا بموته قبل أن يروينا فأبقى بأنفسنا مثل عطش البلد الجديد إذا أخطأه رى السحاب .

(٢) الخيل العتاق : الكرام ، والركاب : ماتوضع فيه الرجل من السرج . يقول : صد وغاب عنا بموته وقد كانت كرام الخيل تنتظر ركوبه إياها وترتقب أن يصير من السن إلى حال يبدل فيها نعله بالركاب فيبلغ أن يركب الخيل .

(٣) ربيع : أخيف وجاشت القدر : غلت وهاجت ، والضروس : الشديدة العض ، وما مشى ، وما تعلّى : حالان . يقول : إن الأعداء خافوه وارتاعوا له وهو صبي في المهد لم يمش بعد واشتد عليهم الخوف حتى كأن الحرب قامت عليهم ، وقوله وما تعلّى — أى الحرب — تنبيهه إلى أن الحرب قامت معنى لاصورة ، وذلك المعنى هو الخوف ومن روى « يعلّى » أراد : جاشت الحرب ، ولم يغل الطفل حنقا عليهم ، ومن روى يعلّى — بالفاء — فهو من فليت رأسه بالسيف : أى ضربته . أى قبل أن يضرب الطفل بالسيف ، ويروى يعلّى : أى لم يبلغ حد القلى والبغض لأعدائه .

(٤) التوراب : لغة فى التراب ، والفظام : منع الصبي من الرضاع . وهذا استفهام إنكار وتوبيخ . يقول : أيفطمه التراب عن أمه باشماله عليه قبل أن تظمه أمه ، ويأكله التراب قبل أن يبلغ هو أن يأكل ؟ قال أشجع السامى :

فَطَمَّتْكَ الْمَتُونُ قَبْلَ الْفِطَامِ وَاحْتَوَاكَ النُّقْصَانُ قَبْلَ التَّمَامِ
 (٥) وقبل يرى : أراد قبل أن يرى . يقول — مخاطباً أباه — : مات قبل أن

وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ السَّلْمِ وَالْوَعَى ، وَيُمْنِي كَمَا تُمْنِي مَلِيكَاً بِلَا مِثْلٍ (١)
تَوَلَّيْهِ أَوْسَاطَ الْبِلَادِ رِمَاحُهُ ، وَتَمْنَعُهُ أَطْرَافُهُنَّ مِنَ الْعَزْلِ (٢)
نَبْكَى لِمَوَاتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ

تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَوْهَبٍ جَزَلٍ (٣)
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرَفَهُ

تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرَبٌ مِنَ الْقَتْلِ (٤)

يرى من جوده ما رأيت أنت من حمد السائلين وبلوغ الأمور العالية ؛ وقبل أن يلام في الجود فيسمع ما سمعته ويعرض عن اللوم كما عرضت .

(١) السلم : المسألة ؛ والصلح يذكر ويؤنث ، ويفتح السين وكسرهما ، والوعى : الحرب . يقول : وقبل أن يلقى ما تلقاه أنت من ارتناع الشأن وعظم السلطان في السلم ، ومن ثمرة الظفر في الحرب ، وقبل أن يصير مثلك ملكاً لا نظير له .

(٢) توليه : ضفة مليكاً . يقول : وقبل أن يتملك البلاد قسراً فيقتصبها برماحه وتمنعه رماحه من أن يعزل . يعنى أنه يتولاها قوة واقتساراً بنفسه ، لا تولية من جهة غيره فيؤمر ثم يعزل

(٣) الموهب - كالموهبة - العطية ، والجزل : الكثير . يقبح أمر البكاء على الميت ويذكر قلة غناؤه من الباكي يقول : نبكى على موتانا ونأسف لفراقهم ونحن نعلم أنه لم يفهم من الدنيا شيء يرغب فيه أو عطاء وافر يستغنى بإحرازه ، يعنى أن من فارق الدنيا لم يفته بفراقها شيء له خطر

(٤) يقول : إذا ألقيت بالك إلى الزمان وتصاريفه وأثر ذلك في الإنسان ظهر لك أن فعل الزمان وتقلباته وتأثيره في الإنسان كفعل السيف ، ومن ثم كان الموت الذي ينتهى إليه الإنسان ضرباً من القتل ، ومن أجل ذلك لا يحمل بالمرء أن يعتر بالبقاء ، ويطمئن إلى هذه الدنيا ، كما قال في آخر القصيدة «وما الدهر الخ» وعبرة الشراح : إذا ما تأملت تصاريف الزمان وتدبرت الدهر وخطوبه تيقنت أن ما حتم على الإنسان من الموت كالذي يتوقعه من القتل ، لأن الأمرين متساويان في مكر وهبهما ، مماثلان فيما يشاهد من عدم الحياة لهما ، فما ظنك بشيء يكون آخر مصيره إلى أكره ما يحذر من أموره ؟ فهذا يوجب الزهد في الدنيا ويدعو إلى الإعراض عنها وقلة الاسف عليها ؛ وبعبارة أخرى : إذا تأملت نوابغ الدهر المهلكة لأهلها علمت أن الموت بها ضرب من القتل ؛ إذ الصير في الحالين واحد ، وهو فوات الروح ، كما قال الآخر :

هَلِ الْوَالِدُ الْمَحْبُوبُ إِلَّا تَعْلَةٌ ، وَهَلْ خَلْوَةٌ أَحْسَنَاءُ إِلَّا أَدَى الْبَعْلِ (١)
 وَقَدْ ذُقْتُ حَلْوَاءَ الْبَنِينَ عَلَى الصَّبَا ، فَلَا تَحْسَبْنِي قُلْتُ مَا قُلْتُمْ عَنْ جَهْلِ (٢)

إذا بَلَ مِنْ دَاهٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجْمًا وَبِهِ الداء الذي هُوَ قَاتِلُهُ
 قال الواحدى : الداء الذى هو قاتله : الموت ، لأنه محتموم على كل أحد ، فجعل
 الموت قاتلا . أقول : ولعل الأوجه أن يكون المراد بقول هذا الشاعر « وبه الداء الذى
 هو قاتله » البقاء الذى ينتهى به إلى الشيخوخة ، ثم الموت ؛ وهو معنى ينظر إلى ما جاء فى
 الحديث « كفى بالسلامة داء » وفى معنى هذا الحديث يقول حميد بن ثور :
 أرى بصرى قد رابنى بعد صحة ، وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
 ويقول الآخر :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِغَامِزٍ فَالأنها الإصباحُ والإمساء
 ودعوت ربي بالسلامة جاهداً لِيُصِحِّني فإذا السلامة داء

(١) التعلّة : العلل ، يقال فلان يعلل نفسه بكذا تعللا وتعلّة : إذا كان يطيب به
 نفسه . يقول : إن السرور بالولد الذى تحبه لا يدوم ، وإنما هو تعلّة إلى وقت والحزن
 بسببه أكثر من السرور به ، ثم قال : خلوتك بمرأتك أذى لك فى الحقيقة ، لأنها
 تجلب لك ولدآ تغتم من أجله ، وتتأذى بتربيتنه ، ولعل العاقبة إلى الشكل . ينهى عن
 الحلوة بالمرأة لثلاث تلذ . وقال ابن جنى : وكذلك إذا خلت الحسناء مع محبها أدى ذلك
 إلى تأذيه بها إما لأنه يشغل قلبه عما سواها أو لغير ذلك من المضار التى تلتحق مواصل
 الفوائى . . . والأول أوجه . وهذا كله تسلية لسيف الدولة عن ولده .
 (٢) الحلواء : الحلوة . قال زهير :

تبدلتُ مِنْ حَلْوَاهَا طَعْمَ عَلْقَمِ *

يقول : جربت حلوة الأولاد وقت شبابى فوجدت الأمر على ما قلته ووصفته ولم
 أقل ما قلته عن جهل وغفلة ؛ يعنى قوله : « هل الولد المحبوب إلا تعلّة ؟ » ويجوز أن يكون
 قوله « على الصبا » على صبا البنين - أى فى حال صباهم . وعبارة ابن جنى : لست أسليك
 إلا عما قد لجمت به فرأيت الصبر عليه أحزم من الأسى عليه . قال الواحدى : وهذا -
 أى الذى قال ابن جنى - بعيد .

وَمَا تَسَعُ الْأَزْمَانُ عَلَيَّ بِأَمْرٍهَا ، وَلَا تُحْسِنُ الْأَيَّامُ تَكْتُبُ مَا أُمِّلِي (١)
وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَهُ حَيَاةٌ ، وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ (٢)

* * *

وقال يمدحه :

لَا الْحِلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بِمِثَالِهِ لَوْلَا أَدَّكَارٌ وَدَاعِيهِ وَزِيَالِهِ (٣)

(١) يقول: إن علمي بأمر الزمان أوسع منه فلا يسع علمي، وإن ما أمله من الحكم ونوابغ الكلم لا تحسن الأيام أن تكتبه. يعني أنه يعلم ما تعجز الأيام عن مثله، فهي مع أنها تأتي بالعجائب - لا تحسن أن تكتب ما أمله؛ فكيف تعلمه؟ يريد توكيد ما قدمه من حنكته وطبه بالأمر وما حضض عليه من عدم الاكتراث للولد وقفده. وعبرة العكبري: ما تسع الأزمان ما أعلمه من أمرها وأتقنه من شدة نكدها، يريد أنها تضيق عن علمه وتعجز عن الاشتغال عليه، وأن الأيام لا تحسن أن تكتب ما أمله وتضبط ما أعده؛ والمعنى أن الأيام التي تأتي بالحوادث لا تحسن أن تكتب ما أمله من الحكمة والكلام النادر؛ فكيف تعلمه؟

(٢) يقول: إن الدهر خوان ليس أهلاً أن ترجى عنده الحياة لأنه لا يحقق الرجاء في الحياة ولا يفي بالأمل، وليس أهلاً لأن يشتاق فيه إلى الولد، لأن الولد إذا عاش بعدك لقي من مكاره الدهر ما ينقص عيشه ويسأم معه الحياة، ولأنه لا يبقى على الولد بل ينفج به الوالد.

(٣) الحلم: النوم؛ والمثال: الصورة؛ والزيال: الزايلة والمفارقة. والضائر في البيت: للحبيب - وإن لم يجر له ذكر، لدلالة المقام - يصف شدة هجر الحبيب وأنه لا يلم به في النوم أيضاً وهم إذا وصفوا الخيال بالامتناع من الزيارة في النوم أرادوا بذلك شدة هجر الحبيب، كما قال أبو تمام:

* صَدَّتْ وَعَلَّتِ الصَّدُودَ خَيَالُهَا

ولا يتصور تعليم الخيال الصدود، ولكنهم لما يصفون الحبيب بشدة الهجر يجعلون هجر الخيال نوعاً من صدوده. يقول: لم يجد الحلم بالحبيب: أي لم أره في النوم ولا رأيت خياله لولا أنني أطلت تذكر وداعه ومفارقتة وواصلت الفكر فيه ليلاً ونهاراً. يعني: تذكرى في اليقظة الوداع والفراق أراني في النوم خياله، ولو أنا غفلت عن ذكره لم أره في النوم: أي أن موجب رؤية الخيال هي استدامة ذكر الوداع والفراق، قال

إِنَّ الْمَيْدَ لَنَا لَلنَّامِ خَيْالَهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خَيْالَ خَيْالِهِ (١)
بِنِنَا مُبْنَاوِنَا الْمُدَامَ بِكَفِّهِ
مَنْ لَيْسَ يَحْطُرُ أَنْ تَرَاهُ بِبَالِهِ (٢)

الواحدى ناقدآ : جود الحلم بالحبيب هو جوده بمثاله ، وجعل أبو الطيب ذلك شيئين
ظنا منه أنه يرى الحبيب فى النوم ويرى خياله . ورؤية الحبيب فى النوم هى رؤية خياله
لا رؤية شخصه بعينه ؛ وقال بعض الشراح : يريد أنه بعدما ودعه الحبيب بقى يتذكر
وداعه ورحيله ، فانقضت الرؤية وخلفها التصور حتى تجسمت صورته فى وهمه ، وصار
إذا رأى خياله فى الحلم انتقل إليه ذلك الخيال عن التصور ، لا عن العيان ، فهو يقول
لولا استدامة هذا التذكر ماجاد على الحلم بمراى خياله ولا خيال صورته : وهذا تفسير
وجيه ، وهو ينظر إلى قول القائل :

نَمَّ فَمَا زَارَكَ الْخِيَالَ وَلَكِنِّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ
(١) يقول : إن الذى أعاد المنام لنا خياله فأرانا فى النوم كان ذلك الذى أرانا
خيال الخيال ؛ يعنى أنا كنا نصور لأنفسنا فى اليقظة خياله ؛ فالذى رأيناه فى النوم كان
خيال ذلك الذى كان يتصور لنا فهو خيال الخيال ، وهذا البيت تأكيد لما قبله من
أنه يدوم على ذكر الحبيب وذكر حال الوداع والفراق . والمنام - فى البيت - فاعل
المعيد ؛ وخياله : مفعول به وقوله « كانت إعادته » لك أن تجعل « كانت » تامة ، بمعنى
حصلت ؛ وخيال خياله : منصوباً بالإعادة ، ويجوز أن يكون أراد . بالإعادة : الشيء
المعاد - على تسمية المفعول بالمصدر - فيكون « خيال خياله » خبر : كانت .

(٢) يصف الحال التى رأى خيال الخيال عليها فى النوم . يقول : رأيناه يعطينا
الشراب بكفه وما كان يجرى فى خاطره أن نراه للبعد الذى بيننا ، والشاعر يجعل
ما يراه فى النوم كأنما يراه فى اليقظة ، قال البحرى :

أُرِدُّ دُونَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذُنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ السُّكْرَى إِنْ جِئْتِ وَسَنَانَا
ولأبي نواس :

إذا التقى فى النوم طيفنا عادا إلى الوصل كما كانا
ياقرّة العين فما بالنا نشقى ويلتذخيـالانا

يَجْنِي الْكَوَاكِبَ مِنْ قَلَائِدٍ جِيدِهِ وَنَنَالَ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ (١)
 بِنْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ الْقَرِيمَةِ فِيكُمْ ، وَسَكَنْتُمْ ظَنِّ الْفُؤَادِ الْوَالِدِ (٢)
 فَذَنُوتُمْ وَذَنُوتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ ، وَسَمَحْتُمْ ، وَسَمَّاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ (٣)
 إِنِّي لَا بُغِضُ طَيْفٍ مِنْ أَحَبَّتَهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وَصَالِهِ (٤)

لَوْ شِئْتَ إِذْ أَحْسَنْتَ لِي نَامًا أَنْمَتَ إِحْسَانَكَ يَقْطَانَا

(١) التشبيه في البعد ، لا في الصورة . يقول : ما كنا نظن أن نراه فلما رأيناه صرنا كأننا نرى بقلائده الكواكب وبخلخاله الشمس ، يعنى رأينا في المنام ما لم نصل إليه في اليقظة ، وقال العسكري : ما في قلاوته من الدر بالكواكب وبخلخاله بين الشمس ؛ يريد لعمان خلخاله ، وذكر أنه يعنى الكواكب من تلك القلائد بتناوله لها وينال عين الشمس من تلك الخلاخل بلسه إياها ؛ قال : فأحرز قصبته التشبيه فيما شبه به مما لا زيادة عليه في حسن النظر ، وأشار إلى المعانقة واللامسة بأحسن إشارة فجعل مديده إلى تلك الفرائد جنباً للكواكب وإلى الخلاخل نيلاً لعين الشمس .

(٢) القرينة : التي بها قروح من طول البكاء . والوله : التحير ؛ أى ذهب العقل من جراء الحب . وهذا البيت تأكيد لما ذكره قبل . يقول : بعد تم عن مرأى التي قرحت بالبكاء في سبيلكم وسكنتم في ظني وفكري - أى في قلبي - فليس يخلو القلب من ذكراكم ؛ وظن الفؤاد : ويروي طى الفؤاد ، وهذا كقول القائل .

لئن بَعُدْتُ عَنِّي لَقَدْ سَكَنْتُ قَلْبِي فَسَيَّانٍ عِنْدِي غَايَةُ الْبَعْدِ وَالْقَرَبِ
 ومثله قول ابن المعتز المتقدم :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَتَلْتَقِيَ بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

(٣) يقول : استدانكم القلب بتفكيره فالدنو من قبل القلب - لا من قبلكم - وسمحتم بالزيارة لكثرة فكره فيكم ، والسباح - على الحقيقة - إنما هو منه لا منكم إذ لو خلا القلب منكم لم يحصل هذا الدنو ، وإذن : لامنة لكم في هذا . ولما ذكر السباح ذكر المال لتجانس الصنعة ، فالضمير في « عنده » وفي « ماله » للفؤاد .

(٤) الطيف : الخيال ؛ وأصل الطيف : الجنون ، ثم استعمل في مس الشيطان ، قال تعالى « إذا مسهم طائف من الشيطان » وقرئ « طيف من الشيطان » ؛ ومنه

مِثْلُ الصَّبَابَةِ وَالْكَآبَةِ وَالْأَسَى فَارْقَتُهُ فَحَدَّثَنِي مِنْ تَرَخَالِهِ (١)
وَقَدْ اسْتَقَدْتُ مِنَ الْهَوَى وَأَذَقْتُهُ مِنْ عِفْتِي مَا ذُقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ (٢)

طيف الخيال الذي يراه النائم؛ يقال طاف الخيال يطيف طيفا ومطافا: أى ألم فى النوم. قال كعب بن زهير:

أنى ألم بك الخيال يطيف ومطافه لك ذكراً وشعوف (١)

والضمير المستتر فى «يهجرنا» للحبيب. وضمير «وصاله» للطيف. يقول: إنه ييغض طيف الحبيب لأن رؤيته الطيف عنوان الهجر، إذ لا يراه إلا حال فراق الحبيب؛ وعبارة العكبرى: هو ييغض طيف محبوبه مع كلفه به ويكرهه مع ارتياحه له، لأنه كان يهجره فى زمن الوصل ولا يطرقه مع التمام الشمل، فيقول رؤيتى الطيف عنوان الهجر. قال ابن جنى: هذا يسمى الأ كذاب لأنه قال فى الأول لا الحلم جاد به، فزعم أن النوم لا يصل إلى أن يريه الخيال، ثم ذكر أنه ييغض طيفه. وقال الواحدى: كان من حقه أن يقول إذ كان يوصلنى زمان الهجر، لأن هجر الطيف زمان الوصل لا يوجب بغضه؛ إذ لا حاجة به إلى الطيف زمان الوصل، ولكنه قلب الكلام على معنى أن هجره زمان الوصل يوجب وصله زمان الهجر.

(١) لك أن تقرأ «مثل» بالرفع على أنها خبر عن محذوف هو ضمير الطيف؛ وبالنصب: على تقدير أبغضه بغضا مثل. والصبابة: رقة الشوق؛ والأسى: الحزن، والضمير من «فارقته» للمحبوب؛ والجملة تفسير للمائلة، أو حال من الصبابة وما يليها، والى تعود إليها النون من قوله «لحدثن» على حد قولك: جلس زيد تضحك الجماعة فيعبس. يقول: فارقته من أحبه لحدثت هذه الأشياء - الصبابة والكآبة والأسى - وكذلك الطيف إنما زار زمن الهجر.

(٢) استقدت: اقتصدت، من القود؛ وهو قتل القاتل بالقتيل. والأصل فيه أن يقاد القاتل إلى أهل المقتول، فرجما قتلوه به ورجما عفوا عنه. والبلبال: ألم والحزن وهذا تمثيل. يريد: كان الهوى يؤذيني والحبيب غائب، فلما حضر جعلت إعراضى عن إجابة داعية الهوى وتعنفى عما يجرتى إليه جزاء له. وبعبارة أخرى: لى استنمت من الهوى وتعنفى وإعراضى عن إجابة داعيه، فأذقته بذلك من العيظ مثل ما أذاقنى من

(١) شعوف: يحتمل أن يكون جمع شعف؛ ويحتمل أن يكون مصدرا وهو الظاهر والشعف والشعوف: إحراق الحب القلب مع لذة يجدها.

وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ سَاعَةً
تَسْتَجِفُّ الضَّرْعَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ (١)
تَلْقَى الْوُجُوهَ بِهَا الْوُجُوهَ وَبَيْنَهَا
ضَرَبَ بِجَوْلِ الْمَوْتِ فِي أَجْوَالِهِ (٢)
وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الْكَلَامِ سَلَفَهُ
وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ (٣)
وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَنَنِهِ
بَرَزْتُ غَيْرَ مُعْتَرٍ بِجِبَالِهِ (٤)
وَحَكَمْتُ فِي الْبَلَدِ الْعَرَاءِ بِنَاعِجٍ
مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُعْتَالِهِ (٥)

الحزن . قال ابن جنى : قوله من الهوى يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون العرض - أى الهوى نفسه - فيكون هذا من مبالغة الشعر التي ليست لها حقيقة ، والآخر أن يريد المرأة التي شرب بها فيكون على حذف مضاف : أى ذات الهوى .

(١) تستجفل الضرعام : تستدعى إسرعه في الحرب - من قولهم جفل الظليم وأجفل إذا أسرع - والضرغام : الأسد ؛ وأشباله : أولاده . وقوله « لكل أرض » أى لافتح أو غزو أو قتال كل أرض . وكفى بالساعة عن قصر المدة التي يستولى عليها وسرعة تمكنه منها . يقول : ادخرت لفتح كل أرض ساعة مهولة شديدة لو رآها الأسد لأخذه من الروح ما يضطره إلى الفرار عن أشباله لشدها وهولها .

(٢) الأجوال : النواحي ، واحدها : جول ، وجال ؛ والضمير في « بها » : للساعة ويجوز أن يكون للأرض . يقول : يتلاقى الأبطال في تلك الساعة وبينهم ضرب شديد يكثر الموت فيه ، يجول في نواحيه ؛ وفي البيت جناس بين « يجول » و« أجواله » .

(٣) السلاف : أجود الحجر ، وهو أول ما يجرى من ماء العنب من غير عصر ؛ والجريال : ما كان منه أحمر ، وهو دون السلاف . يقول : إن الذي سمعه الناس من كلامي ورأوه إنما هو بمنزلة الجريال من السلافة : أى لم أخرج لهم مختار شعري وجيد كلامي ، وإنما خبأته لسيف الدولة .

(٤) الجياد : الخيل الكريمة ؛ وبرزت : سبقت . يقول : إذا تعثر الشعراء المهيدون بالكلام السهل سبقتهم غير متعثر بحزنه ، يعنى إذا لم يقدروا على السهل القريب كنت قادرا على الصعب الممتنع ، فجعل الجياد مثلا لفحول البلاغة ؛ والسهل والجبيل مثل السهل والكلام وضعبه .

(٥) العراء الأرض الواسعة الخالية ؛ والناعج : الأبيض الكريم من الإبل ؛ و« معتاده » نعت لناعج ؛ والضمير المجرور ؛ للبلد العراء ؛ والمجتاب : القاطع ، وهو الذي يقطع الأرض بالسير . والمعتال : المهلك - أى الذى يفنيه بالسير - يصف قوته على السير

يَمْشِي كَمَا عَدَتِ الْمَطْيُ وَرَاءَهُ ، وَيَزِيدُ وَقْتَ جَمَاهَا وَكَلَالِهِ (١)
 وَتَرَاعُ غَيْرَ مَعْقَلَاتٍ حَوْلَهُ فَيَقْوَتُهَا مُتَجَفِّلاً بِمِقَالِهِ (٢)
 فَغَدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ فِي أَخْفَافِهِ ، وَغَدَا الْمِرَاحُ وَرَاحَ فِي إِرْقَالِهِ (٣)
 وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِي سَائِفِيهَا ،
 وَشَقَقْتُ خَيْسَ الْمَلِكِ عَن رِثَالِهِ (٤)

وقطع الفلوات . يقول : وحكمت في الفلوات أجوبها متى شئت يجعل قد اعتاد السفر وقطع الفلوات ، ومعنى حكمت فيه قطعت به ، على ما قدرت كما أردت ، لاعتمادى على قوة مطيقي .

(١) عدت : ركضت ؛ والمطي : الإبل ؛ والجمام : الراحة ؛ يقال جم الفرس يجم ويجم جما وجماما وأجم : ترك فلم يركب ، فذهب إعياءه ؛ وفرس جموم : إذا ذهب منه إحضار - جرى - جاءه إحضار ؛ وكذلك الانقي ، قال النمر بن تولب :

جُمُومُ الشَّدِّ سَائِلَةُ الذَّنَابِي يَخَالُ بِيَاضَ غُرَّتِهَا سَرَاجًا (١)

والكلال : الإعياء . يقول : إن هذا الناعج يمشى على مهله فيسبق الإبل الراكضة خلفه : أى أنه يسبق عدو الإبل ماشيا ويزيد عليها سرعة إذا كان كالا من طول السير وهي مستريحة ، فما ظنك به إذا تساوت به الحال وذهب عنه الكلال ؟

(٢) ترع : تخوف ، ومعقلات : مشدودات بالعقال ، يقال عقل البعير وعقله واعتقله : إذا ثنى وظيفه مع ذراعه وشدها جميعا في وسط الذراع ، وذلك الجبل هو العقال ، والجمع عقل - والتجفل : للسرع . يقول : إذا طرأ على الإبل ما يروعها فنفرت فاشتد عدوها - جريها - وهي غير معقولة سبقها هذا الناعج وهو في العقال فتصير وراءه .

(٣) الأخفاف : جمع خف ، جمع فرسن البعير ؛ والمراح : النشاط ؛ والإرقال : الإسراع . يقول : بسيره أدرك ما أطلب من النجاح ، فالنجاح في قوائمه ، وهو نشيط في عدوه لا نشاط إلا في إرقاله ؛ وبعبارة أخرى : نجاحي كله منوط بقوائمه لأنى أبلغ مطالبى عليه ، وهو نشيط لا نشاط إلا في إسراعه :

(٤) الخيس : أجمة الأسد ؛ والرثيال : الأسد . يقول : صرت مشاركا للخلافة في

(١) قوله سائلة الذنابي : يعنى أنها ترفع ذنبها في العدو - أى الجرى -

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِّمَ اللَّيْثُ كَأَلِهِ يُنْسِي الْفَرِيْسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ (١)
 وَتَوَاضَعُ الْأَمْرَاءُ حَوْلَ سَرِيرِهِ ، وَتُرَى الْمَحَبَّةَ وَهِيَ مِنْ آ كَالِهِ (٢)
 وَيُمِيتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَبِشُّ قَبْلَ نَوَالِهِ وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ (٣)
 إِنَّ الرِّيَّاحَ إِذَا عَمَدْنَ لِناظِرٍ أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عَنِ اسْتِمْعَالِهِ (٤)
 أَعْطَى وَمَنْ هَلَى الْمُلُوكِ بِعَفْوِهِ حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِي إِفْضَالِهِ (٥)

سيف الدولة : أى جعلته سيفاً لى ، كما هو سيف دولة هانم ووصلت إلى أسد الملك بشق الخيس إليه ؛ يعنى أن نظام أمرى من هطايه ، كما أن نظام الدولة من رأيه .

(١) يقول : شققت خيس الملك عن الليث - الأسد - الذى أعطى من الكمال ما لم تعطه الأسود ، لأنه يشركها بياسه ويفوتها بحسنه وجماله ، فهو لحسنه إذا بطش بعده وشغله النظر إلى جماله عن خوفه ، وما يتوقمه من بأسه ؛ والأسود إذا افترت فريسة أفرعتها لقبح منظرها . ومن روى خوفه : فالخوف مضاف إلى المفعول ، لأنه الخوف ؛ ومن روى خوفها : فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، لأن الفريسة هى الخائفة .

(٢) تواضع - بحذف إحدى التائين - أى تتواضع ؛ والآ كال : الأرزاق والأقوات يقول : إن الأمراء لرفعة شأنه يتواضعون له يقبلون الأرض حول سريره ويظهرون له المحبة وهى - المحبة - من جملة الأرزاق التى تجى له من مملكته ؛ يعنى أنه محبوب إلى كل أحد .

(٣) النوال : العطاء . يقول : إنه يقتل العدو بخوفه وهيبته قبل أن يقاتله ، ويبش للسائل قبل أن يعطيه ، ويعطيه قبل أن يسأله .

(٤) عمدن : قصدن ؛ والناظر : بمعنى المنتظر ؛ ومقبلها - بكسر الباء - أى ما يستقبل منها . قال الواحدى : والرواية الصحيحة مقبلها - بفتح الباء أى إقبالها ، فيكون مصدرها وهذا مثل لعجلته فى العطاء وسبقه السائل . يقول : إن الرياح إذا قصدت من ينتظرها أغنته بسرعتها عن أن يستعجلها فى وصولها إليه ، كذلك هو لا يحتاج إلى محرك له فى الكرم والفضل .

(٥) يقول : لم يخل أحد من إفضاله عليه ، فمن كان دون الملوك بمن هم أهل للعطاء أعطاهم ، أما الملوك فقد من عليهم بالعفو عنهم وترك ما لكهم لهم ، فتساوى الجميع فى إفضاله عليهم ، قال البحرى :

وَإِذَا غَنُوا بِمِطَائِهِ عَنْ هَزِهِ ، وَالْيَ فَاغْنَى أَنْ يَقُولُوا وَإِلَيْهِ ^(١)
 وَكَأَنَّمَا جَدَّوَاهُ مِنْ لِكَثَارِهِ حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إِقْلَالِهِ ^(٢)
 غَرَبَ النُّجُومُ فُفْرَنَ دُونَ هُمُومِهِ ، وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ ^(٣)
 وَاللَّهُ يُسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ ، وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ ^(٤)
 لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْمِزِي عَلَى أَسْيَافِهِ مَهْجَاتُهُمْ بَجَرَّتْ عَلَى إِبْسَالِهِ ^(٥)

عَمَّتْ صِنَائِعُهُ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا ، فَعَدَا الْمَلَأُ عَلَى الْغَنَى الْمَكْرَ

(١) هزه: أى تحريكه للعطاء بالسؤال ؛ ووالى : تابع . وأن يقولوا : مجرور بـ«عن» محذوفة صلة أغنى وواله: أمر من الموالاة ، والضمير للعطاء . يقول: وإذا استغنى الناس بما يعطيهم عن أن يحركوه للعطاء تابع عطائه ؛ فأغناهم بذلك عن أن يكرروا السؤال .

(٢) الجدوى : العطية ؛ والإقلال : القلة والفقر . يقول : لإكثاره العطاء كأنما يحسد سائله على الفقر فيعطى عطاء كثيراً ليصير مثله فقيراً ، وكذلك قال المتنبي نفسه حين سأله ابن جنى عن معناه ، قال المتنبي : أردت إفراطه في الجود ، حتى كأنه يطلب أن يكون مقلداً - كسائله - فهو يفرط في إعطائه طلباً للإقلال ، فكانه - لكثرة إعطائه - يحسد على الفقر والقلة حتى يصير فقيراً .

(٣) ففرن : أى ففرن ؛ والهموم : جمع هم ، بمعنى همة . يقول : إن النجوم تقرب وتغور في مكان أدنى من همة وتطلع من مكان أدنى من الغاية التي ينالها : أى أن همة تبلغ إلى ما هو وراء النجوم ، وينال أبعد منها ؛ وعبارة الشراح : إن همة بلغت أقصى من مغارب النجوم ، وتطلع النجوم من مشارقها وهي دون ما ناله بهمة ؛ يعنى أن النجوم مع ارتفاع مواضعها وانزاح مغاربها ومطالعها تقرب مقصرة عما تبلغه همة وتطلع متواضعة عما يدركه تناولها . قال الواحدي : ويجوز أن يكون المعنى أن منال المدوح أبعد من مطلع النجوم : أى لا يصيبه أعداؤه ولا ييلنون مناله .

(٤) الجد : الحظ ؛ وآل الرجل : أهله وأتباعه . يقول : يحدد الله له كل يوم سعادة ويحمل من أعدائه أولياء له ينضمون إليه ويوالونه رغبة أو رهبة ، فيزيد بذلك عدد صحبه وأشياعه .

(٥) يقول : لو لم يقتل أعداءه بسيفه ماتوا بقوة جده وإقبال سعده ، فكان سيف

لَمْ يَنْزُكُوا أُنْزَارًا عَلَيْهِ مِنَ الْوَعَى إِلَّا دِمَاءُهُمْ عَلَى سِرْبَالِهِ ^(١)
 فَلَمَّثْلِهِ جَمَعَ الْعَرْمَرَمُ نَفْسَهُ ، وَبِمِثْلِهِ انْفَصَمَتْ عُرَى أَقْتَالِهِ ^(٢)
 يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُبَاهِي وَجْهَهُ لَا تُكْذِبَنَّ فَلَسْتَ مِنْ أَشْكَالِهِ ^(٣)

إقباله يقتلهم . جعل مهجهم تجرى على إقباله تشبيها له بالسيف من طريق المشاكلة .
 وللهجة : دم القلب والروح .

(١) الوعى : الحرب ؛ والسربال : الثوب . يقول : لما قاتل أعداءه لم يؤثروا فيه
 أنزراً غير تلطيف ثوبه بدمائهم التي سفكتها منهم صوارمه .

(٢) العرمرم : الجيش الكثير . ويقال فصمه يفصمه فصما فانفصم : كسره من غير
 أن يبين ؛ أما التقصم - بالقاف - فهو الكسر فيه بينونة ، يقال قصمه يقصمه قصما فانقصم
 وتقصم . قال ذو الرمة يذكر غزاه لا شبهه بدملج فضة :

كَأَنَّهُ دُمْلَجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهُ فِي مَلْعَبٍ مِنْ جَوَارِي الْحَى مَفْصُومٍ ^(١)
 والعري - هنا - القوى ؛ والأقتال : الأعداء ، جمع قتل - بكسر القاف - أى المقاتل
 قال عبد الله بن قيس الرقيات :

وَإِغْتَرَابِي عَنْ عَامِرِ بْنِ لَوْيٍّ فِي بِلَادٍ كَثِيرَةِ الْأَقْتَالِ

والضمير في «إقتاله» للمدوح ، أو للجيش . يقول : مثل سيف الدولة - أى له
 لا لغيره - يجمع الجيش الكثيف نفسه ويسلم طاعته فهو - لأنه يغنمه ويسلبه - كأنه جمع
 نفسه له . ثم قال : وبمثلته من أولى الحزامة والتدبير انفصمت عرى أعدائه وانفطر عقدهم
 ولم يكونوا شيئاً مذكوراً . أو تقول : إن مثله من يجتمع الجيش الكثير لقتاله ودفع
 بأسه ولكن مثله من يقتل الجيش ويكسر قواه فلا يغنى أماءه شيئاً .

(٢) الباهي : المفاخر . يقول : - للقمر - لا تسمعن الكذب ولا تكذبك نفسك
 لست من أمثاله فى الحسن والنور ؛ يعنى أن من قال لك إنك مثله فقد كذبك ، وجعل
 القمر مباهيا وجهه لانه بحسنه وزيادته كل ليلة كأنه يباهى وجهه

(١) غبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسى ، وكل شيء سقط من إنسان
 بفسنيه ولم يهتد له فهو نبه ، وقيل فى نبه إنه المشهور ، وقيل النفيس الضال الموجود
 بمن غفلة لا عن طلب وإنما جعله مفصوماً لتثنيه وانحنائه ، ولم يقل مقصوم - بالقاف -
 فيكون بائنا بائنين .

وَإِذَا طَمَأَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فَقُلْ لَهُ دَعُ ذَا فَإِنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ حَالِهِ (١)
 وَهَبَ الَّذِي وَرِثَ الْجُدُودَ وَمَارَأَى أَوْفَاءَهُمْ لِابْنِ بِلَا أَوْفَالِهِ (٢)
 حَتَّى إِذَا فِي التَّرَاثِ سِوَى الْعَلَا قَصَدَ الْمُدَاةَ مِنَ الْقَنَا بِطَوَالِهِ (٣)

(١) طما البحر : ارتفع وزخر . يقول : قل للبحر - إذا امتلأ ماء - دع هذا الامتلاء والافتخار به ، فانك لن تبلغ مبلغه من الجود ؛ فالإشارة بقوله «ذا» إلى ما يفهم من قوله «طما» من العظمة والافتخار : وفي مثل هذا يقول البحري :

قد قلتُ للفيثِ الرُّكَّامِ ولجَّ في إِبْرَاقِهِ وَأَلْحَ في إِرْعَادِهِ

لَا تَعْرِضَنَّ لِحُمْفِرٍ مُتَشَبِهًا بِنَدَى يَدِيهِ فَلَسْتَ مِنْ أُنْدَادِهِ

(٢) ورث الجدود : أى ورثه من الجدود ، تقول ورثت زيدا مالا : أى من زيد ولابن : مفعول ثان لرأى ؛ والضمير فى «أفعاله» يعود إلى الابن ، و«لا» فى قوله « بلا أفعاله » فى معنى غير . يقول : وهب ما ورثه من جدوده من المال والمآثر كلها فوهب المال للعفاة وترك مفاخر آبائه لقومه غير مقتخر بها ، لأنه لا يفتخر إلا إلا بفعل نفسه ولا يرى أفعال الجدود شرفا دون أن يبنى عليها . وبعبارة أخرى : وهب الذى ورثه من جدوده من المال ولم يفتخر بأفعالهم ، لأنه يرى أن أفعال الجدود لا يثبت شرفها للابن مالم يشفعها هو بأفعال تماثلها . والأصل فى هذا المعنى قول المتوكل الليث .

لسنا وإن أحسابنا كرمتم يوما على الأحساب نتكل

بنى كما كانت أوائلنا بنى ونفعل مثل ما فعلوا

وقال كشاجم :

وإذا افتخرت بأعظم مقبورة فالناس بين مكذب ومصدق

فأقم لنفسك فى انتسابك شاهدا بحديث مجدي للقديم محقق

وقال الشريف الرضى :

فخرت بنفسى لا بقومى موقرا على ناقصى قومى مآثر أمرتى

(٣) التراث : المال الموروث . وقوله فى التراث سوى العلا : لأن المال يفتى بالهبة ؛

والعلا لا تفتى ، وإن ترك الافتخار بها . يقول : لما لم يبق من المال الموروث شيء قصد الأعداء بالرماح الطوال فامتلات يده بقتلهم : أو تقول : لما فى ما ورثته من الأموال

وَبَارِعَنِ لَيْسَ الْعَجَاجَ إِلَيْهِمْ - فَوْقَ الْحَدِيدِ وَجَرَ مِنْ أذْيَالِهِ (١)
 فَكَأَنَّمَا قَدَى النَّهَارُ بِنَقْعِهِ - أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفُ مِنْ إِجْلَالِهِ (٢)
 الْجَيْشُ جَيْشِكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ - فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ (٣)
 تَرِدُ الطَّعَانَ الْمُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ - وَتُنَارِلُ الْأَبْطَالَ عَنْ أَبْطَالِهِ (٤)

لا من العالى ، لأنه لم يضع شيئاً من مجد آباءه - ركب إلى العدا فأتسعت يده بغنائمهم .
 وقوله بطوالة : أى طوال القنا ،

(١) الأرعن: الجيش العظيم المضطرب لكثرتة ؛ وقيل سمى الجيش العظيم «أرعن» لأن له فضولا كرعان الجبال . شبه بالرعن من الجبل وهو الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً ، ومن ذلك سميت البصرة رعاء : أى تشبها برعن الجبل ؛ قال الفردق :

لَوْ لَا أَبُو مَالِكٍ الْمَرْجُوءُ نَائِلُهُ مَا كَانَتْ الْبَصْرَةُ الرَّعَاءُ لِي وَطَنًا

والعجاج العبار : يقول : قصد العدو بجيش عظيم قد لبس فوق ما عليه من الحديد دروعا من العجاج وجر أذيال ذلك العجاج خلفه ، والجيش كلما أكثر أكثر العبار ؛ ومن قوله من أذياله - زائدة ، كما تقول : جاء يهز من عطفه .

(٢) القذى : ما يقع في العين من العبار ونحوه ؛ والنقع : العبار ؛ وغض الطرف كسره وخفضه ؛ والضمير في نقعه : للجيش . وفي عنه وإجلاله : للعبش ، أولسيف الدولة يقول : أظلم النهار بشدة ذلك العبار حتى كأنما وقع في ضوته قذى من العبار ، يعنى أن العبار غطى ضوء النهار فصار كالقذى في عينه ، أو كأن النهار غض طرفه لإجلاله . قال الواحدي : وطرف النهار هو الشمس ، فالعنى أن هذا العبار نقص من ضوء الشمس وسترها بتكافئه .

(٣) قلب الجيش : وسطه . يقول : الجيش على الحقيقة جيشك ، فكل جيش سوى جيشك ليس بجيش ، لكنك جيش جيشك ، لأنه بك يتقوى ، وقلبه وجناحه تقوى بك ؛ أو تقول : الجيش جيشك يذود عنك وينزل على حكمك ، ولكنك أنت في الحقيقة جيشه الذى يق قلبه وجناحه ويحتمى بك ، وإذا احتفى الملوك بجيوشهم فأنت تحمى جيشك وتدافع عنه بشجاعتك وإقدامك . قال أبو تمام :

لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَسْخَى لَنَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَّاهَا فِي جَحْفَلٍ لِحِبِّ

(٤) هذانبيين لما ذكره في البيت السابق من أنه جيش جيشه . يقول : لأنك تقايل

كُلُّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ يَا مَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ (١)
دُنَّ الحِلَاوَةِ فِي الزَّمَانِ مَرَارَةً لَا تُخْتَطَى إِلَّا عَلَى أَهْوَالِهِ (٢)
فَلِذَلِكَ جَاوَزَهَا عَلَى وَحْدِهِ وَسَعَى بِمُنْصَلِهِ إِلَى آمَالِهِ (٣)

وقال وقد توسط سيف الدولة جبالا بطريق آمد :

يَوْمَئِذٍ ذَا السَّيْفِ أَمَالَهُ وَلَا يَفْعَلُ السَّيْفُ أفعالَهُ (٤)
إِذَا سَارَ فِي مَنَمِهِ عَمَهُ وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلِ طَالَهُ (٥)

عن فرسان جيشك فيقع عليك الطعام المر دونهم ، وتقاتل أبطال أعدائك عن أبطال جيشك فكفيم القتال ومقاساة الطعام . وترد : من ورود الماء ؛ يريد تشبيه الطعام بالتهل ، ولذلك وصفه بالمرارة .

(١) يقول : كل الملوك يريدون رجالهم ليدافعوا عنهم ومحموهم من أعدائهم ليقوا ويسلموا ، وأنت تريد أن يبقى رجالك ويسلموا فتدافع عنهم وتحامي دونهم ، وهذا غاية الكرم والشجاعة . وقد بنى التنبى هذا البيت على حكاية وقعت لسيف الدولة مع الأخشيد وذلك أنه جمع جيشاً وزحف به على بلاد سيف الدولة ؛ فبعث إليه سيف الدولة يقول : لا تقتل الناس بيني وبينك ، ولكن ابرز إلى فأينا قتل صاحبه ملك البلاد ؛ فامتنع الأخشيد ووجه إليه يقول : ما رأيت أعجب منك ! أجمع مثل هذا الجيش العظيم لأتقى به نفسي ثم أبارزك ؟ والله لافعلت ذلك أبداً .

(٢) لا تختطى : لا تتجاوز . يقول : لا يوصل إلى حلوة الزمان إلا بعد ذوق مرارته ، ولا تتجاوز تلك المرارة إلا بارتكاب الأهوال ، كما قال :

* ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل *

(٣) على : اسم سيف الدولة ؛ وللنصل : السيف . يقول لأن تلك المرارة على ما ذكر جاوزها - قطعها - المدوح وحده ، لأنه لا يركب الأهوال غيره ووصل بسيفه إلى ما كان يؤمله ، فأدركه حين طلبه بالسيف .

(٤) يؤم : يقصد . يقول : هو - سيف الدولة - سيف يقصد ويطلب ما يؤمله ، ولكنه أمضى من السيف في بلوغ آماله .

(٥) المهمة : المغازاة البعيدة . وطاله - من قولهم طاولته فطلته : أى غلبته في الطول

وَأَنْتَ بِمَا نُتَلْنَا مَالِكٌ يُشْمَرُ مِنْ مَالِهِ مَالَهُ (١)
كَأَنَّكَ مَا بَيْنَنَا ضَيْفَمٌ يُرَشَّحُ لِلْفَرَسِ أَشْبَاهَهُ (٢)

* * *

وقال يمدحه ويذكر الخيمة التي رمتها الريح ، وكان قد ضرب سيف الدولة خيمة عظيمة بما فارقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها فهبت ريح شديدة فوقمت الخيمة فسكلم الناس في ذلك فقال : «

أَيْقَدْحُ فِي الْخَيْمَةِ الْعَذْلُ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهَرَهَا يَشْمَلُ (٣)
وَتَعْلُو الَّذِي زَحَلَتْ تَحْتَهُ مُحَالٌ لِعَمْرِكَ مَا تُسْأَلُ (٤)

يقول : إذا سار في الفلوات والأرض السهلة عمها بجنوده ، وإن سار في الجبل علاه فصار فوقه وليس هذا من أعمال السيف .

(١) نال ينول : إذا أعطى ؛ وثمر ماله : أحسن القيام عليه وأتماه . يقول : أنت بما تعطينا كالمالك الذي ينمي أمواله ، ولكنك تنمي بعضها ببعض .

(٢) الضيفم : الأسد . ورشحه للأمر : هياه وأهله ، والفرس بمعنى الاقتراس ؛ والشبل : ولد الأسد . يقول : أنت - لأنك تمرست بمقارعة الأبطال ، وتفردت دوننا بمنازلة الأقران - أسد ينجح لأشباهه ما يأتيه ويفعله ويضربها على ما يمثله ؛ يعني أنك تضرينا على الحرب وتعودنا القتال كما يرشح الأسد أشباهه للاقتراس فيعملها ذلك .

(٣) أيقدح : أعييب ؛ والاستفهام إنكارى . والواو من « وتشمل » حالية ؛ والعذل : جمع عاذل ، اللأم . يقول : هؤلاء الذين يلومون الخيمة على السقوط أعييبونها وعذرها في هذا التقوض أنها اشمملت على من شمل الدهر فضاقت عنه فلم تثبت حوله ؟ قال الواحدى : وإضافة الدهر إلى الخيمة غير مستحسن ، ولو قال : من دهره يشمل لكان أحسن ؛ ومعنى شمل الشيء : أحاط به : أى أن الخيمة تحيط بمن أحاط بالدهر ؛ يعنى علم كل شيء ، فلا يحدث الدهر شيئاً لم يعلمه ، ومن كان بهذا المحل لا يعلوه شيء ولا يحيط به شيء . هذا : وفي رواية * أنفع في الخيمة العذل * أى أينفع عذل العاذلين في سقوط الخيمة ؟ والرواية الأولى أوجه .

(٤) محال : خبر مقدم ؛ و« ما » من « ما تسأل » بمعنى الذى : مبتدأ مؤخر . يقول : وهل تعلو الخيمة الذى زحل تحتها في علو القدر والنباهاة ؟ فالذى تسأله الخيمة وتكلفه

فَلَمْ لَا تُلُومُ الَّذِي لَامَهَا وَمَا فَصَّ خَاتَمَهُ يَذْبُلُ^(١)
تَضْيِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤَهَا
وَيَرُّ كُضُّ فِي الْوَاحِدِ الْجَحْفَلُ^(٢)
وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ فِي جَوْفِهَا وَتُرْكَزُ فِيهَا الْقَنَا الذَّبْلُ^(٣)

من الثبوت فوقه محال ؛ ومن روى « ماتسأل » بفتح التاء - المعلوم ؛ فالضمير للحيمة أو للمخاطب : أى أن ما تسأله هى أو ما نسألها أنت من ذلك محال .

(١) ما : بمعنى ليس ؛ ويذبل : جبل معروف . يقول : لم لا تلوم الحيمة من لامها على سقوطها قائلة له : لم لا يكون فص خاتمك يذبل ؟ أى فكما يستحيل لوم من لم يتخذ الجبل فصا ، فكذلك لوم الحيمة . وعبارة ابن جنى : إن جاز أن تلام هذه الحيمة على عجزها عن علوها الممدوح ، وهو غير ممكن - لعلوه عنها - فلم لا تلوم من لامها على أنه ليس فص خاتم يذبل ، وهو مستحيل أن يكون فص خاتم إنسان يذبل ، لأن هذا ليس فى طاقته ، فكذا هذه الحيمة لا تقدر أن تملو الممدوح لقصورها عنه ، وقال ابن الإفلح : المعنى لم لا تلوم من لامها وتقول له إنى تهيبت الرئيس وأعجزنى الاشتغال عليه بقصر يذبل مع عظيمته عن فص خاتم وخفته بجانب رزائه وقتله بالقياس إلى جلالته . فكيف أطيع الاشتغال على من هذه حاله ؟ وقال ابن القطاع : ما - من قوله وما فص خاتم يذبل - بمعنى الذى ؛ والضمير فى خاتمته : لسيف الدولة ؛ والتقدير : لم لا تلوم لأنما ؛ وسيف الدولة الذى فص خاتم يذبل تحته ؟ لحذف الخبر . . . وهذا - كما ترى - تعسف من ابن القطاع . وقد قال لنا ابن جنى : سألت التنبى عن هذا البيت فقال « ما » بمعنى ليس ، والتقدير كما قلنا ، لم لا تلوم الحيمة من لامها ، على أنه ليس فص خاتم يذبل والضمير راجع إلى اللاتم . هذا : والخاتم - بكسر التاء وفتحها - لغتان فصيحتان .

(٢) الأرجاء : النواحي ؛ والجحفل : الجيش العظيم . يقول : إن هذه الحيمة واسعة كبيرة بحيث يركض الجيش الكثير فى أحد نواحيها ، ولكنها مع ذلك ضاقت جميعها بشخصك هية لك وإجلالا أن تملوك .

(٣) « ما » مصدرية زمانية ؛ والقنا : الرماح ؛ والذبل : جمع ذابل بوصف به الرماح لئنها ، لأنها طويلة . يقول : وتقصرك عنك مادمت فى جوفها فلا تستطيع أن تملوك إجلالا لك وهية لعلو مرتبتك مع أنها هى فى الحقيقة عالية حتى تركز فيها الرماح

وَكَيْفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَةٍ كَأَنَّ الْبِحَارَ لَهَا أُغْمَلُ^(١)
 فَلَيْتَ وَقَارَكَ فَرَّقْتَهُ وَحَمَلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمِلُ^(٢)
 فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً وَسُدَّتْهُمْ بِالَّذِي يَفْضُلُ^(٣)
 رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِي لَوْنِهَا كَلَوْنَ الْغَزَالَةِ لَا يُفْسَلُ^(٤)
 وَأَنَّ لَهَا شَرْفًا بَادِخًا وَأَنَّ الْخِيَامَ بِهَا تَحْجَلُ^(٥)

(١) الراحة : راحة الكف ؛ والأنامل : أطراف الأصابع . يقول : وكيف تبقى الحيمة قائمة وتحملها راحتك الواسعة الجود ؟ فكأن البحار أنامل لها .

(٢) يقول : فليتك فرقت وقارك على الناس وحملت أرضك من باقى وقارك ما تطيق حملة ، فإنك لو حملت ذلك لحص الحيمة منه ما يوقرها ويثبتها فلا تسقط .

(٣) يقول : فصار الناس كلهم سادة بما أخذوا من الوقار وفضل لك منه ما تصير به سيد الناس . يصف رزاة حملة وكثرة وقاره ، وأنه لو فرق منه الكثير لبقى له ما يسود به الناس .

(٤) الغزاة : الشمس عند طلوعها ، يقال طلعت الغزاة ، ولا يقال غابت الغزاة ، وإنما يقال غابت الجونة ، وغزاة الضحى وغزالاته بعد ما تنبسط الشمس وتضحى ، يقال جاء فلا فى غزاة الضحى ؛ قال ذو الرمة :

فَأَشْرَفْتُ الْغَزَالََةَ رَأْسَ حَزْوَى أَرَأَيْتُمْ وَمَا أَغْنَى قِبَالَ^(١)

يقول : صارت الحيمة بما اتصل بلونها من لون نورك كالغزاة التى لا يفارقها ذاتى نورها ، وأراد بقوله لا يفسل أن ذلك النور لا يزول عنها ولا يفارقها . والمعنى أن الحيمة اكتسبت من نورك ما صارت به موازية للشمس التى لا يزول نورها .

(٥) شرف بادخ : أى عال ؛ والبادخ والشامخ : الجبل الطويل ؛ وبدخ البحر يندخ

(١) يريد بقوله أرايتهم : الأظمان ؛ ونصب الغزاة على الظرف ؛ ورأس حزوى : مفعول أشرفت على معنى علوت : أى علوت رأس حزوى فى غزاة الضحى ؛ ولك أن تقول : إن الغزاة - فى البيت - الشمس ، أى علوت رأس حزوى طلوع الغزاة : أى طلوع الشمس .

فَلَا تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرَعةً ۖ فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ^(١)
 وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ مَا بُلِّغَتْ ۖ نَلَّاتَهُمْ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ^(٢)
 وَلَمَّا أَمَرْتَ بِتَطْنِيبِهَا ۖ أُشِيعَ بِأَنَّكَ لَا تَرَحَّلُ^(٣)
 فَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا ۖ وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ^(٤)
 وَعَرَفَ أَنَّكَ مِنْ هُمِهِ ۖ وَأَنَّكَ فِي نَعْرِهِ تَرْفُلُ^(٥)

بذخانا فهو باذخ وبذاخ : اشتد هدره فلم يكن فوقة شيء . يقول : ورأت أن لها شرفاً عظيماً إذ سكتها ، وإذا رأتها الخيام خجلت ؛ إذ لم تبلغ ما بلغت من الاشتغال عليك .
 (١) أنكر الشيء : استغربه ؛ والصرعة : السقطة ؛ ومن فرح النفس : خبر مقدم وما يقتل : مبتدأ مؤخر . يقول : فإذا سقطت الخيمة لم يكن ذلك تذكراً مستغرباً ، لأنها فرحت بذلك غاية الفرح ، والفرح قد يقتل إذا بلغ الغاية ، فكيف لا تصرع ؟ أي لا تسقط .

(٢) يقول : لو بلغ الناس العقلاء مبلغ هذه الخيمة من القرب منك والاشتغال عليك لخاتهم أرجلهم فلم تحملهم هيبة لك ، كما خاتها أطنابها وعمدها .

(٣) التطنيب : مد الأطناب . يقول : لما أمرت بهذه الخيمة أن تنصب وتمد أطنابها أشيع الخبر في الناس أنك لست راحلاً للغزو ، لامر دعاك إلى الإقامة .

(٤) الاعتماد : معناه القصد ؛ والتقويض : الهدم يريد قلع الخيمة . يقول : لم يقصد الله سبحانه هدم الخيمة ، وإنما أراد بإنسقاطها أن يشير عليك بما ينبغي أن تفعل من معالجة النهوض والتوجه للغزو ، وأن الأمر ليس على ما يقول الناس ؛ وأشار : بمعنى أمر ، من المشورة ، لا من الإشارة - لأنه وصله بالباء . وقال العكبري : أشار من الإشارة ، لا من المشورة في الرأي ؛ فإن قيل : الإشارة إنما تكون بالإيماء بالجراحة ، والله تعالى يرتفع عن الوصف بالجوارح ، قيل : إنما أراد بالإشارة : التنبية ؛ أي فنبهك بوقوعها على الرحيل الذي أعرضت عنه ؛ فالخيمة المشيرة إليه بالوقوع . وقال الآخرون : وجه جوازه أن يكون الله أشار إليه بجسم من الأجسام يحتمل الحركة إما حى وإماموات ؛ إذ لا جراحة له تعالى .

(٥) من همه : مما يهتم به ويحتمل . ويقال رفل يرفل : إذا تبخرت وجر أذياله . يقول : وعرف الله الناس بتقويض الخيمة أنه لم يخذلك وإنما يعنى بك ؛ يريد إرشادك إلى

فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَتَلُّوا وَمَا الْخَاسِدُونَ وَمَا قَوَّلُوا^(١)
 هُمْ يُطَلَّبُونَ فَمَنْ أَدْرَكَوا هُمْ يَكْذِبُونَ فَمَنْ يَقْبَلُ^(٢)
 وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَشْتَهُونَ وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ الْمُقْبِلُ^(٣)
 وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ تَوْبُهُا وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَاءِ مُخْمَلٌ^(٤)

ما تفعل ، وأنت تمشى فى نصر دينه ، فجعل قلع الخيمة سبباً لمسيرك وعلامة على أنه خار لك الارتحال .

(١) هذا استفهام تحقير وتصغير ، ولذلك استعمل بلفظ «ما». وعند يعنى عنود آفوه عائد : مال عن القصد ورد الحق وهو يعرفه ، وأصل العائد : البعير الذى يجور عن الطريق ويعدل عن القصد ؛ والجمع عند - مثل راعى وركع - وأنشد أبو عبيدة :
 إذا رحلتُ فاجعلونى وسطاً إني كبير لا أطيقُ العُنْدَا^(١)

يقول : هؤلاء الأعداء الذين يميلون عن الصدق إلى الكذب والخاصدون مالم وما قولهم ؟ أى لا تأثير لعداوتهم وخدمهم فيك ولا لما يلفقونه من الأقوال أو يضرّبون لك من الفال بالنحوس عند سقوط الخيمة ، ومعنى ما أتلوا ما أصلا من الكلام وجلاوه أصلا لتكذابهم ؛ ويروى : ما أصلا ويقال قولتى مالم أقل : أى نسبته إلى ؛ ومعناه ؛ أنهم يحسبون أقوالا كاذبة ويفشونها فيما بين الناس ؛ وقال ابن جنى : قولوا ، أى كرروا القول وخاضوا فيه .

(٢) فمن أدركوا : يروى «فما أدركوا» يقول : هم يطلبون رتبتيك . فمن الذين أدركوا منهم شأوك ؟ ووجه آخر : هم يطلبون بكيدهم فمن الذين أدركوه حتى يطمعوا فيك ، أو ماذا أدركوا من ذلك ، وهم يكذبون فى تليفق الأحاديث عنك ، وانكن من يقبل كذبهم ويصدقه ؟ .

(٣) الجد : البخت والإقبال . يقول : هم يتمنون الظهور عليك وإهلاكك ولكن إقبالك وسعادة جدك تحول دونهم ودون ما يشتهون .

(٤) وملمومة : عطف على جدك - فى البيت السابق - يريد كتيبة من الجيش مجموعة . وزرد : خبر مقدم ؛ وتوبها : مبتدأ مؤخر - أى اتخذت هذه الكتيبة الدروع ثياباً لها ؛ والزرد حلق الدروع ، وجعل رماحها كالحمل لتلك الثياب ، وهو ما تدلى من

(١) جمع بين الطاء والذال وهو إكفاء ، ويقال هو يمشى وسطاً لا عندا

يُفاجئُ جيشاً بها حينه وَيُنذِرُ جيشاً بها القسطل^(١)
 جعلتكَ بالقلبِ لِي عُدَّةٌ لِأَنَّكَ بِالْيَدِ لَا تُجْعَلُ^(٢)
 لَقَدْ رَفَعَ اللهُ مِنْ دَوْلَةٍ لَهَا مِنْكَ يَا سَيْفَهَا مُنْصَلٌ^(٣)
 فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ الْمُرْهَفَاتُ فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا الْمِقْصَلُ^(٤)
 وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا فَإِنَّكَ فِي الْكِرَامِ الْأَوَّلِ^(٥)

التياب الحملة ؛ يعنى : وحال بينهم وبين ما يشتهون جيشك الذى اتخذ فرسانه الدرود لباساً لهم حتى كأنهم منها فى ثوب سابق إلا أن ذلك الثوب مخمل بالرمح ، وروى ابن الأظلي : وملسومة - خفصاً - قال : أى ورب ملسومة الخ .

(١) الحين : الهلاك ؛ والقسطل : العبار . يقول : يفاجئ هذه الكتيبة جيشاً هلاكه بها ، وينذر غبارها جيشاً آخر ؛ يعنى أنه تارة يسير بها ليلاً فياكر جيشاً من الأعداء لا يشعر به فيهلكه ، وتارة يسير بها نهاراً فتثير غباراً فينذر جيشاً آخر يرى ذلك العبار فيهرب . وقيل المعنى : تحزن : أى تسير فى الحزن - فلا تثير غباراً ، وتارة تسهل : أى فى تسير فى السهل فتثير غباراً

(٢) العدة : ما أعدته لحوادث الدهر من مال وسلاح ونحوهما . يقول : اتخذتكَ عدة لى بقلبي وعزى : أى اعتقدت فيك أنك عدة لى فى أحتاج إليه لأنك لست من العدد التى تعد باليد كالسيوف والأسلحة ، ويجوز أن يريد لست من العدد التى تعمل باليد : أى لا تتصرف فيك الجوارح ، وإنما تنال بالفكر والاعتقاد ، وعبارة بعض الشراح - وقد روى البيت فى القلب وفى اليد اتخذت عدة لى فى القلب أتشجع بك فى الملمات وأجعل رجاءك سلاحاً لى على دفع غوائل الدهر لأنك أجل من أن تجعل فى اليد كسائر العدد (٣) المنصل : السيف ؛ ومن دولة : «من» زائدة ؛ يقول : لقد رفع الله دولة جعلتكَ سيفها على سائر الدول ؛ يعنى دولة الخلافة .

(٤) المرهفات : جمع مرهف ، السيف الرقيق الحد ؛ وطبيع السيف : صنعه والمقصل القاطع . يقول : إذا كانت السيوف قد سبقتك بأن طبعت قبلك فإنك قد سبقتها بالقطع لأنك تطع بعقلك ورأيك وحكمك مالا تقطعه السيوف . وقال ابن جنى : المعنى أنك لإفراط قطعك وظهوره على قطع جميع السيوف كأنك أول من قطع ؛ إذ لم ير قبلك مثلك وقال غيره يريد أن قطعها بسيفك ، ولولا قطعك ما قطعت .

(٥) يقول : إن كان الكرام الأولون جادوا قبلك ، فإنك زدت عليهم وأبدعت فى ذلك ما صرت به أولاً فى الكرم .

وَكَيفَ تُقَصِّرُ عَنْ غَايَةِ (١) وَأُمَّكَ مِنْ لَيْثِنَهَا مُشْبِلٌ (١)
 وَقَدْ وُلِدَتْكَ فَقَالَ الْوَرَى (٢) أَلَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لَا تُنْجَلُ (٢)
 فَتَبًّا لِلَّذِينَ عَبَّيْدِ النُّجُومِ (٣) وَمَنْ يَدَّعِي أَنَّهَا تَفْقَلُ (٣)
 وَقَدْ عَرَفْتِكَ فَمَا بِالْهَاءِ (٤) تَرَكَ تَرَاهَا وَلَا تَنْزِلُ (٤)

(١) الليث . الأسد ؛ ولبؤة مشبل ؛ ذات أشبال ؛ والشبل ؛ ولد الأسد . يقول :
 كيف تقصر عن إدراك الغايات البعيدة في الكرم والفضل والشجاعة وقد ولدك الأسد ؟
 فأملك أشبلت بك من أهلك الذي هو الاسد ، وقد ضرب ذلك مثلاً لشجاعته ووضأته
 كأن أبويه أسدان ، ومن روى من ليثها - بفتح ميم من - ف «من» عبارة : عن الأم ،
 وهي خير المبتدأ ، وما بعدها مبتدأ وخبر صلة لها ، والشبل - على هذا - هو الليث ،
 وهو الأب .

(٢) يقول : لما ولدتك أمك كنت شمسا في رفعة المحل ونباهة الذكر ، فقال الناس :
 ألم تكن الشمس لا تنجل - أي لا تولد - فكيف ولدت هذه المرأة شمسا ؟ وهذا
 ينظر إلى قول الأول :

لَأُمَّ لَكُمْ بَنَجَلَتْ مَالِكًا مِنْ الشَّمْسِ لَوْ نَجَلَتْ أَكْرُمُ

ومن روى لا تنجل - بالبناء للمعلوم - جعل أمه الشمس : أي فقال الناس ولدت
 الشمس وهي لا تلد ، جعل الممدوح - لعلو قدره - كأنه نجل الشمس ؛ والرواية الأولى
 أجود وأمدح . هذا : والورى : الخلق - تقول العرب : ما أدري أى الورى هو ؟ :
 أى الخلق هو ؟ ، قال ذو الرمة :

وَكَأَنَّ ذَعْرَنَا مِنْ مَهَاةٍ وَرَامِحِ بِلَادِ الْوَرَى لَيْسَتْ لَهُ بِيَلَادِ

قال ابن جنى : لا يستعمل الورى إلا فى النقي ، وإنما سوغ لذي الرمة استعماله
 واجبا ، لأنه فى المعنى منفي كأنه قال ليست بلاد الورى له ببلاد .

(٣) التب : الهلاك والخسار ، وهو منصوب على المصدر . يقول : ضللا وخساراً
 للذين يعبدون النجوم ويدعون أنها عاقلة . وقد بين العلة فى البيت التالى .

(٤) يقول : النجوم على زعم من يدعى أنها تعقل قد عرفتكم وعرفت أنك أجل منها
 ندرأ ، فما بالها لا تنزل إليك لتخدمك ، وهي تراك تنظر إليها ؛ يعنى أنها لا تعقل ولو
 عقلت لزلت إليك .

وَلَوْ بُتِمَا عِنْدَ قَدَرَيْنِ كَمَا لَبِتْ وَأَعْلَا كَمَا الْأَسْفَلُ (١)
أَنْتَ عِبَادَكَ مَا أَمَلُوا أَنْتَ رَبُّكَ مَا تَأْمَلُ (٢)

وقال يمدحه ويعتذر إليه وذلك في شعبان سنة إحدى وأربعين*:

أَجَابَ دَمِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ دَعَا قَلْبَاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالْإِبِلِ (٣)
ظَلَّتْ بَيْنَ أُصَيْحَابِي أَكْفِكُهُ وَظَلَّ يَسْفَعُ بَيْنَ الْعُذْرِ وَالْعَذَلِ (٤)

(١) يقول: لوبات كل منكما في الموضع الذي يستحقه قدره لبت في موضع النجوم ولبت هي في موضعك لإربائك عليها في الشرف.

(٢) قال الواحدى: لو قال عبيدك كان أحسن، لأن الأكثر في الاستعمال أن العباد تضاف لله سبحانه وتعالى، فأما للضاف إلى الناس فقلما يقال فيه العباد. يقول: أعطيت عبيدك - يعنى الناس، جعلهم عبيداً لأنه ملك مارجوه من عطائك، ثم دعا له أن يكافئه الله بمثل فعله فينبه ما يؤمله.

(*) قال الواحدى: دخل أبو الطيب على سيف الدولة بعد تسعة عشر يوماً، فلتقاه العلمان وأدخلوه إلى خزنة الأكسية، فخلع عليه ونضح بالطيب، ثم أدخل على سيف الدولة، فسأله عن حاله وهو مستحى، فقال أبو الطيب: رأيت الموت عندك أحب إلى من الحياة عند غيرك؛ فقال: بل يطيل الله عمرك، ودعاه، ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلق كثير إلى منزله، وأتمه سيف الدولة هدايا كثيرة، فقال أبو الطيب يمدحه بذلك، وأنشده إياها في شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث منه..

(٣) الطلل: ما شخص من آثار الديار، والركب: القوم الراكبون. يقول استدعى الطلل دمي بدثوره فأجابه الدمع وكنت أول من أجاب بيكاه قبل أصحابي وقبل الإبل. يريد أن الإبل تعرف أيضاً ذلك الطلل وتبكي عليه كما قال التهامي:

بَكَيْتُ لِحَنَّتِ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جِوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا

والعنى: أنه وقف على ديار محبوبه، فشجاه ما شاهد من دروس رسومها وتغير طولها، فاستدعى ذلك بكاءه، فأجاب دمعه تلك الدعوة قبل أن يجيب ذلك سائر أصحابه بالتأسف والإبل بالحنين.

(٤) أصيحابي: تصغير تعظيم. وأكفكه: أكفه مرة بعد أخرى. ويسفع: يجرى ويسيل. يقول: ظلت أكف الدمع خوفاً من لوم الركب فظل الدمع يسيل

أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَذْرَتِي عَجَبٌ
 كَذَلِكَ كُنْتُ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكَلِّ (١)
 وَمَا صِبَابَةٌ مُشْتَقٌّ عَلَى أَمَلٍ مِنْ اللَّقَاءِ كَمُشْتَقٍّ بِلَا أَمَلٍ (٢)
 مَتَى تَرُزُ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يَتَّحِفُوكَ بِمَعِيرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ (٣)

وأصحابي من بين عاذرلي وعاذلي - لأثم - والدمع يسيل بين العذر والعدل في شاغل
 عنهما . هذا : ويقال ظل نهاره يفعل كذا وكذا يظل ظلا وظلولا ، وظللت أنا وظللت
 وظلت ، لا يقال ذلك إلا في النهار لكنه سمع في بعض الشعر ظل ليله ، وأصل ظلت ،
 ظللت ، إلا أنهم حذفوا فألقوا الحركة على الفاء . قال تعالى : « فظلمتكم تفكهنون » ومثله
 مست ، في « مست » قال الجوهري : وربما قالوا مست الشيء : يحذفون منه السين
 الأولى ويحولون كسرتها إلى الميم ، ومنهم من يترك الميم على حالها مفتوحة ؛ وأنشد
 الأخفش لابن مغراء :

مسنا السماء فبنلناها وطاء لهم حتى رأوا أحدا يهوى ونهلانا

والأصل مسنا السماء ، وهذا من شواذ التخفيف .

(١) النوى : البعد والفراق . والعبرة الدمع . والكلل : جمع كلة ، الستر الرقيق
 يقول : أشكو الفراق وهم يتعجبون من بكائي للفراق ، ولا عجب في ذلك ، فإنني كنت
 على مثل ما يرون من البكاء حين كانت المحبوبة بقربي لا يحجبها عن غير الستر ، فكيف
 الآن وقد حجبتها عن الفراق ؟ فالواو في قوله « وما أشكو للحال » أي حين لا أشكوسوى
 الستر : أي في حال دنو المسافة ؛ ومن روى « كذلك كانت » فعناه كانت العبارة حين كان
 الحاجب بيننا الكلة . والمصراع الثاني رد على أصحابه حين تعجبوا من بكائه أي لا
 تتعجبوا من بكائي على فراقها ، فلقد كنت أبكي في هجرها وما أشكو مانعاً دون
 الستور التي تحجبها والمنازل متجاوزة والدور متصافية .

(٢) الصبابة : رقة الشوق ؛ وقوله « كمشتاقي » أراد كصبابة مشتاق ، لحذف المضاف .
 يقول : إن المشتاق الذي لا يأمل لقاء حبيبه أشد حالاً ممن يأمل ، لأنه إذا كان على أمل
 خفف التأمل برح اشتياقه قال الواحدى : ويجوز أن يكون أخف حالاً لاسترواحه
 إلى الإياس ؛ والأول أوجه .

(٣) الإتحاف : الإطراف بالهدية ؛ والبيض : السيوف . والأسل الرماح يقول : -
 مخاطباً نفسه - إن هذه الحبيبة سبعة في قومها بالسيوف والرماح . فإذا زار قومها

وَالهَجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أَرَا قِبَهُ أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوَفِي مِنَ الْبَلَلِ (١)
مَا بَالُ كُلِّ فَوَادٍ فِي عَشِيرَتِهَا بِهِ الذِّي بِي وَمَا بِي غَيْرُ مُنْتَقِلِ (٢)

لأجلها كانت تحفته من قبلهم السيوف والرماح : يعني أنه يخافهم على نفسه إن زار محبوبته
أى إن الوصول إليها متعذر لما يعترضه من شوكة قومها وعزتهم . وقد أرجع ضمير « من »
على المعنى دون اللفظ ، فقال زيارتها ولورده على اللفظ لقال زيارته .
(٢) ما يراقبه : يعني ما يتوقعه من بأس قومها . يقول : إن هجرها أقتل له من
سلاحهم ، فإذا كان مقتولا بالهجر لم يبال بعده بالسلاح ، لأن من غرق في الماء لم يخش
البلل . وهذا من قول بشار :

كَمْزِيلِ رَجُلِيهِ عَنِ بَلَلِ الْقَطْرِ وَمَا حَوَّلَهُ مِنَ الْأَرْضِ بِحَرِّهِ
وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تحببه على للنتي — : هذا مأخوذ من قول
دي بن زيد :

لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالْفَصَانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي (١)
قال العكبري : وليس كما قال وإنما نقله من قول الحكيم : من علم أن الفناء
مستول على كونه هانت عليه المصائب .

(١) قال الواحدى : كان حقه أن يقول ما بال فوادي لا ينتقل عن حبا
وبكل فواد من عشيرتها — أهلها وقرابتها — ما بى ؟ لأن التعجب إنما هو
من فواده ، لا من أفئدتهم ؛ يعنى لم لا ينتقل حبا عنى ولا أسلوها إذا كان
قومها وعشيرتها يحبونها كحبي ؟ يشير إلى أنها محبوبة في قومها منيعة فيما بينهم ،
وأنه في بأس من الوصول إليها ، واليأس من الشيء يوجب السلو عنه ، كما
قالوا : اليأس إحدى راحتين ، وأنه مع هذا اليأس لا ينتقل عنه حبا .
وذهب بعضهم إلى أن المعنى أنه يدعى بلوغة في حبا مبلغاً لا يبلغه أحد مالم
ينتقل إليه منه ؛ وهذا وجه التعجب في البيت . يقول : مالى أرى كل قلب من قلوب
عشيرتها فيه من حبا مثل ما في قلبى مع أن مالى باقى فيه لم ينتقل عنه إلى غيره ؟

(١) الاعتصار : أن ينص الإنسان بالطعام فيعصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا
قليلا ؛ والنصان : العاص . ويقال : غصصت بالماء أغص غصصاً : إذا وقف في حلقك فلم
تكذب نسيه .

مُطَاعَةُ اللَّحْظِ فِي الْأَلْحَاطِ مَالِكَةٌ لِقُلْتِنَهَا عَظِيمُ الْمَلِكِ فِي الْبَهْمَلِ (١)
 تَشْبَهُ الْخَفِرَاتُ الْإِنْسَاتُ بِهَا فِي مَشِيهَا قَيْنَلْنَ الْحُسْنَ بِالْحَيْلِ (٢)
 قَدْ ذُوقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَدَّتْهَا فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلٍ (٣)

يعنى أنها قد بلغت مبلغاً من الجمال حببها إلى كل أحد ، حتى بلغ فيه كل قلب أقصى مبلغ من الغرام . وعبرة ابن جنى : أجود ما يتأول في هذا أن يجعل الذى يجده من الشوق كأنه شخص ، والشخص إذا حصل في مكان لم يشغل غيره ، فإذا صح ذلك صح إنكاره لثبات وجده ، لأنه في أماكن كثيرة والشخص لا يشغل مكانين فأما العرض فلا يشغل مكاناً ، فإذا كان في قلب واحد جاز أن يكون في قلوب كثيرة . والمعنى يصفها بالحسن وأنها معشوقة الدل كل قلب في عشيرتها به الذى بأبي الطيب من حبها ، فما بال حبها في قلبه ثابت لا ينتقل ومقيم لا يرتحل ؟ يريد أن حب أهلها لها لبراعة حسنها غير حبه لها ، وأن حبهم يتغير وينتقل ، وحبه لا يتغير ولا ينتقل ، بل هو ثابت .

(١) يقول : هى مطاعة اللحظ من بين ألحاظ الحسان ؛ إذا دعا لحظها إنساناً إلى هواها لى مطيماً فهى مالكة القلوب فتانة ؛ ولقلتها ملك عظيم فى دولة القل ، لهما دونها الأمر النافذ . وقال ابن فورجة : أى إن العيون إذا نظرت إلى عينها لم تملك صرف ألحظها عنها ، لأنها تصير عقلة لها ، فكأن عينها مالكة العيون . وهو معنى قول ابن نواس :

كَلَّ يَوْمَ يَسْتَرْقُ لَهَا حُسْنُهَا عَبْدًا بِلَا ثَمْنٍ

(٢) تشبه — بحذف إحدى التاءين — أى تشبهه : والخفريات : الحيات ، والآنسات : جمع آنسة ، ويقال جارية آنسة ؛ إذا كانت طيبة النفس تحب قربك وحدثك . يقول : إن النساء الحيات ذوات الانس يقصرن عن محاسنها فيقشبن بها فى حسن المشية ويربن مثل دلهما ، فيكتسبن الحسن بالتشبه بها ، ويمتلن حتى يتلن ذلك وعبرة ابن جنى والواحدى : إذا كان فى حسن امرأة تقصير تشبهت بها فى مشيها ، فيجبر حسن المشى تقصير الحسن حتى تكون قد نالت الحسن بالحيلة .

(٣) الصاب : شجر مر . يقول : مرت بى من الدهر حلاوته ومرارته ، فما حصلت من حلوه على عسل ، ولا من مره على صاب ، لانقضاهما وسرعة مرورهما ، فكأنى لم أذق شيئاً منهما : وهذا من قول البحترى :

وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابَ الرُّوحَ فِي بَدَنِي وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابَ الرُّوحَ فِي بَدَنِي ^(١)
 وَوَقَدْ طَرَقَتْ فَتَاةَ الْحَيِّ مُرْتَدِيًا وَوَقَدْ طَرَقَتْ فَتَاةَ الْحَيِّ مُرْتَدِيًا ^(٢)
 وَلَيْسَ يَعْلَمُ بِالشُّكْوَى وَلَا الْقَبْلِ ^(٣) وَلَيْسَ يَعْلَمُ بِالشُّكْوَى وَلَا الْقَبْلِ ^(٣)

ومن عَرَفَ الأيامَ لا يَرِ خفضها نعميا ولا يعددُ تصرفها بلوى
 (١) يقول : إنه إنما كان حيا حين كان شابا ، فلما شاب صار كأنه قد مات وانتقل روجه
 إلى غيره ، كما قال الآخر :

من شاب قد مات وهو حيٌّ يمشى على الأرض مشى هالكٌ
 والمعنى : أنه تغير بعد المشيب حتى صار غير ما كان أولا ، وعبارة العكبري : قد صحبت
 الشباب مسرورا وأراني الروح - يريد القوة والجلادة والتمهضة - في بدني ثم صحبت
 المشيب مستكرها لصحته فأراني الروح في بدلي بتغير أحوالي وعجزى عن النهوض
 والقيام بسرعة كما كنت أيام الشباب ، وصرت أستعين بغيري يساعدني على أحوالي ،
 وكأني بهذا قد أراني الروح في بدلي - يريد القوة والنشاط - والذي كنت أفعله وحدي
 صرت أحتاج فيه إلى مساعد وتلخيص المعنى أن حقيقة أمور الإنسان أيام شبابه ثم
 تتبدل بالانتقال إلى مشيبه وكبره ، وقال ابن فورجه : أحسن ما يحمل عليه البدل في
 هذا البيت الولد لأنه بدل الإنسان إذ كان يشب أو أن شيخوخة الأب وإذا مات ورثه ،
 فيكون كأنه بدله في ماله وبدنه .

(٢) رجل عزهارة وعزهارة وعزهي وعزه وعزوه وعزهي وعزهاة وعزهاة وعزهوة
 وعزهو : كله عازف عن اللهو والنساء لا يطرب للهو ويتعد عنه وعن مغازلة النساء
 والتحدث إليهن ، والجمع عزاه مثل سعادة وسعال وعزهون - بالضم - قال ابن بري :
 ويقال عزهارة للرجل والمرأة . قال يزيد ابن الحكم :

فحقا أيقني لا صبر عندي عليه وأنتِ عزهارة صبور

والغزل : الذي يهوى محادثة النساء . يقول : أبيت حبيبي ليلا ومعي سيفي وقد جعل
 السيف موضع الرداء والسيف لا يوصف بالليل إلى النساء ولا بالليل. عنهن .

(٣) التراقي : جمع الترقوة ؛ العظم الذي بين اللنكب وبين ثغرة النحر . يقول :
 فبات السيف بيننا ونحن متعاقبان ولا علم له بما يجري بيننا من شكوى الاشتياق والقبل
 ولا غير ذلك مما يجري بين المحبين إذا هما تانقا ، ويشير بهذا إلى ما كان عليه من الحذر
 والحفاة وأنه حين عانق محبوبه لم يخلع السيف

مَ أَغْتَدَى وَبِهِ مِنْ رَدْعِهَا أَثْرٌ عَلَى ذَوَابْتِهِ وَالْجَفْنِ وَالْمَلَلِ (١)
 لَا أَكْسِبُ الذِّكْرَ إِلَّا مِنْ مَضَارِبِهِ
 أَوْ مِنْ سِنَانٍ أَصَمَّ الكَعْبِ مُعْتَدِلِ (٢)
 جَادَ الْأَمِيرُ بِهِ لِي فِي مَوَاهِبِهِ فَرَانَهَا وَكَسَانِي الدُّرْعَ فِي الْخُلَلِ (٣)

(١) الردع : التلطيح بالطيب ، يقال به ردع من زعفران : أى تلطيح وأثر ، وردعه بالشئ ردعه ردعا فارتدع : لطيحه به فتلطيح ؛ قال ابن مقبل :

يَخْدِي بِهَا بَازِلُ فُتْلٌ مَرَاتِقُهُ يَجْرِي بِدِيَابِجَتَيْهِ الرَّشْحُ مُرْتَدِعٌ (١)
 وروى من درعها : أى ثوبها . وذوابة السيف - هنا - حمائله . وجفنه : غمده .
 والخلل : جمع خله - بكسر الخاء - وهى ما يخشى به الغمد من الجلد النقوش بالذهب وغيره . يقول : ثم غدا السيف وقد تأثر بما كان عليها من الطيب وظهرت آثاره على حمائله وغمده ؛ والغلاف الذى فيه الغمد ؛ يعنى أنه لصق بمحبوبته حتى لصق به الطيب الذى طيبت به .

(٢) المضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف والسنان : فصل الريح ، والأصم : الصلب ، وهو صفة لمحدوف : أى سنان رمح أصم الكعب ، والكعب العقدة بين الأنبوتين . يقول لأطلب الشرف ولا أكسبه إلا من مضارب السيف أو من سنان الرمح ، يعنى أنه لا يكسب المجد إلا بإقدامه وبأسه . قال العكبرى : الرواية التى قرأنا بها الديوان بإضافة سنان إلى أصم بغير تنوين ورواه جماعة سنان - بالتنوين - والأجود الإضافة ، وإذا نون يكون المعنى : ومن سنان أصم كعبه ، والكعب للرمح لالسنان ، وإذا جوزناه على الاستعارة كان للرمح أشبه ، وأيضاً فإن فى السنان نونين ، وإذا نون صار فيه ثلاث نونات ، وثلاثة حروف بمعنى فى كلمة ثقيل .

(٣) يقول : أعطانى الأمير هذا السيف فى جملة ما وهبه لى فزان بحسنه الهبات التى

(١) خدى البعير والفرس يخدى خدياً أسرع وزج بقوائمه مثل وخذ ، وجمل بازل بزل نابه : أى انشق وذلك فى السنة التاسعة ، وذلك أقصى أسنان البعير والقتل شدة عصب الذراع ، ومرفق أقتل بين القتلى . وقوله يجرى الخ قال بعضهم معناه متصغ بالمرعى الأسود : كما يردع الثوب بالزعفران ، وقال آخرون : قوله مرتدع أى قد انتهت سنة .

- وَمِنْ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَعْرِفَتِي بِحَمَلِهِ مِنْ كَعْبِدِ اللَّهِ أَوْ كَمَلِي^(١)
مُنْعِي السَّوَابِ وَالْجُرْدِ السَّلَابِ وَالْبِ
يَضِ الْقَوَاصِبِ وَالْمَسَالَةَ الذُّبُلِ^(٢)
ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَهُ الْأَرْضُ عَنْ مَلِكِ
مِلْءِ الزَّمَانِ وَمِلْءِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ^(٣)
فَدَخَنُ فِي جَدَلِ الرُّومِ فِي وَجَلِ وَالْبُرِّ فِي شُفْلِ وَالْبَحْرِ فِي خَجَلِ^(٤)
مِنْ تَغْلِبَ الْفَالِيبِينَ النَّاسَ مَنْصِبُهُ وَمِنْ عَدِيٍّ أَعَادِي الْجَبِينَ وَالْبَخْلِ^(٥)

وهينها وكسائي في جملة ما أعطاني من الثياب الدرع ؛ يعني أنه وهبه سيفاً ودرعا في جملة ما وهبه .

(١) على : هو سيف الدولة : يقول : منه تعلمت حمل السيف ، فهو واهبه لي ومعلى حمله ثم قال مستأنفاً : من مثله أو مثل أبيه ، يعني لا مثل لهما ؛ ومن على : خبر مقدم ومعرفة : مبتدأ مؤخر .

(٢) السكواعب : الجوارى الشابات ؛ أى التي كعبت - نبتت - نديهن والجرد : الخيل القصار الشعر ، وذلك آية عتقها وكرمها . والسلاهب : الخيل الطوال ؛ والبيض القواضب : السيوف القواطع للماضية . والعسالة : الرماح التي تضرب للينها والذبل الرماح الضامرة . يقول : إنه يعطى سائليه هذه الأشياء التي تدل على أنه يستصحب كآة الفرسان وأعلام الشجعان في اعتمادهم في هباته بما يوافقهم ويعضد بهم بما يشاء كلهم .

(٣) يقول : ضاق عنه الزمان والمكان ، فإن همه وما يخلده من جليل المكارم ويتابعه من كثرة الوقائع كل أولئك يحمل الزمان مالا يطيقه ويحشمه مالا يعمده ، فيضيق عن غفامة قدره ، ويقصر عن جلاله مجده ؛ وكذلك تضيق الأرض عما يحملها من جيوشه ؛ وإذن فهو قد ملأ الزمان بمكارمه ومجده ، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه .

(٤) الجدل الفرخ ؛ والوجل الحوف . يقول : نحن المسلمين فرحون بانتصاره والروم في خوف منه لغاراته وغزواته والبر مشتغل بجميشه لا يتفرغ لغيره والبحر في خجل من ندى يديه .

(٥) تغلب : قبيلة المدوح ؛ وعدى ؛ رهطه . ومن تغلب : خبر مقدم ؛ ومنصبه

وَالْمَدْحُ لِابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ تُنَجِّدُهُ بِالْجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ الْيَمِّ وَالْحَطَلُ^(١)
 لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوِي مَنَاقِبَهُ فَمَا كَلِيبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ^(٢)
 خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ
 فِي طَلْمَةِ الشَّمْسِ مَا يُفْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ^(٣)
 وَقَدْ وَجَدْتَ بِجَالِ الْقَوْلِ ذَاسِمَةً فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلِ^(٤)
 إِنَّ الْهَمَامَ الَّذِي فَخِرُ الْأَنْبَاءِ بِهِ خَيْرُ السُّيُوفِ بِكَفَى خَيْرَةَ الدُّوَلِ^(٥)

مبتدأ مؤخر؛ والنصب: الأصل. وأعدى الجبن، صفة لعدى. يقول: أصله من تغلب التي غلبت الناس نجدة وشجاعة، ومن عدى الذين هم أعداء الجبن والبخل.

(١) أبو الهيجاء كنية والد سيف الدولة، وجملة تنجده - أي تعينه - حالية، والي العجز عن الكلام؛ والحطل: اضطراب القول وفساده. قال الواحدي: هذا تعريض بأبي العباس النامي الشاعر، فإنه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين كانوا في الجاهلية. يقول: إذا مدحته بذكر آباءه الجاهليين كان ذلك عين الي ثم أكد هذا المعنى وتعمه في الآيات التالية.

(٢) قوله فما كليب: أدخل ما على من يعقل، لأنه أراد السؤال عن صفته مع الاحتقار لشأنه. وكليب: هو كليب بن ربيعة رئيس بني تغلب في الجاهلية. يقول: ليت ما مدح به من الشعر يستوفي ذكر فضائله ومحامده، ومق يتفرغ الشعر لذكر كليب وأهل الدهور السابقة وأين هم منه؟

(٣) يقول: امدحه بما تشاهد منه واترك ما سمعت به، فإن الشمس تغنيك عن زحل، جعله كالشمس، وآبائه كزحل وهو نجم بعيد خفي - يعني فيما قرب منك عوض عما بعد عنك لاسيما إذا كان القريب أفضل من البعيد: قال العكبري. وهذا من قول الحكميم: البيان شاهد لنفسه، والإخبار يدخل عليه الزيادة والنقصان فأولى ما أخذ ما كان دليلا على نفسه.

(٤) يقول: وقد وجدت من مآثر المدوح المتوافرة الشائعة مجالا واسعا للقول فإن وجدت لسانا يستطيع وصف تلك المآثر فافعل فإنك لن تعدم شيئا تقوله؛ يعني أنه لا ينقصه شيء بمدح به، وإنما ينقصه لسان ينهض بمدح ما فيه.

(٥) الهمام ذو الهمة العالية؛ وخيرة: تأتيت خير، بمعنى أفضل، لما ألقوا الهمة

تُمنى الأمانى صرعى دون مبلغه فما يقول لشيء ليت ذلك لي (١)
أنظر إذا اجتمع السيفان في رهج إلى اختلا فهما في الخلق والعمل (٢)
هذا الممدد لربب الدهر منصلتا أعد هذا لرأس الفارس البطل (٣)

من أوله استسهلوا تأنيته بالناء لأنه قد أشبه الصفات : يقول : إن هذا الهمام الذى يفتخر الخلق كلهم به ، لأنه فيهم ، هو أفضل السيوف فى كف أفضل الدول . يعنى دولة الخلافة .

(١) الأمانى : جمع أمنية ، الشيء الذى تتمناه . وصرعه : طرحه على الأرض ، ويقال تركته صريعاً : أى قتيلاً يقول : إنه مسلط على العالم مالك للرقاب والأموال فلا ترتقى الأمانى إليه لأنه لا يحتاج إلى أن يتمنى شيئاً فلا يرى نفسياً إلاوله خير منه ، أو صار له ذلك الشيء ؛ وعبارة بعض الشراح : شبه الأمانى بالطرائد . يقول إذا سنحت له أمنية فطلبها سقطت دون مبلغ همته ، لأن همته أبعد شوطاً منها فلم يبق فى الدنيا شيء يستحق أن يتمناه ، لأن كل شيء فى قبضة إمكانه . وقد فسر بهذا البيت ما أغلقه البحترى فى قوله :

ومظفرٌ بالجدِ إذ رآ كأنه فى الحظ زائدة على أوطاره
وهو ضد قول عنترة :

ألا قاتل الله الطلول البوالي وقاتل ذكراك السنين الخوالي
وقولك للشيء الذى لا تناله إذا ما حلا فى العين يا ليت ذاليا

(٢) و (٣) يريد بالسيفين : سيف الدولة وسيف الحديد ؛ والرهج : الغبار وريب الدهر : حدثانه ؛ ومنصلتا - أى مجرداً - حال من ضمير المعد . يقول إذا اجتمع السيفان فى رهج حرب اختلفا وبان تخلف أحدهما عن الآخر فأحد السيفين - وهو المدوخ - معد لدفع نوب الدهر وشدائده كما قال :

* وتقطع لزبات الزمان مكارمه *

وقد أعد السيف الآخر وهو سيف الحديد لضرب رءوس الأبطال فالأول موكل بدفع المكروه ، والثانى موكل بإحلاله ، وذاك عامل ذو إرادة يضرب بالثانى ، وهذا لا عمل له من تلقاء نفسه ؛ وإذن : كان الأول هو السكل فى السكل . ومن هنا كان اختلافهما .

فَأَلْمَزْبُ مِنْهُ مَعَ الْكَدْرِيِّ طَائِرَةٌ
 وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الْحَجَلِ (١)
 وَمَا الْفِرَارُ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ تَمْشِي النَّعَامُ بِهِ فِي مَقْعِلِ الْوَعْلِ (٢)
 جَازَ الدَّرُوبَ إِلَى مَا خَلْفَ خَرَشْنَةَ وَزَالَ عَنْهَا وَذَلِكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلْ (٣)
 فَكَلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاهُ عِنْدَهُمْ فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّبِيِّ وَالْحَمَلِ (٤)

(١) الكدري : ضرب من القطا ، وهو من طير السهل ؛ والحجل : طائر في حجم الحمام ، أحمر للثقار والرجلين ، وهو يعيش في الجبال ، والعرب بلادها للفاوز والسحارى والروم بلادها الجبال . يقول : العرب تفر منه مع القطا في الفلوات والروم تفر منه مع الحجل في جبالها .

(٢) من أسد : روى من ملك ؛ والمراد سيف الدولة . والوعل : تيس الجبل ، ومقعله : المكان الذى يعتصم به في رؤوس الجبال : يقول : ما فائدة الفرار إلى الجبل من ملك تمشي به خيله في آثار الفارين ؟ أى أنها لا تعجز عن جوب الجبال في آثار الروم فالمراد بالنعام : خيله ، شبهها بها في سرعة العدو - الجرى وطول الساق - قال الواحدي وفيه نكتة ، لأن النعام لا توجد في الجبال فجعل خيله نعام الجبل ؛ وقال ابن فورجه : يعنى بالنعام خيله العرب لأنها من نتائج البدو ، وقد صارت تمشي بسيف الدولة في الجبال لطلب الروم وقتلهم واستئزال من اعتصم بالجبال منهم .

(٣) الدروب : جمع درب ، وهو كل مدخل إلى بلاد الروم ؛ وخرشنة بلد من بلاد الروم ، والروع : الخوف والفرع . يقول إنه تغفلت في بلاد الروم حتى خلف الدروب وخرشنة وراءه وفارقها بالانصراف عنها ولم يفارقها الروع الذى ألم بأهلها منه .

(٤) يقول : لشدة ما لحقهم من الخوف منهم وكثرة مارأوا من السبي والغارة صاروا إذا نامت المرأة منهم رأَت في نومها السبي الذى تحذرو وقوعه والجمل الذى تتوقع ركوبه وذلك أن السبايا كن يحملن على الجمال ، يعنى أن ما استقر في قلوبهم من الخوف لا يفارقهم في النوم أيضا هذا : والحلم ما يراه النائم ، وتقول حلمت بكذا وحلمت أيضا ، قال الأخطل :

حلمتها وبنور فيدة دونها لا يبيعدن خيالها الحلم (١)

(١) قال الجوهري : يقال قد حلم الرجل بالمرأة إذا حلم في نومه أنه يباشرها ، وهذا البيت شاهد عليه .

إِنْ كُنْتَ تَرْضَى أَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَ بَدَلًا
مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْمُؤْرِ بِالْحَوْلِ^(١)
نَادَيْتُ مَجْدَكَ فِي شِعْرِي وَقَدْ صَدَرًا
يَا غَيْرَ مُنْتَحِلٍ فِي غَيْرِ مُنْتَحِلٍ^(٢)
بِالشَّرْقِ وَالغَرْبِ أَقْوَامٌ نُحِبُّهُمْ
فَطَالِ الْعَامُ وَكُونَا أَبْلَغَ الرُّسُلِ^(٣)

أما الحلم - بالكسر - فهو الأناة والعقل . تقول : حلم - بالضم - يحلم حلما : أى صار حلما ، وتعلم : تكلف الحلم ، قال حاتم الطائي

تَحَلَّمْ عَلَى الْأَذْنِينَ وَاسْتَبِقْ وَدُهُمُ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحَلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا
أما قولهم حلم الأديم : فالأديم : الجلد المدبوغ ، وحلم : أى أفسده الحلم ، وهو دود يقع في الجلد فيأكله ، قال الوليد بن عقبة بن أبي عقبة من أبيات يحض فيها هاروية على قتال على عليه السلام ، ويقول له : أنت تسمى في إصلاح أمر قد تم فساده كهذه المرأة التي تدبغ الأديم - الذي وقعت فيه الحلة فنقبت ، وأفسدته فلا ينتفع به :

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كِدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ
(١) الجزى : جمع جزية ، وهو ما يعطيه المصاهد ليدفع عن رقبتهم ويحفظ دمه . يقول - مخاطبا سيف الدولة - : إن كنت ترضى منهم بأن يؤدوا الجزية وتنفقوا عن رقابهم قبلوها وأرضوك بها ، وذلك غاية أمنيتهن ، كالأعور يتمنى الحول ، والجهول خير من العور . يعنى أن الجزية خير لهم من القتل .

(٢) المنتحل : المدعى على غير حقيقة . يقول : ناديت مجدك الموصوف في شعري وقد صدرا عنى وعنك : أى سارا في الآفاق وبعد ذكرهما بإجمدا غير منتحل في شعر غير منتحل ؛ يعنى أن كلا منهما حقيقة لادعوى ، وفيه إشارة إلى أن مجده خلد ذكره في شعره وأنها يسيران معا ، ثم ذكر تمام المعنى فيما بلى .

(٣) أبلغ : من التبليغ ؛ وأفعل لا يبنى من غير الثلاثي لإشذوذا . يقول - لشعره ومجد المدوح - أيتها سائران في الدنيا شرقا وغربا ، ولنا فيهما أناس نحب مشاركتهم في أمرنا ومطالعتهم بأحوالنا فتحملا إليهم رسالتى وهم ما ذكره في البيت التالى .

وَعَرَفَاهُمْ بَأَنِّي فِي مَكَارِمِهِ أَقْلُبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْحَوْلِ (١)
يَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِي ،

وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الْإِحْسَانِ لَا قِبَلِي (٢)

مَا كَانَ نَوْمِي إِلَّا فَوْقَ مَعْرِفَتِي بَانَ رَأْيِكَ لَا يُؤْتِي مِنَ الزَّلْزَلِ (٣)

أَقْلُ أَنْلِ أَنْقَطِعَ أَحْمِلَ عَلَّ سَلَّ أَعِدَّ زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ هِصِلِ (٤)

(١) الحول : الخدم . يقول : عرفاهم أي متقلب في نعماء في سيف الدولة ، مغمور بمكارمه ، متصرف في فواضله ، أقلب الطرف - النظر - بين الخيل المسومة والخدم الحسنة القيام على الخدمة .

(٢) يقول : إنما أتناك الشكر من جهة إحسانك لإحسانك هو الذي شكرك ، لا أنا كأنه ينفي اللنة عليه بشكره ومدحه .

(٣) إلا فوق معرفتي : رواها ابن جنى «إلا بعد معرفتي» وقال : مالحيق السهو والتفريط إلا بعد سكون نفسي إلى فضلك وحملك . . . وقال ابن فورجه : أقام النوم مقام السهو والغفلة . يقول : ماتمت عما وجب علي من صيانة مدحك عن خلطه بالعتاب لإلتحق باحتمالك وسكوني إلى جزالة رأيك . قال الواحدى - بعد أن أورد كلامهما - : وكلاهما قد بعد عن الصواب ، والمعنى : إنما أخذني النوم أي إنما سكنت نفسي واطمأنت مع عتبك لثقت بحملك ولزوم التوفيق لرأيك ، وعلى أنك لا تعجل على ولا ترهق عقوبة ، وأن الحساد لا يستزلونك بوشاياتهم ، قال : وأراد النوم الحقيقي لا السهو والتفريط ؛ ألا ترى أنه قال فوق معرفتي ؟ فجعل المعرفة بمنزلة الحشية التي ينام فوقها ؛ وقوله لا يؤتى من الزلزل ؛ أي أنت موفق في كل ما تفعله لاتأتى الزلزل .

(٤) أقل : من الإقالة من العثرة أي أقل من استنزحك من عثرته ؛ وأنل : من الإنالة - الإعطاء - وأقطع : من قولهم أقطعهم أرض كذا : أي جعل له غلتها رزقا . واحمل : من قولهم حملة على فرس ونحوه : أي جعله ركوبة له . وعل : أي ارفع جأهي من التعلية . وسل : من التسلية ، وهي إذهاب التم ؛ وأعد : أي أعدني إلى موضعي من حسن رأيك ؛ وزد : أي زدني من إحسانك ؛ وهش : أمر من قولهم : هش إلى كذا يهش - وبش : من قولهم بش بالرجل يبش : أي ابتسم إليه وآسنه . ويحكى أن سيف الدولة وقع تحت أقل : قد أقلنا ، وتحت أنل : يحمل إليه كذا وكذا من الدرهم ، وتحت أقطع : قد أعطيناك الضيعة الفلانية - وهي ضيعة بيباب حلب - وتحت «عل» : قد (١٤ - الثاني ٣)

لَعَلَّ عَتَبِكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ؛ فَرُبَّمَا صَحَّحَتِ الْأَجْسَامُ بِالْعَمَلِ (١)
وَمَا سَمِعْتُ ، وَلَا غَيْرِي بِمَقْتَدِرٍ أَذَبَ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلٍ (٢)

رفعنا مقامك ، وتحت سل : قد فعلنا فاسل ، وتحت أعد : قد أعدناك إلى حالك من حسن رأيتنا ؛ وتحت زد : زاد كذا وكذا ، وتحت تفضل - وهو من الأفضال - قد فعلنا ، وتحت أدن : قد أدنيناك منا ، وتحت «سر» قد سررناك ، فقال المتنبي : إنما أردت من التسرى ، فأمر له بجارية ، وتحت صل : قد وصلناك وسنصلك ، وكان بحضرة سيف الدولة : حينئذ شيخ ظريف يقال له العقلى ، ففسد المتنبي على ما أمر له به فقال لسيف الدولة : قد أجبته إلى كل شيء سألك إياه فهلا وقعت تحت هش بش هى هى هى ؟ -
يعنى حكاية الضحك - فضحك سيف الدولة وقال له : ولك أيضا ما تحب ، وأمر له بصلة ، وأصل هذا المنهج قول امرئ القيس :

أفادَ وجادَ وسادَ وزادَ وذادَ وقادَ وعادَ وأفضلَ
ومثله لأبي العيثيل :

يَا مَنْ يُؤْمَلُ أَنْ تَكُونَ خِصَالَهُ كَخِصَالِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْصِتْ وَاسْمِعْ
أَصْدَقُ وَعِيفٌ وَبَرٌّ وَاصْبِرْ وَاحْتَمِلْ وَأَحْلَمْ وَدَارٍ وَكَافٍ وَابْذُلْ وَاشْجِعْ
(١) يقول : لعل أحمد عاقبة عتبك وذلك أن ارتدع بعد عفوك ، فلا أعود إلى شيء أستوجب به العتب ، كمن يعتل ، فربما تكون علته أمانا له من أدواء أخرى ، فينجو جسمه بسبب هذه العلة مما هو أصعب منها ؛ أو تقول : لعل عتبك يكون سببا لتحقيق وفائى وإخلاصى فى خدمتك ، ويقطع عنى السنة الحساد فأحمد عواقبه ، كما أن من اللعل ما قد يكون سببا لصحة الأجسام ، وانتفاض الدخل منها فتأمن عود غيره إليها . وفى هذا نظر إلى قول الآخر :

لعلَّ سَبَابًا يُفِيدُ حُبًّا فالشرُّ للخيرِ قد يجزُّهُ
وقريب منه قول ابن الرومى :

إِحْمَدُ اللَّهِ إِذْ رُزِقْتَ هِجَاءً هُوَ بَعْدَ الْخَوْلِ نَوَةٌ بِاسْمِكَ
قد تذكرتُ مَوْبِقَاتِ ذُنُوبِي فرجوتُ الْخِلَاصَ مِنْهَا بِشْتَمِكَ
(٢) غبرى : معطوف على ضمير المتكلم ، وهو جائز للفصل بـ«لا» كما فى قوله تعالى « ما أشركنا ولا آباؤنا » وبمقتدر متعلق بسمعت . يقول : ما سمعت ولا سمع غبرى بملك

لأنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ

لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ (١)
وَمَا ثَنَّاكَ كَلَامَ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْمَهْطِلِ (٢)
أَنْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنْ وَلَا كَدْرٍ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَغْدٍ وَلَا مَذَلٍ (٣)
أَنْتَ الشِّجَاعُ إِذَا مَا لَمْ يَطَأَ فَرَسٌ غَيْرَ السَّنَوْرِ وَالْأَشْلَاءِ وَالْقُلُلِ (٤)

قادر يقدر على كل ما يريد ثم يذب - يذود ويدافع - عمن يفتاب عنده زوراً وهتاناً ولا يحمله ما يسمعه من الوشائيات والتحريش على من يحرش عليه أن يوقع به وينفذ فيه حكم الغضب ، فقوله أذب : أفلت تفضيل ، من قولهم ذب عنه : أى ذاد ودفع . وقوله عن رجل - يعنى الغتاب - وقد بين علة ما ذكره هنا في البيت التالى .
(١) تكلفه بحذف إحدى التاءين - أى تكلفه ؛ والكحل : سواد فى أجفان العين خلقته * كأن بها كحلا وإن لم تكحل * يقال : رجل أكحل وامرأة كحلاء ، يقول : إنما ذلك لأن لك حلما طبعت عليه لا يعوزك أن تتكلفه ومن ثم لا يستخفه الغضب ، ولا يؤثر فيه كلام الواشين ، ثم ضرب التكحل والكحل مثلا للتكلف والطبوع .

(٢) ثنناك : ردك و صرفك ؛ والعارض : السحاب ؛ والمهطل : الكثير المطر يقول : وما صرفك كلام الناس فى إفساد ما بيننا عن استعمال ما يوجه الكرم معى ، ثم قال : ومن يقدر على أن يسد طريق السحاب الهاطل ؟ أى كما أنه لا يستطيع هذا لا يستطيع صرفك عن مقتضيات الكرم .

(٣) الجواد : الكريم ، ومننت على فلان : إذا كدرت صنيعتك بتعديدها له ، كأن تقول له : أعطيتك كذا ، وفعلت لك كذا ، وعطف الكدر عليه للتأكيد : والمطال - بالكسر - الماطلة ؛ واللذل : الضجر والقلق ، وكل من قلق بسره حتى يذيعه ، أو بمضجعه حتى يتحول عنه ، أو بماله حتى ينفقه فهو مذل . قال الأسود بن يعفر :

ولقد أروحُ على التجارِ مُرَجَلًا مَذَلًا بِمَالِي لَيْنًا أجيادى
وقال قيس بن الحطيم :

فلا تمذُلْ بسرِّك كلَّ سِرِّه إِذَا مَا جاوزَ الإثنينِ فاشي

يقول : لا تكدر عطاءك بالبن أو الماطلة أو الوعود أو اللل .

(٤) السنور : لباس من جلد كالدرع ، وسميت به دروع الحديد ؛ قال لبيد يرثى قتل هوازن :

وَرَدَّ بَعْضُ الْقَنَا بَعْضًا مُقَارَعَةً ۚ كَأَنَّهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلٍ (١)
لَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عَنْ عُرْضٍ ۚ بِعَاجِلِ النَّصْرِ فِي مُسْتَأْخِرِ الْأَجَلِ (٢)

ولما أنشد أقل أنل رآهم يعدون ألفاظه فقال وزاد فيه :

أَقِلْ أَنْلِ أَنْ (٣) صُنِ أَحْمِلُ عَلَّ سَلَّ أَعِدَّ ۚ زِدْ هَشَّ بِشَّ هَبَّ اغْفِرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ (٣)

وجاءوا به في هَوْدَجٍ ووراء ۚ كَتَابُ خُضْرٍ فِي نَسِيحِ السَّنَوَرِ (١)
والأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو . والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول :
أنت الشجاع عند اشتداد القتال وتهافت القتلى ، فلا تطأ الخيل إذ ذاك إلا دروعهم
وأجسامهم وروءوسهم : أي أنت الشجاع في مثل هذه الحال التي تتخلع فيها
قلوب الأبطال .

(١) ورد : عطف على « لم يبطأ » ومقارعة : حال من انقنا أو مفعول ، والجدل
اللد في الخصومة ، أو مقابلة الحجة بالحجة ، أو المناظرة والمخاصمة ، وقد جادله مجادلة
وجدالا ، والاسم الجدل ، ويقال جادلت الرجل لجدلته : أي غلبته ، ولله من قولهم
جدلت الرجل : أي ألقيته على الجدالة ، وهي الأرض قال الراجز :

قد أركبُ الآلةَ بعد الآلةِ ۚ وأتركُ العاجزَ بالجدالةِ

يقول : وحين تتشاجر الرماح فيرد بعضها بعضاً كأنها تجادل عن نفوس أصحابها .
وبعبارة أخرى : وأنت الشجاع حين يرد بعض القنا بعضا يتخالف الطعان وتقارع
الأقران حق كأنه من شدة تلك المقارعة ، واتصال تلك المقاومة في جدل لا يقطع ،
وخصام لا ينقطع .

(٢) عن عرض : يريد كيفما اتفق ، يدعوله ، يقول : لا زلت ضاربا أعداءك كيفما
وجدتهم مقبلين ومدبرين بنصر عاجل في أجل مستأخر : أي معصوما بأجل يستأخره ،
وهذا من قول بعضهم - وقد سئل في أي شيء تحب أن تلقى عدوك ؟ - قال في
أجل مستأخر .

(٣) أن : أي ارفق .

(١) قوله وجاءوا به : يعني قتادة بن مسleme الحنفي ، وهو ابن الجعد ، وجعد : اسم
مسلمة لأنه غزا هوازن وقتل فيها وسبي .

فراهم يستكثرون الحروف فقال :

عِشِ أَبَقِ أَسْمُ سُدُّ قَدْ جُدُّ مَرِ أَنَّهُ رَفِ أَسْرِي نَلَّ
غِظِ أَرَمِ صَبِ أَحْمِ - أَغْزِ أَسْبِ رُوعِ زَعِ دِلِ أَثْنِي نَلَّ (١)
وَهَذَا دُعَاءٌ نَوَّ سَكَتٌ كُفَيْتَهُ لِأَنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فَيْكَ وَقَدْ فَعَلْتُ (٢)

وقال وقد حضر مجلس سيف الدولة وبين يديه أنرج وطلع وهو يمتحن
الفرسان ، فقال ابن حبيش شيخ المصيصة لا تتوهم هذا للشرب ، فقال أبو الطيب :
شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشُّمُولِ تَرُنْجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلَعُ النَّخِيلِ (٣)

(١) عِش : من العيش . وابق : من البقاء . واسم : من السمو ، وهو الارتفاع .
وسد : من السيادة . وقد : من قود الجيش ، أى قد الجيوش إلى أعدائك . وجد : من
الجود ومر : من الأمر ؛ وانه : من النهى : أى كمن صاحب أمر ونهى . ور : من
الورى ، وهو داء فى الجوف ؛ يقال وراه الله . يريد أصب رثات أعدائك بأن توجههم
وف : من الوفاء ؛ أى ف لأوليائك بالإحسان إليهم . وسر : من سرى يسرى ؛ أى
أسر إلى أعدائك بجيوشك لتستأصلهم . ونل : من النيل ؛ أى نل ما تريد بسعدك وإقداك
وتأيديك : وغظ : من القبط ؛ أى غظ حسادك . وارم : من الرمي ، أى ارم بيأسك
من يكيدك ويغضك . وصب : من صب السهم المهدف يصيبه صيبا : لغة فى أصاب :
أى أصب أعداءك برميك . واحم : من الحماية : أى احم حوزتك ؛ واغز : من الغزو :
أى اغز أعداءك ؛ واسب : من السبي : أى اسب أعداءك ؛ ورع : أى أفرع أعداءك ؛
وزع : من وزعه - أى كفه - أى كف بوقائعك مسلطهم ؛ ود : من الدية : أى تحمل
الدية عمن يجب عليه . ول : من الولاية : أى ل الأمصار والبلدان محموداً فى ولايتك .
واثن : من ثناه ، بمعنى رده ، أى اصرف أعداءك عن مرادهم . ونل : من ناله ينوله
إذا أعطاه : أى أعط عفاتك وقصادك .

(٢) يقول : كل ما دعوت الله لك به لو لم أَدع به كنت مكفياً ذلك ، لأنى سألت الله
جده الأمور ، وهو قد فعلها فأغناك عن دعائى .

(٣) الشمول : من أسماء الحجر . والترنج . لغة فى الأترج ، وهو ثمر من جنس
الليمون معروف . والطلع : نور النخلة مادام فى الكافور ، وهو أول ما يرى من عذق

وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ طَيْبٌ لَدَيْكَ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى الْجَلِيلِ (١)
وَمِيدَانُ الْفَصَّاحَةِ وَالْقَوَافِي وَمُتَمَحِّنُ الْفَوَارِسِ وَالْخَبُولِ (٢)

وأنكر عليه بعض الحاضرين قوله : شديد إلخ ، فقال :

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ ، وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قَيْلِي (٣)

النخلة . يقول : يقول : إن الأترج أو الطلع بعيد من أن تشرب الخمر على رؤيته ، يعني أن الأترج والطلع لم يحضرا لديك ليشرب عليهما وإن كان غيرك يتخذها لذلك . قال ابن فورجه : تقدير البيت : شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند لديك ، حذف لديك وأتى به في البيت الثاني ، دالا على حذفه ، والظروف كثيراً ما تضر . وقوله من شرب الشمول : أراد من شرب الناس الشمول عليه وعلى رؤيته ، فهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول أى أن ترنج الهند بعيد من شرب الناس الشمول عليه .

(١) يقول : وإنما أحضر الأترج والطلع لأنهما طيبان ، ومجلسك مشتمل على كل شيء فيه طيب مما دق إلى ما جل ، أى أكان صغيراً أم كبيراً . فقوله : لديك خبر كل .
(٢) وميدان : عطف على كل - في البيت السابق - ومتمحن : إما مصدر بمعنى الامتحان ، أو اسم مكان : أى المكان الذى يتمحن فيه الفوارس . يقول : ولديك يتبارى أهل الفصاحة والشعر وتمتحن الفوارس والحيل بالتسابق والتجاول والطراد ، هذا هو الذى الذى ترنج إليه همتك ويغمر به مجلسك ، لا الشراب واللهم . قال الواحدى : عارض للتنبي بعض الحاضرين في هذه الآيات ، وقال : كان من حقه أن يقول :

بعيدٌ أنت من شرب الشمول على الأترج أو طلع النخيل
لشفلك بالمعالي والعوالى وكسبِ المجد والذكرِ الجميل
وقدح خواطر العلماء فحصاً ومتمحن الفوارس والخبول

فقال أبو الطيب هذه الآيات مجيياً له .

(٣) القيل والقول بمعنى واحد . يقول : إن الذى أتيت به هو كلام العرب الأصيل ، وكان يأتى فيه بقدر ما عاينته ، لأنه أراد : الذى عندك من الأترج بعيد من شرب الشمول عليه أى لم تستحضره ليشرب على رؤيته ، ولكنه بنى الكلام على ما عاين : أى إنما بنيت البيان على العيان فأغنانى عن أن أقول : أنت شديد البعد وفى مجلسك ترنج الهند .

فَعَارَضَهُ كَلَامٌ كَانَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ النَّسَاءِ مِنَ الْبُؤْمُولِ (١)
وَهَذَا الدُّرُّ مَأْمُونٌ التَّشْطَى ، وَأَنْتَ السَّيْفُ مَأْمُونُ الْفُلُولِ (٢)
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ (٣)

* * *

ودخل عليه في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، وعنده رسول ملك الروم وقد جاء يلتمس الفداء ، وركب الفلمان بالتجافيف وأحضروا لبؤة مقتولة ومعها ثلاثة أشبال بالحياة وأقوها بين يديه ؛ فقال أبو الطيب مرتجلا :

لَقَيْتَ الْعَفَاةَ بِأَمَالِهَا ، وَزُرْتَ الْعُدَاةَ بِأَجَالِهَا (٤)
وَأَقْبَلْتَ الرُّومَ تَمْشِي إِلَيْكَ بَيْنَ اللَّيْثِ وَأَشْبَالِهَا (٥)

(١) البعول : جمع بعل ، الزُّوج . يقول : إن كلام المعارض منزلته من كلامه منزلة المرأة من الرجل : أى أنه ينحط عن درجة كلامي انحطاط المرأة عن درجة الرجل . وهذا ينظر إلى قول أبي النجم :

إني وكلُّ شاعرٍ من البشرِ شيطانه أتى وشيطاني ذَكَرٌ

(٢) هذا الدر : مبتدأ ؛ ومأمون التشطى : خبر ؛ ومأمون الثانية : بدل من السيف ، والتشطى : التكسر والتفرق : والفلول : جمع فل ، وهو الثلمة التي تصيب السيف من الضرب به . يقول : إن شعره لا وهن فيه كالدر لا تنفتت أجزاءه ولا يصير قطعا لا كتنازه وصلابته ؛ وكذلك أنت السيف الذي لا يتلم حده ولا يخشى عليه الانقلاب .

(٣) يقول : إن من لا يعرف النهار إلا بدليل يده عليه لم يصح في فهمه شيء لأنه لا فهم له ، كذلك كلامي كان واضحا ، فمن لم يفهمه كان كمن لا يعلم النهار نهاراً إلا بدليل .

(٤) العفاة : جمع عاف طالب المعروف . والعداة : جمع عاد ، الأعداء . يقول : إنك تمطى سائلك ما أملاه وتزور أعداءك بما يحذرون من شدة بأسك . فتقرب بإزيارتك لهم آجالهم إذ تقتلهم .

(٥) الليوث : الأسود ، والأشبال أولادها .

إِذَا رَأَتْ الْأَسَدَ مَسْبِيَةً فَأَيْنَ تَفِرُّ بِأَطْفَالِهَا^(١)

* * *

ودخل عليه ليلاً وهو يصف سلاحاً كان بين يديه ورُفِعَ فقال ارتجالاً :
وَصَفَّتْ لَنَا وَلَمْ تَرَهُ سِلاحاً كأنك وَاصِفُ وَوَقْتَ النَّزَالِ^(٢)
وَأَنَّ الْبَيْضَ صُفًّا عَلَى دُرُوعٍ فَشَوْقٌ مَنْ رَأَاهُ إِلَى الْقِتَالِ^(٣)
فَلَوْ أَطْفَأَتْ نَارَكَ تَأَلَّفِيهِ قَرَأْتَ انْخَطَطَ فِي سُودِ اللَّيَالِي^(٤)
إِنْ اسْتَحْسَنْتَ وَهُوَ عَلَى بَسَاطٍ فَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ عَلَى الرَّجَالِ^(٥)

(١) هو من قول الآخر :

وَمَنْ كَأَتْ الْأَسَدُ مِنْ صَيْدِهِ فَلَنْ يُفِيَّتَ الدَّهْرَ مِنْهُ أَحَدٌ

(٢) يقول: وصفت لنا سلاحاً ولم نره - لأنه رفع من عنده قبل دخوله عليه - فكأنك تصف وقت النزال - الحرب - لأنه إذا وصف مضارب السيوف وبريقها كان ذلك كأنه وصف للقتال . هذا : والضمير في نره : عائد إلى السلاح لأنه في نية التقديم . قال العكبري : ونصب سلاحاً على إعمال الفعل الأول - وهو وضعت - على مذهبه - أي مذهب التنبي وهو كوفي مثل العكبري - في إعمال الفعل الأول ، ومثله لدى الرمة :

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأَرْضِيهِ بِشِعْرِي لَيْثِيماً أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَالَا

(٣) البيض : جمع بيضة ، المغفر من الحديد يكون على الرأس . يقول : وذكرت أن البيض صفت على دروع فشوق من سمعه إلى الحرب . « أن » وصلتها عطف على سلاحاً .

(٤) تا : أي هذه . يعني ناراً أوقدت بين يديه ، أو نار الشمع . أو السراج أو القناديل التي يستضيء بها . يقول : إن بريق هذه الأسلحة يعني عن النار في الإضاءة ، حتى يقرأ ما خط في الصحف في الليالي الحالكه . قال العكبري : « تا » : نعت لـ « نارك » وهي في موضع نصب ، كما تقول : ضربت زيدا هذا ، فهذا نعت لزيد : أي هذا المثار إليه ، ولو جعل بدلاً لجاز و « تا » إشارة للمؤنث الحاضر . كما يشار بـ « ذا » إلى المذكر الحاضر

(٥) استحسننت : أراد استحسنته ، غذف الماء للعلم به ؛ وعلى الرجال : حال سدت مسد الخبر . يقول : إن استحسننت هذا السلاح وهو ملقى على البساط فاحسن من ذلك إعماله في الوغى ، وهو على الرجال .

وَأَنْتَ لَهَا النَّهْيَةُ فِي السَّكَالِ (١)
وَلَوْ لَحَظَ الدُّمُسْتَقُ جَانِبِيهِ لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حَالًا لِحَالِ (٢)

* * *

وقال يمدحه ، وأنشدها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة (*) :
لِيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ سُكُولُ طَوَالٍ وَ لَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ (٣)
يُبِينُ لِي البَدْرَ الَّذِي لَا أُرِيدُهُ ، وَيُخْفِينِ بَدْرًا مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ (٤)

(١) يقول : وإن بالرجال وبالسلاح نقصا ، وكالمها بك .
(٢) الدمستق : قائد الروم . يقول : لو رأى الدمستق جانبي ذلك السلاح لأكثر من قلب رأيه في التوقى منه . وقوله « حالا لحال » حال ؛ واللام : بمعنى طى ، مثلها في قولهم :

* قلب أمره ظهراً لبطن

(*) كان سيف الدولة قد رحل من حلب إلى ديار مضر لاضطراب البادية بها ، فزحل حران وأخذ رهاثن بنى عقيل وقشير وبلهجلان ، ثم حدث له بها رأى في الغزو ، فعبر الفرات إلى دلولك إلى قنطرة مشجبة إلى درب القلة ، فشن الغارة ، فعمطف عليه العدو فقتل كثيراً من الأرمن ورجع إلى ملطية ، وعبر قبايق حتى ورد الخاض طى الفرات ، ورحل إلى ميساط ، فورد الخبر بأن العدو في بلد المسلمين ، فأسرع إلى دلولك وعبرها ، فأدركه راجعاً طى جيحان ، فهزمه وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وخرج الدمستق على وجهه ، فقال أبو الطيب هذه الأبيات يمدحه ويذكر ذلك .

(٣) الظاعنين : جمع ظاعن ، المرتحل . وشكول : جمع شكل ؛ أى شبيهه يقول : إن ليالي الناس تقصر وتطول حسب اختلاف الفصول ، أما لياليه هو فهي متشابهة في الطول لبعده الحبيب وامتناع النوم ، ولك أن تقول : إن مشا كلتها من جهة أنه لا يجد فيها روحاً ولا نوماً . يقول : لا يتغير حالى في ليالى بعد الأحبة ولا ينقض غرامى ووجدى بهم : أى أنه لا يسلب برغم تقادم العهد على الضد من قول القائل :

إذا ما شئت أن تسلو خليلاً فأكثر دونه عدد الليالى

ثم أخبر عن طول لياليه فقال هى طوال ، وكذا ليالى العشاق .

(٤) الضمير فى « بين » و « يخفين » لليالى . يقول : يظهرن لى بدر السماء التى لا أريده ويخفين البدر الذى لا أجد إليه سبيلا ، وهو الحبيب :

وَمَا عَشْتُ مِنْ بَعْدِ الْأُحْبَةِ سَلْوَةً وَلَكِنِّي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولٌ^(١)
وَإِنْ رَحِيلاً وَاحِداً حَالاً بَيْنَنَا ،

وَفِي الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلٌ^(٢)
إِذَا كَانَ شَمُّ الرُّوحِ أَذْنَى إِلَيْكُمْ فَلَا بَرِحْتِي رَوْضَةً وَقَبُولٌ^(٣)

(١) يقول : ليس بقأى بعدهم سلوا عنهم ، ولكن لأنى صبور على النوايب والشدائد ، حمول لها ، كما قال أبو خراش الهذلي :
فلا تحسبى أنى تناسيتُ عهدَكم ولكن صبرى يا أميمَ جميلٍ
وسلوة : مفعول له :

(٢) جملة «حال بيننا» خبر «إن» . يقول : إن ارتحال الأحبة عنى حال بينى وبينهم ، لأنا افترقنا ، وفى الموت الذى يسببه الفراق ارتحال آخر : يعنى أنه لا يعيش بعدهم ، أو تقول : إنه يريد أن يتصبر على بعدهم خوفاً من أن يتبع فراقهم بفراق الحياة فيزداد بعداً عنهم .

(٣) الروح : نسيم الريح الشرقية . وبرحتى : فارقتى . والقبول : ربح الصبا . يقول : إذا كان شم الرائحة الطيبة والتنسيم بها يدينى إليكم - لأنها تذكرنى روائعكم وطيب أيام وصالكم - فلا فارقتى روضة أتنتشق روائعها وريح قبول أتنسم بها لأكون أبداً على ذكر منكم ؛ وفى هذا المعنى يقول البحترى :

يذكركنا ريباً الأحبة كلاً تنفّس فى جُرح من الليل باردُ
والأصل فيه قول الأول :

إذا هبَّ علوى الريح وجدتنى كأنى لعلوى الريح نسيب

هذا . وقوله أذننى : أى أشد إدناء ، فبى أفضل من الزيد . وقد ذهب ابن جنى فى

تفسيره هذا البيت مذهباً أثار عليه غبار الناقدین . قال : إذا كنتم تؤثرون شم الروح فى الدنيا وملاقة نسيمها ، فلا زلت روضة وقبولا انجذاباً إلى هواكم ، ومصيراً إلى ما تؤثرونه ، ويكون سبب الدنوم منكم . أراد : فلا برحت روضة وقبولا ؛ فجعل الاسم نكرة ، والخبر معرفة للقافية . قال الواحدى : ومن فسر هذا التفسير فقد فضح نفسه وغر غيره : وقال ابن فورجه : الروح يؤثره من يأوى إلى هم وينطوى على شوق ، فأما الأحبة - وإن كان إشار الروح طبعاً فى الناس - فإنهم لا يوصفون بطلب الروح وشم النسيم ، والتعرض لبرد الريح والتشنى بنسيم الهواء ، وأيضاً فما الحاجة إلى أذ

وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكُّرًا
يُحَرِّمُهُ لَمَعُ الْأَسِنَّةِ فَوْقَهُ
أَمَا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا
أَلَمْ يَرْ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكَ رُؤْيِي
لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقَلَّةِ الْفَجْرُ لَقِيَةً
لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولًا^(١)
فَلَيْسَ لَظْمَانِ إِلَيْهِ وَوُجُوهًا^(٢)
لَعْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلًا^(٣)
فَتَظْهَرَ فِيهِ رَقَّةٌ وَنُحُولًا^(٤)
شَفَتَ كَمَدِي وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلًا^(٥)

يكون الاسم نكرة والخبر معرفة ؟ وليس هذا من أخوات كان ، وإنما هي من برح فلان مكانه : أى فارقه . يقول : إذا لم يكن لى من فراقكم راحة إلا التعلل بالنسيم وطلب روح الهواء وتشممى لطيبه بروائحكم ، وما كان ينالني أيام اللهو والفرح بقربكم فلا فارقتي روضة وقبول يسوق إلى روائح تلك الروضة وقال ابن القطاع : برح - هنا - بمعنى زال . يقول : إذا بعدتم ولا أصل إليكم إلا بشم الروح الذى يشبه رائحة نسيمكم ، فلا فارقتي روضة وقبول يأتيني براائحكم ؛ وقد دعا لنفسه بالحياة ، فإنه مادام حيا جاءته الرياح بروائح أحبته لأن قبله :

* وفى الموت من بعد الرحيل رحيل *

(١) الشرقى : الغصص . وتذكرا : مفعول لأجله ، أو حال سددت مسدأ الخبر ، بمعنى منذ كرا ، فأقام المصدر مقام اسم الفاعل : ونزول : جمع نازل يقول : إني كلما شربت الماء غصصت به لأنى أتذكر الماء الذى نزل به أهل الحبيب فلا يسوغ لى الماء الذى أشربه

(٢) يقول : إن فلك الماء الذى نزل به الحبيب يحرم ورده لمع الرماح التى ركزها قومه حوله فلا يصل إليه عطشان ، يريد بذلك عزة أهله ومناعتهم ؛ وبالحرى مناعة حبيبه فيما بينهم : أى فلا سبيل إلى زيارته ، فحبيبه ممنوع منه على القرب والبعد .

(٣) فى النجوم : خبر مقدم ؛ ودليل - فى آخر البيت - مبتدأ مؤخر ؛ استطال ليله فقال : أليس فى هذه النجوم وغيرها مما يسترشد به دليل يدلنى على ضوء الصبح فأستروح إليه من طول الليل وما أقاسيه فيه من الكمد واللوعة ؟

(٤) رؤيى : مفعول مطلق . وقوله فتظهر : جواب الاستهزاء . يقول : إن من رآها عشقها فينحل ويرق من عشقها ، فهل لم ينظر هذا الليل إلى عينها كما نظرت إليها فيفتنن بهما افتتاني فيرق وينحل وتقل أجزاءه فينكشف عنى وينحسر ؟

(٥) درب القلة : موضع وراء الفرات . والكمد : الحزن . ويروى شفت بكدي

وَيَوْمًا كَانَ الْحَسَنَ فِيهِ عَلَامَةٌ بَعَثَتْ بِهَا وَالشَّمْسُ مِنْكَ رَسُولٌ (١)
وَمَا قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَثَارَ عَاشِقٍ وَلَا طَلِبْتَ عِنْدَ الظَّلَامِ دُحُولٌ (٢)

والليل فيه قتيل : جملة حالية . يقول : إنه بداله الفجر عند هذا المكان ، فاشتفت كبده بانصرام الليل كما يشتفي العدو بنكبة عدوه ، وجعل الليل قتيلاً لظهور حمرة الشفق عند انقضائه فشبها بالدم . قال ابن جنى : سأله - المتنبى - عن معنى هذا البيت فقال : وافينا القلة وقت السحر ، فكأنى لقيت بها الفجر ، ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر أربعين ميلاً وشننا الفارات وغنمنا ، وشفيت كبدى لانحسار الليل عنى ، والليل قتيل فى ذلك للوضع . فكان النهار لما أشرق بضوئه على الليل قتله وظفر به . . . وقد أخذ هذا المعنى بعضهم وكشف عنه فقال :

ولما رأيتُ الصبحَ قد سلَّ سيفه وولى انهزاماً ليلهُ وكواكبهُ
ولاح احمرارُ قلت قد دُبحَ الدُّجى وهذا دم قد ضمَّخَ الأرضَ ساكبهُ

(١) ويوما : عطف على الفجر - فى البيت السابق - يقول : ولقيت بدرب القلة بعد ذلك الليل للسبتشع الكريه يوماً حسناً جميلاً ، فذكرت به محاسنك فكان حسنه علامة صدق بعثت بها ، وكانت الشمس هى الرسول لأنها لما طلعت حسن ذلك اليوم فكانت جادت بحسنه والحبيبة بعثت ذلك الحسن . وقال ابن جنى : لما نثار الغبار ستر الشمس فكانت رسول من محبوبته مستخف . وهذا المعنى من أحسن الكلام ، وفى معناه قول الآخر :

إذا طلَّمتُ شمسُ النهارِ فإنها أمانةٌ تسليمى عليكِ فسلمى

(٢) اثار : افعل ، من الثار ، وأصله الممز . اثار يثار اثاراً : إذا أدرك الثار ، خلينه . والدحول : جمع دحل ، الثار والعداوة والحقد . يقول : إنما حسن نهاري بما ناله سيف الدولة من ظفره بأعدائه ، وبه اشتفيت من ليلى وما قاسيته فيه ، فكأنى أدركت ثارى منه ، وهى أول مرة أدرك عاشق ثاره وطولب الليل بما يحصل منه ، لأن ذلك لم يعهد قبل سيف الدولة . ولا بن فورجه هنا كلام حسن يزيد التمام إيضاحاً قال : قد خلط أبو الطيب فى هذه الأبيات تشبيهاً بتقريظ وهى من محاسن هذه القصيدة ، وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب ، ويذكر سوء صنيع الليل عنده فيما مضى ، وأراد بقوله والليل فيه قتيل : حمرة الشفق ، وأنه كدم على صدر نحير ، ولما لقيه كذلك شمته به لطول ما قاسى من . . . جعل حسن اليوم وهو ظفر

وَلَكِنَّهُ يَأْتِي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَرُوقُ حَتَّى اسْتَفْرَاهِبَهَا وَتَهْوُلُ^(١)
 رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السَّهَامَ خِيُولُ^(٢)
 شَوَائِلَ تَشْوَالُ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ^(٣)
 وَمَا هِيَ إِلَّا خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ بِحِرَانَ لَبَّتْهَا قَنَا وَنُصُولُ^(٤)

سيف الدولة لسروره به كالملاحة التي جاءت من المحبوب، والشمس كرسوله لشدة الجذل بطاوعها، ثم ادعى أن سيف الدولة قتل الليل وأثار لأبي الطيب على ماجرت به العادة من نسبة العرائب إلى المدوحين وإن كانت من المحال. يدل على هذا البيت التالي.

(١) الغريبة: الأمر الغريب. وتروق: تعجب. وعلى استفراها: أي مع استفراها الناس لها. وتهول: تفزع وتخيف. يقول: ولكنه يأتي بأمور غريبة لا عهد للناس بها من قبل، وهي مع استفراها الناس لها تعجب التأمل فيها لحسنها وتوقع في نفسه الهيبة استعظاما لقدرها.

(٢) الدرب: المدخل إلى بلاد الروم. والجرد: الخيل القصيرة شعر الجلد، وهو آية كرمها. يقول: رمى الروم بخيل أسرع إليهم من السهام ولم يعلموا قبل ذلك أن السهام تكون خيلا.

(٣) شوائل: حال من الجرد. في البيت السابق. وشالت العقر ذنبها: رفعتها؛ وتشوال: مفعول مطلق؛ وبالقنا: متعلق بشوائل؛ وأراد شوائل بالقنا تشوال العقارب بأذنانها. والمرح: لعب يتبعه النشاط والضمير في تحته: للقنا، ويجوز أن يكون للدوح. شبه الرماح على الخيل بأذنان العقارب إذا رفعتها، يشير إلى سرعة سيرها وكثرة جريها ورفعها الأذنان في ذلك الجري، وهو دليل كرمها وقوتها، والتشوال أكثر ما يكون عند الجري، ثم دل على نشاطها بجراحتها وعلى عزة نفسها بصهيلها.

(٤) هي: ضمير الشأن أخبر عنه بمفرد؛ والخطرة: اسم مرة من خطر له. كذا: من يباله - وحران: بلد؛ ولبتها: أجاتها؛ والنصول: السيوف. يقول: لم تكن هذه الغزوة التي رمى بها أرض الروم إلا خاطراً عرض له، فأجابت خاطره الرماح والسيوف، أي أمتها كانت - مع عظمتها وجلالها - من غير استعداد ولا احتفال.

هُمَامٌ إِذَا مَا هَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ بَارِعَنَ وَطَهُ الْمَوْتَ فِيهِ تَقِيلُ^(١)
 وَخَيْلٌ بَرَاهَا الرَّكْضُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ تَقِيلُ^(٢)
 فَلَمَّا تَجَمَّلَى مِنْ دَلُوكِ وَصَنْجَعَةٍ عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةً وَرَعِيلٍ^(٣)
 عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطَّرْقِ رِفْعَةٌ وَفِي ذِكْرِهَا عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ حُومٌ^(٤)
 فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُفْرِسَةً
 قِبَاحًا وَأَمَّا خَلْفُهَا فَجَبِيلٌ^(٥)

(١) الهمام : الملك العظيم الهمة . وهم : أراد فعل الشيء ؛ وأمضى : أتقذ ؛ والمهموم : المهم ؛ والارعن : الجيش الكثير المضطرب لكثرتة . يقول : هو همام إذا هم بأمر فله وأنفذه بجيش حافل وطء الموت فيه ثقيل على من يحاول هلاكه من أعدائه ، أى أن أخذه شديد .

(٢) وخيل : عطف على أرعن ؛ أى وبخيل ؛ وبراهها : هزلها ؛ والتعريس : نزول الركب آخر الليل للاستراحة . وتقبل : أى تنزل وقت الهجرة أى نصف النهار للنوم . يقول : إن خيله التى تضمنها ذلك الجيش هزلها لما يحشمها من العدو فهى لا تزال دائبة التسيار فى بلاد العدو ، فإذا نزلت ليلا فى بلد لم تقم به نهاراً بل تقبل بيده آخر .

(٣) دلوك : موضع وراء الفرات ؛ وصنجة : نهر بين ديار مضر وديار بكر ؛ والطود : الجبل العظيم ؛ والرعييل : القطعة من الخيل . يقول : لما فصل من هذين الموضعين وبان منهما تفرقت فرسانه فعمت راياتها وخيله الجبال .

(٤) على طرق : حال من فاعل علت - فى البيت السابق - والرفعة : الاسم من الارتفاع ؛ والحمول : خفاء الذكر : أى سارت إلى الروم على طرق فى الجبال ، ومن ثم فهى مرتفعة على الطرق ، وهى خاملة الذكر عند الناس لأنها لم تسلك من قبل .

(٥) ضمير «شعروا» للعدو، و«قباحا» حال، وجاء بها لازمة لأنها على معنى مستبحة وقال المكبرى : إنها صفة لمغيرة . يقول : لجأت الأعداء هذه الخيل فلم يشعروا بها إلا لمغيرة عليهم ، فكانت قبيحة فى أعينهم لسوء فعلها بهم ، وهى مع ذلك جميلة الخلق، وهذا كقولہ الآتى :

حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَعْدَائِهِ أَوْ بِيحٌ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوَامُ

سَحَابٌ يُمِطُّرُنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمْ . فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلٌ^(١)
 وَأُمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبْنَ بِعَرَفَةٍ . كَانَتْ جُيُوبَ النَّا كَلَاتِ ذِيُولُ^(٢)
 وَعَادَتْ فَظَنُوهَا بِمُوزَارَ قَفَلًا . وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الدَّخُولَ قَفُولُ^(٣)
 فَخَاضَتْ نَجِيعَ الْجَنَعِ خَوْضًا كَأَنَّهُ . بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخْضُهُ كَفَيْلُ^(٤)
 تُسَايِرُهَا النَّيِّرَانُ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ . بِهِ الْقَوْمُ صَرَغَى وَالْدِيَارُ طُلُولُ^(٥)

(١) سحائب : خبر . مبتدأ محذوف ؛ أى هى - الخيل - سحائب ، ورواها ابن جنى بالنصب على أنها بدل من قباحاً . قال العكبرى : ويجوز أن تكون بدلا من ضمير رأوها ، وغسيل : بمعنى مغسول ، جعل خيله كالسحائب لما فيها من بريق الأسلحة وصياح الأبطال وجعل مطرها الحديد لأنها تنصب عليهم بالسيوف والأسنة ، ولما جعل السيوف مطراً جعل إفناءها لهم بمنزلة غسل الأرض منهم ، وقال ابن جنى : يجوز أن يعنى بالسحائب : الغبار الكثائر . يصف خيله بالكثرة يقول : سحائب تمطر الحديد عليهم وتعمل السلاح فيهم فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه من الدماء .

(٢) عرقة : بلد بالشام ؛ والانتحاب : البكاء ؛ والحبيب : ما انفتح من القميص على النحر . والثا كلات : جمع ثكلى ، وهى التى فقدت ولداً أو بعلا أو أبا أو أخاً . يقول وأمسى الجوارى اللأى سبين من الروم يسكنين بهذا الموضع فمجمعات قد شققن جيوبهن على من فقدن من قتلاهن حتى انهطلت إلى الأرض فصارت كأنها ذيول .

(٣) موزار ؛ حصن ببلاد الروم . والقفول : الرجوع . يقول : وعادت خيل سيف الدولة فظنها الروم راجعة إلى بلادها وليس لها رجوع إلا الدخول عليهم من درب موزار ؛ يعنى أن عودها الذى ظنوه رجوعاً كان دخولا عليهم .

(٤) النجيع : دم الجوف خاصة ؛ والضمير فى «كأنه» للخوض ؛ ويروى «نَجِيع» القوم يقول : فخاضت الخيل الدم الذى سفكت من الروم خوفاً وافتراً تاماً هائلاً حتى هان غره بالإضافة إليه ، فكأنه كفيل لمن رآه بأن خيله لا يتعذر عليها خوض كل دم لم تخضه بعد ذلك .

(٥) فى كل مسلك : يروى فى كل منزل . وصرعى . جمع صريع ، أى قتيل ، والطلول : ما بقى من آثار الديار ؛ يقول : تسير النيران مع الخيل أينما سلكت ، أى أنهم كانوا يحرقون كل موضع وطئوه من بلادهم ويقتلون أهلها فتخرب ديارهم وتبقى الآثار .

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلْطِيَّةٍ مَلْطِيَّةٌ أَمْ لِلْبَيْنِ فَكُولٌ^(١)
وَأَضْمَنْ مَا كَلَّفَنَهُ مِنْ قِبَاقِبِ فَأَضْحَى كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ عَلِيلٌ^(٢)
وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا تَمْرٌ عَلَيْهِ بِالرِّجَالِ سَيُولٌ^(٣)
يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلِّ سَابِحٍ سَوَاءً عَلَيْهِ عَمْرَةٌ وَمَسِيلٌ^(٤)
تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ ، وَأَقْبَلَ رَأْسٌ وَخَدَهُ وَتَلِيلٌ^(٥)
وَفِي بَطْنٍ هَنْزِيطٍ وَسَمِينٍ لِلظُّبَى ، وَصَمَّ الْقَنَا مِّنْ أَبَدَنْ بَدِيلٌ^(٦)

(١) كرت : عطفت ؛ وملطية : بلد بالروم معروف ، ولأنه اسم أعجمي ، والاسم الأعجمي إذا وقع إلى العرب تصرف فيه ، أسكن الطاء وخفف الياء ؛ ويريد أهل ملطية . والشكول : التي تفقد أولادها . يقول : وعادت الخيل ومرت في دماء أهل ملطية . أي سفكت دماءهم حتى خاضت فيها ، ثم جعل ملطية أمأ لأهلها وجعلهم كالبنين لها ، وقد فقدتهم حين قتلوا .

(٢) قباقب : اسم نهر عبرته خيل سيف الدولة ؛ وكلفنه : أي كلفن قطعه و«من» الداخلة على قباقب لبيان « ما » . يقول : إن خيله أضعت هذا النهر عند عبوره بكثرة قوائمها وشدة تزامحها فأضحى ماؤه كالليل الساقط القوة فجعلت جرى مائه ضعيفاً .
(٣) يقول : لما عبرت الخيل بنا الفرات رأعته - أفزعته - كثرة الخيل - أي كثرة الجيوش - التي خاضته ، فكأنما تنحدر عليه سيول بالرجال ، ولما جعل الفرات مروعا استعار له قلباً لأن الروح يكون في القلب .

(٤) السابح : الفرس الذي يمد يديه كأنه يسبح في جريه ، ويحتمل هنا سباحة الماء والعمرة : معظم الماء ؛ والمسيل : مجرى الماء . يقول : إن الموج كان ينجفل عن قوائم الخيل ويمجرى أمامها وهي تتبعه ، فجعل ذلك كالطاردة ، ثم قال : إن هذه الخيل - لقوتها كانت لا تكترث لعمرة الماء ، بل سواء لديها العمرة والمسيل ، فتسبح في العمرة كما تسير في المسيل الذي لا ماء فيه .

(٥) التليل : العنق : يقول : إذا سبح الفرس في النهر لم يظهر منه إلا الرأس والعنق لكثرة ماء النهر وتعذر خوضه ، فكأن الماء ذهب بجسمه وبق الرأس والعنق وحدهما يسبحان .

(٦) هنزيط وسمين : موضعان ببلاد الروم . والظرف : خبر مقدم عن بديل . والظبي : جمع ظبة : حد السيف ؛ وصم القنا : الرماح الصلبة ؛ ومن أبدين . متعلق

طَلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْمَةَ يَمْرِفُونَهَا لَهَا غُرْرٌ مَا تَنْقِضِي وَحُجُولٌ^(١)
 تَمَلُّهُ الْحُصُونُ الشَّمُّ طُولَ زِيَالِنَا، فَتُلْقِي إِلَيْنَا أَهْلَهَا وَتَزُولُ^(٢)
 وَبِتْنٍ بِمِخْضِ الرِّانِ رَزْحِي مِنَ الْوَجَى
 وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلْأَمِيرِ ذَلِيلٌ^(٣)
 وَفِي كُلِّ نَفْسٍ مَا خَلَاهُ مَلَالَةٌ، وَفِي كُلِّ سَيْفٍ مَا خَلَاهُ فُلُولٌ^(٤)
 وَدُونَ سُمَيْسَاطِ الْمَطَامِيرُ وَالْمَلَا، وَأَوْدِيَةٌ بِجَهْمٍ وَوَلَةٌ وَهَجُولٌ^(٥)

بيديل يقول : كانت السيوف والرماح قد أفنت أهل هذين الموضعين ، فلما عاودته بعد مدة وجدت قوما آخرين قد أدركوا بدلا من أفنتهم . يعنى أن إغاثة هذه الخيل على هذين الموضعين متتابعة متواصلة على الروم ، فكلمتا أتتهما طائفة منهم أفنتها هذه الخيل .
 (١) القرر : جمع غرة : البياض في وجه الفرس ؛ والحجول : بياض يكون في قوائمها . يقول : طلعت الخيل على أهل هذين الموضعين طلعة ، قد عرفوها لها شهرة كغمر الخيل وحجولها ، لأنها طالما طلعت عليهم وأغارت .
 (٢) الشم ؛ الأطوال المرتفعة في السماء . يقول : إن الحصون الشم تمل طول مقاتلتنا إياها فزول هي عن أما كنها بالخراب وتمكتنا من أهلها .
 (٣) حصن الران : من حصون الروم ؛ ورزحى ؛ ساقطة هزالا من الإعياء . والوجى : الحفى . يقول : باتت الخيل معيبة بهذا الموضع مما أصابها في حوافرها ، ثم اعتذر لها فقال : لم يلحقها ذلك لضعفها ولكن الأمير كلفها من همته صعباً فذات له وإن كانت عزيزة قوية .
 (٤) قوله وفي كل نفس الخ : حال من ضمير الخيل - في صدر البيت السابق - والفلول : الثلوم . يقول وقد أدرك كل نفس من نفوس جيشه الملل لطول القتال وشدة الملاقاة ما خلا سيف الدولة ، فإنه لا يهتر ولا يمل ، وكذلك كل سيف في ذلك الجيش قد فله - ثلته - الضرب ، أما هو فلم تسكل عزأعه عن متابعة القتال ، لأنه السيف لا ينبو عن ضريبته .
 (٥) سميساط : بلد بشاطيء الفرات . والمطامير : جمع مطمورة ، حفرة غائرة في الأرض نجبا فيها الطعام والشراب والملا : جمع ملاة ، وهى الفلاة ذات الحروا والسرراب .
 . الهجول : جمع هجل ، المطمئن من الأرض ، قال أبو زيد :

لَبِسْنَ الدَّجَىٰ فِيهَا إِلَىٰ أَرْضِ مَرْعَشٍ

وَلِلرُّومِ خَطْبُ فِي الْبِلَادِ جَلِيلٌ^(١)
 فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحَدَهُ قَبِلَ جَيْشَهُ^(٢)
 وَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ ، وَأَنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلٌ^(٣)
 فَأَوْرَدَهُمْ صَدْرَ الْحِصَانِ وَسَيْفَهُ^(٤) فَتَىٰ بِأَسُهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلٌ^(٥)

تَحْنُ لِلظَّمِّ مَا قَدِ أَلَمَ بِهَا بِالْهَجْلِ مِنْهَا كَأَصْوَاتِ الزَّنَائِرِ^(١)

يقول : قبل الوصول إلى سيمساط هذه الأشياء .

(١) مرعش : بلد بائع قرب أنطاكية ؛ أي سارت الخيل في تلك الأودية إلى أرض مرعش ليلا ، فكأنها لبست الدجى حين سارت في الظلمة . وقوله وللروم خطب ذلك أن سيف الدولة لما تزن بمحصن الران ورد عليه الخبر أن الروم في بلاد المسلمين يعيشون ويقتلون ، فرجع إليهم مسرعا ، فقتل منهم خلقا كثيرا وأسر قسطنطين بن الدستق . ويجوز أن يكون المعنى : أن لأرض الروم خطبا جليلا لأن الوصول إليها صعب لتمذر الطريق إليها ولشدة شوكة أهلها وقد داسها سيف الدولة بمجوافر خيله وذلك أهلها .

(٢) فضول : أي زوائد لا حاجة إليها . يشير إلى أنه لشجاعته تقدم الخيل وحده حتى رآه الروم قبل أن يروا جيشه ، ولما راوه كذلك علموا أنه يغني غناء الناس جميعا وأن من سواه من العالمين لا حاجة إليهم مع وجوده .

(٣) الخط : موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية . والكيل : الذي لا يقطع يقول : وعلموا أن الرماح لا تصل إليه وأن السيوف تسكل عنه فلا تقطعه : إما لأنها تندفع دونه لعزته ومنعته ، وإما لما يلقيه على الطاعن والضارب من الهية فلا يقدم عليه .

(٤) الحصان : المذكور من الخيل ، والجزيل : الكثير . يقول : إنهم قتلوا بحضرته وهو راكب ، جعلهم واردين صدر حصانه حين أحضروا بين يديه وهو راكب ، واردين سيفه حين قتلوا به . أو تقول : يشير إلى أنه لقيهم بنفسه وقتلهم بحده سيفه .

(١) قوله بالهجل : خبر مقدم ؛ وكأصوات - أي مثل أصوات - مبتدأ مؤخر قال ابن بري : والذي في شعره الزناير - بالنون - وهي الحصى الصغار .

جَوَادٌ عَلَى الْعِلَاتِ بِالمَالِ كُلِّهِ وَلَكِنَّهُ بِالدَّارِعِينَ بِخَيْلٍ^(١)
 فَوَدَّعَ قَتْلَاهُمْ وَشَوَّعَ فَلَهُمْ
 بِضَرْبِ حُزُونٍ التَّبْيِضِ فِيهِ سُهُولٌ^(٢)
 عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْطِينٍ مِنْهُ تَعَجُّبٌ ، وَإِنْ كَانَ فِي سَاقِيهِ مِنْهُ كَيْبُولٌ^(٣)
 لَمَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمُسْتَقُ عَائِدٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَبْئُولُ^(٤)

فجعل صدر فرسه موردا لأسلحتهم كناية عن استقباله لهم مكافئة ، وجعل سيفه موردا لأرواحهم يستقبلونه فيهلكون به ، فهو فتي باسه شديد بالغ كما أن عطاءه جزل كثير .

(١) على العلات : على كل حال . والدارع : الذي عليه الدرع . يقول : يجود بما له على اختلاف أحواله . كيفما دار به الأمر كان جوادا ، ولكنه بخيل برجاله ، يعني أنه يبذل المال ويصون الأبطال ، ولك أن تجعل الدار عين من الأعداء ، فيكون المعنى أنه يقتلهم ولا يجود بهم عليهم . وعبارة ابن جنى : بخله بالدارعين من أعدائه أنه يقتلهم بنفسه أو يسلبهم أو يحميمهم اصطفاها^(١)

(٢) الفل : النهزمون . والحزون : جمع حزن ما غلظ من الأرض ، ضد السهل . والبيض : جمع بيضة ، ما يلبس على الرأس من حديد . يقول : ترك الذين قتلهم وتبع الذين انهزموا بضرب يقطع الخوذ على رؤوسهم فيصبح مكانها مستويا بعد أن كانت ناتئة فوقه ، وقد طابق بين التوديع والتشيع والحزن والسهل .

(٣) قسطنطين : هو ابن الديمستق ، والسكبول : جمع كبل ، القيد الضخم . يقول لم يشغله ما يعانى من القيد عن التعجب مما يرى من شجاعة سيف الدولة . وقال الخطيب التبريزى : لما أسر سيف الدولة قسطنطين أكرمه وأقام عنده بحلب مدة ، فهو يشير إلى تعجبه من حلم سيف الدولة وكرم أخلاقه وإن كان مقيدا عنده .

(٤) يقول : لملك يوما تعود إلينا فيحقيق بك الهلاك الذى استدفقتة بفرارك ، فقد يهرب الإنسان مما يعود إليه ، فهذا تهديده : أى أنك تعود فتؤسر أو تقتل ، ولعله من قول ابن الرومى :

(١) من اصطناع المعروف

نَجَوْتَ يَا حُدَىٰ مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً وَخَلَفْتَ إِحْدَىٰ مُهْجَتَيْكَ تَسِيلًا (١)
 أَتَسْلِمُ لِلْخَطِيئَةِ ابْنَكَ هَارِبًا، وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلًا (٢)
 بَوَجْهِكَ مَا أَنْسَاكَهُ مِنْ مُرِشَّةٍ نَصِيرِكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلٌ (٣)
 أَغْرَمَ كُمْ طُولُ الْجِيُوشِ وَعَرَضُهَا عَلَيَّ شَرْبٌ لِلْجِيُوشِ أُكُولُ (٤)
 إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلْيَيْثِ إِلَّا فَرِيْسَةً غَدَاهُ وَلَمْ يَنْفَعَكَ أَنْكَ فَيْلٌ (٥)

وإذا خشيت من الأمور مقدرًا وهربت منه ففحواه تتوجه

(١) المهجة: الروح، وأنت جريحة بالناء ضرورة، وخلفت: تركت خلفك: أراد بجهته الأولى - وهى الجريحة - نفس الدمستق، وبالثانية: - التى تسيل - ابنه وجعل مهجته مجروحة وإن كانت الجراحة ليدهن لأن جرح البدن يسرى إلى الروح، وكفى بسلان المهجة الأخرى - وهى ابنه - عن الهلاك: أى أنه يقتل فيسيل دمه، قال السموءل:

تسيل على حدّ الظبّاتِ نفوسنا وليست على غير الظبّاتِ تسيل

يقول: إنه هرب مجروحاً - لأن سيف الدولة جرح وجهه فى هذه الواقعة - فنجأ بنفسه وترك ابنه فى يد الهلاك، فهو وإن نجأ بسلامة إحدى مهجتيه إلا أنه يعد هالكا بهلاك مهجته الأخرى - ابنه - لأن ما يدرك ابنه كأنما يدركه.

(٢) أسلمه. خذله وتركه والاستفهام: استفهام إنكار وتوبيخ، والخطية: الرياح

ويسكن بمعنى يطمئن ويركن، وهو جواب الاستفهام. يقول: أنخذل ابنك وتتركه للرماح وتهرب ويثق بك أحد بعد ذلك من خلانك؟ أى لا يثق بك أحد بعد هذا.

(٣) المرشة: الطعنة ترش الدم، والرنة: الصياح، والعويل: البكاء. يقول:

بوجهك جراحة أنستك ابنك وليس لك من ينصرك منها إلا الصياح والعويل، يعنى أنك عاجز عن نصره نفسك فكيف تنصر ابنك؟

(٤) يقول: أغرّمكم كثرة رجالكم؟ لا تفرنكم الكثرة، فإن علياً - اسم سيف

الدولة - يطلبكم وإن كثر عددكم، فالمراد بالشرب والأكل: الإفناء والإبادة حتى لا يبقى منهم أثر، لأن ما شرب أو أكل لا ترى له عين، وكان هذا ينظر إلى قول

أبي نواس:

فإن يك باقى إفك فرعون فيكم فإن عصى موسى بكفّ خصيب

(٥) غداه: صار له غداء، والضمير لليث: وأنتك فيل: فاعل ينفك أو غداه

إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تَدْخِلْ فِيهِ شَجَاعَةً هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يَدْخِلْ فِيهِ عَدُولٌ (١)
 فَإِنْ تَكُنِ الْإَيَّامُ أَبْصَرْنَ صَوْلَهُ فَقَدْ عَلِمَ الْإَيَّامَ كَيْفَ تَصُولُ (٢)
 فَدَتِكَ مُلُوكٌ لَمْ تُسَمَّ مَوَاضِيًا ، فَإِنَّكَ مَاصِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلٌ (٣)
 إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ
 فِي النَّاسِ بُوْقَاتٌ لَهَا وَطُبُولٌ (٤)

على طريق التنازع ، وهذا مثل ضربه . يقول : أتم وإن كنتم أكثر عددا فإن الظفر له دونكم ، فلا تغنيكم هذه الكثرة شيئا ، كالفيل مع الأسد فإن الفيل لا ينفعه عظمه إذا صار فريسة للأسد وبعبارة أخرى : إذا لم تكن لإفريسة للأسد ، فكونك فيلا أى كونك ضخم الحجة ، يتوفر به غذاء الأسد ولا ينفعك في النجاة منه ، يعنى أن كثرة الروم لا تنفعهم إذا وقعوا في يد سيف الدولة ، ولكنها تكون سببا في شفاؤه بكثرة ما يقتل منهم .

(١) قوله هى الطعن : نعت شجاعة يقول : إذا لم يدخلك فى الطعن شجاعة هى الطعن وبها يكون البطش والعمل لم يدخلك فيه اللوم ؛ يعنى أن التحريض لا يحرك الجبان (٢) صال عليه : وثب واستطال ، يقول : إن كانت الأيام قد أبصرت بطشه بأهل الروم فقد علمها من ذلك ما لم تعلمه ونهج لها سبيل الصول والغلبة ، يعنى أن الأيام تتعلم منه البأس .

(٣) مواصيا : سيوفا ، وشفرة السيف : حده . يقول : فدتك ملوك تروم مشاهبتك ولم تسم سيوفا ، إذ ليست أهلا لهذه التسمية لأنك أنت السيف اسما ومضاء .

(٤) البوقات : جمع بوق ، وهو ذاك الذى ينفخ فيه ويصرخ . وعنى يبعث الناس : سيف الدولة . يقول : إذا كنت سيف الدولة ، فإن غيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل : أى لا يغنون غناءك ولا يقومون مقامك ؛ أو تقول : إذا كنت سيفا للدولة يذود عنها ويقاقل بنفسه فغيرك من الملوك للدولة بمنزلة الأبواق والطبول لا غناء عندهم ولا منفعة لهم إلا جمع الجيوش لتقاتل عنهم كما تجمع بصوت البوق والطبل وقال المروضى : أراد بالبوق والطبل ، الشعراء الذين يشيعون ذكره ويذكرون فى أشعارهم غزواته فينتشر بهم ذكره فى الناس ، كالبوق والطبل اللذين هما لإعلام الناس بما يحدث : قال ابن جنى : وقد عاب على أبى الطيب من لا خبرة له بكلام العرب جمع بوق ، والقياس يعضده ، إذ له نظائر كثيرة : مثل حمام وحمامات ، وسرادق وسرادقات ،

أَنَا السَّابِقُ الْهَادِي إِلَى مَا أَقُولُهُ إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولٌ^(١)
 وَمَا لِكَلَامِ النَّاسِ فِيمَا يُرِيدُنِي أُصُولٌ وَلَا لِلْقَائِلِيهِ أُصُولٌ^(٢)
 أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِي تَجْوَلٌ^(٣)
 سِوَى وَجَعِ الْحَسَادِ دَاوٍ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ بِمَحُولٌ^(٤)
 وَلَا تَطْمَعَنَّ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبَدِّلُهَا لَهُ وَتُنْدِيلٌ^(٥)
 وَإِنَّا لَنَلْتَقِي الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسِ كَثِيرُ الرِّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلٌ^(٦)
 يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْرَاضُنَا لَنَا وَعُقُولُنَا^(٧)

وجواب وجوابات ، وهو كثير في كلام العرب في جمع مالا يعقل من الذكر ؛ إذ لا يوجد له مثال القلة

(١) الهادي : بمعنى المهتدي ، وإذ : ظرف مضاف إلى الجملة بعده . يقول : أنا الذي أتقدم غيري . وأسبقه إلى ما أقول ، يعني أنه يخترع المعاني الأبتكار التي لم يسبق إليها إذا كان غيره من الشعراء يقول ما سبق إليه وقيل من قبله .

(٢) أراه : جعل فيه ريبة ، والريبة الشك والتهمة . يقول : إن ما يتكلم به حسادي فيما يريدني لا أصل له لأنه كذب وباطل ، وكذلك هم لا أصل لهم ؛ أي ليس لهم نسب يعرف به أصلهم

(٣) يقول : أعادي على علي وفضلي وتقدمي في الشعر ، وذلك مما يوجب الحب ، لا العداوة ، وأسكن أنا والأفكار تجول في ولا تسكن : أي لا تعرض لهم ، أمام فلا يفترون عن تلمس ما يشنعون به على .

(٤) يقول : لا تشتغل بمداوة حسد الحساد ، فإن الحسد داء عياء إذا حل في قلب فلا أمل في زواله ، فسوى : مفعول داو .

(٥) وتنديل : تعطي . يقول : لا تطمعن في مودة حاسد ، فهو لا يود محسوده ولو أظهر له المودة وبذل له من نعمته وأعطاه .

(٦) يصف نفسه بالجلد وقلة الجزع لنوب الدهر . يقول : وإنا لنتقي الحاديات بأنفس جلدة تهتمر الحطوب الجليلة وتستقل الرزايا الكثيرة .

(٧) هذا من قول أبي تمام :

لا يأسفون إذا هم سميت لهم أحسابهم أن تهزل الأعمار

فَأَنْتِ تَلِيبِ ابْنَةَ وَائِلٍ ،
 يَغْمُ عَلَيَّا أَنْ يَمُوتَ عَدُوُّهُ
 إِذَا لَمْ تَغْلُهُ بِالْأَسِنَّةِ غَوْلُ (٢)
 شَرِيكَ الْمَنَايَا وَالنَّفُوسِ غَنِيمَةٌ ،
 فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمَيِّتْهُ غُلُولُ (٣)
 لَمَنْ وَرَدَ الْمَوْتَ الزَّوَامَ تَدُولُ (٤)
 وَلِلْبَيْضِ فِي هَامِ الْكُمَاءِ صَدِيلُ (٥)

* * *

(١) أنت « تلعب » لأنها قبيلة . ويجوز رفعها على النداء المفرد ، وجعل ابنة وائل منصوبا بالنداء المضاف ونصبها على جعلها مضافة إلى وائل ؛ وابنة بدلا منها . يقول لتلعب : اغزى وتبى ، فإنك قبيلة خير من غز ، يعني سيف الدولة . وتبها وغزاً : منصوبان على المصدر .

(٢) تغله : تهلكه وتذهب به ، يقال غاله يغوله ؛ إذا أهلكه والغول : المهلك ؛ يقال الغم غول النفس والنضب غول الحلم . يقول : إذا مات عدوه حنط أفه ولم يقبل برماحه غمه ذلك ، لأنه على يقين من الظفر به

(٣) ممات : مصدر ميمي ، والضمير في قوله لم يمته : مفعول مطبق مثله في قوله تعالى « عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين » والغلول : الحيانة في الغنم والسرقة من الغنيمة وكل من خان في شيء خفية فقد غل . جعله شريك المنايا لكثرة من يقتله . يقول : بينه وبين المنايا شركة في النفوس ، فكل منية لم تكن عن سيفه فقد خانت المنايا فيها . يشير إلى كثرة وقائه واتصال ملاحه .

(٤) الدولات : جمع دولة - بضم الدال وفتحها - العقبة في المال والحرب سواء ، وقيل بالضم في المال ، وبالفتح في الحرب . وقيل بالضم اسم للشيء الذي يتداول به بعينه ، وبالفتح : الفعل ، وهى في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ، يقال كانت لنا عليهم الدولة ، ويقال صار الفء دولة بينهم ، يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا ، والدولات هنا : بمعنى المصدر ، والموت الزوام : الوحي - العاجل - أو الكريه . يقول : إذا كانت الدولة قسما لبعض الناس فإنها قسمة من حضر الحرب وشهد مواقع القتال وورد الموت الزوام غير متهب ولا مكترث .

(٥) لمن : بدل من « لمن » في البيت السابق ؛ والبيض : السيوف : والهام : الرءوس ؛ والسكاة : الأبطال المدججون بالسلح . يقول : إن الدولة تدول لمن وطئن نفسه على القتل ولم يمل إلى الدنيا بالنكوص عن الحرب وصبر على المكروه وهو يسمع هليل الحديد في رءوس الشجعان .

وقد جرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل فقال له سيف الدولة ماتقول
في هذا وما تحمك يا أبا الطيب؟ فقال:

إِنْ كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الْأَنْامِ سَائِلًا فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَصَائِلًا
مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ يَا هَمَّامَ وَائِلًا الطَّاعِنِينَ فِي الْوَعَى أَوْائِلًا^(١)
وَالْعَاذِلِينَ فِي النَّدَى الْعَوَازِلًا قَدْ فَضَلُوا بِفَضْلِكَ الْقَبَائِلًا^(٢)

وقال يمدحه عند دخول رسول الروم عليه في صفر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة:

دُرُوعُ مَلِكِ الرُّومِ هَذِي الرِّسَائِلُ يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَبِشَاغِلِ^(٣)
هِيَ الزَّرْدُ الضَّافِي عَلَيْهِ وَلَفْظُهَا عَلَيْكَ ثَنَاءٌ سَابِغٌ وَفَضَائِلُ^(٤)

(١) من: مبتدأ، خبره قد فضلوا - في البيت التالي - والهام: الملك العظيم الهمة.
ووائل، أبو قبيلة الممدوح، جعله اسماً للقبيلة فلم يصرفه. والطاعنين: نعت وائلا.
والوعى: الحرب. وقوله أوائلا: مفعول به، أي أوائل الأعداء، ويجوز أن
تكون حالا أي أنهم السابقون إلى الطعان: ومن روى الأوائل: تعينت المفعولية.
أراد الطاعنين وجوه الأعداء وصدورهم وسادتهم.

(٢) العاذلين: جمع عاذل. أي اللأم؛ والندى: الجود؛ والعواذل: جمع عاذلة،
أي لائمة. يقول: إن قومك يلومون من يلومهم على جودهم، ومن كان هذا شأنهم
فإنهم مع ذلك يفضلون القبائل بفضلك، ويتفردون بالكارم بما زدتهم من مجدك.

(٣) هذي الرسائل: مبتدأ مؤخر؛ ودروع: خبر مقدم؛ ومملك: بسكون اللام -
مخفف ملك - بكسرهما. - يقول - مخاطبا سيف الدولة - : إن هذه الرسائل التي
أرسلها ملك الروم هي له بمنزلة الدروع يردك بها عن نفسه ويشغلك عن قتاله، وقد
زاد ذلك بيانا فبا يلى: وقوله يشاغل: قال ابن جنى لفظه غريبة، إلا أن العامة ابتدلها
فلو تجنبا كان أجود.

(٤) الزرد: الدرع المزرودة، يدخل بعضها في بعض؛ والضافي والسابغ بمعنى
الطويل التام. يقول: هذه الرسائل عليه درع سابغة: أي تقوم في الرد عنه مقام الدرع
ولكن ألقاها فضائل لك وثناء مخلد عليك، لأنها خضوع منه واستسلام إليك، فهو
يخطب منك الصلح خوفا ورهبة.

وَأَنى أَهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ

وَمَا سَكَنْتَ مَذْ سِرْتَ فِيهَا الْقَسَاطِلُ (١)

وَمِنْ أَى مَاءٍ كَانَ يَسْتَقِي حَيَّادَهُ وَلَمْ تَصَفْ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ الْمَنَاهِلِ (٢)

أَتَاكَ يَبْكَادُ الرَّأْسُ يُجْحَدُ عُنُقَهُ وَتَنْقَدُ تَحْتَ الذُّعْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلُ (٣)

يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السَّمَاطِينَ مَشِيهِ إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الْأَفَاكِلُ (٤)

فَقَاسَمَكَ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ وَحَلَّظَهُ سَمِيكَ وَأَخْلَلُ الَّذِي لَا يُزِيلُ (٥)

وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرَّزْقَ وَالرَّزْقُ مُطْمَعٌ

وَأَبْصَرَ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ هَائِلٌ (٦)

(١) أنى : بمعنى كيف ؛ والاستفهام : للتعجب ، والقساطل : جمع قسطل ، وهو الغبار الذى تثيره الخيل . يقول : كيف اهتدى هذا الرسول فى أرض الروم إلى الطريق وغبار جيشك منذ سرت فيها لغزوهم لا يزال منتشراً لم يسكن ؟

(٢) الحبياد : الخيل ، والمناهل : الموارد . يقول : لكثرة من قتلت بأرض الروم لم يبق منهل إلا صار ممزوجاً بالدماء فمن أى ماء كان يستقى خيله ؟

(٣) يجحد : ينكر ؛ وجملة يكاد وما يليه : حال من فاعل أتاك ؛ وتنفد : تنقطع . يقول : أتاك هذا الرسول وقد ساوره من خوف الإقدام عليك ما مثل له السيف واقماً عليه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه توها منه أنه قد انفصل عنه ، وتكاد مفاصله تنقطع هية لك وفرقا منك . وقوله تحت الذعر : يروى تحت الدرع .

(٤) السماطان : الصفان ، يريد صفين من الجند كانا بين يدي سيف الدولة . والأفاكل : جمع أفكل ، الرعدة تعرض عند الفزع . يقول : إذا عوجت الرعدة مشى الرسول إليك هية لك قومه تقويم السماطين عن جانبيه لضيق ما بينهما فر مستقيماً .

(٥) سميك : فاعل قاسمك ، ويعنى بسميه : السيف . وهو خليله الذى لا يزاله - لا يفارقه - يقول : إن سيفك قاسمك عيني الرسول ولحظه ، فكان ينظر بإحدى عينيهِ إليك وبالأخرى إلى السيف ، يعنى أن رسول ملك الروم ملكه من هية سيف الدولة ماملكه من هية سيفه ، فأجال لحظه متيهاً لها معا . وقد ذكر علة هذه المقاسمة فى البيت التالى .

(٦) الهائل : للفرع الخفيف . والضمير فى منه : للسيف . يقول : فأبصر منك

رَقِبَلْ كَمَا قَبَلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ وَكَلَّ كَمَى وَأَقِفْ مُتَضَائِلٌ^(١)
 وَأَسْعُدْ مُشْتَقِي وَأُظْفِرْ طَالِبٍ هُمَامٌ إِلَى تَقْبِيلِ كَمِّكَ وَأَصِلْ^(٢)
 مَكَانٌ تَمَنَّاهُ الشَّيْفَاءُ وَدُونَهُ صُدُورُ الْمَذَاكِي وَالرَّمَاحُ الدَّوَابِلُ^(٣)
 فَمَا بَلَّغْتَهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةً عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَحِبْ لَكَ سَائِلٌ^(٤)
 وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْكَ الْعِدَى وَأَسْتَنْظَرْتَهُ الْجَحَافِلُ^(٥)
 فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ ،
 وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ عَاذِلٌ^(٦)

بعموم جودك الرزق المحيي فأطمعه ، وتمثل من سيفك الموت الهائل فتجاذبه طرفان من الطمع والبأس ، وقسم عينيه بين شطرين : التأمل والخوف .

(١) الكمي : الشجاع المدجج بالسلاح ؛ والمتضائل . المتصاغر خوفاً يقول : وقبل الرسول كرك بعد أن قبل الأرض والأبطال من رجالك وقوف بين يديك متصاغرون هيتلك .
 (٢) الهمام : الملك العظيم الهمة . يقول : إن أسعد مشتاق بنيل ما أمله ملك رفيع الهمة وصل إلى تقبيل كرك ، وإذن نال الرسول بذلك شرفاً عظيماً لأنه وصل إلى ما يتمنى مثله جلة الملوك .

(٣) المذاكي من الخيل : التي كملت أسنانها ؛ والدوابل من الرماح : اللينة لطولها .
 يقول : كرك مكان تمنى الشفاء أن تقبله ولكن يتعذر الوصول إليه لكثرة ما يحول دونه من الخيل والرماح .

(٤) يقول : لم يصل به إلى تقبيل كرك كرامته عليك ومنزلته الرفيعة لديك ولكنك سألت ذلك وأنت لا تخيب السائل .

(٥) أكبر . فعل ماض ؛ وفاعله : العدى ؛ ويقال أكبرته : أى استكبرته ، قال تعالى « فلما رأينه أكبرنه » وهمة : مفعول به وقوله بعثت به : نعت همة ، وأراد بعثته ، فأدخل عليه الباء قالوا : كل شيء ينبعث بنفسه كالعبد ، فإن الفعل يتعدى إليه بنفسه ، فيقال : بعثته ، وكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية ، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به ، وهذا هو مراد قول أهل اللغة بعثه أرسله وحده وبعث به أرسله مع غيره والجحافل : الجيوش ، يقول : إن أعداءك الروم استعظموها همة هذا الرسول إذ حملته همته على أن يأتيك مع ما يعترضه من المهابة وقد لبثت جيوشهم - بعد أن طلبوا إليه أن يشغلك عن حربهم - تنتظر قدومه ليلغهم جوابك .

(٦) يقول : أقبل من عند أصحابه وهو رسول لهم مبلغ لكلامهم ، فلما عاد إليهم .

تَحْبِيرٌ فِي سَيْفِ رَبِيعَةَ أَصْلُهُ وَطَائِبُهُ الرَّحْمَنُ وَالْمَجْدُ صَاقِلٌ (١)
وَمَا لَوْنُهُ مِمَّا تَحَصَّلُ مُقْلَةٌ ، وَلَا حَدُّهُ مِمَّا تَجَسُّهُ الْأَنَامِلُ (٢)
إِذَا عَايَنْتَكَ الرُّسُلُ هَانَتْ نَفُوسُهَا عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمُرَائِلُ (٣)
رَجَا الرُّومُ مِنْ تَرْجِي النِّوَافِلِ كُلِّهَا لَدَيْهِ وَلَا تَرْجِي لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ (٤)
فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ سَاقِمَهُمْ
فَقَدْ قَمَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فَاعِلٌ (٥)

أزرى بهم ولا مهم على محاربتهم إياك وعدم خضوعهم لك حين تبين عظيم شأنك ، ورأى جنودك وكثرة عديك ، ووازن بين ذلك وبين ضعف أصحابه

(١) ربيعة : قبيلة سيف الدولة ؛ وطبع السيف : عمله ، يقول : رأى الرسول منك سيفاً ربيعة أصله والله عز وجل صانعه والمجد قد صقله فتحير إذ لم ير سيفاً قبلك بهذه الصفة

(٢) اللقطة : شحمة العين التي تجمع السواد والبياض ، والأنامل : رؤوس الأصابع ؛ ولون السيف : فرنده وجوهره ؛ والمراد به شرف سيف الدولة وكرم مناقبه ، وأراد بحدته عزيمته ، وكلا الأمرين لا يدرك بالحواس ، وعبارة الواحدى : إن العيون لا تحصل لونه لأنها لا تستوفيه بالنظر هية له كما قال :

كأن شمعَ عين الشمس فيه ففى أبصارنا عنه انكسارٌ
ولا تجس الأنامل حده كما تجس حد السيف لأنه ليس سيفاً طى الحقيقة . وقال ابن وكيع هذا من قول الأول :

إِذَا أَبْصَرْتُ نَبِيَّ أَعْرَضَتْ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
(٣) يقول : إذا عاينتك رسل الروم وشاهدوا ما أنت فيه من الفخامة والمهابة صاغرت عندهم أنفسهم وما أنوا به من الهدايا وتصاغرت لديهم الملوك الذين أرسلوهم إليك كما قال البحرى :

لِحَطُّوكِ أَوَّلَ لِحُظَّةٍ فَاسْتَصَفَرُوا مِنْ كَانَ يُعْظَمُ عِنْدَهُمْ وَيُجَلَّلُ
(٤) النوافل : جمع نافلة ، وهى العطية من حيث لا تجب ؛ والطوائل : الأحقاد ، واحداً طائلاً . طائفة : أى عداوة وترة . يقول : رجا الروم عفو من ترجى كل العطايا عنده ولا يرجى أن يدرك لديه ثأر : أى لا يؤمل عدوه أن يبال عليه فيظفر بإدراك ترتة .
(٥) يقول : إن كان الذى ساقمهم إليك هو خوفهم القتل والأسر من جهتك فقد

فَغَا فُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلِ زِيَادَةَ وَجَاءُوكَ حَتَّى مَا تُرَادُ السَّلَاسِلُ (١)
 أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ (٢)
 إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابٌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلٌّ وَابِلٌ (٣)
 كَرِيمٌ مَتَى أَسْتَوْهَيْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَقِيتَ حَرْبٌ فَإِنَّكَ بَاذِلٌ (٤)
 إِذَا الْجُودِ أَعْطَى النَّاسِ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِينَ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلٌ (٥)

فعلوا بأنفسهم بما أظهروه من الذلة والافتقار ما لا يفعل القتل أكثر منه ، وقد فسر هذا في البيت التالي .

(١) يقول : غفا فوك خوفا ، لو قتلهم لم يزد خوفهم على ذلك ، وجاءوك طائعين حتى لا تحتاج في أسرهم إلى السلاسل ، وفي المثل : الحذر أشد من الوقعة
 (٢) الجداول : جمع جدول ، النهر الصغير ، وإليك مصيره : أى منتهاه إلى الخضوع لك ووصل جباله بجبالك والتصرف حسب أمرك

(٣) الطل : المطر الضعيف ؛ والوايل : المطر الغزير ، يقول : إذا ساجلك هؤلاء الملوك وحاولوا أن يخذوا حذوك في جودك فأمطروا وأمطرت فطل عطائك يستغرق وابلهم ؛ يعنى أن كثيرهم قليل بالإضافة إليك وقليلك كثير بالإضافة إليهم
 (٤) كريم : خبر عن محذوف ضمير المخاطب : أى أنت كريم ؛ ولقعت حرب : اشتدت أو وقعت ؛ وحرب لاقع مثل بالأنثى الحامل ؛ قال الأعشى :

إِذَا شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شَهْبَاءُ لَاقِحٌ عَوَانٌ شَدِيدٌ هَمَزُهَا وَأَظَلَّتْ (١)
 يقول : أنت كريم ما تسأل شيئا إلا أعطيته حتى لو سئلت فرسك وقد اشتدت الحرب لو هبته مع شدة حاجتك إلى الفرس ، يعنى لو سئلت شيئا فى أحوج ماتكون إليه لو هبته

(٥) يقول : أعط الناس أموالك ولا تعطمهم شعري ، أى لا تخوجنى إلى مدح غيرك ، وقال ابن جنى : أى لا تعط الناس أشعارى فيسلخوا معانيها ، قال الواحدى : وهذا - أى كلام ابن جنى - ليس بشيء لأنه لا يمكنه ستر أشعاره وإخفاؤها عن الناس ، وأجود

(١) حرب عوان قوتل فيها مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، ويقال همزته بناب : أى همزته .

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِئْبِي شُوَيْرٌ
لِسَانِي يَنْطِقُ بِصَامِتٍ عَنْهُ عَادِلٌ
وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ
وَمَا التَّيْبَةُ طِيَّبِي فِيهِمْ غَيْرَ أَنِّي
ضَعِيفٌ يُقَاوِنِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ (١)
وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلٌ (٢)
وَأُعِظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ (٣)
بَغِيضٍ إِلَى الْجَاهِلِ الْمُتَعَاوِلِ (٤)

الشعر ماسار في الناس ، وقال المعري : يريد لا تعط الناس شعري فتجعلهم في طبق فتقول أنت مثل فلان

(١) الضبن : ما بين الأبط والكشح ؛ والشويعر تصغير شاعر ، والاستفهام : للتعجب والإنكار ، يقول : أفى كل يوم يتمرس بى شويعر صناعته فى صناعته قصير فى معرفته فأراه يباربى فى القوة وهو لا قوة له ويطاولنى وهو قصير أحمله تحت ضئبى ؟ يريد حقارة ذلك الشاعر حتى لو أراد أن يحمله تحت ضئبه لقدر على ذلك ، ثم هو مع حقارته يباهيه بمدح سيف الدولة

(٢) الباء - فى الشطرين - بمعنى « فى » أى إذا نطقت صمت لسانى عنه وعدل عن مخاطبته وقلبى يضحك منه ازدراء به ؛ وبعبارة أخرى يقول : يعدل عنه لسانى فلا أكله ولا أهاجبه لانى لا أراه أهلاً لذلك ، وقلبى يضحك منه ويسخر وإن كنت صامتاً لأبدى الضحك والسخر ثم بين لم يفعل ذلك ؟ فيما يلى « هذا » والمهزل ضد الجد يقال : مهزل مهزل قال الكيت :

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطَوْلِهَا
تَجِدُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزَلُ

(٣) يقول : إنما لا أجيهم لأتعبهم بترك الجواب كما أنهم يعيظونى بالمعادة وهم غير أشكال لى . وتقدير البيت أتعب مناد لك من ناداك فلم تجبه لأنك لا تشفيه بالجواب فيجهد فى النداء ، كما أن أعيظ الأعداء لك من عاداك وهو دونك لأنك تترفع عن معارضته فلا تشفى منه .

(٤) التيه : الكبر ؛ والطب : العادة والديدن ؛ قال فروة بن مسيك المرادى :

فَإِنْ نَقَلِبْ فَفَلَابُونَ قَدِمًا
وَإِنْ نَقَلَبْ فَفَيْرٌ مُغَلَّبِينَا

فَمَا إِنْ طَبِينَا جُبْنٌ وَلَكِنْ
مَنَايَانَا وَدَوْلَةٌ آخِرِينَا

كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سَجَالُ
تَكْرُهُ صُرُوفُهُ حِينًا نَحِينَا (١)

(١) قوله وإن نقلب ففلايون قديمًا . يعنى إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم

وَأَكْبَرُ تَيْبِي أَنْبِي بِكَ وَائْتِ
 لَعْلٌ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرْمِ هَبَّةٌ
 رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَافِي وَفَضْلِهِ
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدٌ
 وَأَكْثَرُ مَالِي أَنْبِي لَكَ آمِلٌ^(١)
 يَعْيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بِأَطْلٍ^(٢)
 وَهِنَّ الْغَوَازِي السَّالِبَاتُ الْقَوَاتِلُ^(٣)
 وَلَوْ حَارَبْتَهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ^(٤)

وبغيض : خبر مقدم عن الرفع بعده ؛ والجملة خبر أن ؛ وإلى : بمعنى عندي . يقول ليس الكبر عادي وديدي غير أنني أبغض الجاهل الذي يتكلف ويرى أنه عاقل ، يعني أن الذي يمتنعي من تكليمهم إنما هو بغض إياهم لا التكبر عليهم : أقول . ولوعكس المعنى وقال إني أعرض عنهم تكبرا واحتقارا لا بغضا واجتواء - لأنهم أقل من أن يبغضوا - لكان أروع ، وما أجمل قول الطرمح .

لقد زادني حُبًا لنفسِي أَنْبِي بغيض إلى كلِّ امرئ غير طائل
 إذا مارأني قطع الطرفَ بينه وبينني كفعل العارف المتجاهل
 قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : إن الحكيم تربه الحكمة أن فوق علمه
 علما فهو يتواضع لتلك الزيادة والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط بجهله وعمته النفوس
 (١) يقول : أ كبر ما أتبه به أنني وائتق بجميل رأيك في ، كما أن أكثر ترأني هو
 من ناحية تأملي لك ورجائي فيك .

(٢) القرم : السيد ؛ وأصله : الفحل الكريم من الإبل . وهبة . أى انتباهة .
 يقول . لعل سيف الدولة ينتبه لما يقال له ويمدح به فلا يستجيز من الشعراء ما يأتونه به
 من القول الركيك ، فهلك باطلهم - يعني شعرهم - ويبقى الحق - يعني شعره - .

(٣) المراد بالقوافي : القصائد ؛ والغوازي : من الغزو يقول : مدحته بإذاعة
 فضائله - فكأنني رميت بتلك القوافي التي ذكرت فيها فضائله أعداءه فقتلتهم غيظاً
 وجسداً ، وجعل القوافي غوازي قواتل لأنها قتلت أعداءه بالغيظ والحسد ، وجعلها
 سلطات لأنها تصيب ولا تصاب .

(٤) الثواكل : جمع ناكل ، الفاقدة ابنا أو أباه أو أخاها . يقول : لو كانت

فعلبتنا فغير مغليين ؛ والمغلب . الذي يغلب مراراً . أى لم تغلب . إلا هذه المرة . وقوله
 فما إن طبتنا الخ : أى ما عادتنا وشأنا ؛ وقيل الطب هبنا . العلة والسبب أى لم يكن
 سبب قتلنا الجبن وإنما كان ماجرى به القدر من حضور المنية وانتقاد الحاد عا والدولة ،
 والسجال - بالكسر - مصدر ساجل يساجل بمعنى ناوب .

وَمَا كَانَ أَذْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا وَالطَّفَهَا لَوْ أَنَّهُ الْمُتَنَاوِلُ^(١)
قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاءٍ عَلَى الْوَرَى إِذَا لَشَّمْتَهُ بِالْفُبَارِ الْقَنَابِلُ^(٢)
تَدْبَرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالغَرْبَ كَفَهُ وَلَيْسَ لَهَا وَقْتَانِ الْجُودِ شَاغِلُ^(٣)

النجوم جيوشاً ثم حاربه لقامت عليها النوايح ، يعنى أنها وإن قيل إنها خالدة لا تنفى لو حاربه لأتى عليها وأفناها .

(١) يقول : ما كان أقربها له لو قصدتها وألطفها - أخفها - لو حاول تناولها ، يعنى أن سعده يقرب له البعيد ، وقال الواحدى : فى جميع النسخ وألطفها برد الكناية إلى - الضمير - إلى النجوم ، ولا معنى له ؛ والصحيح : وألطفه ، برد الكناية إلى المدح : أى ما ألطفه لو تناول النجوم على معنى ما أحذقه وأرققه بذلك تناول ، من قولهم فلان لطيف بهذا الأمر : أى رفيق ، يعنى أنه يحسنه وليس بأخرق ، وبعد ، فإن النجوم فى البيتين مثل يريد البعيد من الأشياء الذى يستحيل على غيره بلوغه وقد بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) النأى : البعيد ؛ والورى : الخلق ؛ والقنابل : الجماعات من الخيل . واحدها قنبلة ، قيل القنبلة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه ، والقنبلة من الناس الطائفة منهم ، وقدر قنبلاية تجمع القنبلة من الناس : أى الجماعة . يقول . قريب عليه كل بعيد على غيره من المطالب إذا حاوله بجميشه فأنعقد عليه الغبار من كثرة الخيل حتى حتى يعير له كاللثام . وبعبارة أوضح : إذا قاد جيشه وأنفذ نحو العدو خيله ولثمت كتابه بما تشيره من الغبار فكل ما يبعد على غيره فإن مرامه قريب منه وتناوله غير مستعص عليه .

(٣) وقتا : ظرف ؛ ولها : خبر ليس ؛ وشاغل ؛ اسمها يقول : إن تدبير ممالك الشرق والغرب بكفه ، فإنه بسيفه وقوة يده يديرها ومع كل هذا الشغل العظيم ليس لها شئ يشغلها وقتاً عن الجود ، أى لا يفغل عن الجود وإن عظم شغله ، كما قال البحرى :
تَبَيَّتْ عَلَى شُغْلٍ وَلَيْسَ بِضَائِرٍ لِمُجْدِكَ يَوْمًا أَنْ تَبَيَّتَ عَلَى شُغْلٍ
وروى ابن فورجه . وقت بالرفع ، على أنه اسم ليس وشاغل : نعت له . قال الواحدى : تهوس ابن فورجه فى هذا البيت فروى وقت بالرفع قال : وفيه معنى لطيف ليس يؤديه اللفظ إذا نصب وقت وذلك أنه يريد لهذه الكسف الشرق والغرب ومحوياته وليس لها وقت يشغلها عن المجد ، وكف تملأ الشرق والغرب كان بأن تملأ

يَتَّبِعُ هُرَابَ الرَّجَالِ مُرَادُهُ فَمَنْ فَرَّ حَرْبًا عَارِضَتُهُ الْغَوَائِلُ (١)
 وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَدًا لَهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ (٢)
 فَتَى لَا يَرَى إِحْسَانَهُ وَهُوَ كَامِلٌ لَهُ كَامِلًا حَتَّى يَرَى وَهُوَ شَامِلُ (٣)
 إِذَا الْعَرَبُ الْعَرَبَاءَ رَازَتْ نُفُوسَهَا فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِيكَ الْخُلَاحِلُ (٤)
 أَطَاعَتِكَ فِي أَرْوَاحِهِا وَتَصَرَّفَتْ بِأَمْرِكَ وَالتَّفَّتْ عَلَيْكَ الْقَبَائِلُ (٥)

ما هو أحقر منهما أولى ، قال الواحدى وهذا الذى قاله - ابن فورجه - باطل محال لا يقوله إلا غمر جاهل ، والوجه : النصب لأنه ظرف لشاغل .

(١) هراب . جمع هارب . ومراده : فاعل يتبع ، ولك أن تجعله مفعولا ثانياً ليتبع ؛ وحرابا : نصب على الحال ؛ أى محاربا - يقال فلان حرب لفلان إذا كلن معاديا له ، ولك أن تجعل حربا منصوبا بنزع الخافض : أى من الحرب . والغوائل : جمع غائلة ، وهى الداهية تنول : أى تهلك . يقول : إن جده يسعده وينفذ مراده فى أعدائه ، فمن فر منه محاربا جرى مراده فى أثره فهلك بسبب من الأسباب ، واستقبلته غائلة تآنى عليه .

(٢) النائل : العطاء . يقول : من فر من إحسانه وأزمع مجانبته حسداً له استقبله حينما توجد عطاء منه ، وذلك لعموم نائله الأرض ؛ وبعبارة أخرى : إن جوده يشمل الولى والחסد ويعم المحسن والمسيء ؛ وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

وَإِذَا سَرَحْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قِيَابِهِ لَمْ تَلَقَ إِلَّا نِعْمَةً وَحَسُودًا

(٣) وهو كامل : حال من إحسانه ؛ وكاملا مفعول ثان لـ « يرى » وقوله : له الضمير للمدح ، والظرف حال من الضمير فى « كاملا » : أى كاملا فى حقه وبالنسبة إليه يقول : هو مع كون إحسانه كاملا قد بلغ الغاية لايراه كاملا بالإضافة إليه وإلى علوهمته حتى يكون عاما يشمل الناس جميعاً .

(٤) العرب العرباء : القديمة الخالصة التى لم تشبها هجنة ؛ ورازت : جربت واختبرت ؛ وفتاها : كريمها وسخها ؛ والخلاجل : السيد . يقول : إذا اختبروا نفوسهم عند الجود والشجاعة علموا . أنك فتاهم وسيدهم لأنك أجودهم وأشجعهم .

(٥) يقول : هم لك مطيعون حتى لو أمرتهم يبدل أرواحهم لبذلها فى طاعتك ، وقد تصرفوا فى إيرادهم وإصدارهم حسب أمرك واجتمعت قبائلهم على نصرتك ودانوا أجمعين بالخضوع لطاعتك ، ويجوز أن يكون معنى التفت عليك القبائل : أحاطت أنسابها بنسبك . فأنت وسيط بينهم .

وَمَنْ لَمْ تَعْمَلْهُ لَكَ الدَّلَّ نَفْسُهُ وَمَا يَنْفِكُ الْفُرْسَانَ إِلَّا الْعَوَامِلُ^(١)
 وَأَيْتُكَ لَوْ لَمْ يَفْتَضِ الطَّعْنَ فِي الْوَعَى إِلَيْكَ أَنْقِيَادًا لَا فُتَضَّتْهُ الشَّمَائِلُ^(٢)
 وَمَنْ لَمْ تَعْمَلْهُ لَكَ الدَّلَّ نَفْسُهُ مِنْ النَّاسِ طَرًّا عَلَّمَتْهُ الْمَنَاصِلُ^(٣)

* * *

(١) الأنايب : جمع أنبوب ، العقدة الناشزة في القناة ؛ والقنا : عيدان الرماح ؛
 والعوامل : جمع عامل ، وهو ما يلي السنان من الرمح . والنسكت : الوخز . ويقال
 طعنه فسكته : أى القناه على رأسه . شبه قبائل العرب بأنايب الرمح وسيف الدولة
 بالعامل قال الواحدى : هذا مثل يقول : إن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله وما لم يعاون
 بعض الرمح بعضاً لم يحصل الطعن ، ولكن العوامل هى التى تصيب الفرسان لأن
 السنان فيها . كذلك القبائل : كلهم مددك والعمل منك ، فأنت منهم كالعوامل من
 الرمح ؛ وهذا من قول بشار :

خَلُقُوا سَادَةً فَكَانُوا سُوءًا كَكُمُوبِ الْقَنَاةِ تَحْتَ السِّنَانِ
 وقال البحرى :

كَالرَّمْحِ فِيهِ بَضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً مُنْقَادَةً تَحْتَ السِّنَانِ الْأَضْيَادِ
 وبعبارة أخرى : يقول له - مؤكداً لما ذكره من انقياد العرب لأمره - كل أنابيب
 الرمح مما تمدد وتعينه ، ولكن العامل منها هو الذى به يكون الطعن وصرع الفرسان .
 جعل موضع سيف الدلة من العرب - وإن كانوا مدداً له - موضع العامل من الرمح
 الذى به يكون الطعن ، وإليه ينسب الفعل من دون سائر الأنايب . وقال ابن جني :
 المعنى أن أصحابك وإن كانوا أعواناً لك فأنت الذى تتولى الحرب بنفسك وتتقدم إليها
 كتقدم السنان .

(٢) الوعى : الحرب ؛ وإليك : صلة انقياداً ؛ والشمائيل : الأخلاق ؛ والمفعول الثانى
 لرأيت : محذوف سد مسده شرط ، « لو » وجوابها . يقول : إن لم يطعك الناس خوفاً
 من طعنك أطاعوك حباً لشمائلك ، أى إن كرمك وحسن أخلاقك أدعى إلى طاعتك
 من الطمان فى القتال .

(٣) المناصل : جمع منصل ، وهو السيف . يقول : من لم تعلمه نفسه الخضوع لك
 وترشده سعادته إلى الاعتلاق بك أجبرته على ذلك سيوفك ؛ أى إن من لم يخضع لك
 طوعاً ورجبة خضع لك خوفاً ورهبة .

وقال يعزبه بأخته الصغرى ، ويسليه بالكبرى ، وأنشدها في رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة :

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرِّزْيَةِ فَضْلاً تَكُنِ الأَفْضَلَ الأَعَزَّ الأَجْلاً^(١)
أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعْزَى عَنِ الأَخْبَابِ فَوْقَ الَّذِي يُعْزِيكَ عَقْلاً^(٢)
وَبِالْفَاظِكَ أُهُتْدَى فَإِذَا عَزَّ كَ قَالَ الَّذِي لَهُ قُلْتَ قَبْلاً^(٣)

(١) يقول : إن كان صبر صاحب المصيبة على ما أصيب به يعد فضلا له فأنت الأفضل الأجل لإرباء صبرك على صبر غيرك ؛ يعني أنت أصبر ذوى الرزايا وأفضلهم . والرزية والرزية - بالهمز وبتركة - المصيبة .

(٢) يقول : أنت أجل من أن تعزى عنمن ترزأ به من الأحاب لأنك أعقل من الذى يعزبك وأهدى منه إلى معانى التعزية . قال ابن جنى : فوق - الأولى - نداء مضاف إلى أن تعزى ، والثانية : ظرف ، وعلى هذا تكون « أنت » مبتدأ ؛ و« فوق » الثانية : خبر . وقال التبريزى : يحتمل وجهين : أحدهما أن يكول حذف المنادى : أى أنت يا حيف الدولة وعلى هذا تكون فوق - الأولى والثانية - ظرفين ، وتكون الأولى : خبراً أول ؛ والثانية : خبراً آخر ؛ والوجه الثانى أن تكون « فوق » : نعنا له وقد أخرجها من باب الظرفية إلى الأسماء ؛ وعقلا : نصب على التمييز .

(٣) اهتدى : أى الذى يعزبك . ونصب « قبلا » على الظرفية وجعله نكرة على حد قولك : جئتك أولاً وآخرأ ، كما قال :

وساغ لى الشرابُ وكنت قبلاً أكادُ أغصُ بالماء الفراتِ^(١)

(١) روى عجز هذا البيت : أكاد أغص بالماء الحميم وروى أيضا بالماء المعين ، وروى ؛ أغص بقطعة الماء الحميم ؛ قال البغدادي : وهو آخر أبيات خمسة ليزيد ابن الصق وهى .

ألا أبلغ لديك أبا حُرَيْثٍ وعاقبة السلامة للمُليمِ
فكيف ترى معاقبتى وتسى بأذواد القُصَيْبَةِ والقُصِيمِ
وما برحتَ قَلوصى كلِّ يومٍ تكسر على الخالفِ والمقيمِ

قَدْ بَلَوْتَ أَخْطُوبَ مُرًّا وَحُلُومًا وَسَلَكْتَ الْأَيَّامَ حَزْنًا وَسَهْلًا^(١)
وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يُغْرِبُ قَوْلًا وَلَا يُجَدِّدُ فِقْلًا^(٢)

يقول : إن الذي يعزبك ، منك تعلم ألفاظ التعزية . فهو يقول لك في التعزية بما قلته قبل ذلك واستفاده منك . وعبارة العكبري الإنشائية الأنيقة : المعزى لك إنما يهتدى بألفاظك ويخطبك بما تعلمه من قولك فقدرك مرتفع عن التعزية . فإن حقائق الأمور مستفادة منك ، وجواهر الكلام مأثور عنك ، إنما يقابلك بما أنت أعلم به ويذكرك بما أنت أحفظ له ، فهو كمن جلب إلى حجر القطيعاء (١) وإلى الفرات الماء ، وإلى البدر الضياء .

(١) بلوت ؛ خبرت . والخطوب ؛ حوادث الدهر . والحزن ؛ ضد السهل ، وهو ماخشن من الأرض وارتفع ؛ والنصوبات - في البيت - أبدال . يريد ؛ حلوها ومرها وحزنها وسهلها وتفسير العكبري الجميل ؛ قد خبرت طوارق الدهر بمعرفتك ، وعرفت حلوها ومرها بتجربتك ، وسرت في الأيام مالكا صعبا تسلك منها ماصعب وسهل ، وتعاني ما بعد وقرب ، ناهضا بنفسك ، مكتفيا بملك .

(٢) يغرب ؛ يجيء بشيء غريب ؛ وعلموا قولاً ؛ كلاهما تمييز ، يقول ؛ عرفت الزمان وألوانه وصوره معرفة تامة ، فلا يأتي بشيء غريب ولا فعل جديد لم تره ولم تعرفه ، وقتلت الزمان علما يعني علمت منه كل شيء حتى أذلته بملكك ولينتهك ، ومعنى القتل في اللغة ؛ إزالة الحركة ، ومنه يقال شراب مقتول ؛ إذا كسرت سورتها بالماء .

فَنِمْتُ اللَّيْلَ إِذَا وَقَعْتُ فِيكُمْ قَبْلَ لَيْلِ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

وساغ لى الشراب . . . البيت . الليم : من الام الرجل إذا أتى بما يلام عليه ؛ والمعاقبة ؛ المناوبة - من العقبة ، وهى النوبة - والدود من الإبل ؛ ما بين الثلاث إلى العشر ؛ والقصيبة والقصيم ؛ موضعان ؛ والمخالف من الخلوف ، وهم المقيمون في الحى حينما يذهب الرجال للغزو . وقوله وساغ ؛ عطف على نمت . والحميم ؛ الماء الحار ، وليس بمراد ، وقيل هو من الاضطداد يطلق على الماء البارد أيضا ؛ وأغص ؛ مضارع غصصت بالطعام ، والغصة ؛ ماغص به الإنسان من طعام ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق .

(١) حجر : بلد بالبحرين ، مذكر مصروف ، مشهور بتمره ؛ والقطيعاء - محدود ، مثل الغبيراء - صنف من التمر .

أَجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظًا وَعَقْلًا وَأَرَاهُ فِي الْخَلْقِ ذُعْرًا وَجَهْلًا (١)
 لَكَ الْإِلْفُ يَجْرُهُ وَإِذَا مَا كَرُمَ الْأَصْلُ كَانَ لِلْإِلْفِ أَصْلًا (٢)
 وَوَفَاءً نَبَتْ فِيهِ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلًا (٣)
 إِنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَوْنًا لَدَمْعُ بَعَثَتَهُ رِعَايَةٌ فَاسْتَهْلًا (٤)

(١) الذعر؛ الخوف قال ابن فورجه . يقول؛ أنت إذا حزنت على هالك فإنما يحزن حفاظا منك لوده وصحبته ووفاء له ، والحفاظ والوفاء مما يدعو إليه العقل؛ وغيرك يحزن خوفا من ألم الفراق وجبنا منه وجهلا من غير معرفة بالسبب الموجب للحزن ؛ قال الواحدى ، وتفسير الحفظ على ما ذكره ؛ وأما تفسير العقل والذعر والجهل فلم يصب فيه . والوجه أن يقال أراد بالعقل ؛ الاعتبار بمن مضى ، فإن العاقل إنما يحزن على الميت اعتباراً به وعلما أنه عن قريب يتبعه على أثره ؛ وحزن غير العاقل يكون ذعراً من الموت ، وهو جهل لأنه ميت لا محالة وإن حزن .

(٢) الإلف : السكون إلى الشيء والأنس به . يقول : لك إلف يجر هذا الحزن ويجلبه عليه ، ثم ذكر أن الإلف من كرم الأصل وأن الكريم ألوف ، وإذا كان ألوفا حزن على فراق من ألفه ؛ وعبارة العكبرى : لك إلف لكريم صحبتك يجر الحزن إليك ممن تفقده من أحببتك ، ويوجب الإشفاق منك على مواصلك ، وكذلك الأصل إذا كان كريماً كأصلك متمكناً في مثل نصاب شرفك ، كان أصلاً لكريم المواصلة والمؤالفة ، وباعثاً على مشكور العاملة ، فمنزلتك من الشرف تضمن الفضل عنك ، ومحلك من الكرم يوجب حسن المؤالفة . « ويجره » : رواها ابن جني : تجره - بالطاء - قال : أى تسجبه وتحمل ثقله .

(٣) ووفاء : عطف على إلف - في البيت السابق - . يقول : ولك وفاء نبت فيه وسقيت ماءه صغيراً ونشأت عليه ، فلا تعرف غير الوفاء للأحباب ؛ ولا بدع : فإنك من عشيرة هم أهل الوفاء فأحدر إليك منهم ، وهذا الذى جر إليك الحزن على من فقدت . وقوله ولكن : هو استثناء معروف في كلام العرب ، يقولون فلان شريف خير أنه سخي ؛ وفي الحديث : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش » أى فلا عجب فى كونى أفصحهم . وقالوا :

فَتَى كَمَلْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَما يُبْقَى مِنَ الْمَسَالِ بَاقِيَا

(٤) الرعاية : حسن المحافظة ؛ والاستهلال : الانسكاب . يقول : إن الدمع الذى

أَيْنَ ذِي الرِّقَّةِ الَّتِي لَكَ فِي الْحَرْبِ بَ إِذَا اسْتُكْرِهَ الْحَدِيدُ وَصَلًا^(١)
أَيْنَ خَلَقْتَهَا غَدَاةَ لَقِيَتِ الرُّومَ وَالْهَامُ بِالصَّوَارِمِ تُفَلِّي^(٢)

سببه رعاية العهد هو خير الدموع عوناً على الحزن والرزية ، وذلك أن الدمع يخفف
بحر الوجد ، كما قال ذو الرمة :

لعلَّ انحدارَ الدمعِ يُعقِبُ راحةً من الوجد أو يشفي نجيَّ البلايل
وقوله عوناً : يروي «عندي» وروي ابن جني : عينا ، قال : وهو منصوب على التمييز
كقولك : إن أحسن الناس وجهاً زيد ، والمعنى أن عينه خير الأعين ، لأن موجب دمه
حتى استهل وفاض هو الرعاية والحفاظ .

(١) استكره الحديد : أي أكره على الضرب ، وهو بدل من قوله في الحرب ؛
وصل الحديد : صوت . يقول : هذه الرقة والرحمة التي نشاهدها منك الآن أين هي
في وقت الحرب حين يكره الحديد على الضرب ويصل بقرع بعضه البعض عند تجاليد
الأبطال ؟ قال البخري :

لم يكن قلبك الرقيق رقيقاً لا ولا وجهك المصون مصوناً
وقوله إذا استكره الحديد وصلًا : قال العكبري . فيه نظر إلى قول لبيد :

أحكَمَ الجِنِّيِّ من عوراتها كلُّ حرباءٍ إذا أُكْرِهَ صل^(١)
(٢) خلفتها : رواها ابن جني : غادرتها ، وما بمعنى ؛ والغداة البكرة ، وهي مضافة
إلى الجملة التي بعدها . والهام : الرؤوس . والصوارم : السيوف ؛ وتفلي : من فليت رأسه
إذا فصلت القمل منه ، وأصله من فلوت الفلوة عن أمه : إذا أنت فصلته عنها . يقول :
أين تركت رقتك هذه ساعة لقيت الروم في الحرب والرؤوس تطلب بالسيوف في جميع
الجهات كالفالي يتبع كل موضع من الرأس . هذا هو تفسير الواحدي ، وقد أبعث في
تفسيره «تفلي» بما قال ؛ ولم هذا وقد جاء في كتب أهل اللغة أنه يقال فلي رأسه بالسيوف
فلياً : ضربه وقطعه ، قال الشاعر :

تُخَاطِبُهُمُ بِالسَّنَةِ إِلَيْنَا يَا وَتَفَلِّي الهام بالبييض الذكور
فيجب أن يكون التفسير على هذا الوجه : أين تركت هذه الرقة ساعة لقيت الروم
في الحرب والرؤوس تضرب بالسيوف ، والنفوس تخترم بالحتوف ؟

(١) الجنى : السيف بعينه ؛ وأحكم : أي رد الحرباء - وهو مسار الدرع - من
عوراتها ، سيف .

قَاسَمَتَكَ الْمُنُونُ شَخَصَيْنِ جَوْرًا جَعَلَ الْقِسْمُ نَفْسَهُ فَيْكَ عَدْلًا^(١)
فَإِذَا قَبِيتَ مَا أَخَذَنْ بِمَا أَغْدَرَنْ مَرَّرَى عَنِ الْفُؤَادِ وَسَلَّى^(٢)
وَتَيَقَّنَتْ أَنْ حَظَّكَ أَوْفَى وَتَبَيَّنَتْ أَنْ جَدَّكَ أَعْلَى^(٣)

(١) للنون : النية ؟ ويجوز تذكره وتأنينه ، وقد يراد به الجمع ، وهو ما يقصده المتنبي - كما يدل على ذلك البيت التالي - وجوراً : حال ؛ والقسم - بالكسر - الاسم من قسمه . يعزبه بأخته الكبرى الباقية . يقول : قاسمك للموت شخصين - يعني أخته - فذهب بإحداهما - الصغرى - وترك الأخرى - الكبرى - وكانت هذه المقاسمة جوراً - ظلاً - لأنه كان من حقك أن يتركهما ، ولكن هذا الجور عدل فيك حيث تركت حياً وكانت المقاسمة معك في الاختين : يعني إذا كنت أنت البقية فالجور عدل ، هذا إذا نصب القسم وجعل الفعل للجور ، وروى « جعل القسم نفسه فيه عدلاً » يعني أن القسم جعل نفسه عدلاً في الجور ؛ لأنه وإن أخذ الصغرى فقد أبقى الكبرى فأترك بأفضل النصيبين لأنك أفضل المتقاسمين . ولترجع إلى المنون فنقول ؛ قال علماء اللغة : المنون الموت لأنه عن كل شيء أى يقطعه ويضعفه وينقصه ، وقيل للنون : الدهر ، وجعله عدى بن زيد جمعاً فقال :

من رأيت المنون خلدنَ أم من ذاعليه من أن يُضام خفيرٌ
وهو يذكر ويؤنت ، فمن أنت حمل على النية ، ومن ذكر حمل على الموت قال أبو ذؤيب الهذلي :

أَمِنَ الْمُنُونُ وَرَيْبُهُ تَتَوَجَّعُ وَالدهر ليس بمُعْتَبَرٍ من يجزع

وقدر روى : وربها حملا على النية ، وقيل إنما أنت على معنى الدهور فردمه على عموم الجنس ، كقوله تعالى « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » ، وقوله تعالى « ثم استوى إلى السماء فسواهن » لأن الألف واللام في الطفل بمعنى الأطفال ؛ والهاء بمعنى السموات : وقال أبو العباس : المنون يحمل معناه على النايا فيعربها عن الجمع ، وأنشد بيت عدى بن زيد : من رأيت المنون الخ أراد النايا ، فلذلك جمع الفعل .

(٢) أغدرن كغادرن : تركن . وسرى عنه : فرج . وسلى : عزى ؛ والضمير في سرى وسلى : للقياس ، أو لما أغدرن : يقول : إذا قست الصغرى التي أخذتها النية بالكبرى التي أبقيتها لك وجدت في ذلك ما تتعزى به لأنها أبقيت لك أحبهما إليك .
(٣) أى حين بقيت الكبرى . وأوفى : أتم . وجدك : أى سعدك .

وَأَعْمَرِي لَقَدْ شَغَلَتَ النَّيَا بِأُاعَادِي فَكَيْفَ يَطْلُبِينَ شُفْلًا^(١)
 وَكَمْ أَنْذَشْتَ بِالسُّيُوفِ مِنَ الدَّهْرِ أُسِيرًا وَبِالنَّوَالِ مُقْلًا^(٢)
 عَدَهَا نُصْرَةً عَلَيْهِ فَلَمَّا صَالَ خَتْلًا رَأَاهُ أَدْرَكَ تَبْلًا^(٣)
 كَذَبْتَهُ ظُنُونُهُ أَنْتَ تُبْدِيهِ وَتَتَّبِعِي فِي نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبْلِي^(٤)
 وَلَقَدْ رَامَكَ التُّدَاةُ كَمَا رَا مَ فَلَمْ يَجْرَحُوا الشَّخْصِكَ ظِلًّا^(٥)
 وَأَلْقَدُ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بِمَضًا
 مِنْ نَفُوسِ الْعِدَا فَأَدْرَكَتَ كَلًّا^(٦)

(١) يقول : لقد شغلت النايا بما تواصله في أعدائك من القتل في الحرب فكيف
 تطلب النايا شغلا بغيرهم فتفرغ إلى ذى قرابتك ؟

(٢) انتاشه : تناوله وانتشله . ويقال انتاشه من صرعه : إذا استنقذه ؛ والنوال :
 العطاء ؛ والمقل : الفقير . يقول : كم نصرت أسيراً للدهر لا ناصر له استنقذته من أسر
 الدهر ، وكم من فقير معدم نصرته بمطائك فأنقذته من أنياب الإقتار ، والفاقة .
 (٣) فاعل عدها : ضمير الدهر ؛ والهاء : ضمير النصرة ؛ أى عد نصرتك لهذين
 نصرة عليه ، ولك أن ترجع الهاء لأفعال سيف الدولة ، وصال : وثب واستطال ؛ والختل
 العدر ؛ والتبل : التآر . يقول : عد الدهر أفعالك - من انتياشك الأسير والمقل من
 يده - نصرة عليه ومراغمة له ، فلما استطال عليك بأخذ أختك رأى نفسه قد أدرك
 تأره منك لأنه حقد عليك بما فعلته ، فقوله رآه : أى رأى الدهر نفسه وهى من رؤية
 القلب : أى ظن نفسه واعتقد .

(٤) يقول : ليس الأمر كما ظن الدهر من أنه أدرك منك ثاراً لأنك تبلى الدهر
 بقطعك أيامه وطول سلامتك وتبقى في نعمة لا تفنى ، إذ آتاك الله من السعد مالا تقوى
 عليه غير الدهر وصروفه . ويقال كذبه ظنه : إذا خدعه وزين له الباطل .

(٥) رامك : طلبك . يقول : ولقد حاول أعداؤك كما حاول الدهر أن ينالوا منك
 ويدركوا ثأرهم فلم يستطيعوا أن يصيبوا ظل شخصك فضلاً عن أن ينالوا خاصة نفسك
 والمعنى لم يقاربوك بسوء ، وذلك أن ظله يقرب منه . وحاصل معنى البيتين أن الله قد
 صرف عنه كيد الزمان وأهله فلا يصلون إليه بسوء .

(٦) يقول : طلبت بعض أعدائك فأدركت السكل بما أعطيت من السعد والإقبال

قَارَعَتْ رُمْحَكَ الرِّمَاحُ وَلَكِنْ تَرَكَ الرَّامِحِينَ رُمْحَكَ عَزْلًا^(١)
لَوْ يَكُونُ الَّذِي وَرَدَتْ مِنَ الْفَجْمَةِ طَعْنًا أَوْرَدَتْهُ ائْتِخِلَ قُبْلًا^(٢)
وَلَكَشَفَتْ ذَا الْحَنِينِ بِضَرْبٍ طَالَمَا كَشَفَ الْكُرُوبَ وَجَلَّى^(٣)

في الظفر بالأعداء ، يعني أن سعده يقا تل أعداءه عنه ويؤميه من الظفر بهم زيادة على ما يطلب ؛ فقوله : بالسعادة ، متعلق بـ «رمت»

(١) الرامحين : أى حاملى الرماح . وعزلا : جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه يقول : قارعت رمحك رماح الأعداء ، ولكنك ظهرت عليهم وغلبتهم وسلبت أرواحهم فكأنك سلبت رماحهم وتركتهم عزلا لا سلاح معهم . يشير إلى حذقه بالطن والاعتدال على التصرف فى الحرب .

(٢) وردت : استقبلت . والفجمة : المرة من فجعه : إذا أوجعه بعزله ولديه والقبل جمع أقبل ، وهو الذى يقبل بإحدى عينيه على الأخرى عزة وتشاوسا . وقال بعض اللغويين : الأقبل الذى أقبلت حدقتاه على أنفه ؛ والأحول : الذى حولت عيناه جميعاً . وقال آخرون : إذا أقبل سواد العين على الأنف فهو أقبل ، وإذا أقبل على الصدغين فهو أخزر ، وقد قبلت عينه وأقبلتها أنا ، ورجل أقبل بين القبيل ، وهو الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ؛ قالت ليلى الأخيلية فى فائض بن عقيل - وكان قد فر عن توبة يوم قتل - ؛

ولما أن رأيت ائخيل قُبْلًا تبارى بأخْدودِ شَبَا العوالي^(١)
يقول : لو كان الذى أصابك من هذه الرزية طعنا لدفعته عنك بالخيال والسلاح ؛ أو تقول : لو يكون الذى ألم بك من الرزية طعنا ومنازلة وقتالاً لأوردت ذلك الوطن خيلك قبلا مقدمة ولا تقممتها على الموت كل الإقحام .

(٣) الحنين : ما يجده الإلف إذا فارق إلفه ، وهو فى معنى الشوق . يقول :

(١) بعده :

نسيت وصاله وصددت عنه كما صدَّ الأزبُ عن الظلال
« الأزب : الكثير الشعر فى الأذنين والحاجبين ، وفى المثل : كلُّ أزب نفور ، لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح نقر »

خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ وَإِنْ كَانَتْ السَّمَاءَ نُكْلًا^(١)
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْوًا ذَاتُ خِذْرِ أَرَادَتْ الْمَوْتَ بِنِفْلًا^(٢)
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى^(٣)
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفَّ فَمَا مَلَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفُ مَلًّا^(٤)

ولكشفت عن نفسك هذا الحين الذي تجده إلى المفقود بضرب طالما كشف الكروب وجلاها عن أوليائك . أو تقول : لو كان هذا الحين للتصل على رزيتك مما يستدفع بمغالبة ويستكشف بمكآرة ، لكشفته بضرب بالغ وإقدام على الموت صادق ، فطالما كشفت الكروب الموحمة ، ولكن الموت لا يدفع بشدة ولا يعتصم منه بقوة .

(١) خطبة : أى هذه خطبة ، وأصل الخطبة : طلب المرأة للزوج : والحمام : الموت والشكل : فقد من يعز من ولد أو حبيب أو قريب . جعل الشكل خطبة لها لأنها كانت بكرآ : أى لما استأثر بها الموت صار كأنه خاطب لها وإن كانت هذه الخطبة هى المساة بالشكل وعبارة الواحدى : إن هذه الوفاة جرت مجرى الخطبة من الحمام للميتة وإن كانت تلك الخطبة تسمى شكلا ؛ هذا إذا نصبت السماء على أنها خبر كان ونصب شكلا بالسماء ، كما تقول ضربت المعطاة درهما ؛ وإن رفعت السماء فالمعنى : وإن كانت هذه التى سميتها أى ذكرتها شكلا ، فتكون « شكلا » خبر كان . هذا : وقد وصف الخطبة بأنها لا ترد ، لأنه إذا كان الخاطب الحمام لم يستطع رده كغيره من الخاطب .

(٢) الكفو والكفوؤ : التل ، وبعلا - أى زوجا - حال . يقول : إذا لم تجد المرأة الشريفة كفوآ لها من الناس تزوج منه اختارت الموت بعلا لها ؛ قال الواحدى : لأنها إذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاخترت الموت على الحياة . . والأوجه أن يقال لأنها تأى أن تمس كرامتها وصيانتها إذا هى تزوجت من غير أكفائها ، ومن ثم تؤثر الموت الذى يكمل صيانتها ويوفىها حق جلالها .

(٣) يقول : إن الحياة للذاتةها أنفس فى نفوس ناسها وأشهى إليهم من أن تملى وتستكره لعله يريد أن يقول إن ذات الحدر إنما تؤثر الموت خوفا من أن تصير إلى غير كفو قمتين ، لا بقضا فى الحياة .

(٤) أف : كلمة يقولها التضجر الكاره للشئ ، وهى بثلاث الفاء وبالتنوين وتركه يقول : إذا ضجر الشيخ فقال أف فإن ذلك الضجر والللال إنما هو من ضعف الشيخوخة لا من طول الحياة ، لأن الحياة حبيبة إلى النفوس فى الشبية والكبر . هذا : وقوله

آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَإِذَا وَلِيَا عَنِ الْمَرْءِ وَلِيٌ (١)
أَبَدًا نَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا (٢)
فَكَفَّتْ كَوْنُ فَرْحَةٍ تُورِثُ النِّعَمَ وَخِلَّةٌ يُغَادِرُ الْوَجْدَ خَلًّا (٣)
وَهِيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لَا تَحْفَظُ عَهْدًا وَلَا تَتَمَّمُ وَضْلًا (٤)

وإنما الضمف ملا : فالضعف مفعول مقدم ، وهو في مثل هذا الموضع غير جائز التقديم لأنه مقصور بـ «إنما» ، ولكن قدمه للضرورة .

(١) يقول : إنما يحلو العيش ويطيب بالصحة والشباب ، فإذا لم يكن هناك صحة وشباب فسد العيش وتنقص وذهب ؛ أو تقول : آلة العيش وقوامه وحقيقته الشباب والصحة ، فإذا هما وليا وذهبا ولي العيش وذهب
(٢) يقول : إن الدنيا تعود على ما تهب فتأخذه . فليتها بخلت وما جادت ، كما قال الجلاح :

وَلَلْمَنْعُ خَيْرٌ مِنْ عَطَاءِ مُكْدَّرٍ

وقال الأول :

الدَّهْرُ آخِذٌ مَا أُعْطِيَ مُكْدَّرٌ مَا أُصْنِيَ وَمُفْسِدٌ مَا أَهْوَى لَهُ بِيَدٍ
فَلَا يَفْرُكُكَ مِنْ دَهْرٍ عَطِيتُهُ فَلَيْسَ يَتْرُكُ مَا أُعْطِيَ عَلَى أَحَدٍ

وقال حكيم : الدنيا تطعم أولادها وتأكل أولادها . هذا : وقد قال العلامة العكبري النهوي الكوفي : « الدنيا » مرفوعة بـ « تسترد » عندنا ، وبـ « تهب » عند البصريين لأنهم يعملون الثاني .

(٣) هذا جواب التمني في قوله « فياليت » . وكفيته الشيء : أغنيته عنه ، والكون بمعنى الحصول ، والفرحة - بالضم والفتح - اسم بمعنى المسرة ، ويفادر : يترك ؛ والوجد بمعنى الحزن ؛ والحل : الخليل . يقول : لو بخلت ولم تجد لأغنت عن حصول فرحة تعقب بزوالها النعم ، وعن وجود صاحب يموت فيصير الحزن بعده صاحباً لمن فقده . فالدنيا مثل رجل وهب لرجل شيئاً ، فلما فرح به واغتنب أخذه منه ؛ فكان أسفه عليه أكثر من اغتياظه به .

(٤) على الغدر : أى معه ؛ والظرف حال من نائب معشوقة يقول : وهى - أى الدنيا - مع غدرها بالناس - فلا تحفظ لأحد عهداً ولا تدوم على العهد ورجوعها - على ما تهب - معشوقة محبوبة .

كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا وَبِفِكَ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى (١)
 شِيمُ الْفَانِيَاتِ فِيهَا فَلَا أَدْرِي لِمَا أَنْتَ أَتَمِّمُهَا النَّاسُ أَمْ لَا (٢)
 يَا مَلِيكَ الْوَرَى الْمَفْرَقَ نَحْيًا وَمَمَاتًا فِيهِمْ وَعِزًّا وَذُلًّا (٣)
 قَلَدَ اللَّهُ دَوْلَةً سَيْفُهَا أَنْتَ حُسَامًا بِالْمَكْرُمَاتِ مُحَلَّى (٤)
 فِيهِ أَغْنَتْ الْمَوَالِي بَدَلًا وَبِهِ أَفْنَتِ الْأَعَادِي قَتْلًا (٥)
 وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَعَى كَانَ نَصْلًا (٦)

(١) يسيل: صفة لدمع؛ ومنها: متعلقة بـ«يسيل» وعليها: خبر كل؛ والحرفان للتعليل. أى كل دمع يسيل من جرائها هو عليها: أى كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي أسفا على فوت شيء منها ولا يخل الإنسان يديه منها إلا قسراً حين تفك يدها عنها بالموت.

(٢) الشيم: الطبايع؛ والفانيات: الحسان اللاتي غنبن بحسنهن وجمالهن. وقوله لنا: أى ألدا؟ لحذف الاستفهام. يقول: شيمة الدنيا كشيمة النساء فالنساء لا يدمن على الوصل ولا يحفظن العهد؛ وكذلك الدنيا، ثم قال: ولست أدري أهذه المشابهة جعل الناس اسمها مؤنثا؟ وهذا من تجاهل العارف، لأنه يعلم أن الدينام تؤنث لأنها تشبه الغواني، كما قال زهير:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حِصْنِ أم نساء
 هو يدري أنهم رجال، ولكنه تجاهل هذا، لأن فيه ضرباً من الهزء بهم.

(٣) الورى: الخلق. والحيا: الحياة. يقول: إنه ملك عظيم الشأن يفرق الحياة والموت والامر والنيل فيمن والاه وأطاعه وخالفه وعاداه.

(٤) سيفها أنت: نعت «دولة» وحساما: أى سيفاً قاطعاً، مفعول قلد. يقول: إن الله سبحانه قد قلد دولة جعلك سيفها الدائد عن يئضنها سيفاً قاطعاً حلاه بالكارم، فهو حامى الدولة وزينتها وعزها.

(٥) أغنت وأفنت: أى الدولة؛ وبدلاً وقتلاً: تمييز. والموالى: الأصدقاء والحلفاء والأعدى: جمع أعداء، جمع عدو، يشدد ويخفف: أى بذلك الحسام أغنت هذه الدولة أولياءها بدلاً. وبه أفنت أعاديتها قتلاً، فهو يحيى الموالى بماله، ويميت الأعدى بسيفه ورجاله.

(٦) اهتز: ارتاح؛ والوعى: الحرب؛ والنصل: السيف؛ أى إذا اهتز للعطاء

وَإِذَا الْأَرْضُ أُظْلِمَتْ كَانَ شَمْسًا
وَإِذَا الْأَرْضُ أُحْمِلَتْ كَانَ وَبِلًا^(١)
وَهُوَ الضَّارِبُ الْكُتَيْبَةُ وَالطَّفْسَنَةُ تَغْلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى^(٢)
أَيْهَا الْبَاهِرُ الْعَقُولَ فَمَا تَدُّ رُكَّ وَصَفًا أُتِّعِبَتْ فِكْرِي فَمَهْلًا^(٣)

كان كالبحر في كثرة مواهبه وعموم فواضله ، وإذا اهتز للحرب كان كالسيف في نفاذ
عزمه وقوته فيما يحاول من أمره .

(١) المحل : الجذب وقلة النبات في الأرض لقلة المطر . والويل : المطر الكثير ؛
أى إذا أظلمت الأرض وأعمت خطوبها كان كالشمس المشرقة ، وإذا أجديت كان جوده
كالسحاب الغدقة ، فهو ينير إذا استبهم الأمر ويوجد إذا بخل الدهر .

(٢) الكتيبة : الطائفة من الجيش ؛ وتغلو - من غلاء السعر - أى يعز وجودها
والجلمة : حال . وقوله أغلى وأغلى : كأنه يريد التوكيد ، والعاطف زائد . يقول : هو
الضارب الكتيبة من الجيش بسيفه حين يكون الطعن غالباً عزيز النال لصعوبة الموقف
واشتداد الحال ، وإذا كان الطعن غالباً كان الضرب أغلى منه لحاجة الضارب إلى فضل
إقدام ؛ لأن الضارب أقرب من الطاعن . والمعنى أنه يقدم على الضرب حين لا يقدم
غيره على الطعن ، وقال ابن فورجه : يريد أنه إذا لم يقدر على الدنو من العدو قيدر مع -
أى مقدار رمح - فالدنو إليه قيد سيف أصعب . والمعنى أنه يضرب بسيفه حين لا يقدم
الطاعن والضارب . وقال ابن جنى : يريد إن كان الطعن صعباً على الطاعن فهو
أيسر من الضرب ، لأن بعد الطاعن عن عدوه أكثر من بعد الضارب ، والرامى
أبعد من الطاعن ، وقد رتبته زهير فقال :

يَطْمَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا

ضَارِبٌ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقُوا

وعبارة العكبرى : هو الضارب الكتيبة من الجيش والحرب متوقدة ونيرانها
مضطربة ، والطعن بين الفرسان يغلو ويشدد ، والضرب أغلى وأشد فدل على أن
سيف الدولة عند اشتداد الحرب يقتحم الكتاب بنفسه ، ويستخف ذلك بشدة بأسه .
(٣) بهره : غلبه ؛ ووصفاً تميز . وقوله فما تدرك : يروى بالتاء على الخطاب
للمدوح . وبالياء عوداً على لفظ النداء ؛ والعقول : قال العكبرى بالنصب هو الأصل ،
وبالحذف تشبيهاً بالحسن الوجه . يقول : يامن غلب العقول بما أظهر من بدائع الأفعال

مَنْ تَعَاطَى تَشَبَهًا بِكَ أَغْيَا . وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلًّا (١)
فَإِذَا مَا أَشْتَهَى خُلُودَكَ دَاعٍ . قَالَ لَا زُلْتَ أَوْ تَرَى لَكَ مِثْلًا (٢)

وقال يمدحه ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلثمائة (*)

فما يدرك وصفك أتعبت فكري إذ لم يبلغك . فمهلاً : أى ارفق . وعبارة العكبرى : أيها الملك الذى بهر العقول بكثرة فضائله وأعجز الأوصاف بتتابع مكارمه : مهلاً على فكري فقد أتعبته ، ورفقاً بما أنظم فيك فقد أعجزته .

(١) التعاطى : التناول . ويقال فلان يتعاطى كذا : إذا عنى به وتفرغ له ؛ وأعياء أعجزه . يقول : وكيف لا يكون ذلك ومن حاول أن يتشبه بك فى كرم أخلاقك أعجزه ذلك فلم يندر على التشبه بك لان كرمك لا ينال بالتكلف ، ومن سلك طريقك ضل فيه : أى لم يقدر على مجاراتك فيما تسلكه لبعده مذهبك واتساعه .

(٢) زلت : من الزوال وقوله أو ترى : أى إلى أن ترى . يقول : إذا اشتبه أحد أن يدعوك بالخلود فدعاؤه هو أن يقول لك . لا زلت - أى لامت - كما فى رواية - حتى ترى لك مثيلاً ، وإذا كان ذلك كذلك بقيت إلى الأبد ، لأنه لن يكون لك مثل .

* قال الشراح : سبب عمل هذه القصيدة أن سيف الدولة ورد عليه أن الدمستق وجيوش الروم قد نزلوا على حصن الحدث ونصبوا عليه مكابد وقدروا أنها فرصة فيه لما تداخل أهل من الانزعاج والقلق ؛ وكان ملكهم قد ألزمهم قعده وأنجدم بأصناف من البلغر والروس والصقالبة ، وأنفذ معهم العدد الكثير والعدد ، فركب سيف الدولة باقرا ؛ وانتقل إلى غير الوضع الذى كان فيه ، ونظر فيما يجب أن ينظر فيه ، وسار عن حلب فى جمادى الأولى ، فزل رعبان وأخبار الحدث عليه مستعجبة ، لأنهم ضبطوا الطرق ليخفى عليه خبرهم ، فلما ضجر لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك ، وسارزحفا فلما قرب من الحدث عادت الجواسيس تعلمه أن العدو لما أشرفت عليه خيول المسلمين من عقبه يقال لها العبرى رحل ولم تستقر به دار ، وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبير خوفاً من كمين يترص الرسل . فزل سيف الدولة بظاهره وأنتهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلى حصن رعبان ووقعت الضجة ، وظهر الاضطراب ، وولى كل فريق

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَمْلُونُ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا (١)
شَرَفٌ يَنْطِخُ النُّجُومَ بِرَوْقِيهِ وَعِزٌّ يُقَلِّقُ الْأَجْبَالَ (٢)
حَالُ أَعْدَائِنَا عَظِيمٌ وَسَيْفُ الدِّ وَوَلَةُ ابْنُ الشُّيُوفِ أَعْظَمُ حَالًا (٣)

على وجهه ، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم ، وأخذوا آلة سلاحهم وأعدوه
في حصنهم ،

(١) ذى: أى هذه اسم مبهم: يشار به إلى اللؤث كما يشار به «ذا» إلى الذكر؛ وهكذا
خبر عن محذوف: أى هكذا المعالي ، والكلام استئناف ، ويجوز أن تكون نائب
مفعول مطلق ، عامله فليعلون: أى فليعلون علواً هكذا ، أو محذوف العامل: أى هكذا
فليعلون ، وإلاهى « إن » الشرطية و « لا » النافية ، والشرط والمال في محذوفان يقدران
بحسب ما يقدر قبلهما ، وكرر « لا » تأكيداً . يقول : هذه المعالي التى نراها لك هى
المعالي حقيقة ، ومن تعالى فليعلون كما علوت ، وإلا فليدع تعالى ؛ وبعبارة أخرى يقول
مشيراً إلى ما فعله سيف الدولة في بداره إلى جيوش الروم وانهزامهم من بين يديه ومنعه لهم
مما كانوا عليه من حصار الحدث - : هذه هى المعالي التى تؤثر والمكارم التى تتخذ فمن
حاول تعالى ، فلينهض بمثلاً فهذا سبيلها ، وإلا فلا يتعرض الرؤساء لها :

(٢) شرف: مبتدأ محذوف الخبر: أى لك شرف ؛ والروق: القرن . واستعار
للشرف روقين لما استعار له النطح على سبيل الترشيح ، وهو معلوم أن القرنين في
الحيوان من أسباب القوة ودواعى الإقدام والنعة ، يفسر معاليه أو ما أشار إليه بقوله
هكذا ، بهذا البيت . يقول : لك شرف يزاحم النجوم في العلو وعز أثبت من الجبال
وأرسى حتى صارت الجبال بالإضافة إليه قلقة ، أو تقول قد بلغت شرفاً باذخا يمس
أعلاه النجوم وعزاً راسخاً لوصادم الجبال لأقلقها وبقي راسخاً لا يزعزع : أو تقول :
وبلغت عزا تتقلقل الجبال هيبة له وإجلالا . قال الواحدى : ويجوز أن يريد أن سلطانه
ينفذ في كل شيء حتى لو أراد أن يزيل الجبال لأقلقها .

(٣) قوله : ابن السيف : ذهب إلى ما فى السيف من معنى المضاء والقهر : أى كلمهم
ملوك قاهرون . يقول : حالهم عظيمة فى كثرتهم ومنعتهم ، ولكن سيف الدولة ابن
الملوك القاهرة والسيف الماضية على الأعداء أعظم وأنفذ وأمنع ؛ والحال :
تذكر وتؤنث .

كَلَّمَا أَهَجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيرًا أَعْجَلَتْهُ جِيَادُهُ الْإِعْجَالَا (١)
فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقَ الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُ إِلَّا الْحَدِيدَ وَالْأَبْطَالَا (٢)
خَافِيَاتِ الْأَلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّعْجُ عَلَيْهَا بَرَأِمًا وَجِبَالَا (٣)

(١) قال ابن جنى : أى كلما عاد إليهم نذيرهم سبقوه بالهرب قبل وصوله إليهم ثم تلتهم جياذ سيف الدولة فسبقت سبقهم النذير : أى لحقتهم وجاوزتهم . قال ابن فورجه : يقال أَعْجَلَتْهُ بمعنى استعجلته ، فأما سبقته ، فيقال فيه عجلته . يقول : كلما استعجلوا النذير بالمسير إليهم وإخبارهم بقدم جيش سيف الدولة طلعت عليهم خيله قبل ورود النذير عليهم . أقول : وهذا كله تخبط من الشراح ، وإنما النذير نذير سيف الدولة . يقول : كلما باغت الروم قلعة الحدث وأرادوا أن يسبقوا إليها قبل مسير النذير إلى سيف الدولة جاءهم سيف الدولة وسبقهم إليها وهزمهم عنها قبل أن يسبقوا الاستيلاء عليها ؛ وهذا ما أشار إليه الواحدى : قال : ويجوز أن يريد أن العدو كلما أَعْجَلُوا النذير بهم وبأدروا المتقلدين لأعمال سيف الدولة فى الأطراف والمتصرفين فى أقاصى بلاده ورجوا أن يصيبوا منهم غرة وينتهزوا فيهم فرصة بادرتهم خيوله ولحقتهم جيوشه وأَعْجَلَتْهُمْ عن ذلك الأَعْجَالِ فصرفتهم على أسوأ الأحوال . هذا : ويقال أَعْجَلَهُ عن الأمر إذا بادره قبل أن يتمكن منه ، ومسيراً : منصوب بنزع الخافض : أى عن مسير ؛ وكذا قوله الإِعْجَالَا - فى آخر البيت - والنذير : الذى ينذر أصحابه ويحذرهم .

(٢) فَأَتَتْهُمْ : أى الجياذ ؛ وخوارق : حال ، وما تحمل - ويروى لا تحمل - حال أخرى . يقول : فَأَتَتْهُمْ خيل سيف الدولة تقطع الأرض سرعة . وعليها الأبطال مدججين بالسلاح . ويقال خرق الأرض يخرقها : أى قطعها حتى بلغ أقصاها ؛ وفى التثنية : « إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً » وقد روى العسكبرى « خوارق » بالرفع على أنها فاعل أتمهم ؛ وليس بوجه ، وزاد على ذلك أن قال : خوارق الأرض : الخيل ، لشدة وطئها ؛ وهذا عمرك الله تخليط أى تخليط ، وإنما الخوارق التى تجوب الأرض وتقطعها بسرعة - هذا : والحصر فى البيت - فى قوله ما تحمل إلا الحديد - مجرد التأكيد ، كما تقول ما أمامك إلا الأسد : أى المعروف بهوله وقوة بطشه .

(٣) خَافِيَاتِ الْأَلْوَانِ : حال أخرى ؛ والنعج : الغبار ؛ والجبال جمع جبل وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج . يقول : أتمهم وقد خفى لونها فلا يعرف الأدم من الكمية والأشهب والأشقر لما علاها من الغبار ، فقد تكاثف

حَافَتُهُ صُدُورُهَا وَالتَّوَالِي لَتَخْرُضَنَّ دُونَهُ الْأَهْوَالَ^(١)
وَلَتَمْمِضَنَّ حَيْثُ لَا يَجِدُ الرَّمْحُ مَدَاراً وَلَا الْحِمَاةُ مَجَالاً^(٢)

ذلك النبار عليها حتى صار على وجوهها كالبراقع وعلى متونها كالجلال . وكان هذا
العنى من قول عدى بن زيد بن الرقاع العاملي :

يتعاوران من النبار ملاءةً دكناءً مُحْدَثَةً هَا نَسَبَاهَا^(١)

قال العكبري : وفيه نظر إلى قول عرف بن الخرج :

كَأَنَّ الطَّبَاءَ بِهَا وَالنِّعَا جَ يُكْسِينَ مِنْ رَازِقِي شِعَارَا^(٢)

(١) المحالفة : المعاهدة ؛ والموالي ؛ الرماح ؛ واللام - من قوله لتخوضن - للقسمة .
يقول ؛ إن صدور خيله وعوالي رماحه عاهدته على أن تخوض الأهوال والحروب دونه :
أي تكفيه إياها ، كما قال :

فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمُهَجَ الْعُوَالِي وَحَمَلَتْهُمُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَا

وقد رورى ابن جني لتخوضن ، ليخوضن ، ثم قال ؛ طال الكلام بيني وبينه أى -
المتنبى ؛ فى قوله : ليخوضن ، فقال - أى المتنبى - هو مثل قولى ؛ وقلنا السيوف هلمن -
بضم اليم - . وذلك أنه لما وصفها بالمخالفة أجراها مجرى من يعقل مثل الجماعة المذكرين ،
وؤيده قوله تعالى ؛ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم « وقوله « وكل فى فلك يسبحون »
وقوله جل شأنه ؛ « ورأيتم لى ساجدين » كل هذا أجرى مجرى من يعقل لماخوطف وأخبر
عنه بالسجود والسباحة ، والأفعال فى الأكثر إنما تكون لذوى العقل ، لأن كل ذى عقل
يصح منه الفعل ، وما ليس من ذوى العقول وإنما يصح الفعل من بعضه كالفرس ونحوه ، ومنه
ملا يصح منه الفعل كالدار وشبهها مما ليس فيه روح ، فأحراق النار لما وقع فيها ليس بفعل
لها فى الحقيقة ، وإنما هو فعل الله تعالى ، وهذا يعرفه أهل الكلام . انتهى كلام ابن جني
مضافا إليه العكبرى .

(٢) يقول : وحالفته صدور الخيل والرماح على أن تفعل ما عجز سه غيرها ؛

وقوله حيث لا يجد الرمح الخ : أى فى مضايق الحرب التى لا يجد فيها الرمح مداراً
لشدة المحالفة ولا الحصان مجالاً لكثرة المزاحمة ، قالوا : وكان الوجه أن يقول :

(١) يصف ثورين وما يثيران فى عدوها من النبار ؛ وبعده :

تطوى إذا علوا مكانا جاسياً وإذا السفابك أسهلت نشرها

(٢) الرازقى هنا : الكتان نفسه ؛ والرازقى أيضاً : ثياب يفض من الكتان .

لَا أَلُومُ ابْنَ لَأُونِ مَلِكِ الرُّومِ وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالًا (١)
 أَفَلَقْتَهُ بِنَيْبَةٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَبَانَ بَعَى السَّمَاءِ فَنَالَا (٢)
 كُلَّمَا رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبِنْسِيُّ فَفَطَّيَ جَبِينَهُ وَالْقَدَالَا (٣)
 يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقَالِبَ وَالْبُلْفَرَ فِيهَا وَيَجْمَعُ الْأَجَالَا (٤)

ولتحضين ، كما تقول : حلفت هند لتقومن ؛ وقد أجاز الكوفيون حذف الياء في مثل هذا ، فيقال : حلفت هند لتحضن لسكونها وسكون النون بعدها - ولم تحرك الياء بالفتح ، وكان ممكناً أن يقول : وليضين - بالياء دون توكيد . هذا : الحصان : الفحل من الخيل ؛ والجمع : حصن ؛ وسمى الفرس الذكر حصاناً قيل لأنه ضن بجائه فلم ينز إلا على كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سوا كل ذكر من الخيل حصاناً ، وقيل مشتق من الحصانة ، لأنه محرز لفارسه ، والعرب تسمى الخيل حصوناً . وسئل بعض الحكام عن رجل جعل ماله في الحصون ، فقال اشترى خيلاً واحملوا عليها في سبيل الله .

ذهب إلى قول الجعفي :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ حَلِيَّ تَوَقَّى الرَّدَى أَنْ الْحِصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدْرُ الْقُرَى

(١) يقول : لا ألووم ملك الروم على تمنيه محالاً من تخريب هذه القلعة ، وذلك أن ملك الروم كان قد قصد حصن الحداث طلباً لغرة سيف الدولة ثم بين حيناً عدم اللوم فيما يلي .

(٢) البنية : بمعنى البنية ، يريد القلعة ، وبين أذنيه ، صفة لبنية . وبني : طلب . يقول : أفلقت ملك الروم هذه القلعة التي بناها سيف الدولة وهي من ثقلها عليه كأنها على رأسه وقفاه ، وأقلقه بانيتها - يعني سيف الدولة - الذي بنى أن ينال السماء فنالها علواً وعزة ، أي أن ملك الروم العذر في محاولته تخريبها لذلك .

(٣) رام : طلب ؛ وحطها : إزالتها . والبني : مصدر كالبناء ؛ والجبين : ناحية الجهة من محاذاة الزرعة إلى الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجهة وشمالها ، فتكون الجهة بين جبينين : والقذال مؤخر الرأس ، وهو ما بين جنبتي القفا . يقول : كلما أراد ملك الروم إزالتها عن رأسه اتسع بناؤها فازداد ثقلها فغشى الجبين والقذال ، وهذا مثل ، يريد أن سيف الدولة كلما زادها توثيقاً وسعة ازداد مضى ملك الروح وغيظه .

(٤) فيها : أي في نواحيها وجوانبها : أي يجمع هؤلاء لهدمها بهم وتجمع أنت أحاطهم إذ تاتيتهم فقتلهم .

وَتَوَافِيهِمْ بِهَا فِي النَّفَاةِ الشُّرَكَاءَ وَافَتِ الْعِطَاشُ الصَّلَاةَ^(١)
قَصَدُوا هَدْمَ سُورِهَا فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَنِي يُقَصِّرُوهُ فَطَالَا^(٢)
وَأَسْتَجَرُوا مَكَائِدَ الْحَرْبِ حَتَّى
تَرَكَوْهَا لَهَا عَلَيْهِمْ وَبِالْآلِ^(٣)
رُبَّ أَمْرٍ أَتَاكَ لَا تَحْمَدُ الْفَقَا لَ فَيَدُ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَ^(٤)
وَقَسَى رُمَيْتَ عَنْهَا فَرَدَّتْ فِي قُلُوبِ الرَّمْلَةِ عَنكَ النَّصَالَ^(٥)

(١) توافيهم : تأتيهم ؛ وبها : أى بالآجال . والصلال : جمع صلة ، وهى الأرض التى أصابها مطربعين أرضين لم تمطرا . يقول : وتأتيهم بأجلهم ومناياهم فى الرماح وهى ظامئة إلى دمائهم ، أى تسرع إليهم إسراع العطاش إلى الأرض المبطورة
(٢) يقول : لما قصد الروم هدمها بثوا سيف الدولة على إتمام بنائها ، فكان قصدهم إلى الهدم والتقصير سببا لبنائها وإطالته .

(٣) الضمير فى « لها » للقلعة . والمراد بمكاييد الحرب : آلاتها . والوبال : الشدة . يقول : جروا آلات الحرب إلى القلعة ثم انهزموا عنها وتركوا هذه الآلات لها فكانت وبالا عليهم ، لأن أهل قلعة الحدث لما هرب الروم تعقبهم وأخذوا معهم ما تركوه من السلاح وحاربهم مستعينين على قتلهم به .

(٤) الفعال هنا : هم الروم الذين جلبوا آلات الحرب ، وفعالهم حملهم إلى القلعة المكاييد والآلات ، وهم الروم - غير محمودين لأنهم أعداء المسلمين ، أما أفعالهم - وهى جلبهم آلات الحرب إلى القلعة - فهى محمودة فى العاقبة لأنهم لو لم يجلبوها لما ظفر بها المسلمون وكانت عوناً عليهم .

(٥) قسى : جمع قوس على القلب ، وهو معطوف على أمر . يقول : ورب قسى ترمى عنها السهام فترتد على رامها . يريد السلاح الذى حملة الروم لقتال المسلمين ، فلما هربوا وأخذ المسلمون سلاحهم قاتلهم به ورموهم بالسهم عنك ، فكان ذلك وبالا على الروم قال ابن وكيع - وأنت تعلم تجنى هذا ابن وكيع دائماً على المتنبي - : هذا البيت هو من قول القائل :

قَوْمِيْ هُمُ قَتَلُوا - أَمِيْمَ - أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي^(١)

فقوله فردت الخ : تقديره فردت عنك النصال فى قلوب الرماة الذين كانوا يرمونك

(١) أخى : مفعول « قتلوا » ؛

أَخَذُوا الطَّرِيقَ يَقْطَعُونَ بِهَا الرُّسُلَ

- حَلَّ فَكَانَ انْقِطَاعُهَا لِإِسْرَائِيلَ (١)
 وَهُمْ الْبَحْرُ ذُو الْعَوَارِبِ إِلَّا أَنَّهُ صَارَ عِنْدَ بَحْرِكَ الْآلِ (٢)
 مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلَكِنَّ الْقِتَالَ الَّذِي كَفَاكَ الْقِتَالَ (٣)
 وَالَّذِي قَطَعَ الرَّقَابَ مِنَ الضَّرْبِ بِكَفَيْكَ قَطَعَ الْآمَالَ (٤)
 وَالثَّبَاتُ الَّذِي أَجَادُوا قَدِيمًا عَمَّ الثَّابِتِينَ ذَا الْإِجْفَالَ (٥)

(١) يقول: أخذوا الطرق ليقطعوا الرسل عن النفاذ إلى سيف الدولة فلا يبلغه الخبر أنهم يقصدون قلعة الحدث، فلما أبطأت الأخبار وتأخرت عن عادتها تطلع سيف الدولة لما وراء ذلك فوقف على جلية الأمر فسار إليهم مسرعا، فكان انقطاع الرسل عنه كأنه إرسال، وهذا كقوله السالف.

* قَصِدُوا هَذَمَ سُورِهَا فَبَنَوُهُ *

(٢) العوارب: أعلى الأمواج، جمع غارب. والآل: ما تراه في أول النهار وآخره كالسراب. يقول: هم كالبحر اللامع نوافرا وكثرة، إلا أنهم اضمحوا أمام جيوشك فصاروا كالآل، يعني أن شأنهم يتلاشى عندك، وإن جل وعظم.

(٣) «ما» نافية. ولم يقاتلوك: حال. يقول: ما انهزموا عنك غير مقاتلين ولكن القتال الذي قاتلتهم قبل هذا كفاك القتال الآن، يعني أنهم قد بلوك قبل هذا فأشعرت قلوبهم الرعب وخافوك الآن فانهزموا ومضوا؛ وعبارة العكبرى: ما مضوا غير مقاتلين لجيشك ولا ولوا غير متيقنين لأمرك، ولكن القتال عند التأمل ما أسكنت وقائمك قلوبهم من الهيبة وأودعها من الخافة، حق صار اسمك يهزم عساكرهم، وذكرك يثني عزائمهم.

(٤) يقول: إن السيف الذي قطع رقاب إخوانهم من قبل قطع آمال هؤلاء من الظفر بك فتركوك وهربوا.

(٥) الإجفال: الإسراع في الهزيمة. يقول: إن الأولين منهم أجادوا الثبات في الحرب فلم يغب عنهم وأدى إلى هلاكهم، فعلم ذلك الثبات هؤلاء أن يفروا منك خشية أن يجل بهم ما حل بالذين سبقوهم. قال الواحدي: يريد بهذه الآيات أن يبين أن أهل الروم شجعان أهل للحرب ولكنهم لا يقاومونك، ولك الفضل عليهم، فيكون هذا أمدح له.

تَزَلُّوا فِي مَصَارِعٍ عَرَفُوهَا يَنْدُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَ (١)
 تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعْرَ أَلْهَاءٍ وَتُنْذِرِي عَلَيْهِمِ الْأَوْصَالَ (٢)
 تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لَدَيْهَا وَتُرِيهِ إِكْلَ عَضْوٍ مِثْلًا (٣)
 أَبْصَرُوا الطَّنَّ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكًا
 قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرَّمَاحَ خِيَالًا (٤)

(١) يقول : نزلوا في الأماكن التي قتلت فيها أقباءهم فلما نظروا إليها عرفوها
 فذكروهم فبكوا عليهم . وتمثلوا هذه الحال في أنفسهم وتوقعوا أن يحل بهم ما يشبهها ؛
 والمصارع : جمع مصرع ، وهو اسم مكان من صرعه ، إذا طرحه على الأرض .

(٢) الأوصال : جمع وصل - بالضم والكسر - وهو العضو . والهام : الرأس .
 وتذري : تنذر وتفرق . تقول ذرا يذرو ، وذرا يذري ، وأذري يذري ، يريد : لم
 يبعد عهد ذلك المكان بالقتل ، فشعور القتلى وأعضاؤهم لا تزال باقية هناك تحملها
 الريح وتلقيها عليهم فيفرزعهم ذلك فينزعجون ويهربون .

(٣) يقول : إن تلك المصارع تنذرهم الإقامة بها إذ تريمهم لكل عضو منهم عضواً
 من القتولين . قال العسكري : ويجوز أن يكون الضمير في تنذر للأوصال ، قال : والمعنى
 تنذر الأوصال ، الجسم بأن يصير مثلها ويقيم لديها في مثل حالها وتريه لكل عضو من
 أعضائها مثلاً شاهداً ؛ ونظيراً حاضراً . قال : وأشار بذلك إلى وقعة سيف الدولة على
 الروم عند بناءه الحدث وقد وصفها في قوله :

* على قدر أهل العزم تأتي العزائم *

ولم تكن بعيدة من هذه الوقعة ، فلما أشرفوا على موضع تلك الوقعة ذكروا
 عظم تلك البلية أشفقوا من أن يعاودهم سيف الدولة بمثلها فولوا مدبرين .

(٤) في القلوب : صلة الطعن ؛ ودراكا متتابعاً ، وخيالا : متخيلاً ، وهما حالان
 من الطعن ؛ وفي البيت تقديم وتأخير ؛ والتقدير : أبصروا الطعن في القلوب دراكا
 خيالاً قبل أن يبصروا الرماح ، يعني ؛ لشدة خوفهم منك وتصورهم ما صنعت بهم قديماً
 وأوا الطعن متداركاً متتابعاً في قلوبهم تخيلاً قبل أن يروا الرماح حقيقة ؛ وقال الخطيب
 التبريزي : اعتبر المتأخرون - أي من الروم - بالتقدمين - منهم - فكأنهم تخيلوا
 الطعن دراكا وبينهم وبين من يطلبهم مسافة بعيدة ففروا قبل أن ينظروا إلى خيال الرماح

وَإِذَا حَاوَلْتَ طِمَآنَكَ خَيْلٌ أَبْصَرْتَ أَذْرُعَ الْقَنَا أُمِيالاً^(١)
 بَسَطَ الرَّعْبُ فِي الْيَمِينِ يَمِينًا ، فَتَوَلَّوْا ، وَفِي الشَّمَالِ شِمَالًا^(٢)
 يَنْفُضُ الرَّوْعُ أَيْدِيًا لَيْسَ تَدْرِي أُسُوفًا حَمَلْنَ أُمَّ أَعْلَالَ^(٣)
 وَوُجُوهًا أَحَافَهَا مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكْتَ حُسْنَهَا لَهُ وَالْجَمَالَ^(٤)

(١) القنا : عيدان الرماح ، والحيل ، يريد بها الفرسان ، يقول : إذا أرادت جيوش الأعداء طمانك خيل إليهم الرعب وشدة الخوف أن الذراع من رماحك ميل فتوقعوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا على أميال ؛ ومن غريب التفسير ماذهب إليه بعضهم من أن المراد بالقنا القنا الذين يحاولون الطمان ، قال ، وللعنى أنهم كلما حاولوا طمانك برماحهم استطالوها فرأوا أذرعها أميالا ؛ أي أنها تتقل عليهم جينا وخوفا منك ، (٢) يعني أن الرعب - الخوف - شاع فيهم وعمهم حتى كأنه بسط يمينه في ميعنة جيشهم وشماله في ميسرته فتولوا هاربين ، وقال ابن الأقلبي : المعنى بسط الرعب في أيديهم أيديا مثلها تمنعها من البطش فولوا مخذولين وهذا ضد قول الآخر :

إنا وجدنا بني جَلَانٍ كَلَّمُهُمْ كَسَاعِدِ الضَّبِّ لَا طُولَ وَلَا قِصَرَ

(٣) الروع : الخوف والفرع ؛ والأغلال : جمع غل ، القيد ، يقول : أثر فيهم الخوف حتى ارتعدت أيديهم فلا تقدر على الضرب كأن السيوف التي في أيديهم أغلال لها وعبرة بعض الشراح : يرعش الخوف أيديهم فصارت في قلة الغناء وإن كان فيها سيف - بمنزلة الأيدي المغلولة وعبرة العكبري : ينفذ الفزع من أيديهم السلاح فيسقط ، ويسلبهم إياه الذعر فيذهب ، حتى كأن سيوفهم في أيديهم أغلال وموانع تمنعهم من التصرف بها وهو من قول جرير في الفرزدق :

ضربتَ به عند الإمام فأرْعِشَتْ يداكَ فقالوا مُحَدِّثٌ غيرُ صَارِمٍ

(٤) وجوها : عطف على أيديا - من جهة اللفظ ، لامن جهة المعنى - لأنه لا يريد ينفذ وجوها ؛ والمعنى يغير وجوها : أي يغير ألوانها بأن يورثها صفرة ، فهو من باب :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الرَّعْيِ مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا

يقول : ويغير الروع وجوهاً تمتع وتصفر وتكلح ويذهب بجمالها الذعر قد أخافها منك وجه طلق نصير ، أحرز غايات الحسن وغلبها على الجمال ، فالحسن والجمال لوجهك . لا لها ، إذ سلها الخوف حسنها فانحاز إلى حسنك فتضاعف جمالك ونصرتك .

وَالْعِيَانُ الْجَلِيُّ يُحَدِّثُ لِلظَّنِّ زَوَالًا وَلِلْمَرَادِ انْتِقَالَ (١)
 وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضِ طَلَبِ الطَّمَنِ وَحَدَهُ وَالنَّزَالَ (٢)
 أَقْسَمُوا لَا رَأُوكَ إِلَّا بِقَلْبٍ طَالَمَا غَرَّتِ الْعِيُونَ الرَّجَالَ (٣)
 أَيْ عَيْنٍ تَأْمَلْتِكَ فَلَا قَتْلَكَ وَطَرْفٍ رَنَا إِلَيْكَ فَالَا (٤)

(١) يقول : كانوا يظنون أنهم يقدرون على قتالك فلما قصدوا محاربتك انهزموا وعابنوا قصورهم عنك ، فأزال العيان ما كان الظن يحدث لهم ، وانتقل ذلك المراد القدى كانوا يريدونه من محاربتك .

(٢) هذا كما تقول العرب في أمثالها :

كلُّ مُجْرٍ فِي الْخِلَاءِ يُسِرُّ *

أى إذا أجرى الإنسان فرسه وحده سر بجريه ، فإذا قاربه مثله ذهب سروره . يقول المتنبي : إن الجبان - والجبان ضد الشجاع - إذا كان وحده منفرداً يحس من نفسه شجاعة ، ويظن عنده غناء ويطلب الطمان والنازلة ، يريد أن الروم شجعاء مالم يروك . وقوله وحده : في موضع نصب على الحال ؛ أى منفرداً . والنزال في الحرب : أن يتنازل الفريقان . وفي المحكم أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا ، ونزال مثل قطام ، بمعنى انزل ، وهو معدول عن النازلة ، ولهذا أنه زهير في قوله :

وَلَتَنِعَمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ نَزَالَ وَلُجَّ فِي الذُّعْرِ

(٣) إلا بقلب : أى إلا والقلب معهم و «ما» من قوله «طالما» : مصدرية ، والجملة استئناف . يقول : حلفوا ليحضرن عقولهم وليعلمن أفكارهم في قتالك ، ثم قال : طالما غرت العيون الرجال : أى كذبهم عنك كثيراً ما رأوه بعيونهم مما يوهمهم أن في مكنتهم محاربتك ؛ أو تقول : لما امتحنوا بأسك وعابنوا أفاعيلك علموا أن عيونهم غرتهم قبل ذلك وأطمعتهم في مقاومتك ، وحينئذ بطل اعتمادهم على رؤية العيون واعتمدوا على رؤية القلب : أى صاروا يرجعون في الرأى إلى ما علموه بقلوبهم وعقولهم من قوة بطشك ، لا إلى ما يرون من كثرة عددهم وأحلافهم . قال الواحدي : ولا تناقض بين قوله غرت العيون الرجال وبين قوله والعيان الجلى ، لأن قوله غرت العيون : أى قبل التجربة ، وأما ذاك فإنما يعنى بعد التجربة .

(٤) لاقتك : من اللقاء ؛ والطرف : العين ؛ ورنا إليه يرنو رنوا : إذا أدام النظر وسنعود إلى توفية مادة «رنا» حقها بعد شرح البيت ؛ وآل : رجع . يقول : إن العين التي تأملتك لا يجترى صاحبها على ملاقاتك ومواقفتك لما يرى من هيبتك وأفعالها .

مَا يَشْكُ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الْجَيْشِ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجَيْشَ نَوَالًا^(١)

وإذا رنت إليك وأدامت النظر لم يجترئ صاحبها على العود إليك خوفا ورهبا؛ وهنا يقول الواحدى : هذا متناقض الظاهر ، لأنه أنكر أن تديم عين النظر إليه في المصراع الأول ، وأنكر في الثانى أن يعود طرف رنا إليه ولم يشخص ، ثم قال : لعل هذا يحمل على عيون الأعداء والأولياء ؛ فعين المدولا تديم النظر إليه هية له ، وعين الولى تحير فيه وتبقى شاخصة ، فلا ترجع إلى صاحبها . وقال فى لا تكتك : إنه من لاق الشيء والأقاه إذا أمسكه ، ثم قال : وهذا بما لم يتكلم فيه أحدمن الشراح . وما أعرف ما علق العكبرى على كلام الواحدى هذا ، قال العكبرى : وصدق الواحدى فى قوله ، لان أحدا من الشراح لا يستحسن أن يقول مثل هذا . ولنمد بعد هذا إلى «رنا» ؛ قال الجوهرى : يقال أرناى حسن ما رأيت . أى حملنى على الرنو ، أى إدامة النظر ، ومن هذا يقال كأس رنونة أى دأمة على الشرب ساكنة ووزنها فعلمة ؛ قال ابن أحرر :

مدت عليه الملك أطناها كأس رنونة وطرف طمر^(١)

(١) اللعين : يعنى ملك الروم ، والنوال : العطاء ، وهو حال . وقوله فهل يبعث الجيوش نوالا : هو استفهام تجهل ، لأنه علم أنه لا يبعث الجيوش نوالا ، لكن لما

(١) قبل البيت :

إن امرأ القيس على عهدِه
وأول الشعر :

قد بكرت عاذلتى بمكررة

وإنما العيش بربانِه ،

ومنها :

إن الفتى يقتر بعد العنى

والحى كالميت ويبقى التقى ،

قوله : وإنما العيش بأوله وجدته أزمان أنت من أفنانه أى من نواحيه واحدها فنن -

مقتفر ؛ أى واجد ماطلبت ، يقال خرج فلان فى طلب إبله فاقتر آثارها ؛ أى وجد آثارها فاتبعها . وقوله مدت عليه الملك الخ ؛ أراد مدت كأس رنونة عليه أطناها الملك ، فذكر الملك ثم ذكر أطناها ، وفى اللسان أبيات غير ما ذكرنا من هذا الشعر فانظره

مَا لِمَنْ يَنْصِبُ الْحَبَائِلَ فِي الْأَرْضِ وَمَرَجَاهُ أَنْ يَصِيدَ الْهَلَالَ^(١)
إِنَّ دُونََ السَّيِّئِ عَلَى الدَّزْبِ وَالْأَحْدَبِ وَالنَّهْرِ مَخْلَطًا مِزْيَالًا^(٢)

كانت الحالة توجب هذه الشبهة قال ذلك . يقول : إن كل جيش يبعث إليك تغنمه وتأتي عليه لا محالة ، فهل يبعث الجيوش إليك لتأخذها وتكون عطاء لك ؟ أى ليس لإرسالها معنى إلا هذا . وهذا مثل قوله :

* وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هدى *

(١) ما : استفهام تعجب مبتدأ ، والخبر : الظرف بعده ، والحبال : جمع حباله ، وهى الشرك ، ومرجاه : مصدر ميمي : أى ورجاؤه . والواو : واو الحال . يقول : ما لهذا الذى ينصب فى الأرض حباله ورجاؤه أن يصيد الهلال ؟ وهذا استفهام تعجب ، يتعجب من حماقة من يفعل هذا ، وهذا مثل يريد به امتناع سيف الدولة عليه وبعده من أن تتاله يد وأن من يبعث إليه الجيوش طمعا فى الظفر به كمن يروم صيد الهلال بحباله ينصبها فى الأرض .

(٢) الدرب : الدخلى إلى بلاد الروم ، ولكنه هنا موضع بعينه ، والأحدب : جبل قرب حصن الحدث ، والنهر : موضع قرب الحصن المذكور ، ويقال رجل مخلط مزيل ومخلط مزيال : يخالط الأمور ثم يزِيلها - أى يفارقها - إلى غيرها ، يوصف به الشجاع الداهية ، وقد وصفوا به الفرس إذا طلبت الحيل الفارة خالطها ، وإذا طلبته وجدته مزيالا لاناقله ، قال أبو داود الأيادى :

مَخْلَطٌ مِزْيَالٌ مِكْرٌ مِفْرٌ أَجْوَلِيٌّ ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيحٌ^(١)

ويريد بالتي على الدرب والأحدب والنهر : قلعة الحدث . يقول : إن دون الوصول إليها رجلا هذه صفته ، يعنى سيف الدولة ؛ وعبارة العكبرى : هذه القلعة دونها ودون الوصول إليها رجل مخلط مزيال كثير الخالطة للأمور يخالطها ثم يزِيلها يحمى حریمها ويقاتل الأعداء عنها ، أو دونها ملك مقتدر مزيال عن أطراف بلاد ، فهو يثق بما يحمىها من هيئته ، مخلط بالأعداء فيها عند قصدهم لها ، سريع لا يتوانى فى سطوته ، فهو وإن بعد أدنته منهم قوته . . .

(١) أجولى : من الجولان فى الحرب . والميعة : النشاط . والإضريح : الجواد الشديد العدو - الجرى -

غَصَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا، فَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالًا^(١)
 فَهِيَ تَمْشِي مَشَى الْعُرُوسِ اخْتِيَالًا
 وَتَتَنَّى عَلَى الزَّمَانِ دَلَالًا^(٢)
 وَحَمَاهَا بِكُلِّ مُطَرِّدٍ الْأَكْرُ^(٣) مُبِ جَوَزِ الزَّمَانِ وَالْأَوْجَالِ^(٤)
 وَطَبِي تَعْرِفُ الْحَرَامَ مِنَ الْحِلِّ لَ فَقَدْ أَفْنَتِ الدِّمَاءَ حَلَالًا^(٥)

(١) يقال غصبه على كذا أى قهره عليه . وخالا : حال : أى شبيهة بالخال . يقول إنه استنقذها من أيدى الدهر والملوك وبنهاها ، فكانت خالا فى وجنة الدهر ، فكان الدهر تزين بها كما تزين الوجه بالخال . وقال الواحدي : يجوز أن يريد الشهرة كشهرة الخال فى الوجه ويجوز أن يريد ثبوتها ورسوخها ، فيكون كقول مزرد بن ضرار أخى الشاعر :

فمن أزمه منها بسهم يُلحُح به كشامة وجه ليس للشام غاسل

وعبارة العكبرى يقول إنه بناها فى وجه الدهر كخال الذى يزين به الوجه مع مخالفته للونه ويمسحه مع ما ثبت فيه من حسنه ؛ يعنى أن هذه المدينة قد جل قدرها فكان الدهر زين بها وجهه ووسم برفعها نفسه ، وهى استعارة حسنة .

(٢) اختيالا ودلالا : حالان أو مفعول لهما ، والاختيال : الزهو ، والتكبر وتتنى - محذوف إحدى التائين - أى تتنى . والدلال : الشكل والفتج من دلال المرأة : أى تدللها على زوجها ، وذلك أن تربه جراءة عليه فى تفتيح وتشكل كأنها تخالفه ، وليس بها خلاف ؛ لما شبهها بالروس - لحسنها - جعلها تمشى اختيالا وتتنى دلالا . يقول لو كانت هذه القلعة تمشى لا ختالت فى مشيها عزة وتكبرا ولتدلت على الزمان ، إذ لم يقدر الزمان على إصابتها بسوء والمراد أنها فى عز ونعيم بسيف الدولة .

(٣) المطرد : المتصل الذى لا عوج فيه . والأكعب ؛ العقد التى تكون بين أنابيب الرمح . والأوجال ؛ المخاوف ، جمع وجل ، وهو الخوف والفرع يقول ؛ ذاد العدو عنها بالرمح فخاها بذلك من ظلم الزمان ومخاوفه .

(٤) وطبي ؛ عطف على كل - فى البيت السابق - والطبي ؛ جمع طبة ، طرف السيف وطرف السهم ، قال بشامة النهشلى :

إذا الكأمة تنحوا أن ينالهم حدُّ الطبابة وصلناها بأيدينا

وأصل الطبة ؛ طبو - بوزن صرد - فحذفت الواو وعض منها الماء ، والجمع طبابة وطبون . يقول ؛ وحماها بسيف لا يقتل بها إلا من حل دمه . يعنى الهجوم

فِي خَمِيسٍ مِنَ الْأَسْوَدِ بَيْسٍ يَفْتَرِسُنَ النَّفُوسَ وَالْأَمْوَالَ^(١)
إِنَّمَا أَنْفُسُ الْأَنْبِيَاءِ سَبَاعٌ يَتَفَارِسُنَ جَهَنَّمَ وَأَغْتِيَالَ^(٢)
مَنْ أَطَاقَ التَّمَّاسَ شَيْءٌ غَلَابًا ، وَأَغْتَصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُوءًا^(٣)
كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْفَضْفَضَ الرَّثْبَالَ^(٤)

* * *

وأشباههم من المعادين ، ونسبة التمييز بين الحرام والحلال إلى السيف مجاز ، إذ الذي يميز بينهما في الحقيقة هم أصحاب السيف . وقال ابن جنى ؛ هذا مثل ضربه ؛ أي سيوفه معودة الضرب ، فهي تعرف - بالدربة - الحلال من الحرام ، وقد رد عليه ابن فورجة قال : العادة والدربة ليست كما يعرف به الحلال والحرام من الناس ، فكيف فيما لا يعقل ؟ وإنما يعنى المتنبي أن سيف الدولة غاز للروم فلا يقتل إلا كافرًا قد حل دمه فنسب ذلك إلى سيوفه .

(١) الخميس : الجيش العظيم ، سمي بذلك قيل لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب واليمين واليسرة والساق ، وقيل لأنه يخمس ما يجد : أي يأخذه . والبئس : الشديد ذو البأس . وقوله والأموال : أي وينتهن الأموال ، فهو من باب * علقها تبتاً وماءً بارداً * كما تقدم ، ولما جعل الخميس من الأسود قال يفترسن ، دون يفترس .

(٢) أراد بالأنيس - الذي معناه المؤانس - الأنس ، خلاف الوحش ، ويتفارسن : يتقاتلن ، والاغتيال : القتل بالحديعة أو أخذ الإنسان من حيث لا يدرى ، جعل الناس كالسباع - وهي الحيوانات المفترسة - لوجود الاقتراس منهم في الحالين ، مجاهرين ومفتالين ، والبيتان التاليان تأكيد لهذا .

(٣) غلاباً : مغالبة . والاعتصاب : الأخذ بالقهر . يقول : من أمكنه أن ينال من الناس شيئاً غلبة وقهراً لم يتكلف أن يناله بذل السؤال ، قال العكبري : وهذا من قول الحكم : الغلبة طبع الحياة ؛ والسألة طبع الموت ، والنفس لا تحب الموت فلذلك تحب أخذ الشيء بالغلبة .

(٤) غاد - في الأصل - ذاهب غدوة ، والمراد هنا : مطلق الذهب ، أي وقت كان في الضنفر والريبال : من أسماء الأسيدي ، وجعل الريبال وصفا للضنفر مبالغة كأنه قال : الأسد الشديد : يقول : كل غاد منهم لحاجته يود لو أنه أشد بأساً وقوة ليتناول ما يريد من يأسه وأيده . قال العكبري : يشير بهذا إلى أن الروم لم يفروا من بين يدي سيف الدولة أنفاً ومكارهة وإنما كان فرارهم فرقا ومحاذرة ، لأن طبائع البشر أن يستعملوا فيما يطلبونه غاية قوتهم ، وأن يقاوموا ذلك بأبلغ قدرتهم .

وأنفذ إليه سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة ومعه هدية ، وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقه كافوراً ، فقال : بمدحه ، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة :

مَالَنَا كُلُّنَا جَوِيٌّ يَا رَسُولُ أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ الْمَتَّبُولُ^(١)
 كُلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثَتْ إِلَيْهَا غَارَ مِنِّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ^(٢)
 أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنًا
 هَا ، وَخَانَتْ قُلُوبُهُنَّ الْعُقُولُ^(٣)
 تَشْتَكِي مَا أَشْتَكَيْتُ مِنَ أَلَمِ الشُّوقِ
 قِي إِلَيْهَا وَالشُّوقُ حَيْثُ النَّحُولُ^(٤)

(١) كلنا جو : مبتدأ وخبر ، والجملة حالية ، والجوى : الذى أصابه الجوى ، وهو الحرق في القلب من حزن أو عشق . والمتبول . الذى هيمه الحب وأفسده وأسقمه ؛ يهتم رسوله الذى أرسله إلى الحبيبة بشاركته إياه في حبا . يقول : مالنا أيها الرسول كلانا جو مجها فأنا الوامق العاشق ، وأنت الرسول قد ملك عليك الحب قلبك ، فما لك تشبهى فيما ألقاه وأقاسيه ؟

(٢) يقول : كلما عاد إلى الرسول من عندها غار منى عليها لأنه رأى حسنها وافتتن مجها . فحمله ذلك على الغيرة وخان فيما يؤدي من الرسالة إلى منها وإلها منى (٣) الضمير في قلوبهن : يعود إلى العقول ، أى وخانت العقول قلوبهن ، أضمر قبل الذكر ، كما تقول لبس ثوبه زيد ، يقول : أفسدت على عينها بسحرها أمانة الرسول حتى ترك الأمانة في الرسالة حبا لها وحتى خانت العقول قلوبها : أى فارقت العقول القلوب بسببها قال الواحدى : ومعنى خيانة العقول أنها لا تصور للقلوب وجوب حفظ الأمانة لأن الرسول إذا نظر إليها غلبه هواها على الأمانة وغلب عقله ، وهذا كقوله :

وما هى إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رحلَ العقلُ

(٤) قوله من ألم الشوق : يروى من طرب الشوق ؛ والطرب : خفة تحدث عند الفرح والحزن ، يقول : إن الحبيبة تشكو من الشوق إلى مثل ما أشكوا إليها ، ثم كفى عن تكذيبها في تلك الشكوى فقال : والشوق حيث النحول ، يعنى أن للشوق دليلا من النحول ، فمن لم يكن ناحلا لم يكن مشتاقا ، يعنى أن نحولى يدل على شوقى ، أما أنت فلا نحول ، وبالحرى : لاشوق ، وقال ابن الأقلبي : الضمير في «تشتكى» للرسول ، يقول

وَإِذَا خَامَرَ أَلْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ ، قَمَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلٌ^(١)
 زَوَّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مَا دَا
 مَ فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ تَحْوُلٌ^(٢)
 وَصَلِينَا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ^(٣)

لرسوله - وهو يعاتبه أنت تظهر من شكوى الحب ما أظهره ، وليس كذلك ، وإنما الشوق على حقيقته التحول ، قال بعض الشراح : والأظهر على هذا التفسير أن الاشتكاء هنا بمعنى التألم والتوجع دون الإظهار لأنه لا يتصور من الرسول أن يبوح له بهواها : أى أرى بك من الشوق إليها مثل ما أبى لأنك ناعل والتحول يدل على الشوق ، وهذا كالأبيات لما يتهمه به من حبا ، هذا وقوله «حيث التحول» فالتحول مبتدأ ، خبره محذوف ، تقديره موجود ، لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل

(١) خامر : خالط ولابس ؛ والصب : العاشق ؛ والبيت : تأكيد للبيت السابق : أى كل من يراه يستدل برؤيته على أنه عاشق ، وعبرة العكبرى : إذا خالط قلب محب هوى من محبه فلكه واستولى عليه وغلبه فما يظهر من تغير حاله ، وتبين من تشتت باله ، دليل لكل عين على ما يضره ، ومخبر على ما يحبه ويستره

(٢) ما دام ههنا تامة بمعنى ما ثبت ، وتحول تغير وتبدل ، أى زودينا من حسن وجهك غير معرضة ، ومتعينا بالنظر إليه غير مخيبة ، فحسن الوجوه حال تذهب وتحول ويتبدل جمالها ويوزل ، لأن الشيبية يتلوها الكبر ، والاقبال يعقبه التغير والمهرم

(٣) نصلك : جواب الأمر ؛ والمقام : مصدر ميمي بمعنى الإقامة ، وقالوا المقام - بالضم والفتح - كل واحد منهما قد يكون بمعنى موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم ، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم النيم لأنه مشبه بينات الأربع نحو دحرج ، وهذا مدحرجنا وقوله تعالى « لا مقام لكم » أى لا موضع لكم ؛ وقرئ « لا مقام لكم » - بالضم - أى لا إقامة لكم « وحسنت مستقرا ومقاما » : أى موضعا ، وقول لبيد :

عَفَّتِ الدِّيَارُ حَلْهَا فَمَقَامُهَا بِيَمْنَى تَأْبَدُ غَوْهَا فِرْجَامُهَا^(١)

(١) عملها : أى ما حل فيه لأيام معدودة ؛ ومقامها : ما طالت الإقامة به ، و« منى » هنا موضع غير « منى » الحرم ، وتأبد توحش ؛ والقول والرجام جبلان ، والضبير فيها : للديار .

مَنْ رَأَاهَا بَعَيْنَيْهَا شَاقَهُ الْقَطَا نُ فِيهَا كَمَا تَشُوقُ الْحُمُولُ^(١)
إِنْ تَرَيْنِي أُدِمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ فَحَمِيدٌ مِّنَ الْقَنَاةِ الذَّبُولِ^(٢)

يعنى الإقامة ، وقوله عز وجل «كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم»
قيل المقام الكريم : هو المنبر ، وقيل المنزلة الحسنة ،

(١) بينها : أى بين الدنيا ؛ والقطان : السكان المقيمون ؛ والحمول المرتحلون
المتحملون ، يقول : من نظر إلى الدنيا بالعين التى يبنى أن ينظر بها إليها رقى للباقيين
لقلة مقامهم ووشك فراقهم رفته للماضين الفانين ، أى من عرف الدنيا حق معرفتها يتيقن
أن أهلها راحلون - لا عمالة - فلم يجد بين المقيم والراجل فرقا ، فهذا يشوقه : أى
يستدعى رفته ، وهذا يشوقه لأن الرحيل قد شملهما ، وقد كفى عن الرقة بالشوق لأن
الشوق رقة القلب ، وعبارة بعض الشراح : إن المقيم فى الدنيا على وشك تخليتها
والرحيل عنها ، فمن رآها بعينها أى من صور نفسه فى مكانها ورأى أهلها على أهبة
فراقها : شاقه النظر إليهم ، كما يشوقه النظر إلى حمول الراحلين ، وقد فسرنا الحمول
بالتحملين الراحلين ، ولكن الحمول فى الأصل : الإبل عليها الهوادج والانتقال ،
وهى أيضا الهوادج ، كان فيها النساء أو لم تكن ، وتطلق الحمول أيضا على النساء
المتحملات كقول معقر :

أَمِنْ آلِ شَتَاءِ الْحُمُولِ الْبَوَاكِرُ مَعَ الصُّبْحِ قَدْ زَالَتْ بَيْنَ الْأَبَاغِرِ
وإذا أقيمت الحمول على معنى الإبل عليها الهوادج ، أو الهوادج ، كان الكلام على
حذف مضاف : أى ذوو الحمول .

(٢) آدم : شحب لونه وتغير ونزع إلى السواد ظاهره ، من الأدمة ، وهى السمرة
ويقال آدم وأدم بكسر الدال وضما . والقناة : عود الرمح : والذبول اليبس والدقة .
يقول : إن غيرت الأسفار وجهى حتى صرت آدم بعد يياض الوجه ، فليس ذلك بعاد
فى ، كما أن الذبول وإن كان مذموما فى غير القناة فإنه محمود فيها ، لأنه آية صلاحها
كما قال أبو تمام :

لَأَنْتَ مَهْزَنَةٌ فَعَزَّ وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ رَأْسُ الرُّمَحِ حِينَ يَلْبَسُ
وعبارة بعض الشراح : يمدح نفسه بقلة الفكرة فى تغير لونه بعد يياضه ونضرته :
أى تغيرت بعد حسن وشبيبة وذلك لما عاينته من الأسفار وتقلبت فيه من الأحوال ،
وأنا فى ذلك مثل الرمح الذى تعرب سمرة عن عتقه ، وتدل ذبولته على صلاحته وصدقه .

صَحِبْتَنِي عَلَى الْفَلَائَةِ فَتَاةٌ عَادَةٌ الْأَوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ^(١)
 سَتَرْتِكَ الْحِجَالَ عَنْهَا وَلَكِنْ بِكِ مِنْهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ^(٢)
 مِثْلُهَا أَنْتِ لَوْحَتِي وَأَسَقَمْتِ وَزَادَتْ أَبْهًا كَمَا الْمُعْطَبُولُ^(٣)
 نَحْنُ أَدْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ أَفْصِيْرُ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ^(٤)

(١) أراد بالفتاة : الشمس ، وجعل الشمس فتاة لأن طلوعها يتجدد ، فهي بكر كل يوم ، أو لأن الدهر لا يؤثر فيها ، كبرا ، والشمس من عاداتها أن تبدل بضوئها الألوان فتحيل البياض إلى سواد . يقول : صحبتني على الفلاة التي قطعها في سيرى والأسباب التي عاينتها وتشمستها فتاة لا يهرم شخصها ولا ينتقص حسنها ، عاداتها في الألوان أن تبدلها وتقلها إلى الأدمة - السمرة - وتغيرها . هذا : وجعلهم الشمس فتاة كما يقال للدهر : الأزم الجذع ، يريدون أن الدهر باق على حاله لا يتغير على طول إناه فهو أبدأ جذع لا يسن ،

(٢) الحجال : جمع حجلة ، وهي الستر وبيت العروس . واللمى : سمرة في الشفة . يقول : - - - لهبوته - سترتك الحجال عن هذه الفتاة - الشمس - التي غيرت لوني : لأنك في كنفها لا يصيبك حرها ، ولكن بك منها تقبيل لما في شفتيك من الأدمة - السمرة - كأنها قبلتك فأورثتك هذا اللمى الذي في شفتيك . وبعبارة أخرى : أنت محجوبة عن الشمس بالستور فلا يصيبك شعاعها إلا أن في شفتيك سواداً من قبيل السواد الذي تحدته حتى لكأنها قبلتك فأك فآثرت في موضع التقبيل .

(٣) مثلها : خبر مقدم ؛ وأنت : مبتدأ مؤخر ؛ ولوحتي : غيرت لوني ؛ وأسقمت أراد وأسقمتي ؛ وأبها كما : من البهاء وهو الحسن . والمعطبول : الطويلة العنق التامة الجسم ؛ والمعطبول : بيان لـ « أبها كما » . يقول : أنت مثل الشمس في تغير جسمي فهي لوحتي وسفعتي وغيرت لوني وأنت أسقمت جسمي ، وزادت تأثيراً في أبها كما التي هي المعطبول ، وهي أنت . وبعبارة بعض الشراح : أنت مماثلة لها بحسبك وغير بعيدة منها في فعلك ، وكلا كما له في جسمي فعل غيره وتأثير بدله ؛ فالشمس لوحته وأنت أسقمته وأذهبت نضرتة وأعملته ، وزدت أنت في قوة التأثير ، وأفرطت فيما أوجبه من التغيير . وهذا إشارة إلى أن محبوبته زيادتها على الشمس في حسنها زادت عليها في فعلها .

(٤) يقول : كنا أعلم بمقدار الطريق ولكننا سألنا تمللاً بذكر الطريق

وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ أَشْدِيَاقٌ وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَفْلِيلٌ^(١)
لَا أَفْمَنَّا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَابَ
بَ وَلَا يُمَكِّنُ الْمَكَانَ الرَّحِيلُ^(٢)

إليه — كما قال في البيت التالي — فإن الإنسان إذا أحب شيئاً أكثر السؤال عنه وإن كان يعرفه ، كما قال بشر بن أبي خازم :

أَسْأَلُ صَاحِبِي وَلَقَدْ أَرَانِي بِصِيرًا بِالظَّمَانِ حَيْثُ صَارُوا
وَمَا قَالَ الْآخَرُ :

وَخَبَّرَنِي عَنْ مَجْلِسِ كَفْتِ زَيْنِهِ بِمُحْضَرَةِ قَوْمٍ وَالْمَلَاءِ شُهُودِ
فَقُلْتُ لَهُ كَرَّ الْحَدِيثِ الَّذِي مَضَى وَذَكَرْتُكَ مِنْ كَرِّ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
أَنَا شِدَّهُ إِلَّا أَعَادَ حَدِيثَهُ كَأَنِّي بَطِئْتُ الْفَهْمَ حِينَ يُعِيدُ
وَرَوَايَةَ ابْنِ جَنِي :

* أطويل طريقنا أم يطول *

يعنى أطويل طريقنا في الحقيقة أم يطول من الشوق ؟

(١) علله بالشيء : الهاء به ، يقول : إن كثيراً من السؤال يكون سببه الاشتياق ، وكثيراً من رد السؤال يكون تظييراً للسائل ، يريد أن الذي حملني على السؤال عن الطريق هو الاشتياق وترقب جواب أتعلم به عن طول الطرق .

(٢) لا أقمنا : معناه لم نقم ، كقوله تعالى « فلا صدق ولا صلى » . يقول : لم نقم في الطريق إليه بمكان وإن طاب ذلك للمكان لئلا يؤخرنا عن الوصول ، ثم قال : ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطيئه . يريد لم نبال براحة ولا لذة حتى نصل إلى المكان الذي نقصده ، وإليك بعد هذا تعليقات سائر الشراح على هذا البيت ، قال ابن القطاع وقد دخل فيه كلام العكبري : المعنى لا نقيم على مكان وإن طاب ولا يمكن المكان الرحيل : أي لا نقيم البتة لأن المكان لا يرحل معنا فلا نقيم على مكان أبداً حتى نلقاه إلا أن يسير المكان معنا ، فكذلك نحن لا نقيم في مكان وإن طاب ، وقيل نفي النفي إثبات في كلام العرب ، فكأنه : قال : لا نقيم في مكان إلا أن يرحل معنا ، وهذا مثل قول الفرزدق :

بأيدي رجالٍ لم يَشِمُوا سيوفَهُمْ ولم تَكْثُرِ القَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ (١)
قيل معناه لم يشيموا سيوفهم إلا بعد أن كثرت القتلى ، وفي البيت معنى آخر ، وهو
وهو على التقرير بأن تقرر صفة الشيء ، والمراد ضده ، فكأنه قال : لم يشيموا ولم
تكثر القتلى : أي كثرت جدا ، ومنه قول الشنفرى :

صَلَيْتَ مِنِّي هُذَيْلٌ بِحَرَقٍ لَا يَمَلُ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلَّوْا (٢)

معناه على مذهب التقرير لا يمل الشر وإن ملوه ، وقد جاء في الحديث « إن الله
لا يمل حتى تملوا » (٣) معناه لا يجازيك جزاء المثل وإن ملتم ؛ وجاء في الحديث
« وإن صهيياً لو لم يخف الله لم يعصه » (٤) معناه لو لم يخف : أي أمن ، فكأنه قيل لو أمن
الله ما عصاه ، وفيه معنى آخر وهو أن نبي النبي إيجاب فيكون التقدير : إن صهيياً لو أمن
الله ما عصاه : أي لم يعصه ، وعلى مذهب التقرير : لو لم يخف الله ما عصاه : أي لم يعصه
أبدأ ، وفيه معنى آخر ، وهو أن « لو » في الكلام تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره
فيكون المعنى : العصيان امتنع لأجل الخوف : أي لما خاف لم يعص ، والمعنى الأول
وما بعده أبلغ من هذا ، لأن معناه لو أمن الله ما عصاه . ومعنى هذا الآخر أن العصيان
امتنع من أجل الخوف .. وقال الواحدي : قوله « لا أقتنا » يجوز أن يكون على الدعاء
كما تقول : لافض الله فاك ، وقال ابن جنى : يجوز أن يكون على القسم : أي والله

(١) لم يشيموا سيوفهم - هنا - لم يعمدوها ، قال ابن بري : الواو في قوله « ولم »
واو الحال : أي لم يعمدوها ، والقتلى بها لم تكثر ، وإنما يعمدونها بعد أن تكثر القتلى بها .

(٢) الحرق ؛ النار وصلى بالنار : قاسى حرها : والمراد : لاقت منى شدة .

(٣) الحديث هو : « اكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا »
قيل معناه : إن الله لا يمل أبدأ : ملتم أو لم تملوا ؛ جري جري قولهم حتى يشهب
الغراب ويبيض الفار ؛ وقيل معناه . إن الله لا يطرحكم حتى تتركوا العمل وتزهذوا
في الرغبة إليه ، فسمى الفطين مللا وكلاهما ليس بملل كعادة العرب في وضع الفعل
موضع الفعل بدا وافق معناه ، نحو قول عدي بن زيد :

نم أضحو لعيب الدهرُ بهم وكذلك الدهرُ يودي بالرجال

(٤) هو صهيب بن سنان : مولى عبد الله بن جدعان التيمي ، صحابي ، من أولاد

النمر ابن قاسط .

كَلَّمَا رَحَّبْتَ بِنَا الرُّوضُ قُلْنَا حَلَبٌ قَصْدُنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ^(١)
 فِيكَ مَرْعَى جِيَادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ^(٢)
 وَالْمُسْمُونَ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالْأَمِيرُ الَّذِي بِهَا الْمَأْمُولُ
 الَّذِي زُلْتَ عَنْهُ شَرْقًا وَعَرْبًا وَنَدَاهُ مُقَابِلِي مَا يَزُولُ^(٣)
 وَمَعِيَ أَيْنَمَا سَلَكْتُ كَأَنِّي كَلُّهُ وَجْهٌ لَهُ بِوَجْهِهِ كَفِيلُ^(٤)

لا أقننا ، وقالا تعليقا على قوله « ولا يمكن المكان الرحيل » : أى لو أمكنه لا ارتحل
 مضا شوقاً إليه : أى إلى سيف الدولة .

(١) يقول : كلما طاب لنا مكان كأنه يرحب بنا بما يبدى من حسنه وما يستميلنا به
 من وروده وأزهاره ، فكأنه يدعونا للزول به ، اعتذرنا إليه وقتلنا له
 لا نقيم عندك ، لأن قصدنا حلب — مقام سيف الدولة — وأنت المر فلا تقدر أن
 نقيم عندك وإن كنت طيباً ؛ ورحب به : قل له مرحباً ؛ والروض : جمع روضة ،
 المكان فيه خضر .

(٢) الجياد : الخيل : والمطايا : الإبل . والضمير في « إليها » حلب . والوجيف :
 ضرب من سير الخيل سريع ، والذميل : ضرب من سير الإبل . يقول — مخاطباً
 الروض — : فيك مرعى مطايانا وبك نستعين على ما نحاوله من سيرنا ، وإلى حلب
 نوجف مسرعين ؛ وإليها نبادر غير متوقفين :

(٣) زلت عنه : فارقته . يقول : الذى سافرت عنه شرقاً وغرباً ولم يفارقني عطاؤه
 فهو مقابلي حينما كنت ، وإنما قال هذا لأن سيف الدولة أنفذ إليه هدية عند وروده
 للعراق — كما تقدم — وهذا مثل قوله فيه :

ومن فرّ من إحسانه حسداً له تلقاه منه حينما سار نائل
 (٤) الوجه : ما توجهت إليه ، والضمير في « له » لندى . والكفيل : الضامن .

جعل إهلاكه إياهم لعباً ؛ وقيل معناه . إن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا
 سؤاله ، فسمى قبل الله ملاط على طريق الازدواج في الكلام ، كقوله تعالى « وجزاء
 سيئة سيئة مثلها » وقوله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » وهو باب واسع في العربية
 كثير في القرآن .

وَإِذَا الْعَدْلُ فِي النَّدَا زَارَ سَمَمًا فَعِدَاهُ الْعَدُولُ وَالْمَعْدُولُ^(١)
 وَمَوَالٍ تَحِيهِمْ مِنْ يَدَيْهِ نَعَمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ^(٢)
 فَرَسٌ سَابِقٌ وَرُمْحٌ طَوِيلٌ وَدِلاصٌ زُغْفٌ وَسَيْفٌ صَمِيلُ^(٣)

يقول : ونداء ممي في أى طريق سلكته ، فكأن كل جهة من الأرض ضامنة لنداء في وجهي : أى أمامي ، وهذا فيمن يعدى « كفل » بنفسه ، فتكون السلام من « له » « للتقوية » والباء بمعنى في ؛ كذا يروى هذا البيت ؛ ولعل الرواية الصحيحة : به لوجهي أى كأن كل جهة كافلة لوجهي بقاء نداء . وقال الواحدى : يريد لزوم عطائه إياه وأنه لا يتوجه وجهها إلا واجهه جوده ، فكأن كل طريق يتوجه إليه كفيل لنداء بوجهه ، وهذا محمول على القلب ؛ أراد كفيل لى بوجه نداء يرينه ويأتينى به ، والقلب شائع في السلام كثير في الشعر . يقول : كل وجه توجهته كفيل لى بوجه نداء ويصح المعنى من غير حمل اللفظ على القلب ، وذلك أن من واجهك فقد واجهته ، ومن استقبلك فقد استقبلته ، والأفعال المشتركة فيها يستوى المعنى في إسنادها إلى الفاعل وإلى المفعول ، كما تقول لقيت زيدا ، ولقيني زيد ، وأصبت مالا ، وأصابنى مال ؛ وإذا كان للندى كفيل بوجهه كان لوجهه كفيل بالندى . وقال ابن الأفلح : يقول : كل وجهة أقصدها تتكفل بى لسيف الدولة مزعجة لى إليه وتضمنى له بكثرة الحض عليه .

(١) العدل : اللوم . يريد أنه لا يسمع العدل على الجود ، أما غيره فإنه يسمع : يقول إذا عدل جواد على الجود فسمع ذلك ووعاه فعداه هذا المدوح الأجواد والعاذلون . وقال ابن فورجه : يريد فداؤك كل من عدل في جوده فسمعه أو رده لأنك فوقه جوداً . وعبارة بعض الشراح : أى فداء كل عاذل ، لأنه مردود عنده ، وكل معدول ؛ لأنه فوقه في الجود .

(٢) وموال : عطف على العدول ؛ والموالى : العبيد ، والأولياء . يقول ؛ وفدته موال حياتهم من إنعامه عليهم ، وغيرهم مقتول بذلك الإنعام ، لأن مواله يستخدمون نعمه في قتل أعدائه ، وقد بين تلك النعم في البيت التالى ؛ وعبارة العكبرى : وفداه موال شملتهم مكارمه وأحبتهم مواهبه ، ومن جملة تلك المواهب ما غيرهم من أعاديه مقتول بها ، يريد أنه يسلبها من الأعداء ويعطيها الأولياء ؛ فالموالى : الأولياء . وقال ابن جنى : الموالى ههنا العبيد ؛ أى ينعم على العبيد وغيرهم بتلك النعم مقتول حسداً .

(٣) فرس سابق : بدل من نعم ؛ ويروى « سابع » بدل « سابق » ؛ والسابع : السريع الجرى كأنه يسبح . والدلاص : الدرع البراقة للمساء . والزغف : اللينة

كَلَّمَا صَبَّحَتْ دِيَارَ عَدُوِّهِ
 قَالَ تِلْكَ أَلْمُيُوثُ هُدَى السُّيُولِ (١)
 دَهْمَتُهُ تَطَائِرُ الزَّرْدِ الْمُحْكَمِ عَنْهُ كَمَا يَطْمِيرُ النَّسِيلُ (٢)
 تَقْنِصُ أَلْخَيْلَ خَيْلِهِ قَنْصَ الْوَحْشِ وَيَسْتَأْسِرُ أَلْخَمِيسَ الرَّعِيلِ (٣)
 وَإِذَا الْحَرْبُ أَعْرَضَتْ زَعَمَ أَلْهُوْ
 لُ لِعَيْنَيْهِ أَنَّهُ تَهْوِيلُ (٤)

المحكمة النسيج : يقول : إنه يعطى عبيده هذه الأشياء فتصير عوناً لهم على قتل أعدائه قال العسكري : فهو معنى قوله : غيرهم بها مقتول : فيمن ما يهبه بأنه من الخيل والسلاح مما يؤذن للذي يهبه له بمقارعة الأعداء ؛ والتوطين على الصبر عند اللقاء .

(١) صبحت : جاءت صباحاً ؛ وفاعل قال : تلك ؛ والغيوث : الأمطار ؛ وهدي السيل : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ؛ أى كلما صبحت مواليه ديار عدو فصبت عليهم الغارة قالت غيوث مواهبه : هذه سيولنا ، شبه مواهبه المذكورة بالطر ، والغارة بها على العدو بالسيل الذى يكون عن المطر ؛ وقال الواحدى : أى كلما أتت مواليه ديار عدو صباحاً للغارة ، قال العدو تلك التى رأيناها قبل ، كانت بالإضافة إلى هؤلاء غيونا بالإضافة إلى السيل ؛ يريد كثرة مواليه . وقال ابن جنى : هذا مثل ، وعنى بالغيوث سيف الدولة ؛ وبالسيول : مواليه ، وذلك أن السيل يكون عن الغيث ، وكذلك مواليه به قدروا وعزوا .

(٢) دهمة : فاجأته ، والهاء : للعدو . والزردي : حلق الدرع ؛ والمحكم : الموثق الصنعة . والنسيل ما يتساقط من ريش الطير ووبر البعير وغيره . وغيره . يقول : فاجأت الموالى العدو بقوة من الضرب تهتك الدرود فيتطائر زردها كما يطير الريش إذا سقط من الطير .

(٣) قنص الوحش : مفعول مطلق ، ويستأسر : يأسر ، والخميس : الجيش العظيم من خمس فرق القلب والجناحين والمقدمة والساقة . والرعيلى : القطعة من الخيل بين العشرين والثلاثين ، يقول : إن خيله تصيد خيل العدو كما تصيد الوحش ؛ والقنيل من جيشه يأسر الجيش الكثير . يشير إلى أنه سعيد موفق وأن توفيقه كليل له بذلك .

(٤) أعرضت : ظهرت وقامت . والحرب : فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور

وَإِذَا صَحَّ فَالزَّمَانُ صَحِيحٌ وَإِذَا أَعْتَلَّ فَالزَّمَانُ عَلِيلٌ^(١)
 وَإِذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنِ مَكَانٍ فَبِهِ مِنْ ثَنَاهُ وَجْهُ جَمِيلٌ^(٢)
 لَيْسَ إِلَّاكَ يَا عَلِيُّ هَامٌ سَيْفُهُ دُونَ عَرَضِهِ مَسْنُولٌ^(٣)
 كَيْفَ لَا يَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرٌ وَسَرَ أَيْكَ دُونَهَا وَأَخْطِئُولٌ^(٤)
 لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنِ طَرِيقِ الْأَعَادِي رَبَطَ السِّدْرُ حَمْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ^(٥)

بعده ؛ والهول : الفزع ؛ والتهويل : التفريع ؛ والضمير في أنه : للهول . يقول : إذا قامت الحرب وظهرت لم تهله ؛ وزعم الهول لعينيه أنه تهويل لا حقيقة له ، يعني أنه لا يفزعه شيء يراه ، فكان الهول يقول له : لا يهولك ما ترى ، وذلك أن التهويل يكون بالكلام ؛ وبعبارة أخرى : إذا قامت الحرب لم يبالي بما يرى من أهوالها ، فكان الهول يظهر لعينيه في صورة التهويل ؛ يعني أنه يستخف بالهول ويقدم عليه كأنه تهويل لا حقيقة له . وروى بدل « أنه » أنها ، فيكون الضمير للحرب :

(١) يقول : هو الزمان فصحته صحة الزمان وكذلك علته ؛ يريد أن الزمان تابع لحاله ، صائر إلى مثل مآله . وهذا كما يروى عن معاوية أنه قال : نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع . وروى أنه سمع رجلا يذم الزمان ، فقال : لو يعلم ما يقول لضربت عنقه ، إن الزمان هو السلطان :

(٢) ثناه : يروى ثناه ؛ والنثا : الخبر ، وهو ما يفتى — أى ينثر — من حديث ، وهو بمعنى الثناء ، يقول : بكل مكان يسمع له خبر جميل ، وعبارة العكبرى ؛ إذا غاب عن مكان وجهه وانتقل إلى غيره شخصه ، ففي المكان الذى يفارقه من طيب خبره وكرم أثره وجه جميل لا يعدم ، وذكر كريم لا يفقد :

(٣) الهمام : الملك العظيم : يقول : ليس أحد من الملوك بقى عرضه بسيفه غيرك : أى أنت الشجاع دونهم ، هذا : وكان الأجود أن يقول إلا إياك ، ولكنه أتى بالضمير للتصل في موضع المنفصل وهو جائز في ضرورة الشعر :

(٤) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش مابين خمس وتسعين إلى ثلاثمائة ، وقوله ودونها : أى دون بلاد العراق وبلاد مصر ، يقول : كيف لا تأمن ديار المسلمين وأنت في وجه الروم تدفعهم عنها بجيوشك وخيولك ، ولولاك لا ستميحت تلك الديار :

(٥) تحرّفت : انحرفت وملت ، والسدر : شجر النبق ، يقول : لوملت عن

وَدَرَى مَن أَعَزَّهُ الدَّفْعُ عَنْهُ فِيهِمَا أَنَّهُ الْحَقِيرُ الدَّلِيلُ^(١)
 أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٍ فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقَفُولُ^(٢)
 وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ قَتَلَى أَى جَانِبَيْكَ تَمِيمٌ^(٣)
 قَمَدَ النَّاسُ كُلَّهُمْ عَن مَسَاعِيكَ وَقَامَتِ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ^(٤)

طريق الروم لساروا فأوغلوا في ديار العرب دون أن يقف في طريقهم أحد حتى ربطون خيولهم بالسدر والنخيل التي بالعراق ومصر؛ يعنى: لولا ذودك عن هذه الممالك للمكثها الأعداء، يريد بهذا: الغض عن العراق ومصر من اللوك والرفع من شأن سيف الدولة، هذا: وقد أسند الفعل للسدر والنخيل توسعاً، لأنها هي المسكة إذا ربطت الخيل إليها، فكانت تربطها، وهذا كما تقول أحلى بلد كذا: أى حلت فيه؛ وعبرة ابن جنى: هو من باب القلب كقولك ساءنى أمر كذا أى وقع السوء فيه، وفيه معنى آخر وهو أنه وصف سيف الدولة بالسعادة حتى لو تحرف عن طرق من يعاديه لربط السدر والنخيل خيولهم كقول الآخر:

تَرَكُوا جَارِمَ يَأْكُلُهُ ضَبِغُ الْوَادَى وَيَرْمِيهِ الشَّجَرُ

(١) درى: عطف على ربط؛ وفيهما: أى فى العراق ومصر، يقول: ولو تحرفت عن طريق الأعداء لعلم من أعزه دفعك عنه من ملوك العراق ومصر - يعنى كافوراً وآل بويه - أنه حقير ذليل بقلبة العدو إياه، فلولاك لأتاه العدو فرأى نفسه حقيراً ذليلاً:

(٢) أن يكون: أى بأن يكون - أى يحصل - القفول، أى الرجوع؛ فد «يكون»:

تامة يشير إلى أن غزواته لا تنقطع

(٣) سوى: استثناء مقدم؛ وخلف ظهرك روم: مبتدأ وخبر، أى أن خلف ظهرك روما سوى الروم - يريد آل بويه - أى أن هناك أعداء لك كالروم، فليس أعداؤك الروم حسب، وإنما أعداؤك كثير فأبهم فتاتل؟

(٤) المساعى: جمع مسعاة، المكreme والمعلقة فى أنواع المجد والجلود والقنا: الرماح والنصول: جمع نصل، حد السيف، يقول: لم يبلغ أحد من الملوك مساعيك التى قامت بها رماحك وسيوفك

مَا الَّذِي عِنْدَهُ تَدَارُ الْمَنَائِيَا كَالَّذِي عِنْدَهُ تَدَارُ الشَّمُولِ^(١)
لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَادًا وَزَمَانِي بِأَنْ أُرَاكَ بِخَيْلِ^(٢)
نَفْسِ الْبَعْدُ هُنَاكَ قُرْبَ الْقَطَايَا مَرَّ تَعِي مَخْصِبٌ وَجِسْنِي هَزِيلِ^(٣)
إِنْ تَبَوَّأْتُ غَيْرَ دُنْيَايَ دَارًا وَأَتَانِي نَيْلٌ فَأَنْتَ الْمَنْبِيلِ^(٤)
مِنْ عَيْبِدِي إِنْ عِشْتَ لِي أَلْفُ كَأَفُو
رِي وَوَلِيٍّ مِنْ نَدَاكَ رِيْفٌ وَنَيْلِ^(٥)
مَا أَبَالِي إِذَا انْقَتَكَ الرَّزَايَا مِنْ دَهْتِهِ حُبُولَهَا وَأَلْحُبُولِ^(٦)

* * *

- (١) المنايا : جمع منية ، وهي الموت . والشمول : الحمر ، يقول : إن غيره من الملوك يشتغلون باللهو وشرب الخمر . أما هو فمشغله الشاغل الحرب .
- (٢) وزماني الخ : حال . وبأن أراك : متعلق بـ «خيل» . يقول : لأرضى بأن يصل إلى عطاؤك وأنا بعيد عنك لا أراك .
- (٣) المرتع ؛ المرعى ؛ والتنقيص : التسكير ؛ والهزيل : ضد السمين ، يقول : أنا في قرب عطائك مني وبعدي عنك كمن يرتع في مكان محصب وهو مع ذلك مهزول : أي استأهنا بعطائك مع البعد عن لقائك :
- (٤) تبوأ المسكن ، نزل به ، والنيل : العطاء ؛ والمنيل : المعطى . يقول : إن عطاياه تتبعه حيثما سار . فلو هو اتخذ دارا غير الدنيا ووصلت إليه عطية لكان سيف الدولة هو معطيها
- (٥) يقول : إذا عشت وبقيت حيا كان لي من العبيد الذين تههم لي ألف عبد مثل كالمور الذي رغبت عنه واحتويت البقاء في جملته ، وكان لي من ندادك وجودك عوض من ريف مصر ونهالها اللذين بهما شرف بلده وفيهما بسطت يده
- (٦) انقتك : اجتبتك ؛ والرزايا ، جمع رزية ، وهي المصيبة ؛ والحبول : الدواهي ، جمع حبل - بكسر الحاء - أنشد المفضل :

وقال في صباه وقد قيل له وهو في المكتب ما أحسن هذه الوفرة :

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةَ حَتَّى تَرَى مَنشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ (١)
عَلَى فَتَى مُعْتَمِلٍ صَعْدَةَ يَعْطَاهَا مِنْ كُلِّ وَاقِي السَّبَالِ (٢)

* * *

فَيَا هَجَبًا لِلْخَوْدِ تُبْدِي قِنَاعَهَا تُرَأَّرِي بِالْعَيْنَيْنِ لِلرَّجُلِ الْحَبْلِ (١)
وقال الأخطل :

وكنت سليم القلب حتى أصابني مِنَ اللَّامِعَاتِ الْمُهْرِقَاتِ حُبُولِ
وقال كثير :

فلا تعجلي يا عَزَّ أَنْ تفهمي بنصح أتى الواشون أم بحُبُولِ
والحُبُولُ : جمع خبل ، مصدر خبله : إذا أفسد من أعضائه أو عقله ، والحابل :
الشیطان ؛ والحابل : المفسد ؛ والحابلان : الليل والنهار لأنهما لا يأتیان على أحد إلا
خبلاه بهرم ؛ وفي الحديث « وبطانة لا تألوه خبالا » أي لا تقصر في إفساد أمره ؛
وقالوا خبل خابل : يذهبون إلى البالغة ، قال :

نُدَافِعُ قَوْمًا مُضْطَبِّينَ عَلَيْكُمْ فَعَلِمْتُ بِهِمْ خَبْلًا مِنَ الشَّرِّ خَابِلًا
يقول : إذا تخطتكم الرزايا ولم تصبكم الأقدار بسوء فلا أبالي من أصابته دواهيته
وآفاته ، لأن أملِي إنما هو معقود بك .

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ؛ والضفر : الشد ، ويسمى ما يشد على
الرأس من الذوائب : الضفائر ، ومن سماها الضفر : فقد سمى بالمصدر .

يقول : إنما يحسن الشعر يوم القتال إذا نشرت ذوائبه ؛ يعني بهذا أنه شجاع
صاحب حروب يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال ، وكانوا يفعلون ذلك
تهويلا للعدو .

(٢) على فتى : متعلق بـ«منشورة» - في البيت السابق - وهو عاب في الشعر يسمى
التضمين . والصعدة : الرمح القصير ، يقال اعتقل الرمح وتنسكب القوس وتقلد السيف
إذا حمل كلامها حمل مثلها : ومعنى يعطها : يسقيها الدم مرة بعد أخرى ، ومن كل وافي

(١) يقال : رأأت بهينها : إذا أدارتها ، تعمر الرجل :

وقال في صباه :

مُحِبِّي قِيَامِي مَا لِدَالِكُمُ النَّصْلِ بَرِيئًا مِنَ الْجُرْحَى سَلِيماً مِنَ الْقَتْلِ (١)
أَرَى مِنْ فِرْنَدِي قِطْعَةً فِي فِرْنَدِهِ
وَجَوْدَةٌ ضَرَبَ الْهَامَ فِي جَوْدَةِ الصَّقْلِ (٢)
وَحُضْرَةٌ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِي الْخُضْرَةِ الَّتِي
أَرْتَكِ أَحْمَرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ النَّثْلِ (٣)

السبال : أى يعلها من كل رجل تام السبلة وهى ما استرسل من مقدم اللحية . يقول :
إنما يحسن شعرى إذا كنت على هذه الحالة .

(١) بريئاً وسلياً : حالان ؛ ومحبي قيامى ، منادى والنصل . السيف ، يقول : يامن
يجب مقامى وتركى الأسفار كيف أفيم ولم أجرح بنصلى أعدائى . وقال الواحدى :
القيام هنا قيام إلى الشيء أو بالشيء . يقول : أيها المحبون قيامى إلى الحرب أو بالحرب
ما لنصلكم لا يقتل ولا يجرح وليس فيه آثار الضرب : أى لم لا تعينونى بالسيف إن
أحببتم قيامى ؟

(٢) فرندى : يروى بفتح الراء وكسرهما ، معرب معناه ، ما يستدل به على جودة
الحديد كالآثار والنقط ؛ والهام : الرءوس ؛ والنصل ، السيف ، يقول ، أرى من قوتى
ونشاطى قطعة فى فرند هذا السيف : أى أن له حدة ومضاء كحدتى ومضائى ، ثم قال إن
جودة الضرب فى جودة الصقل ؛ أى إذا لم يكن السيف جيد الصقل لم يجد به الضرب ، وهذا
تمثيل يريد كثرة الأسفار وتمرسه بالخطوب وأنها تصقل الهمم وتورثها مضاء كالصقل للسيف
(٣) المراد بخضرة ثوب العيش : النعمة والحصب ، استعارة من خضرة النبات ،
والذبات إذا كان أخضر كان رطباً ناعماً . وقوله فى الخضرة الخ : يعنى خضرة السيف ،
ويحمد من السيوف ما كان مشرباً خضرة ؛ قال الشاعر :

مُهَنْدٌ كَأَنَّمَا طَابِعُهُ أَشْرَبُهُ بِالْهِنْدِمَاءِ الْهِنْدَبَا (١)

وقال البحرى :

حَمَّتْ حَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بِقَلَّةٍ مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لَمْ تَذُبْلِ

(١) ما - بفتح الدال - مقصور ، نبت معروف يؤكل

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِ بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِنِّي (١)
 وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطَرَفِي وَذَائِلِي
 نَكُنْ وَاحِدًا يَلْقَى الْوَرَى وَأَنْظُرَنْ فِعْلِي (٢)

* * *

واحمرار الموت : شدته ، يقال موت أحمر : أى شديد ، وأصله من القتل وسيلان الدم . ومدرج النمل : مدبه ، وهو حيث درج فيه بقوامه فأثر فيه آثاراً دقيقة . جعل النصل مدرج النمل لما فيه من آثار الفرند . يقول : طيب العيش وهناؤه في السيف ، أى فى استعماله والضرب به .

(١) الإماطة : الرفع والتنحية والإزالة ، ومنه إماطة الأذى عن الطريق ولعل الأقرب أن يكون مراده بقوله بما وكأنه : قول القائل ما أشبه بكذا وكأنه كذا . يقول : لا تشبهنى بأحد ولا تقل كأنه فلان وما أشبهه بفلان ، لأنه ليس فوقى أحد ولا مثل أحد فتشبهى به ، وهناك أقوال أخرى للشراح فى قوله « بما وكأنه » نورد منها أهمها : قال ابن القطاع : الصحيح من معنى هذا البيت أن « ما » نكرة بمعنى شىء موضوعة للعموم كأنه قال أمط عنك تشبیهى بشىء من الأشياء كما أنك تقول مررت بما معجب لك : أى بشىء معجب لك ؛ وقال أبو بكر الخوارزمى : « ما » ههنا اسم بمعنى الذى ، يقال لمن يشبه بالبحر : كأنه ماهو نصف الدنيا ، يعنون البحر ، لأن الدنيا بر وبحر ويقولون كأنه ما هو سراج الدنيا ، يعنون الشمس والقمر ، ولما كان لفظها فى المشبه به ذكره للتنبيه نعت كان . وقال ابن جنى : إنه يعتبر كأن قائلاً قال بما يشبه فيقول الآخر : كأنه الأسد ، فقال هو معرضاً عن هذا القول : أمط عنك تشبیهى بما وكأنه ، فلما جاء بحرف التشبيه — أى كأن — ذكر « ما » .

(٢) وإياه : يعنى النصل ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والذابل : مالان واهتر من الرماح . وقوله « نكن » جواب الأمر . يقول : دعنى وهذا السيف وفرنقى ورعى حتى نجتمع فسكون فى رأى العين شخصاً واحداً يلقي الورى — أى يحاربهم — فانظر بعد ذلك إلى ما أضله من قتل الأعداء ، قال ابن جنى : وقد لاذ فى هذا البيت اللفظ ذى الرمة ، ومعناه فى قوله :

وليلِ كجلبابِ العروسِ أدْرَعَتْهُ
 بأرمةٍ والشخصِ منِ العينِ واحدٍ
 أحْمُ غُدَانِيْ وَأَبْيَضُ صَارِمِ
 وأعيسُ مَهْرِيْ وَأَرْوَعُ مَاجِدِ

وقال في صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابي المنبجى :
 حَيًّا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا (١)
 وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا
 وَالصَّبْرُ يَنْجَلُ فِي جِسْمِي كَمَا نَحَلَا (٢)
 وَلَا مُفَارَقَةَ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ
 لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا (٣)

هذا : وقوله يلقي الورى : نعت « واحدآ » ؛ وبروى نلق : مجزوما على البدل من نكن .

(١) أحيا : فعل التلكم ، وجملة « وأيسر » : حالية : يخبر عن نفسه بأنه حى باق ، مع أن أقل ما يقاسيه من شدائد الهوى قاتل . يقول أقل وأهون ما قاسيت قاتل وأنا مع ذلك أحيا ، والفراق جار على ضعفى حين فرق بينى وبين أحبى وكنت ضعيفا بمقاساة الهوى فلم يعدل حين ابتلانى ببعدم .

وقال بعض الشراح : يحتمل أن يكون أحيا فى معنى أفعال التى للتفضيل : أى أعدد ما يكون فى الإنسان وأيسر ما قاسيت شىء قاتل ، فكأن الكلام على التقديم والتأخير أى الشىء الذى يقتل أحيا وأيسر مالاقت ، ، أو ما ألقاه ، وإذا حمل على هذا الوجه فقد حذف المضاف إليه : أى أحيا مالاقت وأيسر مالاقت . قال : وهم يستعملون هذا فى الشعر ، ولو قلت فى النثر أفضل وأكرم الناس زيد ، يريد أفضل الناس وأكرمهم لقبح ، وإنما الفصيح أفضل الناس وأكرمهم ، وقال بعض الشراح تعليقا على قوله وما عدلا : كرر المعنى فقال جار وما عدلا والمفهوم أن جار علم منه أنه لم يعدل ، قل وإنما كرهه لأن الجائر فى وقت قد يعدل فيوصف بالجور إذا جار وبالعدل إذا عدل ، وهذا جار عليه وما عدل ، ومثله فى القرآن الكريم « أموات غير أحياء » والمعنى أنها أموات لا تحيا فى المستقبل كما يحيا الناس عند البعث .

(٢) الوجد : الحزن والشوق ؛ والنوى : البعد ، يقول : إن الحزن يزداد قوة كما يزداد البعد كل يوم ، والصبر يضعف ويقل كما يضعف جسمى .

(٣) المنايا : جمع منية ، الموت ، يقول : لولا الفراق لما كان للمنايا طريق إلى أرواحنا : أى إنما توصلت إلينا بطريق فراق الأحباب كما قال أبو تمام :

لو حار مرء نادُ المنيّة لم يجدْ إلا الفراق على النفوس دليلا

بِمَا بِحَفْنِكَ مِنْ سِحْرِ صِلِي دِنْفًا يَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدْتَ فَلَا (١)
إِلَّا يَسِبُ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ شَيْبًا إِذَا خَضَبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلًا (٢)

ولابن القطاع تأويل حسن . قال : إن « لها » جمع لهاة والمعنى ما وجدت لهوات الناياء الخ ، فلها : فاعل وجدت ؛ والنايا : في موضع جر بالإضافة ؛ واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم . والسبل : جمع سبل ؛ والسيل : الطريق ، تذكر وتؤنث .

(١) الدنف : الذى أنقله المرض ؛ وقال علماء اللغة الدنف : المرض اللازم الخامر ويقال رجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : أى براه المرض حتى أشفى على الموت ؛ فمن قال دنف : لم يشنه ولم يجمعه ولم يؤنثه ، كأنه وصف بالمصدر ؛ ومن كسر النون ثنى وجمع وأنث لا محالة فقال رجل دنف - بالكسر - ورجلان دنفان ، ورجال أدناف . وأمرأة دنفة ، ونسوة دنفات . ومن المجاز والاستعارة قول العجاج .

والشمسُ قد كادت تكون دنفًا أدفعها بالراح كى تزحلقا (١)

يقول : أقسم عليك بحق ما بحفنيك من سحر أن تصلى مريضاً يحب الحياة في وصالك فإن هجرت ، وأعرضت فليس يحب الحياة ؛ وعنى بسحر حفنيها أنها بنظرها تصيد القلوب وتسبى عقول الرجال ، فكانها سحرتهم ، والمعنى من قول دعبل :

ما أطيّب العيش فأما على أن لا أرى وجهك يوماً فلا

لو أن يوماً منك أوساعةً تباعُ بالدنيا إذن ما غلّا

وقوله يهوى الحياة : نعت دنفًا ، ويروى : يهو - بدون ياء على أنه جواب للأمر - وقال المكبرى - تعليقاً على قوله « وإما إن صددت فلا » : الفاء جواب « أما » لأنها أسبق وجواب الشرط محذوف دل عليه الجواب المذكور ؛ ومثله قولك : والله إن تزرنى لأكرمك يجعل الجواب للقسم لتقدمه وسد جواب القسم مسد جواب الشرط . وإذا تدمت الشرط جعلت الجواب له فتقول : إن تزرنى والله أكرمك .

(٢) فصل الخضاب : ذهب ؛ والسلاوة : الاسم - من سلا عنه سلواً - والسلاو : طيب نفس الإلف عن إلفه ، ويقول الرجل لصاحبه سقيتنى سلوة وسلوانا : أى طيبت نفسى عنك ، قال :

(١) يريد : حين اصفرت ودانت الغروب ، فكانها دنف حينئذ ، يقال دنفت الشمس وأدنت : إذا دنت للمغرب واصفرت .

يُجْنُ شَوْقًا فَلَوْلَا أَنَّ رَائِحَةَ تَزْوَرُهُ فِي رِيَّاحِ الشَّرْقِيِّ ، مَا عَقَلَا (١)
 هَا فَأَنْظُرِي أَوْ فَظُنِّي بِي تَرَى حُرْقًا مَنِ لَمْ يَذُقْ طَرْفًا مِنْهَا فَلَذَّ وَالْأَلَا (٢)
 عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ لِي إِلَى الَّتِي تَرَ كُنْتِي فِي الْهَوَى مَثَلًا (٣)

جَعَلْتُ لِعِرَافِ الْهَيْمَةِ حُكْمَهُ وَعِرَافِ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي
 فَمَا تَرَكَامِنْ رُقِيَةٍ يَغْلَسَانِي وَلَا سَلْوَةٍ إِلَّا بِهَا سَقِيَانِي

يقول : إن لا يشب هذا الدنف - يعني نفسه ، لأنه لا يزال شابا - فلقد شاب كبده لشدة ما يقاسى من حرارة الوجد والشوق ؛ فإن خضبت السلوة ذلك الشيب ذهب ذلك الحضاب ، لأن سلوته لا تبقى ولا تدوم ، فإذا زالت السلوة زال حضاب كبده وعاد شبيهه . يريد إذا سلا حيناً لم يلبث الشوق أن يعود ، وما أروع قول أبي تمام :

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفَوَادِ

والتنبي نقل شيب الفؤاد إلى الكبد ، وهو مما استقبح من استعاراته .

(١) يجن : من الجنون ، ويروى يجن - من الحنين ، وهو الصبوة والطرب - ورواية يجن اليق ليطابق قوله عقلا - في آخر البيت - يقول : إن هذا الدنف يصير مجنوناً لشدة شوقه ، فلولا أنه يجد رائحة من حبيبه إذا هبت الرياح من ناحية الشرق لما كان له عقل ولكن يخف جنونه إذا وجد ريح الشرق من قبل أجبانه :

فَإِنَّ الصَّبَّارِ يَمُوحُ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ عَلَى كِبْدٍ مَحْزُونٍ تَجَلَّتْ هُمُومَهَا

وقد نظر التنبي في هذا إلى قول عبد الله بن الدمينية :

وَأَسْتَنْشِقُ النَّسْمَاءَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ كَأَنِّي مَرِيضٌ وَالنَّسِيمُ طَيِّبٌ

(٢) ها : للتغية . أى ها أناذا فانظري : وترى : جواب الأمر ؛ ووال . نجما

يقول : ها أناذا فانظري إلى أوفكرى في إن لم تنظري ترى في حرقاً من حبك ، من لم يجرب القليل منها ، فقد نجما من بلاء الحب ، وقد أجل التنبي ما فصله البحرى في بيتين قال :

أَعِيدِي فِي نَظْرَةِ مُسْتَنِيْبٍ تَوَخَّى الْأَجْرَ أَوْ كَرِهَ الْأَنَامَا

تَرَى كِبْدًا مُحْرَقَةً وَعَيْنًا مَوْرَقَةً وَقَلْبًا مُسْتَهَامَا

(٣) عل : كعمل ؛ ويشفع - بالنصب - جواب الترجي ؛ وبالرفع : عطف على يري

أَيْقَنْتُ أَنْ سَعِيداً طَالِبٌ بِدَيْمِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرُّمَحِ مُتَقَفِّلاً^(١)

يقول : لعل الممدوح يرى ما أنا فيه من ذل الهوى فيكون شفيحاً لي إلى الحبيبة - التي جعلتني بحيث يضرب بي الثل في العشق - لتواصلني بشفاعته ، قال الواحدى : وهذا من قول أبي نواس :

سَأشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاهَا لَعْلَ الْفَضْلِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
قال : وهذا أحسن من قول المتنبي لأن الجمع بينهما يمكن بأن يعطيه من المال ما يتوصل به إلى محبوبته ، والشفاعة تكون باللسان ، وذلك نوع من القيادة ... قال : على أنى سمعت العروضى يقول : سمعت الشعرائى يقول : لم أسمع المتنبي ينشده إلا فيشفقنى - من قولهم كان وترأ فشفعه بأخر وإلى آخر : أى صيره شفيعاً . فيكون كما قال أبو نواس .

وقال المكبرى - تعليقا على قوله على - : « على » حرف ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لامه الأولى أصلية ، وذهب البصريون إلى أنها زائدة . ووجههم أنها حرف ، والحروف كلها حروفها أصلية ، لأن حروف الزيادة العشرة التي يجمعها « اليوم تنسأه » إنما تختص بالأسماء والأفعال ؛ فأما الحروف فلا يدخلها شيء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية في كل مكان على كل حال . ألا ترى أن الألف لا تكون في الاسم والفعل إلا زائدة أو منقلبة ولا يجوز أن يحكم عليها في « ما » و « لا » بأنها زائدة أو منقلبة بل يحكم عليها بأنها أصلية ؛ فدل على أن اللام الأولى في « لعل » أصلية ، والذي يدل على ذلك أيضاً أن اللام خاصة لا تكاد تزداد إلا على سبيل الشذوذ ، فكيف يحكم عليها بزيادة فيما لا يجوز فيه الزيادة بحال ؟ ووجه البصريين أنهم وجدوها في كلام العرب وأشعارهم ، كقول نافع الطائى :

وَلَيْسَتْ سَبِيلَهُ أَمَّ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَى أَنْ أُنْقَدَمَا
وكقول الآخر :

لَا تَهَيَّنْ "فَقَبْرَ عِلَّكَ أَنْ تَرَكِعَ يَوْمًا وَالدهرُ قَدْ رَفَعَهُ"^(١)
(١) بصرت به : أى أبصرت به . واعتقل رجمه : جعله بين ركابه وساقه . يقول : إنى

(١) لا تهين . أراد لا تهين ، لحذف النون الحفيفة لما استقبلها ساكن ، والبيت للأضبط حين قوامع السعدى .

وَأَنْتَى غَبْرٌ مُخَصِّصٌ فَضْلَ وَالِدِهِ وَنَائِلٌ دُونَ نَبِيلِي وَصَفَهُ زُحَلًا (١)
 قِيلَ بِمَنْبِجٍ مَثْوَاهُ وَنَائِلُهُ فِي الْأَفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرِهِ سَأَلًا (٢)
 يُلُوحُ بِدَرُّ الدُّجَى فِي صَحْنِ غُرَّتِهِ
 وَيَحْمِلُ الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَاءِ إِنْ حَمَلًا (٣)

أيقنت بأن المذوح يطلب بدى إن سفكته الحبيبة وأخذ منها تأرى لأنى رأيته قد
 اعتقل رحمه متوجها لقتال الأعداء فعلمت أنه يدرك نأر أوليائه .

(١) فضل والده : يروى فضل نائله ، والنائل ، العطاء . وزحل ، الكوكب المعروف
 وقد كان الظن أنه أبعد الكواكب السيارة من الأرض . يقول ؛ وأيقنت أنى لأستطيع
 عد عطائه لكثرتيه وأنى أدرك زحلا قبل أن أدرك وصف عطائه أو وصف
 فضل والده .

(٢) القيل ؛ الملك - بلغة حمير - أو الرئيس دون الملك الأعلى . ومنبج ؛ بلد
 بالشام . والثوى . المنزل والمقام . والأفق ، القطر والناحية ؛ وقيل ؛ خبر مبتدأ محذوف
 أى هر قيل ؛ ومنبج خبر مقدم ، ومثواه ، مبتدأ مؤخر ؛ ونائله ، مبتدأ ، خبره ؛ فى الأفق ؛
 يسأل ؛ فى موضع الحال . يقول . هو مقيم بمنبج وعطاؤه يطوف فى الآفاق يسأل عمن
 يسأل غيره من الناس ، يعنى أن جوده ذاع حتى صرف العفاة عن غيره إليه ، وفى مثل
 هذا يقول أبو تمام .

فَأَضَحَّتْ عَطَايَاهُ نَوَازِعَ شُرَدًا تَسَائِلُ فِي الْأَفَاقِ عَن كُلِّ سَائِلٍ
 ويقول :

وَفَدَتْ إِلَى الْأَفَاقِ مِنْ مَعْرُوفِهِ نِعْمٌ تَسَائِلُ عَن ذَوَى الْإِفْتَارِ
 ويقول أبو العتاهية :

وإِن نَحْنُ لَمْ نَبْغِ مَعْرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَدْتَفِينَا

(٣) الفرة ؛ غرة الوجه ؛ وصحنها ؛ وسطها ؛ والهيجاء ؛ الحرب . يقول ؛ إن
 وجهه لحسنه يضىء كالبرق فى ظلام الليل ، وإذا صال على أعدائه فإن الموت يحمل معه
 ويصول عليهم فيقتلهم ، فالموت من أعوانه ، ويروى ؛ الموت - بالنصب - أى أنه إذا حمل
 على أعدائه أصعب الموت حاملا إياه إليهم .

تُرَابُهُ فِي كِلَابٍ كَحُلٍّ أُعْيِنَهَا وَسَيْفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَدْلَ (١)
 لِنُورِهِ فِي سَمَاءِ الْفَخْرِ مُخْتَرَقٌ
 لَوْ صَاعَدَ الْفِكْرُ فِيهِ الدَّهْرَ مَا نَزَلَا (٢)
 هُوَ الْأَمِيرُ الَّذِي بَادَتْ تَمِيمٌ بِهِ قَدِمَا وَسَاقَ إِلَيْهَا حَيْنَهَا الْأَجْلَا (٣)
 لَمَّا رَأَتْهُ وَخَيْلُ النَّصْرِ مُقْبِلَةٌ وَالْحَرْبُ غَيْرُ عَوَانَ أَسْلَمُوا الْخِلَلَا (٤)
 وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا (٥)

(١) يقول : إن كلابا - وهم قبيلة المدوح - لشدة حبهم إياه يكتحلون بالتراب الذي يمشى عليه - كناية عن اعتبارهم بولائه ، وسيفه في جناب - وهم قبيلة عدوه - يسبق ملامة من يلومه في فعلهم - كناية عن شقاوتهم بعداوتهم - وهذا مثل يقال سبق السيف العدل وأصل ذلك أن الحارث بن ظالم ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره ، فقال : سبق السيف العدل ؛ قال الواحدى : وروى هنا بيت منحول ليس في روايات الديوان وهو :

مَهْدَبٌ الْجَدُّ يُسْتَسْقَى الْغَامُ لَهُ حُلُو كَأَنَّ عَلَى أَخْلَاقِهِ عَسَلَا

أى هو طيب الأصل لأن جده كان مبرا من العيوب ، وهو مبارك يستنزل به القطر من الغمام فيسقى الله به وهو عذب الأخلاق يستحلى خلقه كأنه معسول : ممزوج بالمثل .
 (٢) استعمار للفخر « سماء » لعلو الفخر ، يقول : له نور يصعد في سماء الفخر لو صعد فكر واصفا في محترقه طوال الدهر ما نزل ، لأنه يبقى يرقى في أثر ذلك النور فلا يلحقه والمخترق : موضع الاختراق ، ويريد به : المصعد في الهواء ، كأنه يشق الهواء شقا ، ويريد بالنور : ما اشتهر وذاع في الناس من ذكره وصيته : أى أنه عال علوا لا يدرك بالوهم والفكر .

(٣) بادت : هلكت ، وقدماء : بمعنى قديما : أى زمانا قديما ، ولم يصرف تميما لأنه أراد القبيلة ، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث . والحين : الهلاك . يقول : إن هلاكهم بسيفه ساق إليهم الاجل قبل وقته .

(٤) الحرب العوان : التي قوتل فيها المرة بعد المرة والحلل جمع الحلة وهى النازل الى حلوها . يقول : لما رأت تميم هذا المدوح وخيله المنصورة قد أقبلت عليهم ولم يقاتلهم بعد : تركوا منازلهم وهربوا في أول الأمر .

(٥) قال الواحدى : يعنى لشدة مالقهم من الخوف ضاقت عليهم الأرض فلم يجدوا مهربا - كقولته تعالى « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » - وهاربهم إذا رأى ما ليس

فبعدة وإلى ذا اليوم لو ركضت بالليل في لهوات الطفل ما سَعَلَا^(١)
 فقد تركت الألى لأقبيتهن جَزْرًا
 وقد قتلت الألى لم تلقهن وجَعَلَا^(٢)

شيء يعبأ به أو توهم ما ليس بشئ شيئاً ظنه إنساناً يطلبه ، وكذا عادة المارِب الخائف
 كقول جرير :

ما زلت تحسبُ كلَّ شيءٍ بعمدم خيلاً تكفُّ عليهمِ ورجالا
 قال أبو عبيد : لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال : سرقة والله من كتابهم -
 يريد القرآن الكريم - : « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو » قال : ويجوز حذف
 الصفة وترك الموصوف دالاً عليها ، كقوله عليه الصلاة والسلام « لا صلاة لجار المسجد
 إلا في المسجد » أجمعوا على أن المعنى لا صلاة كاملة فاضلة ، ويقولون هذا ليس بشيء
 يريدون شيئاً جيداً - وقال بعض المتكلمين : إن الله خلق الأشياء من لا شيء . فقيل
 هذا خطأ ، لأن لا شيء لا يخلق منه شيء ، ومن قال . إن الله خلق من لا شيء جبل
 لا شيء شيئاً يخلق منه ؛ والصحيح أن يقال : يخلق لا من شيء لأنه إذا قال لا من شيء :
 نفى أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء .

(١) اللهوات : جمع لهاة ، وهي لحمة في الحلق عند أصل اللسان . يقول : فبعد اليوم
 الذي بادت فيه تميم إلى يومنا هذا الذي نحن فيه لور كضت خيلهم في لهوات صبي صغيرنا
 شعر بهم حتى يسعل لقلتهم وذلتهم . وقد بالغ في هذا حتى أحال . . . قالوا : وهذا مأخوذ
 من قول الشاعر :

لو أنه حركَ الجِرْدَ الجِيَادَ على أجفان ذى حلم لم ينتبه فرقاً
 وفيه نظر إلى قول بعضهم :

وَمَرٌّ بِفِكْرِي خَاطِرًا فَجَرَحْتُهُ ولم أرَ شيئاً قطَّ يجرُّحُهُ الفِكْرُ

وقد بعض الشراح : ويجوز أن يجعل الطفل منهم - أى من تميم - أى ماجسر
 الطفل منهم أن يسعل خوفاً وإشفاقاً مع أنه لا عقل له ، فكيف الظن بكبيرهم في أمر
 لحوفه وله عقل ؟ وعلى هذا : « ركضت » فعل خيل النصر وقيلته وقوه .

(٢) الجَعَلَا : بمعنى الذين ، والجزر : اللحم الذي يلقي للسباع ، يقال ما كانوا إلا
 جزراً أسيوفاً : أى الذين تقتلهم فنلقبهم للسباع ، والوجل : شدة الخوف يقول : إن
 الذين لقتلوك منهم فقتلهم وجعلتهم جزراً للسباع . والذين لم يلقوك ما توا خوفاً منك .

كَمْ مَهْمَةٍ قَدَفَ قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ قَلْبُ الْمَحِبِّ قَضَانِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا^(١)
عَقَدْتُ بِالنَّجْمِ طَرْفِي فِي مَفَاوِزِهِ وَحُرٌّ وَجْهِي بِحَرِّ الشَّمْسِ إِذَا أَفْلَا^(٢)
أُنْكَحْتَ صُمًّا حَصَاهَا خُفًّا يَفْعَلُهُ تَفَشَّمَتْ بِي إِلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا^(٣)
لَوْ كُنْتَ حَشَوَ قَمِيصِي فَوْقَ مُنْرُقِهَا سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِي غِيظَانِهَا زَجَلَا^(٤)

(١) المهمة : الفلاة الواسعة ، والقذف : البعيد . يقول : كم فلاة بعيدة مترامية الأطراف قلب الدليل فيها - أي الذي يدل على الطريق - مضطرب خائف كقلب المحب ، قطعها بعد أن طال السير فيها ، وهذا معنى قوله : قضاني بعد مامطلا ، وهو استعارة جميلة ، لأن المهمة كالمطلوب منه انقطاعه بالسير فيه وهو - بطوله وتأخير انقطاعه - كالمطلوب بما يقتضى منه ، فالضمير في « قضاني » عائد إلى المهمة .

(٢) المفاوز : الفلوات ، والطرف : العيين ، وحر الوجه : أشرف موضع فيه أو ما بدا منه . وأفل : غاب . يقول كنت أنظر إلى النجم دائماً في مسيرى ليلا حتى كأن أجفاني معقودة به مخافة أن أضل الطريق ، وإذا غاب النجم - أي في النهار - كنت أنصب وجهي للشمس دائماً حتى كأنه معقود بها ، وإنما يهتدى في الفلوات إلى الطريق ليلا بالنجم ونهارا بالشمس ، والمراد أنه سافر فيه ليلا ونهارا حتى بلغ ما أراد .

(٣) الصم : الصلاب الشداد من كل شيء ، واليعملة : الناقة القوية . وتفشمرت : تصفت وركضت على غير قصد . يقول : أو طأت خف ناقتي حجارة المفاوز حتى وطئتها وسارت بي في السهل والجبل متعسفة حتى وصلت إليك .

(٤) حشو قميصي : يريد بدلي وفي مكاني ، والنمرق : وسادة يعتمد عليها الركاب ، والغيطان : جمع غائط ، وهو ما اطمان من الأرض وانخفض . والزجل : الصباح والضجيج . يقول : لو كنت مكاني فوق نمرق ناقتي لسمعت أصوات الجن في وهاد هذه المفاوز . أي أنها مسكن الجن بعدها عن الإنس ، والعرب إذا وصفت المكان بالبعد جعلته مساكن للجن ، كما قال الأخطل :

مَلَاعِبُ جِنَّانٍ كَأَنَّ تُرَابَهَا إِذَا اطَّرَدَتْ فِيهَا الرِّيحُ مُفْرَبِلُ
وَبَيْتُ الْمُنْبِيِّ مِنْ قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ :

لِلْجِنِّ بِالْمِيلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلُ كَأَنَّ تَجَاوَبَ يَوْمَ الرِّيحِ عَيْشُومُ
« العيشوم : شجره صوت مع الريح »

حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسِي مَاتَ أَكْثَرُهَا وَلَيْتَنِي عَشْتُ مِنْهَا بِالَّذِي فَضَّلًا^(١)
أَرْجُو نَدَاكَ وَلَا أَخْشَى الْمِطَالَ بِهِ يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلًا^(٢)

* * *

وقال في صباه - وقد أهدى له عبيد الله بن خلكان من خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل :

قَدْ شَفَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ الْأَمَلِ وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ فِي شُغْلٍ^(٣)
تَمَثَّلُوا حَاتِمًا وَلَوْ عَقَلُوا لَكُنْتُ فِي الْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ^(٤)

(١) يقول : وصلت إلى المدوح بنفس مات أكثرها : أي ذهب أكثر لحمها وقوتها لما قاست من هول الطريق ومشقته ، ثم تمنى أن يعيش بما بقي من نفسه ليقضى حق المدوح بخدمته له . وعبرة بعض الشراح : لما جعل ما قاساه من مشقة الطريق موتاً : سمى الإقامة والراحة عيشاً . والمعنى : ليتني أصادف عيشاً بما بقي من عمري قبل أن أموت ، فقوله ليتني عشت : أراد ليتني أعيش ، فعبّر بالماضي عن الضارع .
(٢) يقول : لو وهبت الدنيا بأسرها كنت بخيلاً لعلو همتك ، فالديناحقيرة بالإضافة إلى همتك ، وهذا من قول حسان :

يعطى الجزيل ولا يراه عنده إلا كبعض عطية المذموم
ومن قول أبي العتاهية :

إني لأنيأسُ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمِعُنِي فيها احتقارك للدنيا وما فيها
(٣) يقول : إن الناس مشغولون بآمالهم فيك والطمع فما يأخذون من أموالك وأنت مشغول بتحقيق آمالهم وتصديق أطعاهم ، والبيت في ذاته يحتمل أن يكون معناه أن الناس مشغولون بطمعهم وحرصهم على حطام الدنيا ، أما أنت فقد شغلت بتبديد هذا الحطام بكرماً .

(٤) أراد : تمثّلوا بحاتم ، خذف الباء ضرورة . يريد أن الناس ضربوا المثل بحاتم فقالوا : أكرم من حاتم وأجود من حاتم ، وهم لو نظروا بعين العقل لضربوا المثل بك ، لأنك الغاية في الجود .

أَهْلًا وَسَهْلًا بِمَا بَعَثَ بِهِ إِيهَا أَبَا قَاسِمٍ وَبِالرُّسْلِ (١)
هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُهْدِيهَا إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلٍ (٢)
أَقْلٌ مَا فِي أَقْلَهَا سَمَكٌ يَلْعَبُ فِي بَرْكَتِهِ مِنَ الْعَسَلِ (٣)
كَيْفَ أَكْفَى عَلَى أَجَلٍ يَدٍ مَنْ لَا يَرَى أَنَّهَا يَدٌ قَبْلِي (٤)

وقال أيضاً في صباه :

قَفَا تَرِيًّا وَذَقِي قَهَاتَا الْمَخَائِلُ وَلَا تَخْشَى خُلْفًا لِمَا أَنَا قَائِلٌ (٥)

(١) وبالرسل : عطف على بما بعثت . وإيها : اسم فعل بمعنى كفى ودع ؛ أما إليه - بالتحفص - فهي الاستزادة من التكلم . يقول : أهلا وسهلا بهديتك ورسولك فكف ، فقد أكثر الهدايا وغمرني إحسانك .

(٢) هدية : خبر مبتدأ محذوف ؛ أي هديتك هدية ما رأيت صاحبها الذي أهداها - يعني المدحوح - إلا رأيت الناس كلهم في شخص واحد ، يعني أنه جمع فيه جميع ما في الناس من معاني الفضل والكرم ، وهذا كما قال أبو نواس :

وليسَ على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحدٍ
وقد قرر المتنبي هذا المعنى فقال :

* أم الخلقُ في شخصٍ حيٍّ أعيداً *

وقال :

* ومنزلكَ الدنيا وأنتَ الخلائقُ *

(٣) أراد بالبركة : الوعاء الذي كان فيه العسل ؛ يعني أن هذه الهدية عظيمة أقل شيء اشتمل عليه أقل ما في هذه الهدية سمك بهذه الصفة .

(٤) أكفَى : من المكافأ . وهي أن يقابل الشيء بمثله ، فأصلها الهمزة . واليد : النعمة : يقول : كيف أكفَى من لا يعتقد في أعظم نعمة له عندي أنها نعمة احتقاراً لها وتصغيراً ؛ أو تقول : بماذا أكفَى الذي أسدى إلى نعمة عظيمة وهو يستصغرها حتى يرى أنها لا تعد نعمة له عندي .

(٥) الودق : المطر . وهانا : بمعنى هذه . والمخايل جمع الخيلة - بضم الميم وكسر الخاء - السحابة الخليقة بالمطر . والخلف : اسم من الإخلاف في الوعد . يقول

رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ أَسْتِهِ
 وَأَخْرُ قَطْنٌ مِنْ يَدَيْهِ الْجِنَادِلُ^(١)
 وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْهَلُ عَلَيَّ أَنَّهُ بِي جَاهِلٌ^(٢)
 وَيَجْهَلُ أَنِّي مَالِكُ الْأَرْضِ مُعْسِرٌ
 وَأَنْتَى عَلَى ظَهْرِ السَّمَاءِ كَيْنِ رَاجِلٌ^(٣)

— لصاحبه - : اصبر قليلا تريا من أمرى شأنا عظيما فقد ظهرت محايبه وما يشهد لي بتحقيق ما كنت أعدك من نفسى من قتل الأعداء وبلوغ الآمال ، وإنى لا أقول شيئا أعد به ولا أفعله .

(١) الصائب : بمعنى المصيب ؛ يقال : صابه يصوبه ، وأصابه يصيبه . وآخر بالنصب - عطف على لفظ صائب ، وبالرفع : عطف على الموضع من « صائب » وقطن : خبر مقدم ؛ والجنادل : مبتدأ مؤخر . يقول : عابني أخساء الناس وأراد لهم من بين من يصيب استه ما يرمى به : أى يلحقه ما يعينى به ، وآخر لا يؤثر فى ما يرمى به ولا يعلق بي ما يقوله فى كأنه يرمى بقطعة قطن ، فقوله من صائب استه : كقولهم جاءنى القوم من فارس وراجل ؛ يعنى أنهم من هذين الجنسيتين .

(٢) أى ومن رجل آخر لا يعرفنى ولا يعرف أنه جاهل بى ، فهاتان جهالتان ، ويجهل أنى أعلم أنه جاهل بى . فعلى : مفعول يجهل ، وأنه : مفعول على : أى يجهل معرفتى بجهله بى . ومما يتصل بهذا المعنى قول الخليل بن أحمد صاحب علم العروض :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنتُ أجهل ما تقول عذلتك
 لكن جهلت مقالتي فعذلتنى وعلمتُ أنك جاهل فعذرتك
 وقول الآخر :

جهلتَ ولم تعلم بأنك جاهل فَمَنْ لِي بِأَنْ تُدْرِي بِأَنَّكَ لَا تُدْرِي .
 (٣) مالك الأرض : نصب على الحال ، وعلى ظهر السماء كين : فى موضع الحال . يقول : ويجهل هذا الجاهل أنى فى الحال التى أملك فيها الأرض أعد نفسى معسراً بالقياس إلى مقتضى همتى ، وأنى إذا علوت السماء وركبت السماء كين عدت نفسى وراجلا ، لاقتضاء همتى ما فوق ذلك .

حُخِرُ عِنْدِي هِمِّي كُلِّ مَطْلَبٍ وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ^(١)
 وَمَا زِلْتُ طَوْدًا لَا تَزُولُ مَنَا كَيْبِي إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّمِيمِ فِي زَلَازِلِ^(٢)
 فَعَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَلَ الْحَشَا قَلَا قِلَ عَيْسٍ كَلْهِنًا قَلَا قِلَ^(٣)

(١) يقول : إن همي تربي كل شيء أطلبه حقيراً ، والغاية البعيدة قصيرة في عيني .
 (٢) الطود : الجبل العظيم ؛ ومنا كبه : أعاليه . والضميم : الظلم . يقول : لم أزل
 ثابتاً ذا وقار كالطود لا يحركني شيء إلى أن ظلمت فلم أطق الظلم وإنما تجردت
 لدفعه عن نفسي .

(٣) القلقة : التحريك ؛ ويريد بالحشا : ما في داخل الجوف . والقلقل - الأولى -
 جمع قلقل ، وهي الناقة الخفيفة ؛ ويقال أيضاً : رجل قلقل ، وفرس قلقل : إذا كانا
 سريعى الحركة . والقلقل - الثانية - جمع قلقة ، وهي الحركة . يقول : سارعت
 - بسبب الهم الذي حرك نفسي - إبلا خفافا في السير ، يعني سافرت ولم أعرج بالمقام
 الذي يلحقني فيه الضيم . ويجوز أن تكون القلقل الثانية أيضاً بمعنى الأولى ، وإذن :
 يعود الضمير من كلهن على العيس ، لا على القلقل . يقول : خفاف إبلا كلهن خفاف ،
 يعني أنهن خفاف الخفاف وسراع السراع كما يقال : أفضل الفضلاء . هذا : وقد عاب
 الصحاب بن عباد أبا الطيب بهذا البيت قال : ماله قلقل الله أحشاه وهذه القلقات
 الباردة ؟ قال الواحدى : ولا يلزمه في هذا عيب فقد جرت عادة الشعراء بمثله - قال
 الثعالبي : قال لى أبو نصر بن الرزبان : ثلاثة من رؤساء الشعراء : شلشل أحدهم .
 وسلسل الثانى ، وقلقل الثالث ؛ أما الذى شلشل فالأعشى - وهو من رؤساء شعراء
 الجاهلية - قال :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَاوِتِ يَنْبَعِنِي شَاوٍ مِشَلٌّ شُلُولٌ شُلُشُلٌ شَوْلٌ

« الشاوى : الذى شوى ؛ والمشلل : المطرد ؛ والشلول : الخفيف ؛ والشلشل :
 الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة . أريد بذكرها والجمع بينها :
 البالغة » . وأما الذى سلسل فمسلم بن الوليد إذ يقول :

سَلَّتْ وَسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولًا

وأما الذى قلقل فهو المتنبي الذى . يقول : البيت - ثم قال : لى قبلل أنت أيضاً .
 قلقت : أخشى أن أكون رابع الشعراء ، أعنى قول من قال :

إِذَا اللَّيْلُ وَارَنَا أَرْتَنَا خِفَافَهَا بِقَدْحِ الْخَصَى مَا لَا تُرِينَا الْمَشَاعِلُ (١)
 كَأَنِّي مِنَ الْوَجْنَاءِ فِي ظَهْرِ مَوْجَةٍ رَمَتْ بِي بِحَارًا مَا لَهَا سَوَاحِلُ (٢)
 يُخَيِّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعِي، وَأَنْتَى فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَوَازِلُ (٣)
 وَمَنْ يَنْبَغِ مَا أَبْنِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْمَلَا
 تَسَاوَى الْمَحَايِي عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ (٤)

الشعراء - فاعلمن - أربعة فشاعر يجزى ولا يجزى معه
 وشاعر يُنشدُ وسط المعصم وشاعر من حقه أن تسمعه
 * وشاعر من حقه أن تصفحه

قال ثم قلت بعد حين من الدهر :

وَإِذَا الْبِلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلِغَاتِهَا فَانْفِ الْبِلَابِلَ بِاحْتِسَاءِ بِلَابِلِ

قال الثعالبي : وفي هذا ما يبطل إنكار ابن عباد على أبي الطيب .

(١) واراننا : سترنا . والمشاعل : جمع مشعلة - بفتح الميم - النار الموقدة ، وبكسر الميم : الآلة التي تحمل فيها النار ، يقول : إذا سترنا الليل بظلامه أسرعت هذه الإبل حتى تصطك الحجارة بعضها ببعض وتتقدح النار فيها فترى ما لا تراه بضوء المشاعل .
 (٢) الوجناء : الناقة الشديدة . جعل الناقة لشدة عدوها كاللوح ، وجعل المغازة كالبحار في سعتها . يقول : كأني منها إذا ركبتها في هذه المغازة في ظهر موج ترميني في بحر لاساحل له .

(٣) يقول : يخيل إلى أن البلاد تلفظني فلا أستقر فيها . كما لا يستقر في مسامعي كلام العذال . يريد أنه دائم الأسفار لا يلقى عصاه يلد حتى ينتقل إلى غيره ، وهذا للحنى من قول القائل :

* كَأَنِّي قَدْ بِي فِي عَيْنِ كُلِّ بِلَادٍ *

وقد قال البحرى .

تَقَادَفُ بِي بِلَادٌ عَنِ بِلَادٍ كَأَنِّي بَيْنَهَا عَيْرُ شُرُودٍ

(٤) العلا : جمع العليا ، تأنيث الأعلى - كالكبر في جمع الكبرى - وتساوى : إن كان ماضياً ثبت الياء في آخره ، وهو في موضع جزم ؛ وإن كان بمعنى تنسوي - بحذف إحدى التامين - فلا ياء ، لأنه مجزوم لوقوعه جواباً للشرط والحايي والمقاتل جمع الحيا والمقتل : مصدرين ميبين بمعنى الحياة والقتل يقول : من يطلب ما أطلب

أَلَا لَيْسَتْ الْحَاجَاتُ إِلَّا نَفُوسِكُمْ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفَ وَسَائِلُ^(١)
فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ أَمْرِي رُوحَهُ لَهُ

وَلَا صَدَرْتُ عَنْ بَاخِلٍ وَهُوَ بَاخِلٌ^(٢)

غَثَاةُ عَيْشِي أَنْ تَفِثَ كِرَامَتِي وَلَيْسَ بِفِثٍ أَنْ تَفِثَ الْمَا كِلَ^(٣)

* *

وقال لصديق له في صباه :

أَحْبَبْتُ بَرِّكَ إِذْ أُرَدْتُ رَجِيلاً

فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ مَا وَجَدْتُ قَلِيلاً^(٤)

وَعَلِمْتُ أَنَّكَ فِي الْمَكَارِمِ رَاغِبٌ صَبُّ إِلَيْهَا بُسْكَرَةٌ وَأَصِيلٌ^(٥)

فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَيَّ هَدِيَةً مِنِّي إِلَيْكَ وَظَرَفَهَا التَّأْمِيلَ^(٦)

من الشرف والرتب العالية استوى لديه الحياة والقتل ، لأنه علم أن معالي الأمور فيها المخاوف والهلاك ، فيكون قد وطن نفسه على الهلاك ، فهو يصبر عليه ولا يكثر له (١) نصب السيوف لأنها استثناء مقدم كبيت الكميث :

ومالي إلا آل أحمد شيعه ومالي إلا مذهب الحق مذهب

والوسائل جمع الوسيلة ، وهي الوساطة بين الطالب وللطوب . يقول : - للملوك عصره - : لا نطلب إلا أرواحكم ولا نتوسل إلا بسيفونا .

(٢) قال ابن جنى : يعني إذا وردت السيوف روح امرئ كانت أملاك بها منه وإذا صدرت عنه صار وإن كان بخيلا غير بخيل ، لأن السيف ينال منه ما يطلب منه أو يفقد روحه بماله :

(٣) الغث : الرديء من كل شيء ؛ وأصله من غث اللحم : إذا كان مهزولا . يقول رداءة عيشي في رداءة كرامتي لا في رداءة مطاعمي

(٤) الرحيل : اسم بمعنى الارتحال . يقول : لما أزمعت أن ترحل مسافراً أحببت أن أبرك ، فوجدت أكثر ما عندي قليلاً بالإضافة إلى عظم قدرك .

(٥) الصب : المشتاق ؛ ورغب في الشيء : أراه وطلبه ؛ ورغب عنه : لم يردده ؛ والبسكرة : أول النهار ؛ والأصيل : آخره .

(٦) قال الواحدي : قال ابن جنى . هذا البيت يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون

بِرِّ يَخْفُ عَلَى يَدَيْكَ قُبُولُهُ ، وَيَكُونُ تَحْمِلُهُ عَلَى نَقِيلٍ^(١)

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجى :
عَزِيزُ أَسَى مِنْ دَاوَاهُ الْحَدَقُ النَّجْلُ

عِيَاءَ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلِ^(٢)

أهدى إليه شيئاً كان أهدها إليه صديقه المدوح ، والآخر : أن يكون أراد جعلت ما كان من عادتك أن تهديه إلى وتزودنيه وقت فراقك هدية مني إليك ، أى أسألك أن لا تتكلفه لى ، ثم قال الواحدى : قال العروضى فيما أملاه على مما استدركه على ابن جنى : أراد - أى التنبي - أنك تحب أن تعطى فجعلت قبول هديتك إلى هدية مني إليك لحبك ذلك . وقول العروضى أمدح وأليق بما قبله من رغبته فى المكارم واشتياقه إليها . وقوله وظرفها التأميلاً : فالظرف وعاء الشيء . يقول : جعلت تأميلي مشتملاً على قبول هذه الهدية كاشتمال الظرف على ما فيه .

(١) قال ابن جنى : أى لا كلفة عليك فيه ، لأنى لم أتكلف لك شيئاً من مالى ، وإنما هو مالك عاد إليك أو بقى بحاله لديك ، ويكون تحمل شكرك على قبوله نقيلاً على لتكامله صنيعك به ، وقال العروضى : هذا البيت تأكيد لما فسرته ، فتأمله ، لأنه يقول : هذه الهدية برحبه فيخف عليك قبوله لأنه إعطاء لى ، وأنت تخف إلى الإعطاء ولا منة عليك فيه وإنما المنة لك ، وحمله إنما يشغل على لا عليك ، لأنك إذا أعطيتنى أنقلت رقبتي بالشكر .

(٢) للعزيز : الشيء الذى يقل وجوده ، ويجوز أن يكون بمعنى شديد صعب غالب للصبر ، والأسى : العلاج ، يقال : أسوت الجرح أسوه أسوا وأسى إذا دوايته وأصاحته قال الأعشى :

هَذِهِ الْبُرِّ وَالْتَقَى وَأَسَا الشَّقِّ وَحَمَلُ الْمَضِيعِ الْأَنْتَقَالِ^(١)

وعزيز : حبر مقدم ، وهو مضاف إلى أسى ، ومن دوائه : مبتدأ مؤخر . وانتجلى جمع النجلاء ، الواسعة . والعياء : الداء الذى لا علاج له قد أعيا الأطباء . وهو خبر عن ضمير محذوف يرجع إلى الداء أو إلى الحدق ، يقول : يعز علاج من داؤه هو الحدق النجل وهو داء عياء به مات العشاق من قبلنا ويروى عزيز أسى من داؤه - بتنونين عزيز -

(١) الشق : الصدع ، ويروى : الصدع . ، والمضلع : المنقل للأضلاع ، أى الانتقال الأحمال المضلعة .

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى فَمَنْظَرِي
نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ أَلْهَوَا سَهْلٌ^(١)

وإضافة أسي إلى « من » ورفعه بالابتداء لتخصه بالإضافة، وعزير : خبره، والتقدير أسي من داؤه الحدق النجل عزير . و يروي عزير أسي — على أن أسي تمييز كما تقول : عزير دواء ، فيكون عزير خبراً مقديماً ، ومن داؤه : مبتدأ مؤخر ، قال العكبري : وهذا إذا جعلت « من » معرفة ، أما إذا جعلت « من » نكرة كان عزير مبتدأ . وذهب بعض النحويين إلى أن المبتدأ والخبر إذا كانا نكرتين فالمبتدأ هو الأول لا غير ؛ وقد يكون المبتدأ والخبر نكرتين وأحدهما أخص من الآخر ، كقولك : ذهب خاتم في أصبعه ، فخاتم هنا أخص من ذهب ، وهو ثان ، فيكون مبتدأ أولى من ذهب . و« من » توصف . على وجهين بالجملة والفرد ، فوصفها بالجملة نحو :

رُبٌّ مَن أَنْضَجَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَ^(١)

وبالفرد نحو قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

فكفي بنا فضلاً على من غيرنا حُبُّ النبيِّ محمدٍ إيانا^(٢)

فن : نكرة في البيتين ، لأن « رب » لا يلها المعرفة . وقول حسان : على من ؛ أي على قوم أوناس ؛ ويجوز رفع « غيرنا » على أنه خبر مبتدأ محذوف . يريد من هو غيرنا ، كقراءة الأعمش « تماماً على الذي أحسن » بالرفع ، فيجعل « من » موصولة ؛ ويجوز لمن نون أسي — أي ونون عزير — أن يرفع من رفع الفاعل بفعله على رأى الكوفيين والأعمش من إعمال اسم الفاعل ، والصفة المشبهة باسم الفاعل من غير اعتماد ، كقولك قائم غلامك :

(١) منظرى : أي موضع النظر مني ، ويجوز أن يكون مصدرًا مضافاً إلى المفعول

(١) من أبيات لسويد ابن أبي كاهل اليشكري : وبعده :

ويُرْزَقُ كَالشَّجَاوِ ، حَلَقَهُ عَسِيرًا مُخْرَجُهُ مَا يُنْتَرَجُ

ويحييني إذا لاقيته وإذا مكّن من لحمي رتع

وقوله رب من : أي رب رجل أنضجت قلبه من الغيظ : أي أكدته . والشجا :

ما يعترض في الحلق ؛ ومخرجه : إخراجه ؛ ورتع : أكل فيه كيف شاء .

(٢) فضلاً : يروي شرفاً ، وهو تمييز ؛ وحب : فاعل كفي ؛ والباء زائدة في

المفعول ، وهو « بنا » .

وَمَا هِيَ إِلَّا لِحَظَّةٍ بَعْدَ لِحَظَّةٍ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ رَحَلُ الْعَقْلِ (١)
 جَرَى حُبُّهَا تَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي
 فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلٌ (٢)
 وَمِنْ جَسَدِي لَمْ يَتْرُكِ الشُّقْمُ شَفْرَةً
 فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا وَفِيهَا لَهُ فِقْسَلٌ (٣)
 إِذَا عَاذَلُوا فِيهَا أَحَبْتُ بَأَنَّهُ حَبِيبَتَا قَلْبًا فُوَادَا هِيََا جُمْلٌ (٤)

والنذير : المنذر ؛ وعدها يالى على تضمينه معنى الرسول . يقول : من أراد أن يعرف حال الهوى فلينظر إلى فنظري منظر من ظن أن أمر الهوى سهل .

(١) الضمير : للقصة والشأن . يقول : ما هي إلا أن يلحظ العاشق مرة بعد أخرى فإذا تمكنت النظرة من قلبه رحل عقله وطار ، لأن الهوى والعقل لا يجتمعان .
 (٢) يقول : جرى حب هذه المحبوبة في عروقي مجرى الدم لشدة امتزاجه بي ، فشغلي عن كل ماسواها ، وروى به - أى بالحب - ؛ وقوله حبها : الضمير للمحبوبة وإن لم يجر لها ذكر لدلالة المقام ، وهو كثير في كلامهم . قال الواحدى : وروى بعد هذا البيت بيتان منحولان وهما :

سَبَتْنِي بَدَلًا ذَاتُ حُسْنٍ بَرَيْنَا تَكْحُلُ عَيْنَهَا وَلَيْسَ لَهَا كَحْلٌ

كَأَنَّ لِحَاطَ الْعَيْنِ فِي فَتْكِهَا بِنَا رَقِيبٌ تَعْدَى أَوْ عَدُوٌّ لَهُ دَخَلٌ

« سبتى أسرتى ؛ والدل : الدلال ؛ واللحاط : مؤخر العين ؛ والدخل : الريبة »
 (٣) فما فوقها : أى فما هو أعظم منها ، وبجوز أن يريد فما دونها فى الصغر ، يقول : قد أثر سقم الهوى فى كل شيء من بدنى فظهر فيه فعله . وما أبدع قول القائل فى مثل هذا المعنى :

خَطَرَاتُ ذِكْرِكِ تَسْتَفِزُّ مَدَامِعِي فَأَحْسُ مِنْهَا فِي الْفُوَادِ دَيْبِيَا

لَا عُضْوٌ لِي إِلَّا وَفِيهِ صَبَابَةٌ فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قَلُوبَا

(٤) عذلوا : لاموا . وأنة : فعلة من الأنين ، يكون من شدة الوجع . تقول أن بين أنينا : إذا اشتكى وجعا ، وهيا : حرف نداء - كيا وأيا وأى والهمزة - والحبيبة : الحبيبة . قال المكبرى : قوله حبيبتا : الفواد حبيبة فصغرها للتقريب من قلبه ،

كَانَ رَقِيْبًا مِنْكَ سَدَّ مَسَامِييْ
عَنِ الْعَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا الْعَذْلُ^(١)

يَابْنَ أُمِي وَيَا حَبِيْبَ نَفْسِي أَنْتَ خَلَفْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيْدٍ
وَتَصْغِيْرِ التَّعْظِيْمِ كَقَوْلِ لَيْدٍ :

وَكَلُّهُ أَنْسٌ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْبِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنْمِئِلُ
وَقَوْلِ الْحَبَابِ بْنِ مَنْذِرٍ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ «أَنَّهُ جَذِبَهَا الْحَمَكُ وَعَذِقَهَا الْمَرْجَبُ»^(١)
وَتَصْغِيْرِ التَّحْقِيْرِ مِثْلَ أَنْيْسَانَ وَنَحْوِهِ . قَالَ ابْنُ جَنِيٍّ : وَالْأَنْفُ فِي «حَبِيْبَتَا» وَفِي «قَلْبَا»
وَفِي «فُوَادَا» : بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ ، وَكُلُّهَا فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ ، لِأَنَّهُ نِدَاءٌ مُضَافٌ ،
أَرَادَ : يَا حَبِيْبِي ، يَا قَلْبِي ، يَا فُوَادِي ، يَا جَمَلٍ - وَجَمَلُ اسْمِ الْحَبِيْبَةِ - وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ : يَجُوزُ
أَنْ تَكُونَ الْأَنْفُ فِيهَا لِلنَّدْبَةِ أَرَادَ يَا حَبِيْبَتَاهُ ، يَا قَلْبَاهُ ، يَا فُوَادَاهُ ، خَذَفَ الْمَاءَ لِلدَّرَجِ
قَالَ : وَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ فُورَجَةَ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ فُورَجَةَ : قَلْبَا فُوَادَا يَدْعُوهَا لِأَنَّهُ يَتَشَكَّاهُمَا
شَكْوَى الْعَلِيْلِ ، كَمَا قَالَ دَيْسَمُ ابْنُ شَاذَلُوَيْهِ الْكُرْدِيُّ :

أَنِيفِي أُنَيْسِي ، وَشَجْوِي وَسَادِي ، وَعَيْنِي كَيْلٌ بِشَوْكِ الْقَتَادِ

إِذَا قِيلَ دَيْسَمٌ مَا تَشْتَكِي أَقُولُ بِشَجْوِ فُوَادِي فُوَادِي

فَهَذَا أَيْضًا يَقُولُ قَلْبِي فُوَادِي : أَيُّهُ الَّذِي أَتَشَكَّاهُ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنِّي إِذَا عَذَلْتُ
فِي حِمَا أَجِبْتَهُمْ بِأَنَّهُ ثُمَّ قَلْتُ قَلْبِي فُوَادِي يَا جَمَلٍ . يَرِيدُ أَنِّي لَا أَلْتَفِتُ إِلَى الْعَذْلِ وَلَا أَزِيدُ
طَى الْأَنْبِيْنَ وَدَعَاءَ الْمُحِبِّ لِيُعِيْنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّرَاحِ : قَلْبًا فُوَادًا فِي حَمَلٍ
رَفَعَ عَلَى تَقْدِيْرِ حَبِيْبِي قَلْبِي فُوَادِي : أَيُّهُ لِي بِمَنْزِلَةِ الْقَلْبِ ، وَطَى هَذَا «جَمَلٌ»
اسْمٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْعَوَازِلِ : أَيُّهُ أَقُولُ لَهَا هِيَ قَلْبِي فَلَا أَفَارِقُهَا وَلَا أَسْمَعُ عَذْلَكَ فِيهَا :
(١) الْمَسَامِعُ : جَمْعُ مَسْمَعٍ - كَمَنْبَرٍ - الْأُذُنُ . يَقُولُ - لِجُحُوْبَتِهِ - : كَأَنَّكَ أَقَمْتَ رَقِيْبًا

(١) عَفَى بِالْجَذْبِ - هَهُنَا - الْأَصْلُ مِنَ الشَّجَرَةِ تَحْتَكُ بِهِ الْإِبِلُ فَتَشْتَفِي بِهِ : أَيُّهُ قَدْ
جَرَبْتَنِي الْأُمُورَ وَلِي رَأْيٌ وَعِلْمٌ يَشْتَفِي بِهِمَا كَمَا تَشْتَفِي هَذِهِ الْإِبِلُ الْجَرَبِيَّ بِهَذَا الْجَذْلِ ؛
وَصَغَرَ عَلَى جِهَةِ الْمَدْحِ ؛ وَعَذِيقٌ : تَصْغِيْرُ الْعَذْقِ ، وَهُوَ النَّخْلَةُ ؛ وَالتَّرْجِيْبُ : الْإِرْفَادُ
النَّخْلَةَ مِنْ جَانِبٍ لِيَمْنَعَهَا مِنَ السَّقُوطِ : أَيُّهُ أَنْ لِي عَشِيْرَةٌ تَعْضُدُنِي وَتَمْنَعُنِي وَتَرْفُدُنِي ؛
وَالْتَصْغِيْرُ لِلتَّعْظِيْمِ .

كَأَنَّ سُهَادَ النَّوْلِ يَفْشِقُ مَقْلَتِي ، فَبَيِّنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَضَلُّ^(١)
أَحِبُّ الَّتِي لِي بَدْرٍ مِنْهَا مَشَابِهٌ ،
وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُ لَهُ شَكْلٌ^(٢)

على مسامى يحول دون العذل فليس يدخلها ؛ وأول هذا البيت من قول العباس
ابن الأحنف :

أقامت على قلبي رقيباً وناظرياً فليس يؤدّي عن سواها إلى قلبي
وقول الآخر :

كأن رقيباً منك يرعى خواطري ، وآخر يرعى ناظري ولساني
هذا : والرقيب الحافظ ، والرقيب : المنتظر ، رقبه رقبه رقبه ورقباناً - بالكسر فيهما -
ورقوبا ، وترقبه وارقبه : انتظره ورصده ، ورقيب القداح : الأمين على الضرب ،
وقيل هو أمين أصحاب الليسر ، وهو أيضاً اسم السهم الثالث من قداح الليسر ؛ والرقيب
الذي في المشرق يراقب الغارب ومنازل القمر ، كل واحد منها رقيب لصاحبه ، كلما طلع
منها واحد سقط آخر ، مثل الثريا رقيبها الإكليل : إذا طلعت الثريا عشاء غاب الإكليل ،
وإذا طلع الإكليل عشاء غابت الثريا ؛ قال : -

أحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لِأَقِيَا بَنِيَّةً أَوْ يَلْقَى الثَّرِيّاً رَقِيبُهُمَا
(١) السهاد : الأرق ، وقد سهد الرجل - بالكسر - يسهد سهداً وسهداً وسهاداً :
لم ينم . ورجل سهد : قليل النوم ، قال أبو كبير الهذلي :
فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُوَادِ مُبْطِنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْسَ الْهُوجَلُ^(١)
والضمير في «بينهما» : للسهاد والمقلة . يقول : إذا تهاجرنا واصل السهاد عيني ،
أى لم أنم وجداً لفقد من أحبه ، وهذا كقوله - أى للتنبي - :

إِنِّي لِأُبْفِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وَصَالِهِ
يُجْعَلُ الطَّيْفُ يَهْجُرُ عِنْدَ الْوَصَالِ ، كما أن السهاد يصل عند الهجرة .

(٢) المشابهة : جمع الشبه - بفتحين - على غير قياس . ويصاب : يوجد . والشكل
المشاكل ، أى الشبيه والنظير . تخلص في هذا البيت من النسب إلى اللدج مفضلاً

(١) رجل حوش الفؤاد : حديده ، والهوجل : الرجل الأهوج ، والبطن :
الضامر البطن .

إِلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ شُجَاعِ الدِّي؟ اللَّهُ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ (١)

الممدوح بالكمال على العشوق في الجمال ، فذكر أن في البدر أنواعا من شبه الحبيبة منها الحسن والضياء والعلو والبعد عن الناس ؛ ثم قال : وأشكو هواها إلى من لا يوجد له نظير ، وإنما يشكو إليه ليعطيه من المال ما يتوصل به إليها .

(١) شجاع الذي : أراد شجاع الذي ، بالتنوين ، حذفه لسكونه وسكون اللام الأولى من «الذي» وذلك كثير في الشعر . وعبارة العكبري : شجاع بدل من ، «ابن» وحذف منه التنوين على مذهبه ، وبمثله كثير في الشعر القديم والحديث ، ومنه ما ذكر مسلم والبخاري وابن إسحاق في المغازي من قول عباس بن مرداس السلمي بالجعرانة للنبي صلى الله عليه وسلم حين أعطى الأقرع ابن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري من أموال هوازن كل واحد منهما مائة من الإبل وأعطى العباس دونهما فقال :

أَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهَبَ الْمُبِيدَيْنِ عَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهَا وَمَنْ تَخْفِضُ الْيَوْمَ لَا يَرْفَعُ (١)

فترك تنوين مرداس ، وهو اسم منصرف ، وبمثله :

عَمَرُوا الْعُلَا هَشْمَ الثَّرِيدِ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافَ (٢)
فهذا حجة الكوفيين في ترك صرف ما ينصرف ضرورة ، والقياس إذا كان يجوز حذف الواو المتحركة للضرورة في قول الشاعر - وهو بيت الكتاب - :

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَعَلَ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبَ (٣)

(١) النهب - ههنا - بمعنى المنهوب ، والعبيد - مصغر - اسم فرسه .
(٢) هو لابنه هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى عمراً ، وهو أول من رد الثريد وهشمه فسمى هاشماً ، فقالت فيه ابنته هذا البيت ؛ وقيل هو لآبن الزبير ، ومستنون ، أصابته سنة وقحط ، وأجدبوا ؛ والمعجاف : من العجف ، وهو الهزال وذهاب السمك .

(٣) هو للعجير السلوي ، وصف بعبيراً ضل عن صاحبه ، فيئس منه ، وجاء يبيع رحله ، فبينما هو كذلك سمع منادياً يبشر به ، وإنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن ؛ والملاط : ما ولي العصد من الجنب . ويقال

إِلَى الثَّمَرِ الْحُلُوِّ الَّذِي طَيَّبَ لَهُ فُرُوعٌ وَقَحْطَانٌ بَنُ هُودٍ لَهُ أَصْلٌ (١)
إِلَى سَمِّهِ لَوْ بَشَرَ اللَّهُ أُمَّةً
بِنَسْرِ نَبِيِّ بَشَرْنَا بِهِ الرَّسُلَ (٢)

فجواز حذف التنوين للضرورة أولى ، لأن الواو من « هو » متحركة ، والتقدير فينا هو ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من المتحرك ، وحجة بعض نحاة البصريين أن الأصل في الأسماء الصرف ، فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل ، وإلا التبس ما ينصرف بما لا ينصرف . وقد تقدم ما هو أوفى من ذلك فيما أسلفنا من هذا الشرح

(١) طيء : قبيلة المدوح ، وقحطان بن هود : أبو قبائل اليمن ، وعدنان أبو قبائل العرب . وجعل المدوح كالثمر الحلو في جوده وحسن خلقه . وقوله له : أى للثمر ، ومن روى « لها » : فالضمير للفروع ، أو لطيء . يقول : إنه ثمر قد خرج من غصون هي طيء ، وهذه الغصون قد خرجت من أصل هو قحطان .

(٢) يقول : إن الله سبحانه لا يبشر عباده بأحد من الخلق إلا أن يكون نبياً ، فلو كان يبشر بغير نبي لبشرنا به على لسان الرسل ، ويروى : لو بشر الله خلقه . هذا : وقال الجوهري : يقال بشرت الرجل أبشره بالضم بشرا وبشوراً من البشرى ، وكذلك الإبشار والتبشير ، والاسم البشارة - بكسر الباء وضمها - يقال بشرته بمولود فأبشر إشارة : أى سر ، وبشرت بكذا - بالكسر - أبشر : استبشرت به ، قال عبد القيس ابن خفاف البرجمي :

وإذا رأيت الباهشينَ إلى العلا غبراً أكفهم بقاعٍ ممحِل
فأعنيهم وأبشروا بما بشروا به وإذا هم نزلوا بطنك فأنزل
وقال بعض علماء اللغة : البشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير ، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة ، كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم ، وقد يكون هذا على حد قولهم : تحيتك الضرب ، وعتابك السيف .

للعضدين : ابنا ملاط ، ووصفه برخاوته لأن ذلك أهد لتجافي عضديه عن كركرته .
وأبعد له من أن يصديه ناكث أو ماسح أو ضنب ، وهذه كلها آفات تلحقه إذا حك بعضه كركرته - زور البعير - ومعنى يشري : يبيع ، وهو من الأضداد .

إلى القابض الأرواح والضيغم الذي
 تُحَدِّثُ عَنْ وَقْفَانِهِ أَخْيِيلُ وَالرَّجُلُ (١)
 إِلَى رَبِّ مَالٍ كَلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ تَجْمَعُ فِي تَشْنِيْتِهِ لِلْعَلَا شَمْلُ (٢)
 هَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ الْغِمْدَ سَيْفُهُ وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا الْفَضْلُ (٣)
 رَأَيْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ
 فَشَايِنَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَقَطَعَ النَّسْلُ (٤)
 عَلَى سَابِحِ مَوْجِ الْمَنَايَا بِنَحْرِهِ
 غَمْدَاةً كَأَنَّ النَّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَبِلُ (٥)

(١) الضيغم : الأسد . وسكن القاف - في وقفاته - للضرورة . وقوله تحدث الخيل : يعني أصحابها ؛ أي الفرسان . والرجل : الرجلة وهم المشاة . وإلى القابض الأرواح : أي أشكو إلى قابض الأرواح . يريد لكثرة غزواته ووقائمه وقتله الأعداء . والأرواح تروى بالنصب على أنها مفعول القابض ، وبالخفض على الإضافة ، مثل الحسن الوجه .

(٢) شت : تفرق ، والشمل : الاجتماع . يقول : كلما تفرق جمع ماله اجتمع همل معاليه ؛ وعبارة بعض الشراح : كلما جمع مالا من غزواته أو فرقه على أولياء تجمع له شمل المعالي

(٣) من خفض هام : فعلى البدل مما تقدم ، ومن رفعه : فعلى إضمار مبتدأ محذوف ، والهام : الملك الرفيع الهمة . والغمد : جفن السيف . يقول : إنه يعضى في الأمور مضاء السيف ، فإذا جرد سيفه من غمده لم تدر أيهما السيف كما قال أبو تمام :

يَمْدُونُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا وَهُنَّ سِوَاهُ وَالسِّيُوفُ الْقَوَاطِعِ

(٤) ابن أم الموت : يعني أخا الموت ، جملة أخا للموت لكثرة قتله أعداءه والبأس : الشدة . ولشما شاع : يقول : لو كان لكل أحد من الناس بأسه لكانوا كلهم شجعانا وإذا ذلك يقتل بعضهم بعضا فينقطع النسل لكثرة القتل

(٥) السابح : الفرس الذي كأنه من حسن جريه يسبح ، ولما سمى فرسه سابحا : استعار للمنايا موجاً ، ونصب « موج المنايا » على الظرفية : أي في موج المنايا و« بنحره » صلة سابح ، وهذا كقول مالك بن خالد الحناعي :

وَكَمْ عَيْنٍ قَرْنٍ حَدَقَتْ لِنِزَالِهِ فَلَمْ تُقَضِ إِلَّا وَالسَّنَانُ لَهَا كُحْلٌ^(٢)

بِأَسْرَعِ الشَّدَمِ مِثْلَ يَوْمِ لَانِيَّةٍ لَمَّا عَرَقْتَهُمْ وَاهْتَزَّتِ اللَّمَمُ^(١)

أراد بأسرع في الشدة مني ، فحذف ونصب ؛ ويروي موج المنايا - بالرفع - فيكون « موج » : مبتدأ ، خبره : بنحوه : أى أن موج المنايا صار عند نحره . وأضاف « غداة » إلى الجملة التي بعدها لأن ظروف الزمان تضاف إلى الجمل ؛ تقول : رأيتك يوم قدم زيد . والمراد بالغداة هنا : مطلق الحين ؛ لا وقت بعينه ؛ كما يقال : أصبح وأمسى ؛ يراد بهما مطلق الكون أو الصيرورة ؛ والوبل : المطر الكثير . يقول : رأيت المدوح على فرس يسبح في موج بحر الحرب : أى يسرع الجرى فيه يوم كثرت سهام الأعداء في صدر فرسه كما يكثر الوبل ؛ وذلك لإقدامه وشجاعته ؛ فهو لا يبالي لذلك ويمضى قدما .

(١) القرن : الكفو في الحرب ؛ والتحديق : شدة النظر ؛ والنزال : القتال ؛ وكانوا إذا اشتد القتال نزل بعضهم إلى بعض بالسيوف ؛ وقيل كانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل إذا غروا ؛ فإذا وصلوا إلى العدو تداعوا : نزال فينزلون عن الإبل ويركبون الخيل ؛ ومنه قول الحماسي :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها يسلم أو ظفة القوائم هيكل
فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل^(١)

(١) نية : لغة في نية ؛ واللهم : جمع لمة ؛ شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة . هذا وقد روى البيت : بأسرع الشد مني . يريد بأسرع شدا مني ؛ فزاد اللام ؛ كزيادتها في بنات الأوبرا .

(٢) إذا جعلت « نزال » بمعنى النزول إلى الأرض : كان المعنى : وعلام أركبه حين لم أنزل إلى الأرض ، ومعلوم أنه حين لم ينزل هو راكب ، فكأنه قال : وعلام أركبه في حين أنا راكب ؛ أما إذا جعلت نزال بمعنى المنازلة - لا بمعنى النزول - كان المعنى : وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه ؛ أى ولم أركبه إذا لم أقاتل عليه ؛ أى في حين عدم قتالي عليه ، والشعر لربيعة ابن مقروم الضبي . والأوظفة جمع وظيف ، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها والقوائم : الأرجل ؛ والهيكل : العظيم ، وصف به الفرس . يقول : شهدت الفرسان يوم تطارددم بالرماح ، وأنا على فرس ضخم سلم الأوظفة من العيوب .

إِذَا قِيلَ رِقْقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ^(١)
وَلَوْلَا تَوَلَّى نَفْسَهُ حَمَلَ حِلْمِهِ
عَنِ الْأَرْضِ لِأَنَّهُدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الْحِمْلُ^(٢)

ثم سمي القتال نزالا ، والمقاتلة منازلة ، وإن لم يكن هناك نزول ، وأغضت العين : غمضت ، والسنان : طرف الرمح . يقول ، كم عين قرن حددت النظر نحوه قصداً لقتاله فلم تطرف عينه إلا وهد أدخل فيها سنانه ، فجعله لعينه بمنزلة الكحل .
(١) يقول : إذا طلب إليه الرفق بالأقران ، وقيل له ارفق رفقاً ، قال موضع الحلم غير الحرب : يعني أن الرفق والحلم إنما يكونان في السلم ، أما الحرب فلا رفق فيها ، والتحمل فيها جاهل - أحق - يضع الشيء في غير موضعه .
وهذا المعنى قد طرقة كثير من الشعراء ، ومنه قول الفند الزماني :

* وبعض الحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلدَّلَّةِ إِذْعَانُ *

وقول سالم بن وابصة :

إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذِلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قَدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكِرْمِ
وقال الحريري :

أَرَى الْحِلْمَ فِي بَعْضِ الْوِطَانِ ذِلَّةً وَفِي بَعْضِهَا عِزًّا يُسَوِّدُ صَاحِبَهُ
وقال الأعور الشني :

خَذِ الْقَفْوَاً وَاغْفِرْ أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنِّي أَرَى الْحِلْمَ مَالَمَ تَخْشَ مَنْقَصَةً غُنْمًا
والحلم : نقيض السفه ، وهو الأناة والتثبت والعقل .

(٢) ناء به الجمل : أنقله ؛ ويقال ناء بالجمل : إذا نهض به مثقلاً ؛ والمرأة تنوء بها عجيزتها أي تثقلها ؛ وهي تنوء بعجيزتها : أي تنهض بها مثقلة . والجمل - بكسر الحاء - ما حمل على ظهر أوراس ، وأما الحمل - بفتح الحاء - فهو ما يحمل في البطن من الأولاد في جميع الحيوانات ؛ أما ما تحمله الشجرة من الثمر فمنهم من يفتحه تشبيهاً بحمل البطن . ومنهم من يكسره يشبهه بما يحمل على الرأس ، فكل متصل حمل - بالفتح - وكل منفصل حمل - بالكسر - يصف حمله بالرزانة يقول : لولا أنه باشر بنفسه حمل حمله عن الأرض ونهض به دونها لعجزت الأرض عن حمله واندكت لثقله ، ولما كان الحلم بوصف بالرزانة والثقل والحليم يشبه بالطود - الجليل - ساغ في وصف حمل المدوح هذا الكلام ، والمعنى أنه لو كان الحلم جسماً لكان من الثقل بهذه الصفة .

تَبَاعَدَتِ الْأَمَالَ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ وَضَاقَ بِهَا إِلَّا إِلَى بَابِكَ الشُّبْلُ^(١)
وَنَادَى النَّدَى بِالنَّائِمِينَ عَنِ الشَّرَى فَأَسْمَعَهُمْ هُبُوبًا فَقَدْ هَلَكَمُ الْبُخْلُ^(٢)
وَحَالَتْ عَطَابًا كَفَعَهُ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِجْزَاؤُ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ^(٣)

(١) يقول : تباعدت آمال الناس عن جميع المقاصد ، يعنى أنها قصدتك وتوجهت نحوك دون غيرك ، وهو قوله «وضاق بها الخ» أى لا سبيل لها إلا إلى بابك ويروى إلى بابه على الغائب .

(٢) الندى : الجود ، والسرى : السير ليلاً ، و«هبوا» وما بعدها إلى آخر البيت - حكاية - . يقول : إن شيوخ نداء يستحث القاعدين عنه على طلبه ، فكأنه يناديهم ويقول لهم : استيقظوا من نومكم ، واسرؤا إليه ؛ فقد هلك بجوده البخل . هذا : ويقال هب الرجل من نومه إذا استيقظ ، وهو فعل موضوع لقوة الشيء ونشاطه ، فقد قالوا . إن الهباب النشاط ما كان ، قال لبيد :

فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزَّمَامِ كَأَنَّهَا صِهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامًا^(١)
ومنه هب النائم لأنه يزايل السكون ، وهبت الريح إذا جاءت بعد سكون وهب التيس هاج ، وأراد السفاد ، وهب السيف : إذا اهتز للقطع .

(٣) حالت اعترضت . يقول : إن عطاياه لم تدع مجالاً للوعد لأنه يعطيها معجلة ومن ثم لا يعزى إليه إنجاز ولا مظل ، لأنه إذا لم يكن ثم وعد لم يكن هناك إنجاز ولا مظل ، كما قال أشجع السلمي :

يسبق الوعد بالنوال كما يسبق برق الفيوث صوب الغمام

هذا : ويقال نجزت الحاجة إذا قضيت ؛ وإنجازكها : قضاؤها ؛ ونجز حاجته ينجزها - بالضم - نجزاً : قضاها ونجز الوعد ؛ ويقال أنجز حرماً وعد . ومن أمثالهم إذا أردت المهاجرة فقبل المناجزة . يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال^(٢) وكل ذلك من نجز الشيء : فنى وذهب فهو ناجز .

(١) الهباب : النشاط وصهباء : يريد كأنها سحابة صهباء : أى حمراء . وخف أسرع ؛ والجهايم ، السحاب الذى لا ماء فيه : أى لهذه الناقاة فى مثل هذه الحال نشاط فى السير ، فكأنها فى سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التى هراقت ماءها فانفردت عنها ، وتلك أسرع ذهاباً من غيرها

(٢) تنجز القوم : تسافكوا دماءهم ، كأنهم أسرعوا فى ذلك

فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا الْقَطْرُ وَالرَّمْلُ (١)
 وَمَا تَنْقِمُ الْأَيَّامُ يَمِّنَ وَجُوهَهَا لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ (٢)
 وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ (٣)
 كَفَى مُعْلَاً فَخْرًا بِأَنَّكَ مِنْهُمْ وَدَهْرٌ لِأَنَّ أَمْسِيَتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ (٤)

قال النابغة الذبياني :

وَكُنْتَ رَيْبِمَا لِلْيَتَامَى وَعِصْمَةٌ فَمَلَكَ أَبِي قَابُوسٍ أَضْحَى وَقَدْ نَجَزَ (١)

(١) يقول : إن عطايها لا يقدر أحد على تحديدها : أى أن يجعل لها حداً تنتهى إليه ، كما لا يقدر أحد على رد ما فات ، بل رد الفائت أقرب من تحديدها ، وأيسر من إحصائها إحصاء المطر والرمل وهما لا يحصيان .

(٢) ما تنقم : ما تعيب ، والاستفهام : معناه الإنكار ، ويجوز أن يكون نفيًا وإخبارًا . والضمير في وجوهها : للأيام ؛ وفي أخمصه : للمدوح ؛ والأخص : باطن : القدم ، ووجوهها : مبتدأ ؛ ونعل : خبر ؛ ولأخصه : متعلق بنعل . يقول : إنه غلب الأيام بعزه ، وذلك له الأيام ذل من يطؤه بأخصه حتى يصير تحت رجله كأنه في الذل فالأيام لا تقدر أن تخالفه . أو تعيب فعله .

(٣) عزه : غلبه وأعجزه . وقوله « وإن عز » أى قل وجوده . يقول : انه لا يعجزه أمر يحاوله وإن قل وجوده إلا أن يكون ذلك الأمر المراد وجدان نظيره له فإنه يعجز عنه لعدم نظيره ، وهذا كما يقول البحترى :

كُلُّ الَّذِي تَبَيَّنَ الرَّجَالُ تَصْيِبُهُ حَتَّى تَبَيَّنَ أَنْ يُرَى شَرَوَاهُ
 « شرواه : أى مثله » ويقول أيضاً :

وَلَيْتَنُ طَلَبْتُ شَيْبَةً إِنِّي إِذَا لِمَسْكَفٍ طَلَبِ الْحَالِ رِكَابِي

(٤) نعل : بطن من طيء ، وهم رهط المدوح ، وهو مفعول كفى ، وغفرا تمييز ، وأنتك منهم : فاعل كفى ؛ والباء زائدة ، مثلها في قوله تعالى « وكفى بالله شهيدا » . يقول كفافم فخراً أنتك منهم : وارتفع دهر بفعل مضمر دل عليه أول الكلام ، كأنه قال

(١) أبو قابوس : كنية النعمان بن النذر . يقول ؛ كنت لليتامى في إحسانك إليهم بجزلة الربيع الذى به عيش الناس ، والعصمة ما يعتصم به الإنسان من الهلاك ونجرت فنى ويذهب ، أى انقضى وقت الضحى لأنه مات في ذلك الوقت

وَوَيْلٌ لِّلنَّفْسِ حَاطَتْ مِثْلَ غِرَّةٍ ۖ وَطُوبَىٰ لِّعَيْنِ سَاعَةٍ مِّنْكَ لَا تَحْمِلُ (١)
فَمَا بَقِيْعِرٍ شَامَ بَرَقَكَ فَاَقَّةٌ ۖ وَلَا فِي بِلَادٍ أَنْتَ صَيِّبُهَا تَحْمِلُ (٢)

وليفخر دهر أهل لأن أمسيت من أهله ، فأهل : صفة لدهر ؛ يعنى وليفخر دهر قد استحق أن تكون من أهله ، ولك أن تجعل دهر مبتدأ محذوف الخبر : أى وكذلك دهر . ويجوز رفع دهر عطفا على فاعل كفى ، وهو المصدر المقدر ، لأن « أن » مع خبرها بمعنى الكون لتعلق منهم باسم الفاعل المقدر الذى هو كأنن تقديره كفى ثملا غمراً كونك منهم ودهر مستحق لان أمسبت من أهله : أى وكلتام غمراً دهر أنت فيه أى أنهم غمروا بكونك منهم وغمروا بزمانك لنضارة أيامه ، كما يقول أبو تمام :

* كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حَسَنِهَا جَمْعٌ *

وروى ابن فورجه ودهرا عطف على ثملا ، قال : وأهل رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو أهل لأن أمسيت من أهله . وبعد فالعنى : كفى ثملا غمراً على سائر العرب كونك منهم ، وكذلك الدهر كفاه غمراً على سائر الأئمة كونك من أهله .

(١) حاولت : طلبت ذلك بالحيلة ، وغرة : أى غفلة . يقول : ويل لنفس طلبت منك غفلة وطوبى لعين لا تخلو من إصارك . وطوبى : فعلى من الطيب فقولهم طوبى لعنان أى العيش الطيب له ، وقيل طوبى له : حسنى له ، وقيل خير له ، وقيل طوبى : اسم الجنة بالهندية ، وقيل بالحبشية . وويل قال الجوهرى : « ويل » كة عذاب ، وويج : كة رحمة ، وقيل هما بمعنى واحد ، وهما مرفوعان بالابتداء : يقال ويل لزيد وويج لزيد ، ولك أن تقول ويل لزيد وويج لزيد ، فتنصبهما بإضمار فعل ؛ وكأنك قلت ألزمه الله ويحا وويلا ونحو ذلك . ولك أن تقول ويحك وويج زيد . وويلك وويل زيد . - بالإضافة - فتنصبهما أيضاً بإضمار فعل ، وعبارة الزجاج : الويل كة تقال لكل من وقع فى عذاب أو هلكته . قلل : وأصل الويل فى اللغة العذاب والهلاك ؛ والويل : الهلاك يدعى به لمن وقع فى هلكة يستحقها . ومنه : « ويل للمطففين » فإن وقع فى هلكة لم يستحقها . قلت : ويح لزيد يكون فيه معنى الترحم . ومنه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويح ابن صمية تقتله الفئة الباغية »

(٢) شام ابرق : نظر إليه وتطلع إلى سحابه يؤمل إبطاره ، والفاقة : الحاجة . والصيب : المطر الشديد . والحل : الجذب . يقول : لافاقة بفقير يرجى عطاءك لأنك تحقق مرجوه ، ولا جذب حيث كنت لأن جودك خصيب حيث كان ، وشام برقك : مثل لتوجيه الأمل إليه كما يشام برق السحاب .

وقال يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي :
صِلَّةُ الْهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ

نُكْسَانِي فِي السَّقْمِ نُكْسَ الْهَيْلَالِ (١)
فَنَدَا الْجِنْسُ نَاقِصًا ، وَالَّذِي يَنْقُصُ مِنْهُ يَزِيدُ فِي بَلْبَالِي (٢)
فِي عَلَى الدَّمْنَتَيْنِ بِالذَّوِّ مِنْ رِيَا كَخَالِي فِي وَجْنَةٍ جَنْبِ خَالِي (٣)
بَطُولِ كَأَنَّ فِي عِرَاصٍ كَأَنَّ لِيَا لِي (٤)
وَنُؤْيَ كَأَنَّ عَلَيْهِنَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقِ خِدَالِ (٥)

(١) نكس الرريض نكسا ونكسا ونكاسا : هاوته العلة بعد النقص والبراء : قال
أمية بن أبي عائذ الهذلي :

خَيْالٌ لَزِينِبٍ قَدْ هَاجَ لِي نُكْسًا مِنَ الْحُبِّ بَعْدَ انْدِمَالِ

يقول : إن مواصلة هجر الحبيب لي وهجر وصاله إياي قد أعاداني إلى السقم بعد الصحة
كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه .

(٢) البلبال : الهم والحزن . يقول : إن جسمه ينقص بالهزال وبمقدار نقصان
الجسم تكون زيادة الحزن : أي كلما نقص من جسمه شيء زاد بلباله بمقدار ذلك النقص
(٣) الدمنة : ما أسود من آثار الديار ، والدو الصحراء . وقوله من ريا : أي من
دمن ريا ، «من» يائية ، كقول زهير :

• أَيْنَ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةَ لَمْ تَكَلِّمْ •

يريد من دمن أم أوفى . وريا : اسم المحبوبة . والحال : شامة ، أي بثرة سوداء
ينبت حولها الشعر غالبا ، وتكون في الخد . شبه دمنتها في الصحراء بمخالين في خد
يقول : قف بدمنتي هذه المحبوبة لتنظرها وتذكر من كان فيهما من أهلها ، فقد
بقينا كأنهما خالان في خد .

(٤) الطلول : ما بقي من آثار الديار وبطول : متعلق بقف . والعراص : جمع
عرصة ، ساحة الدار . يقول . قف بطول لأثبات في العراص كما تلوح النجوم في الليالي .
يعني أن الطلول الشاخصة الباقية من ديار الأحباب تلوح في عراص خالية كما تلوح
النجوم في الليالي المظلمة .

(٥) النؤى : جمع نؤى ، وهو ما يحفر حول الحباء يقيه ماء المطر أن يدخله

لَا تَلْنِي فَإِنِّي أُعْشِقُ الْمُسَاقِ فِيهَا يَا أَعْدَلَ الْمُدَالِ (١)
مَا تُرِيدُ النَّوَى مِنَ الْحَيَةِ الذَّوَا قِ حَرِّ الْفَلَا ، وَبَرَدِ الظَّلَالِ (٢)
فَهُوَ أَمْضَى فِي الرَّوْعِ مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ
تِ ، وَأَسْرَى فِي ظُلْمَةِ مِنْ خَيْالِ (٣)
وَلِحْتَفِ فِي الْعِزِّ يَدْنُو مُحِبًّا ، وَلِعُمُرٍ يَطُولُ فِي الذَّلِّ قَالِي (٤)

كالخندق . والحدام : جمع خدمة - بفتحين - الخللخال . وخرس : يريد لاصوت لها ؛
والسوق : جمع ساق ، والحдал : الفلاظ السمان . شبه النوى حول آثار الاخبية في
استدارتها بالخلاخيل حول الأسواق الغليظة ، وإذا غلظت الساق لم يتحرك فيها الخللخال
فلم يسمع له صوت ، ومن ثم وصف الخلاخيل بالخرس . وهذا إخبار بأن النوى لم
تدفن في التراب ، وأن ما أحدثت به ملاءها كما تملأ الساق الغليظة الخللخال ، وهذا
من قول أبي تمام :

أَنَافِ كَالْحُدُودِ لُطْمِنَ حُزْنًا ، وَنَوَى مِثْلُ مَا انْقَصَمَ السَّوَارِ
فَنَقَلَ اللَّفْظَ مِنَ السَّوَارِ إِلَى الْحُدَامِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

نَوَى كَمَا نَقَصَ الْهَلَالَ بِحَاقِهِ أَوْ مِثْلُ مَا قَصَمَ السَّوَارَ الْمَعْصَمُ

(١) فيها ، في المحبوبة ، أي في هواها : متعلق بتلني : أي لا تلني في هواها فإنني
أعشق العشاق وإن كنت أنت أعذل العذال .

(٢) النوى : البعد والفراق وعنى بالحية نفسه ، والحية تطلق على الذكر والأنثى . يريد :
أنه قد تفرس ببحر الفلوات في النهار ويبرد الليل ، والليل ظل كله ، يعني أنه تعود السير في
الحر والبرد فلا تؤثر فيه الأسفار ، قال الواحدي : وهذا شكاية من الفراق وأنه
مبتلى به .

(٣) أمضى : أتخذ . والروع . الفزع والهول وأسرى من السرى ، وهو السير ليلا ،
شبهه نفسه بملك الموت لأنه يخوض غمار الحروب لأخذ الأرواح من غير خوف ،
والخيال يوسف بالسرى ولا يكثر بعد المسافات .

(٤) الحنف : الهلاك ؛ واللام الداخلة عليه للتقوية متعلقة بمحب ، ويدنو : صفة
الحبيب ، ومحب : عطف على أمضى - في البيت السابق - والقالي : الميغص يقول إنه
محب للحنف القريب إذا كان في العز ، وميغص للعمر في الذل وإن طال ذلك العم ،
يعني أن الموت في العز أحب إليه من الحياة في الذل .

نَحْنُ رَكْبٌ مَلِجْنٌ فِي زَيْ نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصِ الْجَمَالِ (١)
 مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيدِ تَمْشِي بِنَا فِي السَّبِيدِ مَشَى الْأَيَّامِ فِي الْأَجَالِ (٢)
 كُلُّهُ هُوَ جَاءَ لِلدِّيَامِيمِ فِيهَا أَثْرُ النَّارِ فِي سَلِيطِ الذَّبَالِ (٣)
 عَامِدَاتٍ لِلْبَدْرِ وَالْبَحْرِ وَالضَّرِّ غَامَّةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ الْمِفْضَالِ (٤)
 مَنْ يَرْزُهُ يَرْزُهُ سُلَيْمَانَ فِي الْمُلْكِ جَلَالاً وَيُوسُفَا فِي الْجَمَالِ
 وَرَبِيعاً يُضَاحِكُ الْفَتِيثُ فِيهِ
 زَهَرَ الشُّكْرُ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَالِي (٥)

(١) الركب : جمع الركاب . وقوله ملجن : أراد من الجن ، غذف التون لسكونها وسكون اللام من الجن ، وهذا كقولهم بلعبر في « بنى العبر » وبلقين في بنى القين والزي : الهيئة . يقول : إنهم كالجن في إلفة الجاهل والفوات والغوات وركائبهم كالطير في سرعة قطع المسافات . وهذا من قول أبي تمام :

فِي ثُبَّةٍ إِنْ سَرَوْا فَجَنُّهُ أَوْ يَمْمُوا شُقَّةَ فَطِيرِ

« الثبة : الجماعة ؛ والشقة : السفر البعيد »

(٢) الجديد : فحل كرم كانت العرب تنسب إليه الإبل . والبيد . الصحراوات . يقول : إن هذه الجمال التي هي كالطير في السرعة من بنات هذا الفحل الكريم تقطع بنا المفاوز قطع الأيام للأجال حتى تفننها . وهذا من قول صريع النوني :

مُوفٍ عَلَى مَهْجِجِ الْيَوْمِ ذُو رَهْجِجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلِ

(٣) الهوجاء : الناقة التي لاتستوى في سيرها للنشاطها وخفتها كالريح الهوجاء والدياميم :

جمع ديمومة ، وهي المفازة لا ماء بها ؛ والسليط : الزيت ؛ والذبال جمع ذبالة وهي الفتيلة . يقول : كل ناقة قد أثرت فيها الفلوات تأثير النار في دهن الفتيلة ، ولعني قد أفتناها السير كما تفتى النار دهن الفتيلة ، وعبارة بعض الشراح . إن المفاوز قد ألهبتها بالظمأ والحرق فأثرت فيها أثر النار في دهن الفتيلة .

(٤) عامدات : قاصدات ؛ والضرغامة : الأسد : شبه الممدوح بالبدري في الحسن والشرف والعلو ، وبالبحر في الجرد والكرم . وبالأسد في البأس والشجاعة ، ثم قال نه ! مفضل أي كثير الفضل .

(٥) وريعا ؛ عطف على مفعول يزر - في البيت السابق - جعل الممدوح ربيعا -

نَفَحْنَا مِنْهُ الصَّبَا بِنَسِيمٍ رَدَّ رُوحًا فِي مَيِّتِ الْأَمَالِ (١)
هَمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَفَعُ الْمَوَالِي وَبَوَارُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَمْوَالِ (٢)
أَكْبَرُ الْعَيْبِ عِنْدَهُ الْبُخْلُ وَالطَّمَنُ
نُ عَنَيْهِ التَّشْبِيهُ بِالرَّبَائِلِ (٣)

وهو الزمن المعروف ويطلق على الحصب ، وجعل عطاءه غيثا - مطرا - لذلك الربيع ، وجعل شكر الشاكرين زهرا يضاحك الغيث ، لأن الزهر إنما يتفتح ويحسن بعد مجيء الغيث كالشكر يكون بعد العطاء ، ثم استعار لمعاليه رياضا لتجانس الألفاظ ، وكأن هذا الزهر قد طلع من رياض معاليه لأنه لولا كرمه ووجه للوجود ما أتى عليه الشاكرون يقول : إن جوده يطر على السائلين فتبتسم له ثغور الثناء ابتسام الزهر بعد المطر .
(١) نفحت الريح : هبت أو نسمت ، ونفح الريح : هبوبها في البرد ؛ واللفح : هبوبها في الحر . ونفح المسك ينفع : فاحت ريحه ؛ والصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وقوله منه : أي من الربيع المذكور . لما شبه المدوح بالربيع شبه ما انتشر من ذكر مكارمه بالنسيم الذي يهب في الربيع . يقول : هبت علينا نسمة من أخبار كرمه أحييت مامات من آمالنا .

(٢) الموالى : جمع مولى . وهو الحليف والصدق ، والبوار : الهلاك
(٣) عنده أي في رأيه واعتقاده ، والرئيل : الأسد . يقول : هو يرى أن أكبر العيوب : البخل ، ومن ثم يتجنبه ويتحاماها ، وإذا شبهه أحد بالأسد كان ذلك كالطعن عليه لأن الأسد دونه بأسا وإقداما ، وقال العكبري - تفسيراً لصدر البيت - أكبر عيب يعيب به أحدا عنده البخل لأنه كريم فلا يحب بخيلا ، فإذا عاب إنسانا قال هو بخيل . هذا : والرئيل مهنوز - وقد سمع مخففاً ؛ والجمع : الرأيل والريائل - على الهمز وتركه - قال بعضهم : يجوز فيه ترك الهمز ، وأنشد لجرير :

رَيَابِيلُ الْبِلَادِ يَخْفَنَ مِنِّي وَحِيَّةُ أُرَيْحَاءَ لِي اسْتِجَابَا (١)

ومثله لأبي حية النخري .

ويلقي كما وكنا يداً في قتالنا رَيَابِيلَ مَا فِينَا كَهَامٍ وَلَا نِكْسُ
ويقال فلان يترأبل : أي يغير على الناس ويفعل فعل الأسد .

(١) أُرَيْحَاءُ ؛ بيت المقدس .

وَالْجَرَاحَاتُ عِنْدَهُ نِعْمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيِّئِهِ بِسُؤَالٍ (١)
ذَا السَّرَّاجُ الْمُنِيرُ هَذَا النِّقِيُّ السَّجِيبُ هَذَا بَقِيَّةُ الْأَبْدَالِ (٢)

(١) النعمات : جمع نعمة ، وهي هنا الصوت ؛ والسبب : العطاء : يقول : عادته أن يعطى بغير سؤال فإن سبقت عطاءه نعمة من سائل بلغ ذلك منه مبلغ الجراحة من المجروح أسفا على أن عطاءه تأخر حتى أتى يطلبه ؛ يعني أنه يشق عليه نعمة السائل قبل الإعطاء ؛ ويحكي أن الحسن بن علي عليهما السلام أتاه مال من معاوية ، فقسمه فلم يبق إلا خمسمائة دينار ، فأراد أن يقوم بها من مجلسه ، فالتفت وإذا أعرابي قد جاء على ناقة له ، فقال الحسن لعلامة : ادفع إليه هذه الدنانير وقل له إنك أتيت ولم يبق عندنا سواها فأخذها الأعرابي وقال له : يا ابن بنت رسول الله ! والله ما أتيتك إلا قاصدا ، فإذا أعلمك بحالي ؟ فقال له : إنا أناس نعطي قبل السؤال شحا على مارجاه السائل لنا ، ثم أنشد :

نحن أناس جنابنا خضيل يسرع فيه الرجاء والأمل
نبدل قبل السؤال نائلنا شحا على مارجاه من يسأل

ومثل هذا المعنى قول مروان بن أبي حفصة يرثي معن بن زائدة :

ثوى من كان يحمل كل ثقل ويسبق فيض راحته السؤال

وقال الخطيب التبريزي : يلتذ بنعمات السائل كما يلتذ الجراح (١) وقد روى اليازجي هذا البيت هكذا :

والجراحات عنده نِعَمَاتٌ سُبِقَتْ قَبْلَ سَيِّئِهِ بِسُؤَالٍ

وشرحه هكذا : يجوز في « نعمات » كسر العين على الاتباع ، وفتحها للتخفيف أو على أنها جمع نعم ، فتكون جمع الجمع ؛ وبسؤال : متعلقة بسبقت . يريد : أن عادته سبق عطاءه للسؤال ، فإذا سبق السؤال عطاءه ؛ كان ذلك مؤلما له كالجراحة عند المجروح

(٢) جعله سراجا منيرا لأنه برأيه يهتدى في مشكلات الخطوب ودجنات الأمور . أو علمه يهتدى إلى ما أشكل من المسائل ، والجيب : ما انفتح من القميص على النحر ، والنقي الجيب : عبارة عن الطاهر من العيب ؛ أي أن ثوبه لا يشتمل على دنس

(١) لعل الإمام التبريزي يريد كما يلتذ بالجراحات التي تصيبه في الوغى : أي أنه كريم شجاع .

- فَخُذَا مَاءَ رَجُلِهِ وَأَنْضَعَا فِي الْمُدْنِ تَأْمِنَ بَوَائِقَ الزَّلْزَالِ (١)
 وَأَمْسَحَا ثَوْبَهُ الْبَقِيرَ عَلَى دَا نِكَمَا تُشْفِيَا مِنَ الْإِعْلَالِ (٢)
 مَالًا مِنْ نَوَالِهِ الشَّرْقِ وَالْفَرْقِ
 بَ وَمِنْ خَوْفِهِ قُلُوبَ الرَّجَالِ (٣)
 قَابِضًا كَفَّهُ الْيَمِينَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَلَوْ شَاءَ حَازَهَا بِالشَّمَالِ (٤)
 نَفْسُهُ جَيْشُهُ وَتَدْبِيرُهُ النَّصْرُ ، وَأَخْلَاطُهُ الظُّبَى وَالْعَوَالِي (٥)
 وَلَهُ فِي جِهَادِهِ الْمَالِ ضَرْبٌ وَقَعَهُ فِي جِهَادِهِ الْأَبْطَالِ (٦)

والأبدال : العباد الزهاد ، سمو بذلك لأنهم أبدال من الأنبياء في إجابة دعواتهم ونصحهم للخلق ، وقيل لأنه إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر .

(١) النضج : الرش . والبوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية . والزلازل - بفتح الزاى - الاسم ، وبكسرهما : المصدر . يقول - مخاطباً صاحبه - : رشا الماء الذى يسيل من رجليه إذا توضع على المداخن تصير آمنة من الزلازل ببركة صلاحه .

(٢) البقير : قميص يشق بلا كمين ، وهو بيان للثوب . والإعلال : مصدر أعله الله إذا أصابه بعله ، وهى المرض . يقول : واستشفيا بثوبه تبركاً به حتى تشفيا مما بكما من الإعلال

(٣) مالاً : حال مضمرة العامل ، أى هو موصوف بما ذكر حالة كونه قد ملأ الأرض من عطائه وملأ القلوب من خوفه .

(٤) يقول : إنه زاهد فى الدنيا لحقارتها ولو شاء ضمها إليه كلها فملكها .

(٥) الظبي : جمع ظبية . حد السيف . والعوالى : الرماح . يقول : نفسه لشجاعته وقوته تقوم مقام الجيش ، وتدييره بإصابته فى الرأى يكفل له النصر ، وهيبته إذا نظر تقوم مقام السيوف والرماح .

(٦) قال الواحدى : يعنى أنه يفرق ماله بالمطاء فإذا فى المال أنى أعداءه فضرب جماجمهم وأغار على أموالهم ، كما يقال هو مفيد ومتلاف ، فوقع ضربه فى رهوس أمواله يكون فى الحقيقة فى رهوس الأبطال ، لأنه لو لم يفرق ماله ما عاد إلى قتالهم واستباحة أموالهم ، وهذا كقوله :

فَالسَّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبَرُ الْهَيْجَاءُ

فَهُوَا لِاتَّقَانِهِ الدَّهْرَ فِي يَوْمٍ مَرَّ نِزَالٍ وَلَيْسَ يَوْمَ نِزَالٍ (١)
 رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ دِوْطِينُ الْعِبَادِ مِنْ صَلْصَالٍ (٢)
 قَبِيَّاتُ طِينِهِ لَاقَتْ الْمَاءَ ، فَصَارَتْ عَذُوبَةً فِي الرِّزَالِ (٣)
 وَبَقَايَا وَقَارِهِ عَافَتْ النَّاسَ مِنْ فَصَارَتْ رَكَائِنًا فِي الْجِبَالِ (٤)
 لَسْتُ بِمَنْ يَمْرُؤُهُ حُبُّكَ السَّلْمَ وَأَنْ لَا تَرَى شُهُودَ الْقِتَالِ (٥)
 ذَاكَ شَيْءٌ كَفَاكَهُ عَيْشُ شَانِيكَ ذَلِيلًا بَوَقْلَهُ الْأَشْكَالِ (٦)
 وَاغْتِفَارًا لَوْ غَيْرَ الشَّخْطُ مِنْهُ جُمِلَتْ هَامُمُهُمْ نِعَالِ النِّعَالِ (٧)

(١) يقول : هم أبدأ يخافونه حتى كأنهم في يوم حرب لشدة خوفهم وليس الوقت يوم حرب ، وقال ابن جنى : أى فهم الدهر يتقونه لإعماله رأيه ومضاهه فيهم ، وإن لم يباشروهم بحرب ولا لقاء .

(٢) العنبر الورد : الذى يضرب لونه إلى الحمرة . والصلصال : الطين اليابس الذى يعمل منه الفخار . يقول : إنه لنقائه وطهارته خلق من العنبر وسائر الناس خلقوا من طين صلصال ، وشتان ما بينهما .

(٣) للماء الزلال : البارد السائع . يقول : إن الماء إنما استفاد العذوبة منه لأن ما بقى طينته التى خلق منها اجتمع مع الماء فصارت عذبا .

(٤) عاف الشيء : كرهه ، والركاينة : الرسوخ والسكون . يقول : وإن ما بقى مما أعطى من اللحم والرزانة كرهه وأنف أن يحل فى الناس لحل فى الجبال فأفادت بذلك ثباتها وركائنها .

(٥) يفره : يخذعه . والسلم : ضد الحرب ، وترى من الرأى ؛ والشهود : مصدر بمعنى الحضور . وتمة المعنى فى البيت التالى .

(٦) الإشارة بقوله ذاك : إلى القتال وكفاكه : أغناك عنه ؛ والشانى : هو الشانىء - بالهمز - أى البغض ؛ وذليلا : حال ، والأشكال : الأشباه والأمثال . يقول : لا يفرنى ما أراه من محبتك السلم وأنك لا ترى حضور القتال ، فأقول إن ذلك من الجبن وإنما كفاك القتال وأغناك عنه أن من عاداك قد ذل وأن ليس هناك أ كفاء لك يستحقون أن تنازلهم فى حرب :

(٧) واغتفار : عطف على فاعل كفاكه ، و«من» فى منه زائدة : أى لو غيره السخه والهام : الرءوس ، والسكناية فى هامهم تعود إلى الأعداء ، دل عليه قوله عيش شانىك

لِجِيَادٍ يَدْخُلْنَ فِي الْحَرْبِ أَعْرَاءَ ، وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَمٍ فِي جِلَالٍ (١)
وَاسْتَعَارَ الْحَدِيدُ لَوْنًا وَالَّتِي لَوْنُهُ فِي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ (٢)
أَنْتَ طَوْرًا أَمْرٌ مِنْ نَاقِعِ الشَّمِّ وَطَوْرًا أَحَلَى مِنَ السَّلْسَالِ (٣)

يقول : وكفناك القتال عموك وتجاوزك ولو غير السخط ذلك الاغتفار والعفو لهدت
ردوسهم بهوافر خيلك حتى تصير هامهم نعالا لنعالمها . وقال ابن جنى : لو احفظوك
وحملوك على ترك الاغتفار لأهلكتهم ، ولقد أحسن في كنياته عن الحليظة بقوله :
لوغير السخط منه ، ومثله :

ولو ضَرَّ خَلْقًا قَبْلَهُ مَا يَسْرُهُ لَأَثَرَ فِيهِ بِأَسْهُ وَالتَّكْرَهُمْ
كفى عن الضرر باثر فيه .

(١) لجياد : متعلق بمحذوف حال من نعال - في البيت السابق - فيه تضمين ، وقد
عابه عليه قوم . والأعراء : جمع عرى ، وهو الذى لا سرج عليه . يقال فرس عرى
وأفراس أعراء ، والجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة . يقول : إنها تدخل الحرب
أعراء من الجلال ثم تخرج منها وعليها جلال من الدم الذى جف عليها ، كما قال جرير :
وتنكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون أشقرًا
(٢) استعار . معطوف على جواب « لو » ، والمراد بالحديد : السيوف . والدوائب
جمع ذؤابة ، الحصلة من الشعر . يقول : إن سيوفه تستعير وتعير فإن لون الدوائب - وهو السواد
ينقل إليها ، وذلك أن الدماء إذا جفت عليها اسودت ، ولونها - وهو البياض - ينتقل
إلى الدوائب فإنها بالروع تشيب الأطفال .

(٣) الطور : التارة ، ونصب على الظرفية ؛ والنابع من السم : الثابت في بدن شاربه
لا يزاله حتى يقتله ؛ والسلسلة : الساء العذب الذى يتسلسل في الحلق يقول : أنت سم
لأعدائك حلو لا وليائك ، وهذا المعنى طرقة كثير من الشعراء ، قال أبو دؤاد :

فَهُمْ لِلْمَلَأَيْنِينَ أَنَاءَ وَعُرَامٍ إِذَا يُرَامُ الْعُرَامُ
وقال أبو نواس :

حَدَّرَ امْرِيءٍ نُصِرَتْ يَدَاهُ عَلَى الْعِدَا وَنَقَلَهُ أَبُو الشَّيْصِ إِلَى السَّيْفِ قَالَ :

وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَا يَنْقَهُ لَأَنْ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنَتْهُ خَشِنَانِ

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّاسُ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي^(١)

وقال وقد دخل على أبي على الأوراجي يوماً فقال له: وددنا يا أبا الطيب لو كنت اليوم معنا، فقد ركبنا ومعنا كلب لابن ملك، فطردنا به خلبياً، ولم يكن لنا صقر. فاستحسننا صيده، فقال: أنا قليل الرغبة في مثل هذا، فقال أبو على: إنما اشتيت أن تراه فنستحسنه، فنقول فيه شيئاً من الشعر، قال: أنا أفضل، أفتحب أن يكون الآن، قال: أيمكن مثل هذا؟ قال: نعم. وقد حكمتك في الوزن والقافية؛ قال: لا، بل الأمر فيهما إليك، فأخذ أبو الطيب درجاً، وأخذ أبو على درجاً آخر يكتب فيه كتاباً فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وقال:

وَمَنْزِلَ لَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلٍ وَلَا لِفَيْرِ الْفَادِيَاتِ الْهَطْلِ^(٢)
نَدَى الْخُرَامِيِّ ذَفِيرِ الْقَرْنَفَلِ مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشٍ لَمْ يَحُلَّلِ^(٣)

- (١) يقول: أنت الناس فإذا غبت عن موضع غاب عنه الناس.
(٢) ومنزل: أي ورب منزل. والفاديات: السحاب المنتشرة مباحاً؛ والهطل: جمع هاطلة وهي السكيرة الماء. يقول: رب منزل زلناه ليس لنا بمنزل على الحقيقة لانا نرتمل عنه وليس بمنزل لشيء غير السحاب الباكرة الماطرة، يعني روضاً نزلوه. وقد أسلفنا القول على واو «رب» في هذا الشرح
(٣) الندى: الرطب؛ والخزامى والقرنفل: نباتان طيبان. والأذفر: الذكي الرائحة. والمحلل: الذي يحل كثيراً. وقوله ملوحش: أي من الوحش، فحذف النون لسكونها وسكون اللام. يقول: يحمله الوحش دون الناس فهو محلل من الوحش غير محلل من الإنسان. قال الجوهري: مكان محلل: إذا أكثر الناس به الحلول، قال امرؤ القيس:

كِبْرُ الْمَقَانَةِ الْبِيَاضِ بِصَفْرَةٍ غَدَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْحَلَّلِ^(١)

- (١) أراد بقوله «بكر المقناة» درة غير مثقوبة أو لم ير مثلها، ثم قال غذا هذه الدرة

عَنْ لَنَا فِيهِ مُرَاعِي مُفْزَلٍ مُحَيِّنُ النَّفْسِ بَعِيدُ الْمَوْثَلِ (١)
أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنِ لُبْسِ الْحَلِيِّ وَعَادَةُ الْعُرْيِ عَنِ التَّفْضَلِ (٢)
كَأَنَّهُ مُضَمَّ نَخٍ بِصَنْدَلٍ مُعْتَرِضًا بِمِثْلِ قَرْنِ الْأَيْلِ (٣)

(١) عن : ظهر؛ والمراعي . الذي يعرى مع غيره . يقال : راعت الظبية أختها: أى راعت معها ، والمفزل : الظبية لها ولد والحين : من الحين ، وهو الهلاك ، يقال حينه الله: أى أهلكه والموئل : اللجأ . يقول : ظهر لنا في هذا الموضع ظبي يعرى مع ظبية مفزل قد حان أجله ، وفاته موضع ينجو إليه من صيدنا لأننا ندركه حينها ذهب :

(٢) الجيد : العنق ، والحلي بضم فكسر وبكسرتين وأصله بتشديد الياء ، مخفف للقفائية . جمع حلي بفتح فسكون مائتزين به المرأة من ذهب وفضة وجوهر والتفضل أن تلبس المرأة ثوبا يتنذل في المنزل ، ومنه قول امرئ القيس :

وَتُضْحِي فَتَيْتُ الْمَسْكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنِ تَفْضَلِ (١)
وفي حديث امرأة أبي حذيفة ، قالت يارسول الله : إن سالم مولى أبي حذيفة يرانى فضلا - أى متبذلة في ثياب مهنتي - وليس لنا إلا بيت واحد ، فمات أمرنى في شأنه ؟ فقال أرضعني خمس رضعات . يقول : أغنى هذا الظبي حسن جيده عن أن يلبس حليا يترين بها وقد تعود العرى فاستغنى بهذا عن اتخاذ اللباس

(٣) ضمخه بالطيب طلاه به والصندل طيب يشبه لونه لون الطباء ، ومعترضا : حال مضمره العامل ، أى أسفه بما ذكر في حال كونه معترضا ، والأيل: الذكر من الأوعال ، وفيه ثلاث لغات أيل وإيل وأيل ، والجمع أيايل ، وربما قالوا في إيل «إجل» يدلون الياء جيبا ، قال أبو النجم :

ماء غير عذب لم يكثر حلول الناس عليه فيسكدره ذلك ، والملة أناة الخلط ، وكل شيء خالط شيئا فقد قاناه ، وروى البيت بنصب البياض وخفضه ، على حد قولهم : زيد الحسن الوجه . في البيت آراء كثيرة في معناه (انظر الزوزنى واللسان مادة قى)
(١) لم تنتطق عن تفضل : أى لم تنتطق بعد تفضل : أى لم تشد وسطها بنطاق بعده لبسها ثوب المهنة ، يريد أنها مخدومة منعمة ، تخدم ولا تخدم .

يَحُولُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالتَّأْمَلِ فَحَلَّ كَلَابِي وَثَاقَ الْأَحْبِلِ (١)
عَنْ أَشْدَقِ مُسَوِّجِرٍ مُسَلْسَلٍ أَقْبَ سَاطِ شَرَسٍ شَمْرَدَلِ (٢)
مِنْهَا إِذَا يُشْفَعُ لَهُ لَا يَفْزَلُ مُوجِدِ الْفِقْرَةِ رِخْوِ الْمَفْصِلِ (٣)

كَأَنَّ فِي أذُنَيْهِمُ الشُّوْلُ مِنْ عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُونِ الْأَجَلِ (١)
قال أبو عمرو بن العلاء : بعض الأعراب يجعل الياء المشددة جيا . ويروي قرون الإيل ، شبه المتنبى لونه بلون الصندل يقول . اعترض لنا بقرن طويل كقرن الأيل .
(١) الكلاب الذى يسوس الكلاب . والوثاق ما يشد به . والأحبل : جمع حبل . يقول : إنه لسرعته لا يتمكن الكلب من النظر إليه فلا يستطيع تأمله ، فيحل الكلاب ما كان يشد به الكلب ويطلقه عليه .

(٢) عن أشدق : متعلق بـ«حل» ، أى حل الأحبل عن كلب أشدق ، والأشدق : الواسع الشدق . والمسوجر الذى فى رقبته ساجور ، وهو قلادة الكلب التى فيها مسامير والمسلسل : الذى فى عنقه سلسلة . والأقب : الضامر ؛ والساطى : الذى يسطو على الصيد أى يصول ، عليه ، وقال ابن جنى : هو البعيد الأخذ فى الأرض ، والشرس : السبيء الحلق . والشمردل : القوى السريع الفتح الحسن الحلق ؛ يقول : إنه حل الأحبل عن كلب بهذه الأوصاف .

(٣) الضمير فى « منها » للكلاب المفهومة من قوله كلابى : أى صاحب كلابى ؛ وقوله إذا يشغ من الثغاء ؛ وهو صوت الشاة ونحوها ؛ ولا يفزل : أى لا يفتر عن الطلب . وذلك أن الكلب إذا دنا من الطيب وكاد يأخذه : ثغا فى وجهه ففزله الكلب - أى تحير - ووقف مكانه من صوت الفزال ، وجزم الفعلين - يشغ ويفزل - بإذاعلى تضمينها معنى الشرط ، وهو من التجوزات الخاصة بالشعر . يقول : إن هذا الكلب ، لا يفرق من صوت الفزال ولا يفتر عنه إذا ثغا ، ثم قال : موجد الفقرة رخو المفصل ، فالموجد : الموثق القوى ؛ والفقرة :- بكسر الفاء وفتحها - ومثلها الفقارة - بالفتح : واحدة فقار الظهر ، وهو ما انتضد من عظام الصلب من لبن الكاهل إلى العصب ، والجمع فقر وقفار ، وقيل فى الجمع : فقرات وفقرات وفقرات . يعنى أنه قوى الظهر لين المفاصل وذلك أسرع لأخذه .

(١) العبسى : - ما يبس على هلب الذنب من البول والبرج

لَهُ إِذَا أُذْبَرَ لَحْظُ الْمُقْبِلِ
 كَأَنَّهَا يَنْظُرُ مِنْ سَجَنْجَلٍ (١)
 يَعْدُو إِذَا أَحْزَنَ عَدُوَّ السَّهْلِ
 إِذَا تَلَا جَاءَ اللَّدَى وَقَدْ تَلَى (٢)
 يُقْبِي جُلُوسَ الْبَدْوِيِّ الْمُصْطَلِي
 بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجَدَلِ (٣)
 قَتَلَ الْأَيْدَى رَبِذَاتِ الْأَرْجُلِ
 آثَارَهَا أَمْثَالَهَا فِي الْجُنْدَلِ (٤)
 يَكَادُ فِي الْوَثْبِ مِنَ التَّقْتَلِ
 يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ وَالْكُلْكُلِ (٥)

(١) السجنجل : المرأة . يقول : إنه يرى ما أدبر عنه كما يرى ما أقبل عليه وذلك لسرعة التفاته وشدة تيقظه ، وقد شبه صفاء حدقته بالمرأة ويروى في سجنجل . أى كأن أمامه امرأة ينظر فيها فترية ما خلفه أمامه .

(٢) يعدو : يجرى ، وأحزن : سلك في الحزن : أى الوعر : وأسهل : سلك في السهل ؛ وتلا : تبع ؛ واللدى : الغاية . يقول : إنه يعدو في الحزن من الأرض عدو الذى هو في السهل لقوة قوائمه ، وإذا تبع سائر الكلاب في طلب صيد بلغ الغاية التى يريد بها ، وقد تقدم الكلاب فصارت خلفه فصار متلوا بعد أن كان تالياً .

(٣) الإقواء . أن يجلس الكلب على إتيته ، والبدوى إذا اصطلى بالنار استدفأ بها - أقمى على أسته ونصب ركبته لتصل الحرارة إلى بطنه و صدره وجلس مفعول مطلق معنوى ، وقوله بأربع مجدولة لم تجدل : أى بأربع قوائم ؛ والحرف : متعلق بـ « يقبى » ، والمجدولة : المفتولة ، يريد بقوائم محكمة الخلق لم يجدلها أحد ، وإنما هى كذلك خلقة .

(٤) قتل الأيادى : صفة لأربع ، يقال بدفتلاء إذا تباعدت عن الصدر فلم يمسه عند العدو ، وذكر يديه بلفظ الجمع ، وكذلك الأرجل ، والعرب تفعل مثل ذلك فى التثنية . هذا : الأيادى أكثر ما تستعملها العرب فى النعم يقولون لفلان عندى يدوأياد والريذات الحفصات السريعات . والجنبدل الصخر . يقول : إن قوائمه مفتولة سريعة فى العدو وشديدة الوطء لقوتها ، وإذا وطئت الصخر أثرت فيه آثارا مثل صورتها . هذا : وقد قالوا : إن الكلب لا يوصف بشغل الوطء ، وإنما جاء هذا فى الخيل والإبل ، فنقله المتن إلى الكلب .

(٥) التقتل : كالانقتال ، والمتن : جانب الظهر عند الصلب ، والكلكل : الصدر . يقول : لسرعته ولين أعطافه إذا انقتل للوثوب على الصيد يلتوى بعضه على بعض حتى يكاد يجتمع صدره وظهره فى آن واحد .

وَبَيْنَ أَعْلَاهُ وَبَيْنَ الْأَسْفَلِ شَبِيهُ وَسَمِيَّ الْحَضَارِ بِالْأَلِي (١)
كَأَنَّهُ مُضَبَّرٌ مِنْ جَرَوْلٍ مُوْتَقٌّ عَلَى رِمَاحِ ذُبُلٍ (٢)
ذِي ذَنْبٍ أَجْرَدَ غَيْرَ أَعْزَلٍ يَحْطُ فِي الْأَرْضِ حِسَابَ الْجُمَّلِ (٣)
كَأَنَّهُ مِنْ جِسْمِهِ بِمَفْزَلٍ
لَوْ كَانَ يُبْلِي السَّوْطَ تَحْرِيكُ بَلِي (٤)

(١) الوسمى : أول المطر ، والولى : ما يليه . والحضار : العدو الشديد ، مصدر حاضره إذا جراه في الحضر وهو العدو ، وبين أعلاه : خبر مقدم ؛ وشبيه مبتدأ مؤخر ويريد بأعلاه : رأسه ؛ وبأسفله : قوائمه ، كفى بما بينهما عن جسمه ، وشبه تتابع حركته في الوثوب بتتابع المطر بعد المطر . يقول : إن عدوه الثاني في القوة والسرعة كعدوه الأول ، يعني أنه لا يعيا ولا يفتر .

(٢) المضبر : المشدود المحكم الحلق ومثله الموثق ، والجرول الحجر ومنه سمى الحطيئة جرولا كما سماوا حجرا وصخرا : يقول كأنه قد خلق من الحجارة لقوته واجتماعه ، وعن بالرماح الذبل قوائمه اللينة .

(٣) الأجرد : القليل الشعر ، وهكذا تكون كلاب الصيد ، والأعزل الذي لا يكون ذنبه على استواء مع قفاره ، وذلك عيب في الكلاب والخيول ، وإذا لم يكن أعزل كان أشد لنته ، ثم قال : إن آثار ذنبه في الأرض كأنها الكاتب إذا كتب حساب الجمل وحساب الجمل معروف . قال السكري : لأنه يحكى حروفا غير حروف الكتابة يعلم بها العشور والثمين والألوف وهو خط قبلي ؛ وذى ذنب : بدل من قوله أشدق .

(٤) يقول : كأن ذنبه منفضل عن جسمه لكثرة تلويحه وحركته ، وهو على ذلك لا تبليه كثرة تحريكه إياه ، كما أن السوط يكسر تحريكه ولا يلبه هذا التحريك ؛ وقد ذهب ابن جنى إلى أن المعنى أنه - الكلب - من سرعته وحده يكاد يترك جسمه ويتميز عنه ، قال : وقد لاذ في هذا بقول ذي الرمة إلا أنه تجاوزه :

لا يذخران من الأيغالِ باقيةً حتى تكاد تفرغى عنهما الأهبُ
وبقول أبي نؤاس :

تراه في الحضر إذا هامي به يكاد أن يخرج من إهابه (١)

(١) هامي به : زجره والضمير : للكلاب ؛ والإهاب : الجلد .

نَيْلُ الْمَنَى وَحُكْمُ نَفْسِ الرِّسْلِ وَعُقْلَةُ الظَّبِيِّ وَحَتْفُ التَّنْفَلِ (١)
فَأَنْبَرِيَا فُذَيْنِ تَحْتَ الْقَسْطَلِ قَدْ ضَمِنَ الْآخِرُ قَتْلَ الْأَوَّلِ (٢)
فِي هَبْوَةِ كَلَاهِمَا لَمْ يَذْهَبِ لَا يَأْتَلِي فِي تَرَكَ أَنْ لَا يَأْتَلِي (٣)

فهذان ذكر الإهاب - الجلد - وهو ذكر جميع الجسد ، قال ابن جنى وقوله لو كان يبلى الخ : أى هو كالسوط فى الصلابة والجدل ، فلا يؤثر فيه العدو كما لا يؤثر فى السوط التحريك .

(١) نيل المنى أى به نيل المنى ، أو هو نيل المنى : أى به ينال الصائد مناه ، والذى يرسله على الصيد يدرك به حكم نفسه والعقلة ما يعقل به الشيء من قيد ونحوه ؛ والحنف الهلاك ؛ والتنفل : ولد الثعلب . يقول : إنه يدرك الظبي فيمنعه عن الإفلات ؛ وهو من قول امرئ القيس :

* بِمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ *

ثم قال : ويدرك ولد الثعلب فيهلكه .

(٢) فأنبريا : أى الكلب والظبي : أى اعترضنا للناظرين فى عدوهما فذين : أى فردين . يريد أنه لم يكن مع الكلب كلب آخر ولا مع الظبي ظبي آخر وعنى بالقسطل : الغبار الذى ثار من عدوهما ؛ وعنى بالآخر : الكلب ؛ وبالأول : الظبي ، لأنه كان سابقاً بالعدو فراراً من الكلب . وضمنا الكلب شدة حرصه وعدوه خلفه ، فجعل ذلك ضمنا منه .

(٣) الهبوة : العبرة . ويقال ما ألوت فى كذا وما ائلت وما آلت : أى ما قصرت والذهول : الغفلة عن الشيء ، و « لا » فى « أن لا يأتلى » زائدة ، وهى تزداد فى مواضع كثيرة للعلم بها ، كما فى قوله تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب » والتقدير : ليعلم . وقال الراجز : * فى بئر لا حور سرى وماشمر (٤) *

(١) من أرجوزة طويلة للعجاج يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجه لقتال أبى فديك الحرورى ، فأوقع به وبأصحابه ، ومطلعها :

قد جبر الدين الأله فجبّر وعور الرحمن من ولى العور

إلى أن قال :

مُتَّحِمًا عَلَى الْمَكَانِ الْأَفْوَلِ
 بِمَحَالٍ طُولَ الْبَحْرِ عَرْضَ الْجُدُولِ (١)
 حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُ نِلْتَ أَفْعَلِ إِفْتَرَّ عَنْ مَذْرُوبَةٍ كَأَن لَانْصُلُ (٢)
 لَا تَعْرِفُ الْعَهْدَ بِصَقْلِ الصَّيْقَلِ مَرَكَّاتٍ فِي الْعَذَابِ الْمُنْزَلِ (٣)
 كَأَنَّهَا مِنْ سُرْعَةٍ فِي الشَّمَالِ كَأَنَّهَا مِنْ ثِقَلٍ فِي يَدْبُلِ (٤)

أى فى بئر حور؛ و « لا » زائدة « والخور المهلكة » يقول : كل واحد من الكلب والظبي لم يشتغل عن صاحبه ، فالظبي مجد فى الحرب ، والكلب مجد فى الطلب ولا يقصر الكلب فى ترك التقصير ، وإذا لم يقصر فى ترك التقصير فقد جد .

(١) مقتحما : حال من ضمير يأتلى ؛ والافتحام : الدخول فى الأمر الشديد؛ والجدول النهر الصغير . يقول : إن هذا الكلب فى وثوبه وسرعة عدوه لا يبالي بما يستقبله من هول . فهو يقتحم الهول حتى لو استقبله بحر لظنه جدولا ، فوثب إلى الشط الآخر كما يثب إذا قطع عرض الجدول .

(٢) افتتر : كشر : والمذروبة : الأنياب المحددة والأنصل : جمع نصل . يقول : حتى إذا دنا الكلب من الصيد ، وقيل له - بلسان الحال - أدركت فأفعل ما تريد ففعله من القبض عليه : كشر عن أنياب محددة كأنها نصال السيوف .

(٣) لما شبه أنيابه بالصلال قال إنها لم تصقل ولا عهد لها بالصقل كالسيوف المصنوعة إذ هى محددة مصقولة خلقة ، وعنى بالعذاب المنزل خطمه (١) فانه كالعذاب المنزل على الصيد لشدة أخذه وهول ما ينال الصيد منه .

(٤) يدبل : جبل فى الحجاز . يقول : كأن أنيابه مركبة فى ربيع الشمال من خفة

واختار فى الدين الحرورى البطر فى بئر لاحور سرى وما شعر

بإفكه حتى رأى الصبح جشرا

قوله وعور الرحمن الخ : أى أفسد الله من ولاء الفساد ؛ والحرورى : أراد به أبا فديك الخارجى . وقوله بإفكه : الباء سببية متعلقة بسرى ؛ والإفك : الكذب ؛ وجشرا الصبح : انطلق وأضاء .

(١) الحطم من كل دابة نحو الكلب والبعير : مقدم أنفها وفمها

كَأَنَّهَا مِنْ سَعَةٍ فِي هَوَجَلٍ كَأَنَّهُ مِنْ عَلَيْهِ بِالْمَقْتَلِ (١)
عَلَّمَ بُقْرَاطَ فِصَادَ الْأَكْحَلِ (٢)
فَحَالَ مَا لِلْقَفْزِ لِلتَّجَبُّدِ وَصَارَ مَا فِي جِلْدِهِ فِي الْمِرْجَلِ (٣)
فَلَمْ يَضِرْنَا مَعَهُ فَقَدُ الْأَجْدَلِ إِذَا بَقِيَتْ سَالِمًا أَبَا عَلِيٍّ (٤)
فَأَلْمَلِكُ لِلَّهِ التَّعْزِيزُ ثُمَّ لِي (٥)

* * *

الكب وسرعته في العدو، وكأنها من ثقل الكب على الصيد مركبة في جبل . جعل
الكب في خفة العدو كالريح ، وفي ثقله على الصيد كالجبل .

(١) و (٢) الهوجل : للفازة ؛ والمقتل : الموضع الذي إذا أصيب قتل صاحبه ؛
والأكحل : عرق في الذراع من عروق الفصاد . يقول : كأن أنيابه من سعة فمه في

صحراء ، وكأنه من تميزه وعلمه بمقاتل الصيد من غيرها علم بقراط - وهو الطبيب
المعروف - علم التشريح ، فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها كعرق الأكحل ؛ وبعبارة

أخرى : لما ذكر أنه عالم بالمقاتل لزم منه أن يكون عالما بغيرها أيضا ، وإلا لم تتميز له
فصار في دعواه عالما بتشريح الأعضاء ، وما يترتب على شقها من المنفعة أو الأذى ،

ولما تم له ذلك قال كأن بقراط تعلم منه التشريح ، فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها
كهذا العرق ، هذا هو المعنى ، وبذا اتفق نقد الصحاح بن عباد هذا البيت إذ يقول

ليس الأكحل بمقتل لأنه من عروق الفصد ، وهو يصف الكب بالعلم بالمقتل . . .
(٣) حال : انقلب ؛ والقفز : الوثوب . والتجدل : السقوط على الجدالة - أي

الأرض - والمرجل : القدر ؛ والمراد بما للقفز : قوائمه ؛ وبما في جلده : لحمه . يقول :
إن قوائمه هذا الظبي التي كانت للوثوب صارت للتمرغ في التراب حين أخذه الكب

وصار لحمه في القدر .
(٤) و (٥) ضاره الأمر يضره : كضره ومعه : أي مع الكب . والأجدل :

الصقر . يقول : لم يضرنا مع وجود هذا الكب فقدان الصقر ، لأنه فعل فطه فأغنانا
عنه . ثم قال - مخاطبا المدوح - : إذا بقيت سالما صدت بك الناس كلهم ، فيكون

للكب بعد الله لي بك .

وقال يمدح بدر بن عمار، وقد فصد لعة، ففاص المبزع فوق حقه،
فأضر به ذلك :

أَبْعَدُ نَأَى الْمَلِيحَةِ الْبَخَلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلِّفُ الْإِبِلُ (١)
مَوْلَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا مِنْ مَلَلٍ دَائِمٍ بِهَا مَلَلٌ (٢)

(١) أبعد : تفضيل ؛ والنأى : البعد ؛ و « ما » : نكرة موصوفة بمعنى شيء . يقول :
أبعد ما يكون من بعد المليحة بخلفها ، إذ لا يمكن قطع مسافة البخل كمسافة المكان
البعيد . ثم قال : في البعد أى في جملة البعد وأنواعه ما لا تكلف الإبل قطعه وهو البعد
بالبخل ، لأن الإبل لا تقرب هذا البعد ، وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

لا أظلم النأى قد كانت خلائقهم

من قبل وشك النوى عندى نوى قذفاً

ويقول أيضا :

فِراقٌ جَرَعَتْهُ مِنْ فِراقٍ وَفِراقٌ جَرَعَتْهُ مِنْ صُدُودٍ

ويقول البحترى :

على أن هجران الحبيب هو النوى لدى وعرفان المسىء هو العذل

ويقول أيضا :

دنتُ بأناسٍ عن تفاءِ زيارةٍ وشطَّ بلبلى عن تدانٍ مزارها

ويقول إبراهيم بن العباس :

وإن مُتيماتٍ بمنعرج اللوى لأقرب من مئى وهاتيك دارها

والأصل في هذا قول الثقب العبدى :

أفأظلمُ قبلَ بينكٍ متعيني ومنعكٍ ما سألتُ كأن تبيني

(٢) ملولة : أى هى ماولة ؛ والتاء فيها : للبالغة ، لأنه يقال : رجل ملول وامرأة
ملولة ؛ و « ما » ؛ مفعول به ؛ و « لها » : خبر ليس مقدم ؛ وملل - آخر البيت -
اسمها مؤخر ، ومن ملل : متعلق به . يقول : إنها تمل كل شيء يدوم إلا ملها الدائم ،
فإنها لا تمله ، ولو هى ملته لتركته وعادت إلى الوصل . ومن روى تدوم - بالتاء - كانت
« ما » للنفى : أى ليست تدوم على حال .

كَمَا نَمَّا قَدَّهَا إِذَا انْفَقَلَتْ سَكْرَانُ مِنْ خَرِّ طَرْفِهَا نَمِلُ^(١)
 بِجَذِبِهَا تَحْتَ خَضْرَاهَا عَجْزُ^(٢) كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلُ^(٣)
 بِي حَرِّ شَوْقٍ إِلَى تَرَشُّفِهَا يَنْفَعِلُ الصَّبْرُ حِينَ يَتَّصِلُ^(٤)
 الثَّغْرُ وَالنَّحْرُ وَالْمُخْلَخَلُ وَالْمِعْصَمُ دَائِي وَالْفَاحِمُ الرَّجِيلُ^(٥)
 وَمَنْهَمِهِ جُبْتُهُ عَلَى قَدَمِي تَعْجِزُ عَنْهُ الْقَرَامِيسُ الدُّلُّ^(٥)

(١) انفتلت ، تثنت وتمايلت ، وطرفها : لحظها ؛ ورجل نمل : أخذ منه الشراب .
 يقول : إنها تمايل في مشيتها تمايل السكران ، فكان قدَّها نظر إلى طرفها فسكر من
 خمر عينها كما يسكر منه عاشقوها .

(٢) وجل : خائف . يقول : إن عجزها - ردفها - ثقیل بكثره اللحم ، فهو يجذبها
 - إذا همت بالنهوض - إلى القعود فكان عجزها في ارتعاده واضطرابه - لكثرة لحمه -
 خائف من فراقها ، والخائف يوصف بالارتعاد ، وكذلك العجز إذا كثر لحمه ،
 كما قال :

* إذا ماست رأيت لها ارتجاجا *

أما تفسير ابن جنى المصراع الثاني بقوله : أي كان عجزها وجل من فراقها فهو
 متساقط متجدد قد ذهب منته وتماسكه : فهو بعيد .

(٣) إلى ترشفتها : أي إلى ترشف فمها ؛ أي مص ريقها . يقول : إذا اتصل بي ذلك
 الشوق انفصل الصبر : أي أن صبره يفارقه إذا اتصل به ذلك الشوق ؛ وقد طابق بين
 الاتصال والاتصال .

(٤) الثغر : مقدم الأسنان ؛ والنحر : أعلى الصدر ؛ والمخلخل : موضع الخلل
 من الساق ؛ والمعصم : موضع السوار من اليد ؛ والفاحم : الشديد السواد ، يريد به
 الشعر ؛ والرجل - بفتح فكسر وبتحتين - الذي بين السبط والجعد . يقول : إنه
 يحب هذه الأشياء وهذه المواضع من بدنها ، وهي داؤه .

(٥) ومهमे : أي ورب مهمة - أي فلاة - وجبته : قطعه . والقراميس : النوق
 الصلاب الشديدة ، واحدها عرمس . والدلل : اللذلة بالعمل للروضة بالسير - جمع
 نول - يستوى فيه الذكر والمؤنث . يصف شدة سيره وأنه محبوب الفلاة - التي تعجز
 عنها النوق الصلاب التي اعتادت السير - على قدمه .

بِصَارِي مُرْتَدٍ بِمَخْبَرْتِي مُجْتَزِي ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلٌ (١)
إِذَا صَدِيقٌ نَكِرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُهَيِّنِي فِي فِرَاقِهِ الْحَيْلُ (٢)
فِي سَمَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ ، وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَآ بَدَلٌ (٣)

(١) الصارم : السيف ؛ ومرتد : أى متقلد ، خبر مبتدأ محذوف : وكذلك مجزىء ومشتمل : أى أنا مرتد بصارى مجزىء - أى مكثف - بمخبرتى - أى معرفتى - مشتمل بالظلام . يقول : جبت هذا المهمة وأنا متقلد بسيفى مكثف بعلوى وخبرتى فلم أحتج إلى دليل يهدينى الطريق ، مشتمل بثوب الظلام كما يشتمل الرجل بثوب أو كساء .

(٢) نكر الشيء وأنكره : استغربه ، وصديق : فاعل لفعل محذوف يقدر من لازم ما بعده : أى إذا تغير صديق على ونحو ذلك . وأعياء الأمر : أعجزه ، ويقال عى بأمره وعي : إذا لم يهتد لوجهه ، والإدغام أكثر ، ويقال فى الجمع عيوا - مخففا - وعيوا أيضاً - بالتشديد - وأعيانى الأمر ، قال عمرو بن حسان من بنى الحارث ابن همام :

فإنَّ الكُثْرَ أعيانى قديماً ، ولم أفتِّرْ لدُنِّ أنى غُلام (١)

يقول : إذا تغير صديق وحال عن مودته وأنكرت عليه أحراله لم تعجزنى الحيلة فى فراقه ، أى فراقته ولم أقم عليه .

(٣) الخافقان : قطرا الهواء ، وهما الشرق والمغرب . والمضطرب موضع الاضطراب ، وهو الذهاب والمجىء . يقول : الأرض واسعة والبلاد كثيرة ، فإذا لم يطب لى موضع تحولت إلى غيره ولم أقيد نفسى بمكان بعينه . وهذا معنى مطروق ، قال القائل :

إذا تَنَكَّرَ خِلٌّ فَاَتَّخِذْ بَدَلًا فَالْأَرْضُ مِنْ تَرْبَةِ النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ
وقال البحرى :

فإذا ما تنكرت لى بلاد أو صديق فإننى بالخيار
وقال عبدالصمد بن اللندل :

إذا وطن رابى فكل بلاد وطن

(١) يقول : كنت متوسطاً لم أفقر فقراً شديداً ، ولا أمكنى جمع المال الكثير وبرىء « أعانى » أى أذلى وأخضعنى .

وَفِي أُخْتِبَارِ الْأَمِيرِ بَدْرِ بْنِ عَمَّا رِ عَنِ الشُّفْلِ بِالْوَرَى شُفْلٌ^(١)
أَصْبَحَ مَالٌ كَالَهُ لِذَوَى الْحَاجَةِ لَا يُبْتَدَى وَلَا يُسَلُّ^(٢)

وما أجل قول بشار بن برد فيما يتصل بهذا المعنى .

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي على سواد^(١)
(١) الاعتبار : الزيارة يقال أنا فلان معتمرا : أي زائرا ، قال أعشى باهية :

وجاشت النفس لما جاء فلهم^(٢) وراكب جاء من تليلت معتمرا^(٢)
ويقال : اعتمر الأمر : أي أمه وقصده . قال العجاج يمدح عمر بن عبيد الله
ابن معمر القرشي :

لقد سما ابن معمر حين اعتمر مغزى بميدا من بعيد وضبر^(٣)
تقضى البازي إذا البازي كسر^(٣)

يقول : قصدي إياه يشغلني عن قصد غيره لأنني صبيت رجائي عليه وعلقت آمالي به ،
ويروى اعتماد - بالدال - ومعناه الاعتماد بالسير إليه وتطبيق الرجاء به .

(٢) كماله : صفة مال ؛ ولذوى الحاجات : خبر أصبح ؛ ويسل : أي يسأل
- حذفت الهمزة ، ونقلت حركتها إلى السين - يقول : إن المال المبدول مثل ماله قد
صار ملكا للعفاة يأخذونه متى شاءوا : فلا هو يبتدئهم بالعطا ، ولا هم يسألونه ، لأنه
مالهم - لا ماله - ويروى : أصبح مالا - بالنصب - : أي أصبح للناس نافعا كما أصبح
ماله نافعا لذوى الحاجات ، أي أنه ينفعهم بنفسه وماله ، فهو لهم مال ، وكما أن ماله
يؤخذ بلا إذن : كذلك لا يستأذن في الدخول عليه ، فكل من ورد عليه أخذ ماله
بلا ابتداء ولا مسألة من الوراد .

(١) يقول : إذا لم يقدرني أهل بلدة أو لم أعرفهم فارقتهم مصاحبا للبازي الذي
هو أبكر الطيور مشتلا على بقية من الليل غير منتظر لإسفار الصبح .

(٢) قال الأصمعي : معتمر : أي زائر ؛ وقال أبو عبيدة : هو متعمم بالعمامة ،
وتسمى العمارة .

(٣) يقول : ارتفع قدره حين غزا موحنا بعيداً من الشام ، وجمع لذلك جيشا ،
وضير - أي جمع قوائمه - ليثب ؛ وكسر الطائر : ضم جناحه حتى ينقض
يريد الوقوع .

هَانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمَانُ فَمَا بَيِّنُ فِيهِ غَمٌّ وَلَا جَدَلٌ^(١)
يَكَادُ مِنْ طَاعَةِ الْحَمَامِ لَهُ يَقْتُلُ مَنْ مَادَنَا لَهُ أَجَلٌ^(٢)
يَكَادُ مِنْ صِحَّةِ الْقَرْيَمَةِ مَا يَنْفَعُ قَبْلَ الْفِعَالِ يَنْفَعُ^(٣)
تُعْرِفُ فِي عَيْنِهِ حَقَائِقَهُ كَأَنَّهُ بِالذِّكَاةِ مُكْتَحِلٌ^(٤)
أَشْفَقُ عِنْدَ اتِّقَادِ فِكْرَتِهِ عَلَيْهِ مِنْهَا أَخَافُ بِشْتَمَلٍ^(٥)

(١) الجدل : السرور . يقول : لرجحان له ورحابة صدره يستخف بطوارق الدهر وحدثان الأيام علما منه أنها لا تبقى على غم ولا سرور ، ومن ثم لا يكون لها أثر فيه فلا يبطل لدى السرور ، ولا يجزع عند الحزن .

(٢) الحمام : الموت . ودنا : قرب . والأجل : منتهى الحياة . يقول : إن للوثة طائع أمره ، فلو شاء أن يقتل من لم يتم أجله لساعده الموت على ذلك على الرغم من أن فيه تمرداً على المقدور وخرقاً له .

(٣) « ما » : اسم موصول ، اسم يكاد ؛ والتجويد : ينطق به بـوقبل : متعلق بـينفعل . يقول : لصحة تقديره ونفاذ عزمته يكاد فعله يسابقه ، فما يفعله ينفع قبل فعله ، وبعبارة أخرى : إنه لسداد رأيه وصحة عزمته تكاد أفعاله تسبق وجودها ، لأنه لا يعزم على شيء إلا بعد التروى فيه والقطع بقضائه ، ولعل هذا ينظر إلى قول القائل :

سَدِ كَتُّ بِهِ الْأَقْدَارُ حَتَّىٰ إِنِّهَا لَتَكَادُ تَفْجُؤُهُ بِمَا لَمْ يُقَدِّرْ
« سدكت به : لزمته »

(٤) يقول : إن حقائق الحاصل والمعاني التي طبعه الله عليها تعرف بالنظر إلى عينه فكان ذكاه وفطنته وحدة ذهنه فد اكتحلت بها عينه ، فهي ظاهرة فيها ظهور الكحل ؛ وبعبارة بعض الشراح : إن حقائق ما طبع عليه - من حدة الذهن وذكاء النفس - تعرف من نظرة عينه حتى كأن عينه مكتحلة بالذكاء ، فهو ظاهر فيها ظهور الكحل .

(٥) الإشفاق : الخوف ، والظرف والحرفان متعلقة بأشفق ؛ وأخاف : بدل من أشفق . وأخاف يشتمل : أى أخاف أن يشتمل ، لحذف « أن » ورفع الفعل . يقول : إذا اضطرت فكرته واحتد ذهنه عند التروى أشفقت عليه أن يشتمل بنار فكرته هذه لشدة اتقادها وذكاء حدتها فيصير ناراً متوقدة ، كما قال ابن الرومي :

أخشى عليك اضطرامَ الذهنِ لا حذرًا

أَعْرَهُ أَعْدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا بِالْهَرَبِ أَشْتَكَبُوا الَّذِي قَمَلُوا^(١)
يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِحَةٍ أَرْبُعًا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ^(٢)
جُرْدَاءَ مِثْلِ الْحِزَامِ مُجْفَرَةٍ تَكُونُ مِثْلَى عَسِيْبِهَا الْخُصَلُ^(٣)
إِنْ أَدْبَرْتَ قُلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتَ قُلْتَ مَا لَهَا كَفْلُ^(٤)
وَالطَّنُّ شُرُزٌ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ كَأَنَّهَا فِي فَوْادِهَا وَهَلُ^(٥)

(١) أى هو أعر؛ والأعر؛ السيد الكريم، وأعداؤه؛ مبتدأ؛ خبره؛ ما بعده .
يقول: هو سيد شريف، وأعداؤه إذا سلموا من القتل بهربهم من بين يديه:
أعظموا فعلهم واستكثروه، لأن الهرب من بين يديه شجاعة لهم. وقوله إذا سلموا
بالهرب: إشارة إلى أنهم لا يمكن أن يسلموا مع الثبات.

(٢) أقبلته وجهي: حوثة إليه وجملته قبائله، والسابحة: الفرس تسبح في
جرها؛ وأربعها: أى قوائمها الأربع، يقول: يستقبلهم بوجه كل فرس تسبق قوائمها
طرفها: أى تضع قوائمها وراء منتهى بصرها؛ وهذا من قول أبي نواس:

* يسبقُ طرفَ العين في التهابه *

« أى في شدة عدوه ». قال ابن جنى: أسرف في المبالغة حتى خرج إلى ما يستحيل
وقوعه لأن القوائم إذا وصلت قبل الطرف فقد وصف النظر بالضعف.

(٣) الجرداء: القليلة الشعر، والمجفرة: الواسعة الجبين؛ والجفرة: سعتها؛
والعسيب: عظم الذنب؛ والخصل: جمع الخصلة من الشعر. يقول: إنها تملأ الحزام
بسعة جنبها وعظم بطنها وإن شعر ذنبها أطول من عسيبها، ويستحب في الخيل قصر
العسيب وطول شعره.

(٤) التليل: العنق؛ والكفل: الردف، ويستحب فهما الإشراف. يقول:
إنها مشرفة الكفل عريضة الصدر، فإذا أدبرت منع إشراف كفلها من رؤية عنقها
وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها؛ وعبارة الواحدى: من حيث تأملتها
وجدتها مشرفة عند إقبالها بعنقها وعند إدبارها بعجزها، كما قال على ابن جبلة:

تَحْسِبُهُ أَقْعَدَ فِي اسْتِقْبَالِهِ حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قُلْتَ أَكْبَ

يريد: هذه الفرس من حيث تأملتها رأيتها حسنة في إقبالها وإدبارها.

(٥) والطنن شرز: جملة حالية: أى يقبلهم وجه كل سابحة في هذه الحالة؛
الطنن الشرز: ما كان عن يمين وشمال؛ وذلك أشد الطعن، وواجفة: مضطربة

قَدْ صَبَّتْ خَدَّهَا الدَّمَاءُ كَمَا يَصْنَعُ خَدَّ الْأَخْرِيدَةِ الْخَلْجَلُ^(١)
وَالْخَلِيلُ تَبْكِي جُلُودَهَا عَرَقًا بِأَذْمَعٍ مَا تَسْحَبُ مَقْلُ^(٢)
سَارَ وَلَا قَفَرَ مِنْ مَوَاكِبِهِ كَأَنَّهَا كُلُّ سَبَسَبِ جَبَلِ^(٣)
يَمْنَعُهَا أَنْ يُصَيِّبَهَا مَطَرٌ شِدَّةٌ مَا قَدْ تَضَائِقَ الْأَسَلِ^(٤)

لشدة الحرب : أى ترى أن الأرض تتحرك كأن فى قلب الأرض وهلا - أى فزعا -
فهى ترعد من الخوف . ولما وصف الأرض بالحركة من الخوف استعار لها قلبا . وعبرة
بعض الشراح : واجفة : أى مضطربة يريد اضطراب الفرسان عليها إقبالا وإدباراً حتى
كأنها تمور بهم .

(١) الضمير فى « خدها » للأرض ؛ والخريدة : الحية ، شبه وجه الأرض
متلطيخا بالدماء بخد الجارية الحية إذا خجلت فاحمر لونها ، واستعار للأرض خدًا
لمساكلة ما فى الشطر الثانى .

(٢) السح : السكب ، وللقل : جمع مقلة . وهى عحمة العين التى تجمع البياض
والسواد . يريد أن الخيل - من شدة الطراد وماهى فيه من هول الحرب - قد
عرت ، فجعل العرق مثل الدمع . إلا أنه لم ينزل من عيون ولا جفون ، ولكنه
جار من الجلود .

(٣) سار : يروى بكسر فتونين : اسم فاعل . من السرى ، ويروى بالفتح :
فعلا ماضيا ، والمواكب : الجيوش ؛ والسبسب الفلاة الواسعة . يقول : قد عم القفار
والأماكن الخالية بجيوشه ففلاها حتى لم يبق قفر . وشبه السبسب بالجبل لكثافة
جيوشه وارتفاعها بالخيل والأسلحة والرماح . يعنى أن مواكبه تراكت فى السهول
على خيولها حتى صارت السهول كالجبال .

(٤) الأسل : الرماح ، يقول : إن رماحم اشتبكت وتضايق ما بينها حتى
لو أصابهم مطر لم ينفذ إليهم من خلال تلك الرماح لشدة اتصالها واتحامها ؛ وأصل
هذا المعنى لقيس بن الحظيم :

لو أنك تُلقي حفظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامه المتقارب
« عن ذى سامه : أى على ذى سامه ؛ والهاء فى « سامه » : ترجع إلى البيض ؛
عن البيض المسمى بالذهب ، لأن السام عروق الذهب . يقول قيس : أنهم تراصوا

يَا بَدْرُ يَا بَحْرُ يَا عَمَامَةَ يَا
لَيْثَ الشَّرَى يَا حَامُ يَا رَجُلُ (١)
إِنَّ الْبَنَانَ الَّذِي تُقَلِّبُهُ
عِنْدَكَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِثْلُ (٢)

في الحرب حتى لو وقع حنظل على رؤوسهم - على إيمانه واستواء أجزائه - لم ينزل إلى الأرض . ثم قال ابن الرومي :

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة لظلت على هاماتهم تتدحرج
فنزول عن الحنظل إلى البرد ، وبالغ في ذلك ثم نزل التنبي عن البرد إلى المطر ، وهو اللطف منه ثم أخذ السري الرفاء هذا المعنى فقال :

تضايق حتى لو جرى الماء فوقه حماء ازدحام البيض أن يتسربا
فتقله من المطر إلى الماء .

(١) لَيْثَ الشَّرَى : أسد الشري ؛ والشري : مكان يوصف بكثرة الأسود . والحمام : الموت . يقول : أنت بدر في الحسن ، بحر في الجود ، سحاب في كثرة العطاء ، أسد في الشجاعة والبأس ، موت للعدو ، ورجل في الحقيقة ، يعني جمعت هذه الأوصاف وأنت رجل .

(٢) عندك : صلة تقلبه ؛ وفي كل موضع : صلة مثل . يقول إن كففك التي تقلبها وأنت في بلدك وتصرفها في العطايا والهبات قد اشترت ذكرها في كل موضع حتى صارت مثلا في الجود . وروى - نقبله - من التقييل أي نقبله نحن والناس أجمعون ، والرواية الأولى أجود . هذا : والبنان : الأصابع ، وقيل أطرافها ؛ والبنام : لغة فيها . قال عمر بن أبي ربيعة :

* فقالت وعضت بالبنام فضحتني *

وواحدة البنان : بنانة ، وجمع القلة : بنانات ؛ وربما استعاروا بناء أكثر العدد لأقله ، أنشد سيويبه :

قد جعلت مي على الظرار تحس بنان قاني الأظفار (١)

(١) قال الشنمري : الشاهد فيه إضافة الخمس إلى البنان ، وهو اسم يستغرق الجنس على تقدير : خمس من البنان . والظرار : جمع ظرر ، وهي حجارة مستديرة معددة ؛ يقال أرض مظرة : إذا كانت كثيرة الظرار ؛ وروى على الظرار - بطاء غير معجمة -

إِنَّكَ مِنْ مَفْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخَلُوا^(١)
قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءٍ مَا أُمْتَشَقُوا قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامٍ مَا أَعْتَقَلُوا^(٢)
أَنْتَ تَقِيضُ اسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفْتَ قَوَاصِبُ الْهِنْدِ وَالْقَنَا الذُّبُلُ^(٣)
أَنْتَ لَعْمَرِي الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَلَكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى زُحَلُ^(٤)

يريد خمسا من البنان ؛ ويقال بنان مخضب ، لأن كل جمع بينه وبين واحد الهاء فإنه يوحد ويذكر .

(١) أى بخلوا عند أنفسهم ، إذ لم يفعلوا الواجب عليهم بحكم جودهم حيث لم يهبوا الأعمار . وبعبارة أخرى : إن مقضى جودهم أن لا يبقوا على شيء فإذا أعطوا كل ما يملكون ولم يهبوا أعمارهم لم يبرثوا أنفسهم من البخل .

(٢) امتشق السيف : استله وأسرع الطعن والضرب ؛ واعتقل الرمح : جمعه بين ساقه وركابه . يقول : إن لقلوبهم مضاء سيوفهم ، ولقاماتهم طول رماحهم . وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تجنيه على للتنبى وولوعه بالتشهير به وبسرقاه — أخذ هذا من قول عوف بن محم الشيباني :

إِنَّ التَّمَانِينَ وَبُلَّتْهَا قَدْ أَحوجت سَمِي إِلَى تَرْجَانٍ
وَبَدَلْتَنِي بِالشُّطَاطِ انْحِنَا . وَكُنْتُ كَالصَّمْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ

(٣) و(٤) قواصب الهند : أى السيوف القواطع ، والذبل : الطوال الصلاب ، وحومة كل شيء : معظمه ؛ والوعى : الحرب . وزحل : من كواكب النجس ، والقمر : سعد يقول : أنت رجل تقيض اسمه في الحرب ، لأن البدر الذى هو اسمك من كواكب السعد والكنك في الحرب نجس على أعدائك . لأنك هلاك لهم .. أو تقول — كما قال بعض الشراح — : إن البدر منير فيهدى به في الأسفار ، وأنت في الحرب تقيض اسمك ، إذ تقتل الناس وتثير القبار بالحيل فتظلم الأرض ، ففعلك في الحرب تقيض ففعلك في السلم .

جمع طرة ، وهى عقيمة من مقدم الناصية ، ترسل تحت التاج فى صدغ الجارية ، وربما اتخذت من رامك ، وهو ضرب من الطيب ، وهذا أشبه بمعنى البيت . والبنان : جمع بنانة ، وهى الإصبع ؛ والقانىء : الشديد الحرارة من الحناب .

كَتَيْبَةٌ لَسْتَ رَبِّهَا نَفْلٌ وَبِلْدَةٌ لَسْتَ حَلِيهَا عَطْلٌ^(١)
 قُصِدَتْ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا
 حَتَّى اشْتَكَنْتَ الرَّكَّابُ وَالسَّبِيلُ^(٢)
 لَمْ تَنْبِقِ إِلَّا قَلِيلَ عَافِيَةٍ قَدْ وَفَدَتْ تَجْتَدِيكَهَا الْعِلُّ^(٣)
 عُدْرُ الْمُؤْمِنِ فِيكَ أَنَّهُمَا آسِ جَبَانٌ وَمِضْعٌ بَطْلٌ^(٤)

(١) الكتيبة : القطعة من الجيش ؛ وكتيبة : مبتدأ ؛ والحبر : نفل ؛ وكذا في
 المصراع الثاني ؛ والنفل : الغنمة ؛ والحلى : الزينة . والمطل : التي لاحلى لها يقول :
 كل جيش لست صاحبه وأميره هو نفل للعدو ، وكل بلدة لست زيتنها هي عطل
 لازينة لها .

(٢) شرقها ومغربها : أى الأرض ، وإن لم يجر لها ذكر للعلم به . والركاب :
 الإبل . يقول : قصدك الناس من شرق الأرض وغربها طمعاً فى عطائك وحرصاً على
 لقائك حتى اشتكتك الإبل لكثرة ما امتطيت إليك والطرق بكثرة ما وطئت وذلت
 بالحفاف والحوائر والأقدام ، وقال بعض الشراح : لأنها ضاقت بكثرة القاصدين
 والسالكين .. وليس بشيء ، وعكوى الإبل كثيرة فى الشعر قل أبو العتاهية :

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسباً وريماًلاً

وقال البحرى :

تشكى الوجى والليل مُلتبسُ الدجى غُريرية الأنساب مرّت بقيمها
 «الوجى : الحفا ؛ والمرت : المفازة لانبات فيها ؛ والبقيع : البوضع فيه أصول الشجر

من ضروب شق»

أما اشتكاء الطرق فهو من اختراعات المتنبي .

(٣) قليل عافية : أى عافية قليلة ، فهو من إضافة الصفة للموصوف ونجديكها :
 أى تستوهبك إياها ؛ والعلل : الأمراض . يقول : بذلت كل مالك ولم يبق لك إلا قليل
 من العافية قددمت العلل عليك تستوهبه منك ، وهذا كقوله السالف :

وبذلت ما ملكته نفسك كله حتى بذلت له هذه صححاتها

(٤) الآسى : الطيب ؛ والبضع : حديدة الفاصد ؛ والبطل : الشجاع ؛ ويريد
 بالمؤمنين : ما ذكره بعد من الآسى والبضع . وقد كان الفصاد فصده وأخطأ فى فصده

مَدَدَتْ فِي رَاحَةِ الطَّيِّبِ يَدًا وَمَا دَرَى كَيْفَ يُقَطِّعُ الْأَمَلَ (١)
إِنْ يَسْكُنِ الْبَضْعُ ضَرْرًا بِأَطْنَمِهَا فَرُبَّمَا ضَرَّ ظَهْرَهَا الْقُبَيْلُ (٢)

ونفذت حديدته في يده وأصابه لذلك مرض ، وجعل الطيب والبضع ملومين في ذلك الخطأ الحاصل منهما ، ثم قال عذرهما فيك أن الطيب كان جانا فارتدت يده هية لك والبضع كان شجاعا - أي حاداً نافذاً - فتولدت العلة من هذين ، ثم ذكر للطيب عنراً آخر في البيت التالي .

(١) يقول : إنما وقع للطيب الخطأ لأن يدك أمل الناس جميعا ، منها يرجون الإحسان والعطاء ، فلم يدر الطيب كيف يقطع الأمل ؛ لانه إنما تعود قطع العروق ، لا قطع الآمال . وقال ابن المعتز فيما يتصل بهذا المعنى للقاسم بن عبيد الله :

يَا فَاوِدًا لِيَدٍ جَلَّتْ أَيْدِيهَا وَنَالَ مِنْهَا الَّذِي يَرْجُوهُ رَاجِيهَا
يَدُ الْغَنِيِّ هِيَ فَارْفَقْ لِأَتْرِقْ دَمَهَا فَإِنَّ أَرْزَاقَ طُلَّابِ الْغِنَى فِيهَا
وقال أيضا للخليفة المعتد :

يَا دَمًا سَالَ مِنْ ذِرَاعِ الْإِمَامِ أَنْتِ أَذْكَى مِنْ عَنَبٍ وَمِدَامٍ
قَدْ حَسْبُنَاكَ إِذْ جَرَيْتِ إِلَى الطَّسِ تَدْمُوعًا مِنْ مَقَاتِي مَسْتَهَامِ
إِنَّمَا غَيْبُ الطَّيِّبِ شَبَابُ الْمَيْبِ ضَمَّعٌ فِي نَفْسٍ مَهْجَةُ الْإِسْلَامِ

(٢) البضع : الفصد ؛ والقبل : جمع قبلة ؛ وهى الاسم من التقبيل . وأراد بضر القبيل : كثرة تقبيل الناس ظهر كفه حتى أُر فيه وضره . قال الواحدي : وقد أكثر الشعراء من ذكر تقبيل اليد ولم يذكر أحد أنها استضرت بالقبيل غير أبي الطيب ، وهذا من مبالغاته ، قال ابن الرومي :

فَأَمْدَدْتُ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بِذَلِ النَّوَالِ وَظَهْرُهَا التَّقْبِيلَا
وقال إبراهيم بن العباس للفضل بن سهل :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلِ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ وَظَاهِرُهَا لِلْقُبَيْلِ
فَبِاطْنِهَا لِلنَّسْدِ

وقال أبو الضياء الحمصي :

وَمَا فِي عِبَادِ اللَّهِ مِثْلَكَ ثَانٍ وَمَا خَلَقْتَ كَفَّاكَ إِلَّا لِأَرْبَعِ

يَشُقُّ فِي عِرْقِهَا الْفِصَادُ وَلَا يَشُقُّ فِي عِرْقِ جُودِهَا التَّمْدَلُ^(١)
خَامَرُهُ إِذْ مَدَدَتْهَا جَزَعٌ كَأَنَّهُ مِنْ حَذَاقَةِ عَجَلٍ^(٢)
جَازٌ حُدُودَ اجْتِهَادِهِ فَأَتَى غَيْرَ اجْتِهَادِ لِأَمِّهِ الْهَبَلِ^(٣)
أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ السَّطْنُجُ وَعِنْدَ التَّمَقُّقِ الزَّلَلُ^(٤)
أُرْثَ لَهَا إِنْهَا بِمَا مَلَكَتْ وَبِالَّذِي قَدْ أُسَلَّتْ تَنْهَمِلُ^(٥)

لتجريد هندیّ وإسداء نائلٍ وتقبيل أفواه وأخذ عنان
وقد ملح من قال :

يَدٌ تَرَاهَا أَبَدًا فَوْقَ يَدٍ وَتَحْتَ فَمٍ
مَا خُلِقَتْ بِنَانِهَا إِلَّا لِسَيْفٍ أَوْ قَلَمٍ

(١) الفصاد : هو الفصد ؛ وأراد بالشق : التأثير والنفاد . ومن ثمّ عداه بني ، واستعار لجوده عرقا لما ذكر عرق يده ؛ والعدل : اللام . يقول : إن الفصد يؤثر في يده ، ولكن لا يؤثر اللام في جودها ، أي لا ينجع قول اللاميين فيه . وقد نظر في هذا إلى قول أبي تمام :

خَلَائِقُ كَالزَّغْفِ الْمَضَاعِفِ لَمْ يَكُنْ لِيُنْقِذَهَا يَوْمًا شِبَاةُ اللُّوْأَمِ
(٢) خامره : خالطه ، والجزع : الفزع وقلة الصبر ؛ والحذاقة : مصدر كالحذق ؛ والعجل : للستعجل . يقول : خامرى الطيب - حين مددت يدك إليه للفصد - جزع من هيبتك فعجل في الفصد ولم يتأن كأنه عجل من حذقه ، وهو على الحقيقة عجل من خوفه .

(١) جاز الشيء : تعده ؛ وغير اجتهاد : مفعول أي ؛ والهبل : الشك . يقول : بالغ في الاجتهاد حتى جاوز حد الاجتهاد ففعل ما هو غير اجتهاد لأن الخطأ من سبل المقصرين المتهاونين ، ثم دعا عليه فقال لأمه الشك .

(٢) التعمق : بلوغ عمق الشيء - وهو أقصاه - يريد به البالغة ومجاوزة الحد . يقول : إن النجاح في الأمور مقرون بما يفعله الإنسان حسب مقتضى طبعه وحين يرسل نفسه على سعيها ، فإذا تكاف وبالغ وتعمق زل فأخطأ .

(٣) ارث لها : رق ؛ وبما بالذي : متعلقان بتهمل . يقول مخاطبا الطيب - : ارفق

مِثْلِكَ يَا بَدْرُ لَا يَكُونُ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِكَ الدُّوْلُ^(١)

* * *

وقال أيضاً بمدحه :

بِقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ أَرْحَالًا وَحَسُنَ الصَّبْرُ زَمُوا لَا الْجَمَالَ^(٢)

بهذه اليد فإنها يد تسيل بما ملكته : أى تجود بما لها على العفاة وتسيل بمثل ما أسلته منها أى بالدم الذى تسفكه من الأعداء .

(١) إلا لمثلك : أى إلا لك . يقول : لا يخلق الله مثلك ولا تصلح الدولات إلا لك فى جودك وكرمك وإحسانك إلى الناس ، وصاحب الدولة يجب أن يكون كريماً سخياً لينتفع الناس بدولته .

(٢) زم البعير : خطمه بالزمام ، واسم ليس : ضمير الشأن ، وهم : مبتدأ ، وخبره محذوف : أى ليس الأمر والخبر هم شاءوا . حذف « شاءوا » لتقدمه فى أول الكلام ، ويجوز أن يكون « هم » : اسم ليس ، إلا أنه استعمل الضمير المنفصل موضع التوصل ضرورة ، والتقدير : بقائى شاء الارتحال ليسوا شاءوا ، ويجوز أن تكون « ليس » هنا حرفاً عاطفياً فلا يكون لها اسم ولا خبر . يقول : لما ارتحلوا عنى ارتحل بقائى ، فكان بقائى شاء ارتحالاً ؛ لاهم شاءوا ذلك ، وكأنهم زموا صبرى للسير ، لاجمالم ، لأنى فقدت الصبر بعدهم ، وإنما ننى الارتحال عنهم لأن ارتحال بقائه أهم وأعظم شأناً ، فكان ارتحالهم ليس ارتحالاً عند ارتحال بقائه ، ولأنهم ربما يعودون ، والبقاء إذا ارتحل لم يعد ، وكذلك مسير صبره أعظم من مسير الجمال ، فلم يعتد بسير جمالم مع سير صبره عنه . وعبارة بعض الشراح : لما ارتحل الأحبة ارتحلت حياته لأنه غير باق بعدهم ؛ فبقاؤه هو الذى أراد الارتحال ، لاهم . ولما جعل حياته راحة جعل مطيتها حسن الصبر ، لأنه لو صبر لم يكن لرحيل حياته سبب ، وإنما أثبت الرحيل لحياته دونهم بناء على أن الحياة والأحبة شئ واحد ، فليس هناك حياة وأحبة ولا صبر وجمال ، وإنما هم الحياة عينها ، ومطيهم الصبر نفسه ؛ وقال ابن القطاع : بقاء شاء ؛ أى سبق ارتحالهم ، يقال شاءه : وشاءه ؛ إذا سبقه ، ولولا ذلك لمت أسفاً ، وهذا على المبالغة . وقيل المعنى بقائى أراد رحيلهم ، فشاء من الشيئة ، فليقتى مت ولم أره يتأسف ، إذ لم يمت عند رحيلهم .

تَوَاوَا بَفْتَةً فَكَانَ بَيْنَنَا تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي أُغْتِيَالًا^(١)
فَكَانَ مَسِيرُ عَيْسِهِمْ ذَمِيلًا وَسَبْرُ الدَّمْعِ إِزْرَهُمْ أَنَهْمَالًا^(٢)
كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاةٍ فَلَمَّا نُزِنَ سَالًا^(٣)
وَحَجَبَتِ النَّوَى الظُّبْيَاتِ عَنِّي فَسَاعَدَتِ الْبَرَاقِعَ وَالْحِجَالَ^(٤)
لَبِسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَّجَمَلَاتٍ وَلَكِنْ كُنِي بِصُنِّ بِهِ الْجَمَالَ^(٥)

(١) تولوا : أدبروا ؛ والبين : الفراق ؛ وتهيبني : هابني . والاعتيال أخذ الإنسان من حيث لا يدري . يقول : كأن البين هابني ففاجأني باغتياله ، يريد فاجأني اغتيال مفاجأة .

(٢) العيس : الكرام من الإبل ؛ ويروي عيرهم ، وهي الإبل التي تحمل الليرة ، والذميل : السير للتوسط والانهمال الانسكاب . يقول : كانت إبلهم تسير الذميل ودمي ينصب في أزهم انصبابا ، يتوجع ويتحسر . ومثله لابن الرومي :

لهم على العيس إمعان يشطُّ بهم وللدموع على الخدين إمعانُ

(٣) أماخ البعير : أبركه ؛ وثرن : أي نهضن للسير ؛ والبيت مبني على ما قبله . يقول : كنت لا أبكي قبل فراقهم ، فكان إبلهم كانت تمسك دمي عن السيلان بيروكها فوق جفني ، فلما فارقتني سال دمي ، فكانها ثارت للرحيل من فوق جفني فسال ما كانت تمسك من دموعي . وهو تخيل بديع .

(٤) النوى : البعد والفراق ؛ والحجال : الحدور . يقول : لما ارتحلوا حجبتهم النوى عن عيني ، فساعدت النوى ما كان يحجبهن عنى قبل من البراقع والحدور .

(٥) الوشي : الثياب المنقوشة ؛ وحجر به وشى : أي حجر من معدن فيه ذهب ، أشد ابن الأعرابي لأحيجة بن الجلاح يرثي أبنا له :

وما هـِزْبَرِيٌّ مِنْ دَنَائِرِ أَيْلَةٍ بِأَيْدِي الْوُشَاةِ نَاصِعٍ يَتَأَكَلُ

بِأَحْسَنِ مِنْهُ يَوْمٌ أَصْبَحَ غَادِيًا وَنَفْسِي فِيهِ الْحَمَامُ الْمَجْلُ

« الوشاة الضرابون : يعني ضراب الذهب ؛ ونفسي فيه : رغبتني ، والمهبرزي »

الديار الجديد » والتجمل : التزين . يقول : هن غنيات بحسنهن عن التجمل بلبس الديباج ولكن يلبسنه ليصن به جمالهن عن أعين الناظرين . قيل للصاحب أغرت على أبي الطيب في قولك :

وَصَفَرْنَ الْفَدَائِرَ لَا لِحْسِنٍ وَلَكِنْ خَفِنَ فِي الشَّعْرِ الضَّلَالَا^(١)
 بِجِسْمِي مَنْ بَرْتُهُ فَلَوْ أَصَارَتْ وَشَاحِي ثَقَبَ لَوْلُوَّةٌ كَلَالَا^(٢)
 وَلَوْلَا أَنَّنِي فِي غَيْرِ نَوْمٍ لَكُنْتُ أَظُنُّنِي مِنِّي خِيَالَا^(٣)

لبسن برود الوشى لا لتجمل ولكن لصون الحسن بين برود
 فقال : نعم ، كما أثار هو في قوله :
 ما بال هذى النجوم حائرة كأنها العُمى ما لها قائد
 على بشار في قوله :

والشمس في كبد السماء كأنها أعمى تحير ما لديه قائد

(١) التضفير : قتل الذوايب ؛ والفدائر : جمع غديرة ، وهي الخصلة من الشعر .
 يقول : لم ينسجن ذوايبهن طلباً للتحسين ، ولكن خفن أن يضلن فيها لو أرسلنها
 لأنها تغسهن كالليل : قال ابن جنى : قد وصفت الشعراء الشعر بالكثرة ، ولكن لم
 تفرط في ذلك مثل المتنبي ، قال ابن المعتز :

دعت خلاخيلها ذوايبها فجئن من قرنها إلى القدم

(٢) بجسمي : أى أمدى بجسمي ؛ وبرته : هزلته ؛ والشاح : شبه قلادة تشده
 المرأة بين العاق والكشح يقول : أمدى بجسمي التي هزلته حتى لو جعلت وشاحي
 ثقب لؤلؤة لوسعى حتى يدور على إذا شئت أن أدبره ، يصف دقته ونحوه ، ومثل
 هذا يقول الآخر :

قد كان لي فيما مضى خاتم والآن لو شئت تَمَنَّقْتُهُ

(٣) يقول : لولا أنني يقظان لكنت أظن نفسي خيالا ، يعنى أنه كالخيال في الدقة ،
 إلا أن الخيال لا يرى في اليقظة ، فقوله أظننى : أى أظن نفسي وقوله منى : متعلق
 بخيالا : أى خيالا منى ، كما تقول : جاءني خيال من المحبوب قال الواحدى : قوله منى :
 أى من دقتي ، ويعد أن يقال من نفسي ، لأنه قال أظننى ، ومعناه أظن نفسي ، ولا
 يقال أظن نفسي خيالا من نفسي . هذا : والعرب تقول ظننتني وختنتني وعلمتني ، ولم
 يرو عنهم ضربتني ، لأن الفعل لما كان يتعدى إلى مفعولين اتسعوا في أحدهما لقوة
 تعديته . وقد جاءت عدمتني شاذة في قول جرير العود :

بَدَتْ قَمْرًا وَمَالَتْ حُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عَنَبْرًا وَرَنْتَ غَزَالًا^(١)
وَجَارَتْ فِي الْحُكُومَةِ ثُمَّ أُبْدَتْ
لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا أَعْتِدَالًا^(٢)
كَأَنَّ الْحَزْنَ مَشْفُوفٌ بِقَلْبِي
فَسَاءَةَ هَجْرَهَا يَجِدُ الْوِصَالَ^(٣)

لقد كان لي في ضرتين عدمتني وما أنا لاقٍ منهما مُتَزَحِّزِحُ
(١) الحوط : الفصن الناعم : ورنت : نظرت ؛ والنصوبات في البيت أسماء وضعت موضع الحال . كأنه قال : بدت مشرقة ، ومالت مثنية ، وпахت طيبا ، ورفت مليعة ؛ أو تقول للعين : بدت مشبهة قمرًا في حسنها ، ومالت مشبهة غصن بان في ثنيتها ، وпахت مشبهة عنبراً في طيب رائحتها ، ورنت مشبهة غزالا في سواد مقلتها . وهذا يسمى التديج في الشعر ، ومثله :

سَفَرْنَ بَدُورًا وَانْتَبَيْنَ أَهْلَةً وَمِسْنُ غُصُونًا وَالتَّفْتَنُ جَاذِرًا
(٢) جار عن الطريق : مال ؛ وكثر استعماله في الظلم لأنه جور عن الحق . يقول : هي في حكمها جائرة ، ولكن قدها معتدل لا جور فيه .
(٣) يقول : كأن الحزن يشق قلبي ، وإنما يجد الوصال إذا هجرتني ، يعني كلما هجرتني واصل الحزن قلبي وعلق به . هذا : وقوله « مشفوف » روى بالعين المهملة ، وبالعين المعجمة ؛ وقد قرئ قوله تعالى « قد شفها جبا » بالعين وبالتين ، فمن قرأها بالعين فعناه تيمها ، ومن قرأها بالعين يعني أصاب شغاف قلبها أو غشى الحب قلبها ؛ وشغاف القلب وشغفه : غلافه . قال قيس بن الخطيم :

إِنِّي لِأَهْوَاكِ غَيْرَ ذِي كَذِبٍ قَدْ شَفَّ مِنِّي الْأَحْشَاءُ وَالشَّفَفُ
أما الشفف : فهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هني بالقطران يجد له لذة مع حرقة .
قال امرؤ القيس :

لَتَقْتَلَنِي وَقَدْ شَعَمْتُ فَوَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي
« يعني أحرقت فوادها بحي كما أحرقت الطالبي هذه المهنوءة ففوادها طائر من لذة الهناء ، لأن المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقة » :

كَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي صُرُوفٌ لَمْ يَدِمْنَ عَلَيْهِ حَالًا^(١)
 أَشَدُّ النِّعَمِ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَبَيَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالًا^(٢)
 أَلِفْتُ تَرَحُّلِي وَجَعَلْتُ أَرْضِي قَتُودِي وَالْفَرِيرِي الْجَلَالَ^(٣)
 فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُقَامًا وَلَا أَزْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالَ^(٤)
 عَلَى قَلْقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِي أَوْجَهَهَا جَنُوبًا أَوْ شَمَالَ^(٥)

(١) كذا: خبر مقدم عن «الدنيا» وصرُوف: خبر عن محذوف: أي هي صروف؛ والصرُوف: الأحداث: يقول: إن الدنيا كانت على من كان قبلي كما أراها الآن: أي كما هي على الآن، ثم بين ذلك فقال: هي صروف لا تدوم على حاله واحدة (٢) في سرور: خبر «أشد» والجملة بعده: نعت سرور. يقول: إن السرور الذي يتبين صاحبه الانتقال عنه هو عندى أشد النعم لأنه يترقب وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور.

(٣) قنودي: جمع قند، وهو خشب الرحل، والفريري: المنسوب إلى غرير، فحل من الإبل كان في الجاهلية تنسب إليه كرام الإبل والجلال: كالجليل—أى العظيم— كما يقال: طوال، وطويل. يقول: تعودت الارتحال حتى ألفتها، وصارت الرحال أرضا لي، لأنى أبدأ على الرحال، فهى لى كالأرض للمقيم.
 (٤) اللقَام: مصدر ميمي، بمعنى الإقامة. وأزعم الأمر: وأزعم عليه: مضى فيه؛ وثبت عليه عزمه؛ وقال الكسائى: يقال أزعمت الأمر، ولا يقال أزعمت عليه. قال الأعشى:

أَزْمَعْتُ مِنْ آلِ لَيْلِي ابْتِكَارًا وَشَطَطْتُ عَلَى ذِي هَوَى أَنْ تَزَارَا

وقال الفراء: أزعمته وأزعمت عليه: بمعنى، مثل أجمعت وأجمعت عليه. يقول: ما طلبت الإقامة في أرض لأنى أبدأ على سفر، ولا عزمتم على الرحيل عنها. لأى الرحيل إنما يكون بعد الإقامة، ولا إقامة لى حتى أرحل.
 وقال ابن جنى: المعنى إذا كان ظهره— أى البعير — كالوطن لى فأنا — وبين بيت البلاد — كالتقاطن فى داره

(٥) على قلق: القلق الاضطراب؛ والجار والمجرور: فى موضع الحال من التاء فى ألفت؛ وبروى على قلق— بكسر اللام— أى بعير قلق. يقول: لا أستقر فى مقام

إِلَى الْبَدْرِ بْنِ عَمَّارِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهِلَالًا^(١)
 وَلَمْ يَنْظُمْ لِنَقْصِ كَانَ فِيهِ
 بِلَا مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ
 لِكُلِّ مُعْتَبِرٍ حَسَنٍ مِثَالًا^(٢)
 حُسَامٌ لِابْنِ رَاقٍ الْمُرْجِي
 حُسَامِ الْمَتَّقِي أَيَّامَ صَلَا^(٣)
 سِنَانٌ فِي قَنَاءِ بَنِي مَعَدٍّ
 بَنِي أَسَدٍ إِذَا دَعَوْا النَّزَالَ^(٤)

كأنى على ظهر الريح : أوجهها مرة إلى جانب الجنوب ومرة إلى جانب الشمال ، فعبّر بالريحين عن الجانبين ، وروى يميناً أو شمالاً ، فتكون بكسر الشين .

(١) غرة الشهر : أراد أول الشهر ؛ وإلى البدر : يروى إلى بدر بن عمار - بدون ال - لأنه علم . ومن روى البدر : أراد بدر السماء ، لا الاسم العلم ، يعنى إلى الرجل الذى هو كالبدر ، ثم نسيه إلى أبيه ، لأنه ليس بدرأ على الحقيقة ، وإن أشبهه : ألا ترى أنه قال لم يكن فى غرة الشهر الهلال ، ولا بدر إلا وكان هلالاً أولاً ؟ وهذا الذى عناه لم يكن هلالاً قط ، وقد فسر هذا بقوله : ولم يعظم لنقص « البيت » . وترك التنوين من « عمار » ضرورة لسكونه وسكون اللام واللام فى قوله « لنقص » فى البيت التالى - بمعنى بعد كما فى قوله :

* لطول اجتماع لم نبت ليلة معا *

(٢) يقول : هو منقطع النظير لا مثل له ، وإن رأيت فيه من الصفات ما يمثل لك كل ماغاب عنك من المحاسن ، وذلك كالشجاعة مثلاً والجود والحسن ، فإن هذه الصفات فيه تمثل لك الأسد والغيث والبدر ، ولكن هذه مع كونه يشبهها فى بعض صفاته لاشيء منها يشبهه فى جميع صفاته . يعنى أنه لم يجتمع فى أحد ما اجتمع فيه وإن كانت أشباهه متفرقة فى أشياء كثيرة : فكفه كالبحر ، وقلبه وعضده كالأسد ، ووجهه كالبدر .

(٣) حسام : أى هو حسام : سيف قاطع ؛ وحسام - الثانى - بدل من ابن رائق . يقول : هو حسام لأبى بكر بن رائق ؛ الذى كان حساماً للبتقى لله الخليفة العباسى حين صال به على بنى البريدى ، وقد كان التقي حاربهم به فى خير ليس هذا موضعه .

(٤) بنو معد : هم العرب ، لأن نسبهم ينتهى إلى معد بن عدنان . وبني أسد : بدل من قوله بنى معد ، وهم رهط المدوح . قال الواحدى : يقول إن المدوح سنان فى قنأة العرب الذين هم بنو معد ؛ ثم خصص بعض التخصيص وأبدل من بنى معد : بنى أسد فكأنه قال : هو سنان قنأة بنى أسد عند الحرب ؛ والنزال : منازلة الأقران -

أَعَزُّ مُغَالِبٍ كَفًّا وَسَيْفًا وَمَقْدِرَةٌ وَنَحْمِيَّةٌ وَالْأَلَا (١)
وَأَشْرَفُ فَأَخِيرِ نَفْسًا وَقَوْمًا وَأَكْرَمُ مِنْتَمِّ عَمَّا وَخَالًا (٢)
يَكُونُ أَحَقُّ إِثْنَاءٍ عَلَيْهِ عَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا مُحَالًا (٣)

بعض إلى بعض - من الخيل عند شدة القتال . يقول : هو رئيسهم وصدرهم الذي به قاتلون ، وفي مثل هذا المعنى يقول النامي - وقد قصر عنه للتنبي - :

إِذَا فَاحَرَتْ بِالْمَكْرُمَاتِ قَبِيلَةٌ فَتَقَلِّبُ أَبْنَاءَ الْعَمَلِيِّ بِكَ تَقَلِّبُ
قَنَاةً مِنَ الْعَلِيَاءِ أَنْتَ سِنَانُهَا وَتَلِكَ أَنَا يَبِيبُ إِلَيْكَ وَأَكْمَبُ

وقال بعض الشراح : بنى أسد : بدل من قناة ، ثم قال : جعل بنى أسد - وهم رهط المدوح - قناة - أى رحا - لبنى معد ، وجعل المدوح سناناً لهذه القناة : يعنى أن المدوح عزة لقومه ، وهم عزة لسائر العرب . وروى بعض الشراح بنى أسد : بنى أسد - على أنه جمع أسد - وقال : يعنى أن بنى معد هم بنو أسود : أى شجعان ؛ وقال ابن جنى : يجوز أن يكون بنى أسد : منادى مضافاً : يعنى أن بنى معد إذا نازلوا الأعداء ، قالوا يا بنى أسد ، فيقوم لهم قولهم في الغناء والدفع عنهم مقام سنان مركب في قناتهم ، لأنهم إذا دعواهم أغنوا عنهم .

(١) أراد بالعزيز - ههنا - الغلبة والامتناع ؛ ومقدرة - بتثليث الدال - أى قدرة : وحماية . بمعنى حماية أى حماية الجار والحليف ومن يحق الدود عنه ؛ ويجوز أن تكون بمعنى الحماية : أى الأنفة وعزة النفس . ونسب المنصوبات الخمس على التمييز . يقول . هو أعز من يغالب الأقران كفاً ، لأن يده فوق كل يد ، وسيفه أغلب السيوف ، وقدرته فوق قدرة الناس ، وحمايته لمن يحق عليه الدود عنه زائدة على حماية غيره ، وآله وأصحابه أغلب وأعز به من آل غيره .

(٢) منتم : منسب . يقول : هو شريف حسيب إذا اتسمى كان له الشرف من أبيه وأمه .

(٣) الإثناء : مصدر أنى عليه . يقول : إن المدح الذي يستعظم للدنيا وأهلها حتى يكون لإفراطه محالاً عليها إذا أطلق عليه كان حقاً ، لاستحقاقه غاية الثناء . وبعبارة أخرى : إن أحق ما يصدق عليه من صفات المدح لو مدحت به الدنيا وأهلها لكان النسبة إليهم محالاً . يعنى أن الناس كلهم لا يستحقون أدنى ما يستحقه من الثناء .

وَيَبْتَقِي ضِعْفُ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ إِذَا لَمْ يَتْرِكْ أَحَدًا مَقَالًا^(١)
 فَيَا أُنَّ الطَّاعِنِينَ تَكَلُّ لَدُنْ
 مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطْلُ الشَّمَالًا^(٢)
 وَيَا أُنَّ الضَّارِبِينَ بِكُلِّ عَضْبٍ مِنَ الْعَرَبِ الْأَسْفَلِ وَالْقِلَالَا^(٣)
 أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غَوَّوْا بِذِي وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْمُضَالَا^(٤)
 وَمَنْ يَكُ ذَا فَمِ مَرًّا مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًا بِهِ الْمَاءُ الزُّلَالَا^(٥)

(١) ضعف الشيء : أن زاد عليه مثله ؛ ويترك : يفتعل ، من الترك . يقول : إذا مدحه الناس غاية ما قدرُوا عليه حتى لم يترك أحد مقالا : بقى ضعف ما قالوه من المحاسن يعني للسادح والثني لا يبلغ في مدحه ما يستحقه ، كما قالت الخنساء .

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ
 وقال أبو نواس :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا هَلِيكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَأَنْتَ فَوْقَ الَّذِي نُنْتِي

(٢) بكل لدن : أى بكل رمح لين للهنز ، ومواضع : منصوب على الظرفية ، مضاف إلى الجملة بعده . يقول . يا ابن الطاعنين بكل رمح صدور الأبطال ؛ وهذا ينظر إلى قول البحترى .

وَأَتْبَعْتَهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحَقْدُ

(٣) العضب . السيف القاطع ؛ والقلال . جمع قلة ، أعلى الشيء والمراد هنا . الرءوس يقول . يا ابن الضارِبِينَ بكل سيف رءوس العرب وأرجلها قال ابن جنى . وذلك لأنهم إذا ضربوا الفارس في قلة رأسه نزل السيف إلى أسفل جسده ، وقيل أراد بالأسفل اللثام ، وبالقلال . السكرام ؛ أى ابن الذين يضربون الشريف والدينى فلا تتركون أحداً ، أو لا يهابون أحداً .

(٤) المتشاعرون : الذين يدعون الشمر وليسوا من أهله . وغرى بالشيء : أولوج به ، والداء المضال : الذى لا دواء له يقول : إنه داء لهم يستعمون به حسداً ، ولذا لا يمكن أن يحمده .

(٥) الزلال : العذب الصافي الذى يزل فى الحلق . وهذا مثل ضربه . يقول : مثله يصبى كمثل المريض مع الماء الزلال يجده مر المرارة فمه ، كذلك هؤلاء إنما يذمونى

وَقَالُوا هَلْ يُبَلِّغُكَ الثَّرِيَا فَقُلْتُ نَعَمْ إِذَا شِئْتُ أُسْتَفَالَا^(١)
هُوَ الْمَفْنَى الْمَذَاكى وَالْأَعَادَى وَبَيْضَ الْهِنْدِ وَالشَّمْرَ الطَّوَالَا^(٢)
وَقَائِدَهَا مَسُومَةً خَفَافَا عَلَى حَىَّ تَصَبَّحُهُ نَقَالَا^(٣)
جَوَائِلَ بِالْقَسَنِ مُتَقَفَاتٍ كَانَ عَلَى عَوَامِلِهَا الذَّبَالَا^(٤)

لنقصانهم وغبائهم وعدم إدراكهم فضلى وشعوى ، فالتقص فيهم لا فى ولوصحت حواسهم لعرفوا فضلى ؛ قال حكيم : النفس الكريمة ترى الأشياء حسنة .

(١) يقول إن الحساد قالوا الى حسداله على ولى عليه : هل برفعك المدوح الى الثريا ؛ إنكارا لأن يبلغنى بخدمته منزلة رفيعة ، فقلت : نعم يبلغنيها إذا أردت أن انحط عن منزلى : أى أنه رفعه الى ما فوق الثريا فإن استفل وانحط رجع الى موضع الثريا وإلا فهو أعلى منها درجة بخدمة المدوح . وهذا تخيل بديع . هذا : وسيمت المجموعة المعروفة من الكواكب بالثريا ؛ قيل لغزارة نوبها ، وقيل لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها ، فكانتها كثيرة العدد بالإضافة الى ضيق المحل ، ولا يتكلم بالثريا إلا مصغرة ، وهو تصغير على جهة التكثير ، ويقال إن خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد ، وقد ظن العطوى الشاعر كواكب الثريا ستة فقال :

خَامِلٌ إِنِّى لِثَرِيَا لِحَاسِدٍ وَإِنِّى عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ لَوَاجِدٍ

أَجْمَعُ مِنْهَا شَمْلَهَا وَهَى سِتَّةٍ وَأَفْقِدُ مِنْ أَحْبَبَتِهِ وَهُوَ وَاحِدٍ

(٢) اللذاكى : الخيل السنة ، وهى التى أى عليها بعد قروحها سنة . وببيض الهند : السيف . والسمر : الرماح . يقول : هو الذى يفتى هذه الأشياء بكثرة الحروب ؛ وعبارة المكبرى : هو مفنى الخيل والأعداى بالطراد فى الحروب ، وقيل بالهيبية والسيف والرماح بالضرب والطمع ، ويجوز بالهيبية .

(٣) قائدها : معطوف على المعنى ؛ والضمير : للذاكى ؛ والسومة : العملة . يقول : وهو قائد الخيل خففا فى الركض نقالا على الحى الذى تحمل بساحته صباحاً للغارة ، أى نقالا على الأعادى .

(٤) جوائل : بدل من مسومة ، وهى جمع جائلة : أى مترددة ، وجوائل بالقى ، أى تجول بأرماح فرسانها ، والقى : جمع القنا . ومتقفات : أى مقومات بالتقاف ، وهو الحديد الذى يسوى به الرمح . والعوامل : مايل الأسنة والذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة التى فى السراج . شبه أسنتها فى اللمعان بالفتائل .

إِذَا وَصَّتْ بِأَيْدِيهَا صُخُوراً يَفِينَنَّ لَوَطءَ أَرْجُلَيْهَا رَمَالاً^(١)
 جَوَابُ مُسَائِلِي آلِهِ نَظِيرٌ وَلَا لَكَ فِي سُؤَالِكَ لَا أَلَا^(٢)
 لَقَدْ أَمِنْتَ بِكَ الْإِعْدَامَ نَفْسٌ تَعُدُّ رَجَاءَهَا إِيَّاكَ مَالاً^(٣)
 وَقَدْ وَجِلْتَ قُلُوبٌ مِنْكَ حَتَّى غَدَّتْ أَوْجَالُهَا فِيهَا وَجَالاً^(٤)

(١) يفئنان : يمدن ويرجعن ؛ ويروى : يقين . يقول : إذا وطئت هذه الخيل الصخور بأيديها وأرجلها تفتنت من شدة وطأتها فصارت رمالا ، كما قال ابن المهزي :

* كَانِ حَصَى الصَّيَانِ مِنْ وَقَعِهَا رَمَلٌ *

(٢) جواب : مبتدأ ؛ خبره : عجز البيت ، وقوله آله نظير : في محل نصب حكاية السؤال . يقول : إذا سألتني سائل فقال : هل لهذا المدوح نظير ؟ جوابه : لا ، ولا لك أيضاً نظير في هذا السؤال ، لأن أحداً لا يجهل هذا غيرك ، فأنت في جهلك به بلا نظير . وأراد « لا » و« لا لك » فأخر المظوف عليه ضرورة ، كما قال الأحموس :

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقِي عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ^(١)

وكرر النفي بقوله « ألا لا » إشارة إلى أن جهل هذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه

(٣) الإعدام : الإقتار والفقير . يقول : كل نفس ترجو عطاءك وتمعد هذا الرجاء مالا لها تأمن الفقر لأنك تبلغها آمالها ألبنة .

(٤) وجالا : جمع وجل - بكسر الجيم - أى خائف يقول : خافتك قلوب الأعداء حتى خاف خوفهم ووجلّت أوجالهم ، وهذا كقولهم : جن جنونه ، قال :

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ طَلِبِيئاً يَدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِ

(١) بعده :

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكَ نَفْسِي هُنَا مِنْ ذَلِكَ تَكْرَهُهُ الْكِرَامُ
 وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَسِّ إِذَا هُوَ لَمْ يَخَالِطِ الْحَرَامُ
 والنخلة : كناية جميلة عن المرأة ؛ وكفى بالهناة عن الرفث .

سُرُورُكَ أَنْ تَسْرَهُ النَّاسَ مُطْرًا
تَعْلَمُهُمْ عَلَيْكَ بِهِ الدَّلَالَ (١)
وَإِنْ سَأَلُوا شَكَرْتَهُمْ عَلَيْهِ
وَأَسْعَدُ مَنْ رَأَيْنَا مُسْتَمِيعٌ
فَرَأَى الْقَوْسَ مَا لَاقَى الرَّجَالَ (٢)
فَمَا تَقِفُ السَّهَامُ عَلَى قَرَارٍ
كَأَنَّ الرَّيْشَ يَطْلُبُ النَّصَالَ (٣)

(١) يقول : إنما يحصل لك السرور والفرح بأن تسره جميع الناس :
وإذا كان هناك واحد لم تسره لم يحصل لك السرور ، فأنت تعلمهم الدلال عليك بهذا ،
لأنه لو قال أحد الناس أنا غير مسرور اجتهدت حتى تسره وترضيه . فهم يدلون عليك ،
إذ عرفوا منك هذا .

(٢) يقول : أنت لكرمك تحب العطاء ، فإذا سألوك شكرتهم على السؤال وعدتة
منة عليك لحبك العطاء ، وإن هم سألوك حتى لا يفوتك
لذة العطاء .

(٣) الاستراحة : طلب العطاء ، والسباحة ، الجود . يقول أسعد الناس سائل يعطى
مستوله بأن ينال منه شيئاً ، يعني أن مستوله يفرح بأخذ عطائه حتى كأنه ينيله شيئاً .
والحاصل أن أسعد الناس من أخذ من معط يرى أن الأخذ منه عطاء له فبراه حقا عليه
ويسر بذلك . قال البحترى :

فَيَكُونُ أَوْلَ سُنَّةٍ مَأْتُورَةٌ

أَنْ يَقْبَلَ الْمَدْوُوحُ رِفْدَ الْمَادِحِ

(٤) « ما » نافية ، والجملة بعدها : حال من ضمير السهم محذوفا ، والتقدير فراقه
للقوس وهو ملاقى الرجال . يقول : إن سهمه يفارق الرجل الذي يلاقيه نافذاً منه ،
وفيه نفس القوة التي فارق بها القوس حين لم يلاق أحداً بعد : أى إذا رمى رجلاً بسهم
خرج منه بعد النفاذ فيه وفيه قوة كقوته حين خرج عن كبد القوس يصفه بشدة نزع القوس
وقوة الرمي وانطلاق السهم ؛ ويجوز أن تكون « ما » ظرفاً ، كأنه قال : يكون الأمر
كذلك مدة ملاقاته الرجال ، كما تقول : لا أكلك مطار طائر .

(٥) النصال ، جمع نصل ، الحديدية التي تكون في السهم . يقول : إن سهامك إذا
رميتها لاتقف عن مسيرها ، فكان ريشها يطاب نصالها ليدركها فهي تنضى أبداً ، لأن
الريش لا يدرك النصل ، لتقدم النصل عليه .

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَمَا تُجَارِي وَجَاوَزْتَ الْعُلُوَّ فَمَا تُعَالَى (١)
 وَأَقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ لَمَا صَلَحَ الْعِبَادُ لَهُ شِمَالًا (٢)
 أَقْلَبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءِ وَإِنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالًا (٣)
 وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَا وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمُهْدِ الْكَمَالَ (٤)

* *

وهذا من قول ليلي الأخيلية :

وَمَا أَنْ رَأَيْتَ الْخَلِيلَ قَبْلًا تَبَارَى بِالْحُدُودِ شِبَا الْعَوَالِي
 نَسِيتَ وَصَالَهُ وَصَدَدْتَ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَرْبُ عَنْ الظَّلَالِ (١)

فقل المعنى من الخيل والحدود والعوالي : إلى السهام والريش والنصال .

(١) جراه : جرى معه ؛ وعلاه : غلبه في العلو . يقول : سبقت الذين سبقوا في مراحل الساعي والكارم حتى شأوتهم فليس يجاريك أحد ، وعلوت حتى جاوزت العلو المألوف فليس يعالك أحد ، إذ لا يبلغ أحد مبلغك . ويجوز أن يكون معنى السابقين : الأولين : أي الذي غبروا ومضوا .

(٢) يفضله على جميع الناس ، ويقول : إنه لو كان يمين شيء ماصح الناس كلهم أن يكونوا شمالا لذلك الشيء ، وفي مثل هذا المعنى يقول أبو النجم :

لو كان خالقُ الله جنباً واحداً وكنت في جنبٍ لكنت زائداً

نباهةً ونائلاً ووالداً

(٣) يقول أنت في علو قدرك سماء وإن كانت كواكب تلك السماء خصالاً ، جعله كالسما ، وخصاله في الشهرة والحسن نجومها ، كما قال البحرى :

وبلوتُ منك خلائقاً محمودةً لو كُنَّ في فلكٍ لكنَّ نجوماً

(٤) وأعجب : عطف على أقلب - في البيت السابق - وتنشأ : أصله تنشأ - بالهمز - فليته للوزن ، وأراد أن تنشأ ، فحذف « أن » . يقول : أنت قد ولدت كاملاً ، فكيف استطعت أن تزداد بعد الكمال ؟

(١) قالت ليلي هذين البيتين في فائض بن عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل ؛ وقد مر شرحهما .

وخرج بدر بن عمار إلى أسد ، فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر ، فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع. وقتل ، فوثب إلى كفل فرسه ، فأعجله عن استلال سيفه ، فضر به بالسوط ، ودار به الجيش ، فقال أبو الطيب :

فِي الْخُلْدِ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيْطُ رَحِيْلًا مَطَرٌ تَزِيْدُ بِهِ الْخُدُوْدُ مَحُوْلًا^(١)
يَا نَظْرَةَ نَفَتِ الرَّقَادَ وَغَادَرَتْ فِي حَدِّ قَلْبِي مَا حَيَيْتُ فُلُوْلًا^(٢)
كَانَتْ مِنَ الْكَحْلَاءِ سُوْلِي إِنْمَاءً أَجْلِي تَمَثَّلَ فِي فُوَادِي سُوْلًا^(٣)

(١) أن عزم : أى لأجل أن عزم . والخليط : الذى يخالطك ويمشارك ، والمراد به الحبيب ؛ والخليط أيضا : القوم الذين أمرهم واحد ؛ قال الشاعر :

إن الخليط أجدوا البين فأنجردوا وأخلفوك عدى الأمر الذى وعدوا
وجمع الخليط : خلطاء وخلط ، قال وعلة الجرمى فى جمعه على خلط :

سائل مجاور جرم هل جنيت لهم حرباً تفرق بين الجسيرة الخلد
يقول : إن فى خده - لأن عزم الحبيب فراقاً - مطرا - يعنى الدمع - تزيد الحدود به محولا - جدبا - ومحول الحدود : شحوبها وتحدد لهما وفهاب نضرتها والطر من شأنه أن تحصب به البلاد ويخضر العشب ، أما الدمع فهو مطر صنيعه على الضد من هذا وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لو نبت العُشبُ من دموعٍ لكان فى خدِّي الربيعُ
(٢) نقت : أذهبت . وغادرت : تركت . والفلول : الثلوم : أى ما يلحق حد السيف من كثرة الضرب . يقول : إن نظرته إلى الحبيب لدى الفراق ذهبت بنومه وأورثته السهاد وذهبت بحدة قلبه ، يعنى أثرت فى لبه ، وعبرة بعض الشراح : وترك قلبه كالسيف للفلول لا يقوى على مقاومة النوايب واتقأها ، ويجوز أن يكون المراد بالنظرة : النظرة الأولى التى نظرها الحبيب وسببت له العشق والهام .

(٣) الضمير فى «كانت» : للنظرة ، والكحلاء : السوداء الجفون خلقة . والسؤل ما يطلبه الإنسان ويتمناه ، وهو خبر «كانت» ومن الكحلاء : متعلق بسؤل ؛ ولين السؤل - فى آخر البيت - للفاية . يقول : كانت هذه النظرة مرادى ومطلوبى من

أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَاكِ جَمِيلًا^(١)
وَأَرَى تَدَالِكَ الْكَثِيرَ مُحِبًّا وَأَرَى قَلِيلَ تَدَالٍ تَمْلُولًا^(٢)
تَشْكُو رَوَادِفِكَ الْمَطِيَّةَ فَوْقَهَا
شَكْوَى الَّتِي وَجَدْتَ هَوَاكَ دَخِيلًا^(٣)
وَيُعِيرُنِي جَذْبُ الزَّمَامِ لِقَلْبِهَا فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلًا^(٤)

هذه المرأة الكحلأ . ولكنها كانت في الحقيقة أجلى تصور مرادا في قلبي ، يعني أن نظرتة إليها حال التوديع ذهبت بنفسه وأنت عليه .

(١) الجفاء : الإعراض ، وقد ضمنه معنى النبو والامتناع ، ولذلك وصله بعلى . والنوى : البعد . يقول : إني أجد إعراضى عن النساء مروءة إلا عنك ، والصبر على نازلة جميلا إلا على بعدك ، كما قال البحترى :

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ إِلَّا عِنْدَ فُرْقَةٍ مَنُ بَيْنَهُ صِرْتُ بَيْنَ الْبَثِّ وَالْحَزَنِ
(٢) يقول : إني آمل دلال غيرك وإن قل ، وأحب دلالك وإن كثر ، كما قال جرير :

إِنْ كَانَ شَأْنُكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ حَسَنُ دَلَالِكِ يَا أُمِّمَ جَمِيلُ
(٣) الروادف : الكفل ومحاولة ، جمع رادفة ، لأنها تردف الإنسان : أى تكون خلفه ، كالرديف الذى يكون خلف الراكب . يقول : تشكو المطية تقلر روادفك فوقها شكوى النفس التي وجدت هواك مداخلها ، يعني العاشق لها ، يعني نفسه .

(٤) يقول - مخاطباً حبيته - : يحملنى على الغيرة جذبك زماهاها إليك لأنها تقلب فيها إليك كأنها قبلة ، كما قال مسلم بن الوليد :

وَالعَيْسُ عَاطِفَةُ الرُّؤُوسِ كَأَنَّهَا يَطْلُبُنَّ مِيرًا مُحَدَّثٍ فِي الْأَحْلُسِ
هذا ، والغيرة : الحمية والأنتفة ، لعلها من غار النهار : إذا اشتد حره ، يقال : غار الرجل على امرأته ، والمرأة على بطلها تغار غيره وغيرا وغاراً وغياراً ؛ قال أبو ذؤيب يصف قدوداً :

لَهْنَ نَشِيجٌ بِالنَّشِيلِ كَأَنَّهَا ضَرَارٌ حِرْمِيٌّ تَفَاحَشَ غَارَهَا^(١)

(١) نشل اللحم من القدر : انتزعه منها وهو النشيل ، والنسبة إلى الحرم حرمي وهو من العدول الذى يأتي على غير قياس . قال المبرد : يقال امرأة حرمية وحرمية

حَدَقُ الْحَسَانَ مِنَ الْفَوَائِي هَجَنِي لِي يَوْمَ الْفِرَاقِ صَبَابَةٌ وَغَلِيلًا^(١)
حَدَقُ يُذِمُّ مِنَ الْفَوَائِلِ غَيْرَهَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلًا^(٢)
الْفَارِجُ الْكَرْبَ الْعِظَامَ بِمِثْلِهَا وَالْقَارِكُ الْمَلِكُ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا^(٣)

وأغار الرجل أهله : تزوج عليها فغارت ، والعرب تقول أغير من الحمى : أى أنها تلازم الحموم ملازمة الفيور لبعلمها . هذا : والقم أكثر ما يستعمل بغير الميم مع الإضافة ، فإذا أضيف قلت فوك وفالك وفيك ، إلا أنه قد جاء بالميم مضافا عن العرب ، قال :

كالحوت لا يكفيه شيء يلهمه يصبح عطشان وفي البحر فمه

(١) الحدق : جمع حدقة ، وهى سواد العين الأعظم ، وواحدة الحسان : حسناء . والفوائى : جمع غناية ، وهى القى غنيت بحسنا عن التجميل . والصبابة : رقة الشوق . والغليل : حرارة العطش ، والمراد به هنا : لاجع الوجد .

(٢) حدق : خبر عن محذوف ، يرجع إلى حدق - الأولى - ويذم : ينجير ويعطى الدمام ؛ وغيرها : ينجوز فيه النصب على الاستثناء ، أو الحال ، والجر على التبعية . وبدر ابن عمار . فاعل يذم . يقول ، إنه ينجير من كل ما يقتل إلا من أحداق الحسان ، فإنه لا يستطيع الإجارة منها ، كما قال .

وَقِيَّ الْأَمِيرُ هَوَى الْعِيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِبَاسِهِ وَسَخَائِهِ
وقد تجاوز هذا فى مدح عضد الدولة بأمن بلاده فى قوله .

فَلَوْ طُرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَا خَافَتْ مِنَ الْحَدَقِ الْحِسَانَ

(٣) يقول : إنه يفرج الكرب العظام عن أوليائه بإزال مثلها بأعدائه ، يعنى أنه يقتل أعداءه ليدفعهم عن أوليائه ويفقرهم لينقى أوليائه فيزيل عنهم الفقر . ويقال فرج عنه يفرج وأفرج يفرج وفرج يفرج تفرجاً : إذا أزال عنه القم وكشفه ، والكريب وما بعده بالنصب بإعمال اسم الفاعل ، وروى بالخفض تشبهاً بالحسن الوجه .

وأصله من قوطلم ، وحرمة البيت وحرمة البيت : قالوا إن أهل الحرم - وهم قريش - أول من اتخذ الضرائر . شبه غنينة : القدور بصخب الضرائر

مَحَكٌ إِذَا مَطَلَ الْفَرِيمُ بَدِينَهُ جَعَلَ الْحَسَامَ بِمَا أَرَادَ كَفَيْلًا (١)
نَطَقٌ إِذَا حَطَّ الْكَلَامُ لِثَامَهُ أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولًا (٢)
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا (٣)

(١) المحك : اللجوج . والمحك اللجاج عند الغضب والمساومة ونحوها ، وقد محك
يمحك ومحك محكا ومحكا فهو ماحك ومحك وتماحك البيعان والحصان تلاحا ، قال
الفرزدق يهجو جريرا :

يا ابن المراغة والهجاه إذا التقت أعناقهُ وتماحك الحصان
ماضراً تلبّ وإئبل أهجوتها أم بُلت حيثُ تناطح البحران (١)
يقول . إنه يلج في تقاضى ماله على الناس من حق الطاعة والخضوع ولا يتوانى في
ذلك ؛ فإذا مطلوبه بهذا الدين جعل سيفه كفيلا له بقضائه ، يعنى إذا لم يخضعوا له طوعا
أخضعهم قهراً .

(٢) النطق - كالنطق - اللسان البليغ ؛ والضمير في « ثامه » . للمدوح ، قال
الواحدى . وكانت العرب تتلمن بعمائمها ، فإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا اللثام عن
عن أفواههم . يقول : إذا وضع الكلام لثامه عن فمه عند النطق أفاد منطقه قلوب
السامعين عقولا ، يعنى أنه يتكلم بالحكمة وبما يستفاد منه العقل .
(٣) قال ابن فورجه : يعنى أن الزمان سخا - جاد - به على وكان بخيلا به ، فلما
أعداه سخاؤه أسعدنى الزمان بضمى إليه وهدايتى نحوه ، وللصراع الأول من قول
ابن الحياط .

لمستُ بِكِنْيٍ كَفَّهُ أَبْغَى الْغِنَى ولم أدِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدَى
فلا أنا منه ما أفادَ ذُو الْغِنَى أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عندي
وقال أبو تمام :

علمنى جُودك السماحَ فما أبقيتُ شيئاً لدىّ مِنْ صِلَتِكَ
وقال أيضاً :

لستُ بِمِحْيٍ مُصَافِحاً بِسَلامِ إننى إن فعلتُ أتلفتُ مالى

(١) المراغة : الأتان التى لا تمتنع من الفحول ، وبذلك لقب الأخطل أم جرير
فسماه ابن المراغة : أى يتمرغ عليها الرجال .

وَكَأَنَّ بَرَقًا فِي مُتُونِ عَمَامَةٍ هِنْدِيَّةٍ فِي كَفِّهِ مَسْلُولاً^(١)
وَمَحَلُّ قَائِمِهِ يَسِيلُ مَوَاهِبًا^(٢) لَوْ كُنَّ سَيْلًا مَا وَجَدَنَّ مَسِيلًا^(٣)

وأبو الطيب نقل المعنى إلى الزمان ، والمصراع الثاني من قول أبي تمام :

هِنَهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمَثَلِهِ إِنْ الزَّمَانُ بِمَثَلِهِ لِبَخِيلٍ

وقال ابن جني : للمعنى تعلم الزمان من سخائه فسخا به وأخرجه من العدم إلى الوجود ولولا سخاؤه الذي استفاده منه لبخل به على أهل الدنيا واستبقاه لنفسه ، فإن قيل : السخاء لا يكون إلا في الوجود ، وهذا معدوم فالجواب : أن الزمان كأنه علم ما يكون فيه من السخاء إذا وجد ، فكأنه استفاد منه ما تصور كونه فيه بعد وجوده . ولولا ما تصور من السخاء لبقى أبداً بخيلاً ، والشيء إذا تحقق كونه لا محالة أجرى عليه في حالة عدمه كثير من الأوصاف التي يستحقها بعد وجوده قال ابن فورجه : هذا تأويل فاسد وغرض بعيد ، والسخاء بغير الوجود لا يوصف بالعدوى ، ثم فسر البيت بما أسلفنا . هذا والسخاء الجود ، يقال سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى يسخى سخاء وسخوة قال الجوهري وقول عمرو بن كلثوم

مشعشةً كأن الحُصَّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا^(١)

أى جدنا بأموالنا ، قال وقول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال

فليس بشيء .

(١) جعل اسم «كأن» نكرة ؛ وخبرها معرفة ضرورة . والتون جمع متن ، وهو الظهر . والقمامة السحابة . والهندي السيف المصنوع من حديد الهند ، وفي كفه ومسلولاً حالان . وقد عكس التشبيه في هذا البيت ، لأن الأصل أن يشبه السيف بالبرق ، وهنا شبه البرق بالسيف فقال كأن برقا في ظهور الغمام سيفه إذا سله في يده ، مبالغة في بريقه ولعانه .

(٢) محل قائمه أى قائم السيف أى مقبضه هو يد المدوح ؛ ومواهباً تميز . يقول : إن كفه تسيل نعماً وهبات لو كانت مطراً لما وجدت موضعاً تسيل فيه لسكرتها ولعله ينظر في هذا إلى قول أبي تمام :

(١) شعشع الشراب مزجه بالماء ؛ والحص الورس ، نبات له نوار أحمر . يشبه الزعفران ، يقول اسقني الخمر بمزوجة بالماء كأنها من شدة حررتها بعد امتزاجها بالماء ألقي فيها نور هذا النبات الأحمر ، وإذا شربناها وسكرنا جدنا بمالنا .

رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَمَنْ كَأْتَمَّا

يُمْدِينَ مِنْ عِشْقِ الرَّقَابِ نَحُولًا^(١)
 أَمَقَّرَ اللَّيْثُ الْهَزْبِرَ بِسَوْطِهِ لَمَنْ أَدَخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْفُولًا^(٢)
 وَقَعَتْ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ نُضِدَتْ بِهَا هَامُ الرَّفَاقِ تُلُولًا^(٣)
 وَرَدُّ إِذَا وَرَدَ الْبَحْيِرَةَ شَارِبًا وَرَدَّ الْفِرَاتَ زَيْبُهُ وَالنَّيْلًا^(٤)
 مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لِأَبْسٍ فِي غَيْبِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غَيْلًا^(٥)

أفاد من العُلْيَا كُنُوزًا لو أَنهـا صَوَامِتَ مَالٍ مَا دَرَى أَيْنَ تَجْمَلُ

(١) مضاربه - جمع - مضرب - حد السيف الذي يضرب به الرقاب ؛ ويبدن ؛ يظهرن . أراد : أن سيوفه تلازم الرقاب فوصفها بالعشق لأنه أدعى الأشياء إلى الزوم والرقبة . يقول : إن سيوفه رقيقة ماضية ، فكأتمما هي - لرقبتها - تبدى نحولا من عشقها الرقاب ، كما ينحل العاشق من جراء العشق ؛ وعبارة بعض الشراح : يصف هذا السيف بالرقبة والمضاء . يقول : إن مضاربه لكثرة ملازمتها للرقاب صارت عاشقة لها فأثر فيها هذا العشق نحولا ، فرقتها من ذلك النحول .

(٢) عفره : مرغه في التراب . والهزبر : الشديد . والصارم : السيف القاطع . وكان بدر بن عمار - كما أسلفنا - هاج أسدا عن بقرة قد اقتربها فوثب على كفل فرسه وأحمله عن سل السيف فضربه بسوطه ، ودار الجيش به فقتله . يقول : إذا كفت تصرع الأسد بالسوط - وهو أشد الحيوان بأسا - فلن خبات سيحك ؟

(٣) نضدت : جمع بعضها فوق بعض ؛ والهام : الرؤوس . والرفاق : جمع رفقته : الجماعة في السفر . وتلولا : حال : أي مائلا للتلول ، جمع تل : الجبل الصغير . يقول : إن هذا الأسد كان بلية وقعت على أهل هذا النهر ، فقد عصف بالسافرين وأكثر القتلى منهم حتى ترك رؤوسهم كالتلول المجتمعة من التراب .

(٤) الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة ، وكذلك الأسد . والراد بالبحيرة : بحيرة طبرية ؛ والرثير : صوت الأسد . يقول : إذا زار في طبرية بلغ زئيره العراق ومصر ، وقد جانس بين ورد وورد .

(٥) الغيل : الأجمة - الغابة - واللبدة : الشعر المجتمع على كتف الأسد . يقول : إنه لكثرة ما قتل من الفوارس قد تلتطخ بدمائهم ، ثم قال : وهو من غيله من الشجر

مَا قُوِيَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنْتَا تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولاً^(١)

كأنه في غيل آخر من لبدتيه لكثافة ما طي كنفه من الشعر. وكثرته. شبه لبدتيه بالغابة.

(١) الفريق: الجماعة، وهو أكثر من الفرقة؛ وحلولا - أى حالين نازلين - حال من « الفريق »؛ وتحت الدجى: في موضع الحال من نائب « ظنتا ». يقول: ما استقبلت عين هذا الأسد في الظلام إلا ظنت نارا أوقدت لجماعة نزلوا موضعا؛ وهو معلوم أن عين الأسد وعين السنور وعين الحية تترامى في ظلمة الليل بارقة هذا: وقد قلنا إن « حلولا » حال من الفريق، وهو معلوم أن الحال من المضاف إليه قليل ضعيف وإن كان قد جاء في شعر العرب القدامى، كقول النابغة الجعدي من قصيدة يصف فرسا:

كَانَ حَوَامِيَهُ مُدْبِرًا خَضِبِينَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَخْضِبُ
حِجَارَةَ غَيْلٍ بِرَضْرَاضَةٍ كَسِينِ طِلَاءٍ مِنَ الطَّحْلِبِ^(١)
وكقول زيد الفوارس:

عَوَظٌ وَبُهْثَةٌ حَاشِدُونَ عَلَيْهِمْ حَلَقُ الْحَدِيدِ مُضَاعَفًا يَتَلَهَّبُ^(٢)
وقول تأبط شراً:

سَلَبْتُ سِلَاحِي بَأْسًا وَشَتَمْتَنِي فَيَا خَيْرَ مَسْلُوبٍ وَيَا شَرَّ سَالِبٍ^(٣)

(١) الحوامى: جمع حامية، ما عن يمين الحافر وشماله؛ وتخضب بدل من « تكن » والفيل: الماء الجارى على وجه الأرض؛ والرضراضة: الأرض الصلبة شبه حوافر الفرس بحجارة مقيمة في ماء قليل وذلك أصلب لها. والنون من « كسين » للحجارة؛ والطلاء كل ما يطلى به، والطحلب، خضرة تملو الماء المزمى؛ ومدبراً حال من الماء في « حواميه » وهو محل الشاهد.

(٢) عوذ وبهثة. اسما رجلين، وحلق الحديد الدرور، مضاعفاً حال من « الحديد » وهو الشاهد وجائز أن يجعل « يتلهب » في موضع الحال، ومضاعفاً، حال من المضمرة في « يتلهب ». ويتلهب حال من الحلق ويتلهب أى يشعل استعير المعان الدرور.

(٣) والشاهد هو مجيء بأسا حالاً من المضاف إليه، وهو الياء من « سلاحى » وجائز أن يكون حالاً من مفعول « سلبت » المحذوف، والتقدير سلبتى بأسا سلاحى

فِي وَحْدَةِ الرَّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ
لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَ (١)
يَطَأُ الثَّرَى مُتَرْفَعًا مِنْ تَيْبِهِ؛ فَكَأَنَّهُ آسٌ يَجُسُّ عَلِيلاً (٢)
وَيَرُدُّ غُرَّتَهُ إِلَى يَأْفُوحِهِ حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلًا
وَتَظُنُّهُ مِمَّا يَزُجِرُ نَفْسَهُ عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْفُولًا (٣)
فَقَصَرَتْ خَشْفَتُهُ أَنْطَطَى فَكَأَنَّمَا
رَكِبَ الْكَمِيَّ جَوَادَهُ مَشْكُولًا (٤)

(١) يقول: هو في غيظه منفرد انفراد الرهبان في متعبداتهم، غير أنه لا يعرف حراما ولا حلالا. والأسد إذا كان قويا هزبراً لم يسكن معه في غيظه غيره من الأسود.
(٢) الثرى وى البرى: التراب، والتهيه: الزهو والمعب. والآسى: الطبيب والأسد لعزته في نفسه وقوته لا يسرع المشى لأنه لا يخاف شيئا، وقد شبهه في لين مشيه بالطبيب الذى يجس العليل - المريض - فإنه يرفق به ولا يجعل.
(٣) العفرة: الشعر المجتمع على قفاه. واليافوخ: الرأس. والإكليل: التاج. يقول: ويرد ذلك الشعر إلى هامته حتى يجتمع عليها فيصير ذلك لرأسه كالأكليل، وإنما يفعل ذلك إذا غضب وغطاط يجمع قوته في أعلى بدنه.
(٤) نفسه: فاعل «تظنه» وزجر الأسد: ردد زثيره. ومشفولا: مفعول ثان للظن؛ وعنها: صلة مشفولا يقول: إن نفسه تظنه مشفولا عنها لكثرة ما يزجر من شدة غضبه وغيظه. ووقع في بعض الروايات: نفسه - بالنصب - أى يزجر لنفسه؛ والرواية الأولى أصح.

(٥) القصر - هنا - ضد التطويل: والخفاة: مصدر مضاف إلى المفعول؛ والخطى: جمع خطوه، وهى مسافة ما بين القدمين، والكمى: البطل المستتر فى سلاحه؛ والمشكول: اللقيد بالشكال. قال الواحدى: وذو الحافر إذا رأى الأسد وقف وخج (١) وبال. يقول: كأن الشجاع ركب فرسه بشكاله (٢) فلا يخطو ولا يتحرك خوفا منه، قال: هذا تفسير الناس لهذا البيت، قال: وقال ابن فورجه: المعنى لما خاف منك الأسد تقاصرت خطاه هية ونازعته نفسه إليك جراءة فخلط إقداما بإحجام، فكأنه فارس

(١) فحج: باعد ما بين رجليه ليبول (٢) الشكال الجبل الذى تشد به قوائم الدابة

الَّتِي فَرَيْسَتَهُ وَبَرَبَرَ دُونَهَا ، وَقَرُبْتَ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلًا^(١)
 فَتَشَابَهُ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ ، وَتَخَالَفًا فِي بَدَلِكِ الْمَاءِ كُؤُلًا^(٢)
 أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا
 مَتْنًا أَزَلٌّ وَسَاعِدًا مَفْتُولًا^(٣)
 فِي سَرَجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمْرَةٍ يَا بَنِي تَفَرُّدُهَا لَهَا التَّمْثِيلًا^(٤)
 نِيَالَةَ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهُمَا تَعْطَى مَكَانَ جِلْمِهَا مَا نِيَالًا^(٥)

كمن ركب فرسه مشكولا ، فهو يهيجه للاقدام بجراً ، والفرس يحجم عجزاً عما يسومه
 لمكان شكله .

(١) الفريسة : صيد الأسد ، وهو ما يفترسه . يريد البقرة التي هاجه عنها .
 والبربرة : الصياح والبربرة - في الأصل - كلام الغضب استعارها لزجرجة الأسد .
 وخاله : ظنه . والتطفيل : الدخول على الآكلين من غير دعوة . قال الليث : التطفيل
 سن كلام أهل العراق . يقولون : هو يتطفل في الأعراس . يقول : لما قصدته ألقى
 الفريسة وزجر دونها ، يعني ذودا عنها ، لأنه ظن أنك تتطفل على صيده لتأكل منه .
 (٢) الخلقان : الطبعان . يريد خلق الأسد وخلق المدوح ، والضمير من «إقدامه»
 للأسد . يقول : تشابها في الجراءة والإقدام وتخالفا في أن الأسد شحيح بطعامه
 وأنت جواد باذل له ، كما قال البحري .

شَارَكَتَهُ فِي الْبَأْسِ ثُمَّ فَضَلَتْهُ بِالْجُودِ مُحَقَّقًا بِذَلِكَ زَعِيمًا

(٣) يريد بعضويه ما ذكره بعد من المتن والساعد ، والمتن : جانب الصلب ؛
 والأزل : الأرسح - أي القليل لحم العجز والفخذين - وامرأة زلاء : لا عجز لها ؛
 والسمع الأزل : الذئب الأرسح يتولد بين الذئب والضبع ، وهي صفة لازمة له
 كما يقال الضبع العرجاء والمفتول الندمج الشديد كأنه قتل أي لوى - يقول : إن هذا
 الأسد يرى قوته وشجاعته فيك فمتنه ممسوح وساعده مفتول فقد أشبهه منك
 هذان العضوان .

(٤) ظامئة الفصوص : يعني فرسا دقيقة المفاصل ليست برهلة رخوة . يقال خيل
 ظماء الفصوص . والطمرة : الوثابة . يقول : قربت منه وأنت راكب في سرج فرس
 بهذه الصفة وتفردها بالكمال يأتي أن يكون لها نظير فلا تمثل بغيرها من الخيل .
 (٥) نيالة : فعالة من النيل ؛ والطلبات : جمع طلبة - بفتح فكسر - الحاجة

تَذْمَى سَوَالِفَهَا إِذَا أُسْتَحْضَرَتْهَا وَيُظَنَّ عَقْدُ عِنَانِهَا مَحْلُولًا^(١)
مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ
حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرْضَ مِنْهُ الطُّولًا^(٢)
وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ
يَبْنِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَيْلًا^(٣)

والشيء المطلوب . ومكان لجامها : كناية عن رأسها ؛ وما نيل : نفى . يقول : إن هذه الفرس تدرك ما تطلبه لشدة حصرها - جريها - وهي طويلة العنق مشرفة الرأس لولا أنها تحط رأسها للجام مانيل رأسها ؛ وقال الخطيب التبريزي : هذه الفرس إذا طلبت عدوا أو وحشا نالته ، وهي مع هذا عزيزة النفس تدل للراكب ما قدر عليها . وفيه نظر إلى قول زهير :

وَمُلْجَمُنَا مَا إِنْ يَنَالُ قَدَالَهُ وَلَا قَدَمَاهُ الْأَرْضَ إِلَّا أَنْامِلُهُ

(١) السوالف : جمع سالفة ، وهي صفحة العنق . واستحضرتها : من الحضرة ، وهو الركض . والعنان : سير اللجام . يقول : إذا ركضتها جدت حتى يعرق عنقها وما حوله ، وإذا جذبت عنانها طاوعت ولان عنقها حتى تظن العنان محلول العقد ، لأنها لا تجاذبك العنان لمطاوعتها ، وقال الواحدى : يجوز أن يكون هذا وصفا لطول العنق ؛ يعنى أنها إذا رفعت رأسها استرخى العنان وطال ، لأنه على قدر طول عنقها ، فيصير العنان كأنه محلول . وقال بعض الشراح : إنما تدير عنقها ورأسها كيف شاءت ، وتغلب فارسها فلا يقدر على رد رأسها بالعنان ، فكأن عقد العنان محلول غير مشدود ، لأنه لو كان مشدوداً قدر الفارس على ضبطها ، قال الواحدى : وما أبعد هذا إذ فسر بغير المراد .

(٢) الزور : وسط الصدر حيث تلتقى عظامه ، عاد إلى وصف الأسد يقول : ما زال هذا الأسد حين لتيك يجمع قوى نفسه في صدره حتى صار عرضه في قفله طوله وكذلك يفعل الأسد إذا أراد الوثوب على الصيد .

(٣) يدق . يكسر ، والطحبار والطحارة والأحجار : جمع حجر ، وهو الصخرة ؛ والحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل هو في أسفله ؛ وكتب يحيى بن يعمر عن يزيد بن المهلب إلى الحجاج : إنا لقينا العدو ففعلنا واضطررناهم إلى عرعرة الجبل ونحن بحضيضه ، وقال عمر عبدالعزيز : أجملوا في الطلب ، فلو أن رزق أحدكم في

وَكَأَنَّهُ غَرَّمَهُ عَيْنٌ فَادَنَى لَا يُبْصِرُ أَلْطَبَ الْجَلِيلِ جَلِيلًا^(١)
 أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدُّنْيَةِ تَارِكٌ فِي عَيْنِهِ الْمَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا^(٢)
 وَالْعَارُ مَضَاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلًا^(٣)
 سَبَقَ التَّقَاءَ كَهُ يَوْثِبَةٌ هَاجِمٌ
 لَوْ لَمْ تُصَادِمَهُ لَجَازَكَ مِيلاً^(٤)

عرعره جبل أو حضيض أرض لأناه قبل أن يموت؛ وعرعره الجبل: أعلاه. يقول: إنه لفضبه يضرب الأرض بصدرة فيدق الحجر كأنه يريد أن يخفر الأرض ويتخذ سيلا إلى قرارها.

(١) ادنى: اقتعل، من الدنو: أى اقترب. يقول: كأن هذا الأسد غرته عينه ولم تصدقه النظر إليك ولو صدقته لما دنا منك هية لك، ولكنه مغرور، ظن الخطب الجليل - وهو مقاتلتك - غير جليل.

(٢) الأنف والأنفة: الاستنكاف، قال ابن جنى: من عادته - أى المتنبى - أن يعترض ما هو فيه بمثل يضربه إذا كان مسدداً لما هو فيه، كقول الآخر:

وقد أدركتني والحوادث بجمّة أسنة قومٍ لاضعافٍ ولا عُزلٍ

فالحوادث جمّة: جملة اعتراضها بين الفاعل وفعله، وهو تسديد لما هو فيه. يقول: إن الكريم يأنف من الدنيا فلا يهرب، بل يقدم على العدد الكثير حتى كأنه قليل في عينه: قال العكبرى: وهذا عذر للأسد. يقول: لم يهرب الأسد وأنفته جعلت في عينه العدد الكثير قليلاً حتى كأنه في عينه قليل. وقال اليازجى يقول: إن أنفة الكريم في أن يغاب بالجن تحمل على تعريض نفسه للهلكة حتى يصير العدد الكثير في عينه قليلاً، يشير إلى ثبات المدوح وإقدامه على الأسد خوفاً من عار الهزيمة.

(٣) مضاض: مؤلم موجه؛ والحتف: الهلاك. يقول: إن العار موجه فمن خافه لم يخف الهلاك، وهذا كقولهم من أنف من الدنيا لم يحجم عن المنية وهذا البيت مثل الذى قبله فى الاعتراض كما قال ابن جنى.

(٤) المصادمة مفاعلة من الصدم وهو الصك، والليل من الأرض: قدر منتهى مد النظر، وقيل مسافة من الأرض متراخية ليس لها حد معلوم، والجمع؛ أميال وميول، يقول: أنه أعجلك من التقائك له فوثب على ردف فرسك وثبة لولا مصادمتك له عند وثبته هذه لتجاوزك مسافة ميل من شدتها.

خَذَلْتَهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ

فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيدَ^(١)

بصت مَنِيَّتَهُ يَدِيهِ وَعُنُقَهُ فَكَأَنَّهَا صَادَفَتْهُ مَغْلُولًا^(٢)

سَمِعَ ابْنَ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَتَجَايَهَرُزُولٍ مِنْكَ أَمْسٍ مَهُولًا^(٣)

وَأَمْرًا مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فَرَارَهُ ، وَكَقْتَلِهِ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا^(٤)

(١) خذله : خانه ولم ينصره ، وكأخه استقبله في الحرب بوجهه . والاستنصار طلب النصرة والتجديل : مصدر جدله إذا طرحه على الجدالة . وهى الأرض : أى صرعه ، يقول ؛ خاتته قوته حين قاتلته : أى ضعفت فلم تسعفه فطلب نصرته من التسليم إليك - الانقياد وترك الخصومة - وانطرح أمامك على الأرض ، فكأنه رأى النصر فى ذلك ، وهذا من التهمك .

(٢) مغلولا : أى مقيدا بالغل ، وهو القيد . يقول : إن منيته حانت على يدك فقبضت على يده وعنقه لا يستطيع وثوبا ولا فرارا ، فكأنك لقيته مقيدا . قال الواحدى : أساء أبو الطيب فى هذا حين لم يجعل أثرا للممدوح ولا غناء فى قتل الأسد وقال كأنه كان مغلول اليد والعنق بقبض المنية عليه ، وقد أساء الواحدى فى نسبة الإساءة إلى التنبي ، لأن المعنى بديع - كما ترى - ولا غبار عليه .

(٣) الهرولة : الاضطراب فى العدو ؛ ومهولا : يريد خائفا مذعورا . وأراد بابن عمته : أسداً كان قد هرب منه بعد ذلك ؛ ولم يرد تحقيق النسب ، إنما أراد أسداً آخر من جنسه . يقول : لما سمع بقتل الأسد الأول هرب ونجا برأسه خائفا منك .

(٤) مما فر منه : أى من الهلاك ؛ وكقته : خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده . يقول : إن فراره من الهلاك أمر من الهلاك ، لما فيه من الذل والنقيصة وعدم موته قتيلا مثل القتل ، لأنه إنما سلم بالهرب ، والهرب : مثل القتل لدى الشجاع ، بل أمر به والمقتول بالسيف خير من المقتول بالدم والعاب ، وهذا من قول أبى تمام :

أَلْفُوا الْمَنَايَا فَالْقَتِيلُ لَدَيْهِمْ مَنْ لَمْ يُحَلِّ الْعَيْشَ وَهُوَ قَتِيلٌ

وله أيضا :

لَوْلَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذْ

لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ

تَلَفُ الَّذِي اتَّخَذَ الْجِرَاءَةَ خُلَّةً

وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلًا^(١)

لَوْ كَانَ عَلَيْكَ بِالْإِلَهِ مُقْسِمًا فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولًا^(٢)

لَوْ كَانَ لَفُظِكَ فِيهِمْ مَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالْتَوَزَّاةَ وَالْإِنْجِيلَ

لَوْ كَانَ مَا تُعْطِيهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْطِيَهُمْ لَمْ يَغْرِفُوا التَّأْمِيلَ^(٣)

(١) الخلة : الخليل ، يستوى فيه الذكر والمؤنث ، وكذلك الواحد والجمع ، لأنه في الأصل مصدر قولك خليل بين الخلة والحلوة . وقال أوفى بن مطر المازني :

ألا أبلغاً خلتي جابراً بأن خليلك لم يُقتل

تخطأت النبل أحشاه وأخر يومي فلم يعجل^(١)

ومثله قول الحماسي :

ألا أبلغاً خلتي راشداً وصنوي قديماً إذا ما اتصل^(٢)

يقول : إن تلف الأسد الذي اجترأ عليك فهلك وعظ الأسد الذي فر منك ، ووجب إليه الفرار .

(٢) يقول : لو عرف الناس ربهم معرفتك به لم يبعث الله تعالى رسولا يدعوهم إليه ويعلمهم دينه ، وقد أفرط في هذا البيت والذي بعده وتجاوز الحد

(٣) يقول : لو وصل عطاؤك إلى الناس قبل إعطائك إياهم لكانوا لا يعرفون الأمل ، لأن الوجود لا يؤمل : أي فكانوا يستغنون بما نالوا منك ، لأنك تعطى فوق الأمل فلا يحتاجون إلى تأميل بعد ذلك ، وقد أخذ ابن نباتة السعدي هذا المعنى فقال :

لم يُبق جُودُكَ لي شيئاً أوَّملهُ تَرَكَتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بلا أمل

هذا وقد أسكن الياء من الفعل المنصوب - وهو تعظيم الثانية - ضرورة قال

(١) تقدم شرحهما .

(٢) يقول : أبلغا ابن عمي راشدا صديق من عهد قديم ، إذا وصلت إليه ؛ وبعده :

بأن الدقيق يهيجُ الجليلَ وأن المرزب إذا شاء دَلَّ

فَلَقَدْ عُرِفْتَ ، وَمَا عُرِفْتَ حَقِيقَةً ،

وَلَقَدْ جُهَلْتَ ، وَمَا جُهَلْتَ مُخَوَّلًا (١)

نَطَقْتَ بِسُوءِ دُوكِ الْحَمَامِ تَفَنِّيًا ، وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيلاً (٢)

مَا كَلُّ مِنْ طَلَبِ الْمَعَالِي نَافِذًا فِيهَا وَلَا كَلُّ الرَّجَالِ فَخُولًا (٣)

وقال وقد نظر إلى جانبه خلمة مطوية * * * فسأل عنها ف قيل هي خلع الولاية ، وكان أبو الطيب عند وصولها عليلًا :

أَرَى مُحَلَّلًا مَطْوَاةً حِسَانًا عِدَانِي أَنْ أَرَاكَ بِهَا أَعْتِلَالِي (٤)

العكبري : وهذا كثير إذا كان في حرفي العلة - الواو والياء - ومثله بيت الكتاب - كتاب سيويه - :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقِ أَيْدِي نَسَاءِ يَتَمَاطِينَ الْوَرِقِ (١)

(١) حقيقة منصوبة على التمييز ؛ ومخولا : مفعول لأجله ؛ وحقيقة الشيء ما ثبت من أمره ؛ والحامل : الساقط الذي لا نباهة له ولا شهرة . يقول : إن الناس عرفوك بما ظهر من سخائمك وجودك ، ولكنهم لم يعرفوك حق معرفتك ، لأنهم لا يبلغون كنه قدرك ، وإذا لم يعرفوك حق المعرفة فقد جهلوك ، فليس جهلهم إياك لأنك حامل الذكر :

(٢) السؤدد : السيادة والرفعة . وتجشمت الأمر : تكلفته على مشقة . يقول : قد بلغت من الشهرة ما عرفه ما لا يعقل فضلا عن العاقل ؛ فالحمام إذا غنت فأعما تنطق بسيادتك ، والحيل إذا صهلت فأعما تنطق بغزواتك التي تكلفها إياها ، والبيد تنم وتأكيد للبيت السابق .

(٣) نافذا ومخولا : منصوبا بما على أنها حجازية ، والنفاذ جواز الشيء والمخلوص ومنه نفذ ينفذ نفاذاً ونفوداً ، ورجل نافذ في أمره ونفوذ ونفاذ : ماض في جميع أمره وأمره نافذ : أي مطاع ، ونفذ السهم الرمية ونفذ فيها ينفذها نفذاً ونفاذاً : خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر وسأثره فيه ، ونفذ الكتاب إلى فلان نفاذاً ونفوداً . يقول : ليس كل من رام الرفعة والمعالي يبالغها ، ولا كل الرجال بأبطال شعبان ، وإنما ذلك مما يخص الله به من يشاء من عباده .

(٤) عداني : منعي ؛ واعتلالي : فاعل عداني ؛ وأراك بها : أي أراك وهي عليك

(٨) يصف إبلا بسرعة السير والقرق المكان المستوى أو الذي لا حجارة فيه .

منظر السيرة
عبد الله بن عبد الله

وَهَبَكَ طَوَيْتَهَا وَخَرَجَتْ عَنْهَا أَتَطْوِي مَا عَلَيْكَ مِنَ الْجَمَالِ (١)
لَقَدْ ظَلَّتْ أَوْاخِرُهَا الْأَعَالِي مَعَ الْأُولَى بِجِسْمِكَ فِي قِتَالِ (٢)
تُلَاخِظُكَ الْعُمُيُونَ وَأَنْتَ فِيهَا كَأَنَّ عَلَيْكَ أَفْنِدَةَ الرَّجَالِ (٣)
مَتَى أَحْصَيْتُ فَضْلَكَ فِي كَلَامٍ ؛ فَقَدْ أَحْصَيْتُ حَبَابَ الرَّمَالِ (٤)
وَإِنَّ بِهَا ، وَإِنَّ بِهِ لِنَقْصَا وَأَنْتَ لَهَا النَّهَائِيَةُ فِي الْكَمَالِ (٥)

* * *

ومعك ، كما يقال خرج بثيابه ؛ وإنما قال هذا : لأنه رأى الخلع مطوية إلى جانبه ولم يره فيها لأنه كان ذلك اليوم الذي لبس فيه الخلعة عيلا .

(١) يقول : افرض أنك طويتها ولم تلبسها . أتقدر أن تزيل جمالك ؟ يعني أنه إنما يتجمل بجماله لا بثيابه ، فإذا طوى ثيابه بقي عليه من الجمال ما لا يطوى ولا يزول .
(٢) يصفه حين كانت الخلع عليه : يريد بأعلى الثياب : ما ظهر منها للأعين . يقول أقامت أعلى ثيابك تحسد الذي يلي جسمك منها لأنه ينال من مس بدنك ما لا تناله فيبينهما قتال لذلك .

(٣) فيها : أى فى الحلل : أى إن العميون تنظر إليك نظر الحبة والسرور وأنت فى هذه الحلل كأنك فى قلوب أصحاب العميون ، وهى لباس عليك ، مكان تلك الحلل وقال ابن جنى : قوله كأن عليك الخ : أى فهم يحبونك كما يحب الإنسان فؤاده ؛ وقال ابن فورجه : يعنى استحسان القلوب لها وتعلقها به وبها من ناحية الاستحسان . وقال غيرهما : أى يديمون النظر إليك ، فإن العين تبع القلب تنظر إلى حيث يميل القلب إليه فالعميون إنما تنظر إليك لأن القلوب تحبك - كما قال ابن جنى - أو تستحسن الخلع - كما قال ابن فورجه .

(٤) يقول : فضائلك لا تحصى وإن قلت إنى أحصيتها فكأنى أقول إنى أحصى الرمل ، وهذا ما لا تقبله العقول ، لأنه عمال .

(٥) الضمير فى « بها » : للخلع . وفى « به » : للكلام . يقول : إن هذه الخلع لا تزال ناقصة الجمال فى نفسها ، كما أن كلامى لا يزال ناقصا إذ لم يستوف فضلك ؛ وإنما تبلغ نهاية الكمال فى الحسن بلبسك إياها لأنها تتجمل بك .

وقال فيه أيضاً :

عَدَلْتُ مُنَادِمَةَ الْأَمِيرِ عَوَازِلِي

فِي شُرْبِهَا وَكَفْتُ جَوَابَ السَّائِلِ (١)

مَطَرْتُ سَحَابُ يَدَيْكَ رِيَّ جَوَانِحِي

وَحَمَلْتُ شُكْرَكَ وَأَصْطِنَاعُكَ حَامِلِي (٢)

فَمَسَّتْ أَقْوَمُ بِشُكْرٍ مَا أَوْلَيْتَنِي وَالْقَوْلُ فِيكَ عَلُوٌّ قَدْرِ الْقَائِلِ (٣)

* * *

(١) العذل اللام ، وكفيته الأمر أغنيته عنه ، وأول مفعولى كفت محذوف أى كفتنى . يقول : من لامنى على شرب الخمر لامته منادمتى للأمير ، لأن منادمته شرف ، وليس للعاذل أن يعذل على ما يورث الشرف ، وأغنتنى جواب سائل يسأل فيقول : لم تشرب الخمر ، هذا : ويقال نادم فلانا منادمة ونداما : جالسه على الشراب فهو نديمه وندمانه ، قال النعمان بن فضالة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر قد استعمله على ميسان :

فإن كنت ندمانى فبالأ كبر اسقنى ، ولا تسقنى بالأصفر المتشلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه تنادمنا فى الجوسق التهدم
وجمع النديم : ندام وندماء ، وجمع الندمان : ندامى ، والمرأة ندمانة ، والنسوة ندامى ، ويقال : المنادمة مقلوبة من المدامنة ، لأنه يدمن شرب الشراب مع نديمه ، لأن القلب فى كلامهم كثير كالتقى من القروس ، وجذب وجيد وما أطييه وأيطبه ؛ وخذ اللحم وخذن .

(٢) الجوانح الأضلاع التى تحت الترائب : وهى مما يلي الصدر . والاصطناع المروف بالإحسان . يقول : أروانى سحاب جودك ، أى أغنانى جودك . فحملت شكرك على هذا الإحسان ، وإحسانك حملنى - لأنه كفاى المؤنة - وتحمل أنقالى .

(٣) أوليتنى ، أعطيتنى . ويعنى بالقائل : نفسه . ومضى سؤال عن الزمان ، كأنه قال - منكرآ - أى زمان أقوم بشكر ما أعطيتنى ؟ أى لا أقوم به ، لأنى كلما أنيت عليك وشكرتلك حصلت على نعمة لك جديدة ، وهو أن ذلك يكسبنى علوا ورفعة : أى أن شكرىك يرفع قدرى .

وقال يمدحه :

بَدْرٌ فَتَى لَوْ كَانَ مِنْ سُؤَالِهِ يَوْمًا تَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ (١)
تَتَحَيَّرُ الْأَفْعَالُ فِي أَفْعَالِهِ ، وَيَقِلُّ مَا يَأْتِيهِ فِي إِقْبَالِهِ (٢)
قَمْرًا نَزَى وَسَحَابَتَيْنِ بِمَوْضِعِ مِنْ وَجْهِهِ وَبِمَيْنِهِ وَشِمَالِهِ (٣)
سَفَكَ الدَّمَاءَ بِجُودِهِ لَا بَأْسِهِ كَرَّمًا لِأَنَّ الطَّيْرَ بَعْضُ عِيَالِهِ (٤)

(١) كان بدر بن عمار قد تاب من الشراب مرة بعد أخرى ، ثم رآه أبو الطيب يشرب ؛ فقال ارتجالاً :

* يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نَدِمَاؤُهُ *

إلى أن قال :

وَالصَّدُقُ مِنْ شِيمِ الْكِرَامِ فَقُلْ لَنَا أَمِنَ الشَّرَابُ تَسُوبُ أُمٌّ مِنْ تَرْكِهِ (١)
فقال بدر : بل من تركه : فقال أبو الطيب هذه الآيات .
يقول : إن حظ سؤاله من ماله أكثر من حظه هو منه ، فلو كان من سؤال نفسه لكان حظه من ماله أوفر .

(٢) يقول : إن أفعال الناس تتحير فيما يفعله لقصورها عنه وإرباء ما يفعله على فعلهم وما يفعله مع ذلك قليل في جانب دولته لاقتضاها الزيادة على ما فعل .
(٣) فسر المصراع الأول بالمصراع الثاني . قال ابن جنى : أى إن يمينه تسع العطاء ، وشماله الدماء ؛ قال ابن فورجه : الرجل لا يقاتل بشماله والفعل يكون لليمين في كل شيء ؛ وإنما يكون عمل الشمال كالمعاونة لليمين ، وإنما يريد أن يديه جميعا كالسحابتين عطاء وسح دماء .

(٤) يقول : إنه سفك دماء الأعداء ليرزق الطير من لحومهم ، لأن الطير لما عودها من إطعامها لحوم الأعداء صارت عيالاً له ، فالباعث له على قتلهم هو الجود ، وهذا كقوله :

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَقَى إِخْلَافَ مَا تَرَجُّو الذَّنَابِ

وقد زاد بذكر الجود والعيال على ما قاله الشعراء من إطعام الطير لحوم الأعداء

(١) انظر قافية الكاف .

إِنْ يُغْنِي مَا يَجْوِي فَقَدْ أُتْبِيَ بِهِ ذِكْرًا يَزُولُ الدَّهْرُ قَبْلَ زَوَالِهِ^(١)

سأله حاجة فقضاها له ، فنهض فقال :

قَدْ أُبْتُ بِالْحَاجَةِ مَقْضِيَةً وَعَفْتُ فِي الْجَلْسَةِ تَطْوِيلَهَا^(٢)
أَنْتَ الَّذِي طَوَّلُ بَقَاءَ لَهُ خَيْرٌ لِنَفْسِي مِنْ بَقَائِي لَهَا

وقال يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي :

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتَ أَنْتِ وَهَنَّ مِنْكَ أَوَاهِلُ^(٣)

وقال ابن جنى : أبلغ من هذا في المدح أنه ينحر ويذبح ليا كل الطير مما يجده من اللحم ، فسكأنه سفك الدماء بجوده لا يباينه .

(١) قال ابن جنى : لوقال دون زواله لكان أحسن ، وكان مثل قول الآخر :

بقلبي غرام لست أبلغ وصفه على أنه ما كان فهو شديد

تمر به الأيام تسحب ذيلها فتنبلي به الأيام وهو جديد

قال : وله أن يحتج عنه فيقال : إن الأيام بعض الدهر ، وليست هذه الأيام جميعه؛ وقد يجوز أن يذهب بعض الدهر ويبقى بعضه فيبقى الغرام بحاله مع بقاء الحب ، فقال إن الغرام باق بقلبي فإذا ما زال زال معه الذكر ، وقول أبي الطيب بقى الذكر له إنما يصح ببقاء الناس ، فإذا زال الناس والدهر عدم الذكر .

(٢) أبت : رجعت . وعفت : كرهت . يقول : لم أطول في جلوسى عنده لأنى رجعت وقد قضيت حاجتى .

(٣) أقفرت : خلوت ورحل عنك أهوك . وأواهل : عامرة ذوات أهل . يقول :

عاطباً منازل الأجابة - : قد تمثل خيالك في قلوب المحبين فكانت لك فيها منازل ، غير أنك قد أقفرت من أهلك ، أما القلوب فما برحت أهلة بك ، لأن مثالك لا يزالها .
وعبارة الواحدى : لم تدرس منازلك في القلوب وإن أقفرت أنت ، يعنى تجدد ذكرها في قلبه . وهذا من قول أبي تمام :

وقفت وأحشائي منازلٌ للأسى به وهو قفر قد تعفت منازلُه

يَعْلَمَنَّ ذَاكَ وَمَا عَلِمْتَ وَإِنَّمَا أَوْلَاكُمْ بِكُمْ عَلَى الْعَاقِلِ^(١)
وَأَنَا الَّذِي اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرَفُهُ فَمَنْ الْمُطَالِبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلِ^(٢)

ومثله للبحترى :

* عَفَّتِ الدِّيَارُ وَمَا عَفَّتْ أَحْشَاؤُهُ *

وقال ابن المعتز :

بَوْسًا لِدَهْرٍ غَيْرَتِكَ صُرُوفُهُ لَمْ يَمْنَحْ مِنْ قَلْبِي الْهُوَى وَمَحَاكَ
قال ابن جني : بيت المتنبي أجمع من بيت أبي تمام ، لأنه ذكر منازل الحزن شخص ،
والمتنبي ذكر المنازل فعم ، ولقد أحسن ابن المعتز إذ جمع المعنى في كلمتين .

(١) قوله يبكي عليه : يروى يبكي عليه ، أى أولاً كما بأن يبكي عليه ؛ فحذف الجار
ثم حذف « أن » ، وأولاً كما : أى أحقاً ، مبتدأ ، خبره : العاقل . وذلك : خطاب
للمنازل . يقول : إن القلوب التي هي منازل لديار الأحبة تعلم أن الأحبة قد رحلوا
وتركوها خالية ، أما الديار فلا تعلم ذلك والذي يعلم - وهو القلوب - هو الأولى بأن
يبكي عليه لعلها بما ألم به . وعبارة الواحدى : إن منازل التي في القلب تعلم إقفارك وخلوك
من الأحبة وأنت لا تعلمين ، والأحق منك بالبكاء عليه هو العاقل ، يعنى القلب ، أى
أن قلبى أحق بأن يبكى عليه منك لأنك جماد لا تعلمين ما حل بك ، أما هو فعليم به ،
وقال ابن جني . أى إن منازل الحزن بقلبي تعلم ما يمر بها من ألم الهوى وأنت
تجهلين ذلك .

(٢) اجتلب : افتعل من الجلب ، والنية : الموت ، والطرف : النظر ؛ قال اللغويون
الطرف اسم جامع للبصر . لا يثنى ولا يجمع ، لأنه في الأصل مصدر فيكون واحداً ، ويكون
جماعة ، قال تعالى « لا يرتد إليهم طرفهم » يقول : إن طرفى هو الذى جلب النية إلى
بالنظر ، فمن أطالب بدمى وأنا الذى قتلت نفسى ؟ وهذا كما يقول قيس بن ذريح :
وما كنتُ أخشى أن تكونَ منيتي بكفى إلا أن ما حانَ حانُ^(١)

(١) قبله :

وإني لمن دمع عيني بالبكا حذاراً لما قد كان أو هو كأن
وقالوا غداً أو بعد ذلك بليلة فراق حبيب لم بين وهو بأن
وفي الأغاني :

* بكفيك إلا أن من حان حان * *

« والحان المالك »

تَخْلُو الدِّيَارُ مِنَ الظَّبَاءِ وَعِنْدَهُ
اللَّاءُ أَفْتَكُمَا الْجَبَانَ بِمُهَجَّتِي
الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهُنَّ نَوَافِرُ
كَأَفَانْنَا عَن شِبْهِنَّ مِنَ الْمَهَا
مِن كُلِّ تَابِعَةٍ خَيَالٍ خَاذِلٍ (١)
وَأَحَبُّهَا قُرْبًا إِلَى الْبَاخِلِ (٢)
وَالْحَاتِلَاتُ لَنَا وَهُنَّ غَوَافِلُ (٣)
فَلَمَّهَنَّ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ (٤) -

ويقول دعبل :

لَا تَعْجِبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ
لَا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِي أَحَدًا
ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَا

(١) الضمير في « وعنده » للذي اجتلب - في البيت السابق - يعنى نفسه . والظباء أى الجبابب الشبهات بالفرزان . والتابعة : التى تتبع أمها فى المرعى . أراد : الصغيرة السن من الظباء ؛ وظبية خاذل وخذول : وهى التى تتخلف فى المرعى عن صواحبها . يقول : تخلو الديار من حسانها ، وتفارقها وخيال من أهواه لا يفارقتى . وقال الواحدى : تخلو الديار من النساء الحسان وعندى من كل صغيرة منهم خيال يأتينى كأنه تأخر عنهن .

(٢) اللاء : أى اللواتى ، نعت للظباء ، أو بدل « من كل تابعة » ؛ وأفتكها : مبتدأ ؛ والجبان : خبره ؛ وبمهجتي : صلة « أفتكها » ؛ وكان الوجه تقديم « بمهجتي » على « الجبان » ولكنها الضرورة ؛ وقال الخطيب التبريزى : الباء من قوله « بمهجتي » متصلة فى المعنى بأفتكها ، إلا أنه لا يمكن تعلقها به ، لأنه قد أخبر عنه بقوله : الجبان ، ومحال أن يخبر عن الاسم وقد بقيت منه بقية ، فلما امتنع ذلك علق الباء بمحذوف دل عليه أفتكها ، فكأنه أضمر بعد ذكر الجبان فتسكت بمهجتي ؛ ويريد بالجبان : النافرة من الرجال ، لأنها تخافهم . يقول : إن أفتك هؤلاء الظباء بمهجتي هى النفور التى أنا مغرم بها . والبخيلة منهم بالوصل هى أحبهن إلى قربا .

(٣) الراميات : أى هن الراميات ، ولك أن تجرها على التبعية ، ومثلها الحاتلات . والحتل : أخذ الصيد من حيث لا يدرى . يقول ترميننا بسهام لحاظهن وهن عنا نافرات غير مقبلات علينا ، وكذلك يختلننا - يصدتنا - بحسنهن غير عالما بذلك .

(٤) المها : بقر الوحش ، تشبه الحسان بها لحسن عيونها . والجبالل : جمع جباله الشرك ينصب للصيد ، يقول : هؤلاء يشبهن بقر الوحش فى سواد حدقهن وسعة عيونهن

مِنْ طَاعِنِي تُغَرِّ الرَّجَالِ جَاذِرٌ وَمِنْ الرُّمَاحِ دِمَالِجٌ وَخَلَاحِلٌ (١)
 وَلِذَا أَسْمُ أَغْطِيَةِ الْعَيُونِ جُفُونُهَا مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ الشُّيُوفِ عَوَامِلٌ (٢)
 كَمْ وَقْفَةٌ سَجَرَتِكَ شَوْقًا بَعْدَمَا
 غَرِي الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَاذِلُ (٣)

وعن تصيد بقر الوحش ، فجازيننا عنهم وأخذن بنارهن في صيدنا شبهن فصدتنا
 بمجانل نصبها في غير التراب ، يعني بأعينهن .

(١) الثغر : جمع ثغرة ، وهي ثغرة البحر التي بين الترقوتين ، والجاذر ، جمع
 جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ؛ والمراد بالجاذر : النساء والدمالج : جمع دملج
 وهو حلى يلبس في العصد . والخلاخل : جمع خلخل ، لفة في خلخال . وجاذر
 وخلاخل : مبتدآن ، خبرهما : الجار والمجرور قبلهما . يقول : إنهن يفعلن بحسنهن
 مايفعل الطاعن بالرمح : أى يقتلن بهواهن ، وحليهن تفعل ما تفعل الرماح ، وعبارة
 ابن جنى والواحدى : نساء مثل الجاذر بحليهن يفعل مايفعل الطاعن بالرمح ، كما قال
 الآخر :

هَلْ يَفْلِيَنِّي وَاحِدَ أَقَاتِلُهُ رِيْمٌ عَلَى لَبَّاتِهِ سِلَاسِلُهُ
 * سِلَاحُهُ يَوْمَ الْوَعْدِ مَكَا حِلُهُ *

وقال صريع الغواني .

بَارَزْتَهُ وَسِلَاحُهُ خَلَّخَالُهُ حَتَّى فَضَضْتَ بِكَفِّي الْخَلَاحِلَا

(٢) يقول : إنما سميت أغطية العيون جفونا لأنها تتضمن أحداقا تعمل ما تعمله
 السيوف فسميت أغطيتها باسم غطاء السيف ، وهو الجفن ؛ ومن أنها : بيان لذا ،
 والضمير - من قوله أنها - للعيون . وعمل مفعول مطلق وعوامل : خبر أن .
 (٣) سجرتك : ملائك ، ومنه : «والبحر المسجور» ويجوز أن تكون بمعنى الهبتك
 ويروى شجرت : أى حبستك عن الكلام ، ويقال ما شجرك عنه : أى ما صرفك :
 من قولهم شجرتك الدابة : إذا أصبت شجرها - والشجر ما بين اللحين - باللعجام لتكفها ،
 ويروى سحرتك أى جعلتك مسحوراً بالشوق أو أنها أصابت سحرك : أى رمتك .
 وغري به : أولع ؛ واللجاج : التماذى في المباحكة . يقول - مخاطباً نفسه - . كم وقفة لك
 مع الحمبية تركتك على هذه الحال ؟ وتعام الكلام في البيت التالى .

دُونَ التَّمَانِي نَاحِلِينَ كَشَكَلْتِي نَصَبَ أَدَقَمَهَا وَمَمَّ الشَّاكِلُ (١)
 إِنْعَمَ وَلَدٌ فَلِلْمُؤْمِرِ أَوَاخِرُ أِبْدَاءُ إِذَا كَانَتْ لِهِنَّ الْوَائِلُ (٢)
 مَا دُمْتَ مِنْ أَرْبِ الْحَسَانِ فَإِنَّمَا رَوْقُ الشَّبَابِ عَلَيْكَ ظِلُّ زَائِلُ (٣)
 لِلْهُوَ آوَنَةٌ تَمْرُهُ كَأَنَّهَا قُبُلُهُ يَزُودُهَا حَبِيبُ رَاحِلُ (٤)
 جَمَعَ الزَّمَانُ فَمَا لَدَيْدٌ خَالِصٌ مِمَّا يَشُوبُ وَلَا سُرُورٌ كَامِلُ (٥)
 حَتَّى أَبُو الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رُوِيَ يَتَهُ الْمُنَى وَهِيَ الْمَقَامُ الْهَائِلُ (٦)

(١) ناحلين : حال محذوف بعد وقفة : أى كم وقفنا وقفناها ناحلين ؟ والشاكل : الذى يشكل الكتاب . أى يعجمه . يقول : كم وقفنا ناحلين دون التعانق ؟ أى دنا بعضنا من بعض ولم تتعانق خشية الرقيب والعاذل على الرغم مما نحن فيه من شدة الشوق . ثم شبههما واقفين متدانيين ناحلين كشكلتى نصب - أى فتحتين - قد دقق الكاتب رسمهما وضم بينهما تقرب إحداهما من الأخرى ، وهذا منقول من قول الآخر :

إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي نَوْمِي تَعَانُقِي كَمَا تَعَانُقُ لَامُ الْكَاتِبِ الْأَلْفَا
 ومثله لأبي إسحق الفارسي :

ضَمَمْتُهَا ضَمَّةً عُدْنَاهَا جَسَدًا فَلَوْ رَأَتْهَا عِيُونَ مَا خَشِينَاهَا
 (٢) يقول : تمتع بالنعمة واللذة ما بقي لك شبابك فله آخر من حيث كان له أول ؛ أنه يفنى ولا يبقى .

(٣) الأرب : الحاجة ؛ وروق الشباب وريقه : أوله وأفضله . وقوله مادمت : لما مصدره زمانية ، والظرف المتأول منها سلة « انعم » . يقول ؛ انعم ولد مادام للحسان أرب فيك : يعنى مادمت شابا ، فإن روق الشباب ظل يزول ولا يبقى .

(٤) آونة : جمع أوان كزمان وأزمنة ؛ والقبل : جمع قبلة . يقول : للهو ساعات سريعة المرور كتزويد الحبيب الراحل من عندك قبلا ؛ فهى لذيذة ولكنها وشكله الانقضاء كذلك ساعات اللهو وأوقات السرور .

(٥) و (٦) جمع الفرس : غلب فارسه ، وجمع الرجل : ركب هواه ؛ فلا يمكن رده قال الشاعر :

خَلَفْتُ عِذَارِي جَائِحًا لَا يَرُدُّنِي

عَنِ الْبَيْضِ أَمْثَالِ الدَّمَى زَجْرُ زَاجِرٍ

مَمْطُورَةٌ طُرُقِي إِلَيْهَا دُونَهَا مِنْ جُودِهِ فِي كُلِّ فَجٍّ وَأَبِلٍ^(١)
مَحْجُوبَةٌ بِسُرَادِقٍ مِنْ هَيْبَةٍ تَنْثِي الْأَزِمَةَ وَالْمَطِيئُ ذَوَامِلٍ^(٢)

وجمحت المرأة تجميع جماح من زوجها : خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها
ومثله طمحت طمaha ، قال :

إِذَا رَأَيْتَنِي ذَاتُ ضِفْنٍ حَفَّتِ وَجَمَحَتْ مِنْ زَوْجِهَا وَأَنْتِ
وجح إليه : أسرع ، وقوله تعالى « لولوا إليه وهم يجمعون » قال الزجاج : أي
يسرعون إسراعاً لا يرد وجوههم شيء ؛ ومن هذا قيل : فرس جموح ، قال الأزهرى :
فرس جموح له معنيان أحدهما يوضع موضع العيب ؛ وذلك إذا كان من عادته ركوب
الرأس لا يثنيه راكبه ، وهذا من الجمح الذي يرد منه بالعيب ؛ والمعنى الثاني أن يكون
سريعاً نشيطاً مرحاً ، وليس هذا بعيب يرد منه ، ومصدره الجموح . و « ما » من قوله
« بما يشوب » نكرة موصوفة بمعنى شيء . ويشوب : يخلط . وأبو الفضل : كنية
المدوح ؛ واللى : جمع منية ، ما تتمناه ؛ والهائل : المهبوب الخوف . يقول : جمع
الزمان — أى قهر وغلب — فما تخلص لذة من أذى يشوبها حتى إن هذا المدوح
رؤيته منى كل أحد ، ولكنها مع ذلك مقام هائل مهوب ، فلم تخلص هذه
المنية من شائب ينقصها ، قال ابن جنى : هذا خروج — غلص — ماروى
أغرب منه

(١) ممطورة : خبر مقدم عن طرقى ؛ وإليها : صلة طرقى ؛ ودونها : خبر مقدم عن
وابل : والفج : الطريق الواسع بين جبلين ؛ والوابل : المطر الغزير : يقول : إن طرقى
إلى رؤية المدوح ممطورة بأثار إحسانه ، يعنى أنه يصل إلى إحسانه قبل وصوله إليه ،
ودون الوصول إلى رؤيته — أى بينى وبينها — وابل من جوده قد ملأ كل فج ، فالضمير
فى « بها ، ودونها » لرؤيته ، وروى « إليه ودونه » والضمير : للممدوح .

(٢) الأزمة : جمع زمام ، ماتقاد به الدابة وذوامل : مسرعات . يقول : إن رؤيته
محبوبة بما يفشاها من الهابة التى ترد الأبصار عن النظر إليه ، حتى لو أن مطياً أسرع
فى سيرها واعترضتها هذه الهيبة : لارتدت عن مسيرها ولم تقدم إشفاقاً من الإقدام ؛
قال الواحدى : وهذا إلى الهيباء أقرب منه إلى المدح ، وقد عدل ابن جنى عن ظاهر
الكلام فقال : كأن على الطرق إليه سرادقا يمنع من العدول عنه إلى غيره ، والناس
أبداً ينخون نحوه . هذا : والسرادق — وجمعه سرادقات — هو كل ما أحاط بشيء ، نحو
الشقة فى المضرب . أو الحائط المشتمل على شيء ، أو الحباء ؛ قال فى الصحاح : السرادق

لِلشَّمْسِ فِيهِ وَالرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ وَاللِّبْحَارِ وَالْأَسْوَدِ شَمَائِلٌ (١)
وَلَدَيْهِ مَلْعَقِيَانِ وَالْأَدَبِ الْمُنْفَا دِ وَمَلْحِيَاةٌ وَمَلَمَّاتٌ مِّنْهَاهِلٌ (٢)
لَوْ لَمْ يَهَبْ لَجَبُّ الْوُفُودِ حَوَالَهُ
لَسَرَى إِلَيْهِ قَطَا الْفَلَاةِ النَّاهِلِ (٣)

الذي عد فوق صحن الدار ، وكل بيت من كرسف - أي قطن - فهو سراق
قال روية :

يَا حَكْمُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ أَنْتَ الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ الْحَمُودُ
سُرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ تَمْدُودُ

وقال سلامة بن جندل : يذكر قتل كسرى للنعمان بن المنذر :

هُوَ الْمُدْخِلُ النُّعْمَانَ بَيْتًا سَمَاوَهُ صَدُورُ الْفِيُولِ بَعْدَ بَيْتِ مُسَرْدَقِ

(١) الشمائل : الخلائق والطبائع : جمع شمال . يقول : فيه إضاءة الشمس ومنفعتها

وبهاؤها ؛ وجود السحاب والبحار وبأس الأسود ، وتصرف الرياح في أحياء البلاد وسوق
الأمطار : يريد عموم نفعه وعموم تصرفه وإسراعه في المطاء .

(٢) ملعقيان يريد من العقيان . حذف النون لالتقاء الساكنين ، وخصت النون
بالحذف لمناسبتها حروف العلة بالفتحة ؛ ومثله: ملحية وملمات ؛ والعقيان : الذهب . والناهل
الموارد . يقول : إن الناس يردون منه على هذه الأشياء كما يردون مناهل الماء ، ومن
الحياة : أي لأوليائه ؛ ومن المات : أي لأعدائه ، وقد زاد على أبي تمام في قوله :

تَرْبِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدْبِهِ

لأنه ذكر الموت والحياة .

(٣) اللجب . الضميج ؛ والوفود ؛ الذين يقدون عليه يطلبون العطاء ؛ وحواله ؛

كحواله وحواليه ؛ والقطا ؛ الطائر المعروف ، والفلاة ؛ الصحراء ؛ والناهل . الوارد على
منهل الماء ؛ قال ابن جنى ؛ يعني لولم يخف القطا أصوات الوفود يبابه لسرى إليه ليشرب
منه ، وقال ابن فورجه ؛ يعني أن القطا يراه ماء معيناً فيهم يوروده ويشفق من لجب
وفوده على عادة الطير ؛ قال الواحدى بعد أن ساق كلامهما ؛ المعنى أنه لعموم نفعه تهم
الطير بالورود غليه لتتفع غلتها . ليس أنه ماء يشرب منه أو تراه الطير ماء كما
ذكر الشيخان .

يَدْرِي بِمَا يَكُ قَبْلَ تَظْهِرُهُ لَهُ مِنْ ذِهْنِهِ وَيُجِيبُ قَبْلَ تَسَائِلِ (١)
 وَتَرَاهُ مُعْتَرِضًا لَهَا وَمَوْلِيًا أَحْدَاقَنَا وَتَحَارُّ حِينِ يُقَابِلِ (٢)
 كَلِمَاتُهُ قُضِبٌ وَهُنَّ فَوَاصِلٌ كُلُّ الضَّرَائِبِ تَحْتَمِنُ مَفَاصِلِ (٣)
 هَزَمَتْ مَكَارِمَهُ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا حَتَّى كَانَتْ الْمَكْرُمَاتِ قَنَابِلِ (٤)
 وَقَتَلْنَ دَفْرًا وَالذَّهْمِ فَمَا تَرَى أُمَّ الذَّهْمِ وَأُمَّ دَفْرٍ هَابِلِ (٥)

(١) أراد قبل « أن » في الموضعين حذف « أن » فارتفع الفعل . ومن ذهنه : صلة يدري . يقول : هو - لذكائه وحدة ذهنه - يدري ما تطلب قبل أن تظهروه له ويوجب قبل أن تسائل .

(٢) أحداقنا : فاعل تراه ؛ ومعتراضاً : حال . يقول : تراه عيوننا إذا اعترض لها أو تولى ؛ يعنى أن الأبصار إذا واجهته تحيرت ولم تستوف النظر إليه من الهيبة ، وإنما تراه في حال اعتراضه وتوليه لا نحرافه عنها حينئذ .

(٣) القضب جمع قضيب ، وهو السيف . وفواصل : قواطع ؛ والضرائب جمع ضريبة ، وهى المضروب بالسيف . والمفاصل : جمع مفصل ، ملتقى العظمين . يقول : كلاته سيوف قواطع أيها أصابت فصلت ، فكأن كل موضع تقع عليه مفصل : يعنى أنها تنصل بين الحق والباطل كما يفصل السيف إذا وقع على المفاصل .

(٤) القنابل : جمع قنبلة ، الطائفة من الخيل : أى الجماعة من الجيش . يقول : إن مكارمه غلبت مكارم الناس حتى كأنها جيوش : يعنى أنه يغلب كل جيش . كذلك مكارمه غلبت أيضاً مكارم غيره : وقنابل : يروى قبائل .

(٥) يقال للداهية : أم دفر . وأم الدهيم ؛ والدفر - فى الأصل - النتن ، ثم سميت به الداهية لخبثها ، ومن هنا يقال للدنيا : أم دفر . والدهيم ؛ - فى الأصل - اسم ناقة كانت لعمر بن الريان بن الدهلى ، خرج بنوه فى طلب إبل لهم ، فلقمهم كثيف بن زهير فضرب أعناقهم ، ثم حمل رؤوسهم فى جوائز وعلقه فى عنق الدهيم هذه ، ثم أدخلها فى الإبل فراحت على أبيهم عمرو ، فقال لما رأى الجوائز : أظن بنى صادوا بيض نعام ثم أهوى بيده فأدخلها فى الجوائز ، فإذا رأس ، فلما رآه قال : آخر البر على القلوص . نذهبت مثلاً ، فقيل : أشأم من الدهيم ، وأطلقت على الداهية ، والهابل : الثاقل ، وهى التى فقدت ولدها . يريد أن يقول : إن مكارمه أفنت الدواهى والشدائد حتى فقدت فكان أمها صارت ثاكلاً ، ومن ثم لا تعرف الخطوب والبأساء والشدائد ، لأن مكارمه

عَلَامَةُ الْعُلَمَاءِ وَاللَّجُّ الَّذِي لَا يَنْتَهِي وَلِكُلِّ لَجٍّ سَاحِلٌ^(١)
لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ^(٢) وَوَلَدَ النِّسَاءَ وَمَا لِهِنَّ قَوَائِلٌ^(٣)
لَوْ بَانَ بِالْكَرَمِ الْجَنِينُ بَيَانَهُ^(٤) لَدَرَّتْ بِهِ ذَكَرٌ أُمُّ أُنْتَى الْحَامِلِ^(٥)
لِيَزِدَ بَنُو الْحَسَنِ الشَّرَافُ تَوَاضُعًا هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِي الظَّلَامِ مَشَاعِلٌ^(٦)

عصفت بها . هذا : وقد اضطربت كلمة الشراح في إعراب البيت ، ولعل الأوجه أن يقال إن أم الدهيم نائب فاعل « ترى » أى أن أم الدهيم لا ترى بعد ذلك ، ثم ابتداء وقال : وأم دفر هابل . وقال ابن جنى : فما ترى أراد لما تريان فاكتفى بضمير الواحد من الاثنين ، وقال : صدر البيت يتم به الكلام وأم الدهيم : ابتداء ، وهابل خير لأم دفر وأم الدهيم ، وتقديره أم الدهيم هابل ، وأم دفر كذلك ؛ ويجوز أن يكون اكتفى بضمير الواحد ، كما قال الآخر :

لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلٌّ بِهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ^(١)

فلم يقل تنهلان لا كتفأته بأحد الضميرين .

- (١) اللج : معظم الماء . يقول : هو علامة العلماء الذى يرجعون إليه في مسائلهم ، وهو في جوده ليج ليس له منتهى ، وكل ليج له منتهى ينتهى إليه إلا هذا .
(٢) مثله : نعت لمصدر محذوف : أى طيباً مثل طيب مولده وطهارته ؛ والقوابل : جمع قابلة ، وهى التى تشارف المرأة عند الولادة . يقول : إنه خرج من بطن أمه طيباً طاهراً ، فلو ولدت النساء أولادهن كما ولدته أمه لما احتجن إلى القوابل في تلك الحال :
(٣) الجنين : الولد في بطن أمه ؛ وبيانه : مفعول مطلق : أى كبيانه ؛ وضمير « به » : للجنين ، والحامل : فاعل درت . وقوله ذكر أم أنتى : أراد أذكر هو أم أنتى فحذف همزة الاستفهام لدلالة « أم » عليها ووصل همزة « أنتى » بعد نقل حركتها إلى الميم . يقول : لو بان الجنين بيانه بالكرم - أى كما بان كرمه حين كان جنيناً - لما القبس على الحامل الذكر بالأنتى : يعنى أنه حين كان جنيناً كان ظاهر الكرم يعرف أنه مولود كريم ، فلو بان حال كل جنين بيان كرمه لعرف الذكر من الأنتى .
(٤) المشاعل : جمع مشعل ، وهو ما يضرم فيه النار ليهتدى به في الأسفار وغيرها

(١) زحلوقة زل : أى زلق ؛ وزحلوقة - بالقاف - تروى زحلوقة - بالفاء - وهما لغتان ، وهى آثار تزج الصبيان من فوق إلى أسفل .

سَتَرُوا النَّدَى سَتَرَ الْغُرَابِ سِفَادَهُ قَبِدَا وَهَلْ يَخْفَى الرَّبَابُ الْهَاطِلُ (١)
 جَفَخَتْ وَهَمَّ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِيَهُمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَعْرُ دَلَائِلُ (٢)
 مُتَشَابِهِي وَرَعِ الثُّفُوسِ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ عَفَا الْإِزَارِ حُلَا حِلُ (٣)
 يَا أَفْخَرَ فَإِنَّ النَّاسَ فِيكَ ثَلَاثَةٌ مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلٌ (٤)

قال الواحدي : يأمرهم أن يزيدوا تواضعاً ، فإن فضائلهم لا تخفى بالتواضع . وقد ضرب لذلك المثل بكتمان المشاعل في الظلام ، فإنها لا تخفى ، ومثى كان الظلام أشد كانت المشاعل أظهر ؛ كذلك : متى كان تواضعهم أكثر كانت فضائلهم أكثر . وقال ابن بري : كان لهذا المدوح نسب في ولد الحسن بن علي عليهما السلام ، فأمرهم بالتواضع ، لأنهم كلما ازدادوا في التواضع ظهر شرفهم ، وإن أخفوا نسبهم لا يفتكم ، كما أن المشاعل لا تنكتم في الظلام .

(١) السفاد : نزو الذكر على الأنثى . والرباب : غيم يتعلق بأسافل السحاب إذا كثر ماؤه . يقول : إنهم يكتمون معروفهم كما يكتم الغراب سفاده . ثم ذلك لا يفتكم ، كما لا يخفى السحاب الهاطل .

(٢) جفخت : خفرت وتكبرت ؛ وشيم : فاعل جفخت ؛ وهم : متعلق بجفخت ، وجملة وهم لا يجفخون بها : معترضة ؛ والشيم : جمع شيمة ، وهي الخلق والطبيعة ؛ والحسب : ما يعد من مآثر الآباء ؛ والأعر السيد الكريم . يقول : إن لهم شياً كريماً تدل على مالهم من الحسب الشريف ، وهذه الشيم تفخر بهم وهم لا يفخرون بها لعدم عن الزهو والخيلاء .

(٣) متشابهي : كأنه منصوب على الحال من ضمير « يجفخون » ؛ والورع التقوى وعف الإزار وعفيفه : منزّه عن الفحشاء ؛ والحلاجل : السيد العظيم . يقول : هم سواء في التقوى والورع ، وكل من كبيرهم وصغيرهم عفيف ذو سيادة وعظمة .
 (٤) يا أفر : يريد : يا هذا أفر ؛ فحذف للنادي ؛ ويجوز أن تكون « يا » للتنبيه كقوله تعالى « ألا يا اسجدوا لله الذي يخرج الخبء » كأنه قال « ألا اسجدوا » وكقول ذي الرمة :

ألا يا أسلي يا دارمي على البلي ولا زال مُنهلاً بحر عاتك القطرُ

ويروي : فأفر ، ثم قال : إن الناس فيك ثلاثة أقسام : إما مستعظم يستعظمك . لما رى من عظمتك ، أو حاسد يحسدك على فضلك ، أو جاهل جهل قدرك .

وَلَقَدْ هَلَوْتَ فَمَا تَبَالَى بَعْدَمَا عَرَفُوا: أَيَحْمَدُ أَمْ يَذُمُّ الْقَائِلُ^(١)
 أُنِنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءَ لَقُلْتُ لِي قَصَّرْتَ فَأَلْإِمْسَاكَ عَنِّي نَائِلُ^(٢)
 لَا تَجْسُرُ الْفُصْحَاءُ تُنَشِدُ هَهُنَا بَيْتًا وَلَكِنِّي الْهَزْبُ الْبَاسِلُ^(٣)
 مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي وَلَا سَمِعَتْ بِسِحْرِي بَابِلُ^(٤)
 وَإِذَا أُتِنْتَ مَذْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ^(٥)

(١) يقول : بعد أن ظهر علوك وعرفه الناس لا تكثرت لذم الحاسد لأنه لا ينقص من قدرك ، ولا لحد الحامد لأنه لا يزيدك علواً : فقوله بعد ما عرفوا : أى بعد الذى عرفوه - فالضمير للناس ، والعايد إلى «ما» محذوف :

(٢) النائل : العطاء . يقول : إمساكك عن إسكاتى نائل منك عندى بعد ما عرفت تقصيرى . وبعبارة أخرى : إني قصرت في الثناء عليك ، فكان حقمك أن تؤاخذنى بهذا التقصير ، ولكنك أمسكت عنى تسكراً وتفضلاً فعددت ذلك عطاء منك لو لم تتجاوزته لكفانى .

(٣) تنشد : أى أن تنشد ، فحذف « أن » فرفع الفعل ، والجزر : الأسد والباسل الشديد . يقول : لهيبتك وعلملك بالشعر وتميزك جيده من رديته لا يجرؤ الشعراء على أن ينشدوا بين يديك ، ولكنى - لجودة شعري واقتدارى - أجرؤ على ذلك . قال الواحدى : وقول أبى نصر بن نباتة فى هذا المعنى أحسن وأجود حيث يقول :

وَيُلْمَهَا عِنْدَ الشُّرَادِقِ هَيْبَةً لَوْ سَابَقَتْ قَضَبَ الْعِظَامِ فَضَائِلِي

نَفَضَتْ عَلَيَّ مِنَ الْقَبُولِ حَجَبَةً قَامَتْ بِضَنْبَعِي فِي الْمَقَامِ الْهَائِلِي

(٤) بابل : هى المدينة المشهورة ، وإليها ينسب السحر ، وفيها نزل الملكان اللذان كانا يعلمان الناس السحر بها - كما جاء فى القرآن الكريم . - يقول . ما نال شعراء الجاهلية جميعاً شعري ولا سمع أهل بابل بمثل سحرى فى الشعر .

(٥) يقول : إذا ذمى ناقص كان ذمه دليل كالى وفضلى . لأن الناقص لا يجب الكامل الفاضل ، لما بينهما من التفاضل ، قال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ فَضْلُ ابْنِ يَوْسُفٍ

وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مَوْلَعٍ

مَنْ لِي بِفَهْمِ أَهْيَلِ عَصْرِ يَدْعِي أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِيَّ فِيهِمْ بَاقِلٌ^(٣)
 وَأَمَّا وَحَقُّكَ وَهُوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ لِلْحَقِّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ^(١)
 الطَّيِّبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ^(٢)

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى من قول مروان بن أبي حفصة :

ما ضرني حسدُ اللثامِ ولم يزلْ ذو الفضلِ يحُسده ذُو التقصيرِ
 وأصل هذا المعنى من قول الطرماح :

لقد زادني حُبًّا لنفسِي أني بغيض إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ
 وأني شقيٌّ باللثامِ ولا ترى شقيًّا بهم إلا كريمِ الشائلِ

(١) أهيل : تصغير أهل ، صغره تحقيراً لهم . وفاعل يدعى : يعود على أهيل ، لأن لفظ « أهل » واحد ؛ ولك أن تقول إن فاعل يدعى : باقل . وباقل : رجل من العرب كان يوصف بالعي ، وفيه جرى المثل : أعياء من باقل . يقال إنه كان اشترى طيباً بأحد عشر درهما ، فقيل له بكم اشتريته؟ فعي عن الجواب بلسانه ، ففتح يديه ، وفرق أصابعهما وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهما - فأقلت الظبي . يقول : من يكفل لي بفهم أهل عصر يدعون أن « باقلا » يعلم حساب الهند مع سوء علمه بالحساب ؟ يعني أنهم جهال لا يعرفون الجاهل من العالم ، ولا الناقص من الفاضل ؛ أو تقول : من لي باهل عصر لا يفرقون بين العالم والجاهل حتى لو ادعى « باقل » بينهم معرفة الحساب لم يجد فيهم من يكذب دعواه ؟ قال ابن جني ناقداً : « وباقل » هذا لم يؤت من سوء حسابه ، وإنما أتى من سوء عبارته ، فلو هو قال أن يفهم الخطباء فيهم « باقلا » أو نحو هذا لكان أسوغ قال الواحدى - ردأ عليه - : وليس كما قال فإن « باقل » كما أتى من البيان أتى من البنان فإنه لو أتى من سبائته وإبهامه دائرة ومن خنصره عقدة لم يفلت منه الظبي ، نصح قول أبي الطيب في نسبته إلى جهل الحساب .

(٢) مقسم : روى بكسر السين - طى أنه اسم فاعل - وبفتحها - على أنه مصدر سمي بمعنى المقسم .

(٣) تقديم البيت : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت فالطيب : مبتدأ ، وأنت : مبتدأ ثان : وطيبه : خبر أنت ؛ والجملة : خبر الطيب ؛ ومثله الشطر الثاني ؛ وروى ابن جني ، والماء أنت - ينصب الماء - قال : وتقديره وتغسل أنت الماء ، دل على هذا المضمرة قوله الغاسل . يقول : إذا أصابك الطيب فانت طيب

مَا دَارَ فِي الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَبْتَ

قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ نَنَّاكَ أَنَامِلُ (١)

وقال يهجو قوما توعدهوه :

أَمَاتَكُمْ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمْ الْجَهْلُ

وَجَرَّكُمْ مِنْ خِصَّةِ بَكْمِ النَّمْلِ (٢)

وَلَيْدَ أَبِي الطَّيِّبِ الْكَلْبِ مَالِكُمْ

فَطَفَنُمْ إِلَى الدَّعْوَى وَمَالِكُمْ عَقْلُ (٣)

له وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له . يعنى أنت أطيب من الطيب وأطهر من الماء كما قال الآخر :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجُوهٍ كَانِ لِلدُّرِّ حَسْنَ وَجْهَكَ زَيْنَا

وَتَزِيدُنْ أَطْيَبَ الطَّيِّبِ طَيِّبَا أَنْ تَمَسِّيهِ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أوسى . - يقال فلان حسن النثا

وقبيح النثا ، ومنه نثا الحديث والخبر نشوا حدث به وأظهره وأشاعه . وروى نثاك

يقول : مادار اللسان في الحنك وما قلبت أنامل أنامل بأحسن من أخبارك ؛ كأنه يقول :

ما قيل ولا كتب أحسن من مدحك وذكر أوصافك .

(٢) يقول : أما تمك الجهل قبل أن تموتوا : أى أتم موتى من جهلكم وإن كنتم

أحياء ؛ وليس لكم وزن ولا قدر ، ولحفة ووزنكم تستطيع النمل أن تجرركم ، والسفيه

الأحمق الخفيف العقل يوصف بخفة الوزن ، كما أن الحليم الرزين يوصف ثقل الوزن .

(٣) وليد تصغير ولد ، وهو يقع على الواحد والجماعة ، الذكور والإناث والمراد

هنا الجماعة وهو منصوب ، لأنه نداء مضاف ؛ والكلب : نعت أبى الطيب ؛ والدعوى :

الادعاء فى النسب ، وهو أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه . يقول : يا أولاد هذا الرجل

الحسيس أتم لا عقل لكم تعقلون به شيئا ، فكيف فطنتم للانتساب إلى من لستم منه

فى شيء ؛ أى إلى غير أبيكم .

وَلَوْ ضَرَبْتُمْ مَنَجْنِيْقِي وَأَصْلَكُمْ
قَوِيٌّ لَهَدَّتْكُمْ فَكَيْفَ وَلَا أَصْلٌ^(١)
وَلَوْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يَدْبُرُ أَمْرَهُ
لَمَا كُنْتُمْ نَسْلَ الَّذِي مَالَهُ نَسْلٌ^(٢)

(١) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة. قال صاحب اللسان: المنجنيق - بفتح الميم وكسرهما - والمنجوق: دخيل أعجمي معرب، وأصلها بالفارسية: من جي نيك: أي ما أجودني، وهي مؤنثة، قال زفر بن الحارث:

لقد تركتني منجنيقُ ابن بحدلٍ أحميدُ عن المصفور حين يطيرُ
وتقديرها منفعل، لقولهم: كنا نجحق مرة ونرشق أخرى. قال الفراء: والجمع منجنيقات، وقال سيديويه: هي فعليل، الميم من نفس الكلمة أصلية، لقولهم في الجمع مجانيق وفي التصغير مجنيق، ولأنها لو كانت زائدة والنون زائدة لاجتمعت زائدتان في أول الاسم، وهذا لا يكون في الأسماء ولا الصفات التي ليست على الأفعال للزيادة ولو جعلت النون من نفس الحرف صار الاسم رباعيا، والزيادات لا تلتحق بينات الأربعة أولا إلا الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدرج، ومنهم من قال: إن الميم والنون زائدتان، لقولهم جنق مجنق: إذا رمى، والتنبى يريد بالمنجنيق هنا: هجاءه. ورفع « أصل » على إعمال « لا » عمل « ليس ». على حد قول الحماسي:

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاحٍ^(١)
يقول: لو ضربتكم بهجائي وأصلكم قوي لكسرتكم وأهلككم فكيف ولا أصل لكم يعرف؟

(٢) يقول: لو كنتم عقلاء لما انتسبتم إلى من يعرف أنه لا نسل له ولا عقب: أي فقد ظهرت دعاؤكم بهذا الانتساب وأنكم كذابون فيما تدعون. بهجو قوما يزعمون أنهم شرفاء.

(١) من أبيات لسعد بن مالك تراها في الحماسة، وقد تقدم شرحها وأولها:
يَا يُوُسَّ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَاخُوا

وقال : وقد جعل أبو محمد بن طنج يضرب بكه البخور ، ويقول سَوْقًا إِلَى
أبي الطيب :

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْعَمَالِ وَأَفْصَحَ النَّاسِ فِي الْعَمَالِ (١)
إِنْ قُلْتَ فِي ذَا الْبُخُورِ سَوْقًا فَهَكَذَا قُلْتَ فِي النَّوَالِ (٢)

* * *

وقال وقد بلغه أن إسحاق بن كينغغ يتهدده وهو ببلاد الروم ، وكان
أبو الطيب بدمشق (*) :

أَنَا فِي كَلَامِ الْجَاهِلِ ابْنِ كَيْفَنَغِ يَجُوبُ حُزُونًا يَبِينُنَا وَسُهُولًا (٣)
وَلَوْلَمْ يَكُنْ بَيْنَ ابْنِ صَفْرَاءَ حَائِلٌ
وَبَيْنِي سِوَى رُنْحِي لَكَانَ طَوِيلًا (٤)

(١) قال الليث : الفعّال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه ، وقال ابن الأعرابي : الفعّال فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعّال وفلان لثيم الفعّال ، قال : والفعّال - بكسر الفاء - إذا كان الفعل بين الاثنين .
(٢) البخور - بفتح الباء - قال البكري : والعامّة تضمها ، وقلت - ههنا - بمعنى أشرت ، ويقال قال بكه : أى أشار ، وقال برأسه نعم : أى أشار ، والنوال : العطاء . يقول : إن أشرت في هذا البخور أن يساق إلى سوقا فهكذا قلت وفعلت في العطاء .
* كان من خبر هذا الرجل أنه لما قدم أبو الطيب من الرملة يريد إنطاكية مر به وهو في طرابلس - وكان محافظاً على الطريق - فسأله أن يمدحه فلم يفعل ، فاعتاقه عن سفره ثلاثة أيام ، فلما فارقه هجاء بالقصيدة التي مطلعها :

لَهْوَى النّفوسِ سريرة لا تُعْلَمُ عرضاً نظرت وخبّت أنى أسلم

وستمر بك في قافية الميم ، وهي من عيون قصائده .

(٣) يجوب الأرض : يقطعها . والحزن : الغليظ من الأرض . يقول : أنا في وعيده من مسافة بعيدة .

(٤) صفراء : اسم أمه ، وقيل صفراء : كناية عن الاست ، والعرب تسب بأنسبة الرجل إلى الاست ، كما قال :

* بَأَنَّ بَنِي أَسْتِهَا نَذَرُوا دَمِي *

وَإِسْحَاقُ مَأْمُونٌ عَلَىٰ مَنْ أَهَانَهُ وَلَكِنَّ تَسْلَىٰ بِالْبُكَاءِ قَلِيلًا^(١)
 وَلَيْسَ جَمِيلًا عَرِضُهُ فَيَصُونَهُ وَلَيْسَ جَمِيلًا أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا^(٢)
 وَيَكْذِبُ مَا أَذَلَّتْهُ بِهِجَاؤُهُ لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهَجَاءِ ذَلِيلًا^(٣)

* * *

وقال يمدح أبا العشار:

لَا تَحْسَبُوا رَبِّكُمْ وَلَا طَلَلَهُ أَوْلَ حَيٍّ فِرَاقِكُمْ قَتَلَهُ^(٤)

يقول: إنه على البعد بوعدني، ولو لم يحل بيني وبينه إلا رمحي لكان ما بيني وبينه طويلاً بعيداً لأنه لا يتمكن من الوصول إلى ولا يستطيع الإقدام على لجينه.

(١) يقول: إنه غير مخوف على من يهينه ولا يكثر له، وقصاراه إذ أسسه الهوان أن يبكي، ولا يلجأ في الجزاء إلى غير البكاء فيتعزى به عن الإهانة.

(٢) يقول: إن عرضه ليس جميلاً حتى يستحق أن يهان، لأنه إنما يهان الجليل، وعرضه لا يجمل أن يجمل.

(٣) يقول: هو كاذب في دعواه أنني أذلتته بهجائي، فهو ذليل حقير من قبل هجائي إياه، فقله ما أذلتته بهجائه: كلام مسنأف، و«ما»: نافية.

(٤) الربع: المنزل؛ والطلل: ما شخص من آثار الديار. جعل كون الأجنة في الربع حياة له وارتحالهم عنه قتلاً، لأن الأمكة إنما تحيا بالعمارة والسكان، فإذا خلت من العمار فهي ميتة، وفي الحديث «من أحيأ مواتاً فهو أحق به» الموات: الأرض التي لم تزرع ولم تعمر، ولا جرى عليها ملك أحد، وإحيأؤها: مباشرة عمارتها. يقول رحلم: فخرت ربكم وعفا طللكم، ولكنهما ليسا أول حتى قتل من جراء فراقكم ثم بين ذلك فيما يلي. هذا: وحسب الشيء يحسب: أي ظنه، بفتح السين وكسرهما، في المضارع، قال في التهذيب: والكسر أجود اللغتين، وقال الجوهري: ويقال أحسبه - بالكسر - وهو شاذ، لأن كل فعل كان ماضيه مكسوراً فإن مستقبله يأتي مفتوح العين، نحو علم يعلم - إلا أربعة أحرف جاءت نواذر: حسب يحسب، ويبس يبيس وبس يبس، ونعم نعم، فإنها جاءت من السالم بالكسر والفتح ومن المعتل ما جاء ماضيه ومستقبله جميعاً بالكسر: ومق يمق، ووفق يوفق، ووثق يوثق، وورع يورع، وورم يرم، وورث يرث، وورى الزند يرى، وولى يولى.

قَدْ تَلَفَتْ قَبْلَهُ النَّفُوسُ بِكُمْ
وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمْ الْعَذَلَةَ (١)
خَلَا وَفِيهِ أَهْلٌ وَأَوْحَشْنَا
وَفِيهِ صِرْمٌ مُرَوِّحٌ لِإِبْلِهِ (٢)
لَوْ سَارَ ذَاكَ الْحَبِيبُ عَنْ فَلَكَ
مَا رَضِيَ الشَّمْسُ بَرْجَهُ بَدَلَهُ (٣)
أَحِبُّهُ وَالْهَوَى وَأَذُورُهُ
وَكُلُّ حُبِّ صَبَابَةٍ وَوَلَهُ (٤)
يَنْصُرُهَا النَّيْتُ وَهِيَ ظَامِنَةٌ
إِلَى سِوَاهُ وَسُحْبَهَا هَطَلَةٌ (٥)

(١) العذلة : جمع عاذل . يقول : قد تلفت نفوس العشاق قبل الربيع بسبيكم أو بهواكم أو بفراقكم ، وأكثر العاذلون - اللاتمون - عذلم في هواكم لما رأوا من تهالكهم فيكم .

(٢) الصرم : الجماعة من البيوت بمن فيها ، وجمعه أصرام . والروح : الذى يروح إليه من المرعى . يقول : إن الربيع موحش خال وإن كان فيه ناس ونعم لارتحال أحبابنا عنه : يعنى أنه وإن كان قد حله ناس بعدهم يعد فى حق كالحالى الموحش لى ، فكانه قفر لا أحد فيه ؛ وإن كان عامراً بأهليه .

(٣) الضمير فى « برجه » : للحبيب . ورضى : بمعنى اختار وأحب ، فلذلك عداه بغير حرف الجر . يقول : لو سار هذا الحبيب الجميل عن فلك من أفلاك السماء لما اختار هذا الفلك الذى كان فيه أن تحله الشمس بدلا منه ، لأنها لا تنفى غناؤه ، إذ لا تعادله فى المحاسن .

(٤) لك أن تجعل « والهوى » عطفاً على الضمير المنصو ، قوله « أحبه » فيكون من قبيل قوله :

وإني لأعشق من عشقكم نحولى وكل فتى نأجل
ولك أن تجعله قسما ، كقول البحرى :

* أما وهواك حلفة ذى اجتهاد *

والأدور : جمع دار ؛ والصبابة : رقة الشوق ؛ والولة : ذهاب العقل ؛ أى أحبه وأحب كل ما يرتبط به ، ثم قال : إن الحب صبابة تملك قلب العاشق ووله : أى فهو يجعل كل شيء للحبيب .

(٥) ينصرها : أى الأدور ؛ والمطلق : الكثير السكب . يقول : يسقيها السحاب وعطشها إنما هو إلى غير المطر ، وهو الحبيب الذى سار عنها وكان ينزل بها ويقال نصر العيث الأرض نصرأ : أغاثها وسقاها وأنبثها ؛ قال الشاعر :

وَاحْرَبَا مِنْكَ يَا جَدَايْتَهَا مُقِيمَةً فَأَعْلَمِي وَسُرَّحَلَهُ (١)
لَوْ خُطَّ الْمِسْكُ وَالْعَبِيرُ بِهَا وَلَسْتَ فِيهَا لَخَلَّتْهَا تَفَلَّهُ (٢)
أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا السَّبَاحِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ (٣)
وَلِئَمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيلَهُ (٤)

من كان أخطأه الربيعُ فإِنَّمَا نُصِرَ الحِجَازُ بِبَيْتِ عَبْدِ الوَاحِدِ
ونصرت البلاد : إذا مطرت ، فهي منصوره ، أي محطورة ؛ ونصر القوم :
إذا غشوا .

(١) الحرب - بالتحريك - في الأصل نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له ، والمراد هنا : الهلاك . يقول الواقع في الهلاك : واحربا والجداية : ولد ، الظبي . ومقيمة : حال من الضمير في « منك » . وفاعلي : معترضة . يقول : واحربا منك ياظبية هذه الدار أقت أو رحلت : لأنك إن أقت منعنا عنك الصد ، وإن رحلت حال بيننا وبينك النأي - البعد فانت تهجرين عند الإقامة وتفارقين عند الرحيل ، فقربك وبعذك سيان في هلاكى (٢) العبير : أخلاط تجمع من طيب ؛ والضمير في « بها » للأدور . والتفلة : المنتنة الريح . يقول : إنمنا كانت ديارك تطيب بك فإذا خلت منك لم يطبلى رياها وكانت عندى تفلة ، ولو خلطوا تراها بالمسك والعبير ، كما قال :

وكيف التذاذي بالأصائل والضحى إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هباً

(٣) النجل : الولد : ونجله أبوه : ولده . يقول : أنا ابن الذي بعضه - أي ولده - يفوق أبا الباحث عن نسي ، أي أنا فوق أب الذي يبحث عن نسي ، وقوله والنجل الخ : أراد به أن يبين أن المراد ببعضه الولد .

(٤) نافرت فلانا فنفرته : أي فاخرته ففخرته ؛ وأصل ذلك أن الرجلين من العرب كانا يحتكان في الجاهلية إلى من عرف بالرياسة والفضل والصدق فيقولان له : أي نفرينا أفضل ؟ فإذا فضل أحدهما على الآخر فالغلوب المنفور والغالب نافر ، قال الأعشى :

بان الذي فيه تماريتنا واعترف المنفور للنافر (١)

(١) يروى : قد قلت شعري فمضى فيكما واعترف . . . الخ وهو للأعشى يمدح عامر بن الطفيل ويحمل على علقمة بن علاثة وكانا قد تنافرا إلى هرم بن سنان المري ؛ والمنفور ؛ المغلوب ؛ والنافر ؛ الغالب .

فَخَرًّا لِعَضْبِ أَرْوْحٍ مُشْتَمِلَةٍ وَسَمْهَرِيَّ أَرْوْحٍ مُمْتَقَلَةٍ (١)
وَلِيَفْخَرَ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ بِهِ مُرْتَدِيًّا خَيْرَهُ وَمُنْتَمِلَةً (٢)
أَنَا الَّذِي بَيْنَ الْإِلَهِ بِهِ السَّاقِدَارَ وَاللَّزْهَ حَيْثُمَا جَمَلَهُ (٣)
جَوْهَرَةً يَفْرَحُ الْكِرَامُ بِهَا وَعُصَّةٌ لَا تُسِفُّهَا السَّفَلَةُ (٤)

وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: أَمْرًا وَأَفْنُوا. يَقُولُ: إِنَّمَا يَذْكَرُ الْأَجْدَادَ لِلْقَوْمِ الْبَاحِثِينَ وَالْمُفَاحِرِينَ
مَنْ غَلِبُوهُ بِالْفَخْرِ وَلَمْ يَجِدْ خَيْلَةً فَانْفَخَرَ بِالْآبَاءِ؛ بِمَعْنَى إِنْجَاحًا يَحْتَاجُ إِلَى الْفَخْرِ بِجُدُودِهِ
مَنْ لَا فَضِيلَةَ لَهُ فِي نَفْسِهِ.

(١) العضب: السيف القاطع؛ واللام الداخلة عليه زائدة لبيان الفاعلية وفخرا؛
مفعول مطلق نائب عن فاعله. أي ليفخر فخرا؛ ومشتمله؛ أراد مشتملا به. والاشتمال
أن يتقلد السيف فتكون حمائله على منكبه كالثوب الذي يشتعل به. والسمهري: الرمح
واعتمل الرمح؛ جملة بين ساقه وركابه. يقول: إن سيفي ورمحي يفتخران بي،
لا أنا بهما.

(٢) خيرته؛ أي أفضله، يروي «خبره» أي زينته وجماله. يقول: لبست الفخر فصار
رداء على منكبي، ونعلا تحت قدمي، فخير به إذن أن يفخر بي.

(٣) يقول: بي بين الله أقدار الناس في الفضل، لأنني أصف كل أحد بما فيه؛ أو
لأن من أكرمني وأحسن إلي؛ دل ذلك على مروءته، وميله إلى ذوى الفضل، ومن
استخف بي، ولم يكثر لي؛ دل ذلك على خسة قدره ولؤم نخبزته كما قال البحرى:

وإن مقامى حيثُ حَيِّمْتُ مِحْنَةً تَدُلُّ عَلَى فَهْمِ الْكِرَامِ الْأَجَاوِدِ
وقوله والمرء حينما جعله: أي حينما جعل نفسه؛ فمن صان نفسه، ورفع قدرها؛
رفع الناس كذلك قدره، ومن تعرض للمهوان أهين، كما قال:

إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من أكرمه
وقدما قيل:

وأكرم نفسي إن اهنتها رَمَقْتُ لَمْ تَكْرُمْ عَلَى أَحَدٍ بِعَدِي
ويجوز أن يكون المعنى، والمرء حينما جعله الله: أي لا يستطيع أحد أن يتقدم منزله
التي وضعه الله بها.

(٤) جوهرة؛ أي أنا جوهرة؛ والنصبة: ما ينص به الإنسان فلا يسفه والسفلة -
بكسر الفاء - كهيئة - بسكونها وكسر السين - أسافل الناس وغوغاؤهم والسقاط منهم

إِنَّ الْكِذَّابَ الَّذِي أَكَادُ بِهِ أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي نَقَلَهُ (١)
 فَلَا مِبَالَ وَلَا مُدَاجٍ وَلَا وَإِنْ وَلَا عَاجِزٌ وَلَا تَكَلَّهُ (٢)
 وَدَارِعٍ سِيفْتُهُ فَخَرَ لَتِي فِي الْمُلْتَقَى وَالْعَبَاجِ وَالْمَعْجَلَةِ (٣)

يقول : أنا زينة الناس إذ أنوه بمنافعهم ، وأشيد بذكر محاسنهم ؛ فأنا جوهرة يفرح بها ، وشجى في حلوق اللثام لا يقدرّون على إساغتي ، لأنى أقول فيهم ما أدلم به وأكشف عن نقائصهم .

(١) الكذاب : الكذب : يقال : كذب يكذب كذباً وكذباً وكذاباً وكذاباً ، ورجل كاذب ، وكذاب ، وتكذاب وكذوب ، وكذوبة ، وكذبة - مثال همزة - وكذبان ، وكذابان ، وكذابان ؛ ومكذبان ، ومكذبانة ، ومكذبانان ، وكذب وكذب قال جريرة بن الأسيح :

فإذا سمعت بأننى قد بعتكم بوصول غانية فقل كذباً

والكذب : جمع كاذب ، مثل راح وركع ، قال أبو دواد الرواسي :

متى يقل ترفع الأقوام قولته إذا اصمحل حديث الكذب الوالعه (١)
 أليس أقربهم خيراً وأبمدهم شراً وأسمحهم كفالين منقسه
 لا يحسد الناس فضل الله عندهم إذا تشوه نفوس الحسد الجشعة

والكذب : جمع كذوب ، مثل صبور وصبر ، ومنه قرأ بعضهم قوله تعالى « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب » فجعله نعماً للألسنة ، وأكاد به : أقصد به على وجه الكيدى . يعرض بقوم وشوابه إلى أبى العشار . يقول : ذلك الكذب أهون عندي من راويه وناقله : أى لا أكثرث له ولا لمن رواه .

(٢) مبال : خبر عن محذوف : أى فلا أنا مبال ؛ والمداجى : الذى يساتر العداوة ؛ والوانى : المقصر ؛ وتكلة : بمعنى وكلة ، وهو الذى يكل أمره إلى غيره . ينفى عن نفسه هذه الصفات ، يقول : فلا أنا مبال بأعدائى ولا مداج لهم ، ولا أنا مقصر فى أمرى ، وفيما يجب على مراعاته وحفظه ، ولا عاجز عن مكافأة المسئء ، ولا ضعيف أكل أمرى إلى غيرى ،

(٣) الدارع : لابس الدرع . وسفته : ضربته بالسيف ؛ واللقى : الشيء المطروح ؛

(١) الولة : جمع وال ، مثل كاتب وكتبة ، والوالع : الكاذب .

(٢٥ — المتنى)

وَسَامِعٍ رُعْتُهُ بِقَافِيَةٍ بِحَارٍ فِيهَا الْمُنْفَعُ الْقَوْلَةُ (١)
وَرُبَّمَا أَشْهَدُ الطَّعَامَ مَعِيَ
مَنْ لَا يَسَاوِي أُلْخَبَزَ الَّذِي أَكَلَهُ (٢)

والمعاج : العبار : والمعجلة : يجوز أن يراد بها الاستعجال الذي يكون من الضارب والطاعن في الضرب والظعن ، ويجوز أن تكون بمعنى الشكل - من قولهم ناقة هجول : إذا فقدت ولدها - قال علماء اللغة : والمجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها التكلى لمجبتها في جبتها وذهاها جزعا ، قالت لحنساء .

فما هجولٌ على بَوٍّ تَطِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ إِعْلَانٌ وَإِسْرَارٌ (١)
وجوز أن يكون بمعنى الطين ، قيل في قوله تعالى « خلق الإنسان من عجل » أي من طين ؛ وقال الشاعر :

وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الْعِمَاءُ مِدْبَتُهُ وَالنَّخْلُ يُنْبِتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْمَجْلِ
يقول : رب دارع ضربته بالسيف فتركته مطروحا كالشيء الملقى وقت التقائنا .
(١) رعته : أعجبتة أو أرهتته . والقافية هنا : القصيدة ؛ والمنفع : الذي يهذب القول ويختاره ، واقولة الجيد القول . يقول : إنه بيده السامع بالقافية الجيدة يرتاع لها ويتحير في حسنها الشاعر الحميد :

(٢) أشهد : بمعنى أحضر ، والطعام : مفعول ثان مقدم ؛ و « من » مفعول أول ، وأشهد يروى يشهد : ويروى أشهد - مضارع شهد ، فتكون « معي » بحذف واو الحال أي ومعى : وقد تحذف : كما تقول مررت بزیده على يده باز . ويريد بذلك الرجل الذي وشى به ، وكان يقال له المسعودي ، كان اللثني قد وصله بأبي العشائر فصار نديماله ، ثم تناوله عند أبي العشائر :

(١) بعده :

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار
يوماً بأوجد مني يوم فارقتي صخرٌ وللعيش إحلاذ وإمراؤ
وترتع ما رتعت : يروى ترقع ما غفلت ، والبو : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه يحشى تبنا وهي لا تراه ، ويدنى منها فشمه وترأه فتدر فتر عليه اللبن .

وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ
وَالدُّرُّ دُرٌّ بِرِغْمٍ مِّنْ جِهَلِهِ^(١)
مُسْتَحْيِيًّا مِّنْ أَبِي الْعَشَائِرِ أَنْ
أَسْحَبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَّةً^(٢)
أَسْحَبًا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ
ثِيَابُهُ مِنْ جَلِيْسِهِ وَجِلَّةً^(٣)
وَبَيْضُ غِلْمَانِهِ كَنَائِلِهِ
أَوَّلُ تَحْمُولِ سِنْبِهِ الْحَمَلَةَ^(٤)
مَالِي لَا أَمْدَحُ الْخُسَيْنَ وَلَا
أَبْذُلُ مِثْلَ الْوُدِّ الَّذِي بَدَّلَهُ^(٥)
أَأْخَفَتِ الْمَسِينُ عِنْدَهُ خَبْرًا
أَمْ بَلَغَ الْكَيْدِبَانَ مَا أَمَلَهُ^(٦)

(١) لعل هذا ينظر إلى قول جميل :

إذا ما رأوني طالما من ثنيةٍ يقولون من هذا وقد عرفوني

(٢) اللحل : الثياب : ومستحيا : أى إنما أ فعل ما ذكرت مستحيا : فهو حال ، العامل فيها مقدر . يقول : إنما أقت مع الأعداء فى بلد لآنى أستحي من أبى العشائر أن ألبس حلمه فى غير بلده .

(٣) وجلة : خائفة . يقول : إن ثيابه لا تحب أن تفارقه لتشرفها به فهى تخاف أن تحملها على جلسيه .

(٤) النائل : العطاء : وكذلك السيب . يقول : إن غلماناه البيض كعطاءه فى أنه يهبهم - أى غلمانهم - أى أنه يهب غلماناه كما يهب أمواله ، فيكون أول ما يحمله إليك من العطاء ، أولئك الذين يحملون ذلك العطاء - وهم الغلمان -

(٥) ويروى : أبذل ماود مثل ما بذله : أى من الود ، فحذف النون . وهذا كالماتبة مع نفسه ، والإقرار بالتقصير فى مدحه ، ومعارضته بمثل الود الذى يبذله .

(٦) الكيدبان : الكذاب - وقد وفينا القول على هذه السادة قريبا - يقول : أكذبتنى عينى فيما أدت إلى من محاسنه ، أم وجد الكاذب فرصة فقير ما بيننا ؟ ويجوز أن يريد بالعين : الرقيب ، وأنت : جريا على اللفظ . يقول : هل أخفى الرقيب عنده خبراً من أخبارى فى حبي إياه وميلى إليه ؟ وقال بعض السراخ : يقول . هل أخفت عينه عليه أثراً من آثار خدمتى فحجدها على . أم أعار الكاذب سمعه فبلغ عنده ما يأمله من الوشاية بى ؟ وهذا استفهام إنكار . أى ليس الأمر على ما ذكر ؛ وإذن : لا أقصر فى حقه ولا ألو جهداً فى مدحه . هذا : ويقال أمل خيره بأمه أملا ، وكذا أمه تأميلا أى رحله .

أَمْ لَيْسَ ضَرَابَ كُلِّ جُجْمَةٍ مَنخُوتَةٍ سَاعَةَ الْوَغَى زَعَلَهُ (١)
 وَصَاحِبَ الْجُودِ مَا يُفَارِقُهُ لَوْ كَانَ لِلْجُودِ مَنطِقٌ عَدَلَهُ (٢)
 وَرَاكِبَ الْهَوْلِ لَا يُفْتَرُهُ لَوْ كَانَ لِلْهَوْلِ مَحْزَمٌ هَزَلَهُ (٣)
 وَفَارِسَ الْأَحْمَرِ الْمَكَلَّلَ فِي طَيِّبِ الْمَشْرِعِ الْقَنَأَ قَبْلَهُ (٤)

(١) منخوة: أى ذات نخوة - أى عظمة وكبر - والرأس يوصف بالكبر ، يقال فى رأسه نخوة والزعلة : النسيط ، والزعلة أيضا . البطرة الأشرة . يقول . أليس المدوح ضراب كل رأس متكبر بطريوم الوغى والقتال ؟ .

(٢) عدله : أى لاهه على إسرافه وكثرة عطاياه .

(٣) الهول : الأمر العظيم الشديد ؛ ولا يفتره : أى لا يفتره الهول وإن كثر ركوبه إياه . والمهزم : ما يقع عليه الحزام من الدابة . لما جعله راكباً والهول مركوبا أجراه مجرى المركوب من الدواب : أى أنه جهده بالركوب حتى لو كان له محزم لظهر عليه الهزال ، وإنما خص المهزم لأن الدابة إذا هزلت اتسع حزامها لما لحقها من الضمور .
 (٤) قال الواحدى : أراد بالأحمر : فرسه الذى ركبه فى وقته بأنطاكية ؛ والمكَلَل الحاد الماضى فى الأمر ؛ يقال حمل فكلل : أى مضى قدما . ولم يخم ، أنشد الأصمعى :

حَسَمَ عِرْقَ الدَّاءِ عَنْهُ فَقَضِبُ تَكَلِيلَةَ اللَّيْثِ إِذَا اللَّيْثُ وَثِبَ

قال الأصمعى : وقد يكون كلل بمعنى جبن ؛ يقال حمل فما كلل : أى فما كذب وما جبن كأنه من الأضداد ، وأنشد أبو زيد لجهم بن سبل :

وَلَا أَكَلَّلَ عَنْ حَرْبٍ مُجْلِحَةٍ وَلَا أَخَدَّرَ لِلْمَلِيقِينَ بِالسَّلْمِ

ويقال إن الأسد يهلك ويكلل ، وإن النمر يكلل ولا يهلك ، والمكَلَل : الذى يحمل فلا يرجع حتى يقع بقرنه ، والمهلل ؛ يحمل على قرنه ثم يحجم فيرجع . ويقال انكل الرجل انكلالا : أى تبسم ، وانكلت المرأة تنكل انكلالا : إذا ابتسمت قال الأعمش :

وَيَنْكَلُ عَنْ غُرِّ عِذَابِ كَأَنَّهَا جَى أَحْوَانِ نَبْتُهُ مَتْنَاعِمِ

وقال عمر بن أبى ربيعة :

وَتَنْكَلُ عَنْ عَذْبِ شَقِيحِ نَبَاتِهِ لَهُ أَشْرُ كَالْأَقْحْوَانِ الْمَوْرِ

ومن روى « البكلل » - فى البيت - بفتح اللام : أراد للتوج . ويجوز فى « المشرع »

لَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ خِيُولُهُمْ أَقْسَمَ بِاللَّهِ لَا رَأَتْ كَقَوْلِهِ (١)
فَأَكْبَرُوا وَقَعَلَهُ وَأَصْفَرَهُ أَكْبَرُ مِنْ فِئِلِهِ الَّذِي قَعَلَهُ (٢)
الْقَاطِعُ الْوَاصِلُ الْكَمِيلُ فَلَا
بَعْضُ جَمِيعٍ عَنِ بَعْضِهِ شَمَلَهُ (٣)

النصب على أنه نعت للفارس ، والحفض على أنه نعت للأحمر : يعنى الذى أشرع الأعداء نحوه رماحهم .

(١) الضمير من « وجهه » : للفارس ، وضمير « أقسم » . للممدوح . ويقول . لما رأب حيولهم وجه فرسه فى حومة الوعى أقسم بالله لا ارتد عنهم ولا رأوا كفه حتى يأتى عليهم قتلا . ولعل هذا المعنى من قول الآخر .

حتى يظنوه إنساناً بغير قفاً وأنه راكب طرفاً بلا كفل

(٢) يقال أ كبرت الشيء إذا استكبرته ، وأصفره . يروى بفتح الراء على أنه فعل ماض أى استكبروا فعله واستصغره هو ، وتم الكلام هنا ثم استأنف فقال . أ كبر من فعله الذى فعله . أى هو أ كبر من فعله وهذا هو تفسير ابن جنى . قال العروضى على هذا التفسير لا يكون مدحا ، لأن من المعلوم أن كل فاعل أ كبر من فعله ، والخالق تعالى ذكره فوق المخلوقين ، وقالوا إن خيرا من الخير فاعله ، وإن شرا من الشر فاعله ولكن معنى البيت . إن الناس استكبروا فعله واستصغره هو ، فكان استصغاره لما فعل أحسن من فعله : كما تقول أعطانى فلان كذا وكذا واستقله ، فكان استقلاله لذلك أحسن من إعطائه قال العروضى : ثم العجب أنه غلط فى صناعة هو إمامها المقدم فيها ، وذلك أن « الذى » يصلح أن يكون بمعنى « من » وبمعنى « ما » . تقول رأيت الذى دخل ، ورأيت الذى فعلت ، وكان يجب أن يذهب فى هذا إلى « ما » فذهب إلى « من » ففسد المعنى ؛ ولك أن تقول : أ كبر من فعله الذى فعله : أى أن الذى فعل هذا الفعل هو أ كبر منه : أى أنه إنما استصغره بالنسبة إلى عظم قدره . وروى الخوارزمى : وأصفره بضم الراء - على أنه مبتدا مخبر عنه بما بعده : أى وأصفر فعله أ كبر مما استعظموه .

(٣) القاطع : يروى : القائل ، والقائل . والكميل : بمعنى الكامل ؛

أنشد سيبويه :

على أنقى بمد ما قد مضى ثلاثون للهجر حولاً كيلا

فَوَاهِبٌ وَالرَّمَّاحُ تَشْجُرُهُ ، وَطَاعِينٌ وَالْهَبَاتُ مُتَّصِلَةٌ (١)
وَكَلَّمَا آمَنَ الْبِلَادَ سَرَى وَكَلَّمَا خِيفَ مَنَزِلٌ نَزَلَتْ (٢)

يَذْكَرُنِيكَ حَنِينَ الْمَجُولِ وَنُوحَ الْحَمَامَةِ تَدْعُو هَدِيدًا (١)

وكل - بفتح العين وضمها - يكل - بالضم - في مضارعهما : وكل - بكسر
العين - يكل - بالفتح - لا غير . قال الجوهري : والكسر أردؤها . يقول : يقطع
ويصل كما يشاء . ولا يشمله فعل جميل عن فعل جميل آخر . وقد فسر البيت فيما يلي
(١) تشجروه : تنفذ فيه وتخالطه . ومنه قول شريح بن أوفى العبسي :

يَذْكَرُنِي حَامِيمَ وَالرَّمْحَ شَاجِرًا فَهَلَا تَلَا حَامِيمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ (٢)

يقول : لا تمنعه الحرب عن الجود ولا الجود عن الطمان .
(٢) يقول : كلما آمن بلاده من مهاجمة الأعداء سرى في طلب الغزو والفتح ،
وكلما خيف مكان نزله فدفع عنه المخافة وآمنه .

(١) يقول : لم أنس عهدك طي بعده ، فكلمنا حنت مجول - وهي الفاقدة ولدها من
الإبل وغيرها - أو ناحت حمامة ، رقت نفسي فذكرتك ؛ والهديل هنا صوت الحمامة
ونصبه طي للصدر ، والعامل فيه يدعو ، لأنه بمنزلة تهدل . ويجوز أن يكون الهديل
الفرخ الذي يزعم الاعراب أن جارحاصاده في سفينة نوح فالحمام يبكي عليه ، كما
قال طرفة :

• كداعى هديل لا يُجابُ ولا يُمَل •

فالهديل هنا الفرخ ، لأن الحمام تدعو نائمة عليه فلا يجيبها ولا تعمل دعاءه .

(٢) قبله :

وأشمت قسوامَ بآياتِ ربِّه قليلِ الأذى فيما ترى العينُ مسلمِ

شككت له بالرمح جيب قبضه نخر صريمًا لليدين وللغم

على غير شيء غير أن ليس تابمًا عليًا ومن لا يتقيع الحق يظلم

يَذْكَرُنِي حَامِيمَ [البيت]

قال شريح هذه الآيات يوم الجمل حين أمر أبو طلحة محمد بن طلحة أن يبرز للقتال
فكان من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان كلما حمل عليه رجل قال نشدتك
بحاميم - لما فيها من آية « قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا الودة في القربى » حتى حمل

وَكَلَّمَا جَاهِرَ الْقَدْوُ ضُحَى أَمْكَنَ حَتَّى كَانَهُ حَتَلَهُ (١)
يَحْتَقِرُ الْبَيْضَ وَاللَّدَانَ إِذَا سَنَّ عَلَيْهِ الدَّلَاصَ أَوْ نَثَلَهُ (٢)
قَدْ هَدَبَتْ فَهْمَهُ الْفَقَاهَةَ لِي وَهَدَبَتْ شِعْرِي الْفَصَاحَةَ لَهُ (٣)

(١) الختل : الأخذ خدعة ؛ أى على بئته . يقول : كلما حارب أعداءه جهاراً تمكن منهم وظهر بهم حتى كأنه خادعهم وأناهم بئته ؛ وضمير « أمكن » للعدو ؛ أى أمكنه من نفسه .

(٢) البيض - بكسر الباء - السيف ، وزوى بفتح الباء : جمع بيضة ، وهى الخوذة التى تجمل على الرأس . واللدان : الرماح اللينة ، جمع لدن . وسن عليه درعه : إذا صب الدرع على نفسه بأن لبسها . والدلاص : الدرع اللينة اللساء . وتثل الدرع : ألقاها عنه : قال ابن جنى : وذكر الدرع بقوله ثلته ضرورة أو يكون ذهب إلى البدن يقول : إنه محترق السيف والرماح - دارعا كان أو حاسراً - وسن بالسيف المهملة - يروى بالشين المعجمة ، وكتلتها بمعنى صب ، يقال سن عليه الماء : أى صبه ، وسن عليه الدرع يسنها سناً : كذلك إذا صبها عليه ، قال الجوهري : سفت الماء على وجهى : أى أرسلته إرسالاً من غير تفريق ، فإذا فرقته بالصب قلت « بالشين » ويقال شن عليهم الفارة : إذا فرقها .

(٣) الفقاهة : الفهم والمقننة والعلم : فقه الرجل يلقبه فقاهة . يقول : إن فقاهة للمدح هذبت فهمه لى ، فهو يفهم شعرى ويعرف جيد ، وفصاحق هذبت شعرى له ، فانا آتية به فصيحاً لا طاب فيه .

عليه المبسبى هذا ، فقتله ، ثم قال هذه الأبيات : يقول ورب أشعث من أثر العبادة كثير القيام والعمل بآيات ربه ، أو القيام فى الليل بتلاوتها قليل الأذى . وروى الكرى أى النوم ، وروى القذى وهو ما يتساقط فى العين فيمضها ، كنى بقلته عن قلة النوم فيها ترى العين : أى فى رأى العين ، شككت : أى خرقت له بالرمح جيب : أى طوق فيصه كناية عن طعنه به فى صدره ومن خلفه حتى نفذ من صدره فسقط مطروحاً على على يديه ووجهه وعبر بالقم مبالغة فى التنكيل ، ولأنه أول ما يلقى الأرض من الوجه ، وذلك بلا سبب ، غير أنه ليس تابعاً لعل بن أبى طالب ، وهكذا حال كل من لم يتبع الحق يذكرنى حاميم ، والحال أن رعى قد اختلط بأضلاعه ؛ وقد كان من حقه أن يذكرنيها قبل ذلك .

فَصِرْتُ كَالسَّيْفِ حَامِداً يَدَهُ لَا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلَّ مَنْ حَمَلَهُ (١)

واستأذن كافوراً في المسير إلى الرملة ليخلص مالا كتب له به ، وإنما أراد أن يعرف ما عند كافر في مسيره ؛ فقال : لا والله لا نكلفك المسير ، نحن نبعث في خلاصه ونكفيك ، فقال أبو الطيب :

أَتَحْفِي لَا تُكَلِّفُنِي مَسِيرًا إِلَى بَلَدٍ أُحَاوِلُ فِيهِ مَالًا
وَأَنْتَ مُكَلِّفِي أَنْبَى مَكَانًا ، وَأَبْعَدَ شُقَّةً وَأَشَدَّ حَالًا (٢)
إِذَا سِرْنَا عَلَى الْفُسْطَاطِ يَوْمًا فَلَقَّنِي الْفَوَارِسَ وَالرُّجَالَ (٣)

(١) يقول : أنا أحمده حمد السيف إياه ، والسيف لا يحمد كل حامل له . وكذلك أنا : لا أحمد كل يد .

(٢) وأنت مكلفي : حال : وأنبي : تفضيل - من قولهم نبا به المكان : إذا لم يوافقه ، ونا السيف : كل عن الضريبة ؛ والشقة : السافة . يقول : تمنعني من للسير خوفا على أن ينبو بي المكان الذي أنا قاصده وتتعبني مشقة السفر وأنت تكلفني من الإقامة عندك بما هو أنبي بي وأطول تعباً وأشد حالاً من السفر البعيد .

(٣) الفسطاط ، مدينة مصر قديماً . وأراد بلقي أجعلهم يلقونني : أي اجتمعهم خلفي ليردوني إليك . يريد إذا سرت عنك لم تقدر على ردي إليك . هذا : والرجال . الرحالة قال تعالى « فرجالاً أو ركبانا » يقال رجل الرجل رجلاً فهو راجل ورجل ورجل ورجيل ورجل ورجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر في سفر يركبه وشاهد رجلان :

على إذا لاقيت ليلي بخلوة أن ازدار بيت الله رجلاً حافياً
والجمع رجال ورجالة ورجال ورجالي ورجالي ورجالي ورجلان ورجلة ورجلة ورجلة وأرجلة وأرجل وأرجيل ؛ قال أبو ذؤيب :

أهمّ بنيه صيفهم وشتاؤهم وقالوا تمدّ واغزُ وشط الأرجل (١)
قال ابن بري : الأرجل هنا جمع أرجال ، وأرجال جمع راجل - مثل صاحب

(١) يقول : أهمهم نفقة صيفهم وشتائهم ، وقالوا لأبيهم تمد أي انصرف عنا وحارب وسط الرحالة . وقال الجوهري : أرجل هنا جمع رجل ، خلاف المرأة .

لِتَعْلَمَ قَدْرَ مَنْ فَارَقَتْ مِنِّي وَأَنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضَيْبِي مُحَالًا^(١)
وقال يمدح أباشجاع فاتكا^(*) وكان قد قدم من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب
وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار :

وأصحاب وأصحاب - إلا أنه حذف الياء من الأراجيل ، لضرورة الشعر قال أبو
التمم الهذلي :

با صغراً وارد ماء قد تتابعه سَومُ الأراجيل حتى ماؤه طحل^(١)
والرجلان بمعنى الرجل ، جمعه رجل ورجال - مثل عجلان وعجلى وعجال -
ويقال رجل ورجالي : مثل عجل وعجالي ؛ وامرأة رجلى : مثل عجلى ؛ ونسوة رجال
مثل عجال ، ورجالي مثل عجالي . أما الرجل خلاف المرأة فجمعه رجال ؛ ورجالات .
جمع الجمع . قال الجوهري في جمع الرجل : أراجل ، واستشهد بيت أبي ذؤيب المتقدم
ويقال للمرأة « رجلة » قال الشاعر :

كلُّ جارِ ظلِّ ممْتبِطاً غير جيرانِ بنى جَبَلِه

خسر قوا جيب فاتنهم لم يبالوا حرمة الرجله^(٢)

(١) منى : تجريد . يريد أنه بطل شجاع لا يقبل الضيم - الظلم - وإن فوارسه
ورجالاته لا يقدرون على رده إليه .

* قال ابن خلكان : هو « فاتك » الكبير المعروف بالهجنون ، كان رومياً أخذ
صغيراً من بلاد الروم بقرب موضع يعرف بذي الكلاع ، وهو ممن أخذه الأخشيد من
سيده بالرملة كرها بلائع وأعتقه ، فكان حراً عنده في عدة المالك ، وكان كريم
النفس ، بعيد الهمة ، شجاعاً كثير الإقدام ، ولذلك قيل له « الهجنون » ، وكان رفيق
الأستاذ كافور في خدمة الأخشيد ، فلما مات مخدومهما وقرر كافور في خدمة ابن
الأخشيد أنف « فاتك » من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ويحتاج
أن يركب في خدمته ، وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعاً له فانتقل إليها - وهي بلاد وبيد
كثيرة الوحش - فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى دخول مصر للمعالجة ، فدخلها وبه
النتني ، وكان أبو الطيب يسمع بكرم « فاتك » وشجاعته ، إلا أنه لا يقدر على قصد

(١) سوم الأراجيل : أي حر الأراجيل ؛ وماء طحل : كدر .

(٢) عنى بجيب فاتنهم : هنها .

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالَ فَلَئِمُّعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسَمِّدِ الْحَالَ^(١)

خدمته خوفاً من كافور ، و « فانك » يسأل عنه ويراسله بالسلام ثم التقياً في الصحراء مصادفة وجرى بينهما مفاوضات فلما رجع « فانك » إلى داره حمل إلى أبي الطيب هدية قيمتها ألف دينار ، ثم أتبعها بهدايا بعدها ، فاستأذن « التنبي » الأستاذ كافور في مدحه فأذن له ، فمدحه في التاسع من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة بهذه القصيدة . انتهى ولعل في هذه القصة ما يفسر به قول التنبي :

فَأَمْسَكَ لَا يَطَّالُ لَهُ فِيرَعَى [البيت]

كأنه يقول لا يباح له أن يقصد خدمة غير كافور بمصر ، ولا كافور يرضيه ، ولا يطلق سراحه فيرحل عن مصر .

(١) الإسعاد : الإغاة : يقول - مخاطباً نفسه - : ليس عندك من الخيل والمال ما تهديه إلى المدوح جزاء له على إحسانه إليك فليسعدك النطق : أى فامدحه ، وجزاه بالثناء عليه إن لم تمنك الحال : أى على مجازاته بالمال ؛ وفي مثل هذا اللفظ يقول يزيد اللهلي :

إِنْ يُعْجِزِ الدَّهْرُ كُنِّيَ عَنْ جَزَائِكُمْ فَإِنِّي بِالْمَوْىِ وَالشُّكْرِ مَجْتَهِدٌ

قال المكبري : « وهذا من الابتداء الذي يكرهه السامع بأن يقول للمدوح : لا خيل عندك تهديها ولا مال . وهو أول ما يقول له وقال في إعراب « لا خيل » نصب الخيل بلا لأنها تنصب النكرات بغير تنوين ، وقال سيويوه والخليل : يجوز أن ترفع النكرات بالتنوين » وأنشد العجاج :

تَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَحُشَّ الطُّبَيْخُ بِنِ الْجَحِيمِ حِينَ لَا مُسْتَمْرَخُ^(٢)

وما ارتفع بعدها عند بعض النحاة على الابتداء ، وفي قراءة من قرأ : « فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحجج » برفع الثلاثة أنه على الابتداء ، والخبر في « الحجج » وقرأ بعضهم برفع « الرفت . والفسوق ، ونصب ، الجدال » ، وهو كقول أمية بن أبي الصلت .

فَلَا لَعُوَ وَلَا تَأْتِيْمَ فِيهَا وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمْ مُقِيمُ^(٢)

(١) يريد بالطبخ : لللائكة اللوكلين بالعذاب ، وحش النار بالخطب : أوقدها ، ومنه حش الحرب يحشها حشا : إذا أسعرها وهيجهها تشبها بإسعار النار .

(٢) قالوا في قوله تعالى « لا لعو فيها ولا تأتيم » أن تأتيم يجوز أن يكون مصدراً

فَرَبَّمَا جَزَى الْإِحْسَانَ مُؤَلِيَهُ خَرِيدَةً مِنْ عَدَارَى الْحَيِّ مِكَسَالٍ^(١)
وَأَنْ تَكُنْ نُحْكَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي
ظُهُورَ جَزَى قَلِي فِيهِنَّ تَضَهَّالٍ^(٢)

(١) الخريذة الجارية الحية . والمكسال ، من النساء : الفأرة القليلة التصرف ؛
وخريذة : فاعل جزى ؛ والإحسان : مفعول ثانٍ مقدم ؛ ومؤليه - أى معطيه - مفعول
أول . يقول : ربما حازت بالإحسان من بولي - يعطى - الإحسان امرأة عاجزة عن
كل شيء ؛ يعنى إن لم تمكن الكفاة فعلا فهي ممكنة قولاً كالـكفاة من هذه المكسال ،
يحث نفسه على الجزاء وترك التقصير فيما يمكن ، ثم ضرب لهذا مثلاً فيما يلي . هذا :
والجزاء المكفاة على الشيء جزاء به ، وعليه جزاء ، وجزاء مجازاة - قال الجوهري
جزيته بما صنع جزاء وجزيته : بمعنى ، ويقال جزيته لجزيته : أى غلبته وقوله تعالى
« لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » : يعنى يوم القيامة لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئاً ،
يقال جزيت فلاناً حقه : أى قضيته . وفى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لآبى
بردة بن نيار حين ضحى بالجدعة « تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بمدك » أى تقضى
قال الاصمعى : هذا مأخوذ من قولك قد جزى عنى هذا الأمر ولا همز فيه ، قال ومعناه
لا تقضى عن أحد بمدك ويقال جزت عنك شاة : أى قضت ، وبنو تميم يقولون أجزاء
عنك شاة - بالهمز - أى قضت ، وقيل فى قوله تعالى « لا تجزى نفس عن نفس
شيئاً » : لا تقضى .

(٢) الشكل - بالضم - جمع شكال ، وهو الحبل تشد به قوائم الدابة ؛ وبالفتح :
مصدر شكل الدابة إذا شدها بالشكال ، والظهور جمع ظهر ، والتصهال بمعنى الصمبل
أخرجه مخرج تسيار ونحوه : ضرب لنفسه للثل فى عجزه عن الكفاة بالفعل والاجترأ
عنه بالقول ، بفرس أحكم شكاه فمجز عن الجرى لكنه يسهل . يقول : إن لم يكن
عندى الفصل فعندى مكفاة بالقول يعنى إن لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور
فإنى أمدحك إلى أوان ذلك كما أن الجواد إذا شكل عن الحركة سهل شوقاً إليها ، وقال
المعري : إن كانت حالى ضيقة عن مكافأتك فعلا جزيتك قولاً وجعل التصهال مثلاً لثنائه
على المدوح : وكان « فاتك » هذا يسر خلافاً للأسود - كافور - وينطوى على بغضه
ومعاداته ، وكان أبو الطيب يحبه ويميل إليه ، ولكن لا يمكنه إظهار ذلك خوفاً
من كافور

وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ الْمَالَ فَرَحَنِي سَيِّئَانِ عِنْدِي إِكْتَارٌ وَإِقْلَالٌ (١)
 لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا، وَأَنْتَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بِمُحَالٍ (٢)
 فَكُنْتُ مَنِيْبَةً رَوْضِ الْحَزَنِ بِأَكْرَهُ
 غَيْثٌ بِغَيْرِ سَبَاحِ الْأَرْضِ هَطَالٌ (٣)
 غَيْثٌ يَبِينُ لِلنُّظَارِ مَوْفِعُهُ أَنْ الْعَيْوُثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَالٌ (٤)
 لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدُ فِطْنٍ لِمَا يَشْقُ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالٌ (٥)
 لَا وَارِثٌ جِهَاتٍ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ وَلَا كَسُوبٌ بَغَيْرِ السَّيْفِ سَثَالٌ (٦)

(١) سيان : مثنى « سى » بمعنى مثل ، والإكثار : الغنى ، والإقلال : الفقر : يقول ليس شكريك عن فرح بما أهديته لى ، لأن الغنى والفقر عندى سواء لقلة مبالاى بالدنيا قال ابن جنى : ما رأيت أبا الطيب أشكر لأحد منه لغفانك . وكان يقول حمل إلى ما قيمته ألف دينار فى وقت واحد .

(٢) بمحال : جمع باخل . يقول : إنما أشكر لأنى رأيت من الصبيح أن مجاد لى بالبر والنعمة وأنا بمحال بقضاء الحق ساكت عن الشكر والحمد : وقوله : « وأنا » يجوز فيه فتح الهمزة على العطف ، وكسرها على الحال .

(٣) الحزن : خلاف السهل . والسباح : جمع سبخة ، وهى الأرض لا تنبت لأنها ذات نر وملح ، وهطال : ساكب . يقول : لما وصل إلى بره ونعمته كنت كمنبت روض الحزن جاده بالبكرة غيث هطال فأفاده ، بضرة وذكاء . يعنى أن مطر بره لم يصادف منى سبخة لا تنبت ، وخص روض الحزن لأنها أنضر لبعدها عن العبار والنز والضيق والمعنى أن بره صادف منى من يعرف حقه ويذيع شكره .

(٤) يقول إن موقع إحسانه منى يبين للنظرين أن غيره من الحسينين يخطئون مواقع الإحسان لأنهم لا يقدوناه من يستأهله ويقوم بشكره . ولك أن تبقى العيوث على معناها الحقيقى : يعنى أن المددوح أحكم من العيوث لأنه يضع إحسانه فى موضعه أماهى فإنها تمطر التربة الصالحة والرديئة .

(٥) لما يشق : أى لما يصعب ، متعلق بفعال والسادات : جمع سادة ، جمع سيد .

(٦) وارث : صفة أخرى لسيد ، وسثال : طلاب ؛ وبغير السيف : صلة . سثال ، يقول : لا يدرك الهد إلا سيد لم يرث أباه مالا - والمددوح لم يرث أباه لأنه كان جوادا فلم

قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَفْهَمَهُ (١)
 تَدْرِي الْقَنَاةُ إِذَا أَهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ
 إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى الإِمْسَاكِ عَدَالٌ (٢)
 أَنْ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالٌ (٣)
 كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالٌ (٤)

مخلف مالا - ويمينه تجهل ماوهب لكثرتة ، وليس هو كسوبا ولا مثالا بغير السيف
 أى لا يطلب حاجته إلا بالسيف لما فيه من المشقة والمخاطرة بالروح

(١) الضمير في « له » للسيد ؛ والجملة : نعت آخر له : أى قال الزمان له - بلسان
 حاله - إن المال لا يبقى على مالكه ، ففهم هذه المقالة عنه وفرق ماله في سبيل المجد .
 وعبارة الواحدى : وقوله إن الزمان الخ : كلام مستأنف ؛ وعدال : مبالغة ، من العدل
 وهو اللوم . يقول : إن الزمان يلوم على البخل لأن البخل يفوت على نفسه كسب
 الحمدة والذكر باستبقاء ماله يساق . وقال ابن جنى : أكرم الناس من تعب في جمع
 الأموال بالسيف ثم يهبها بعد ؛ وقال التبريزى : من رأى المسكين وموتهم عن الأموال
 وتخليتها للأعداء فقد أراه الزمان فيهم العبر فكانه حذره عن الإمساك ، والزمان لم يقل
 قولا حقيقة ، وإنما رأى تصاريفه فاتعظ فكان كمن قال له .

(٢) القناة : الرمح والبيت في صفة السيد أيضا . يقول : يعلم الرمح في يده أنه سيشتق
 به خيل وأبطال إذ قد عوده ذلك .

(٣) فانك : هو اسم الممدوح ، وأراد بالكاف : كاف التشبيه الداخلة على « فانك »
 والنقصة : النقص . يقول : لا يدرك المجد إلا سيد صفاته هذه التي ذكرت ، ثم استدرك
 فقال : دخول الكاف عليه تنقص من قدره في الظاهر ، لأنه يوم أن له شبيها ، وإنما
 هو كالشمس إذا شبت بها أحدا ، والشمس لا شبيه لها وهذه الكاف هي التي يقال لها
 كاف الاستقصاء ، ذكرها أهل العربية ، ومثلوا لها بقولهم : من الحروف ما لا يقبل
 الحركة كالألف . وقال ابن جنى : إذا قيل كفانك ودخول الكاف منقصة جعل له
 شبيه ، فاتقص بذلك ، وإنما قولى كالشمس - وإن كانت لاشبيه لها والكاف زائدة -
 كقول رؤبة :

* لَوَاحِقُ الأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَلَقِ (١) *

(١) من أرجوزة لرؤبة أولها

* وَقَاتِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِيِ المَحْتَرِقِ *

راجعها في أراجيز العرب للبكرى ، وفي خزانة الأدب للبغدادي ؛ ولواحق
 الأقراب ؛ خاص البطون قد لحقت بطونها بظهورها ، والملقى : الطول ؛

الْقَائِدِ الْأَسَدِ غَذَّتْهَا بَرَائِنُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ هِدَاهُ وَهِيَ أَشْبَالُ^(١)
 الْقَاتِلِ السَّيْفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ وَالسَّيْفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ^(٢)
 تَغْيِيرُهُ عَنْهُ عَلَى الْفَارَاتِ هَيْبَتُهُ وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الْأَرْضِ أَهْمَالُ^(٣)

أى فيها مقق ، وهو الطول ، ولا يقال فيها كالطول إلا على زيادة الكفاف وقد أنكر الواحدى كلام ابن جنى هذا وقول : لم يعرف ابن جنى وجه دخول الكفاف في كفاتك ، فقال الكفاف ههنا زائدة ، وإعما معناه وتقديره : فأتك أى هذا المدوح فأتك ، مع أن جميع البيت مبنى على هذه الكفاف ، فكيف يقام إنها زائدة ؟ وعجاجة الإمام التبريزى : لا يدرك المجد إلا رجل صفاته هذه التى ذكرت ، ثم شبهه بفاتك ثم استدرك ذلك بقوله : ودخول الكفاف منقصة : أى كاف التشبيه الداخلة على « فأتك » : أى أن دخول الكفاف عليه ينقص من قدره ولأنه يوم أن له شبيها ، وليس له شبيه ، فهو كالشمس ، يشبه بها الشيء المستحسن على الظاهر ، وليس لها مثل .

(١) البرائن من السباع والطيور بمنزلة الأصابع من الإنسان ؛ وبمثلها صلة غذته . والأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد . يقول : الذى يقود إلى الحرب رجلا م أسود تغدوم برائنه - عني سيوفه وسلاحه فهين له كالبرائن . - رجال مثلهم من الأعداء أى أنه بضمهم الأبطال وجعلهم كالأشبال له لأنه يقوم بتغديتهم ، قال الشراح : بشير إلى غلمانة الذين رباهم وضراهم بأسلاب أعدائه منذ كانوا أشبالا إلى أن صاروا أسدا .
 (٢) به صلة القاتيل ؛ والسيوف خبر مقدم عن آجال . وقوله كما للناس : فما مصدرية وللناس : خبر عن محذوف ، والتقدير : لسيوف آجال كما للناس آجال . يقول : لجودة ضربه يقتل المقتول ويقتل ما يقتله به وهو السيف . يريد أنه يكسره في جسمه . فجعل ذلك قتلا للسيف ، ثم قال : وإن لسيوف آجالا كما أن للناس آجالا .

(٣) وماله : يريد نعمه ؛ والأهمال : جمع همل ، وهى الإبل بلا راع . قال الجوهري الحمل - بالتحريك - الإبل بلا راع : مثل النفس ؛ إلا أن الحمل يكون ليلا ونهاراً ، والنفس لا يكون إلا ليلا ، يقال إبل همل وهاملة وهمال وهوامل ، وتركها هملا أى سدى إذا أرسلتها ترعى ليلا بلا راع . وفى المثل : اختلط المرعى بالحمل . والمرعى : الذى له راع يقول : إن هيبته تمنع الإغارة ، على ماله فكأنها تغير على الفارة وماله سهمل لاراعى له بأقاصى الأرض لا يغار عليه لهيبته . ويجوز أن يكون المعنى : أن القوم يغيرون على الأموال فيحملونها إليه هيبة له ، فكان هيبته تغير على غارة غيره ، ثم قال : وماله بأقاصى الأرض أهمال لا يغار عليها . وحملة المعنى أنه - لجلالة قدره ونباهة شأنه وعظمه فى النفوس - تنهيه الفرسان فى غاراتها فلا تقدم على مقاتلة أهماله .

لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ

عَيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنَسَاءٌ وَذِيَالٌ^(١)

تُمْنِسِي الضُّيُوفَ مُشَاهَةً بِمَقْوَمِهِ كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي الْعَلِيبِ آصَالٌ^(٢)

لَوْ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا خَرَادِلٌ مِنْهُ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالٌ^(٣)

(١) العير : حمار الوحش ، وهو بدل تفصيل من « ما » ؛ والهيق : الظليم - ذكر النعام - والخنساء : البقرة الوحشية ، سميت بذلك لخنس أنفها - والخنس قريب : من الفطس ، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه . والذيال : الثور الوحشى لأنه يجر ذنبه كالذيل . يقول : يقدر على صيد ما يختاره من الوحش لحذقه واقتداره ، وجعل الاختيار للأسنة مجازاً ، لأنه يطلب الصيد بها ، فكأنها هي التي تختار . وعبارة العكبرى : يعنى أنه كان ملازم الحروب في الفلوات ، وكان يتقوت بلحوم الوحش ، وكان عارفاً بصيدها ، فما اختاره منها لا يفوت رغبته ولا يسبق أسنته .

(٢) مشاهة : أى تعطى ما تشبهه ، وإنما يقال في هذا المعنى أشباه - بالالف - تقول تشبهت المرأة على زوجها فأشهاها : أى أنالها شهواتها ، ولكن التنبي استعمل « فعل » في موضع « أفعل » والقوة : الساحة . والآصال : جمع أصل : جمع أصيل ، آخر النهار ، وهو مستطاب لدى العرب لغروب الشمس وانقطاع الحر وهبوب النسيم . يقول : إن أضيافه يعطون ما يشتهون إذا نزلوا بداره فتطيب أوقاتهم عنده كأنها آصال ؛ وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

أَيَّامَنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ وَاللَّيَالَى كُلُّهَا أَشْحَارُ

(٣) القارى : الضيف ، وقاريها : يعنى المدوح ، والخرادل القطع - كأنها مقصورة فمن قولهم : لحم خراديل : أى مقطع - وهو من الجموع التي لا واحد لها والقدال فيه : لفة . وقال كعب بن زهير :

يَفْدُو قَيْلَحِمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلٌ^(١)

(١) من قصيدة « بانت سعاد » التي مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أسدا . يقول : يذهب هذا الأسد أول النهار يتطلب صيداً لولديه فيطعمهما لحما . والعيش هنا : القوت ؛ ولحم ، معفور : أى ملقى في العفر - بفتحين - وهو التراب ؛ وخراديل : مقطع .

لَا يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِي مَالٍ وَلَا وَلَدٍ إِلَّا إِذَا حَفَرَ الْأَضْيَافَ تَرْحَالٌ^(١)
يُرْوَى صَدَى الْأَرْضِ مِنْ فَضَلَاتٍ مَا شَرِبُوا
تَحَضُّ اللُّقَاحِ وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالٌ^(٢)
تَقْرَى صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ عَنَبَطَ دَمٍ
كَأَنَّهَا السَّاعُ نُزَالٌ وَقُفَالٌ^(٣)

والأوصال : جمع وصل ، وهو العضو ؛ والشيزى : خشب أسود تعمل منه الجفان -
القصاع - يقول : لو اشتهت أضيافه لحمه لما بخل به عليهم ولأتامم وشيكا ، قطع من لحمه
حرصاً منه على مسرتهم . قال العكبرى : وهذا من الإفراط الذى يجسر فيه بما لا يكون
إشارة إلى اسنيفاء الغاية فيما يمكن .

(١) الرزء : المصيبة وحفره واحتفره : دفعه من خلفه يحفره حفزاً ، قال الراجز :

تَرِيحٌ بَعْدَ النَّفْسِ الْمَحْفُوزِ إِرَاحَةٌ الْجَدَايَةِ النَّفُوزِ^(١)

يقول : إن المصيبة عنده فى المال والولد هى ارتحال الأضياف من داره أى أنه يتاله
بن ذلك ما ينال من يرزأ فى ماله وولده .

(٢) الصدى : العطش . وكان الوجه أن يقول فضلات - بفتح الصاد - ولكنه
سكنها للضرورة . والمحض من اللبن : الخالص الذى لم يشب بماء ؛ واللقاح : جمع
لقحة ؛ وهى الناقة الحلوب ؛ ومحض اللقاح : فاعل يروى . وأراد صافى اللون : الحمر
والسلسال : الذى يسهل جريه فى الحلق . يقول : إنه يكثر لهم من اللبن والحمر فيفضل
عنهم ما يروى الأرض من سؤر أقداحهم الذى يراق ، وقال ابن جنى : إذا انصرف
أضيافه أراق بقايا ما شربوه ولم يدخره لغيرهم . لأنه يلقي كل وارد بقرى جديد من
اللبن والحمر . وعبارة ابن الأقلبي : يروى عطش الأرض فضلات ما يسقيه أضيافه من
اللبن والحمر وما يتابع لهم من الأظاف والبر ، فيفضل عنهم من ذلك ما يقوم للأرض
مقام السقى . وما يحل لها محل المطر ، وهذا التفسير وما ذهبنا إليه قريب من قريب ،
وهو أوجه مما ذهب إليه ابن جنى .

(٣) تقرى : تضيف ؛ وصوارمه : سيوفه ؛ والعبط والعبيط : الطرى من الدم ،
والساع : جمع ساعة . ونزال وقفال : الاضياف - منهم من ينزل ، ومنهم من يرحل .

(١) يريد بالنفس المحفوظ : النفس الشديد المتتابع كأنه يحفز : أى يدفع والجداية :
الظبية ؛ ونفز الظبي : جمع قوائمه ثم وثب .

تَجْرِي النُّفُوسُ حَوْلَيْهِ مُخْلَطَةً مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَأَبَالٌ^(١)
لَا يَحْرَمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلَهُ وَعَبِيرٌ عَاجِزَةٌ عَنْهُ الْأَطْفَالُ^(٢)
أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَّةٌ وَالْبَيْضُ هَادِيَةٌ وَالشَّمْرُ ضَلَالٌ^(٣)

قال الواحدى : كل ساعة تأتى عليه يحدد فيها ذبحها ، كأن الساعات تزال ينزلون عليه ؛
وقال : رجوعا من سفر : يعنى أنه لا يطعم أضيافه اللحم القرب ، بل يحدد لهم الدجج
والنحر كل ساعة فيجرى دما عبيطا ؛ وقال ابن جنى : يقول هو كل ساعة يربق دما
طريا من أعدائه ، فكأنه يقرى الساعات ، وكأنها قوم ينزلون عليه . فجعل ابن جنى
الدم العبيط من الأعداء .

(١) أراد بالنفوس : الدماء قال السموهلى بن عادياء .

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلٌ^(١)
وأغنام : جمع غنم ؛ وآبال : جمع إبل . يقول : تجرى الدماء حوله مختلطة دماء
الأعداء بدماء الذبائح للأضياف ، كما قال البحرى :

مَا انْفَكَ مُتَضَيِّعًا سِنْفِيَّ وَغِيَّ وَقِرِّي عَلَى الْكُوَاهِلِ تَدَمَّى وَالْعَرَاقِيبِ
(٢) نائله : عطاءه . والأطفال : تصغير أطفال يصف عموم بره ، وأن القريب
والبيد فيه سواء ، حتى الأطفال التى لا تقدر على النهوض إليه والتعرض لمروفه ،
فبره يصل إلى كل أحد .

(٣) الأقران جمع قرن ، وهم الأكفاء فى الحرب . والبيض : السيوف . والظبة :
حد السيف . وهادية - من هدى اللازم - أى مهتدية . والسمر : الرماح . يقول :
إذا التقى الجيشان جيشه وجيش عدوه ، وتدانى الفريقان فأصبحت السيوف هادية -
لأنها تمضى قدما على استواء - والرماح ضالة لأنها تذهب يمينا وشمالا فى الطعن ، وهو
الطعن الشزر . فهو أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ سَيْفًا فى أقرانه . وقال العسكبرى : أراد أن القوم
إذا دنا بعضهم من بعض تجالودوا بالسيوف ، فكأن الرماح ضالة فى الرجال ، فقصرت
الرماح وضلت عن مقاصدها ، وضاق المجال عن التطاعن بها ، وصار الامر إلى المجالدة

(١) من آياته التى يقول فى مطلعها :

إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عَرْضُهُ فَكُلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
والظبابة جمع ظببة ؛ حد السيف والسنان والنصل والخنجر ، وما أشبه ذلك .

يُرِيكَ نَجْوَاهُ أَضْمَافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرَّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْآلُ^(١)
 وَقَدْ يُلْقِيهِ الْمَجْنُونُ حَاسِدَهُ إِذَا اخْتَلَطْنَ وَبَغَضُ الْعَقْلِ عُقَالُ^(٢)
 يَرِي بِهَا الْجَيْشَ لَا بُدَّ لَهُ لَهَا مِنْ شَقِّهِ وَلَوْ أَنَّ الْجَيْشَ أَجْبَالُ^(٣)

بالسيوف فصارت السيوف هادية مبصرة ، والرماح ضالة مقصرة ، حينئذ يكون أمضى الفريقين .

(١) الآل : السراب . يقول : إذا اخترته رأيتته يربى أضمافا على ما أراك منظره . ثم قال : وفي الرجال الماء والآل : يعنى فى الرجال من هو كالماء أى رجل على حق الرجال وفهم من هو كالآل : أى يشبه الرجال بصورته ، وليس عنده ما عندهم من المعانى ، كالآل ، يشبه الماء وليس بماء .

(٢) اختلطن : أى البيض والسمر . والعقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها يمنعها من اللنى . يقول : إذا اختلطت السيوف والرماح لدى الحرب لقبه حاسده بالمجنون حسدا له على فرط شجاعته التى تشبه الجنون ، والعقل ليس فى كل وقت محموداً ، لأنه فى مثل هذه الحال يمنع من الإقدام ، فيكون لصاحبه كالعقال قال ابن جنى : ولم يفضل الجنون على العقل بأحسن من هذا ، وقال العكبرى : كان «فاتك» يلقب بالمجنون ، ففسره أبو الطيب تفسيراً أذهب قبحه وحسن عند النسكر له أن يلقب بمثله . وقد نظر فى لفظ البيت إلى قول أبي تمام :

رَأَى بَيْنَ حَيْطَانَا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أَوْلَيْكَ عُقَالَاتُهُ لَا مَعْلَقَهُ^(١)
 وفى معناه إلى قول الكلابى :

أَلَا أَيُّهَا الْمَغْتَابُ عِرْصِي تَعْمِينِي تُسَمِّينِي الْمَجْنُونَ فِي الْجِدِّ وَاللَّعْبِ
 أَنَا الرَّجُلُ الْمَجْنُونُ وَالرَّجُلُ الَّذِي بِهِ تُتَقَى يَوْمَ الْوَعْدِ غِرَّةُ الْحَرْبِ

(٣) يقول : يرمى الجيش الذى يناصره بالبيض - السيوف - ولا بد له ولتلك السيوف من شق ذلك الجيش ، ولو كان فى القوة والثبات كالجبال ، فالضمير فى «بها»

(١) عقالاته : قيوده . وقبل البيت :

إِذَا مَارَقْتُ بِالْفَدْرِ حَاوِلَ غَدْرَةَ فَذَلِكَ حَرِيٌّ أَنْ تُثِمَّ حَلَالُهُ
 فَإِنْ بَاشَرَ الْأَسْحَارَ فَالْبَيْضُ وَالْقَنَا قَرَاهُ وَأَحْوَاضُ الْمَنَافِيَا مِنْهَا

إِذَا الْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمْ حِلْمٌ وَرِئَابٌ^(١)
يُرْوَعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرَفُهُ أَبَدًا
مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَفْتَالٌ^(٢)
أَنَالَهُ الشَّرْفَ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَنَّى نَالُوا^(٣)
إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حَلِيَّتَهُ مُهَنْدٌ وَأَصْمُ الْكَعْبِ عَسَالٌ^(٤)

البيض ، قال بعض الشراح : الضمير للخيل ، وقوله : لا بد بالرفع على إعمال « لا »
عمل « ليس »

(١) نشبت : علقته ؛ والمخالب ، للسبع والطيور ؛ بمنزلة الظفر للانسان ، أثبت
له المخالب على إصممار تشبیهه بالأسد والحلم : الأناة والعقل . والرياب : الأسد . قال
الواحدى : هذا كأنه عذر للذى يلقيه بالمجنون من أعدائه ، لأنهم يرونه كالأسد فى الشجاعة
والأسد لا يوصف بالحلم . كذلك هذا المدوح : يبعد عنه الحلم إذا قاتل الأعداء .
يقول : هو أسد على أعدائه إذا أنشبت فيه مخالبه زايه الحلم . لأن الحلم والأسد
لا يجتمعان ، وقال ابن القطاع : إذا أنشب مخالبه فى قوم ذهب عنهم التدبير والشجاعة .
(٢) يروعهم : يفرعهم ؛ ومنه : تجريد ؛ وصروف الدهر : حدثانه ؛ والاعتبال
الإهلاك على غفلة . يقول : هذا المدوح دهر يقول الأعداء ، إلا أنه يفولهم جهاراً ،
أما الدهر فإنه يتال بصروفه ولا يؤذن بخطوبه ، وجعله كالدهر تعظيماً لشأنه ، ثم بالغ
وفضله على الدهر .

(٣) « ما » : خبر مقدم عن « الذى » ؛ ونالوا : الضمير للعدى ؛ والجملة صلة « الذى »
يقول : هو بجرأته وإقدامه واقتحامه الحروب والمهالك نال الشرف الأعلى ، فما الذى
نال أعداؤه بإحجامهم وتوقهم ما يأتبه من المخاوف والأهوال ؟

(٤) المهند : السيف الهندى القاطع . وأصم الكعب : الرمح ؛ والأصم : الصلب ؛
والكعب ؛ الناشز بين أنبوي الرمح . والعسال : المهتز المضطرب . يقول : إذا تزينت
للملوك بالتيجان ونحوها زين هو بالسيف والرمح . يعنى أنه احتاز الرياضة مغالبة بنفسه
واستحقها بشجاعته وإقدامه . هذا . و« حليته » تروى بالنصب على أنه خبر كان ،
و « مهند » اسمها ، وهو وإن كان نكرة إلا أنه عطف عليه ، فكأنه أراد وصفه ،
فقربه من المعرفة ، وتروى « حليته » ، بالرفع ، فتكون مبتدأ . خبرها ما بعدها .
والجملة خبر كان ، واسمها ضمير الشأن أو ضمير المدوح .

أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجَمَانَ قَاطِبَةٌ هَوْلٌ تَمَّتْهُ مِنْ التَّهِيَّاءِ أَهْوَالٌ (١)
 تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِفَتْخِيرٍ فِي الْحَمْدِ حَاءٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا دَالٌ (٢)
 عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَائِيلُ مُضَاعَفَةٌ وَقَدْ كَفَّاهُ مِنَ الْمَازِي سِرْبَالٌ (٣)
 وَكَيْفَ أَسْتَرُمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ وَقَدْ عَمَرْتَ نَوَالًا أَيُّهَا النَّالُ (٤)
 لَطَفْتَ رَأْيِكَ فِي بَرِّي وَتَكَرَّمَتِي إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الصَّلِيَاءِ يَحْتَالُ (٥)
 حَتَّى غَدَوْتَ وَاللَّأَخْبَارِ تَجْوَالُ وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَفْنِكَ آمَالُ (٦)

(١) أبو شجاع . كنية المدوح ، وهو خير عن هذوف . أى هو أبو شجاع وأبو الشجمان . بدل وقاطبة . جيعا ، والمهول . ما أخف وأفرح وهو خير آخر ونمته . غذته وربته أو نسب إليها ، يقال . نساء جد كريم ونمته إلى فلان . والهيحاء . الحرب يقول . هو أبو شجاع كنية ، وهو أبو الشجمان كلهم حقيقة لأنهم كلهم دونه ، وهو هول عند الحرب في أعين الأعداء . ونمته أهوال الحرب لأنه نشأ فيها فصارت له كالغذاء ، أو قد صار ينسب إليها ويعرف بها .

(٢) يقول : إن الحمد كله له وليس لغيره جزء منه . يعنى أنه الممجد في أفعاله وأقواله وليس محمد دونه أحد .

(٣) السربال : الثوب ؛ والمآذى : الدرع اللينة . يقول : يكفيه في الحرب سربال واحد من الدرع ، أما الحمد فعليه منه سرايل كثيرة : يعنى أنه يتوقى الدم بأكثر مما يتوقى الحرب .

(٤) أوليت : أعطيت ؛ والنوال : العطاء ، وهو تمييز . والنال : للرجل الكثير النوال ، وهذا كما يقال : كبش صاف : أى كثير الصوف ، ويوم طنان : أى كثير الطين ويوم راح : كثير الريح ؛ ورجل خاف : كثير الخوف . يقول : أستطيع أن أستر إحسانك وقد غرقفتى فيه : أى هو أشهر من أن يستتر .

(٥) يقول : توصلت إلى إكرامى بالبر والإحسان بلطف وتديير ورأى تحصيلاً لثنائى عليك ؛ وكذلك الكريم : يحتال على تحصيل ما يفيد شرفاً وذكراً ، يشير إلى ما وصله به «فانك» وأنه كان وسيلة لاستئذان كافور في مدحه ، لأن أبى الطيب لم يكن محسراً أن يمدحه ابتداء خوفاً من كافور .

(٦) غدوت - هنا - تامة ، والتجوال : مصدر بمعنى الجولان . يقول : لم تزا

وَقَدْ اطَّالَ ثَنَائِي طُولَ لَابِسِي إِنْ الثَّنَاءِ عَلَى التَّنْبَالِ تِنْبَالٌ^(١)
إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَخْتَالَ فِي بَشْرِ
فَإِنَّ قَدْرَكَ فِي الْأَقْدَارِ يَخْتَالَ^(٢)
كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالٌ^(٣)
وَلَا تَمُدُّكَ صَوَانَا لِمُهْجَتِهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي الرَّوْعِ بَذَالٌ^(٤)
وَلَا التَّمَشُّقَةَ سَادَ النَّاسِ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قِتَالٌ^(٥)

تختال على العلياء حتى غدوت والأخبار تهول في الأفاق بحسن ذكرك والثناء عليك ،
وصار لكل أحد أمل في كفيك حتى السكواكب تأملك .

(١) التنبال : القصير ، وجمه تنابل وتنايلة ، لما جعل الثناء لباساً للمدوح : عبر
عن طول معانيه بطول المدوح وعن قصرها بقصره . يقول : إنما طال ثنائي لطول
ما يتضمنه من وصف مناقب للمدوح . وعبارة الواحدى يقول : مدح العريف يشرف
الشعر ، ومدح اللئيم يؤدي إلى لؤم الشعر ، يعنى أن شعري قد شرف بشرف هذا
المدوح . وزاد على ذلك العكبري فقال : أى قد طال لسانى بالثناء ، وفتح لى باب
المدح والإطراء ، جلالة قدر من مدحته ، وكثرة فضائل من وصفته ، وإنما أنا فى
ذلك ذاكر لما عاينت والثناء إنما يقصر عن القصير الحال ، الراغب عن الكرم والإفضال
(٢) اختال الرجل : أدركه الزهو والعجب فشى الخيلاء . تختال وقوله أن تختال
أى عن أن تختال تخذف . يقول : إن كنت لكرمك وتواضعك وفضلك ترفع عن
عن الكبر والعجب بين الناس ، فإن قدرك تختال ويزهى بين أقدار الناس ، لأنك
أعظم قدراً من كل أحد .

(٣) المفضال : الكثير الفضل . يقول : لما جبلت عليه من الكرم وعلو الهمة
كانت نفسك كأنها لا ترضاك صاحباً لها حتى تفضل كل مفضل وتربى عليهم .

(٤) المهجة : دم القلب . والروع : الفزع . والبذال : مبالغة من البذل ، ضد
الصيانة . يقول : وكان نفسك لا تمدك قائماً بحق صيانتها حتى تبذلها وتجوذبها فى
الروع فتقتحم المهالك ، وتعرض لمواجهة الحروب والتألف .

(٥) يقول : لولا أن فى السيادة مشقة لصار الناس كلهم سادة ، ثم بين المشقة التى
السيادة ، فقال : من جاد افتقر ، ومن أقدم على الحرب قتل ، ولا سيادة دون

وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانَ طَاقَتَهُ مَا كُلُّهُ مَا شِئَ بِالرَّحْلِ شِمْلَالٌ^(١)
 إِنَّا لِنَبِيٍّ زَمَنُ تَرْكِ الْقَيْحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ^(٢)
 ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الْثَانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفَضُولُ الْقَيْشِ أَشْقَالٌ^(٣)

الجود والشجاعة . والبيت مفرع على البيتين السابقين - كما لا يخفى - وهو من قول منصور العمري :

الجودُ أحسنُ مسأيا بني مطرٍ من أن تَبُرَّ كُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلَبٍ
 ما أعلمُ الناسَ أن الجودَ مكسبةٌ للمجد لكنه يأتي على النسب

(١) الطاقة : اسم - من أطاقه : إذا قدر عليه - والشملال : الناقة القوية الحفيفة المشى السريعة . يتذر عن لم يسد من الناس . يقول كل إنسان يجرى في السيادة على على قدر طاقته ، فليس كل أحد أهلا للاضطلاع بأعباء السيادة حتى يستطيع أن يسود . ويبلغ مبلغ المدوح ، كما أنه ليس كل ناقة مشت بالرحل شملا لا .

(٢) يقول : من يتجنب معك التبجح ولا يعاملك به في هذا الزمان فقد أحسن إليك وفعل جملا ، اكثرة من يعاملك بالتبجح ، وقد أخذ هذا المعنى أبو فراس فقال .

وصرنا نرى أن المتاركَ مُحْسِنٌ وأن خليلا لا يضرُّ وصول

وقال العكبري : وهذا من قول الحكيم « من لم يقدر على فعل الفضائل فلتسكن فضائله ترك الرذائل » .

(٣) يقول : إذا ذكر الإنسان بعد موته كان ذلك حياة ثانية له ، و يحتاج إليه في دنياه قدر القوت ، وما فضل عن القوت فهو شغل له لا حفل به ولا غناء فيه ، كما قال سالم بن وابصة :

غنى النفس ما يكفيك من سدِّ خَلَّةٍ فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

قال ابن جنى : مثله ما يحكى عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز أنه رؤى يستقي ماء فقيل له : بعد الخلافة ؟ فقال إنما فقدنا الفضول ..

تم - جون الله - الجزء الثالث ؛ ويليهِ إن شاء الله - الجزء الرابع

فهرست

قوافي الجزء الثالث من شرح ديوان المتنبي

صفحة

مطلع القصيدة :

٣

أركائب الأحباب إن الأدمعا . . . اليرما

١٢

الحزن يفلق والتجمل يردع . . . طيع

٢١

بأبي من وددته فافترقنا . . . اجتمعا

قافية الفاء

٢٢

موقع الخيل من نذاك طفيف . . . الوف

٢٣

أهون بطول الثواء والتلف . . . يا أبا دلف

٢٥

لجنية أم غادة رفع السجف . . . شنف

٣٥

به وبمثله شق الصفوف . . . الحتوف

٢٥

ومنتسب عندي إلى من أحبه . . . حفيف

٣٦

أعددت للغادرين أسيافا . . . آنافا

قافية القاف

٢٩

أيدري الدمع أي دم أراقا . . . شاقا

٤٨

لمينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي . . . وما يقي

٦٥

تذكرت ما بين العذيب وبارق . . . السوابق

٧٣

أرق على أرق ومثلي بأرق . . . تترقق

٨١

أي محل أرتقى . . . أتمقى

٨٢

هو البين حتى ما تأتي الحزائق . . . أطارق

٩٠

وجدت اللدامة غلاية . . . أشواقه

١١

وذات غدائر لا عيب فيها . . . للعناق

٩١

سقاني الخمر قولك لي بحقى . . . بمذق

مطلع القصيدة .

صفحة

٩٢

ما للروج الخضر والحدائق ... العوائق

٩٨

قالوا لنا مات إسحاق فقلت لهم ... الحمق

١٠١

أراها لكثرة العشاق ... في المآقي

١١١

لام أناس أبا العشار في ... والورق

قافية الكاف

١١٣

رب نجيع بسيف الدوله انسفكا ... ملكا

١١٣

إن هذا الشعر في الشعر ملك ... فلك

١١٥

أما ترى ما أراه أيها الملك ... حبك

١١٥

بكيت ياربسع حتى كدت أبكيكا ... مفايكا

١٢٠

تتنا بصور أم نهننها بكا ... لك

١٢١

لم تر من نادمت إلا كا ... ذاكا

١٢٢

يا أيها الملك الذي ندماؤه ... لا ملكه

١٢٢

قد بلغت الذي أردت من البر ... عليك

١٢٢

لئن كان أحسن في وصفها ... لك

١٢٣

فدى لك من يقصر عن مداكا ... فداكا

قافية اللام

١٣٦

رويدك أيها الملك الجليل ... تنيل

١٤٠

نعد المشرفية والعوالي ... قتال

١٥٢

إلام طماعية العاذل ... للعاقل

١٦٣

أعلى الممالك ما يبني على الأسل ... كالتقبل

١٧٠

بنا . نك فوق الرمل ما بك في الرمل ... يبلى

١٧٩

لا الحلم جاد به ولا بمثاله ... وزباله

١٩٠

يؤم ذا السيف آماله ... أفضاله

١٩١

أيقده في الحيمة العذل ... يشمل

١٩٨

أجاب دمي وما الداعي سوى طلل ... والأبل

٢١٢

أقل أنل إن صن احمل على سل أعد ... صل

صفحة

مطلع القصيدة :

٢١٢	عش ابق اسم سد قد جد مرانه رف اسر نل .
٢١٣	شديد البعد من شرب الشمول ... النخيل
٢١٤	أتيت بمنطق العرب الأصيل ... قبلي
٢١٥	لقيت العفاه بأمالها ... بأجالها
٢١٦	وصفت لنا ولم نزه سلاحا ... التزال
٢١٧	ليالي بعد الظاهنين شكول ... طويل
٢٣٢	إن كنت عن خير الأنام سائلا ... فضاللا
٢٣٢	دروع ملك الروم هذى الرسائل ... ويشاغل
٢٤٢	إن يكن صبر ذى الرزية فضلا ... الأجلا
٢٥٤	ذى المعالي فليعلون من تعالى ... فللا
٢٦٧	مالنا كلنا جو يارسول ... للتبول
٢٧٩	لا تحسن الوفرة حتى ترى ... القتال
٢٨٠	عجب قياى ما لذكم النصل ... القتل
٢٨٢	أحيا وأيسر ما قاسيت ماقتلا ... عدلا
٢٩٠	قد شغل الناس كثرة الأمل ... شغل
٢٩١	قفا تريا ودقى فهاتا الهائل ... قائل
٢٩٥	أحببت برك إذ أردت رجلا ... قليلا
٢٩٦	عزب أسى من داؤه الحدق النجل ... قبل
٣٠٩	صلة المجر لى وهجر الوصال .. الهلال
٣١٧	ومنزل ليس لنا بمنزل ... الممثل
٣٢٥	أبعد نأى اللبحة البخل ... الإبل
٣٢٧	بقاى شاء ليس هم ارتحالا ... الجمالا
٣٤٩	فى الحد إن عزم الخليط رجلا ... محولا
٣٦٢	أرى حلالا مطواة حساناً ... اعتلالى
٣٤٦	عدلت منادمة الأمير عواذلى ... السائل
٣٦٥	بدر فقى لو كان من سؤاله ... ماله
٣٦٦	قد أبت بالحاجة مقضية .. تطويلها

مطلع القصيدة :

صفحة

٣٦٦

لك يا منازل في القلوب منازل ... أو اهل

٣٧٨

أمانكم من قبل موتكم الجهل ... النمل

٣٨٠

يا أكرم الناس في الفعال ... المقال

٣٨٠

أنا في كلام الجاهل ابن كيفنغ ... وسهولا

٣٨١

لا تحسبوا ربكم ولا طله ... قتله

٣٩٢

أخلف لا تكلفى مسيراً ... مالا

٣٩٤

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... الحال

المشحم
عفا الله عنه

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ آمَنَتْ هَذِهِ الطَّعْمَةُ بِالذِّقَّةِ وَالنَّبَسْطِ وَالِاسْتِيْعَابِ . بِمَحِثِ تَلَاوُثِ
فِي هَذَا الشَّرْحِ بِجَمِيعِ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّيِّ وَشَرَحَتْ فِيهِ الشَّوَاهِدَ وَالنُّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

المجلد الرابع

الناسخ دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

وقال يمدح أبا الفوارس دليبر بن لشكروز سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ،
وكان قد جاء إلى الكوفة لتقال الخارجي الذي نجم بها من بني كلاب ،
وانصرف الخارجي عن الكوفة قبل وصول دليبر إليها :
كَدَعَوَاكَ كُلُّ يَدِي صِحَّةَ الْمُقْبَلِ ،

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَذْرَى بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلٍ (١)
لَهْنِكَ أَوْلَى لِأَعْمٍ بِمَلَامَةٍ ، وَأُحْوَجُ مِنْ تَفْذِلِينَ إِلَى الْعَذْلِ (٢)
تَقُولِينَ مَا فِي النَّاسِ مِنْكَ عَاشِقٌ جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتَهُ بِجِدِي مِثْلِي (٣)
مُحِبٌّ كُنِّي بِالْبَيْضِ عَنْ مَرْهَفَاتِهِ ، وَبِالْحُسْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ (٤)
وَبِالشَّرِّ عَنِ شَمْرِ الْقَبَاغِ غَيْرِ أُنِّي جَنَاهَا أَجْبَائِي وَأَطْرَافُهَا رُسُلِي (٥)

(١) يقول - للعاذلة - : كل أحد يدعى لنفسه صحة العقل كما تدعين أنت : يعني أنك بلومك إياي تدعين أنك أصح عقلا مني ، ولكن ليس يعلم أحد جهل نفسه ، لأنه متى علم جهل نفسه لم يكن جاهلا .

(٢) لهنك : قال سيويه أصلها « لله أنك » وقال أبو زيد : أصلها « لإنك » مركبة من « لام التوكيد وإن » فأبدلت همزة « إن » هاء ، لئلا يجتمع حرفان للتوكيد في الصورة . يقول : أنت أولى باللوم وأحوج إلى العذل مني ، لأن من أحببته لا يلام على حبه .

(٣) منك : منصوب على الحال من عاشق ، لأن وصف النكرة إذا قدم عليها نصب على الحال . يقول : لما : إن وجدت محبوبي مثلا في الحسن وجدت لي مثلا في العشق : يعني كما أن محبوبي لا مثل له ، كذلك أنا . وقد فسر مراده فيما يلي .

(٤) عجب خبر عن محذوف ضمير التكلم . والبيض : النساء . والرهفات : السيوف . والضمير في « مرهفاته » للمحب . يقول : أنا عجب أحشق الحرب دون النساء . فإذا ذكرت البيض أردت بها السيوف ، وإذا ذكرت حسنهن كنيته به عن صقل السيوف .

(٥) يقول : وأكني كذلك بالسمر عن الرماح السمر . ويعني بجناها ما يجتني منها من للمعالي التي يرتقى إليها بالعرالي . يقول : فالمعالي هي أجباي ورسلي التي تتركب - بيني وبينها : هي الأسنه - الرماح - يريد : أي أخطب للمعالي بالرماح .

عَدِمْتُ فُوَادًا لَمْ تَبِتْ فِيهِ فَضْلَةٌ لِعَيْرِ الثَّنَائِيَا الْفَرُّ وَالْحَدَقِ النَّجْلِ (١)
فَمَا حَرَمَتْ حَسَنَاهُ بِالْمُهْجَرِ غِبْطَةً ، وَلَا بَلَقَتْهَا مِنْ شَكَى الْمُهْجَرِ بِالْوَصْلِ (٢)
ذَرِينِي أَنْزِلْ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَى

فَصَمْبُ الْعُلَى فِي الصَّغْبِ وَالسَّهْلِ فِي السَّهْلِ (٣)
تُرِيدِينَ لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً ، وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ لَبْرِ النَّجْلِ (٤)

(١) الثنايا : الأسنان التي في مقدم الفم . والفِر : البيض . والحدق : جمع حدقة ، سواد العين . والمراد بها العين . والنجل : الواسعة : يدعو على قلب يميل إلى الحسان بالعدم - فقد - يقول : لا كان لي قلب لا فضلة فيه لغير حب ثنايا الحسان وأحداقهن ولا ينزع من الأمور إلى أرفعها ، ويحل من منازل المجد والشرف في أجلها وأكرمها .
(٢) الغبطة : السعادة وحسن الحال . يقول : إن المرأة الحسناء إذا هجرت لم تحرم المهجور غبطة ، لأنها لو واصلته لم تبلغه الغبطة أيضا ، يريد أن الغبطة على الحقيقة إنما هي في كسب للمعالي ونيل المجد والشرف لا في نيل اللذات ومواصلة الغايات . فالهاء في « بلقتها » : مفعول أول بلغت ، وهي عائدة على الغبطة ؛ ومن شكى مفعول ثان ؛ وبالوصل : متعلق بيلغها ؛ ومن شكى المهجر هو العاشق : أي وإن واصلته لم تبلغه غبطة . وقال الخطيب التبريزي : نهى عن الحرص في طلب النساء . يقول : إذا هجرتها ثم وصلتها كنت أحسن موقفاً عندها وأنشط لها فزادت الغبطة ، وإذا شكوت إليها المهجر وتذلل لها هنت في عينها ؛ فحرمتك وصلها فضلا عن تبليخك الغبطة .

(٣) يقول - للعاذلة - : دعيني أنزل من العلى ما لم ينل قبلي ، فإن العلى الصعبة الشاقة - وهي التي لم يبلغها أحد - في الأمر الصعب الذي لم يركبه أحد ، وما يسهل وجوده يسهل الوصول إليه ، يعني لا يدرك من المعالي ما تجلي قيمته إلا بتسكف ما تعظم مشقته ، وما كان منها يقرب تناوله فيحسب ذلك يكون تساهله .

(٤) رخيصة : حال . والشهد - بفتح الشين وضمها - العسل . وإبرة النحل : شوكتها . يقول - للعاذلة - : تريدن أن أدرك المعالي رخيصة - أي دون أن أبذل فيها نفسي وأعرضها للأهوال - والمعالي لا تدرك كذلك ، فإن من حاول اجتناء الشهد قاسى لسع النحل ، ولا يبلغ حلاوة العسل إلا بمقاساة مرارة اللسع . وهذا كما قال العتابي :

حَدِرَتْ عَلَيْنَا الْمَوْتُ وَأَخْلِيلٌ تَلْتَقِي ، وَلَمْ تَعْلَمِي عَنْ أَيْ عَاقِبَةٍ تُجَلِي ^(١)
فَلَسْتُ غَيْبِنَا لَوْ شَرَيْتُ مَنِيَّتِي يَا كَرَامِ دَلِيلِ بْنِ لَشْكَرٍ وَزَلِي ^(٢)
تُمْرُ الْأَنْبَابُ الْخَطِوَاتِرُ يَدِينَنَا ، وَنَذْكَرُ إِقْبَالَ الْأَمِيرِ فَتَحَلُّوْا لِي ^(٣)

وإن جسيمات الأمور مشوبة بمستودعات في بطون الأسود ^(١)
هذا : وقال الواحدى : قرى على النبي لقمان - بضم اللام - وكذلك أملاه ،
وهو خطأ ؛ والصواب : الكسر . ذكره سيويه : وقال : هو مثل عرفان وغشيان
وحرمان ووجدان وإتيان ونحو ذلك .

(١) والخليل تلتقى : يروى والخليل تدعى : يريد أصحاب الخيل ؛ والجملة حالية ؛
والإدعاء في الحرب : الاعتزاء والانتساب - وهو أن يقول : أنا فلان ابن فلان :
وتجلى : تنفرج وتكشف ، يقال أجلت المركبة عن كذا قتيلاً : يقول : تخافين
علينا الموت عند التعام العرب وتبارز الفرسان ولم تعلمي عن أى طاقبة تنفرج الخيل :
أى هل تكون الدائرة علينا أو على العدو ؟ قال العكبري : يشير إلى الموقعة التي
شهدها في الكوفة مع الخارجى قبل وصول هذا المدوح إليها .

(٢) الغبين - - المغبون - فمیل بمعنى مفعول : كقتيل بمعنى مقتول من غبته في
البيع والشراء : خدعه وغلبه ، وشريت هنا : ابتعت ، ويروى شريت ، « ودلير »
و « لشكروز » : قال الواحدى . اسمان أعجميان من أسماء الديلم : ومعناها : الشجاع
والمسعود ، وقال اليازجى : « لشكروز » مركب من « لشكر » وهو الجيش
و « واواز » وهو الصوت : أى صوت الجيش . يقول : وطى فرض أن الدائرة
كانت علينا ، وكنت أنا من جملة المهلكى : لم أعد ذلك غبنا على ، وإنما أعده رجماً
مقابل ما حصلت عليه لنفسى من إكرام هذا المدوح .

(٣) أمر الشيء يمر إمراراً : صار مرأ ، ويقال مريم - بفتح اليم . وضيمها -
والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو ما بين كل كمينين : والمراد هنا : الرماح أنفسها وخطر
الريح اهتز ؛ و « تحلولى » تصير حلوة . يقول : إن الرماح الحاطرة بيننا وبين أعدائنا
نصير مرة علينا ، يعنى أن الحرب شديدة للبراة . فإذا ذكرنا إقبال الأمير صارت حلوة
لنا ، لأننا نظفر على الأعداء بدولته وإقباله . هذا : وقد عاب قوم عليه قوله « فتحلولى » مع
قوله « تجلى » وقالوا : كيف جمع بينهما فى القافية ولا صحة للواو ؟ قال الواحدى : وليس الأمر كذلك

(١) الأسود : الحيات

لأن الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح : مثل القول والمين ، وكذلك إذا انفتحا وسكن ما قبلهما : مثل أسود وأبيض ؛ وهذا مثل قول الكسعي (١)

يَاربُّ سَدَدَنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِن لَدَنِي لِنَفْسِي
* وَاَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي *

(١) الكسعي : نسبة إلى كسع كزفر ، وهم حمى من اليمن رماة ، أو من بني ثعلبة ابن سعد بن قيس غيلان ، واسمه غامد بن الحرث ، أو محارب بن قيس ، يضرب به للثل في الندامة ، قال الفرزدق :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَيْيِّ لَمَّا غَدَتُ مِنِّي مُطْلَقَةً نَوَارُ

وكان من حديثه أنه كان يرعى إبلا له في واديه حمض وشوحط فيما ربي نبعة حتى اتخذ منها قوسا ، وإما رأى قضيب شوحط نابتا في صخرة فأعجبه فجعل يقومه حتى بلغ أن يكون قوسا ، فقطعه ؛ وقال :

يَاربُّ سَدَدَنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِن لَدَنِي لِنَفْسِي

* وَاَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي *

أَنْحَتُ صَفْرَاءَ كَلُونِ الْوَرَسِ كَبْدَاءَ لَيْسَتْ كَالْقَسِيِّ التُّسْكَسِ

حتى إذا فرغ من نحتها برى من بقيتها خمسة أسهم ثم قال :

هِنَّ رَبِّي أَشْهُمٌ حِسَانُ يَلْدُ لِلرَّمِي بِهِ الْبَنَانُ

كَأَنَّما قَوْمَهَا مِيزَانُ فَأَبْشِرُوا بِالْخُصْبِ يَا صَبِيانُ

إِنْ لَمْ يُعْقِنِي الشُّومُ وَالْحَرْمَانُ

ثم خرج ليلا إلى قنطرة له - القنطرة : بيت الصائد - على موارد حمر الوحش ؛ فرمى عبراً منها ، فأنقذه . وأورى السهم في الصوانة ناراً ، فظن أنه أخطأ فقال :

أَعُوذُ بِالْمُهَيْمِنِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَكْدِ الْجَدِّ مَعَ الْحَرْمَانِ

مَالِي رَأَيْتُ السَّهْمَ فِي الصَّوَّانِ *

وقد قال البحترى

* إن سِيرَ الخليطِ حين استَقلا *

ثم قال في هذه القصيدة :

كُنْتُ من بين البرايا به أحق وأولى *

وقال ابن جنى : هذه قافية فيها فساد ؛ وذلك أن الواو في « مخلولى » ردف لأنها سا كنة قبل حرف الروى . وليس في هذه القصيدة قافية مرفعة غير هذه ، وهذا عيب عندهم ، بيد أنه جاء في الشعر القديم :

إذا كنت في حاجة مرسلًا فأرسل حكيمًا ولا توصو

يُورِي شَرَارَ النارِ كالمقيانِ أَخْلَفَ ظَنِّي وَرَجَا الصبيانِ

ثم وردت الجر ثانية فرمى غيرها منها فكان كالمضى من رمية فقال :

أعوذ بالرحمن من شرِّ القدرِ لا ببارك الرحمن في أمِّ القُترِ

أأمِطُ السهمَ لإرهاقِ الضرِّ أم ذاك من سوءِ احتمالٍ ونظرِ

* أم ليسَ يُعنى حَذَرٌ عندَ قدرٍ *

« المنط والإمقاط : سرعة النزع بالسهم » ثم وردت الجر ثالثة ؛ فكان كما مضى

من رمية فقال :

إني لشوئى وشقائى ونكدى قد شفت منى ما أرى حرَّ الكيدِ

أخلفت ما أرجو لأهلى وولدى *

ثم وردت الجر رابعة ؛ فكان كما مضى من رمية الأول فقال :

ما بال سهمي يُظهرُ الحبايبا قد كنت أرجو أن يكون صائبًا

إذ أمكن العيرُ وأبدي جانبًا فصار رأبي فيه رأيا كاذبا

ثم وردت الجر خامسة ؛ فكان كما مضى من رمية ، فقال :

أبعدَ خمسٍ قد حفظتُ عدها أحملُ قوسى وأريدُ ردها

وَلَوْ كُنْتُ أُذْرِي أَنَّهُ سَبَّ لَهُ لَزَادَ سُورِي بِالزِّيَادَةِ فِي الْقَتْلِ (١)

وإن بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوَى فَشَاوِرْ لِيَبِيًّا وَلَا تَعْصِبْ (١)

(١) يقول: لو كنت أعلم علما ليس بالظن أن هذه الفتنة التي دعت إلى إعمال الرماح تكون سببا لهيء المدوح إلينا والتلئ بقربه: لزاد سروري بزيادة الفتنة وكثرة القتل. قال المبكري: يشير إلى الوصية التي جرت بالكوفة ولم يشهدها المدوح وكانت سبب قدومه إلى الكوفة.

أَخْزَى إِلَهِي لِيَنَاهَا وَشَدَّهَا ، وَاللَّهِ لَا تَسْلَمُ عِنْدِي بَعْدَهَا
* وَلَا أَرْجِي مَا حَيَّيْتُ رَفْدَهَا *

ثم خرج من قترته حتى جاء بها إلى صخرة فضربها بها حتى كسرها ، ثم نام إلى جانبها حتى أصبح ، فلما أصبح ونظر إلى نبلة مضرجة بالدماء وإلى الحمر مصرعة حوله مض إبهامه فقطعها ، ثم أنشأ يقول:

نَدِمْتُ نَدَامَةً لَوْ أَنَّ نَفْسِي تَطَاوَعَنِي إِذَا لَبَّيْتُ خُصِي
تَبَيَّنَ لِي سَفَاهُ الرَّأْيِ مِنِّي لَمَمَرُ اللَّهِ حِينَ كَسَرْتُ قَوْسِي
(١) وبعدها:

وَلَا تَنْطِقِ الدَّهْرَ فِي مَجْلِسٍ حَدِيثًا إِذَا بَأْتِ لَمْ تُحْصِهِ
وَنُصِرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَإِنَّ الْوَثِيقَةَ فِي نَصِّهِ
وَإِنْ نَاصِحٌ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا ، فَلَا تَنَأَ عَنْهُ وَلَا تُقْصِصِهِ
وَكَمْ مِنْ فَتَى شَاخِصٍ عَقْلُهُ ، وَقَدْ تَعَجَّبَ الْعَيْنُ مِنْ شَخْصِهِ
وَأَخْرَعَ تَحْسِبُهُ جَاهِلًا ، وَيَأْتِيكَ بِالْأَمْرِ مِنْ فَصِّهِ

وهي لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، شاعر ضخم أدرك الدولة العباسية . ونص الحديث رفعه وأسنده ، والوثيقة في الأمر : إحكامه والأخذ بالثقة ، ونص الأمر : أصله وحقيقته . يقول : أنا آتيك بالأمر من فصي : يعني من مخرجه الذي قد خرج منه .

فَلَا عَدِمَتْ أَرْضُ الْعِرَاقَيْنِ فِتْنَةً
دَعَيْتَكَ إِلَيْهَا كَاشِفَ الْخَوْفِ وَالْحَلِّ (١)
ظَلَلْنَا إِذَا أَنْبَى الْحَدِيدُ نَصُولَنَا
بُجْرَدٌ ذِكْرُكَ مِنْكَ أَمْضَى مِنَ الْوَصْلِ (٢)
وَتَرْمِي نَوَاصِيهَا مِنْ أَسْمِكَ فِي الْوَعَى
بِأَنْفَذَ مِنْ نَشَابِنَا وَمِنَ النَّبْلِ (٣)
فَإِنْ تَكَ مِنْ بَعْدِ الْقِتَالِ أَتَيْتَنَا
فَقَدْ هَزَمَ الْأَعْدَاءُ ذِكْرُكَ مِنْ قَبْلِ (٤)

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وكاشف : لك أن تجعله منادى ، وأن تجعله حالاً . والخوف : يروي البأس ؛ والبأس : الفقر أو الشدة . والهل : الجذب . يدعو يقول : لا خلت هذه الأرض من فتنة تكون سبباً لورودك ، وداعية إلى مجيئك إليها حتى تكشف عنا الخوف بسطوتك والجذب بجود راحتك :

(٢) أنبي : جعلها نابية لا تنفذ ، والنصول : السيوف . يقول : إذا نبت السيوف بأيدينا وحال دون تقاضها كثرة سلاح أعدائنا ذكرناك فنفتت سيوفنا بدولتك ، وكان ذكرك أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ .

(٣) الضمير في « نواصيها » لحيل الأعداء - وإن لم يجر لها ذكر - وسكن الياء في « نواصيها » للضرورة . والوعى : الحرب ؛ والنبل : سهام العرب ؛ والنشاب : سهام العجم . يقول : إذا سميناك في الحرب انهزم أعداؤنا ، فكأن اسمك سهام تقع في وجوه أخيلهم ، فتكون أقتل لهم من نشابنا ونبلنا .

(٤) يقول : إن كنت أتيتنا بعد انقضاء الوقعة بيننا وبينهم ، ولم تشهد ما قصدت له من نصرتنا : فنحن إنما انتصرنا عليهم وهزمنام بذكرك قبل وصولك ، فأنت الغالب لأنحن . وجعل « قبلاً » نكرة فأعربها وكسرها كما قال الآخر :

وساغ لي الشرابُ وكنتُ قبلاً أكادُ أغصُّ بالماءِ الحميمِ (١)

(١) هو ليزيد بن الصعق ، وقبلة :

فَنِمْتُ اللَّيْلَ إِذْ أَوْقَمْتُ فِيكُمْ قِبَائِلَ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

وساغ لي الشرابُ « البيت »

وأغص : مضارع غصصت بالطعام غصصاً - من باب تمب - والنصة : ما غصص به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق ، لأنه مخصوص بالماء : يقال شرق بالماء وبريقه إذا لم ييلعهما ، والحميم ، الماء الحار - وليس المراد - بمن ثم قال أبو العباس ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن الحميم في هذا البيت ، فقال الحميم : الماء البارد ؛ فيكون الحميم إذن من الأضداد ، يكون الحار ويكون البارد .

وَمَازَلْتُ أَطْوَى الْقَلْبِ قَبْلَ اجْتِمَاعِنَا عَلَى حَاجَةٍ بَيْنَ السَّنَابِكِ وَالسُّبُلِ (١)
وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرْنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ غَرَائِبٍ يُؤَثِّرُنَ الْجِيَادَ عَلَى الْأَهْلِ (٢)
وَحَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بَوَاحِشٍ وَرَوْضَةٍ أَبَتْ رَعِيهَا إِلَّا وَمِرْجَلُنَا يَغْلِي (٣)
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْقَصْدَ فِي الْفَضْلِ شِرْكَةً

فَكَانَ لَكَ الْفَضْلَانِ بِالْقَصْدِ وَالْفَضْلِ (٤)
وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ (٥)

(١) السنايك : أطراف الحوافر، والسبل الطرق . يقول : مازلت أتوى زيارتك وقصدك قبل هذا الاجتماع ، وكان ذلك حاجة لا تنال إلا بقطع المسافة . فهي حاجة بين سنايك الحيل والطرق .

(٢) الجياد : الحيل ؛ ويؤثرن : يخترن . يقول : لو لم تسر إلينا لسرنا إليك بأنفس هي غريبة بين الناس لما فيها من الخلائق التي لا توجد في غيرها ، ومن ذلك أنها تؤثر السفر على الحضر والتعب على الدعة تحميلاً للمجد وعليا المراتب .

(٣) خيل : عطف على « تسى » ؛ والمرجل : القدر من نحاس . يقول : ولسرنا إليك بحيل سابقة طاردة للوحوش ، لا ترعى الرياض قبل صيد وحشها ؛ فإذا مررنا بروضة صدنا بها الوحش ونصبنا المرجل ثم رعت خيلنا : يعنى أن الكلال لا يصيب هذه الحيل بعد قطع المراحل فلا يمنعها من مطاردة الوحش وصيده قبل أن تسريح وترعى ؛ وهذا من قول امرئ القيس :

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وِلْدَانُ أَهْلِنَا تَمَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَّيْدَ تَحْطَبُ

(٤) في الفضل : متعلق بشركة . يقول : كانت نيتنا أن نقصدك والقصد مقترن بفضل القاصد : فلما اتفق مجيئك وكفيتنا بذلك مؤنة المسير إليك حصل لك فضلان : فضل كسبته بقصدك إلينا ، وفضل تنفرد به دون سائر الناس .

(٥) يتبع أصله : يتتبع ؛ فأسكن التاء الأولى وأدغمها في الثانية ، ومثله : اطير واثاقل : والوبل : للطر الغزير . والرأيد : الذي يرسله القوم يطلب لهم السكلا ومساقط الفيث . وقوله رأيد الوبل : من باب المشاكلة . يقول : ليس من يطلب الطر كمن مطر وهو في داره ، يريد أنهم بسبب مجيئه إليهم صاروا كمن مطر بيلده لا يتعنى بنشدان الموضع للمطور ، يعنى : ليس من يقصد الخير كمن يأتيه الخير عفواً بلا قصد ولا تعب ، وقال الإمام التبريزي : أنت كالسحاب الذي جاءنا مطره ولم يحوجنا إلى السفر لنرى ما أنبتة فيما بعد من الأماكن البعيدة التي تقصد للمرعى .

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدْعِي الشُّوقَ قَلْبُهُ وَيَحْتَجُّ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ (١)
 أَرَادَتْ كِلَابٌ أَنْ تَفُوزَ بِدَوْلَةٍ لِمَنْ تَرَكَتْ رَعَى الشُّوَيْهَاتِ وَالْإِبِلِ (٢)
 أَبِي رَبِّهَا أَنْ يَتْرُكَ الْوَحْشَ وَخَدَهَا
 وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبَّ الْخَلِيثَ مِنَ الْأَكْلِ (٣)

(١) يقول : لست كمن يدعى الشوق ثم لا يزور ويحتج بعوائق الشغل يعنى أن من يدعى الشوق إذا كان بهذه الصفة كان كاذباً في دعواه ، لأن من عاجل الشوق زار ولم يستبعد الدار : يريد أن المدوح لو تأخر عن الهجاء إلى الكوفة لقصده أبو الطيب ولم يحتج بالشغل ؛ ومما يتصل بهذا المعنى قول القائل :

بَعِيدٌ عَنِ الْكَسْلَانِ أَوْ ذِي مَلَالَةٍ وَأَمَّا عَلَى الْمَشْتَاكِ فَهِيَ قَرِيبٌ

(٢) كلاب : هي القبيلة الثائرة التي قصدت إلى الكوفة ؛ وقاتلها أهلها قبل قدوم هذا الديلمى المدوح . وقوله لمن تركت الخ : استفهام ، والشويهات جمع شوية ، تصغير شاة . يقول . إن بنى كلاب طلبوا الإمارة وهم رعاة إبل وغنم فإذا طلبوا الإمارة فلمن تركوا رعى الإبل والغنم ؛ يعنى أنهم ليسوا أهلاً لما طلبوه ، وإنما هم أهل للرعى .

(٣) يقول : أبى الله أن ينيلهم الإمارة وأن يؤمن الوحش من الصيد والضب من الأكل ، يعنى أنهم أهل بادية وديدنهم صيد الوحش وأكل الضباب الخبيثة المطعم ، وبأبى الله لهم إلا هذا ، لا الإمارة التي حاولوها . . . هذا : والضب معروف وجمعه ضباب وضباب وأضب ، مثل كف وأكف ، والأثني ضبة ، والعرب تستقدر الورد ، وهو دابة على خلفة الضب ، إلا أنه أعظم منه وتستخبه فلاتأكله ، وأما الضب فإنهم يحرسون على صيده وأكله ، وفي المثل أعق من ضب ، لأنه ربما أكل حسوله - أولاده - حين تخرج من بيضه ، ومن قولهم : لا أفعله حتى يرد الضب للواء لأن الضب لا يشرب الماء ، ومن كلامهم الذي يضعونه على ألسنة البهائم قالت السمكة : ورداً يا ضب ، فقال :

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرْدًا * لَا يَشْتَهِي أَنْ يَرَدَا * إِلَّا عَرَادًا عَرْدًا

وَصِلِّيَانًا بَرْدًا وَعَنْكَثًا مُلْتَبِدًا

« سرداً : أى بارداً ؛ والعراد : نبت صلب العيدان منتشر الأغصان ، يثبت في البادية ، وهو النخيل ؛ وعراد عرد : على المبالغة - والصليان : نبت كذلك ؛ وبردا : يريد بارداً ؛ ويروى زرداً : أى سريع الازدرداد ؛ والعنكث ، شجر يشبهه الضب فيسحبه بذنبه حتى يتحات فيأكل اللتحات »

وَقَادَ لَهَا دَلِيذُ كُلِّ طِيْمَرَةٍ
وَكُلَّ جَوَادٍ تَلَطَّمُ الْأَرْضَ كَفَهُ
فَوَاتٌ تُرِيغُ الْغَيْثَ وَالْغَيْثَ خَلَفَتْ
وَتَطْلُبُ مَا قَدْ كَانَ فِي الْيَدِ بِالرَّجُلِ

(١) الطمرة : الفرس العالية الوثابة . وتنيف : تشرف . والسحوق : النخلة الطويلة
يقول : قاد هذا المدوح لـكلاب كل فرس وثابة طويلة العنق كأن عنقها نخلة سحوق -
طويلة - قد أشرف خذاها من فوقها ؛ وهذا من قول الآخر :

كَانَ الْجِسْمَ لِلرَّائِبِينَ طُودٌ وَهَادِيهَا كَأَنَّ جِذْعَ سَحُوقٍ
هَذَا : ويقال نخلة سحوق وجبارة ومجنونة وباسقة ؛ يريدون الملو ، وأنها ممتعة
لا يصل إليها أحد إلا بالتعب ، وأنشدوا :

يَا رَبِّ أَرْسِلْ خَارِفَ الْمَسَاكِينِ عَجَاجَةَ سَاطِعَةِ الْعَثَانِينَ
* تنفضُ مَا فِي السُّحُقِ الْمَجَانِينَ *

« يعني بخارف المساكين الريح الشديدة التي تنفض لهم التمر من رؤوس النخل
وعثون الريح هيدبها إذا أقبلت تبحر البارجا » .

(٢) الجواد : الفرس الكريم ، وبأغنى : أي بمخافر أغنى ، لحذف الحافر للعلم به ؛
والحديد : بيان للنعل . يقول : وقاد لها كل فرس جواد ، قوى الأسر . شديد الخلق
بضرب الأرض بمخافر مستغن عن النعل بصلابة خلقته ، كما يستغنى النعل عن النعل .
وسمى حافره كفا : استعارة من الإنسان كما استعير للإنسان الحافر من الفرس في قول
جيبهء الأسدى يصف ضيفا طارقا أسرع إليه :

فَأَبْصَرَ نَارِي وَهِيَ شَقْرَاهُ أَوْقَدَتْ
فَمَا رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتَهُ
يَمْرِيهِ : يستخرج ما عنده من الجري .

(٣) ولت : أدبرت . والضمير : للقبيلة . وترىغ : تطلب . وخلفت : تركت خلفها .
يقول : إن كلابا هذه كانت قبل تمردها وطعمها في الإمارة في أمن ونعمة ، فلما طمعت في الإمارة
وجاءت إلى الكوفة محاربة هزمت وأدبرت هاربة تطلب غيثا - يعني أمنا ونعمة - خلفت
أمنا كان في يدها فصارت تطلب بأرجلها ما كان في يدها : أي تطلب بهربها وإغذاها - سيرها على

تُحَادِرُ هَزْلَ الْمَالِ وَهِيَ ذَلِيلَةٌ وَأَشْهَدُ أَنَّ الذَّلَّ شَرٌّ مِنَ الْهَزْلِ (١)
 وَأَهْدَتْ إِلَيْنَا غَيْرَ قَاصِدَةٍ بِهِ
 كَرِيمِ السَّجَايَا يَسْبِقُ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ (٢)
 تَتَّبِعَ آثَارَ الرِّزَايَا بِجُودِهِ تَتَّبِعَ آثَارَ الْأَسِنَّةِ بِالْقَتْلِ (٣)

أرجلها - ما كان حاصلًا في أيديها . فدلّت بذلك على جهل وحقق وقل ابن فورجه :
 يعني أنها كانت في غيث من أقطاع السلطان وإنعامه ، فلما عصوا وحاربوا انهزموا وولوا
 هارين يطلبون مأمنا وحصنا وقد خلفوا أمنا كان حاصلًا لهم . وقوله تطلب بأرجلها
 ما كان في أيديها ، أي تطلب بهربها وعدوها - جريها على أرجلها - ما كان حاصلًا في
 أيديها ، والمعنى أنها تطلب ما كان في أيديها آمنة مطمئنة بالانتقال والرحلة ، خائفة
 متوقفة ، فأشار باليد والرجل إلى الحالتين . هذا : ويقال أرأغ وارتاغ : بمعنى طلب
 وأراد ، تقول للرجل يحوم حولك : ماذا تريغ ؟ أي ماذا تريد وتطلب ؟ وفلان يريد
 كذا وكذا ويلبسه : أي يطلبه ويديره ، وأنشدوا :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

(١) المراد بالمال - هبنا - المواشي . والهزل - بفتح الهاء وضمها - الهزال : ضد
 السمن . وقد هزل الرجل والدابة - على ما لم يسم فاعله - وهزل هو هزلا وهزلا ،
 وهزله أنا أهزله هزلا فهو مهزول ، وأهزل القوم : أي أصابت مواشيم سنة - جذب -
 فهزلت . يقول : يحاذرون الهزال على مواشيم وهم قد ذلوا بالقتل والهزيمة ، وما لحقهم
 من الذل شر مما يحاذرون على أموالهم من الهزال .

(٢) به : متعلق بأهدت ؛ والباء تجريد ؛ وكريم السجايا : يعني المدوح والسجايا :
 الخلائق والطبايع يقول : أهدت إلينا كلاب - بتمردها وعصيانها - من المدوح كريم
 السجايا يسبق - في الإحسان - فعله قوله ، ويتقدم - في الإفضال - إنجازه وعده ، يعني
 أنها كانت سببا في قدومه إلينا ، وإن لم تقصد ذلك .

(٣) الرزايا : اللصائب . والأسنة : أسنة الرماح ؛ وآثارها : هي الجراحات التي
 تحدثها ؛ والقتل . جمع فتيلة ، وهي التي يجعل فيها الطبيب الرم ليوصله إلى الجرح .
 يقول : إنه جبر أحوال الناس وأصلح حالقهم من الرزايا والحسائر بسبب غارة بني كلاب
 وآسى جروحهم وداواها بجوده ، كما تؤاسى جروح الأسنة وتداوى بالفتائل ؛ وهذا ينظر
 إلى قول بشامة بن حزن النهشلي :

شَفَى كُلَّ شَاكٍ سَيْفُهُ وَنَوَّاهُ
 مِنَ الدَّاءِ حَتَّى النَّائِكَاتِ مِنَ الشُّكْلِ (١)
 عَفِيفٌ تَرُوقُ الشَّمْسُ صُورَهُ وَجْهَهُ
 وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقًا لِحَادِ إِلَى الظِّلِّ (٢)
 إِذَا زَارَهَا فَدَثْنُهُ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ (٣)
 وَعَطْشَانٌ لَا تَرَوِي يَدَاهُ مِنَ البَذْلِ (٤)
 شَهِيدٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَالْمَذْلِ (٥)
 فَلَا نَابَ فِي الدُّنْيَا لِلَيْثِ وَلَا سَيْبِلِ (٦)
 وَمَا دَامَ دَلِيلٌ يَهْزُ حُسَامَهُ

بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَّاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
 (١) النوال : العطاء ؛ والنائكات : الفاقدت أولادهن . يقول : أدرك ثأر القتلى ،
 وأفاض جوده على الأحياء فأزال شكوى الموتور والمرزوء حتى شفى النائكات من
 حزنهن حين ثأر لهن وأنساهن الشكل بجوده . قال العكبري : والنائكات في موضع
 نصب عطفا على « كل » والتقدير : شفى كل شاك والنائكات . ويجوز أن يكون في
 موضع جر ، ولكن العطف أولى وأظهر .

(٢) تروق : تعجب . وحاد : مال . يقول : إن الشمس تستحسن صورة وجهه ،
 فلو نزلت إليه الشمس شوقا إليه لمال عنها وعف : يعنى أنه عفيف عن كل أنى حتى عن
 الشمس ، فلو هى نزلت إليه لحقق معنى العفة .

(٣) المراد بالخييل : الفرسان . والرجل : جمع راجل . يقول : هو شجاع يقتل
 ولا يقتل ، فكان الحرب تمسقه وتعبه ، فإذا زار الحرب وأناها استبقته وأفتت
 من سواه من الفرسان والرجال ، فكأنها جعلتهم فداء له ، وهو تخيل
 مبتكر بدیع .

(٤) ريان : من الري ، ومهدى : تعطش ؛ والصدى : العطش ؛ والبذل العطاء .
 يقول : إنه لا يشرب الخمر ، فكأنه مرتو منها لا يعطش إليها ، ولا يفتقر عن البذل ،
 فكأنه عطشان لا يروى منه .

(٥) يقول : مملكته وعظم قدره يشهدان بوحدانية الله تعالى وعدله ورافته بعباده ،
 إذ ملك عليهم من هو عفيف محسن إلى عباده .

(٦) الحسام : السيف القاطع ؛ والليث : الأسد . والشبل : ولد الأسد . يقول :
 مادام قائم سيفه في كفه فلا عادية تقوى على ضعيف ، لأنه يصده بسيفه أن يعدو على

وَمَا دَامَ دَلِيرٌ يُقَلِّبُ كَفَّهُ
فَلَا خَلْقَ مِنْ دَعْوَى الْمَكَارِمِ فِي حِلٍّ (١)
فَتَى لَا يُرَجَى أَنْ تَمَّ طَهَارَةٌ لِمَنْ لَمْ يُطَهَّرْ رَاحَتِيهِ مِنَ الْبُخْلِ (٢)
فَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ أَضْلًا أُنِي بِهِ
فَأِنِّي رَأَيْتُ الطَّيِّبَ الطَّيِّبَ الْأُضْلَ (٣)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة ، ويذكر وقعة وهشودان بن محمد الكردي بالطرم ،
وكان والده ركن الدولة أنفذ إليه جيشاً من الري فهزمه وأخذ بلده :
إِثْلُثُ فَإِنَّا أَيُّهَا الطَّلُّ نَبِكِي وَتُرْزِمُ حَتَّانَا الْإِبِلُ (٤)

الناس ، والليث والنايب : مثل - أي ولو كان القوي ليثا لكان بلا ناب - وقال ابن جنى :
يعني لا تعمل أنياب الأسد ما يعمل سيفه في كفه . فكأنها ليست موجودة ،
وليس بشيء .

(١) يقول : وما دام هو يحرك يده بالبذل فلا يحل لأحد دعوى المكارم لأنه لا يهود
أحد جوده .

(٢) يقول : هو محبوب على البذل والجود ، يمقت البخل ويحتويه ، فلا يرى طاهرا
مبرأ من الدنس إلا من جانب البخل وتطهر منه .

(٣) يقول : لا قطع الله أصلاً أنجب لنا مثله ، وأبقى على النسل القدي نشر علينا فضله
فإني رأيت الفروع إنما تطيب بحسب طيب أصولها .

(٤) إثلث : كن ثالثاً - من قولهم ثلثت الرجلين أثلثتهما : إذا صرت ثالثهما - والطلال
ماشخص من آثار الديار . والإرزام : حنين الإبل . يقول - للطلل - كن ثالثاً في
البكاء على فقد الأعبة ، فإننا نبكي والإبل تحن كأنها تبكي كذلك ؛ وعبارة العكبري التي
كأنها شعر منشور : كن أيها الطلل ثالثاً في البكاء على فقد الأعبة ، فنحن نبكي والإبل
تحن معنا ، تساعدنا بالبكاء على ما غيرته الأيام من بهجتك ، وأذهبت من غضارتك
وجدتك ؛ ووصلته من بعد أحبائنا العاصرين لك ، الجامعين شمل السرور بك ، فإننا
نبكي فيك ، ونوقنا ترزم ، ونندب ساكنيك ودموعنا تسجم . وفيه نظر إلى قول
البحتري :

أَطْلَبُ نَالثًا سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالذُّجِي وَالْبَيْدِ

أولاً فَلَا عَتَبٌ عَلَيَّ طَلَلٍ
لَوْ كُنْتَ تَنْطِقُ قُلْتَ مُعْتَذِراً
أَبَاكَ أَنْكَ بَعْضُ مَنْ شَفَعُوا
إِنَّ الَّذِينَ أَقَمْتَ وَأَحْتَمَلُوا
الْحُسْنَ يَرْحَلُ كُلُّمَا رَحَلُوا
إِنَّ الطُّولَ لِمِثْلَهَا فَعُلُ^(١)
بِي غَيْرُ مَا بَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٢)
لَمْ أَبْكَ أَنِي بَعْضُ مَنْ قَتَلُوا^(٣)
أَيَّامُهُمْ لِلدِّيَارِ مِنْ دَوْلٍ^(٤)
مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا^(٥)

ومن هذا قول التهامي :

بَكَيْتُ فَحَفَنْتُ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارَهَا

(١) أولاً : عطف على محذوف : أى إن بكيت خفلق بك البكاء أو لم تبك فلا عتب عليك . ولئلا : أى لئلا هذه الفعلة - يعنى عدم البكاء - وفعل : جمع فصول . يقول : إن لم تبك معنا فلا عتب عليك فإن الطول ليس من عادتها البكاء ، فهى طاعة لئلا هذه الفعلة من ترك المساعدة على البكاء .

(٢) يقول - للطلل - : لو كنت ذا نطق لاعتذرت إلى بأنك لو كنت ممن يبكي لما قدرت على البكاء مع ما حل بك من البلاء بسبب ارتحال الأجرة ، وهو قوله «بى غير ما بك» وقد فسر ذلك فى البيت التالى .

(٣) لم أبك أنى : أى لم أبك لأنى ، والضمير من « شفعوا وقتلوا » للأجرة والعاقد محذوف : أى شفعوهم وقتلهم . والبيت من تمة قول الطلل ، وروى شفعوا وقتلوا - بالبناء للمجهول - والأولى أجود . يقول : قلت لى الذى بى أكثر من الذى بك لأنهم - الأجرة - شفعوك جبا فأذهبوا قلبك فبكيت لفراقهم ، أما أنا ففنيهم قتلوني بارتحالهم - كناية عن دروسه بدمهم - والقتيل لا يقدر على البكاء .

(٤) يقول للطلل : إن الأجرة الذين ارتحلوا عنك وغادروك وأقتت بهم أيامهم دول لديارهم : ممر بنزولهم أيام مقامهم ، وتخرب بارتحالهم . وعبارة العكبرى : أيامهم للديار التى يحلون بها ، دول سرور مستقبله ، وأيام جذل مستأنفة ، والذى لصرف عنك من ذلك يوحشك وما منعتهم منهم لاحالة يؤلمك . وأقتت : يروى بضم التاء على أن هذا من كلام الطلل متصلا بالكلام المحكى عنه .

(٥) يقول : إن الحسن محصور فى الحبيب الذى معهم ، فهو يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ، وعبارة العكبرى : الحسن يرحل مع الذين هاجنا الحزبان لرحيلهم ، وينزل معهم بالمكان الذى ينزلونه ، فلا يفارقهم انقيادا لا مكره ، ولا يتأخر عنهم كلنا بهم .

فِي مُقَلَّتِي رَشَاءً تَدِيرُهُمَا بَدَوِيَّةٌ فُتِنَتْ بِهَا الْحِلَلُ^(١)
تَشْكُو التَّطَاعِيمُ طُولَ هِجْرَتِهَا وَصُدُودُهَا وَمَنْ الْقَدَى تَصِلُ^(٢)
مَا أَسَارَتْ فِي الْقَعْبِ مِنْ لَبَنِ تَرَكَتَهُ وَهُوَ الْمِسْكُ وَالْعَسَلُ^(٣)

(١) في مقلى رشأ: متعلق بـ «يرحل» - في البيت السابق - والرشأ: ولد الطيبة. والحلل: جمع حلة، وهي القوم المجتمعون في بيوت مجتمعة للنزول: يقول: إن الحسن يرحل في مقلتين مستعارتين من رشأ تديرهما امرأة بدويه - تقيم في البادية حينما نزلت افتتن بها القوم الذين نزل بهم.

(٢) يقول: إن هذه المرأة قتين^(١) قليلة التناول للطعام حتى لتشكو الأطعمة هجرها وصدودها، ثم قال: ومن الذي تصل؟ وهو استمهام، يعني أن الحجر ديدنها فهي لا تصل أحداً حتى الطعام، وقوله وصدودها: قال العكبري: روايتنا فيه عن شيخى بالنصب والجبر: فالنصب عطفاً على طول، والجبر عطفاً على هجرتها.

(٣) ما أسارت، أي الذي أسارت وأبقت: مبتدأ؛ والحجر: تركته؛ والقعب: قذح من خشب مقعر: وجلة «وهو المسك» حالية. يقول: إذا شربت لبناً من قذح فإن ما يبقى فيه بعد شربها منه تطيب رائحته ويحلو طعمه حتى لكأنه مسك وعسل. يريد طيب نكهتها وعدوبة ريقها. وفيه نظر إلى قول جميل:

فَلَوْ تَفَلَّتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ لَعَادَ أَجَاغُ الْبَحْرِ مِنْ رَيْقِهَا عَذْبًا

هذا: وقد قلنا أسارت: أي أبقت، فالسور: بقية الشيء، والجمع أسار، وفي الحديث «إذا شربتم فأسرأوا» أي أبقوا شيئاً من الشراب في قعر الإناء والعت منه سار - على غير قياس - لأن قياسه «مسر» قال الجوهري: ونظيره أجبره فهو جبار قال الأخطل:

وَشَارِبٍ مُرْمِحٍ بِالْكَأْسِ نَادِمِي لَا بِالْحُصُورِ وَلَا فِيهَا بَسَّارٌ

«سار - بالهمز - بوزن سعار: معناه أنه لا يسر في الإناء سؤراً بل يشقه كله؛ والرواية المشهورة بسوار: أي بمعرب وثاب من سار: إذا وثب وثب للعربد على من يشاربه والحصور التي لا ينفق على الندامى، وقيل الهيوب المحجم عن النوى، وإعما أدخل الباء لأنه ذهب بلا مذهب ليس لمضارعتة له في النوى».

(١) امرأة قتين: قليلة الطعم؛ وهذا من الصفات الممودة في النساء.

(٢ - التني ٤)

قَالَتْ أَلَا تَصْحَوُ قَقْتُ لَهَا أَغْلَمْتَنِي أَنْ التَّهْوَى تَمَلُّ (١)
 لَوْ أَنَّ فَنَا خُسْرَ صَبَّحَكُمُ وَبَرَزْتَ وَحَدَكِ عَاقَهُ الْغَزَلُ (٢)
 وَتَفَرَّقَتْ عَنكُمْ كَتَابُهُ إِنْ الْمِلَاحَ خَوَادِعُ قُتِلُ (٣)
 مَا كُنْتُ فَاعِلَةً وَضِيْفُكُمْ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكَ الْبِخْلُ (٤)

(١) تمَل : أى سكر . يقول : قالت لى - لائمة على العشق - ألا تصحومن بطالتك ققلت لها أخبرتنى - فى لغوى كلامك حين أمرتنى بالصحو - أن الهوى سكر ، لأن الصحو لا يكون من غير السكر . وهذا إشارة إلى أنه كان غافلا عن حال نفسه لشدة هيامه وأنها نهته إلى أنه سكران من الهوى .

(٢) فناخر : هو اسم عضد الدولة ، وصبحكم : أى أنا كم صباحا للغارة والغزل : الكلف بالنساء . يقول : لو أن عضد الدولة - مع جده وتوفره على تدبير الملك - أنا كم صباحا للغارة وبرزت له لقدحت فى قلبه غزلا فمال إليك وعاقه ذلك عن الحرب لمكانك من الحسن . وقال ابن جنى : ما أحسن ما كنى عن المهزومة بقوله عاقه الغزل . قال ابن فورجه ناقدًا : لو كانت هذه إحدى السعالي (١) لما هزمت أحداً فكيف عضد الدولة ! وما وجه المهزومة عمن توصف بالحسن ويقال فيها بدوية فتنت بها الحلل ! وإنما هذا وصف لعضد الدولة بالرغبة عن النساء والتوفر على الجد ، ثم لما بالغ فى وصف هذه وأراد الخروج إلى المدح أتى بالغاية فى ذكر حسنها ، حتى لو أن عضد الدولة مع توفره وجده على تدبير الملك لو تعرضت له هذه المرأة لقدحت فى قلبه غزلا عاقه عن الرجوع عنها : ألا تراه يقول بعده : ما كنت فاعلة وضيْفكم الخ ! وكيف يضاف المنهزم . وإنما غلط ابن جنى لما سمع قوله : وتفرقت عنكم كتابه ، وإنما تفرق حينئذ عنهم لتوفرها على الغزل واللهو ولذة الطفر بالحبيب .

(٣) الكنائب : جمع كنيبة ، الفرقة من الجيش . وقتل : جمع قتول . يقول : ولتفرقت كتابه عنكم لولوعه بكم وتشاغله بذلك عن الحرب ، ثم قال : إن الحسان يخذعن العقول ، والشغف بهن قاتل ، ومن ثم تخدعين عضد الدولة - وهو من هو ١٩ - وتفرق كتابه من جرائك . فكانك هزمتهم وعصفت بهم .

(٤) يقول : أى شئ كنت فاعلة وقد أنا كم ملك الملوك ضيفا ، وسبيل من حل به أن يحتفل به وبكرمه وأنت بخيلة ! يعنى بالطعام والقرى يصفها بالبخل ، والبخل والجبن من خير أخلاق النساء ، وهما من شر أخلاق الرجال

(١) السعالي : جمع سعلاة ، قيل : هم سحرة الجن ، وقيل : الغيلان الحبيثة .

أَتَمَّنِينَ قِرَى فَتَفْتَضِحِي أَمْ تَبْدُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ^(١)
 بَلْ لَا يَحِلُّ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ بَخْلٌ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجَلُ^(٢)
 مَلِكٌ إِذَا مَا الرُّمْحُ أَدْرَكَهُ طَنْبٌ ذَكَرْنَاهُ قَيِّمَتِدِلُ^(٣)
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلَهُ عَجَزُوا عَمَا يَسُوسُ بِهِ قَقْدَ غَفَلُوا^(٤)
 حَتَّى أَى الدُّنْيَا أُنْ بَجَدْتِيهَا فَشَكَا إِلَيْهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ^(٥)
 شَكْوَى التَّلِيلِ إِلَى الكَفِيلِ لَهُ أَنْ لَا تَمُرَّ بِجِسْمِهِ المِاللُ^(٦)

(١) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام وغيره . ويسل : يسأل ، حذف الهمزة وألقي حركتها على السين يقول : أ كنت لا تقومين بقراء فتفتضحى في فعلك أم تقومين بذلك فتخرجى عن اليهود من أمرك

(٢) الضمير في « به » : لحيث - والجور : خلاف العدل - وروي : ولا خور ؛ والخور: الضعف ، والوجل : الخوف . يقول : بل لا يسمع حينئذ البخل ، لأن للكان الذي يحل به هذا الملك لا تحل به هذه الأشياء .

(٣) الطنب : اعوجاج في الرمح يقول : إنه - لاستقامته واعتداله في الأمور - إذا ذكر اسمه اعتدل الرمح الموج

(٤) يقول : إن من كان قبله من الملوك لم يحسنوا سياسة الملك إحسانه فإن لم يكن ذلك عجزا منهم عما يسوس به الناس من الحزم والعدل وما إليهما فهو غفلة منهم إذ لم يهتدوا إلى سيرته

(٥) يقال فلان ابن بجدتها للعالم بالشئ المتقن له ، وهو عالم يبجدة أمرك وبجدة أمرك وبجدة أمرك - بضم الباء والجيم - أى بدخلته وبطائته ، وعنده بجدة ذلك - بفتح الباء - أى علمه يقول : حتى ملك الدنيا عضد الدولة وهو عالم بها وضبط أمورها وسياسة أهلها ، فشكا إليه السهل والجبل ما لحقهما من الخلل

(٦) شكوى : مفعول مطلق يقول شكوا إليه السهل والجبل كما يشكو الطليل إلى الطبيب الذى يضمن له أن يشفيه من كل داء وعلة حتى لا تعاوده علة . يعنى : إن الدنيا بما كان فيها من الاضطراب والفساد كأنها كانت شاكية إلى عضد الدولة ، وهو - بقصده تسكين الفتنة وحسن السياسة - كأنه ضامن أن لا يعاود الدنيا ما شكته . وأصل هذا قول الأخيلية :

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضةً تتبّع أقصى دائها فشاها

قَالَتْ : فَلَا كَذَبَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْدِمُ فَنَفْسُكَ مَا لَمَّا أَجَلٌ (١)
فَهَوَّ النَّهْيَاةُ إِنْ جَرَى مَثَلٌ أَوْ قِيلَ يَوْمَ وَغَى مِنَ الْبَطْلِ (٢)
فَعُدُّ الْوُفُودَ الْعَامِدِينَ لَهُ دُونَ السَّلَاحِ الشُّكْلِ وَالْعَقْلِ (٣)
فَلِشُكْلِهِمْ فِي خَيْلِهِ عَمَلٌ ، وَلِعُقْلِهِمْ فِي بُحْتِهِ شُغْلٌ (٤)
تُنْسِي عَلَى أَيْدِي مَوَاهِبِهِ هِيَ أَوْ بَقِيَّتُهَا أَوْ الْبَدَلُ (٥)

(١) قالت شجاعته : فعل وفاعل . وقوله فلا كذبت : دعاء اعترض بين الفعل والفاعل . يقول : إنه يقتحم الأهوال غير مبال بها حتى كأن شجاعته قالت : أقدم فما لنفسك أجل تخشاه كأجال الناس : يعني أن شجاعته زينت له الإقدام وصورت له أن أحداً لا يقدم عليه فهو باق بوقاية شجاعته إياه ، ثم دعا له بالبقاء وقال : لا كانت شجاعته كاذبة بما قالت .

(٢) يوم وغى : يوم حرب . يقول : هو الغاية في الشجاعة حين يراد ضرب المثل في الشجاعة أو يراد الدعاء إلى التزال يوم الحرب والقتال .

(٣) الوفود : جمع وفد ، وهم جماعة الوافدين للعطاء . والشكل : جمع شكال ، وهو ما يجعل في قوائم الفرس . والعقل : جمع عقال . وهو ما يربط به يد البعير . يقول : إن الوفود الذين يعمدون إليه ويقصدونه لا يقصدونه بسلاح ، لأنه لا مطمع فيه بالسلاح وإنما عدتهم التي يحتاجون إليها في قصدهم إياه هي شكل الخيل وعقل الإبل ثقة ببيل ما يرجون من عطاياها : وأسكن العين في «الشكل» على ائنة تميم ، وضمها في «العقل» على لغة أسد .

(٤) البخت : الإبل العجمية ، وهي غير العربية . يقول : إنه يعطيهم الخيل حتى يشكلوها بشكلهم والإبل حتى يعقلوها بعقلهم ، يعني أنه يحقق آمالهم ويكون عند رجاؤهم فيه فيعطيهم من خيله وإبله ما يشكلون ويعقلون .

(٥) يقول : إن مواهبه تلي أمر ماله من خيل وإبل وتتصرف فيها ، فأمواله أبدأ جميعها على أيدي مواهبه توزعها على عفاة فإذا صمدت إليه وفود وهب خيله وإبله كلها في وقت معاً ، وإذا بقي منها شيء وهب لمن يقد بعدهم ، وإلا وهب بدلها ذهباً وفضة : يعني أن جميع أمواله في تصرف مواهبه . وعبرة الخطيب التبريزي : خيله وإبله التي تأخفها الوفود ثلاثة أصناف : فإما أن تكون موفورة قد كان قبلها غيرها فهي تسلم إليهم وإمّا أن تكون قد بقيت منها بقية فهم المحكون فيها ، وإما أن تكون استبدل غيرها

بِشْتَاقٍ مِنْ يَدِهِ إِلَى سَبَلٍ شَوْقًا إِلَيْهِ يَنْبُتُ الْأَسَلُ^(١)
 سَبَلٌ تَطُولُ الْمَكْرُمَاتُ بِهِ ، وَالْمَجْدُ لَا الْخَوْذَانُ وَالنَّفَلُ^(٢)
 وَإِلَى حَصَى أَرْضٍ أَقَامَ بِهَا بِالنَّاسِ مِنْ تَقْبِيلِهَا يَلَلُ^(٣)

فهم يأخذون البدل . وقال المعري : يهب أوائل خيله وإبله لأوائل الوفود وبقيتها لمن يفد بعد ، فإذا لم يبق شيء وهب في الوقت بدلها من العين والورق .

(١) السبل : الطر ، وهو بين السحاب والأرض : أى حين يخرج من السحاب ولم يصل بعد إلى الأرض . يريد به هنا ما يجرى على يديه من المواهب والدماء ؛ وشوقا إليه : مفعول له ، عامله ينبت ، والضمير المجرور للسبل ؛ والأسل : عيدان الرماح : أى إن الناس تشتاق إلى مواهبه : والرماح تنبت شوقا إلى ما يسقيها من دم الأبطال ؛ ولا يخفى ما في البيت بين السبل وضميره من الاستخدام . وعبارة الواحدى والعكبرى : إن الناس يشتاقون إلى عطاء يده ، والرماح تنبت شوقا إلى أن تصعب يده : أى ليطعن بها ويستعملها في الحرب ، فقوله شوقا إليه الخ : أى وينبت الأسل شوقا إليه - أى إلى المدوح - أى إلى مباشرتها يده . ولك أن تقول : إن : جملة شوقا إليه الخ : صفة لسبل ؛ يعنى أن ما يجرى على يديه من المطايا والدماء تشتاقه الناس وتنبت الرماح شوقا إليه : أى إلى ما يسقيها من دم الأبطال : يشير إلى أنه شجاع :

(٢) سبل : من رواء بالجر أبدله من الأول ؛ ومن رفعه جملة خبر مبتدأ محذوف والخوذان : نبات طيب الطعم ؛ زهره أحمر ؛ فى أصله صفرة . والنفل : نبت من أحرار البقول ، زهره أصفر . طيب الرائحة ؛ تسمن عليه الخيل . لما سمى عطاءه سبلا قال : هو سبل - مطر - ينبت للكرمات والمجد لأنه مطر مواهب ودماء يذيع بها حمده ، وتعلو مهابته ؛ وليس من المطر الذى ينمو به النبات :

(٣) وإلى عطف على « إلى سبل » وبالناس : خبر مقدم ؛ ويلى : مبتدأ مؤخر ؛ والجملة : صفة لحصى ؛ والليل : قصر الأسنان - يقال رجل أيل ، والأثني يلاء - وهو ضد الروق ، والروق : طول الأسنان . قال لبيد يصف أسهما :

فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رَشَقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْمُضَلِّ وَلَا بِالْمُقْتَعَلِ
 رَقَمِيَّاتٍ عَلَيْهَا نَاهِضٌ تُكَلِّحُ الْأَرْوَاقَ مِنْهُمْ وَالْأَيْلُ^(١)

(١) سهام عصل : معوجة ، والمقتعل : السهم الذى لم يبر برا جيدا . والرقميات : سهام تنسب إلى موضع بالمدينة ، وعليها ناهض : أى عليها ريش فرخ من فراخ النسر

إِنَّ لَمْ تَخَالِطَهُ ضَوَاحِكُهُمْ
 فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ خَالِقِهِ
 وَإِذَا الْقُلُوبُ أَبَتْ حُكُومَتَهُ
 وَإِذَا الْحَمِيمِسُ أَبِي الشُّجُودَ لَهُ
 أَرْضِيَتْ وَهَشُودَانُ مَا حَاكَمَتْ
 فَلَمَنْ تَصَانَ وَتُدْخَرُ الْقَبِيلُ^(١)
 قَدَّرَتْ هِيَ الْآيَاتُ وَالرُّسُلُ^(٢)
 رَضِيَتْ بِحُكْمِ سَيُوفِهِ الْقَلْلُ^(٣)
 سَجَدَتْ لَهُ فِيهِ الْقَنَا الذُّبُلُ^(٤)
 أَمْ تَسْتَزِيدُ لِأَمِّكَ الْهَبْلُ^(٥)

يقول : وبشتاق إلى حصى أرض أقام بها ، ولكثرة ما قبل الناس ذلك الحصى بين يديه أصابهم الليل وقصرت أسنانهم . وقال ابن جنى : من كثرة ما قبل الناس حصى الأرض بين يديه : كأنهم قد حدث فيهم انحناء وانعطاف إلى ذلك الحصى كما تعطف الأسنان على باطن الفم . وهو معنى حسن ، ويكون الليل على هذا : انعطاف الأسنان إلى داخل الفم وإقبالها عليه .

(١) الضواحك : التي بين الأنياب والأضراس ، وهي أربع ضواحك . يقول : إن لم تخالط الأسنان حصى أرضه لدى التقبيل ، فلمن تصان القبيل وتدخر ؟ يعنى أن حصى أرضه أحق شيء بالتقبيل إعظاما له ؛ وإجلالا لقدره .

(٢) قدر : جمع قدرة ، وتروى : غرر ، جمع غرة ، بياض الشيء وحسنه . يقول : على وجهه نور من الله تعالى ذلك النور قدر من الله ، يعنى أنه يدل على قدرته تعالى ؛ وتلك القدرة تقوم مقام الآيات والرسول ، لما فيها من الإعجاز وظهور الصنع : وعلى رواية غرر يكون المعنى : على وجهه نور من الله يشير إلى تملكه ووجوب طاعته فيقوم مقام الآيات والرسول في بيان مراده تعالى وتبليغ أوامره .

(٣) القل : الرءوس ، جمع قلة . يقول : إذا لم تقبل القلوب ما يحكم به : ضرب رءوس أولئك الذين يأبون حكمه ، فكأنها رضيت بحكم سيوفه :

(٤) الحميس : الجيش : والقنا : الرماح . والذبل : الدقاق : يقول : إذا عصاه جيش العدو فلم يخضع له خفض رماحه لطنه بها - وذلك سجود القنا - فعمله على الخضوع قهراً .

(٥) كان « وهشودان » هذا قد هزمه ركن الدولة أبو عضد الدولة بالطرم - موضع في عراق العجم - والهبيل : الشكل - النقص - تقول العرب : لأم

ناهض ، أى وفر جناحاه ونهض للطيران ، وأكلحه الأمر : أى لشده أصابه بالكلوخ وهو بدو الأسنان عند العيوس .

وَرَدَتْ بِلَادَكَ غَيْرَ مُمَدَّةٍ ، وَكَانَهَا بَيْنَ الْقَنَا شُغْلٍ (١)
 وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ خَزَرٌ ، وَأَعْيَالٌ فِي أَعْيَانِهَا قَبَلٌ (٢)
 فَأَتَوْكَ لَيْسَ بَيْنَ أَتْوَا قَبَلٌ بِهِمْ وَلَيْسَ بَيْنَ نَأْوَا خَدَلٌ (٣)

فلان الهبل ؛ يقول : أرضيت يا « وهشودان » ما حكمت به سيف ركن الدولة ، أم تهادى في طغيانك ، فتمسّ زيد لك ولأصحابك من القتل والخزي والتسكيل ؟
 (١) وردت : أى السيف ؛ وغير ممددة : حال ؛ والقنا : الرماح ؛ والشغل : جمع شغلة ، القبس من النار ، شبه سيف المدوح المصلته بشعل النار :
 (٢) الخزر : ضيق العين ، وقيل أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه ، والقبل في الخيل : أن تقبل إحدى العينين على الأخرى ، وإنما تفعل ذلك الخيل لعزة أنفسها ، والأعيان : جمع عين « تقول عيون وأعين وأعيان » قال يزيد ابن عبد الدان :

ولكنفى أغدو على مفاضةٍ دِلاص كأعيان الجراد المنظم (١)

قال ابن جنى : يقول : القوم ترك وخيلهم عزيزة الأتقى : أى أتوك عليها ، قال ابن فورجه : كيف خص « ابن جنى » الترك بالذكر دون سائر أجناس العسكر ، مما وأكثرهم ديلم ، والمدوح ديلمى ؟ وذهب عليه أن الغضبان يتخازر ، وقد سمع من ذكر خزر الغضبان مالا يحصى ، كقوله :

* خَزَرٌ عِيُونِهِمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ *

وبعد : فالمعنى إذن أن القوم غضاب ، والحيل نشاط عزيزة الأتقى
 (٣) يقول : أذاك قومه وليس لك بهم طاقة ، وليس بهم من القوم الذين بعدوا عنهم وانفصلوا من جملتهم اختلال ، يريد كثرة عسكر ركن الدولة أبى عضد الدولة ، وذلك أن جماعة من عسكر ركن الدولة انفصلوا عنه ، ومضوا إلى « وهشودان » ولم يلحق عسكر ركن الدولة بهم اختلال . والمعنى أن عسكر ركن الدولة كبير لا يحتل بمن انفصل عنه . فالقبل : الطاقة ؛ وبهم : يتعلق بقبل ؛ وجملة ليس بمن أتوا الخ : حال . وقوله بمن أتوا : أراد بمن أتوه ، فحذف العائد ، وكذلك بمن نأوا : أى بمن نأوا عنه .

(١) للمفاضة : الدرع السابقة كأنها أفيضت على لابسها ، والدلاص : الصقيلة البراقه ، وشبه حلقها في الدقة والزرقة ، وتقارب السرد ، يعيون جراد نظم بهذه إلى بعض وجمع

لَمْ يَذْرَمَنَّ بِالرِّىِّ أَنَّهُمْ فَصَلُوا وَلَا يَذْرَىٰ إِذَا قَفَلُوا^(١)
 فَأَنْبَتَ مُغْتَزِمًا وَلَا أَسَدٌ، وَمَضَيْتَ مُنْهَزِمًا وَلَا وَهْلٌ^(٢)
 تُعْطَىٰ سِلَاحَهُمْ وَرَاحَهُمْ مَا لَمْ تَكُنْ لِنِتْنَالِهِ الْقُلُوبُ^(٣)
 أَسْحَى الْمُلُوكِ بِنَقْلِ تَمَلُّكِهِ مَنِ كَادَ عَنْهُ الرَّأْسُ يُنْقَلُ^(٤)
 لَوْلَا الْجَهْلُ مَادَلَّتْ إِلَى قَوْمٍ غَرِقَتْ وَإِنَّمَا نَفَلُوا^(٥)
 لَا أَقْبَلُوا سِرًّا وَلَا ظَفِيرًا وَلَا نَعْرَتَهُمُ الْفَيْسَلُ^(٦)

(١) الرى : بلد بين أرض فارس وخراسان ، وكانت قاعدة ركن الدولة ؛ والنسبة إليها : رازى . وفصلوا : يريد خرجوا ؛ وقفلوا : رجعوا . يقول : لكثرة جيوشه بالرى لم يشعروا بخروج هؤلاء من بينهم ، ولا يشعرون برجوعهم حين يرجعون ؛ يعنى أنهم لم يشعروا بالجيش الذى هزم « وهشودان » لقلتهم بالإضافة إلى سائر الجيش ؛ ولا شعروا بقفولهم .

(٢) يخاطب « وهشودان » يقول : أقبلت إلى الحرب ولا أسد يقدم إقدامك ، ومضيت منهزما ولا وعل ينهزم انهزامك ، خبر « لا » فى الومضين محذوف - كما ترى - للعلم به ؛ والوعل : تيس الجبل ، له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدين .

(٣) الراح : جمع راحة ، راحة اليد . يقول - لوهشودان - : تعطى سلاحهم من أرواح عسكرك وأكفهم من الأموال والأثاث والسكرع^(١) والسلب ما لم تكن العيون لتطمح أن تراه ، لمنعته وبعد نيته .

(٤) يقول : أسحى الملوك بترك مملكته ونقلها إلى من يصبها منه من خاف انتقال الرأس عنه ؛ يعنى أنك خفت أن يقطع رأسك ، فسحوت بمملكتك لثلا ينتقل الرأس عنك قال ابن جنى : لو قال بترك مملكة : لكان أوجه ، إلا أنه اختار النقل ، لقوله آخرًا : ينتقل .

(٥) داف إليه : دنا منه ومشى إليه . يقول : لولا جهلك لما قصدت قوماً تنهزم عنهم بادنى حرب منهم ، فضرب لهذا بالفرق والتفل ، والمعنى : أنهم لكثرتهم لو بزقوا عليك لفرقوك .

(٦) الفيل : جمع غيلة ، وهى القتل على حين غفلة ، ومن حيث لا يهوى . يقول :

(١) الكراع - بضم الكاف - اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

لَا تَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَعْرِفُهُ إِلَّا إِذَا ضَاقَتْ بِكَ أَحْيَسِلُ (١)
لَا يَسْتَحِي أَحَدٌ يُقَالُ لَهُ نَضْلُوكَ آلُ بُوَيْبَةَ أَوْ فَضَلُوا (٢)
قَدَرُوا عَفْوًا وَعَدُّوا وَفَوْا سُئِلُوا أُغْنُوا عَلَوْا أَعْلَوْا وَلَوْ عَدَلُوا (٣)
فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا ، فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةَ نَزَلُوا (٤)
قَطَعَتْ مَكَارِمُهُمْ صَوَارِمَهُمْ ، فَإِذَا تَمَذَّرَ كَاذِبٌ قَبِلُوا (٥)

إن جيشه لا يأتون أحداً في خفية ليظفروا غدرآ وليقتالوا عدوهم ، فإنهم لا يحتاجون في قهر عدوهم إلى الصدر والاعتقال ، فهم يقاتلون أعداءهم جهاراً

(١) تعرفه : حال ؛ أي وأنت تعرفه . يخاطب « وهشودان » يقول : إن الحزم أن لا تعارض من هو أقوى منك ، إلا إذا اضطررت إلى ذلك . يلومه على اختياره الحرب من أول الامر ، مع علمه أن ركن الدولة وابنه عضد الدولة أقوى منه .

(٢) استحي يستحي : بمعنى استحيا يستحي . ونضلوك : غلبوك - من اللناضلة ، وهي الرامة بالسهم : يقال تناضل الرجلان فضل أحدهما صاحبه إذا غلبه ، وكان أكثر إصابة منه - وأتى بعلامة الجمع في « نضلوك » ، والعمل مقدم على الفاعل على لغة من يقول : أكلوني البراغيث ؛ وفضلوا : فالقوا في الفضل : أراد : أو فضلوك . يقول : من كان مغلوباً بآل بويه لا يستحي من ذلك ، لأنهم يظنون كل أحد .

(٣) يقول : لما قدروا عفوًا . فهم يعفون عن قدرة ، ولما وعدوا وفوا بذلك الذي وعدوا ، ولما سئلوا اغنوا من سألهم ، ولما علوا أهلوا أولياءهم ، ولما ولوا الناس عدلوا فيما بينهم : أي لمن خالفهم فهو ظالم ومن ناوهم فهو شديد الاغترار بهم .

(٤) يقول : هم فوق السماء منزلة ورتبة ، وفوق كل طلبه وحاجة ، وإذا أرادوا شيئاً هو غاية عند الناس نزلوا إليه من علو ؛ إذ هم وراء كل غاية .

(٥) الصوارم : السيوف . وتمذَّر : تنصل واحتج لنفسه ، ومثله اعتذر . قال أبو ذؤيب :

فإنك منها والتمذَّر بعدما بلججت وشطت من فُطَيْمَةِ دَارِهَا
وقال ليبد يخاطب ابنته ويقول : إذا مت فنوحاً وابكيا على حولا :
فقوماً فقولا بالذي قد علمتما ولا تخمشا وجهاً ولا تحلِقا الشمرَ
وقولا هو المرء الذي لا خليله أضاع ولا خان الصديق ولا غدرَ
إلى الحول ثم اسمُ السلام عليكما ، ومن يبك حولا كاملاً فقد اعتذر

لَا يَشْهَرُونَ عَلَىٰ مُخَالَفِهِمْ سَيِّفًا يَقُومُ مَقَامَهُ الْعَدْلُ^(١)
فَأَبُوا عَلِيًّا مَنْ بِهِ قَهَرُوا وَأَبُو شُجَاعٍ مَنْ بِهِ كَمَلُوا^(٢)
حَلَفَتْ لِذَا بَرَكَاتٍ غُرَّةٍ ذَا فِي الْمَهْدِ أَنْ لَا فَاتَهُمْ أَمَلٌ^(٣)

يقول : إن كرمهم غلب غضبهم وكفهم عن استعمال السيوف ، فإذا اعتذر إليهم الجاني ولو كذبا قبلوا عذره تکرما .

(١) شهر السيف : جرده من غمده ؛ والعدل : اللوم . يقول ؛ إذا أذعن مخالفهم بالكلام لم يستعملوا معه السيف : يعني لا يعجلون إلى الحرب وإنما يقدمون اللوم والوعيد ، وما دام العدل يؤثر في المخالف لا يقصدونه بمساءة ولا ضرر . يصفهم بالحلم والأناة ؛ وفي مثل هذا المعنى يقول بعض الملوك : إذا كفاني الكلام لم أرفع السوط ، وإذا كفاني السوط لم أشهر السيف .

(٢) أبو علي : هو ركن الدولة أبو عضد الدولة ؛ وأبو شجاع : هو عضد الدولة : يقول : بركن الدولة قهروا الملوك وسادوهم ، وبعض الدولة كلت لهم مملكتهم واتسع سلطانهم .

(٣) الغرة : الطلعة . و « أن » تفسيرية ؛ ولا فاته أمل : حكاية القسم . وأشار بهذا الأول إلى ركن الدولة ، والثاني إلى عضد الدولة . يقول : لما ولد عضد الدولة ظهر على وجهه من شواهد النجابة ، ومخايل البركة والإقبال ما علم أبوه منه أن الآمال انحازت إليهم وحصلت لهم ، فكان وجهه وهو في المهدي كفل لهم إدراك جميع الآمال ، وأن لا يعجزهم عن بلوغها حال . وروى ابن جنى « بركات نعمة ذا » يعني أن بركات النعمة بعضد الدولة حلفت لركن الدولة أن الآمال لا يفوته منها شيء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالنعمة نعمة أبيه ركن الدولة : أى ما يملكه من العدة والعتاد تكفل لعضد الدولة بإدراك الآمال . وروى « بركات نعمة ذا » يعني أن أباه عرف بنغمته - صوته - لما ولد أنه يدرك به الآمال كلها .

وخرج أبو شجاع يتصيد ومعه آلة الصيد ، وكان يسير قدام الجيش يمينه
وبسرة ، فلا يرى صيداً إلا صاده ، حتى وصلا إلى دشت الأرز - وهو موضع
حسن على عشرة فراسخ من شيراز ، تحف به الجبال ، وفيه غاب ومياه ومروج ،
فكانت الوحوش تضاد ، وإذا اعتصمت بالجبال أخذت الرجال عليها المضايق ،
فإذا أمتنها الشباب هربت من رموس الجبال إلى الدشت فتسقط بين يديه ؛ فأقام
بذلك المكان أياماً على عين ماء حسنة ، ومعه أبو الطيب ، فوصف الحال ،
وأنشده في رجب سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وفي هذه السنة قتل
أبو الطيب ، قال :

مَا أَجْدَرَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي بَأْسَ تَقُولَ مَالَهُ وَمَالِي ^(١)
لَا أَنْ يَكُونَ هَكَذَا مَقَالِي فَتَيَّ بِنِيرَانِ الْحُرُوبِ صَال ^(٢)
مِنْهَا شَرَابِي وَبِهِيََا أَعْتَسَالِي لَا تَخْطُرُ الْفَحْشَاءَ لِي بِبَالٍ ^(٣)

(١) يقول : إن الأيام خليفة بأن تتظلم مني وتقول ما للفتني ومالي ؟ أي لأنني
جسمتها من همي ما ليس في وسعها ؛ وكان من حقه أن يقول « ومالنا » لأنه ذكر
الأيام والليالي ، لكنه ذهب بهما إلى الدهر ، فكأنه قال : ما أجدر الدهر ! ويقال
فلان جدير بكذا : أي خليق ؛ وأنت جدير بكذا ؛ والجمع : جدراء وجدديرون
(٢) لا أن يكون الخ : أراد لا أن يكون هكذا مقالي لها بأن أنظلم منها ، فحذف
« لها » للعلم به والاختصار ، كما تقول : ما أجدر زيدا بأن يقوم إليك لا أن تقوم
تريد إليه ، فتحذفه . وفقى : خبر مبتدأ محذوف : أي أنا فتى . وصلى بالنار : قاسى
حرها . يقول : إن الأيام جديرة بأن تتظلم مني لا بأن أنظلم أنا منها ، لأنني فتى لا يزال
يقاسى شدائد الحروب يعني أنه تعود الصبر على الشدائد ، فلا تحفزه الأيام إلى الشكوى .
(٣) يقول : من نيران الحروب أشرب وبها أغتسل : يريد طول مخالطته الحروب
وتمرسه بها واتعاشه فيها حتى صارت نيرانها عنده كالماء برداً فهو يشرب منها ويغتسل
بها ؛ وهذا مثل أراد أن شدائد هات عليه حتى صار يستروح إليها كما يستروح
إلى السلم ، ثم قال : إن الفحشاء لا تخطر له على بال . يصف نفسه بالعفّة حتى لا تخطر
الفحشاء على باله ، فضلا عن أن يحدث نفسه بإتيانها . والفحشاء : كل ما اشتد قبحه من
الذنوب ؛ والمراد هنا : الفجور - الزنا -

لَوْ جَذَبَ الزَّرَادُ مِنْ أَذْيَالِي مُخَيَّرًا لِي صَنَعْتِي سِرْبَالِ (١)
 مَا سُمْتُهُ سَرْدَ سِيَوِي سِرْوَالِ وَكَيْفَ لَا وَإِنَّمَا إِذْ لَأِي (٢)
 بِفَارِسِ اللَّجْرُوحِ وَالشَّامِ أَبِي شُجَاعٍ قَاتِلِ الْأَبْطَالِ (٣)
 سَاقِي كَثُوسِ الْمَوْتِ وَالْجُرْيَالِ (٤) لَمَّا أَصَارَ الْقَفْصَ أَمْسِي الْخَلَالِي (٥)
 وَقَتَلَ الْكُرْدَ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى أَتَقَتَّ بِالْفَرِّ وَالْإِجْفَالِ (٦)

(١) و (٢) و (٣) جذب : شد : والزراد : صانع الزرد ، وهي الدروع . وأراد
 يجذب الزراد لذيله : دعاءه إياه ، لأن الإنسان إذا أراد أن يكلم آخر فقد يجذبه من
 ثوبه ليقبل عليه . والسربال : القميص ، ويسمى به الدرع استعارة ، والجمع سراويل .
 وسنته : كلفته . والسرد - وبروي الزرد - مداخلة حلق الدروع بعضها في بعض .
 والسروال : معروف ، وهو أعجمي معرب وأكثر كلام العرب سراويل - صيغة
 الجمع وإن لم يقصد به الجمع - وقوله وكيف لا : أى كيف لا أكون كذلك : خذف للعلم
 به . والإدلال : الفخر والتباه - يقال فلان مدل بكذا . والمجروح والشام : فرسان
 كانوا لعضد الدولة . يقول لو خيرني الزراد في صنع سربال ألبسه بين أن يكون من
 صنعة الدرع أو من صنعة الثياب - أى بين أن يصنع لى درعا أو ثوبا - لما اخترت
 إلا الثوب دون الدروع . يشير بذلك إلى أن سيفه درعه ، وهو يحمى به بدنه ، وإنما
 حاجته أن يحسن عورته . قال الواحدى : وهذه طريقة التنبى يترفع عن معاشره
 النساء كبراً وتعففاً ، ثم قال - التنبى - : وكيف لا أرغب عن الدروع وأنا متحصن
 بالمدوح ، وبه أدل وأفتخر على الناس ؟

(٤) الجريال : صبغ أحمر تشبه به الحجر . يقول : أنه يسقى أعداءه كؤوس الموت ،
 وأولياءه كؤوس الحجر .

(٥) القفص : جيل من الناس ينزلون بجبال كرمان ، وهو مفعول أول لأصار ؛
 وأمس : مفعول ثان . يقول : لما أفنى هؤلاء القوم فصيرهم مثل أمس الدابر ، وجواب
 « لما » يأتي بعد .

(٦) قال الواحدى : قتلهم : ذلهم ، ومنه قول امرئ القيس :

* فِي أَعْشَارِ قَلْبِي مُقْتَلِ *

أى مذل ؛ ويقال شراب مقتل : إذا سكنت سورتها بالماء . والإجفال : الإسراع

فَهَالِكٌ وَطَائِعٌ وَجَالِي . وَأَقْتَنَصَ الْفَرَسَانَ بِالْعَوَالِي (١)
 وَالْعَتَقِي الْمُخَدَّمَةَ الصَّقَالَ سَارَ لَصِيدِ الْوَحْشِ فِي الْجِبَالِ (٢)
 وَفِي رِقَاقِ الْأَرْضِ وَالرَّمَالِ قَلَى دِمَاءِ الْإِنْسِ وَالْأَوْصَالَ (٣)
 مُنْفَرِدًا الْمُهْرَ عَنِ الرَّعَالَ مِنْ عِظَمِ الْهَيْمَةِ لَا الْمَلَالَ (٤)
 وَشِدَّةَ الضَّنِّ لَا الْأَسْتَبْدَالَ مَا يَتَحَرَّرَ كُنَّ سِوَى أَنْسِلَالِ (٥)

في الحرب . والسكرد : جيل معروف . يقول : ذلهم وأضعفهم ومنعمهم عن أن يقاتلوا حتى اتقوه بالفرار منه والإسراع بين يديه هرباً .

(١) فهالك : أى فمنهم هالك . والجالي : النازح عن وطنه ؛ والجالية : الذين جلاوا عن أوطانهم . والعوالى : الرماح . يقول : فأصارهم بين هالك أفتاه التعرض لحربه ، وطائع أنجاه التسليم لأمره ، ونازح عن داره خوفاً منه . ثم قال : وصاد فرسان الأعداء بالرماح .

(٢) والعتق : عطف على العوالى - جمع عتيق - يقول : وصادهم بالسيوف القديمة الصنعة الجديدة الصقل . وقوله سار الخ : جواب لما أصار ؛ أى لما فعل ذلك وفرغ منه سار لصيد الوحش المعتصمة بالجبال حتى لا يسلم منه ذومنعة .

(٣) وفي رقاق : عطف على الجبال . والرقاق من الأرض : اللينة ؛ والإنس : الناس . والأوصال : المفاصل . يقول : سار للصيد وهو يبطأ الدماء أينما ذهب لكثرة ما قتل .

(٤) منفرد : نصب على الحال - من سار - والرعال : القطعة من الخيل ، واحدها : رعلة . يقول سار منفرداً عن جيشه لا يريد أن يسيره أحد ، وإنما كان يفعل ذلك لعظم همته لا ضجراً منهم :

(٥) الضن : البخل . تقول : ضننت بالشيء أضن - وهى اللفظة العالية - وضننت أضن ضنا وضنا وضنة وضنة وضنائة : بخلت به ، وهو ضنين به ، ومن هذا قولهم علق مضنة ومضنة : أى شيء تقيس مضنون به ويتنافس فيه ؛ والإنسال : مصدر أنسل ، بمعنى خرج من بين أصحابه فى خفية ، ومثله التسلل ، ومنه قوله تعالى « يتسللون منكم لو أذا » يقول : وكان ينفرد عنهم ضناً بنفسه عن صحبتهم ، لا أنهم يريد أن يستبدل بهم غيرهم ؛ ثم قال : إن خيله لم تكن تتحرك فى سيرها معه إلا حركات خفية هيبه له .

فَنَنْ يُضْرَبَنَّ عَلَى التَّصْهَالِ كُلُّ عَيْلٍ فَوْقَهَا مُخْتَالٌ (١)
يُمْسِكُ فَاهُ خَشْيَةً السَّعَالِ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ (٢)
فَلَمْ يَبْتَلِ مَا طَارَ غَيْرَ آلٍ وَمَا عَدَا فَأَنْقَلَ فِي الْأُدْغَالِ (٣)
وَمَا أَحْتَى بِالمَاءِ وَالدَّحَالِ
مِنْ الحُرَامِ اللَّحْمِ وَالمَنَالِ (٤)

(١) التصهال: الصهيل . والمختال : العجب بنفسه المستكبر . يقول : فالحيل
تضرب على الصهيل تاديباً لها ، وفوقها كل رجل عليل في مكانه وتصاغره هيبة
لضد الدولة ، وهو في نفسه وهمته مختال . فكل عليل مبتدأ ؛ وفوقها : خبره .
(٢) يمسك فاه : نعت عليل ؛ والزوال : الساعة تلى الظهيرة : يقول : وليس
يسعل هيبة ، وقد طال مقامه من الغداة إلى الزوال ، يصف عسكره بالوقار إجلالاً له ،
هكذا قال أكثر النحويين - قال بعضهم : ولعل الأشبه بمراد اللتني أنهم كانوا يفعلون
ذلك مخافة أن ينفر الصيد إذا سمع جيتهم كما يستدل عليه من السياق التالي هذا : ويقال
طلعت الشمس والقمر والفجر والنجوم تطلع طلوعاً ، ومطلماً ومطلماً ، وهو أحد
ما جاء من مصادر فعل يفعل على مفعل ، ومطلماً بالفتح لغة ، وهو القياس ، والكسر
الأشهر . قال الفراء : إذا كان الحرف من باب فعل يفعل - مثل دخل يدخل وخرج
يخرج وما أشبههما - آثرت العرب في الاسم منه والمصدر فتح العين ، إلا أحرفاً من
الأسماء ألزموها كسر العين من مفعل : من ذلك المسجد والطلع والفجر والشرق
والمسقط والفرق والمجزر والمسكن والمنسك والمنبت ، فجعلوا الكسرة علامة للاسم
والفتح علامة للمصدر ، راجع لسان العرب مادة « طلع » [

(٣) يتل : ينج . ويرجع إلى موئل مضارع وأل أي نجا . وغير آل : أي غير مقصر
اسم فاعل من الأبالو . وعدا : ركض وجري . والأدغال : الآجام . وهى الشجر
الكثير للثقف . وانقل : دخل في الشجر . يقول : لم ينج من صيده الطير الذى طار
ولم يقصر في طيرانه : أى فكيف ينجو الذى قصر ؟ ولم ينج كذلك ما عدا من
الوحش ، فدخل واستتر بالأدغال : أى فكيف ينجو الذى لم يلجأ إلى الأدغال ؟

(٤) الدحال : جمع دحل ، كالمهوية في الأرض يجتمع فيها ماء وينبت القصب
و « من » بيان « لما » وحرام اللحم : ما كان كالحنظل والسيح والنمر ونحوها .
يقول : ولم ينج أيضاً ما تحسن بالماء والدحال مما يحل أكله وما لا يحل .

إِنَّ النُّفُوسَ عَدَدُ الْآجَالِ سَقِيًّا لِدَشْتِ الْأَرْزَنِ انْطُوالِ (١)
 بَيْنَ الْمُرُوجِ الْفَيْحِ وَالْأَغْيَالِ مُجَاوِرِ الْخَنْزِيرِ لِلرُّثْبَالِ (٢)
 دَانِيِ الْخَنَائِصِ مِنَ الْأَشْبَالِ مُشْتَرَفِ الدَّبِّ عَلَى الْغَزَالِ (٣)
 مُجْتَمِعِ الْأَضْدَادِ وَالْأَشْكَالِ (٤)
 كَانَ فَنَّا خُسْرًا ذَا الْإِفْضَالِ خَافَ عَلَيْهَا عَوَزَ الْكَمَالِ
 فَجَاءَهَا بِالْفَيْلِ وَالْفَيْيَالِ (٥)

(١) دشت الأرزن : موضع بشيراز : والدشت : الصحراء ؛ والأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصي . والطرال : مبالغة من الطويل ، وهو نعت للأرزن . يقول : إن النفوس معدة الاجال حتى تأخذها وتذهب بها ، ثم دعا لدشت الأرزن بأن يسقيه الله سقيا . وقال بعض الشراح : قوله إن النفوس عدد الآجال : أى أن عدد النفوس على عدد الرجال : يعنى أن لكل نفس أجلا ، وكان الوجه العكس : أى أن يقول : الآجال عدد النفوس ، قلبت الكلام تفننا .

(٢) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح . والأغيال : جمع غيل ، وهو الأجمة . والرثيال : الأسد . ويجوز في مجاور الحركات الثلاث : الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والنصب على أنه حال ، والجور على أنه نعت لدشت . يقول : إن هذا الدشت محاط بالمروج ، وفيه كل نوع من الصيد والحيوان ، فخريره مجاور للأسد .

(٣) الداني : القريب ؛ الخنايص : جمع خنوص ، ولد الخنزير . والأشبال : جمع شبل ، ولد الأسد . ومشترف : بمعنى مشرف يقال أشرف واشترف ، قال جرير :

* من كل مشترف وإن بمدّ المدى *

« يريد من كل فرس مشرف مرتفع » يقول : إن أولاد الخنازير فيه قرية من أولاد الأسد مجاورة لها ، والدب فيه مشرف على الغزال ، لأن الدب جبل والغزال سهل .

(٤) يقول : إن هذا المكان قد اجتمعت فيه الأضداد من الحيوان ، يعنى المفترسين كالأسد ونحوه وغير للفترس كالظبي والأرنب وكل واحد من هذين الفريقين أشكال .

(٥) فناخسر : اسم عضد الدولة ، والضمير في « عليها » للأضداد والأشكال . الفيال : الذى يسوس الفيل ، يقول : كأن المددوح خاف على هذا الحيوانات

قَفِيدَتِ الْأَيْلُ فِي الْجِبَالِ طَوْعَ وَهُوقِ الْخَلِيلِ وَالرَّجَالِ (١)
تَسِيرُ سَيْرَ النَّعَمِ الْأَرْسَالِ مُعْتَمَةً بَيْبَسِ الْأَجْدَالِ (٢)
وَلِذَنْ نَحَتْ أَثْقَلَ الْأَحْمَالِ قَدْ مَنَعْنُنَّ مِنْ التَّفَالِي (٣)

أن لا تكون كاملة لجفائها بما لم يكن فيها وهو الفيل ليكمل أمرها باجتماع الحيوانات فيها .

(١) الأيل : جمع إيل ، وهو حيوان من ذوات الظلف ، لذكور منه قرون متشعبة لا تجويف فيها ، أما الإناث فلا قرون لها . قال العكبرى : وهذا البيت الرواية فيه أيل - بضم الهمزة - على أنه جمع إيل ، والمعروف أيايل ، ووزن إيل فعل مثل القنب (١) وفعل لا يجمع على فعل وإنما فعل جمع فاعل كصائم وصوم وراكع وركع وساجد وسجد أقول : وقد جاء في اللسان أن بعضهم ذهب إلى أن « أيل » اسم للجمع ومفرد الأيايل الأيل بفتح الهمزة وكسر الياء ؛ قال الخليل ، وإنما سمى أيلاً لأنه يشول إلى الجبال . وبعد : فقد اضطربت كلمة اللغويين هنا فقبل مفرد الأيايل إيل وقيل أيل وقيل إن إيل وأيل جمع أيل « راجع لسان العرب مادة أيل » وطوع : حال . والوهوق : جمع وهوق وهو الجبل تؤخذ فيه الدابة وغيرها . والمراد بالخليل : الفرسان : يقول : صيدت الأيايل وقيدت بالجبال والوهوق حتى صارت طوعاً لها تقاد بها .

(٢) النعم . الإبل ، أما الأنعام ، فهي الإبل والغنم والبقر . قال الفراء : النعم يذكر ولا يؤنث ، ويجمع على نعمان ، مثل حمل وحملان ، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا الأنعام : أرادوا بها الإبل والبقر والغنم ، وقال ابن سيده النعم الإبل ، والنشاء ؛ ويذكر ويؤنث ، والجمع أنعام وأناعيم . والارسال : جمع رسل وهو القطيع من الإبل . ومعتمه : من العامة : والأجدال : جمع جذل ، وهو أصل الشجرة إذا قطع أعلاها . يقول . إن هذه الأيايل تسير في الجبال سيراً لنا كاتسير الإبل بعد أن صيدت وكانت قبل ذلك شديدة العدو - الجبرى - وهى ذات قرون كبار ملتفة كأنها قد اعتمت بأعواد يابسة من الأجدال .

(٣) يريد بأثقل الأحمال : القرون ، يعنى أنهم خلقن كذلك ، لأنه يكون لمن قرون حين الولادة . فالكلام منصرف إلى جنس الأيايل - لا إلى صفارهن - يصف قرون الأيايل بالثقل ، وأن هذه القرون تمنعها أن تفل رءوسها لا عوجاجها ؛ وقال ابن جنى : يعنى بأثقل

(١) ضرب من السكتان .

لَا تَشْرِكُ الْأَجْسَامَ فِي الْمَهْرَالِ (١) إِذَا تَلَقَّتْ إِلَى الْأُظْلَالِ (٢)
 أَرَيْنَهُنَّ أَشْنَعَ الْأَمْثَالِ كَأَنَّهَا خُلِقْنَ لِلْإِذْلَالِ (٣)
 زِيَادَةً فِي سُبَّةِ الْجِبَالِ (٤) وَالْعُضْوُ لَيْسَ نَافِعًا فِي حَالِ
 لِسَائِرِ الْجَنَسِ مِنَ الْخِبَالِ (٥)
 وَأَوْفَتِ الْفُدْرُ مِنَ الْأَوْعَالِ مُرْتَدِّيَاتٍ بِقِسْيٍ الضَّالِ (٦)
 نَوَاحِسَ الْأَطْرَافِ لِلْكَفَالِ يَكْذَنَ يَنْفُذَنَّ مِنَ الْآطَالِ (٧)

الأحمال الجبال : قال ابن فورجة : بل المراد القرون لأن الواحد منها إذا قطع حملة حمار أو رجل قال الواحدى : وقول ابن جنى أظهر لأنها ولدت ولا قرون لها ، ومن البعيد أن يراد قرون أبويها . والمعنى : ولدن تحت الجبال وقروهنن لطولها وتشعبها تمنعن من فى رؤوسهن لوجهن . وما ذهبنا إليه أظهر .

(١) الهزال . رقة لجسم يقول : إن هذه القرون لا تشارك أجسامها فى الهزال .
 (٢) و (٣) و (٤) السببة : العار يسب به . يقول إذا انتفت الأيائل إلى ظل قروهنن رأين لها أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعارجها ، فكأن قرونها خلقت لإذلال من نسب إليها لتكون زيادة فى تمييز الجبال يشير إلى قولهم فى الشتم : ياقرنان . وهو الذى لا غيرة له .

(٥) أراد بالعضو هنا القرن ، ولا يسمى القرن عضواً ، إذ ليس من جملة الأعضاء ولعله أطلق عليه عضواً لجوارته العضو . والجبال : الفساد وشلل الأعضاء كفى به هنا عن عدم استطاعة هذه الأيائل الفرار . فكأنها قد أصابها شلل أمسكها عن الجرى : يقول : إذا حل بالجسم خبال فإن أحد أعضائه كيفما كان لا ينفعه - فى حال من الأحوال - من ذلك الخبال ، يريد أن عظم قرونها لم ينفعها فى الخروج من الوهوق

(٦) أوفت : أشرفت من فوق الجبال ؛ والفدر : جمع الفدور ، والفادر ، قال الأصمى : الفادر من الوعول : الذى قد أسن ، بمنزلة القارح من الخيل ، والبازل من الإبل ، وقيل الوعل : الشاب التام . والضال : شجر ، وهو السدر البرى . يقول : وأشرفت الوعول للسنة ترتدى بقرونها كأنها - لا نعطفها - القسي التى تعمل من شجر الضال .

(٧) نواחס : حال من القسي . والآطال : جمع إطل ، وهو الخاصرة : وينفذ : مخرقن . يقول : إن أطراف هذه القرون تنحس أعجازها : أى تصيبها وتضربها وتكاد لطولها وانعاطفها تنفذ من خواصرها .

لَمَّا لِحَى سُوْدٌ بِلَا سِبَالٍ يَصْلُحْنَ لِلِإِضْحَاكِ لَا الْإِجْلَالَ (١)
كُلُّ أُنَيْثٍ نَبْتُهَُا مُتْفَالٍ لَمْ تُفْذَّ بِالْمِسْكِ وَلَا الْقَوَالِي (٢)
تَرْضَى مِنَ الْأَذْهَانِ بِالْأَبْوَالِ ، وَمِنْ ذِكْرِ الْمِسْكِ بِالْأَمْوَالِ (٣)

(١) اللحي : جمع لحية ؛ قال ابن سيده : اللحية اسم يجمع من الشعر ما ينبت على الحدين والذقن ؛ والجمع لحي ولحي .. مثل ذورة وذري - والسبال : الشوارب ، جمع سبلة ، الشارب : يقول : لها شعور قد تدلت من أعناقها كأنها لحي ولكن لا شوارب لها ، وتلك اللحي تصلح لأن تضحك لا لأن تبجل وتعظم . هذا : والسبلة أيضا مقدم اللحية ، وما أسبل منها على الصدر ، ومن هذا قولهم : جاء فلان وقد نشر سبلته : إذا جاء يتوعد ، قال الشاعر :

أَتْنِي سُلَيْمٌ قَصْهَا بِقَضِيضِهَا تُنَشِّرُ حَوْلِي بِالْبِقِيعِ سِبَالَهَا
يَقُولُونَ لِي يَا أَحِلْفُ وَلَسْتُ بِمُحَالِفٍ أَخَادِعُهُمْ عَنْهَا لَكَيْمَا أَنَا لَهَا
فَفَرَجَتْ غَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحِلْفَةٍ كَمَا قَدَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْهَا جِلَالَهَا (١)

(٢) و (٣) كل أنيث : بدل من اللحي : أي كل لحية هذه صفتها . والأنيث : من الشعر : الكثير الملتف ؛ ونبتها : فاعل أنيث ومتفاله : خبيثة الرائحة . والقوالي : جمع غالية ، وهي أخلاط من الطيب . والدمال : زبل الدواب ، وهو السرجين ، يقول لها لحي كثيرة الشعر منتنة الريح لم تطيب بمسك ولا بطيب بل بالبول والسرجين .

(١) سليم قبيلة ، وقصها بقضيضها : أي بأجمعهم ، وهو اسم منصوب موضع المصدر ، كأنه قال جاءوا انقضاضا ، وقال سيويه : كأنه يقول انقض آخرم على أولهم ، وأصل القض : الكسر ، وقد استعمل الكسر موضع الاتقضاض كقولهم عقاب كاسر أي منقضة ، والبقيع الموضع المعروف بالمدينة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم . وتنشر حولي الخ يروي تميم أراد أنهم يسمعون لحام ، وهم يتوعدونه ، وقوله يا أحلف أي يارجل أحلف ، أو «يا» للتنية ؛ وأخادعهم عنها : أي عن الحلفة ، فأقول لهم لا أحلف ، وأظهر أن الحلف يشق على ، وقوله لكَيْمَا أَنَا لَهَا : أي الحلفة . وقوله ففرجت الخ : يريد كشفت هذا التيم عن اليمين الكاذبة كما كشفت الشقراء ظهرها بشق جلها عنه ، والشقراء : يريد الناقة وفي مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي :

وإني لقد وَحَلَفِ كَاذِبٍ إِذَا مَا اضْطَرُّرْتُ فِي الْحَالِ ضَيْقُ
وَهَلْ مِنْ جُنَاحٍ عَلَى مُسَرِّ يَدَافِعُ بِأَفِّهِ مَا لَا يَطْبِقُ

لَوْ سُرِّحَتْ فِي عَارِضِي مُخْتَالٍ لَعَدَّهَا مِنْ شَبَكَاتِ الْمَالِ (١)
بَيْنَ قَضَاةِ السُّوءِ وَالْأَطْفَالِ (٢) شَبِيهَةَ الْإِدْبَارِ بِالْإِقْبَالِ
لَا تُؤْتِرُ الْوَجْهَ عَلَى الْقَدَالِ (٣) فَأَخْتَلَفْتُ فِي وَابِلَى نِبَالِ
* مِنْ أَسْفَلِ الطُّودِ وَمِنْ مُعَالِ (٤) *

(١) تسريح الشعر : حله وتخليص بعضه من بعض . والعارضان : جانبا الوجه .
يقول : لو سرحت هذه اللحي حال كونها في وجه رجل ذى احتيال لكانت له شبكة
يصطاد بها أموال الناس لأن ذا اللحية الطويلة يعظم ويظن به الخير ويؤمن ، وإذا كان
معتادا خان الأمانة وفاز بها :

(٢) يقول : لعددا شبكة من الشباك التي ينصها قضاة السوء لأخذ أموال اليتامى بما
يظهرون من حلي المهابة والوقار وسناء الخير والتقى . هذا : والسوء : الاسم - من
سأه يسوءه سوءاً - والسوء : الفجور والنكر : تقول هذا رجل سوء بالإضافة ، وإذا
دخلت عليه الألف واللام قلت هذا رجل السوء ، قال الفرزدق :

وكدت كذئبِ السُّوءِ لَمَّا رَأَيْتُ دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ (١)
قال الأَخْفَشُ : ولا يقال الرجل السوء ، ويقال الحق اليقين ، وحق اليقين جميعا ،
لأن السوء ليس بالرجل ، واليقين هو الحق . قال : ولا يقال هذا رجل السوء - بالضم
- وقرأ ابن كثير وأبو عمرو قوله تعالى « عليهم نائرة السوء » بضم السين ، يعنى الثمر
والهزيمة ؛ وقرأ باقي القراء بفتح السين ، وهو من النساء . (راجع لسان العرب
مادة « سوا »)

(٣) الإقبال والإقبال : مصدرا أدبر وأقبل ؛ والدبر : خلاف القبلة قال، الجوهري
ودبر كل شيء ودبره : آخره ، على المثل ، قال الكمي :

أَعَهْدَكَ مِنْ أَوْلَى الشَّبِيهَةِ تَطَلُّبُ عَلَى ذُبُرِ هِيَمَاتٍ شَأْوٌ مُغْرِبٌ (٢)
والقذال : مؤخر الرأس : يقول إذا استدبرت هذه اللحي رأيتها كما تستقبلها لعظميا
وعرضها فهي تمع الوجه والقفا .

(٤) فأختلفت : عطف على قوله « وأوفت » . والوابل : للطر الكثير . والطود :

(١) أحال الذئب على الدم : أقبل عليه ، قال الفرزدق أيضا :

فَنَحَى لَيْسَ لَابِنِ الْعَمِّ كَالذَّبِّ إِذَا رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْمًا دَمًا فَهِيَ آكِلَةٌ
(٢) شأو مغرب - بكسر الراء وفتحها - بعيد .

الجبل . وقوله : من معال ، يقال أتيته من عل ومن عال ومن معال ومن عال الدار -
بكسر اللام - ومن علا ؛ قال ذو الرمة في من «معال» :

فَرَجَ عَنْهُ حَلَقَ الْأَغْلَالِ جَذْبُ الْعُرَى وَجِرِيَةِ الْجِبَالِ

* وَنَفْضَانُ الرَّحْلِ مِنْ مُعَالٍ ^(١) *

وفي « أتيته من علا » يقول أبو النجم :

بَاتَتْ تَنُوشُ الْحَوْضَ نُوْشًا مِنْ عَلَا نُوْشًا بِهِ تَقَطَّعُ أَجْوَازَ الْفَلَاحِ ^(٢)

وفي « من عل الدار » بكسر اللام قال امرؤ القيس :

مِكَرًا مِيفَرًا مُقْبِلٍ مَدْبِرٍ مَعَا كَجَلُودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ ^(٣)

وفي « أتيته من عل » - بضم اللام - أنشد يعقوب لعدى بن زيد :

فِي كِنَاسٍ ظَاهِرٍ يَسْتَرُهُ مِنْ عَلٍ الشَّفَانِ هُدَابُ الْفَنَنِ ^(٤)

(١) أراد : فرج عن حنين الناقة حلق الأغلال - يعنى حلق الرحم - سيرنا . وكل

حركة في ارتجاف نفخ ونفضان والجرية - بالكسر - حالة الجريان

(٢) باتت : أى الإبل ؛ وتنوش الحوض : تتناول ملاء أفواها من مائه ، ومن

علا : أى من فوق ، يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق ، وذلك النرش الذى تناله

هو الذى يعينها على قطع الفلوات ؛ والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط : أى تتناول

ماء الحوض من فوق وتشرب شرابا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج

إلى ماء آخر .

(٣) يقول امرؤ القيس : إن هذا الفرس مكر إذا أريد منه الكسر على العدو ،

ومفر : إذا أريد منه الفر ، ومقبل ، ومدبر : إذا أريد منه ذلك ، وقوله معا :

يعنى أن الكسر والفر والإقبال والإدبار مجتمعة فى قوته لا فى فعله ، لأن فيها

تضادا ؛ ثم شبهه فى سرعة مره وصلابته بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال

إلى حضيض .

(٤) الشفان هنا : البرد ، وهو منصوب بإسقاط حرف الجر : أى يستره هدايب

الفنن من الشفان ، والهداب : كل ورق ليس له عرض كورق السرو والأثل والفتز

الفنن أو ما تشعب من ورقه .

أما قول أوس بن حجر يصف قوسا وقواسا :
فَمَلَّكَ بِاللَّيْطِ الَّذِي تَحْتَ قَشْرِهَا كَغِرْقَى بِيضٍ كَنَّهُ الْقَيْضُ مِنْ عَلُوٍّ (١)
فإن الواو زائدة ، وهي لإطلاق القافية ، ولا يجوز مثله في الكلام .
وفي « أئنته من عال » يقول دكين بن رجاء :

يُنْجِيهِ مِنْ مِثْلِ حَامِ الْأَغْلَالِ وَقَعُ يَدِ عَجَلَى وَرِجْلِ شِمْلَالِ
* ظمأى النَّسَاءُ مِنْ تَحْتِ رِيَاءٍ مِنْ عَالٍ (٢) *

وأئنته من علو ؛ قال أعتى باهلة :

إِنِّي أَتَنَّى لِسَانٌ لَا أُسْرُ بِهَا مِنْ عَلُوٍّ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرٌ (٣)
وروى من علو وعلو يقول : رشقت هذه الأيائل بالنبال من أعالي الجبال وأسافلها
فهي تجيء منها وتذهب بين نبال كالمطر تأبها من كل جانب .

(١) الليط : جمع ليطة - كريش وريشة - قشرة القصبه والقوس والقناة وكل
شيء له متانة ، والقبيض قشر البيض الأعلى اليابس وغرقى البيض : قشره الذي تحت
القبيض ، وملاك : شدد - من قولهم ملكت المرأة العجين : إذا عجته وأنعمت
عجنه وأجادته - والذي : مفعول ملك لصفة لليط ؛ يقول أوس : ترك شيطاً من القشر
على قلب القوس تتالك القوس به - أى تقوى وتشدت - يكنها أى : يسترها لثلا يبدو
قلب القوس فيتشقق وهم يحملون عليها عقبا إذا لم يكن عليها قشر ، ولذلك مثله
بالقبيض للفرق .

(٢) الأغلال : جمع غلل ، وهو الماء الذى يتخلل بين الشجر ، وشمال خفيفة
سريعة ، والنساء - بوزن العصا - عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر
بالعقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمعت الدابة انقلقت فغذاها بلحمتين عظمتين وجرى
النسائينهما واستبان وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان : جمع ربله
باطن الفخذ ، وخفى النساء . يصف دكين فرسا . يقول : ينجى هذا الفرس من خيل
مثل حمام رد غلامن الماء وقع يد الخ يصفه بالسرعة ثم قال إن قوائمه ليست برهلة ولا
كثيرة اللحم ويحمد ذلك فيها ، ثم قال : إنها رياء من فوق يقال فرس ريان الظهر إذا
سمن متناه .

(٣) من كنهة المشهورة التى رثى بها النثر ، واللسان هنا : يراد بها الرسالة والكلمة والخبر

قَدْ أَوْدَعَتْهَا عَتَلُ الرُّجَالِ فِي كُلِّ كَبِدٍ كَبِدَى نِصَالٍ (١)
 فَهِنَّ يَهُونَ مِنَ الْقِلَالِ مَقْلُوبَةَ الْأَطْلَافِ وَالْإِرْقَالِ (٢)
 يُرْقَلْنَ فِي الْجَوْ حَلَى الْمَحَالِ فِي طُرُقِ سَرِيعةِ الْإِیْصَالِ (٣)
 يَنْمَنَ فِيهَا نِيْمَةً الْمِكْسَالِ حَلَى الْقَفَى أَعْجَلَ الْمِجَالِ (٤)
 لَا يَنْشَكِّينَ مِنَ الْكَلَالِ ، وَلَا يُحَاذِرْنَ مِنَ الضَّلَالِ (٥)
 فَكَانَ عَنْهَا سَبَبَ التَّرْحَالِ تَشْوِيقُ إِكْتَارِ إِلَى إِقْلَالِ (٦)

(١) العتل : القسى الفارسية . والرجال - بكسر الراء - و يروى بضمها ؛
 والثقليل : جمع راجل ؛ والكبد : بالكسر وفتح فكسر - لغتان - والنصال : جمع
 نصل ، الحديدية المركبة في السهم ؛ وكبداها الثابتان وسط تلك الحديدية عن يمينها وشمالها
 يقول : رمت قسى الرجالة تلك الوعول فأدخلت في كبد كل منها نصلا من نصال السهام ،
 يعنى أن الرماة قد أئخنها بالرمح .

(٢) يهون : يسعطن . والقلال : جمع قلة ، أعلى الجبل والظلف الحافر المشقوق
 والإرقال : ضرب من العدو . يقول : فهن يستطنن من أعالي الجبال منحدرات على
 ظهورهن فصارت أظلا فهن مقلوبة وصار عدوهن - جريهن - على الظهور بعد أن
 كان على الأظلاف

(٣) يرقلن : يجريهن . والحال : فقار الظهر ، جمع محالة . يقول : هي تعدو في الجوى

نازلة على ظهورها في طرق تسرع إيصالها إلى الحضيض كما هو شأن ما يهوى سفلا :

(٤) النيمة : هيئة النوم . والمكسال : صيغة مبالغة من الكسل . وتروى : الكسال

جمع كسلان . والقفى : جمع قفا . والمجال : جمع عجل وعجلان وأعجل المجال : حال .

لما زلت في تلك الطرق على قفها جعلها كالنائم المستلقى على ظهره كسلا ؛ ولكنها في

ذلك أسرع المجال اسرعة هوبها .

(٥) يقول : لا يشتكين في تلك السرعة نصبا ولا تعباً ولا إعياء ، لأنهن لا يقفن

عن النزول ، ولا يخفن ضللا ولا نيبا في طريقهن لأنها تفضى بهن إلى الأرض البتة .

(٦) عنها : صلة الترحال ؛ والضمير للوحوش ؛ وسبب : خبر « كان » ؛ وتشويق :

اسمها وتقدير الكلام : فكان تشويق إكثار إلى إقلال سبب ترحال عنها . يقول : لما

أكثر من صيدها شوقه الإكثار من الصيد إلى الإقلال ، لانه مل الصيد لكثرتة فكان

ذلك سبب رحيله عنها .

فَوْحَشُ نَجْدٍ مِنْهُ فِي بَلْبَالٍ يَخْفَنَ فِي سَلْمَى وَفِي قِيَالٍ ^(١)
 نَوَافِرَ الصُّبَابِ وَالْأُوزَالِ ، وَالخَاضِبَاتِ الرَّبْدِ وَالرِّثَالِ ^(٢)
 وَالظُّبَى وَالخُنْسَاءِ وَالذِّبَالِ يَسْتَمَنُّ مِنْ أَخْبَارِهِ الْأُزْوَالِ
 مَا يَبْمَثُ الْخُرْسَ عَلَى السُّوَالِ ^(٣) * .

فُصُولَهَا وَالْمُؤَذُ وَالنَّعَالِي تَوَدُّ لَوْ يُتَجَحَّ فَنَهَا بِوَالِي ^(٤)
 يَرْكَبُهَا بِالخَطْمِ وَالرِّحَالِ يُؤْمِنُهَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ ^(٥)

(١) البلبال : الهم والحزن . وسلمى : أحد جبل طيء ، والآخر أجا . وقيل : جبل بالبادية . يقول : لكثرة فتكه بالصيدخاته الوحوش حتى بات وحش نجد في خوف وهم وكذا وحش جبل طيء ، فهي تخشى أن يقصد إليها .
 (٢) نوافر - كما قال ابن جنى - حال من ضمير « يخفن » والضباب : جمع ضب ، وهو الدوية المعروفة يأكلها العرب . والأوزال - جمع وزل - دابة على حلقة الضب أعظم منه ، طويلة الذنب دقيقتة . والخاضبات الربد : النعام لا تنهار بدم الأتلوان - في لونها غرة - فإذا أكلت الربيع انخضبت - احمرت سوقها - فيسمى الظليم خاضبا ، قال أبو ذؤاد :

* لَهُ سَاقَا ظَلِيمٍ خَاضِبٍ فَوْجِيءٍ بِالرُّعْبِ *

« راجع لسان العرب - مادة - خضب » والرثال : جمع رأل . فرخ النعام . يقول إن وحوش سائر النواحي نفرت خوفا منه .

(٣) الخنساء : المها - بقر الوحش - لخنس أنفها . والذبال : الثور الوحشي لطول ذنبه . والأزوال : جمع زول ، وهو العجيب الظريف من كل شيء . يقول : إن الوحوش تسمع من أعاجيب أخبار عضد الدولة في الصيد ما يبعث الحرس على السؤال عنه مع مهزها عن السؤال :

(٤) غولها : جمع غل ، وهي رواية ابن جنى : وتروى غولها - بفتح الفاء التي هي للجواب - كما تقول أكثر من الجليل فالناس كلهم يشكروك ، فأبى بالفاء لأن فعل الجليل كان سبب الشكر . والحوول : جمع حائل ، ضد الحامل . والموذ : الحديثات التتاج ، جمع عائد والمتالي : جمع للتلية ، وهي التي تتلوها أولادها ، يقول : إن أنواع الوحوش تود وتمنى لو بعث إليها من يلى عليها فيذلها ، وتنمة الكلام فيما يلي .

(٥) يركبها : نعت وال ، والخطم : جمع خطام ، وهو الزمام ؛ وخطمت البعير : زيمته ، والرحال : جمع رحل ، وهو اللابل كالمسروج للخيل ، يقول : هذا الوالي

وَيَخْمَسُ الْعُشْبَ وَلَا تُبَالِي ، وَمَاءٌ كُلُّ مُسْبِلٍ هَطَالٍ ^(١)
 يَا أَقْدَرَ السَّفَارِ وَالْفُقَالِ لَوْ شِئْتَ صِدْتَ الْأَسْدَ بِالثَّمَالِي ^(٢)
 أَوْ شِئْتَ غَرَقْتَ الْعِدَا بِالْأَلِ ، وَلَوْ جَعَلْتَ مَوْضِعَ الْإِلَالِ
 * لِأَيْنَا قَتَلْتَ بِاللَّالِي ^(٣) *

يذلك الوحش حتى تنقاد في الأزيمة والرحال ، فتصير آمنة من أهوال الطرد وبما يصيبها من خوف الصيد ؛

(١) خمس للال : أخذ خمسة ، والمسبل : من السحاب الماطل ؛ والمطال : المتتابع السيلان ، يقول : ويأخذ ذلك لوالى خمس ما ترعاه الوحش من العشب وخمس الماء الذي ترده وترضى بذلك ولا تبالي :

(٢) السفار : السافرون ، وهم السفر ، وواحد السفر - في القياس - سافر ، مثل صاحب وصحب ، إلا أنه لم ينطق بـ «سافر» ، والفقال : جمع قافل ، وهو الراجع من من سفره ، كأنه قال : يا أقدر الناس جميعاً ذاهباً كنت أم راجعاً : والثعالبي : الثعالب على الإبدال ، وهو خاص بالشعر ، ومثله الأرائي ، جمع أرنب قال أبو كاهل اليشكري يشبه ناقته بعقاب :

كَانَ رِجْلِي عَلَى شَفْوَاءِ حَادِرَةٍ ظَمِيَاءٍ قَدْ بُلَّ مِنْ طَلِّ خَوَافِيهَا
 لَهَا أَشَارِيرٌ مِنْ لَحْمٍ تُتَمَرُّهُ مِنْ الثَّمَالِي وَوَحْزٌ مِنْ أَرَانِيهَا ^(١)

يقول . لو شئت غلبت الضعيف على القوى حتى تصيد الأسود بالثعالب .

(٣) الآل : ما يرى نصف النهار كأنه ماء . والإلال جمع آلة ، وهي الحرية العريضة النصل . يقول : لو شئت غرقت أعداءك بما هو ليس بماء . ولو طعنتم بالآلي بدل الإلال - الحراب - لقامت الآلي في إهلاكهم مقام الحراب لأنك مظفر منصور .

(١) الشفواء : العقاب ، سميت بذلك من الشفى ، وهو انعطاف منقارها الأظلي ؛ والحادرة : الضليطة ، والظمياء : المائلة إلى السواد ، وخوافيها : يريد خوافي ريش جناحها ، والأشارير : جمع أشرارة ، وهي اللحم المحنق للادخار ، وتتمر : تجففه ، واشتقاقه من التمر ، يريد بقاءه في وكرها حتى يحف لكثرة ، والوحز : القطع من اللحم ؛ وأصل الوحز : الطعن الخفيف ، كأنه يريد ما تقطعه من اللحم بسرعة ورجلي يروي رحلي ، والثعالبي : الثعالب ، والأرائي : الأرناب .

لَمْ يَبْقَ إِلَّا طَرْدُ السَّعَالِي فِي الظُّلْمِ الْفَائِئِبَةِ الْهَلَالِ (١)
 عَلَى ظُهُورِ الْإِبِلِ الْأَبَالِ فَقَدْ بَلَّغْتَ غَايَةَ الْأَمَالِ (٢)
 فَلَمْ تَدَّعْ مِنْهَا سِوَى الْمُحَالِ فِي لَا مَكَانَ عِنْدَ لَا مَنَالِ (٣)
 يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَالْمَعَالِي النَّسَبُ الْحَلِيُّ وَأَنْتَ الْحَالِي (٤)
 بِالْأَبِّ لَا بِالشَّنْفِ وَالْحَلِّحَالِ حَلِيًّا تَحَلَّى مِنْكَ بِالْجَمَالِ (٥)
 وَرُبَّ قُبْحٍ وَحُلَى تُقَالُ أَحْسَنُ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي الْمُعْطَالِ (٦)

(١) و (٢) الطرد: الصيد، وهو مصدر طرد، مثل الطرد - بالإسكان - والسعالى: جمع سعاله، وهى العول، يقال إنها تتمثل فى الفلوات على صورة الجن . والظلم: الليالى التى فى آخر الشهر لا يطلع فيها القمر . والأبال: جمع أبل، وهى التى تجزى بالكلاء عن الماء . يقول: لم يبق إلا أن تصيد الفيلان فى الهامه على ظهور الإبل، يعنى ملكت الإنس والوحش وكففت شر كل ذى غائلة فلم يبق إلا أن تحلى للفاوز من السعالى حتى لا تؤذى السائرین فى الليالى المظلمة، وإنما خص الإبل لأن الحيل لا تعمل فى الفاوز، وجعلها مكنتية عن الماء بالكلاء لئلا تحتاج إلى الماء .

(٣) المحال: المستحيل الذى لا يكون . يقول: بلغت غاية آمالك وملكك كل شئ يوصف بالوجود وبدرك مكانه ولم تترك إلا اللعدم الذى لا يوصف بالمكان والوجود . وقوله فى: « لا مكان » كما يقال سافرت بلا زاد .

(٤) و (٥) الحلى: ما يصاغ من الجواهر للزينة: والحالى: صاحب الحلى؛ وبالأب: متعلق بمحذوف - أى تحلى - والشنف: القرط الذى يطلق فى أعلى الأذن؛ وحليا: مفعول العامل المحذوف يقول: النسب حلية لصاحبه وأنت الحالى بتلك الحلية، فانت إنما تتحلى بأبيك لا بما تزين به النساء من حلين، وذلك الحلى الذى هو نسبك تزين منك بالجمال: يعنى أن أبالك بزينةك وأنت جماله تزينه أيضاً .

(٦) المعطال: الذى لا حلى عليها . يقول: إن الحلى لا تكسب الحسن إذا كان لا يسها قبيحا، فيكون الحسن فيمن لا حلى عليه أحسن من الحلى فيمن لا حسن فيه؛ يعنى أن من لا فضيلة له فى نفسه لا تجديه فضيلة النسب كالتقيح إذا تحلى، وقال ابن القطاع: صحف هذا البيت كل الرواة فرووه قبح - بالتفاف والياء - وهو ضد الحسن ولا معنى للقبح فى هذا البيت، لأنه لا يحل أحد أن الحسن خير من القبح . وقال أحسن منها، فعاد الضمير على العلى وحدها ولم يكن للقبح ذكر، لأن الحلى مؤنثة

فَفَخَّرُ الْفَتَىٰ بِالنَّفْسِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ قَبْلِهِ بِالْمَمِّ وَالْأَخْوَالِ (١)

* * *

والقبح مذكر ، ولا يجوز أن يظلم المؤنث على الذكر ، وإنما غرم ذكر الحسن فظنوا أنه قبح ، وإنما هو فتح - بالفاء والتاء والحاء المعجمة - جمع فتحة ، يقال : فتحة وفتحة وفتح وفتحات وفتاح وفتوح ، وهي خواتيم بلا فصوص يلبسها نساء العرب في أصابع أيديهن وأرجلهن . . . أقول : وما يستطرف إرادته هنا شاهدا على الفتح ، وأنها كما قال ابن القطاع قول الدهناء بنت مسحل زوج العجاج - وكانت رفعته إلى المنيرة بن شبة . فقالت له : أصلحك الله إني منه بجمع : أى لم يفتضى ، فقال العجاج :

الله يعلم يا مغيرة إننى قد دُستها دوس الحصان المرسل
وأخذتها أخذ المصيب شاته عجلان يذبها لقوم نزل
فقالت الدهناء :

والله لا تخدعنى بِشَمِّ ، ولا بتقبيل ، ولا بِبَمِّ
إلا بزعراع يسلى همى تسقط منه فتخى فى كفى
« الزعراع : الاسم : من زعرعه زعرعة : أى حركة » .

(١) غر : مبتدأ ، خبره : من قبله ، والضمير فى قبله : للفخر ، وبالهم : حال من الضمير المذكور ، وقال الصكبرى : الباء فى قوله « بالهم » متعلقة بفعل محذوف يدل عليه الكلام : أى لا يفخر أحد بعمه وخاله ويترك نفسه وأفعاله ، ولا يجوز أن يتعلق بالهاء فى « قبله » وإن كانت ضمير الصدر ، لأنه لا نسبة بينه وبين الفعل ، ولا يجوز تعلق حرف الجر به ويجوز أن تكون الباء مع ما بعدها فى موضع نصب على الحال من الهاء فى « قبله » وتكون أيضاً متعلقة بمحذوف : أى من قبله كائنا بالهم ، كقولك هند مرت بها من الصالحات . يقول : إنما يفتخر الفقى بشرف نفسه وحسن أفعاله من قبل أن يفتخر بعمه وخاله ، قال البحرى :

فما الفخرُ بالعظمِ الرميمِ وإنما فخارُ الذى يبغى الفخارَ بنفسه

قافية الميم

وقال يمدح سيف الدولة وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلثمائة عند نزوله
أنطاكية من ظفريه بحصن برزويه، وكان جالسا تحت فارة من الديباج * عليها
صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان :

وفاؤ كما كالربيع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاء ساجه (١)

* الفارة : مظلة تمد بعمود . وقال بعض اللغويين : هي بناء من خرف وغيرها تبنى
في المساكر ، والجمع فاز :

(١) وفاؤ كما كالربيع : مبتدأ وخبر . وأشجاء : أى أشده شجوا ، من قولك :
شجاني هذا الأمر ؛ أى أحزني . والطاسم : الطامس الدارس . « بأن تسعدا » : أى
تسعدا وتعاوننا ، متعلق بوفاء ، وذلك من الضرورات القبيحة ، لأنه لا يجوز أن يتعلق
بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء وسجم الدمع : سال وهطل بمخاطب خليليه الذي عاهداه
على أن يساعده على البكاء . عند ربيع الأحبة يقول لها : إن وفاء كما بأن يسعداني
على البكاء كهذا الربع ، فإن الربع كلما تقادم عهده كان أشجى لزايره وأشد جزئه لأنه
لا يتسلى به الحب ، وكذلك وفاؤ كما كلما ضعف وقل إسعادكالى على البكاء اشتد حزني
إذ لا أحد من أتسلى به ، ثم قال والدمع أشفاء ساجه ، كأنه يقول : إن لى العذر فى
البكاء ، أما أنتا غليان ، إذ لو كنتما محزونين مثلى لاستشفيتما بالدمع ، كما هو شأن
المحزون مثلى . يريد : أبكيا معى بدمع فى غاية السجوم فهو أشقى للوجد ، فإن الربع
فى غاية الطسوم وهو أشجى للمحب . وقال ابن جنى : المعنى : كنت أبكى الربع وحده
فصرت أبكى وفاء كما معه ، ولذلك قال وفاؤ كما كالربيع : أى كلما ازددت بالربيع وبوفائكما
وجدا ، ازددت بكاء ، ويروى والدمع - بالجر - عطفا على الربع ، وعلى هذا يكون
المعنى : وفاؤ كما كالربيع الدارس فى الأدوية إذا لم تجربيا عليه الدمع الساجم ، وفى الشفاء
إذا أجرينا عليه . وعبارة ابن القطاع : وفاؤ كما لى بالإسعاد عفا ودرس كالربيع الذى
أشجاء للعين دارسه ، فكنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى معه وفاء كما وشفتى الدمع
الذى هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجه . وقال الإمام التبريزى : الشعراء وغيرهم
يرحمون أن البكاء يجلو بعض المم عن المكروب المحزون ، قال الفرزدق :

وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ
أَعَقُّ خَلِيلِيهِ الصَّمِيغِينَ لَأُمَّه^(١)
أَلَمْ تَرَ أَنِي يَوْمَ جَوْ سُوَيْقَةٍ
بَكَيتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَا لِيَا
فَقَلْتُ لَهَا إِنَّ الْبِكَاءَ لِرَاحَةٍ
بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا^(١)

قال التبريزي : لامهما على البكاء . وأنهما لم يسعداه ، قال : وذهب بعض الناس إلى أنه أراد بالمخاطبين عينيه . هذا : ولناسبة « أشجاه » روى الرواة أن المتنبي لما أشد هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضرا ، فقال للتنبي تقول أشجاه وهو هجاء؟ فقال له : اسكت ليس هذا من علمك ، إنما هو اسم لافعل . . يريد المتنبي أنه اسم تفضيل : أي أشده شجوا لا كما ظن ابن خالويه أنه فعل . . لأنه في الفصح يقال - كما أسلفنا - شجاه يشجوه شجوا : إذا حزنه ، وشجاه تذكر إلفه : أي هيجه ، وشجاه الفناء : إذا هيج أحزانه وشوقه ، وأما أشجاه يشجيه إشجاه : فهو بمعنى أغصه ، والشجا : ما اعتراض في خلق الإنسان والدابة من عظم أو عود أو غيرها ، قال سويد بن أبي كاهل اليشكري :

وِيرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ
عَسِرًا مَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعُ

وقد شجى به - بالكسر - يشجى شجا ، قال المسيب بن زيد مناة الضنوي :

لَا تُنْكَرِ الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا
فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا

« في حلقكم : أراد في حلوكم »

(١) قوله : وما أنا إلا عاشق : إخبار عن نفسه بالعشق بلفظ مؤكد ، ثم استأنف فقال : كل عاشق له خليلان صفيان فأعقهما في الحلة - الصداقة والود - من لابه في هواء ، وفي هذا تعريض بالنهي عن اللوم . يقول : إن من لامني منكما على البكاء والجزع اعتقدت فيه اعقوق ، فكان لأتمكما أعقكما ؛ قال الواحدى : ومعنى الأعق ههنا : العاق ، كقول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
بَيْتًا دَعَايُمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

وكما قال الجاهلي :

خَالِي بَنُو أَوْسٍ وَخَالُ سَرَائِهِمْ
أَوْسٌ فَأَيُّهُمَا أَدَقُّ وَالْأُمُّ

أي فأيهما الدقيق والاثيم ؟ وليس يريد أن الدقة واللؤم اشتغلا علمهما معاً ثم زاد أحدهما على صاحبه ، وقد يطلق هذا اللفظ ولا يراد به الاشتراك ، كقوله تعالى « أصحاب الجنة خير مستقراً وأحسن مقيلاً » ولا خير في مستقر أهل النار ولا حسن ، كذلك جاز أن يقول : أعق خليليه وإن لم يكن للمسك عن اللوم صفة عقوق . هذا : ويروي

(١) مطلع إحدى قصائده ، وهي أول قصيدة هجا بها جريرا والبيث

وَقَدْ يَتَزَيَّا بِأَلْمَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ
وَيَسْتَصْحِبُ الْإِنْسَانَ مَنِ لَا يُبْلِغُهُ (١)

كل عاشق ، بنصب « كل » على أنه مفعول عاشق ، يريد إني عاشق كل عاشق مصف يعد خليفه العاق من لامة في هواء

(١) التزيى : تكلف الزى ، وهو اللباس والهيئة . قال الواحدى : وفى هذا البيت تعريض صاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وإن تكلفاه واتسما به . يقول : قد يتكلف الإنسان الهوى وليس من أهله ، وفيه تعريض أيضاً بأنهما ليسا من أهل الصعبة حيث قال : قد يسأل الإنسان الصعبة من لا يكون موافقا له فى أحواله ، وهذا يدل على أن صاحبيه لم يفيا بما عاهدا من الإسعاد . هذا : ولناسبة « تزييا » قال ابن جنى : سأله . . . أى للتنبى - عن قوله « تزييا » هل تعرفه فى اللغة أو فى كتاب قديم ؟ قال : لا . قلت : فكيف تقدم عليه ؟ قال قد جرت به عادة الاستعمال . قلت : أنرضى بشيء تورده العامة ؟ قال : ما عندك فيه ؟ قلت : قياسه يتزوى . قال : من أين لك ؟ قلت لأنه من الزى وعينه واو ، وأصله زوى ، فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، ولأنها أيضاً ساكنة قبل الياء ، ودليل أن عينه واو أنهم لا يقولون لفلان ، « زى » إذا كان له شيء واحد يستحسن حتى مجتمع له أشياء كثيرة حسنة ، فحينئذ يقال له « زى » : من زويت أى جمعت . وقال الآخر * زوى بين عينيه على الحاجم (١) * فقلت له : إلى هذا ذهبت فأصنى نحوه . . . وقد ذكره صاحب العين - أى الخليل بن أحمد - فقال تزييا فلان بزى حسن وزيبته تزية - بوزن نحية - فإن ثبت فليس بناقض لما قلت إنه يتزوى ، فيجب أن يكون قلب الواو ياء تخفيفاً كقول الآخر : إن ديموا جاد وإن جادوا وبل (٢) وهو من دام يدوم ولكن لما رأى الديمة والديم

(١) عجز بيت للأعشى ؛ وصدرة :

يَزِيدُ بِيضُ الطَّرْفِ دُونِي كَأَنَّمَا زَوَى . . . الخ
وبعده :

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا أَنْزَوَى وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفِكَ رَاغِمٌ

يقال زوى ما بين عينيه فانزوى : جمعه فاجتمع

(٢) عجز بيت لشاعر جاهلى يقال له جهم بن سبل ؛ وصدرة :

أَنَا الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ بْنِ سَبَلٍ إِنَّ دِيمُوا . . . الخ

بَلَيْتُ بِلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا
وَقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التَّرْبِ خَاتِمُهُ^(١)

بِأَنَّ أَنَسَ بَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا لِحَفْنِهَا كَمَا قَالُوا فِي عِيدِ أَعْيَادٍ ، وَفِي تَهْقِيرِهِ عِيدٌ ، وَهُوَ مِنْ عَادَ يَعُودُ ، وَكَانَ قِيَاسُهُ عَوِيدٌ وَأَعْوَادٌ ، كَمَا قِيلَ فِي تَهْقِيرِ « رِيحٍ » رُوحٌ ؛ وَفِي جَمْعِهَا أَرْوَاحٌ ؛ وَحِكْيُ اللَّحْيَانِي فِي نَوَادِرِهِ : رِيحٌ وَأَرْوَاحٌ ، فَهَذَا مِمَّا أُجْرِيَ مَجْرَى الْبَدَلِ الْإِلَازِمِ لِحَفْنَةِ الْيَاءِ ، وَكَذَلِكَ يَتْرَى إِنْ كَانَ صَحِيحًا مِنْ كَلَامِهِمْ ، فَهُوَ مِمَّا أُلْزِمَ بِدَلِّ الْيَاءِ مِنَ الْوَاوِ تَخْفِيفًا ، وَلِأَنَّهُ قَدْ أَبْدَلَهَا فِي زِيٍّ قَصْدًا مِنْ طَرِيقِ الْإِشْتِقَاقِ ، وَالْقِيَاسِ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ عَيْنُ الزِّيِّ وَوَاوٌ فِي الْأَصْلِ ، لِأَنَّ بَابَ طَوَيْتَ ، وَرُوِيَتْ مِمَّا عَيْنُهُ وَوَاوٌ وَوَلَامُهُ يَاءٌ أَكْثَرَ مِنْ بَابِ حَيِّتَ وَعَيِّتَ مِمَّا عَيْنُهُ وَوَلَامُهُ يَاءٌ إِنْ فَلِمَا اجْتَمَعَ الْقِيَاسُ وَالْإِشْتِقَاقُ عَلَى قَضِيَّتِهِ لَزِمَ قَبُولُهَا وَرَفْضُ مَا عَدَاهَا وَخَالْفُ وَضْعِهَا .

(١) الْأَطْلَالُ : آثَارُ الدِّيَارِ . يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّ يَبْلِي بِبَلَى الْأَطْلَالِ ، إِنْ لَمْ يَقِفْ بِأَطْلَالِ الْأُحْبَةِ مَتَّوَجِعًا لَهَا مَنَحِيًّا ، كَمَا يَفْعَلُ الشَّحِيحُ إِذَا فَقَدَ خَاتِمَهُ وَوَقَفَ يَتَلَسَّسُهُ فِي التَّرَابِ ، قَالَ ابْنُ وَكَيْعٍ : وَهَذَا مَا أَخُوذُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

كَأَنِّي مُرِيغٌ فِي الدِّيَارِ طَرِيدَةٌ أَرَاهَا أُمَامِي مَرَّةً وَوَرَائِي

وَقَدْ عَابَ ابْنُ جَنِيٍّ هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ : لَيْسَ لِلْفَرْعِ مَجْرَهُ جَزَالَةٌ لَفْظُ صَدْرِهِ ، وَلَيْسَ فِي وَقُوفِ الشَّحِيحِ عَلَى طَلَبِ خَاتِمِهِ مَبَالِغَةٌ يَضْرِبُ بِهَا الْمَثَلُ . قَالَ : وَالْعَرَبُ تَبَالِغُ فِي وَصْفِ الشَّيْءِ وَتَجَاوِزُ الْحُدُودَ ، وَقَدْ تَقْتَصِرُ أَيْضًا وَتَسْتَعْمَلُ الْمَقَابِرَةَ . . . وَهَذَا بَعِيْنُهُ قَدْ جَاءَ فِي الشُّعْرِ الْفَصِيحِ ، قَالَ جَرِيرٌ : * هُنَّ حِيَارِي كَمَضَلَاتِ الْحَدَمِ * وَالْحَدَمُ : جَمْعُ خِدْمَةٍ ، وَهِيَ الْخَلْخَالُ . . . قَالَ الْعَرُوضِيُّ - ذَائِدًا عَنِ التَّنْبِيْ : لَا عَيْبَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الشَّحِيحَ إِذَا طَلَبَ الْحَاتِمَ اسْتَجَابَ إِلَى الْإِنْخِنَاءِ لِيَقِفَ بِصَرِّهِ عَلَى الْحَاتِمِ ، وَلَوْ كَانَ بَدَلُ الْحَاتِمِ شَيْئًا عَظِيمًا كَالْخَلْخَالِ وَالسَّوَارِ لَكَانَ يَطْلُبُهُ مِنْ قِيَامٍ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِنْخِنَاءِ ، وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا كَالدَّرَةِ لَكَانَ يَطْلُبُهُ قَاعِدًا مَكَانَهُ . يَقُولُ - أَيْ التَّنْبِيْ - : إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا - أَيْ بِالْأَطْلَالِ - مَنَحِيًّا لَوْضَعِ الْيَدِ عَلَى السَّكْبِ وَالْإِنْطَوَاءِ عَلَيْهَا كَوَقُوفِ الشَّحِيحِ عَلَى الطَّلَبِ لِلْحَاتِمِ . وَيَشْهَدُ لَصِحَّتِهِ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ بِذِمِّ نَجِيحٍ ؛

يَمْدَحُ أَبَاهُ بِالسَّخَاءِ وَدَيْعِيًّا ، وَيُرْوَى دَوْمَا - عَلَى الْقِيَاسِ - مِنْ قَوْلِهِمْ دَيْعِمَتِ السَّمَاءُ تَدْيِيحًا : أَيْ أَمْطَرَتْ مَطْرًا دَائِمًا فِي سَكُونٍ ، وَجَادُوا مِنَ الْجُودِ ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْوَاسِعُ الْغَزِيرُ ، أَوْ الْمَطَرُ الَّذِي لَا مَطَرَ فَوْقَهُ أَلْبَتَّةُ ، وَوَبِلٌ : مَنْ وَبَلَتِ السَّمَاءُ وَبَلَا : أَيْ أَمْطَرَتْ مَطْرًا شَدِيدًا ضَخْمَ الْقَطْرِ .

كثيبًا تَوْقَانِي الْعَوَازِلُ فِي الْهَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رِيضَ الْحَيْلِ حَازِمُهُ^(١)
قَفِي تَنْعَمُ الْأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهَجَّتِي بِنَائِيَةِ وَالْمُتَلِفِ الشَّيْءِ غَارِمُهُ^(٢)

نَكَسَ لِمَا أَتَيْتَ سَائِلُهُ وَاعْتَلَّ تَنْكِيْسَ نَاطِمِ الْخَرْزِ
فسبه هيأته بهيئة من ينظم الخرز في الإطراق وتنكيس الرأس . على أنا نقول -
إن الزمننا بهذا السؤال - : قد يبلغ من قيمة الحاتم ما يحق للشحيح أن يطيل وقوفه
على طلبه . . . وقال الواحدى - مدافعا أيضا عن المتنبي - : يقال في جواب هذا
السؤال : إن وقوف هذا الشحيح وإن كان لا يطول كل الطول فقد يكون أطول من
وقوف غيره ، فجاز ضرب المثل به كقول الشاعر :

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدَ مِنْ نَفْسِ الْعَالِمِ شِقُّ طُولَا قَطْعَتُهُ بِاتْتِحَابِ
وقد علمنا أن ساعة من - امات الليل تستغرق عدة أنفاس ، ولكنه لما كان نفس
العاشق أطول من نفس غيره ، جاز ضرب المثل به ، وإن لم يبلغ النهاية في الطول ،
وكقول الآخر :

وَلَيْلٌ كَيْظِلِ الرَّمْحِ قَصَرَ طَوْلُهُ دَمُ الزُّقِّ عَنَّا وَاصْطَفَاقُ الْمَزَاهِرِ^(١)
وذلك لما كان ظل الرمح أطول من ظل غيره جعله الغاية في الطول . . .
(١) كشييا : أمى حزيننا ، حال من قوله أقف بها - في البيت السابق - وتوقانى :
تباعدنى واجتنبنى . والريض من الحيل : الصعب الذى لم يرض ، وقد يكون الريض
الذى قد ذلل ، فهو من الأضداد . والحازم : الذى يسوسه ويشده بالحزام . يقول :
إن العوازل اللأى يعدلنى - يلتنى - فى الهوى يحذرن جانبى وإبائى عليهن - إذا وقفت
على الربيع كشييا - كما يحذر حازم الريض من الحيل جماعه أن يعضه أو يرمحه
- يضره برجله -

(٢) تنعم : جواب قفى ؛ والأولى : فاعل تنعم ؛ ومن اللحظ : بيان للأولى ؛
ومهجتى : مفعول تنعم ؛ وغرم ما أتلفه : لزمه أداؤه . يقول : إنه نظر إليها نظرة
أتلفت مهجته ، فهو يقول لها قفى ؛ لأنظرى نظرة أخرى ترد مهجتي وتحيينى ، فإن فملت
كانت النظرة الثانية غرما لما أتلفته النظرة الأولى . وعبارة ابن جنى : قفى يا محبوبه
تنعم اللحظة الأولى التى لحظتك مهجتي بلحظة ثانية ، لأن الأولى قد أتلفت مهجتي
فوجب عليها الغرم ، فإن لحظت ثانية عاش . فتكون الأولى قد غرمت للهبئة الثانية ،

(١) دم الزق : الخمر . والمزاهر : جمع مزهر : آلة الطرب .

سَتَاكَ وَحَيَانَا بِكَ اللهُ إِنَّمَا عَلَى الْعَيْسِ نَوْرٌ وَأَلْخُدُورٌ كَمَا مِثُّهُ (١)
وَمَا حَاجَةٌ الْأَطْعَامَانَ حَوْلَكَ فِي الدُّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدُ لَكَ عَادِيَهُ (٢)

ثم ذكر الحجة الموجبة أن يطالب بالوقفة ، فقال والتلف غارم ، وهي حكومة بحق
وعبارة الخطيب التبريزي : لما نظر إليها نظرة ألفت مهجته وأراد أن ينظر إليها
أخرى لترجع إليه نفسه جعل الأولى كأنها الغارمة في الحقيقة ، لأنها سبب التلف ؛
ومثله لقطرب :

أَشْتَاقُ بِالنَّظَرَةِ الْأُولَى قَرِينَتَهَا كَأَنِّي لَمْ أَقْدِمُ قَبْلَهَا نَظْرًا
وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُهُمْ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

يَا مُسْتَقْمًا جِسْمِي بِأَوَّلِ نَظْرَةٍ فِي النَّظَرَةِ الْأُخْرَى إِلَيْكَ شِفَاؤِي

وروى الخوارزمي تعري - بالياء - وأصله تعرمين ، حذف النون للجزم والخطاب
للمعجوبة والمهجة هي المحبوبة ، فهجتي في موضع نصب بالنداء ، والأولى مفعول ،
ويكون المعنى : قفي يامهجتي تعري النظرة الأولى التي حرمتها بنظرة ثانية إليك .
ثم قال : ومن أتلّف شيئاً غرّمه : أي أتلّف على النظرة الأولى التي رميتها منك
أولا فآغرّمها بنظرة ثانية والرواية الأولى هي الأوجه .

(١) العيس : الإبل البيض . والنور الزهر . والكأم أغلفة الزهر قبل أن
تتفتق . جعل هؤلاء النسوة زهراً في حسنهن ، وصفاء ألوانهن ، وطيب روائحهن
وجعل الخدور لمن بمنزلة الكأم للزهر ، ولما جعلهن زهراً بنى على هذا اللفظ
السقي والتحية ؛ فإن الزهر نضرت به الماء ، وجرت العادة بأن يحيي الناس بعضهم بعضاً
بالأزهار والرياحين فيتناولوا شيئاً منها ، ومعنى حيانا بك الله لقاناك وحيانا بك ، وقد
كشف السري الرفاء عن هذا المعنى بقوله :

حَيًّا بِهِ اللهُ عَاشِقِيهِ فَقَدْ أَصْبَحَ رِيحَانَةً لِمَنْ عَشَقَا

(٢) الأطعمان : النساء في الموادج . وقوله «ما وجد لك عادمه» استئناف والضمير
للقمر . يقول : أي حاجة لهؤلاء النسوة المسافرات معك إلى القمر بالليل ؟ فإن من
وجدك لم يعدم القمر ، يعني أنها في الدجى تقوم مقام القمر ، قال البحترى :

أَضْرَتِ بِيضُوهُ الْبَدْرُ وَالْبَدْرُ طَالَعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَفَيَّبَا
وَقَالَ الْآخَرُ :

إِنَّ بَيْتًا أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مَحْتَاجٍ إِلَى الشَّرْحِ

إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكَ التَّمْيُونُ بِنَظْرَةِ أَثَابَ بِهَا مُعْبِي المَطَى وَرَازِمُهُ^(١)
 حَيِّبٌ كَانَ الحُسْنَ كَانَ يُجِبُهُ فَأَثَرُهُ أَوْ جَارٍ فِي الحُسْنِ قَاسِمُهُ^(٢)
 نَحُولُ رِمَاحُ أَلْطَطُ دُونَ سِبَابِهِ وَتُسَبَّى لَهُ مِنْ كُلِّ حَى كَرَامُهُ^(٣)
 وَيُضْحَى عُبَارُ الخَيْلِ أَدْنَى سُتُورِهِ وَآخِرُهَا نَشْرُ الكِبَاءِ المَلَازِمُهُ^(٤)

(١) يقال أثاب فلان : رجع إليه جسمه بعد الهزال ، وصلح بدنه ، والمعنى : السكيل والمطى . جمع مطية ، وهى الدابة تمتطى وتركب . وذكر المطى على اللفظ كتذكير النخل والسحاب وما أشبههما من الجمع ، والرازم - كل رازح - الذى سقط من الإعياء فلا يبرح . يقول : إن الإبل الرازحة التى كلت وعجزت عن المشى . إذا نظرت إليك عاشت أرواحها ، وعادت قوتها ، وصلحت حالها مع أنها لا تعقل ، فما الظن بنا ، وحياتنا برؤيتك ؟ وقال ابن فورجة : إنما يعنى بالمطى أصحابها . قال : والإبل لا فائدة لها فى النظر إلى هذه المحبوبة ، وإن فاقت حسناً وجمالا ، وإنما ركابها هم الذين يسرون بذلك وليس هذا بشئ ، لأن الإبل التى لا عقل لها إنما يؤثر فيها النظر على مقتضى البالغة والتمعق فى المعنى ، لا على الحقيقة ، وهى عادة الشعراء فى البالغة .

(٢) يقول : إن هذا الحبيب قد استبد بالحسن وانفرد به ، فليس لغيره فيه حظ ، فكان الحسن أحبه فاستخلصه لنفسه دون غيره ، أو كأن الذى قسم الحسن بين الناس جار - لم يعدل - فأعطاه جميع الحسن ، ولم يبق لأحد منه نصيبا .

(٣) الحط : موضع بالجمامة تقوم فيه الرماح ، وهى الرماح الخطية . والحنى : الجماعة من الناس ينزلون بالبادية . يقول : هو حبيب عزيز منيع يحفظ بالرماح فلا يقع عليه سباء ، لأن رماح قومه تحول دون ذلك ، كما قال :

* بِصَمِّ القَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالتَّمَامِ *

وكرائم الأحياء تسبى برماح قومه فيؤتى بها إليه ليخدمته .

(٤) أدنى : أقرب . والكباء : العود الذى يتبخر به ، ونشره : رائحته . قال اللحيانى : ومثل الكباء الكبة ، قال : والجمع كبا ، وقد كبت ثوبه - بالتشديد أى بخره ، وتكبت واكتبت إذا تبخر بالعود ؛ قال أبو دؤاد :

يَكْتَبِينَ اليَنْجُوجَ فِي كِبَّةِ المَشَى تى وَبُلُهُ أَحلامُهُنَّ وَسَامُ^(١)
 يقول : أقرب ستوره إليك أيها الطالب الوصول إليه غبار خيول قومه ، وأبعدها

(١) أى يتبخرن الينجوج - وهو العود - وكبة الشتاء شدة ضرره . وقوله وبله أحلامهن : أراد أنهن غافلات عن الحنى والحب .

وَمَا أُسْتَفْرَبْتُ عَيْفِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ وَلَا عَلَّمْتَنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهُ (١)
فَلَا يَتَّبِعُهُمُ فِي الْكَاشِحُونَ فَأَنْفِي
رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَّتْ لِي عِلَاقُهُ (٢)

عنك وأقربها منه - من الحبيب - دخان بخوره ، يصف هذا الحبيب بأنه في غاية النعمة وغاية النعمة . وعبارة الواحدى : إن دخان العود الذى يتبخر به كثير عنده حتى صار كالعجاب بينه وبين من يطلبه ، قال : وروى « وأولها نشر الكباء » والمعنى وأول ستر دونها مما يلها ، قال : ويمكن أن يقلب هذا يقال : أدنى ستر إليها من الستور دونه غبار الخيل وأبعد ستر عنها نشر الكباء ، يعنى أن غبار الخيل كثير حتى وصل إليها فصار أدنى ستر منها دونها ، كذلك ارتفع دخان العود حتى يتباعد منها الدخان فصار آخر ستر دونها ، قال : وهذا أشبه بطريقة التنبي في إشار البالغة .

(١) يريد كثرة مالمقى من صروف الدهر ، وما مقى به من فراق الأجرة حتى لا يستغرب فراقاً رآه ، ولا تزيه عينه شيئاً لم يعلمه قلبه ، وللصراع الثانى من قول عدى بن الرقاع :

وعلمتُ حتى لست أسألُ عالمياً
عن حرفٍ واحدٍ ليكى أزدادها (١)
ومثله لأبى الطيب :

عرفتُ الليالى قبل ما صنعتُ بنا
وقال الأعور الشنى :

لقد أصبحتُ لا أحتاجُ فيما
يكونُ مِنَ الأمورِ إلى السؤالِ
وقال ابن الرومى :

وما أحدثَ المصرانِ شيئاً نكرتهُ
ها السالبانِ الواهبانِ هما هما
(٢) الكاشح : الذى يضر لك العداوة . والعلام : جمع علقم ، وهو الحنظل .

(١) من كلته التى يقول فى مطلعها :

عرف الديار توها فاعتادها
وفها يقول فى وصف الغبية وولدها :

تُرْجَى أَعْنُ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ
تُرْجَى أَعْنُ : أى تسوقه برفق ؛ والرّوق : القرن ، وإبرته : ما حدد من طرفه
كأنه إبرة .

مُشِبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مُشِيبُهُ فَكَيْفَ تَوَقَّيْهِ وَبَانِيَهُ هَادِمُهُ (١)
وَتَكْمِلَةُ الْعَيْشِ الصَّبَاً وَعَقِيبُهُ وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضِينَ وَقَادِمُهُ (٢)

قال ابن جنى : سألته - أي النبي - وقت القراءة عليه : ما وجه التهمة في هذا اللوضع؟ قال : أن يظنوا بي جزعاً . يقول : لا يتهمني الأعداء بالخوف من الردى والجزع من الفراق ، فإنني قد ذقت المرارات حتى ألفت ذوقها فلا أستمرها ، واللقم أشد الأشياء مرارة ، وهو لا يحلو لأحد ، ولكن من اعتاد ذوقه سهلت عليه مرارته ، فكأنه قد حلّاه . ولفظ رعبت الردى : رعبت أسباب الردى من المخاوف والمهلك ، وكنت بالعلام عن المرارات ، ولهذا قال « رعبت » لأن اللقم مما يرعى ، يعني إنى لا أجزع من الفراق وإن عظم أمره واشتدت مرارته لاعتيادي ذلك ، كما قال الآخر :

وفارقتُ حتى ما أبالي مِنَ النَّوَى وإنَّ بَانَ جِيرَانِ عَلِيٍّ كِرَامُ
وقال اللُّورج السدوسي :

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ وبالمصائبِ في أهلي وَجِيرَانِي
وهذا المعنى ظاهر في قول الخريبي :

لقد وقَّرتني الحادِثاتُ فَاأَرَى لِنَازِلَةٍ مِنْ رَبِّهَا أَنْتَوَجِّعُ

(١) مشب : مبتدأ ؛ ومشييه : خبره ؛ ولك أن تعكس ؛ وتوقاه : حذره ؛ والضمير في « توقيه » للباكي ، وفي « بانيه ، وهادمه » للشباب . يقول : إن الذي يحزع علي فقد الشباب إنما أشابه من أشبه ، والشيب حصل من لدن من حصل منه الشباب ، فلا سبيل إلى التوقى من الشيب لأن أمره بيد غيره . ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومي :

تَضَعُضِمُهُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ بَقَاؤُهُ وَتَفْتَالُهُ الْأَقْوَاتُ وَهِيَ لَهُ طُعْمُ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الشَّيْءَ يُبْلِيهِ عَمْرُهُ وَيُفْنِيهِ أَنْ يَنْبَقِي فِي دَائِهِ عَقْمُ

(٢) العارضان : جانباً الوجه . يقول : تمام العيش هو الصبا وما يتلوه من بلوغ الأشد حتى يكون يافعا مترعرا إلى أن يختلف إلى عارضيه لونا يياض وسواد ؛ قال الواحدى : وغائب لون العارضين هو البياض ، والقادم هو السواد السابق إلى العارض ويجوز أن يريد بالقادم : الشيب - من قدم يقدم : إذا ورد - وبالغائب : السواد الذي غاب بقدم البياض ، ويجوز أن يكون غائب لون العارضين لون البشرة حين يغيب عنها الشعر ويياضه ، والقادم : هو لون الشعر من سواد ويياض ؛ ويجوز أن يريد

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحَهُ (١)
وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ كُلِّهِ حَيًّا بَارِقًا فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمَةٌ (٢)
عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحْكُمَا سَحَابَةً وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغْنِ حَامِيَةٌ (٣)

بالغائب : لون جلد المراض المستر بالشعر ، وبالقادم : سواد الشعر الثابت ؛ وهذا هو الأولى ، لأنه يجعل تمام العيش أن يكون الإنسان صبيًا ثم يافعا مترعرعا ثم يفت شعره فيكون شابا ؛ ولم يجعل الشيب من تكملة العيش ، لأن :

من شاب في الناس مات حيا يمشى على الأرض مشى هالك
لو كان عمر الفتى حسابا لكان في شيبه فذلك (١)
وبيت التنفي من قول ابن الرومي :

سُلبتُ سوادَ العارِضينَ وقبله بياضها الحمدَ إذ أنا أمردُ
(١) الفاحم : الأسود الشديد السواد . يقول : إن البياض في الشعر حسن ، فليس يخضب البياض لأنه مستقبح ، ولكن لأن السواد أحسن منه ؛ فالخاضب إنما يطلب الأحسن من لوني الشعر . وعبارة ابن جني : ذكر أن الشيب لم يخضب لأنه قبيح ، ولكن سواد الشعر أحسن ، والإنسان إذا شاب علم أنه كبير السن فزهده فيه ، فإذا خضب ظهر للغواص أنه شاب فترغب فيه .

(٢) أراد بماء الشبية : نضارتها وحسنها . والحيا : المطر : والبارق : السحاب ذو البرق . . والفازة : قبة أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من ديباج ؛ والشائم : الناظر إلى البرق يرجو المطر . يقول : أحسن من الشباب الذي فقدته مطر سحاب بارق أنا أنظر اليه ، يعني سيف الدولة ، جعله مطر سحاب لجوده وعموم نفعه ؛ وكفى بالشيم عن تعليق رجائه به بانتظار جوده ، وقد جمع له في هذا البيت بين ضروب من المدح - الحسن والجود - واستحقاق التأمل .

(٣) الدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة من أى الأشجار كانت : وتغن - يحذف إحدى التاءين - وفي رواية : لم تغن ، يصف تلك الفازة بأنها مصورة بصور رياض وأشجار ؛ بيد أنها ليست مما أنبتة السحاب وحاكه - نسجه وصنعه - وأغصان تلك الأشجار لا تغني حماعها ولا تتجاوب طيورها لأنها صور ليست ذات أرواح .

(١) فذلك : جمع فذلكه من قول الحاسب : فذلك كذا .

وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوجِهٍ مِنْ الدَّرِّ سَمِطٌ لَمْ يُتَّقَبَهُ نَاطِمُهُ (١)
 تَرَى حَيَوَانَ السَّبْرِ مُصْطَلِحًا بِهَا يُحَارِبُ ضِدًّا ضِدَّهُ وَيُسَالِمُهُ (٢)
 إِذَا ضَرَبَتْهُ السَّرِيحُ مَاجَ كَأَنَّهُ تَجُولُ مَذَا كَيْهِ وَتَدَأَى ضَرَاغِمَهُ (٣)
 وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ لِأَبْلِحٍ لَا تَيْجَانُ إِلَّا عَمَائِمُهُ (٤)
 تَقْبَلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطَهُ وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُمُهُ وَبَرَاجِمُهُ (٥)
 فَيَأْمَأُ لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيْتُهُ وَمَنْ بَيْنَ أَذْنِي كُلِّ قَرِيمٍ مَوَاسِمُهُ (٦)

(١) الوجه : ذو الوجهين ؛ والسमित : السلك ، ويطلق على القلادة ؛ وأراد بسमित الدر : الدوائر البيض على حواشي تلك الأتواب التي اتخذت منها الفازة . شبهها بالدر لياضها ، غير أن من نظمه لم يتقبه لأنه ليس بدر حقيقي .

(٢) كانت هذه الفازة مصورة بأنواع الحيوان . يقول : ترى هذه الحيوانات مصطلحة بهذه الفازة مع أن دينها التفارس والتهاشم ، وجعلها متحاربة لأنها نقشت على هذه الصورة : صورة المحارب ، وأراد بالمسألة أنها جماد لا روح فيها فتقاتل .

(٣) المذاكي : السنة من الخيل . وتدأى : تختل - يقال : دأيت الصيد ودأوت له : أى خلته - وروى بالذال المعجمة ، يقال ذأى الإبل : إذا طردها وساقها ؛ والضراغم الأسود : يقول : إذا ضربت الريح هذا الثوب تحرك حتى كأنه يموج ، وكان الخيل التي صورت عليه جائلة ، وكان أسوده تختل الظباء لتصيدها وتطردها لتدركها .

(٤) الأبلح المشرق ، والذي قد وضع ما بين حاجبيه فلم يكن مقروء الحاجبين وهو من صفات السادة ؛ وروى : الأبلح ، وهو المتكبر العظيم في نفسه : ببلغ - بالكسر - وتبلغ : أى تكبر ، فهو أبلح . وكان قد صور ملك الروم على هذه الفازة ساجداً ، وهو ما عناه بالذلة ، وعنى بالأبلح - أو الأبلح - سيف الدولة ، وجعله لا تاج له لأنه عربي ، وتيجان العرب : عمامتها .

(٥) البراجم : مفاصل الأصابع ، واحدها رجمة . يقول : إن الملوك حين يلقونهم يقبلون بساطه ، ولا يلبفون أن يقبلوا كفه أو يده ؛ لأنه أعظم شأننا من ذلك (٦) قياما : مصدر لم يذكر قطه ، كأنه قال : قاموا - أى الملوك - قياما ، يريد أنهم قاموا بين يديه إجلالا وهيبه ؛ وكفى بالكى عن ضربه وطمعه ولذعة حربه ، وبالذات عن غوائل الأعداء وطمعياتهم ؛ يعنى أنه يرد بالطمع والضرب من عصاه إلى طاعته كما يرد من به داء إلى الصحة بالكى . والقرم : السيد ؛ والمواسم جمع ميسم ، وهو ما يوسم به

قَبَائِمُهَا تَحْتَ الْمَرَافِقِ هَيْبَةً وَأَنْفُذُ مِمَّا فِي الْجُفُونِ كَزَائِمُهُ (١)
لَهُ عَسْكَرًا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَاهِجُهُ (٢)

- المسكواة - ويقال أيضاً المياسم - على لفظ الميسم - كفى بجمل مواضعه بين آذان السادات - أى فى ألقفأهم - عن قهرهم وإذلالهم .

(١) القبائع : جمع قباعة ، وهو ما طى طرف مقبض السيف من فضة أو حديد . يريد قبائع سيوف الملوك . والجفون : جمع جفن ، العمد . يقول : قاموا بين يديه متكئين على قبائع سيوفهم هيبة له وتمظيها ثم قال : وعزأيمه أنفذ وأمضى من السيوف - وهى ما فى الجفون .

(٢) يقول : إن له عسكرين خيله والطير التى اعتادت أن تصبغه لكثرة وقائه حتى تأكل من لحوم القتلى ، فكأنها من عديد جيشه ؛ فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجاهج ، لأن عسكر الخيل يقتلهم ، وعسكر الطير يأكل لحومهم ، والضدير فى « بها » . للخيال والطير ، فلما جعلهما جماعة كفى عنهما بلفظ الجمع ، ولم يكن بالثنائية للعسكرين . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت قال : لا أدرى كيف خص الجاهج بالبقاء دون سائر العظام ؟ ولا أعرف للخيال فى هذا معنى ، بل للطير ، لأنها - أى الطير - لا تأكل عظام الموتى ، وذلك أن الخيل إذا حملت بمن عليها أهلكت العدو فثأكلهم الطير ولا تدع إلا العظام للوحش . . . ومن ثم قال بعض الشراح : يجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا يقتلون ويأسرون ، فكانوا يأخذون رهوس القتلى يجعلونها فى أعناق الأسرى ؛ فلهذا لم يبق إلا الجاهج . . . وبعد : فما أبداع قول النابغة فى هذا المعنى :

إِذَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ جَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَائِبِ
يُصَاحِبِينَهِمْ حَتَّى يُفَرِّقَ مَفَارِمَ مِنْ الضَّارِيَاتِ بِالدَّمَاءِ الدَّوَارِبِ
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عُيُونَهَا جُلُوسَ الشَّيْخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ
جَوَانِحٌ قَدْ أَيَقَنَ أَنْ قَبِيْلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانَ أَوْلُ غَالِبِ
لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا إِذَا عَرَّضَ الْخَطِيءُ فَوْقَ الْكَوَاتِبِ (١)

(١) من الضاريات الخ : أى أن هذه الطير ضاريات متدربات على دماء القتلى وخزراً عيونها : أى ضيقة العيون حلقة أو أنها تتخازر : أى تقبض جفونها لتحديد النظر . وقوله جلوس الشيوخ الخ : فالمراب جمع مرربانى ، وهو الثوب البظن بفراء الأرناب . يقول

أَجَلَتْهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ نِيَابُهُ وَمَوَظِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهُ (١)
 فَقَدْ مَلَّ ضَوْهَ الصُّبْحِ مِمَّا تُغَيِّرُهُ ، وَمَلَّ سَوَادَ اللَّيْلِ مِمَّا تَزَاخِمُهُ (٢)
 وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورُهُ ، وَمَلَّ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاطِمُهُ (٣)

(١) الأجلة - جمع جل - ما يجعل على ظهر الدابة؛ والملاغم - ما حول الفم مما يلفقه اللسان ويصل إليه : جمع ملغم ، قال بعض اللغويين : الملاغم من كل شيء الفم والأنف والأشداق ، وذلك أنها تلغم بالطيب ، وفي الإبل بالزبد ، وتلغمت المرأة بالطيب جعلته في الملاغم والملمم يشبه أن يكون مفعلاً من لغام البعير - وهو زبده - سمى بذلك لأنه موضع اللغام ، وقيل لأعرابي : متى السير ؟ فقال : تلغموا يوم السبت : أى اذكروه يوم السبت ؛ واشتقاقه من أنهم يحركون ملاغهم بذكروه يوم السبت . يقول : إنه يسلب ثياب كل طاغ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لحيله ، ويوطئ حوافرها وجه كل باغ فيهم . قال العسكبرى : وهذا مبالغة ، ولا تتم هذه الصفة إلا بعد الإيمان في قتلهم وبلوغ الغاية من الظهور عليهم

(٢) الناء - في « تغيره وتزاحمه » - إما للخطاب : وإما للخيل . وتغيره : أى تغير فيه ، وحذف الجار ونصب الضمير - على حد قولهم : أتمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً : أى ما أذوق فيهن - وقد كان العرب يغيرون وقت الصبح ليتغفلوا القوم ولذلك كانوا يقولون عند الفارة : واضبعاه . يقول : لكثرة غاراتك وقت الصبح ، قد مل الصبح منها واضجر ومل الليل من مزاحمتك إياه . وهو أنك تبلغ كل موضع يلفقه الليل . وقيل في معنى البيت مما تغيره أى تحمله على الغيرة ؛ إذ يزيد على بياضه بريق أسلحتك ، وتزاحم الليل فتذهب ظلمته بضوء أسلحتك . وقال بعضهم : تزاحم الليل بغبار خيلك ، فكانه ليل آخر .

(٣) القنا : الرماح ، وتدق : تكسر ؛ وصدر الرمح : أعلاه . قال الواحدي : أى ملت رماح الأعداء من دقك أعاليها وملت سيوفهم من ملاطمتك إياها . وأراد بالملاطمة مقابلتها بالتروس والجبان ، فذلك ملاطمة بينهما ؛ ويجوز أن يريد للتنبؤ رماح جيشه

إن هذه الطير تقع على أعلى الأرض والهضاب كأنها في ريشها ووقوفها تقرب القتل جالسة جلوس الشيوخ إذا التفوا بأكسية المرانب يحددون النظر إلى شيء بعيد وجوانح أى ماثلات للوقوع ، والخطى : القنا ؛ والكواكب : جمع كاتبة ، وهى من جسم الفرس ما تحث الكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام التربوس يضع الفارس عليها رمحها مستعرضاً .

سَحَابٌ مِّنَ الْعِقْبَانِ يَرْحَفُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقْتَهَا صَوَارِمُهُ^(١)

وسيوفه ، على أن ترفع صدورهم ؛ يقول ؛ ملت رماحك من كثرة ما تدق صدورها أعداءك ؛ وملت سيوفك من الشيء الذي تلامحه لكثرة وقمها عليه . هذا ؛ وقد عاب ابن وكيع قوله تلامحه ، قال : اللطامة مفاعلة لا تكون إلا بين اثنين فلو قال مع تدق « تلطم » لكان أحسن في الصناعة ، ثم قال : وأحسن من هذا قول القائل :

حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدَبِّرٍ وَتَدَقُّ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا
وهكذا ابن وكيع تراه كثير التفتيد لأبي الطيب حتى ليلتغ في ذلك .

(١) أى هناك سحب من العقبان الخ ؛ والعقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح قوي الخالب له منقار أعقف . واستسقت : طلبت السقيا ؛ والضمير : للسحاب الأول ، وضمير صوارمه : للسحاب الثانى ، والتأنيث فى الأول : على معنى الجماعة ، والتذكير فى الثانى : على اللفظ . جعل العقبان التى فوق جيشه سحابا وجعل جيشه كذلك سحاباً لما فيه من بريق الألحة وصب الدماء وصوت الأبطال ، وجعل الأسفل يسقى الأعلى إغراباً فى الصنعة ، فهو قد شبه العقبان بسحاب يظل الجيوش ويرحف تحتها سحب ، — يريد الجيوش — إذا استسقت العقبان بطلب الدم ، سقتها صوارمه — سيوفه — لأنها تقتل الأعداء ، فقترب العقبان دماء القتلى ؛ وهذا المعنى — أى صفة الطير للجيوش — كثير فى كلامهم ، قال الأقفوه الأودى :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ

« أى تعطى اليرة بما تجد من لحوم القتلى » وقال النابغة :

إِذَا مَا غَرَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَائِبِ

« وقد أسلفنا الكلام على هذا البيت آنفاً » وقال أبو نواس :

تَقَاتِيَا الطَّيْرُ غُدُوتَهُ ثِقَةً بِالشَّيْءِ مِنْ جَزَرِهِ^(١)

وأيت المتن من قول أبى تمام :

وَقَدْ ظَلَلْتُ عِقْبَانَ أَعْلَامِهِ ضُحًى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّيَاطِ حَتَّى كَانَهَا مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلِ

(١) تأييد الشيء : تعمد آيته : أى شخصه ، وقصدته ، وغدوته : غدوه ؛ والجزر

قطع اللحم .

هذا وقد أخبرنا العكبري أن قوماً ممن هو مقصر في معرفة تدقيق المعاني قد تعتوا على النبي بأمرين : أولهما أن السحاب لا يسقي ما فوقه . والآخر أن الطير لا تستسقي وإنما تستطم ، أما إسقاء السحاب ما فوقه فهو الذي أغرب به ، فإنه لم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه لما فوقه وإنما أناه بمقام السحاب لأنه طبق الأرض لكثرتة وتزاحمه ، وغطاها كما يغطي السحاب السماء ، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها ، ولما جعله سحاباً جعله يسسقي فيسقي مع أن الطير لا تصيب من القتل ما تصيبه وهي في الجو ، وإذا كانت تهبط إلى الأرض حتى تقع على القتل فالسحاب الساق عال عليها ، وأما استسقاء الطير فجاء على عادة العرب في أشعارها من استعمال هذه اللفظة تعظيماً لقدرة الماء كقول علقمة بن عبدة :

وفي كلِّ حىٍّ قد خبِطت بنعمة فحقُّ لشأسٍ من نَدَاك ذنوب^(١)

وكان ملك الشام قد أسر أخاه شأساً فبعث إليه بهذه الأبيات يطلب منه أن يفكه ؛ وأصل الذنوب : الدلو العظيمة إذا كان فيها الماء ؛ وقد قال رؤبة :

يا أيها المأمعُ دَلْوِي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا^(٢)

وهما لم يستسقيا ماء في الحقيقة ، إنما أحدهما استطلق أسيراً ؛ والآخر طلب عطاء كثيراً

(١) خبطه بخير : أعطاه من غير معرفة بينهما على المثل . يخاطب ورق الشجر بصاه ليتنار فيعلف به إبله ، والذنوب : الحظ والنصيب ، وهي في الأصل الدلو للملوءة ماء ، والبيت من كلمة لعلمة بن عبدة أنشدها الحارث بن أبي ثمر جبلة بن الحارث الأعرج الفسافي ملك الشام يوم وثب بخيله ورجله على النذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة فقتله وقتل خلقاً كثيراً ، وأسر من تميم مائة أسير منهم شأس بن عبدة أخو علقمة ، فأطلق له أخاه وأسرى تميم ، ومنحه مالا جزيلاً . ومطلع القصيدة :

طحا بك قلب في الحسان طروبُ بُعَيْدَ الشبابِ عصم حان مشيب

(٢) المبع في الاستسقاء : أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها فيملاً الدلو ويده يبيع فيها بيده ، ويبيع أصحابه ، والجمع ماحة ؛ فالأمع : هو الذي يملأ الدلو من أسفل البئر ، والمأمع : المستقي من أعلى البئر ، تقول العرب : هو أبصر من المأمع ياست للمأمع ، تعني إن المأمع فوق المأمع ؛ فالأمع يرى المأمع ويرى إسته .

سَدَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقَيْتَهُ عَلَى ظَهْرِ عَزِيمٍ مُؤَيَّدَاتٍ قَوَائِمُهُ (١)
 مِنْهَا لَيْكَ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذُّنْبَ نَفْسُهُ ، وَلَا سَحَلَتْ فِيهَا الْغُرَابَ قَوَائِمُهُ (٢)
 فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لَا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ، وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى الْمَيِّرَ عَائِمُهُ (٣)
 غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِيفَاتِهِ بِلَا وَاصِفٍ وَالشَّمْرُ تَهْدِي طِمَاطِمُهُ (٤)

(١) صروف الدهر : نوبه وحوادثه ، وعلى ظهر عزم : حال من فاعل لقيته .
 والمؤيد : القوي ، قال تعالى « ذا الأيد إنه أواب » أى ذا القوة . يقول : خضت حوادث
 الدهر حتى لقيت سيف الدولة . يصف كثرة ما عانى من الأهوال وحوادث الدهر حتى
 بلغ سيف الدولة ، وجعل عزمه مركوبه لأنه بعزمه يسافر ويجتاز الصعاب ، ولما جمه
 مركوباً استعار له ظهراً وقوائم وجعلها مؤيدات : أى قويات .

(٢) القوائم : صدور ريش الجناح من الطائر ؛ والمهاك : المفاوز؛ ونصب «مهاك»
 كأنه أبدلها من «الصروف» وليس نصبها على البدل ، لأنها لا تكون من صروف
 الدهر فى شيء ؛ ولكنها منصوبة بفعل دل عليه معنى الكلام ، كأنه قال : قطعت مهاك
 لو سلكتها الذئب لما صحبته روحه ، لأنه يموت فيها جوعاً ، ولو سلكتها الغراب لم
 تصحبه قوائمه ولم يقدر على الطيران ؛ وخص هذين لأنهما يألفان القفار والمواضع
 البعيدة من الناس ، ولهذا يقال لها « الأصرمان » ؛ وإذا عجزا عن قطع هذه المهاك
 فغيرها أعجز عن قطعها ؛ وعبارة بعض الشراح : أراد بالمهاك - أى المفاوز -
 مسافات الخطوب التى قطعها ، وهى بدل من صروف الدهر . يقول : الصروف التى
 قطعتها لو كانت مفاوز من الأرض لهلك فيها الذئب جوعاً ولو سلكتها الغراب لم يستطع
 قطعها لطولها . وخص هذين لأن الذئب من أصبر الحيوانات على الجوع ، والغراب
 من أسرع الطير .

(٣) عبر البحر : شطه . يقول : فأبصرت من سيف الدولة بداراً فى الصباحة
 والطلاقة لا يرى بدر السماء مثله بين الناس مع اطلاعه على الدنيا كلها ، وخاطبت منه
 بحرآ فى العلم والسخاء لا يرى الساج فيه ساحله لبعده .

(٤) هذى يهذى هذياناً وهذياناً : تكلم بغير معقول لمرض أو لغيره . والطماطم :
 جمع طمطم ، يقال رجل طمطم : إذا كان فى لسانه عجمة لا يفتح ؛ قال عنترة :
 تَأْوِي لَهُ قُلُوصُ النَّعَامِ كَأَوْتِ حِرْزِ قِيَمَانِيَةِ لِأَجْمِ طِمْطِمِ (١)

(١) من معلقة عنترة . يقول : تأوى إلى هذا الظليم صغار النعام كما تأوى الإبل

وَكُنْتُ إِذَا يَمَمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً سَرَيْتُ وَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمَةٌ (١)
أَقْدَسُ سَلِّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعَلِّمًا ؛ فَلَا الْمَجْدُ مُخْفِيهِ وَلَا الضَّرْبُ ثَمَالُهُ (٢)

وكذلك يقال : رجل طمطمى وطماطم وطمطمانى ؛ وفي لسانه طمطمانية . وفي
صفة قريش : ليس فيهم طمطمانية حمير . يقول : لما رأيت صفات المدوح لا واصف
لها مع كثرة طماطم الشعر - يعنى الشعراء الذين مدحوه قبلى - غضبت لأجله ، لتصور
هؤلاء الشعراء . عن بلوغ وصفه .

(١) يمت : قصدت ؛ والسرى : سير الليل : يقول كنت إذا قصدت أرضاً بعيدة
سريت بالليل مشتغلاً بالظلام كأنى سر والليل يكنم ذلك السر ، وهذا من قول البحترى
وطيئك سرأ لو تكلف طية دُجى الليل عنالم تسمه ضمائرهُ

وقد نقله البحترى من قول قنبر بن ضمرة العطفانى ، أحد شعراء الدولة الأموية :

سَرَيْنَا بِهِ وَاللَّيْلُ دَاجِرٌ ظَلَامُهُ فَكَانَ لَنَا قَلْبًا وَكُنَّا لَهُ مِيرَا

وقال الصاحب بن عباد - وقد نقله من المتنبي - :

تجشمته والليل وحف جناحه كأنى سر والظلام ضمير (١)

(٢) قال الواحدي : يقول : هو سيف سله المجد ، يعنى أن الشرف ومعالي الأمور
تستعمله وتحمله على قتال الأعداء ، فلا يعمده المجد ولا يثلمه الضرب لأنه ليس سيفاً
من حديد يتثلم بالضرب : وتقل العكبرى هذا الكلام وقال : إن « معلما » حال من
« المجد » : أى أعلم به الناس وأظهره . وقال آخرون : معلما - بفتح اللام - وهو الذى

اليمانية إلى راع أعجم عبي لا يفصح ... شبه الظليم في سواده بهذا الراعى الحبشى وقيل
النعام - أى صغارها - بإبل يمانية ، لأن السواد في إبل اليمن أكثر ، وشبه أوبها إليه
بأوى الإبل إلى راعها ، ووصفه بالى والعجمة ، لأن الظليم لا ينطق له قال الفراء :
سمعت المفضل يقول : سألت رجلاً من أعلم الناس عن هذا البيت فقال : يكون باليمن
من السحاب ما لا يكون لغيره من البلدان في السماء ، وربما نشأت سحابة في وسط السماء
فيسمع صوت الرعد فيها كأنه في جميع السماء فيجتمع إليه السحاب من كل جانب ،
فالخرق اليمانية : تلك السحائب ؛ والأعجم الطمطم : صوت الرعد .

(١) وحف من قولهم : شعر وحف ونبات وحف ، وهو ما غزر واسود .

قَلَى عَاتِقِ الْمَلِكِ الْأَعْرَجِ نِجَادُهُ ، وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ (١)
 تُحَارِبُهُ الْأَعْدَاءُ وَهِيَ عَيْبِدُهُ ، وَتَدْخِرُ الْأَمْوَالَ وَهِيَ غَنَائِمُهُ (٢)
 وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالذَّهْرُ دُونَهُ ، وَيَسْتَفْظِمُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ خَادِمُهُ (٣)

يميز نفسه بعلامة في الحرب ؛ قالوا يعني هو سيف سله المجد ومنع به حوزته من غارة اللثام . ولما جعل المجد مقاتلا جعله معلما ، إشارة إلى قوة امتناعه به وعزته على الطالبين .

(١) الملك : روى بفتح الميم فيكون المراد به الخليفة ؛ وروى بالضم فيكون المراد الملكة . والعاتق : موضع الرداء من المنكب ؛ والأعرج : الأبيض الكريم - ضد اللثيم - ونجاد السيف : حمالته : وقائمه : مقبضه . يقول : هو سيف يتقلده الخليفة على إحدى الروايتين - ويضرب الله به أعداءه ، فهو زين للخليفة ناصر لدين الله ، وعلى الرواية الثانية : هو سيف على عاتق الملكة نجاده يزين به الملك فهو من الملك في أرفع مواضعه ، ومن تأيد الله بالحد الذي يمضيه فيه في أعلى مواقعه ، وإذا كان ذلك اكتشفه نصره وساعدته أقداره ؛ وإذن يبلغ مراده من أعدائه ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

لقد خابَ مَنْ أهدى سويداء قلبه
 لِحِدِّ سِنَانٍ فِي يَدِ اللَّهِ عَامِلِهِ
 وقد كرره التنبي في سيف الدولة بقوله :

فأنت حُسامُ الملكِ والله ضارب ، وأنت لواءُ الدينِ والله عاقِد

(٢) يقول : إن أعداءه يحاربونه وهم عبيده ، لأنه يسبهم فيسترقهم ويملك رقابهم . ويدخرون الأموال وهي غنائم له ، لأنه يحتويها بالإغارة عليها . هذا : وعبيد جمع عبد - مثل كلب وكتيب - وهو جمع عزيز ، وقد جاء في جمع عبد : أعبد وعباد، وعبد ، مثل سقف وسقف ، وأنشد الأخصب :

أُنْسِبُ الْعَبْدَ إِلَى آبَائِهِ أَسْوَدَ الْجِلْدَةِ مِنْ قَوْمِ عُبْدُ

وفي الجمع أيضاً : عبدان - بالكسر - مثل جحشان ، وعبدان مثل تمر وعمران ، وعبدان مشددة الدال - . والعبداء والعبداء والعبداء والمعبدة : أسماء الجمع . وروى بدل عبيده : عتيده - بالفاء اللثناة فوقها - والعتيد : التي ، الحاضر المهبأ ؛ والعتاد : العدة والأهبة والآلة ، يقال أخذت لشيء عتاده ؛ أي آلته .

(٣) يقول : هم يدون الدهر كبير الأمر عظيم الشأن ، لما يفعله من إسعاد قوم

وَإِنَّ الَّذِي سَمِيَ عَلِيًّا لَمُنْصِيفٌ ، وَإِنَّ الَّذِي سَمَّاهُ سَيْفًا لَطَّالٌ لَهُ (١) ،
وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَذُّهُ ، وَتَقْطَعُ لَزَبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمَهُ (٢)

وقال يمدحه ، وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية :

أَيْنَ أَرْمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهَمَامُ نَحْنُ نَنْتُ الرُّبِّي وَأَنْتَ الْقَمَامُ (٣)

وإشقاء آخرين ، والدهر دونه . لأنه طوع له لا يفعل من ذلك إلا ما كان على هواه ، ويستعظمون الموت لأنه أعظم حادث والموت خادمه لأنه ينفذ مراده في أعدائه .

(١) و (٢) على : اسم سيف الدولة ؛ والهام : الروس . ولزبات الزمان : شدائده ، جمع لزبة ، وجمعها بسكون الزاي . قال الجوهري : أصابهم لزبة : أى شدة وقحط ، والجمع لزبات - بالتسكين - لأنه صفة . يقول : إن الذي سماه علياً قد أنصفه ، إذ قد سماه بما يستحقه من الوصف بالعلو ؛ والذي سماه سيفاً قد ظلمه ، لأن السيف وإن عظم أثره فهو جمد ، وقد ينبو حد السيف عن قطع الهام ، أما الممدوح فإن مكارمه تذهب بشدائد الزمان وتنفيها عن العباد ، فمن أين يشبه فعله فعل السيف حتى يطلق عليه اسمه ؟ وبعبارة بعض الشراح : يقول عادة السيف أن يقطع الروس ولا يزيد ، ولكن هذا الممدوح يقطع روس الأبطال بمحده : أى عزمه ، ويقطع شدائد الزمان بمكارمه ، فتسميته بالسيف غير وافية بما يستحقه .

(٣) الإزماع : العزم على الأمر ؛ والهام : الملك العظيم . والربي : جمع ربوة . يقول : أين أرمعت أن تسير أيها الملك ، ونحن الذين لا عيش لنا إلا بك ، وإذا فارقتنا لم نعش ؛ كنبت الربي لا بقاء له إلا بالتمام ، إذ لا شرب له إلا من ماله ، أما نبت غير الربي فيمكن أن يشرب من الماء الجاري ؛ وهذا من قول الآخر :

نحن زهر الرُّبِّي وجودك غيثٌ هل بفسير الغيث يُونقُ زهرُ؟

وعبارة المكبري : أين أرمعت أيها الملك عنا ؛ ونحن الذين أظهرتهم نعمتك إظهار الغمام لنبت الربا ، وهو من أتق النبات ؛ ولهذا ضرب الله تعالى به المثل في قوله : كمثل جنة بربوة أصابها وابل ، وهو مع ذلك أقرب النبت موضعاً من الغمام ، وأشدّه افتقاراً إليه ؛ لأنه لا يقيم فيه ويسرع الانسكاب عنه ؛ ولهذا شبه أبو الطيب

نَحْنُ مَنْ ضَائِقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيكَ وَخَانَتَهُ قُرْبَكَ الْأَيَّامُ (١)
فِي سَبِيلِ الْعَلِيِّ قِتَالَكَ وَالسَّلَامُ وَهَذَا الْقَامُ وَالْإِجْدَامُ (٢)

حاله به . . . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت ، قال : أول هذه القصيدة سوء أدي لسؤاله ملكا جليلا يد «أين أزمعت » قال : والبيت مأخوذ من قول ابن أبي فنين :

لعمرك إنني وأبا عليّ كنتب الأرض تُصلحه السماء

(١) يقول : نحن الذين ضايقتهم الأيام في قربك فبخلت عليهم بك فخرتهم لقاءك وبعادت بينهم وبينك وخانتهم في القرب منك . يريد أن الزمان يحبه ويشقه ويغار على قربه ويريد أن ينفرد به دون الناس ، وهو معنى معروف قد تعاورته الشعراء . قال محمد بن وهب :

وحاربني فيه ريبُ الزمان كأن الزمان له عاشق

وقوله ضايق الزمان له فيك : قال ابن جنى : اللام في «له» زائدة للتأكيد كقوله تعالى «ردف لكم» أي ردفكم ، وقوله جل شأنه «إن كنتم للرؤيا تعبرون» وقول الشاعر :

أريد لأنسى ذكراها فكأنما تمثّل لي ليلى بكل سبيل (١)

وقال ابن فورجه : يريد نحن من ضايقة الزمان ، حذف الراجع إلى الموصول ، والهاء في قوله «له» راجعة إلى الزمان . يقول : نحن الذين ضايقتهم الزمان لنفسه ولاجله فيك : أي لتكون له دونهم ، كما تقول هم الذين رضيتهم عمرو له : أي لنفسه ، وإلحاق اللام بالمفعول قبيح جداً . ونصب «قربك» على أنه مفعول ثانٍ لـ«بخان» ، يقال بخان الزمان زيدا ملكه ، يتعدى إلى مفعولين ، ولا يجوز نصبه على الظرف . لأنه يضير ذما للممدوح ، وإقراراً بأن الزمان خانهم في حال اقترابهم منه .

(٢) الإجدام في الإسراع في السير ، قال طرفة بن العبد .

أحلتُ عليها بالقطع فأجدمتُ وقدخب آلُ الأعرسِ المتوقدُ (٢)

(١) لكثير عزة وقال لقيس بن اللوح وقيل لجليل وتمثل - بحذف إحدى التاءين - أي تمثّل وتخيّل ، وتراه في قصيدة طويلة جميلة لكثير في أمالي القالي .

(٢) من معلقة طرفة ، والإحالة الإقبال هنا ، والقطع : السوط ، والإجدام الإسراع في السير ، والآل : ما يرى شبه السراب طرفي النهار ، والسراب : ما كان

كَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَدْتَ لَكَ الْخَلِيلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْحِيَامَ (١)
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمَالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مَقَامٌ (٢)

وهو أيضاً الإقلاع عن الشيء ، قال الربيع بن زياد العبسي .

وَحَرَقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَادِ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْزَمًا (١)

يقول . إن أفعالك كلها مقصورة على العلى : قانتلت أو سالت ؛ أقت أو سرت ،

فقصده في جميع ذلك طلب العلى .

(١) قال الواحدى . أى ليتنا معك نتحمل عنك المشقة فى مسيرك ونزولك فى سفرك ، هذا معنى البيت ، ولكنه أساء حيث عني أن يكون بهيمة أو جراداً ، ولا يحسن بالشاعر أن يمدح غيره بما هو وضع منه ، فلا يحسن أن تقول : ليتنى امرأتك فأخدمك . قال ابن جنى : طعن عليه قوم تمصبوا عليه فقالوا : الحيام يعلو من تحتها وقد جملة دونها ، فأجاب عن ذلك نظماً فقال :

* لقد نسبوا الحيامَ إلى علاء *

« وقد تقدمت هذه الأبيات » قال ابن جنى : وتلخيص المعنى : ليتنا نتيك الأذى

وتتحمل عنك الردى .

(٢) الاحتمال : التحمل المسير ، وىروى : ارتحال . والمقام : مصدر ميمي بمعنى

الإقامة . يقول : يحدث لك كل يوم سفر جديد ، وذلك آية بعد الهمة ، كما قال تأبط شراً ؟

* كثيرُ الهوى شتى النوى والمسالكِ (٢) *

نصف النهار ، والأعز : مكان يخالط ترابه حجارة أو حصى . يقول طرفة . أقبلت على الناقة أضربها بالسوط فأسرعت فى السير فى حال خيب آل الأماكن التى اختلط تربتها بالحجارة والحصى .

(١) قيس بن زهير العبسي ، وكان قد ترك بلاد العرب وانتقل إلى بلاد

المعجم بعد إثارة الفتن فى حرب داحس . والبيت من أبيات فى الحماسة انظرها فى « حماسة أبى تمام » .

(٢) صدره :

قليلُ التشكى للمهم يُصيبه

وقليلٌ ههنا بمعنى النفى .

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامَ^(١)

وفى كل يوم لك سير يقيم المجد عندك فى ذلك السير ، لأن ذلك السير لطلب المجد ،
أو لأن المجد مقيم معك حينما كنت ، كما قال أبو تمام :

كَمَا زَرْتَهُ وَجَدْتَهُ لَدَيْهِ نَشَبًا ظَاعِنًا وَمَجْدًا مُقِيمًا

وكما قال الأزدى « إسماعيل بن إسحاق القاضى الأزدى »

المجدُ صاحبك الذى حالفته أبدأ فروضته المريمسة مرتكك

فإذا رحلت سررت تحت ظلاله وإذا ربعت فى ذراه مرتكك

« المريمسة : الخصلة . وربعت : أقيمت . وذراه : أعاليه ، ولك أن تقرأ ذراه : بفتح

الذال : أى كنفه . »

(١) يقول : إذا عظمت المهمة وكبرت النفس تعب الجسم فى تحصيل مرادها ، وذلك
أن المهمة تعنى الجسم فى طلب معالى الأمور ، ولا ترضى بالمرزلة الدون ، ولا تستريح أو
تحصل على الرتب العالية ، كما قال العنابى :

وإن عليات الأمور مشوبة بمستودعات فى بطون الأساود^(١)

قال العكبرى : ويبت للتنبى من كلام أرسطوا : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان
هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة . قال ابن وكيع : لم يأخذ من الحكيم ، وإنما أخذ من
أهل صناعته ؛ فأخذ قوله من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

فقالوا : ألا تلهو لتدرك لذة ؛ فقلت : وكيف اللهو والمهم حاجز

ونفسى تمنانى أن تقيم مروءتى ومن قول أبى زرعة :

أهل مجد لا ينفلون إذا نا ومن قول الحصنى :

نفسى موكلة بالمجد تطلبه ومطلب المجد مقرون به التلف
ومن قول ابن جابر :

إذا ما علا المرء رام العلى وَيَقْنَعُ بِالذُّونِ مَنْ كَانَ دُونََا

(١) الأساود : الحيات .

وَكَذَا تَطْلُعُ الْبَدُورُ عَلَيْنَا وَكَذَا تَفْلُقُ الْبُحُورُ الْمِظَامُ^(١)
وَلَسَا عَادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبْرِ رَوَانَا سِوَى نَوَاكٍ نُسَامُ^(٢)
كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تَطْبُهُ حِمَامُ كَلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظَلَامُ^(٣)

ومن قول أبي تمام :

فَمَلِينَا أَنْ لَيْسَ إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ مِمَّ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا
طَلَبُ الْجِدِّ يورِثُ النَّفْسَ خَبِيلًا وَهُومًا تُقَضِّضُ الْحِزْمًا^(١)
وقد أخذ هذا المعنى أبو القاسم بن الحريش فقال :

فِيأَمَّنْ يَكْدُ النَّفْسَ فِي طَلَبِ الْعُلَى إِذَا كَبُرَتْ نَفْسُ الْفَقِي طَالَ شُفْلُهُ
(١) يقول : كذا يدن البدن : يغرب تارة ويطلع تارة ، وكذا البحر بموج
ويضطرب ويتحرك ، وكذلك أنت لا تستقر أو تتحرك وتسير يعني أنك بدر وبحر ،
فعدتكَ عادتُهما .

(٢) النوى : البعد . وسامه الأمر : جشمه إياه . يقول : لو كلفنا غير فراقك
لصبرنا صبراً جميلاً كما هي عادتنا في الصبر على المحن ، بيد أنه لا صبر لنا في بعدك ولا طاقة
لنا باحتمال نواك ، كما قال أبو تمام :

وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ
(٣) يقول : كل عيش لم تطبه وتؤنسه بقربك هو والحمام - اللوت - سواء ، وكل
شمس ظلمة إذا لم تكن أنت تلك الشمس . يريد تنقص عيشه بعده ، وإظلام أيامه
بهراته ، هذا : وقوله ما لم تكنها : على حد بيت أبي الأسود :

دَعِ الْحَمْرَ يَشْرِبُهَا الْفَوَاةُ فَإِنَّهُ رَأَيْتُ أَخَاهَا مُفْنِيًا بِمَكَانِهَا
فِيلاً يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ أَخُوهَا غَدَّتْهُ أُمُّهُ بِلِبَانِهَا^(٢)

(١) الجبل : الفساد ، في الأصل ، وللراد : الهم ؛ والحيزوم : الصدر . وتقضض :
تسكر وتعظم .

(٢) يقال هو أخوه بلبان أمه - بكسر اللام - ولا يقال بلبان أمه ، إنما اللبنة الذي
يشرب من ناقة أو شاة أو غيرها من البهائم . يصف أبو الأسود الزبيبي ، وأطلقه على
مذهب الراقيين في الأنبة ، وحض على شربه وترك الخمر بينهما ، للاجتماع على
تحمريمها ، وجعل الزبيبي أخاً للخمر لأن أصلها الكرمة ؛ واستمار اللبان لما ذكر من الإخوة .
(٥ - المعنى ؛)

أَزَلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الْخَلِيسُ اللَّهُامُ^(١)
 وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَعَى سَاكِنِ الْقَلْبِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامٌ^(٢)
 وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكُتَابِ حَتَّى تَتَلَاقَى الْفِهَاقُ وَالْأَقْدَامُ^(٣)
 وَإِذَا حَالَ سَاعَةٌ بِمَكَانٍ فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامٌ^(٤)
 وَالَّذِي تُنْبِتُ الْبِلَادُ سُرُورٌ ، وَالَّذِي تَمَطَّرُ السَّحَابُ مُدَامٌ^(٥)

والأجود : تكن إياها .

(١) الخليس : الجيش . واللهام : الكثير الذي يلتهم كل شيء فيهلكه ويذهب به .
 يقول : أقم عندنا لتلقى الوحشة عنا يا من يأنس بوجوده الجيش العظيم ، لقوة الجيوش
 بمكانه ، فهم وإن كثروا يأنسون بك ، ويتشجعون على لقاء الأحوال ثقة بشجاعتك .

(٢) الذي : عطف على من - في البيت السابق - والوعى : الحرب . والذمام :
 العهد : يقول : هو يحضر الحرب رابط القلب غير مضطرب الجأش ، كأن القتال عاهده
 على أن لا يقتل ؛ فهو يسكن إلى القتال سكونه إلى الذمام . وهذا من قول أبي تمام :
 مُتَسَرِّعِينَ إِلَى الْخُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْخُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ

(٣) الكتيبة : الفرقة من الجيش . والفهاق : جمع فهقة ، وهى العظم الذي يكون
 على اللهاة ، وهو مراكب الرأس في العنق . والأقدام : جمع قدم . يقول : والذي يضرب
 الجيوش بسيفه ، ويقطع أعناقهم حتى تتلاقى مع الأقدام .

(٤) يقول : وإذا ألم بمكان ونزل به ساعة صار ذلك المكان في ذمته ، فلا تلم به
 الحوادث ولا يصيبه الزمان بأذى من جذب وقحط . وبعبارة أخرى : إن سيف الدولة
 إذا نزل يبلى أجاره على الدهر ، وكف عنه صروفه وأذاه وأمن المكروه بركته .

(٥) والذي : مبتدأ ؛ وسرور : خبره ، والجملة : عطف على الشطر الثاني من
 البيت السابق . يقول : والذي تنبت بلاد ذلك المكان الذي تحمل به سرور ، والذي
 تمطره سماؤها مدام - خمر - أى يقيم السرور والطرب بذلك المكان حين تحمل به ،
 ولعله ينظر إلى قول البحترى :

ويومٍ بالمطيرة أمطرتنا سما صوبُ وابِلها العُقار^(١)

(١) المطيرة : قرية من نواحي سامراء ، وكأنت من متزهات بغداد وسامراء : قال
 البلاذرى : إنها محدثة بنيت في خلافة المأمون ، والعقار : الخمر .

كَلَّمَا قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا

كِرْمًا مَا أَهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْكِرَامُ (١)

وَكَفَا حَا تَكْعُ عَنْهُ الْأَعَادِي

وَارْتِيَا حَا يَحَارُ فِيهِ الْأَنَامُ (٢)

وَلَّةَ الْمَلِكِ فِي الْقُلُوبِ حُسَامُ (٣)

وَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوْفَى (٤)

وقال بمدحه أيضاً :

أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فُضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ
وَمِنْ ارْتِيَا حَا فِي غَمَامٍ دَأْمٍ (٥)

(١) يقول : كلما قال الناس قد بلغ النهاية في الكرم أبداع كرمها لم يهتد إليه من قبله من الكرام ؛ وهو من قول البحترى :

طَلُوبٌ لِأَفْصَى غَايَةٍ بَعْدَ غَايَةٍ إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ تَنَاهَى تَزِيدًا

(٢) تكع : تبجن وتضعف وتعجز ، يقال كع الرجل يكع - بكسر الكاف - فهو كع وكاع : أى لا يمشى فى عزم ولا حزم ، وهو الناكس على عقبيه ؛ وفى الأثر : ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب ، فلما مات اجترءوا عليه .. الكاعة : جمع كاع ، وهو الجبان . أراد أنهم كانوا يجبنون عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حياة أبي طالب ، فلما مات اجترءوا عليه . والارتياح : الاهتزاز للبدل واصطناع العروف . يقون : وأرانا قتالا يجبن عنه الأعداء ويعجزون ، واهتزازاً للجود يحار فيه الخلق .

(٣) يقول : إن هيئته فى القلوب تقوم مقام السيف ، فليس يحتاج إلى اللجوء إلى السيف ، لأنه مهيب تهابه الأعداء ، فلا يقدمون عليه فيحتاج إلى دفعهم عن نفسه بالسيف ، قال ابن وكيع : وهذا من قول أبي دلف :

وَيَصُولُ الْإِمَامُ فِي حَيْثَمَا صَالَ فِي صَوْلَةِ الْإِمَامِ الْجَمَامُ

(٤) يقول : إن تواقه الشجاع وحفظ نفسه منه فى الحرب فذلك منه كثير ، والبلغ إن أمكنه أن يسلم عليه فذلك غاية بلاغته ، لأن هيئته توجب أن لا ينطق أحد بين يديه .

(٥) الارتياح : الانبساط والاهتزاز للمطاء . يقول : أنا منك بين فضائل ذاتية وهى أوصاف ذاتك ، ومكارم فعلية هى صفات فعلك ، ومن اهتزازك للمطاء فى غمام لا يقلع مطره .

- وَمِنْ أَحْتِقَارِكَ كُلِّ مَا تَحْبُوبِهِ ؛ فَمَا الْأَحْظَهُ بِمَعْنَى حَالِمٍ (١)
إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا حَتَّى بَلَكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ (٢)
وَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ ، وَإِذَا تَخَمَّ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتَمِ (٣)
وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِي مَعْرِكَ هَلَكُوا وَصَاقَتْ كَفَّهُ بِالْقَائِمِ (٤)
أَبْدَى سَخَاوِكَ عَجَزَ كُلِّ مُشْمَرٍ فِي وَصْفِهِ وَأَصَاقَ ذَرَعَ الْكَاتِمِ (٥)

- (١) محبوبه : تسخوبه . و «ما» في قوله «فما الأحظه» نكرة ، وليست موصولة ، كأنه قال في شيء الأحظه ، والظرف معطوف على الخبر - في البيت السابق - . يقول : إنني أستعظم احتقارك ما تعطيه وتجود به ، ومن ثم أرى نفسي كأنني لا أعينه في اليقظة وإنما أراه حلما . وبعبارة أخرى : لاحتقارك ما تعطيه - على كثرته - أرى نفسي في حال كأنى أبصرها في النوم ، لأن العادة لم تجر بذلك في اليقظة .
- (٢) الهاء في «سيفها» : للدولة ، وأضمر للعلم ؛ وبلاك : اختبرك ؛ والصارم : القاطع يقول : لم يسمك الخليفة سيف الدولة إلا بعد أن جربك ، فكنت صارما حقيقة لا يبدو حدك ، ولا يطمع فيك عدوك ، ولا يفيل عزمك .
- (٣) تتوج : لبس التاج ، وكذلك تخم : أى لبس الخاتم ؛ والخاتم : بكسر التاء وفتحها . يقول : إن الخليفة يتجمل بك تجمل التاج بالدر ، والخاتم بالفص . يعنى أنك أرفع ما يرفع به الخليفة .
- (٤) انتضاك : استلك ؛ وقائم السيف : مقبضه . يقول : إذا جردك الخليفة على عدو هلك ذلك العدو وعجز هو عن حملك وضاقت كفه عن قائم سيف أنت حقيقة : يعنى أنه إنما يجردك بأن يدعوك للنضج عن الخلافة ، لا بأن يتصرف فيك كيف يشاء .
- (٥) اللشمر : المجتهد . يقول : من شمر لوصف جودك أظهر جودك عجزه عن وصفك فهو لكثرتة يعجز الواصف استيعابه ، كما قال :

وكل من أيدع في وصفه أصبح منسوبا إلى العي

ومن كنتم وصف جودك ضاق ذرعه ، لأنه يريد أن يصف جودك ويهلم عجزه ، فيضيق صدره لذلك .

وقال بمدحه ، وكان سيف الدولة قد أمر غلمانه أن يلبسوا ، وقصد ميثاقارين في خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه ، ليزور قبر والدته ، وذلك سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ لِلْقَدَمِ أَكْلٌ فَصِيحٌ قَالَ شِعْرًا مَتِيمٌ (١)
 لِحَبِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُنْتَمِمْ (٢)
 أَطَمْتُ النِّوَانِي قَبْلَ مَطْمَحِ نَاطِرِي إِلَى مَنْظَرٍ يَصْفُرُنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ (٣)
 تَعْرُضُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ وَيُصَمِّمُ (٤)

(١) النسب : التشبب بالنساء . وشبب بالمرأة : قال فيها الغزل ، ولعله من تشبب النار وتأريثها . وللتيم : الذى استعبده الهوى . يقول : اعتاد الشعراء أن يقدموا النسب في أشعارهم كلما مدحوا ، فأنكر هذه العادة وقال : أكل فصيح يقول الشعر متيم بالحب حتى يبدأ بالنسب ؟ يعنى ليس الأمر على هذا ، فلا تجارم في هذه العادة .

(٢) يقول : إن حب سيف الدولة أولى من حب غيره ، فإنه إذا جرى الذكركم الجليل يكون به بدوه وختامه ، يعنى لا يذكر غيره بما يذكر هو به من الجليل ، ومن كان بهذه الصفة كان أولى بالحلب من النساء اللاتي ينسب بهن الشعراء .

(٣) النوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنا عن الزينة . وطمح بصره إليه : ارتفع ونظره شديدا . وقوله ويعظم : أى ويعظم عنهن ، لحذف العلم : يقول : كنت أربغ في النساء قبل التقاى بسيف الدولة ، وتطمح عيني إلى منظره الذى حين نظرت إليه نظرت إلى منظر يصغر منظرهن عنه ، ويعظم هذا المنظر عن منظرهن ، لأن هذا ملك وسلطان ، وهن لهو وغزل . وعجارة العكبرى : أطمت النوانى فى التشبيب بهن قبل أن يطمح بصبرى إلى مملكة هذا المدوح الذى يقل حسنهن عندها ، ويصغر شأنهن عند شأنها وقال ابن جنى : كنت متيا بالنساء وحبهن قبل أن أتعرض للأمور العالية ، فلما قصدتها تركتهن . وقوله إلى منظر : يعنى معالى الأمور العالية ، وروايته على هذا التفسير : وأعظم : أى أنا أعظم عنه ، جعل نفسه تعظم عن العالى .

(٤) تعرض الدهر وتعرض له : أتاه عن عرض - جانب - . التطبيق : أن يصيب

فَجَازَ لَهُ فَحَتَّى عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ وَبَانَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ مَيْسَمٌ (١)
كَمَا أَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ ؛ فَإِنْ شَاءَ حَارَظُهَا وَإِنْ شَاءَ سَلَمُوا (٢)
وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرْمَرَمُ (٣)
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرِ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرِ لَهُ مَنْ لَهُ فَمٌ (٤)

المفصل في الضرب ؛ والتصميم ؛ أن يمضي السيف في الضريبة . يقول آبي الدهر عن عرض فذله بالتطبيق والتصميم ، وإنما وصفه بهما لأنه جله سيفاً ؛ ويقال سيف مطبق وهو الذي إذا أصاب المفصل قطعه ؛ وسيف مصمم إذا كان ماضياً في الضريبة . وحاصل المعنى أنه أخضع الدهر ، فلا يصبر عليه ما أراد ، كما قال في البيت التالي .

(١) يقول : حكمه جاز حتى على الشمس ، وحسنه ظاهر حتى على البدر : أي أنه أحسن منه ، فاليسم الحسن (١) وهذا ما ذهب إليه ابن جنى ، وقال العروضي : إن جاز أخذ اليسم من الوسامة ، فأخذه من الوسم أولى ليكون المعنى موافقاً للصراع الأول . يقول : كل شيء موسوم بان أنه له وتحت قهره وأمره ، حتى البدر ، وأشار باليسم على البدر إلى مافى وجهه من السواد الذي هو أثر الجو .

(٢) يقول : إن أعداءه من الملوك كأهم خلفاؤه ؛ حينما كانوا من الأرض ، استخلفهم على حفظ ممالكهم ، فإن شاء تركهم عليها ؛ وإن شاء أجلاهم عنها فسلموا بممالكهم إليه . والمعنى : أن أعداءه من الروم وغيرهم يتصرف فيهم كيف شاء . هذا : والخلفاء جمع خليفة ، والماء في « خليفة » : للمبالغة ، وجمع على الخلفاء على معنى التذكير . لا على اللفظ ؛ مثل ظريف وظرفاء ؛ ويجمع على اللفظ خلائف - كظرفيفة وظرفائف -

(٣) المشرفية : السيوف . والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير . يقول : إنه لا يرسل إلى مخالفه رسلاً غير الجيوش ؛ ولا كتب له إلا السيوف : يعني أنه لا اقتداره لا يعتمد في إخضاعهم إلى الملائنة ؛ ولكن إلى القتال ؛ لأنهم أعجز من أن يقاتلوه . ولعل في هذا نظراً إلى قول أبي تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتب في حدهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللعبِ
(٤) يريد عظم ملكه وعموم إحسانه . يقول : كل من له يد يقوم بنصره لوقوعهم

(١) قال عمرو بن كلثوم في معلقته .

فَلَعَانُ مَنْ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ خَلَطَنَ بِمَيْسَمِ حَسَبًا وَدِينًا

وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَانِهِ عُسُودٌ مَنِيرٌ
وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمٌ (١)
ضَرْبٌ وَمَا بَيْنَ الْحَسَامِينَ ضَيِّقٌ
بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعِينَ مُظْلِمٌ (٢)
تُبَارَى نَجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
نُجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرَدٌّ وَأُدْهَمٌ (٣)
يَطَّانَ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلَتُهُ ،
وَمِنْ قِصْدِ الْمَرَّانِ مَا لَا يُقَوْمُ (٤)

تحت طاعته ؛ ولأن نصره نصر دين الله ؛ وكل من له فم ينطق بشكره ؛ لما شملهم من إنعامه .

(١) يقول : إن سلطانه عم الدنيا حتى خطب له على منابرها وضرب باسمه الدينار والدرهم هذا ؛ والمنبر مرقاة الخاطب ؛ ممي كذلك لارتفاعه وعلوه - من نبرت الشيء أنبره نبرا : رفعته ؛ وكل مرتفع : منتبر ؛ والدينار : فارسي معرب ؛ وأصله دنار - بالتشديد - بدليل قولهم : دنانير ودينير ؛ فقلت إحدى النونين ياء لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فعال كقوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذاباً » إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة - القصير - لأنه أمن الآن من الالتباس ؛ ولذلك جمع على دنانير ؛ ومثله قيراط وديياج وأصله دباح ؛ قال أبو منصور : دينار وقيراط وديياج أصلها أعجمية ؛ غير أن العرب تكلمت بها قدما فصارت عربية

(٢) يقول : إنه شجاع ذو بصير وحذق بالحرب والنزال ؛ فيضرب قرنه مكافئة وقد دنا ما بينهما حتى يضيق مضرب سيفهما ؛ وإذا ستر العيار - غبار الحرب - نور الشمس فأظلم ما بين الشجاعين وزاغت الأبصار فإن بصره يبقى ثابتا ، فلا يخطيء مقتل قرنه ويجوز أن يكون معنى « وما بين الشجاعين مظلم » أنهما وقعا في أمر عظيم ؛ وتمثل الموت لهما ؛ ومن شأن الناس أن يقولوا أظلمت الدنيا ما بيني وبين فلان : إذا كلمه بكلمة تشق عليه وإن لم يكن ثم ظلام

(٣) نجوم القذف : هي التي ترمى بها الشياطين ؛ قال تعالى « ويقذفون من كل جانب دحورا » ونجوم المدوح : خيله والورد من الخيل : ما بين الكميت والأشقر يقول : إن خيله تنقض على الأعداء كالشهب المنقضة في الهواء ؛ في السرعة والشدّة ؛ وجعلها نجوما لأنها تتلألأ في الظلام بريق الحديد ؛ ولأنها تستغرق الأرض بسيرها استغرق الكواكب ؛ فهي تسير في الأرض كما تسير الكواكب في السماء

(٤) القصد : قطع الرماح إذا انكسرت ، الواحدة : قصدة . والمران : جمع مارن ، مالا من الرماح ، يقول : إن خيله تطأ القتلى من الأبطال الذين لم تحملهم ، يعني أبطال

فَهُنَّ مَعَ السَّيْدَانِ فِي الْبَرِّ عُسْلٌ وَهُنَّ مَعَ النَّيْبَانِ فِي الْمَاءِ عَوْمٌ (١)
 وَهُنَّ مَعَ الْغَزْلَانِ فِي الْوَادِ كُنُنٌ ، وَهُنَّ مَعَ الْعُقْبَانِ فِي النَّيْقِ حَوْمٌ (٢)
 إِذَا جَلَبَ النَّاسُ الْوَشِيحَ فَإِنَّهُ بَيْنَ وَفِي لَبَاتِهِنَّ يُحَطِّطُكُمْ (٣)
 يَفْرُتُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ وَالْحِجَابِ ، وَبَذَلِ اللَّهِ وَالْحَمْدِ وَالْحَمْدِ مُعَلِّمٌ (٤)

العدو ، وتطأ ما تكسر من قطع الرماح التي لا يمكن تقويمها لتكسرهما ، وهذا من قول الحصين بن الحمام للري :

يَطَّانُ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قِصَدِ الْقَنَا خَبَارًا فَمَا يَجْرِيْنَ إِلَّا تَجْمَا
 « الحبار : الأرض الرخوة ، تمتع فيها الدواب ، وفي المثل : من تجنب الحبار أمن العثار » .

هذا . وقوله « من لا حملته » أراد ما حملته ، لأن « لا » لا تدخل على الماضي إلا مكررة ، ولكنه أبدلها فراراً من ثقل اللفظ .

(١) السيدان : جمع سيد ، وهو الذئب ، وعسل : جمع عاسل - من عسلان الذئب ، وهو الإسراع والاضطراب في الجري - والنينان : جمع نون ، وهو الحوت ، يقول : إن خيله لكثرة غزواته عمت البر والبحر ، فهي تعدو مع الذئب في البر وتعم مع الجيمان في البحر ، حين تقصد أعاديه .

(٢) في الواد : يريد في الوادي ، فاجترأ عن البقاء بالكسرة وكمن : جمع كامن - من كمن : إذا اخفى - والعقبان : جمع عقاب ، وهو الطائر المعروف . والنيق : أعلى موضع في الجبل . والحوم : جمع حائم - من حومان الطير ، وهو دوزانها - يقول : إن خيله تمكن مع الغزلان في الأودية التي فيها كناسها ، يعني إذا كنت للعدو أو هبطت في الأودية فكنت فلم تظهر ، وتمتع على الأعداء رهوس الجبال مع العقبان التي فيها وكورها والحاصل أن المدوح قد استوى لدى خيله وفرسان جيشه البر والبحر والسهل والوعر . فلا يبعد عنه مطلب ، ولا يتمتع عليه موضع : وذلك لقوة عزائمه ونفاذه في مقاصده .

(٣) الوشيج : شجر الرماح . واللبات : جمع لبة ، أعلى الصدر . يقول : إذا جلب الناس الوشيج من منابته ليجمعه استعداداً لما يطرأ ، يتكسر تارة بخيله - أي بأيدي فرسانها في الطعن - ويتكسر تارة في صدورها ، إذا طعنه الأعداء . يريد وصف وقائع للمدوح بالشدّة والاستبسال .

(٤) يفرته : متعلق بمعلم - آخر البيت - والمراد يفرته : وجهه . والحجى : العقل . واللهي : العطايا ، جمع لهية . والعلم : الذي جعل لنفسه في الحرب علامة يعرف بها ، يقول : هو معلم بوجهه في هذه الأشياء : أي أنه معروف يعرف بوجهه ، فكانه معلم

يَقْرَهُ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوَدُّهُ ،

وَيَقْضَى لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يَنْجِبُ (١)
أَجَارَ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ تَطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجُرْهُمُ (٢)
ضَلَالًا لِهَذِي الرَّيْحِ مَاذَا تُرِيدُهُ وَهَذِيَا لِهَذَا السَّبِيلِ مَاذَا يُؤْمَمُ (٣)
أَلَمْ يَسْأَلِ الْوَيْلُ الَّذِي رَامَ ثَنِينَا فَيُخْبِرُهُ عَنْكَ الْحَدِيدُ الْمُتَلَمُّ (٤)

به عند الحرب إذا حارب ، وعند السلم وعند العقل والسخاء . قال الواحدى : وهذا على رواية معلم - بفتح اللام - ، ومن روى بكسر اللام قال : إنه لشدة وشهرته ، لا يحتاج أن يعلم نفسه فإنه معلم بوجهه : يعنى أن وجهه كعلامة له لشهرته ، والجيد رواية من روى للحرب معلم . يقول : بوجهه علامة لهذه الأشياء . أى إذا نظرت إليه عرفت أنه أهل لهذه الأشياء مرصوف بها ، يحارب إذا رأى الحزم فى الحرب ، ويسلم إذا رأى السلم خيراً من الحرب ، ويعرف فى وجهه أنه عاقل جواد محمود ماجد .

(١) يقول : إن عدوه يشهد له بالفضل لظهوره ووضوحه ، بحيث لا يمكن أن ينكر فضله كما قيل : والفضل ما شهدت به الأعداء :
والظهور آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة .

(٢) عاد وجرم : قيلتان من العرب القديمة البائدة . يقول : أجاز الناس من الأيام وحفظهم منها ، فلا تقدر أن تصيهم بمكروه حتى أطمع ذلك قبائل عاد وجرم - على قدمهم وانعدامهم وهلاكهم فى الزمان الأول - فى أن يستقدم من يدالعدم فتطالبه بدم إلى الدنيا بعد أن أفنتهم الأيام .

(٣) يدعو على الريح بالضلال لأنها آذتهم فى طريقهم كما قال :

• بَكْرُنْ ضَرَأُ وَبَكْرَتْ تَنْفَعُ •

ودعا للسيل بالهداية لأنه حكى المدحوح بالجوود . وقال ابن فورجه : أراد الدعاء على الريح لضررها والدعاء للمطر لنفمه . وقوله ماذا يؤم : أى ماذا يقصد ؟ هل يقصد أن يصد سيف الدولة عن طريقه وهو لا يستطيع ذلك ؟ وقد بين هذا المعنى فى البيت التالى (٤) الويل : للطر العزيز . وثنينا : أى صرفنا ؛ وبخبره - بالنصب - لأنه جواب الاستهام . يقول : هلا سأل المطر الذى قصد صرفك عن مقصدك بسكبه فتخبره السيف التى ثلثها وقالمك أنها لم تقدر على صرفك عن وجهك فيعلم المطر أنه لا يقدر أيضا على صرفك .

وَمَا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ
 تَلَقَّاهُ أَغْلَىٰ مِنْهُ كَفْبًا وَأَكْرَمًا (١)
 فَبَاشَرَ وَجْهًا طَالِمًا بِأَشْرَ الْقَنَا
 وَبَلَّ ثِيَابًا طَالِمًا بِلَهَا الدَّم (٢)
 تَلَكَ وَبَعْضُ النَّيْثِ يَتَّبِعُ بَعْضُهُ
 مِنَ الشَّامِ يَتَلَوُ الْحَاذِقَ الْمُتَعَلِّم (٣)
 فَرَارَ الَّتِي زَارَتْ بِكَ الْخَيْلُ قَبْرَهَا
 وَجَشَمَهُ الشُّوقُ الَّذِي تَتَجَشَّم (٤)
 وَلَمَّا عَرَضَتْ الْجَيْشَ كَانَ بِهَاؤُهُ
 عَلَى الْفَارِسِ الْمُرْخِي الذُّؤَابَةَ مِنْهُمْ (٥)
 حَوَالِيهِ بَحْرٌ لِلتَّجَافِيفِ مَا تُجِ
 بِسِيرُهُ بِهِ طَرْدٌ مِنَ الْخَيْلِ أَيُّهُمْ (٦)

(١) بصوبه: أى بما يسكب منه ويقال فلان أعلى كعبا من فلان: أى أرفع منه قدراً وأصله فى التصارعين يكون كعب الغالب أعلى من كعب المغلوب . يقول : لما استقبلك السحاب بالطر استقبله منك من هو أعلى منه شرفاً وأوسع كرماً .
 (٢) باشره: تولاه بنفسه . والقنا: الرماح . يقول : إن هذا المطر باشر منك وجها طالما باشر الرماح فلم تنل منه ، وبلى ثيابا طالما بلتها دماء القتلى فلم يئنه بلها ، فكيف يهاب وقع للطر من لا يهاب وقع الرماح ، ويخشى الماء من لم يخشى الدماء ؟
 (٢) تلاك : تبعك . ومن الشام : متعلق بتلاك . يقول : تبعك النيث وأنت غيث ، فلا جرم أن يتبع بعضه بعضا ، وأنت أستاذ حاذق فى الجود ، فهو يتبعك ليتعلم منك الجود كما أن المتعلم لشيء يتبع من حذقه :
 (٤) جشمه الشيء : كلفه إياه فتجشمه ، والذي : مفعول ثان لجشمه يقول : إن السحاب زار قبر والدتك معك وكلفه الشوق ما كلفك من المسير نحوها : أى هو يشاقق قبرها كما تشاققه .

(٥) الذؤابة - فى الأصل - الضفيرة من شعر الرأس ، والمراد بها هنا : ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها ، وأراد بالفارس المرخى الذؤابة : سيف الدولة وإرخاء الذؤابة : كناية عن كونه معيا ؛ لأن سائر الجيش بالمغافر . يقول : لما عرضت للجيش وتصفحته كنت أنت بهاءه وجماله على عظم شأنه وتكاثر شجاعته .
 (٦) التجافيف : جمع تجفاف ، ما جلى به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان أيضا . والطود : الجبل . والأيمم : الذى لا يهتدى فيه : يقال بر أيمم وفلاة يهماء . جعل كثرة التجافيف حوله بحرا مأجها ، وجعل خيله التى تسير بهذه التجافيف طوداً عظيماً ؛ يعنى أن حوله من بريق الاسلحة ولعان التجافيف ما يشبه البحر .

تَسَاوَتْ بِهِ الْأَقْطَارُ حَتَّى كَانَهُ ^(١) يُجْمَعُ أَشْتَاتَ الْجِبَالِ وَيَنْظَمُ
وَكُلُّ فَتَى لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ ^(٢) مِنَ الضَّرْبِ سَطْرًا بِالْأَسِنَّةِ مُنْجَمًا
يَمُدُّ يَدَيْهِ فِي الْمَفَاضَةِ ضَيْقَمٌ ^(٣) وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمًا

بكثرته ، ويحكىه يبريق جملة يشير بذلك إلى موكب من خيله ؛ وهو تخيل بديع : جملة
التجافيف بحرأ يسير به من الحيل جبل عظيم لا يهتدى فيه .

(١) الأشتات : المتفرقة ، جمع شت . لما جعل جيشه جبلا قال : إنه حل بين الجبال
قلأ فجوة ما بينها فتساوت به أقطار الأرض كأنه جمع جبالها للمتفرقة ، ونظم بعضها إلى
بعض ؛ وعبرة ابن جني : تحيط خيله بالجبال وهي كالجبل ، فكان جيشه يؤلف بينها
لسعته وكثافته ، كقول النابغة :

تَفِيْبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِفَارًا إِذَا لَمْ تَفِيْبُ
وقال الواحدي : أى عم الأرض بكثرة خيله ، فنظم بعمومه متفرق الجبال ونواحي
الأرض . وقال ابن الأفلحى - على رواية الأقطار بدل الأقطار - : الأقطار : الفبار :
يشير إلى أن هذا الجيش يسحق الجبال بكثرته ، ويحطمها بعظمه ، فيستوى
الرهج في السهل والوعر ، وفي الصلب والرخوة ، ويشتمل العجاج على الجبال حتى تصير
كأنها في ذلك العجاج منتظمة ، وبما غشيها من الجيش متصلة ، كقول النابغة :

جَيْشٌ يُظَلُّ بِهِ الْفِضَاءُ مُعْطَلًا يَدْعُ الْإِكَامَ كَأَنَّهُنَّ صَحَارًا ^(١)
(٢) وكل فتى : عطف على قوله « بحر » : أى وحواليه كل فتى ، والأسنة : أطراف
الرماح ، والإعجام : التنقيط . يقول : وحواله فتیان على وجوههم آثار الضرب والظعن
يريد أنهم رجال حرب . وجعل أثر الضرب كالسطر لطوله ، وأثر الظعن إعجاما لذلك
السطر ، لندور جراحته فهي كالنقطة ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قوله أبى تمام :

كَتَبْتَ أَوْجَهُهُمْ مَشْقًا وَنَمْنَةً ضَرْبًا وَطَعْنًا يُقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلْفَا
كِتَابَةً لِأَتَنِ مَشْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطْتَ بِهَا لَامًا وَلَا أَلْفًا ^(١)
(٣) المفاضة : الدرع الواسعة ؛ والضيغم : الأسد ؛ والتريكة : البيضة من الحديد ؛

(١) الإكام : جمع أكمة ؛ وهى الراية ؛ وصحار : جمع صحراء .
(٢) من قصيدة له بارعة يمدح بها أبى دلف ؛ والمشق : مدالحروف ؛ والنممة : النقش
ويقات الهام : أى يجعل الهام والصلف قوتاً له ؛ والهام : الرؤوس ؛ والصلف : بضمين -
جمع صليف : عرض الضيق ؛ وهما صليقان من الجانبين ؛ ولا تنى : لا تزال .

كَأَجْنَاسِهَا زَايَاتُهَا وَشِمَارُهَا وَمَا لَيْسَتْهُ وَالسَّلَاحُ الْمُسَمَّمُ (١)
وَأَدَبُهَا طُلُوعُ الْقِتَالِ قَطْرُهُ يُشِيرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَقَمُّ (٢)
تُجَاوِبُهُ فِعْلًا وَمَا تَعْرِفُ الْوَحَى وَيُسْمِعُهَا لِحْظًا وَمَا يَتَكَلَّمُ (٣)
تَجَانَفُ عَنِ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا تَرِقُّ لِمَيَافِرِقِينَ وَتَرْحَمُ (٤)

تشبها بالتربكة وهي: بيضة النعامة إذا انقلقت وخرج الفرخ فتركت. والأرقم: الحية الذكركر؛ والضمير في يديه وعينه: للفق؛ وضميم فاعل بمد؛ وأراد بمد يديه منه ضميم فهو من باب التجريد كما تقول إن لقيت فلانا لقيت منه الأسد. وقوله وعينه: أي ويفتح عينيه منه أرقم؛ وهذا من باب * علفتها تبنا وماء بارداً * يقول: إن هذا اللقي في الشجاعة كالأسد؛ وفي حدة النظر وتوقد العينين كالأرقم؛ فإذا مد يديه في الدرع فقد مدهما أسد؛ وإذا مد عينيه من تحت الحوذة فقد مدها أرقم.

(١) الضمير في «كأجناسها»: للخيل؛ والشعار: العلامة في الحرب. والمسمم: الذي سقى السم. يقول: إن هذه الخيل عربية وكل ما معها من الرايات والسيوف والملابس عربي كذلك.

(٢) الطرف: النظر، والضمير في «طرفه» للفرس، وإن لم يجره له ذكر لأن الخيل لما ذكرت لا بد لها من راكب. يقول: وأدب هذه الخيل طويل تمسها بالقتال والتغلب في شدائد الحرب حتى إن فارسها إذا أشار إليها من بعد فهمت إشارته. (٣) الوحي: الصوت الخفي، وفعلًا ولفظًا: منصوبان على نزع الخافض، والواو بعدها: للحال. يقول: إن هذه الخيل - لأدبها - تجاوبه بفعلها من غير أن تسمع صوته، ويفهما مراده باللحظ من غير أن يتكلم، وهذا المعنى ينظر إلى قول الفرزدق:

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّكَابُ مُنَاخَةٌ
بِرِحَالِهَا لِرَوَاحِ أَهْلِ الْمَوْسِمِ
إِذْ نَحْنُ نَسْتَرِقُ الْحَدِيثَ وَفَوْقَنَا
مِثْلُ الضَّبَابِ مِنَ الْعُبَابِ الْأَقْتَمِ
وَكَذَلِكَ نُجَبَّرُ بِالْحَوَاجِبِ بَيْنَنَا
مَا فِي الثُّفُوسِ وَنَحْنُ لَمْ نَتَكَلَّمْ

(٤) التجانف: الليل، وفي التنزيل: «لئن اضطر في محصنة غير متجانف لإثم» أي مائل، وقال الأعشى:

تجانف عن جـو اليمامة ناقتي وما عدت من أهلها لسوائسكا
وميافارقين: بلدمن أعمال ديار بكر، يقول: إن خيلك تميل عن ميافارقين رحمة لها، لأن فيها قبر والده، وخشية أن تدوسها بموافرها لو هي سارت بجانبها.

وَلَوْ زَحَمْتَهَا بِالْمَنَاكِيبِ زَحْمَةً دَرَّتْ أَى سُورِيهَا الضَّعِيفُ الْمَهْدَمُ (١)
 عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ مِنْ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنْ اللَّحْمِ يُطْعَمُ (٢)

(١) يقول : لو أن هذه الخيل زحمت ميفارقين بمناكبها ، أو لو زحمت ميفارقين الخيل بمجردها - وسماها مناكب : لأن الزحام يكون بالمناكب - يعنى لو جرت بينهما مزاحمة لدرت - علت - ميفارقين : أى السورين يكون الضعيف المهدم ؟ يعنى أن الخيل أقوى من هذه البلدة ، فهى لو قصدتها لهدمت سورها ، فكانت تعلم أن سورها ضعيف لا يقوى على دفع خيل سيف الدولة واستعار للخيل سورا لأنه ذكرها مع البلدة وجمعهما فى المزاحمة . ولما كانت البلدة قوية بالسور استعار لقوة الخيل سورا ، قال ابن جنى : من أعجب ما جرى أن أبا الطيب أنشد هذه القصيدة عصرا وسقط سور المدينة تلك الليلة ، وكان جاهليا - قديما - هذا : وإليك تعليقات العكبرى على هذا البيت قال : الضمير فى « زحمتها » : للبلدة ، وكذلك فى « درت » : أى درت البلدة ؛ ورفع أى بالابتداء ؛ وما بعده الخبر ، وهو استفهام ، ومفعول « درت » محذوف ، تقديره علت ضعيفا ، لأن « أيا » لا يعمل فيها ما قبلها كقوله تعالى « لتعلم أى الحزبين أحصى » ، فرفع « أى » بأحصى ، لأنه فعل ماض على قول بعضهم ، والصحيح أن « أيا » فى الآية بمعنى الذى « وأحصى » اسم ، وقد حذف صدر الصلة ؛ والتقدير : هو أحصى و « أى » : إذا كانت بمعنى الذى وتمت صلتها : أعربت ؛ وإذا حذف صدر الصلة عادت إلى أصلها من البناء ، وهى منصوبة للموضع بنعلم . و « أى » فى البيت : مبتدأ ، والضعيف : خبره ؛ والمهدم : خبر ثان ؛ والجملة : فى موضع نصب بـ « درت » ؛ فهى معلقة عن العمل ؛ و « أى » فى البيت : استفهام ؛ وروى الواحدى وغيره « سورها » فالضمير للبلدة ؛ ورواية أبى الفتح « سورينا » أى سور البناء وسور الخيل .

(٢) على كل طاو : من صلة قوله « وكل فتى » والطاوى : الخيصر الجوف : أى الضامر جوعا . يقول : كل فتى على فرس ضامر تحت فارس ضامر كأن شرابه الدم وطعامه اللحم ، فهو أبدا مستميت فى طلب الأعداء مقتحم عليهم موغل فى طلبهم لئلا كل لحومهم ويشرب دماءهم ؛ ووجه آخر وهو : وكل فتى ضامر على فرس ضامر كأنه أى الفرس - يسقى من دمه ويطعم من لحمه : أى لضمره كأنه ليس له غذاء ولا يشرب إلا من جسمه ، فهو يزداد كل يوم ضمرا ، هذا : وقد قال ابن وكيع . إن البيت مأخوذ من قول أبى الشيخ :

لَمَّا فِي الْوَعْيِ زِيءُ الْفَوَارِسِ فَوْقَهَا فَكَلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَعَلِّمٌ (١)
وَمَا ذَاكَ بُخْلًا بِالْثَفُوسِ عَلَى الْقَنَا وَلَكِنْ صَدَمَ الشَّرُّ أَحْزَمَ (٢)

أَكَلَ الْوَجِيفُ لِحْمَهَا وَلِحَوْمَهُمْ فَأَتَوْكَ أَنْقَاضًا عَلَى أَنْقَاضٍ (١)

(١) الوعى: الحرب. والحصان: الذكرومن الخيل. والدارع: ذو الدرع. يقول: إن لهذه الخيل في الحرب زى فوارسها، لأنها قد ألبست التجافيف صونا لها، فكل فرس منها ذو دروع من التجافيف وذو لثام بما أرسل على وجهه من الحديد.
(٢) يقول: لم تحصنواهم بالدرع ولم يحصنوا خيلهم بها، ضنا بفسهم أن تنالها أسنة الرماح، فإنهم شجعان لا يبالون بالقتل، غير أنهم يقابلون شر الأعداء بمثله، ولك فعل الحازم اللبيب، ومن شهد الحرب غير مستعد ولا متسلح كان ذلك خرقا وهوجا، روى أن كثيرا أنشد عبد الملك بن مروان:

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دَلَّاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ الْمَسْدَى سَرْدَهَا وَأَذَالَهَا
يَتَوَدُّ ضَيْلَ الْقَوْمِ حَمْلُ قَتِيرِهَا وَيَسْتَضِلُّ الْقَرْمُ الْأَشْمُ احْتِمَالَهَا (٣)
فقال له عند الملك: هلا مدحتنى كما مدح الأعشى صاحبه فقال:

وَإِذَا تَسْكُونُ كَتِيْبَةٌ مَلْمُومَةٌ خِرْسَاءُ يُغْشِي الرَّائِدُونَ نَهَايَهَا
كُنْتَ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَقْتَلُ مُعَلَّمًا أَبْطَالَهَا؟ (٣)

(١) الوجيف: ضرب من السير سريع.

(٢) من قصيدة بارعة يقول فيها:

أَحَاطَتْ يَدَاهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَا أَرَادَ رِجَالَ آخَرُونَ اغْتِيَالَهَا
وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي غَزَا كَامِنَاتِ الْوَدِ مَنِ فَنَالَهَا
تَبْلِجَ لِمَا جِئْتَ وَاهْتَزَّ ضَاحِكًا وَبَلَّ وَسَلَاتِي إِلَيْهِ بَلَالَهَا
وقوله وأذالها: أى أطلها.

(٣) ملامة: كملمة: مجتمعة، وخرساء أى لا يسمع لدروعها صوت لئنها، ونهاها عطاشها: أى يغشى القائدون عطاشها الأعداء وفي رواية يخشى، وجنة - بالضم - الدرع، وكل ما وقلك فهى جنة؛ معلما - بكسر اللام وفتحها - من أعلم الفارس نفسه: أى جعل لها علامة كريشة أو خرقة ملونة يعرف بها مكانه. والبيتان من قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية بن الحارث الكندى.

أَتَحْسِبُ بِيضُ الْهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا وَأَنْتَ مِنْهَا ؟ سَاءَ مَا تَوَدَّوْهُمْ (١)
 إِذَا نَحْنُ تَمَيَّنَاكَ خِلْنَا سِيُوفَنَا مِنْ التِّيهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسُّمُ (٢)
 وَلَمْ نَرَ مَلَكًا قَطُّ يَدْعَى بِدُونِهِ فَيَرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْمَلُ (٣)
 أَخَذَتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ كَلَّ تَنْبِيَةَ مِنْ الْعَيْشِ تُعْطِي مَنْ نَشَاءُ وَتَحْرِمُ (٤)

فقال له كثير إنه وصف صاحبه بالخرق ، وأنا وصفتك بالحزامة ؛ ويريد التني بالشر الأول شر الأعداء وما جاءوا به من العدد والأسلحة ، والثاني ما طرؤهم بمثله ، وسماه شرا للمقابلة ، كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها »

(١) يقول : أظن السيوف - لأنك سميت سيفاً - أنها تشاركك في الأصل وأنتك من جملتها ، ساء هذا الوهم وهما : يعنى : أنك وإن سميت سيفاً فإنك أشرف من سيوف الهند وأجل منها شأننا وأعظم أصلاً رغم جلالتهاررفعها ونفاذا وهيتها . فهي بعض آلاتك تصرفها ولا تصرفك . هذا : ويجوز في مضارع حسب : فتح السين وكسرها ، وهما لغتان فصيحتان .

(٢) يقول : إذا نحن سميناك سيفاً خلنا - حسبنا - سيوفنا تسكبر . وتعجب بأن صرت لها سمياً فهي تتبسم في أغمادها تها - كبرا وغرا - وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

تَنْبِيَةُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ إِذَا قُلْنَا كَأَنَّهُمَا الْأَمِيرُ

قال العكبرى : وقد عاب هذا البيت من لا يعرف معانى الشعر وقال : قد وضع الشئ في غير موضعه حيث قال تتبسم من التيه ، ولا يكون من التيه إلا العبوس ، وأن يشمخ الإنسان بأنفه ، وهو فعل التائه التسكبر ، وإنما يكون التبسم من الريح والفرح وليس كما قالوا . والتبسم قد يكون من العجب بنفسه التائه على أقرانه ، استكثاراً لما عنده واستقلالا لما عند غيره ، فليس ينكر أن يكون التبسم من الإعجاب ، فكان السيوف تبسمت إعجاباً بنفسها لمشاركة المدوح لها في التسمية ، فحقرت بذلك السلاح والرماح .

(٣) بدونه : أى بدون قدره واستحقاقه . يقول : لم نر ملكاً يلقب بدون ما يستحق فيرضى بذلك وعمله فوق أن يسمى سيفاً ، ولكن الناس يجهلون قدرك وأنت تحلم عنهم فلا تؤاخذهم بجهلهم .

(٤) الثانية : طريق العقبة . يقول : أخذت على أرواح أعدائك طريق عيشهم فليس

فَلَا مَوْتَ إِلَّا مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى وَلَا رِزْقَ إِلَّا مِنْ يَمِينِكَ يُنْقَمُ^(١)

* * *

وقال يعاتب سيف الدولة - وأنشدها في محفل من العرب - وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه وأحضر من لا خير فيه ، وتقدم إليه بالتمريض له في مجلسه بما لا يجب ، وأكثر عليه مرة بعد مرة فقال يعاتبه :

وَأَحْرَّ قَلْبَاهُ بِمَنْ قَلْبُهُ شَبِيمٌ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ^(٢)

يعيشون ، لأنك فرقت بينهم وبين أرواحهم بالقتل ، وأنت تعطى من تشاء ، وتحرم من تشاء لأنك ملك في يدك السط والقبض .

(١) هذا من قول أبي العتاهية :

فَمَا آفَةُ الْأَجَالِ غَيْرُكَ فِي الْوَعَى وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرُ حَبَائِكَ

(٢) الشبم : البارد . والشبم : البرد ؛ وقد شبم الماء - بالكسر - فهو شبم ، ومطر شبم ، وغداة ذات شبم ، وقيل لابنة الحس (١) ما أطيب الأشياء ؟ قالت : لحم جزور سنة ، في غداة شبمة ، بشفار خذمة ، في قدور هزمة . أرادت في غداة باردة ، والشفار الخذمة : القاطمة ؛ والقدور الهزمة السريعة الغليان ، والشبم : الذي يجد البرد مع الجوع ، قال حميد بن ثور :

بِمَعْنِي قُطَامِي نَمَا فَوْقَ مِرْقَبٍ غَدَا شَبِيمًا يَنْقَضُ بَيْنَ الْمَجَارِسِ^(٢)

يقول : واحر قلبي واحترقه حبا وهياما بمن قلبه بارد لا يحفل بي ولا يقبل طي ، وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعانى وأقاسى فيه ، سقيم الحلل لفساد اعتقاده في . هذا وقوله واحر قلباه : أصله واحر قلبي ، فأبدل من الياء ألفاً طلباً للخفة ، والعرب تفعل ذلك في النداء ، واستجلب هاء السكت وأثبتها في الوصل كما ثبتت في الوقف ، وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف قبلها ، وللعرب في ذلك أمران : منهم من حرك بالضم تشبيها بهاء الضمير ، وأنشدوا لامرئ القيس :

(١) الحس : رجل من إياد ، وابنة الحس : الإيادية التي جاءت عنها الأمثال ، واسمها

هند ؛ وكانت معروفة بالفصاحة .

(٢) القطامي - بضم القاف وفتحها - الصقر ، مأخوذ من القطم ، وهو المعنى

اللحم ، والمجارس : الثعالب ؛ وقيل جميع ما تمس من السباع ما دون الثعلب وفوق اليربوع .

مَالِي أَكُمْ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدْعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمِ (١)
 إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِعَرَّتِهِ فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ تَفْتَسِمُ (٢)
 قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُقَمَّدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمٌ (٣)
 فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّمِّ (٤)
 فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمْتَهُ ظَفْرُ فِي طَيْهِ أَسْفٌ فِي طَيْهِ نِعْمٌ (٥)

وَقَدْ رَأَيْتُ قَوْلًا يَا هَنَا وَوَيْحِكَ أَطَقْتَ شَرًّا بِإِشْرٍ (١)

ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً عند التقاء الساكنين .
 (١) براه : أعليه وأضناه : وأكتم : مبالغة من الكتمان ، وتدعى : منصوب بأن مضمره بعد الواو ، وسكبه ضرورة ، أو طى لغة . يقول : إذا كان الناس يدعون حبه ويظهرون خلاف ما يضمرون فلم أخفى أنا حبه الذي برح بي وأسقمعي ، وأعين طى نفسى بهذا الكتمان ؟

(٢) الفرة : الطلعة . يقول : إن كان يجمعني وغيري أن نكون محبين له ، أى إن حصلت الشركة في حبه ، فليتنا نقسم فواضله وعطاياه بمقدار ذلك الحب حتى أكون أوفر نصيباً من غيري ، لأنى أوفر حبا من غيري . وقال ابن جني : أى إن كان يجمعنا من آفاق البلاد المتباعدة حب لعزته ، فليت أنا نقسم به كما تقسم حبه .
 (٣) والسيوف دم : أى مفضبة بالدم . يقول : إنه خدمه في حالي السلم والحرب .
 (٤) الشيم : جمع شيمة ، وهى الحلقة والحلق . يقول إنه كان في الحالين أحسن الخلق وكانت أخلاقه أحسن ما فيه ، وإنما المرء خلقه .

(٥) يمته : قصده . والأسف : الحزن . يقول : — وكان سيف الدولة اتبع بعض ملوك الروم ففاته — فوت العدو الذى قصده ففاته ، بأن فرمته لاستحكام جزعه ، ظفر حيث فرمته ، فكانت ظفرت به وإن كان فى طى هذا الظفر أسف -ين لم تدركه فقتله ، وفى طى ذلك الأسف نعم ، إذ صرف الله عنك مؤنة الحرب وحفظ جيشك مما قد يلم به من قتل وجراح .

(١) قولهم ياهناه : أى يارحل ، لا يستعمل إلا فى النداء . يقول : كنا متهمين فحققت الأمر

(٦ — التني : ٤)

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَلَمَتْ

لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ الْبِهِمُ (١)

أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزِمُهَا أَنْ لَا يُوَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلَا عِلْمٌ (٢)

أَكَلَمَا رُمْتَ جَيْشًا فَأَنْتَنِي هَرَبًا تَصَرَّفْتَ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهَيْمُ (٣)

عَلَيْكَ هَزْمُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا (٤)

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلُوا سِوَى ظَفَرٍ تَصَافَحَتْ فِيهِ الْهِنْدُ وَاللَّمَمُ (٥)

(١) البهم : الأبطال الذين تناهت شجاعتهم ، جمع بهمة ، ويقال للعبس بهمة ، ومنه قولهم : فلان فارس بهمة وليث غابة ، قال ابن جنى : البهمة فى الأصل مصدر وصف به ولا فعل له . وقال بعضهم : قيل للكمة بهم لأنه لا يهتدى لقتالهم : من قولهم شئ بهمهم . يقول : إن خوف أعدائك منك ناب عنك فى شدة تأثيره فيهم ، فصنع لك مالا تصنعه عسا كرك للشجعان ، يعنى أن مهابتك فى قلوب أعدائك أبلغ من رجالك وأبطالك الذين معك .

(٢) يواريهم : يسترهم ويكنهم . والعلم الجبل . يقول : ألزمت نفسك شيئاً لم يكن ليلزمها ، وذلك رغبتك فى أن لا يوارى أعداءك أرض تشتمل عليهم أو جبل يحول بينك وبينهم ، وإياؤك إلا أن تقتلهم حتى بعد هربهم ، وهذا لا يلزمك لأنه يكفىك أن تكون قد هزمتهم ، أو تقول : ألزمت نفسك أن تتبعهم أينما فروا وتدركهم حيثما تواروا من الأرض ، وهذا أمر لا يلزمك بعد أن تكون قد هزمتهم يريد أنه لا يرجع عنهم إلا بعد قتلهم ولا يكفىه ما يكفى غيره من الظهور عليهم .

(٣) رمت : طلبت . وانتنى : ارتد ، وهربا : حال . يقول : أكلا طلبت جيشا فارتد هاربا منك وهزمته ، حفزتك همتك إلى اقتفائه واقتفاء آثاره حتى تعمل فيهم سيفك وهذا استفهام إنكار : أى ليس عليك أن تفعل وحسبك انهزامهم .

(٤) المعترك : ملتحى الحرب . يقول : عليك أن تهزمهم إذا التقوا معك فى مجال الحرب ، والقتال ولا عار عليك إذا انهزموا فتحصنوا بالهرب إشفاقا منك وخوفا من لقاءك فلم نظفر بهم .

(٥) يبيض الهند : السيف . واللهم : جمع لمة ، وهى الشعر إذا ألم بالنكسب . يقول ليس يحولك الظفر إلا إذا ضربت رءوسهم بالسيف وتلاقت سيوفك وهمورهم .

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ (١)
أَمِيدَهَا نَفَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ
أَنْ تَحْسِبَ الشَّخْمَ فِيمَنْ شَحَّمَهُ وَرَمَ (٢)
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ (٣)
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمٌّ (٤)

(١) يقول : أنت أعدل الناس إلا إذا عاملتني فإن عدلك لا يشملني ؛ وفيك خصامي وأنت الخصم والحكم ، لأنك ملك لا أحاطت بك إلى غيرك ، وإنما أستمدى عليك حكمتك والخصام وقع فيك . وإذن كيف ينتصف منك ؟ قال ابن جنى : هذه شكوى مفرطة لأنه قال في موضع آخر :

وَمَا يُوجِعُ الْحَرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ كَمَا يُوجِعُ الْحَرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقٍ
وَإِذَا كَانَ عَدْلًا فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِهِ فَقَدْ وَصَفَهُ بِأَقْبَحِ الْجَوْرِ .

(٢) قال ابن جنى : سألته - أي التفتي - عن المءاء « في أعيدها » على أى شىء تعود ؟ فقال : على « النظرات » وقد أجاز مثله أبو الحسن الأحنف في قوله تعالى « فإنها لا تعمى الأبصار » فقال : المءاء راجعة إلى الأبصار وغيره من النعويين يقول : إنها إضمار على شريطة التفسير ، كأنه فسر المءاء بالنظرات ، ونظرات - كما قال التبريزي - في موضع نصب على التمييز : أى من نظرات . يقول : إنك إذا نظرت إلى تى ، عرفته على ما هو عليه فنظراتك صادقة تصدقك فلا تلتط فيها تراه فلا تحسب الورم شعما . وهذا مثل ، يقول : لا تنظن المتشاعر شاعرا كما يحسب الورم سمنا .

(٣) الناظر : العين . يقول : إذا لم يميز الإنسان البصير بين النور والظلمة فأى نفع له في بصره ؟ يعنى : يجب أن تميز بينى وبين غيرى بمن لم يبلغ درجتي كما تميز بين النور والظلمة ، لأن الفرق بينى وبين غيرى ظاهر ظهور الفرق بين النور والظلمة ، فلا ينبغى أن يستويا في عيني البصير .

(٤) يقول : إن الأعمى على فساد حاسة بصره أبصر أدبى ، وكذلك الأصم سمع شعرى ، يعنى : أن شعرة سار في آفاق البلاد واشتهر حتى تحقق عند الأعمى والأصم أدبه ، فكأن الأعمى رآه لتحقيقه عنده ؛ وكان الأصم سمعه . وكان للمرى إذا أشهد هذا البيت يقول : أنا الأعمى .

أَنَامُ مِلءُ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جِرَاهَا وَيَخْتَصِمُ^(١)
وَجَاهِلٍ مَدَّةُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدُ فَرَّاسَةٍ وَفَمُ^(٢)

(١) الشوارد : سواثر الأشعار - من قولهم شرد البعير : إذا نفر - والضمير في « شواردها » : للكلمات ؛ قال ابن جني : يحتمل أن يراد بالكلمات : جمع كلمة التي هي اللفظة الواحدة ، وهذا أشد في المبالغة . ويجوز أن يعنى بالكلمات القصائد ، وهم يسمون القصيدة كلمة . وملهء جفوني موضع المصدر : أى أنام نوماً مملء جفوني . ويقال : فعلت ذلك جراك ومن جرائك : أى من أجلك . وكذلك من جلالك ومن إجلاك ، ومن جلالك ، كله من أجلك قال جميل :

رَسَمَ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ كِيدْتُ أَفْضَى الْعِدَاةَ مِنْ جَلَلِهِ

[أى من أجله . وقيل من جلالك : من عظيمك في عيني . وقوله رسم دار : قال ابن سيده : أراد رب رسم دار ، فأضمر « رب » وأعملها فيها بعدها مضمرة] وأنشد الكسائي على قولهم : فعلته من جلالك - أى من أجلك - قول كثير :

حَيَاتِي مِنْ أَسْمَاءٍ وَالخَرْقُ بَيْنَنَا وَإِكْرَامِي الْقَوْمِ الْعِدَا مِنْ جَلَالِهَا

[الخرق : البعد] ووحد الضمير في « يختصم » على لفظ الخلق ، لا معناه . يقول أنا أنام ملاء جفوني عن شوارد الشعر لا أحفل بها لأنى أدركها متى شئت بسهولة ، أما غيرى من الشعراء فإنهم يسهرون لأجلها ويتعبون ويختصمون . قال الواحدي : ومعنى الاختصام اجتذاب الشيء من النواحي والزوايا مأخوذ من الخصم ، وهو طرف الوعاء^(١) يقول : إنهم يجتذبون الأشعار احتيالا ويحتلبونها استكراها .

(٢) مدده : أمهله وطول له . وأصل الفرس : دق العنق ، ومنه سمى الأسد فراسا .

(١) جاء في اللسان : الخصم - بالضم - جانب العدل وزاويته ، يقال للمتاع إذا وقع في جانب الوعاء من خرج أو جوالق أو عيبة : قد وقع في خصم الوعاء وفي زاوية الوعاء ، قال : وخصوم السعابة جوانبها . قال الأخطل يصف سحباباً :

إِذَا حَطَّعَت فِيهِ الْجُنُوبُ تَحَامَلَتْ بِأَعْجَازِ جِرَارٍ تَدَاعَى خُصُومِهَا

أى تجابو جوانبها بالرعد ، وطعن الجنوب فيها سوقها إياه ، والجرار : الثقليل ذو الماء ، وتحاملت بأعجازه دفعت أو اخره خصومها : أى جوانبها

عَظَرَتْ نِيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَنْظُنَّ أَنْ اللَّيْثَ مُبْتَسِمٌ (١)
 وَمُهْجَةٌ مُهْجَتِي مِنْ هَمٍّ صَاحِبِهَا أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمٌ (٢)
 رِجْلَاهُ فِي الرَّكْعِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفَّ وَالْقَدَمُ (٣)
 وَمُرْهَفٍ سِرَتْ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ حَتَّى ضَرَبَتْ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ (٤)
 فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي
 وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْفَرِطَاسُ وَالْقَلَمُ (٥)

يقول: رب جاهل خدعته مجاملي ، وتركه في جهله - خرقه - ضحكي منه حتى افترسته
 ربطشت به بعد زمان : يعنى أنه يفضى عن الجاهل ويعلم إلى أن يجازيه ويصف به .
 (١) يقول : إذا كثر الأسد عن نابه فليس ذلك تبسما بل قصداً للافتراس . يريد
 أنه وإن أبدى بشره وتبسما للجاهل ، فليس ذلك رضاعنه ، وفي مثل هذا يقول :
 أبو تمام :

قَدْ قَلَصْتُ شَفْتَاهُ مِنْ حَفِيفَتِهِ نَخِيلٍ مِنْ شِدَّةِ التَّمْبِيسِ مُبْتَسِمًا

(٢) المهجة : الروح . ومهجتى : مبتدأ ؛ ومن هم صاحبها : خبر ، والجملة صفة لمهجة
 والهم : ما اهتممت به . والجواد . الفرس الكريم . والحرم : ما لا يحل انتهاكه يقول
 رب مهجة مهة صاحبها مهجتى أى قتلى وإهلاكى أدركت هذه المهجة بفرس من ركه أمن
 من أن يلحق ، فكان ظهره حرم لا يدنو منه أحد .

(٣) يصف جواده ، يقول : لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه فى الركض كأن رجله
 رجل واحدة لأنه يرفعها معاً ويضعها معاً ، وكذلك يداه - ويسمى هذا الجرى النقل
 والمناقلة - ثم قال : وفعله ما تريد الكف والقدم أى أن جريه يفنيك عن تحريك اليد
 بالسوط والرجل بالاستحاث ؛ وقال ابن الأفلح : وفعله فى السرعة ما تريد أقدام
 التى بها يستعمل وفى المؤاناة وللواقفة ما تريد الكف التى بها يستوقف .

(٤) المرهف : السيف الرقيق الشفرتين . والجحفل : الجيش الكثير . وروى ابن
 جنى : بين الموحيتين : أراد موجتى الجيشين ، لأنهما يموج بعضهما فى بعض . يقول :
 ورب سيف سرت به بين الجيشين العظيمين حتى قاتلت به والموت غالب تلتطم أمواجه
 واضطرب .

(٥) البيداء : الفلاة ؛ وتعرفنى : يروى تشهد لى ، ويروى بدل السيف والرمح

صَحِبَتْ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا حَتَّى تَمَجَّبَ مِنِّي الْقَوْرُ وَالْأَكْمُ^(١)

الضرب والظمن وروى الواحدى : والحرب والضرب . يصف نفسه بالشجاعة والفصاحة وأن هذه الأشياء ليست تنكره لطول صحبته إياها . يقول : الليل يعرفني لكثرة سراى فيه وطول ادراعى له ، والحيل تعرفني لتقدمي في فروسيها ، والبيداء تعرفني لمداومتي قطعها واستسها إلى صعبها ، والسيف والرمح يشهدان بحذقي في الضرب بهما ، والقرطاس تشهد لإحاطتي بما فيها ، والقلم عالم بإبداعي فيما أقيده ، هذا : والقرطاس والقرطاس والقرطاس والقرطاس كله الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها . وأنشد أبو زيد لمخش العقيلي يصف رسوم الدار وآثارها كأنها خط زبور كتب في قرطاس :

كَانَ بِمَيْمَنَةِ اسْتَوْدَعَ الدَّارَ أَهْلَهَا نَحَطَ زَبُورٍ مِنْ دَوَائِمِ وَقِرْطَاسِ

(١) الفلوات : القنار ، والقور : جمع قارة ، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء ، والقور أيضا : أصغر الجبال ؛ وأعظم الآكام - جمع أكمة - قال منظور بن مرثد الأسدي :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِأَعْلَى ذِي الْقَوْزِ قَدْ دَرَسَتْ غَيْرَ رَمَادٍ مَكْفُورِ

مُكْتَتَبِ اللَّوْنِ مَرُوحٍ مَمْطُورِ أَرْزَمَانَ عَيْنَاهُ سُرُورُ السَّرُورِ^(٢)

والقور : يروى القوز - بفتح القاف وبالزاي - وهو الكتيب الصغير . وجمعه أقواز وقيزان . قال ذو الرمة :

إِلَى ظَمْنٍ يَقْرَضُنْ أَقْوَاظَ مُشْرِفٍ شِمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْقَوَارِسِ^(٣)

ويروى : القور ، وهو المظن من الأرض ، والأكم : جمع أكبة ، الجبل الصغير . يقول : سافرت وحدى وصحبت الوحش في الفلوات منفردا بقطعها مستأنسا بصحبة حيواناتها حتى تعجب مني نجدها وغورها لكثرة ما تلقاني وحدى .

(١) قوله بأعلى ذى القوز : أى بأعلى المكان الذى بالقور . وقوله قد درست غير رماد

مكفور . أى درست معالم الدار إلا رمادا مكفورا ، وهو الذى سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفراه . وقوله مكتتب اللون : يريد أنه يضرب إلى السواد كما يكون وجه الكتيب ، ومرحوب أصابته الريح ؛ وممطور أصابه المطر ، وعيناء مبتدا وسرور السرور خبره والجملة فى موضع خفض بإضافة أزمان إليها . يقول : هل تعرف الدار فى الزمان التى كانت فى عيناء سرور من رآها وأحبها .

(٢) قرض المكان يقرضه قرضا : عدل عنه وتكبه ، ومشرف والقوارس : موضعان

يقول : نظرت إلى ظمن يحزن بين هذين الموضعين .

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقَهُمْ
 وَجِدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ (١)
 مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمْسٌ (٢)
 إِنْ كَانَ سَرُّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لُجْرِحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ (٣)
 وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ إِنْ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الشَّيْ ذِمَّةٌ (٤)
 كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا غَيْبًا فَيَمُجِزُكُمْ وَيَكْرَهُهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ (٥)

(١) يقول : يا من يشتد علينا فراقه بما أسلف إلينا من عوارفه كل شيء وجدناه بعدكم فإن وجدناه عدم ، يعني لا يعني غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل .

(٢) ما أخلقه بكذا وأقنه وأجدره وأحراره وأولاه : بمعنى ، وأمم قريب يقول : يقول : ما كان أحرانا بركم وتكرمتكم في الاعتقاد لنا على نحو أمرنا في الاعتقاد لكم ايضاً لو تقارب ما بيننا بالحلب لكرمتونا ، لأننا أهل للتكرمة .

(٣) يقول : إن سررتم بقول حاسدنا وطمنه فينا فقد رضينا بذلك إن كان لكم به سرور ، فإن جرحا يرضيكم لا نجد له ألماً ، لأن كل سرورنا في سرورنا في سروركم ورضانا في رضاكم ، قال الواحدى : هذا من قول منصور الفقيه .

سُرِّتْ بِهِجْرِكَ لِمَا عَلِمْتَ أَنْ لِقَلْبِكَ فِيهِ سُورًا
 وَلَوْلَا سُورُوكَ مَا سَرَّنِي وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورًا
 لِأَنِّي أَرَى كُلَّ مَا سَاءَنِي إِذَا كَانَ يُرْضِيكَ مَهْلًا سِيرًا

(٤) بيننا : خبر مقدم ؛ ومعرفة : مبتدأ مؤخر . وقوله لو رعيتم ذلك : اعتراض ؛ والإشارة إلى مضمون الجملة : أى لو رعيتم أن بيننا معرفة . والنهى : المقول . والذمم العهود . يقول : إن لم يجمعنا الحب فقد جمعنا المعرفة وذوو المقول يراعون المعرفة ويقدرونها حق قدرها ، والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضعونها .

(٥) يقول : كم تحاولون أن تجهدوا لي عيياً تعييوننا وتتعلقون عليه وتمتدرون به في معاملي فيعجزكم وجوده ، وهذا الذى تفعلونه يكرهه الله ويكرهه الكرم الذى يأبى عليكم إلا أن تنصفوني منكم وتكافئوني بالجميل . وهذا تعنيف لسيف الدولة على إصغائه إلى الطاعنين عليه والساعين بالوشاية .

مَا أَبَدَّ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ عَنْ شَرَفِي أَنَا الثَّرِيًّا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ (١)
لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الْوَاخِدِ الْوَادِيمِ (٢)
أَرَى النَّوَى تَقْتَضِينِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ لَا تَسْتَقِيلُ بِهَا الْوَاخِدَةَ الرَّسْمِ (٣)

(١) وذان : أى العيب والنقصان . يقول : إن بعد ما بنيتى وبين النقصان والعيب كبعد الثريا من الشيب والهزم ، فكما لا يلحقها الشيب والهزم لا يلحقنى العيب والنقصان .
(٢) الغمام : السحاب . والصواعق : جمع صاعقة ، وهى تلك النار التى تسقط أثر الرعد الشديد . والديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون . وهو معلوم أن الصواعق مهلكة وهى التى تسكره وتخشى من الغمام ، والديم نافعة وهى الرجوة . من الغمام ، فهو يقول : ليت المدوح الذى يشبه الغمام الذى تصيبنى صواعقه - يعنى أذاه وسخطه - ويصيب غيرى مطره - يعنى بره ورضاه - يزيل ذلك الأذى إلى من عنده ذلك البر فينتصف الفريقان ، وهذا من قول أبى تمام :

فلو شاء هذا الدهر أقصر شره
كما قصرت عنا لهاه ونائله (١)
ومثله قول ابن الرومى :

أَعْنَدِي تَنْقُضُ الصَّوَاعِقُ مِنْكَ

وَعِنْدَ ذَوِي الْكُفْرِ الْحَيَا وَالْثَرَى الْجَفْدُ (٢)

وقوله أيضاً :

إذا كان حظ الناس سقمياً سمائكم
فحظى وميض البرق أو زجل الرعد
وأخذه السرى الرطاء فقال :

وأنا الفداء لمن مخيلة برقه
حظى وحظ سواى من أنوائه

(٣) النوى : البعد . وتقتضينى : أى تطالبينى ، وقد ضمنه معنى تكلفنى أو تجشمنى ، ولذلك عداه إلى اثنين . والواخذ والرسم : ضربان من السير ؛ والواخدة : الإبل التى تسير سيراً سريعاً والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض بأخفافها لسيرها الشديد . يقول : أرى البعد عنكم يكلفنى أن أقطع كل مرحلة لا تقوم بقطعها

(١) أقصر : كف ، ومثله قصر ؛ والهمى : جمع لهوة ، العطية ؛ والنائل : العطاء .
(٢) الحيا المطر ، ونرى جمعد ؛ ورتاب جمعد : لبن ندى .

لَيْفِن تَرَكَنَ ضَمِيْرًا عَنْ مَيَّامِنِنَا لِيَعْدُنَّ لِيْنِ وَدَفْتُهُمْ نَدَمٌ (١)
 إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَّرُوا أَنْ لَا تَفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمُ (٢)
 شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ وَشَرُّهُ مَا يَكْتَسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِيحُ (٣)

الإبل السريعة الشديدة ؛ لبعدها وعدة أهوالها . وعبارة العكبري : أرى النوى التي أربدها ، والرحلة التي اعتقدتها ، تقتضي تخيم كل مرحلة وافية لا تستبد بها الإبل لبعدها منها ، ولا تطيقها لشدة أهوالها .

(١) اللام في «ليعدن» لام جواب القسم ؛ وترك جواب الشرط لأنهما إذا اجتمعا كان الجواب للقسم ، وترك جواب الشرط ، وضمير «تركن» للوادة والرسم . وضمير : جبل عن يمين الراحل إلى مصر من الشام قريب من دمشق . يقول : لئن لحقت ركابي بمصر ليندمن سيف الدولة على فراقك وكان كما قال .

(٢) يقول : إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك حتى لا تضطر إلى مفارقتهم فهم المختارون لفراقك ، فكأنهم هم الراحلون عنك ، وإليك عبارة سائر الشعراء قال الواحدى : إذا سرت عن قوم وهم قادرون على إكرامك حتى لا تحتاج إلى مفارقتهم فهم المختارون للارتحال يريد بهذا إقامة عذره في فراقهم : أى أنتم تختارون الفراق إذا ألجأتمنى إليه وقال الإمام التبريزي إن الرجل إذا فارق أناسا ، وقد ظنوا أنه غير مفارق ، لهم أسفوا له ، فكأنهم هم الراحلون وقال ابن القطاع : رحلت عن السكان : انتقلت ورحلت غيرى : نقلته وسفرته ، ومعناه إذا رحلت عن قوم قادرين على أن لا يفارقوك ، فالراحلون عنك هم والمعنى : أنه يخاطب نفسه ويشير إلى سيف الدولة حتى لا يذمه في رحلته قائما في ذلك عن نفسه بحجته . وقال العكبري : أى إذا رحل الراحل عن قوم وهم قادرون على إزاحة عنته بإسماف رغبته ، وأغفلوه حتى ترحل عنهم ، واتقطع بالزوال منهم ، فهم الذين رحلوه ، وأزعجوه وأخرجوه ، ثم قال : وهذا من قول الحكميم : من لم يردك لنفسه فهو البائى عنك وإن تباعدت أنت عنه . وقال ابن وكيع - كما دته - : هذا مأخوذ من قول أبي تمام :

وما القمَرُ بالبيدِ القواءِ بل التي نَبَتْ بِي وفيها ساكِبوها هي القفر (١)
 وأين هذا من ذلك .

(٣) يصح : يعيب . يقول : شر البلاد مكان لا يوجد فيه من يستروح إليه ويؤنس

(١) القواء - بفتح القاف . الخالية لا أحد بها .

وَشَرُّهُ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ الْبُرْزَةِ سَوَالًا فِيهِ وَالرَّخْمُ (١)
بَأَى لَفْظٍ تَقُولُ الشُّعْرَ زِعْنَفَةٌ تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا هَجْمٌ (٢)
هَذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مِقْمَةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدَّرُّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ (٣)

* * *

بوده وشر ما كسبه الإنسان ما عابه وأذله ، يريد أن هبات سيف الدولة وإن كثرت - مع جلالها وسعتها - لا تعادل تقصيره في حقه وإيثاره لحساده .

(١) الشهب : جمع أشهب ، وهو ما فيه بياض يصدعه سواد . والرخم : جمع رحمة ، طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . وعبرة اللغة : الرخمة طائر أبيض على شكل النسر حلقة ، إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . والجمع رخم ورخم قالوا : وهو موصوف بالقدر والموق والقذر . يقول : شر ما قنصه الصائد وظفر به : قنص يشركه فيه البراة الشهب مع رفعها والرخم مع وضعها ودناؤها ؛ وهذا مثل . يعنى شر صيد صدته ما شاركتني فيه اللثام . يريد أن سيف الدولة يجربه في رسم العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء : أى إذا ساوانى فى أخذ عطائك من لا قدر له ، فأى فضل لى عليه . ١٢

(٢) الزعنف - وجمعه زعانف - اللثام السقاط من الناس . وهو مأخوذ من زعنفه الأديم - الجلد - وهو ما تساقط من زوائده ، أو من زعانف السمك - وهى أجنحته - أو من زعانف القميص وهى ما تحرق من أسافله وكل هذا يشبه به الأوباش ورجال الناس . وتجاوز من جواز الدرهم وهو رواجه ، وروى تخور : من خوار البقر ، وهو تصحيف ، كما قال الواحدى ، وإن كان صحيحاً فى المعنى . وهذا كما يروى أن رجلاً قرأ على حماد الراوية شعر عنتره

* إذ تستبيك بذى غروب واضح *

فأبدل من الباء فى « تستبيك » نوناً ، فضحك حماد وقال : أحسنت ، لا أرويه بعد اليوم إلا كما قرأت . يقول - مخاطباً سيف الدولة - : هؤلاء السقاط من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وهم ليسوا عرباً ؟ لأنهم ليست لهم فصاحة العرب ، ولا كلامهم أعجمى يفهمه الأعمام : أى أنهم ليسوا شيئاً . وعبرة الواحدى : هؤلاء الحساس اللثام من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وليست لهم فصاحة العرب ولا تسليم المعجم الفصاحة للعرب فليسوا شيئاً ؟ .

(٣) اللمة : الهبة . يقول : هذا الذى أتاك من الشعر عتاب منى إليك إلا أنه محبة

وقال وقد عوفى سيف الدولة مما كان به :

الْمَجْدُ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتَ وَالكَرَمُ وَزَالَ عَنكَ إِلَى أَعْدَاكَ الْأُمُّ (١)
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْفَارَاتُ وَأَبْتَهَجَتْ بِهَا الْمَكَارِمُ وَأَنْهَلَتْ بِهَا الدِّيمُ (٢)
وَرَجَعَ الشَّمْسَ نُورٌ كَانَ فَارَقَهَا كَأَنَّمَا فَقَدَهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ (٣)
وَلَا حَ بَرَفُوكَ لِي مِنْ عَارِضِي مَلِكٍ مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حَيْثُ يَنْتَسِمُ (٤)

وود ، لأن العتاب يجرى بين الهجين * ويبقى الود ما بقي العتاب * وهو در - يعنى حسن نظمه ولفظه - إلا أنه كلمات ، وعبارته العكبرى : هذا عتابك وهو وإن أمضك وأرجعك محبة خالصة ومودة صادقة ، فباطنه غير ظاهره ، كما أنه قد ضمن الدر لحسنه ، وإن كان كلاماً معهوداً في ظاهر لفظه .

(١) قوله وزال الخ : إنما هو خبر وليس دعاء . يريد أن أعداءه تؤلمهم عاقبته لعوده بعد ذلك إلى غزوم كما أشار إلى ذلك في البيت التالى .

(٢) انهلت : سالت . والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون . كانت الفارات على بلاد الروم قد انقطعت ، فلما شفى وصح اتصلت الفارات عليها ، فكان الفارات كانت عليقة بعلته ثم صحت بصحته وسرت المكارم بصحته لأنه صاحبها وكانت الأمطار منقطعة فلما شفى صادف اتصالها شفاءه :

(٣) يقول : إن الشمس كانت قد فقدت نورها أيام مرضه ، وكان فقد ذلك النور كان سقما لها ، وقد عاودها ذلك النور حين صح سيف الدولة ، يعظم الأمر فى علته كعادة الشعراء ، ومبالغاتهم التي قد تفضى بهم إلى مثل هذا المذهبان وقال بعض الشعراء : البيت مجاز . يريد أن الشمس فقدت بهجتها فى عيون أوليائه لعلته لاغتمامهم فلما شفى عاد إليها حسناً

(٤) العارضان : شقا الفم ، وقيل جانباً اللحية ، وعارضا الوجه وعروضاه جانباه يقول : تهلل عارضاك سروراً وابتساماً ، فلاح لى منهما برق لا تخصب الأرض إلا حين تبسم ، فيبدو هذا البرق ويتبعه غيث الجود فيحيها وذهب الواحدى والعكبرى إلى أن المراد بالعارض ما يلى الناب من داخل الفم ، أو هو الناب ؛ قال الواحدى : ويريد بالبرق ظهور ثفره عند التبسم . يقول : لاح لى ببشرك وتبسمك برق لامع ونور ساطع لا يسقط الغيث إلا فى أثره ، ولا يوجد إلا فى موضعه . يشير إلى العطاء الذى يتلو تبسمه . يعنى أنه إذا تبسم بذلك ماله فيصير ذلك المكان كأن الغيث قد نزل به لأنه أخصب بمجوده .

يَسَى الْحَسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ (١)
 تَفَرَّدَ الْعَرَبُ فِي الدُّنْيَا بِمُخْتَدِهِ وَشَارَكَ الْعَرَبُ فِي إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ (٢)
 وَأَخَصَّ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ نَصْرَتَهُ وَإِنْ تَقَلَّبَ فِي آيَاتِهِ الْأُمَمُ (٣)
 وَمَا أَخْصَكَ فِي بُرْءِ بَتَمَنِّيَّةٍ إِذْ سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا (٤)

(١) الحسام : مفعول ثانٍ ليسمى ، والمفعول الأول : نائب الفاعل ، وهو ضمير المدح والواو في « وليست » للحال ، ومشابهة : اسم ليست ، و « من » زائدة ، وخبر « ليست » محذوف : أى وليست من مشابهة بينهما ويشته : بتشابهه يقول : إن المدح يسمى بالسيف والسيف لا يشبهه ، فليست التسمية بالسيف لمشابهة بينهما ، فهو أشرف من السيف ، وإن تساويا اسما ، لأن السيف يخدمه فهو مخدوم والسيف خادم ، فكيف يتشابه المخدوم والخادم ؟

(٢) المهتد : الأصل يقول : هو عربى الأمل ، فاخصت العرب بالفخر به لأنه منهم ولكن تشارك العرب والعجم في إحسانه وعطائه ؛ لأن إحسانه شمل الجميع ، وفي مثل هذا يقول البحرى :

عَدَا قِسْمَةَ عَدَلًا فَفِيكُمْ نَوَالُهُ وَفِي سَرْوِ نِبْهَانَ بْنِ عَمْرٍو مَأْتَرُهُ

(٣) الآلاء : النعم يقول : إن كانت الأمم مشتركة في إنعامه فإن نصرته خالصة لدين الإسلام لا ينصر غيره من الأديان : أى أن نصرته قاصرة على تأييد الإسلام وإن كانت نعمته شائعة بين سائر الأمم

(٤) هذا من قول أبى العتاهية :

لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ أَنْتَ لَهُمْ مَاتَ - إِذَا مَا أَلِمْتَ - أَكْثَرَهُمْ

وقال سلوا على معنى « كل » لا على لفظها ، قال الجوهري : « كل » : لفظه واحد ؛ ومعناه جمع قال : فعلى هذا تقول كل حضر وكل حضروا - على اللفظ مرة ، وعلى المعنى أخرى

وأفند شاعر إلى سيف الدولة أبياناً فيها يشكو الفقر ويذكر أنه رآها في المنام فقال أبو الطيب (*) :

قَدْ تَمَمْنَا مَا قُلْتِ فِي الْأَحْلَامِ وَأَنْلْنَاكَ بَدْرَةَ فِي التَّمَامِ (١)
 وَانْقَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بِلَا شَيْءٍ وَكَانَ النَّوَالُ قُدْرَ الْكَلَامِ (٢)
 كُنْتُ فِيهَا كَتَبْتَهُ نَائِمَ الْعَيْنِ فَهَلْ كُنْتُ نَائِمَ الْأَقْلَامِ (٣)
 أَيُّهَا الْمُشْتَكِي إِذَا رَقَدَ الْإِعْدَامَ لَا رَقْدَةَ مَعَ الْإِعْدَامِ (٤)
 افْتَحِ الْجَفْنَ وَأَتْرُكِ الْقَوْلَ فِي النَّوْمِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الْأَنْامِ (٥)
 الَّذِي لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلَا مِنْهُ بَدِيلٌ وَلَا لِمَا رَامَ حَاجِي (٦)

* كان هذا الشاعر من بغداد ، وبسمى ابن النجم وأبياته هي :

كَانَ رَسْمَ النَّوَالِ مِنْ شِعْرٍ فَاقَ حُسْنَ كَلْوَالِي فِي نِظَامِ
 لَمْ يُقَدَّرْ لِقَاؤُكَ الْيَوْمَ فَاسْتَظَهَرْتُ فِيهِ بِالْكَتَبِ وَالْأَقْلَامِ
 وَإِلَى الرَّسْمِ مِنْ تَطْوِيلِ الْجِسْمِ وَذَلِكَ الْإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ
 فَتَفَضَّلْ بِهِ وَوَقِّعْ فَإِنِّي مُوْتَقُّ الْحَالِ فِي يَدِ الْإِعْدَامِ
 زَادَكَ اللَّهُ رِفْعَةً وَعُـلْوًا وَسُرُورًا يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ

فوق عليها أبو الطيب بهذه الأبيات

(١) البدرية : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، سميت ببدرية السخلة - جلدها -
 (٢) النوال : العطاء يقول : كان مدحك لنا في الحلم ، وكذلك نحن أجزنا على
 الحلم بالحلم ، فكانت الجائزة على نحو مدحك يريد تسفيه رأيه وتحقيقه إذ لم يجعل مدحه
 لسيف الدولة غرضاً يقصده

(٣) كنى عن رداة لفظه وخطه ، يقول : قد كان لفظك رديثاً لأنك قلت في
 النوم فهل كانت أقلامك نائمة حين كتبتة حتى جاء الخط رديثاً أيضاً ؟

(٤) الإعدام الفقر يقول : أيها المشتكى الفقر إذا نام كيف أخذك النوم مع الفقر ؟

(٥) افتح الجفن : أي لا تكن غافلاً ، وفيه نكتة لا تخفى يقول : إن القول الذي قلته في النوم
 لا تذكره لسيف الدولة وميز مخاطبته من مخاطبة غيره أي لا مخاطبه كما مخاطب سائر الناس

(٦) يقول : لا يفتني عنه أحد ولا يقوم مقامه ، لعموم فضله ولا يكون منه بدل ،
 للجلالة قدره ، ولا يمنح منه أحد ما يطلبه ، لسعة مقدرته

كُلُّ آبَائِهِ كَرَامٌ بَنِي الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُ كَرِيمٌ الْكِرَامُ^(١)

وقال يمدحه ويذكر ببناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة^(*).

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ^(٢)

وَتَنْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِفَارُهَا وَتَصَغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ^(٣)

(١) يقول: إن عشيرته أكرم أهل الدنيا وهو أكرم عشيرته

(*) كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها ، وكان أهلها قد سلموها إلى الدمستق بالأمان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فزحلها سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ، وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده ، فلما كان يوم الجمعة نازله الدمستق في نحو خمسين ألف فارس وراجل ، ووقع القتال يوم الاثنين سلخ جمادى الآخرة من أول النهار إلى العصر ، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانه ، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقا كثيرا ، فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث ، ووضع بيده آخر شرفة منها في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، فقال هذه القصيدة يمدحه ، وأنشده إياها في ذلك اليوم في الحدث .

(٢) العزم: الجهد - عزم على الأمر عزمًا: أي أراد فعله - وقال الليث العزم ما عمد عليه قلبك من أمر أنك فاعله والعزائم: جمع عزيمة ، وهي ما يعزم عليه من الأمر . والمكارم: جمع مكرمة ، فعل الكرم . يقول: إن العزائم إنما تكون على قدر أصحاب العزم ، فمن كان كبير الهمة قوى العزم كان الأمر الذي يعزم عليه عظيما ، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها: فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرّمات أعظم . والمعنى أن الرجال قوالب الأحوال ، فإذا صغروا صغرت ، وإذا كبروا كبرت ، وهذا كقول عبد الله بن طاهر:

إِنَّ الْفُتُوْحَ عَلَى قَدْرِ الْمُلُوكِ وَهَمَّاتِ الْوُلَاةِ وَإِقْدَامِ الْمَقَادِمِ

(٣) الضمير في « صغارها » للعزائم والمكارم . يقول: إن صغار الأمور عظيمة في عين الصغير القدر إذ تملأ ذرعه ، وعظماها صغيرة في عين العظيم القدر . لأن في همته فضلا عنها . يشير بذلك إلى شرف سيف الدولة وما فعل في الواقعة التي ذكرنا من نفاذ أمره وجماله قدره .

يَكْلِفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ

وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخِضَارِمُ (١)

ويطلبُ عند النَّاسِ ما عِنْدَ نَفْسِهِ وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضَّرَاغِمُ (٢)

يُبَدِّئِي أُمَّتُ الطَّيْرِ عُمراً سِلاَحَهُ نُسُورُ الْمَلَأَ أَحْدَاتُهَا وَالْقَشَاعِمُ (٣)

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِمَيْرٍ مَحَابٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ (٤)

(١) الهم : المهمة ، وهو ما هممت به من أمر لتفعله ، والخصارم : جمع خضرم ، وهو الكثير العظيم من كل شيء . يقول : يكلف سيف الدولة جيشه أن يقوم بما تقتضيه همته من الغارات والغزوات ، وهو أمر لا قبل للجيوش الكثيرة به ، لأن ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله .

(٢) الضراغم : الأسود . يقول : إن سيف الدولة يريد أن يكون الناس مثله شجاعة وإقداماً . وذلك شيء لا تدعيه الأسود ، فكيف تبلغه البشر ؟

(٣) نسور : بدل من أم الطير ، أو عطف بيان ، وأحداؤها والقشاعم : بدل تفصيل من نسور ، والملا : بمعنى الفلاة . وروى الفلا : جمع فلاة ، وهي الصحراء . والأحداث الشابة ، جمع حدث : والقشاعم : الطويلات العمر ويقال للحرب والنية والفلة أم قشعم وبكل أولئك فسر قول زهير :

فَشَدَّةٌ وَلَمْ يُفْزِعْ بِيُوتَا كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رِحْلَهَا أَمَّ قَشَعَمُ (١)

وأراد بأنم الطير : عمر النسور ، وقد بينه بالمصراع الثاني . يقول : إن النسور صفارها وكبارها تقول لأسلحته فديناك بأنفسنا ، لأنها كفتها مؤنة طلب الأتقوات ، لكثرة القتلى في وقائمه .

(٤) « ما » : نفي ، أو استفهام إنكار ؛ وخلق : مصدر خلق يخلق والخاب جمع غلب ، وهو لسباع الطير كالظفر للإنسان والقوائم : جمع قائم ، وهو قائم السيف أى مقبضه . يقول . ليس يضر الأحداث من النسور - أى الفراع - والقشاعم - أى

(١) من معلقة زهير . يقول : حمل حصين بن ضمضم على الرجل الذي رام أن يقتله بأخيه ولم يفزع بيوتا كثيرة ؛ أى لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل النية ، وملقى الرحل المنزل لأن للسافر يلقى به رحله . أراد عند منزل النية وجعله منزل المنة لحولها لـ حصين

هَلْ اَلْحَدِثُ اَلْحَمْرَاهُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا (١) وَتَعْلَمُ أَى السَّاقِيَيْنِ اَلْفَهَامُ (٢)
 سَقَمَهَا اَلْفَهَامُ اَلْفَرُّ قَبْلَ نَزْوِلِهِ (٣) فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَمَهَا اَلْجَمَاجِمُ (٤)
 بَنَاهَا فَأَعْمَلَى وَالْقَنَا تَفْرَعُ اَلْقَنَا وَمَوْجُ اَلْمَنَابِيَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمٌ (٥)
 وَكَانَ بِهَا مِثْلُ اَلْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ (٦) وَمِنْ جِثِّ اَلْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَامٌ (٧)

المسنة التي ضعفت عن طلب القوت - وخص هذين النوعين لعجزها عن طلب الرزق - ليس يضر هذين أن لا يكون لها محالب قوية مفترسة بعد أن خلقت أسياف سيف الدولة فإنها تقوم بكفاية قوتها ، ولك أن تقول إن المعنى : وما ضرها لو خلقت بغير محالب ؟ كما تقول ما ضر النهار ظلمته مع حضورك وليس النهار يظلم لكنك تريد ما ضره لو خلق مظلمًا . وعبارة العكبرى - وهي بمعنى التفسير الأول - : ما يضرها أن تخلق بغير محالب تستعملها فيما تأكله وتصرفها فيما تنشبه ، لأن سيوفه تبلغها في ذلك ما ترغبه ، وتفعل لها ما تريد . وتطلبه . هذا : وقد مر في هذا الشرح كثير مما قاله الشعراء في هذا المعنى ، ومن مستحسن ما قيل في ذلك قول ابن نباتة السعدي - وقد أخذه من المتنبي - :

وَيَوْمَآكَ يَوْمٌ لِلْعُقَاةِ مُذَلَّلٌ وَيَوْمَ إِلَى الْأَعْدَاءِ مِنْكَ عَصَبٌ
 إِذَا حَوَمَتْ فَوْقَ الرَّمَا حِ نُسُورُهُ أَطَارَ إِلَيْهَا الضَّرْبُ مَا تَقَرَّبُ

(١) الحدث : قلعة معروفة بناها سيف الدولة في بلاد الروم ، ووصفها بالحمراء لأنها احمرت بدماء الروم ، وذلك أن الروم غلبوا عليها وتحصنوا بها ، فأتاهم سيف الدولة وقتلهم فيها حتى تلطخت بدمائهم ، يقول : هل تعرف هذه القلعة لونها ؟ يعني أنه غير ما كان من لونها بالدم - وهل تعلم أى الساقيين لها هو الفهائم : أجماجم الروم التي سقتها بالدم ، أم السحائب التي سقتها بالمطر ؟ يعني أن الجماجم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحائب من الماء ، فهي لا تدرى أى هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالفهائم لأنهما استويا في السقيا وقد بين هذا المعنى في البيت التالي . وقوله أى الساقيين الفهائم : مبتدأ وخبر سدا مسد مفعولى تعلم .

(٢) الفهائم : جمع غمامة ؛ والفر : البيض .

(٣) فأعلى : أى فأعلاها . والقنا : الرماح . يقول : بناها ورماح المسلمين تقارع ورماح الروم والجيشان يتقاتلان والمنابيا تسلب الأرواح ، واستعار للمنابيا موجاً متلاطماً لكثرتها : أى لكثرة القتل ، فكان المنابيا بحر تتلاطم أمواجه

(٤) مثل : اسم كاث ، وهو خلف من موصوف : أى شئ مثل الجنون ؛ وأصبحت

طَرِيدَةٌ دَهْرٍ سَاقَمًا فَرَدَدَتْهَا عَلَى الدِّينِ بِالْحَطِيِّ وَأَنْدَهْرُ رَاغِمٌ (١)
تَفَيْتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ وَهَنْ لَمَّا يَأْخُذُنْ مِنْكَ غَوَارِمٌ (٢)

تامة ، والواو بعدها للحال . والتمام : جمع تيمة ، وهي العوذة ، يتوقون بها مس الجن
جعل اضطراب الفتنة فيها جنونا لها ، وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويهاربون أهلها
فلا تزال الفتنة بها قائمة ، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها سكنت
الفتنة وسلم أهلها ، فجعل جثت القتلى كالتمام عليها حيث أذهبت ماها من الجنون . وهو
إسكان الفتنة ؛ قال أبو الطيب : مارد على أحد شيئا قبلته إلا سيف الدولة فإني أنشدته
ومن جيف القتلى ، فقال لي : منه ، قل : ومن جثت القتلى ، قبلت وقلت كما قال لي .
قال ابن وكيع : وقد لا ذاب أبو الطيب بقول أبي تمام :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجِنُّ جُنُونَهَا إِذَا لَمْ يَمُودْهَا بِنَعْمَةِ طَالِبِ

(١) الطريدة : الطروذة ؛ أى ما طردته من صيد أو غيره . والحطى : الرماح وراغم
ذليل ؛ وأصل الرغم : أن يلتصق الأنف بالرغام - أى التراب - يقول : إن هذه القلعة
كالطريدة أمام الدهر تعقبها حوادثه إذ سلط عليها الروم حتى خربوها ، فأعدت بناءها
ورددتها على أهل الدين ، فذل الدهر حين خالفته فيما قصد وأراد .

(٢) تفيت : من الفتوت ، وأفاته الشيء : حمله على فوته ، وفاعل تفيت : ضمير
المخاطب ، والليالي : مفعول أول ، وسكنه ضرورة ، أو على لغة ؛ وكل شيء : مفعول
ثان . وغوارمه جمع غارمة ، وغرم الدين والنصب وغير ذلك : أداه . يقول : إذا سلبت
الليالي شيئا أفته عليها فلم تقدر على استرداده منك ، وهى إذا أخذت منك شيئا غرمته
وروى أخذه - بالنون - ضمير الليالى ، فتكون الليالى فاعل « تفيت » والمفعول الأول
عذوف : أى من عادة الليالى إذا أخذت شيئا أن لا ترده على صاحبه فتفيتها إياه ؛ فإن
أخذت منك شيئا غرمته : يعنى أنت أفوى من الدهر ، فإنه لا يقدر على مخالفتك والتمرد
عليك ؛ وهذا من قول بعضهم :

فَمَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بَوَّارِهِمْ وَلَا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرٌ
وقال الطرماع :

إِنْ نَأْخُذِ النَّاسَ لَا تُدْرِكُ أَخِيذَتُنَا أَوْ نَطْلُبُ نَتَمَدَّى الْحَقُّ فِي الطَّلَبِ

وقال التبريزى وابن القطيع : من رواه بالنون أقصد للنسب ، قال ابن القطيع : قال
لى شيبى محمد بن البراء التميمى : قال لى صالح بن رعد : قرأت على المتنبي أخذه بالنون
(٧ - المتنبي)

وَكَيفَ تَرْجَى الرُّومُ وَالرُّومُ هَدَمَهَا
وَذَا الطَّنُّنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمٌ^(١)
وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَائِيَا حَاكِمٌ
فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمٌ^(٢)
أَتَوْكَ يَجْرُؤُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوَا بِحِيَادٍ مَا لَهِنَّ قَوَائِمٌ^(٣)
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ نِيَابَهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَامُ^(٤)

قال العكبري : والبيت بناء على التورية .

(١) الأساس : جمع أس . قال أهل اللغة : الأس - وهو أصل البناء - يجمع على إساس مثل عس وعساس : جمع الأساس : أسس ، مثل قذال وقذل ؛ وجمع الأسس : آساس ؛ مثل سبب وأسباب . والدعائم : جمع دعامة ، وهي عماد البيت ، وكل شيء يستند إليه ويتقوى به فهو دعامة يقول . كيف يؤملون هدم هذه القلعة وهي موثقة بطنك الذي أعملته فيهم ؟ فالطنن لها كالأساس والدعائم حيث وثقت به كما يوثق البناء بالأساس والدعائم .

(٢) جعل القلعة والروم خصمين ، والنايا في الحرب حاكمة بينهما حكمت للمظلوم - وهو القلعة - بالسلامة ، فلم تترك لهم سبيلا إلى هدمها ، وحكمت على الظالم وهو الروم - بالهلاك فأبادتهم .

(٣) السرى : سير الليل ؛ والحياد : الخيل . يقول . أتوا مدججين في السلاح ، ولكثرة الحديد عليهم وطى خيولهم كانت خيولهم كأنها لا قوائم لها : أى لا ترى ، لأنها محجبة بالتعائيف التي على الخيول .

(٤) البرق : اللامعان ؛ والبيض : السيوف . وبرقوا : يعنى الروم . يقول : إذا برقوا لكثرة ما عليهم من الحديد لم يفرق بين سيوفهم وبينهم لأن عمائمهم الخوذ ونياهم الدروع ، فهم كالسيوف : فقولته نياهم من مثلها : أى من مثل السيوف ، يعنى من الحديد : قال العكبري : وأشار بهذا الوصف - أعنى كثرة سلاح هذا الجيش - إلى قوته ، وعبارة بعض الشراح : إذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم ، لأن أبدانهم مغطاة بالدروع وراء وسهم بالخوذ ، وكلها من الحديد ، فإذا برقت السيوف برقت هذه معها : وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعمائم على الاستعارة ، لأنها تلبس في أمكنتها . قال العكبري : وصمعت بعضهم - وكان شيخنا يقرأ عليه هذا

خَيْسٍ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْقَرْبِ زَخْفُهُ

وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمٌ (١)

تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَانٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تَفْهَمُ الْخُدَّاتُ إِلَّا التَّرَاجِمَ (٢)

الدبوان - يقول : أخطأ أبو الطيب ، كيف ذكر العائم والعائم للعرب وليست للروم ، فكيف جعلها للروم ؟ فضحكت من قوله وقلت له : الضمير في « مثلها » إلى أين يعود ؟ اليس إلى البيض ، وهي السيوف ؟ فلم يدر ما قلت .

(١) الخيس : الجيش العظيم . سمي بذلك لأن له ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين . والزحف : التقدم ؛ وأصله التي مع ثقيل . والجوزاء : نجمان معترضان في جوز السماء : أى وسطها ، وهما من البروج ؛ والزمازم : الأصوات التي لا تفهم لتداخلها ، وأصل الزمزمة : صوت الرعد ؛ وأراد الأصوات الشديدة المتداخلة . يقول : إن هذا الجيش لكثرتة طبق الأرض وبلغت أصواته السماء . قال الواحدى : وخص الجوزاء بالذكر من بين سائر البروج لأنها على صورة انسان . قال الشراح : ولم يسمع في وصف جيش مثل هذا ومثل قول أبي تمام :

مَلَأَ الْمَلَأَ عُصْبًا فَكَادَ بَأْنَ يَرَى لَا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَامُ

(٢) اللسن : اللغة ، واللسان أيضا . والحدّات : جمع حدّ ، بمعنى متحدّث ؛ ومنه قول الجنون :

أَتَيْتُ مَعَ الْخُدَّاتِ لَيْلِي فَلَمْ أَبْنِ فَأَخْلَيْتُ فَاسْتَمَجَمْتُ عِنْدَ خَلَائِي

ذَهَبْتُ فَلَمْ أَصْبِرْ وَعَدْتُ فَلَمْ أَبْنِ جَوَابًا كَلَّا الْيَوْمِينَ يَوْمُ بِلَائِي (١)

وقول سويد بن أبي كاهل :

يُسْمِعُ الْخُدَّاتُ قَوْلًا حَسَنًا لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَطِعْ

والتراجم : جمع ترجمان - بفتح التاء وبضمها - اتباعا لضم الجيم - يقول : اجتمع في هذا الجيش بكل جيل من الناس وأهل كل لغة من اللغات ، فإذا كلم جيل منهم من

(١) قال الزجاجي في أماليه : أخليت : وجدتها خالية - مثل أجبنته - أى وجدته جيانا ؛ فلى هذا يكون مفعول « أخليت » محذوفا : أى أخليتها . وقد أورد البيت الأول كل من الجوهري وابن منظور هكفظ منسوباً إلى عتي بن مالك العقيلي ، وفو الحكم : عند خلائنا وبلائنا .

فَلَّهِ وَقْتُ ذَوْبِ النَّشِّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمٌ^(١)
تَقَطَّعَ مَا لَا يَقَطُّعُ الدَّرْعَ وَالْقَنَا وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ^(٢)
وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ^(٣)

ليس من أهل لغته : احتاج إلى مترجم يترجم له وكل هذا إشارة إلى عظم الجيش وما قد جمع فيه من المقاتلة

(١) عنى بالنش : الضعاف من الرجال والأسلحة والصارم : السيف القاطع . والضبارم : الشجاع الجريء ؛ وأصله الأسد الشديد الغليظ . يعجب من ذلك الوقت الذي قامت الحرب فيه بين سيف الدولة وبين الروم يقول : ما كان عموها مغشوشاً هلك وتلاشى لرداءه كأنه ذاب بنار الحرب . ولم يبق من السيوف إلا السيف القاطع ولا من الرجال إلا الضبارم ، وبعبارة أخرى : إن نار الحرب في ذلك اليوم سبكت الناس وأسلحتهم فأفنت ما كان رديماً ولم يبق إلا كل سيف صارم ورجل شجاع .

(٢) يقول : تكسر من السيوف ما لم يكن ماضياً يقطع الدروع والرماح ، وهرب الجبناء الذين لا يقدرون على المصادمة ومن روى « قطع » أراد الوقت ، يعنى أن الوقت كان صعباً لم يبق معه إلا الخالص من الرجال والأسلحة

(٣) الردى : الهلاك . يقول : وقفت في ساحة القتال حين لا يشك واقف في الموت ، لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه ، حتى كأنك في جفن الردى وهو نائم فلم يبصرك وغفل عنك بالنوم فسلمت قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا معمر الفضل ابن إسماعيل القاضى يقول : سمعت القاضى أبا الحسين على بن عبد العزيز يقول : لما أنشد المتنبي سيف الدولة هذا البيت والذي بعده أنكروا عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدرهما وقال له كان ينبغي أن تقول .

وقفت وما في الموتِ شكٌّ لواقِفٍ ووجهك وضاحٌ وثغركِ باسِمٍ
تمرُّ بكِ الأبطالُ كلُّى هزيمَةً كأنك في جفنِ الردى وهو نائمٌ
ثم قال وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله :

كأنى لم أركب جواداً للذِّةِ ولم أتبطن كاعباً ذاتَ خلخالِ
ولم أشبأ الرِّقَّ الرِّوى ولم أقلْ نِجلى كرمى كرمة بعد إجنالِ

تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلِمَى هَزِيمَةَ
وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَتَفَرُّكَ بِأَسْمِ (١)

قال : ووجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز الأول مع الثاني ، وعجز الثاني مع الأول ، ليستقيم الكلام ، فيكون ، ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالكر ، ويكون سبأ الحمر مع تبطن الكاعب ؛ فقال أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ، إن صح أن الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البراز معرفة الحائك : لأن البراز يعرف جلته ، والحائك يعرف جلته وتفصيله ، لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لثة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السباحة في شراء الحمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت اللوت في أول البيت أبتعته بذكر الردي ليجانسه : ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية : قلت * ووجهك وضاح وتفرك باسم * لأجمع بين الأضداد في المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار . قال الواحدى : ولا تطيق بين الصدر والعجز أحسن من يبقى للتنبى ، لأن قوله * كأنك في جفن الردي وهو نائم * هو معنى قوله * وقفت وما في اللوت شك لواقف * فلما عدل لهذا العجز عن هذا الصدر ، لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته ، فكأن اللوت قد أظله من كل مكان كما يحرق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته ، فهذا هو حقيقة اللوت . وقوله « تمر بك الأبطال » هو النهاية في التطابق للمكان الذي تكلم فيه الأبطال فتكلم وتعبس . وقوله « ووجهك وضاح » لاحتقار الأمر العظيم .

(١) كلمى : جمع كلم ، بمعنى جريح . وهزيمة : أى منهزمة . وهو من باب فعل بمعنى مفعول ، والناء فيه للجمع ، على مذهب البصريين ، ووضاح : مشرق ، والمعنى ، ظاهر ، ولكن الإمام العكبرى أبى إلا أن يفسر البيت بعبارة المسجوعة الجميلة ، قال : أى تمر بك الجرحى من الأبطال منهزمين ، وكلمى مستسلمين ، وذلك لا يثنى عزمك ، ولا يضعف نفسك ، بل كنت حينئذ وضاحاً غير متخوف ، وبساماً غير متضجر ، واتقاً من الله بنصره ، متيقناً بما وصلك به من جميل صنعه ، قال : وهذا كما قال مسلم بن الوليد :

يَقْتَرُّ عِنْدَ اقْتِرَابِ الْجَرْبِ مُبْتَسِماً إِذَا تَفَرَّ وَجْهَهُ الْفَارِسُ الْبَطْلُ

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى
إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ^(١)
صَمَّمْتَ جَنَاحَهُمْ عَلَى الْقَلْبِ ضِمَّةً^(٢) تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ^(٣)
بِضَرْبِ أُنَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ^(٤) وَصَارَ إِلَى اللَّبَاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمٌ^(٥)

(١) النهى : جمع نهيّة ، وهى العقل ، وإلى قول قوم : صلة « تجاوزت » ، وتمتة البيت : مفعول القول . يقول : أظهرت من إقدامك وعزمك وجلدك على المخاوف ما تجاوزت به حد الشجاعة والعقل إلى ما يقول قوم من أنك تعلم الغيب وتعرف أعقاب الأمور قبل حلولها : يعنى أن ما اقتحمته من الأهوال لا تثبت أمامه شجاعة وما أظهرته من الصبر وورباطة الجأش لا يكتفى فى مثله العقل والرصانة ، فكأنك قد كوشفت بالغيب وعرفت أن العاقبة لك ، فلبثت فى تلك الحال وضاحا بسبما لا تكثر لما تراه حولك من الأهوال : قال ابن جنى فى تعليقاته على هذا البيت : فى آخره بعض التنافر لأوله ، لأن الشجاعة لا تذكر مع علم الغيب ، ولولا أنه ذكر العقل لكان أشد تباينا ، لأن العاقل عارف بأعقاب الأمور ، ولو كان موضع الشجاعة الفطانة : لكان أليق بعلم الغيب إلا أنه كان فى ذكر الحرب وكانت الشجاعة من ألفاظ وصفها ويجوز أن يكون ذكر الشجاعة مع علم الغيب ؛ لأنه كان قد عرف ما يصير إليه فشجع ولم يحذر الموت .

(٢) بريد بالجنّاحين ؛ ميمنة الجيش وميسرته ، وهما جانبنا العسكر . ولما سماها جنّاحين ؛ جعل رجلها خوافى وقوادم ؛ والجنّاح : يشتمل على القوادم وهى من الريش ما فوق الخوافى ، قيل إنها عشر ريشات فى مقدم جناح الطائر ، وعليها معوله فى طيرانه والخوافى : ما تحت القوادم . يقول : لففت جنّاحى العسكر - عسكر الروم - على القلب فأهلكت الجميع ، وقوله تموت الخوافى تحتها : أى تموت تحت مثل هذه الضمة ، ولذلك عبر بالمضارع .

(٣) بضرب : متعلق بضممت ، والهامات : الروس ؛ واللّبات : النحور . بريد برعة انتصاره عليهم ، يقول : لم يك إلا حمله بالسيوف وقعت على هاماتهم والجيشان واقفان لا يتحقق النصر لأحدهما ، فما بلغت من الهامات إلى اللّبات حتى انهزموا فكان النصر لك ، وقال ابن جنى : إذا ضربت عدوا فحصل سيفك فى رأسه لم تمتد ذلك نصرا ولا ظفرا : فإذا فلق السيف رأسه فصار إلى لبته ، فحينئذ يكون ذلك عندك نصرا ولا يرضيك مادونه . وعبرة ابن فورجة : - وهى فى عراض ما قلناه - إنما عن

حَفَرَتِ الرَّؤْدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحَتْهَا وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرَّمْحِ شَاتِمًا^(١)
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا
مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِيفُ الصَّوَارِمُ^(٢)
نَثَرَتْهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ كُلِّهِ
كَأَنَّ نَثَرَتْ فَوْقَ الْمَرُوسِ الدَّرَاهِمُ^(٣)
تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَى
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ^(٤)

أبو الطيب سرعة وقوع النصر وأنه لم يلبث إلا قدر وصول السيف للضروب به من الهامة إلى اللبة ، كأنه يقول : نازلت العدو والنصر غائب ، وضربتهم بالسيف وقد قدم النصر .
(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة بالجماعة كانت هي وزوجها يعملان الرماح . يقول : تركت القتال بالرماح وازدريتها لأنها سلاح الجبناء أما سلاح الشجعان فهو السيف . لاقتضائه مقاربة ما بين الفريقين في القتال ؛ لهذا عمدت إليه واخترته ؛ ولما آرت السيف على الرمح في القتال صار كأن السيف يعير الرمح لأنه يطعن من بعيد ، والسيف من قريب ، فكأنه يسبه بالضعف وقلة الغناء . وعبارة العكبرى - التي لا تخرج عن هذا وإنما نوردها لجمالها - قال : إنك طرحت الرماح واستقلت فعلها ، وعدلت إلى السيوف عالما بفضلها ، واعتمدتها خبرتك بأمرها ، فكأنها شتمت الرماح بتصغيرها لشأنها وأهانها تسخفاً لفعلها :

(٢) البيض : السيوف ؛ والخفاف : الرهفة ؛ والصوارم : القواطع ؛ ومفاتيحه : أي مفاتيح الفتح .

(٣) الأحياد : جبل الحدث . ونثرتهم : فرقهم . يقول : نثرت جشهم فوق هذا الجبل كما تنثر الدرهم على العروس ، يعني تفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تفرق مواقع الدرهم إذا نثرت ، قال العكبرى : وهذا من محاسن أبي الطيب ، وقد أشار بهذا إلى أن سيف الدولة تحمك في الروم قتلاً وأسراً ، وبترجيشهم فوق هذا الجبل نثراً .

(٤) وكر الطائر : موضع مبيته ؛ والجمع : وكور ؛ والذرى : أعلى الجبال . يقول : إنك تمسهم بخيلك في رءوس الجبال حيث وكور جوارح الطير فتقتلهم هناك حتى تسكت مطاعم الطير حول وكورها . وعبارة بعض الشعراء : تدوس بك الخيل في آثار الروم وكور الطير في رءوس الجبال وقتن الأوعار وقد كثرت الجثث من القتلى حول الوكور

تُظَنُّ فِرَاحُ الْفُتُخِ أَنْكَ زُرْتَهَا
 إِذَا زَلَّتْ مَشِيَّتَهَا بِبَطُونِهَا
 كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمِ (٢)
 قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لِأَمِّ (٣)
 وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللَّيْثِ الْبَهَائِمِ (٤)

بكثرة من قتلته هنالك فرسانك ومن أهلكه من الروم جيشك وغلمايك ، وأشار بذلك - أي كثرة الجثث حول وكور الطير مع انتزاع مواضعها وامتناع أماكنها - إلى ما كان الروم عليه من شدة الحرب . وما كان أصحاب سيف الدولة عليه من قوة الطلب . وأنهم قتلوهم في رءوس الجبال ، وأدركوهم في أبعد غايات الأوعار .

(١) الفتخ : جمع فتخاء ، إناث العقبان ، سميت بذلك لطول جناحها ولينه في الطيران والفتخ : لين المفاصل . والأمامت : جمع أم فيما لا يعقل ، وقد جاء فيه أمهات حملا على من يعقل : والعناق : كرام الخيل ؛ والصلادم : جمع صلدم ، وهي الفرس الشديدة الصلبة . يقول : تظن فراخ العقبان - لما صعدت خيلك الجبال وبلغت أوكارها - أنها أمهاتها ؛ يعني أن خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمراً ، كما قال :

نظروا إلى زبر الحديد كأنما يصعدن بين مناكب العقبان

وقال ابن الأفلح : تظن فراخ العقبان - لكثرة ما صيرت حول وكورها من جثث القتلى - أنك زرتها بأمانها فأمدتها بمطاعمها وأقواتها ، وإنما فعل ذلك صلادم خيلك ، وكثرة كتائب جيشك .

(٢) الصعيد : وجه الأرض ؛ والأراقم : الحيات فيها سواد وبياض . يقول : إذا زلقت الخيل في صعودها الجبال جعلتها تمشي على بطونها في تلك المزالق ممشى الحيات على بطونها في الصعيد ، يصف صعوبة مراقبتها في الجبال .

(٣) الدمستق . صاحب جيش الروم ، وأقدم : خلاف أدبر . وقوله قفاه - إلى آخر البيت - حال من الضمير في « مقدم » . يقول : أكل يوم يقدم عليك الدمستق ، ثم يفر فيلوم قفاه وجهه على إقدامه قائلاً له : لم أقدمت حتى عرضتني للضرب بهزيمتك ؟ وذلك أن إقدامه سبب هزيمته والضرب في قفاه

(٤) الليث : الأسد . ويذوقه : معناه يجربه ويختبره - يقال ذاق ما عند فلان : أي جربه - والضمير : لليث . يشبر إلى أن الدمستق أجهل من البهائم لأن البهائم إذا شمّت ريح الأسد وقفت ولم تتقدم وهذا على طريق التمثيل ، والمعنى أنه يسمع خبر سيف الدولة ، ويبلغ

وَقَدْ فَجَعْتَهُ بِابْنِهِ وَأَبْنِ صِهْرِهِ وَبِالصَّهْرِ حَمَلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمِ (١)

مَضَى شُكْرُ الْأَصْحَابِ فِي قُوْتِهِ الظُّبْيِ
بِمَا شَفَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمِ (٢)
وَيَفِيهِمْ صَوْتُ الْمَشْرِقِيَّةِ فِيهِمْ عَلَى أَنْ أَصْوَاتُ السُّيُوفِ أَعَاجِمِ (٣)
يُسْرُهُ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَن جِهَالَةٍ وَلَكِنْ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمِ (٤)

شجاعته ، فيأتيه مقاتلاتهم ينهزم ؛ ولو هو خام عن اللقاء وانهزم من غير قتال لكان أحزم .

(١) فجعه : رزاه بشيء يكرم عليه . وجمع فعلة : فعلات . بفتح العين في الصحيح . وإنما أسكن الميم من حملات ضرورة . والصر : أهل بيت المرأة ؛ ولا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان ، وأهل بيت المرأة أصهار ، يقال صاهرت القوم : إذا تزوجت فيهم وأصهرت بهم : إذا اتصلت بهم وتحمرت بهموار أو نسب أو تزوج ، وقال ابن الأعرابي الصر : زوج بنت الرجل وزوج أخته ، والختن : أبو امرأة الرجل وأخو امرأته . ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم ، ومن العرب من يجعل الصهر من الأسماء والأختان جميعاً ، والغواشم : التي لا تبالي من أخذت ؛ يقول : هلا اعتبر بمن رزته من هؤلاء فلا يجترى على العود إلى الإقدام ؛ وعبارة العكبري : يريد أن حملات سيف الدولة فجعت الدمستق بابنه وأصهاره ، وهو لا يرتدع بحملاته الغواشم للأقران ، الغواصب لأنفس الفرسان ، فما للدمستق لا يكفه عن التعرض لهما أسلف سيف الدولة من الإيقاع ؟

(٢) الظبي : جمع ظبية ، حد السيف ، والهام : الرءوس ؛ والمعاصم : جمع معصم ؛ أطراف السواعد . يقول : انهزم وهو يشكر أصحابه لأن السيوف اشتغلت بهم عنه ، فكأنهم وقوه السيوف برؤسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف .

(٣) المشرقية : السيوف . قال أهل اللغة : المشارف : قرى من أرض اليمن ، وقيل من أرض العرب تدنو من الريف ، والسيوف المشرقية : منسوبة إليها ، يقال سيف مشرفي ولا يقال مشارفي ، لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن لا يقال مهالبي ولا جعافري ولا عباقري . يقول : إذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف في أصحابه فهم أنهم تقتلهم ، نجد في الحرب ، مع أن أصوات السيوف عجباء : أي ليست ذات لفظ يفهم والمعنى إذا سمع صليل السيوف علم أنهم مقتولون .

(٤) يقول : إن الدمستق يسر بما أخذته من أصحابه وأمتعته وأسلحته وعدته

وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ الشَّرِكِ هَازِمٌ^(١)
 تَشْرَفُ عَدْنَانَ بِهِ لَا رَيْبَةَ وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ^(٢)
 لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمٌ^(٣)
 وَإِنِّي لَتَمَدُّو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَعَى فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمٌ^(٤)
 عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرَجْلِهِ إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمِيهِ الْغَمَاغِمُ^(٥)

لأن هذه الأشياء كانت كالفداء له ؛ إذ نجما هو واشتغل عسكري بها عنه ، وليس سروره جهلا بمحالته ، وإن الذي انتهت أمواله ليس من شأنه أن يسر ، ولكنه حين نجما برأسه غانم وإن كان مغنوماً: أى لايبالي بغيره إذا نجما هو ، لأن اللسواب إذا سلم منك بسلبه فهو سالب . قال العكبرى ؛ وهذا مثل قول بسطام ابن قيس في المثل : السلامة إحدى الغنيمتين .

(١) التوحيد : خبر أول لـ «سكن» ؛ وهازم : خبر ثان . يقول : لست في هزمك الدمستق ملكا هزم ملكا مثله ، ولكنك التوحيد قد هزم الشرك ، لأنك سيف الإسلام وزعيمه ، والدمستق عماد أهل الشرك وقوامه ، فكلما كازعيم ملته .

(٢) الضمير في «به» : للملك : قال العكبرى : ولو كان بدل الماء «كاف» لكان أجود حتى يكون مخاطباً . وعدنان : أبو العرب : وريبة : بطن من عدنان ، وهى قبيلة سيف الدولة ، والعواصم : بلاد قصبها إنطاكية . يقول : إن جميع العرب يفتخرون بك لرجوعك بالنسب إليهم ، وليس يفتخرك رهطك فقط ، وأنت غفر لجميع الدنيا لا لبلاد مخصوصة — بلاده — لأنك أشرف أهل الدنيا .

(٣) يريد بالدر : شعره . يقول : المعانى لك واللفظ لى ، فأنت تعطينى المعانى بأفعالك ومناقبك ، وأنا أنظمها بتقييدها فيه ، وفى مثل هذا يقول ابن الرومى :

وَدُونِكَ مِنْ أَقَاوِيلِي مَدِيحًا غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَإِنِّي النَّظَامُ

(٤) تعدو : تجرى وتسرع . والوعى : الحرب . يقول : إنى أمتطى فى الغزو خيلك التى أعطيتها ، فلست مذموماً فى أخذها ، لأنى شاكر أياديك ناشر ذكرك ، ولست أنت نادماً على ما أعطيتنى ، لقيامى بحق ما أوليتنى .

(٥) «على» صلة تعدو ؛ ولك أن تجعلها من صلة «نادماً» : أى لست نادماً على هبتك لى كل فرس طيار ، وأن تجعلها من صلة محذوف دل عليه ما تقدم كأنه قال : أقصد الوعى على كل فرس إذا سمع صوت الأبطال فى الحرب طار إليها برجله عوض الجناح ،

أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ مُقَمَّدًا وَلَا فِيهِ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمٌ (١)
هَنِيئًا لَضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعَلَى وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامِ أَنْكَ سَالِمٌ (٢)
وَلَمْ لَا يَبْقِ الرَّحْمَنُ حَدِيثَكَ مَا وَقَى وَتَفْلِيغُهُ هَامَ الْعِدَا بِكَ دَائِمٌ (٣)

يريد شدة سرعته في العدو حتى كأن قوائمه أجنحة ، والغمام : الأصوات المختلطة هي أصوات التحارين ؛ وما أبدع قول ابن المعتز - ولعل بيت المتنبي ينظر إليه - :

وليلٍ ككحل العين خضتُ ظلامه بأزرقٍ لَمَّاعٍ وأخضرَ صَارِمِ
وطيارَةٍ بالرجل خوفًا كأنما تُصَافِحُ رَضْرَاضَ الحصى بالجمجمِ
(١) يقول : أنت السيف لا يتضمنه غمد - إذ هو دائماً مجرد على أعدائه - وليس يرتاب - يشك - في هذا أحد ، ولا يصم - لا يعنى ولا يمنع - منك - شيء لا حسن ولا حديد ، ويرى : لست وفيك ومنك .

(٢) الهام : الرءوس . والعلی : الراتب العالية . وأنت سالم : فاعل هنيئا ، وهي حال محذوفة العامل ، والأصل : ثبت هنيئا : غذف الفعل وقامت الحال مقامه ؛ وقد تقدم في هذا الشرح القول على هنيئا بأوفى من هذا . يقول : لتنهأ هذه المذكورات بسلاستك لأنك قوامها ، فضرب الهام أنت أحذق الناس به ، والمجد أنت أكسب الناس له ، والعلاء أنت جامع شملها وراجى مكارمك التي لا تمطل بفضلها ، والإسلام لأنك أعزته .

(٣) لم : استفهام إنكار : وأصلها « لم » بفتح الليم فسكنها ، وهو مخصوص بالضرورة و « ما » من قوله « ماوقى » ظرفية زمانية ، وتفليغه : حال من الرحمن . يقول : لماذا لا يصونك الله سبحانه ما دامت صيائته للأشياء - أي أبدا - وأنت سيفه الذي يصول به على أعدائه ؟

وقال : وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب الهدنة ،
وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة
أربع وأربعين وثلثمائة :

أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الْمُلُوكِ هَمَامٌ ، وَسَحَّ لَهُ رُسُلَ الْمُلُوكِ غَمَامٌ^(١)
وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا ، وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامٌ^(٢)
إِذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِيًا كَفَّاهَا لِمَامٌ لَوْ كَفَّاهُ لِمَامٌ^(٣)
فَتَى تَتَّبِعُ الْأَزْمَانَ فِي النَّاسِ خَطْوَهُ
لِكُلِّ زَمَانٍ فِي يَدَيْهِ زِمَامٌ^(٤)

(١) راع : أفزع وخوف ؛ والاستفهام استفهام تعجب ؛ وكذا : نائب مفعول
مطلق : أى روعا كهذا الروع الذى أرى ا والهمام الملك العظيم الهمة . وسح الماء :
صبه . يقول : هل راع ملك جميع الخلق كما أرى من روعك إياهم ؟ وهل تقاطرت
رسل الملوك على ملك كما تقاطرت عليك ؟ وجعل توالى الرسل إلى حضرته كسح
الغمام ، يعنى هل أفزع ملك قبله كل الملوك فرعا دعاهم إلى الخضوع له والاستجارة به
وتتابع رسلهم عليه حتى كأنها مطر يصبه غمام ؟
(٢) دانت : أطاعت . وقيام : أى قائمة - كأنه من باب صاحب وصحاب - يقول :
هل أطاعت الدنيا أحدا كما أطاعته وخضعت له ، فأصبح جالسا لا يسى فى تحصيل
مراد وقامت الأيام تسمى فى تحصيل ما يريد ؟
(٣) اللام : الزيارة القليلة ، قال جرير :

بنفسى من تجنُّبهُ عزيز علىَّ ومَن زيارتهُ لِمَام

يقول : إذا غزاهم كفاهم أذى نزول منه بأرضهم لو اكتفى هو بذلك ، لكنه
لا يكتفى حتى يبلغ أقصى بلادهم .

(٤) الأزمان : جمع زمن ، وزمن مقصور من زمان ، وفى الناس : صلة « تتبع » ،
والخطو : نقل القدم أو الزمام : ما تقاد به الدابة يقول : إن الزمان يتبعه ويجرى فى الناس
على مراده : فمن أحسن هو إليه أحسن إليه الزمان ، ومن أساء إليه أساء إليه الزمان ،
حتى كأن لكل زمان زماما فى يده يقوده به كما يشاء . يشير إلى قوة سعيه وإقبال جده .

تَنَامُ لَدَيْكَ الرَّسُلُ أَمْنًا وَغِيظَةً ، وَأَجْفَانُ رَبِّ الرَّسُلِ لَيْسَ تَنَامُ (١)
 حِذَارًا لِمُرُورِي الْجِيَادِ فَجَاءَةً إِلَى الطُّغْنِ قُبَلًا مَا لَهْنٌ لِحِيَامِ (٢)
 تَعَطَّفُ فِيهِ وَالْأَعْنَةُ شَعْرُهَا ، وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامِ (٣)
 وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلَ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَا
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامِ (٤)
 إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرَّسُلَ عَمَّا أَنْوَالَهُ كَأَسْمِهِمْ فِيمَا وَهَبْتَ مَسَلَامِ (٥)

(١) العبطة : حسن الحال . يقول : إنك تحسن إليهم وترعاهم ، فهم آمنون ما كانوا عندك والذين أرسلوهم إليك يخافونك ، لأنهم ليسوا على أمان منك ، فلا تنام أجفانهم خوفا منك ، وقد بين ذلك في البيت التالي . هذا : ولناسبة « ليس » من قوله ليس تنام ، قال العكبري : « ليس » هنا تحتل أمرين : أحدهما أن يكون استعمالها استعمال « ما » : كقول العرب : ليس الطيب إلا المسك فيما حكاه سيوييه ، والثاني أن يكون في « ليس » ضمير ، وحذف تاء التأنيث ضرورة ، والأجود أن تكون بمعنى « ما » فتخلو من الضمير ، لأنه إذا جعلها فعلا ماضيا فالواجب أن يقول : ليست تنام .

(٢) حذارا : مفعول له ، وهو مصدر حاذر ، واعروري الفرس : ركبته عريانا : وقوله إلى الطغن : متعلق بمروري . والقبل : جمع أقبل وقبلاء ؛ وهو الذي أقبلت إحدى عينيه على الأخرى تشاوسا وعزة نفس ؛ وقيل معنى قبلا هتنا : مقبلة ؛ تقول أقبلت قبله : أي قصدت نحوه . يقول : هم لا ينامون حذرا من سيف الدولة الذي يركب الخيل عريا إلى الحرب : يعني لا يتوقف إلى أن تسرج وتلجم إذا دعت الحرب إلى ركوبها .

(٣) الضمير من « فيه » في المصراعين : للطغن المذكور في البيت السابق والأعنة . جمع عنان ، سير اللجام . والسياط : جمع سوط ، ما يضرب به الراكب . يقول : إن خيله مؤدبة إذا قيدت بشعرها اتقادت كما تنقاد بالعنان ، وإذ زجرت بالكلام قام ذلك مقام السياط ، قال العكبري أراد : أن يقول والأعنة معارفها ، فما صح له الوزن ولو صح لكان حسنا ، وإنما اكتفى بشعرها ومراده المعارف .

(٤) القنا : الرماح . يقول : لا غناء إلا بالرجال والفرسان ؛ فليس تنفع كرام الخيل ولا صم الرماح إذا لم يصرفها من الأبطال كرام .

(٥) فيما وهبت : متعلق بمسالم . يقول : إنك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم

وَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي الدَّمَامَ طَوَاعَةً فَمَوْذُ الأَعَادِي . بِالكَرِيمِ ذِمَامٌ (١)
 وَإِنْ نَفُوسًا أَمَمْتَنِكَ مَنِيعةً وَإِنْ دِمَاءٌ أَمَلْتَنِكَ حَرَامٌ (٢)
 إِذَا خَافَ مَلِكٌ مِنْ مَلِيكَ أَجْرَتَهُ وَسَيِّفَكَ خَافُوا وَالْجِوَارَ نُسَامٌ (٣)
 لَمْ عَنْكَ بِالْبَيْضِ الخِنَافَ تَفَرَّقُوا وَحَوْلَكَ بِالْكَتَبِ اللِّطَافِ زِحَامٌ (٤)
 تَفَرُّ حَالَاوَاتُ النُّفُوسِ قُلُوبَهَا فَتَخْتَارُ بَعْضَ العَيْشِ وَهوَ حِمَامٌ (٥)
 وَشَرُّ الحِمَامِينَ الزُّوَامِينَ عَيْشَةً يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيَضَامٌ (٦)

الأميين لك في العطاء : أى كما أنك لا تصنى إلى ملامة لأئم في سخائك . فكذلك لا تقبل الهدنة ، وهذا هو للدح الوجه .

(١) الذمام : العهد ؛ وطواعة : حال : أى طامعاً . وعاذ به عوداً لجأ . يقول : إن كنت لا تعطى الروم عهداً وصلحاً طواعية فليأذم بك يوجب لهم الذمام ، لأن من لاذ بالكريم وجبت له الذمة ، وإن كان عدواً : أى فقد حصل لهم ما طلبوا وإن لم تعطهم . ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٢) أمتك : قصدتك . والحرام : الذى لا يستباح . يقول : إن من قصدك راجياً صار منيعاً بقصدك وحرمت إراقة دمه ؛ لأنها قد دخلت في حرمتك وراحيك لا يضيع .
 (٣) الملك والمليك : واحد . وسيفك : مفعول خافوا ، والواو : للحال . ونسام :

تكلف ؛ والجوار : مفعول ثان لنسام . يقول : إذا خاف ملك من ملك أجرت الخائف وهم - الروم - إنما خافوا سيفك وسألوك أن تجبرهم منه ، وإذا كنت تجبر من غيرك فأنت بأن تجبر من نفسك أولى

(٤) البيض الخفاف : السيف ، يقول : هم لا يحاربونك بسيفهم ، بل يتفرون بها عنك منهزمين ، ويزدحمون عليك بالكتب اللطيفة الأسلوب التى يتلطفون فيها أسألتك ويتضرعون إليك ، يشير إلى عجزهم عن مقاومته في الحرب وازدحامهم عليه في السلم .

(٥) الضمير من « قلوبها » : للنفوس ؛ والحمام : الموت . يقول : إن حلاوة النفوس مر قلوب أربابها وتغريها بحب الحياة حتى تختار عيشاً فيه ذلياً أو تختار الحرب خوف لقتل ، فبئذ ذلك العيش هو الموت في الحقيقة ، بل هو شر من الموت ، كما ذكر في البيت التالى .

(٦) الزوام : العاجل ، أو السريع الوحى المهجز ، وقيل الكريه . ويضام :

فَلَوْ كَانَ صُلْحًا لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ ، وَلَكِنَّهُ ذُلٌّ لَكُمْ وَغَرَامٌ ^(١)
 وَمَنْ لِفُرْسَانَ الثُّغُورِ عَلَيْهِمْ بِتَبْلِيغِهِمْ مَا لَا يَكَادُ يُرَامُ ^(٢)
 كِتَابٌ جَاءُوا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا ،
 وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ بَلَّغُوا ^(٣)
 وَعَزَّتْ قَدِيمًا فِي ذَرَاكَ خِيُومُهُمْ وَعَزَّوْا وَهَامَتْ فِي نَدَاكَ وَعَامُوا ^(٤)
 عَلَى وَجْهِكَ اللَّيْمُونَ فِي كُلِّ غَارَةٍ صَلَاةٌ تَوَالَى مِنْهُمْ وَسَلَامٌ ^(٥)

يظلم : لما جعل عيش القليل موتا آخر ، قال : هو شر الموتين ؛ لما فيه من تحمل الضيم وتجرح الدل والغيظ والمهوان .

(١) اسم « كان » يعود على قوله ما أتوا له ، والغرام : الشر الدائم لللازم ومالا يستطاع أن يتفصى منه ، قال الله عز وجل « إن عذابها كان غراما » : أى ملحا دائما ملازما . يقول : لو كان ما طلبوه مصالحة لما افتقروا إلى التشفع بفرسان الثغور ، لأن الصلح أن ترغب فيه أنت أيضا ؛ ولكن طلبوا إليك أن تؤخر عنهم الحرب أياما ، فكان ذلك ذلا لهم وعارا ملازما .

(٢) المن - هنا - : النعمة . وفرسان الثغور : يريد بهم فرسان طرسوس وأذنة والصبصة ، وكان الروم قد وسطوهم لدى سيف الدولة في طلب الهدنة وأن يؤخر عنهم الحرب أياما ، وذلك مالا يكادون يقدرون على طلبه إليه بأنفسهم ، فبلغهم ما كانوا لا يظنون أنه يقع ، بفضل شجاعة هؤلاء الفرسان ، فلهؤلاء الفرسان النة ، إذ بلغوهم ما لم يكونوا ليبلغوه بأنفسهم ، فقوله « ومن » عطف على « ذل » ؛ ويرام : يطلب .

(٣) الكتاب : جمع كتيبة ، الجماعة من الجيش . وخام عن اللقاء : جبن ونكص على عقبيه . يقول : هؤلاء الفرسان كتاب جاءوا إليك خاضعين فأقدهوا - اجترءوا - عليك بهذا الخضوع ، ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا ولم يجسروا على لقاءك .

(٤) تقول هو في ذراه : أى في ظله وكنفه . يقول : إنهم تعودوا إحسانك قديما إذ كانوا في كنفك وظلك وحمایتك تحسن إليهم حتى غرقوا في برك وإحسانك .

(٥) الليمون : ذو اليمين والبركة . والنبارة : الحرب . وتوالى : تتناح والمراد بالصلاة والسلام : التمجيد . يقول : كلما سرت في غارة صلوا عليك وسلموا إعجابا بك وتعظيما لما يعرفونه عنك من الشجاعة والإقدام وإن كانت الإغارة عليهم ، وهذا البيت - والذي بعده - يؤكد البيت السابق .

وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْكُرُمَاتِ إِمَامٌ^(١) ، وَكُلُّ أَنَايِسٍ يَتَّبِعُونَ إِمَامَهُمْ ،
 وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاطِلِينَ قَتَامٌ^(٢) ، وَرُبَّ جَوَابٍ عَنِ كِتَابٍ بِمَثْتَهُ ،
 وَمَا فَضُّ بِالْبَيْدَاءِ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ ، وَتَضْيِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءِ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ ،
 جَوَادٌ وَرُمَحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامٌ^(٤) ، حُرُوفٌ هَجَاءُ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ

(١) يقول : إن الكروام يقتدون به لأنه إمامهم .

(٢) القتام : الغبار ؛ وأراد بالجواب : الجيش . يقول : رب جيش أفتته مقام جواب كتاب كتب به إليك ، فصار غباره يدل عليه كما يدل العنوان على الكتاب . هذا : وعنوان الكتاب ما يعرف به سمى كذلك لأنه يعين الكتاب من ناحيته - أى يعرض - وأصله عنان - كرمان - وكلا استدللت بشيء تظهر على غيره فهو عنوان له كما قال حسان برئى عثمان :

ضَحَوًا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْيِيحًا وَقَرَأْنَا
 وَالْعُنْوَانَ بِالضَّمِّ هِيَ اللَّغَةُ الْفَصِيحَةُ ، قَالَ أَبُو دَوَادٍ الرَّوَّاسِيُّ :
 لِمَنْ طَلَّلُ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ بِيَطْنِ لُؤَاقٍ أَوْ بَطْنِ الذَّهَابِ^(١)
 وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ :

نَظَرْتُ إِلَى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتَهُ كَنَبْذِكَ نَمَلًا أَخْلَقْتُ مِنْ نِمَالِكَا
 قَالَ اللَّيْثُ : وَالْعُلْوَانُ - لَعْنَةٌ فِي الْعُنْوَانِ - : غَيْرُ جَيِّدَةٌ ؛ وَقَدْ يُقَالُ عُنْوَانٌ وَعُنْيَانٌ .
 (٣) البيداء الأرض الفقرة البعيدة . والنشر : خلاف الطي . وختم الكتاب : الطين الذى يختم به . وفضه : كسره . يقول : تضيق البيداء هذا الجواب ولم ينشر ولم يفض عنه الختم ؛ يعنى أنه جيش كثير تضيق به الأرض الواسعة قبل انتشاره ، فكيف إذا انتشر وتفرق للحرب والغارة ؟ وقد استعار الفرض والحتم وهما للكتاب والجواب لما جعل الجيش كتابا وجوابا ، وهو تخيل بديع رائع :

(٤) الجواد : الفرس الكريم . والرمح الذابل : اللين الحسام : السيف القاطع لما جعل الجيش جوابا جعل حروف هجائه هذه الأشياء ؛ أى أنه ألف من هذه الأشياء كما يؤلف الجواب من حروف الهجاء .

(١) هذا هو النص الصحيح لهذا البيت ولواق : أرض معروفة ، والذهاب : موضع .

أَذَا الْحَرْبِ قَدْ أَتَيْتَهَا فَالَهُ سَاعَةٌ لِيُعْمَدَ نَصْلٌ أَوْ يُحْلَ حِزَامٌ (١)
 وَإِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهَيْدَتِهِ ، فَإِنَّ الَّذِي يَعْزَمَنَّ عِنْدَكَ عَامٌ (٢)
 وَمَا زِلْتَ تُفْنِي الشُّمْرَ وَهِيَ كَثِيرَةٌ ، وَتُفْنِي بَيْنَ الْجَيْشِ وَهُوَ لُهَامٌ (٣)
 مَتَى هَاوَدَ الْجَالُونَ عَاوَدَتْ أَرْضَهُمْ ، وَفِيهَا رِقَابٌ لِلسُّيُوفِ وَهَامٌ (٤)
 وَرَبُّوْا لَكَ الْاَوْلَادَ حَتَّى تُصِيبَهَا ، وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتُ وَشَبَّ غُلَامٌ (٥)

(١) إذا الحرب : أى ياساحب الحرب ؛ ويروى : أخوا الحرب : يقال هوأخو كذا أى ملازم له معروف به . ولهى الرجل عن الشيء من باب علم اشتغل عنه وتركه . يقول لقد أتيت الحرب ، أى أتيت أهلها بكثرة الغارات وملازمتها ، فاتركها ساعة حتى تغمد الفرسان سيوفها وتحل حزم الخيل ،

(٢) عمر الرجل يعمر - من باب فهم - : أى طال عمره . يقول : إن سلمت الرماح من التكسر بترك استعمالها فى الحرب بالهدنة بين الفريقين فقصارها أن تبقى عندك عاما واحدا ، لأنك لاتهادن العدو أكثر من هذه اللدة ، وعبارة العكبرى : إن أعمار الرماح عند غيرك دعة تطول واتساع هدنة ، وغاية أعمارها عندك عام لاتتجاوزه ، لأن الانكسار يسرع إليها بدوامتك الطعن وأمد مهادتتك للروم عام ثم تعود إلى حربهم على عادتك ، وتكسر الرماح فيهم على سجيبتك ، وما تترك عادتك :

(٣) السمر : الرماح ، والهوام : الكثير الذى يلتم كل شيء ، يقول : مازلت تفنى الرماح بكثرة استعمالها فى وقائعك مع كثرتها ، وتفنى بفنائها الجيش الكثير من الأعداء

(٤) الجالون : النازحون الذين أخرجوا من ديارهم ، والهوام : الرؤس ، يقول : متى عاد الروم - الذين تركوا ديارهم خوفا منك بالهدنة التى أجبتهم إليها - إلى أوطانهم عاودت أنت تلك الأوطان بالغزو وقد توفر لسيوفك ما تقطعه من الرقاب والرؤس ، (٥) الكاعب : التى قد بدا نديها للنهود : يقول لما هربوا منك وجلوا عن منازلهم

ربو أولادهم لتسيبهم ، وقد صارت البنت كاعبا والابن شابا أى صاروا بحيث يصلحان لتسيب قال العكبرى : يشير إلى أن مسألة سيف الدولة ضرب من التدبير ؛ لأنهم يباودون ما أخلوه من منازلهم فيكون ذلك أقرب لقتلهم وأمكن لتسيبهم : هذا : وقوله حتى تصيبها أى حتى تكون العقوبة إصابتك إياها ؛ على حد قوله تعالى « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدونا وحزنا » ،

جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا

إِلَى النَّايَةِ الْقَصَى وَجَرَيْتَ وَقَامُوا^(١)

فَلَيْسَ لِشَمْسٍ مُذْ أَنْزَتْ إِنْارَةً ، وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مُذْ تَمَّتْ تَمَامٌ^(٢)

وقال يمدحه ويودعه ، وقد خرج إلى إقطاع قطعه إياه بناحية معرة النعمان :

أَيَا رَامِيًا يُصْنِي فُوَادَ مَرَامِيهِ تَرُبِّي عِدَاهُ رِيَشَهَا لِسِهَامِيهِ^(٣)

أَسِيرٌ إِلَى إِقْطَاعِهِ ، فِي ثِيَابِهِ عَلَى طَرَفِهِ ، مِنْ دَارِهِ ، بِحَسَامِيهِ^(٤)

(١) يقول : جارك الملوك فيما نهجته من الكارم حتى إذا انتهوا إلى أقصى غاياتهم ووقفوا من الكلال متخلفين عنك جريت وحدك فسبقت غايتهم ، وأصل هذا في الخيل تجارى ، فإذا وني بعضها سبقه الذى لم يلحقه الكلال :

(٢) يقول : فليس لشمس منهم - من الملوك - إنارة مع ما يبدو من نورك ؛ ولا لبدر منهم تمام مع ما أعمه لك من الفضل : يعنى أن الملوك صغير كل كبير منهم عند قدرك وناقص كل من كان يتم منهم بالقياس إلى فضلك ، وعبارة بعض الشراح : أى من يشبه منهم بالشمس كسف بهاؤك مجده ، فلا إنارة له ، ومن يشبه منهم بالبدر ظهر نقصه عند ظهور فضلك :

(٣) الإصماء : إصابة القتل فى الرمي - يقال رماه فأصماه : إذا أصاب ممتله . والمرام : المطلب . يريد أنه حسن المحاولة لما يطلبه بصير بمواضع الظفر به ، كالرامي يصيب فؤاد حرميه فيقتله لساعته . وقوله ترى الخ أى أنه يغير على أعدائه فيأخذ أموالهم وعددهم ويستعين بها على إنفاذ بأسه فيهم فجعل ما يأخذ منهم كالريش ، وبأسه كالسهام الذى لا تنفذ إلا بالريش الذى عليها . وقال ابن جنى : يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون يربون الريش فإذا تكامل رماه للمدوح بسهامه : أى أن الطائر يكون فرخاً فلا يكمل حتى يتم ريشه ، فهم يربونه إلى أن يصلح أن يصاد ، والآخر أن الأعداء يربون ريشهم ليأخذوه فيريش به سهامه فيكون فعلهم قوة له ، والعرب تكفى بالريش عن حسن الحال ، راس فلان فلانا ، كأنه جعل له ريشاً ينهض به .

(٤) يقال أقطعه أرض كذا : إذا جعل له غلتها رزقاً والإقطاع : اسم لتلك الأرض ، من التسمية بالمصدر . والطرف : الفرس الكريم . والحسام : السيف القاطع يقول : إن جميع ما أنصرف فيه ويضاف إلى من أرض وثياب وخيل ومنازل وسلاح فهو له ، وصل إلى من نعمته وقد أجمل النابغة هذا المعنى فى قوله :

وَمَا مَطَرْتَنِيهِ مِنَ الْبَيْضِ وَالْقَنَا
وَرُومَ الْعَبْدِيِّ هَاطِلَاتٍ تُحَامِيهِ (١)
فَتَى يَهَبُ الْإِقْلِيمَ بِالْمَالِ وَالْقَرَى
وَمَنْ فِيهِ مِنْ فُرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ (٢)
وَيَجْمَلُ مَا خُوِّلَتْهُ مِنْ نَوَالِهِ
جَزَاءً لِمَا خُوِّلَتْهُ مِنْ كَلَامِهِ (٣)

وما أغفلتُ شكرَكَ فانتصحنى
وقد فصله النابتة أيضا فقال :
وإن تَلَادِي إِنْ نَظَرْتُ وَشِكَتِي ،
مُهْرِي وَمَا ضَمْتُ إِلَى الْأُنَامِيلِ ،
حِبَاؤُكَ وَالْبَيْسُ الْعِتَاقُ كَانَهَا
هَجَانُ الْمَا تَرَدِي عَلَيْهَا الرَّحَائِلِ (١)
وقال أبو نواس :

* وكلُّ خيرٍ عندنا من عنده *

(١) البيض : السيوف . والقنا : الرماح . والعبدي : العبيد ، جمع عبد . والغمام : السحاب ؛ وهاطلات : ساكات . يقول : وأسير كذلك فيما أمطرنى به سحاب جوده من السيوف والرماح يحملها العبيد الرومية : يعني أنه وهبه العبيد بسلحها .
(٢) الضمير في «فرسانه وكرامه» : للإقليم . والإقليم : واحد أقاليم الأرض . قال ابن دريد : لا أحسب الإقليم عربيا ، وقال الأزهرى : وأحسبه عربيا ، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل إقليم معلوم كأنه سمي إقليميا : لأنه مقلوم من الإقليم الذى يتاخذه : أى مقطوع .

(٣) خوله كذا : ملكه إياه . والنوال : العطاء . يقول : إنه يجازينى بنواله إذا مدحته بما أستفيده من الادب من كلامه ، وهذا أغرب من قوله أبى تمام :

* نأخذ من مالهٍ ومن أدبه *

قال بعض الشراح : يشير إلى قصة الواقعة التى ذكرها فى القصيدة التى مطلعها :

طِوَالِ قَنَا تَطَاعِنَهَا قِصَارُ
وَقَطْرِكَ فِي نَدَى وَوَعَى بَحَارِ
وكان سيف الدولة قد قص هذه الواقعة عليه فنظمها . يقول : أقطعت هذه الأرض جزاء لما مدحته به فى القصيدة المذكورة ، وأنا إنما استفدت معانيها منه ونظمت فيها ما قص على من كلامه ، فالفضل فيها له ، لا لى .

(١) الشكّة : ما يلبس من السلاح ، والحباء : العطاء ، والرديان : ضرب من السير بين العدو - الجرى - والثنى الشديد - وجملة عليها الرحائل : حال ؛ والرحائل : جمع رحالة ، سرج من جلود ليس فيه خشب كانوا يتخذونه للركض الشديد .

فَلَا زَالَتِ الشَّمْسُ الَّتِي فِي سَمَائِهِ مُطَالِمَةً الشَّمْسِ الَّتِي فِي لِنَائِهِ (١)
وَلَا زَالَ تَجْتَازُ البُدُورُ بِوَجْهِهِ تَعَجَّبُ مِنْ نَقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ (٢)

(١) أراد بالشمس التي في لئاه: وجهه . يقول : لا زال باقيا بقاء الشمس ، فكما طلعت في السماء كان وجهه طالماً بإزائها ، وأضاف السماء إليه مبالغة في اللدح ، كما قال الفرزدق :

* لنا قراها والنجوم الطوالع *

وقال ابن جنى : أضاف السماء إليه لإعزازها عليه ، كما قال الآخر :

إذا كوكبُ الحرقاء لاحَ بِسُحْرَةٍ سُهَيْلٌ أذاعتَ غزلها في القرائب (١)
أضاف الكوكب إليها لجدها في عملها عند طلوعه .

(٢) جمع البدر لأنه أراد بدر كل شهر . وتعجب : أى تعجب . يقول : لا زال باقيا على توالى الأشهر تمر بدورها بوجهه فتظنه بدرا آخر لكأله ، ولكنها تعجب حين ترى أنها تنقص وهو لا يزال تاما .

(١) بعده :

وقالت : سماء البيت فوقك مُنْهَجٌ ولما تُيسَّرُ أحْبلاً للركائب

والحرقاء : المرأة التي لا تحسن عملا ، ومنه الحرقاء صاحبة ذى الرمة ، فإنه أول ما رآها أراد أن يستطمع كلامها فقدم إليها دلوا ، وقال أخريها لى ، فقالت : إني خرقاء : أى لا أحسن عملا . قالوا : فأضاف الكوكب إلى الحرقاء بملابسة أنها لما فرطت في غزلها في الصيف ، ولم تستعد للشتاء استغزلت قرائبها عند طلوع سهيل سحرا ، وهو زمان مجيء البرد ، فبسبب هذه الملابسة سمي سهيل كوكب الحرقاء . وسهيل : بدل أو عطف بيان لكوكب الحرقاء وأذاعت فرقت ، وجملة قالت في البيت الثانى عطف على « أذاعت » والسماء : السقف والمنهج من أنهج الثوب ، إذا أخذ في البلى وأجبل : جمع جبل ، وهو الرسن ونحوه . والركائب : الإبل التي يسار عليها : أى وقالت لزوجها : سماء البيت فوق حلقى ولما تيسر للركائب أحبلا فكيف تنتجع على هذه الحالة ؟

وأشدد سيف الدولة متمثلاً بقول النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ (١)

* * *

فقال أبو الطيب مرتجلاً :

رَأَيْتَكَ تُوَسِّعُ الشُّعْرَاءَ نَيْلًا حَاحِدِيهِمْ الْمَوْلَدَ وَالْقَدِيمَا (٢)

(١) كان سيف الدولة قد أرسل سرية ، ففزع الناس لحيل - جيش - لقيت السرية ببلد الروم فركب سيف الدولة وركب معه أبو الطيب ، فوجد السرية قد ظفرت . وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته في ذلك اليوم ، فأشدد سيف الدولة متمثلاً ببيت النابغة الذي يأتي :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ
تُخَيِّرَنَّ مِنْ أَرْزَامِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرْبَنَّ كُلَّ التَّجَارِبِ
فقال أبو الطيب هذه الأبيات .

« والفلول : الثلوم ؛ والكتائب فرق الجيش . وتخيرن : أى أى السيوف . وحليمة : امرأة كانت تطعمهم إذا قاتلوا ؛ وفيها المثل للشهور : وما يوم حليمة بسر . وإلى اليوم : صلة تخيرن : وقد جربن : حال » والبيتان من قصيدته في عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بني غسان ومطلعها .

كَلَيْفِي لِهَمْ يَا أَمِيمَةً نَاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطْنِ الْكُوكِبِ

يمدح قومه يقول : لا عيب فيهم إلا أن سيوفهم مثلة من قراع الجيوش ، وهذا على الحقيقة نخر لهم ، وإذا لم يكن فيهم عيب إلا هذا فهو تأكيد لنفي العيب عنهم ، وهذا ما يعرف عند أهل البديع بتأكيد المدح بما يشبه القم ، ثم قال في البيت التالي : هى من أجود السلاح تخيرها أسلافهم والذين من بعدهم ، من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، وقد جربت بكل وجه من وجوه التجارب : يعنى أنه لم يكن بها عيب ، فلما انتهت إلى نوبة المدوحين تثلت لما نالها من شدة القراع .

(٢) النيل : العطاء ؛ وأوسع العطاء ونحوه : بسطه : وكثره . وحديثهم بدل تفصيل من الشعراء . يقول : إليك توسع العطاء للشعراء المحدثين منهم والأقدمين ، ثم بين ذلك في البيت التالي .

فَتُعْطَى مَنْ بَقِيَ مَالًا جَسِيماً وَتُعْطَى مَنْ مَضَى شَرْفًا عَظِيماً (١)
 تَمِيمَتِكَ مُنْشِداً بَيْتِي زِيَادِ نَشِيداً مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيماً (٢)
 فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلَكِنْ غَبَطْتُ بِذَلِكَ أَعْظَمَهُ الرِّمِيماً (٣)

وقال يمدحه، ويذكر إيقاعه بعمرو بن حابس وبنى ضبة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة

ولم ينشده إياها :

ذِكْرُ الصَّبِيِّ وَمَرَاجِعِ الْأَرَامِ جَلَبَتِ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي (٤)

(١) بقى - بفتح القاف - هي لغة طيء ، ومنه قول زيد الخيل الطائي :

لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصَلُّكَ مَا بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ قَيْسِي يَسُوقُ الْأَبَاعِرَا

يقول : تعطي الباقيين منهم - أي الأحياء - عطاء جزيلاً ، والماضين شرفاً عظيماً بأن تنشده أعمارهم وتمثل بها استحساناً لها فيكون ذلك شرفاً عظيماً لهم .

(٢) زياد : اسم النابتة الديلمي ؛ والنابتة : لقب غلب عليه . ونشيداً مفعول مطلق ، وضعه موضع الإنشاد .

(٣) الغبطة : أن تتمنى مثل حال للغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد ، ورم العظم برم زمة : بلى ، فهو رميم . وقوله أعظمه الرميما : وصف الأعظم - وهي جمع - بالمرء ، لأن فعلاً وفعولاً يستوي فيهما الذكر والمؤنث والمفرد والجمع قال تعالى « من يحيى العظام وهي رميم » . يقول : لم أنكر موضع زياد من الشعر وأنه أهل لأن تنشده شعره لكني غبطت عظامه البالية لما نالته بذلك من الشرف . هذا : ومما يتصل بهذا الموقف ما يحكى أن المعتد بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية أنشد يوماً في مجلسه قول المتنبي :

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفَ لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخِلَاقِ
 وجعل رده استحساناً له ، وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الشاعر الأندلسي ، فأنشد ارتجالاً ،

لئن جاد شعرُ ابنِ الحسينِ فإنما بقَدْرِ العَطَايَا وَاللَّهَا تَفْتَحُ اللَّهُهَا
 تنبأ في نَظْمِ القَرِيضِ ولو دَرَى بَأَنَّكَ تَرَوِي شَمْرَهُ لَتَأَلَّهَا

(٤) ذكر : جمع ذكرى ، كأنهم حملوه على مؤنث التاء ، فجمعه - على حد : سدره وسدر - وهو قياس عند الفراء والصبي : بمعنى اللهب والتصابي : ومرابع - بالجر -

دِمْنٌ تَكَاتَرَاتِ الْهُمُومُ عَلَى فِي عَرَصَاتِهَا كَتَكَاتُرِ الْاَوْامِ (١)
فَكَانَ كُلُّ سَحَابَةٍ وَكَفَتْ بِهَا تَبْكِي بَعِيْنِي عُرْوَةَ بِنِ حِزَامِ (٢)
وَلَطَّالَمَا اَفْنَيْتُ رِيْقَ كَمَا بِهَا فِيهَا وَافْنَيْتُ بِالْعِتَابِ كَلَامِي (٣)
قَدْ كُنْتُ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ بِحِجَانَةٍ وَتَجْرُؤُ ذَيْلِي شِرْقِي وَعُرَامِ (٤)

معطوف على الصبي؛ ويروى بالرفع عطفاً على ذكر؛ والمراتب: جمع مرتع، الموضع ترتع فيه الدواب: أي ترتعي كيف شاءت. ويروى مراتع: جمع مربع، المكان الذي يربعون - يقيمون - فيه، يريد ديار الأجابة والآرام: الطباء البيض. وأراد بهن النساء جمع رُم - على القلب المكاني - والحمام: الموت. يقول: إن ذكر الصبي ومراتب النساء اللاتي أهيمن بهن جلبت على حالة هي والموت سواء، يعني شدة وجده على فراقهن، فكانت مات قبل موته لشدة الوجد.

(١) الدمن: جمع دمنة، ما تلبد من آثار الديار بعد رحيل القوم: ودمن خبر مبتدأ محذوف: أي تلك المراتع دمن؛ والعروضات: جمع عرصة، ساحة الدار. يقول: لما وقفت بآثار المحبوب تكاترت همومي شوقاً إلى من كان بها كتكاتر لوامي في حبهن.

(٢) وكفت: أي قطرت؛ وسالت: يروى وقفت، وعروة بن حزام: هو صاحب عفراء، وهو أحد عشاق العرب المشهورين. شبه هطلان السحاب في تلك الدمن بيباء عروة بن حزام على فراق صاحبه. يريد كثرة ما يجري عليها السحب من المطر، بدليل أنها تحت آثار تلك الديار، ولعله ينظر في هذا إلى قول أبي تمام

كَأَنَّ السَّحَابَ الْفَرَّ عَيْنَ تَحْتَهَا حَبِيْبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِعُ (١)

ومثله لحمد بن أبي زركة:

كَأَنَّ صَبِيْنَ بَانَا طُؤُلَ لَيْلِيْمَا يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِيْهَا الْمُقْلَا

(٣) الكعاب: الجارية دأ ثديها للنهود. يقول: طالما رشفت ريق كعاب تلك الدمن فيها وأطالت هي - الكعاب: أي محبوبته - عتاني حتى ألحمتني عن الكلام، فانا أذكر من كان بهذه الدمن وارنحل عنها فيزيد وجدى وشوقى.

(٤) الحجانة: مثل الخلاعة؛ والمالجن: الذي لا يبالي بما يتكلم به، والشرة الحدة

(١) السحاب جمع، ولذلك وصفها بالفر؛ وترقا: هو ترقا، خفف، ورقأت الدمنة. جفت وانقطعت

لَيْسَ الْقِيَابُ عَلَى الرَّكَّابِ وَلَا نَمَّا هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامٍ (١)
 لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ النَّوْيَ جَعَلَ الْحَصَى لِحَفَافِهِنَّ مَفَاصِلِي وَعِظَامِي (٢)
 مُتَلَحِّظِينَ نَسَحُ مَاءَ شَوْوَيْنَا حَذْرًا مِنَ الرَّقَبَاءِ فِي الْأَكْمَامِ (٣)

والنشاط والبطر . والعرام : الشراسة ، وقيل الحثب ؛ قال شيبب بن البرصاء يصف إبلا سميت وحملت الشحوم :

كأنها من بُدُنٍ وإيفــــــــــــــــاز دَبَّتْ عليها عارماتُ الأنهار (١)

يقول - مخاطبا نفسه - : حين كنت شابا لم تبتل بالفراق وما كنت تدري وجد الفراق وعدته بعد ، وكنت تهزأ به لهوا وغفلة واستخفافا ، تمرح في شرك وعرامك غير مبال بما ستلاقيه من الشدائد .

(١) القباب : جمع قبة . والمراد بها : الهوادج واسم « ليس » ضمير الشأن ، والقباب - على الركاب - مبتدأ وخبر ؛ والجملة خبر « ليس » ؛ والركاب : الإبل ؛ وتروى القباب - بالنصب - قال العكبري : من روى القباب بالنصب : جعله خبر « ليس » ويكون المعنى : ليس الذى تعابنه القباب . يقول : ليس هذا الذى تراه هودج الأحبة على الإبل ولكنها الحياة ترحلت عنا ، يعنى أنه يموت بعد فراقهن .

(٢) النوى : البعد ، والضمير فى خفافهن : للركاب - الإبل - وأراد أخفافهن ، لأن خفف البعير يجمع على أخفاف ؛ والحفاف : جمع الحفف ، اللبوس ، فوضع أحدهما موضع الآخر تجوزا . يقول - تمنيا - : ليت الذى خلق الفراق جعل أعضائى لأخفاف الإبل التى تحملوا عليها حصى حتى تطأنى بأخفافها .

(٣) متلاحظين (٢) . حال من فاعل « نسح » قدمت على العامل فيها وهو نسح ؛ ونسح : نسكب . والشؤون : جمع شأن ، مجرى الدمع من الرأس . وفى الأكمام : متعلق بنسح . يصف حاله وحال الحبيبة لدى الوداع ، يقول : كانت الحبيبة تنظر إلى وأنا

(١) الأنبار جمع نبر ؛ وهو دويبة . شبيهة بالقراد إذا دبت على البعير تورم مدهما . والبدن والبدن : السمن والاكتناز ، وإيفار : مأخوذ من الشيء الوافر - وروى : وإبقار - يريد أنها قد أوقرت من الشحم . يقول : من سمنها ووفور شحمها ، كأنما لسعتها الأنبار فورمت جلودها .

(٢) متلاحظين : رواء الواحدى هكذا على التثنية ، وقد رواها العكبري على صيغة الجمع .

أَرْوَاحًا أَنهَمَلْتُ وَعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَعْدِ مَا فَطَرَتْ عَلَى الْأَقْدَامِ (١)
 لَوْ كُنَّ يَوْمَ جَرَيْنِ كُنَّ كَصَبْرِنَا عِنْدَ الرَّحِيلِ لَكُنَّ غَيْرَ سِجَامٍ (٢)
 لَمْ يَنْزُ كَوَالِي صَاحِبًا إِلَّا الْأَسَى وَذَمِيلَ دِغْبَلَةَ كَفَحَلِ نَعَامٍ (٣)
 وَتَعَذَّرُ الْأَحْرَارِ صَبْرَ ظَهْرَهَا إِلَّا إِلَيْكَ عَلَى فَرْجِ حَرَامٍ (٤)

أنظر إليها لدى الوداع ، وكلانا قد غلبه البكاء فستره بكاء خوفنا من الرقباء . والأكام : جمع كم ؛ والكم : الثوب مدخل اليد ومخرجه . والذي في العكبري : الآكام بدل « الأكام » والأكام : جمع أكمة ؛ وهي التل ، والأكام أقرب .

(١) انهملت : انسكبت . يقول : ليست الدموع - التي أجريناها - بدموع ولكنها أرواحنا جرت على أرجلنا ، ثم تعجب من الحياة بعد انسكاب هذه الأرواح ونفادها ، وفي مثل هذا المعنى يقول القائل :

وليس الذي يجري من العين ماءها ولكنها رُوحى تَذُوبُ فَتَقَطُرُ
 (٢) سجام : غزيرة كثيرة . يقول : لو كانت دموعنا في اليوم الذي جرت فيه - أى يوم الرحيل - مثل صبرنا في ذلك اليوم لكانت قليلة ، لكنها كانت سجاما غزيرة ، يخبر عن قلة صبره وكثرة دموعه ، هذا : و « كن » الثانية زائدة ، والعرب قد يجعل الكون زائدا في الكلام ، وكثير من النحويين حملوا قوله تعالى « كيف تكلم من كان في الهدى صبيا » على زيادة « كان » وأنشد الفراء :

سراة بنى أبي بَكْرٍ تَسَامَى عَلَى كَانِ الْمَسُومَةِ الْعِصْرَابِ (١)
 و « كان » في هذا البيت زائدة بلاخلاف .

(٣) الضمير في يتركوا : للراجلين ؛ والأسى : الحزن . والذميل : ضرب من السير سريع . والدغبلية : الناقة السريعة . وأراد بفحل النعام : الذكر . يقول : رحلوا وتركوني وحيد لم أصاحب بعدهم إلا الحزن وجدأ عليهم وسير ناقة كالظلم في عدوها وسرعنها في الفلوات

(٤) يقول : تعذر وجود الأحرار - أى الكرام - حرم على ركوبها - أى الناقة إلا للقصديك ، لأنك الحر الذي يستحق أن يقصد ويزار ، فأنا أتجنب ركوبها إلا إليك كما أتجنب قرجاً حراماً على إتيانه - معنى الزنا - وهذا من قول أبي نواس :

(١) المسومة : العملة بعلامة لتترك في المرعى ، أو هي من قولك : سومت فلانا :

أَنْتَ الْغَرِيبَةُ فِي زَمَانِ أَهْلِهِ وَوَلِدَتِ مَكَارِمَهُمْ لِغَيْرِ تَمَامٍ^(١)
أَكْثَرَتْ مِنْ بَذْلِ التَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ
عَلَمًا عَلَى الْأَفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ^(٢)
صَغُرَتْ كُلُّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرَتْ عَنْ
لَسْكَأَنَّهُ وَعَدَدَتْ سِنَّ غُلَامٍ^(٣)

وَإِذَا الْمَطَىٰ بِنَا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا فَظَهَرُوهُنَّ عَلَى الرَّجَالِ حَرَامُ
وَأَخَذَهُ مَهْيَارُ الدَّيْلِيِّ فَقَالَ :
يَا نَاقُ وَيَحْكُ عَجَلِي تَصِلِي هَذَا الْمَنَىٰ فَلْيَهْنِكِ الطَّلَبُ
فَإِذَا وَصَلَتْ بِنَا قِيَابَ قَبَا لَا مَسَّ ظَهْرَكَ بِمَدَهَا قَتَبُ
وهو معنى قديم متداول .

- (١) الغريبة : اسم لما يستغرب ؛ والناء فيه : للاسمية - كما في عجيبة ونحوها -
وعبارة الواحدى المساء في « الغريبة » للمبالغة ، لا للتأنيث ، كما يقال راوية
وعلامة : وقال التبريزي : أنت أعجوبة غريبة . كما تقول داهية دهباء ، ويقال ولد
اللولود لتمام ؛ وتمام : بالكسر وبالفتح . يقول : أنت غريبة هذا الزمان لأن أهله كلهم
ناقصو المكارم وأنت تام الكرم بينهم .
- (٢) النوال : العطاء والعلم : العلامة التي يعرف بها الشيء . يقول : لم تزل يعرف
بك الإفضال والإنعام : أى لم تزل منعما مفضلا ؛ وعبارة بعض الشراح : أى أن
الإفضال والإنعام يتعرفان بك ويهتدى إليهما بأفعالك ، فأنت كالعلامة لهما .
- (٣) يقول : إن كل فعلة كبيرة صغرت بجانب أفعالك العظام ، لأن أفعالك أكبر
منها ، وكبرت عن أن تشبه بشيء ، فيقال كأنك كذا وأنت مع ذلك شاب لم تبلغ
الحسنة بعد ، وهو أشرف لك وأمدح . وعبارة بعض الشراح : أى صغرت الأفعال
الكبيرة بأفعالك ، لأن أفعالك أكبر منها ؛ وكبرت عن أن تشبه بغيرك لأنك لم
تدع لأحد مزية عليك . مع أنك إذا عدت أيامك لم تتجاوز سن الغلام . هذا :

إذا خليت وسومه . أى وما يريد ؛ والعراب التي ليس فيها عرق هجين ؛ وتسامى -
بمحذوف إحدى التامين - أى تتسامى ؛ من السمو ؛ وهو العلو . يقول : سراًها
تختال على تلك الحيلول .

وَرَفَلْتَ فِي حُلْلِ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا عَدَمُ الثَّنَاءِ نِهْيَاةُ الْإِعْدَامِ (١)
 عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الْوَعَى مَا يَصْنَعُ الصَّمْصَامُ بِالصَّمْصَامِ (٢)
 إِنْ كَانَ مِثْلَكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِسْلَامِ (٣)
 مَلِكٌ زَهَتْ بِمَكَانِهِ أَيَّامُهُ حَتَّى أَفْتَخَرْنَ بِهِ عَلَى الْأَيَّامِ (٤)

واللام من «لكانه» : للتوكيد ، وأراد قول القائل لكانه فلان أو كانه الأسد أو البحر ، حذف خير «كأن» لأنه أراد مطلق التشبيه ، واستغنى عن ذكر اقول بالحكاية . وقال العكبري : وقد أدخل «لام التأكيد» على «كأن» وهو قليل جدا ، والقياس لا يمنع منه ، لأن «كاف» التشبيه تكون في صدر الكلام : وقولك كأن زيدا عمرو : مؤد عن قولك كهمر و زيد ، فجاز دخول اللام على الكاف ، كما جاز في قولك لزيد أفضل من بكر .

(١) رفل رفل في ثيابه رفلا : إذا أطالها وجرها متبخرآ فهو رافل ، ورفل رفلا ؛ فهو رفل خرق - حمق - باللباس وكل عمل ، أنشد الاصمعي :

* فِي الرَّكْبِ وَشَوَاشٌ وَفِي الْحَى رَفْلٌ *

«الوشواش : الخفيف السريع» الحلل : جمع حلة ، قالوا : ولا تكون الحلة لإثوبين . وقال ابن شميل : الحلة القميص والإزار والرداء . والإعدام : الفقر . يقول : إن عليك من الثناء حللا تبخر فيهن - يريد ثناء الشعراء والمادحين عليه بما أغدق عليهم من نعمه - ونهاية الإعدام - الفقر - هو عدم الثناء لعدم اثره ؛ وعبارة بعض اشعراج : كأنه يشير إلى ما كسبه من الثناء بجوده : أى أنه أنفق ماله على الشعراء والمادحين ، فكان بذلك هو الثرى لأن ثناءهم باق والمسال يغدو ويروح :

(٢) ترى : أراد أن ترى ، حذف «أن» وقوله بسيف : أى مع سيف والوعى : الحرب . والصمصام السيف ، وهو الصارم - القاطع - الذى لا ينبو عن الضريبة ، يقول : أنت سيف في حدثك ومضائك فلا حاجة بك إلى السيف .

(٣) «كان» الأولى ناقصة ، والثانية تامة ، بمعنى وجد ، وهى خبر الأولى ، و«أوهو كائن» . عطف على الخبر . وقوله فبرئت الخ : قسم . يقول : لم يكن مثلك ولا يكور ، قال الواحدى : هذا من المدح البارد الذى يدل على رقة دين وسخافة عقل وهو من شعر الصبا - إذ قال المتنبي هذه القصيدة في صباه .

(٤) يقال زهى الرجل فهو مزهو : إذا تكبر وتاه . فكان حقه أن يقول زهيت

وَتَخَالَهُ سَلَبَ الْوَرَى أَحْلَامُهُمْ مِنْ حِلْمِهِ فَمَهُمْ بِلَا أَحْلَامٍ (١)
 وَإِذَا أَمْتَحَنْتَ تَكَشَفَتْ عَزَمَاتُهُ عَنْ أَوْحَدِي النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ (٢)
 وَإِذَا سَأَلْتَ بِنَانَهُ عَنْ نَيْلِهِ لَمْ يَرْضَ بِالْدُنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ (٣)
 مَهْلًا إِلَّا اللَّهُ مَا صَنَعَ الْقَنَا فِي عَمْرٍو حَابٍ وَضَبَّةٍ الْأَغْتَامِ (٤)

إلا أنه جاء به على لغة طيء في قولهم بقى في بقى ، كذلك قال زهى في زهى فسكن الياء فلما دخلت تاء التانيث سقطت الياء الساكنة ، وقال ابن منظور : قال ابن سيدة : وقد زهى الرجل على لفظ مالم بسم فاعله وللمعرب أحرف لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل ، مثل زهى الرجل ، وعنى بالأمر وتجت الشاة والناقة وأشباهاها ، وحكى ابن دريد : زهازهو زهوا : أى تكبر ومنه قولهم : ما أزهاه ؛ وليس هذا من زهى ، لأن مالم بسم فاعله لا يتعجب منه ، قال الأحمر النحوى يهبو العتي والبيض ابن عبد الحميد .

لنا صاحبٌ مُولعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَا قَلِيلُ الصَّوَابِ
 أَلْبَجُ بَلَجًا مِنْ الْخُلْفِيسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غَرَابِ

قال الجوهري : قلت لأعرابي من بنى سليم : ما معنى زهى الرجل ؟ قال أعجب بنفسه ، قلت : أتقول زها إذا افتخر ؟ قال : أما نحن فلا نتكلم به . يقول : افتخرت بك الأيام على الأيام التى مضين ولم تكن فيهن .

(١) تخاله : تظنه . والورى : الخلق ، والحلم : الأناة والعقل ، ومن حلمه : أى من أجل حلمه . يقول : لرجاحة حلمه على أحلام - عقول - الناس كأنه أخذ أحلامهم فضمها إلى حلمه .

(٢) تكشفت : ظهرت ؛ وأراد بالأوحدى : الأوحد ، فزاد الياء للمبالغة . وأصل الإبرام : قتل الجبل ونحوه ، والنقض ضده . يقول : إذا اختبرته ظهرت لك عزائمها صادرة عن رجل لا نظير له في عزماته إن أبرم أمرا أو نقضه .

(٣) البنان : أطراف الأصابع . والنيل : العطاء . والذمام هنا : الحق ؛ ونصب « قضاء » : على الحال ، ويجوز أن يكون مفعول « يرض » وبالذميا : صلته . يقول : إذا طلبت عطاءه فأعطاك الدنيا كلها لم يرض بها في قضاء حقتك .

(٤) مهلا : مفعول مطلق نائب عن فعله : أى امهل مهلا : وألا : استفتاح ؛ وله : كلمة تعجب . والقنا : الرماح وقوله في عمرو وحاب : أراد عمرو بن حابس - بطن من أسد - فرخم المضاف

إليه؛ قال الواحدي: وذلك غير جائز، لأن الترخيم حذف يلحق أواخر الأسماء في النداء تخفيفاً، والكوفيون يميزونه في غير النداء وينشدون:

أَبَا عُرْوَةَ لَا تَبْعَدْ فُكْلُ ابْنِ حُرَّةٍ سِيدُ عُوهُ دَاعِي مَوْتِهِ فَيُجِيبُ^(١)

والبصريون ينكرون هذه الرواية وينشدون أبا عرو؛ وقال المصعبى: ذهب أصحابنا - يريد الكوفيين - إلى جواز ترخيم المضاف، وأوتقوا الترخيم في آخر الاسم للمضاف إليه. وحجتهم: أنه قد جاء في أشعار العرب القدماء، كقول زهير بن أبي سلمى:

خُذُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكْرَمٍ وَأَحْفَظُوا

أَوَاصِرَنَا وَالرَّحِمُ بِالغَيْبِ تَذْكَرُ^(٢)

وقد جاء الترخيم في قول جرير:

أَلَا أَضَحَّتْ حِبَالُكُمْ رِيَامًا وَأَضَحَّتْ مِنْكَ شَاسِعَةٌ أَمَامًا^(٣)

(١) عرو مرخم: عروة، ولا تبعد: أى لا تهلك؛ وهو دعاء خرج بلفظ النهي. فإن قيل: كيف قال لا تبعد وهو قد هلك؟ فالجواب: أن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت، ولم في ذلك غرضان: أما أولهما فهو أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل، وكأنهم لا يصدقون بموته. والثانى أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا ينسى، لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته. وقوله: فكل ابن حرة: أراد فكل ابن امرأة.

(٢) من آيات قالها زهير لبني سليم، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان. والحظ: النصيب. يقول: صونوا حظكم من صلة القرابة، ولا تفسدوا ما بيننا وبينكم من القرابة فإن ذلك مما يعود مكروهه عليكم، وعكرم: ترخيم عكرمة وآل عكرمة هم بنو عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان مضر، والأواصر: جمع أصرة، وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف. والرحم: موضع تكون الولد، وتخفف بسكون الحاء مع فتح الراء وكسرها، ثم سميت القرابة والوصلة مع جهة الولاء: رحم، فالرحم خلاف الأجنبي، وهى مؤنثة فى اللعنين.

(٣) قال الأعمى: الرمام: جمع رميم، وهو الخلق البالى. يريد أن جبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطعت للفراق الحادث بينهما، وقال غيره: الرمام جمع رمة - بالضم - وهى القطعة البالية من الجبل، وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير.

لَمَّا نَحَكَمَتِ الْأَسِنَّةُ فِيهِمْ جَارَتْ وَهْنٌ يَجْرُونَ فِي الْأَحْكَامِ (١)
 فَتَرَكَتَهُمْ خَلَالَ الْبُيُوتِ كَأَنَّهَا غَضِبَتْ رُؤُوسُهُمْ عَلَى الْأَجْسَامِ (٢)
 أَحْجَارًا نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ وَنُجُومٌ بَيِضٌ فِي سَمَاءِ اقْتَامِ (٣)

فهذا ترخيم في غير النداء ، طي من قال يا حار بالكسر وضبة قبيلة مشهورة والأغنام جمع غنم جمع أغتم ورجل أغتم، وغتمى : لا يفسح شيئاً والفتمة عجمة في اللنطق والغم في الأصل : قطع اللبن الثخان ، ومنه قيل للثقل الروح : غتمى ، والغم : شدة الحر والأخذ بالنفس قال الراجز يصف إبلا .

حرقها حَمْضُ بِلَادٍ فَلَّ وَغَمُّ نَجْمٍ غَيْرِ مُسْتَقِلِّ (١)
 * فَا تَكَادِ نَيْبُهَا تُولِي *

أى غير مرتفع لثبات الحر النسوب اليه ، وإلها يشتد الحر عند طلوع الشمري التي في الجوزاء . قال الواحدي : جل هؤلاء أغناماً لأنهم كانوا جاهلين حين عصوحتي فعل ما فعل .

(١) قال العلامة العكبري : يروى اللنية بدل الأسنة ، وليس بشيء ، والأصح الأسنة ، ولهذا قال : وهن ؛ فجمع الضمير في البتداء والخبر . ومزج روى اللنية أراد بها اللنايا ، وليس هو بشيء ، إلا أنى وجدتها في بعض النسخ فذكرتها حتى لا أدخل بشيء على حسب الطاقة .

(٢) الخلل : فرجة ما بين الشيثين ، ونصبه على الظرفية . يقول : غزوتهم في عقر دراهم حتى تركتهم خلال بيوتهم أجساماً بلا رؤوس كأن رؤوسهم قد غضبت على أجسامهم ففارقتها .

(٣) البيض : جمع بيضة ، وهي الخوذة . والقتام : القبار . وأحجار . خبر مبتدأ محذوف : أى هناك أحجار ناس . يصف للمركة وكثرة القتلى . يقول : صارت الأرض دماً وصار مكان الحجارة ناس قتلى فوق تلك الأرض ، وصارت الخوذ نجوماً لامعة في سماء من القبار . وبعبارة أخرى : انتشرت الجثث في ساحة الحرب كالحجارة ، منبثة على أرض من الدم ، وامتلاً الهواء خوذاً تلعب كالنجوم في سماء من القبار .

(١) اللل : الأرض القفرة ؛ وأفلنا : أى صرنا . في فل من الأرض سؤمونه يقال فلان فل من الخير : أى خال من الخير .

وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فَلَانَ كُنْيَةً حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الْإِيْتَامِ (١)
 عَهْدِي بِمَعْرَكَةِ الْأَمِيرِ وَخَيْلُهُ فِي النَّقْعِ مُحْجَمَةٌ عَنِ الْإِحْجَامِ (٢)
 يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ مَنْ رَامَ أَنْ يَبْقَى مَنَالِكَ رَامَ غَيْرِ مَرَامٍ (٣)
 صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودِعٍ
 وَسَقَى قَرَى أَبُوَيْكَ صَوْبَ غَمَامٍ (٤)

(١) وذراع : عطف على قوله أحجار ناس ؛ وحالت : تحولت وتغيرت . يقول هناك أحجار ناس وهناك ذراع كل أبي فلان : أي ذراع مقطوعة من رجل كان يكنى أبافلان ، فلما قتل حالت كنته فصار صاحب تلك الكنية يقال له أبو الأيتام ، لأن بنيه صاروا يتامى بهلاكه . هذا : وقد نصب كنية - كما قال الواحدى - على الحال من أي فلان وتقديره كل أب لفلان ، لأن كل إذا كان واحداً في معنى جماعة لا يكون إلا نكرة ، كما تقول كل رجل وكل فرس ، وهذا كما يقال : رب واحد أمه لقيت ، ورب عبد بطنه ضربت ، على تقدير رب واحد لأمه ، ورب عبد لبطنه والإضافة يراد بها الانفصال . وقال ابن جنى : ويجوز نصبها بأعني

(٢) وخيله : محجمة ، مبتدأ وخبر ، والجملة : حال صلت مسدخبر عهدي . وروى وخيله - بالجذر - عطفاً على معركة ، ومحجمة ، بالنصب على الحال ، والنقع : الغبار ، والإحجام التأخر . يقول : لم أعهد معركة إلا على هذه الحال ، نخيله مقدمة بدأت تأخر عن التأخر : أي تأنف من الرجوع فلا تقدم عليه .

(٣) رام : طلب ؛ ومنالک . أي غايتك التي تنالها . يقول : من طلب أن يبلغ غايتك فقد طلب أمراً لا مطلب فيه : أي لا يفوز طالبه . وهذا البيت منحول في الصحيح ؛ لم يروه الواحدى ، لأن سيف الدولة لم يلقب بهذا اللقب إلا سنة ثلاثين وثلاثمائة : لقبه به للثقي العباسي ، والقصيدة نظمت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

(٤) الصلاة من الله : الرحمة والبركة . وصوب الغمام : المطر . يدعو له بالصلاة ولأبويه بالسقيا . وقوله غير مودع : حال . قال الواحدى : وقول الناس عند التوديع غير مودع معناه أنا معك قلباً وإن فارقت شخصاً . ويجوز أن يكون من جهة الفأل ؛ ذكره كلاحتراس لمكان ذكر أبويه وهما قدماتا : أي وأنت حتى لا يودعك أهلك . ويجوز أن يكون المعنى : أن روحي صحبتك فأنت مشيع غير مودع .

وَكَسَاكَ ثَوْبَ مَهَابَةٍ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَرَاكَ وَجْهَ شَقِيهِكَ الْقَمَمَقَامِ (١)
 فَلَقَدْ رَمَى بِلَدِّ الْعَدُوِّ بِنَفْسِهِ فِي رَوْقِ أُرْعَنِ كَالْفِطْمِ لُهَامِ (٢)
 قَوْمٌ تَفَرَّسَتْ الْمَنَائِيَا فِيكُمْ فَرَأَتْ لَكُمْ فِي الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامِ (٣)
 تَأَلَّهَ مَا عَلِمَ أَمْرًا لَوْلَاكُمْ كَيْفَ السَّخَاءُ وَكَيْفَ ضَرْبَ الْهَامِ (٤)

وقال ، وقد تُحَدَّثُ بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه يمارض سيف الدولة في الدرب وسأله أن ينجده ببطارقه وعدده وعُدده ، ففعل ؛ فخاب ظنه ، أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وهي آخر ما أنشده بحلب :
 عُمِّيَ الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعَى نَدَمٌ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمِ (٥)

(١) القمقام : السيد الكثير الخير الواسع الفضل ، وأصله البحر ، لأنه مجتمع الماء ، من قولهم ققم الله عصبه : أى جمعه وقبضه ، وأراد بشقيقه : أخاه ناصر الدولة .

(٢) روق الجيش : أوله ومقدمته ، وأصله القرن ، فاستعاره . والأرعن : الجيش المضطرب لكثرة وانطم : البحر الكثير الماء ، والهام : الجيش الكثير يلتمهم كل شيء . يقول : إن أخاك قد رمى بلد العدو وحده ولم يكن معه من أهله أحد ، وهو قائد جيش يلتمهم كل شيء ولا يخشى شيئا .

(٣) تفرست : تأملت . والمنايا : جمع منية : اللوت . يقول : أنتم قوم تأملتكم للمنايا وخبرتكم فرأتكم في الحرب صبرا كراما ، وإذا صبروا في الحرب كانت للمنايا إليهم أسرع . قال العكبرى : وكان الوجه أن يقول فيهم : فرأت لهم ، كما تقول أنتم قوم لهم وفاء ، ولكنه حمله على المعنى ، لأنه إذا خاطبهم بالكف كان أمدح .

(٤) الهام : الرءوس . يقول : منكم استفاد الناس البذل والشجاعة ولولاءتم لما عرفا .

(٥) العقى : العاقبة ؛ وطى : متعلقة . يمين . يقول : من حلف على أن عاقبة الحرب له — أى أنه ظافر لاعمالة — كانت العاقبة الندم ، لأنه ربما لا يظفر ، والقسم لا يزيد في الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . يشير إلى تمكيد البطريق الذى حلف لملك الروم أنه لا بد أن يلتقى سيف الدولة في بطارقه ويجهتد في لقاءه (٩ — الثاني)

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَأَعِيدُهُ مَادَلَّ أَنَّكَ فِي الْمِعَادِ مِنْهُمْ (١)
آلَى الْفَتَى ابْنُ شُمَشِقِيقٍ فَأَحْنَتْهُ فَتَى مِنَ الضَّرْبِ تُدْنَسِي عِنْدَهُ الْكَلِمَ (٢)
وَقَاعِلٌ مَا اشْتَهَى يُفْنِيهِ عَنْ حَلْفِ عَلَى الْفِعَالِ حُضُورُ الْفِعْلِ وَالْكَرَمِ (٣)
كُلُّ السُّيُوفِ إِذَا طَالَ الضَّرَابُ بِهَا يَمْسُهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّامِ (٤)
لَوْ كَلَّتِ الْحَيْلُ حَتَّى لَا تَحْمَلَهُ تَحْمَلْتَهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الْهَمِيمِ (٥)
أَبْنُ الْبَطَّارِيقُ وَالْحَلْفُ الَّذِي حَلَفُوا بِمَفْرَقِ الْمَلِكِ وَالزَّعْمُ الَّذِي زَعَمُوا (٦)

بهم ففعل غيب الله ظنه ، فذكر المتنبي ذلك يرد عليه ويهجو . وكأنه يقول : لو كنت بمن إذا قال وفي لم تحتاج إلى اليمين . وماذا يزيدك : يروي « ماذا يفيدك » .

(١) في اليمين : خبر مقدم عن الموصول - في الشطر الثاني - يقول : إذا حلفت على مآتمه من نفسك دلت اليمين على أنك غير صادق فيما تعده لأن الصادق لا يحتاج إلى اليمين .

(٢) آلى : حلف . وابن شمشقيق : بطريق الروم . وأحنته : الجأء إلى الحنت ، وهو نقض الحلف في اليمين . والكلم : الكلام . يقول : أقسم بطريق الروم أنه ظافر بسيف الدولة فاضطره إلى نقض يمينه فق - يعني سيف الدولة - أراه من شدة الضرب ما أذهله عن قسمه وأنساه كلامه ووعده .

(٣) فاعل : عطف على قوله فتى . وما اشتهى : مفعول فاعل . والفعال : جمع فعل . يقول : وأحنته رجل يفعل ما يريد لأنه ملك لا معارض له . ويفنيه عن القسم على ما يفعله حضور فعله وكرمه : أي أنه موثوق بقوله لكرمه . وفعله ما يريد حاضر عاجل فلا يحتاج إلى أن يقسم على ما يريد فعله .

(٤) الضراب : أي المضاربة ؛ والسام : الضجر ، وهو فاعل « يمسها » . يقول : كل السيوف إذا ضرب بها كلت ونبت إلا هذا السيف ، فإنه مهما ضرب به لا يسأم مقارعة الأبطال .

(٥) يقول : لو عجزت الحيل عن حمله إلى أعدائه لساير إليهم بنفسه ، لأن همته لا تدعه يترك القتال . وقوله « حتى لا تحمله » - بحذف إحدى التاءين - : أي تتحمله ، قال ابن جنى : الاختيار فيه الرفع : لأنه فعل الحال من « حتى » كأنه قال : حتى هي غير متحملة له ، والنصب جائز على معنى إلى أن لا تحمله :

(٦) البطريق : القائد من الروم ؛ ومفرق الملك : يريد رأسه ؛ والملك : لغة في

وَلِي صَوَارِمَهُ إِكْذَابَ قَوْلِهِمْ - فَهِنَّ أَلْسِنَةٌ أَنْفَوَاهَا الْقِيمَمُ (١)
 نَوَاطِقُ مُخْبِرَاتٌ فِي جَمَاجِمِهِمْ - عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا (٢)
 الرَّاجِعُ الْخَيْلُ مُخْفَاةٌ مُقَوَّدَةٌ - مِنْ كُلِّ مِثْلِ وَبَارٍ أَهْلَهَا إِرْمٌ (٣)
 كَتَلٌ بِطَرِيقِ الْمَغْرُورِ سَاكِنَهَا - بَانَ دَارَكَ قِنْسَرِينَ وَالْأَجَامُ (٤)

الملك : يقول : أين ذهبوا وأبن يمينهم التي أقسموها برأس مليكمم أن يعارضوا سيف الدولة وما زعموا من أنهم يشبتون على قتاله ويظفرون به ، والزعم كناية عن الكذب يعني أن كل ذلك كان كذبا .

(١) وليته الأمر تولية فتولاه : أي باشره . والصوارم : السيوف القواطع : والقيم جمع قمة ، وهي الرأس ، يقول : ولي سيف الدولة سيوفه أن تكذبهم فيما ادعوا من الصبر على القتال ، فكذبهم سيوفه بقطع رؤوسهم وجعلها - أي السيوف - كالألسنة تعبر عن تكذبهم ؛ ولما جعلها السنة : جعل رؤوسهم كالأفواه ، لأنها السيوف - تتحرك في تلك الرؤوس تحرك اللسان في الفم ؛ وهو تخيل بديع رائع .

(٢) نواطق : نعت السنة ، أو خبر عن محذوف ضمير الصوارم . وهذا البيت تفسير للمصرع الثاني من البيت السابق . يقول : إذا وقعت هذه السيوف في جماجمهم أخبرتهم عن سيف الدولة بما علموا من إقدامه وشجاعته وصبره في الحرب ، وبما جهلوا منه ، لأنهم لم يعرفوا ما عنده من البأس تمام المعرفة .

(٣) الراجع : بمعنى المرجع ، وهو خبر عن محذوف ضمير سيف الدولة . يقول : هو - سيف الدولة - الذي يرد الخيل عن غزوانه وقد حفيت من كثرة اللقى ، يقودها فرسانها قودا راجعا بها من كل بلد قد صيره مثل وبار في الخراب ، وأهلك أهلها وأبادهم فصاروا مثل قوم إرم . وليس يريد أن « بار » كان أهلها إرم ، وإنما يريد أن الديار التي ردها خيله كانت كوار خرابا ، وأهلها كإرم هلاكا . وبار : مدينة قديمة الخراب ؛ قيل كانت من مساكن عاد : أي من كل مدينة مثل وبار ، وإرم : جبل من الناس هلكوا في قديم الدهر يقال إنهم من عاد .

(٤) تل بطريق : بلد بالروم ؛ وقنسرين : كورة بالشام بالقرب من حلب ؛ ويقال لها أيضاً قنسران : من ألزمها اليباء أعربها إعراب مالا ينصرف ومن قال بالواو أعربها إعراب الجمع السالم . هذا ، وقال الجوهري في ترجمة قنسر : وقنسران بلد بالشام - بكسر القاف والنون مشددة تكسر وتفتح - وأنشد ثعلب بالفتح هذا البيت لذكرشة الضبي يرثى بنه :

وظنهم أنك المصباح في حلب
والشمس يفتنون إلا أنهم جهلوا
فلم تبت مروج فتوح ناظرها
والنقع يأخذ حرا أنا وبقيتها

إذا قصدت سواها عاذاها الظلم^(١)
والموت يدعون إلا أنهم وهموا^(٢)
إلا وجيشك في جفنيو مزدحم^(٣)
والشمس تسفر أحيانا وتلتئم^(٤)

سقى الله قميانا ورأى تركتهم بحاضر قنسرين من سبل القطر^(١)

والأجم : مكان بقرب الفراديس ، وهذا تفسير لقوله من كل مثل وبار : يعنى من كل بلد خراب كتل بطريق التي اغترسا كنها بأن دارك بعيدة عنه ، فظن أنك لا تقدر على قطع ما بينك وبينه من المسافة .

(١) ظنهم : معطوف على ما دخلت عليه الباء من قوله بأن دارك : أى واغتروا بظنهم وعادها : انتابها . يقول : واغتروا بظنهم أنك كالمصباح في حلب ، متى فارقتها وبعدت عنها أظلمت ، يريد انتقضت عليك ولايتها وشق أهلها عصا الطاعة .

(٢) هذا كالجواب لهم على ما اغتروا فيه . يقول : ما ظنوه من أنك مصباح حقيقته أنك الشمس التي تم كل مكان بضياؤها وإن كانت بعيدة ، إلا أنهم جهلوا الحقيقة ، وما ظنوه من أنك تستبعد أرضهم قد وهموا فيه وغلطوا إذ لم يعرفوا أنهم بتحركهم إياك إنما يدعون الموت الذي لا يتعذر عليه مكان

(٣) سروج : بلد قرب حران . والناظر : العين : أى كانت غافلة عن قدمك فلم تنتبه له إلا وقد ازدحم الجيش عليها ؛ أو تقول : لم تصبح سروج إلا وخيلك مزدحمة عليها ، جعل الصباح لها بمنزلة فتح الناظر .

(٤) النقع : العبار . وحران : بلد من بلاد ما بين النهرين على بعد من سروج ،

(١) قال ابن برى : صواب إنشاده :

* سقى الله أجدانا ورأى تركتها *

وحاضر قنسرين : موضع الإقامة على الماء من قنسرين . وبعد البيت :

لمعري لقد وارت وضمت قبورهم
أصكفا شداد القبض بالأسل الشمر
يذكر منهم كل خير رأيت
وشر فأنفك منهم على ذكر
يريد أنهم كانوا يأتون الخير ويحتنون الشر ، فإذا رأيت من يأتي خيرا ذكرتهم ،
وإذا رأيت من يأتي شرا لا ينهأ عنه أحد ذكرتهم .

سُحِبَ تَمْرٌ بِحِصْنِ الرَّانِ مُمَسِّكَةً وَمَا بِهَا الْبُخْلُ لَوْلَا أَنَّهَا نِقْمٌ (١)
جَيْشٌ كَأَنَّكَ فِي أَرْضٍ تُطَاوِلُهُ فَالْأَرْضُ لَا أَمَمٌ وَالْجَيْشُ لَا أَمَمٌ (٢)

وبقيتها : ضبطها أبو العلاء المعري بفتح الباء ، وقال : هي مكان كالبطحاء يعرف بقيمة حران ، قال : ولا يجوز أن تضم الباء في هذا الموضع ، لان النقم - وهو الغبار - إذا أخذ حران فقد أخذ بقيتها ، فلا يحتاج إلى ذكره ، أما ابن جنى وجماعة معه فقد رووها بضم الباء ، وقد فسروها بأنها المكان الواسع من الأرض ، وتفسر : من سفور المرأة وهو أن تكشف عن وجهها . يقول : انتشر الغبار وتكاثف حتى بلغ حران وبقيتها - وذلك لعظم الحرب وكثرة الجيش - وحق حجب ضوء الشمس فهي تظهر من خلاله أحيانا ثم تعود فتحجب كأنها الحسنة تفسر أحيانا ثم تعود فتلتهم .

(١) سحب : خبر عن مهذوف يرجع إلى الجيش . وحصن الران : موضع من عمل سيف الدولة . وممسكة : أى بخيلة بالمطر . شبه جيشه بالسحب لكثرة وانتشاره . يقول : تمر هذه السحب بهذا الموضع فتمسك مطرها عنه وليس إمساكها هذا بخلا وإنما هو إشفاق على دياره ، وهذه السحب نقم ، والنقم إنما تصب على ديار الأعداء .

(٢) التاء - في تطاوله - للأرض ، والماء : للجيش : أى تطاول الأرض جيشك : أى تغالبه ط لا . والامم : القرب يقال : أخذت ذلك من أمم أى من قرب ودارى أم داره : أى مقابلتها . وأصله القصد الذى هو الوسط ، والأمم - اليسير ، يقال ما سألت إلا أمما ، وقال زهير :

كأن عيني وقد سال السليل بهم وجيرة ما هم لو أنهم أمم (١)

ريد : أى جيرة كانوا لو أنهم بالقرب منى ؟ يقول : بعدت الأرض فطالت كأنما تطاول أطرافها جيشك الكبير البعيد أطرافه ، فكلاهما طويل بعيد الأطراف لا قرب فيه ، ثم بين هذا بالبيت التالى .

(١) قال ابن برى : ويروى :

وعبرة ما هم لو أنهم أمم *

والسليل : واد واسع غامض ، قال ابن برى : قوله سال السليل بهم : أى ساروا سيرا سريعا . يقول : اهدروا به ، فقد سال بهم . وقوله ما هم : « ما زائدة ؛ و « هم » مبتدأ ، وعبرة خبره أى هم لى عبرة ، ومن رواه « وجيرة ما هم » فتكون « ما » استقمامية . أى أى جيرة هم

إِذَا مَضَى عَـلْمٌ مِّنْهَا بَدَأَ عَـلْمٌ
وَأَشْرَبَ أَحْمَتِ الشَّمْرَى شَكَا مَهَا
وَإِنْ مَضَى عَـلْمٌ مِّنْهُ بَدَأَ عَـلْمٌ (١)
وَوَسَّيْتَهَا عَلَى أَنَا فِيهَا الْحَكْمُ (٢)
حَتَّى وَرَدَن بَسْمَيْنِ بِحَبْرَتِهَا
تَنْشُ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا الْأَجْمُ (٣)

(١) علم الأرض : هو الجبل ؛ وعلم الجيش : الراهية . يقول : كلما مضى جبل من الأرض بدا جبل آخر ؛ وكذلك هذا الجيش : كلما مضت كتيبة منه برأيتها جاءت كتيبة أخرى ، فلا الأرض تنفي ولا الجيش يفرغ . هذا : وقد جاء في أمالي ابن الشجري ما يأتي : قال الخطيب التبريزي : لو قال - المتنبى - وإن مضى عالم لكان أحسن ؛ لأن تكرار العلم كثر في البيت ، قال ابن الشجري : ولو استعمل أبو الطيب ما قال الخطيب لكان قبيحا في صناعة الشعر لأنه أتى بذكر العلم - الذي هو الجبل - مرتين ، فوجب أن يقابله بذكر العلم - الذي هو الراهية - مرتين : وإذا قال مضى عالم : دل على كثرة الجيش ، فكذلك ذكر العلم يدل على كثرة الجيش ، لأن العلم يكون تحته أمير معه جماعة وأما كراهيته لتكرار العلم فقول من جهل ما في التكرار من التوكيد والتبيين إذا تعلق التكرار بعبارة يحرف عطف أو شرط أو غيرها من العلاقات ، وقد جاء في الكتاب العزيز « وإن منهم لفرقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » وأيضا فيه « فاستمتعوا بخلائقهم فاستمتعتم بخلائقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلائقهم » والتكرار في هذا النحو حسن مقبول ، وإذا ورد التكرار في الكتاب العزيز علمت أن التكرار في بيت المتنبى غير معيب ، وإنما يعاب التكرار إذا ورد اللفظ في بيتين أو ثلاثة والمعنى واحد ،

(٢) شرب : عطف على جيش ، أو على علم - الأخير - وهي تجمع شارب : الفرس الضامر . وخيل شرب : ضوامر . والشمرى : يريد الشعرى اليمانية ، نجم يطلع في فصل الصيف ، فهي تعد من نجوم اقيقظ ؛ لأن طلوعها حينئذ يكون مع طلوع الشمس . والشكائم : جمع شكيمة ، الحديدية المعارضة في فم الفرس ؛ والحكم : جمع حكمة ، ما لحاظ من اللجم بالحك . يقول : وخيل حميت حدائد لجمها من حر الشمس حتى جعلت الحكم تسم أنوف الخيل ؛ يعني لشدة الحر أحمت الشمس اللجم حتى صار مكان الحكم مثل الوسم - السكي -

(٣) سمين : موضع . والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلا ، يقول : حتى وردت هذه الخيل بحيرة هذا الموضع وكرعت في الماء فسمع للجمها نشيش في أشداقها لشدة حرارة الحديد . يريد أنها كانت محبأة ؛ فلما أصابها الماء نشت ، ويريد أنها - لسرعها - وردت الماء وشربت بلجمها .

وَأَصْبَحَتْ بَقْرِي هَنْزِيطَ جَائِلَةٍ تَرَعَى الظُّبَى فِي خَصِيبِ نَبْتِهِ اللَّمَمِ (١)
 فَمَا تَرَكَنْ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَأَزَأَ لَهُ قَدَمٌ (٢)
 وَلَا هِزْبَرًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ وَلَا مَهَاءَ لَهَا مِنْ شِبْهٍهَا حَسَمٌ (٣)
 تَرْمِي عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ مَكَامِنَ الْأَرْضِ وَالْفَيْطَانَ وَالْأَكْمَ (٤)

(١) وأصبحت : أى الخيل ، وهنزيط : موضع ببلاد الروم . والظبي : جمع ظبة ، حد السيف ، والظبي : فاعل ترعى ، والجملة : حال من قري . ريد في خصيب منها . واللمم : جمع لمة ، ما أم بالنكب من الشعر . يقول : أصبحت الخيل جائلة بقري هذا المكان للغارة والقتل ، والسيوف ترعى منها في مكان خصيب نبتة الشعور : يعنى رءوسهم وعبارة ابن جنى والواحدى : إن السيوف ترعى في مكان خصيب من رءوسهم فنبت هذا المكان إنما هو اللمم ، يعنى أن السيوف تصل من الروس إلى مكان مثل ما يصل إليه للمال الراعى - المشاة - في البلد الحصيب .

(٢) فما تركن أى الظبي - السيوف - والحلد ضرب من الفأر ليست له عيون قال ابن جنى وكذلك الواحدى : يقول : إن أهل الروم كانوا فريقين فريقا دخلوا المطاير والأسراب كالأر إذا ربت من شيء دخلت جحرها وفريقا توقلوا - صعدوا - في الجبال واعتصموا بها كالبازى يطير علوا ، فجعل من دخل الأسراب خلدًا ذات أعين ، ومن تحصن بالجبال بزاة لها أقدام . لأنه يريد بالفريقين ناسا والمعنى ما تركت السيوف إنسانا دخل المطاير تحت الأرض فصار كالحلد ولا من تعلق برأس الجبل فصار كالبازى إلا أهلكته وعبارة ابن القطاع : « ما تركن من هو في ضعفه وخفاء مكانه كالحلد ، إلا أنه ذو بصر - يعنى إنسانا - ولا تركن من هو كالبازى في ارتفاعه إلا أنه ذو قدم » يعنى إنسانا .

(٣) الهزبر الأسد ، واللبد : جمع لبد ، كقربة وقرب ، وهى زبرة الأسد : أى ما على كتفيه من الشعر . والهياة : البقرة الوحشية توصف بحسن العيون . والحشم : الحدم ، وهى حاشية الرجل العظيم . يقول : ولا تركت السيوف بطلا كالهزبر له مكان اللبد درع ، ولا امرأة حسناء كالمهاة لها خدم من مثلها : يعنى نساء من الأمراء والأشراف .

(٤) الشفرات جمع شفرة ، حد السيف . والباترات . القاطعات . ومكامن الأرض : الخفيات منها . والفيطان : جمع فائط ، المطنئين من الأرض ؛ والأكم : جمع أكمة ، التل . يقول : إنهم لوشك حينهم - هلاكهم - وحلول آجالهم - لم يجدم

وَجَاوَزُوا أُرْسُنَاكَ مُعْصِمِينَ بِهِ
وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرِ لَهْمٍ سَعَةً
ضَرْبَتُهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً
تَجْفَلُ الْمَوْجُ عَنْ لِبَاتِ خَيْلِهِمْ
عَبَّرَتْ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ
وَكَيفَ يَنْعِمُهُمْ مَا لَيْسَ يَنْعَمُهُمْ (١)
وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهْمٍ شَمِّمْ (٢)
قَوْمًا إِذَا تَلَفُوا قَدَمَا فَقَدْ سَلُوا (٣)
كَأَنَّ تَجْفَلُ تَحْتَ الْفَاكِرَةِ النَّعْمُ (٤)
سُكَّانُهُ رَمَمَ مَسْكُونَهَا حُمَّ (٥)

ينفعهم - الحرب ، ولم ينجحهم من القتل ، حتى كأن المواضع التي هربوا إليها من الشيطان والجبال كانت تغدق بهم وترميمهم على حدود السيف .

(١) أرسناس : نهر معروف ببلادهم ، ومعصمين : أى ممتنعين ؛ وأسله أن يستمك الراكب بشيء خوفاً من أن يصرعه فرسه . يقول : قطعوا هذا النهر مستمسكين به ظانين أنه يعصمهم منك ، وكيف يعصمهم ما ليس يعصم منك ؟ لأنك تقطعه وتركبه بالسفن والجسور وراءهم .

(٢) الطود : الجبل . والشمم : العلو والارتفاع . والبيت توکید للبيت السابق . يقول : إن سعة بحارهم لا تصدك عنها ، لأنك تقطعها وإن كانت واسعة ، وارتفاع جبالهم لا يردك عنها ، لأنك تعلوها وتصعدوها .

(٣) الضمير في ضربته : للنهر - وهو أرسناس - وقدماء - أى إقداما - حال يقول : ضربته بصدور خيلك حين عبرته وهى تحمل قوما يرون التلف في الإقدام سلامة : أى لا يهابون التلف ، بل يتهاقنون عليه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

يسستعذبون مناياهم كأنهم لا يياسون من الدنيا إذا قتلوا

(٤) تجفل - فى الصراعين بحذف إحدى التاءين - أى تتجفل ، والتجفل : الإسراع فى الذهاب . واللبات : جمع لبة . أعلى الصدر . و"نارة : الخيل النائرة على العدو ؛ والنعم : المواشى ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل يقول : إن الأمواج تنهزم أمام صدور خيلهم وهى سابحة فتتابع مسرعة كما تنهزم المواشى عند الغارة عليها فتنهزم وتجفل مسرعة .

(٥) تقدمهم أى تقدمهم ، والضمير من « فيه » للنهر والرَّم : العظام البالية . والحُم بوزن صرد : الرماد والفحم ، وكل ما احترق بالنار ، الواحدة حممة . وفى الأثر : إن رجلاً أوصى بنيه عند موته فقال : إذا أُنامت فأحرقونى بالنار ، ثم إذا صرت حمياً فاسحقونى ، ثم ذرونى فى الريح لعلى أضل الله وقال طرفة :

وَفِي أَكْثَمِهِمِ النَّارُ الَّتِي عُيِدَتْ قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضَطَّرِمُ^(١)
 هِنْدِيَّةٌ إِنْ تَصَفَّرُ مَفْشَرًا صَفَّرُوا بِحَدِّهَا أَوْ تَعْظُمُ مَفْشَرًا عَظُمُوا^(٢)
 قَاسَمَتَهَا تَلَّ بِطَرِيقٍ فَكَانَ لَهَا أَنْطَأُهَا وَلَكَ الْأَطْفَالُ وَالْحَرَمُ^(٣)

أشجارك الربيع أم قدمه أم رماد دارس حمه

يقول : عبرت النهر متقدما رجالك فيه وفيها قصدت إليه من ذلك البلد الذي قتلت أهله فصاروا رمما ، وأحرقت مساكنهم فصاروا حمما . وذلك البلد هو تل بطريق .
 (١) وفي أكرمهم : أى أكف أصحاب سيف الدولة الذين ذكروهم في قوله حاملة قوما - وأراد بالنار : السيوف جعل السيوف نارا ، اضطراما وإهلاكا ؛ أولا فيها من البريق واللحمان . يقول : إنها - السيوف - نار كانت مطاعة في كل وقت قبل أن تعبد المجوس النار ، وهى نار تضطرم إلى هذا اليوم : أى تتوقد وتبرق . وقال ابن جنى : يريد سيوفا كالنار في الصفاء والجواهر : وقبل المجوس : يريد أنها قديمة . وعبارة الخطيب التبريزى : يريد بالنار : السيوف ، شبهها بالنار اضطراما وإهلاكا . وعبادتهم السيوف : اشتملهم بها كما يشتمل المسلمون بالصحف والسيحون بالصلب .
 (٢) هندية : أى هى سيوف منسوبة إلى الهند . وقال العكبرى : جزم الشرط ولم يأت له بجواب مجزوم ولا بما يقوم مقامه . والأولى في الشرط والجواب إذا كانا فاعلين أن يكونا مستقبلين ، ويجوز أن يكونا ماضيين : ويجوز أن يكون الشرط ماضيا والجواب مضارعا ، وبالعكس - كهذا « وهو أضعفها ، لأن الشرط إذا أثر في الشرط يريد أن يؤثر في الجواب . وذكر عبد القاهر أن الشرط إذا كان ماضيا والجواب مضارعا جاز فيه الجزم والرفع ، وأنشد بيت زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم^(١)

وهذا قول مردود . لأن سبويه يجعل هذا ضرورة في الشعر ، والشرط معترض ويقول خبر « لا » جواب ، وموضع الضرورة يؤخر الخبر إلى موضع الاعتراض ، ويقدم الاعتراض إلى موضع الخبر ، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله : يقول ؛ ووجه التأخير أن المعنى يقول : لا غائب مالى إن أتاه خليل .

(٣) الماء من « قاسمتها » و« لها » : للنار : أى السيوف ؛ وتل بطريق : مفعول

(١) الخليل : المحتاج للعدم والفقير المختل الحال ، والسغبة : الحاجة . وحرم .

أى ممنوع .

تَلَقَى بِهِمْ زَبَدَ التِّيَّارِ مُقْرَبَةً ١
 دُهُمٌ فَوَارِسُهَا رُكَّابٌ أَبْطَنَهَا ٢
 مِنَ الْجِيَادِ الَّتِي كِيدَتِ الْمَدُورَ بِهَا ٣
 تَتَاجُ رَأْيِكَ فِي وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ ٤
 وَقَدْ تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرْبِ فِي لَجَبٍ ٥
 عَلَى جِحَافِهَا مِنْ نَضْحِهِ رَثِمٌ ١
 مَكْدُودَةٌ بِقَوْمٍ لَا بِهَا الْأَلْمُ ٢
 وَمَا لَهَا خِاتَمٌ مِنْهَا وَلَا شَيْمٌ ٣
 كَلَفْظَ حَرْفٍ وَعَاهُ سَامِعٌ فَهَمٌ ٤
 أَنْ يُبْصِرُوكَ فَلَمَّا أَبْصِرُوكَ عَمَّوْا ٥

ثان لقاسمتها ؛ والضمير من أبطالها : لتل بطريق . يقول : قاسمت سيوفك سكان هذه البلدة - تل بطريق - جعلت أبطالها للسيوف فأهلكتهم وسبيت أنت الأطفال والنساء .

(١) بهم : أى بالأطفال والحرم والزبد : رغبة للوج . والتيار : اللوج الذى ينضح - يرش - والمقربة - فى الأصل - : الخيل المدناة من البيوت ، لكرمها وإعدادها للقارة والجحافل : جمع جفلة ، وهى لى الحافر كالشفة للانسان ؛ والنضح : الرش ؛ والرثم : بياض فى شفة الفرس العليا ، يريد بالمقربة : السفر ؛ جعلها كالخيل للمقربة : يعنى عبر بالسبي الماء وهم فى زوارق تشق زبد الأمواج ؛ ولما سماها مقربة استعار لها الجحافل ، وجعل مالمصق من زبد الماء بها كالرثم فى جحافل الخيل .

(٢) دهم : أى هى - المقربة - دهم ، وفوارسها : مبتدأ ؛ وركاب : خبره ؛ ومكدودة أى مجهودة بسرعة السير - خير آخر عن ضمير « المقربة » ؛ والألم ؛ مبتدأ خبره : يقوم يقول : هى سود - لأنها مطلية بالقار ، وفوارسها تركب بطونها ، لاظهورها ، على خلاف الخيل إذا ركبت ، وهى متمبة فى سيرها ؛ إلا أن ألم هذا التعب ينال من الملاحين لانها هى لأنهم هم الذين يعملون دونها .

(٣) الجياد : الخيل ، والجار والمجرور : خبر آخر عن ضمير « المقربة » والشيم : الأخلاق ، يقول : إن هذه السفن تعد من الخيل التى جعلتها كيدا لأعدائك لأنها تحمل جيوحك إليهم ، إلا أنه ليس لها خالقة الخيل ولاطباعها .

(٤) فى وقت : صلة تتاج ؛ وعلى مجل : بدل من الظرف قبله والمراد بالحرف هنا : الكلمة . يقول : إن هذه السفن مما أحدثه رأيك فى وقت قريب المدة كمدة فهم السامع ذى الفهم كلمة ينطق بها ناطق : أى كانت المدة فى اتخاذها كالمدة التى يستغرقها فهم السامع الفطن حرفا : أى كلمة . قال الواحدى : ويجوز أن يريد الواحد من حروف المعجم بما له معنى : ك «ع» ، من وعيت ، و «د» : من وديت .

(٥) الدرب : موضع ؛ وغداة الدرب : أى غداة اليوم الذى كانوا فيه على هذا

صَدَدْتَهُمْ بِخَيْسٍ أَنْتَ غُرْتَهُ وَسَمَّ رِيْتَهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمٌ (١)
فَكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمْ يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ (٢)
وَالْأَعْوَجِيَّةُ مِلءُ الطَّرِيقِ خَلْفَهُمْ وَالْمَشْرِفِيَّةُ مِلءُ الْيَوْمِ فَوْقَهُمْ (٣)
إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرْبَاتُ صَاعِدَةً تَوَافَقَتْ قُلُلٌ فِي الْجَوِّ تَضْطَدِمُ (٤)

الموضع ؛ وفي لجب : حال من فاعل « تمنوا » واللجب : الصباح واختلاط الأصوات ؛ وبكسر الجيم : نعت للجيش العظيم الذي تختلط أصواته . يقول : أرادوا أن يبصروك في ذلك اليوم ، فلما أبصروك عموا عن الرشد والرأى - أى تحيروا - أو تقول : تمنوا في ذلك اليوم أن يبصروك فلما أبصروك سدت عليهم مذهب الرأى فصاروا من شدة الحيرة كالعميان . وقال الواحدى : عموا : أى غضت هيبتك عيونهم عنك فكأنهم عموا .

(١) الخيس : الجيش . « والفترة » فى الأصل : البياض فى جبهة الفرس ، وقد يراد بها الوجه والطلعة وشريف القوم . والسمرية : الرماح ؛ والغمم : كثرة الشعر وإسباله على الوجه . جعل الجيش كأنه فرس ، وسيف الدولة فى مقدمته كالفترة ، والرماح المشرعة فى أيديهم كالغمم ، لكثرتها وتلززها ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

فَلَوْ أَنَّا شَهِدْنَاكُمْ نُصِرْنَا بِذِي لَجْبٍ أَرَبَ مِنَ الْعَوَالِي

(الأرب - فى الأصل الطويل الشعر الكثيرة ؛ والعوالى : الرماح . واللجب : اختلاط الأصوات ، وذو اللجب : الجيش) .

(٢) يسقطن : أى الجسوم ، والجملة حالية ، يقول : ثبتت أجسامهم أمامك ؛ لأنك لم تترك لهم سبيلا إلى الهزيمة ، فسقطت حولك وانهمزت أرواحهم .

(٣) الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج - فرس كريم كان لبني هلال - وولد فى الصراعين - حال من الضمير فى الظرف ؛ والمشرقية : السيوف ، يقول : إن الخيل كانت خلفهم مائلة الطرق لكثرتها ، وجعل السيوف ملء اليوم ، لأنها تملو فى الجو وتنزل عند الضرب فى الهواء ، فأبنا كان النهار كانت السيوف . وهذا - كما قال الواحدى - مبالغة فى القول ، وإغراق فى الوصف .

(٤) الضربات - بسكون الراء - للضرورة . والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول : إذا توافقت الضربات من الأبطال صاعدة فى الهواء - لأن اليد ترفع للضرب - توافقت رءوس مقطوعة بتلك الضربات متصادمة فى الهواء : يعنى أنهم لا يضربون ضربة

وَأَسْلَمَ ابْنُ شَمْشَقِيقٍ أَلَيْتَهُ (١)
 لَا يَأْمَلُ النَّفْسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ (٢)
 تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْسَانَ سَابِقَةً (٣)
 تَخْطُ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا (٤)

فَلَا سَقَى التَّمِيثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ (٥)
 لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخَصَهُ الرَّخْمُ (٥)

إلا قطعوا بها رأسا ، فالردوس المقطوعة على قدر تلك الضربات ، لا تخطى لهم ضربة عز قطع رأس .

(١) أسلم : ترك ؛ وابن شمشقيق : بطريق من بطارقة الروم : أى قوادم ؛ وألته بينه . وألا : أى أن لا ؛ و « أن » هنا : لتفسير ؛ ولا انثنى : حكاية اليمين ، ويناى يبعد . يقول : ترك بيمينه التى حلف بها وآلى أنه يثبت ولا ينهزم ولا يرجع عنك ، فانهز وأبعد فى الهزيمة ويمينه تسخر منه وتضحك .

(٢) الأقصى : الأبعد : ضد الأدنى - وقد طابق بينهما - والمهجة : الروح . وقوله فيسرق : أراد فهو يسرق ، فرفقه . يقول : لياسه من نفسه لا يامل أن يستتم النفس البعيد - أى الطويل - فهو يقتنم أنفاسه القريبة سرقة من أيدى الأجل .

(٣) عنه : أى عن ابن شمشقيق ، والقنا : الرماح ، والسابقة : الدرع التامة الطويلة والصوب : الانصباب ، والديم : جمع ديمة ، المطر الدائم فى سكون ، وفى أثنائها : أى فى تضاعفها ومطاوئها ، يقول : تمنع الرماح من النفوذ فيه درع سابقة ، وقد تلطخت بالدماء التى تسيل من الأسننة عليها ، وقال ابن جنى : وقع الأسننة فى هذه الدرع كديمة المطر تابعا .

(٤) العوالى : صدور الرماح ، وليس تنفذها : حال ، يقول : إن الرماح تؤثر فى درعه : أى تجرحها ، ولا تنفذها إلى جسمه ، حتى كأن أسنتها أقلام تخط فى القرطاس ولا تؤثر فيه ولا تخرقه .

(٥) التميث : المطر ، وواراه : ستره وأخفاه ؛ ومن شجر : بيان لـ « ما » . وزل عنه : أخطأه ، والرخم : جمع رخمة ، طائر من الجوارح الكبيرة ، يشبه النسور فى الحلقة ، يقول : إنه لما هرب استتر فى الشجر فلم يبصره الفرسان ، ولولا ذلك لقتل وألقى للطير ،

أَلْهِىَ الْمَمَالِكَ عَنْ فَخْرٍ قَفَلْتُ بِهِ شُرْبُ الْمَدَامَةِ وَالْأَوْتَارُ وَالنِّعَمُ^(١)
 مُقْلِدًا فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ ذَا شُطْبٍ لَا تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى مِنْهُمَا النِّعَمُ^(٢)
 أَلَقْتُ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا
 فَلَوْ دَعَوْتَ بِلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمٌ^(٣)
 يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ^(٤)
 نَفَتْ رُقَادَ عَلِيٍّ عَنِ مَحَاجِرِهِ نَفْسٌ يُفَرِّجُ نَفْسًا غَيْرَهَا الْحِلْمُ^(٥)

فكانت تجتمع - الطير - عليه فتوارى شخصه ، ودعا على الشجر الذى أخفاه بأن لا يسقى الماء .

(١) الممالك : أى أصحاب الممالك ، وقفلت : رجعت ، يقول : ألهى الملوك عن مثل هذا الفخر - الذى كسبته فى هذه الغزوة - لهوهم واشتغالهم بشرب الخمر واستماع الغناء .

(٢) مقولدا : حال ، العامل فيها : قفلت ، وذا شطب : أى سيفاً فى منته طرائق ، والضمير فى « منهما » : للشكر والسيف ، يقول : جعلت الشكر شعارك ، وتقلدت فوقه سيفاً تجاهد به أعداء الله ولا شيء يستديم النعم مثلهما ؛ فقله : لاستدام الخ استئناف ، قال الكبرى : هو استئناف وليس بوصف لشكر الله وذا شطب : لأن أحدهما معرفة والآخر نكرة ، والمعرفة لاتوصف بالجملة ، ولا يجمع بين وصف المعرفة والنكرة ، جرى مجرى قولك : مررت بزيد وجاءنى رجل عاقلان : أى هما عاقلان ، لأنك استأنفت الجملة .

(٣) يقول : لكثرة ماقتلت منهم كأن دماءهم صارت تطيعك ، لعلها بأنها لا تمتنع منك كما أردت صفكها ، حتى لو دعوتهم للقتال ولم تضربهم لسالت دماؤهم قبل الضرب إجابة لك .

(٤) يريد بالحادثة : ما يصيب الإنسان من مرض أو زمانة أو غيرها . يقول : إنك تعجل قتلهم فلا تمهلهم أن يموتوا حتف أنوفهم أو يهرؤوا من كبر السن . فهل يكون شيئاً أصحاء الأبدان ؛ وبعبارة أخرى : إنك تفنهم بالقتل فأنت تسابق الحوادث فيهم والموت والهرم ؛ فما ترك منهم أحداً حتى يموت حتف أنفه ولا تدعه حتى يكبر فيهرم ،

(٥) على : اسم سيف الدولة ؛ والمهاجر : جمع محجر ، وهو ما حول العين - يريد جفونه - والحلم : الرؤيا فى النوم . يقول : نفى الرقاد عن عينيه نفس كبيرة لا تسكن

القائمُ المَلِكُ الهَادِي الَّذِي شَهِدَتْ

قِيَامَهُ وَهُدَاهُ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ^(١)

أَبْنُ الْمُعْتَرِّ فِي نَجْدِ فَوَارِسَهَا

بِسَيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ وَالْحُرَمُ^(٢)

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْتِهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَأُ خُتْمُوا^(٣)

وَلَا تَبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاهِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَّ^(٤)

إلى الأحلام ولا ما تزبته من بلوغ الآمال ، لأن مثله في قوة عزمه وبعد مرتقى همته لا يستريح أو يحقق بنفسه وقوة إرادته مقضى عزمته . وقال العكبري : نفى رقاذه عن عينيه كبير همته وقوة عزمه ونفس يفرج عن غيرها النوم والدعة واللهو . ويفرج : تروى يفرج - بالحاء المهملة -

(١) القائم : إما بالرفع - على أنه خبر مبتدأ محذوف : أي هو القائم - وإما بالجر بدلا من « على » . يقول : هو القائم بالأمر يدبرها ويمضيها على وجهها الهادي إلى دين الله ، الذي شاهدت العرب والعجم ومن بدا ومن حضر قيامه بالأمر والحروب ، وهداه في الدين ؛ ولك أن تقول الهادي من هدى اللازم : أي المهتدى .

(٢) عفره : ألقاه على العفر : أي التراب ؛ وكوفان : اسم للكوفة ، وأراد بالحرم : مكة - يقول : هو ابن قتل فرسان نجد وتركهم يتمرغون في التراب وملك الكوفة والحرم . قال الواحدى : يعنى حرب أبيه أي الهيجا للقرامة وإفناءه إياهم وولايته الكوفة وطريق مكة . قال العكبري : وأنت ضمير نجد - بقوله فوارسها - على إرادة الجهة ؛ قال : ويجوز أن يكون الضمير لفرسان العرب ، وهو أجود من أن يعود على نجد .

(٣) يدا : تميز . يقول : متى رأيتهم وظفرت به فلا تطلب بعده كريما ، فلا كريم بعده ، لأنه خاتمة الكرام ؛ إذ هو أسخاهم يداً .

(٤) يريد بشاعره : نفسه ، ثم قال : قد فسد قول الشعر ، فخلق به ألا يسمع ، فالصم حينئذ يحمده حتى يتفادى من سماع مثل هذا الشعر .

وقال يمدح إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، وهى من قوله

فى صباه :

كُنِّي أَرَانِي وَبِكَ لَوْمَكِ الْوَمَا هَمْ أَقَامَ عَلَى فُوَادٍ أَنْجَمًا^(١)
 وَخَيَالُ جِسْمٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى لَحْمًا فَيُنَجِّلُهُ السَّقَامُ وَلَا دَمًا^(٢)
 وَخَفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَهُ يَا جَنَّتِي لَظَنَنْتِ فِيهِ جَهَنَّمَ^(٣)

(١) كفى : دعى واتركى ؛ وأرانى : يريد عرفنى وأعلمنى . ووبك : أصلها وبيك ، مخذفت اللام لكثرة الاستعمال ، وهى كلمة تقال فى مقام التعجب والإنكار ؛ وهم : فاعل أرانى ؛ والياء - فى أرانى - مفعول أول ولومك : مفعول ثان ؛ و«الوما» مفعول ثالث وأنجم أى أطلع وذهب . قال الواحدى : يقال أنجمت السماء : إذا أطلعت عن المطر ؛ وأنجم المطر : أى أمسك ؛ ولا يقال أنجم الفؤاد ، ولا فؤاد منجم ، ولكنه - للتنبي - استعمله فى مقابلة أقام . يقول للعاذلة : اتركى عدلى ، فقد أرانى الهم - المقيم على فؤادى الراحل الذاهب مع الحبيب - أن لومك إياى أحق بأن يلام منى . وطى هذا يكون «الوما» مبنيًا من اللوم ، وأفعل لا يبنى من المفعول إلا شاذًا . وقال قوم : «الوما» من الليم ، وهو الذى استحق اللوم . يقول لها : الهم أرانى لومك أبلغ فى الإلامة واستحقاق اللوم ، وهذا أبلغ فى الشذوذ . وقال الواحدى : المعنى أرانى الهم المقيم على فؤادى الراحل الذاهب مع الحبيب - أن لومك أبلغ تأثيرًا وأشد على وذلك أن المحزون لا يطيق استماع اللوم ، فهو يقول لومك أوجع فى هذه الحالة ، فكفى عنى وفيه نظر إلى قول عمر بن أبى ربيعة :

تَقُولُ وَتُظْهِرُ وَجَدًا بِنَا وَوَجَدَى لَوْ أَظْهَرْتَ أَوْجِدَ

وقال التبريزى : يحتمل المصراع الأول أن يكون مستعنيا بنفسه: أى كفى لومك فإنى أرانى ألوم منك : أى أكثر منك لوما لنفسى ، فيكون «هم» مرفوعًا بابتداء مضمير . أى هذا هم ، أو بفعل : أى أصابنى هم .

(٢) خيال : عطف على «هم» ، جعل جسمه خيالًا ليدل بذلك على دقته ونحوه ، فإن الخيال أيسر لما يتخيل لك لا عن حقيقة . يقول . لم يترك الهوى بجسمى عملا من لحم ودم فيعمل فيه السقام . ونصب «ينحله» لأنه جواب نفي بالفاء .

(٣) وخفوق . عطف آخر على «هم» ، والخفوق والخفقان : اضطراب القلب ، واللهيب : ما التهب من النار ، ويريد بلهيب قلبه : ما فيه من حرارة الشوق والوجد

وَإِذَا سَحَابَةٌ صَدَّ حَبًّا أُبْرَقَتْ تَرَكَّتْ حَلَاوَةَ كُلِّ حُبِّ عَقْمًا^(١)
 يَا وَجْهَ دَاهِيَّةِ الَّذِي لَوْلَاكَ مَا
 أَكَلَّ الضَّنَى جَسَدِي وَرَضَّ الْأَعْظَمَا^(٢)
 إِنْ كَانَ أَغْنَاهَا السُّلُو فَيَأْتِنِي أَصْبَحْتُ مِنْ كِبْدِي وَمِنْهَا مُقَدِمَا^(٣)

وعنى بالجنة : الحبيبة ، يقول : لو رأيت ما في قلبي من حر الشوق والوجد لظننت أن جهنم في قلبي ، وانتقل من خطاب العاذلة إلى خطاب الحبيبة ، والتصمة واحدة ، وإن أراد بالعاذلة الحبيبة لم يكن انتقالا ، ولكن الحبيبة لا تعذل على الهوى إلا ترى إلى قول أبي حية النميري :

عَذَلْتَنِي فِي عَشَقِيهَا أُمَّ عَمْرُو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَاذِلِ الْمَعشُوقِ ؟
 والبيت فيه نظر إلى قول عبد الله بن الدمينه في وداع محبوبته :

عَدَّتْ مُقَلَّتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَاهِلِهَا وَقَلْبِي غَدَاً مِنْ حُبِّهَا فِي جَهَنَّمِ
 (١) الحب : المحبوب . وأبرقت السحابة : أظهرت برقها ، والعقم : شجر مر يقال هو شجر الحنظل ويقال لكل شيء مر : عقم ، استعار للصدود سحابا ، ولما استعار له سحابا استعار له برقا . يقول : إذا ظهرت مخايل الصدود ولاحت لوائحه : زالت حلاوة الحب واستحالت إلى مرارة .

(٢) قال ابن جنى : داهية : اسم التي شبب بها ، وقال ابن فورجه : ليست باسم علم لها ، ولكن كنى بها عن اسمها على سبيل التضجر ، لعظيم ما حل به من بلاؤها : أى أنها لم تكن إلا داهية على ، قال الواحدى : والوجه قول ابن جنى لترك صرفها فى البيت ، ولو لم تكن علما لكان الوجه صرفها . أقول : الوجه ما ذهب إليه ابن فورجه ، وإنما هو كناية عن اسم الحبيبة نزلها منزلة العلم عليها ، فمنعها من الصرف لذلك . يقول لوجه الحبيبة : لولاك ما تسلط الهزال على جسدى ومادق عظمى ، والرض : الدق والكسر ورضاض كل شيء : دقائه ، فالعنى . ضعفت حتى كأني قد كسرت عظامى .

(٣) المدم : الفقير ؛ ذكره فى مقابلة قوله « أغناها » وسلاه وسلاعه سلوا : نسى ذكره وذهل عنه يقول : إن كان السلوقد أغناها عنى فليست تحتاج إلى وصلى ، فقد عدمتها وهدمت كبدى ، لأن هواها أحرق كبدى ، فأنا مدم - فقير - منها ومن كبدى أى أنها سالية عنى وأنا فقير إليها ، وبعبارة بعض الشراح : يريد أنها قد سلبت كبده بمحبنتها ؛ فإن كان السلوقد أغناها عنه حتى لا تحتاج إلى وصله فقد عدم كده وحببته

عُصْنٌ عَلَى نَقْوَى فَلَاةٍ نَابِتٌ شمسُ النَّهَارِ تُثْقِلُ لَيْلًا مُظْلِمًا (١)
 لَمْ تَجْمَعِ الْأَضْدَادُ فِي مُتَشَابِهِ إِلَّا لَتَجْمَعَنَّ لِي لِعَرْمِي مَفْنَمًا (٢)
 كَصِفَاتٍ أَوْجَدِنَا أَبِي الْفَضْلِ الَّتِي بَهَّرَتْ فَأَنْطَقَ وَاصْفِيهِ وَأَفْحَمًا (٣)
 يُعْطِيكَ مُبْتَدِرًا فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ أُعْطَاكَ مُعْتَدِرًا كَنْ قَدْ أُجْرِمًا (٤)

لأنه قد حرهما جميعا : هذا . ومعدما رواها ابن جني « مصرما » والمصرم والمعدم واحد ؛ ومثلهما : المحقق والمناق والبلط والمسر والمقتر والمفلس ، كل أولئك : الذي لا مال له ومن كلام العرب : كلاً تبعج له كبد المضرم ، وهو الذي لا مال له ، يحزن أن لا يكون له إبل كثيرة فيرعيا في هذا السكلاً فأوجعته كبده .

(١) نقوى: ثنية « نقام ، وهو السكيب من الرمل ، يقال في الثنية : نقوان ونقيان ، وسمى السكيب من الرمل نقالاً لأن المطر إذا أصابه نقاه وغسله كما ينقي الثوب بالغسل . والفلاة : المغازة . وثقل : تحمل ، يصف الحبيبية يقول : هي عصن - يعني قامتها - نابت على كثيبي رمل « يعني ردفها » ووجهها شمس النهار تحمل من شعرها ليلامظما . (٢) يريد بالأضداد : ما ذكره في البيت السابق - من دقة قامتها ، وثقل ردفها ، وبياض وجهها ، وسواد شعرها - وهذه - على تضادها - مجموعة في شخص متشابه الحسن . يقول : لم تجمع هذه الأوصاف التضادة في شخص مماثل حسنه إلا لتجعاني هذه الأضداد غنا لعرمي : أي لما لزمني من عشقها وهوها ، يعني إلا لتستعبدني وترتهن قلبي فقوله « في متشابه » أراد شخصها الذي تشابهت أعضاؤه في حسن الخلق وتناسبه ، والفرم : الغرام ، وهو ما لزمه من عشقها وهوها ؛ والمغتم : الغنيمة ، وهو ما يقتنمه الإنسان ؛ وأصله من مال العدو ثم صار في كل ما يصديه الإنسان من كسب أو هبة . ويروي « لم تجمع الأضداد » على إسناد الفعل للحبيبية .

(٣) بهر الشيء : ظهر وغلب بظهوره ، كالشمس تبهز النجوم . شبه هذه الأضداد بصفات المدوح من كونه مرا على الأعداء ، حلواً للأولياء ، طاقاً لدى الندى ، جهماً عند اللقاء - في الحرب - وما أشبه ذلك . وقال : إن هذه الصفات غلبت واصفيا فلم يقدروا على وصفها فأنتطق واصفيه ، لأنهم حاولوا وصفه ووصف محاسنه : ثم أخفهم لعجزهم عن إدراكها ، والإفهام : ضد الإنطاق ، والمفحم : الذي لا يقول الشعر ، وهذا ضرب من التخلص .

(٤) يقول : إنه يتندرک بالعطاء ، فإن سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر إليك عن تأخر عطائه عن سؤالك ، كأنه أتى بجرم - أي ذنب - وهو في الأصل الكسب يقال (١٠ - التنبئ ٤)

وَيَرَى التَّعَظَّمَ أَنْ يُرَى مُتَّوَضِعًا

وَيَرَى التَّوَضُّعَ أَنْ يُرَى مُتَّعَظِّمًا (١)

ذَرَرَ النِّعَالَ عَلَى الْمِطَالِ كَأَنَّهَا خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحْرَمًا (٢)

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَصْنُوعِيُّ جَوْهَرًا

مِنْ ذَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ أُنْمِي مَنْ مِمَّا (٣)

جرم يجرم واجترم : أى كسب ، وهو يجرم لأهله ويحترم : أى يتكسب ويطلب ويحتال ، وجريمة القوم : كاسبهم ، يقال فلان جارم أهله وجريمتهم : أى كاسبهم ، قال أبو خراش المذلى يصف عقابا شبه فرسه بها :

كأني إذ غدوت ضمنتُ بزِّي من العقبان خائفةً طلوبًا

جريمة ناهض في رأس نيق ترى لعظام ماجمعت صليبا (١)

(١) التَّعَظَّمَ : إظهار العظمة ؛ وضده التَّوَضُّعُ ، وهو أن يظهر الضعة من نفسه ووضع التواضع موضع الضعة والحساسة ، كما وضع التَّعَظَّمَ موضع العظمة ، يقول : يرى شرفه وارتفاع رتبته في تواضعه ، وانضاعها في تكبره والمعنى : يرى العظمة فى أن يتواضع ، ويرى الضعة فى أن يتعظم : أى فليس يتعظم

(٢) الفعّال : اسم للفعل الجليل ، والمطال : الماطلة ، وهى المدافعة ، قال الواحدى : ولو قال « المقال » : لكان أحسن ، ليكون فى مقابلة الفعّال ، يقول : نصر فعله على القول ، وعطاءه على المطل : أى يعطى ولا يعد ولا يماطل ، كأنه يظن أن السؤال حرام على العطاء ، ولا يجوز إلى السؤال ، بل يسبق بعطائه السؤال ، قال الواحدى : وهذا على المجاز والتوسع ، لأن العطاء لا يوصف بأنه يجرم عليه شيء ، ولكنه أراد أن يذكر تبعاده عن الإلجاء إلى السؤال .

(٣) أراد بالجوهري : الأُصل والنفس ، وذو الملكوت : هو الله سبحانه وتعالى ، يقول : أيها الملك الذى خلص جوهرها « أى أصلا ونفسا » من عند الله : أى أن الله تعالى

(١) غدوت : أى للحرب . وبزى : أى سلاحى . وخائفة : أى منقضة . يقال خانت العقاب : أى انقضت ، وطلوبا : صفة لخائفة ، وجريمة : بمعنى كاسبة ، والناهض : فرخها ، والنيق : أرفع موضع فى الجبل ؛ والصليب : ودك العظام . يقول عن هذه العقاب التى شبه بها فرسه : إنها تصيد فرخها الناهض ما تأكله من لحم طيرا كلكه وبقى عظامه يسيل منها الودك .

نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لَاهُوتِيَّةٌ ، فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَ (١)
وَيَهُمُّ فِيكَ إِذَا نَطَقْتَ فَصَاحَةً مِنْ كُلِّ عَضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَ (٢)

تولى تصفية جوهره لا غيره ، فهو جوهر مصفى من عند الله تعالى . قال الواحدى وهذا مدح يوجب الوهم . والفاظ مستكرهه فى مدح البشر ، وذلك أنه أراد أن يستكشف المدوح عن مذهبه ، حتى إذا رضى بهذا : علم أنه ردى المذهب بادعائه الألوهية ؛ وإن أنكر : علم أنه حسن الاعتقاد ، لا يرضى بدعوى الألوهية لنفسه . وأسمى من سما : صفة لدى المللكوت - أما ابن جنى فإنه يجعله للمدوح ، لأنه قال : هو منادى ، كأنه قال : يا أعلى من علا . قال : ويجوز أن يكون موضعه رفعا ، كأنه قال : أنت أعلى من علا .

(١) لاهوتية : هى رواية ابن جنى ، قال : ونصبها على المصدر ، ويجوز أن تكون حالا من الضمير فى « تظاهر » . قال الواحدى : وهذا خطأ فى الرواية واللفظ ، لأن النور مذكر فلا تؤنث صفته ، والرواية لاهوتيه ، وتظاهر وظهر : بمعنى ، ويجوز أن تكون بمعنى تعاون : أى أعان بعضه بعضا ، ولاهوتية : إلهية ، وهى لغة عبرانية ، يقولون لله تعالى : لاهوت ، وللإنسان ناسوت ، وقال ابن جنى لو كان عربيا لكان اشتقاقه من اله الذى أدخل عليه الألف واللام فصار مختصا باسم الله تعالى - فى أحد قولى سيبويه - ويكون بوزن الطاغوت ، إلا أن الطاغوت مقلوب واللاهوت غير مقلوب ولو كان عربيا كان وزنه فعلوت بمنزلة الرهبوت والرحموت . يقول : قد ظهر فىك نور إلهى تكاد تعلم به الغيب الذى لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

(٢) يهم : أى النور ، وفصاحة : مفعول له ، وأن يتكلم : صلة « يهم » يقول : ويهم هذا النور الإلهى لظهوره أن يتكلم فىك وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم جعل ظهوره فى كل عضو منه نطقا ، والمعنى : لفصاحتك يفعل النور ذلك فىك . وإليك نص كلام الواحدى : قال : قال ابن جنى : أى يهم كل عضو من أعضائك أن يتكلم بمدحك إذا نطقت لفصاحتك ، وهذا عند من يجوز زيادة « من » فى الإثبات ، وفىك - فى أول البيت - يتعلق بأن يتكلم فى آخره ، وفىك أى فى مدحك ووصفك . قال الواحدى : وليس للمعنى على ما ذكره - أى ابن جنى - من وجهين : أحدهما : أنه جعل ظهور النور فى كل عضو منه نطقا . واللفظ لا يشعر به ، إلا أن يقال : هم به ولم يفعله ، والآخر : أنه لا يكون لقوله « إذا نطقت فصاحة » فائدة ، لأن قوله * ويهم فىك كل عضو منك أن يتكلم * أفاد المعنى المراد ، فبقي ذلك الباقي لقوا ،

أَنَا مُبْصِرٌ وَأُظِنُّ أَيْ نَائِمٌ مَنْ كَانَ يَحْمِلُ بِالْإِلَهِ فَأَحْلُمَا (١)
كَعَبْرَ الْعِيَانِ عَلَى حَتَّى إِنَّهُ صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعِيَانِ تَوْهَمًا (٢)
يَا مَنْ لِحُودِ يَدَيْهِ فِي أَمْوَالِهِ نَقِمَ تَعَوُّدَ عَلَى الْيَقَايِ أَنْعَمَا (٣)

واللغني أنه جعل التطق عبارة عن الظهور ، وكان ينبغي أن يقول هم - بأن يظهر - ولكنه لم يظهر ، لا أنه ظهر النور من جميع الأعضاء بالفعل وقال قوم : لما كان تكلم العضو بالنور الإلهي - أعني به القوة الناطقة - وكان هو اللوجب لنطق اللسان وغيره أضاف الفعل إليه وقال : بهم النور فيك أن يتكلم وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم ، جعل ظهوره في كل عضو منه نطقا ، والغني : لفصاحتك بفعل النور ذلك .

(١) يقول : أنا مستيقظ ولكن لعظم ما أرى منك وغرابته أظن أي في الحلم ؛ ثم عدل عن ذلك وقال : بمن يحلم بالإله حتى أحلم بك ؟ يريد أن يثبت له الألوهية امتحانا ، وعبارة السراح : أنا أبصرك وأظن أي أراك في النوم ، قال هذا استعظاما لرؤيته ؛ وذلك أن الإنسان إذا رأى شيئا يعجبه وأنكر رؤيته قال : أرى هذا حلما ؛ أي أن مثل هذا لا يرى في اليقظة ؛ وهذا كما قال الآخر :

أَبْطَحَاءُ مَكَّةَ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ عِيَانًا وَهَذَا أَنَا

قال الواحدى : استمهم متعجبا بما رأى ؛ ثم حقق أنه رأى ذلك يقظان لا نائما يدل على هذا باقي البيت والغني : لا يحلم أحد برؤية الله تعالى ؛ ولا يراه في النوم أحد حتى أراك أنا ؛ أي كما لا يرى الله تعالى في النوم ؛ كذلك لا ترى أنت قال الواحدى : وهذه مبالغة مذمومة وإفراط وتجاوز حد ثم هو غلط في إنكار رؤية الله تعالى في النوم ، فإن الأخبار قد تواترت بذلك . وقد ذكر للمبرون حكم تلك الرؤيا في كتبهم ، وروى أن ملكا من الملوك رأى في نومه أن الله تعالى قد مات ، فقص رؤياه على للمبرين فلم يتكلموا فيها بشيء استعظاما لما رأى ، حتى قال من كان أعلمهم : تأويل رؤياك أن الحق قدمته في بلدك لظلمك وجورك ، وذلك بأن الله هو الحق ، فعلم الملك أنه كما قال فرجع عن ظلمه وتاب .

(٢) هذا البيت تأكيد لما ذكر في البيت السابق . يقول : قد عظم على ما عاياه من المددوح وحاله حتى شككت فيها رأيت ، إذ لم أر مثله ولم أسمع به حتى صار للعابن كالتنوم المظنون الذي لا يدرك بالعيان ، أي لا يرى .

(٣) يقول : إن جودك يفرق مالك كأنه ينتقم منه كما تنتقم أنت من العدو بإهلاكه ،

حَتَّى يَقُولَ النَّاسَ مَاذَا عَاتِلًا ، وَيَقُولَ بَيْتُ الْمَالِ مَاذَا مُسْلِمًا^(١)
إِذْ كَارُ مِثْلِكَ تَرَكَ إِذْ كَارِي لَهُ إِذْ لَا تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرْجِمًا^(٢)

• • •

غير أن تلك النعم في أموالك نعم على الأيتام لأنها مفرقة فيهم : قال الواحدى : ولو قال: على البرايا لكان أعم وأشمل لأن اليتامى مقصور على صنف من الناس .
(١) ماذا - في اللصراعين « مركبة من « ما » النافية العاملة عمل « ليس » و « ذا » الإشارية . يقول : هو يفرط في جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون ، وحتى يقول بيت المال : ليس هذا مسلما ، لأنه فرق بيوت مال المسلمين ولم يدفع فيها شيئا ؛ ومثل هذا قول أبى نواس :

جُدَّتْ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى قِيلَ مَا هَذَا صَاحِبِ

يُرِيدُ أَبُو نَوَاسٍ : مَا هَذَا صَاحِبِ الْعَقْلِ . وَقَدْ صَرَحَ بِذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ :

جَادَ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى حَسِبُوهُ النَّاسَ حُمُقًا

وَتَبِعَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ ،

مَا زَالَ يَهْدِي بِالْمَكَارِمِ وَالنَّدَى حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ عَمُّومٌ

قال الواحدى : وهذا معنى بارد وقد زاده الطائى فسادا ، وأصل هذا المعنى من قول عبيد بن أيوب الضبرى :

حِرَاءَ تَامِكَةَ السَّنَامِ كَأَنَّهَا جَلَّ بِهَوْدَجِ أَهْلِهِ مَظْمُونٌ

جَادَتْ بِهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ كَلَّتَا يَدَيَّ عَمْرَ الْفِدَاءِ يَمِينُ

مَا كَانَ يُعْطَى مِثْلَهَا فِي مِثْلِهِ إِلَّا كَرِيمٌ الْخَلِيمُ أَوْ مَجْنُونٌ^(١)

(٢) أذكرته كذا : بمعنى ذكرته ، وللترجيم : للمعبر عن الشيء مثل الترجمان . يقول : إن مثلك لا يحتاج إلى إذكار بحاجة ، لأنك تعلمها من غير تكبير ، فلست تحتاج إلى من يترجم لك عما يراد منك ، فيكون ترك الإذكار إذكارا لك . وهذا المعنى من قول أبى تمام :

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْثِي عَلَى الْمِرِّ تَقْضَيْتُهُ بَتَرَكَ التَّقَاضَى

(١) تمك السنام . اكتنز وتزوى ؛ وفي الصحاح : أى طال وارتفع فهو تامك ، وناقاة

تامك : عظيمة السنام .

وقال في صباه :

إِلَى أُمِّي حِينَ أَنْتَ فِي زِيٍّ مُحْرِمٍ . وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمِ (١)
وَأَلَّا تَمَّتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَمًا . تَمَّتْ وَتُقَاسِ الذَّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ (٢)
فَثَبَّ وَاثِقًا بِاللَّهِ وَثَبَّةً مَا جِئِدِ
يَرَى الْمَوْتَ فِي الْمَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فِي النَّفَمِ (٣)

وقال في مـ صباه :

ضَيْفُ أُمِّ بَرِّ أُمِّي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ . وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلًا مِنْهُ بِاللَّمَمِ (٤)

(١) المحرم : من الإحرام بالحج والعمرة ، وزيه العري ، لأنه لا يلبس الخيط .
يقول - لنفسه - : إلى متى أنت عريان شقي بالفقر ؟؟ ويجوز أن يريد أن المحرم لا يصيب
شيئا ولا يقتل صيدا فهو يقول : إلى متى أكف عن قتل الأعداء ؟ قال الواحدى : وهو
الوجه . هذا : و « كم » اسم مبنى على السكون وهو يقع عبارة عن الإخبار وعن
الاستفهام ؛ وهو هنا استفهام ؛ وحركته للقافية لا لالتقاء الساكنين ، قال العكبري : فكأنه
قال : إلى كم التواني ؟

(٢) هذا حدث منه على الحرب والقتال وطلب العز . يقول : إن لم تقتل في الحرب
كريمة غير كريم في الذل والهوان : أى فلأن تصبر على شدة الحرب خير من أن
تبقى ثم لا تنحو من الموت في الذل

(٣) الميجا : من أسماء الحرب . وجنى النحل : ما يجتنى من خلاياها من العسل .
يقول : بادر إلى الحرب بدار شريف يستحلى الموت كما يستحلى العسل .

(٤) أراد بالضيف : الشيب ؛ كما قال الآخر :

أَهْلًا وَسَهْلًا بَضِيفٍ نَزَلْ . وَأَسْتَوِدِعُ اللَّهَ إِنْ لَفَا رَحِلْ

[يريد الشيب والشباب] وألم : نزل . والمحتشم : المنقبض المستحي . واللهم : جمع
لثة ، الشعر الذى جاوز شحمة الأذن وألم بالمنكبين . يقول : إن الشيب ظهر فى رأسه
شامعاً دفعة واحدة من غير أن يظهر فى تراخ ومهلة هذا هو معنى قوله « غير محتشم » ثم
فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب . كما قال البحرى :

إِبْعَدُ بَعْدَتْ بِيَاضًا لَا بِيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلْمِ^(١)

وَدِدْتُ بِيَاضَ السِّيفِ يَوْمَ لَقِينَنِي مَكَانَ بِيَاضِ الشَّيْبِ حَلَّ بِمَفْرَقِي^(٢)
« جعل نزول السيف برأسه أحب إليه من نزول الشيب به » وقال الواحدى :
إنما فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب ؛ لأن الشيب يبيضه وذلك أقبح ألوان
الشعر ، ولذلك حسن تغييره بالحمره ؛ والسيف يكسبه حمرة إذا قطع اللحم . على أن
ظاهر قوله « أحسن فعلا منه باللحم » : يوجب أن الشعر المقطوع بالسيف أحسن من
الشعر الأبيض ؛ لأن السيف إذا صادف الشعر قطعه ؛ وإنما يكسبه حمرة إذا قطع
اللحم .

(١) يقال بعد يبعد بعداً - من باب فرح - إذا ذل وهلك قال ؛ تعالى « ألا بعداً
لمدين كما بعدت ثمود » وقوله بعدت : دعاء وبياضا : تمييز ؛ وعنى بالبياض الأول : بياض
الشيب ؛ وبالثانى : المعانى الحميدة . يريد معنى قول أبى تمام :

له منظرٌ في العين أبيض ناصعٌ ولكنه في القلب أسود أسفعٌ
وقد قال المتنبي في بياض الثلج ما يشبه هذا وهو قوله :

* فكأنها ببياضها سوداء *

والظلم : جمع ظلمة ؛ بمعنى الظلام ؛ ويكون اسماً لثلاث ليال من آخر الشهر . يقول
إن بياض الشيب ليس ببياض فيه نور وسرور وهو أشد سواداً من الظلم ؛ لما يورى به
من حلول الأجل وقطع الأمل . قال الواحدى : وقد ذهب جميع الشراح في قوله *

* لأنت أسود في عيني من الظلم *

إلى أن هذا من الشاذ الذى أجازته الكوفيون في نحو قول الراجز :

* أبيض من أختِ بنى إياض^(٢) *

(١) لقيننى : أى الغوانى المذكورة في البيت قبله وهو :

أجِدْكَ ما وصل الغوانى بِمُطْمِعٍ ولا القلب من رق الغوانى بمعقٍ

(٢) قيل إنه رجز لرؤبة بن العجاج وقوله . .

لقد أتى في رمضان الماضى جارية في دِرْعِها الفضاض

تقطع الحديث بالإيماض أبيض من أختِ بنى إياض

بِحُبِّ قَاتِلَتِي وَالشَّيْبِ تَمْدِيَتِي هَوَايَ طِفْلاً وَشَيْبِي بَالِغَ الْحُلْمِ^(١)

إذا الرجالُ شَتَّوْا واشتدَّ أكلهم فأنْت أبيضهم سِرْبَالِ طَبَاخِ^(١)
وسمعت العروضي . يقول : اسود هبنا : واحد السود ، والظلم : الليالي الثلاث في
آخر الشهر التي يقال لها ثلاث ظلم . يقول : لبياض شبيه أنت عندى واحد من تلك
الليالي الظلم . على أن ابن جنى قد قال ما يقارب هذا ، فقال وقد يمكن أن يكون لأنت أسود
في عيني كلاماناما ، ثم ابتداء يصفه فقال من الظلم ، كما تقول هو كريم من أحرار . وهذا
يقارب ما ذكره العروضي ، غير أنه لم يجعل الظلم : الليالي .
(١) يريد بقائلته : حبيته ، لأن حبها قتله . وبحب قاتلتى : خبر مقدم ؛ وتنديق :

وبعد .

مثلُ الغزالِ زين بالْحُضاضِ قَبَاءَ ذاتُ كَفَلِ رَضْرَاضِ

جارية : فاعل أنى والدرع : القميص ، والفضفاض : الواسع . وأخت بنى أبيض
معروفة بالبياض ، وبنو أبيض قوم . والحضاض : نوع من الحلى والقباء الضامرة البطن
فعلاء من القب وهو دقة الحصر . والرضراض . الكثير اللحم ، والإيماض ما يبدو
من بياض أسنانها عند الضحك والابتسام ، وشبهه بوميض البرق في لمعانه وتقطع الحديث
بالإيماض أى إذا ابتسمت وكان الناس على حديث قطعوا حديثهم ونظروا إلى حسن نقرها
ويحتمل أن تكون هي المحدثه وأنها تقطع حديثها بالتبسم يصفها بطلاقة الوجه وسماحة
الخلق . وقيل المعنى : أنهم إذا تحدثوا فأومضت إليهم - أى نظرت - شغلهم حسن عيניה
فقطعوا حديثهم

(١) من أبيات لطرفة بن العبد هجا بها ملك الحيرة عمرو بن هند . وتروى هكذا
أنت ابنُ هندی فأخبر من أبوك إذا لا يصلحُ الملكُ إلا كل بذاخ
إن قلت : نصر فنصر كان شرفنى قدماً وأبيضهم سربال طباخ
ما فى المعالى لكم ظل ولا ورق ، وفى الخزازى لكم أسفاخ أسفاخ
مع أبيات آخر . قال ابن الكلبي . هذا الشعر منقول وقوله . واشتد أكلهم
أراد بالأكل : القوت ، وهو مضموم الهزمة . أى غلت أسعارهم . ومن روى أكلهم
- بفتح الهزمة - جعل الأكل بمعنى المأكل ، وقد يكون معناه أنهم إذا شربوا لا يجدون
الطعام إلا بعد جهد وشدة وجوع فإذا وجدوه بالتوا فى الأكل . والسربال القميص .

فَمَا أَمْرُهُ بِرِئْسِهِ لَا أَسَائِلُهُ ، وَلَا بَدَاتِ خِمَارٍ لَا تُرِيْقُ دَمِي (١)
تَنَفَّسْتُ عَنْ وِفَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِّعٍ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَمِّمٍ (٢)
قَبْلَتْهَا وَدُمُوعِي مَزَجُ أَدْمِعِهَا وَقَبَّلْتَنِي عَلَى خَوْفٍ فَمَا لِقَمٍ (٣)

مبتدأ مؤخر ، وهوأى وشيبي : قال ابن الشعري : يحتملان الرفع والجر ، فالرفع بأن يكونا مبتدأين ، و«طفلا» ، و«بالغ» حالين سداسد الخبرين ، كما تقول ضربني زيداً جالسا وتقديره : هوأى إذ كنت طفلا ، وشيبي إذ كنت بالغ الحلم . والجر على إبدالها من الحب والشيب ، وحسن إبدال الهوى من الحب إذ كان بعناه ، والعامل في الحالين على هذا القول : المصدران - هوأى وشيبي - والتقدير : تغذيق بحب قاتلتي والشيب بأن هويت طفلا وشبت بالغ الحلم . وقد بين في المصراع الثاني وقت الهبة وقت الشيب . يقول : إن تغذيق بهذين - الحب والشيب - ثم بين ذلك بقوله . هويت وأنا طفل ، وشبت حين احتلمت ، لشدة ما قاسيت من الهوى فصارا غذائي .

(١) الرسم : أثر الديار مما كان لاصقاً بالأرض ، والطلل : ما كان شاخصاً ، والخمار ما غطى به المرأة رأسها . يقول : كل رسم يذكرني رسم دارها ، فأسأله تسلياً ، وكل ذات خمار تذكرنيها ، فتريق «تسيل» دمي أي تقلني .

(٢) المنصدع : المنشق ، والشعب : مصدر بمعنى الفراق من قولهم «شعبته إذا فرقت» والملتئم المجتمع . يقول : تنفست عند الوداع تحسراً على فراقك عن وفاء : يعني عما في قلبها من وفاء صحيح غير منشق ، وفراق غير مجتمع يريد وحزن فراق لحذف المضاف : أي أنها كانت منطوية على وفاء صحيح ، وهم فراق لا يلتئم «لا يجتمع» وكان تنفسها عن هذين . والمعنى : إنا افرقنا بالأجساد «لأبالقلوب» لأنها كانت معي على الوفاء . قال الواحدي : ويجوز أن يريد بالشعب : القبيلة ويكون المعنى : عن فراق شعب غير مجتمع ، لارتحالهم وتفرقهم في كل وجهاً

(٣) يقول : بكيتنا جميعاً حتى امتزجت دموعي بدموعها في حال التقييل ؛ يعني أنهما يقول : إذا دخل فصل الشتاء الذي يمنع من التصرف وانقطعت الميرة وغطت الأسعار واشتد القوت فسربال طبابخك نقي ، للؤمك ، ولو كنت كريماً لا سود ، لكثرة طبخه على ما عهد من سربال الطباخين . ومثل هذا المعنى قول الآخر

ثياب طهاتك عند الشتا بيض تلالاً لا تدرس

وقدرك لم يمزها طارق وكابك من جحر أخرس

والأسناخ جمع سنخ : الأصل

فَذَقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِنْ مُقْبَلِهَا لَوْ صَابَ تَرْبًا لِأَحْيَا سَالِفِ الْأُمِّ (١)
تَرَنُّوْا إِلَى بَيْنِ الظُّبَى مُجْهِشَةً وَتَمَسَّحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَمِّ (٢)

تقاربا حتى اختلطت دموعهما حال التقبيل ، ونصب « لها » على : الحال ، كقولك كلمته فاه إلى في : أى مشافهة ؛ ومزج : قال الواحدى مصدر بمعنى المزاج « ما يمزج بالشىء » سمى به الفاعل . يقول : دموعى مازجة دموعها : أى ممتزجة بها .

(١) المقبل : موضع التقبيل : أى القم ، وصاب : أى نزل من قولهم « صاب المطر يصوب صوبا » ويجوز أن يكون بمعنى أصاب ، يقال صابه وأصابه ، يقول : إن ريقها عذب طيب ، فهو ماء الحياة ؛ إذا ذاقه العاشق حيا به ، حتى لو وقع على الأرض لأحيا الموتى من الأمم السالفة . وأصل هذا المعنى للأعشى ، إذ يقول :

لَوْ أُسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

(٢) ترنو : تنظر ؛ ومجھشة ؛ متهبأة للبكاء ؛ ومراده بالطل : دموعها ؛ وهو فى الأصل المطر الخفيف . والعَمِّ : قيل هو ضرب من الشجر ، له نور أحمر ، تشبه به الأصابع الخضوبة ، قال النابغة :

بِمُخَضَّبِ رَحْصٍ كَانَ بِنَانُهُ عِلْمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدْ (١)

قال الجوهري : هذا يدل على أنه نبت لادود ، قال ابن برى : وقيل العنم : ثمر العوسج (٢) يكون أحمر ثم يسود إذا نضج وعقد ، ولهذا قال النابغة : لم يعقد يريد : لم يدرك بعد ، وقيل هو أطراف الحروب الشامى ، قال :

فَلَمْ أَسْمَعْ بِمَرْضِعَةٍ أَمَلَتْ لَهَا الطِّفْلَ بِالْعَمِّ الْمَسُوكِ

وعن الأعراب القدم : العنم : شجرة صغيرة خضراء لها زهرة عديدة الجمرة ، جعل التنبى عنها عين ظبي لسوادها ، وأراد بالورد : خدها . وبالعمم : أطراف بناتها حمرة بالحضاب ومعنى البيت من قول أبى نواس :

يَا قَرَأَ أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمِّ يَنْدَبُ شَجْوًا بَيْنَ أَنْزَابِ

يَسْكِي فَيَلْقُوهُ الدَّرَّ مِنْ نَرْجِسِ وَيَلْطَمُ الْوَرْدَ بِعَنْتَابِ

(١) رخاسة الأنامل ليناها .

(٢) العوسج : شجر من شجر الشوك ، له ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق .

رُوِيَ حُكْمَكَ فِينَا غَيْرَ مُنْصَفَةٍ
أَبْدَيْتَ مِثْلَ الَّذِي أَبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ
إِذَا لَبِزَكَ ثَوْبَ الْحُسْنِ أَصْفَرُهُ
لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرْبَى
بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ أَفْدِيكَ مِنْ حَكَمٍ (١)
وَلَمْ تُجِنِّي الَّذِي أَجْنَنْتُ مِنْ أَلْمٍ (٢)
وَصِرْتَ مِثْلِي فِي تَوْبَيْنِ مِنْ سَقَمٍ (٣)
وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شَيْمَى (٤)

ومثله لابن الرومي :

كَانَ تِلْكَ الدَّمُوعُ قَطْرُ نَدَى
وَأَحْسَنَ فِيهِ الْوَأْوَاءُ الدَّمَشْقِي بَقُولِهِ :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلَا مِنْ نَزْجِسٍ وَسَقَتْ
وَرَدَا وَعَصَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

(١) رويد : اسم فعل بمنزلة صه ومه ، يقال رويد زيدا : أى دعه وأمهله . ونصب « حكمتك » به ، وغير منصفة : حال ، والعاقل فيه : حكمتك : أى أن تحكى غير منصفة : أى ظالمة ؛ ويحتمل أن يكون نداء مضافا يريد « يا غير منصفة » حذف حرف النداء ومن حكم : فى موضع الحال : أى أفديك حاكمة ، أو تقول إنه فى موضع نصب على التمييز و « من » زائدة . يقول : دعى أو ألقى حكمتك علينا وأنت ظالمة لنا ، ثم قال : أفديك بالناس كلهم من حاكم ؛ يعنى أنت حبيبة لى وإن جرت على فى الحكم .

(٢) الجزع : نقيض الصبر ، وأجن الشيء ؛ ستره وكتمه . يقول : وافقتنى فى ظاهر الجزع للفراق ولم تضمرى ما أضمرته من وجهه . وهذا كما يقول الناشئ :

لَفْظِي وَلَفْظِكَ بِالشُّكْوَى قَدْ ائْتَلَفَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي فَقَلْبَانَا لَمْ اِخْتَفَا

(٣) إذن قال الزجاج : تأويله إن كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت : يقول القائل

زيد بصير إليك ، فتقول : إذن أكرمه : أى إن كان الأمر على ما تصف وقع إكرامه

وتأويلها هاهنا : أنه ذكر أنها لم تجن الألم لأنه قال لو أجنفت من الألم ما أجنفته إذن

لبزك - أى لسلبك - ثوب الحسن أقل جزء من أجزاء الألم : أى لاذهب حسنك

وظهر عليك من أثره ما يذهب نضارة حسنك ويكسوك ثوب السقم . وإنما ثنى الثوب

لأن العادة فى اللباس ثوبان ؛ إزار ورداء للعرب ، ويسمونهما الحلة ، فكأنه قال :

وكسك حلة السقم كما كسافر.

(٤) التعلل : تزجية الوقت (*) بالشىء اليسير بعد الشىء . يقال فلان يتعلل بكذا :

(*) يقال زجيت الشىء تزجية إذا دفعته برفق ، ويقال كيف تزجى الأيام ؛ أى

كيف تدافعها . وزجيت أيامى : دافعتها بقليل من القوت أجزئى به . وأكتفى ويقال

تزجيت بكذا : اكتفيت به .

وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَنَزُّ كُنِّي حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طَرَفَهَا هَمِي (١)
لَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتْ عَلَى جِدَّتِي بَرَقَةَ الْحَالِ وَأَعْذَرَنِي وَلَا تَلْمُ (٢)
أَرَى أَنَاكَ وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ وَذِكْرُ جُودٍ وَمَحْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ (٣)

أى يمضى به وقته ودهره . والإقلال: الفقر وقلة ذات اليد . يقول : ليس من عادتي أن
أزجى الآمال وأدافع الوقت بشيء أرجوه لعله لا يكون ولا أن أتقع باليسير ، يعنى أنه
يطلب الكثير ويسافر فى طلب المال كما قال أبو الأسود الدؤلى :

وَمَا طَلَبُ الْمَيْشَةِ بِالْمَنَى وَلَكِنْ أَلْتِ دَلُوكَ فِي الدَّلَاءِ

(١) بنات الدهر : صروفه ونوائبه التى تتولد منه وتحدث فيه قال العكبرى: والعرب
تستعمل البنوة والأخوة فىمن فعل شيئا يعرف به فيقولون : هذا ابن سفر إذا كان
معتادا للأسفار ، وهو آخر معروف وأبو الأضياف . يقول : لا أظن النوائب تدعنى
حق أدفعها عن نفسى بسد طريقها إلى ، وذلك أن يتقوى بالمال والأنصار .
(٢) أخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النابغة الذبياني :

أَضَحَّتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلَهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ (١)
والجدة : النعى ، ورقة الحال : كناية عن الفقر . يقول - لمن لامة فى الفقر -
لا تلمنى ولم الدهر الذى أتى على مالى وسلبنى النعى .

(٣) المحصول : مصدر بمعنى الحصول ، وقد يكون المفعول مصدرا : كقولهم ليس له
مفعول أى عقل ، وقوله «وذكر جود» مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام . أى وأسمع
ذكر جود فهو من باب :

* عَلَقْتَهَا تَبْنًا وَمَاءَ بَارِدًا * (٢)

(١) من قصيدة للنابغة الذبياني يدح بها النعمان بن النذر ويعتذر إليه بما بلغه عندهوى
التي أولها .

يَادَارَ مِيَّةً بِالْعَلِيَاءِ فَالسُّنْدُ أَقْوَتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ
وليد هو آخر نسور لقمان بن عاد ، وتزعم العرب أن لقمان هو الذى بعثته عاد فى
وفدها إلى الحرم يستسقى لها ؛ فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات حمر من
أظب عمر فى جبل وعمر لا يمسه القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر ،
فاختار النصور فكان آخر نسوره يسمى لبداء .

(٢) وماء باردا : أى وسقيتها ماء باردا . جعله العيني صدرا ؛ وأورد له عجزاً
مكذا :

وَرَبُّ مَالٍ قَاصِرًا مِنْ مَرُومِهِ لَمْ يُبْذَرْ مِنْهَا كَأَنْزَرَى مِنَ الْقَدَمِ (١)
سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مَنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ وَيَنْجَلِي خَيْرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمَمِ (٢)
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَأَتَّ مُصْطَبِرٍ فَالآنَ أَفْجِمُ حَتَّى لَأَتَّ مَمْتَحِمٍ (٣)

يقول: أرى قوما على صورة الناس غير أنهم عند التحصيل كالغنم لا عقل لهم ،
وأسمع ذكر الجود ، ولكن لا أحصل منه إلا على الكلام دون الفعال . وهذا من قول
السيد الجبري :

قد ضيع الله ما جمعتُ من أدبٍ بين الحسيرِ وَبَيْنَ الشَّاءِ والبقرِ
قال العكبري : وهو من قول الحكيم : من كانت همته الأكل والشرب والنكاح فهو
بطبع البهائم . لأننا نعلم أنها متى حلى بينها وبين ما تريده لم تفعل شيئا غير ذلك .
(١) رب مال : معطوف على « أناسا » - في البيت السابق - والروءة . أصلها
الهمز ، يقال امرؤ ذو مروءة ، تخفف الهمزة فيبقى واوان ، تدغم الأولى في الثانية ،
وهي النخوة وكال الرجولية . والإثراء : الغنى . يقول : وأرى صاحب مال ليس له
مروءة ولم يستكثر منها كما استكثر من المال حتى أترى بعد الفقر : أى لم يكثر المروءة
عند كثرة المال . فقوله « أترى من العدم » هو كما يقال استغنى من الفقر؛ وهذا المعنى من
قول أبي تمام :

لا يحسبُ الإفلالَ عُدْمًا بلُ يرى أن القُلَّ من المروءةِ مُعْدِمٌ
(٢) النصل : فصل السيف ؛ ومضرب السيف حده ؛ والصمة الشجاع ؛ وبه معنى
الصمة : أبو دريد بن الصمة ؛ والصمم جمع صمة ، وينجلي : يتكشف . يقول
سيصحب السيف منى رجلا مثل حده في المضاء ، ويتبين للناس أنى أشجع الشجعان ؛
يعنى أنه إذا قصد الحرب مضى مضاء السيف وعمل عمل الأشجع ؛ أى أنه أشجع
الشجعان .

(٣) لات : بمعنى ليس ؛ والأصل فيها « لا » فزيدت عليها التاء ، كما فى : ربت ،
وتمت ، قال ابن جنى : من العرب من يجر بها ، وأنشد :

* حتى شئت همالةً عيناها

وجمـــــــــــــــــله غيره عجزاً وصدرة لما حططتُ الرجلُ عنها واردةً
ولا يعرف قائله ، وقيل : إنه لندى الرمة ، وشئت : أقامت شتاء وهمالة من هملت العين
إذا صبت دمعها .

لَأَنْزُرُكُمْ وَجُوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً (١)
وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمٍ (١)
وَالطَّنُّ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا (٢)
حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّيْمِ (٢)
قَدْ كَلَمَتْهَا الْعَوَالِي فَهِيَ كَالْحَيَّةِ (٣)
كَأَنَّهَا الصَّابُ مَعْصُوبٌ عَلَى اللَّحْمِ (٣)

طَلَبُوا صَلْحَنَا وَلَا تَأْوَانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ (١)

والمصطبر بمعنى الاصطبار؛ والمقتحم: كذلك، بمعنى الاقتحام، وهو الدخول في الشيء. يقول: تكلف الصبر حتى لم يبق اصطبار؛ فالآن أقوم: أى أقوم نفسى، أى أوردتها للمهلك وأوقعها في الحروب حتى أدرك مرادى فلا يبقى اقتحام. وعلى هذا فمفعول «أقوم» محذوف، ولك أن تقرأها أقوم: أى اقتحم، وقد ورد قعم يقعم- من باب خضع - بمعنى اقتحم.

(١) ساهمة: متغيرة لما يلحقها من شدة الحرب: يقال سهم وجهه يسهم سهوماً: إذا تغير وجهه والحرب أقوم الخ: حالية. يقول: لأكلفن الخيل من أهوال الحرب ما تسهم له ألوانها ولا أنزكن الحرب قائمة كانتصاب الساق على القدم: أى شديدة.

(٢) يحرقها: يروى يحرقها؛ والضمير: للخيل؛ والجملة: عطف على الجملة الحالية في البيت السابق - والزجر: الصياح؛ واللهم: الجنون. يقول: والطنن يعمل في الخيل عمل النار حتى كأنه يحرقها، والزجر - أى الصياح بها عند اقتحامها في الحرب أو في الماء - يمنعها عن التأخر، ويقلقها - أى يحركها - حتى كأن بها جنوناً. يريد أنها تضطرب لما يلحقها من ألم الطعن وخوف الزجر فكأنها مجنونة، إذ لا تستقر ولا تثبت.

(٣) كلمتها: من الكلم الذى هو الجرح. والعوالى: الرماح. وكلح: كشر في عبوس. والصاب: شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن، وربما نزلت منه نزية - أى قطرة - فتقع في معين كأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر، قال أبو ذؤيب الهذلى: إني أرقْتُ فَيْتُ اللَّيْلِ مُشْتَجِرًا كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ (٢)

(١) البيت لأبى زيد الطائى النصرانى الشاعر الإسلامى من قصيدة راجعها في الجزء الرابع من الخزانة طبعة السلفية وراجع الكلام على «لات» هناك.
(٢) يروى:

* نام الخلى وبت الليل مشتجراً *

والمشجر: الذى يضع يده تحت عنقه مذكراً لشدة همه؛ ومذبوح: أى مشقوق معصور. وأصل الذبح: الشق.

بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَا زَالَ مُنْتَظِرِي حَتَّى أَدَلَّتْ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الْخَلْدَمِ (١)
 شَيْخٍ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ نَاقِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ (٢)
 وَكَلَّمَا نَطَّعَتْ تَحْتَ الْعَجَّاجِ بِهِ أُسْدُ الْكِتَابِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرِمِ (٣)

يقول : هي عابسة فآحمة أفواها لما أصابها من جراح الرياح ، فكان الصاب قد شد على لجمها فهي تجد ممراته ، ومصوب : يروي معصور ، ويروي : مذكور .
 (١) بكل منصلت : متعلق بقوله لأتركن . والمنصلت : الماضي في الأمور : وأدلت له من كذا : أي أعتته عليه حتى جعلت له الدولة . يقول : لأتركن الحرب قائمة بكل رجل ماض في الأمور طالما انتظر خروجي على السلطان حتى أعطيته الدولة من الخدم الذين لا يستحقون الإمارة ؛ يعني بهم الأتراك الذين تملكوا العراق وخرجوا على السلطان .
 (٢) شيخ : إما بالجر على التبعية لمنصلت ، وإطلاقاً بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف : أي هو شيخ . والنافلة : خلاف الفرض ، وهي ما يحسن فعله ولا يجرم تركه . يريد أنه يستعين بمثل هذا ممن لا يعتقد الدين حتى يزيل دولة الخدم . وقال ابن القطاع : كل من فسر الديوان قال : « الشيخ » هنا : واحد الشيوخ من الناس . يقول : أقصر على أعدائي بكل شيخ ماض في أموره ، لا يبالي بالعواقب ؛ مستحل للحرام ، سافك للدماء وهذا بالهجاء أشبه ؛ وإنما المعنى أن الشيخ هنا السيف ، فإن الشيخ من أسماءه ، وكذلك العجوز قال أبو القدام البصرى - واسمه جساس بن قطيب - :

رُبَّ شَيْخٍ رَأَيْتُ فِي كَفِّ شَيْخٍ يَضْرِبُ الْمُعْلَمِينَ وَالْأَبْطَالَ
 وَمَجْوُزٍ رَأَيْتُ فِي فَمِّ كَلْبٍ جِيلَ الْكَلْبِ لِلْأَمِيرِ جَمَالًا

سمى السيف شيخاً لقدمه لأنهم يمدحون السيوف بالقدم ، وقيل سمى شيخاً لبياضه تشبيهاً بالشيب ، وكذلك المعنى في العجوز والكلب : مسبار من ذهب أو فضة يجعل في قائم السيف . جاء في لسان العرب : قال ابن الأعرابي : الكلب مسبار مقبض السيف ومعه الآخر يقال له العجوز ، وقيل : العجوز نصل السيف ، والكلب مافوق النصل من جانبيه .
 حديداً كان أو فضة .

(٣) العجاج : النبار والكتائب : جمع كتيبة ، الفرقة من الجيش . ورامته : يريد رامت عنه : أي زالت عنه ولم يزل هو عنها ، فحذف حرف الجر وأوصل الفعل والأصل استعماله بحرف الجر ، كما قال الأعشى :

أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنْ عُنْدِنَا فَإِنَّا بِمَخِيرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ

تُنْسَى الْبِلَادَ بُرُوقَ الْجُرِّ بَارِقِي وَتَكْنِي بِالْدِيمِ الْجَارِي عَنِ الدِّيمِ (١)
 رِدِي حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسُ وَأَتْرِكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلسَّاءِ وَالنِّعَمِ (٢)
 إِنْ لَمْ أَذْرِكْ عَلَى الْأَرْحَاحِ سَائِلَةً فَلَا دُعِيْتُ ابْنُ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ (٣)

وقال الجوهري : يقال رابه يرمه ربما : أى برحه ، ويقال لازمه : أى لا تبرحه ، ثم قال : ويقال : رمت فلاناً ورمت من عند فلان ، بمعنى ، وأنشد بيت الأعشى : يقول : إن الأبطال تنهزم عنه ولا ينهزم هو . قال ابن جنى والواحدى : والنطح إنما هو للكباش ، ولا يستعمل في الأسود ، ولو قل كلما صدت أورميت لكان أليق ، ولكنه أراد بالنطح : القتال .

(١) بارقتى : يريد سيوفه التى لها بريق ولعان . والديم : جمع ديمة ، وهى للطر الدائم . يقول : إذا برقت سيوفى لأعدائى فى الحرب فإن ضوءها يزيد على ضوء بروق السحاب حتى تنسى الناس البروق ، ويكثر مع ذلك سيلان الدم حتى تستغنى البلاد عن الأمطار بما أسبه من السماء . قال العكبرى : وهذا كلام مشبع بالحقائق لو قاله أحد فى بويه أوفى أرتق أو بنى أيوب : لنسب إلى ذلك ، وهم ملوك الأرض وحماها ، وأرباب المغازى وولاتها

(٢) ردى : أمر — من ورد الماء يرد ورودا — والردى : الهلاك ؛ وياهس : يروى : حوباء ؛ أى ياحوباء ؛ والحبوباء : النفس . والشاء : جمع شاة ؛ والنم : الإبل خاصة يقول — لنفسه — : ردى المهالك والحروب وأتركى خوف ورود الهلاك للنعم والشاء : أى أنها هى التى لا تقاتل عن نفسها ولا تدافع عنها من الذل . وقال ابن القطاع : قد صحف هذا البيت جماعة فرووا : حياض خوف الردى — بالحاء المهملة ، قال لى شيبى : قال لى صالح بن رشدين : لما قرأت هذا البيت قرأته بالحاء المهملة ، فقال لى : لم أقل كذلك ؛ قلت فكيف قلت ؟ قال قلت حياض — بالحاء المعجمة — لأنى لو قتلته بالمهملة كنت قد نقضت قولى : ردى حياض الموت ، فإنها هى حياض خوف الردى . وكل من ورد الماء فلا بد أن يخوضه إما يبد ، أو قم ؛ والمعنى : ردى يانفس حياض الموت ، فإن الموت فى المزحاة ؛ وأتركى حياض خوف الردى للحيوان الذى لا يعقل ، ولو قال لتبني : حياض غير الردى بالحاء أو قال : وأتركى ورد خوف الردى الخ . لم يحتاج إلى هذا ، إلا أن مذهبه أنه يعمض معانيه حتى لا يفهما إلا العلماء .

(٣) يقول — لنفسه — : إن لم أتركك سائلة الدم على الرماح — أى إن لم أحضر الحرب

أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ وَالْأَسْيَافُ ظَامِيَةٌ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ (١)
مَنْ لَوْ رَأَى مَاءَ مَاتَ مِنْ ظَمًا وَلَوْ مَثَلَتْ لَهُ فِي الْقَوْمِ لَمْ يَنْمِ (٢)
مِعَادُ كُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ غَدَاً
وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْمَعَجَمِ (٣)

حق ليسيل الدم منى على الرماح - فلا دعيت أخوا المجد والكرام؛ قال العكبري : وهو من قول ابن أيوب .

إِنْ تَقْتُلُونِي فَأَجَالُ السَّكَاةَ كَمَا خُبِّرْتُ قَبْلُ وَمَا بِالْقَتْلِ مِنْ عَارٍ
وَإِنْ نَجَوْتُ لَوْ قَتَيْتُ غَيْرَهُ فَصَى وَكُلُّهُ نَفْسٌ إِلَى وَقْتٍ وَمَقْدَارُ
(١) ظامئة : عطشى ، ولحم : فاعل « يملك » والوضم : الحشبة يقطع الجزار عليها اللحم ، ويضرب اللحم على الوضم مثلاً للضعيف الذى لا امتناع عنده ، ويقال للمرأة : لحم على وضم ، ومنه قول القائل :

أَحَازِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يَلِمَ بِهَا فَيَهْتِكُ السِّرَّ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضْمٍ
وذلك أن الحيوان فيه نوع امتناع ، فإذا ذبح ووضع لحمه على الوضم كان عرضة لكل أحد ، حتى الطيور والذباب . وقوله : أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ : استنهام معناه الإنكار . يقول : لا يملك لملك ضعيف ذليل لا يدفع عن نفسه كالحم على الوضم ، وأسيفنا عطاش إلى دمه والطيور جائعة لم تشبعها من لحمه ، يعنى أنه يقتل ويلقى للطيور ولا يملك . قال ابن جنى : يريد أن ملوك عصره ليس فيهم من يدفع عن نفسه .

(٢) من : بدل من قوله لحم على وضم . والظما : العطش ، ومثلت : اتصبت وروى عرضت ، بدل مثلت . يقول : من لو كنت ماء وكان عطشان لمعه خوفه منى أن يشرب حتى يموت عطشا ، ولو رأى فى النوم مائلا له لهجر النوم خوفا من أن يراى فى النوم ؛ وهذا ينظر إلى قول مروان بن أبى حفصة :

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعُوتَهُ وَإِذَا غَفَى سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ
(٣) معاد : مبتدا ، خبره ؛ غدا ، وكل رقيق الشفرتين : أى كل سيف رقيق الشفرتين ، وهو الذى رقت شفرتاه « حداه » بكثرة الصقل . ومن عصى : أى من عصانى ، عطف على كل . يتوعد من عصاه من الملوك تجرب لإفقاد نار الحرب .
(١١ - للشمس ٤)

فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهِمُ وَالْهَمُّ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ (١)

وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي ، على ما كان قد شاهدته من
تهوره فقال (*)

أَبَا عَبِيدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ لِنِي خَفِي عَنكَ فِي الْمِجْبَا مَقَامِي (٢)
ذَكَرْتُ جَسِيمَ مَا طَلَّبِي وَأَنَا نُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمَهْجِ الْجَسَامِ (٣)

(١) يقول : إن أطاعوني وأجابوني إلى ما أَدْعُوهم إليه : فليست أقصدهم بسببوني ،
وإنما أقصد بها غير المطيع فأقتله بها ؛ وإن أدبروا عني ومضوا في عصيانيهم : فلا
أقتصر على قتلهم وحدهم وإنما أقتلهم وكل من رأى رأيهم
* جاء جاء في الصبح المنير :

قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل : قدم أبو الطيب التتبي اللاذقية سنة نيف وعشرين
وئلامائة وهو فقي ، فأكرمه وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن
الأنس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناما لمشاهدته واقتباسا من أدبه ، قلت : والله
إنك لرجل خطير تصلح لنادمة ملك كبير ، فقال : ويحك : أنتدري ما تقول ؟ أنا نبي
مرسل ، فظننت أنه يمزح ، ثم تذكرت أني لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته ،
فقلت له : ما تقول ؟ فقال : أنا نبي مرسل كما ذكرت ؛ فقلت : مرسل إلى من ؟ فقال
إلى هذه الأمة الضالة المضلة ، قلت : ماذا تفعل ؟ قال : أملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا .
قلت : بماذا ؟ قال : بإدراك الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى ، وضرب
الأعناق لمن عصى وأبى ؛ فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر ؛
وعذلته على ذلك ، فأنشده يقول بديها ، وذكر هذه الأبيات .

(٢) معاذ : مرفوع بالبدل من « أبا عبد الإله » . قال الكبري : ولو كان عطف
بيان لكان منصوبا منونا ، لأنهم أجروا عطف البيان مجرى الصفة . والهيحاء : من
أسماء الحرب . يقول : إنك تجهل منزلتي في الحرب ومقدار ما طبعت عليه من الجراءة
والبأس ، ومن ثم تلومني على ما أنا مقدم عليه لظنك بي العجز عن بلوغه :

(٣) الجسيم : العظيم ؛ و « ما » : زائدة ، كقوله تعالى « فبأرحمه من الله » .
وكقوله الشاعر :

أَمِئْتِي تَأْخُذُ النَّكْبَاتُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْحِمَامِ (١)
وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَى شَخْصًا نَلْخُصِبَ شَعْرَ مَفْرَقِهِ حُسَامِي (٢)
وَمَا بَلَغَتْ مَشِيئَتَهَا اللَّيَالِي وَلَا سَارَتْ وَفِي يَدِهَا زِمَامِي (٣)
إِذَا أَمْتَلَّتْ عُمُيُونَ الْخَلِيلُ مِنِّي فَوَيْلٌ فِي التَّيَقُظِ وَالنَّسَامِ (٤)

* * *

إن أمس ما شيخاً كبيراً فطالما عُحِرْتُ ولكن لا أرى العمر ينفع (١)
قالوا : ويحتمل أن تكون « ما » بمعنى الذي ، أو نكرة ، فيضمر هو بعدها ،
فإذا كانت نكرة فتقديره : جسم شيء هو طلبي ، والمهج : الأرواح . يقول : عاتبتني على
محاولة الأمر العظيم ومخاطرتنا فيه بالأرواح العظيمة .

(١) النكبات : الشدائد تنكب الإنسان . والجزع : تقيض الصبر ، والحمام : الموت .
يقول : مثل لا تنال منه النكبات ولا تصيبه : إما لأنه حازم يدفعها بحزمه عن نفسه ، وإما
لأنه صابر عليها فليست تؤثر فيه .

(٢) الفرق : وسط الرأس . والحسام : السيف القاطع . يقول : إن الزمان
الذي هو محل النكبات والنوائب لو كان شخصاً لم يرز إلى محاربا لخصب شعر رأسه سيفي .
(٣) يقول : إن الزمان لم يبلغ مراده مني ، ومن تغير حالي وتوهين أمري ، وما
انقدت له اتقياد من يعطى زمامه فيقاد به ، وهذا كما يقوله البحري :

لعمري أبي الأيام ما جارَ صرفها على ولا أعطيتها ثني مقودي

(٤) عيون الخيل : يريد عيون أصحاب الخيل . وقوله . فويل . يريد فويل لهم .
يقول : إذا امتلأت عيون أرباب الخيل من منظري فويل لهم في الحالتين لأنهم يخافونني
أشد الخوف ، فلا يسكون لهم أمن في اليقظة ولا لذة ولا راحة في منامهم .

(١) البيت أحد أبيات عشرة أوردها أبو تمام في حماسه لجمع بن هلال قال :
غزا مجمع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تيم الله ، يزيد بن سعد بن
زيد مناة ، فلم يصب شيئاً فرجع من غزاته تلك فر بمساء لبني تميم عليه ناس من بني
مجاشع قتل فيهم وأسر فقال في ذلك . إن أمس ما شيخاً . إلى آخر الأبيات . قال
المرزوقي في قوله إن أمس ما شيخاً : « ما » زائدة . يقول : إن صرت شيخاً طاعنا في السن
هدفاً لسهامه فذلك حق لأن من يعيش يكبر ، ومن يكبر يهرم ، وطول العمر لا يجدي إذ
كان مؤداه إلى الضعف وغايته الموت .

وقال له بعض بني كلاب: أشرب هذه الكأس سروراً بك، فقال:

إِذَا مَا شَرِبْتُ أَخْفَرَ صِرْفًا مَهْنًا

شَرِبْنَا الَّذِي مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكِرْمُ (١)

أَلَا حَبْدًا قَوْمٌ نَدَامَاهُمْ الْقَنَا يُسْقَوْنَهَا رِيًّا وَسَاقِيهِمُ الْقَزْمُ (٢)

* * *

(١) صرفاً: أى خالصة غير ممزوجة. والذي من مثله شرب الكرم: هو الماء. يريد أن شرابه الماء، لا الخمر.

(٢) يقول: حبذا الأبطال الذين يقاتلون بالرمح ويلازمونها ملازمة النديم للنديم: أى كأنها ندامام، لأنهم لا يخلون من صحبتها، ويسقونها ما يرونها من الدماء، فهم سقاة رماحهم، وعزمهم على الحرب يسقيهم دماء الأعداء. هذا: والندامى جمع ندام، والندام: جمع النديم، وهو الشريب الذى ينادمه؛ ويقال له النديمان أيضاً؛ قال النعمان بن نضلة العدوى، ويقال للنعمان بن عدى، وكان عمر استعمله على ميسان:

فَإِنْ كُنْتَ نَدَامَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أَسْقِنِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْفَرِ الْمُتَشَلِّمِ
لِللَّعْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ تَفَادُمُنَا فِي الْجَوْسِقِ الْمُتَهَدِّمِ
ولمناسبة حبذا: فقولهم حبذا الأمر: أى هو حبيب، قال سيبويه، جعلوا حب مع

ذا بمنزلة الشيء الواحد، وهو عنده اسم، وما بعده مرفوع به، ولزم ذاحب، وجرى كالمثل، والدليل على ذلك أنهم يقولون فى اللؤنت «حبذا» ولا يقولون «حبذه»؛ ومنه قولهم: حبذا زيد، فحب: فعل ماض لا يتصرف، وأصله «حبب» على ما قاله الفراء - و«ذا»: فاعله، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة، جملا شيئاً واحداً، فصار بمنزلة اسم يرفع ما بعده وموضعه رفع بالابتداء؛ و«زيد»: خبره، ولا يجوز أن يكون بدلا من «ذا» لأنك تقول: حبذا امرأة، ولو كان بدلا: لقلت حبذت امرأة قال جرير.

يَا حَبْدًا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلِ حَبْدًا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مِنْ كَانَا

وقال وقد مد له إنسان يده بكأس وحلف بالطلاق ليشربنها :

وَأَخْرَجْنَا لَنَا بَمَثَ الطَّلَاقِ آيَةً لَأَعْلَنَ بِهَيْدِهِ أَنْخَرُطُومَ (١)
فَجَعَلْتُ رَدِّي هِرْسَهُ كَفَّارَةً عَنْ شُرْبِهَا وَشَرِبْتُ غَيْرَ أَيْمِ (٢)

• • •

وقال يمدح الحسين بن إسحق التلعوثي :

مَلَامِي النَّوْمَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ الشُّقْمِ (٣)

وَجَبَّذَا نَفَحَاتٌ مِنْ بِيَانِيَةٍ تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّيَّانِ أحياناً (١)

(١) الألية : اليمين . والتعليل : التهجئة التي ، وقال السراج في قوله لأعلن : إنه من العلل ، وهو السقي مرة بعد أخرى . والخرطوم : من أسماء الحجر ، قيل لأنها إذا نزل الدن انصبت في صورة الخرطوم ، وقيل سميت بذلك لأنها أخذها بخرطوم شراهم - أي أنوفهم - كما قيل :

ولقد شربتُ الحجر حتى خلتُها أفضى تكش على طريق المنخر

« كشيخ الأفضى : صوت تخرجه من فيها وقيل صوتها من جلد لها لا من فيها فإن ذلك من لحبها » .

(٢) العرس : الزوجة . يقول . إن هذا الأئح حلف أن أشرب وإلا فأمر أنه طالق فجعلت ردى أمراته وإبقاءها عليه كفارة عن شرب الحجر وشربتها غير آثم ، إذ كان قصدي بالشرب بقاء الزوجية بينهما .

(٣) النومى : البعد وهي مؤنثة . يقول : إن لومى المراق - في تفريقه بيننا وظلمه إيانا بالبعد - غاية الظلم منا فلعله يشقها كعشق إياها ، فلذلك يحترها لنفسه ويحول بيني وبينها . وقد حقق هذا المعنى في البيت التالي ، وهذا كما قال محمد بن وهيب :

(١) من قصيدته التي مطلعها :

بان الخليط ولو طوعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا
وفيها يقول :

إن العيون التي في طرفها مرض قتلتنا ثم لم يمين قتلانا

فَلَوْ لَمْ تَقْرَ لَمْ تَزُو عَنِّي لِقَاءِ كَمْ
وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمْ خَصْمِي (١)
أَمْنِعَةً بِالْمَوَدَّةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي بِفَيْدِ وَلِيٍّ كَأَنَّ نَائِلَهَا الْوَسْمِي (٢)

وحاربنى فيه ريبُ الزمانِ كأن الزمان له عاشقُ
وقال البحتري :

قد بينَ البينَ المُفَرَّقُ بيننا عَشِقَ النَّوَى لِرَيْبِ ذَاكَ الرَّبْرِبِ
(١) زواه : نحاه وأبعده . يقول : لو كانت النوى لا تفار عليكم لما منعت عنى لقائكم
وطوته عنى ، ولما خصمنى بسببكم . هذا : والحصم : المحاصم ، يستوى فيه الجمع والواحد
والمؤنث يقول : هم خصم ، وهو خصم وهما خصم . وهى خصم .
(٢) الوسمى : أول مطر فى السنة ، وأراد به : أول ما بدأت به من الوصال ،
والولى : المطر الثانى ؛ وأراد به ما بعد ذلك من الوصل . والنائل : العطاء ، وأراد به
وصالها ، يقول : إنها بدأت بوصل ثم لم تعد إليه ، فليتها أنعمت على رجوعهم إلى الوصل
مرة أخرى . وهذا منقول من قول ذى الرمة :

إِنِّي وَلِيَّةٌ تُمَرِّعُ جَنَابِي فَإِنِّي لِمَا نَاتُ مِنْ وَسْمِي نُعْمَاكَ شَاكِرٌ
(لنى : أمر من الولى : أى أمطرنى ولىه منك : أى معروفًا بعد معروف) . واللقى
من قول بشار :

قد زُرْتِنِي زَوْرَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً تَنِيُّ وَلَا تَجْعَلِيهَا بِيضَةَ الدِّيكِ (١)
هذا : ولك أن تجعل « منعمة » خبراً مقدماً ؛ والظبية مبتدأ مؤخرًا : أو تجعل
« الظبية » : قاعلاً لمنعمة ، سدت مسد خبرها على جعلها مبتدأ بعد الاستفهام .

يصر عن ذا اللبِّ حتى لأحراك به وهن أضعفُ خلق الله أركاناً
والريان : أطول جبال أحاء والجمانية : رياح الجنوب .

(١) قال أبو عبيد فى البخيل يعطى مرة ثم لا يعود : كانت بيضة الديك ؛ فإن
كان يعطى شيئاً ثم يقطعه آخر الدهر قيل للمرة الأخيرة كانت بيضة العقر ، وقيل
إن بيضة العقر هى بيضة الديك بيضها فى السنة مرة واحدة ، وقيل بيضها فى عمره

تَرَشَفْتُ فَأَهَا سُحْرَةٌ فَكَأَنِّي تَرَشَفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِّ (١)
فَتَاةٌ نَسَاوَى عِقْدَهَا وَكَلَامَهَا وَمَبْسِمُهَا الدُّرَى فِي الْحُسْنِ وَالنِّظْمِ (٢)

(١) الترشف: اللص، والسحرة: السحر. والظم: ماء الأسنان وبريقها؛ وإنما خص السحرة لأن الأفواه تتغير عند ذلك، وإذا كانت طيبة النكهة في آخر الليل كان أمدح لها ألا ترى إلى قول امرئ القيس:

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوَّبَ النِّقَامَ وَرِيحَ الْخُلْزَامِي وَنَشَرَ الْقَطْرُ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْبَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرَ الْمُسْتَحِرَّ
وقال الحارثي:

كَأَنَّ فِيهَا قَهْوَةً بِإِبْلِيَّةٍ بِمَاءِ سَمَاءٍ بَعْدَ وَهْنِ مِرْآحِبِهَا
والعاشق إذا مص ريق معشوقه زادت نار حبه تلهيا، لذلك - قال:

• تَرَشَفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِّ •

وقه ابن الرومي حين بسط هذا المعنى في هذه الأبيات البديعة:

أَعَانِقُهَا وَالنَّفْسُ بِمَدِّ مَشْوَقَةٍ إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانُ
وَأَلِّمُ فَأَهَا كِي تَزُولُ حَرَارَتِي فَيَشْتَدُّ مَا أَلَّقِي مِنَ الْمَيْمَانِ
وَمَا كَانَ مِقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوِي لِيَشْفِيهِ مَا تَرَشَفُ الشَّفْتَانِ
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ بِشَيْءٍ غَلِيْلِهِ سِوَى أَنْ يُرَى الرَّوْحَانَ يَمْتَزِجَانِ

(٢) يقول: إن كلامن قلاذتها ونطقها ونفثها الذي تبسم عنه سواء في الحسن والنظم، فهي درية العقد والكلام والنفر. وهذا معنى متداول، قال البحرى:

فَمَنْ لَوْلُو تَبْدِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاقَطِهَا
فذكر شيبين، وقال المؤمل بن أميل:

وإن نطقتْ دُرٌّ فَدُرٌّ كَلَامُهَا وَلَمْ أَرُدُّرًا قَبْلَهَا يَنْظُمُ الدَّرَا

مرة واحدة فتضرب بيضة الديك مثلا للعطية القليلة التي لا يربها معطيها ببر يتلوها، وقيل: إن بيضة العقر وبيضة الديك كلاهما كقولهم بيض الأنوق والأبلق العتوق، مثل لما لا يكون.

وَنَكَمَتْهَا وَالْمَنْدَلِيَّ وَقَرَفَتْ مُعْتَمَّةٌ صَهْبَاءَ فِي الرَّيْحِ وَالطَّقَمِ (١)

فذكر شيئاً واحداً ، وأخذ أبو المطاع بن ناصر الدولة هذا المعنى فقال :
وَمُفَارِقِ نَفْسِي الْفِدَاءَ لِنَفْسِهِ وَدَعْتُ صَبْرِي عَنْهُ فِي تَوَدِّعِهِ
وَرَأَيْتُ مِنْهُ مِثْلَ لَوْلُو عِقْدِهِ مِنْ تَفَرُّهِ وَحَسْبِئِهِ وَدَمَوْعِهِ
فزاد ذكر الدمع على التثنية .

(١) النكمة : راحة الفم ؛ والمندلي ، العود الذي يتبخر به ، نسبة إلى مندك : موضع بالهند يجلب منه العود ، ومثله قمار ، قال : ياقوت : بفتح القاف ويروى بكسرها : موضع ينسب إليه العود ، قال هكذا تقول العامة ، والذي ذكره أهل المعرفة « قامرون » موضع ببلاد الهند ، يجلب منه العود النهاية في الجودة ، قال ابن هرمة :

أَحِبُّ اللَّيْلَ إِنْ خِيَالِ سَلْمَى إِذَا نَمْنَا أَلْمَ بِنَا فزارا

كأن الركب إذ طرفتك باتوا بمندل أو بقارعتي قمارا

هذا : وقد يقع المندل على العود على إرادة ياء النسب وحذفها ضرورة فيقال تبخرت بالمندل ، وهو يريد المندلي ، وبذلك على صحة ذلك دخول الألف واللام في المندل قال عمر بن أبي ربيعة :

لَمِنْ نَارٍ قَبِيلَ الصُّبْحِ عِنْدَ الْبَيْتِ مَا تَخْبُو

إِذَا مَا أَخْجَدَتْ يُبَلِّغِي عَلَيْهَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ

ويروى إذا ما أوقدت ، وقال كثير :

بَأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانَ عِزَّةَ مَوْهِنَا وَقَدْ أَوْقَدْتَ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارَهَا

« يقال : لقيته موهنا ، أي حين يدبر الليل ، أو هو نحو من نصف الليل : أو هو ساعة تمضي من الليل » ولما نسبة بيت كثير روي أن إحدى اللذيات قالت لكثير فض الله فاك ، أنت القائل : بأطيب من أردان عزة .. البيت ؟ فقال : نعم ، قالت : أرايت لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ؟ هلا قلت كما قال سيدهم امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرِيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيِّبْ؟

والقرقف : من أسماء الحجر ، وكذلك الصهباء ، وهذه الأشياء معطوفة على فاعل « تساوى » - في البيت السابق يقول : استوت منها هذه الأشياء في طيب الرائحة

جَفْتِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِيهَا وَأَطْعَمَهُمُ وَالشَّهْبُ فِي صُورَةِ الدُّهْمِ (١)
يُحَاذِرُنِي حَتَّى فِي كَأَنِّي حَتْفُهُ، وَتَنْكُرُنِي الْأَفْصَى فَيَقْتُلُهِنَّ سُمِّي (٢)

والذوق . قال الواحدى : وإنما يستوى في الذوق شيثان : النكهة والحر ، لأن العودمر اللذاق ، ولكنه جمع بينها في الريح ، وأراد في الطعم شيئين ، ثم النكهة أيضا لا طعم لها لأنها راحة الفم ، واستفهام الكلام إلى ذكر الريح ، ثم احتاج إلى القافية وإلى إقامة الوزن فذكر الطعم فأفسد ، لاختلاف ما ذكره في الطعم . قال العكبرى : وليس كما ذكر - أى الواحدى - لأنه - التنبي - قال : استوت نكهتها والندلى وقرقف ، فلما وصف القرقف احتاج أن يقول في الريح والطعم ، ولم يرد سوى الحر في الطعم .

(١) الشهب من الخيل : التى فى لونها بياض قد غلب على السواد ؛ والدهم : السود . يقول : جفتى بهجرها كأتى لست الأنصح الأشجع من عشيرتها ؛ وإنما قال هذا لأن نساء العرب يعلن إلى الشجاع الفصيح ألا ترى إلى قول العنبرى لما رأته امرأته يطحن فأزدرته :

تقول وصكّت وجهها بييمينها أتبلى هذا بالرحى المتعاس
فقلت لها لا تعجلى وتبئى بلأنى إذا التفت على الفوارس (١)

قد ذكر لها شجاعته وحسن بلائه عند الحرب لترغب فيه ، فذكر أبو الطيب أن هذه فادرة ناقضة عادة أمثالها ، بجفائه ، وقوله « والشهب في صورة الدهم » يريد إذا زويت الخيل الشهب سوداء لتلطخها بالدماء وجفافها عليها ، كما قال النابغة الجعدي :

وتنكر يوم الرزع ألوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون أشقرا
(٢) الحنف : الهلاك ، ونكرته الحية : لسعته بأنفها ، فإذا عضته بنا بها قيل نشطته

(١) بعد البيتين :

أست أرد القرن يركب رذعه وفيه سنان ذو غرارين يابس
إذا هاب أقوام تجشمت هول ما يهاب محيآه الألد المداعس
لعمر أبيك الخبير إني لخادم لضيبي وإنى إن ركبت لفارس

أبلى هذا - بإشارة التحقير - تعجب مما رأته ، وللتعاس الذى يخرج صدره ويدخل ظهره ، تفيض للتحادب ؛ وبالرحى : تبين ، وبلاى : مصدر أبلى الرجل إذا اجتمد فيه حرب أو كرم ، ويركب رذعه : يريد بصرع منكوسا رأسه أسفله ، والتراران : الحدان

طِوَالُ الرُّدَيْنِيَّاتِ يَنْصِفُهَا دَمِي وَبَيْضُ الشَّرِيحِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لِحْمِي (١)
بَرْتَنِي السَّرِي بَرِي الْمُدَى فَرَدَدَنِي
أَخَفْتُ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جِرْمِي (٢)

قال الوجدى : الحنط لا يتصور منه الحذر وإنما يريد أن قرنى الذى منه حتى لو قاتلنى
لحذرنى كأتى حنطه : أى كأتى أقتله يقينا وأغلبه ، فهو يحذرنى حذر من تيقن هلاكه من
جهة إنسان ؛ ويحتمل أن يكون هذا مجازاً ومبالغة فى وصف شجاعته وقوله : وتنكرنى
الأفنى : أى يتعرض لى أعدى أعدائى فأهلكه ، وقد جعل أعداءه قسمين : حاذراً يحارزه ،
ومتعرضاً له يهلكه للتنبى ، ولما سمي عدوه أفضى : سمي قوة نفسه وشجاعته سما ، لشدة
تأثيره فى عدوه .

(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . والسريحيات
السيوف ، نسبة إلى « قين » اسمه سريج . يقول : إن الرماح تنصف قبل الوصول
إلى إراقة دمي ، والسيوف تنقطع قبل أن تقطع لحمي . فجعل دمه يقصفها لما كان السبب
فى قصفها . وكذلك لحمه ؛ والفعل قد ينسب إلى من كان سبباً فيه ، وعبارة التبريزى :
أى أنا من نفسى وعشيرتى فى منعة ، فإذا أصابنى طعن كبر الطعن فى طلب ثأرى حتى
تنصف الرماح ، وإذا ضربت تتكسر السيوف حتى يدرك ثأرى .

(٢) يرتى : أى هزلتى ، مأخوذ من برى السهم ، وهو نحت حتى يدق ، والسرى
جمع سرية ، ومن ثم أنثا ، وقال برتنى وهى سير الليل ، والدى : جمع مدية ، وهى
السكين ، وجرمى : أى جسدى ، مبتدأ مؤخر ، خبره : أخف : والجلة : حال من
الضمير فى «رددنى» أو مفعول ثان لها . وهذا على رواية أخف — بالرفع — وتروى
منصوبة ، فتكون حالا ، أو مفعولاً ثانياً . وجرمى : بدلا من الياء فى ، «رددنى» ،
وإنما أبدل «جرمى» من الضمير لإنبات الوزن وإقامة القافية ، وإلا فقد تم المعنى دونه
ولا يجوز جعله فاعلاً لـ «أخف» ، لأن أفعل التفضيل لا يرفع الظاهر إلا فى مسألة الكحل
يقول : أذهبت السرى لى جعلتنى فى خفق على للركوب كنفسى الذى يخرج من فى .

وياس : يريد أنه صلب لا تأنيث فيه ، ويروى نائس من ناس ينوس إذا تهرك واضطرب
وهاب : يروى «خام» بمعنى نكص وجبن والحيا : السورة والشدة ؛ والألد : الشديد
الخصومة ، وللداعس : للطاعن ،

وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقَاءَ جَوٍ لِأَنِّي إِذَا نَظَرْتُ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عَلَيَّ (١)
كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خِيْبَتِي بِهَا
كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَانَدَرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي (٢)

(١) نصب « أبصر » عطفا على موضع الجملة - في البيت السابق - في رواية من رفع ، أو على لفظ « أخف » في رواية من نصب وجو : قصبة اليمامة؛ وزرقاء: اسم امرأة من أهل « جو » حديدة البصر ، تدرك بصرها الشيء البعيد ، فضربت العرب بها المثل ، فقالوا أبصر من زرقاء اليمامة ، قالوا : إنها امرأة من جديس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم إلى حسان بن تبع فاستجاشه ورغبه في الغنائم فجهز إليهم جيشا ، فلما صاروا من « جو » على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش ، وقد أمروا أن يجعل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها . فقالت : يا قوم قد أتكم الشجر أو أتكم حمير ، فلم يصدقوها فقالت :

أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجْرُ أَوْ حَمِيرٌ قَدْ أَخَذَتْ شَيْئًا يُجْرُ

فلم يصدقوها . فقالت أحلف بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفاً أو يخصف النعل ، فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم ، فأخذ الزرقاء فشق عينها فإذا فيهما عروق سود من الإمد ، وكانت أول من اكتحل بالإمد من العرب ، وقد ذكرها الشعراء من قديم في شعرهم : مثل النابغة في قصيدته الدالية، والاعشى في قصيدة هينية فضل المتنبي نفسه على زرقاء اليمامة فقال : إذا نظرت عيناى ساواهما علمى : أى أنهما لا يسبقان علمى فإذا رأيت الشيء يبصر علمته بقلبي . وروى ابن جني شأواهما علمى . والشأو : الأمد والغاية . يقول : إذا نظرت عيناى فغايتاهما : أن تعرف ما علمته بقلبي ؛ يعنى أنه عارف بأعقاب الأمور . وروى شاءهما : أى سبقهما ، مقلوب « شأى » ؛ وروى أيضاً ساواهما علمى ؛ والشأو : الهمة أى همة عيني أن تريا ما عرفت .

(٢) الدحور : البسط ؛ والإسكندر : هو ذو القرنين - الذى بنى السد بين بأجوج وبين سائر البلاد كما جاء في القرآن الكريم ، وليس هذا موضع تبين حقيقة هذا السد - وهل ذو القرنين هذا هو الإسكندر المقدوني أو خلافه ؟ يصف المتنبي كثرة أسفاره في الأرض وتقلبه في البلاد حتى عرف الأرض كلها ، وحق كأنه بسطها لعلمه بها . ويذكر قوة عزمه على الأمور ؛ حتى كأن الإسكندر بنى السد من عزمه هذا : وقد فرق أهل

لَأَلْتَقَى ابْنَ إِسْحَاقَ الَّذِي دَقَّ فَهْمُهُ ؛ فَأَبْدَعَ حَتَّى جَلَّ عَنْ دِقَّةِ الْفَهْمِ (١)
 وَأَسْمَعَ مِنَ الْفَاطِلَةِ اللَّثْمَةِ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا تَبَعِي وَلَوْ ضَمَنْتَ شَتِي (٢)
 يَمِينُ بَنِي قَحْطَانَ رَأْسُ قَضَاعَةٍ ، وَعِزْرِيْنَهَا بَدْرُ النَّجُومِ بَنِي فَهْمِ (٣)
 إِذَا بَيْتَ الْأَعْدَاءِ كَانَ أَسْمَاعُهُمْ صَرِيرُ الْعَوَالِي قَبْلَ قَمَقَمَةِ اللَّجْمِ (٤)
 مُذِلُّ الْأَعْرَاءِ الْمِرْزُ وَإِنْ يَبِينُ بِهِ يَتَمَّهُمْ فَالْمَوْتِمْ الْجَابِرُ الْيَتِيمِ (٥)

اللفظة بين السد بالضم وبينه بالفتح فقال الزجاج : ما كان مسدوداً خلقته فهو سد - بالضم - وما كان من عمل الناس فهو سد - بالفتح .

(١) لألقى : متصلة بقوله برتني السرى ؛ وأبدع : أى جاء بالأمر البديعة المتكررة التي لم يسبق لها مثال ، يقول : تكلفت المشاق وكابدت شدائد الأسفار لألقى للمدوح المذكور الذي دق فهمه وأبدع في دقة الفهم حتى صار أعظم من أن يوصف بدقة الفهم فيقال إنه عالم بالنيب ، أو تقول حتى صار أعظم من أن تدركه الأفهام الدقيقة (٢) يبلد بها : يروى يلد لها . ويقال : لذت الشيء ولذت به : أى استلذذته . وقوله ولو ضمنت : يروى « وإن ضمنت » . يقول : إنه صحيح اللفظ ، مستحلى الكلام ، ياتذ السمع بكلامه ولو كان شتاً ، لصعته وعذوبته .

(٣) قحطان : أبو قبائل اليمن ؛ وقضاعة : قبيل منه ؛ وبنو فهم : حى من قضاعة ، وهم رهط المدوح ؛ والعرنين - فى الأصل - ما تحت ملتقى الحاجبين من الأنف . يقول إنه فى هؤلاء كاليمن من الجسد ، وفى هؤلاء كالرأس والعرنين : أى أنه رئيسهم وبه عزم ، والعرنين يجعل مثلاً فى العز ، وكذلك الأنف ، وجعله كالسدر فى « بنى فهم » الذين هم كالنجوم .

(٤) بيت الأعداء : طرفهم ليلاً . والصرير والقمقمة : من مرادفات الصوت ؛ والعوالى الرماح : يقول : إذا وفى أعداءه ليلاً أخفى تديبه ومكره وتحفظ من قبل أن يفتن له فيأخذهم على غفلة حتى يسمع صرير رماحه بين ضلوعهم قبل أن يسمعا أصوات اللجم متحركة فى أحناء خيله . وحاصل المعنى أنه يهجم عليهم فلا يشعرون به إلا وقد طضم رماحه لإسراعه ولطف تديبه . وقد زلت قدم ابن جنى فى تفسيره هذا البيت إذ قال : يبادر إلى أخذ الرمح : فإن لحق إسراج فرسه فذاك ، وإلا ركبه عريانا .

(٥) يئن - مضارع أن يئن - أى يحين ، وقوله : به ، أى على يديه ؛ وللموتيم اسم فاعل - من أيتم - يقول : هو مذل الأعراب ، ومعز الأذلاء ؛ يرفع قوماً ويضع

وَأَنْ تَمْسَ دَاءَ فِي الْقُلُوبِ قَتَاتُهُ فَمُسِكُهَا مِنْهُ الشِّقَاءُ مِنَ الدَّمِ (١)
مُقَلَّدُ طَاغِي الشُّفَرَتَيْنِ مُحْكَمٌ عَلَى الْمَاءِ لِأَنَّهُ جَائِرُ الْحَكْمِ (٢)
تَمْرَجُ عَنِ حَقْنِ الدَّمَاءِ كَأَنَّهُ
يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرَكَ رَأْسَ عَلَى جِسْمِ (٣)
وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ كَجَدِّهِ عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلِ بَرِيئًا مِنَ الْإِثْمِ (٤)
مَعَ الْحَزْمِ حَتَّى لَوْ تَمَمَدَ تَرَكَهُ لِأَلْحَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ (٥)

آخرين ، ثم قال : وإن حان يتمم - أى يتم الأجزاء - فهو الموت وهو في الوقت عينه الجابر اليتيم : يعنى أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى أبنائهم الأيتام ويكفلهم بنعمته .

(١) القنائة : الرمح ، ويريد بمسكها : نفسه . ومن روى فمسكها - بفتح السين أراد موضع الإمساك : وهو الكف ، مثل المدخل والمخرج ؛ ومنه : لتجريد ؛ والعدم : الفقر . يقول : إن أدوى (١) قلوب اللطونيين بقناته فإن الذى أمسكها هو الذى يشفى من الفقر بعطائه ، وقد قابل بين الداء والشفاء .

(٢) الطاغى : الجائر الذى يتجاوز الحد ، وشفرنا السيف : حدها . والماء : الرءوس يصف سيفه يقول : هو مقلد سيف جائر الشفرتين لكثرة ما يقتل ؛ محكما فى رءوس الأعداء ؛ جائرا فى حكمه ، لأنه يحكم بقتلهم جميعا ولا يبقى منهم أحدا .

(٣) تخرج عن الشيء : كف عنه وأمسك تأمما وحقن الدماء : حفظها وتركها فى أبدانها . يقول : إنه يريق دماء أعدائه ولا يبقى عليها ، فكانه يرى ترك رأس من رءوس أعدائه على جسمه قتل نفس لا يحل له قتلها : أى يتخرج من هذا كما يتخرج من ذلك .

(٤) قال الواحدي : لما وصفه بكثرة القتل ذكر أنه لا يقتل إلا من يستحق القتل كجده - وكان غازيا يقتل الكفار - فكان بريئا من إثم القتل على كثرة ماله من القتل

وروى ابن جنى : كعده بالخاء وقال : أى كعد هذا السيف : أى أنه كثير القتل ولا إثم عليه ، لأنه لا يضع الشيء فى غير موضعه ، كما أن حد السيف كثير القتل ، وهو غير آثم كما قال أبو تمام :

إِنْ أَجْرَمْتَ لَمْ تَنْصَلْ مِنْ جَرَائِمِهَا وَإِنْ أَسَاءْتَ إِلَى الْأَقْوَامِ لَمْ تُلْمَ .

(٥) مع الحزم : متعلق بقوله « وجدنا » . والحزم : ضبط الإنسان أمره والأخا

(١) أدواه : أحدث به داء .

وَفِي الْحَرْبِ حَتَّىٰ لَوْ أَرَادَ تَأْخِرًا لَأَخَّرَهُ الطَّبِيعُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقَدَمِ (١)
لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيِي الْمَيِّتَ وَغَضَبُهُ
بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ (٢)
وَرِقَّةٌ وَجِبْهَةٌ لَوْ خَتَمْتَ بِنَظَرَةٍ عَلَىٰ وَجْنَتَيْهِ مَا انْمَحَىٰ أَثَرُ الْخَتْمِ (٣)
أَذَاقَ النَّوَائِي حُسْنَهُ مَا أَدَقَّنِي ، وَعَفَّ لِحَاذَاهُنَّ عَنِّي عَلَى الصَّرْمِ (٤)

فيه بالثقة . يقول : وجدناه ملازماً للعزم حتى لو تعمد تركه لم يعد مع تركه إلا حازماً لأن العزم ملازم له ، والمعنى أنه لا ستيلاء للعزم عليه يلحقه تركه إياه بفعله حتى لو أراد ترك العزم لم يمكنه ، وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام :

تعوّد بسط الكفِّ حتى لو آتته ثناها لقبض لم تجبئه أنامله
ولك أن تقول إن المعنى : أنه لو تعمد ترك ما هو عزم في بادئ الرأي لم يكن تركه إلا أمر يقتضيه العزم ، لأنه يرى مالا يراه غيره ولا يضع الأشياء في غير مواضعها .

(١) في الحرب : عطف على « مع العزم » والتقدم : التقديم يقول : هو صاحب الحرب وفي الحرب أبداً ، حتى لو أراد تأخراً لكان تأخره تقدماً إذ ليس عنده إلا التقدم والمعنى لا أخره الطبع الكريم عن التأخر إلى التقدم .

(٢) يقول : بلغت رحمته إلى حد أنها تكاد تحيي العظام وهي رميم . قال الواحدى : أى فضلت عن الأحياء إلى الأموات وغضبه فضل عن صاحب الجرم فضلة هي للجرم : يعنى أنه يفتى بغضبه المجرم وتبقى من غضبه فضلة تفتى الجرم القدى اجترمه أيضاً ، بمعنى أنه بعد تنكيهه بالمجرم لا يجترى أحد أن يأتي مثل جرمه خوفاً من غضبه فضله يفتى المجرم وجرمه (٣) رقة الوجه : كناية عن الحياء وكرم الأخلاق . يقول : هو رقيق الوجه حياء وكرماً ؛ فلو نظرت إليه لظهر على وجهه أثر نظرك كأثر الختم : ثم لا يذهب ذلك الأثر ولا ينمحي .

(٤) النوائى : جمع غانية ، وهى الشابة التى غنيت بجمالها عن الحلى ، وقيل التى غنيت بزوجها عن الرجال ، وقيل التى غنيت ببيت أبويها فلم يقع عليها سبأ . وأسكن « النوائى » : ضرورة ، لأنها مفعول أذاق . والصرم : المجرى وللقاطعة ، يفتح الصاد وضمها - وقيل : الصرم المصدر ؛ والصرم : الاسم . يقول إنه لحسنه تشقه

فَدَىٰ مَنْ نَقَىٰ الْعَبْرَاءَ أَوْلَهُمْ أَنَا هَذَا الْأَبِيُّ الْمَاجِدِ الْجَائِدِ الْقَرَمِ (١)
لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْأَمْنِ سَيْفُهُ

فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِالْعَرَبِ وَالْمَعْجَمِ (٢)

وَأَرْهَبَ حَتَّىٰ لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ جَرَتْ جَزَعًا مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا فَحْمٍ (٣)

النساء ولكنه يعف عنهم ولا يواصلهن ، فكان ذلك منه جزاء لمن على مصارمتهم إياي .

(١) فدى خبر عن الموصول بعده ، والعبراء : الأرض . والأبى : بمعنى الآبى وهو الذى يابى الدنيايا . والجائد : الفاعل من جاد يجود ، والقرم : السيد ؛ وأصله : الفحل من الإبل يترك للفحلة ولا يحمل عليه . يقول : يفدى هذا المدحوح كل من على الأرض وأولهم أنا ، لأنه سيدهم .

(٢) حال : اعترض . يقول : لقد أخاف سيفي الجن حتى حال بينهم وبين أن يأمنوه فما ظنك بالإنسى بعد خوف الجن ، والعرب والعرب واحد ، وكذلك المعجم والمعجم .

(٣) أرهب : أخاف ؛ والجزع : نفاذ الصبر من شدة الخوف . يقول : أخاف كل أحد حتى لو نظر بهيبته إلى درعه لذابت جزعا من خوفه وجرت مجرى الماء . وهذا من قول الآخر :

لو صال من غضب أبو دُف على بيض السيفِ لَدَبْنَ في الأغصانِ
هذا : ويقال فحم وفحم مثل نهر ونهر ، وفي المثل : لو كنت أمتخ في فحم : أى لو كنت أعمل في عائدة . قال الأغلب العجلي :

هل غيرُ غارِ هدِّ غاراً فانهدم قد قاتلوا لو ينفخون في فحم

* وصبروا لو صبروا على أمم *

يقول : لو كان قتلهم يعنى شيئاً ، ولكنه لا يعنى فكان كالذى ينفخ نارا ولا فحم ولا حطب ، أفلا تتقد النار : يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمراً لا يجدى عليه ، والفحيم كالفحم . قال امرؤ القيس :

وإذ هي سوداء مثل الفحيم تفتش المطائب والمنكبا (١)

(١) وإذ هي سوداء : يعنى اللمة ؛ وذلك دليل الشباب والفتوة ، والمطائب : جمع المطيب ، وهو جبل العاتق الممتد إلى المنكب .

وَجَادَ فَلَوْلَا جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيْجَتُهُ أُبْنَةُ الْكَرْمِ (١)
أَطْعَمَكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يَا بَنَ ابْنِ يُونُسَ
لَسَهَوْنَا ، وَالْحَاسِدُ لَكَ بِالرَّغْمِ (٢)

(١) غير شارب : حال . وابنة الكرم : الحمر ، يقول : جاد بالأموال فأكثر
وتخرق في الكرم ، فلولا أننا رأينا صاحبا لقلنا كريم هيجته الحمر فحركته إلى
الجود وابتنته عليه ، وقد جانس بين الكريم والكرم ، وهذا من قول
البحرئى :

صَحَا وَهْتَزَ لِلْمَعْرُوفِ حَتَّى قِيلَ نَشْوَانُ

(٢) طوع الدهر : لك أن تجعل المصدر مضافا إلى الفاعل ، فيكون المعنى : أطعمتك
كما أطعك الدهر ، ولك أن تجعله مضافا إلى المفعول ، فيكون المعنى أطعمتك غاية الطاعة
شهوة منا لطاعتك كما نطيع الدهر - ولا ينفك أحد من طاعة الدهر - وأطعك
حاسدوك على الرغم منهم خوفا منك . هذا وقوله : الحاسدوك ، أراد والحاسدون ،
فحذف النون ، لأنه شبهه بالفعل ، كأنه قال والذين حسدوك ومثل هذا كثير ، قال
عبيد بن الأبرص :

وَلَقَدْ يَفْنَى بِهِ جِيرَانُكَ الْمُسْكُومِ بِأَسْبَابِ الْوِصَالِ

أراد المسكون ، وأنشد جميع النحويين :

وَالْحَافِظُ عَوْرَةَ الْمَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ وِرَائِنَا وَكَفْ (١)

(١) من قصيدة لعمر بن امرئ القيس الحزرجي ، وقوله :

نَحْنُ الْمَكِيثُونَ حَيْثُ مُحَمَّدٌ بِالْمَكِّ وَنَحْنُ الْمَصَالَتُ الْأَنْفُ

والمكيثون : جمع مكث فيل من المكث وهو البث - الانتظار - والمزاد هنا الصبر
والرزاة والمصالت : جمع مصلت ، وهو الماضي في الأمور لايهاب شيئا . والأف : جمع
أنف ، من الأنفة ، وهى الحمية . والحافظو : عطف على « المصالت » والعورة :
المكان الذى يخاف منه العدو ؛ والوكف : العيب والإثم . يقول : ونحن نحفظ
عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شيء يهابون به من تضييع نهرهم وقلة رعايته .
« راجع القصيدة وقصتها وشرحها في الجزء ٤ ص ٢٠٥ من « الحزاة » طبعة « السلفية »

وَقِنَّا بِأَنْ تُعْطِيَ فُلُوْا لَمْ نَحْمَدْ لَنَا نِلْنَاكَ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ (١)
دُعِيْتُ بِتَقْرِيبِكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ ، وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُو نِنَائِي عَلَيْكَ اسْمِي (٢)
وَأَطْعَمْتَنِي فِي نَيْلٍ مَا لَا أَنَالُهُ
بِمَا نِلْتُ حَتَّى صِرْتُ أُطْعَمُ فِي النُّجْمِ (٣)

أراد الحافظون ، ولذلك نصب عورة ، وقرأ بعض القراء « والمقيمي الصلاة »
بنصب « الصلاة » وارتفع الحاسدو : بالمطف على الضمير في « أطعناك » وحسن المطف
على الضمير المرفوع ، وإن لم يؤكّد ، لطول الكلام .

(١) خلناك : حسبناك ؛ والوهم : تخيل الشيء وتمثله كان في الوجود أو لم
يكن . وقال الجوهري : وهمت في الشيء - بالفتح - أم وهما : إذا ذهب وهمك
إليه وأنت تريد غيره ؛ وتوهمت : أى ظننت ؛ ووهم - بكسر الهاء - : غلط
وسها . يقول : وثقنا بأنك تعطينا لما تحققناه من جودك فلو لم تعطنا لظنناك
قد أعطيتنا .

(٢) التقريض : المدح . وقوله : الذي يدعو ، أراد يدعوني ، فحذف المفعول .
يقول لكثرة مدحى إياك دعيت مادحك وشاعرك ، والذي يدعوني يظن أن اسمي
ثنائي عليك فيقول يامثنى فلان - يامادح فلان - وبعبارة أخرى : لقد اشتهرت بمدحك
بين الناس حتى سموني مادح فلان ، وصار الذي يريد أن يدعوني ، يناديني بهذا اللفظ ،
لظنه أني مسمى به ؛ وقال ابن جنى : أنا أمدحك بالشعر ، فيقول الناس هذا شاعر
الأمير ، فاشتق لي من مدحك اسم ، وهذا المعنى من قول الناس : من أكثر من شيء
عرف به ، وقد قال جعفر بن كثير لجليل قد ملأت البلاد بذكر بثينة وصار اسمها لك
نسبا وإني لأظنها حديدة العرقوب دقيقة الطنبوب ، وقد نقل الثنابي هذا من قول
البحترى

وما أنا إلا عبدٌ نعمتك التي نُسِبتُ إليها دون رهطى ومعشرى
(٣) يقول : قد نلت بمجودك كل ما أردت ، ولما أدركت ذلك طعمت فيما لا ينال ،
لأن من نال ما أراد طمع فيها وراه مما لا يناله ، ولم يزل بي هذا الطمع حتى صرت
أطعم في إدراك النجوم حتى أناها كما قال البحترى :

لَمْ لَا أُمْدُ يَدِي حَتَّى أَنَالُ بِهَا زُهْرَ النُّجُومِ إِذَا مَا كُنْتُ لِي هُضْدَا
(١٧ - الثنابي ٤)

إذا ما ضربت القرن ثم أجزتني فكل ذهباً لي مرة منه بالكلم (١)
أبت لك ذمي نخوةً بمنيةً ، ونفس بها في مآزق أبداً ترمي (٢)
فكم قائل لو كان ذا الشخص نفسه لكان قرأه مكمن المسكر الدهم (٣)
وقائلة والأرض أعني تعجباً على أمرؤ يمشي بوقري من الحلم (٤)
عظمت فلما لم تكلم مهابةً
تواضعت وهو العظم عظمًا عن العظم (٥)

(١) القرن : الكفة في الحرب . وأجزتني : أعطيتني جأرة ، وهي العطاء والكلم الجرح . يقول : إذا أردت أن تعطيني وقد ضربت أحد أقرانك في الوغى ؛ فأجعل عطائي ملء جرحه ذهباً ، فإن ذلك يكون كفيلاً لي بالغنى . يصفه بسعة الضربة وبعد غور جرحه ورحابته .

(٢) بمنية : تروى عربية ؛ والنخوة : الكبر ؛ يريد بها ترفعه عن الدنيا وعمما يورثه عيباً ؛ والمآزق : المضيق ؛ والمراد به : ساحة الحرب . يقول : ترفك عن انقائص ونفسك التي ترمي بها أبداً في مآزق الحرب بإيثار ذمي لك : أي لا موضع للدم فيك ، لأنك مترفع عن كل ما يزيى بك ، لأنك كريم شجاع

(٣) القرا : الظهر . والمكمن : الخبا . والدهم : الكثير . يقول : كم من قائل يقول لو كان جسمه على قدر نفسه وهمته لاخنتي وراء ظهره الجيش العظيم .

(٤) وقائلة : أي ورب قائلة . والأرض : منصوب بأعني ، وتعجباً : مفعول له ، أو حال ؛ ولك أن تجعله مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف : أي أعجب تعجباً . وعلى أمرؤ : مبتدأ وخبر وقوله : بوقري أي بمثل وقري : أي ثقلى : يصف زرائته وثقل حمله . يقول إن الأرض تقول تعجبت تعجباً يمشي على أمرؤ ثقيل حمله كثقلى .

(٥) الضمير من « وهو العظم » : يرجع إلى التواضع المفهوم من قوله تواضعت ، والحلمة : معترضة ، وعظما : مصدر في موضع الحال من « التاء » في « تواضعت » وعن العظم ، متعلق بعظما . يقول : أنت عظيم القدر والنفس والهمة ، فلم يكلمك الناس مهابة لك : فلما هابوك تواضعت متعظماً عن تلك العظمة ، وهذا التواضع والتعظيم عن العظمة هو عين العظمة ، لأن تواضع الشريف عن شرفه هو الشرف كل الشرف :

وقال يمدح علي بن إبراهيم التنوخي :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهَمِّمُ أَحَدْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا الْقَدِيمُ (١)
وَأَمَّا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكَهَا عَجَمُ (٢)
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عِبُودٌ لَهُمْ وَلَا نِزَمٌ (٣)
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطَيْتُهَا أُمَّمٌ تَرْعَى بَعْدَ كَانِهَا غَمُّ (٤)

(١) أحق - أي أولى وأجدر - : خبر مقدم عن الهمم : والعافي: الدارس الذاهب - من عفت النيار : درست - والقدم : خلاف الحدوث . يقول : أحق عاف بأن يبكي عليه هو همم الكرام التي قد درست وذهبت: أي أنها أولى بالبكاء من الدمن والأطلال ثم قال : إن اتقدم أحدث الأشياء عهدا بها - أي بالهمم - أي أن دروسها قديم، وإذن لا عهد لأحد بها ، قال الواحدى : لأن المحدثات تتأخر عن القدم وإذا كان القدم أحدث الأشياء عهداً بها فلا عهد بها لأحد ، وهذا كما تقول أحدث الناس عهداً بها آدم ، دل هذا على أنه لا عهد بها لأحد من الناس وقال ابن جنى : سأله - أي للتنبى - عن معنى هذا البيت فقال : أحق ما صرفت إليه بكاءك همم الناس ، لأنها قد عفت ودرست فصار أحدثها عهدا قديما . وعبارة التبريزى : أحق عاف بأن يبكي عليه همم الكرام لأنها قد عفت كما تعفو الربوع ، فمن أحق بدمعك من كل الدارسات ، وجعل القدم أحدث الأشياء عهدا بالهمم : أي أن دروسها قديم ، فلا همم فى الأرض (٢) يقول : إن الناس بالملوك يرتفعون ، والعرب إذا ملككم العجم لم يملحوا ، لما بينهما من التباين والتنافر واختلاف الطباع واللغة ، ثم بين هذا فى البيت التالى ، هذا : وقد قال أبو عبيد : أصل الفلاح البقاء ، وأنشد للأضبط بن قريع :

لكلِّ هم من لأمور سمّةً والسنى والصبحُ لا فلاح معه

يعنى ليس مع كل الليل والنهار بقاء ، ثم كثر استعماله حتى صار يطلق على الفوز بكل ما يقتبط به ؛ وفيه صلاح حال .

(٣) الحسب : ما يعسده الإنسان من مفاخر آباءه ، وقيل : الحسب الفعال الصالح ؛ والذمم : جمع ذمة ، وهى الأمان والعهد .

(٤) قوله ترعى بعبد : يريد عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يؤمرون على الناس .

بَسْتَخْشِنُ الْحَزَّ حِينَ يَلْسُهُ (١)
 إِنِّي وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِي فَمَا
 وَكَانَ يُبْدِي بِظُفْرِهِ الْقَلَمَ (١)
 أَنْكَرُ أَنِّي عَقُوبَةٌ لَهُمْ (٢)
 وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ أَمْرٌ وَعَلِمَ
 لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَّةٍ قَدَمٌ (٣)
 يَهَابُهُ أَبْسَأُ الرَّجَالَ بِهِ (٤)
 وَتَتَّقِي حَدَّ سَيْفِهِ الْبَهْمَ (٤)
 كَفَانِي الذَّمُّ أَنَّنِي رَجُلٌ
 أَكْرَمُ مَالٍ مَلَكَتُهُ الْكِرْمُ (٥)
 يَجْنِي الْغَنَى لِلشَّامِ لَوْ عَقَلُوا
 مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمِ الْعَدَمُ (٦)

(١) الحز : ثياب تعمل من الأبريسم : أى الحرير الصوف لا يشوبها قطن ولا كتان . يقول : يرى من كبريائه الحز خشنا ، وكان قبلا رثا حافيا طويلا الأظفار .
 (٢) يقول : إني - وإن لمت حسادي - لا أنكر أنهم معذرون في حسدي لأنهم معاقبون بتقدمي عليهم وظهور نقصانهم بزيادة فضلي .

(٣) العلم : الجبل : أى شهير كالعلم : والهامة : الرأس ، وهذا تأكيد لبيان عذرهم في الحسد . يقول : لم لا يحسد من صار كالعلم في كل فضل . أى اشتهر وصار كالشار إليه ، وعلا الناس كلهم فصارت قدمه فوق الهامات : يعنى علت درجته درجاتهم ، وقد نظر في هذا إلى قول البحترى :

واعذر حسودك فيما قد خصصت به إن العلى حسن في مثلها الحسد

(٤) أبسأ الرجال به : أى آنتهم به وآلفهم له ، يقال بسأت بالشيء : إذا أذهبت هيئته من قلبك . وتتقى : تحذر . والبهمة : جمع بهمة ، البطل الذى لا يدري من أين يؤتى من عدة بأسه . يقول : كيف لا يحسد من كان من الهية بحيث يهابه أنيسه ، ومن الشجاعة بحيث تتقيه الأبطال ؟

(٥) كفاء الشيء : صرفه عنه ؛ وأنى : فاعل كنى . والكرم : نقيض اللؤم : يقول : منع عنى الذم أى رجل كريم أرى ما بى من الكرم أعز شئ أملكه وأصونه يبدل المال دونه وأجمل به بجمل غيرى بالمال .

(٦) اللئيم اللئيم : الأصل ، الشحيح النفس ، نقيض الكريم . والعدم - بفتح العين الدال ، وبضم العين وسكون الدال وبضمها - : الفقر وقلة المال . ويجنى لهم : يكسب لهم . يقول : إن غنى اللئيم لو علم بجنى عليه ما لا يجنيه اللئيم ، لأن الفقر يقطع عنه الطمع ولا يظهر لؤمه ، لأنه لا يقصد فى حاجة ؛

هُم لِأَمْوَالِهِمْ وَلِسَنَ لَهُمْ وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجُرْحُ يَلْتَمِيمٌ (١)
 مَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ فَلْيَكُنْ كَمَلِي يَهَبُ الْأَلْفَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ (٢)
 وَيَطْمَنُ الْخَيْلَ كُلَّ نَافِذَةٍ لَيْسَ لَهَا مِنْ وَحَايَهَا أَلْمُ (٣)

أما الغنى فإنه يظهر لؤمه لأن الأطلاع تتصل به ، ولؤمه يمنع من تحقيقها ، فيتوجه عليه الذم .

(١) الضمير في «لسن» للأموال ، والتأم الجرح : التحم . يقول : إن الثام مملوكون لأموالهم لأنهم يتعبون في سبيل حفظها وجمعها ومنعها وهي كأنها تشير عليهم بأن يصونوها ولا يبذلوها فيطيعونها . وهم لا يملكونها ، لأنهم ليست لهم قدرة على البذل لها ، ولا أن يكسبوا بها محمداً في الدنيا أو أجراً ومثوبة في العقبى ، فضلاء عن أنها صائرة إلى الوارث ؛ وإذن : فهم للأموال وليست لهم وبهذا يوصف اللثيم المكث ، كما قال حاتم الطائي .

إِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَالِ رَبًّا لِأَهْلِهِ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مَعْبُدٌ
 وَقَالَ الْآخَرُ :

ذَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ لِي الْمَالُ رَبًّا تَحْمَدِي غَيْبَهُ غَدًا
 وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أُمْسَكْتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ
 وَقَالَ الْخَزَوِيُّ :

إِنَّ رَبَّ الْمَالِ آكِلُهُ وَهُوَ لِلْيُخَالِ أَسْكَالٌ

ثم قال : إن العار أبقى من الجرح ، لأن جرح السيف يبرأ ويلتئم ؛ أما جرح العار فإنه يبقى ولا يزول عن صاحبه .

(٢) الكاف من «كلمى» : في موضع نصف خبر «يكن» : أى مثل على وجهه «وهو يبتسم» : في موضع الحال . وقوله يهب الألف : أى من الدنانير .

(٣) ويطمئن الخيل : أى فرسانها ؛ وكل نافذة أى كل طعنة نافذة : أى تنفذ في المطعون إلى الجانب الآخر . والوحاء : السرعة . يقول : إن مطعونه لا يحس بألم الطعنة ، لأنها - لسرعتهما - تقتله قبل أن يدرك ألمها . قال ابن جنى : لم توصف الطعنة بوحاء أسرع من هذا ، وقد قال غيره في السيف

وَيَعْرِفُ الْأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ فَمَا لَهُ بِمَدِّ فَقَلِهِ نَدْمٌ (١)
وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالسَّلَاحُ وَالْبَيْضُ لَهُ وَالْقَيْدُ وَالْحَشْمُ (٢)
وَالسُّطُوتُ الَّتِي سَمِعْتَ بِهَا تَكَادُ مِنْهَا الْجِبَالُ تَنْفَعُهُمْ (٣)

تَرَى ضَرْبَاتِهِ أَبْدَأُ خِطَابًا إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ قَتِيلٌ

(١) الموقع - ههنا - مصدر بمعنى الوقوع ، يريد أن يقول : وإنما يندم من لا يعرف العواقب أما من يعرف الأمر قبل وقوعه ، فإنه لا يندم على فعله ؛ لأنه يعلم وجه الصواب فيه فيعمله عن بصيرة ومعرفة ، فلا يلزم به بعد ذلك ما يبعثه على الندم ، وعبرة ابن جنى : إذا حمل هذا البيت على صحة الظن كان كما قال أوس بن حجر :

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

أى هذا المدح لا يندم لأنه لا يفرط في الأمور ، وإنما يندم من ضيع حزمه وقت المنفعة ؛ وقد شرح هذا الغرض من قال :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصُرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

(٢) السلاح : الخيل الطوال ، جمع سلهب وسلهبة ، يقال : فرس سلهب وسلهبة للذكر : إذا عظم وطال وطالت عظامه . والبيض . السيف والحشم : أتباع الرجل الذين يفضون لفضبه ويرضون لرضاه . يقول : له هذه الأشياء لأنه ملك . فقوله والأمر : ابتداء ، وما بعده : عطف عليه ، والخبر : قوله : له .

(٣) السطوت : جمع سطوة ، وهي القهر بالبطش ، وسطا عليه وبه سطوا وسطوة : صال . والقصم - بالقاف - أن ينكسر الشيء فيبين ، وأما القصم - بالفاء - فهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين . قال ذو الرمة يصف ظيبا قد انحى في نومه فشبهه بدمليج - ما يلبس في المعصم من الحلوى - قد انقصم :

كَأَنَّهُ دُمْلِيجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهُ فِي مَلْعَبٍ مِنْ عَدَارَى الْحَىِّ مَفْصُومٌ (١)

(١) شبه الغزال وهو نائم بدمليج فضة قد طرح ونسى ، وكل شيء سقط من إنسان لنسيه ، ولم يهتد إليه : فهو نبه ، وجعله مفصوما لتثنيه وانحنائه إذا نام ، ونبه هنا بدل من «دمليج» ويقال أصله نهباً : أى لم يدر متى ضل . قال الأصمعي : أضلوه نهباً لا يدرسون متى ضل حتى انتبهوا له . وذهب ابن بري إلى أن النبه هنا الشيء المشهور ، قال : شبه ولد الظبية حين انمطف لما سقته أمه فروى بدمليج فضة نبه أى بدمليج أبيض نقي . كما

يُرْعِيكَ سَمْعًا فِيهِ أُسْتَمَاعٌ إِلَى الدَّاعِي وَفِيهِ عَنِ اَلْخَطَا صَمَمٌ (١)
يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَابَةً فِي نَجْدِهِ كَيْفَ تُخَاقُ النَّسَمَ (٢)

يقول : وله السطوات المشهورة التي يتحدث بها الناس وتنتساع أخبارها والتي تنكاد الجبال تنصدع وتهد لها لشدها .

(١) يقال : أرعى سمك - أى اصغ به إلى واستمع منى ؛ ومعناه اجعل سمك الكلامي بمنزلة الموضوع الذي يرعى فيه ويتصرف . والضمير من فيه في الشطرين للسمع ، والخطا : الفحش في الكلام . يقول : هو يسمع الداعي إذا دعاه واستغاث به لنصرة أو فعل مكرمة ، فهو عند ذلك سميع ، ويعرض عن الفحش كأنه بصمما ، هذا : والداعي رواها ابن جنى بدون ياء ، وقال : أراد الداعي وقد حذف القراء ياء الداعي في مواضع من القرآن الكريم وأثبتوها في مواضع ، فأثبتها أبو عمرو وورش عن نافع في قوله تعالى « أجب دعوة الداعي إذا دعان » وصلا ؛ وحذفاها وقفا اتباعا للمصحف ، وأثبتها البرزى وقفا ووصلا في قوله « يدع الداعي » في سورة القمر ؛ وأثبتها وصلا أبو عمرو وورش ، وإلى الداعي أثبتها في الحالين ابن كثير وفي الوصل نافع وأبو عمرو وحذف الجميع الباقون وصلا ووقفا اتباعاً للمصحف .

(٢) خلقه : مصدر : أى إبداعه ، وغرائبه : منصوب به ؛ والنسم : جمع نسمة وهي : نفس الروح وذو الروح . قال الشاعر :

ما صورَ اللهُ حينَ صورَها في سائرِ الناسِ مثلها نَسَمَه

يقول : إن خلقه غرائب المجد ، وإبداعه من المكارم ما لم يسبق إلى مثله يعرفك ويصحح لك خلق الله عز وجل النسمة ، لأن المخلوق إذا كان قادراً على خلق شيء كان الخالق أولى بالقدرة عليه . وقال ابن جنى : أراك كيف يخلق الله النفوس ، يعظم قدر ما يأتيه ، كأنه شبه أفعاله بأفعال الله تعالى .

كان ولد الظبية كذلك . وقال في ملعب من عذارى الحى ؛ لأن ملعب الحى قد عدل به عن الطريق المساوك ، كما أن الظبية قد عدلت بولدها عن طريق الصيد . وقوله مفصوم ولم يقل مفصوم ، لأن الفصم الصدع والقصم : الكسر والتبرى ، وإنما يريد أن الخشف - ولد الظبية - لما جمع رأسه إلى فخذة واستدار كدملج مفصوم : أى مصدوع من غير انفراج .

مِلْتُ إِلَىٰ مِنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا ۖ إِنَّ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ (١)
 مِنْ بَعْدِ مَا صَيَّغَ مِنْ مَوَاهِبِهِ ۖ لِمَنْ أَحْبَبَ الشُّنُوفُ وَأَخْلَدُ (٢)
 مَا بَدَّلَتْ مَا بِهِ يَجُودُ يَدٌ ۖ وَلَا تَهْدَىٰ لِمَا يَقُولُ فَمُ (٣)
 بَنُو الْعَفْرَنِيِّ مَحْطَّةُ الْأَسَدِ الْأَسْدُ ۖ وَلَكِنْ رِمَاحُهَا الْأَجْمُ (٤)

(١) مخاطب صاحبيه على عادة العرب . يقول : إني عدلت إلى زيارة رجل لوجئنا
 بأصاحبي تسألانه يكاد ينقسم بينكما ، فيصير لكل واحد منكما نصفه إن سألتاه نفسه
 وهذا مبالغة في الجود :

(٢) الشنوف : جمع شنف ، وهو ما يعلق في أعلى الأذن ؛ أما القرط : فهو ما يعلق
 في شحمة الأذن . والخدم : جمع خدمة ، وهي الخللخال . وقوله من بعد : متعلق بـ «ملت»
 - في البيت السابق - يقول : ملت إلى زيارته من بعد ما كثرت عطاياه عندي حتى
 صفت لمن أحبه الشنوف والخلخال من الذهب الذي أعطاني : يعني أن عطائه وصل إلى
 قبل زيارته .

(٣) تهدي : اهتدي . يقول : لم تبذل يد ما يجود به ، ولا اهتدي فم لأن يأتي بما
 يقول ، يعني أنه أجود الناس بنا وأفصحهم لسانا .

(٤) بنو العفرني : مبتدأ ، خبره الأسد . والعفرني : الأسد القوي ، والنون زائدة
 وأصله من العفر ، كأنه يعفر صيده لقوته ، ومحطة : اسم جد المدوح وهو في موضع
 خفض ، لأنه بدل من «العفرني» ، إلا أنه لا ينصرف ، والأسد : صفة لمحطة - وروى
 الحوازرمي محطة - بالجر - جعله من الحط ، وهو الوضع أي أنه يحط الأسد عن منزلته
 وشجاعته . والأجم : جمع أجمة ، الغاية يأوى إليها الأسد . يقول : إن بني محطة القدي
 هو أسد ، أسود مثله ، لكن غاباتهم التي يستصمون بها ، إنما هي الرماح بدل الآجام
 التي يمتنع بها الأسود ، كما قال طي بن جبيلة :

كَأَبْنِهِمُ وَالرِّمَاحُ شَائِلَةٌ ۖ أَسْدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الْأَجْمُ

وقال أبو تمام :

أَسَادُ مَوْتٍ مُخْدِرَاتٌ مَا هَا ۖ إِلَّا الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا آجَامُ

وقال أيضا :

أَسْدُ الْعَرِينِ إِذَا مَا الْمَوْتُ صَبَّحَهَا ۖ أَوْ صَبَّحَتْهُ وَلَكِنْ غَابَهَا الْأَسْلُ

قَوْمٌ بُلُوغُ الْفُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنُ نَحْوَرِ الْكِمَاةِ لَا الْحَلْمِ (١)
كَأَنَّهَا يُولَدُ الْفَدَى مَعَهُمْ لَا صِفْرٌ عَاذِرٌ وَلَا هَرِمٌ (٢)
إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَدِيقَةً كَتَمُوا (٣)

وانترد إلى عفرني فنقول : يقال أسد عفرني ولبوة عفرني أيضا ، والنون لللاحق
بسفر جل ، وناقاة عفرناة : أى قوية قال عمر بن لجأ التيمى يصف إبلا

حَمَلَتْ أَثْقَالِي مَصِّمَاتِهَا غُلِبَ الذَّفَارِيُّ وَعَفْرَنِيَاتِهَا (١)

(١) قوم : أى هم قوم . والنحور : جمع نحر ، وهو موضع القلادة . والسكاة : جمع
كفى ، وهو البطل المستتر فى سلاحه . والحلم : البلوغ . يقول : هم قوم بلوغ الفلام عندهم
أن يحمل على الأعداء فى الحرب ويطعنهم فى نحورهم ، لأن يبلغ سن الحلم ، فذاك
هو معنى الرجولية عندهم . قال أبو دلف :

علامة القوم فى بلوغهم أن يرضعوا السيف مهبجة البطل

وقال يحيى بن زيد بن على بن الحسين :

خرجنا نقيم الدين بعد أعوجاجه سوياً ولم نخرج لجمع الدرهم
إذا أحكم التنزيل والحلم طفلنا فإن بلوغ الطفل ضرب الجماعيم

(٢) الندى : الجود . والهرم : الكبر والعجز عن التصرف . يقول : إنهم نشأوا
مع الجود وفطروا عليه ، فلا يحول دون جودهم حائل من عجز ، فهم أجواد على كل حال :
وهذا من قول البحترى :

عريقون فى الإفضال يؤتشف الندى لفاشيتهم من حيث يؤتشف العمر

(٣) الصنعة : المعروف . يقول : إذا عادوا أحداً جاهاً بعداوتهم ، لأنهم لا يخافون
عدوا ؛ وإذا اصطنعوا صنعة أخفوها ولم يباهاوا بها ، حياءً ونبلاً .

(١) الذفارى : جمع الذفرى ، والذفرى من القفا : الموضع الذى يعرق من
البعير خلف الأذن ؛ والغلب : جمع الأغلب ، وهو الغليظ . يقال غلب غلباً
أى غليظاً .

تَظُنُّ مِنْ قَدْرِكَ أَعْتَدَادَهُمْ أَهْمُ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا (١)
 إِنْ بَرَقُوا فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ أَوْ نَطَقُوا فَالصَّوَابُ وَالْحَكْمُ (٢)
 أَوْ حَلَفُوا بِالنَّمُوسِ وَاجْتَهَدُوا فَقَوْلُهُمْ « خَابَ سَائِلِي » الْقَسَمُ (٣)

(١) يقول : إنهم لا يعتدون بما صنعوا من المعروف ، لتناسيمهم وغفلتهم عنه ، كأنهم لم يعلموا به ، كما قال الحرثي :

زاد معروفك عندي عظيماً أنه عندك مستورٌ حقيراً
 تَنَدَّأَسَاهُ كَأَنَّ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَثِيرٌ
 وقال الآخر :

وَمَنْ تَكَرَّهْتُمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارٌ
 « المحل : الجذب »

(٢) برقوا : خوفوا وهددوا . والحتوف : جمع حتف ، وهو الهلاك . يقول : إذا هددوا أعداءهم حضر هلاكهم ، وإن نطقوا تكلموا الصواب والحكمة .

(٣) النموس : اليمين التي من كذب فيها غمسته في الإثم . يقول : إذا أرادوا أن يخلفوا بيننا يخافون فيها الإثم عند الحنث فتلك اليمين هي أن يقول حالقهم « خاب سائلي إن فعلت كذا أو لم أفعل كذا » لأن هذه اليمين أعظم شيء عليهم ومن أحسن ما سمع في انقسام قول الأشر النخعي الشاعر الصحابي ومن أنصار سيدنا علي كرم الله وجهه :

بَقِيَّتُ وَفَرَى وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْمَلَأِ وَلَقَيْتُ أُضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسِ
 إِنْ لَمْ أَشْنُ عَلَى ابْنِ هِنْدٍ غَارَةٌ لَمْ تَحُلْ يَوْمًا مِنْ نَهَابِ نَفُوسِ
 خَيْلًا كَأَمْتَالِ السَّعَالِيِّ شُرْبًا تَعْدُو بِيضِ فِي الْكَرْيَةِ شُوسِ
 حَيَّ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ لَمَعَانُ بَرَقِ أَوْ شَمَاعُ شُمُوسِ

« السعالي : جمع سعاة ، سحرة الجن ، أو الغول . والشرب : الضوامر . يصف الخيل بالنشاط والضمور ، والبيض : يريد الفرسان يصفهم بأنهم كرام نقيّة أعراضهم . وفي الكريهة : صلة شوس ، وشوس جمع أشوس وهو الشديد الجريء . على القتال . يقول إنهم شجعان في الحرب » .

أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غَيْرَ مُسْرَجَةٍ فَإِنَّ أَفْخَاذَهُمْ نَهَا حُزْمًا (١)
 أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لَأَقِيمًا أَحَدُوا مِنْ مُهْجِ الدَّارِعِينَ مَا احْتَكَمُوا (٢)
 تَشْرِيقُ أَعْرَاضِهِمْ وَأَوْجُوهُمْ كَأَنَّهَا فِي نَفْسِهِمْ شَيْمٌ (٣)
 لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبَحِيرَةَ وَالْفُورُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَيْمٌ (٤)
 وَالْمَوْجُ مِثْلُ الْفُحُولِ مُزْبِدَةٌ تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا بِهَا قَطْمٌ (٥)

(١) يقول : إذا ركبوا الخيل عربيا لكثرة ما يطرقهم المستغيث فلم يمهلمهم حتى يسرجوا خيلهم صارت أخذاهم حزما لهم تمنعهم من الوقوع إذا أجروها كما يمنع الحزام السرج أن يقع فيقع الراكب .

(٢) اللاقح : الحرب الشديدة ، شبهت بالناقة إذا حملت . والمهجع : جمع مهجة دم القلب . والدارع : لابس الدرع . يقول : إذا شهدوا الحرب ونازلوا الأبطال تحكوا في الأرواح فقتلوا من أرادوا .

(٣) الأعراض : جمع عرض ، ما يمدح به الإنسان ويذم . والشيم : الخلائق أي كأن أعراضهم خلائق تشرق في نفوسهم . يصفهم ببقاء الأعراض والوجوه والشيم ، وهذا ينظر إلى قول أبي الطمجان القيني :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَقَطَ الْجِرْزَعِ نَاقِبُهُ
 وقول الآخر :

فإن كان خطب أو أمت ملة كفى خابط الظلماء فقد المصاحح
 (٤) يريد بالبحيرة : بحيرة طبرية . والغور : منخفض بالشام ، بجوار بلد المدوح ؛ والشيم : البارد . يقول : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وجئت بلدك الدفيء الحار . وقال بعضهم : المراد بالغور : السكان المجاور طبرية ، فيكون المعنى : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وغورها دفيء .

(٥) الموج : جمع موجة . ومن ثم قال : مثل الفحول ؛ ولك أن ترفع ثل وتنصب مزبدة ، على أن مثل خبر ومزبدة حال من الفحول ، ولك أن تعكس فتجعل « مثل » حالا من فاعل مزبدة ومزبدة خبر والضمير من « تهدر بها » للموج ، ومن « فيها » للبحيرة ، وهدر الفحل : إذا هاج وأخرج زبده ، والقطم : شهوة الضراب وهياج الفحل عند ذلك شبه الأمواج في اضطرابها وما يسمع من صوتها بالفحول إذا هاجت واشتت

وَالطَّيْرُ فَوْقَ الْحَبَابِ تَحْسَبُهَا فُرْسَانَ بَاقٍ تَخُونَهَا اللَّجْمُ (١)
 كَانَهَا وَالرِّيَّاحُ تَضْرِبُهَا حَيْشًا وَغَى هَازِمٌ وَمَنْهَزِمٌ (٢)
 كَانَهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ حَفٌّ بِهِ مِنْ جِنَانِهَا ظَلَمٌ (٣)
 نَاعِمَةٌ الْجِسْمُ لَا عِظَامَ لَهَا لَهَا بَنَاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمٌ (٤)

الضراب فرمت بالزبد من أفواهاها؟ ومعنى تهدر فيها: تصيح في البحيرة هديرًا، مثل هدير الفحول وما بها شهوة الضراب .

(١) الحباب : طرائق الماء عند اختلاف الأمواج . وقوله فرسان بلىق: أراد فرسان خيل بلىق ، والبلىق : التي فيها سواد وبياض . جعل الأمواج بلىقا لأن زبد الماء أبيض وما ليس بزبد فهو إلى الخضرة . وتخونها اللجم : الضمير للفرسان ، أى تنقطع أعنتها ، فتذهب الخيل حيث شاءت . يريد تصرف الموج على غير مراد الطائر في كل وجه . وقال ابن جنى : تخونها اللجم : فهي تكبو : يريد رفرقة الطير على الماء ثم انغماسها فيه . قال الواحدى : وليس هذا بشئ لأن الفرس إذا انقطع لجامه لم يكب ، وليست الرفرقة والانغماس مما ذكر في البيت ، وإنما بناهما على الكبو الذى ذكره .

(٢) كَانَهَا : أى الطير . والوغى : الحرب . شبه الطيور وهى يتبع بعضها بعضاً على وجه الماء تضربها الريح ، بجيشين : هازم ومنهزم فالهازم يتبع للهزوم . ولك أن تقول كَانَهَا - أى الطير واللوج ، لأن الريح تضربهما معا فتتابع الطير على أثر اللوج .

(٣) حف به : أحاط به ، قال الواحدى : وكان حقه أن يقول حفه ؛ كما روى في الحديث « حفت الجنة بالسكاره » والجنان : جمع جنة ، وهى البستان ، شبه ماء البحيرة فى صفائه - وقد أحاطت به البساتين فى خضرتها الضاربة إلى السواد - بقمر أحاطت به ظلمات ، وخص النهار لأن هذا الوصف لها بالنهار دون الليل . قال العكبرى : وشبه شدة الخضرة حولها بالسواد على حد قوله تعالى : « مدهامتان » أى سوداوان ، وقال حف به ولم يقل حفه لأنه ضمنه معنى أحاط فمداه تعديته على حد قوله تعالى « وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن » أى لطف بي وكقوله تعالى « فليحذر الذين يخافون عن أمره » أى يخرجون عن أمره .

(٤) قال العكبرى : لما وصف البحيرة ألفز فيها فقال لا عظام لها وهى ناعمة الجسم وبناتها السمك : أى أن البحيرة ماء والسمك بناتها فهى أمهن ومالها رحم

يُنْقَرُ عَنْهُنَّ بَطْنُهَا أَبْدًا وَمَا تَشْكِي وَلَا يَسِيلُ دَمٌ (١)
 تَفَنَّتِ الطَّيْرُ فِي جَوَانِهَا وَجَادَتِ الرِّوْضَ حَوْلَهَا الدَّيْمُ (٢)
 فَهِيَ كَمَاوِيَّةٍ مُطَوَّقَةٍ جُرْدَ عَنْهَا غِشَاؤُهَا الْأَدَمُ (٣)
 بِشِينِهَا جَزِيئًا عَلَى بَلَدٍ تَشِينُهُ الْأَدْعِيَاءُ وَالْقَزَمُ (٤)
 أَبَا الْحُسَيْنِ اسْتَمِيعَ فَمَدْحُكُمْ فِي الْفِعْلِ قَبْلَ الْكَلَامِ مُنْتَظِمٌ (٥)
 وَقَدْ تَوَالَى الْعِهَادُ مِنْهُ لَكُمْ وَجَادَتِ الْمَطْرَةُ الَّتِي تَسِيمُ (٦)
 أُعِيدُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمْ فَإِنَّهُ فِي الْكِرَامِ مِيْهُمْ (٧)

* * *

- (١) لما جعلها ناعمة الجسم وجعل لها بنات كفى عن استخراج ممكها وصيدها منها بالقر، وهو شق البطن.
- (٢) جادت: من الجود - بفتح الجيم - وهو المطر، والديم: جمع ديمة، وهي المطر الدائم في سكون.
- (٣) الماوية: المرأة. وجعلها مطوقة لما حولها من سواد البساتين. والأدم: الجلد، وهو بيان للغشاء. شبه البحيرة - مع ما يحقدق بها من البساتين - بالمرأة وقد جردت مما تغلف به من الجلد.
- (٤) شينها: يعيها. والأدعياء: الذين ينسبون إلى غير آبائهم والقزم: رذال الناس وسفاههم، يستعمل للواحد وغيره، يقال: هذا رجل قزم وناس قزم. يقول: إن عيب هذه البحيرة أنها في بلد أهله لثام خساس.
- (٥) يقول: إن فعلكم مدحكم قبل أن ينظم في الشعر: أي أنه لحسنه يثنى عليكم، ويروي في العقل: يعني أن الناس عقلوا مدحكم قبل أن يتكلموا به.
- (٦) العهاد: جمع عهد، وهو المطر بعد المطر؛ وقيل أمطار بعضها في أثر بعض: ومنه: أي من المدح: والمطرة التي تسم: هي الوسمي، وهو مطر الربيع الأول، فهو الذي يسم الأرض بالنبات. شبه مداخه فيهم بالأمطار المتتابعة لأنها تفتت لها أنعامهم عليه وأراد بالتي تسم: هذه القصيدة.
- (٧) يقول: إن الدهر مولع بالكرام يأتي عليهم ويعصف بهم، ومن ثم أسأل الله أن يعصمكم من نوائبه، وفي هذا المعنى يقول البحترى:

وقال يمدح المغيث بن العجلى :

فُوَادٍ مَا تَسْلِيهِ الدَّمَامُ وَعُمَرُ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللَّثَامُ^(١)
وَدَهْرٌ نَأْسُهُ نَاسٌ صِفَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ مُجِثٌ ضِخَامُ^(٢)

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَابِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ
وَكَيفَ تَرُومُ لِلشَّرَفِ الْمُتَلَّى وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدْرِ الضَّئِيلِ
وَمَا تَنْفَكُ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي تَمِيلُ عَلَى النَّبَاهَةِ لِلخُمُولِ

« النوافل : جمع نافلة ، كل عطية تبرع بها معطيها من صدقة أو عمل خير . والفضول الإفضال والتفضل »
وأصل المعنى لا أتى تمام :

إِنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ وَيَسْلَمَ النَّاسُ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ
فَأَلْمَاهُ لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ أَعَذَبَهُ يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمَرُ الْآجِنِ الْأَسَنِ^(١)

(١) فؤاد : لك أن تجعله مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لى فؤاد ؛ أو خبر مبتدأ محذوف أى فؤادى فؤاد . والدمام : الحمر . واللثيم : هو الذى يتلاقى فيه الشح ومهانة النفس والآباء ، نقيض الكريم . قال ابن فورجه : يعنى أن غرضى بعيد ومرامى متعذر ، إذ لست كالتاس أرى بما يرضون به ويلهينى السكر ، ثم قال - المتنبى - : وعمر مثل ما تهب اللثام ، وهذا تأسف منه . يقول لو كان العمر طويلا لرجوت أن أدرك أغراضى بطول العمر ؛ ولكن العمر قصير ومدته قليلة ، فهو كهيئة اللثام يسيرة حقيرة ، فما أخوفنى أن لا أدرك طلبى بقدر ما أرجوه من العمر . قال الواحدى : وكان هذا من قول أبى تمام :

وَكَانَ الْأَتَامِلَ اغْتَصَرَتْهَا بَعْدَ كَدِّ مِنْ مَاءِ وَجْهِ الْبَخِيلِ

(٢) يقول : إنهم صغار الأقدار والهمم وإن كانوا ضخام الأبدان ، كما قال حسان ابن ثابت :

لَأَعْيَبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولِ وَمِنْ قِصَرِ جِسْمِ الْبِغَالِ وَأَحْلَامِ الْمَصَافِيرِ

(١) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، والأسن : الآسن ، وهو الآجن

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْمَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ (١)
 أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمْ مُلْكُ مُفْتَحَةُ عِيُونِهِمْ نِيَامُ (٢)
 بِأَجْسَامٍ يَحْرُ الْقَتْلُ فِيهَا وَمَا أَقْرَانُهَا إِلَّا الطَّعَامُ (٣)
 وَخَيْلٍ مَا يَحْرِ لَهَا طَعِينُ كَانَ قَنًا فَوَارِسِيهَا ثَمَامُ (٤)

وقال العباس بن مرداس :

فَمَا عِظْمُ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ

هذا : وقال أهل اللغة : الجثة : شخص الإنسان قاعداً أو نائماً ، وقيل جثة الإنسان شخصه متكئاً أو مضطجعاً ، وقيل لا يقال له جثة إلا أن يكون قاعداً أو نائماً ، فأما القائم فلا يقال جثته إنما يقال قتله ، وقيل لا يقال جثة إلا أن يكون على سرج أو رحل معتما . حكاه ابن دريد عن الأخفش ، قال وهذا شيء لم يسمع من غيره .

(١) الرغام : التراب . يقول : لست من هؤلاء الذين ذكرتهم وإن عشت فيما بينهم مثلي في ذلك مثل الذهب الذي معدنه التراب ثم لا يعد بكونه فيه منه . هذا : والمعدن بكسر الدال - مكان كل شيء فيه أصله ومبدؤه ؛ ومنه معدن الذهب والفضة ، سمى كذلك لإنبات الله فيه جوهرهما واثباته إياه في الأرض حتى عدن - أى ثبت - فيها .
 (٢) المعهود في مثل هذا أن يقال : هم ملوك ، إلا أنهم في طبع الأرانب ، لكنه عكس الكلام مبالغة ، فجعل الأرانب حقيقة لهم والملوك مستعاراً فيهم ؛ قال ابن جنى : وهذا عادة له - للمتنبي - يختص بها . يقول هم وإن انفتحت عيونهم نيام من حيث الغفلة كالأرانب تنام مفتحة الأعين ، كما قال :

* وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَامُ *

وكما قال أبو تمام :

أَيْقَظَتْ هَاجِمَهُمْ وَهَلْ يُغْنِيهِمْ سَهْرُ النَّوَاطِرِ وَالْقُلُوبُ نِيَامُ

(٣) بأجسام : أى مع أجسام . ويحمر : يشتد - من قولهم حر يومنا يحمر حرارته . والاقتران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكفو في الحرب . يقول : إنهم لا يحفلون إلا بالآكل ، ومن ثم يموتون بالنخمة من كثرة الأكل لا في وقائع الحروب .

(٤) خيل : معطوف على أجسام . وخر : سقط . والقنا : الرياح . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حش به وسد به خصاص البيوت ، قال الشاعر :
 يصف ضعيف الثمام :

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خِيْلِي وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ^(١)
وَلَوْ حِيزَ الْحِفَاطُ بِفَيْرِ عَقْلِ تَجَنَّبَ عَنْقَ صَيْقَلِهِ الْحَسَامُ^(٢)
وَشِبَهُ الشَّيْءُ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهْنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ^(٣)

ولو أن ما أبقيت مني معلق بمود ثمّام ما تأود هودها
وقولهم : هو على طرف الثمام : أي أنه ممكن لا محال . يقول : إن طعنهم لا يؤثر في
المطعون لضعفهم ، فكأنهم يطعنون بالثمام .

(١) يقول لا صديق لأحد على الحقيقة إلا نفسه ، وليس من تقول هو خليل خليل
لك وإن كثرت تملته ، ولأن لك قوله . هذا : وكما يطلق الخليل على الصديق ، يقال للفقير
المختل الحال : خليل ، قال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول : لا غائب مالي ولا حرم
« مسغبة : مجاعة ؛ وحرم : ممنوع » .

(٢) حيز : مجهول حاز : بمعنى ملك ، والحفاظ : المحافظة على الحقوق ورعى الذمام
والصقيل : الذي يعمل السيوف . والحسام : السيف القاطع يقول : لو كان في الإمكان
أن يحافظ على الوفاء ورعى الذمام مالا عقل له لكان السيف إذا ضرب به عنق الصقيل
الذي صقله لا يقطعه ، يعني أنهم لا عقول لهم ، ولذلك ليس لهم حفاظ .

(٣) الطغام : رذال الناس وغرغراؤهم ؛ قال الأزهرى : وصمعت العرب تقول للرجل
الأحمق : طغامة ودغامة ، والجمع : طغام -- كنعامة ونعام -- . وروى ابن السكيت أن
رجلا كان يتردد إلى أبي مهدي الأعرابي ، وأنه سافر ، فلما قدم قال له أبو مهدي : كيف
حال الناس ؟ أو نحو ذلك - فقال له : وما الحال ؟ فقال أبو مهدي : يا طغامة لقد أحنيتني
في المسألة ، وأنت لا تدري ما الحال : ولزمت ذلك الرجل الطغامة ، فقال فيه بعض
النحويين :

مَنْ كَانَ يُنْجَهُ الطَّغَامَةُ كُلُّهَا فَعَلَيْهِ مَيْمُونًا أَبَا الضَّحَّاكِ
رَجُلًا تَجَمَّعَتِ الطَّغَامَةُ كُلُّهَا فِيهِ وَحَالَفَهَا : بَرَاكُ بَرَاكِ
« قال الجوهري : يقال في الحرب براك براك - كقطام - أي ابركوا »

يقول : إن الشيء يميل إلى شبهه ، والدنيا خسيصة . فذلك ألفت الحساس ، لأنهم
أشبهها في اللؤم والحسة ، والشكل إلى الشكل أميل .

وَلَوْ لَمْ يَنْقَلُ إِلَّا ذُو مَحَلَّةٍ تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقِتَامُ (١)
 وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إِلَّا مُسْتَحِقُّهُ لَرُتِبَتْهُ أَسْمَهُمُ الْمَسَامُ (٢)
 وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِي فَالْغَوَانِي سَيَّالًا فِي بَوَاطِنِهِ ظَلَامٌ (٣)
 إِذَا كَانَ الشَّبَابُ الشُّكْرَ وَالشَّيْبُ هَمًّا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ (٤)
 وَمَا كُلُّهُ بِمَمْدُورٍ بِبُخْلِ وَلَا كُلُّهُ عَلَى بُخْلِ يُبْلَامُ (٥)

(١) ذو محل : أى ذو منزلة رفيعة . والقوام . القبار . يقول : إن علومهم فى الدنيا لا يدل على علمهم واستحقاقهم ، ولو كان كذلك لما ارتفع القبار فوق الجيش .
 (٢) ريع : أى يكون راعيا ، وسامت المشاية . إذ ارتعت وهى ساعة ، وأسامها صاحبها . ويريد بالمسام ههنا : الرعية . والضمير فى « أسامهم » لقوله ملوك - فى أوائل القصيدة - يقول : لو كانت الإمارة بالاستحقاق : لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية ، ورعيتهم ملوكا يسوسونهم ، لأنهم أحق منهم بالملك وقال ابن فورجه : المسام المال المرسل فى مراعيه . يقول : هؤلاء شر من البهائم ، فلو كانت الولاية بالاستحقاق لكان الراعى لهم البهائم ، لأنها أشرف منهم وأعقل . وقال ابن جنى : السيم الذى يدبر أمور الناس محتاج إلى من يدبره وهو مهمل بلا ناظر فى أمره ، فلو لم يل الأمر إلا من يستحقه لخلا الناس من خليفة بل أمرهم لأنه لا يستحق أن يلى عليهم .

(٣) الغوانى : جمع غانية ؛ وهى التى غنيت بحسنها عن التجمل . يقول : من جرب الغوانى فالغوانى ضياء فى الظاهر ظلام فى الباطن . يريد أنهم يتعبن من يصبوا لهم ويعطى قلبه بحبهن .

(٤) الحمام : اللوت . يقول : إذا كان الإنسان فى شببته كالسكران هو أو غفلة ، وفى المشيب غارقا فى بحر من المهمل وضعفه واهتمامه لمسا فوات من عمره - فإن حياته هى اللوت على الحقيقة : أى أن حاله وحال الميت سيات . يريد أن الحياة فى الدنيا منصفة مكدره ؛ فالإنسان لدى المشيب يفكر فيما فوات من عمره وهو فى غفلة ؛ أو تقول : إذا كان الإنسان فى شببته غائبا فى سكر من اللهو والصبا ؛ وعند مشيبه غائبا فى بحر من المهمل حتى لا يرمى فى عمره شيئا - فحياته أشبه بالمات .

(٥) قال الواحدى : يقول : ليس كل أحد يعذر إذا بخل ، لأن الواحد الغنى لا عذر له فى البخل والمنع ، وليس كل أحد يلام على البخل ؛ فإن العسر المحتاج إلى ما فى يده لا يلام فى بخله ، ووجه آخر : وهو : أن الذى لا يعذر فى بخله من ولادته الكرام ؛

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامٌ^(١)
 بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتَ رَأَيْتَ فِيهَا فَلَيْسَ يَفْوَتْهَا إِلَّا الْكِرَامُ^(٢)
 قَهْلًا كَانَ نَقْصُ الْأَهْلِ فِيهَا وَكَانَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا التَّمَامُ^(٣)
 بِهَا الْجَبَلَانِ مِنْ صَخْرٍ وَفَخْرٍ أَنَا : ذَا الْمَغِيثُ وَذَا اللَّكَّامُ^(٤)
 وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاتِنِهِ وَلكِنْ يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْقَمَامُ^(٥)

والذي لا يلام على بخله من كان أباه لثاماً بخلاء؛ لأنه لم يتعلم غير البخل، ولم ير في
 في آباءه الكرم والجود، فيكون هذا من قول أبي تمام :

لِكُلِّ مَنْ بَنَى حَوَاءً عُذْرٌ وَلَا عُذْرٌ لِبَطَائِي لَتِيمٍ

وقال ابن جنى : هو من قول أبي نواس :

كَفَى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادُ مُقْتَدِرٌ عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفٌ عِنْدَ بَخِيلٍ

(١) مقام : مصدر ميمي ، بمعنى إقامة . يقول : لم أرمثل جيرانى فى سوء الجوار
 وقلة المراجعة ولا مثلى فى مصابرتهم مع فرط جفوتهم ، يشكو جيرانه ويلوم نفسه على
 الإقامة بينهم . وقوله لئلى : خبر مقدم عن مقام ،
 والجملة : مفعول ثان لقوله « لم أر » ولك أن تقول إن مراده : أئلى ؟ على الاستفهام
 التحبى .

(٢) يقول : كل ما تشهى وتطلب تجده فى هذه الأرض إلا الكرام فإنهم غير
 موجودين فيها .

(٣) فيها : خبر « كان » ؛ ومنها : حال مقدمة عن « التمام » : يقول هلا كان نقص
 أهل الأرض فى الأرض ، وتمام الأرض - أى كالمها - فى أهلها؟ يعنى أن
 هذه الأرض كاملة فى أحوالها ، وأهلها ناقصون فى أخلاقهم ، فهو يتمنى أن
 يكون كالمها فى أهلها ونقصانهم فيها لها ، إذ أن كمال الأرض مع نقص قطانها ليس
 يجدى شيئاً .

(٤) أنا : أشرفاً وطالاً . والمغيث : هو الممدوح . واللكام : جبل بالشام ، يقال
 له جبل الأبدال . يقول : بها جبلان أحدهما من صخر - وهو جبل اللكام - والثانى
 من حجر - وهو الممدوح - وقدم الصخر على الفخر صنعة وحداقة . لما استعار للفخر
 جبلاً عطفه على الجبل الحقيقى .

(٥) التمام : السحاب . وإنما قال هذا لأنه ذم أهل هذه الأرض فهو يقول :

سَقَى اللهُ ابْنَ مُنْجِبَةَ سَقَانِي بَدَرْتُ مَا لِرَاضِعِهِ فِطَامُ^(١)
 وَمَنْ إِحْدَى فَوَائِدِهِ الْعَطَايَا وَمَنْ إِحْدَى عَطَايَاهُ الدَّوَامُ^(٢)
 فَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا كَسَلِكِ الدَّرِّ يُخْفِيهِ النَّظَامُ^(٣)
 تَلَدُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهِيَ تُوذِي وَمَنْ يَعْشَقُ يَلدُّ لَهُ الْقَرَامُ^(٤)

ليست هذه البلدة موطن المدوح ، ولكنه يمر بها أحيانا مرور السحاب فتصيب من نفعه ، كما قال أبو تمام :

إِنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُوهُ إِلَيْكَ فَقَدْ مَرَّرْتَ فِيهِمْ مُرُورَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ

(١) يقولون: سقى الله فلانا ، يريدون الدعاء له بالخصب والنماء ، والنجبة : التي تلد النجباء ، وابنها : هو المدوح ، يريد أنه نجيب ، والدر : اللبن ، والمراد به عطاياه ؛ والفظام : انفصال الولد عن ثدي أمه . يريد : أنه ليس يقطع عن برة .

(٢) من : عطف على ابن منجبة . والدوام : يروى الدمام ، أى العهد . يقول : إن فوائد المدوح لا تقتصر على العطايا ، فإن في التقرب منه فوائد أخرى كالشرف وعزة أجنب وما إليها ، وعطاياه لا تنحصر في الأموال ، فإن منها العهد والحفاظ والوفاء يريد أنه لا يعامله معاملة الشعراء الذين يطلبون الجوائز . ولكن يعامله معاملة خصائه

(٣) السلك : الحيط الذى ينظم به العقد ؛ والنظام : مصدر نظم . قال الواحدى : يعنى أنه غطى بمحاسنه مساوى الدهر ، وتجمل الزمان به تجمل السلك إذا نظم فيه الدر ومن روى « بها » : عاد الضمير إلى العطايا ، والمعنى : لبس الزمان من عطاياه ملبس السلك من الدر وقال ابن القطاع : هذا البيت على القلب . يقول : قد خفينا بأفعاله عن حوادث الزمان ، فلا يرانا ولا نراه ، ويجوز أن يكون المعنى . استخفى الزمان عنا فلم نر أذاه ولا حوادثه واستتر عنا خوفا من هذا المدوح . وقال آخرون : إن مآثر المدوح قد كثرت وتواصلت على ممر الساعات ، كما يتواصل الدر في السلك ، فامتلا الزمان من فضائله ، وصارت لا تمر لحظة إلا وله فيها أثر بأس أوكرم ، وحينئذ لم نعد نرى إلا أفعاله وآثاره حتى صارت كأنها هي الزمان ، وخفى الزمان الذى هي منتظمة فيه كما يخفى السلك وراء الدر .

(١) المرودة : كمال الرجولية ؛ والمراد بالقرام هنا : العذاب اللازب . قال أهل اللغة القرام اللازم من العذاب والشدة الدائم والبلاء والحب والعشق ومالا لا يستطاع أن يتفصى منه . قال الزجاج : هو أشد العذاب فى اللغة . قال الله عز وجل « إن عذابها

تَمَلَّقَهَا هَوَى قَيْسٍ لِلَيْلَى وَوَأَصَلَهَا فَلَيْسَ بِهِ سَقَامٌ (١)
 يَرُوعُ رَكَانَةً وَيَذُوبُ ظَرْفًا فَمَا نَذَرِي أَشِيخَ أُمِّ غُلَامٍ (٢)
 وَتَمَلِّكُهُ الْمَسَائِلُ فِي نَدَاهُ وَأَمَّا فِي الْجِدَالِ فَلَا يَرَامُ (٣)
 وَقَبِضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَقَبِضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامٌ (٤)
 أَقَامَتْ فِي الرَّقَابِ لَهُ أَيَادٍ هِيَ الْأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الْجَمَامُ (٥)

كان غراما . . يقول : الروءة تؤذى صاحبها بما فيها من التكليف ، وهي مع هذا تملذه كالمشوق لذيد مع ما فيه من النصب والعذاب ، كما قال المتنبي :

والمشوق كالمشوق يعذبُ قربه للمبتلى وينال من حوْبائه

(١) تملقها ، أى تملق الروءة : أى هويها ؛ وهوى : مفعول مطلق . يقول : عشق الروءة كما عشق قيس بن الملوح الجنون ليلي العامرية ، غير أنه واصل الروءة فلم يورثه حبها سقما كما أورث عشق ليلي قيسا الجنون حين لم يجد إلى وصلها سبيلا .

(٢) يروع : يزعج ويخيف ؛ والركانة : الرزاة والوقار ؛ والظرف : خفة الروح وذكاء القلب . يقول : إنه قد جمع بين وقار الشيوخ وظرف الفتيان . هذا : وشيخ : خبر عن محذوف : أى أشيخ هو ؟ والجملة فى محل رفع سادة مسد معمولى ندرى ؛ ويروى : فما يدرى .

(٣) المسائل : المطالب ؛ والندى : الجود ؛ والجدال : معروف ، يصفه بالجود وقوة العلم والفهم . يقول : إنه يتقاد لسؤال من سأله : أى أن المسائل إذا وردت عليه من جهة السؤال تملكته وانقاد لها حتى لا يستطيع رد مسألة منها بالحية ، أما المسائل التى ترد عليه فى الجدل فإنه لا يطاق فيها .

(٤) النوال : العطاء ؛ والذام : المذمة والعيب . يقول : إن قبول عطائه شرف وعز لا آخذه ، أما قبول عطاء غيره من اللثام فهو عار وهذا كقول بعضهم

عطاؤك زين لأمرىء إن أصبته بخبر وما كلُّ العطاءِ زينُ
 وليسَ بعار لامرئٍ بَدَلُ وجهِهِ إليك كما بَعضُ السؤالِ بشينُ
 وكقول البحترى :

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي لِئِنَّكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجِبُنِي - لَوْلَا مَحَبَّتُكَ - الْفَقْرُ
 (٥) الأيادي : النعم ، والحمام عند العرب : اسم جامع لذوات الأطواق من الطير

إِذَا عُدَّ الْكِرَامُ فَتِلْكَ عَجَلٌ كَمَا الْأَنْوَاءُ حِينَ تُمَدُّ عَامٌ^(١)
تَقِي جِبَاهَتُهُمْ مَا فِي ذَرَاهِمُ إِذَا بِشْفَارِهَا حَمَى اللَّطَامُ^(٢)

كالقمارى والفواخت وساق حر . يقول : إن نعمه وأياديه قد أحاطت برقاب الناس ولازمتها كالأطواق لأعناق الحمام ، وهذا كما قال السرى الرفاء :

وَطَوَّقَتْ قَوْمًا فِي الرِّقَابِ صَنَائِمًا كَأَنَّهُمْ مِنْهَا الْحَمَامُ المَطْوَقُ
وقبلهما يقول أبو تمام :

أُبْقَيْنَ فِي الْأَعْنَاقِ فَمَلَكَ جَوْهَرًا أُبْقَى مِنَ الْأَطْوَاقِ فِي الْأَعْنَاقِ

(١) عجل : قبيلة الممدوح . والأنواء : جمع نوء ، وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع رقيه من الشرق . يقول : إذا عد الكرام لم يتجاوز العد هذه القبيلة ، كما أن الأنواء من سقوط أولها إلى سقوط آخرها هي العام ، فكذلك عجل هم الكرام : يعنى من أراد أن يعد الكرام في الدنيا فليقل هم بنو عجل فإنهم يشملون جميع الكرام لبطلان من عداهم ، كما أن الأنواء بطلوعها وسقوطها تشمل جميع العام . ولك أن تقول لكل شهر من شهور العام نوء ، فإذا عدت تلك الأنواء فهي عام تام . والمعنى أن الكرم مقصور عليهم لا يتجاوزهم .

(٢) الذرى - بفتح الذال - كل ما استترت به ، تقول : أنا في ذرى فلان ، أى في كنفه وستره . والشفار : جمع شفرة - وهى حد النصل . والضمير فى « شفارها » : للسيوف ، وإن لم يجر لها ذكر ، لدلالة الحال ، واللطام : المصادمة بالسيوف . يقول : إنهم يتلقون السيوف بوجوههم ليدفعوا عن استدرى بهم من الحرم والوفود ، وهو من قول الحماسى « الجريش بن هلال القرينى » :

نُعْرَضُ لِلْسِیُوفِ إِذَا التَّقِينَا خَدُودًا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ
وروى :

* تَقِي جِبَاهَتُهُمْ مَا فِي ذَرَاهِمُ *

فالذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى كل شىء . والمراد بما فى ذراهم : السيوف لأنها تقلد فى أعلى البدن . يقول : إن سيوفهم تحمى وجوههم إذا اشتدت الملاحظة بشفار السيوف

وَلَوْ يَمْتَنُّهُمْ فِي الْحَشْرِ تَجِدُوا لَأَعْطَوَكُمْ الَّذِي صَلَّوْا وَصَامُوا (١)
فَإِنْ حَلَمُوا فَإِنَّ الْخَيْلَ فِيهِمْ خِفَافٌ وَالرَّمَاحُ بِهَا عُرَامٌ (٢)
وَعِنْدَهُمُ الْجِفَانُ مُكَلَّلَاتٍ وَشَرَرُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبُ التَّوَامُ (٣)

(١) يمتمهم : قصدتهم . وتجيدو : تطلب جدوام . يقول : لجودهم وكرمهم لا يردون سائلا حتى لو قصدتم سائل يوم القيامة لأعطوه صلواتهم وصيامهم .
وفي هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْ قَصُرَتْ أَمْوَالُهُ عَنْ سَمَاحِهِ لِقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطَرَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَجِدْ فِي قِسْمَةِ الْعُمَرِ حِيلَةً وَجَازَ لَهُ الْإِعْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّهِ وَوَأَسَاهُمْ مِنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
ويقول أبو التاهية :

فَمَنْ لِي بِهَذَا ؟ لَيْتَ أَنِّي أَصْبَيْتُهُ فَقَاسَمْتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ
وأخذه بعضهم فقال :

وَلَوْ جَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَائِلٌ تَعَرَّى لَهُ عَنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

(٢) العرام : الشراسة ؛ وبها خبر : مقدم عن عرام . يقول : إن كانوا حلاء ذوى وقار فإن خيلهم خفاف في العدو - الجرى - ورماحهم شرسة عارمة على الأعداء . هذا والحلم . الأناة والعقل ، يقال منه حلم - يحلم حلما فهو حلِيم ؛ أما الحلم - بمعنى الرؤيا في المنام - ففعله حلم - بالفتح - يقال حلم واحتمل إذا رآه في النوم ، أما الحلم - بالتحريك - وهو أن يفسد الجلد في العمل ويقع فيه دود فينتقب ففعله حلم - بالكسر - يقال حلم الأديم ؛ قال الوليد بن عقبة ابن أبي عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال على عليه السلام ، ويقول له أنت تسعى في صلاح أمر قد تم فساده ، كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم - الذى وقعت فيه الحلة فثقتبه وأفسدته - فلا ينتفع به :

فإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَدَابِفَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ
وقد تقدمت بقية الأبيات .

(٣) الجفان : القصاص ، جمع جفنة ؛ ومكلمات : حال : أى مغطاة باللحم فهو عليها كالا كاليل ، كما قال زياد بن منقذ :

نَصَرْتَهُمْ بِأَعْيُنِنَا حَيَّاهُ وَتَنبُو عَنْ وُجُوهِهِ السَّهَامُ^(١)
 قَبِيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ الْمَعَالِي كَمَا حَمَلَتْ مِنَ الْجَسَدِ الْعِظَامُ^(٢)
 قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُّكَ بِشْرُ الْمَلِكِ الْمُعَامُ^(٣)
 لِنِ مَالٍ تُمَزَّقُهُ الْعَطَايَا وَيَشْرِكُ فِي رَغَائِبِهِ الْأَنَامُ^(٤)
 وَلَا نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى لِأَنَّ بِصُحْبَتِهِ يَجِبُ الذَّمَامُ^(٥)

* ترى الجفان من الشيزى مكللة^(١) *

والشزر : ما كان عن يمين وشمال ، والتوام : جمع التوام - طى غير قياس - أى مزدوج ؛ والقياس : توأم . يقول : عندهم الجفان مملوءة وعندما ضرب التدارك التوالى ؛
 يعنى : أنهم مطاعين مطاعين بلغوا أقصى غايات الجود والشجاعة .

(١) صرعه : طرحه ؛ والتشديد : للتكثير ، ونا السهم عن الهدف : لم يعمل فيه .
 يقول : إنهم رفاق الوجوه لفرط الحياء ، فإذا نظر إليهم الناظر صرعهم - أى قدر عليهم
 - إذ يفلهم الحياء احتشاما وكرما . أما إذا نازلوا العدو فى الحرب فإنهم شجعان يردون
 السهام بأوجهم ، وفيه نظر إلى قول المعطوى^(٢)

أَهَابُ الرِّيمِ أَرْمُقُهُ وَأَضْرِبُ هَامَةَ الْأَسَدِ
 وَيَجْرَحُنِي بِمُقْلَتِهِ وَيَنْبُو السِّيفُ عَنْ جَسَدِي

(٢) قبيل خبر عن محذوف يعود إلى المدوحين : والقبيل : الجماعة . يقول : إن
 المعالى مشتملة عليهم احتمال اللحم والجلد على العظام ، يعنى أنهم للمعالى كالعظام للأجسام ،
 (٣) قال الواحدى : أراد قبيل أنت منهم وأنت أنت فى علو قدرك ، يعنى إذا كنت
 أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخرا ، وقد أخرج العطف فى قوله « وأنت »
 وهو قبيح جدا ، وهذا كما تقول قامت زيد وهند ، وأنت تريد قامت هند وزيد .

(٤ و ٥) الرغائب : جمع رغبة ، وهى كل ما كان مرغوبا فيه ؛ والأنام : ما طى
 وجه الأرض من الخلق ، وقد يراد به الناس بخصوصهم ، وقوله : لأن ، فاسم « أن »

(١) الشيزى : خشب أسود تتخذ منه الجفان ، قيل إنه الآبنوس ؛ وقيل
 شجر الجوز .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية شاعر من شعراء الدولة العباسية .

تَحَايِدُهُ كَأَنَّكَ سَامِرِيٌّ تُصَافِحُهُ يَدٌ فِيهَا جُذَامٌ (١)
إِذَا مَا الْمَالِ مُونَ عَرَوَكَ قَالُوا أَيْدِنَا أَيُّهَا الْحَبِيرُ الْإِمَامُ (٢)

محذوف ضمير الشأن . والتمام : الحرمة والعهد . يقول ؛ متمعبا ، لمن هذا المال الذي نراه عندك تفرقه عطايك وبشترك فيه الناس حتى كأن ليس له مالك مخصوص ؛ ثم قال في البيت الثاني : إذا دعوناك صاحب هذا المال لا ترضى بذلك لأنك متى كنت صاحبه وجبا عليك أن تصونه على عادتك وتحفظ له حرمة الأصحاب وعبارة الشراح : لمن هذا المال الذي نراه عندك وعطايك تفرقه والخلق كلهم شركاء في رعايته، وأنت لا ترضى أن تقول هولك وتدعوك صاحبه : لأن الصحة توجب ذمامه ، وأنت لا ترضى له ذماما : أى فلن هذا المسألة ؟ قال الواحدى : هذا إذا كان البيتان مقترنين ويجوز أن ينفرد كل منهما بالمعنى ، فيكون معنى البيت الأول : لمن مال هذه حاله ؟ يعنى لا مال لأحد بهذه الصفة إلا لك ، وأراد لمن مال هذه حاله غير حالك ، فحذف للدلالة المعنى ، ثم ينفرد معنى البيت الثانى بما ذكرناه ، ويروى فى رضى - بالياء - أى إذا دعوناك صاحبه رضى المال بذلك رجاء أن يبقى معك لأجل الصحة .

(١) حاد عن الشيء : مال عنه ، وحايده محايده : جانبه . والسامرى : واحد السرامرة ، وهم طائفة من اليهود شديدة التنطس ، إليهم نسب السامرى الذى عبدالمجلى الذى سمع له خوار ، قال الزجاج . وهم إلى هذه الغاية بالشام . والجذام ، داء معروف . يقول أنت تحيد عن هذا المال وتجنبه وتنفر منه كما ينفر السامرى من مصافحة رجل فى يده جذام ، فانت تأمر بتوزيعه ولا تمسه . هذا . وقد قال الواحدى ، كان حقه أن . يقول كأنك السامرى مرفا ، لأن هذا نسب له ليس باسم علم ، وهو فى القرآن معروف بأل ، إلا أن يكون أراد واحدا من قبيلته . وقال العكبرى وهذا الذى قال هو الذى أراد أبو الطيب أى كأنك رجل سامرى كما تقول هو محمدى وداودى وهارونى فتنسبه إلى نبي من الأنبياء المذكورين عليهم السلام ، كقولك حنفى وشافعى .

(٢) عراه واعتراه : إذا أناه وقصده طالبا معرفته ، ومنه قول النابغة الذبياني .

أَتَيْتَكَ عَارِيَا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفِ تَظَنِّ بِي الظَّنُونَا

والحبر - بالكسر ، ويفتح : الرجل العالم ، قال الجوهري : الحبر والحبر واحد

أحباب اليهود ، وبالكسر أفصح ، وقال الفراء : إنما هو حبر بالكسر وهو أفصح ، لأنه يجمع على أفعال دون فعل ، ويقال ذلك للعالم ، كأنه من تحبير الكلام : أى تحسينه .

يقول : إن العلماء يستفيدون منه ويتعلمون .

إِذَا مَا الْمُفْلِمُونَ رَأَوْكَ قَالُوا يَهَذَا يُفْلِمُ الْجَيْشُ اللَّهُامُ^(١)
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ^(٢)
وَأَعْطَيْتَ الَّذِي لَمْ يُفِظْ خَلْقٌ عَلَيْكَ صَلَاةَ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

(١) العلم - بكسر اللام - الذي يشهر نفسه في الحرب بعلامة يعرف بها أنه بطل ، يقال : أعلم الرجل نفسه ؛ ومن روى بفتح اللام فهم الذين أعلموا بعلامة . واللهام : الكثير الذي يلتمهم كل ما يستقبله . يقول : إذا رأك الأبطال المعلومون قالوا هذا علامة الجيش العظيم ، لأنه ليس في الجيش أشهر منه ، فهو دليل على قوة الجيش الذي يكون فيه أي كما أن علامة الفارس تكون دليلاً على شجاعته تكون أنت دليلاً على قوة الجيش الذي تكون فيه ؛ قال الواحدى : يجوز أن يكون يعلم - بفتح اللام - من العلم : أى بهذا يعرف الجيش أى أنه صاحب الجيش وفارس العسكر ، ومن روى يعلم - بكسر اللام - فعناه أن الجيش يعلمون أنفسهم بهذا الرجل ليعرف أنهم شجعان إذا كان هو بين ظهرانيهم .

(٢) يقول : طابت بك أيام الدهر وبدت بشاشتها حتى كأن الدهر مبتسم بك ، يعنى أنها كانت متجممة غابسة فزال بك عبوسها ، فكأنك ابتسام لها وطلاقة ، كما قال أبو تمام :

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفِهِ كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمِعُ

وقال يمدح عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذ

يقولى الفداء بين العرب والروم :

نَرَى عِظْمًا بِالْبَيْنِ وَالصَّدُّ أَعْظَمُ وَتَهُمُ الْوَاشِينَ وَالدمْعُ مِنْهُمْ (١)
وَمَنْ لُبُّهُ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ يَكْتُمُ (٢)
وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّوَى وَرَقِينَا غَفُولَانَ عَنَّا ظَلَّتْ أَيْكِي وَتَنْبِسُ (٣)
فَلَمْ أَرَ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيْتًا يَتَكَلَّمُ (٤)
ظَلْمُ كَمَتْنِهَا لَصَبٌ كَخَصْرُهَا ضَعِيفِ الْقَوَى مِنْ قِفْلِهَا يَتَعَلَّمُ (٤)

(١) البين : البعد والفراق . والواشى : التمام . يقول : نستعظم البين والصدود أعظم منه ، لأن البين يقرب بقطع المسافة ومسافة الصدود لا يمكن تقريبا ، وتهم الوشا بإذاعة أسرارنا والدمع واحد منهم لأنه لا يرقأ ويظهر ما في القاب من الوجد ، فهو أولى بأن تنهه بإذاعة أسرارنا . وروى ابن الشعري .

* نَرَى عِظْمًا بِالصَّدِّ وَالْبَيْنُ أَعْظَمُ *

يعنى أن الحبيب إذا صد فإن العين تنظره ، وإذا فارق ، حال البعد دون النظر إليه وهو معنى حسن .

(٢) اللب : العقل ، ويكتم : يروى بالعلوم والمجهول ، وأراد بكون سره في جفنه أنه يظهر مع ظهور الدمع فكأنه في الجفن . يقول : إذا كان عقلك مع غيرك كيف يكون حالك ؟ وإذا كان سرّك في جفنك كيف تقدر على كتابته ؟ يريد أن قلبه أسير غيره ، وهو دائم البكاء ، فالدمع يظهر سره ويفتضحه .

(٣) النوى : البعد ؛ والواو فيه : واو الحال . وظلت : ظلت . يقول : ولما التقينا ، وكان البعد والرقب في غفلة عنا ، ظلت أيكى من الوجد ، وهى أضحك تعجبا من حالى ودلالا على .

(٤) اللتان : الجانبان الأسفلان من الظهر ؛ والحصر : ما فوقهما . وتظلم الرجل : اشتكى الظلم ، جعل نفسه في الدقة تكصرها ، وجعل ظلها إياه بشكليه مالا يطبق حمله كظلم متنها لحصرها ، ثم وصف نفسه بضعف القوى . هذا : وقد جرت عادة الشعراء — كما قال الواحدى — أن يصفوا الردف : بالمعظم ، والحصر : بالهيف ، ولم يسمع ذكر سمن اللتان وكثرة لحمه ، وإنما يصفون النصف الأعلى بالحفة والرشاقة ، وهو يقول

بَفَرَعٍ يُعِيدُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحُ نَيْرٌ وَوَجْهٍ يُعِيدُ الصُّبْحَ وَاللَّيْلَ مُظْلِمٌ^(٣)
فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَانَ خَالِيًا
وَلَكِنْ جَيْشَ الشُّوقِ فِيهِ عَرَمَرَمٌ^(١)

متنہا ممتلیٰ بظلم خصرہا بتکلیفہ حملہ ، والصحیح فی هذا المعنی قول خالد بن یزید الکاتب .

صَبَا كَثِيبًا يَنْتَشِكِي الْمَوَى كَأَشْتَكِي خَصْرُكَ مِنْ رَدْفِكَ
(١) بفرع : متعلق بمحذوف تقديره تبدو ، أو نسي ، أو تقبل بفرع والفرع : شعر الرأس . يقول : تريك للنهار ليلا بشعرها ، والليل نهاراً بوجهها وفيه نظر إلى قول بكر بن النطاح :

بَيْنُضَاهُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَمْرَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهَوَّ جَنْلُ أَسْحَمُ
فَكَانَتْهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ
« جنل : كشيء . وأسعم : أسود » وقول أبي تمام :

بَيْنُضَاهُ تَبْدُو فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا وَتَسْرُبُ فِي النَّهَارِ فَيُظْلَمُ
« تسرب : تتوارى » . وقوله أيضاً .

لِحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّ مَوَى قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهَى وَقَعُ
فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهْمُ مِنْ جَانِبِ الخِدْرِ تَطْلَعُ
نَضَاضُوؤُهَا صَبْغُ الدُّجْنَةِ وَانطَوَى لِيَهْجَتِهَا ثَوْبُ الظَّلَامِ الخَرْعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أأَخْلَامُ نَأْمُ أَلَمَتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرِّكْبِ يُوْشَعُ

« لحقنا بأخراهم الخ : أي قصدنا للتأخرين منهم ، وقد جعل الموى قلوبنا نحوم حولهم كحوم الطائر على الماء بعد أن كانت ساكنة بقرهم هادئة لعدم فراقهم . وقوله ثوب الظلام اللجزع : جملة مجزعا لأجل النجوم ، والتجزيع في الشيء : أن يكون فيه لوان مختلفان »

(٢) العرمرم : العظيم الكثير . يقول : إنها رحلت وتركت دارها خالية ولكن قلبي ليس خاليا مثلها ؛ إذ أنه ملآن بالشوق إليها ، وفيه منه جيش عظيم ، فيها الارم له لا يفارقه .

أَنَافٍ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى وَرَسْمٌ كَجَسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمٌ (١)
بَلَلْتُ بِهَا رُدْنِي وَالْقَيْمُ مُسْعِدِي وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عَبْرَتِي دَمٌ (٢)
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا أَنَهَلَ فِي أَخْلَدٍ مِنْ دَمِي
لَمَا كَانَ مُحْمَرًا بِسَيْلٍ قَاسِمٍ (٣)

(١) أناف : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى فيها : أو هناك أناف . والأنايف : جمع أنفية ، وهى الحجر ينصب تحت القدر . وتقدير أنفية أفمولة من نثيت قال الأزهري : الأنفية حجر مثل رأس الإنسان وجمعها أنافى — بالتشديد — قال : ويجوز التخفيف . والصلى : الاصطلاء بالنار ، وإذا فتحت الصاد قصرت ، وإذا كسرت مددت . والرسم : ما بقى من آثار الديار . يقول : فى ديارها أناف بها من الصلاء ما بفؤادى ، يعنى أن النار حرقتها وأرت فيها كما أحرقت الشوق والحب قلبى ، وكأن رسم دارها بال متهدم كذلك جسمى ، لفراقها .

(٢) ردنا القميص : كاه ، والغيم : السحاب ؛ وأسعده : أعانه ؛ والعبرة الدمع ؛ أو تحلب الدمع ، وعبرت عينه واستعبرت : دمعت ، وعبر الرجل يعبر عبداً : إذا حزن ، وامرأة عاب وعبرى وعبرة : حزينه . قال الحارث ابن وعله الجرمى :

يقولُ لى النهدي هل أنت مرد فى وكيف ردافُ القرأُ أمك عابر
يُذكرنى بالرحم بينى وبينه وقد كان فى نهدي وجرم تدار
نجوت نجاه لم ير الناس مثله كأنى عقاب عند تيمن كاسر (١)
والصرف : الخالص . يقول ؛ وقفت على دارها والسحاب يعطر كأنه يساعدى فى البكاء . ولكن دمه كان خالصا وكان دمعى ممزوجاً بالدم .

(٣) أنهل : سال وجرى . يقول : لو لم يكن دمعى دماً ما كان أحمر وما كنت هزات وسقمت بعد انهما له .

(١) عابر : ثاكل ؛ وتدار : تقاطع ، والنهدي : رجل من بنى نهد يقال له سليط سأل الحارث أن يردفه خلفه لينجو به ؛ فأبى أن يردفه ، وأدركت بنو سعد النهدي فقتلوه .

بِنَفْسِي الْخِيَالُ الزَّارِي بَعْدَ هَجْمَةٍ وَقَوْلُهُ لِي بَعْدَنَا الْغُمْضَ تَطْعَمٌ (١)
 سَلَامٌ فَلَوْلَا الْخَوْفُ وَالْبُخْلُ عِنْدَهُ
 لَقُلْتُ أَبُو حَنْصِ عَلَيْنَا الْمَسْلَمُ (٢)
 مَحِبُّ النَّدَى الصَّابِي إِلَى بَذْلِ مَالِهِ صُبُورًا كَمَا يَصُبُّو الْمُحِبُّ الْمُتَمِّمُ (٣)
 وَأَقْسِمُ لَوْلَا أَنْ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ لَهُ ضَيْفَمَا قُلْنَا لَهُ أَنْتَ ضَيْفَمٌ (٤)

(١) المجععة : الرقدة . وقوله بعدنا . أى - أبعدنا بهزمة الإنكار - لحذف لضيق المقام ؛ وطعم الشيء ، ذاقه . يقول : أفدى بنفسى الخيال الذى زارنى بعد ما نمت وقال لى معاتباً : أتمام بعد فراقنا ؟ وهل من فارقه أحبته ينام ؟
 (٢) سلام : من حكاية قول الخيال ؛ أى قال لى الخيال معاتباً ؛ أتمام بعد مفارقتنا ؟ سلام ، أى عليك سلام ، ويروى سلاما ؛ أى أسلم سلاما ؛ وأبو حنص ؛ كنية المدوح يقول ؛ لولا أن هذا الخيال بخيل لا يجود بمطلوب وجبان لا يزور مجاهراً لملئى الابتهاج به والإجلال له على أن أظنه المدوح يسلم على ؛ وقال ابن جنى ؛ لولا خوفاً من مفارقتة أو معاتبته على نومى ، ولولا بخله لأنه لا حقيقة لزيارته ، لقلت للمسلم على المدوح ، قال الواحدى ؛ أخطأ ابن جنى فى تفسيره لأنه جعل الخوف للتمنى ، وأن لا حقيقة لزيارته ، وما هو كذلك لا يوصف ببخل ؛ والمرأة توصف بالبخل والجبن ، ويقال إن هذين من شر أخلاق الرجال وهما من خير أخلاق النساء ؛ قالوا : وقوله بعدنا الغمض تطعم ؛ هو من قول الصنوبرى

قال ، والنومُ ممكنٌ : غرٌّ غيرى لا تُنمُوهُ فَلَسْتَ بالمستهم

(٣) الصابى ؛ المشتاق . وتيمه الحب ؛ عبده وذلكه ، والتيم ؛ العبد ، وتيم الله منه ، كما تقول عبد الله ، وقيل التيم المضلل ، ومنه قيل للفلاة تيماء ، لأنه يضل فيها ، ويقال تيمه الحب وتامه ، قال الأصمعى ؛ تيمت فلانة فلانا تيممه وتامته تيمه تيماء فهو تميم بالنساء ، وتيم بهن ، وأنشد للقيط بن زراراة :

تامت فؤادك لو يخرُّنك ما صنعت إحدى نساء بنى ذهل بن شيبان

يقول ؛ إنه يصبو إلى إنفاق المال على العفافة كما يصبو الحب إلى محبوبه .

(٤) الضيفم ؛ الأسد . يقول إنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر

بدنه ، ولولا ذلك لفلنا إنه أسد ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

أَنْتَقَصُهُ مِنْ حَظِّهِ وَهُوَ زَائِدٌ وَتَبَخَّسَهُ وَالْبَخْسُ نَبِيٌّ مُحَرَّمٌ (١)
يَجَلُّ عَنِ الْقَشْبِيهِ لَا السَّكْفُ لُجَّةٌ وَلَا هُوَ ضِرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مَخْذَمٌ (٢)
وَلَا جَرْحُهُ يَوْسَى وَلَا غَوْزُهُ يُرَى وَلَا حَدُّهُ يَنْبُو وَلَا يَقْتَلُمُ (٣)
وَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ مُبْرَمٌ (٤)

(١) يقول : إنه زاد على الأسد شجاعة ، فإن جعلناه كالأسد كنا قد نقصناه حظه وبخسناه حقه ، لأنه يستحق أكثر من ذلك . هذا : ويقال بخسه حقه ينخسه فهو باخس أى نقصه .

(٢) اللجة : معظم الماء ، والضرغام : الأسد ؛ والمخزم : السيف القاطع . يقول : هو أجل من أن يشبه كفه بالبحر ونفسه بالأسد ورأيه بالسيف فكفه فوق البحر ، ورأيه أنفذ من السيف ، وهو أشجع من الأسد .

(٣) يؤسى : يداوى - أسوت العليل آسوه أسوا - والآسى : الطيب ؛ والغور : العمق ؛ والضمير المضاف إليه : للجرح - أى أن جرحه أوسع من أن يعالج ، لا يبرأ بالعلاج ، ولا يرى غور جرحه لعمقه . ويجوز أن يكون الضمير للممدوح ، على معنى أنه بعيد الغور فى الرأى والتدبير ، فلا يدرك غوره : وحده - على المعنى الأول - يراد به حد سيفه ، وعلى الثانى : حد عزيمته ، على تشبيهها بالسيف . وينبو : أى يكل عن الضريبة . وفى إعراب البيت يقول ابن جنى : عطف بـ «لا» فى هذا البيت على مدخول «لا» فى الذى قبله فى ظاهر اللفظ ، لا فى المعنى ، وذلك لأن قوله لا السكف لجة : أى فيها مافى البحر وزيادة عليه ، ولا هو ضرغام : أى فيه مافى الضرغام من الشجاعة وزاد عليه : ولا الرأى مخزم : أى لرأيه مضاء السيف وفوق ذلك . وأما قوله ولا جرحه يؤسى : فليس يريد أنه يؤسى ويزاد عليه وكذا ولا غوره ، ولا حده وليس يريد أنه يقتلم ويزيد كما أراد فى البيت فهو فى البيت الأول مثبت فى المعنى لما نفاه فى اللفظ ، وفى الثانى ناف فى اللفظ والمعنى جميعا . قال :

الآترى إلى إحسانه الصنعة وصحة نظمه وتوفيقه بين الأضداد المتباينة ؟

(٤) يقول : ليس للأمر الذى يحكمه ناقص ، ولا للذى نقصه مبرم : يعنى أنه لا يخالف فيما أراد ، هذا : وقد فك الإدغام من قوله حالل ويحلل ، ضرورة وهو من التجوزات المكروهة ؛ قالوا : وربما فعل الشاعر هذا ليشعر أنه يعلم بالضرورات ، كما قال قعنب بن أم صاحب - شاعر أموى - :

وَلَا يَرْمَعُ الْأَذْيَالَ مِنْ جَبْرِيَّةٍ
وَلَا يَخْدُمُ الدُّنْيَا وَإِيَّاهُ تَخْدُمُ (١)

مَمْلَأَ أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبَتْ مِنْ خُلُقِي

أَنْتَى أَجُودُ لِأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنَّوْا (١)

(١) الرمع : الرقص بالرجل ؛ ويقال للمختال : إنه ليرمع الأذيال ، وذلك إذا كان يطبل نوبه ولا يرفعه ويضربه برجله ، ومنه قول القحيف العقبلي :

يَقُولُ لِي الْمَغْنَى وَهُنَّ عَشِيَّةٌ بِمَكَّةَ يَرْمَعْنَ الْمُهْدَبَةَ الشُّحْلَا

« المهديبة : الثياب التي لها هدايب ، والسحل : البيض » والجبرية : الكبر ، والجبار : المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً ؛ يقال جبار بين الجبرية والجبرية - بكسر الجيم والباء - والجبرية والجبروه والجبروه ، والجبروت والجبورة والجبورة مثل الفروجة ، والجبرياء والتجبار هو بمعنى الكبر ، وأنشد الأحمر :

قول مغلس بن لقيط الأسدی يعاتب رجلاً كان والياً على أضاح ؛

فإِنَّكَ إِنْ عَادَيْتَنِي غَضِبَ الْحَصَى عَلَيْنِكَ وَذُو الْجُبُورَةِ الْمُتَغَطْرِفِ

« يقول ؛ إن عاديته غضب عليك الخليفة ، وما هو في العدد كالحصى وللتغطريف ؛

المتكبر » .

يقول ؛ هو على عظمته وغمامة قدره متواضع لا تزدهيه المراتب همياً واختيالاً ، وليس هو من الذين يخدمون الدنيا وينصبون في طلب حطامها ، وإنما الدنيا تخدمه وتسوق إليه أرزاقها ، بما يحمل إليه من جبايات الملك .

(١) من قصيد له يقول فيها :

مَا بَالُ قَوْمٍ صَدِيقًا نَمَّ لَيْسَ لَهُمْ

إِنْ بَسَمَعُوا رِيبةً طَارُوا بِهَا فَرِحًا

هُمْ إِذَا سَمِعُوا خيراً ذُكِرَتْ بِهِ

جَهلاً هَلَى وَجِبِينَا عَنْ عَدُوِّهِمْ

ويقولون أذنت له : أي سمعت له .

وَلَا يَشْتَهِي يَبْقَى وَتَفْنَى هَبَانُهُ وَلَا تَسْلُمُ الْأَعْدَاءُ مِنْهُ وَيَسْلُمُ (١)
 أَلَذُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ ذِكْرُهُ وَأَحْسَنُ مِنْ يَسْرِ تَبَقَّاهُ مُعْدِمٌ (٢)
 وَأَغْرَبُ مِنْ عِنْقَاءِ فِي الطَّيْرِ شَكْلُهُ
 وَأَعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ مِنْهُ يُجْرَمُ (٣)
 وَأَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ الْأَيَادِي أَيَادِيًا
 مِنَ الْقَطْرِ بَعْدَ الْقَطْرِ وَالْوَيْلُ مُنْجِمٌ (٤)
 سَنِيُّ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ مِنَ اللَّوْمِ آلَى أَنَّهُ لَا يَهْوَمُ (٥)

(١) ولا يشتهى يبقى؛ يريد أن يبقى خذف « أن » للضرورة . يقول؛ لا يحب أن يبقى ولا عطاء له؛ أى إنما يحب البقاء ليعطى، فإذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء، ولا يحب أن يسلم في نفسه مع سلامة الأعداء منه . أى أنه يجب أن يقتلهم وإن كان في ذلك هلاكه .

(٢) الصهباء؛ الحمر؛ واليسر؛ الغنى؛ والمعدم؛ الفقير . يقول؛ إن ذكره على الألسنة ألد من الحمر قد مزجت بالماء، وأحسن من اليسر لدى المعدم .

(٣) عنقاء مغرب؛ طائر، يقال إنه ذهب ولم يبق إلا اسمه، وأعوز قال ابن جنى؛ كان الوجه أن يقول أهد إعوازا لأن ماضيه أعوز، ولكنه جاء على حذف الزيادة؛ والمسترفد؛ السائل . يقول؛ مثله في الناس أغرب من العنقاء في الطير؛ وأشد إعوازا وأقل وجودا من سائل منه شيئاً يحرمه ولا يعطيه، وهو لا يخرم أحدا، أى فكما أن هذين لا يوجدان كذلك نظيره ومثله .

(٤) الأيادى؛ النعم؛ وأياديا؛ تميز؛ ومن القطر؛ صلة أكثر؛ والقطر؛ المطر، والويل؛ المطر الغزير؛ والواو قبله؛ للحال. وأنجمت السماء؛ دام مطرها، أراد . هو أكثر أيادى بعد الأيادى من القطر بعد القطر، يعنى أن نعمه ومواهبه أكثر تتابع من قطر المطر حين يكون كثيراً دائماً الماطلان .

(٥) السنى؛ الرفيع الشريف، واللؤم، الحسة تقيض الكرم . وآلى؛ أقسم . والتهويم؛ اختلاس أدنى النوم، وأصله النوم القليل، كأنهم يريدون به أخذ النوم في هامة — رأس — الإنسان، لأنه يبدأ برأسه ثم ينتشر في سائر الجسد . يقول؛ لو كان النوم الذى لا بد منه للإنسان لؤما، لحلف أنه لا ينام

وَلَوْ قَالَ هَاتُوا دَرَاهِمًا لَمْ أَجُدْ بِهِ عَلَى سَائِلٍ أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دَرَاهِمٌ (١)
 وَلَوْ ضَرَّ مَرَّةً قَبْلَهُ مَا يَسُرُّهُ لِأَثَرٍ فِيهِ بِأَسْهُ وَالْفَكْرُومُ (٢)
 يَرُومِي بِكَالْفِرْصَادِ فِي كُلِّ غَارَةٍ يَتَأَمَّى مِنَ الْأَعْمَادِ تَنْضَى فِقُوتِمُ (٣)
 إِلَى الْيَوْمِ مَا حَطَّ الْفِدَاءُ سُرُوجَهُ
 مَذُ الْغَزْوِ سَارٍ مُسْرَجُ الْخَيْلِ مُجَمِّمٌ (٤)

(١) يقول : إن جميع ما في أيدي الناس من المال إنما هو من عطاياه ، حتى لو طلب درهما ليس من عطائه لأعيا على الناس — أمجزم — وجوده

(٢) يقول : هو يرتاح إلى بأسه وكيمه ويسرهما ، فلو كان مايسر الإنسان بضره لضربه الكرم والبأس . هذا ؛ وقد قال الجوهري : المرء الرجل ، تقول : هذا مرء صالح ، ومررت بمرء صالح ، ورأيت مرءاً صالحاً ، قال ؛ وضم الميم لغة ، تقول هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، وتقول : هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، معرباً من مكانين ، قال وإن صغرت أسقطت ألف الوصل ، فقلت : مرء ومرئية . وبعد ؛ فإذا أرادت التوسع في هذه المادة فمليك بـ « لسان العرب » .

(٣) بكالفرصاد : أي بدم مثل الفرصاد في حرته ، والفرصاد : ثمر التوت الأحمر ؛ والغارة : اسم من أغار على القوم ؛ إذا هجم عليهم في منازلهم — ويتأوى : مفعول « يروى » والظرف بعده : متعلق به . وأراد باليتامى : السيوف التي تفارق أعمادها ، جعلها يتامى لأنها فارقت ما كان يؤويها ويحوطها كالو الدين ، وتنضى : تسلك . وتوتم ؛ مضارع أيتم يقول : إنه يروى بدم مثل الفرصاد سيوفاً قد فارقت أعمادها فصارت مثل اليتامى . وتلك السيوف يتيم أولاد من يقتلها في كل غارة يغيرها على الأعداء .

(٤) قوله : مذ الغزو . قال ابن جنى : من رفع « الغزو » رفعه بالابتداء وخبره محذوف ، تقديره مذ الغزو واقع أو كائن ومن جره أراد مذ زمن الغزو ، حذف المضاف وقال الإمام التبرزي ؛ « الغزو » مجرور بـ « مذ » ، لأنها بمعنى « في » ؛ كقولك أنت عندنا مذ اليوم أي في اليوم ؛ وسار ؛ خبر مبتدأ محذوف ؛ أي هو سار — يعني الممدوح — ومسرج ؛ يجوز أن يكون من إضافة الوصف إلى مرفوعه فيكون بفتح الراء ، أو إلى منصوبه فيكون بكسرهما ، وحكم « ملجم » كذلك . يقول — كما قال سائر الشراح — : مذ الغزو إلى اليوم وهو مشتغل بعمله في قداء أسارى المسلمين من أيدي الروم لم يحط هذا الاشتغال سروج خيله عن ظهورها ، ولكنه سار وخيوله مسرجة ملجمة لا ينفك كذلك . قل الواحدى وليس في هذا مدح ، وإنما المعنى أنه لا يقبل الفداء ولا يدع الغزو ، بل يفزو ولا يمنعه (١٤ — التني ٤)

الفداء : قال ؛ وما بعد هذا من الآيات يدل على أن اللفظ ما ذكرنا . وإليك بعد هذا ما قال العكبري النحوي الكوفي في إعراب مذ ومنذ ، وكان بودن أن تنبسط في هذا الموضوع فنورد ما قال أهل اللغة وعلماء النحو ولكننا لا نبنى أن نجد عما شرطنا على أنفسنا وهو أن نورد كل ما أورده شراح للثني ليس غير ، لا نعدوه ، وحسبنا شرح الشواهد التي أوردها ، وهو كل ما يعيننا في هذا الشرح الذي كررنا القول بأنه كأنه شرح للثني وشروحه . قال العكبري : مذ ومنذ ؛ مركبان من « من وإذ » فقيرا عن حالهما في أفراد كل واحد منهما حذف الميم وحلت « من » بالذال ، وضمت للميم للفرق بين حالة الأفراد والتركيب ؛ والدليل على أن كلا مركب من « من وإذ » ؛ قول بعض العرب مذ ومنذ - بكسر الميم - فدل « على أنهما مركبان وإذا ثبت أنهما مركبان كان الرفع بهما بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن به « إذ » ، والتقدير ما رأيت « مذ » مضي يومان و« منذ » مضي شهران ، ومن خفض بهما فقد اعتبر « من » ولهذا كان الخفض عند أجود لظهور نون « من » فيها تلياً لـ « من » ، والرفع بهما « أجود » ، لحذف نون « من » منها تلياً لإذ ، ويدل على أن أصل « مذ ؛ منذ » أنك لو سميت بها قلت في تصغيره « منيد » وفي تكبيره « أمناذ » ؛ فترد النون المحذوفة لأن التصغير والتكبير يردان الأشياء إلى أصولها . هذا قول أصحابنا الكوفيين ؛ وقال الفراء يرتفع الاسم بهما بتقدير مبتدأ محذوف وذلك أنهما مركبان من « من وذو » التي بمعنى « الذي » وهي لغة مشهورة قال سنان بن الفحل .

فإن الماء ماء أبي وجدّي وبيري ذو حقرت وذو طويت^(١)

(١) أحد آيات خمسة أوردها أبو تمام في الحماسة لسنان بن الفحل الطائي قالها سنان حين اختصم بنو أم كهف من جرم طيء وبنو هرم بن العشاء من فزارة في ماء وهم مخلطون متجاورون ، والآيات .

وقالوا قد جنت فقلت كلاً وربى ما جنت وما انتشيت
ولكني ظلمت فكذت أنبكي من الظلم البين أو بكيت
فإن الماء ماء أبي
وقبلك رب خصم قد تمالوا على ما هلمت ولا دعوت
ولكني نصبت لهم جيبي وآلة فارس حتى قرئت

يَشُقُّ بِلَادَ الرُّومِ وَالنَّقْعُ أَبْلَقُ
بِأَسْيَافِهِ وَأَجْلُوهُ بِالنَّقْعِ أَذْهَمُ (١)
إِلَى الْمَلِكِ الطَّاعِي فَكَمْ مِنْ كَتِيبَةٍ
نَسِيرٌ مِنْهُ حَتْفَهَا وَهِيَ تَعْلَمُ (٢)
وَمِنْ عَاتِقِ نَصْرَانَةٍ بَرَزَتْ لَهُ
أَسِيلَةٌ خَدَّ عَنْ قَرِيبٍ سَتَلَطَمُ (٣)
صُفُوفًا لِلْيَيْثِ فِي لُيُوثِ حُصُونِهَا
مُتُونُ الْمَذَاكِي وَالْوَشِيحُ الْمَقُومُ (٤)

وقال البصريون : هما اسمان فيرتفع ما بعدهما ، لأنه خبر عنهما ويكونان حرفي جر فيسكون ما بعدهما مجروراً بهما ، وإنما بنينا لتضمنهما معنى « من ، وإلى » في قولك : ما رأيته مذ يومان ، معناه : ما رأيته من أول هذا الوقت إلى آخره - وبنيت « مذ » على السكون . لأنه للأصل في البناء ، و« مذ » على الضم لأنه لما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين حركت بالضم ، لأن من عادتهم أن يتبعوا الضم بالضم .

(١) النقع : الغبار ، والأبلق : ما فيه سواد وياض ؛ الأدم : الأسود . يقول : يخترق بلاد الروم وغبار جيشه أبلق بأسيافه - يريد سواد الغبار ولعان السيوف - والجو من فوقه أسود بالغبار لانه ليس فيه لمعان سيوف .

(٢) إلى الملك : متعلق بـ« يشق » والراد بالملك الطاعى : ملك الروم . والسكتية : الفرقة من الجيش ، ومنه : تجريد . والحنف : الهلاك ؛ يقول : يخترق بلاد الروم إلى الملك الطاعى ، فكم من كتبية للروم تعارضه المدوح في مسيره إليها وهي تعلم أنه حاتفها (٣) العاتق ؛ الشابة البكر . ونصرانة أى نصرانية ، تأنيث نصران . وخد أسيل ناعم طويل . يقول ؛ كم من حسناء عاتق من نساء الروم برزت للمدوح عن سترها - لأنها سبيت - فهي تلطم وتهان وإن كانت أسيلة الحد ؟

(٤) صفوفا ؛ أى برزت صفوفا ، لأن عاتق - ههنا - في معنى الجماعة ؛ فصفوفا ؛ حال منها . والتون ؛ جمع متن ، الظهر ؛ والمذاكي ؛ الخيل السنة ؛ والوشيح ؛ شجر

و« ذو » هنا ؛ اسم موصول بمعنى انى لأن البئر مؤنثة ، ومن ثم تقع مكان جميع للوصلات ولا يتغير لفظها . وتمالوا ؛ بمعنى اجتمعوا وتفصصوا على ؛ وهلمت ؛ جزعت ، ولادعوت ؛ أى ما ناديت أحداً ولا استصرخت ، ولكنى كنت أرد الخصم بقوتى وجلادى . وقوله : وآلة فارس ؛ يريد بها آلة الحرب ، وقريت ؛ أى جمعت ، يعنى أنه خاصمهم حتى إذا بلغ الخصام بهم إلى الرماح طاعنهم فقلبهم ، وجمع الماء في الحوض .

تَغِيْبُ الْبَلَايَا عَنْهُمْ وَفَوَّغَائِبٌ وَتَقَدَّمُ فِي سَاحَاتِهِمْ حِينَ يَقْدَمُ (١)
أَجِدْكَ مَا تَنْفَكُ عَنْ تَفْكَهُ عَمَّ بِنِ سُلَيْمَانَ وَمَالَ تَقْسَمُ (٢)

تتخذ منه الرماح ؛ يقول ؛ برزت هذه العواتق صفوا لهذا اللمدوح الذي هو في شجاعته كالأسد ، وقد قام في جمع كالأسود قد تحصنت بالحيل والرماح .
(١) يقول : إذا غاب فلم يفرغم غاب عنهم الموت ، لأنه يكف عن قتلهم ، وإن قدم إليهم أهلكهم لذلك يقدم معه الموت .

(٢) نصب « أجدك » على المصدر ، كأنه قال ؛ أجدك جدك ومعناه ؛ أجد هذا منك ، هذا أصله ، ثم صار افتتاحا للكلام . وعان ؛ أى أسير ، مبتدأ ، خبره تفكك ، وجملة « عان تفكك » خبر « تفكك » . وعم ؛ ترخيم عمر ، جرى فيسه على مذهب الكوفيين وهو لحن عند البصريين ، لأن الاسم الثلاثي لا يجوز ترخيمه ، لأنه على أقل الأصول عددا ، فترخيمه إجحاف به قاله ابن جنى . وقال العكبري ؛ وذهب أصحابنا الكوفيون إلى جواز ترخيم الثلاثي من الأسماء إذا كان متحرك الوسط كعمر وزفر ؛ وقال البصريون والكسائي ؛ لا يجوز وحجة الكوفيين إذا كان سطره متحركا ماجاء من نحو « يد ، ودم » إذا الأصل في يد « يدى » ؛ وفي دم ؛ « دمو » بدليل قول بعض العرب في تثنيته « دموان » وقيل أصله « دمي » قال الشاعر .

فلو أنَّا على جُحْرٍ ذُبْحِنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبْرِ اليَقِينِ (١)

(١) قبله ؛

لممرك إننى وأبا زباح
لييفضنى وأبفضه وأيضاً
على حال التكاشر منذ حين
يرانى دونه وأراه دونى

روى هذه الأبيات ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي ونسبها لعلى بن بدال ابن سليم . والتكاشر ؛ يروى التجاور ، والتكاشر الباسطة ، وعلى ؛ بمعنى مع ، والجحر بضم الجيم وبسكون الحاء الشق في الأرض ؛ وأراد بالخبر اليقين ؛ ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين ؛ أى لما امتزجا وعرف ما بيننا من العداوة . قال ابن الأعرابي ؛ معناه لم يختلط دمي ودمه من بغضى له وبغضه لى ، بل يجرى دمي يمنه ودمه يسرة قال المتلمس ؛

مُكَافِيكَ مَنْ أَوْلَيْتَ دِينَ رَسُولِهِ يَدَا لَا تُؤَدِي شُكْرَهَا الْيَدُ وَالْقَمُّ (١)
 عَلَى مَهَلٍ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِرَاحِمٍ لِنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فَإِنَّكَ تُرْحَمُ (٢)
 مَحَلَّكَ مَقْصُودٌ وَشَأْنِيكَ مُفْحَمٌ وَمِثْلَكَ مَفْقُودٌ وَنَيْلِكَ خِضْرَمُ (٣)
 وَزَارَكَ بِي دُونَ الْمُلُوكِ تَحَرَّجِي إِذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجْزُ لِي التَّيْمَمُ (٤)

فهو من ذوات الياء ، والترخيم إنما وضع للتخفيف بالحذف ، والحذف قد جاز في مثله للتخفيف ، فوجب أن يكون جائزاً ولا يجوز الترخيم في الاسم الثلاثي الساكن الوسط كزيد ، لأنه إذا حذف الأخير وجب حذف الساكن فيبقى على حرف واحد ، وذلك لانظيره ؛ بخلاف ما إذا كان متحرك الوسط وحجة البصريين أن الترخيم حذف آخر الاسم المنادى إذا كثرت حروفه تخفيفاً والثلاثي في غاية الخفة . قوله : ومال تقسم ، أى تقسمه ، حذف لدلالة المقام . يقول : ما تنفك تفك أسيراً وتقسم مالا .

(١) مكافيك ؛ أصله الهمز ، ولكنه لينه للضرورة ، وهو خبر مقدم ؛ ومن أوليت ؛ مبتدأ مؤخر . وأوليت ؛ أعطيت . ولا تؤدى شكرها اليد والقم ؛ أى لا يؤدى شكرها فعل ولا قول . يقول إن مكافأتك إنما هى عند الله الذى عززت دين رسوله بقوة لا يؤدى شكرها قول ولا فعل .

(٢) يقول : ارفق بنفسك فإنك إن لم ترحمها من بذلك إياها فى الحرب ، فإن الناس يرحمونك .

(٣) الشانى ؛ المنفض ، وأصله الهمز ، ولكن لينه للضرورة . وللفحم ؛ الـاكت القى لا يقدر على النطق ، والنيل : العطاء ؛ والخضرم ؛ الكثير . يقول : محلك مقصود يقصده العفاة وعدوك لا يستطيع أن ينطق فيك بعب لأنه لا يجد لك عيباً يعيبك به وأنت منقطع النظير لأنك قد تفردت بأشياء لم يقدر عليها غيرك ، وعطاؤك كثير .

(٤) التحرج ؛ تجنب الحرج ، وهو الإثم . وعن : ظهر . يقول : تحرجى من

أحارث إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

« تساط » تخلط وقال بعضهم ؛ المعنى ؛ لو ذبحنا على جعر لعل من الشجاع منا من الجبان يجرى دمه وجوده ، لأن من زعمهم أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان لا يجرى .

فَمِنْ لَوْ فَدَىَ الْمَلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ
مِنَ الْمَوْتِ لَمْ تَفْقَدْ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا^(١)

واجتاز بمكان يعرف بالفرايس من أرض قنشرين فسمع زبير
الأسد فقال:

أَجَارِكِ يَا أَسَدَ الْفَرَايسِ مُكْرَمٌ فَتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مَهَانَ فَمَسَلَمٌ^(٢)
وَرَأَيْتِي وَقَدْ أَمِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ أَحَازِرُ مِنْ لَيْسَ وَبَيْنِكَ وَمِنْهُمْ^(٣)
فَهَلْ لَكَ فِي حِلْفِي حَلِي مَا أُرِيدُهُ فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَغْلَمُ^(٤)
إِذَا لَأَنَّاكَ الْخَيْرُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَأَثْرَيْتِ بِمَا تَقْنِينِ وَأَغْنَمُ^(٥)

أن أقصد غيرك من الملوك مع إمكان قصدك حملتي على إيثارك بالزيارة واختصاصك
بها دونهم ، ثم ضرب له المثل بالبحر وللملوك بالتراب ، وإذا حضر الماء بطل التيمم ،
كما قال أبو تمام .

لَيْسَتْ سِوَاهُ أَقْوَامًا فَكَانُوا كَمَا أَغْنَى التَّيْمُمُ بِالصَّعِيدِ
هذا؟ والباء في قوله « وزارك بي » للتعدي . تقول : زرتك زيد ، وزرتك
زيدا ، وأزرت زيدا إليك .

(١) يقول : إن المسلمين جميعا مملوكون لك ، فلو كان يقبل المملوك فداء عن مالكة
لم تمت مادام في الأرض مسلم واحد ، لأنهم يفدونك بأنفسهم

(٢) يقول - مخاطبا أسود هذا المكان - : هل يكون من جوارك مكرما عزيزا
فتسكن نفسي إلى جوارك ، أو يكون مهانا محذولا ؟ والفرايس موضع بالشام . وقوله :
فتسكن : جواب الاستفهام ، ومن ثم نصبه بالفاء .

(٣) يقول : إنما أطلب جوارك لآمن هؤلاء الذين أخافهم وأحذرهم .

(٤) الحلقف : اسم من المحالفة ، وهي المعاهدة . يقول : هل لك رغبة في معاهدتي
على ما أريده من جوارك . فإنني أعلم منك بأسباب المعيشة والتصرف في كسب الرزق ؟
وهذا كالتعريض لها في جواره .

(٥) الوجهة : الجهة والناحية . وأثريت : أى كثر مالك . يقول : إن رغبت في

لَيْسَ عَزَمًا مَا مَرَضَ الْمَرْءُ فِيهِ لَيْسَ هَمًّا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ^(١)
 وَأَحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَا جَانِبِهِ غِذَاءُ تَضْوَى بِهِ الْجِسَامُ^(٢)
 ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الدَّلِيلَ بِمَيْشٍ رَبٌّ عَيْشٍ أَخْفُ مِنْهُ الْجَمَامُ^(٣)

وجعل « من » فكرة وجر « مدرك ، أو محارب » لأنهما وصف لها ، كما يقال :
 مررت بمن عاقل : أى بإنسان عاقل .

(١) مرض : قصر ؛ والهم : ما هممت به فى نفسك . يقول : لا يعد عزمًا ما قصر
 الإنسان فيه ، إذ العازم على الشيء لا يقصر فيه ، ولا يعد همة ما حال الظلام دون طلبه ،
 لأن ذا الهمة لا يوقفه دون إدراك طلبته شيء .

(٢) تضوى : تهزل . يقول : إن الصبر على الأذى ورؤية من يجنى عليك الأذى
 غذاء ينحل عليه البدن كما ينحل على الأطعمة الحبيثة ، يعنى يشق على الإنسان ذلك حتى
 يفضى به إلى التحول والضوى .

(٣) غبط الرجل يغبطه : إذا تمنى أن يكون مثله دون أن يتمنى زاول نعمته ،
 وإلا كان حسداً . والحمام : اللوت ، وأخف : خبر مقدم ؛ والحمام : مبتدأ مؤخر .
 يقول : من عاش فى ذل فليس له عيش يغبط عليه ، ومن غبطه على ذلك العيش الدليل
 فهو ذليل ، لأن اللوت فى المز أخف من العيش فى الدل . قال العكبرى : وهذا من
 قول الحكيم : إذا لم تتصرف النفوس فى شهواتها ومرادها ، لحياتها موت ، ووجودها
 عدم ؛ ومن قول تأبط شراً :

هَما خَطْبًا إِمَّا إِسَارٌ وَمِئْتَةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْخُرِّ أَجْدَرُ^(١)

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لَهَا جِها التَّخْيِيلُ وَالْمِيرَاحُ

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

وقد اختارها أبو تمام فى الحماسة . وقوله : فأنا ابن قيس : أى أنا للشهور فى النجدة
 كما سمعت ، وأضاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به ، وجملة « لا أبرح » حال مؤكدة لقوله
 أنا ابن قيس كأنه قال أنا ابن قيس ثابتاً فى الحرب ، والأبراح مصدر . برح الشيء من
 باب تعب ، إذا زال من مكانه .

(١) من آيات فى الحماسة يقول فيها تأبط شراً .

أقول للحَيَّانِ وَقَدْ صَفَّرَتْ لَهُمْ وَطَّأِي وَيَوْمِي ضَيْقُ الْجَمْرِ مُعَوِّرُ

كُلُّ حِلْمٍ أَنَّى بَمَنْزِرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لَأَجَى إِلَيْهَا اللُّثَامُ (١)
مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ التَّهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِلْمَرْجِ بِمَيْتِ إِيْلَامٍ (٢)
ضَاقَ ذَرْعًا بِأَنْ أُضِيقَ بِهِ ذَرْعُ عَازِمَانِي وَأَسْتَكْرَمْتَنِي الْكِرَامُ (٣)

(أراد خطئان ، خداف النون ، طلباً لاختفة)

(١) اللثم ؛ الحسيس ، ضد الكريم . يقول ، إن الحلم إذا لم يكن عن قدرة كان عجزاً ، وهو حجة يحتاج بها اللثام ، يسمون عجزهم عن مكافأة العدو حملاً ، كما قال الآخر
إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكِرَامِ
(٢) يقول : إذا كان الإنسان هيناً في نفسه سهل عليه احتمال الهوان كاليت الذي لا يتألم بالجراحة ، قال بعضهم ؛ وهو من قول موسى بن جابر الحنفي - شاعر إسلامي ادرك بنى أمية - .

إذا ما علا المره رام المُسلا ويقنع بالدون من كان دوناً
وأين هذا من ذاك ؟

(٣) زماني ؛ فاعل ضاق ؛ والذرع ؛ الطاقة ؛ وضاق بالأمر ذرعه وذراعه ؛ أي ضغفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً ولم يطقه ولم يقو عليه . وأصل الذرع وإنما

هُمَا خَطَا « البيت »
وبعده :

وَأخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنهَا لَمُورِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ
فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصِّفَا بِهِ جُوجُوْ عَيْلُ وَمَوْتُ مُخَصَّرُ
فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصِّفَا بِهِ كَدْحَةً وَالْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ
فَأَبَتْ إِلَى فَهْمٍ وَلَمْ أَكُ آيِبًا وَكَمْ مِثْلَهَا فَارَقْتَهَا وَهِيَ تَصْفِيرُ

وكان بنو لحيان من هذيل أخذوا على نابط شراً طريق جبل وجدوه فيه يحنى عسلاً ولم يكن له طريق غيره ، فأقبلوا عليه وقالوا استأسر أو تقتلك ، فكره أن يستأسر وصب مامعه من السسل على الصخر ووضع نفسه عليه حتى انتهى إلى الأرض من غير طريقهم ، فصار بينه وبينهم ثلاثة أيام ونجا منهم ، فحكى الحكاية في هذه الآيات ، وتأمل قوله « وللموت خزيان ينظر » تجلي لك شعر الشاعر :

وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصِي قَدَرِ نَفْسِي وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصِي الْأُنَامِ (١)
 أَقْرَارًا أَلَّذَ فَوْقَ شَرَارِ وَمَرَامًا أَبْنِي وَظَلْمِي يُرَامِ (٢)
 دُونَ أَنْ يَشْرِقَ الْحِجَارُ وَنَجْدُ وَالْعِرَاقَانِ بِالْقَنَاءِ وَالشَّامِ (٣)
 شَرِقَ الْجَوُّ بِالْمُبَارِ إِذَا سَأَ رَ عَلِيَّ ابْنَ أَحْمَدَ الْقَنْقَامِ (٤)
 الْأَدِيبُ الْمُتَهَذَّبُ الْأَصِيدُ الضَّرْبُ بَالِدِي كَيْ الْجَمْدُ السَّرِيُّ الْهُمَامِ (٥)

هو بسط اليد ، فكأنك تريد مددت يدي إليه فلم تنله . وذرعا — في قولهم — ضاق به
 ذرعا — نصبوه ، لأنه خرج مفسرا محولا ، لأنه كان ؛ في الأصل ؛ ضاق ذرعى به ؛
 فلما حول الفعل خرج قوله « ذرعا » مفسرا ، ومثله ؛ طبت به نفسا وقررت به عينا .
 يقول : عجز الزمان عن أن يدخل على أمرا لا أحتمله ؛ أى لست أضيق بالزمان ذرعا
 وإن كثرت ذنوبه وإساءته إلى ، ثم قال : واستكرمتنى الكرام . أى وجدنى الكرام
 كريما صبورا على نوائب الدهر غير جزوع ، ومن قولهم استكرمت فاربط ، أى وجدت
 كريما فتمسك به .

(١) الأخص . باطن القدم ، وواقفا الأولى ، حال عن ضمير المتكلم « في البيت
 السابق » والثانية عن الضمير المستتر في « واقفا » الأولى . يقول : إنه قد وقف تحت
 أحمص همة وقد رتبته في الحال التي وقف الناس فيها تحت أحمصيه . يعنى أنه وإن بلغ
 هذا الحد لا يزال ذلك تحت رتبة همة ، لأنها تقتضى ما هو أسمى من ذلك . وعبارة
 ابن جنى . نفسى عالية وإن كان جسمى يرى بين الناس ، فأنا واقف تحت قدر نفسى ،
 والأُنَام وقوف تحت إخصى .

(٢) (٤،٣،٢) الهمزة . للاستفهام الإنكارى ، والشرار . ما تطاير من النار ، والمرام
 المطلب ، وبشرق يخص ، والعراقان : العراق العربى والعراق العجمى ، والقنا الرماح
 والشام : الشام ، وأصله الهمزة ، والقمام السيد ، يقول ، لا أستلذ اقرار فوق شرار
 النار : أى لا أصبر على مقاساة الدل ، ولا أبغى مطلبيا مادام ظلمى يرام ويطلب ، كأنه
 يقول . لا أبغى مراما بالم أذفع الظلم عن نفسى وأترك هذه المواضع غاصة بالرياح كما
 يخص الجو بالغيار عند ركوب هذا المدوح . قال العكبرى ، ولعل هذه البلاد قد كانت
 لآبائه — التنبي — فاغتصبت منهم ، فهو يحاول أن يستردها وهذا من حماقته المعروفة
 ولا بد له في كل قصيدة من مثل هذا .

(٥) الأصد . الملك العظيم الذى لا يلتفت كبرا . والضرب . الماضى فى الأمور

وَالَّذِي رَبُّ دَهْرِهِ مِنْ أَسَارَا هُ وَ مِنْ حَايِدِي يَدَيْهِ الْفَمَامُ^(١)
يَتَدَاوَى مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ بِالْإِقْلَالِ جُودًا كَأَنَّ مَالًا سَقَامُ^(٢)
حَسَنٌ فِي عِيُونِ أَهْدَائِهِ أَقْبَحُ مِنْ ضَيْفِهِ رَأْتَهُ السَّوَامُ^(٣)

وأصله الخفيف اللحم ، والجعد ، الكريم ، قالوا ، وإذا ذكر الجعد مضافا لليدين فقيل فلان جعد الدين : كان بمعنى البخيل ، وإذا ترك بغير إضافة كان بمعنى الكريم - من الترى الجعد ، وهو الندى - والسرى : الشريف من السرو ؛ قال الجوهري : السرو سخاء في مروءة ، وسرا يسرو ، وسرى - بالكسر - يسرى سرواً فهما ، وسرو يسرو سراوة : أى صار سرباً ورجل سربى : من قوم أسرياء وسروء كلاهما عن اللحياني ، والسراوة اسم للجمع ، وليس يجمع عند سيويه ، قال ودليل ذلك قولهم سروات . قال الشاعر :

تلقى السرى من الرجال بنفسه وابن السرى إذا سرى أسراها
أى أشرفهما . وقولهم : قوم سراة جمع سرى : جاء على غير قياس أن يجمع فعيل على فعلة . والمهام الذى ينفذ ما مهم به .

(١) ريب الدهر ، صروفه ونوابه . وأساراه بفتح الهمزة وضمها جمع أسرى جمع أسير . يقول ، إنه حبس صروف الدهر على مراده فلا يتمكن الدهر من إحداث شيء إلا ما يريد ولا يصيب أحداً إلا بإذنه ، وقد تحرق في الكرم وأطلق يديه بالبذل حتى صار التمام - السحاب - حاسداً لهما لتصوره عنهما في البذل والسخاء

(٢) الإقلال ، قلة المال وجوداً ، مفعول له ، عامله « الإقلال » أو الفعل قبله ، يقول ، كان المال لكثير سقام ، وكأن الإقلال براء ذلك السقام ، فهو يتداوى من كثرة المال بالإقلال : أى يبذل المال حتى يصير مقلاً ، فيصير ذلك دواء له من الداء الذى هو الإكثار .

(٣) السوام ، اللاشية ، وقوله حسن ، أى هو حسن ، وتم الكلام ، ثم قال ، رهو فى عيون أعدائه أقبح من ضيفه فى عيون ماله الراعى لأنه ينجر إليه للأضياف فهى تكرههم ، كما قال الآخر يصف الضيف .

حبيبٌ إلى كلبِ الكَرِيمِ مُنَاخُهُ بفيضٍ إلى الكوماء^(١) والكلبُ أبصر

(١) الكوماء ، الناقة الضخمة السنام

لَوْحَى سَيِّدًا مِنَ الْمَوْتِ حَامٍ لِحَمَاكَ الْأَجْلَالُ وَالْإِعْظَامُ^(١)
وَعَوَارٍ لَوَامِعٍ دِينَهَا الْحِلُّ وَلَكِنْ زِيهَا الْإِحْرَامُ^(٢)
كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ الْمَجْدِ بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسِ السَّلَامِ^(٣)

فقوله في عيون أعدائه ، ظرف لأقبح لا « لحسن » قدمه عليه ، كقولك زيد في الدار أحسن منك . قال ابن جنى ، ويمكن أن يكون « في عيون أعدائه » ظرفاً لحسن ، فالعنى هو في عيون أعدائه حسن ، إن قيل كيف يكون حسناً في عيون أعدائه وأقبح من ضيفه إذا رآته الإبل لأنه يذبحها للأضياف فهي تكرههم؟ فجوابه أن أعداءه يرونه حسن الصورة قبيح الفعل بهم ، فهم يرونه حسناً وقبيحاً ، وفي الأول قبيحاً لاغير (١) لحماك الإجلال والإعظام ، أى لحماك من الموت إجلال الموت لك وإعظامه إياك فلم يحسر عليك تيباً . وقال الواحدى . يقول : لو كان سيد محمياً من الموت لحماك وحفظك منه إجلال الناس إياك ، وإعظامهم ، أى أنهم يقدونك بنفوسهم من الموت لوقبل انقضاء فكنت لا تموت ؟ قال ، وقال ابن دوست ، لأنهم بها بونك فلا يقدمون عليك ، وليس المعنى في إجلال الناس إياه ما ذكر ، لأنه ليس كل الموت القتل حتى يصح ما ذكره .

(٢) عوار ، عطف على « الإجلال » - في البيت السابق - أى ولحماك سيفوف عوار - مجردة - من الأعماد ، ديتها استحلال قتل النفوس ، فهي لا تخرج من شئ ، ولكن زيتها الإحرام أى امرئ كالحرم فى الحج ، فإنه يكون عارياً من الثياب .

(٣) يقول : كتب فى صحائف المجد بسم الله - وهو افتتاح الكلام - ثم قيس - وهى قبيلة المدوح - ثم السلام الذى يكتب فى أواخر الكتب : يعنى أن بنى قيس قد تفردوا بالمجد ، فلا يقال لغيرهم أهل مجد . هذا ومن قال : بسم - بالرفع - أجرى « الباء » كعض حروفها لطول صحبتها الاسم ، كما أنشد الفراء :

فلا والله لا يُبْدِنِى لِمَا بى وَلَا لِلْمِائِبِينَ أَبْدَأُ شِفَاءً^(١)

(١) لاسلم بن معبد الوالى ، عاصر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، من قصيدة أولها :

بكت إبلى وحق لها البكاء وفرقتها المظالم والمداء
وكان سبب هذه القصيدة أن مسلماً كان غالباً ، فكتبت إبلى المصدق - أى عامل الزكاة - وكان رقيع الوالى عريفاً فظن مسلم أن رقيعاً هو الذى أغرى المصدق وكان مسلم ابن أخت رقيع ، ابن عمه فقال هذه الأبيات . « انظر خزنة الأدب » ج ٢ ص ٢٦٧ سلفية .

إِنَّمَا مَرَّةٌ بِنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدٍ جَمْرَاتٌ لَا تَشْتَهِيهَا النَّعَامُ (١)
لَيْلَهَا صُبْحُهَا مِنَ النَّارِ وَالْإِصْبَاحُ لَيْلٌ مِنَ الدُّخَانِ تَمَامٌ (٢)

وأنشد الآخر:

وَكَاتِبٍ قَطَطَ أَقْلَامًا وَخَطَّ بِسْمَاءِ الْفَا وَلَا مَا

ومن قال بسم - بالحنف - خفضه بالباء وأراد بسم الله ، وهذا قبيح جداً كما قال الواحدى ، أن يجعل ما ليس من نفس الكلمة كالجزء منه . وقوله : وبعد قيس : من كسر السين حذف التنوين لاجتماع الساكنين ؛ ومن نصب « قيس » ذهب إلى القبيلة فلم يصرفها للتعريف والتأنيث .

(١) الجمرات : كل قبيل انضموا فصاروا جماً واحدة ولم يحالفوا غيرهم . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة : بنو ضبة بن أد ، وبنو الحرث بن كعب ، وبنو نعيم ابن عامر . طفت منهم جمرتان : طفت « ضبة » لأنها حلفت الرباب ، وطفت بنو الحرث لأنها حلفت مذحج ، وبقيت نعيم لم تطفأ لأنها لم تحالف ؛ وقال الجاحظ : يقال - لعيس وضبة ونعيم - : الجمرات ، وأنشد لأبي حية النخعي :

لَنَا جَمْرَاتٌ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا كِرَامٌ وَقَدْ جُرُّنَا كُلَّ التَّجَارِبِ
نُعَيْمٍ وَعَيْسٍ يُقْبَى نَفْيَاتُهَا وَضَبَّةٌ قَوْمٌ بِأَسْمِهِمْ غَيْرُ كَذِيبِ
وهؤلاء يسمون جمرات لشوكتهم وهدتهم ، وقد فضل المتنبي هذه القبيلة على سائر الجمرات ، إذ جعلها لا تشتهيها النعام ، لأنها قبيلة ذات بأس وشدة لا ذات جمر في الحقيقة فهي جمرات حرب - لا جمرات هب - والنعام تشتهي جمرات النار لفرط برودة في طبعها .

(٢) الإصباح : مصدر ، بمعنى الصبح . يقول : إنهم يوقدون نار القرى ليلاً ونهاراً فليلهم صبح بضم النون التي أوقدوها للأضياف ، ونهارهم ليل بسواد الدخان إذ يستر ضياء الشمس . ويجوز أن يريد أنهم يغيرون في النهار ويحاربون فيزول نور النهار بالغباب وهو معنى حسن ، وقد أخذ الحيفي بيص فقال :

نَفَى وَاصْبَحَ الشَّرِيقَ عَنِ شَمْسِ أَرْضِهِ دُخَانٌ قُدُورٍ أَوْ مَجَاجَةٌ قَسَطَلٍ
وقوله تمام بكسر التاء . فليل النعام أطول ليالي الشتاء ، خصه لاشتداد ظلمته ؛ وأكثر ماجاء ليل النعام بالالف واللام والإضافة ، ولكنه أتبعه هنا للضرورة على أن اللحن تم بدونه ، وإنما أتى به لإتمام القافية .

هَمَّ بَلَفْتَكُمْ رُبَاتٍ قَصْرَتْ عَنْ بُلُغِهَا الْأَوْهَامُ
 وَنَفُوسٌ إِذَا انْبَرَتْ لِقِتَالِ نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدُ الْإِقْدَامُ (١)
 وَقُلُوبٌ مُوَطَّنَاتٌ عَلَى الرُّؤْيِ عِ كَانُ أَفْتِحَامَهَا أُسْتِسْلَامُ (٢)
 قَائِدُو كُلِّ شَطْبَةِ وَحِصَانِ قَدْ بَرَاهَا الْأَسْرَاجُ وَالْإِجْجَامُ (٣)
 يَتَعَثَّرْنَ بِالرُّهُوسِ كَمَا مَرَّ بِنَا آتٍ نَطَقَ بِهِ التَّمْتَامُ (٤)
 طَالَ غِشْيَانُكَ الْكِرَائَةَ حَتَّى قَالَ فِيكَ الَّذِي أَقُولُ الْحُسَامُ (٥)

(١) الانبراء التعرض للشيء ، ونفذ الشيء : فنى ؛ وقبل ينفد ؛ أى قبل أن ينفد . يقول : إن نفوسهم لاتزال مقدمة في الحرب حتى تنفى وإقدامها باقى على حاله ، لأنها لم تتأخر ، فنفاذها قبل نفاذ إقدامها ، ويجوز أن يكون المعنى أنهم يعلمون الناس الإقدام فيفنون وإقدامهم باقى ؛ ويجوز أيضا أن يريد أنهم متجسمون من الإقدام ، فإذا فنيت الروح فالجسم الباقى هو الإقدام .

(٢) توطين النفس على الشيء كالتمهيد ، قال ابن سيده : وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت : حملها عليه فتحملت وذلك له ، قال كثير :

فقلتُ لها يا عزَّ كلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لها النَّفْسُ ذَلَّتْ

وأراد بالروع : الحرب . والافتحام : الدخول في الحرب . والاستسلام : طلب السلم والصلح . يقول : كأن دخولهم في الحرب طلب للسلم لا لستراسلهم وانبساطهم .

(٣) الشطبة : الفرس الطويلة ، وبراها : هزلها وأنحلها . وأراد براهها : أى الشطبة والحصان ، فاكنتى بضمير الأول ، كفى قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » .

(٤) يتعثرن : أى الخليل ؛ والتمتام ، الذى يتردد لسانه بالثناء . يقول . إن خليلهم تعثر برؤوس القتلى من الأعداء كما يعثر التمام بالثناء ، يريد : من كثرة القتلى لم يبق للخليل مجال إلا بين رؤوس القتلى .

(٥) غشيانك : إتيانك ؛ والكرائه : جمع الكريمة ، والكريمة من أسماء الحرب - فعيلة فى معنى مفعولة - . والحسام : السيف القاطع ، وهو فاعل « قال » . يقول : طال إتيانك الحروب حتى إن السيف ليشهد لما أقول وأصفك به من الشجاعة

وَكَفَّنْتَ الصَّفَاخِ النَّاسَ حَتَّى قَدْ كَفَّنْتَ الصَّفَاخِ الْأَقْلَامَ (١)
وَكَفَّنْتَ التَّجَارِبَ الْفِكْرَ حَتَّى قَدْ كَفَّنَكَ التَّجَارِبَ الْإِلْهَامَ (٢)
فَارِسٌ يَشْتَرِي بِرِازِكَ لِلْفَخْرِ بِقَتْلِ مُعْجَلٍ لَا يُلَامَ (٣)
نَائِلٌ مِنْكَ نَظْرَةً سَاقَهُ الْفَقْرُ عَلَيْهِ لِقَرِهِ إِنْغَامَ (٤)
خَيْرٌ أَعْضَانِنَا الرَّهْمُوسُ وَلَكِنْ فَضَّلْتَهَا بِقَصْدِكَ الْأَقْدَامَ (٥)

والإقدام . يريد بشهادة السيف مابه من الفلول الدالة على كثرة الضرب ، وجعل ذلك الانقلا كلقول من السيف .

(١) الصفائح . السيوف العريضة . يقول : هاب الناس سيوفك فكفوا عنك ولم تحتج إلى قتالهم ، ثم صرت إلى أن كفنتك الأقلام السيوف لما استقرت لك من الهيبة في القلوب ، وقال ابن دوست . كفنتك سيوفك الناس من العساكر وغيرها حتى استغنت عنهم ولم تحتج إليهم ؛ قال الواحدي : وهذا فيه ضعف ، لأن السيوف تحتاج إلى من يعملها ليحصل له الهيبة وهي بمجرد ما لا تكفيه الناس . والناس : يروي البأس .

(٢) يقول : قد جربت الأمور وعرفتها حتى لا تحتج إلى التفكير فيها ، ثم صار الصواب ديدنك حتى صرت لا تلهم سواه ، فكفناك إلهام الله التجارب قال العكبري . وهذا وما قبله من قول البحترى .

يَوْمَ أَرْسَلْتَ مِنْ كِتَابِ آرَا نِكَ جُنْدًا لَا يَأْخُذُونَ عَطَاءَ
وَيَوْدُ الْأَعْدَاءِ لَوْ تَضَعُ الْجِدَّ شَ عَلَيْهِمْ وَتَصْرِفُ الْأَرَءَا
(٣) البراز . البارزة ، وهي أن يبارز الرجل قرنه . يقول : إن الفارس الذي يجعل نفسه قريباً لك ويبارزك في الحرب ينال بذلك فخراً عظيماً ، فإذا قتله كان قد اشترى الفخر بنفسه فلا يلام عليه .

(٤) يقول : الذي ينال منك نظرة من ساقه الفقر إليك . أى دعاه فقره إلى زيارتك فإن للفقر منة عليه ، لأنه كان سبباً لهذه النظرة .

(٥) يقول : خير أعضاء الإنسان الرأس ، لأنه مجمع الحواس ، وفيه الدماغ الذي هو محل العقل ، ولكن الأقدام صارت بقصدك أفضل من الرهوس ، لأنها كانت آلة للشيء إليك ، وهذا كما قال أيضاً :

قَدْ لَعَمْرِي أَقْصَرْتُ عَنْكَ وَلِلْوَفْدِ أَرْحَامٌ وَلِلْعَطَايَا أَرْحَامٌ^(١)
 خِفْتُ إِنْ صِرْتُ فِي يَمِينِكَ أَنْ تَأْخُذَنِي فِي هَيْبَتِكَ الْأَقْوَامِ^(٢)
 وَمِنْ الرَّشْدِ لَمْ أَرْزُكَ عَلَى الْقُرْبِ ، عَلَى الْبُعْدِ يُعْرِفُ الْإِلْتِمَامِ^(٣)
 وَمِنْ أَنْتِغِيرِ بَطْنِهِ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعَ السُّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجِهَامِ^(٤)
 قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرِ بِنِظَامٍ وَدُهَا أَنْهَا بَيْنَكَ كَلَامِ^(٥)
 هَابِكَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارُ فَلَوْ تَنَاهَاهَا لَمْ تَجْزُ بِكَ الْأَيَّامِ^(٦)

وإن الفئام التي حوله لتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرْوُسُ

(١) أقصر عن الشيء : تركه مع القدرة عليه . والوفد : القوم الوافدون . يقول :
 لم آتتك حين ازدحمت عليك الوفود وازدحمت عليهم عطايك ، وتمة المعنى في البيت
 التالي .

(٢) ذكر علة تأخره عنه ، وهي خوفه أن تأخذه الوفود في جملة هيبته . وهذا
 إغراق في وصف كثرة عطايه حتى يخاف شاعره وزأره أن يجعله من جملة تلك الهبات
 وهذا كقول البحترى :

وَمِنْ لَوْ تَرَى فِي مِلْكِهِ عُدْتَ نَائِلًا لِأَوَّلِ عَافٍ مِنْ مُرْجِيهِ مُقْتَرِ
 (٣) قوله على القرب : تم الكلام عنده ، ثم استأنف مابعد . والإلتمام : الزيارة .
 يقول : من إصابة الرشد أفى لم أزررك وأنا قريب منك ، لأن حق الزيارة إنما يعرف إذا
 كانت من موضع بعيد .

(٤) البطء : اسم من الإبطاء ، وهو التأخر . والسحب : العطاء ، والجهم : السحاب
 الذي لاماء فيه . يقول : تأخر عطائك عني - أي تأخر وصوله إلى بسبب تأخر زيارتي
 إليك - يدل على كثرة ذلك العطاء ، كالسحاب ، إنما يسرع منه ما كان جهاما - لاماء
 فيه - أما ما يكون فيه للماء فإنه يكون ثقيل الشيء :

(٥) النظام : خيط المقد ؛ وودها : مبتدأ ؛ خبره : المصدر للتصيد مما بعده . يقول
 - للمدوح - قل وتكلم فإن الجوهر المنظوم يتعنى أن يكون كلاما لك ، لحسن نطقك
 وانتظام كلماتك .

(٦) لم تجز : لم تمر . يقول : إن الدهر يهابك ويأتمر بأمرك ، فلو نهيته عن المرور
 بك لم يمر : أي لو أمرته أن يقف لوقف .

حَسْبُكَ اللَّهُ مَا تَضِلُّ عَنْ الْحَقِّ وَمَا يَهْتَدِي إِلَيْكَ أَنْتُمْ (١)
 لَمْ لَا تَحْذَرُ الْعَوَاقِبَ فِي غَيْرِ الدُّنْيَا أَمَا عَلَيْكَ حَرَامٌ (٢)
 كَمْ حَبِيبٍ لَا عُذْرَ فِي الْيَوْمِ فِيهِ لَكَ فِيهِ مِنَ الثَّقَى لُؤَامٌ (٣)
 رَفَعَتْ قَدْرَكَ الزَّاهَةُ عَنْهُ وَتَذَتْ قَلْبِكَ السَّاعِي الْجِسَامُ (٤)
 إِنَّ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيضِ هَذَا لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضُهُ أَحْكَامٌ (٥)

(١) الأثام — كلام — جزاء الإثم ، قال تعالى « يلقى أنثاماً » وهو هنا الإثم يقول : كافيك الله ، أى هو الذى يكفيك كل شر وغائلة ، فأنت مع الحق لا تضل عنه ، ولا يجد الإثم سيلاً إليك ؛ لأنك لا تأتى ما تأثم به لعصمة الله بإياك .

(٢) الدنيا . النقايس . و « أما عليك حرام — » وهى رواية ابن جنى — : يعنى ما بالك لا تحذر عاقبة شئ سوى الدنيا ؛ أما عليك شئ محرم تتقى عاقبته ؟ وكأن هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق ، يعنى أن المحرمات مصروفة عنه بعصمة الله له ، فلا يتبها له إتيانها ، فلم يبق عليه ما يخشى عاقبته إلا الدنيا وروى غيره : وما عليك حرام ، بأوالعاطفة وجعل « ما » موصولة معطوفة على « الدنيا » أى ما هو حرام ، قال الواحدى : يعنى أنه يقدم على الممالك وكل شئ ، لا يتفكر فى عاقبة شئ إلا ما كان من دينية أو شئ حرام فإنه لا يقدم عليه ، يريد لم تفعل ذلك ؟ قال اليازجى : وهذا يصح لولا هذا الاستفهام ، وإلا فهو تعجب فى غير محله ، وحاصله الإنكار لا للدخ ، كما يظهر بالتأمل وقال ابن القطاع . لم تلق نفسك فى الممالك ؟ أو ما تظن أن ذلك حرام ؟ يشير إلى شجاعته ، وعجزة ابن جنى — التى روى « أما عليك حرام ؟ » . يعنى لإفراطك فى تولى الدنيا صار كأنه لأحرام عليك غيرها . يعنى أنه لا يفكر فى عاقبة شئ سوى الدنيا ، فكأنه لم يهرم عليه شئ .

(٣) يصفه بتقوى الله وخشيته . يقول . كم حبيب يستحق المواصلة تمام حسنه ولا تلام لوواصلته ، لكنك مع ذلك تتركه لتقوى الله ، فكأنك قد أقمت عليك من التقوى لوأما يلومونك فيها لا يوافق مقتضاها وقدأ كد هذا بالبيت التالى .

(٤) يقول . زاهتك وتباعذك عن الأثام رفما قدرك عن مواصلته ، وصرفت قلبك عنه الأمور الجسام — العظام — التى تسمى فيها .

(٥) القرىض . الشعر ، من قرض الذى . إذا قطعة ، كأن اللراء يقطعه من فكره ،

مِنْهُ مَا يَجْلِبُ الْبَرَاعَةَ وَالْفَضْلُ وَمِنْهُ مَا يَجْلِبُ الْبِرْسَامَ (١)

وورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه وصول الكوفة على حالته تلك ، فأنحدر إلى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه ، وحثت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها ، فقال يرثيها :

أَلَا لَا أَرَى الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا فَمَا بَطَشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفَتْهَا حِلْمًا (٢)

والتقريض : صناعة التقريض ، وفي المثل : حال الجريض دون القريض ، الجريض . النقص ؛ والقريض . الشعر ، وهذا المثل لعبيد بن الأبرص ، قاله المنذر حين أراد قتله في يوم بؤسه فقال له : أنشدني من قولك فقال عند ذلك : حال الجريض دون القريض ؛ وقال الجوهري . القريض قول الشعر خاصة يقال قرضت الشعر أقرضه إذا قلته والشعر قريض ، قال ابن بري . وقد فرق الأغلب العجلي بين الرجز والقريض بقوله .

أَرْجَزًا تُرِيدُ أُمَّ قَرِيضًا كَلِمَةً أَجِيدَ مُسْتَرِيضًا

« مستريضاً أى واسعاً ممكناً من استراض المكان أى فسح واتسع » وهدى يهدى هذاه وهذيانا : إذا قال قولاً لا طائل له . والأحكام : جمع حكم بمعنى حكمة ، والبيت من الحديث : « إن من الشعر لحكماً » أى حكمة .

(١) منه : أى من القريض — الشعر — ما يجلبه الفضل والبراعة : أى ما يكون عن فضل ومعرفة وتفوق ، ومنه ما يجلبه البرسام أى ما يكون عن مرض وهذيان . فقوله ما يجلب : أى ما يجلبه . والبرسام علة معروفة يقال برسم : إذا خلط في مرضه . (٢) الأحداث : نوب الدهر ومصائبه . والبطش : الأخذ بغبلة وقوة . يقول : لا أحداً . الحوادث السارة ولا أذم الضارة ؛ فإنها إذا بطشت بنا أو آذنتنا لم يكن ذلك جهلاً منها . وإذا كفت عن البطش والضرر لم يكن ذلك حِلْمًا يعنى أن الفعل في جميع ذلك ليس لها ، وإنما تنسب الأفعال إليها استعارة ومجازاً .

- (٢) إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْفَتَى مَرَجِعُ الْفَتَى يَعُودُ كَمَا أَبْدَى وَيُكْرِى كَأَزْمَى (١)
(٣) لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةَ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَضَمًّا (٢)
(٤) أَحْنُ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتُ بِهَا وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمًّا (٣)

(١) أبدى : هى أبدى : أى أبداه الله : أى خلقه ، فأصله الهمز ، ولينه للضرورة ؛ وأكرى الشيء : نقص . وأرمى : أرمى وزاد . يقول : إن كل واحد يرجع إلى مثل ما كان عليه من العدم ويعود إلى حالته الأولى كما أبدى . وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد ؛ وإذن لا ذنب للحوادث حتى أدمها أو أحمدها . هذا : وأكرى - كما أنه بمعنى زاد - أتى بمعنى نقص ، فهو من الأضداد ، يقال أكرى الرجل : قل ماله أو نقد زاده وقد أكرى زاده : أى نقص ، قال لبيد :

كَذِي زَادِ مَتَى مَا يُكْرِ مِنْهُ فَلَيْسَ وَرَاءَهُ ثِقَةٌ بَزَادٍ
وقال آخر يصف قدراً :

يُقَسِّمُ مَا فِيهَا فَإِنْ هِيَ قَسَمَتْ فَذَلِكَ وَإِنْ أَكْرَتْ فَمَنْ أَهْلَهَا تُكْرِى
« قسمت : عمت في القسم ، وإن أكرت : أراد وإن نقصت ، فمن أهلها تنقص : أى القدر » .

(٢) لك الله : دعاء لها ؛ و«من» - من مفجوعة - : زائدة ، ومفجوعة ، في موضع نصب على التمييز ؛ والوصم : العيب . وعنى بحبيبها : نفسه . يدعو لها ويقول : هى مفجوعة قتلت بسبب شوقها إليه ، وليس هذا الشوق بما يلحق بها عيباً ، لأنه شوق الأم إلى ولدها .

(٣) يريد بالكأس التي شربت بها : كأس الموت . ومثواها : مقامها . يعنى القبر . يقول : لا أحب البقاء بعدها وأحب - لأجل مقامها في التراب - التراب وما ضمه التراب يعنى شخصها أو كل مدفون في التراب . وجه التراب : يجوز أن يكون حبا لادفن فيه ، ويجوز أن يحب التراب لأنها فيه . هذا : والكأس مؤنثة وجمعها كئوس وأكؤس . دكئاس ، قال أهل اللغة : الكأس الزجاجية ما دام فيها خمر ، فإذا لم يكن فيها خمر نهى قلع ؛ قال الله تعالى « يطاف عليهم بكأس من معين » . يضاء لثة للشاربين « وقال ية ابن أبي الصلت :

مَا رَغِبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ تَحْمِيًا قَلِيلاً فَالْمَوْتُ لِأَحْمِقِهَا

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خَيْفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كِلَانًا تُكَلِّ صَاحِبِهِ قَدِيمًا^(١)
 وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كَلَاهُمُ مَضَى بِلَدِّ بَاقٍ أَجَدْتُ لَهُ صَرَمًا^(٢)

⑤
⑥

يُوشِكُ مِنْ فَرٍّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَأْفِقُهَا
 مِنْ لَمْ يَمِتْ عَبْطَةً يَمِتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأَسُّ وَاللَّزْهُ ذَائِبُهَا^(١)
 (١) الشكل : الفقد . وقدمًا : قديمًا . يقول : كنت أبكي عليها في حياتها
 خوفًا من فقدها ، وصرب الدهر من ضرباته وفرق بيئنا وتغربت عنها فذاق كل
 واحد منا شكل صاحبه قبل الموت : قالوا : وفي المصراع الأول نظر إلى بيت
 الحماسة :

فِيبِكِي إِنْ نَاوَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبِكِي إِنْ دَنَوْنَا خَوْفَ الْفِرَاقِ^(٢)

(٢) أجد : بمعنى جدد . والصرم : القطيعة . يقول : لو كان الهجر يقتل كل محب
 كما قتلها هجرى لقتل بلدها أيضا : يعني أن بلدها كان يحبها لافتخاره بها لما لها عليه وعلى
 أهله من الإفضال ، ولكن الهجر إنما يقتل بعض المحبين دون بعض . قال بعض الشراح
 وقد نفى في هذا البيت ما أثبتته في قوله :

لَا تَحْسَبُوا رِبْعَكُمْ وَلَا طَلَّاءَهُ أَوْلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهُ

(١) قال ابن بري : عبطة : أى شابا في طرأته ، وانتصب على الصدر : أى موت
 عبطة وموت هرم ، فحذف المضاف ، وإن شئت نصبتما على الحال : أى ذا عبطة وذاهم
 فحذف المضاف أيضاً ، وأقام المضاف إليه مقامه .

(٢) من أبيات جميلة منها :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقِيَّ مِنْ حَبِيبَةٍ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الذَّاقِ
 تَرَاهُ بِأَكْيَا فِي كُلِّ حِينٍ مَخَافَةَ فِرْقَةٍ أَوْ لِأَشْتِيَانِ
 فَيَبِكِي [البيت]

وبعده :

فَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

٧ عَرَفْتُ اللَّيَالِيَّ قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا
٨ مَنَافِعَهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا
٩ أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
١٠ حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي
فَلَمَّا دَهْتَنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمًا^(١)
تَغَدَّى وَتَرَوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَنْظَمَ^(٢)
فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمَتَّ بِهَا عَمَّا^(٣)
أَعُدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمًّا^(٤)

(١) بقول : كنت عالما بالليالي وتفريقها بين الأجابة قبل أن تصنع بنا هذا التفريق فلما دهتنى هذه اللصيبة لم زدنى بها علما ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : من نظر بين العقل ورأى عواقب الأمور قبل حلولها لم يجزع بحولها . ومن قول أبي تمام :

حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا
ومن قول بعض العرب وقد مات ولده فلم يجزع فقيل له في ذلك ، فقال أمر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره .

(٢) قال ابن فورجه : الضمير في « منافعها » للمرثية : يعنى أنها قتين — قليلة الطعم — تؤثر بالطعام على نفسها فتجوع وتنظما لتنفع غيرها ، ثم جعل المصراع الثانى تفسيرا للمصراع الأول فقال : غذاؤها وربها في أن تجوع وتنظما ، لأن سرورها بإطعام غيرها يقوم مقام شبعها وربها . وعلى هذا فقوله « ماضر » تقديره ماضرها ، والجار والمجرور التاليان في موضع الحال من فاعل « ضر » وقال الواحدى : الضمير في « منافعها » لليالى والأحداث : يعنى أن منافع الليالى في مضره غيرها من الناس ، ثم فسر ذلك فقال : غذاؤها وربها في أن تجوع أيها المخاطب وتنظما ، لولوعها بالإساءة بنا كأن ربها وشبعها في جوعنا وظمنا قال : ويروى : نجوع ونظما ، بالنون على ما ذكرنا من التفسير ، ويجوز أن يكون أن تجوع وأن تنظما بالتاء خبراً عن الليالى ، والمعنى غذاؤها وربها جوعها وعطشها : أى لارى لها ولاشبع ، لأنها لا روى ولا تشبع من إهلاك الأتفس وإزهاق الأرواح وتقدير « ماضر في نفع غيرها » ما أثر في نفع غيرها بالاضر كأنه قال : منافعها في ضر غيرها .

(٣) الترحه : الاسم من الترح ؛ وهو الحزن — يقول : اعتد حزنى عليها فكأنى مت بها عمما ، وماتت هى من شدة سرورها بحياتى بعد إياسها منى .

(٤) يقول : السرور حرام على فإننى بعد موتها بالسرور أعده مما فاتجنبه وأحرمه على نفسى .

تَعَجَّبُ مِنْ خَطِيٍّ وَ لَفِظِي كَأَنَّهَا (١)
وَتَلْتَمِسُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادَهُ (٢)
رَقَا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا (٣)
وَلَمْ يُسَلِّهَا إِلَّا الْمَنَايَا وَإِنَّمَا (٤)

(١١)

(١٢)

(١٣)

(١٤)

(١) تعجب - بحذف إحدى التاءين - أى تعجب ، والباء من قوله « محروف »
للتجريد . والأغرية : جمع غراب . والعصم : جمع أعصم ، وهو الذى فى جناحه
بياض والفراب الأعصم نادر الوجود . قال التبريزى : إنها كانت تعجب من
كتابى - عند رؤيته - حتى كأنها تنظر إلى مالا يوجد ، كالغراب الأعصم ووجه
تعجبها أنه سافر عنها حتى يئست منه ، فلما نظرت إلى كتابه أكثرت النظر شغفاً به
لا عجباً حقيقياً ، قال ابن جنى : شبه البياض الذى بين الأسطر بالبياض فى الغراب
الأعصم .

(٢) المهاجر : ما حول العينين . وسحما : سودا . يقول : لم تزل تقبل كتابى وتضعه
على عينها حتى صارت أنيابها وما حول عينها سودا بمداده - حبه - هذا :
ويقال لثم فاه - بالكسر - إذا قبلها ، وربما جاء بالفتح ، قال عمر بن أبى ربيعة -
وقيل لجليل بن معمر :

قالت وعيش أبى وحرمة إخوانى
فخرجت خيفة أهلها فتبسمت
فلثمت فاهاً آخذاً بقرونها
شرب الزيف ببرد ماء الحشرج (١)

(٢) رقاً الدمع والدم : انقطع ، فأصله الهمز ؛ ولكنه لينه هنا للضرورة يقول :
لما ماتت انقطع ما كان يجرى من دمعها على فراقى ويبست جفونها عن الدمع وسليت
عنى بعدما أدى حبي قلبها فى حياتها .

(٤) يقول : لم يسلبها عنى إلا الموت وقد ذهب به ما نالها من السقم جزعاً

(١) الزيف : المحموم الذى منع من الماء ، ونصب « شرب » على الصدر الشبه
به ، لأن لما قبلها امتص ريقها ، فكأنه قال شربت ريقها كشرب الزيف للماء
البارد ، والحشرج : الماء الذى يجرى على الرضراض صافياً رقيقاً ، والحشرج : كوز
صغير لطيف .

١٥
١٦
١٧
طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي وَقَدَّرَصَيْتُ بِي لَوْرَصَيْتُ بِهَا قِسْمًا^(١)
فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي أَلْغَمَامَ لِقَبْرِهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَعْيَى وَالْقَنَا الصُّمًّا^(٢)
وَكَنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى
فَقَدْ صَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْمُعْطَى^(٣)

طى ، ولكن الذى اذهب ذلك السم كان اشد عليها من السم ، كما قال
أبو تمام :

أقولُ وقد قالوا استراح بموتها
مِنَ الْكَرْبِ رُوحَ الْمَوْتِ شَرًّا مِّنَ الْكَرْبِ
ومثله له :

أَجَارَكَ الْمَكْرَهُ مِنْ مِثْلِهِ فَاقِرَةٌ نَجَّتَكَ مِنْ فَاقِرَةٍ^(١)

(١) يقول : إنما سافرت وفارقتها لأطلب لها حظا من الدنيا ففاتتني هي بموتها
وفاتني ذلك الحظ لأنني لم أدركه وكانت قد رضيت بي حظا من الدنيا لو كنت
أنا قد رضيتها حظا لي

(٢) استسقى : طلب السقيا ، والغمام : السحاب . والوعى : الحرب ، والقنا :
الرماح ، والصم : الصلاب . يقول : بعد أن كنت أستسقى الحرب والرماح دماء
الأعداء صرت أستسقى السحاب قبرها فأقول : سقى الله قبرها - على عادة العرب
في الدعاء للقبور بسقيا السماء - يعنى تركت الحرب وجدأها واشتغلت بالدعاء لها :
قالوا : وفيه نظر إلى قول الآخر :

وَبَرَعْنِي أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ الْوَدَّ وَأُهْدِي إِلَيْكَ صَوْبَ أَلْغَمَامِ

(٣) قبيل : تصغير قبل ؛ والنوى البعد . يقول : كنت قبل موتها أستعظم فراقها
فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة وكانت عظيمة ، يعنى أف موتها
أعظم من فراقها .

(١) الفاقرة : الداهية الكاسرة لفقار الظهر .

هَيْبِي أَخَذْتُ الثَّارَ فِيكَ مِنَ الْمِدَا (١٨)
فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّارِ فِيكَ مِنَ الْحَمَى (١)
وَمَا أُنْسَدَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِضَيْقِهَا (١٩)
وَلَكِنَّ طَرْفًا لَا أَرَاكَ بِهِ أَعْمَى (٢)
فَوَا أَسْفَا أَنْ لَا أَكِبُّ مُقْبِلًا (٢٠)
لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ الَّذِي مُلْنَا حَزْمًا (٣)

(١) يقول : اجعليني واحسيني بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو قتلك فكيف أخذ ثأرك من العلة التي قتلتك ، وهي العدو الذي لا سبيل إليه قالوا وفيه نظر إلى قول عمران بن حطان :

وَلَمْ يُفْنِ عِنكَ الْمَوْتَ يَا حَزْرَ إِذْ أُنِي رَجَالٌ بِأَيْدِيهِمْ سِيُوفٌ قَوَاضِبٌ (١)
وَاحْسَنَ فِيهِ أَبُو الْحَسَنِ التَّهَامِيُّ :

لَوْ كُنْتَ تَمْنَعُ خَاضِ نَحْوِكَ فِتْيَةً مِثْلًا بِحَارَ عَوَامِلٍ وَشِيفَارٍ (٢)
(٢) يقول : إنه قد صار لفقدها كالأعمى فانسدت عليه المسالك لذلك ، لا لأن الدنيا قد ضاقت .

(٣) الألف من قوله « فوا أسفا » : للندبة ؛ وأكب على الشيء : مثل انكب : أى انحنى على وجهه . واللدى : أراد اللذين ، حذف النون لطول الاسم بالصلة ، وقيل بل هى لفة فى تثنية « اللد » وأنشدوا على ذلك قول الأخطل :

أَبْنِي كَلَيْبِ إِنَّ عَمِّيَ الَّذَا كَسَرَ الْقِيُودَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَ (٣)
وقول الأثمب بن ربيعة - شاعر غنضم أدرك الجاهلية والإسلام :

وإن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد (٤)

(١) حمز : ترخيم حمزة ، وقواضب : قواطع ؛
(٢) عوامل : جمع عامل وعامل الرمح : صدره ، والمراد الرماح نفسها ، والشفار : جمع شفرة والشفرة ما عرض من الحديد وحده ، والمراد السيوف .

(٣) يفتخر الأخطل على جرير ، وجرير من بنى كلب ، بمن اشتهر من بنى تغلب ومنهم الأخطل ، كعمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند ، وأبي حنص عاصم بن النعمان قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل للراير يوم الكلاب الأول .

(٤) بده :

هو ساعدُ الدهر الذى يُتقى به وماضركف لا ينوء بساعد
وفلج : طريق تاخذ من طريق البصرة إلى اليمامة .

وَأَنْ لَا أَلَا فِي رُوحِكَ الطَّيِّبِ الَّذِي (٢١)
 وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدِ (٢٢)
 لَكُنْ لَدَى يَوْمِ الشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا (٢٣)
 تَقَرَّبَ لَا مُسْتَنْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ (٢٤)
 وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ (٢٥)
 يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ (٢٦)

يقول : ما أشد حزني أن لا أكتب عليك مقبلا رأسك وصدرك اللذين ملئا حزامه وعقلا . يتأسف لعينته لدى وفاتها وأنه لم يودعها قبل دفنها .

(١) يقول : ووا أسفى أنى لا ألقى روحك الطاهر الذى كان جسمه أى - جسم ذلك الروح - من المسك الذكى الشديد الرائحة .

(٢) الضخم : العظيم ؛ والجدة : تسمى أما ؛ يقول : لولم يكن أبوك أكرم والد لكنت ولادتك إباى بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه : أى إذا قيل لك أم أبى الطيب قام ذلك مقام نسب عظيم لولم يكن لك نسب .

(٣) لذ : طاب ؛ والشامت : الفرح بمصيبة عدوه . ويومها : أى يوم موتها . ومنى تجريد . يقول : إن كانوا قد شمتوا بموتها فقد خلفت منى من يرغم أنوفهم : أى ياصقها بالرغام - التراب - أى يذلهم ويقهرهم .

(٤) يقول : ولدت منى رجلا تقرب عن بلاده : أى خرج عن بلده إلى الغربية لأنه لا يستعظم غير نفسه ، فأراد أن يفادر الدين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق ، ولا يقبل حكم أحد عليه إلا حكم الله الذى خلقه

(٥) العجاجة : الغبار . يقول . ولا أسلك طريقا إلا قلب غبار الحرب ، ولا أستلذ طعام شىء إلا طعام المسكارم : يعنى لا أجد لذتى إلا فى الحرب والمسكارم .

(٦) ما أنت : قال بعض الشعراء : أى ما أنت صانع . على حذف الخبر ، أو ما تصنع على حذف الفعل وإبراز الضمير . وقال العكبرى . «ما» واقعة على صفات من يعقل فإذا قال ما أنت فالمراد أى شىء أنت فتقول كاتب أو شاعر أو فقيه . يقول : يقول الناس لى لما يرون من كثرة أسفارى : أى شىء أنت فإننا نراك فى كل بلدة وما الذى تطلبه ؟ فأقول لهم : إن ما أطلبه أجل من أن يذكر اسمه ، يعنى قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم .

كَانَ بَيْنَهُمْ عَالُونَ بِأَنِّي جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيَتِيمَا (١)
 وَمَا أَلْمَعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْقَارِ فِي يَدَيَّ بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجُدَّ وَالْقَهْمَا (٢)
 وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْفَشْمَا (٣)
 وَجَاهِلُهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ تَحِيَّتِي وَإِلَّا فَلَنْتُ السَّيِّدَ الْبَطْلَانَ الْقَرْمَا (٤)
 إِذَا فَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بَعْدَهُ فَأَبْعُدُ شَيْءَ مُمَكِّنٍ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا (٥)

(٢٧)
(٢٨)
(٢٩)
(٣٠)
(٣١)

(١) اليتما: مفعول لجلوب ، والضمير في « معادنه » لليتيم . يقول : إن أبناء هؤلاء الذين يسألون عن حالي وسفري كأنهم يعلمون أني أجلب إليهم اليتيم وأصيرهم يتامى بقتل آبائهم : أي فهم لذلك يخضونني .

(٢) الجدد : الحظ والبخت . يقول : إن الفهم والعلم والعقل لا تجتمع مع الحظ في الدنيا ، وليس الجمع بين الضدين كالماء والنار بأصعب من الجمع بين الحظ والفهم : أي فيها لا يجتمعان كما لا يجتمع الضدان ، وهذا كالتفسير لقول الحمدوني :

إِنَّ الْمَقْدَمَ فِي حِذْقِ بَصْنَعَتِهِ أَنِّي تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مَحْرُومٌ
 وقد وفينا القول على هذا المعنى في غير موضع من هذا الشرح .

(٣) بذبابه : أي بذباب السيف ، وإن لم يتقدم له ذكر ، لدلالة المقام . وذباب السيف حده ، والغشم : الظلم . يقول : لكنني إن لم أقدر على الجمع بين الجدد والفهم أطلب النصرة بذباب السيف وأركب الظلم في كل حال ؛ يعني أعظم أعدائي بسيفي .

(٤) القرم في الأصل : البعير الذي لا يحمل عليه وإنما يعد للفتلة ، وهو هنا السيد يقول ، وأحي أعدائي يوم الحرب بسيفي : أي أجعله لهم بدل التحية ، كما قال عمرو بن معديكرب :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجَمِيعٌ (١)

(٥) فل : يروي بالفاء وبالقاف ، فبالفاء ، يرتفع « خوف » لأنه فاعل ، وبالقاف ينتصب على المفعول له ؛ وفل السيف : ثلثه ، استعاره للعزم على تشبيهه بالسيف ،

(١) المراد بالخيال : الفرسان ؛ ودلفت : دنوت وزحفت ، من دلف الشيخ : إذا مشى مشيا لنا — وتحية مضاف ، وبينهم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأنه ظرف منصرف . ووجيع بمعنى موجه ، والعرب تقول : تحيتك الضرب وعتابك السيف فهذا من هذا .

وَأَمَّا لِمَنِ لَمِنْ قَوْمٍ كَانَ نَفُوسَنَا
بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا (١)
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي
وَيَا نَفْسُ زَيْدِي فِي كَرَاهِيهَا قُدَمَا (٢)
فَلَا عَبَّرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعْزِنِي وَلَا صَحْبَتُنِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَا (٣)

وقال يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج بالرملة ، وكان أبو محمد قد كثرت مراسلته إلى أبي الطيب من الرملة ، فسار إليه ، فلما دخل الرملة أكرمه أبو محمد فمدحه بهذه القصيدة :

والمدى: الغاية. وأبعد شيء: مبتدأ، خبره: يمكن. يقول: إذا أضعف عزمي عن غاية خوف بعد تلك الغاية فإن الممكن وجوده لا ينال أيضا إذا لم يمكن لدى طالبه عزم: يعني لا يدرك شيء البتة إلا بالعزم عليه ، وإذا كنت تحتاج إلى العزم لنيل القريب وتدركه بالعزم ، فاعزم أيضا على البعيد لتناوله ولا يمنعك منه خوف بعده فإنه يقرب بالعزم ويمكن .

(١) الأنف: الاستكفاف من الشيء . يقول: إني من قوم ديدنهم التعرض أبدا للحرب ليقتلوا ، فكأن نفوسنا ترى السكنى في أجساد هي لحم وعظم عارا تأنف منه ، ومن ثم تتطلع لسكنى غيرها لتتخلص من هذا العار: أي تختار القتل على الحياة . قال الواحدى ولو قال: كأن نفوسهم لكان أوجه لإعادة الضمير على لفظ النية ، لكنه قال نفوسنا لأنهم هم القوم الذين عناهم ، ولأن هذا أمدح .

(٢) الكراهة: جمع كراهية ، فيلغة بمعنى مفعولة . يقول - للدنيا - : أنا كما وصفت نفسي لا أقبل ضيا ولا أسف لدنية فاذهبي عني إن شئت فليست أبالي بك؛ ويانفس زيدي قدما - أي قدما - فيما تكرهه الدنيا من التعرز والتعظم عليها وترك الانقياد لها . قال الواحدى: وإن شئت قلت في كراهيها - أي في كراهة أهلها - يعني زيدي قدما في الحروب ، وهي - الحروب - مكروهة عند أهل الدنيا ، ولذلك تسمى الحرب الكراهية ، فيكون الكلام من باب حذف للضاف .

(٣) يقول: لا مرت بي ساعة - لحظة - لا أكون فيها عزيزا ، ولا صحبتي نفس تقل أن يظلمها أحد .

أَنَا لَأَمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوْائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْعَالِمِ (١)
وَلَسِكُنِّي بِمَا شُدِّهْتُ مُتَمِّمٌ كَسَالٍ وَقَلْبِي بِأَبْحٍ مِثْلُ كَاتِمِ (٢)
وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجْدٍ قُلُوبِنَا تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا فِي الْقَوَائِمِ (٣)
وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ تَرَابَهَا فَلَا زِلْتُ أُسْتَشْفِي بِلَتْمِ النَّاسِمِ (٤)

(١) أنا لأمي : أى أنا لأم نفسي إن كنت الخ . وأثبت ألف « أنا » : ضرورة لأنها لا تثبت لفظاً إلا فى الوقف . وقوله : رتت اللوائم : أى وقت لوم اللوائم . والمعالم أى معالم ديار الأجابة ، وهى حيث تظهر علامات الراحلين عن الديار من آثار النار والدواب والحيام . يذكر وقوفه على ديار الأجابة وما أصابه من الدهش والوجد لفرقتهم مما أذهب عقله حتى لم يشعر بما كان منه من الجزع والبكاء . يقول : إن كنت حين تلومنى اللوائم على فرط جزعى علمت ما بى وما الذى دهانى هناك ، فأنا لأمي : أى فأنا لأمى نفسى فى تصور محبى ، لأن ثبات علمى وعقلى معى فى ديارهم بعد ارتحالهم دليل على أن هواى قاصر . وقال بعض الشراح : يعنى : إن كنت حين لامتنى اللوائم على فرط جزعى وبكائى علمت بما عرأنى من ذلك فأنا لأمى نفسى على تهتكى واستسلامى للوجد والعبرة ، يذكر وقوفه فى ديار الأجابة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم حتى انتهك ستره ولم يعلم .

(٢) شده الرجل - كدهش - فهو مشدوه : إذا تحير ، ويروى : بما ذهلت و« ما » قبله : مصدرية ، وللتيم : الذى تيمجه الحب - أى عبده وذلكه - يقول : ولكننى من فرط دهشنى ذهلت عن إدراك ما خاضرنى من الوجد ، فصرت كالسالى ، وباح قلبى بما فيه من أسرار الغرام وهو لا يعلم بما فعل فكان كأنه باق على السكتمان ، وعبارة الواحدى : ولكننى من فرط دهشنى وذهورلى حتى كأننى ذهلت عن الهوى صرت كالسالى مع أنى متيم ، وباح قلبى بما فيه من الوجد وهو مع ذلك كالكاتم ، لأنه لم يقصد البوح ولا يدرى ما فعل .

(٣) الأذواد . جمع ذود ، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من من الإبل . يقول : أطلنا الوقوف هناك ، فكأن ما فى قلوبنا من الوجد حل فى قوائم إبلنا ، لأنها وقفت ولم تبرح .

(٤) الناسم : جمع المنسم ، وهو للخف كالسنبك للحافر . يقول : لما وطئت الإبل تراب تلك المعالم . جعلت أطلب شفاء ما بى بلتم - تقبيل - أخفانها ، لأنه علق بها ذلك التراب ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

ديَارُ اللّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيْزَةٌ بِطُوْلِ القَنَا مَحْفَظَنَ لَا بِالتَّامِّ
حِسَانُ التَّنْقِي يَنْقُشُ الرُّوشِي مِثْلَهُ إِذَا مِسْنَ فِي أَجْسَامِهِنَّ النِّوَاعِمِ (٢)
وَيَبْسِمُنَّ عَن دُرٍّ تَقْلَدَنَّ مِثْلَهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَحَّتْ بِهَا سِمِ (٣)
فَمَا لِي وَلِلدُّنْيَا طِلَابِي نَجُومَهَا وَمَسْعَايَ مِنْهَا فِي شُدُوقِ الأَرَاقِمِ (٤)

أَمْسَحُ الرَّبِيعَ بِخُدْيَ أَنْ مَشَى فِيهِ الخَلِيلُ

(١) القنا : الرماح . والتأمم : جمع تيممة ، العودة . يقول : ديارهن منبعا لا يتوصل إليها ، وهن يحفظن بالرماح لا بالعود .

(٢) الوشي : النقش في الثوب وهي الثياب المنقوشة . و«مسن» تبخترن . يقول : لنعومة أبدانهن ورقتهن إذا مشين متبخترات ينقش الوشي في جلودهن مثل صورته ، كما قال السري الرفاء :

رَقَّتْ عَنِ الوَشِيِّ تَنْمَةٌ فَإِذَا صَافَحَ مِنْهَا الجُسُومَ وَشَاهَا
وفي مثل هذا يقول الآخر :

رَقٌّ فَلَوْ مَرَّتْ بِهِ تَمَلَّةٌ مُنْمَلَةٌ أَرْجُلُهَا بِالْحَرِيرِ
لَأَثَرَتْ فِيهِ كَمَا أَثَرَتْ مُدَامَةٌ فِي عَارِضٍ مُسْتَدِيرِ

« العارض : الخد »

(٣) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظام التي فوق الصدر . والباسم : جمع البسم ، الثغر . يقول : إن نعورهن في الصفاء وحسن النظم مثل الدر الذي تقلدنه ، فكان تراقيهن حليت بشعورهن ، وفي مثل هذا يقول الآخر :

تِلْكَ التَّنَائِيَا مِنْ عِقْدِهَا نُظِمَتْ أَمْ نُظِمَ العِقْدُ مِنْ ثَنَائِيهَا

(٤) طلابي : أي مطلوبي ، مبتدأ ، خبره : نجومها . والأرقام : ذكور الحيات . يشكو الدنيا وأنها لا تسمعه ولا تحقق ما يطلبه . يقول : مالي وللدنيا أطلب معالي الأمور وأنا مرتبك في نواجبها وخطوبها ؟ يعني أن الدنيا عكست عليه الأمر ، هو يطلب المعالي وهي تدفعه عنها بما توقعه فيه من النواجب . وكفى بنجوم الدنيا عما فيها من الشرف والمجد والذكر . وبشقوق الأرقام عن الخطوب المهلكة والنواجب المفضلة .

مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ
 إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ (١)
 وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطَرُهُ دَمٌ
 فَتُسْقَى إِذَا لَمْ يُسْقَ مَنْ لَمْ يُرَاحِمِ (٢)
 وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
 وَبِالنَّاسِ رَوَى رُوحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ (٣)
 فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ
 وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمْ بِأَيِّمِ (٤)

(١) الحلم : الأناة والعقل . الجهل . هنا - تقيض الحلم . والمظالم : جمع المظلمة - بكسر اللام - وهي الظلم . يقول : إذا كان حملك داعياً إلى ظلمك ، فإن من الحلم أن تجهل لأن الحلم إنما يلجأ إليه لتدارك الشر ، فإذا تفاقم به الشر ولم يتدارك الشر إلا بالجهل كان الجهل حلماً ، كما قال النابغة الجعدي :

فَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
 بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْذَرَا
 وهذا معنى قد تداوله الناس من قديم ؛ قال العكبري : وهو من كلام الحكميم :
 ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك ، ولدك ، وزوجتك ، وعبدك : فسبب صلاحهم التمدي عليهم .
 (٢) شطره : نصفه . يقول ومن الحلم أن ترد الماء الذي كثر القتل عليه حتى
 امتزج بدماء القتولين عليه . يعني أن تراحم على الأمر المتنافس عليه . وبعبارة أخرى .
 من المحلم أن تراحم من يزحمك حتى ترد الماء وقد كثر عليه القتل والقتال حتى صار
 نصفه من دم القتلى ، فتشرب منه حيث لا يمكن أن يشرب إلا المهجوم الذي تراحم
 الناس . وهذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ دَمٍ
 وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ قَلِي وَجَلِ
 (٣) و (٤) يقول : من عرف الناس حق المعرفة - كعمر فق أنا بهم - قتلهم غير
 راحم لهم ، لأنهم إذا ظفروا بمن عرفهم لم يرحموا ، فإذا قتلهم - والحالة هذه - فلا
 إثم عليه ، على أنه إن لم يبادر بقتلهم فإنهم ميتون ألبتة حتف أنوفهم . وهذا هو
 مغزى قوله : « الردي الجارى عليهم » .

إِذَا صُنْتُ لَمْ أُنْرِكْ مَصَالاً لِصَائِلٍ وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أُنْرِكْ مَقَالاً لِعَالِمٍ (١)
 وَإِلَّا فَخَانَتْنِي الْقَوَافِي وَعَاقِفِي عَنْ ابْنِ عَبِيدِ اللَّهِ ضَعْفُ الْعَزَائِمِ (٢)
 عَنِ الْمُقْتَنِيِّ بَدَلَ التَّلَادِ تِلَادَهُ وَمُجْتَنِبِ الْبُخْلِ أَجْنَابِ الْحَارِمِ (٣)
 تَمَنَّى أَحَادِيهِ مَحَلَّ عَفَاتِهِ وَتَحَسَّدُ كَفَيْهِ نِقَالُ الْفَنَائِمِ (٤)
 وَلَا يَتَلَقَّى الْحَرْبَ إِلَّا بِمُهْجَةٍ مُنْظَمَةٍ مَذْخُورَةٍ لِلْعِظَائِمِ (٥)

(١) صال عليه : وثب واستطال ، يريد أنه بلغ الغاية في الشجاعة والعلم ، فإذا صال أو قال أو في طى الغاية وكفى غيره ، وكان المقدم الذى لا يجارى ولا يشق له قبار .
 (٢) يقول : وإن كنت كاذبا فيما قلت فلا وقت لى القوافى - أى الشعر - حتى أعجز عن نظمها ، وضعت عزيمتى فى قصد المدوح حتى يعوقنى عنه ضعف عزيمتى : أى فلا أصل بقعودى عنه إلى المطلوب ، ويكون حرمانى من إنضاله كالسقوية لى طى ذلك .

(٣) التلاد والتلید : المال القديم الموروث ، نقيض الطارف والطريرف . يقول : عن الذى يحرص على بذل ماله التالدا كما يحرص غيره على حفظ تلاده . وعبارة الواحدى : أى عن الذى يدخر البذل مالا فيقوم بذل ماله مقام مايقنتيه ؛ يعنى أنه يلزم البذل ملازمة المال المقتنى . وعبارة الخطيب التبريزى : أى إلى الجاعل بذل التلاد تلادا له يهب التلاد ويجعل بذله تلادا له ، هذا : وخص « التلاد » لأنه إذا كان هذا فعله بالمال القديم ، فكيف بالحادث ؟

(٤) تمنى - بحذف إحدى التاءين - أى تمنى ؛ والعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . والغنائم : السحائب ، وأراد بكينها ثقالا : أن مائها كثير . يقول : إن أعداءه يتمنون أن يكونوا فى مكان عفاة منه ، لأن عفاة منه فى أمان من نوايب الدهر ، وهذا أقصى ما يتمناه أعداؤه . ويجوز أن يكون المعنى : أن عفاة يغيرون على أمواله ويترقبون فى نعماته ، وهذا ما يتمناه أعداؤه ، ثم قال : إن السحاب الثقيل بالماء يحسد كفيه ، لأنها أندى منه ، فلهاذا يحسدهما لعجزه عن إدراكها .

(٥) المهجة : النفس . يقول : ولا يستقبل الحرب إلا بنفس مرفوعة عن الدنيا لا تسف لأمر دنىء ، وهى مدخرة لكفاية الأمور العظيمة التى لا تسفى إلا بمثله .

وَذِي لَبِّ لَأَذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ بِنَاجٍ وَلَا الْوَحْشُ الْمُشَارُّ بِسَالِمٍ (١)
 تَمْرُهُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ (٢)
 إِذَا ضَوْؤُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ (٣)

(١) وذى لب : عطف على مهجة ، أى ولا يتلقى الحرب إلا بجيش ذى لب الخ .
 واللبب : اختلاط الأصوات . والثار : الذى أثاره الخوف من مكمته . قال ابن فورجه :
 المعنى عندى أن هذا الجيش جيش ملك تصحبه الفهود والبراة والكلاب ، فلا الطائر
 يسلم منه ولا الوحش ، قال : ونكت بقوله « الثار » ، فإن الجيش الكثير يشير
 ما كمن من الوحوش ، لأجل ذلك قال مالك بن الرب :

بجيشٍ لهم يشمل الأرض جمعه على الطير حتى ما يجدن منازلًا
 وقال التبريزى . إذا طار ذو الجناح أمامه فليس بناج لكثرة الرماة فى الجيش ، وأن
 نار وحش أخذ ، وقال ابن جنى : الجيش يصيد الوحوش والعقبان فوقه تسايه :

* ثقة بالشعب من جزره *

فتخطف الطير أمامه ؛ قال ابن فورجه - ناقدًا - : صيد الطير بالنبل والسهم مستمر
 معتاد ، فلم نسبة إلى العقبان ولا مدح فى ذلك من فعلها ، فإنها تصيد الطير وإن لم تصحب
 جيش المدوح .

(٢) القشاعم : النسور . يقول : تمر الشمس على هذا الجيش وهى ضعيفة من شدة
 غباره أو من كثرة عقبانه التى تخيم عليه وتتبعه ، ولا ينفذ ضوؤها إليه إلا من خلال
 ريش النسور ، وهو ما ذكره فى البيت التالى .

(٣) الفرجة - بضم الفاء - الحلل بين الشيتين : أى الانفراج ، أما بفتح الفاء فهى
 التنقى من الهم ونحوه ، قال أمية بن أبى الصلت :

لا تضيغن فى الأمور فقد تك شف عماؤها بفير احتيال
 ربما تكره النفوس من الأ مرله فرجة كحل العقال
 والبيض : جمع بيضة ؛ وهى الخوذة ، شبه ما يتساقط من الضوء فى فرج أجنحة
 الطير بالدراهم ، وشبهه فى موضع آخر بالدنانير ، وهو قوله :

وَألقى الشرق منها فى ثيابي دنانيراً تفر من البنان
 يريد هنا أنه لكثرة اشباك أجنحة الطير فوقه لا يصل إليه ضوء الشمس إلا من
 منافذ ضيقة فيقع مستديرًا .

- وَيَخْنِي عَلَيْكَ الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ فَوْقَهُ^(١) مِّنَ اللَّعْنِ فِي حَافَاتِهِ وَالتَّهَامِ^(٢)
 أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفَرَاتِ وَبَرْقَةَ^(٣) ضِرَابًا يُمَشِّي الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَاغِمِ^(٤)
 وَطَعْنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكْفَهُمْ^(٥) عَرَفْنَ الرَّدِينِيَّاتِ قَبْلَ الْعَاصِمِ^(٦)
 حَمْتَهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
- سُيُوفُ بَنِي طُفَيْجِ بْنِ جُبِّ الْقَمَاقِمِ^(٧)
 هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكُرَى فِي حَوْمَةِ الْوُغَى وَأَحْسَنُ مِنْهُ كَرُهُمْ فِي الْمَكَارِمِ^(٨)

(١) حافاته : جوانبه . والهوام : جمع مهممة . وهو صوت يتردد في الصدر لا يفهم يقول : لكثرة ما في ذلك الجيش من بريق الأسلحة ولعانها يخنق عليك البرق إذا برقت السماء فلا تعرفه لثقله ضوءها عليه ، ولكثرة ما فيه من الأصوات وشدها يخنق عليك الرعد .

(٢) الفرات : النهر للعروف ؛ وبرقة : قرية في العراق . يقول : أرى دون وصول الأعداء إلى هذا الموضع محاربة بالسيوف يكثر فيها قطع الرؤوس حتى تطأها الخيل فتمشي فوق جماجم القتلى .

(٣) طعن : عطف على « ضرابا » . والقطاريف : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم . والردينيات : جمع رديني ، وهو الرمح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة من العرب كانت تقوم الرماح ، والمعاصم : جمع معصم . وهو موضع السوار من الساعد . يصف قوم المدوح يقول : لحذقهم بالطعان كأنهم عرفوا الرماح قبل أن تشد على سواعدهم : أي في طفولتهم .

(٤) الضمير في « حمته » : عائد على « ما بين الفرات وبرقة » . وطنجج بن جبب : جد المدوح — قال ابن جني : والأجود أن تكسرهما وتحذف التنوين لا لتقاء الساكنين . وطنجج — في الأصل — بضم النجيين ، وإنما غيره لأن العرب إذا نطقت بالأعجمي اجترأت على تغييره كيف شاءت . والقمام : جمع قمام ، وهو السيد العظيم ؛ وأصله البحر ، وكان حق الجمع « قمام » . ولكنه حذف الياء ضرورة . يقول : جعلت سيوفهم هذا المكان حمى على الأعداء فلا يحومون حوله ولا يستطيع أحد أن يصل إليه من أية ناحية من نواحيه لمكانهم — بنى طنجج — من القوة والشجاعة .

(٥) الكر : الرجوع على العدو بعد الفر ، للجولان في الحرب ، وحومة كل شيء معظمه والوغى : الحرب . يقول : إنهم يكرون في الحرب على أعدائهم ، وكذلك يعدون

- وَمُحْتَمِلُونَ الْغُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمٍ (١)
وَحَيِّونَ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي نَزَاهِمٍ (٢)
وَلَوْلَا أَحْتِقَارُ الْأَسَدِ شَبَهَتْهَا بِهِمْ (٣)
سَرَى النَّوْمُ عَنِّي فِي سُرَايَ إِلَى الَّذِي صَنَائِمُهُ تَسْرِي إِلَى كُلِّ نَائِمٍ (٤)
إِلَى مُطْلِقِ الْأَسْرَى وَتُحْتَمِرِ الْعِيدَا
وَمُشْكِي ذَوِي الشُّكْوَى وَرَغْمِ الْمُرَاغِمِ (٥)

في للكرام فيضاعفونها ، فهم يفعلون ذلك مرة بعد مرة ولا يقتصرون في الأمرين على مرة واحدة .

(١) الغرم : ما يلزم الرجل أداؤه من دية أو ضمان أو غير ذلك ؛ والرجل غارم : أي لزمه ما يفرم عنه .

(٢) الشفار : جمع شفرة ، وهي حد السيف ، والصورام السيوف القواطع : يقول هم حييون إلا في وقت الحرب ، فإنهم فيها صفاق الوجوه لا يلينون لأقرانهم . وهذا من قول بكر بن النطاح :

يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِ حَيٍّ وَصَدُورِ الْقَنَا بِوَجْهِ وَقَاجٍ

(٣) قال العكبري يقول: الأسد - وهي جمع أسد - معدودة من البهائم ، ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم ، فأقول الأسد مثلهم ، وإنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كانت بينهما مناسبة ، ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الأسود إلا بالإقدام . قال : وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه شبهتهم بها . وهو على الظاهر بين ، وإنما أغرب أبو الطيب .

(٤) السرى : السير ليلاً . والصنائع : جمع صنعة ، وهي المعروف . يقول: ذهب النوم عنِّي في مسيرى إليه - المدوح - وهو الذي تسير عطاياه إلى كل نائم عن قصده . فضلاً عن يقصده . هذا : ويقال : سریت سرى ومسرى وأسريت - بمعنى - إذا سرت ليلاً ، بالألف لغة أهل الحجاز ، وجاء القرآن العزيز بهما جمعاً ، قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً » وقال سبحانه « والليل إذا يسر » ؛ وقال حسان بن ثابت .

حَيِّ النَّضِيرَةِ رَبَّةَ الْخِذْرِ أُسْرَتِ إِيَّاكَ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي

(٥) اخترمهم الدهر : أهلكهم واستأصلهم . ومشكى - من أشكيت الرجل : إذا

كَأَنَّهُمْ مَاجِفٌ مِّن زَادٍ قَادِمٍ (١)
 وَكَأَد سُرُورِي لَا يَنِي بِنَدَامَتِي
 عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِي الْمُتَقَادِمِ (٢)
 وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَتُرْبَةً (٣)
 بِهَا عَلَوِي جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمِ
 بَلَى أَفَّهُ حُسَادَ الْأَمِيرِ بِحِلْمِهِ (٤)
 وَأَجَلَسَهُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَامِمِ
 فَإِنَّ لَهُمْ فِي سُرْعَةِ الْمَوْتِ رَاحَةً (٥)
 وَإِنَّ لَهُمْ فِي الْعَيْشِ حَزَّ الْفَلَاحِمِ

أزلت شكواه - والمهزة فيه للسلب ، مثلها في قولهم : أعتبت الرجل : أى أزلت عتبه - أى أرضيته - والرغم : القهر والإذلال ؛ والمرام : الغاضب ؛ والمرامة : الغاضبة تقول : راغم أهله : أى نبذهم وتمرد عليهم وعاداهم . يقول : إنه بمن طى الأسرى فيطلقهم من الإسار ، ويختطف الأعداء في الحرب بسيوفه وأسنته ، ويزيل شكوى ذوى الشكوى بالإحسان إليهم ويرغم - يذل - المرغام : أى الذى راغمه وبناضيه .

(١) يقول : تقضت الناس لما بلغت نفص القادم حثالة زاده لاستنفاة عنها بعد التقدم وكذلك أنا : استغنيت به عن غيره .

(٢) يقول : لما اتصلت به عظم سرورى بهذا الاتصال فعظمت من أجله ندامتى على حرمانى من الاتصال به فيما مضى من عمرى حتى كاد هذا السرور لا ينى بذلك الندم . قالوا : وهذا الملقى مثل قول أبى فراس :

أَيامُ عَزْمِي وَنَفَازِ أَمْرِي هِيَ الَّتِي أَحْسَبُهَا مِنْ عُمْرِي
 (٣) شر الأرض : قال ابن جنى : هى طبرية ، وفيها أعداء أبى الطيب الذين قال فيهم
 أَنَانِي وَعَيْدِ الْأَدْعِيَاءِ « البيت »

وتربة : عطف على « شر الأرض » وجملة « بها علوى » : نعت لتربة . يقول : لما اتصلت به فارقت أرضاً أهلها شر الأهل ، وتربة رجل يدهى نسبه إلى على وليس من ولده ، فليس بشريف .

(٤) يقول : ابتلى الله حساده بحمله حتى لا يقتلهم ، ورفعه فوقهم حتى يكون منهم مكان عمائمهم ؛ وذلك أن بقاءهم أصعب عليهم من الموت ، لأنهم يعيشون في ذلة ولخوف كما بين ذلك في البيت التالى .

(٥) الفلاصم : جمع غلصمة ، وهى الموضع النأى فى الحلق ، وقيل اللحم الذى بين الرأس والعنق . يقول : سرعة الموت راحة لهم من حسدهم ، لأن فى عيشهم وبقائهم سوتاً يتجدد على مر اللحظات .

كَأَنَّكَ مَا جَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ عَلَيْكَ وَلَا قَاتَلْتَ مَنْ لَمْ تَقَاوِمِ^(١)

* * *

وأقسم عليه أبو محمد أن يشرب فأخذ الكأس وقال ارتجالاً :

حِيَّتَ مِنْ قَسَمٍ وَأَفْدَى الْمُقْسِمَ أَمْسَى الْأَنَامُ لَهُ مُجَلًّا مُنْظَمًا^(٢)
وَإِذَا طَلَبْتُ رِضَا الْأَمِيرِ بِشُرْبِهَا وَأَخَذْتُهَا فَلَقَدْ تَرَكَتُ الْأَحْرَمًا^(٣)

* * *

وحدث أبو محمد عن مسيرم في الليل لكبس بادية وأن المطر
أصابهم فقال :

غَيْرُ مُسْتَفْهِمٍ لَكَ الْإِقْدَامُ فَلَمَنْ ذَا الْحَدِيثِ وَالْإِعْلَامُ
قَدْ عَلِمْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّكَ مَنْ لَمْ يَمْنَحِ اللَّيْلُ مَهْمَهُ وَالْقَمَامُ^(٤)

* * *

(١) جاودنى : غالبني في الجود فجذته . أى كنت أجود منه . قال الواحدى : هذا
تعريض بالدين يبارون المدوح في الجود والشجاعة من حساده . يقول : أيها الإنسان
الذى تباريه في الجود ويظهر عليك جوده ، كأنك ما جاودته ، لأن الفضل والغلبة له
عليك ، وكأنك لم تقاوم في الحرب ، لأن من غلبك في الحرب لم تنفعك
محاربتك إياه . والمعنى أن مفاخرتهم - أى حساده - إياه - المدوح - لا تنفعهم إذ كانت
للغلبة له .

(٢) الخطاب في « حيت » : للقسم ؛ ومن قسم : في محل نصب على التمييز « من »
زائدة . وقوله أمسى الأنام له : في موضع الحال من اللقسم ؛ ولك أن تجعلها في موضع
حذف على الصفة للقسم ، فيكون الضمير في « له » عائدا على القسم ، لا للقسم .
(٣) يقول : إن شربها حرام ؛ وعصيان الأمير حرام ، لكن عصيانه أحرم من
شربها فإذا شربها وترك عصيانه فقد ترك الأحرَمَ .

(٤) همه : ما بهم به .

وقال وقد كبست أنطاكية فقتل مهره الطخور والحجر أمه :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَفْنَحْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ (١)
فَطَّعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ صَغِيرٍ كَطَّعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ (٢)
سَتَبَكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمَهْرِي صَفَائِحُ دَمُّهَا مَاءُ الْجُسُومِ (٣)
قَرَبْنِ النَّارِ ثُمَّ نَشَانَ فِيهَا كَمَا نَشَأَ الْعَذَارَى فِي النَّعِيمِ (٤)

(١) الغامرة : الدخول في المهالك ؛ والنمرات : الشدايد . وفي شرف : أى في طلب شرف . ومروم : مطلوب . يقول : إذا حاولت الشرف وخاطرت بنفسك في سبيل الحصول عليه فلا تفنح بما دون أعلاه ؛ ولا ترض باليسير منه .

(٢) يقول : إن طعم الموت في الأمر الهين كطعمه في الأمر الشديد الصعب، وإذن فلا سبيل للخاص إلا أن يقصد أسمى الامور .

(٣) صفائح : فاعل « تبكى » ؛ وفرسي مفعول ، والشجو : الحزن ، وهو مصدر وضع موضع الحال ، على تقدير مشجوة شجوها ؛ ثم حذف العامل وأقيم المصدر مقامه ، على حد قوله تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » والضمير : للصفائح أيضاً ؛ والصفائح جمع ؛ صفيحة ، السيف العريض . وماء الجسوم كناية عن الدم يقول : سبكي حزننا على فرسي ومهري سيوف دمها الدماء ؛ يشير إلى أنه سيقتل من قتلها من قتلها فتكون دماء قتلاه التي تنظر من سيوفه دموا تبكى بها سيوفه . وكل هذا مجاز واستعارة - كما ترى - والمعنى : أنه سيقتل من قتل فرسه ومهره .

(٤) قرين - من قولهم قربت الإبل الماء : إذا وردته صبيحة ليلاً - قال الواحدي : يريد أن السيوف وردت النار . وهذا قلب للمعهود ، لأن القرب إنما يستعمل في ورود الماء ، فجعل النار لهذه السيوف كالماء الذي ترده الشاربة ، والنار تهلك وتبقى ، وقد أتمت هذه السيوف وربتها تربية النعيم للعذارى ، يريد أنها تخلصت من الحبث وحسنت صنعها بحسن تأثير النار في تخليصها ، وإنما طبعت وصارت سيوفاً - بعد أن كانت زبراً - قطعاً - بالنار ، فذلك نشاؤها نشاء العذارى في النعيم ، وقرين : هي رواية ابن جنى وتروى قرين - من القرى - : ما يقرب به الضيف - أى جعلت النار قرين لها فنشأن بحسن القرى ؛ وتروى : قرين النار - بالبناء للعلوم - جعل السيوف بما تؤديه إلى النار من الحبث قارية لها . وكان حكم النماء أن يكون للقرى - للقرى - فكس موجب القرى بأن جعل النشاء - النشاء - للقرى .

- وَفَارَقَنَ الصَّيَاقِلَ مُخْلِصَاتٍ وَأَيْدِيهَا كَثِيرَاتُ الْكُلُومِ (١)
يَرَى الْجَبْنَاهُ أَنَّ الْمَجْزَ عَقْلٌ وَتِلْكَ خَدِيدَةُ الطَّبِيعِ اللَّثِيمِ (٢)
وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ (٣)
وَكَمَّ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَفْتَهُ مِنَ الْفَنَمِ السَّقِيمِ (٤)
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَانَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَامِحِ وَالْمُلُومِ (٥)

* * *

- (١) الصياقل : جمع صيقل ، وهو القين الذي يصنع السيوف . ومخلصات : أى خالصات من الخث . والكلوم : الجراح : جمع كلم . يقول : إن الصياقل لم تستطع أن تحفظ أيديها من هذه السيوف لشدة مضائها ، فأيدى الصياقل جراح منها .
(٢) الجبان : نقيض الشجاع . يقول : إن لؤم طبع الجبان يره العجز عن اقتحام العظام في صورة العقل حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الجبن عقل ، وليس الأمر كذلك ، وإنما ذلك لسوء طبعه الرديء وصغر همته .
(٢) تغنى : من الغناء : يقول : إن الشجاعة كيفما كانت وفيمن كانت تغنى صاحبها وتكفيه مؤنة الحسب والعار ، ولكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره لأنها تكون حينئذ مقرونة بالحزم ، فتكون أبعد عن الفشل ، يريد أن العقل لا يغنى عن الشجاعة وهي تغنى كيفما كانت فتستغنى عن العقل ، ولكن إذا اجتمعا تعززت الشجاعة بالعقل هذا : ومثل - من قوله ولا مثل - اسم لا ، وإن كان مضافاً إلى معرفة ، لأنه من الأسماء التي لا تتعرف بإضافتها إلى المعارف ، والخبر محذوف : أى ولا مثل الشجاعة في الحكيم موجودة .

(٤) الآفة : العاهة ؛ والضمير في آفته : للقول ، وهذا المعنى من قول أبي تمام - وقد قال له أبو سعيد الضرير : يا أبا تمام لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال له : يا أبا سعيد لم لا يفهم ما يقال ؟

(٥) القرية - في الأصل - : أول ما يخرج من البرحمن تحفر ؛ وقرية الإنسان : طبيعته التي جبل عليها ، لأنها أول خلقته ، ويقال لفلان قرية جيدة ، يراد استنباط العلم بجودة الطبع . يقول : إن كل أذن تأخذ مما تسمع على قدر قرية صاحبها وعلمه : يعنى أن الغبي الجاهل إذا سمع شيئاً لم يفهمه ولم يعلمه وكل أحد يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه ، فإذا عاب إنسان قولاً صحيحاً فذلك لأنه لم يفهمه ، وإنما آى من سقم

وسار أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية في سنة ست وثلاثين ، فنزل بطرابلس وبها إسحاق بن إبراهيم الأعمور بن كيفلغ ؛ وكان جاهلا ، وكان يجالسه ثلاثة نفر من بفي حيدرة ، وكان بينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة ، فقالوا له : أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك ؟ وجعلوا يفرونه ، فراسله أن يمدحه ، فاحتج عليه بيمين لحفته لا يمدح أحداً إلى مدة ، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة ، وأخذ عليه الطريق وضبطها ؛ ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يفرونه في مدة أربعين يوماً ؛ فهجاه أبو الطيب ، وأملاها على من يثق به ، فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه وسار إلى دمشق ، فأتبعه ابن كيفلغ خيلاً ورجلاً ، فأهجمهم ، وظهرت القصيدة وهي :

لَهْوَى الثَّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ^(١)
 يَا أُخْتُ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى لِأَخْوِكَ نَمَّ أَرَقُّ مِنْكَ وَأَرْحَمُ^(٢)
 يَرْنُو إِلَيْكَ مَعَ الْأَمْفَافِ وَعِنْدَهُ أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ^(٣)

قريحته . هذا معنى رائع بديع ، وهو كثير ، قال جل شأنه : « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » ، وقال أبو العلاء المعري :

والنجمُ تستصفرُ الأبصارُ صورتَهُ والذئبُ للأطرفِ لا للنجمِ في الصفرِ

(١) لهوى النفوس : يروى لهوى القلوب . والسريرة السر : وعرضا أى جفأة واعتراضا عن غير قصد ، وهو منصوب على أنه مفعول مطلق : أى نظرت نظراً عرضاً ، فيكون صفة مصدر محذوف : وخلت : حسبت . يقول : إن سر الهوى لا يعرف ولا يدري من أين يأتي ويتسرب إلى قلب العاشق ، كما قال :

إن المحبةَ أمرُها عَجَبٌ تُلقَى عليك وما لها سببٌ

ثم قال : إنى نظرت إليها عن غير قصد - يعنى إلى المحبوبة - فمشقتها وكنت أظن أنى أسلم من هواها .

(٢) و (٣) معتنق الفوارس : وصف للشجاع ؛ لأنه يعتنقهم عند الضرب بالسيف . والوعى : الحرب وثم : هناك . ورنأ إليه رنو : أدام النظر . وقد اضطررت كلمة

الشراح في هذين البيتين ، قال ابن جنى : يرميه بأخته وبالابنة وثم إشارة إلى المكان الذى يحلوفه للحال المكروهة ، ويجوز أن تكون إشارة إلى موضع الحرب ، يصفه بالجبن ؛ وقال العروضى : شبب بامرأة أخوها مبارز فتاك ؛ فقال لها : أخوك على قساوة قلبه وإراقتة الدماء أرحم منك ؛ وكيف يرميه بالابنة وبأخته وهو يقول ينو إليك مع العفاف ؟ وهذه العفة من جهة الإسلام ، وإلا فهو يرى أن تزوج الأخوات عند الجبوس من حكمهم فمن حسنها يرى أن الجبوس أصابوا فى حكمهم . قال : وقد روى أن بشاراً كان فى جماعة من نساء بداعين ، فقلن له : ليتنا بناتك ، فقال : وأنا على دين كسرى . . . وقال ابن فورجه : عجب بامرأة ومدح أخاها وزعم أنها من بيت الفوارس الأنجاد ، كما قال فى أخرى :

متى تَزُرُ قَوْمَ من تَهْوَى زيارتها
لا يَتَحَفُوكَ بغيرِ البيضِ والأسلِ
وكقوله أيضا :
ديارُ اللواتى دارهنَّ عزيزةٌ
بطولِ القنا يحفظنَ لا بالتأممِ
وكقوله

* تحُولُ رماحُ الخطِّ دونَ سبائِهِ *

ثم قال لحييته : أنت قاسية القلب ، وأخوك - على بسالته - إذا لقي العدو كان أرحم منك لى وأرق منك على ، ثم أراد اللبالغة فى ذكر حسنها فقال : أخوك يود لو كان دينه دين الجبوس فيتزوج بك ؛ ومن الدليل على النهاية فى الحسن أن يود أخوها أنها تحل له ، ولهذا قال أبو بكر الخوارزمى .

* تَحْشَى عَلَيْهَا أُمَّها أَبَها *

وقال أبو تمام فى مثل هذا :

بأبى من إذا رآها أبوها قالُ حُبًّا : يا لَيْتَ أنا جُبوسُ
ومثله لعبد الصمد بن العذل فى جارية كان سميها بنته .
أحِبُّ بُنْيَتِي حُبًّا أراهُ يَزِيدُ على مَحَبَّاتِ البَناتِ
أراني مِنْكَ أهْوَى قرصَ خَدِّ وَرَشْفًا لِلنَّكَايا وَاللَّئِناتِ
وإلصاقًا ببطنِ مِنْكَ بطنى وَضَمًّا لِلقُرُونِ الوارِداَتِ

وَشَيْئًا لَسْتُ أَذْكَرُهُ مَلِيحًا بِهِ يَحْطَى الْفَتَى عِنْدَ الْفِتَاةِ
أَرَى حُكْمَ الْجُوسِ إِذَا التَّقِينَا يَكُونُ أَحَلَّ مِنْ مَاءِ الْفِرَاتِ

هذا وقد قال أبو علي الفارسي : الجوس واليهود إنما عرفا على حد يهودي ويهود ومجوسي ومجوس ، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللام عليهما ، لأنهما معرفتان مؤنثتان مجريا في كلامهم مجرى القبيلتين ولم يجعلا كالحيين في باب الصرف ، وأنشد :

أصاح ترى بريقا هبَّ وهنا كنفار مجوس تستعمر استعمارا^(١)

(١) قال ابن بري : صدر البيت لامرئ القيس ، وعجزه للتوأم اليشكري . روى أن امرأ القيس - وكان معنا عريضا - يتعرض الناس بالشر - ينازع كل من قال إنه شاعر - فأنى فتادة بن التوأم اليشكري وأخويه الحارث وأبشر يبح ؛ فقال لابن التوأم : إن كنت شاعرا فإلظ أنصاف ما أقول وأجزها فقال : نعم فقال امرؤ القيس :

* أصاح ترى بريقا هب وهنا *

فقال ابن التوأم

* كنفار مجوس تستعمر استعمارا *

فقال امرؤ القيس

* أرتك له ونام أبو شريح *

فقال ابن التوأم

* إذا قلت قد هدا استطارا *

فقال امرؤ القيس

* كان هزبه براء غيب *

فقال ابن التوأم

* عشار ولة لاقت عشارا *

رَاعَتِكَ رَائِعَةَ الْبَيَاضِ بِعَارِضِي وَلَوْ أَنَّهَا الْأُولَى لَرَاعَ الْأُسْحَمُ^(١)

(١) رائعة البياض : الشعر البياض التي تروع الناظر ، ورواها ابن جنى : راعية البياض ، قال : والراعية من الشعر : أول شعرة تطلع من الشيب ، وجمعها رواع ، وأنشد :

أَهْلًا بِرَاعِيَةِ لِشَيْبٍ وَاحِدَةٍ تَدْعَى الشَّبَابَ وَتَنْهَانَا عَنِ الْفَزَلِ
وَالْأُسْحَمِ : الأسود ، والعارض : صفحة الحد ، يقول : راعك - أفزعك - شيب
ولو كان أول لون الشعر بياضاً ثم يسود لراعك الأسود إذا ظهر ، فلا تراعى - إذن -
بالبياض لأنه كالسواد .

فقال امرؤ القيس

* فَمَا أَنْ عَلَا كَنْفِي أَضَاخ *

فقال ابن التوأم

* وَهَتْ أَعْجَازُ رَيْقِهِ لِحَارَا *

فقال امرؤ القيس

* فَلَمْ يَتْرِكْ بَدَاثَ السَّرِّ ظَلِيَا *

فقال ابن التوأم

* وَلَمْ يَتْرِكْ بِجَاهَتِهَا حِمَارَا *

« هب وهنا : فالوهن بعد هده من الليل ، وتصغير بريقاً تصغير التعظيم ، كقولهم دويبية ؛ وخص نار الجوس لأنهم يعبدونها . وقوله : أُرقت له : أى سهرت من أجله مرتقباً له لأعلم أين مصاب مائه ، واستطار : انتشر ، وهززه : صوت رعده ، وقوله بوراء غيب : أى بحيث أسمع ولا أراه . وقوله عشار وله : أى فاقدة أولادها فبى تكثر الحنين ، ولا سيما إذا رأت عشاراً مثلها ، فإنه يزداد حنينها . شبه صوت الرعد بأصوات هذه العشار من النوق . وأضاخ : اسم موضع ، وكنفاه : جانباه . وقوله : وهت أعجاز ريقه : أى استرخت أعجاز هذا السحاب ، وهى مآخيره كما تسيل القربة الحلق إذا استرخت ، وريق اللطال أوله ، وذات السر . موضع كثير الطيأ والحمر ، فلم يبق هذا المطر ظلياً به ولا حماراً إلا وهو هارب أو غريق . والجملة ما استقبلت من الوادى إذا وافته . »

لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي سَفَرْتُ عَنِ الصَّبَا فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ تَلَّمُ (١)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى يَقَقًا يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَبْعَمُ (٢)
وَاللَّهُمَّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحْمَافَةً وَيُسِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيَهْرَمُ (٣)
ذُو الْعَقْلِ يَشْتَقِي فِي النِّعَمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ (٤)

(١) سفرت -- من سفور المرأة - أى كشفها عن وجهها . يقول : لو أمكنني أن أظهر صباى لكشفت عنه فإني حدث السن ، ولكن الشيب جارطى عاجلا فستر شباني فكأنه تلمم بستر ما تحته من السواد . يعنى أن على شبابه لثاما من الشيب الذى عجل إليه قبل وقته .

(٢) اليقق : الأبيض ؛ وبعمم يحفظ . يقول : ليس بياض الشعر موجبا للموت فقد يعيش الشيخ ، وليس سراده وأقيا من الموت فقد يموت الشاب كما هو مشاهد .

(٣) يترم : يمتطع ويستأصل ؛ والجسيم : العظيم الجسم . والنحافة : الهزال ؛ ونصبه على التمييز . والناصية : شعر مقدم الرأس . يقول : إن الحزن إذا استولى طى المرء أذهب جسم العظيم أسد وهزله حتى يأتي عليه من الهزال ، ويشيب النصبى قبل الأوان حتى يصير كالمهرم من الضعف والعجز . يشير إلى علة مثليه ، وأن المهم هو الذى أهابه ، كما قال أبو نواس :

وَمَا إِنْ شِبْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَسِكِنْ لَقِيتُ مِنَ الْحَوَادِثِ مَا أَشَابَا
(٤) يقول : إن العاقل يشقى وإن كان فى نعمة لتفكيره فى عاقبة الأمور وعلمه بتحول الأحوال ، والجاهل ينعم وهو فى الشقاوة لغفلته وقلة تفكيره فى العواقب ؛ قال البحرى :

أَرَى الْحَلْمَ بُوْسًا فِي الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ
وقال أبو نصر بن نباتة :

مَنْ لِي بِعَيْشِ الْأَغْيِيَاءِ فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ
وقال ابن المعتز :

وَحَالَاوَةُ الدُّنْيَا لِجَاهِلِيهَا وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلَا
وقال ابن ميكال :

الْعَقْلُ عَنْ دَرَكِ الْمَطَالِبِ عَقْلَةٌ عَجَبًا لِأَمْرِ الْعَاقِلِ الْمَعْقُولِ

وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الحِيفَ فَمُطْلَقٌ يَنْسَى الذِّي يُؤَلَى وَعَافٍ يَنْدَمُ (١)
لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوِّ دَمْعُهُ وَأَرْحَمُ شَبَابِكَ مِنْ عَدُوِّ تَرْحَمُ (٢)
لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى حَتَّى يَرِاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ (٣)
يُوذِي القَلِيلُ مِنَ اللِّثَامِ بِطَبْعِهِ مَنْ لَا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلُومُ (٤)

وَأَخُو الدَّرَايَةِ وَالنَّبَاهَةِ مُتَعَبٌ وَالْمَيْشُ عَيْشُ الجَاهِلِ المَجْهُولِ
(١) نَبَذَ الشيءُ : ألقاه وطرحه ؛ والحفاظ : المحافظة على الحقوق والعهود ؛
وأولاه كذا : أنعم به عليه . وعاف : من العفو عن الإساءة . يقول : إن الناس
لا يحافظون على الحقوق ولا يراعون الأذمة - جمع ذمة : الحرمة والحق - ويتركون
عرفان النعم ، فمطلق من الإيسار ينسى إحسان مطلقه ، وعاف عن سوء يندم لما يرى
من كفران صنيعته وعدم شكرها . قال ابن جنى : الندم على كل حال غير مستحسن :
قال الحطيئة .

مَنْ يَقِلُّ الخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ والنَّاسِ (١)
(٢) يقول : لا تتخضع بكماء عدو يستعطفك ولا ترحمه وارحم نفسك منه فإنك إن
رحمته وأبغيت عليه ثم ظفر بك لم يرحمك ولم يبق عليك .

(٣) يقول لا يسلم للشريف شرفه من أذى الحساد والمعادين حتى يقتل حساد
وأعداءه ، فإذا أراق - سفك - دماءهم سلم شرفه ، لأنه يصير مهيبا فلا يتعرض له ،
قاله ابن جنى : أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا لكان أشعر الشعراء المجيدين ولكان له أن
يتقدم عليهم ، قال العكبري : وهو منقول من كلام الحكيم : الصبر على مفض الرياسة
ينك به شرف النفاسة .

(٤) القليل - هنا ليس قليل العدد وإنما هو الحسيس الحقير ؛ واللثام جمع لثيم ،
ضد الكريم . وضيم الفعلين الأخيرين : للقليل يقول : إن اللثيم مطبوع على أذى
الكريم لعدم المشاكلة بينها

« شوق » إن الكرام مشاغل السفهاء

(١) قال ابن جنى : ظاهره أن « جوازيه » جمع جاز . أى لا يعدم جزاء عليه
وجاز أن يكون جمع جزاء - لمشابهة اسم الفاعل للمصدر - فلما جمع « سيل » على
سوائل جاز أن يكون جوازيه جمع جزاء .

الظلمُ مِنْ شِيمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلَمِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ (١)
يَحْمِي ابْنَ كَيْفَلَعِ الطَّرِيقِ وَعِرْسُهُ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ (٢)

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَقِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلِ
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
« الطرماح بن حكيم »

(١) الشيم : جمع شيمة ، وهي الخليقة والطبيعة ، ومن شيم النفوس : يروى في خلق النفوس . يقول . إن الناس جيلوا على الظلم ، فإذا رأيت عفيفا لا يظلم فأما تركه الظلم لمة كالخوف والعجز ونحوهما ؛ قال العكبري : وهو من كلام الحكيم : الظلم من طبع النفس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين . إما علة دينية ؛ أو علة سياسية ، كخوف الانتقام منها

(٢) قال الواحدي : إنما قال هذا لأنه - ابن كيفلغ - كان قد أخذ الطريق على المتنبي حين سأله أن يمدحه فلم يفعل وهرس . ، ومعنى البيت من قول الفرزدق :
وَأُنْحَتَ أُمِّكَ يَا جَرِيرُ كَأَنَّهَا لِلنَّاسِ بَارِكَةٌ طَرِيقُ مُعْمَلُ
وقد أبدع ابن الرومي في مثل هذا إذ يقول في امرأة ابن المعلم :

وَتَبَيْتُ بَيْنَ مُقَابِلِ وَمُدَابِرِ مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقْبَلِ وَلْمُدْبِرِ
كَأَجْبَرِي الْمِنشَارِ يَعْتَوِرَانِهِ مِتْنَارَعِيهِ فِي فُلَيْجِ صَنْوَبِرِ
وَتَقُولُ لِلضَّيْفِ الْمَلْمِ بِسَاحَةِ إِنْ شِئْتَ فِي أَسْتِي فَأَنْتِي أَوْ فِي حَرِي
أَنَا كَمَبَةُ النَّيْكَ الَّتِي خَلَقْتَ لَهُ فَتَلْقُ مَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَكَبِرِ
أَنَا زَوْجَةُ الْأَعْمَى الْمُبَاحِ حَرِيمُهُ

أَنَا عِرْسُ ذِي الْقَرْنَيْنِ لِأَبِي الْإِسْمِ كَقَدِيرِ
قَالَتْ إِذَا أُرْدْتُ عِدَّةَ نَيْكِيهَا تَدْعُوا عَدِمْتُ الْفَرْدَ عَيْنَ الْأَعْوَرِ
فَإِذَا أَضَفْتُ إِلَى الْفَرِيدِ قَرِينَهُ قَالَتْ عَدِمْتُ مُصَلِّيًّا لَمْ يُوْتِرِ
مَا زَالَ دَيْدَنَهَا وَذَلِكَ دَيْدَنِي حَتَّى بَدَأَ عَلَمُ الصَّبَاحِ الْأَزْهَرِ
أَزْمِي مَشِيمَتَهَا بِرَأْسِ مُلْمِ رِيَّانٍ مِنْ مَاءِ الشَّبِيْبَةِ أَعْجَبِ

أَقِمِ السَّالِحَ فَوْقَ شُفْرِ سُكَيْنَةَ إِنَّ الْمَنِيَّ بِمِخْلَقَتَيْهَا خِضْرِمٌ (١)
 وَأَرْفُقُ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ وَاسْتُرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مَظْلُمٌ (٢)
 وَغِنَاكَ مَسْئَلَةٌ وَطَبِشُكَ نَفْخَةٌ وَرِضَاكَ فَيْشَلَةٌ وَرَبُّكَ دِرْهَمٌ (٣)
 وَأَخْذَرُ مُنَاوَاةِ الرُّجَالِ فَإِنَّمَا تَقْوَى عَلَى كَمَرِ الْعَبِيدِ وَتُقَدِّمُ (٤)
 وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَدْلٌ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ غِيٍّ وَخِطَابٍ مَنْ لَا يَفْهَمُ (٥)
 يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْيَابِهِ تَحْتَ الْمَلُوجِ وَمِنْ وَرَاءِ يُلْجَمُ (٦)

عَبَلٌ إِذَا قَلِقَ النَّسَاءُ بِحَدِّهِ نِلْنِ الْأَمَانَ مِنَ الْوِلَادِ الْأَعْسَرِ

(١) السَّالِحُ: للواضع يعلق عليها السلاح؛ والشفر، والشافران؛ حرفا فرج المرأة.
 ويريد بمخلقته: الفرج والرحم؛ والحضرم: البحر الكثير الماء؛ شبه المني -
 لكثرة في رحمها - بالبحر.

(٢) وارفق بنفسك: يريد لا تتحكك بالشعراء كي لا يذكروا خلقك الناقص -
 لأنه أعور قصير - وأصلك ذنئ لثيم.

(٣) يقول: أنت مكذ فليكون غناك في مسألة الناس، وليس وراء طبشك حقيقة،
 وإنما ذلك نفخة نفخت فيك، ورضاك أن ترى ذا فيشلة - ذكر - من عبد أو ممن مائل
 العبد: وربك الذي تعبده درهم يعني أنه بخيل .

(٤) المناواة: للمعادة، وأصله المناواة، لأنه من النوء وهو النهوض؛ والسكر
 جمع كمر، وهي رأس الذكر، يقول: لانعاد الرجال فإنك لاتقدر عليهم ولا لك بهم
 طاقة؛ وإنما قدرتك وإقدامك على «أبور العبيد» يصفه بالأبنة .

(٥) العذل: اللوم؛ ويرعوى: يكف ويقلع، وعن غيه: فالنئ نقيض الرخذ،
 ويروى: عن جهله .

(٦) الملوچ: جمع علج، وهو في الأصل: حمار الوحش، لاستعلاج خلقه وغلظه،
 ويقال للرجل القوى الضخم من كفار المعجم - غير العرب - علج وهو المراد هنا .
 يقول: يمشى القهقري حبا للاستدخال، أي أن الملوچ كانت تركبه فيمشى إلى خلفه على
 غير العادة، فإن من عادة الركوب أن يمشى إلى قدام، وهو بخلاف الركوب لأنه يلجم من
 ورائه . . . هذا: وقوله بأربعة كان القياس أن يقول بأربع . لأنه يريد اليدين
 والرجلين، ولكنه ذهب إلى الأعضاء فذكر على اللغى على حد قول الأفشى:

أَرَى نَارَ جَلَا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحِيهِ كَفًّا مُخَضَّبًا^(١)
وقد أثنوا المذكور على المعنى ، قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابيا يمانيا يقول :
فلان لعوب - أي أحق - جاءت كتابي فاحتقرها ، فقلت له : أتقول كتابي ؟ فقال :
اليس بصحيفة ؟ ومن تأنيث المذكور على المعنى تأنيث الأمثال في قوله تعالى « فله عشر
أمثالها » لأن الأمثال في المعنى حسنة . فالتقدير عشر حسنة أمثالها ؛ وإذا أنت
المذكور فتذكير المؤنث أسهل : لأن حمل الفرع على الأصل أسهل من حمل الأصل
على الفرع ؛ وقوله على أعقابهم : قال العكبري : جمع في موضع التثنية ، وحقه أن يقول
على عقبيه - كما جاء في التنزيل : « نكص على عقبيه - » ولكنهم جمعوا في
موضع الإفراد فقالوا :

شابت مفارقه ؛ وقال الشاعر :

والزعفرانُ على ترائبها شَرِقٌ بِهِ اللَّبَاتُ وَالنَّحْرُ^(٢)

جمع الترية واللبة بما حولهما ، وإذا كان هذا جائزا في موضع الواحد فالجمع في
موضع التثنية أجوز ، ثم قال العكبري في إعراب « من وراء » : حذف المضاف إليه ،
والظروف إذا حذف من المضافات بنيت على الضم ، كقبل وبعد وفوق وتحت ،
وإنما بنيت لان المضاف إليه مقدر عندهم حتى إنها متعرفة به محذوفا ، فلما اقتصروا على
المضاف جمלוه نهاية فصار كبعض الاسم وبعض الاسم لا يعرب ، فإن نكروا شيئا
منها أعربوه ، فقالوا : جئت قبلا ، ومن قبل وبعدا ومن بعد قال الشاعر :

فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ^(٣)

وقرى من قبل ومن بعد ، فأعرب لنية التنكير : فقوله « من وراء » على نية التنكير :
كأنه قال : من جهة تخالف وجهه .

(١) الأسيف : الضبان . بقول : كأن يده قطعت فاخضبت بدما ، وقال المبرد
أسيفا من التأسف أقطع يده ، وقيل هو أسير قد غلت يده ، فخرج الغل - القيد - يده .

(٢) التراب : موضع القلادة من الصدر ، واحدها ترية .

(٣) ويروى هذا البيت : « أكاد أغص بالماء الحميم » .

وروى « أغص بنقطة الماء الحميم » من أبيات لبزيد بن الصمق

« انظر « الحزانة » ج ١ ص ٣٨٤ « سلفية »

وَجَفُونَهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا مَطْرُوفَةٌ أَوْفَتْ فِيهَا حِصْرِمٌ (١)
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدَّثًا فَكَأَنَّهُ قَرَدٌ يُقَهِّمُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ (٢)

(١) طرفت عينه : إذا أصيبت بشيء فدمعت . والحصرم : العنب الأخضر ، وهو معروف أنه حامض . قال الواحدى : يقول : إنه أبداً يحرك جفونه يستدعى العلاج ويشير بها إليهم فتبقى وكأنها أصيبت بقذى أو عصر فيها الحصرم ، لأنها لا تفرعن التحريك : هذا : وقال المكبرى فى إعراب فت : عطف « فت » على مطروقة وليس من حق الفعل أن يمطف على الاسم ولا الاسم على الفعل ، ولكن ساغ ذلك فى اسم الفاعل واسم المفعول لما بينهما وبين الفعل من التقارب بالاشتقاق وللغنى ولذلك عملاً فيه . وقد عطف الفعل على الاسم فى القرآن الكريم — فى قوله تعالى « صافات ويقبضن » وقوله « والمصدقين والمصدقات وأقرضوا الله » وقال الراجز :

* تَبَيْتُ لَا تَأْوِي وَلَا نَفَاشًا (١) *

أى لا تأوى ولا تنفش ، وكذلك صافات وقابضات والذين تصدقوا وأقرضوا .
(٢) يريد : قبح وجهه وكثرة تشنجه ، وجعل حديثه كضحك القرد ، حيث إنه الكن عي لا يفصح ، ولهذا جعله مشيراً ، لأنه لا يقدر على الكلام فيشير ، وجعل إشارته كلطم العجوز إذا ولولت ، قال الإمام ابن الشجرى فى أماليه : عيب على أبى الطيب قوله هذا ، وقالوا لامعنى لتشبيهه الحديث بالطم ، وإنما كان حقه أن يضع فى موضع تلطم تولول أو تبكى أو نحوهما ، لكن لما شبه صوت حديثه بقهقهة القرد ، وهى صوت ، شبهه بلطم عجوز ، ولطم النساء لا بد أن يصحبه صوت فلما اضطرتة القافية إلى ذكر اللطم الدال على الولولة والنوح أكتفى بذكر الدليل عن المدلول عليه . و « أو » للإباحة ؛ أى إن شئت شبهت حديثه بقهقهة قرد وإن شئت شبهته بعجوز تلطم . وقول ثان : وهو أنه شبه عيشين بشيئين ، شبه حديثه بقهقهة القرد وشبه إشارته فى أثناء حديثه بلطم العجوز ، لأنه من عيه لا يفهم ، وجعله مشيراً بيديه لأنه لا يقدر على الإفصاح ، فهو يستعين بالإشارة إذا حدث كما أشار باقل لما عجبوا عن الجواب وقد مر بقوم ومعه ظبي قد اشتراه بأحد عشر درهماً ، وهو متأبطه ، فقالوا له بكم اشتريته ؟ فد يديه وفرق أصابعه وأخرج لسانه ؛ يريد بأصابعه عشرة

(١) نفشت الإبل والنعَم تنفش نفشا ونفوشا : انتشرت ليلاً فرعت بلاراع وخص بعضهم به دخول النعم فى الزرع ومنه قوله تعالى « إذ نفشت فيه غم القوم »

يَقْبَلِي مُفَارَقَةً الْأَكْفُ قَدَّالَهُ حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدِي يَتَعَمَّمُ (١)

وبلسانه درهما ، فشرد الظبي ، وفي هذا التشبيه معنى آخر . وهو أنه أراد قبح وجهه وكثرة تشنجه ، فهو في القبح كوجه القرد ، وفي التشنج كوجه العجوز . فإن قيل : كيف شبه شيبين بشيبين ، وعطف بـ «أو» وهي لأحد الشيبين ، وحقه أن يعطف بالواو ؟ قلنا : إن «أو» قد وردت في كلامهم بمعنى الواو . . أقول : ومن مجيها بمعنى الواو قوله حميد بن ثور :

قَوْمٌ إِذَا نَقَعَ الصَّرِيحُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مَهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ (٢)
وقول النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن النذر :

وَأَحْكُمُ كَحُكْمِ فِتْنَةِ الْحَى إِذْ نَظَرْتَ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتِمَا هَذَا الْحَامُ لَنَا إِلَى حَامَتَيْنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدِ
فَحَسَبُوهُ فَالْقَوَهُ كَمَا ذَكَرْتَ سِتًّا وَسِتِّينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ (٣)
ومنه قوله تعالى « إلى مائة ألف أو يزيدون » أي ويزيدون .

(١) قلاه يقليه قلى وقلاه وقلية يقلاه : لغة طىء ، والقلى : البغض . وقال ابن سبويه : قليته قلى وقلاه ومقلية : أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته ؛ وحكى سيبويه قلى يقلى وهو نادر ، شبهوا الألف بالهمز ، وحكى ابن جنى : قلاه وقلية ، قال . وأرى يقلى . إنما هو على قلى ؛ وحكى ابن الأعرابي قليته في الهجر قلى ، مكسور ومقصور ، وحكى في البغض قليته — بالكسر — أقلاه على القياس . والقذال . جماع

(١) الصريح : أى للحرب ، والسافع : أخذ الناصية بلالجام .
(٢) واحكم يريد تبصر في الأمر وكن حكيماً معنى ولا تقبل بمن سعى في إليك وكن كفتنة الحى إذ وصفت فأصابت ، وفتنة الحى : هى زرقاء اليمامة ، زعموا أنها كانت تبصر من ثلاثة أيام ؛ فربها سرب من القطا ، فقالت :

لَيْتَ الْحَامَ لَيْتَهُ إِلَى حَمَاتِيهِ أَوْ نِصْفَهُ قَدِيهِ تَمَّ الْحَامُ مِيَهُ
فإذا هو ست وستون وإذا ضم نصفه — وهو ثلاث وثلاثون — إليه كان المجموع تسماً وتسعين فيحمامتها تكل للمائة ، وسراع : سريع الطيران ، والثمد — بفتحين — الماء القليل لامادة له ، وحسبوه ، عدوه .

وَتَرَاهُ أَصْفَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقَسِّمُ (١)
وَالذَّلُّ يُظْهِرُ فِي الذَّلِيلِ مَوَدَّةً وَأَوْدٌ مِنْهُ لِيَنْ يَوْدُ الْأَرْقَمُ (٢)

مؤخر الرأس ، وهو فاعل يقلى ؛ ويجوز أن يكون مفعول المفارقة — وفاعل يقلى ضمير المهجو ، أى أن قفاه يكره مفارقة الأَكْف ، لأنه قد ألف صحبتها في الصنع فيكاد يتعمم على إحدى يديه ، لئلا يخلو قفاه من كف . يريد أنه صنعان تعود أن يصنع فيكاد يتعمم على يده لتصفه يده أيضا .

(١) يقول . تراه أحقر ما يكون حين ينطق ، لأن عي فلا يكاد يبين ، أو لأنه ينطق بغير معقول ، وأكذب ما يكون إذا خلف — أى حين يكون الصدق أوجب — وذلك كما قال الآخر .

فَلَا تَحْلِفْ فَإِنَّكَ غَيْرُ بَرٍّ وَأَكْذَبُ مَا تَكُونُ إِذَا حَلَفْنَا

وقوله ويقسم . يريد وهو يقسم . هذا . وقد قال ابن الشجري في أماليه . فعل الرؤية من العين يعدى إلى مفعول واحد ، « وأصغر » نصب على المصدر لأنه أضيف إلى « ما » الصدرية . و« ناطقا » نصب على الحال ، وأفضل المضاف إلى المفضل عليه إنما هو بعض ما يضاف إليه ، فصار كقولك : سرت أشد السير ، و« أكذب » حكاه في ذلك حكم « أصغر » ونصب « ناطقا » ترى الأول من الرؤية ، وانتصابه على الحال ، وتقديره وتراه ناطقا أحقر رؤيتك إياه ، فالتحقير تناول الرؤية في اللفظ ، والمراد تحقير المرئي ؛ والمعنى : تراه ناطقا أحقر منه إذا رأيته ساكتا ؛ ويكون كلاهما بمعنى يوجد ؛ وإن جمعت « يكون » الأول ناقصا وخبره « أكذب » لم يجز ، لما ذكرته من انتصاب « أكذب » على المصدر لإضافته إلى المصدر ، والمضمر في « يكون » عائد على المهجو ؛ وخبر « كان » إذا كان مفردا فهو واسمها عبارة عن شيء واحد بطل أن يجعل « يكون » ناقصا لفساد الإخبار عن الجثث بالأحداث ، والواو في قوله « ويقسم » واو الحال ؛ والجملة بعده حال عمل فيها « يكون » الأول ، وهى جملة ابتداء ، والبتداء محذوف ، والتقدير وهو يقسم محذوف هو ، وقال اليازجى : الأظهر أن « أفعل » في الموضعين مرفوع على الابتداء . وسدت الحال بعده مسد الخبر ، والجملة في محل نصب بالناسخ ، لأنها في الأصل خبر ابتداء ، كما في قولك : هند أحسن ما تراها ، أحسن ما تكون سافرة ، فلما دخل الناسخ عمل في البتداء الأول لفظا ، وفي جملة الخبر محذوف ، كما تقول رأيت هنداً ، أو كانت هنا أحسن ما تكون سافرة . فتأمل .

(٢) أود : خبر مقدم عن الأرقم ، والأرقم : ص . ب من الحيات فيه سواد تويياض

وَمِنَ الْعِدَاةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُوْلِمُ (١)
 أُرْسِلَتْ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَةً صَفْرَاهُ أَضِيقُ مِنْكَ مَاذَا أَرْعُمُ (٢)
 أُتْرَى الْقِيَادَةَ فِي سِوَاكَ تَكْشِبًا يَا ابْنَ الْأَعْيَرِ وَهَى فِيكَ تَكْرُمُ (٣)
 فَلَشَدَّ مَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِدًا وَأَشَدَّ مَا قَرُبْتَ عَلَيْكَ الْأَنْجُمُ (٤)

وفاعل « يود » ضمير الدليل ، والعماد محذوف أى لمن يوده : أى لمن يظهر له وده .
 يقول : إن الدليل يظهر المودة - المحبة - لمن أذله ، إذ ليس يقدر على مكافأته ولا امتناع
 عنده فيتودد إليه ، على أن الجلية أقرب إلى المصافاة من الدليل إذا أظهر الود لمن يوده
 وهذا من قول سديف :

ذُلُّهَا أَظْهَرَ اللَّوَدَةَ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمْ كَحَزِّ اللَّوَابِي (١)
 (١) قال ابن جني : يعنى أن عداوة الساقط تدل على مباينة طبعه فتتفع - يربدلا تضر -
 وصداقته تدل على مناسبتة فتضر ، قال الواحدى : وهو من قول صالح بن عبد
 القدوس :

هَدُوْكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقِ لَكَ الْوَامِقِ الْأَحْقِ

« الوامق : الحب » . وعبارة بعض الشراح : أراد بالنفع - هنا - ما هو أعم منه
 يعنى انتقاء الضرر والبيت مبني على الذى قبله : أى أن عداوة الذليل الذى يطوى كسجه
 على البغض تظهر ما أضر من الحب فتتفع من يعاديه بأن يطلع على دفينته فيحذر جانبه
 وبمكسها صداقته فإنها قد تكون سبباً يتوصل بها إلى أذاه ، لأنه يساثره العداوة ويتربص
 به نهزة للعدو .

(٢) صفراء : اسم أمه : يقول : هى - على سعتها - أضيق منك ، فكيف يتجه لى
 مدحك ؟

(٣) أعير : تصغير أعور ، قال الواحدى : وكان أبوه - واسمه إبراهيم - أعور .
 يقول : إن القيادة فى غيرك كسب وأنت تتكرم بها : أى تحسبها كرماً .

(٤) لشد : بمعنى ما أشد ، واللام قبلها : للتوكيد ؛ و « ما » : مصدرية . يقول :
 ما أشد تجاوزك قدرك حين تطلب منى المديح ! وما أشد ما قربت الأنجم عندك فطمعت
 فى نيلها ! وأرادت بالأنجم : أبيات شعره .

(١) من أبيات يحرص فيها سديف بن ميمون بن العباس على بني أجمعة .

وَأَرغَتَ مَا لِأَبِي العِشَائِرِ خَالِصًا إِنَّ الثَّنَاءَ لِمَنْ يُرَارَ فَيُنْفِعُ (١)
وَلَمَنْ أَمَّتْ عَلَى الهَوَانِ بِيَابِهِ تَدْنُو فَيُوجِبُ أَخْذَ عَاكَ وَتُنْهَمُ (٢)
وَلَمَنْ يَهِينُ المَالَ وَهُوَ مُكْرَمٌ وَلَمَنْ يَجْرُ الجَيْشَ وَهُوَ عَرْمَرَمٌ (٣)
وَلَمَنْ إِذَا أَلْتَقَتِ الكَمَاةُ بِمَازِقِ فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الكَمِ، المَعْلَمُ (٤)

(١) الإراغة : الطلب ؛ تقول أرغت الصيد وفلان بريغ كذا وكذا ويلبسه : أى يطلبه ويديره ، قال عبد الله بن عمر في ابنه سالم :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ العَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٍ (١)

« يدروني : كيربغوني ، ويقال فلان يربغي أو يديرني على أمر وعن أمر : أى

يرادني ويطلبه مني » . يقول : طلبت من اللديج ما هو خالص لأبي العشار ؛ لأنه الذى ينعم على زواره وقصاده ، فقوله « خالصا » حال ، أى الذى ثبت لأبي العشار خالصا لا ينازع فيه .

(٢) ولمن : عطف على « لمن يرار » والأخذعان : عراقان في صفحتي العنق قد خفيا

وبطنا ، ويقال لأقيمنا أخذعك : أى لأذهبن كبرك . والوجع : اللكز والضرب ، ومراده بوجع أخذعيه : صفعه . والنهم . الزجر الشديد . يقول : والثناء لمن تزلفت إليه فأقت يبابه ذليلا تصفع هزوا واستخفا ، ثم تزجر مطرودا ، والبيت من قول جرير :

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ المُلُوكَ وَفُودَهُمْ نَتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبْوَابِ

(٣) وهو مكرم : أى والسال مكرم يرضن بمنله ، فالضمير عائد على السال ، ولك

أن ترجمه للمدوح : أى يهين المال ويكرم عند الناس . والعرمم . الكثير العظيم .

(٤) الكامة . جمع كمي ، وهو البطل للشملة بالسلاح . والمأزق : الضيق ومنه

سمى موضع الحرب مأزقا . والمعلم : الذى وسم نفسه بسيماء الحرب . وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي تمام :

إِنَّ الأَسْوَدَ الأَسْوَدَ الغَابِ هِمَّتُهَا يَوْمَ الكَرِيهَةِ فِي المَسْلُوبِ لا السَّلْبِ

(١) قال الجوهري : يقال للجلدة التى بين العين والأنف « سالم » وأورد هذا

البيت ، قال : وهذا المعنى الذى أراد عبد الملك في جوابه عن كتاب الحجاج : إنه عندي

كسالم والسلام ، قال ابن بري : هذا وهم قبيح - أى جعله سالما اسما للجلدة التى بين

العين والأنف ، وإنما سالم ابن ابن عمر فجعله لهبته بمنزلة جلدة بين عينه وأنه

وَلَرُبَّمَا أُطْرَ القَنَاةَ . بفارسٍ وَتَنَى قَقْوَمَهَا بِأَتَمَرٍ مِنْهُمْ (١)
وَالْوَجْهَ أَزْهَرُ وَالْفُوَادُ مُشِيْعٌ وَالرُّمَحُ أَسْمَرُ وَالْحَسَامُ مَصْمَمٌ (٢)
أَفْعَالٌ مِّنْ تَلِيدِ الكِرَامِ كَرِيْمَةٌ وَقَعَالٌ مِّنْ تَلِيدِ الأَهَاجِمِ أُعْجَمٌ (٣)

واجتاز ببعلبك نخل على بن عسكر ، وسأله أن يقيم عنده . وكان يريد
السفر إلى إنطاكية ، فقال يستأذنه :
رَوِينَا يَا أَبْنَ هَسْكَرِ المَمَامَا وَلَمْ يَثْرُكْ نَدَاكَ بِنَا هُبَامَا (٤)

(١) أطره : عطفه وثناه ولواه ؛ وتأطر الرمح : تثنى . يقول : إذا اعوجت قناته
في مطعون طعن بها آخر فثقتها بذلك ، يريد شدة طعنه وتناحه
(٢) « ال » هنا نالبة عن ضمير المدوح : أى ووجهه وفؤاده ؛ وهلم جرا ، والواو
أول البيت : للحال . يقول : إذا التقي هو والسكاة في مأزق : فوجهه أزهر - نير مشرق
أبيض - وفؤاده مشيع - أى جرى - ورعحه يطعن به ، وسيفه مصمم : أى يطبق
المفصل ويصيب الهز ، فلا ينبو عن الضريبة .

(٣) الفعّال هنا الفعل . يقول : إن الفعل يشابه النسب والأصل ، فمن كرمت مناسبة
كرمته أفعاله ، ومن كان لثيم النسب كان لثيم الفعل والأعاجم عند العرب لثام ، ولذلك
جعل الأعاجم في مقابلة الكرام ، وإنما قال ذلك لأن هذا الرجل كان رومياً . وم
يسمون من لم يتكلم بلغتهم أهمم من أى جيل كان ، قال الراجز :

سَلُومٌ لَوْ أَصْبَحْتَ وَسَطَ الأَعْجَمِ (١) فِي الرُّومِ أَوْ فَارِسَ أَوْ فِي الدَّيْلَمِ
إِذَا لَزُزْنَاكَ وَلَوْ بِسَلْمِ

وقال حميد بن ثور :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ شَاقِهِ صَوْتٌ مِثْلَهَا وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أُعْجَمِ

فإنه عنى بالأعجم : حماسة سمع صوتها .

(٤) الممام : العظيم الهمة والسيد الشجاع السخى والهيام : أشد العطش .

(١) يقال رجل أعجم وتقوم أهمم

وَصَارَ أَحَبَّ مَا تَهْدِي إِلَيْنَا لَغَيْرِ قَلِيٍّ وَدَاخِكَ وَالسَّلَامَ^(١)
وَلَمْ تَمَلَنَّ تَفْقُدَكَ الْمَوَالِي وَلَمْ نَذْمُمْ أَيَادِيكَ الْجَسَامَ^(٢)
وَلَكِنَّ الْقُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرَّةَ الْمُقَامِ^(٣)

يقول : زلنا بفنائك فروينا من عطشنا ولم تترك بنا عطشا ، يريد أنهم غمروا بإنعامه وإحسانه إليهم حتى اكتفوا . هذا : وقد قلنا إن « الهيام » هنا أشد العطش وأنشد ابن بري .

يَهِيمُ وليس الله شافِ هِيَامَهُ بِفِرَاءِ مَاغْفَى الْحَمَامُ وَأُنْجِدَا^(١)
والهيام أيضا . كالجنون من العشق ، وقد هيمه الحب ، والهيام أيضا ؛ داء يأخذ الإبل فتحتم في الأرض لا ترحى ، يقال ؛ ناقة هيام ، قال كثير عزة .

فَلَا يَحْسَبُ الْوَأَشُونَ أَنَّ صِبَابِي بَمِرَّةٍ كَانَتْ تَحْمَرُهُ فَفَجَلَّتْ
وَأَنِّي قَدْ أَبْلَتُ مِنْ دَنْفِهَا كَمَا أَدْنَفْتُ هِيَامَهُ ثُمَّ اسْتَقْبَلْتُ^(٢)

(١) القلى ؛ البغض ؛ ولغير قلى ؛ احتراس جميل . يقول ؛ قد استغنينا عن الهدايا وأردنا الارتحال فأحب ما تهديه إلينا أن نودعك وإن لم عليك .

(٢) الموالى - بفتح الميم - جمع مولى ، وهو هنا العبد ، ورواها العكبري ؛ الموالى - بضم الميم - أى الذى يلى بمضه بعضا . والأيدى ؛ النعم . والجسام ؛ العظام . يقول ؛ لسنا نرتحل عنك لأننا ملنا تفقدك إيانا بالإحسان ولأننا ذمنا نعمك العظيمة .

(٣) توالى ؛ تتابعت ؛ والقيام ؛ السحاب : وهذا تنمة لما ذكر فى البيت السابق . يقول إن المسافر إذا كثر عليه المطر مل مقامه - إقامته - واحتباسه لأجل المطر ، كذلك نحن عطاياك تأتينا وأنت قيدتنا بإحسانك وأنا مسافر أريد الارتحال ، ولولا أنى على سفر لم أملك نعمتك والمطر يسأله كل أحد إلا المسافر ؛ وكرهه المقام ؛ رواها بعض الشراح ؛ كره الغمام ، وقال ؛ المعنى ؛ إنما عننا الزيادة من إحسانك ، لأنه يقيدنا بخدمتك ويحبسنا عن السفر ، فهو كالطر يعترض المسافر ويعوقه عن طريقه ، فيكرهه لذلك ، لأنه مكروه من نفسه .

(١) شاف ؛ فى موضع نصب خبر « ليس » ؛ وإن شئت جعلته خبر « الله » ، وفى « ليس » ضمير الشأن

(٢) أبل واحقبل ؛ برا من مرضه

وكان مع أبي العشائر ليلا على انشراب ، فكلمها أراد النهوض وهب له شيئا ، حتى وهب له ثيابا وجارية ومهرا فقال :

أَعْنُ إِذْنِي تَهَبُ الرِّيحُ رَهْوًا وَيَسْرِي كَلْمًا شِنْتُ النِّعَامَ (١)
وَلَكِنَّ النِّعَامَ لَهُ طِبَاعٌ تَبَجَّسُهُ بِهَا وَكَذَا الْكِرَامَ (٢)

وقال يمدح كافورا ، وقد أهدى إليه مهرا آدم في شهر ربيع الآخر

سنة ٥٣٤٧ هـ :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمٍ وَأُمٌّ وَمَنْ يَمْتُ خَيْرُ مِيَمٍ (٣)
وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزَلِ إِذَا لَمْ أَبْجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمٍ (٤)
سَجِيَّةٌ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُلِيحَةً مِنَ الضَّمِيمِ مَرَمِيًّا بِهَا كُلُّ مُخْرَمٍ (٥)

(١) هذا استفهام معناه الإنكار . والرهو ؛ السير السهل . يقول ؛ الريح لا تهب ساكنة سهلة بإذني ، وكذا النعام لا يسرى بمشيئتي ؛ ويريد بالريح والنعام ؛ المدح على تشبيهه بهما في سرعة العطاء وكثرته - يعني أن الذي يفعله ليس يفعله بإذني ومشيئتي إنما يفعله طبعا طبع عليه - كما بين في البيت التالي .

(٢) تبجسه : مبتدأ ؛ وبها ؛ خبره ؛ والتبجس ؛ التفجر .

(٣) فراق مبتدأ ، محذوف الخبر ؛ أي لي فراق ؛ وقال العكبري ؛ فراق خبر مبتدأ محذوف ، ويجوز رفعه بإضمار فعل أي حدث فراق . وأم ؛ أي قصد ؛ ويمت ؛ قصدت يقول - عند ارتحاله - : هذه الحالة التي أنا فيها فراق ، والذي أفارقه - يعني سيف الدولة - غير مذموم - وهذا الفراق هو في الوقت عينه قصد لإنسان آخر - يعني كافورا - وهو خير مقصود .

(٤) عنده ؛ أي فيه ، يقول ؛ لا أقيم بمكان للذة العيش وطيب الحياة إذا لم أكن بكرما معظما . لأنه مع الذل لا يطيب لي

(٥) مليحة ، مشفقة خائفة ، يقال : ألح من الأمر ؛ إذا أشفق منه . والمخرم الطريق في الجبل . يقول ؛ هذا الفراق أو هذا الذي أذكره من أنفق والاحتفاظ بكرامتي سجية - طبيعة - نفس التي هي أبدأ خائفة من أن تظلم ويبخس حقها من الإكرام ، وأنا أرمى بها كل طريق هاربا عن الضيم والذل .

رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكِ بِأَجْفَانِ شَادِنِ
 وَمَا رَجَبَةُ الْقَرْطِ الْمَلِيحِ مَكَانُهُ
 عَلَيَّ وَكَمْ بَاكِ بِأَجْفَانِ ضَنِيمِ (١)
 بِأَجْزَعٍ مِنْ رَبِّ الْحَسَامِ الْمُصَّمِّمِ (٢)
 هَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُقْتَمِعِ (٣)
 هَوَى كَاسِرٍ كَفَى وَقَوْمِي وَأَسْهُمِي (٤)
 وَإِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
 وَصَدَقَ مَا يَتَقَادُهُ مِنْ تَوْهَمِ (٥)

(١) الشادن : ولد الفزال ؛ والضنييم : الأسد . يقول : فك من رجال ونساء
 بكوا على فراقى وجزعوا لارتحالى عنهم ا فالباكي بجفن الشادن : المرأة المليحة الحسناء ،
 والباكي بأجفان الضنييم : الرجل الشجاع الكريم : قال ابن جني . بأجفان ضنييم :
 يريد سيف الدولة ، وهذا وفاء لما أوعده به من قوله :

* لِيُحَدِّثَ لِيَنَّ قَارِقَتَهُ نَدَمٌ

(٢) القرت : الذى يملق فى عجمة الأذن . ومكانه : فاهل المليح ؛ والحسام :
 السيف القاطع ، والمصمم : الذى يطبق للفاصل ؛ ولك أن تجعله صفة لرب . يقول :
 لم تكن للمرأة بأجزع على فراقى من الرجل .

(٣) يقول : لو كان الذى أشكوه من الضربى كان من امرأة عذرتها ، لأن شيمة
 النساء الضدر ، ولكنه من رجل فلا أعذره . فكفى بالحبيب للقتع : عن المرأة ؛ وبالحبيب
 المصمم : عن الرجل .

(٤) قال الواحدى : هذا مثل يقول : لم يحسن إلى - أى سيف الدولة - ولم أهجه
 لحي إياه ، فضرب المثل لإساءته إليه بالرسمى ، ولأنه من المكافأة - المجازاة - بالمجاء
 بالانتقام ، بحب يكسر كفه وقومه وسهامه إن أراد أن يرميه ؛ والحفى أن حبي إياه
 منعى عن مكافأته بالإساءة ، فكان كرام يرمى وهو وراء جنة - ستره - من حبي تمنعنى
 من أن أرميه .

(٥) يتعاده : ينتابه ؛ ومن توم : بيان له « ما » . يقول : إذا كان فعل المرء سيئا قبيحاً
 ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه ، وإذا توم فى أحادية أسرع إلى تصديق ما توممه
 لما يجد من مثل ذلك فى نفسه . وعبرة الواحدى : للسى يسى الظن ، لأنه لا يأمن
 من أحماء إليه . وما يخطر بقلبه من التوم على إساءة غيره يصدق ذلك ، قكلما سمع عن
 شخص كلام سوء يظنه فيه لسوء وهمه وفعله ، وهو كقول الآخر :

وَمَا فَسَدْتُ لِي بِشَهِدِ اللَّهِ نِيَّةً عَلَيْكَ بَلِ اسْتَفْسَدْتَنِي قَاتِمَتِي

وَعَادَى مُجِبِّهِ بِقَوْلِ هَدَانِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمٌ (١)
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْرَفَهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ (٢)
وَأَحْلَمُ عَنْ خَلِيٍّ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَجْزَاهُ حَلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمُ (٣)

(١) يقول : ولسوء ظنه يعادى الذين يحبونه بروشاية أعدائه . فلا يميز صديقه من عدوه ؛ إذ يشك في كل أحد ويصبح في كل أموره حاراً بسبب أنه يصدق ما يتوهمه .

(٢) يريد بالنفس : المعاني الكريمة والفضائل الإنسانية التي تستشف من الإنسان بذكر لطف حسه ودقة علمه ، وأنه قبل أن يقع بينه وبين من يحبه معرفة يصادق نفسه أولاً ، ويستدل عليها بكلامه وفعله ، قال العكبري : وهذا من قول الحكميم : الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالأجسام .

(٣) يقول : وأصغح عن خليلي علما بأنى متى جازيته على سفهه وجهله بالحلم ندم على قبيح فعله ، فاعتذر إلى وأعتبى - أرضانى - ورجع إلى مرادى ، وهذا من قول سالم ابن وابصة :

وَنَزَيْبٍ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ يَقْتَاتُ لِحْمِي وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ (١)
دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غَمْرُهُ حَقْدًا مِنْهُ وَقَلَّمْتُ أُظْفَارًا بِلَا جَلَمٍ (٢)
بِالْحَزْمِ وَالْحَسْبِ أَسْدِيهِ وَالْحِمَةُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَمَالٌ يَرْعَى مِنْ رَحِمٍ
فَأَصْبَحَتْ قَوْسُهُ دُونِي مُؤْتَرَةً تَرْمِي عُدُوتِي جِهَارًا غَيْرَ مَكْتَمِ
إِنَّ فِي الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكِرَامِ
ومن روى

وأحلم عن خلى وأعلم أننى متى أجزته يوماً على الجهل أندم
يكون المعنى ؛ متى جهلت عليه كما جهل على نعمت على ذلك ، لأن السفه والجهل ليسا من أخلاقى فى شئ

(١) رجل نيزب : وذو نيزب : ذوشر ونميعة ؛ والقرم : شدة الشهوة إلى اللحم
(٢) القرم ؛ الحقد والنل . والحلم : أحد شق القراض ، وإنما هما جلمان

وَأَنْ بَدَلَ الْإِنْسَانَ لِي جُودَ عَابِسٍ
 وَأَهْرَى مِنَ الْفَتْيَانِ كُلِّ تَمَيِّذِ
 خَطَّتْ نَحْتَهُ الْعَيْسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ
 وَلَا عَفَّةً فِي سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ
 وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
 فِدَى لِأَبِي الْمَسْكَ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا
 حَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ (١)
 نَجِيبِ كَصَدْرِ السَّمْعَرِيِّ الْقَوْمِ (٢)
 بِهِ الْخَيْلُ كَبَاتِ الْخَمِيسِ الْعَرْمَرَمِ (٣)
 وَلَكِنَّهَا فِي الْكَفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَمِ (٤)
 وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ (٥)
 سَوَابِقِ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَدْهَمِ (٦)

(١) يقول: إني لا آخذ من الإنسان الصلة - العطية - حتى يكون معها بشرو وبشاشة وإذا بذلها وهو عابس جدت عليه بترك تلك الصلة وأنا مبتسم راض بتركها ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت سائر الرواة فرووه بمجود التارك ؛ ولا معنى للتارك ، وإنما هو الباذل ، ومعناه ؛ وإن بذل الانسان لى جوده وهو عابس الوجه غير منشرح الصدر جازيته مجازاة من بذل لى جوده وهو ضاحك ولم أكانته .

(٢) السميذع ، والسميذع ؛ السيد الكريم الجليل الجسم الموطأ الأكناف وقيل هو الشجاع . والنجيب - الفاضل الكريم - ضد اللثيم - والسهمري ؛ الرمح القوى الصاب وصدرة ؛ مقدمه مما يلي السنان . يقول : أحب من الفتيان كل سيد يغشى الناس بيته للضيافة ، نجيب جميل طويل القد كالرمح المقوم .

(٣) خطت ؛ جابت وقطعت ؛ والضمير من نحتها ؛ للسميذع . والعيس ؛ الإبل البيض والسكبة ؛ الحلة فى الحرب - من قولهم كبه لوجهه ؛ إذا ألقاه - قال بعض العرب ؛ طعنته فى السكبة ؛ طعنته فى السبة ، فأخرجتها من اللبة ، فقيل له كيف طعنته فى السبة ؛ هى حلقة الدبر - فقال إن رمحه كان قد سقط من يده فأكب لياأخذه فطعنته ، والخميس الجليل من خمس فرق . والعرمرم ؛ الكثير . يقول : قد سافر كثير أو قطعت به الإبل الفلوات وشهد الحروب وألفها ، فخالطت به الخيل الجيوش وحملاتها .

(٤) يقول : ليس بهيف السيف والرمح ، فإنه إذا شهد الحرب قتل الأقران ولم يتعفف عن دماهم ، وإنما عفته فى كفه ، لا يأخذ من مال أحد شيئاً ، وفى فرجه لا يقرب الرنا ، وفى فمه ، فهو يمسك لسانه عن كل ما لا يحل ولا أكل إلا من حل .

(٥) يقول : ليس كل من أحب الأمر الجليل يصنعه ولا كل من يصنعه يتممه (٦) فدى ؛ خير مقدم ؛ والكرام : مبتدأ مؤخر والأدمم : الأسود . جعل الكرام

أَعْرَ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَّصَنَ وِرَاءَهُ إِلَى خُلُقِ رَحْبٍ وَخَلَقَ مُطَهَّمٍ (١)
إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةَ نَفْسَهَا فَقَفَتْ وَقْفَةً قُدَّامَهُ تَتَمَلَّمُ (٢)
يَضِيقُ عَلَى مَنْ رَأَاهُ الْمَذْرُوعُ أَنْ يُرَى ضَمِيفَ الْمَسَاعِي أَوْ قَلِيلَ الْكُرْمِ (٣)
وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا اخْتَلِيلُ أَحْجَمَتْ وَكَانَ قَلِيلًا مَنْ يَقُولُ لَهَا أَقْدُمِي (٤)
شَدِيدُ ثَبَاتِ الطَّرْفِ وَالنَّقْعِ وَاصِيلٌ إِلَى لَهَوَاتِ الْفَارِسِ الْمُتَلَثَّمِ (٥)

كخيل سوابق ، وجعله كأدهم يتقدم تلك السوابق وهن يجرين على آره . يعنى أنه إمام الكرام وسابقهم .

(١) أعر : أى يأدهم أعر ، فهو نعت لأدهم ؛ ويعجد : متعلق بأعر ، وشخصن ردفن أبصارهن ، والرحب ؛ الواسع ومطهمن تام . يقول : إن هذا الأدهم أعر غير أن غرته المجد لا البياض ، وهذه السوابق قد مدت أعينها وراء هذا الأعر تنظر منه إلى خلق واسع وخلق تام الجمال .

(٢) يقول : إذا لم تحسن السياسة فواقفة واحدة في مجلسه - وهو يتعاطى سياسة - الأمور - تكفيك لأن تتعلم منه السياسة .

(٣) راءه : مقولوب « رآه » ؛ والعذر : فاعل يضيق . والمساعي : جمع مسعاة . وهى السعى فى طلب المجد . يقول : من رآه ورأى أفعاله لم يكن له عذرى أن يكون ضعيف المساعى ، قليل الكرم ؛ يعنى منه تتعلم هذه الأشياء ، فمن رآه ولم يتعلمها منه فهو غير معذور ، وقد جعل ابن جنى هذا داخلا فى الهجاء على معنى لم أر مثله فى حسنه ولؤم أصله إذا كان له مسعاة وتكرم فلا عذر لأحد بعده فى تركها كما قال الآخر :

لَا تَبْأَسَنَّ مِنَ الْإِمَارَةِ بَعْدَمَا خَفَقَ اللَّوَاهُ عَلَى عِمَامَةِ جَرُولِ

(٤) يقول : من مثله إذا أحجمت الكنتية - تأخرت - وقل من مجنأ على ورود المجرىة ؛ أى أنه يحث الجبش عند الإحجام ويشجبهه على لقاء العدو . قال الواحدى : والرواية أقدمى - بضم الدال - أى تقدمى : من قدم يقدم إذا تقدم ؛ ومن روى أقدمى - بفتح الدال - فمعناه ردى الحرب - من الورد - من قدم يقدم قدوما .

(٥) الطرف : الفرس ؛ والنقع : الغبار ؛ واللهوات : جمع لهأة ، وهى اللحمة المتندبة فى أقصى الحلق ، وكأنه جمعها على إرادة اللهأة واللوزتين . من باب التغليب . يقول : إذا سطع الغبار وثار حتى وصل إلى لهوات من شد على فمه اللثام اتقاء الهواء والغبار ،

أَبَا الْمِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى الْعِدَا وَآمَلُ هَذَا يَخْضِبُ الْبَيْضَ بِالْأَدَمِ (١)
وَيَوْمًا يَنْفِطُ الْحَاسِدِينَ وَحَالَةً أَقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنْعَمِ (٢)
وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَلِكَ وَمَنْ يُرِذْ مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَابِ يَنْظُمُ (٣)
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي مِضْرَ مَا مِيرَتْ نَحْوَهَا
بِقَلْبِ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ الْمَتِيمِ (٤)
وَلَا تَبَعَتْ خَيْلِي كِلَابٌ قَبَائِلِ كَأَنَّ بِهَا فِي اللَّيْلِ حَمَلَاتٍ دَيْلِمَ (٥)

فهو حينئذ ثابت في المركبة لا يحجم ولا يتأخر ولا يتسرب إليه الفزع . ومن روى الطرف — بفتح الطاء — أى العين ، فمعناه أن عينه لا تبرق (١) ولا يتداخله الفزع .

(١) أبا المسك : أى يا أبا المسك ؛ والبيض : السيف . يقول : أرجو منك أن تصرنى على أعدائى بحسن رأيك وتوثيقى عزا أتمكن به منهم وأخضب سيفى بدمائهم (٢) يقول : أرجو أن أدرك بعزك حالة شقائى فيها عندى مثل التمتع أى أشقى فى حرب الأعداء فأتتم بهذا الشقاء ؛ ويجوز أن يكون للمعنى ؛ أنى أبادل تنعم الأعداء بالشقاء لما أجلب لهم من الحسد لتعمق والتفيط لسكانى فيشققون بى .

(٣) يقول : أنت أهل لأن يرجى لديك ما رجوته ، ولم أضع الرجاء منك فى غير موضعه كمن يرجو مطرا من غير سحاب فيقال له ظلمت — أى وضعت الشئ فى غير محله حين رجوت للطر من غير موضعه .

(٤) المستهام : الذى ذهب على وجهه من عشق ونحوه . والمتيم : الذى ملك عليه الحب أمره واستعبده .

(٥) الديلم ؛ جيل من الترك ، كانت بينهم وبين العرب عداوة ؛ فصار اسمهم عبارة عن الأعداء ، حتى جاء أن الديلم هم الأعداء ، قال عنترة :

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدَّاحِرِضِينَ فَأَصْبَحْتُ زَوْزَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلِمِ (٢)

(١) برق البصر يبرق ، من باب طرب: إذا تحير فلم يطرف .

(٢) قيل إن الديلم فى بيت عنترة ، رجل من ضبة ، وهو الديلم بن ناسك بن ضبة

وَلَا اتَّبَعْتُ آثَارَنَا عَيْنُ قَائِفٍ فَلَمْ تَرَ إِلَّا حَافِرًا فَوْقَ مَنْسِمٍ (١)
وَمِمَّا بَهَا الْبَيْدَاءُ حَتَّى تَفْمَرَّتْ مِنْ النَّيْلِ وَاسْتَدْرَتْ بِظِلِّ الْمُقَطَّمِ (٢)

وقال ابن جنى ؛ سأل أبا الطيب بعض من حضر فقال ، أريد بالديلم الأعداء أم هذا الجبل من العجم ؟ فقال ؛ من العجم . وحملت جمع حملة ، وأمكنه ضرورة . يقول إنه كان يمر بالليل في طريقه إلى مصر على القبائل فتصول كلابها على خيله كأنها أعداء تحمل عليها .
(١) القائف : الذى يقفو الآثار - يقبها - والنسم . خف البعير . يقول : إن الذى اتبعنا واقتفى آثارنا ليردنا عن السير إليك لم ير إلا آثار الإبل والحيل . أى لم يدركنا لسرعة سيرنا ، وكان من عادتهم إذا طالت الرحلة أن يركبوا الإبل ويجنبوا الحيل ، ، فلذلك قال إلا حافراً فوق منسم . أى إلا أثر حافر فوق أثر خف ومن هذا قول مقاس العائذى (١) .

أولى فأولى يا امرء القيس بعدما
خَصَفْنَا بِآثَارِ الْمَطِيِّ الْخَوَافِرَا
[يقال خصفت الإبل الحيل : تبعها]

(٢) فممرت : أى شربت قليلا من النمر ، وهو القدح الصغير ؛ واستدرت . نزلت في ذراه : أى في كنفه وناحيته ؛ والمقطم : الجبل المعروف بمصر . يقول : وممنا البيداء بآثار خيلنا وركابنا - يعنى سرنا في أرض غفل لا أثر بها لسالك فصارت آثار الحيل والإبل كالسمة لها - أى العلامة - حتى وردت النيل - نيل مصر - ففمربت منه دون الرى ، وذلك لأنها وردت الماء مكدودة فقل شربها ، ومنه قول طفيل النضوى :

وذلك أنه لما سار ناسك إلى أرض العراق وأرض فارس استخلف الديلم ولده على أرض الحجاز ، فقام بأمر أبيه وحوض الحياض ، وحس الأحماء ؛ ثم إن الديلم لما سار إلى أبيه أو حشنت داره وبقيت آثاره ، فقال عنترة فى ذلك ما قال ، والده خان همدان حرض ووسيع - ما آن قد حرض لآل الزبرقان بن بدر ووسيع لبني أنف الناقة وقيل أراد عنترة أن عداوتهم كعداوة الديلم للعرب كما قال .

جاءوا يَجْرُؤُونَ البرود جراً صُهَبَ السَّيَالُ يَبْتَغُونَ شراً

أراد أن عداوتهم كعداوة الروم للعرب ، والروم صهب السبال ، وألوان العرب السمرة والأدمة إلا قليلا .

(١) مسهر بن النعمان من بني عائذة ، شاعر نقل مجيد ، وهذا البيت من أبيات نجدها فى « الفضليات »

وَأَبْلَغَ بَعْضِي بِاخْتِصَاصِي مُشِيرَهُ عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيرِي وَلَوْ مِي (١)
 فَسَاقَ إِلَى الْعُرْفِ غَيْرَ مُكَدَّرٍ وَسَعَتْ إِلَيْهِ الشُّكْرُ غَيْرَ مُجْمَعِمٍ (٢)
 قَدْ اخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ فَاخْتَرْتُ لَهُمْ بِنَا
 حَدِيثًا وَقَدْ حَكَمْتُ رَأْيِكَ فَأَخَذَكُمْ (٣)
 فَأَحْسَنُ وَجْهِ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ وَأَيْمَنُ كَفٌّ فِيهِمْ كَفٌّ مُنْعِمٍ (٤)

أَخْنَأَ فَسَمَّاهَا النَّطَافَ فَشَارِبٌ قَائِلًا وَآبِ صَدِّ عَنْ كُلِّ مَشْرَبٍ
 « النطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي - قل أو أكثر - » وسماه الأمر سوما :
 كلفه إياه أو عرضه عليه .

(١) الأبلغ : العظيم في نفسه ، وهو من صفات الملوك ، ويروى بالجيم ، فهو الجليل
 الوجه ، وهو عطف على « المقطم » . وقوله بقصديه : أي بقصدي إياه . يقول :
 واستدرت بظل أبلغ يعصى من يشير عليه بتركي بأن يختصني دون غيره ، كما أني
 عصيت من أشار على بترك المسير إليه . قال الواحدى : يقال إنه أراد بهذا ابن حنزابه -
 جعفر بن الفرات - وزير الأسود حو لم يكن للتنبي مدحه قال ابن جنى : هو مما يجوز
 نقله إلى الهجاء . وابن جنى يحاول دائماً أن يوجه مدائح للتنبي في كافور إلى الهجاء ،
 ولعل له عذراً في ذلك ، وهو أدرى بدهاء التنبي ومكانة كافور لديه .

(٢) العرف : المعروف . والمجمعيم : من قولهم جمعهم كلامه ؛ إذا عماء وستره
 ولم يأت به على الوجه الذى يهتدى إليه . يقول ؛ لم يكدر إحسانه إلى بلان ولم ينفضه
 بالأذى ، فكان شكره صريحاً خالصاً غير مشوب . قال ابن جنى ؛ هذا التنبي يشهد
 بما ذكرته من قلب المدح إلى الهجاء .

(٣) قوله اخترتك الأملاك ؛ يريد اخترتك من الأملاك - الملوك - فغذف « من »
 وأوصل الفعل ، كما في قوله تعالى « واختار موسى قومه سبعين رجلاً » . يقول ؛
 اخترتك من بين ملوك الدنيا ، وآثرتك بقصدي إياك دونهم ، فاخترتهم بنا حديثاً من
 مدح أو هجاء ، بمنع أو حرمان ؛ أى أنهم سيتحدثون بنا وبما كان منا ، فاخترنا تريد ؛
 من ثناء وإطراء بالبر والإعصان أو ذم وهجاء بالبخل والحرمان ، فأنت الحكم
 فيما تختار ؛ يعنى إن أحسنت مكافأتى صوبوا رأيتى فى قصدك ومدحك وإلا شتموا
 بى وذنوك .

(٤) أيمن : من اليمن ، وهو البركة . قال الواحدى : هذا البيت يورى عن هجاء

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً وَأَكْبَرَ إِقْدَامًا عَلَى كُلِّ مُنْظَمٍ (١)
 لِمَنْ تَطَلَّبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرْزَ بِهَا سُرُورَ مَحِبَّةٍ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمٍ (٢)
 وَقَدْ وَصَلَ الْمَهُرُ الَّذِي فَوْقَ فَخْذِهِ مِنْ أَسْمِكَ مَا فِي كُلِّ عُنُقٍ وَمِنْقَمٍ (٣)
 لَكَ الْحَيَوَانُ الرَّابِئُ الْخَيْلَ كُلَّهُ وَإِنْ كَانَ بِالنَّيْرَانِ غَيْرَ مُوسَمٍ (٤)

بقبح الصورة وأنه لا منقبة له يمدح بها ، غير أنه إذا أحسن بالإعطاء فوجهه أحسن الوجوه ويده أيمن الأيدي بالإنعام ، وكذلك البيت الذي بعده .

(١) معظم؛ أى أمر عظيم . قال الواحدي : يريد أنه خال عما يمدح به الملوك من حسب أو نسب أو شرف تليد — قديم موروث — فإن لم يستحدث لنفسه شرفاً بعلوهم وإقدام لم يكن له خصلة يمدح بها .

(٢) لمن : استفهام إنكار . يقول : إنما تراد الدنيا ويتناحر عليها ويتنافس فيها لنفع الأولياء وضر الأعداء وليس تصلح لغير هذين ، قال العكبري : وهذا من قول الحكيم إذا لم تصن بالمال أبناء الجنس ، وتقتل به أعداء النفس فما تصنع بالأعراض ؟

(٣) المصم : موضع السوار من الزند ، يريد أن «المهر» الذى أهداه إليه كان موسوما باسمه ليعلم أنه من خيله ، وأن ذلك غير خاص بالخييل ، فإن كل حيوان موسوم باسمه كذلك يعنى أنه يملك جميع الأحياء ، فكأنهم موسومون باسمه ، وإن لم يوصموا حقيقة — كما كشف عن ذلك في البيت التالى — هذا : والمهر هو الصغير السن من الخيل ، و«الأنى» مهرة وجمع المذكر : أمهار ومهار . ومهارة ؛ وجمع للوث : مهر ومهرات . قال الربيع بن زياد العبسى يمرض قومه في طلب دم مالك بن زهير العبسى ، وكانت فزارة قتله لما قتل حذيفة بن بدر الغزاري :

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
 مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِذَوَى الْحَجَى إِلَّا الْمَطَى تَشَدُّ بِالْأَكْوَارِ
 وَمُحِبَّاتٍ مَا يَذْفَنَ عَذُوقَهُ يَقْدِفْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ (١)
 (٤) أراد بالحيوان الراكب الخيل : الإنسان ؛ والموسم : للعلم . يقول : لك الخيل

(١) المحببات : الخيل تجنب إلى الإبل ويقال ما ذاق عذوقاً ولا عذوفة — بالذال والذال — أى ما ذاق شيئاً .

وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي كَمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا وَصَبَّزْتُ نُثْنَيْهَا أَنْتَظَارَكَ فَأَعْلَمُ (١)
وَلَسَكِنٌ مَا يَمْضِي مِنَ الْعُمْرِ فَأَنْتُ فَجُدْ لِي بِحِطِّ الْبَادِرِ الْمُتَغَنِّمِ (٢)
رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِي مَحَبَّةً وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمَسْلَمِ (٣)
وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فُوَادُهُ فَكَلَّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَنْكَلِمِ (٤)

* * *

وقال يذكر محمى كانت تشاه بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر ، وذلك
في ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

مَلُومُكُمْآ بِحِيلٍ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقَعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ (٥)

ومن يركبها وكل حيوان وإن كانت غير معلمة ، ومراده بالحيل ما هو أعم منها من الحيوان
وإنما خصها بالذكر لكان ذكر المهم .

(١) هذا استبطاء لما يرجوه منه ، يقول : لو كنت أعرف كم مقدار بقاى في الدنيا
لجملت ثلثي ذلك القدار مدة انتظار عطاتك ، وهذا من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِثْقَالٌ يُحْلِدُنَا إِلَى الْمَشِيبِ أَنْتَظَرْنَا سَلْوَةَ الْكَبِيرِ
(٢) البادر : السريع ؛ والمتغنم : الذى يغتنم الشيء : يقول : ما فات من العمر

لا يعود : أى أن ما بقى من الحياة غير طويل ، فإن الماضى غير مستدرک ، فجدى بحظ من
يستعمل ويبادر إلى الأمور ويغتنمها وقت القدرة والإمكان .

(٣) هذا كالعود من عتاب الاستبطاء . يقول : إن كنت ترضى بتأخير ما أرجوه
فأنا أَرْضَى بِهِ أَيْضاً مَحَبَّةً لَكَ ، وانجذاباً إلى هوائك وموافقة لرضاك لأنى قدت نفسى إليك

قود من سلم إليك أمره تصرفه كما تشاء .
(٤) يقول : مثلك فى كرمك وسماحتك يكون فواده وسيطاً بينه وبينى فيكلمه عنى
ولا يجوزنى إلى الكلام .

(٥) الفعالم : بمعنى الفعل . يقول - لصاحبيه اللذين يلومانه على تجشم الأسفار
وإخطاره بنفسه فى طلب المعالى - : ملومكما - يعنى نفسه - أجل من أن يلام ، لأن

فعله يجوز طرق القول ، فلا يدرك فعله بالوصف والقول ، ولائنه لا مطمع للأثم فيه بأن
يطيعه أو يخذعه هو بلومه ، وذهب ابن القطاع إلى أن الكلام : بمعنى الجراحات ، قال

ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِيَامٍ (١)
 فَإِنِّي اسْتَرَيْحُ بِيَدِي وَهَذَا وَأَنْعَبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمَقَامِ (٢)
 عِيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حَرَّتْ عَيْنِي وَكُلُّهُ بُغَامٌ رَازِحَةٌ بُغَامِي (٣)
 فَقَدْ أَرِدُ الْمِيَاةَ بِظَيْرِ هَادٍ سِوَى عَدْيِي لَهَا بَرَقَ النِّغَامِ (٤)

الغنى ملومكا بجل من لو مكا ووقع فعال لومكا فوق الكلام : أى الجراحات ، والكلام بكسر الكاف - جمع كلم -

(١) ذراني : دعاني وازكاني . والفلاة : الصحراء . ونصب الفلاة والهجير لأنهما مفعولان معهما . ووجهي : عطف على «الياء» من ذراني ، والهجير حر نصف النهار يقول : دعاني مع الفلاة أسلكها بنير دليل لاهتدائي فيها وخبرني بمالكها ، ودعاني مع الهجير أسير فيه بنير لثام يقي وجهي ، لأنني قد اعتدت ذلك .

(٢) الإناخة : النزول ؛ والمقام : مصدر ميمي ، بمعنى الإقامة . وقوله بذى وهذا يعنى بالفلاة والهجير . يقول : راحق فيهما وتعني في النزول والإقامة .

(٣) الرواحل جمع راحلة وهى الناقة وبغام الناقة : صوت لا تفصح به ويغتمت الناقة تبغم بغاما : قطعت الحنين ولم تمده ورزحت الناقة : سقطت من الإعياء . قال الواحدى قال ابن جنى : معناه أن حارت عيني ، فانا بهيمة مثل رواحلي ، وعيني عينها وصوتى صوتها ، كما تقول : إن فملت كذا فأنت حمار ، وأنت بلا حاسة ، وزاد ابن فورجه هذا بيانا فقال : يريد أنه بدوى عارف بدلالات النجوم فى الليل ، فيقول إن تحيرت فى المفازة فعينى البصيرة عين راحلقى ، ومنطقى الفصيح : بغامها ، وقال التبريزى : عيون رواحلي تنوب عني إذا ضللت أهتدى بها وصوتها إذا احتجت إلى أن أصوت ليسمع الحى يقوم مقام صوتى ، وإنما قال « بغامى » على الاستعارة .

(٤) يقول : لا أحتاج فى ورود الماء إلى دليل يدلنى سوى أن أعد برقى النمام ، وأستدل بذلك على المطر فأتابع موقعه ، على عادة العرب فى عدها بروق النمام ، وذلك أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين برقة ، وقيل مأه ، فإذا كملت وثقوا بأن البرق برق ما طر ، فرحلوا يطلبون موضع الغيث . قال قائلهم :

سَقَى اللَّهُ جِبْرَانًا حَمْدًا جِوَارِمَ كِرَامًا إِذَا عُدُّوْا وَفَوْقَ كِرَامِ
 يَمْعُدُونَ بَرَقَ الْمُرْنِ فِي كِبَلٍ مَهْمِهِ فَمَا رَزَقَهُمْ إِلَّا بُرُوقُ غَمَامِ

(١٨ - المتنبي ٤)

يُذِمُّ لِمُهَجَّتِي رَبِّي وَسَيِّفِي (١)
 وَلَا أُمْسِي لِأَهْلِ الْبِخْلِ ضَيْفًا (٢)
 فَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خَيْبًا (٣)
 وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ (٤)
 يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي (٥)
 إِذَا احتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الدَّمَامِ (١)
 وَلَيْسَ قَرَى سِوَى مَخِّ الدَّمَامِ (٢)
 جَزَيْتُ عَلَى ابْنِسَامٍ بِابْنِسَامِ (٣)
 لِمَلِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ (٤)
 وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ (٥)

(١) يقال أذم له : أى أعطاه الذمة ، وهى العهد والحفازة ، والمهجة : الروح ، يقول من احتاج فى سفره إلى ذمة ليا من بذلك ، فإنى أكون فى ذمة الله وذمة سيقى يعنى : لا استصعب أحداً فى سفرى لآمن بصحبته .

(٢) وليس قرى : أى وليس لى قرى . فخبير « ليس » محذوف ، والجملة : حال . يقول : لا أمسى ضيفاً للبخيل وإن لم يكن لى طعام البتة - لأنه لا مخ للدعام - ويجوز أن يريد بهذا أن البخيل لاقرى عنده ، ويروى مخ - بالحاء المهملة - وهو صفة البيض وقيل ما فى جوف البيض من أصفر وأبيض كله مخ . والمعنى على هذا لو لم يكن لى قرى سوى بيض الدعام شربته ولم آت بخيلاً .

(٣) الحب ، الخداع . يقول : لما فسد ود الناس وصار خداعها يبشون يوجههم وكشهم منطو على الحبت عاملتهم بمثل ما يعاملوننى به ؛ فهم يكاشروننى وأنا أكاشرم أى ابتسمت إليهم كما يبتسمون إلى .

(٤) يقول : لعموم الفساد فى الخلق كلهم صرت إذا اصطفت - اخترت - أحداً لمودنى لم أكن على ثقة من مودته لعملى أنه من جملة الخلق . حكى عن التنبى أنه قال : كنت إذا دخلت على كافر وأنشده يضحك إلى ويبش فى وجهى حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحك بعدهما فى وجهى إلى أن تفرقتنا . فعجبت من فطنته وذكائه .

(٥) الوسام والوسامة : حسن الصورة . يقول : العاقل إنما يحب من يحبه لأجل صفاء الود بينهما . فمن أصفى له الود أحبه ، أما الجاهلى الأحمق فإنه يحب على جمال الصورة ، وذلك حب الجهال - الحمقى - لأنه ليس كل جميل المنظر يستحق المحبة كخضراء الدمن (١) رائق اللون وبني المذاق .

(١) أصل الدمن : ما تدمنه الإبل والغنم من أبقارها وأبوالها - أى تلبده فى مراتبها فربما نبت فيها النبات الحسن النضير وأصله من دمنة ، فذلك النبات هو خضراء الدمن وفى الحديث « إياكم وخضراء الدمن » ، قيل : وما ذاك يارسول الله قال : المرأة الحسناء

وَأَنفُ مِنْ أُخِي لِأَبِي وَأُمِّي إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ (١)
 أَرَى الْأَجْدَادَ تَفْلِحُهَا كَثِيرًا عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّئَامِ (٢)
 وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَأْسُ أُعْزَى إِلَى جَدَّةٍ مُهَامِ (٣)
 عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ وَيَذْبُو نَبْوَةَ الْقَضِمِ الْكُهَامِ (٤)
 وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي فَلَا يَذُرُّ الْمَطَىٰ بِلَا سَنَامِ (٥)
 وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَقَنْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ (٦)

(١) آنف : أى استنكف . وقوله لأبى وأمى : حال ؛ أى مولودا لهما - يعنى الأخ الشقيق -

(٢) يقول . إذا لؤمت الأخلاق غلبت الأصل الطيب الكريم حتى يكون صاحبها لثما وإن كان من أصل كريم ، كما قال آخر :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانِ غَيْرَ نَجِيبِ
 وقال آخر :

لئن فخرتَ بأبَاءِ لَمْ تُشْرَفْ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وُلِدُوا

(٣) أعزى : أنسب . والهمام : السيد الشجاع السخى . يقول : لا أقع من الفضل بأن أنسب إلى جد فاضل ، يعنى إذا لم أكن فاضلا بنفسى لم يعن عنى فضل جدى (٤) القد : القامة ، وحد : أى حد السيف . يريد بمن له قد وحد : انشاب الذى لم يهدم الهرم جسمه ولم يذهب الكبر بقوته ، وبنا السيف : كل عن الضريبة ، والقضم السيف الذى فيه فلول ؛ والكهام : الذى لا يقطع . يقول : عجبت لمن توافرت له قوة الشباب وبأسه ثم لا ينفذ فى الأمور ولا يكون ماضياً .

(٥) المطى : الإبل ؛ والسنام : ما شخص من ظهر البعير . يقول : وعجبت لمن وجد الطريق إلى معالى الأمور فلا يبادر إلى قطعها ليصل إليها ، ولا يتعب مطاياها فى ذلك الطريق حتى تذهب أسنمتها .

(٦) يقول : ولا عيب أبلغ من عيب من قدر أن يكون كاملا فى الفضل فلم يكمل : فى المنبت السوء ، شبه المرأة بما ينبت فى الدمن من السكلا له غضارة وهو وبيء المرعى متى الأصل .

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلَا وَرَأَى تَحُبُّ بِي اللَّطِيءُ وَلَا أُمَامِي (١)
 وَمَلَسَنِي الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنِي يَمَلُّ لِقِيسَاءَهُ فِي كُلِّ عَامٍ (٢)
 قَلِيلٌ عَائِدِي سَقَمِ فَوَادِي كَثِيرٌ حَاصِدِي صَمْبِ مَرَامِي (٣)
 عَالِلُ الْجَنَمِ مُتَمَنِّعُ الْقِيَامِ شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمَدَامِ (٤)
 وَزَأَرْتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ (٥)
 بَدَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبْتُهَا وَبَاتَتْ فِي ظِلِّي (٦)
 بِضِيقِ الْجِلْدِ عَن نَفْسِي وَعَنْهَا فَتَوَسَّعْتُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ (٧)
 إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَّ لَتَنِي كَأَنَّهَا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ (٨)

أى لا عذر له في ترك الكمال إذا قدر على ذلك ثم تركه، والعيب ألزم له من الناقص الذى لا يقدر على الكمال . يشير بهذه الايات إلى نفسه ويعرض بالرحيل عن مصر .
 (١) الحجب : ضرب من السير ؛ والركاب : الإبل . يقول : أقمت بمصر لا تسيرى الإبل إلى خلف ولا إلى قدام ، يعنى أنه لزم الإقامة بها لا يريم .

(٢) يقول : إن مرضه قد طال حتى مله الفراش وكان هو يمل الفراش وإن لاقاه جنبه في العام مرة واحدة ، لأنه أبدأ كان يكون على سفر .

(٣) يقول : إني بمصر غريب فليس يعودني بها إلى القليل من الناس، وفوادي سقيم لتراكم الأحزان على ، وحصادي كثير لوفور فضلي ، ومرامي - مطاي - صعب لأى أطلب الملك .

(٤) قوله من غير اللدام : أى أنى سكران من غير خمر ، وإنما من الضعف والهجوم
 (٥) وزأرتي : أى ورب زائرة لى - يريد الحمى وكانت تأنيه ليلا - يقول : كأنها حية إذ كانت لا تزورنى إلا في دجنات الظلام .

(٦) المطارف : جمع مطرف ، وهورداء من خز في جنبه علمان . والحشايَا : جمع حشية ، وهى ما حشى من الفراش مما يجلس عليه . وعاقبتها : كرهتها وأبتها . يقول : هذه الزائرة - يعنى الحمى - لا تبيت في الفراش ، وإنما تبيت في عظامى .

(٧) يقول : جلدى لا يسمعها ولا يسمع أنفاسى للصعداء ، والحمى تذهب لحمى وتوسع جلدى بما تورده طى من أنواع السقام .

(٨) قال الواحدى : يريد أنه يعرق عند فراقها ، فكأنها تغسله لعكوفها على ما يوجب

- كَانَ الصَّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي مَدَامِهَا بَارِبَةً سِجَامَ (١)
 أَرَأَيْبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقِبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ (٢)
 وَيَصْدُقُ وَعْذَهَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ إِذَا أَلْفَاكَ فِي الْكُرْبِ الْعِظَامِ (٣)
 أَبْنَتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتَ أَنْتِ مِنَ الزَّحَامِ (٤)
 جَرَحْتَ مُجْرَحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ لِلشُّيُوفِ وَلَا السَّهَامِ (٥)
 أَلَا يَأَلَيْتَ شَمْرَ يَدِي أُنْمِسِي تَهَرَّفُ فِي عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ (٦)

النسل ، وإنما خص الحرام للفاقية ، وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام في وجوب النسل. وقال ابن الشعري: وإنما خص الحرام لأنه جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة ولا مملوكة .

(١) سجم الدمع: سال انسكب : أى باربعة أدمع . يقول : إنها تفارقه عند الصبح ، فكان الصبح يطردها وكأنها تسكره فراقه فتبكي باربعة أدمع . يريد كثرة الرضاء وهو عرق الحمى ، والدمع يجرى من اللوقين ، فإذا غلب وكثر جرى من اللعاطين أيضا . اللوق . طرف العين مما يلي الأنف ؛ واللعاط : طرفها مما يلي الصدغ .

(٢) يقول : إنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفا لا شوقا
 (٣) يقول : إنها صادقة الوعد في الورود - لأنها لا تتخلف عن ميعاتها - وذلك الصدق شر من الكذب لأنه صدق يضر ولا ينفع ، كمن أوعد ثم صدق في وعده .

(٤) يريد بينت الدهر : الحمى ؛ وبنات الدهر . هدامه . يقول : للحمى - : عندي كل نوع من أنواع الشدائد ، فكيف لم يمنك ازدحامها من الوصول إلى ؟ وهذا من قول الآخر :

أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ قَلَمُ أَخْلَصُ إِلَيْهِ مِنَ الزَّحَامِ
 (٥) يقول : لقد جرحت رجلا من كثرة ملاقاته الحروب لم يبق فيه مكان لضرب السيوف ولا للسهام .

(٦) يقولون ليت شعري ما حال فلان ؟ أى ليتنى أشعر ؛ وخبر « ليت » محذوف : أى ليت شعري حاصل ونحوه ؛ والعنان : بهير اللجام ، والزمام : للقدود . يقول : ليت يدي علمت هل تتصرف بمد هذا في عنان خيل أو زمام إبل ؟ يعنى ليتنى علمت : هل أصح وأبرا فاسافر على الخيل والإبل ؟

وَهَلْ أُرْمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتٍ مُحَلَّاتٍ الْمَقَاوِدِ بِاللِّغَامِ (١)
 فَرُبَّمَا شَنَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي بِسَيْرٍ أَوْ قَفَاةٍ أَوْ حُسَامٍ (٢)
 وَضَاقَتْ خُطَّةٌ تَخَلَّصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ النَّخْمَرِ مِنْ نَسِجِ الْفِدَامِ (٣)
 وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامٍ (٤)

(١) هواى : يعنى ما يهواه ويطلبه ، وبراقصات : أى يبذل تسير الرقص ، وهو ضرب من الحبيب ، يقال رقص البعير رقصا إذا خب ؛ ومحلاة : من الحلية ؛ واللغام : زبد يخرج من فم البعير . يقول : وهل أقصد ما أهواه من المطالب والمقاصد يبذل تسير الرقص وقد حمد الزبد على مقاوده وانصار عليها مثل الحلى الفضية ؟ وهذا كما قال منصور النخري :

وَيَقْطَعُ الْبَيْدَ مِنْهَا كُلَّ يَعْظَلَةٍ خُرْطُومُهَا بِاللِّغَامِ الْجَعْدِ مُلْتَفِعُ (١)

(٢) الغليل : العطش ، ويراد به كل ما حز في الصدر ، والقفاة : الرمح . والحسام : السيف القاطع . يقول : إنه لما كان صحيحا كان يسافر ويقاوم فيسقى غليله بالسير إلى ما يهواه ، وبالسيف والرمح .

(٣) الخططة : الأمر والقصة ، والفدام : ما يجعل طى فم الإبريق ونحوه ليصق به ما فيه . يقول : ربما ضاق أمر على فخلصت منه كما تخلص الحجر من النسيج الذى تشد به أفواه الأبريق .

(٤) يقول : وربما فارقت الحبيب بلا وداع لمعجلى ؛ يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها فلم يقدر على توديع الحبيب ولا طى أن يسلم على أهل ذلك البلد الذى هرب منه .

(١) لغام جعد : متراكب مجتمع ، وذلك إذا صار بعضه فوق بعض على خطم البعير أو الناقة ، يقال : جعد اللغام ، قال ذو الرمة :

تَنْجُوا إِذَا جَعَلَتْ تَدْمَى أَحْشَتَهَا وَانْغَمَّ بِالزَّبْدِ الْجَعْدُ الْخِرَاطِيمُ
 « تنجو : تسرع السير ، والنجاء : السرعة ، وأحشئها جمع خشاش ، وهى حلقة تكون فى أنف البعير » .

يَقُولُ لِي الطَّيِّبُ أَكَلَتْ شَيْئًا
وَمَا فِي طَبِّهِ أُنِّي جَوَادٌ
تَعَوَّدَ أَنْ يُفْتَرَّ فِي السَّرَايَا
فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيْرَعِي
فَإِنْ أَمْرَضُ فَمَا مَرَضَ اضْطِبَّارِي
وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ
وَلَمَّا أُنْمِمَ فَمَا حَمَّ اعْتِرَازِي
وَلَمَّا أَسْلَمَ فَمَا أُنْبِي وَلَسِكِنِ
وَدَاوُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ (١)
أَضَرَ بِجَسْمِهِ طُولُ الْجِمَامِ (٢)
وَيَدْخُلُ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامِ (٣)
وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ (٤)
وَلَمَّا أُنْمِمَ فَمَا حَمَّ اعْتِرَازِي (٥)
سَلِمْتُ مِنَ الْجِمَامِ إِلَى الْجِمَامِ (٦)

(١) و (٢) الجمام: الراحة. يقول: إن الطيب يظن أن سيب دأى الأكل والشرب فيقول: أكلت كذا وكذا مما يضر، وليس في طبه أن الذي أضر بجسمي طول لبني وقعودي عن الأسفار، كالفرس الجواد، يضر بجسمه طول قيامه في اللرابط، فيفتر وينى.

(٣) السرايا: جمع سرية، وهى القطة من الجيش تسرى إلى العدو؛ والقمام: الغبار وأزاد بدخول القمام: حضور الحرب. يقول: تعود هذا الجواد - يعنى نفسه أن يثير الغبار في الجيوش ويخرج من حرب فيدخل في غيرها.

(٤) فأمسك: أى الجواد. ولا يطال له: أى لا يرعى طوله، وهو جبل طويل تشد به قامة الدابة وترسل في المرعى. يقول: أمسك هذا الجواد لا يرعى له الطول فيرعى فيه ولا هو في السفر فيعتف من الخلاة - التى تعلق على رأسه - وليس هو في اللجام. وهذا مثل ضربه لنفسه، وأنه حليف الفرائس، ممنوع عن الحركة، وجائز أن يكون هذا الثلث قد ضربه لحالته مع كافور.

(٥) أحمم: من الحمى. يقول: إن كنت قد مرضت في بدنى فإن صبرى وعزى باقيا على ما كانا عليه لم يمرضنا بمرض جسمى.

(٦) الحمام: اللوت. يقول: وإن سلمت من الحمى لم أبق خالدا، ولسكنى أسلم من الموت بها إلى اللوت بغيرها، وهذا قريب من قول طرفة بن العبد:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَ الطَّوِيلُ الْمُرْحَى وَتِنْدِيَاهُ بِالْيَدِ (١)

(١) الطول: الجبل الطويل جدا، أو جبل طويل تشد به الدابة ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترحى.

تَمَتَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمُلْ كَرْمِي تَحْتَ الرَّجَامِ (١)
فَإِنَّ لِنَثَائِكَ الْحَالَيْنِ مَعْنَى سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَقَامِ (٢)

وقال يهجو كافوراً :

مِنْ أَمِيَةِ الطَّرْقِ يَأْتِي نَحْوَكَ الْكَرْمُ
جَازَ الْأَلَى مَلَكَتْ كَمَا كَ قَدْرَهُمْ
أَيْنَ الْمَاحِمِ يَا كَافُورُ وَالْجِلْمُ (٣)
فَمَرُّوْا بِكَ أَنَّ الْكَلْبَ فَوْقَهُمْ (٤)

ومن قول الآخر

إِذَا بَلَ مِنْ دَاءٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجَاوَبِهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ (١)

(١) السهاد . السهر والكرمى . يريد به النوم ، والرجام . القبور - واحدها رجم وأصلها حجارة ضخام تجعل على القبر ، ومنه قول عبد الله بن مفضل : لا ترجوا قبورى أى لا تجعلوا عليه الرجم - أى لا تسنموه بل سووه بالأرض . يقول : مادمت حياتم مع من حالى السهر والنوم ولا ترج النوم فى القبر : وفيه نظر إلى قول الآخر .

تَمَتَّعَ بِالرُقَادِ عَلَى شِمَالِ فَنَوْمُكَ قَدْ يَطُولُ عَلَى الْيَمِينِ

(٢) يريد بثالث الحالين . الموت . يقول : إن الموت حال غير حالى السهر والنوم

فلا يتمتع فيه بشئ .

(٣) الماحم . جمع الحجمة ، وهى القارووة يحجم بها الجلد . والجلم . أحد شقى المقرض وهما جلدان . يقول . لا طريق للكرم إليك ، فإنك لست منه فى شئ ، إنما أنت أهل لأن تكون حجما - مزينا - فأين آلة الحجامة حتى تشتغل بها ؟ وفيه إشارة إلى أن الذى اشتراه قديما كان حجما .

(٤) الألى . أى الدين ؛ وقدرهم ؛ مفعول « جاز » . يقول : إن هؤلاء الذين تملكهم قد تجاوزوا قدرهم بالبطر والظنيان . فللك الله عليهم تحقيرا لهم ووضعنا من قدرهم ، حين ملكهم كلب .

(١) بل : برا وصح . والداء الذى هو قاتله : الهرم .

لَا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ خَلِّ لَهُ ذَكَرٌ
سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نَفُوسِهِمْ
أَغَايِبَةُ الدِّينِ أَنْ تُخْفُوا شَوَارِبَكُمْ
أَلَا فَتَى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ
فَأَنَّهُ حِجَّةٌ يُؤَاذِي الْقُلُوبَ بِهَا
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُجْزِيَ خَلِيقَتَهُ
تَقُودُهُ أُمَّةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمٌ (١)
وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعْبُدُ الْقَزَمُ (٢)
يَا أُمَّةَ ضَحِكْتَ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَّةُ (٣)
كَيْمًا تَزُولُ شُكُوكُ النَّاسِ وَالْتِهَمُ (٤)
مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالْتَعَطِيلُ وَالْقِدَمُ (٥)
وَلَا يُصَدِّقُ قَوْمًا فِي الدِّي زَعْمَرًا (٦)

(١) قال الواحدى . يريد بالفحل ذى الذكر . رجاله عسكروه ، وبالأمّة التي لارحم لها . الأسود - كافورا - بوجهم بانقيادهم له ، يقول : لاشيء أقبح في الدنيا من رجل ينفاد لأمّة حتى تقوده إلى ما تريد ؛ وقال ابن فورجه ؛ يريد أن ابن طنجخ فحل له ذكر وكافورا خصى ، فهو كالأمّة من حيث إنه خصى لكنه قد خالفها بكونه لارحم له ، فكأنه أنقص من أمّة ، فهذا إغرابه ، يقول : لم تملكه أمرك وأنت فحل وهو أمّة في العجز ودناءة القدر ؟

(٢) القزم : رذال الناس وسفلتهم ؛ يستوى فيه الذكر والمؤنث والواحد والجمع ، وروى ابن جنى : القزم - بضمّتين - وهو جمع ، مثل أسد وأسد . وهذا إغراء لأهل مملكته به . يقول : كل جيل وأمّة يملكهم من هو من جنسهم ، فكيف ساد المسلمين عبيد رذال لثام ؟

(٣) أحق شاربه : استأصله . يقول - لأهل مصر - : لاشيء عندكم من الدين إلا إحقاء الشوارب حتى ضحكت منكم الأمم ، وهذا إنكار عليهم طاعة الأسود وتقريره في المملكة .

(٤) الهندي : السيف ، نسبة إلى الهند ، والهامة : الرأس ؛ يحرض على قتله ، يقول ألا رجل منكم يقتله حتى يزول عن العاقل الشك والتهمة ؟ وذلك أن تملك مثله يشكك العاقل في حكمة البارى - جل شأنه - حتى يفضى به إلى أن يظن أن الناس معطلون عن صانع يدبرهم .

(٥) يقول : إن الدهرى يقول لو كان للعالم مدير وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم : لما ملك هذا العبد .

(٦) ولا يصدق قوما : أى لا يجعلهم صادقين . يقول - كما قال الواحدى - : إن الله

وقال يهجوهُ أيضاً :

أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الِهُمُومُ (١)
 أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَكَانٌ يُسْرَهُ بِأَهْلِهِ الْجَارُ الْمُقِيمُ (٢)
 تَشَابَهَتِ الْبَهَائِمُ وَالْمَيْدَى عَلَيْنَا وَالْمَوَالِي وَالصَّمِيمُ (٣)
 وَمَا أَدْرَى أَذَا دَاءِ حَدِيثُ أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَلَا قَدِيمُ (٤)
 حَصَلَتْ بِأَرْضِ مِصْرَ عَلَى عَيْدِ كَأَنَّ الْحُرَّ بَيْنَهُمْ يَنْبِئُ (٥)
 كَأَنَّ الْأَشْوَدَ اللَّابِي فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَحْمٌ وَبُومُ (٦)

تعالى قادر على إخراج الخليقة بأن يملك عليهم اثماً ساقطاً من غير أن يصدق الملاحدة الذين يقولون بقدم الدهر . يشير إلى أن تأمير مثله إخراج الناس ، وأن الله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم وليس كما يقول الملاحدة ، وذهب بعضهم إلى أنه يحتمل أن يكون المراد أن الله قادر أن يخزي الملحدين ويكذب زعمهم بأن يسلط عليه - على كافر - من يقتله ويبطل حجبتهم .

(١) يشكو خلو الدنيا من الكرام يقول : أما فيها كريم يؤنس به ويستروح إليه وتزول به الهموم ؟

(٢) يقول : إن كل الأمكنة التي وصل إليها قد عمها الأثوم والأذى ، ليس في الدنيا مكان يحفظ أهله الجار ويرعونه فيسر بحوارهم ؟

(٣) العبدى : العبيد ، جمع عبد ، والمراد بهم هنا : العباد - أى الناس - ولوالى جمع مولى ، المملوك ، والصميم : الصريح النسب الخالص . يقول : عم الجهل الناس كلهم الذين هم عبيد الله - حق التبتسوا علينا بالبهائم ؛ إذ أشبهوها في الجهل ، وملاك المملوكون فالتبس الصميم - الأحرار - بالموالى - أى الذين كانوا عبيدا أرقاء - وذلك أن نفاذ الأمر يترجم عن علو القدر . والإمارة إذا صارت إلى اللثام : التبتسوا على هذا الأصل بالكرام ، يعنى أن التملك إنما يستحقه الكرام ، فإذا صار إلى اللثام ظنوا كراما (٤) يقول : لست أدري أهذا الذى أصاب الناس من تملك العبيد واللثام : عليهم حدث الآن ، أم هو قديم كان قبلنا فيما تقدم ؟

(٥) يعنى : أن الحر بينهم محفو مهان كاليتيم .

(٦) اللابى : نسبة إلى اللاب ، بلد بالنوبة ، ويقال أسود لوبى ونوبى : نسبة إلى

أَخَذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهْوًا مَقَالِي لِلْأَخْيَمِيِّ يَاحْلِمٍ (١)
 وَمَلَا أَنْ هَجَوْتُ رَأَيْتُ عِيَا مَقَالِي لِابْنِ آوَى يَا لَثِيمٍ (٢)
 قَهَلٌ مِنْ عَازِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا قَدْفُوعٌ إِلَى السَّقَمِ السَّقِيمِ (٣)
 إِذَا أَتَتِ الْأِسَاءُ مِنْ لَثِيمٍ وَلَمْ أَلَمْ الْمُسَيءَ فَمَنْ أَلُومٍ (٤)

ودخل عليه صديق له بالكوفة وبيده تفاحة ندى عليها اسم فانتك ، وكانت مما أهدها له ، فاستحسنها الرجل ، فقال المتنبي :
 يُدَكِّرُنِي فَاتِكَا حِلْمُهُ وَشَيْءٌ مِنَ النَّدَى فِيهِ اسْمُهُ (٥)

اللوبة والنوبة ، وهما في الأصل : الأرض التي ود ألبستها حجارة سود . واليوم : الطائر المعروف الذي يسكن الحراب ، وبه يضرب المثل في الشؤم والرخم : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . شبه الأسود بالفراب — وهو طير خميس كثير الصيوب وشبه أصحابه أيضا بحساس حول الفراب .

(١) أخذت : رواها الواحدى بصيغة المجهول . قال : أى أكرهت ، وتروى أخذت بصيغة المعلوم — أى شرعت ؛ و« لهواً » مفعول ثان مقدم ؛ ومقالى : مفعول أول . يقول : أكرهت على مدحه فرأيتنى لاهيا . أن أصف الأحمق بالحلم وأن أمدحه بما ليس فيه .

(٢) ولما أن هجرت : أى ولما هجوت : ف « أن » زائدة . والى : ضد الفصاحة : عبي في منطقه عيا : إذا لم يوفق إلى التعبير عما في نفسه — وابن آوى : ضرب من الكلاب البرية تنذر بالسبع بصياحها . يقول : ولما هجوته وهو ظاهر اللؤم ؛ كان نسبق إياه إلى اللؤم عيا ، لأن التكلم بما لا يحتاج فيه إلى بيان : عى ، ومن قال لابن آوى — وهو من الأم السباع وأخسها — بالثيم ، كان متكلفاً .

(٣) يقول : فهل من عاذر لى يقوم بعذرى فى مدحه وهجائه — فإنى كنت مضطراً لم يكن لى فيهما اختيار ، كالتقم يطرأ على السقيم من غير اختياره ؟
 (٤) يعتذر من تكلفه هجاءه يقول : إذا أساء إلى وضيع لثيم ولم أوجه اللوم إليه فإلى من أوجه ؟ وهذا من قول أبى تمام :

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَنَرَاتِ دَهْرٍ أُصِيتُ بِهِ الْغَدَاةَ فَمَنْ أَلُومٍ
 (٥) الند : عود يتبخربه ؛ والضمير فى « اسمه » : لفاتك .

وَأَسْتُ بِنَاسٍ وَلَكِنِّي يُجِدُّ لِي رِيحَهُ تَمَّهُ (١)
 وَأَيُّ فَتَى سَلَبَنِي الْمَنُونُ وَلَمْ تَذِرْ مَا وَلَدَتْ أُمُّهُ (٢)
 وَلَا مَا تَضُمُّ إِلَى صَدْرِهَا وَلَوْ عَلِمْتَ هَالِمًا ضَمُّهُ (٣)
 بِمَصْرَ مُلُوكٍ لَمْ مَالَهُ وَلَكِنَّهُمْ مَا لَمْ هُمُ (٤)
 فَأَجُودٌ مِنْ جُودِهِمْ بَخْلُهُ وَأَحْمَدُ مِنْ خَدِيمِهِمْ ذَمُّهُ (٥)
 وَأَشْرَفُ مِنْ عَيْشِهِمْ مَوْتُهُ وَأَنْفَعُ مِنْ وُجْدِهِمْ عُدْمُهُ (٦)
 وَإِنْ مَنِيَّتُهُ عِنْدَهُ لَسَكَتَ لِحْمِ سَقِيهِ كَرَمُهُ (٧)

(١) الضمير في « ريحه » : لفاتك ؛ وفي « تممه » : لند.

(٢) المنون : اللوت ؛ وأمه : تنازعه كل من « تدر » و « ولدت » أي لم تدر أمه ما ولدت .

(٣) هالما : أفزعها . يقول : لو علمت أمه التي كانت تضمه إلى صدرها في صغره أنه شجاع فأتاك قتال : لفزعت منه ولهاها ضم ذلك الولد إلى صدرها .

(٤) قوله بمصر ملوك : يعرض بكافور ، وهمه — أي همته — يقول : إن لم مالا كثيرا مثل ماله ولكن ليس لهم مثل علو همته ، وهذا من قول أشجع السلمي :
 وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ
 وقول الآخر :

وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفَتِيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَوْسَعَهُمْ ذِرَاعًا

(٥) يقول : إذا بخل كان أجود منهم ، وإذا ذم كان أحمد منهم . وقال العكبري :
 للمعنى أنه لا يبخل بشيء تمتد يده إليه ، فإذا لم يجد شيئا يبغىه كان يعدمه من نفسه بخلا .
 قال : وقوله أحمد من أحدم : أي لا يذم إلا بالأسراف في الجود والمخاطرة بنفسه في الإقدام ، وهذا أحمد من حدم .

(٦) الوجد : الغنى ؛ والعدم : الفقر . يقول : إنه وهو ميت أشرف منهم وهم أحياء ، وهو في حال عدمه أنفع منهم وهم أغنياء ؛ لأنه كان يجود بما يجد ، وهم يبخلون مع الوجد والغنى ؟

(٧) اللية : الموت ؛ والحمر : تذكر وتؤنث ، فن ذكرها ذهب بها إلى التبيذ . يقول إن اللية كانت منه تنبت في الناس ثم عادت عليه فأهلكته ؛ وبصارة أخرى : إنه كان

فَذَاكَ الَّذِي عَبَّه مَأْوَاهُ وَذَاكَ الَّذِي ذَاقَهُ طَمَنَهُ (١)
وَمَنْ ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ حَرَى أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمَهُ (٢)

وقال يذكر مسيره من معر و برنى فانسكا ، وأنشأها بوم الثلاثاء لتسع خلون
من شعبان سنة ٣٥٢ :

حَتَامَ نَحْنُ نَسَارِي النَّجْمِ فِي الظُّلْمِ وَمَا سُرَاهُ حَلَى خُفِّ وَلَا قَدَمِ (٣)

يسقى المنية لأعدائه ، فلما مات سقيها ، فكانت في ذلك كالحجر التي أصلها الكرم ومنه
خرجت . ثم عادت فسقيها الكرم وردت إليه .

(١) عبه : جرحه وشربه ، قال ابن جنى : يعنى أن الزمان أتى من موته بما فيه تقضى
العادة ، وذلك أن الماء مشروب لا شارب ، والطعم مذوق لا ذائق ، فموته كاتقلاب الأمر
وهو أن يحب الماء مع كونه مشروباً ، ويذوق الطعم مع كونه مذوقاً . وقال ابن فورجه
عند ابن جنى أن الضمير في « عبه » لفاتك ، وكذلك الماء في « ذاقه » - حلى ما ذكر
في تفسيره - وليس كذلك ، لأنه قد قال في البيت الذي قبله : إن اللوت الذي أصابه هو
بمنزلة الحجر سقيها الكرم : أى كانت المنية مما يسقيه الناس بسيفه فصارت شراباً له ، ثم
قال : فذاك الذي عبه - يعنى الحجر - هو ماء الكرم فعبه ، وذلك الذي ذاقه هوللوت
وهو طعم نفسه الذي كان يموت به الخلق ؛ قال الواحدي : والمعنى حلى ما قاله ابن فورجه
لكنه لم يبينه بياناً شافياً ، والمعنى أن هذا مثل ، وهو أن الكرم إذا سقى الحجر فشربه فقد
شرب ماء نفسه ، والذي ذاقه من طعم الحجر هو طعم الكرم : كذلك موت « فاتك »
لما أهلكه . فشرب شراب اللوت وذاق طعمه ، فكأنه شرب شراب نفسه وذاق طعم
نفسه .

(٢) حرى : أى خليق وجدير . يقول : إن من ضاقت الأرض عن همته لخليق
أن يضيق جسمه بهمته فلا يسعها ، وإذا لم يسعها ولم يطق احتمالها هلك ، لعظم ما يطلبه
كما قال الآخر :

* كَلَى النُّفُوسِ جِنَايَاتٍ مِنَ الْمِيمِ *

(٣) حتام : هى « حق » و « ما » ، حذف ألف « ما » لامتزاجها بـ « حق » - وكثرة

وَلَا يُحْسُ بِأَجْفَانٍ يُحْسُ بِهِنَّ فَقَدَ الرَّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنْبَمِ (١)
 تَسْوَدُّ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا وَلَا تَسْوَدُّ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللَّمَمِ (٢)
 وَكَانَ حَالَهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَوْ أَحْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكْمِ (٣)
 وَتَرَكُ الْمَاءَ لَا يَنْفَكُ مِنْ سَفَرٍ مَا سَارَ فِي الْقَيْمِ مِنْهُ سَارَ فِي الْأَدَمِ (٤)
 لَا أَبْيَضُ الْعَيْسَ لَكِنِّي وَقَيْتُ بِهِ قَلْبِي مِنَ الْحُزْنِ أَوْ جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ (٥)

استعمالها، ويجوز إثباتها على الأصل. ونسارى: تفاعل — من السرى وهو السير
 ليلاً — والنجم: اسم جنس — أى النجوم — قال تعالى « وبالنجم هم يهتدون »، والواو
 من « وما سراه » — حالية، والخف للبعير: بمنزلة الحافر للذابة. يقول: إلى مق نسرى
 مع النجوم فى ظلم الليل وليست تسرى هى على خف — كالإبل — ولا طلى قدم كالناس
 أى أن النجوم لا يصيبها السكلا من السرى كما يصيبنا ويصيب مطايانا.

(١) فاعل « يحس » الأولى؛ يعود على « الفجم »، وفاعل « يحس » الثانية:
 غريب. يقول: إن النجوم لا يؤثر فيها عدم النوم كما يؤثر فى رجل بعيد على أهله بات
 يسرى ساهراً: يعنى نفسه.

(٢) العذر: جمع عذار، وأصلها، عذر « بنم الذال » ولكنه أسكنها هنا ط لفة
 والعذار: جانب اللحية « أى الشعر الذى يحاذى الأذن » والمم: جمع لمة، وهو الشعر
 المجاوز شحمة الأذن والذى يلم بالنكب. يقول: إن الشمس تغير ألواننا فتسود ووجوهنا
 البيض؛ ولكنها لا تؤثر ذلك التأثير فى شعورنا البيض، وهذا من قول أبى تمام:

تَرَى قَسَمَاتِنَا تَسْوَدُّ فِيهَا وَمَا أَخْلَقْنَا فِيهَا بِسَوْدُ

« القسما — بفتح السين وكسرها — الوجوه »

(٣) الحكيم: الحاكم؛ واحتكنا: تحاكنا. يقول: لو احتكنا إلى حاكم من حكام
 الدنيا لحكم بأن ما يسود الوجه يسود الشعر، ولكن الله قضى بأن الشمس إنما تسود
 الوجه ولا تسود الشعر، ومن ثم لا تجرى فى شأنها على أحكام الناس.

(٤) الأدم — بفتحين وبضمين — جمع أديم وهو الجلد المدبوغ. يقول: ونجعل
 الماء لا يزال مسافراً؛ إما فى السحاب، وإما فى قربنا، لأننا نغترفه من السحاب فتودعه
 روايانا.

(٥) العيس: الإبل. يقول: ليست الإبل بيغضة إلى، فليس إتاعى إياها فى السفر

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا حَتَّى مَرَقَنَ بِنَاءً مِنْ جَوْشٍ وَالْعِلْمِ (١)
تَبْرِي لَهْنٌ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةٌ تَعَارِضُ الْجُدُلَ الْمُرَخَّاةَ بِاللُّجْمِ (٢)

بنضا لها منى ، ولكنى أسافر عليها لأقى قلبى من الحزن أو جسر من السقم ، وذلك أن السقيم إذا غير الهواء والماء وسافر صح جسمه ، وكذلك المهزون : يتنسم بروح الهواء أو يصير إلى مكان يسرفيه بالإكرام .

(١) أيديها وأرجلها : أى العيس ، وأسكن البناء فى « أيديها » ضرورة كقول الراجز يصف إبلا بالسرعة :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي نِسَاءٍ يَتَعَاظِنَ الْوَرِقِ (١)
ومرقن : أى خرجن - من مرق السهم من الرمية : إذا خرج من الجانب الآخر وجوش والعلم : مكانان يقول : حثتها على السير وأعجلها حتى كأن أرجلها طاردة لأيديها ، كما قال بعض العرب :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا طَرِيدَانِ وَالرَّجْلَانِ طَالِبَتَا وَتَرِ (٢)
وذلك أن اليد أمام الرجل كالطرود يكون أمام الطارد . شبه خروجها من هذين المكانين بخروج السهم من الرمية لسرعة سيرها ، ولذلك قال : « مرقن » .
(٢) تبرى ؛ تعارض - يقال برى له وانبرى له . إذا عارضه - قال أبو النجم :

* تَبْرِي لَهَا مِنْ أَيْمَنِ وَأَشْمَلِ (٣) *

والدو : الفلاة ؛ وأراد بنعام الدو : الحيل ، جعلها كالنعام فى سرعة عدوها وظهر بقوله مسرجة أنها الحيل . والجدل . جمع جديل ، وهو جبل من آدم أو شعر فى عنق البعير . يقول : تبرى الحيل للبعير وتعارض أزمتهما باجمها وأعنتها ؛ أى تبارها فى السير ؛ وكأن هذا من قلب التشبيه . أراد أن هذه الإبل تبارى الحيل وتعارض أعنتها بالزمام ، فقلب الكلام تفننا ومبالغة فى وجه الشبه فى المشبه حتى صار أكمل فيه من المشبه به . وقال ابن جنى يقول - المتنبي - : الحيل - لهو أعناقها وإشرافها - تبارى أعناق الإبل : فتكون اللجم فى أعناقها كالجدل - الأزمة - فى أعناق الإبل .

(١) قاع : قرق : مستو وقد شرحنا هذا البيت فى موضع آخر من هذا الصرح .

(٢) النجاء : السرعة .

(٣) يبرى : روى يأتى ؛ يصف ظلما ونعامة يقول : كلما أسرعت إلى أديها - وهو

مبيضا - عرض لها يمينا وشمالا ، مزعجا لها .

فِي غَلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا بِمَا لَقِينَ رِضَا الْأَيْسَارِ بِالزُّلْمِ (١)
 نَبَدُوا لَنَا كُلَّمَا أَلْقَوْا عِمَامَتَهُمْ عَمَائِمٌ خَلَقَتْ سُودًا بِلَا لُثْمِ (٢)
 بِيضُ الْعَوَارِضِ طَعَانُونَ مَنْ لِحِقُوا مِنَ الْفَوَارِسِ شَلَالُونَ لِلنِّعَمِ (٣)
 قَدْ بَلَّغُوا بِقِنَائِهِمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهِمَمِ (٤)
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنْ أَنْفُسَهُمْ مِنْ طَيْبِينَ بِهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ (٥)

(١) غلمة : جمع غلام . وأخطروا أرواحهم : أى خاطروا بها ولقين : أى الأرواح والأيسار : جمع يسر ، وهم الذين يتقاسرون ويجمعون على اليسر . والزلم : السهم من سهام اليسر . يقول : سرت من مصر فى غلّة حملوا أرواحهم على الخطر لبعده المسافة وصعوبة الطريق ، ورضوا بما يستقبلهم من فوز أو تهلكة ، كما يرضى القاهرون بما يخرج لهم بالأزلام .

(٢) اللثم : جمع لثم ، ما يلقي على الوجه من طرف العمامة . يقول : إن هؤلاء الغلّة كلّا ألقوا عمامتهم التى على رءوسهم ظهر من شعورهم على رءوسهم عمامة سود ليس لها لثم ، وذلك أن العرب تجعل العمامة بعضها لثماً على الوجه وبعضها على الرأس ، فهو يقول إن شعورهم على رءوسهم كالعمائم وليس فيها شئ على وجوههم : يعنى أنهم مردلم يتصل شعر العوارض والوجوه بشعر الرأس - كما بين ذلك فى البيت التالى .

(٣) العوارض : جمع عارض ، صفحة الحد ، وشلالون : طرادون . والنعم : الماشية وغلب على الإبل . يقول : إنهم مرد صماليك (١) قتالون للفوارس طرادون للنعم ، يغيرون عليها أينما وجدوها .

(٤) بلغوا - بالتشديد - مبالغة فى بلغوا - بالتخفيف - ورواها بعض الشراح بلغوا - بالتخفيف - وقال فى تمليقه : وجه الكلام أن يقال بلغوا - بتخفيف اللام - والباء بعده للتعدي ، فيكون الجزء مطويا والقنا : يذكر ويؤنث ، وفوق هنا اسم متعكن مفعول « بلغوا » يقول : قد استخرغوا وسع الرماح طعنا ومع ذلك لم تبلغ الرماح غاية مهمم :

(٥) الضمير فى « به » للقنا . يقول : هم - أبدا - فى القتال والغارة ، كفعل أهل الجاهلية ، إلا أن أنفسهم طابت بالقتل وسكنت إليه ، فكأنهم فى الأشهر الحرم ، أمنا وسكونا ، وكان أهل الجاهلية يأمنون فى الأشهر الحرم ، لأن القتال يترك فيها ،

(١) لصوص ، قطاع طريق ، وصماليك العرب : ذؤبانها ولصوصها .

نَاشُوا الرَّمَّاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ قَمَلُوهَا صِيَّاحَ الطَّيْرِ فِي الْبِهِمِ (١)
تَمَخَّدِي الرُّكَّابُ بِنَا بِيضًا مَشَافِرَهَا خُضْرًا فَرَّاسِنَهَا فِي الرَّغْلِ وَالنِّيمِ (٢)
مَكْمُومَةٌ بِسِيَاطِ الْقَوْمِ نَضْرِبُهَا
عَنْ مَنبِتِ الْعُشْبِ نَبِي نَمْبِتِ الْكِرْمِ (٣)

وعبارة ابن القطاع : للبنى أنهم لتمرهم في الحرب والقتل في مثل أحوال الجاهلية ، إلا أن أنفسهم غير خائفة من الحرب ، لشجاعتهم وثقة بظهورهم على أعدائهم ، فكأنهم في الأشهر الحرم ، هذا : والأشهر الحرم أربعة ، ثلاثة سرد ، وهي ذو القعدة ، وذو الحجة والمهرم ، وواحد فرد وهو رجب .

(١) ناشو : تناولوا- والبهيم : جمع بهيمة ، وهو الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤتى يقول : تناولوا الرماح وكانت جمادا لاتنطق فأسمعوا الناس صريرها في طعان الشجعان فصارت كأنها طير تصيح ، وهذا من قول هلال اللاتزي (١) .

تصيح الرُّدَيْنِيَّاتُ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَّاحَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوهَا
ومثله قول بعض العرب .

زُرُقُ تَصَائِحْنَ فِي الْمَتُونِ كَمَا هَاجَ دَجَاجَ الْمَدِينَةِ السَّحَرُ
(٢) خدت الناقة تمخدي . أى أسرع مثل وخذت وخودت قال الراعي .

حَتَّى غَدَّتْ فِي بِيضِ الصُّبْحِ طَيِّبَةً رِيحَ الْمَبَاءَةِ تَمَخَّدِي وَالثَّرَى عَمْدُ (٣)
والركاب ، الإبل ، والمشافر . جمع المشفر ، وهو للبعير بمنزلة الشفة للإنسان .
والفراسن . جمع فرسن ، لحم خف البعير . والرغل والنيم ؛ نباتان . يقول ، تسير الإبل بنا وهي بيض المشافر باللغام - زيد أفواه الإبل - وقال ابن جنى : لأنها لاتترك رعى لشدة السير فيجف اللغام على أشداقها . خضر الفراسن لكثرة وطئها
هذين المتنين

(٣) كم البعير : شد فمه كيلا يعض أو يأكل ، ومثله : عكم . يقول : إن السباط

(١) شاعر إسلامي

(٢) ضمير « غدت » بقرة وحشية تقدم ذكرها ، ومبائها : مكمنها ، وعمد شديد الابتلال ، وإنما نصب ريح للباءة لما نون طيبة ، وكان حضا الإضافة ، فصارح قولهم : هو ضارب زيدا .

(١٩ - المتن ٤)

وَأَيْنَ مَنبِتُهُ مِنْ بَعْدِ مَنبِتِهِ أَبِي شُبَاعٍ قَرِيعِ الْمَرْبِ وَالْعَجَمِ (١)
لَا فَاتِكَ آخِرٌ فِي مِصْرَ تَقْصِيدُهُ وَلَا لَهُ خَلْفٌ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ (٢)
مَنْ لَا نُشَابِيَهُ الْأَحْيَاءُ فِي شَيْمٍ أَمْسَى نُشَابِيَهُ الْأَمْوَاتُ فِي الرَّمَمِ (٣)

كانت تمنعها من الرعى ، فكأما قد شدت أفواهاها ؛ وهذا من قول ذى الرمة :

* يَهْمَاهُ خَابِطُهَا بِالْحُوفِ مَكْمُومٌ *

[أى لا يتكلم فيها خوفاً ، فكأن الحوف قد كتم فمه] وكنا نضربها عن الرعى في
منبت العشب لأننا نبغى منبت الكرم . والبيت من قول الأمدى :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلْتُهَا مِنَ الطَّلْحِ تَبَغَى مِنْبِتَ الزَّرْجُونِ
« الزرجون : الكرم ، ويعنى بمنبت الزرجون : الشام ، لأنها أكثر البلاد
عنباً » .

(١) القريع : السيد وأصله : الفحل المختار للفحلة ، وسمى قريبا لذلك ، ولأنه يقرع
الناقة ، قال ذو الرمة :

وَقَدْ عَارِضَ الشَّعْرَى سُهَيْلٌ كَأَنَّهُ قَرِيعٌ هِجَانِ عَارِضِ الشُّولِ جَافِرٍ (١)
يقول : أين منبت الكرم بعد موت هذا الرجل الذى كان منبت الكرم وكان سيد
العرب والعجم ا وهذا استدراك — كما ترى — لما ذكره في البيت السابق .

(٢) يقول : ليس لنا في مصر رجل آخر مثله في جوده فقصيدُه ، وليس له خلف مثله
كرما وشجاعة ، فقوله : لا فاتك : كأنه يقول لا رجل آخر مثل « فاتك » ومن ثم
أنته بنكرة .

(٣) الشيم : الخلائق ، جمع شيمة ، والرمم : العظام البالية . يقول : من لم يكن له
شبيه من الأحياء في شيمه وأخلاقه صار الأموات يشابهونه في العظام البالية : أى مات
فأشبهه الأموات وأشبهوه .

(١) يقال للبعير إذا أكثر الضراب حتى ينقطع : قد جفرف هو جافر وفي الأثر أن
علياً كرم الله وجهه رأى رجلاً في الشمس فقال : قم عنها فإنها جفرفة : أى تذهب شهوة
النسكاح ، وعارضها : أى جانبها وهدل عنها .

هَدَمْتُهُ وَكَأَنِّي سِرْتُ أَطْلُبُهُ فَمَا تَزِيدُنِي الدُّنْيَا عَلَى الدَّمِ (١)
 مَا زِلْتُ أَضْحِكُ، إِبْلِ كَلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بَدَمِ (٢)
 أَسِيرُهَا بَيْنَ أَحْنَامِ أَشَاهِدُهَا وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّنَمِ (٣)
 حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَابِي قَوَائِلِي أَلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ أَلْمَجْدُ لِلْقَلَمِ (٤)

(١) يقول : لكثرة أسفاري وترددى في الدنيا كأنى أطلب له نظيرا ، ولكنى لا أحصل إلا على الدم : أى لا أجد مثله بعده .

(٢) إبل - بسكون الباء - تخفيف إبل - بكسرهما - يقول : مازلت أسافر على إبل إلى من لا يستحق القصد إليه ، فلو أنها بما يضحك لضحكك إذا نظرت إلى من جشمتها جوب الفلوات إليه حتى اختضبت أخفافها بالدم استخفافا به ، وفي الكلام محذوف به يتم المعنى تقديره : إلى من اختضبت أخفافها بدم فى قصده أو فى المسير إليه : قال العكبرى : وفيه تعريض ببعض أهل بغداد .

(٣) أسار دابته : كسرها ، وروى أسيرها - مضارع سرت - أى أسير عليها .
 وعنى بالأصنام : قوما يطاعون ويعظمون ، وهم كالجماد لا اهتزاز فيهم للكرم ولا أريحية للعبود ، ثم فضل الصنم عليهم فقال : ليست لهم عفة الصنم لأن الصنم وإن لم ينفع فهو غير موصوف بالفضائح والقبائح ، وهؤلاء لا يعفون عن منكرو ولا قبيح .

(٤) يقول : حتى عدت إلى وطنى وقد علمت أن المجد إنما يدرك بالسيف لا بالقلم ، لأن ذا الفضل لا يعظم ولا يهاب كما يهاب صاحب السيف ، ولا يدرك من معانى المجد والشرف ما يدركه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

هذا : وقال العلامة العكبرى : قطع - التثنية ألف الوصل فى أول النصف الثانى ، وقد ذكره سيبويه فى الضرورات - أى الضرورات الشعرية - وأنشد للأعشى

إِذْ سَأَمَهُ خَطَّتِي خَفِّفِ فَقَالَ لَهُ إِعْرِضْهُمَا هَكَذَا أَسْمَعُهُمَا حَارِ

وحسن هذا أنه حكاية عن قائل . قال ، ولقطع ألف الوصل أربع مراتب : الأولى أن تكون فى أول البيت ، وهذا لا ضرورة فيه كقول القطامى :

أَلضَّارِبُونَ عُمَيْرًا عَنْ بِيوتِهِمْ بِالْمَثَلِ يَوْمَ مُمَسِّرِ ظَلَمٍ هَادٍ

والثانية : هكذا لأبى الطيب ، والثالثة أن تكون بعد حرف ساكن كقول جميل :

أَكْتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ (١)
أَسْمَعْتَنِي وَدَوَاتِي مَا أَشْرَتْ بِهِ (٢)
مَنْ اقْتَضَى بِسُورَى الْمَهْدِيِّ حَاجَتَهُ أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ يَلِمُ (٣)

أَلَا لَا أَرَى اثْنَيْنِ أَحْسَنَ شَيْمَةً
وَكَقُولِ قَيْسِ بْنِ الْحَطِيمِ :
إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ يَنْثُ وَتَكْتِيرُ الْحَدِيثَ قَمِينٌ (٤)
والرابعة — وهي أقبح الضرورات — أن تكون ألف الوصل بعد متحرك
كقول الراجز :

* وكلُّ اثنين إلى افتراق *

قال : ولو ترك قيس بن الخطيم الاثنيين وقال الحليين للتخلص من الضرورة وكذلك الراجز وقد قيل إنهما نطقا به على الصواب وغيره الرواة .
(١) المكتاب : مصدر كالكتابة وهذا من حكاية قول الأعلام . يقول : قالت لي الأعلام أخرج على الناس بالسيف واقتلهم ثم أكتب بنا ما ضلت بالسيف وما تقول من الشعر في ذلك ، فإن القلم كالخادم للسيف ، جعل الضرب بالسيف كالكتابة به ، وهذا من قول البحترى :

تَمْنُو لَهُ وَزَرَاهُ الْمُلْكُ خَاصِمَةً
وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَعْذِمَ الْقَلَمُ (٢)
هذا جواب منه للأعلام ، يقول — لها — : أسمعني قولك ، والذي أشرت به على هو الدواء الذي يشفي ما بي ، فإن تركت مشورتك ولم أظن لها صار دأى هو قلة الفهم ، لا ما أظنه من قلة إنصاف الناس وعدم تقديرهم إياي .

(٣) هذا : تأكيد لما أشارت به الأعلام عليه من استعمال السيف ، يقول من طلب حاجته بغير المهدي — السيف — أجاب سائله عن قوله : هل أدركت حاجتك ؟ بقوله

(١) حدثان الدهر : ما يحدث فيه من النوائب والنوازل ، وجمل — بضم الجيم وسكون الليم — اسم امرأة .

(٢) نث الحديث ينثه ثا : أنشاء : أي جدير ، وبنث متعلق به ، وتكثير حطف على « بنث » . وبعده

وإن ضيغ الإخوان سيرا فإني كقوم لأسرار المشير أمين

نَوَهُمَّ الْقَوْمُ أَنْ الْعَجْزَ قَرَّبَنَا وَفِي التَّقَرُّبِ مَا يَدْعُو إِلَى التَّهَمِ (١)
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِمَةً بَيْنَ الرَّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ (٢)

لم أدرك، أولم أصل أو لم أظفر، ونحو ذلك. قال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز صاحب الوساطة بين النبي وخصومه: كان الواجب أن يقول: عن هل بلا. لأن الطالب بغير السيف يقول: هل تبرع لي بهذا المال؟ فيقول المسئول: لا، فأقام «لم» مقام «لا» لأنهما حرفا نفي: قال الواحدى: وهذا ظلم منه — من القاضي — للمتنبى، وقلة فهم من القاضي، ولو أراد ذلك الذى ظنه لقال أجيب عن كل سؤال بـ«هل» بـ«لا»، لأن للمتنبى عجب ليس هو المحيب، والذى أراد للمتنبى أن الناس يسألونه: هل أدركت حاجتك؟ هل وصلت إلى بيتك؟ فيجيب ويقول لم أدرك، لم أبلغ لم أظفر، لم أصل إلى ما أطلب هذا، وأعرب هل ولم وهما حرفان لأنهما قد صارا علمين على لفظهما، وقال ابن جنى: جعل «هل» و«لم» اسمين فجرهما و«هل» حرف استفهام و«لم» حرف نفي، قال: ويجوز أن تكون الكسرة فى «لم» كسرة الساكن إذ احتسب إلى تحريكه للقافية. كقول النابغة * وكان قد (١) وحكى الخليل قال قلت. لأبى الدقيش — الأعرابي — هل لك فى ثريدة كان ودكها عيون الضياون؟ فقال أسد الجواب لهل أوحاه — أسرع (٢)

(١) يقول: إن القوم الذين قصدناهم بالمديح توهموا أن العجز عن طلب الرزق قربنا إليهم ثم قال: ولهم الحق فى أن يتوهموا ذلك، لأن بعض التقرب قد يدعو إلى التهمة، لأنك إذا تقربت إلى إنسان توهمك عاجزا محتاجا إليه.

(٢) الإنصاف: إعطاء الحق. قال ابن الأعرابي: أنصف إذا أخذ الحق وأعطى، قال: وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف، أى تعطيه من الحق كالذى تستحق لنفسك،

(١) قطعة من بيت هو:

أزِفَ التَّرْحَلُ غَيْرَ أَنْ رَكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ

(٢) قال الأزهرى: أبو الدقيش كنية واسمه الدقش قال يونس سألت أبا الدقيش ما الدقش؟ فقال: لا أدرى قلت: ما الدقيش؟ فقال ولا هذا قلت فاكتنيت بما لا تعرف ما هو؟ قال: إنما الكنى والأسماء علامات، وقال أبو زيد. دخلت على أبى الدقيش الأعرابي وهو مريض فقلت له كيف تجدك يا أبا الدقيش؟ قال أجد ما لا أشتهى وأشتهى ما لا أجد وأنا فى زمان سوء، زمان من وجد لم يجد، ومن جاد لم يجد. والضياون جمع ضيون: السنور الذكر أو دويبة تشبهه.

فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أَنْ تَزُورَهُمْ أَيْدِي نَشَانٍ مَعَ الْمَصْقُولَةِ الْخُذْمِ (١)
 مِنْ كُلِّ قَاضِيَةٍ بِالْمَوْتِ شَفَرْتُهُ مَا بَيْنَ مُنْتَقِمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمٍ (٢)
 صُنَا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ
 مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ فِي الْأَيْدِي وَلَا الْكَرْمِ (٣)
 هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْطَعُ الْعَيْنِ كَالْحَلْمِ (٤)

والرحم : القرابة . يقول : إن ترك الإنصاف يدعو إلى التقاطع بين الناس ولو كانوا أقارب
 فما الظن بمن لا قرابة بينهم . يشير إلى إعراضه عن القوم الذين ذكرهم لأنهم لم ينصفوه
 في قصده لهم . وهذا من قول الآخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرْفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَمْعِلُ
 (١) الخدم : جمع خذوم : أمي القاطع : يعني السيوف ، وأيد فاعل تزورهم يقول :
 فلا أزورهم بعد ذلك إلا بأيد قد ألفت القتال ونشأت في صحبة السيوف ، يعني إذا لم
 ينصفوا فإنني لا أزورهم إلا محاربا .

(٢) من كل . بيان للمصقولة الخدم ، وشفرته : أي حده فاعل قاضية : يقول : من
 كل سيف تقضى شفرته بالموت بين الفريقين ، الظالم والمظلوم :

(٣) قوائمها : مقاضها ؛ واللؤم : خسة الأصل ضد الكرم ، والكزم : قصر اليد ،
 وناقاة كزماء : قصر خطاها ، يقول : صننا قوائم السيوف فما وقعت إلا في أيدينا التي
 لا لؤم فيها ولا قصر : يعني أنهم لا يحسنون العمل بالسيوف ونحن أربابها نشأت أيدينا
 معها ، والمعنى أنهم لم يسلبونا سيوفنا فنتقع في أيديهم التي هي مواقع اللؤم والقصر عن
 بلوغ الحاجة ،

(٤) ماشق منظره : ماصعبت رؤيته . يقول : هون على العين ماشق عليها النظر
 إليه مما تراه من المكاره ، وهبك تراه في الحلم . لأن ماتراه في اليقظة شبيه بما تراه في
 المنام ، لأنهما يمكنان قليلا ثم يزولان ، فكأنهما لم يكونا . وروى منظره — بفتح الراء
 فيكون المراد الشيء الذي يشق البصر ويفتحة باقتضائه النظر إليه ؛ والضمير على هذا :
 للبصر ، وعلى الرواية الأولى له « ما » . قال الواحدي : ولم يعرف ابن جنى شيئا من هذا وقال
 يقال شق بصر الميت شقوقا ، الفعل للبصر ، قال : ومعنى البيت : هون على بصرك
 شقوقه ومقاساة النزع . . . وهذا كلام — كما تراه — في غاية الفسآء والبعد عن الصواب
 وقال ابن القطاع : قول ابن جنى هون على بصرك شقوقه ومقاساته النزع والحشرجة

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْمِتَهُ
 شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْفِرْيَانِ وَالرَّخْمِ (١)
 وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ وَلَا يَفْرُكَ مِنْهُمْ نَفْرٌ مُبْتَسِمٍ (٢)
 غَاضَ الْوَفَاءَ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَةٍ وَأَعْوَزَ الصَّدْقُ فِي الْإِخْبَارِ وَالْقَسْمِ (٣)
 سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذَّتْهَا فِيهَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ (٤)
 الدَّهْرُ يَفْجَبُ مِنْ حَمَلِي نَوَائِبُهُ وَصَبْرُ جِسْمِي عَلَى أَحْدَانِهِ الحُطْمِ (٥)
 وَقْتُ يَضِيعُ وَغَمْرُ لَيْتَ مُدَّتَهُ فِي غَيْرِ أُمَّتِهِ مِنْ سَالِفِ الْأَمَمِ (٦)

صحيح ، فإن الحياة كالحلم . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : كروا الأيام أحلام ،
 وغداؤها أسقام وآلام

(١) يقول : لا تشك إلى أحد ما ينزل بساحتك من ضرر وشدة فتشمته بشكواك ،
 فتكون شكواك كشكوى الجريح إلى الطير التي ترقب أن يموت فتأكله ، وعبارة التبريزي
 الناس بعضهم أعداء بعض ، فمن شكأ حاله إليهم فهو كمثل جريح اجتمعت عليه الطير
 لتأكل لحمه ؛ فهو يشكو إلى من ليس عنده رحمة ، لأن الفريان - جمع غراب - والرخم
 جمع رحمة - طائر من الجوارح الخسيسة - إنما يجتمعان حول الجريح ليأكلوا لحمه .

(٢) يقول : احذر الناس واستر حذرهم ولا تقربا بتسامهم إليك ، فإنهم يضمرون
 في قلوبهم مالا يريدون لك من القدر والحداع . قال العكبري : وهذا من قول الحكيم
 الحيوان كله متقلب وليس من السياسة شكوى بعض إلى بعض

(٣) غاض : قل ونقص ، وأعوز الشيء : عز فلا يكاد يوجد يقول : لا ترى الوفاء
 في عدة : أي إذا وعدك أحد بشيء لم يف به ، ولا يوجد الصدق في إخبار ولا قسم : أي
 إذا أخبرك أحد بشيء لم يصدق فيه ، وإذا حلف لم يصدق .

(٤) يتعجب من أن الله سبحانه جعل لذته في جوب المفاوز والتمرس بالمهلكات واتعامها
 وهو غاية ألم النفوس . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : النفس الشريفة ترى
 الموت بقاء لدركها أما كمن البقاء ، وهذه حالة تعجز الخلق عن ركوبها .

(٥) الحطم - بالضم - جمع حطوم ، وفتح الطاء . جمع الحطمة : أي التي تحطم
 من ألت به . وصبر جسمي : يروي : وصبر نفسي .

(٦) وقت : أي لى وقت ، فهو مبتدأ محذوف الخبر ، أو تقول : إن التقدير : هو
 وقت فيكون « وقت » خبر مبتدأ محذوف . يقول : لى وقت أو هو وقت يضيع في مخالطة

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبَابِهِ فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ (١)



وقال يمدح عضد الدولة وقد نثر عليهم الورد وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيه :

قَدْ صَدَقَ الْوَرْدُ فِي الَّذِي زَعَمَا أَنْكَ صَايَرْتَ نَثْرَهُ دِيمَا (٢)
كَأَنَّمَا مَانِجُ الْهَوَاءِ بِهِ بِحَرِّ حَاوِي مِثْلَ مَائِهِ عِنَّمَا (٣)

أهل هذا الدهر ومصاحبهم ، لأنهم سفلة أذال يضيع الوقت بصحبهم؛ وليت مدة عمرى كانت في أمة أخرى من الأمم السالفة التى تقدر الرجل حق قدره . يشكون من أهل دهره ويتأسف على ضياع وقته فى معاشرتهم .

(١) يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى حدثان الدهر وجدته فسرم وأناهم بما يلرحون ، ونحن أتيناها وقد هرم وخرف فلم نجد عنده ما يسرنا ، وقد أخذ أبو الفتح البسقى هذا المعنى وجنس اللفظ فقال :

لَا غَرَوَ إِنْ لَمْ نَجِدْ فِي الدَّهْرِ مُخْتَرًا فَقَدْ أَتَيْنَاهُ بِمَدِّ الشَّبَابِ وَالْخُرْفِ
وقد نظر المتنبي فى بيته إلى قول من قال :

وَنَحْنُ فِي عَدَمٍ إِذْ دَهَرْنَا جَدَّعُ فَالآنَ أَمْسَى وَقَدْ أُوْدَى بِهِ الْخُرْفُ (٢)
نثره . أى منثور - أى ما نثر منه - والديم : جمع الديعة ، وهى المطر الدائم فى سكون ، يريد أن الورد لسكرة ما نثر عليهم كأنه يقول لهم : قد صيرنى الأمير مطرا . يقول : قد صدق الورد فيما قاله ، لأننا نراه كذلك .

(٣) مانج : يروى مازج ، والغم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ، قال النابغة :

بِمَخْضَبِ رَخْصِ الْبِنَانِ كَأَنَّهُ عَنَّمْ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ (١)
يقول : كأن الهواء - وهو مانج بهذا الورد عند نثره بجر من الغم ، يريد كثرة الورد فى الهواء ، حتى صار كأنه بجر قد حوى الغم مثل مائه كثرة .

(١) لم يعقد : يريد لم يدرك بعد .

نَائِرُهُ نَائِرُ السُّيُوفِ دَمًا وَكُلُّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكْمًا^(١)
 وَالْخَيْلَ قَدْ فَصَلَ الضِّيَاعَ بِهَا وَالنِّعَمَ السَّابِقَاتِ وَالنِّقْمَ^(٢)
 فَلِيرِنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَأَ يَدَهُ أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهِ سَلَامًا^(٣)
 وَقُلْ لَهُ لَسْتُ خَيْرَ مَا نَثَرْتُ وَإِنَّمَا عَوَّذْتُ بِكَ الْكَرَمًا^(٤)

(١) يقول : إن الذي نثر هذا الورد هو الذي ينثر السيوف : أى يفرقها في أعدائه وهى دم - أى متطلحة بالدم - فكأنها دم ، وينثر كل قول يقوله وهو حكم : أى إذا قال قولاً قال حكمة . هذا : ومن نصب « كل » فعلى أنه معطوف على المعنى ، كما تقول : هذا ضارب زيد وعمرا ، ومنه قوله تعالى « وجاعل الليل سكناً والشمس » يريد في قراءة الحرمين ، وأبى عمرو وابن عامر . على معنى : وجعل الشمس .

(٢) الخيل : عطف على ما قبله . قال الواحدي : والسابقات : التامات ، ويقال فصل العقد إذا نظم فيه أنواع الحرز فجعل كل نوع مع نوع ثم فصل بين الأنواع بذهب أو شيء آخر ، هذا هو الأصل في تفصيل العقود ، ثم يسمى نظم العقد تفصيلاً ، فيقال عقد مفصل : إذا كان منظوماً ؛ ومنه قول امرئ القيس :

* تَعَرَّضَ أَثْنَاءَ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ^(١) *

والمعنى أنه جمع هذه الأشياء بالخيل : أى تمكن من جمعها بالخيل وجعل جمعها تفصيلاً . لأنها أنواع ، فجعل ذلك كتفصيل العقد . يقول : إنه ينثر الخيل - أى يفرقها في الغارة - ثم ذكر أنه جمع بها هذه الأشياء التي ذكرها من النعم لأوليائه والنقم لأعدائه انتهى كلام الواحدي ، ويؤخذ من كلامه أن « النعم » عنده - عطف على « الخيل » ، ولكن الأوجه جعلها عطفاً على « السيوف » أى والذي ينثر الخيل - أى يفرقها - في الضياع فينظمها بها ، والذي ينثر النعم على أوليائه والنقم على أعدائه .

(٣) أحسن منه : مفعول ثانٍ لـ « ليرنا » ، والضمير في « منه » للورد . يقول : إن يده نثر ما هو أحسن من الورد - يريد الدنانير والدرهم - فإن كان الورد يشكو يده - لأنها نثرته - فليرنا شيئاً أحسن منه سلم من جود يده .

(٤) عوذته : رقاها رقية تدفع عنه السوء . يقول : قل للورد لست أفضل ما نثرت

(١) من معاقته ، وصدوره :

* إِذَا مَا الثَّرَاءُ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ *

خَوْفًا مِنَ التَّمِينِ أَنْ يُصَابَ بِهَا أَصَابَ عَيْنًا بِهَا يُصَابُ عَمَى (١)

يد هذا الملك ، وإنما خشيت أن تصيبه أعين الناس حين يرون سعة بذله بذلك . فترك وقاية لكرمه من أعينهم إذا رأوه يجود بما لا قيمة له .

(١) خوفاً : مفعول له عامله عوذت ، وبها يصاب : رواها ابن جنى « بها يعان » من قولهم عين الرجل فهو معين ومعينون : إذا أصابته العين - وقوله أصاب عينا إلى آخره دعاء ؛ وعمى : فاعل أصاب يقول : أعمى الله عينا يصاب بها .

قال الواحدى : وهذه الأبيات في نثر الورد غير مليحة ، وليس التنبي من أهل الأوصاف ، قال العكبرى : إنما التنبي ممن بحسن الأوصاف في كل فن ، وإنما هذا الذى يأتي له فى البديهة والارتجال - أو فى وقت يكون على شراب أو غيره فلا يعتد به . ولو كان أبو الفتح ابن جنى عمل صوابا لكان أسقطه من شعره .

قافية النون

وعزم سيف الدولة على لقاء الروم في السنْبوس سنة أربعين وثلاثمائة وبلغه أن
المدو في أربعين ألفا، فتهيبتهم أصحابه، فأنشد أبو الطيب بحضرة الجيش :

تَزُورُ دِيَارًا مَا نُحِبُّ لَمَّا مَمَّنَى وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سَأْ كِنِهَا الْإِذْنَ^(١)
نَقُودُ إِلَيْهَا الْأَخِذَاتِ لَنَا الْمَدَى عَلَيَّهَا السُّكْمَاءُ الْمُحْسِنُونَ بِهَا الظَّنَّ^(٢)
وَنُصْفِي الَّذِي يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ الْهُمَوَى
وَنُرْضِي الَّذِي يُسَمَّى الْإِلَآهَ وَلَا يُكْنَى^(٣)

(١) الممنى : المنزل الذي كان به أهله فمضى بهم . لما قال نזור والزيارة تقتضى المحبة
نفى أن يكون محبا لتلك الديار ، لأنها ديار أعداء . يقول : نזור هذه الديار على غير محبة
لمضى من مغانيها لأنها ديار عدو ، وإذا أردنا زيارتها طلبنا الإذن فى ذلك من غير
ما كنها أى استأذنا فى الإسراع إليها والتشعب فيها للاغارة : سيف الدولة ، لأصحابها
الروم .

(٢) المدى : الغاية . والسكامة : جمع كمي ، وهو البطل المستتر فى السلاح . يقول :
نقود إلى هذه الديار خيلا تبلغ بنا الغاية التى نترامى إليها وتحمرز لنا قصب السبق ،
عليها فرسان قد جربوها وعرفوها فأحسنوا بها الظن لكثرة ما انتصروا عليها .

(٣) نصفى : نمحص . وأراد بالذى يكنى أبا الحسن : سيف الدولة ، لأن اسمه على ،
والذى : مفعول أول لنصفى ؛ مفعول ثان . وقوله يسمى الإله ولا يكنى : أى أنه
سبحانه لا كنية له ، وتعالى عن الولد حتى يكنى به يقول : ونصفى سيف الدين مودتنا
فنتقاتل أعداءه ونقيه بأنفسنا ونرضى الله بمجاهدة أهل الحرب . هذا ويقال كنيتم
فلانا ، إذا دعوته بكنيته تعظيما له أن تدعوه باسمه . والعرب - كما قال العكبري - كانت
تكنى أولادها وهم صغار تفاؤلا أن يصيروا آباء . وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله
عليها وسلم كان يدخل بيت أبى طلحة الأنصارى وكان له ولد صغير من أم سليم - وهى
أم أنس بن مالك - فكان يقول له - أى لولده - « يا أبا عمير : ما فعل النغير (١) » .

(١) النغير تصغير النغر ، وهو فرخ العصفور أو طائر يشبه العصفور أو من صغار
المصافير تراه أبدا صغيرا ضاويا ، وكان لهذا الولد نغر .

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُونَ أَنَّنَا إِذَا مَاتَرَ كُنَّا أَرْضَهُمْ خَلَفْنَا عُدْنَا^(١)
 وَأَنَا إِذَا مَا الْمَوْتُ صَرَحَ فِي الْوَعَى لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَ^(٢)
 قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤُهُ إِلَيْنَا وَقَلْنَا لِلسُّيُوفِ هَلُمْنَا^(٣)
 وَخَيْلٍ حَشَوْنَاهَا الْأَسِنَّةَ بَعْدَمَا تَكْدَسُنَ مِنَّا عَلَيْنَا وَمِنْ هُنَا^(٤)

(١) يقول : إذا أبنا من أرضهم عدنا إليها : أي فلا نكف عن قتالهم .

(٢) صرح : برز وظفر ؛ والوعى : الحرب . يقول : إذا صار اللوت صريحاً في الحرب بارزاً ليس دونه قناع توسلنا إلى ما نطلبه بالطعن بالرمح والضرب بالسيوف : أي اتخذنا الضرب والطعن وقاء لنا منه وتوسلنا بهما إلى ما نطلبه .

(٣) لقاؤه مرفوع بـ « حبيت » : أي المحبوب لقاؤه يقول : قصدنا الموت كما يقصد ما يجب لقاؤه وقلنا للسيوف هلمى إلينا أدخل على « هلمى » نون التوكيد ، وحذف الياء لالتقاء الساكنين ، ثم أشبع فتحة النون فصار هلمنا . ومن ضم « الميم » خاطب السيوف مخاطبة من يعقل ، كقوله تعالى « ادخلوا مساكنكم » ثم أسقط الواو من « هلموا » لاجتماع الساكنين ثم أشبع الفتحة ولأئمة النحوي في هلم كلام كثير ولعل أوجه ما قاله الخليل ابن أحمد قال : أصله لم من قولهم : لم الله شعثه أي جمعه ، كأنه قال : لم نفسك إلينا . أي اقرب و « ها » للتنبية ، وحذف ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعل اسما واحدا يستوى فيه الواحد والجمع والتأنيث والتذكير في لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى : « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » وأهل نجد يصرفونها فيقولون للآتين : هلمنا ، وللجمع : هلموا ، والمرأة : هلمى ، وللنساء : هلمن . والأول أفصح ، وقد توصل باللام فيقال : هلم لك ، وهلم لسا ، كقولهم : هيت لك ، وإذا أدخلت عليه النون الثقيلة قلت هلمن يارجل ، والمرأة هلمن - بكسر الميم - وفي التثنية : هلمان للمذكر والمؤنث جميعا ، وهلمن يارجال ، وهلمنان يانسوة . وإذا قيل لك هلم إلى كذا : قلت : إلام أهلم - بفتح الألف والهاء - كأنك قلت : إلام « ألم » وتركت الهاء على ما كانت عليه ، وإذا قال لك هلم كذا وكذا : قلت : لا أهله ، أي لا أعطيه .

(٤) يريد بالخييل : خيل العدو ، وحشوناها الأسننة : أي جعلنا الأسننة حشونا لها بأن طعناها بها . وتكدسن : أي الخيل - أي خيل العدو - أي اجتمعن علينا وركب بعضهن بعضا من كثرتها . و « هنا » بمعنى ههنا ، ومنه قول العجاج :

* هُنَا وَهَنَا وَهَلَى الْمَسْجُوحِ *

ضُرِبْنَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِرِ جَهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَا^(١)
 تَمَدَّ الْقُرَى وَالْمُسُ بِنَا الْجَلِيشَ لَمَسَةً نُبَارَ إِلَى مَا تَشْتَهَى بِدُكِّ الِئْمَنِ^(٢)
 فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللَّقَانِ دِمَاؤُهُمْ وَنَحْنُ أَنَاسٌ نُتَبِّعُ الْبَارِدَ الشُّخْنَا^(٣)

« يصفه بالطاء : أى يعطى يمينا وشمالا ؛ وعلى منحيته : أى طبيعته . وقد أخذ
 المتنبي قوله حشوناها الأسنه من قول الوليد بن المغيرة :

وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ الْجِدُّ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَآخَرَ يَهْوَى قَدْ حَشُونَاهُ نَمَلِبَا
 « يقال للقتيل ركب ردهه : إذا خر لوجهه على دمه ، وأصل الردع : التلطيح
 بالزعفران ، والثعلب . طرف الرمح الداخل في جبة السنان »

(١) قال ابن جنى : كانت خيل الروم قد رأت عسكرا سيف الدولة فظنوم روما ،
 فأقبلوا نحوهم مسترسلين ، فلما تحققوا الأمر ولوا هارين ، ولهذا قال « جهالة » ووصل
 ضربنا بـ « إلى » و « عن » فقال ضربن إلينا ، و « عنا » على تضمينه معنى
 « حشئن » ونحوه .

(٢) تعد : تجاوز ؛ ونبار : نسابق . وروى نبادر : من المبادرة وهى الإسماع
 يقول - لسيف الدولة - : تجاوز القرى إلى الصحراء وحارب بنا جيش الروم وأدنا منهم
 دنو اللامس من اللامس سابق يدك النبي إلى تبليغك ما تريد من الظفر بهم : أى أن
 الظفر يكون أسرع إليك مما لوتناولته بيدك ، هذا : وقد قال العكبرى في تفسيره
 الغريب من هذا البيت : المبارة أن يفعل الرجل كما يفعل الآخر ، وباراه إذا جربه
 واختبره ، وكذا الابتيار ، وأنشد للكيت .

قبیح بِمَثَلِي نَمْتُ الْفَتَاةِ إِمَا ابْتِهَارًا وَإِمَا ابْتِيَارًا
 ولكن أهل اللغة يقولون : إن الذى بمعنى الاختبار هو البور . قال الأصمى : بار يبور
 بورا إذا جرب ، قالوا : ويقال للرجل إذا قذف امرأة بنفسه إنه جرب بها ، فإن كان
 كاذبا فقد ابترها ، وإن كان صادقا فهو الابتيار ، افعال - من برت الشيء أبوره :
 إذا خبرته - وأنشدوا بيت الكيت هذا ، وقول الكيت « إِمَا ابْتِهَارًا وَإِمَا ابْتِيَارًا » أى
 إِمَا بَهْتَانًا وَإِمَا اخْتِبَارًا بالصدق لاستخراج ما عندها .

(٣) اللقان موضع بالروم . يقول . تقادم عهدنا بسفك دماؤهم وقد برد ماسفكناه
 وعادتنا أن نتبع البارد من دماء الأعداء السخن منها ، يعنى لانفك من سفك دماؤهم :
 فإذا برد ماسفكناه أتبعضه دما طرياحارا .

وَإِنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَضْبَ فِيهِمْ
فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضَّرَابِ الْقَنَا اللُّدْنَا^(١)
فَمَنْهُ الأَلَى لَا نَأْتِي لَكَ نُصْرَةٌ وَأَنْتَ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ وَخَدَهُ أَغْنَى^(٢)
يَقِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ الْمَلَأَ وَمَنْ قَالَ لَا أَرْضِي مِنَ الْعَيْشِ بِالْأَذْنَى^(٣)
فَلَوْلَاكَ لَمْ تَجْرِ الدَّمَاءُ وَلَا اللُّهَاءُ وَلَمْ يَكُ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا مَعْنَى^(٤)
وَمَا انْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى وَلَا الأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَاهُ الْفَتَى أَمْنًا^(٥)

* * *

(١) العضب: القاطع؛ والقنا: الرماح؛ واللدن: اللينة. ويقال رمح لدن - بفتح اللام - ورماح لدن - بضمها - يقول: إن كنت فيهم سيفاً قاطعاً فدعنا تقدم إليهم تقدم الرماح، فنكون أمامك كما تكون الرماح أمام السيف. قتل إن سيف الدولة لما أحرق البقعة توجه إلى قلعة « سمندو » وبلغه أن العدو بها معه أربعون ألفاً، فتهيب جيشه للمسير إليهم، فلما أنشد هذا البيت، قاله سيف الدولة قل لهؤلاء - وأشار بيده إلى من حوله من العرب والعجم - يقولوا كما تقول حتى لا ننزق عن الجيش، فما تجمل أحد منهم بكلمة.

(٢) الألى: الدين؛ ولا نأتى: لا تقصر، ونصرة: تمييز. يقول: نحن الذين لا تقصر في نصرتك، وأنت لو اكتفيت بنفسك في قتال الأعداء لاستغثت عنا.

(٣) الردى: الموت، والأذنى: الدون: يعنى بهذا نفسه، لأنه يطلب بخدمته العلى ولا يرضى عنده بالعيش الأدنى، فكأنه يقول أتيك بنفسى.

(٤) اللها: جمع لهية، وهى العطية. يقول: لولاك لم تكن شجاعة ولا جود، لأن الدماء إنما تجرى بشجاعتك وقتلك الأعداء والعطايا تجرى بجودك، ولولاك لم يظهر للدنيا ولا لأهلها معنى.

(٥) هذا تعريض بجيش سيف الدولة، وذلك أنه أرغهم على الذهاب إلى الروم، فخافوا خوفاً منهم على أنفسهم. يقول: الخوف على الحقيقة ما يراه الإنسان خوفاً، فإن خاف شيئاً غير مخوف فقد صار خوفاً، وإن أمن غير مأمون فقد تعجل الأمن؛ وهذا من قول دعبل:

هِيَ النَّفْسُ مَا حَسَنَتْهُ فَمَحَسَّنْ لَدَيْهَا وَمَا قَبَحَتْهُ فَمَقْبَحْ

وقال بمدحه وقد أهدى له ثياب ديباج وربها وفرساً ممها مهرها ، وكان
المهر أحسن :

ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حَيَاتَهَا إِذَا نَشِرَتْ كَانَ الْهَبَاتُ صَوَانَهَا^(١)
تَرِينًا صِنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكَهَا وَتَجَلُّو عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيَامَهَا^(٢)
وَلَمْ يَكْفِنَا تَصْوِيرُهَا الْخَيْلَ وَحَدَهَا فَصَوَّرَتِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا زَمَانَهَا^(٣)
وَمَا أَدْخَرَتْهَا قُدْرَةٌ فِي مُصَوِّرٍ سِوَى أَنهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوَانَهَا^(٤)
وَتَمْتَرَاهُ بَسْتَمَوِي الْفَوَارِسَ قَدَّهَا وَيَذُ كِرْهَا لِزَيْبِهَا وَطِعَانَهَا^(٥)

(١) ثياب - بالرفع - طى أنه مبتدأ محذوف الخبر ، أو فاعل لصل محذوف : أى
هندى ثياب كريم . أو أنتهى ثياب كريم . والصوان : التخت ، وهو ما يصون الثياب
ويحفظها . يقول : أنتهى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة ، وإنما يهبها ، فليس لها
صوان غير الهبات : أى أنه لا يصونها فى الصوان وإنما يهبها ، ويجوز أن يريد بقوله
« كان الهبات صوانها » : أن ما يصونها من لفاف ومتديل كان هبة أيضاً ، كما قال
فى موضع آخر :

• أولُ مَحْمُولٍ سِبْهِ الحِمْلَةِ •

(٢) الصناعات : المرأة الحاذقة بالعمل . والقبان : جمع قبنة ، وهى الجارية . يقول :
إن ناسجتنا من الروم قد نقشت عليها صور ملوك الروم ، فمى ترينا إيام فيها ،
وترينا كذلك صورة نفسها وجواربها .

(٣) يقول : لم تكتم بصوير الخيل وحدها ، بل صورت الأجسام وما يمكن
تصويره فلم تترك شيئاً إلا صورته ما عدا الزمان ، لأنه لا صورة له ، فذلك لم تصوره .

(٤) يقول : إن هذه الصناعات لم تدخر عن الثياب المذكورة شيئاً هو فى وسع للصور
إلا بذلته ، غير أنها لم تقدر على إنطاق ما صورت من حيوان ، فهذا فقط هو الذى لم
تستطعه . هذا : وقوله « ادخرتها » لا يتعدى إلى مفعولين لكنه ضمير فعلا فى معناه
يتعدى إلى مفعولين ، كأنه قال : وما حرمتها قدرة .

(٥) سمراء : عطف على قوله ثياب كريم - فى البيت الأول - . وقد كانت فى
جملة الهبات . يريد فناة سمراء ، واستنواء قدها الفوارس إطاعه إيام بطوله وملات
وشرائط كاله فى تصريفه واستعماله ، وإظهار مجزم عنه إذا باشروا ذلك ، وتذ كبيرم
السكر والطمع .

رُدَّيْنِيَّةٌ تَمَّتْ فَسْكَادَ نَبَاتُهَا يُرْكَبُ فِيهَا زُجْجًا وَسِفَانَهَا (١)
 وَأُمُّ عَتِيقٍ خَالُهُ دُونَ عَمِّهِ رَأَى خَلْقَهَا مِنْ أَعْجَبَتِهِ فَعَانَهَا (٢)
 إِذَا سَايَرْتَهُ بِأَيْدِيهِ وَبَانَهَا وَشَانَتَهُ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا (٣)
 فَأَيْنَ الَّتِي لَا تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرَّهَا وَشَرِّى وَلَا تُعْطَى سِوَاىَ أَمَانَهَا (٤)
 وَأَيْنَ الَّتِي لَا تَرْجِعُ الرُّمَحَ خَائِبًا إِذَا خَفَضَتْ يُسْرَى بَدَى عِنَانَهَا (٥)
 وَمَالِي ثَنَاءً لَا أَرَاكَ مَسْكَانَهُ قَهْلُ لَكَ نَعْمَى لَا تَرَانِي مَكَانَهَا (٦)

(١) ردينية : أى أنها مما عملته ردينة ، امرأة كانت تعمل الرماح ، والزج حديدة تجعل فى أسفل الرمح . والسنان : الذى يجعل فى أعلاه . يقول : لحسن نباتها - الذى أنبته الله - كاد نباتها يجعلها ذات زج وسانان .

(٢) أم عتيق : عطف أيضا على ثياب . والعتيق : السكريم من الخيل . وهانها : أصابها بعينه . يقول : وفرس أنى لها مهر كريم خال ذلك المهر فى الصرف دون عمه ؛ يعنى أن أباه كان أكرم من أمه ، لأن العم والأب أخوان كما أن الخال والأُم أخوان ، فإذا كان العم أكرم من الخال فالأب أكرم من الأم ، وقوله رأى خلقها الخ . يقول : كأنها مصابة بالعين لقبح خلقتها . يريد أن الفرس كانت قبيحة ، أما المهر فكان جميلا .

(٣) شانته : عابته وقوله فى عين البصير : لعله يريد البصير بأمر الخيل دون غيره ويحتمل أن يكون البصير من أبصرها ولم يكن له علم ، لأن بصره قد كفاه يقول : إذا سايَرَت الأم المهر ظهر بينهما البون وبانت مزيتها عليها ، لأن للمهر أكرم من الأم وأجمل فهو تشين للمهر بقبحها ، ولانها أمه ، والمهر يزينا بحسنه ، ولأنه ابنها .

(٤) يقول : هلا هديت إلى فرسا إذا ركبتها خافت الفرسان شرها وشرى ، ولا يحسن ركوبها غيرى ؟ أى لا تنقاد لغيرى ، يعنى أين التى تصلح للحرب ؟

(٥) العنان : سير الالجام . يقول : وأين الفرس التى تصلح للطعان فلا ترد الرمح فى الحرب خائبا إذا طاعتت عليها وقرطت عنانها (*) ييدى اليسرى : يريد أن هذه لا تصلح لذلك . هذا : ويقال رجه رجه وأرجعه يرجعه فى لغة هذيل .

(٦) يقول : ليس لى ثناء إلا وأنا أراك أهلا له أنى عليك به ، فهل لك نعمى - نعمة - لا تعرفى أهلا لها فتدخرها عنى .

(*) قرط الفارس عنان فرسه : مد يده بالعنان لجملة على قذان فرسه ، وهى تخضر

تجرى - والمراد : أرخى العنان

ومد نهر قويق وهو نهر بحلب حتى أحاط بدار سيف الدولة ، وخرج أبو الطيب من عنده فباع الماء إلى صدر فرسه فقال أبو الطيب مرتجلا :

حَجَبَ ذَا الْبَحْرَ بِحَارِ دُونَهُ يَذُمُّهَا النَّاسُ وَيَمْحَدُونَهُ (١)
يَأْمَأَ هَلْ حَسَدْتَنَا مَعِنَهُ أَمْ اشْتَهَيْتَ أَنْ تُرَى قَرِينَهُ (٢)
أَمْ انْتَجَعْتَ لِلْفِي يَمِينَهُ أَمْ زَرْتَهُ مُكْتَرَأَ قَطِينَهُ (٣)
أَمْ حِشْتَهُ مُحْنَدِقًا حُصُونَهُ إِنْ الْجِيَادَ وَالْقَنَا يَكْفِينَهُ (٤)
يَأْرَبُ لُجَّ جُمَلَتِ سَفِينَهُ وَعَازِبِ الرُّوضِ تَوَقَّتْ عُونَهُ (٥)

(١) يريد بالبحر : سيف الدولة ؛ وبالبحار : أمواه ذلك النهر ، ثم قال : هي دونه في الشرف والنفع ، وأنها قامت له مقام الحاجب : فمنعت الناس من زيارته ، فهي لذلك مذمومة وهو محمود ، قال العكبري : يقال إن سيف الدولة رأى في المنام أن حية طوقت داره ، فغظم ذلك عليه ، ففسر ذلك أنه ماء ، فأمر أن يحفر بين داره وبين قويق حتى أدار الماء حول الدار ، وكان يحمص رجل ضرير من أهل العلم يفسر المنامات ، فدخل على سيف الدولة ، فقال له كلاما معناه : إن الروم تحتوي على دارك . فأمر به فأخرج بنفسه ، وقدر الله تعالى أن الروم فتحوا حلب ، واحتلوا على دار سيف الدولة ، فدخل عليه الضرير بعد ذلك ، فقال : هذا ما كان من المنام ، فأعطاه شيئا .

(٢) العين : الماء الذي يخرج من الأرض ، من عين ونحوها . يقول هل حسدتنا عليه فحجبت بيننا وبينه ، أم أردت أن تكون مثله في الندى فزخرت وزدت .

(٣) أصل الانتجاع : طلب للرعى ، ويقال انتجعه : أى قصده يطلب معروفه . والقطين : الجماعة يسكنون مكانا ، والمراد : حشمة وأتباعه وأهل منزله قال :

نَهْتَهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ التَّهَى عَاقَهُ بَكَتْ فَبِكِيٍّ مِمَّا شَجَاهَا قَطِينُهَا
يقول : أم حشمة تطلب معروفه لتصير غنيا ، أم أتيته زائرا لتكثير من عنده في مجلسه ؟

(٤) الحندق : معروف ، وهو الحفير حول المدينة . يقول : أم حشمة لتحفر خندقا لحصونه منعا للعدو ؟ لاجابة به إلى الحندق ، لأن جياده - خيله - ورماحه تمنعه وتمنيه عن الخنادق والحصون .

(٥) اللج : جمع لجة ، ولجة البحر : معظمه ؛ والسفين : جمع سفينة ؛ والعاذب :

وَذِي جُنُونٍ أَذْهَبَتْ جُفُونَهُ ۖ وَشَرِبَ كَأْسَ الْكُفْرَةِ رَنِينَهُ (١)
وَأَبْدَلَتْ غِنَاءَهُ ۖ أَيْنَهُ ۖ وَضَمَّتْ أَوْجَهَا عَرِينَهُ (٢)
وَمَلِكٍ أَوْطَأَهَا ۖ جَبِينَهُ ۖ يَقُودُهَا مَسْمُوداً جُفُونَهُ (٣)
مُبَاشِراً بِنَفْسِهِ شُشُونَهُ ۖ مُشْرِقاً بِطَعْنِهِ طَمِينَهُ (٤)
• عَفِيفَ مَا فِي تَوْبِهِ مَأْمُونَهُ (٥) •

البيد والعون : جمع عانة ، وهي القطعة من حمر الوحش . وتوقفا : أخذتها وافية ، وقيل أهلكتها . يقول : رب ماء عظيم عبرته خيله فمكّن له كالسفين ، ورب روض بيد الراعى أهلكت خيله حمره وجميع ما فيه من أنواع الوحش فصادتها بجملتها .

(١) وذى جنون : أى ورب ذى جنون - يعنى عاصيا متمردا مغرورا بهمه - أذهبت الخيل جنونه : أى أذنته حتى انقاد وأطاع ، ثم قال : ورب شرب - اسم جمع بمعنى الشاربين - أى رب قوم لاهين بشرب الخمر هجمت عليهم خيله وأعملت فيهم القتل حتى كثر رنينهم - أى صياحهم وبكاؤهم - على قتلاهم ، هذا : ويجمع « الشرب » على « شروب » ، قال الأعشى :

هو الواهبُ المُسْمَعَاتِ الشُّرُوبِ بَيْنَ الْحَرِيرِ وَبَيْنَ الْكُتَنِ (١)

(٢) الضمير في « غنائه ، وأينته » للشرب ؛ والضميم : الأسد ، والعرين : مأوى الأسد . يقول : وأبدلت الخيل غناء الشرب وطربه أيننا ، لما ألم به من قتل ذويه ، ثم قال : ورب رجل مثل الأسد عزة وقوة أدخل خيله أرضه فوطنتها وأخذت بلاده .

(٣) يقول : ورب ملك عظيم من الملوك عصاه فقتله فوطنت خيله جبينه وهو يقودها إليه لا يعطى جفنه حظا من النوم لسرعة السير واتصاله .

(٤) طعينه : مطعونه . يقول : إذا طعن إنسانا شرفه بطعنه إياه ، لأنه رآه أهلا للمبارزة والمحاربة .

(٥) يقول : إنه عفيف الفرج مأمونة لا يقرب الزنا .

(١) الكتن : الكتان ، حذف الألف « الألف » من الكتان وسماه الكتن للضرورة . قال ابن سني : لم أسمع الكتن في الكتان إلا في شعر الأعشى ، وللمسمعات : اللغنيات جمع مسمة .

أَبْيَضَ مَا فِي تَاجِهِ مَيِّمُونَهُ^(١) بَحْرٌ يَكُونُ كُلُّ بَحْرٍ نُونَهُ^(٢)
 * شَمْسٌ تَمَسُّ الشَّمْسُ أَنْ تَكُونَهُ^(٣) *
 إِنْ تَدْعُ بِأَسِيفٍ لِتَسْتَعِينَهُ يُجِيبَكَ قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ سَيْفَهُ^(٤)
 أَدَامَ مِنْ أَعْدَائِهِ تَمَكِينَهُ مَنْ صَانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ^(٥)

* * *

وقال يمدحه عند منصرفه من بلد الروم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وأنشده
 إياها بآمد :

الرُّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوْلُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي^(٦)
 فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرْقٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعُلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ^(٧)

(١) يقول : إنه أبيض الوجه مباركه .

(٢) النون : الحوت . يقول : هو بحر — أى كثير المطاء — بصخر كل ملك
 بالإضافة إليه .

(٣) يقول : إن الشمس تمس أن تكونه ، لأنه أشرف منها وأكثر مناقب ، وذكر
 الضمير في «تكونه» لأنه عنى بالشمس الأولى المدوح .

(٤) يقول : إن تدعه أيها المخاطب فقلت ياسيف — مستعينا — ، أجايبك قبل إتمام سبين
 السيف . يريد سرعة إجابته للداعى .

(٥) من صان : فاعل أدام ، وهذا دعاء يقول : أدام الله — الذى صان هذا المدوح
 وصان دينه من أعدائه — تمكينه منهم — من أعدائه — فالضمير في « نفسه » للمدوح ،
 وفي « دينه » لله سبحانه وتعالى .

(٦) الرأى : مبتدأ ، خبره : الظرف بعده : وقوله هو أول الخ : استثناء . يقول :
 إن العقل مقدم على الشجاعة ، فإن الشجاعة إذا لم تصدر عن عقل أنت على صاحبها
 وأوردته موارد الهلاك ولم تعد شجاعة ، وإنما هي خرق . والحاصل أن العقل — فى
 ترتيب للنائب — هو الأول ، والشجاعة ثان له .

(٧) ها : فاعل لمحذوف يسره المذكور ، والأصل : إذا اجتماعا اجتماعا ، محذوف الفعل
 الأول وانفصل ضميره ، والظرة — بكسر الميم — القوة والشدة ، والمراد الإباء وهزة
 النفس ، وأصل المرة لإحكام القتل ، يقال أمر الحبل إمراراً ، وتروى حرة بدل مرة .

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَىٰ أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ (١)
لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أذُنِي ضَيْغَمًا أَدْنَىٰ إِلَىٰ شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ (٢)
وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ الْفُؤُوسُ وَدَبَّرَتِ أَيْدِي الْكِمَاةِ عَوَالِي الْمِرَانِ (٣)
لَوْلَا سَيْئُ سَيْوفِهِ وَمَضَاؤُهُ لَمَّا سُلِّنَ لَكِنَّ كَالْأَجْفَانِ (٤)
خَاضَ الْحَمَامَ بَيْنَ حَتَّىٰ مَا دُرِّي أَمِنْ اِحْتِقَارٍ ذَاكَ. أَمْ نِسْيَانٍ (٥)

وتروى مرة - بضم الميم - من المرارة : يقول : إذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس تأبى
الذل والضميم ولا تلين قناتها للأعداء : بلغت أعلى المبالغ من العلى .
(١) الأقران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكفء في الحرب ، يؤكد
تفضيل العقل ، يقول : قد يطعن الفتى أقرانه بالكيدة ولطف التدبير ودقة الرأي قبل
أن يصرح بالقتال .

(٢) و(٣) الضيغم : الأسد ، والمراد بأذني ضيغم : أدون ؛ فأذني : أخس وأدون .
وأذني إلى شرف : أى أقرب . والكماة : جمع كمي ، وهو البطل للشملة بالسلاح .
والعوالي : صدور الرماح . والمران : الرماح اللينة . يقول : إنما تتفاضل نفوس الحيوان
بالعقل ، فالأدنى أفضل من الهيمة بعقله ، ثم يتفاضل بنو آدم بالعقل أيضاً ، كما قال
المأمون : الأجزاء أضعاف لحوم ، وإنما تتفاضل بالعقول ، فإنه لالحم أطيب من لحم .
وقوله ودبرت : أى ولما دبرت أى إنما توصلوا إلى استعمال الرماح في الحرب بالعقل ،
ولولا العقل ما عرفت الأيدي تدبير الطعان بالرماح . يريد أن الشجاعة إنما تستعمل
بالعقل . قال الخطيب التبريزي : غزت «تميم» حنيفة فاستاقت أموالاً ورجالا ، فباتت
حنيفة ثلاثاً ، ثم تبعوهم ، فقيل لعلام منهم : كيف صنع قومك بجوافر الخيل حتى
لحقوهم بعد ثلاث ؟ قال : جعلوا المران أرضية الموت ؛ فاستبقوا بها
أرواحهم .

(٤) سمي سيوفه : بمعنى سيف الدولة . والأجفان : جمع جفن ، وهو غمد
السيف . يقول : لولا سيف الدولة ما أغنت السيوف شيئاً ، ولكانت في قلة الغناء
كالأجفان ، لأن السيف إنما يعمل بالضارب ، وهذا مثل قول عمرو بن معد يكرب
الزبيدي أحد فرسان العرب ، وقد أعطى سيفه الصمصامة لرجل فلم يعمل به شيئاً فقال :
إنما يفعل الساعد لا السيف .

(٥) يقول : خاض الحمام - الموت - بسيوفه حتى لم يعلم ذلك الخوض من احتقار الموت أم

وَسَمَى فَقَصَرَ عَنْ مَدَاهُ فِي الْعَلَى أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ (١)
 تَحَدُّوا الْمَجَالِسَ فِي الْبُيُوتِ وَعِنْدَهُ أَنْ السَّرُوجَ مَجَالِسُ الْفَتَيَانِ (٢)
 وَتَوَهَّمُوا اللَّيْبَ الْوَعَى وَالطَّمَنُ فِي السَّهْمِجَاءِ غَيْرُ الطَّمَنِ فِي الْمَيْدَانِ (٣)
 قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الطَّمَانِ وَلَمْ يَقْدِرْ إِلَّا إِلَى الْعَادَاتِ وَالْأَوْطَانِ (٤)
 كُلُّ ابْنِ سَابِقَةٍ يُفِيرُ بِحُسْنِهِ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الْإِحْزَانِ (٥)
 إِنْ خَلَيْتَ رُبِطْتَ بِآدَابِ الْوَعَى فَدَعَاؤَهَا يُعْنِي عَنِ الْأَرْسَانِ (٦)

نسيان للموت وغفلة عنه ؟ ودري : مجهول «دري» لغة طيء . وثاني مفعولى «دري» محذوف سد مسده جملة الاستفهام .

(١) اللدى : الغاية ؛ وأهل الزمان : أصحاب أهل الزمان الحاضر : ف «أهل» فيه للمهد الحضورى : أى قصر عن بلوغ ما بلغ أهل زمانه وأهل كل زمان غيره .

(٢) تحذوا واتخذوا : بمعنى . يقول : إن أهل الزمان مجالسهم فى البيوت ، أما هو فإنه يرى أن الفتى لا يلبق به أن يتخذ البيوت مجالس ، وإنما سروج الخيل يقضى أياها عليها فى الغارة على أعدائه .

(٣) الوعى والمهيجاء : من أسماء الحرب . وقوله والطمن إلى آخره : كلام مستأنف يقول : وظنوا أن الحرب لمب : أى إذا لعبوا فى الميدان فظاعنوا بالرمح ظنوا أن ذلك هو الحرب ، والطمن فى اللب غير الطمن فى الحرب ، لأن طمن اللب طمن مع إبقاء ولا إبقاء فى الحرب . يريد أن أهل زمانه لاهون ، أما هو فلا يعرف غير الجد وطلب العلى .

(٤) يقول : إذا قاد خيله إلى طمان الأبطال فى الحرب ، فقد قادها إلى ما هو عادة له وإلى وطنه ، لأنه من للمركة فى وطن .

(٥) كل : إما بالرفع على أنه خبر عن ضمير محذوف يعود على الجياد ، وإما بالنصب على أنه بدل من الجياد ، وابن سابقه : أى كل فرس ولدته سابقة من الخيل . يقول : كل فرس كريم إذا نظر إليه صاحبه راقه وسر بحسنه وبدد أحزانه .

(٦) الوعى : من أسماء الحرب ؛ والأرسان : جمع رسن ، ما يكون فى رأس الدابة تمنع به من التصرف . يقول إن خيله مؤدبة بآداب الحرب إذا خليت لم تفرح من مكانها

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونَ غِبَارُهُ
يَزِمِي بِهَا الْبِلَدَ الْبَعِيدَ مُظْفَرٌ
فَكَأَنَّ أَرْجُلَهَا بِتَرْبَةٍ مَنبِجٍ
حَتَّى عَبْرَنَ بَارَسَنَاسَ سَوَاحِمًا
يَقْمُضَنَ فِي مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ
فَكَأَنَّهَا يُبَعِّرُنَ بِالْأَذَانِ (١)
كُلُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانَ (٢)
يَطْرَحُنَ أَيْدِيَهَا بِحِصْنِ الرَّانِ (٣)
يَنْشُرُنَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانَ (٤)
يَذَرُ الْفُحُولَ وَهْنٌ كَالْخِصْيَانِ (٥)

فكانها مربوطة ، وإذا دعوتها أتتك ، فلا تحتاج إلى جذبها بالرسن ؛ قال ابن جنى : وهذا كقوله .

تَمَطَّفُ فِيهِ وَالْأَعْفَةُ شَعْرُهَا وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامُ

(١) الجحفل : الجيش العظيم . وفي جحفل : حال من الجياد . يقول : قاد خيله في جيش عظيم قد تكاثف غباره حتى ستر العيون ؛ فلا تبصر فيه الخيل مع صدق حاسماً نظرها ؛ ولما سكنها إذا أحست شيئاً نصبت آذانها ، فكانها تبصر بآذانها ، وهذا من بديع التخيل ، وفيه نظر إلى قول البحرى :

وَمُقَدِّمِ الْأُذُنِينَ تَحْسِبُ أَنَّهُ بِيهَا رَأَى الشَّخْصَ الَّذِي لِأَمَامِهِ

(٢) يريد بالمظفر : سيف الدولة . يقول : إنه رجل قد عوده الله الظفر والنصر ؛ فلا يبعد عليه شيء ، فالبعيد في نظره كالقريب في نظر غيره . لعزمه على الأمور .

(٣) منبج : بلد بالشام ؛ — على مرحلتين من حلب — وحصن الران : من بلاد الروم . يريد سعة خطورها في العدو — الجرى — يقول : كأن أرجلها بالشام وأيديها بالروم لبعدها مواقع أيديها من أرجلها ، أى كأنها تقصد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة . قال ابن جنى : وبين « منبج » و « حصن الران » مسيرة خمس ليال .

(٤) أر سناس : نهر بالروم ، بارد للماء جداً ، يريد : لسرعتها في السباحة — تنتشر عمامة فرسانها .

(٥) يقمصن : يثبن . والمدى : جمع مديّة — السكين . يقول : إن الخيل تثب في هذا النهر الذى هو كالمدى — السكاكين — لضرب الريح إياه حتى صيرته طرائق كأنها مدى من ماء بارد يذر — يدع — الفحل كالخصى لتقلص . خصيته لشدة برده

وَالْمَاءَ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخْلَصٌ تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ (١)
 رَكْضَ الْأَمِيرِ وَكَالْحَبِينِ حَبَابُهُ وَنَفَى الْأَعْنَةِ وَهُوَ كَالْمَقِيَانِ (٢)
 فَتَلَ الْجِبَالَ مِنَ الْفَدَائِرِ فَوْقَهُ وَبَنَى السَّفِينِ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ (٣)
 وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِفَيْزِ قَوَائِمِ عُمْمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ (٤)
 تَأْتِي بِمَا سَبَتِ الْخَيُْولُ كَانْهَأ تَحْتَ الْحِسَانِ مَرَايِضُ الْفِزْلَانِ (٥)

(١) العجاجة : العبرة . يقول : إن الجيوش صار فريقين في عبور هذا النهر : فريق عبروا ، وفريق لم يعبروا ، ولكل واحد منهما عجاج - غبار - والماء بينهما ، فالعجاجتان تفترقان بالماء وتلتقيان من فوقه لشدة انتشارهما ؛ وقال ابن جنى : يعنى عجاجة المسلمين وعجاجة الروم قال الواحدى : وليس كما ذكر ، لأنهم عند عبور النهر ما كانوا قاتلوا الروم بعد . ولكن البيت التالى يؤيد ما ذهب إليه ابن جنى . قال ابن جنى : ربما حجز الماء بين عجاجتين وربما جازتاه فالتقنا ، ولما نشور العجاجة في الشتاء ؛ قال : وسألته : أى التنبى - عند القراءة عن هذا ، فذكر أنه شاهده ، قال ؛ وكان في حزيران - وقال هو من أبرد المياه في كل وقت ، لأنه يذوب من الثلج .

(٢) اللجين : الفضة ؛ والحباب : الفقاقيع التى تملو الماء ؛ والأعنة : جمع عنان ، ما يصكون في رأس الفرس ؛ والمقيان : الذهب . يقول : عبر سيف الدولة هذا النهر وركض خيله إلى الروم والماء أبيض كالفضة ، فلما قتلهم وجرت فيه دماؤهم عاد وقد احمر كالذهب

(٣) الفدائر : جمع غديرة ، وهى الحصلة من الشعر ؛ والسفين : جمع سفينة . يقول : اتخذ جبال سفنه من ذوائب سبابه من نسائهم ، واتخذ خشبها من الصلبان التى استولى عليها من معايدهم ، وذلك لكثرة ما غنم وسبى .

(٤) حشاه : فعل ماضى ، والضمير للماء . وعادية : أى راحة ، من العدو - الركض - وعقم : جمع عقيم ، وهو الذى لا يلد ؛ والحوالك : الشديدة السواد : يقول : حشا ماء النهر سفنا تعدو ولا قوائم لها ، وهى عقم لا تلد ، وألوانها سوداء لأنها مقيرة - مطلية بالقار - شبه السفن بالحيل العادية والحيل لها قوائم ، ومن عاداتها أن تنتج ، فبين أنه أراد السفن .

(٥) يقول : إن هذه السفن تحمل النساء التى سبتهن الفوارس وكانهن غزلان والسفن

رَرَّ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَطَوَارِقِ الْحَدَثَانِ (١)
فَتَرَ كَتَبَهُ وَإِذَا أَدَمٌ مِنَ الْوَرَى رَاعَاكَ وَاسْتَنْقَى بَنِي حَمْدَانَ (٢)
الْمُخْفِرِينَ بِكُلِّ أَبْيَضٍ صَارِمٍ ذِمَمَ الدَّرُوعَ عَلَى ذَوِي التَّيْجَانِ (٣)
مُتَّصِلِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ (٤)
يَتَّقِيُونَ غِلَالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ أَجَلَ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةَ السَّرْحَانِ (٥)

مرايض لها ، هذا : والمرريض جمع مريض ، وهو ماوى الغنم والوحش ويجمع مريض على مرايض وأرباض ، قال المعجاج يصف الثور الوحشى ؛

واعْتَادَ أرباضاً لها أرى من معدن الصيرين عذملى (١)

(١) و(٢) بحر أى هو - النهر - بحر الح . وأذم له من فلان . أجاره منه . والحدثان : حوادث الدهر ونوائبه . وقوله وإذا أذم ، جملة حالية : والورى : الخلق . وبنو حمدان : عشرة سيف الدولة . يقول : هذا النهر الذى عبره سيف لدلة بحر تعود أن يجبر أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنع العدو من العبور إليهم ، ولكن لما عبرته أنت تركته يجبر أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان ، يعنى أن غيرك لا يقدر على عبوره .

(٣) المخفرين : نعمت بنى حمدان ، أو منصوب على اللوح . ويقال : خفرت الرجل : إذا أجرته وأخفرتة : إذا نقضت عهده . والأبيض : السيف . والصارم : القاطع . والقدم جمع ذمة : يقول : إن بنى حمدان هم الذين يتقضون عهود الدروع التى على الملوك بسيفوفهم لما جعل الملوك فى ذمم الدروع لأنهم تحصنوا بها وهى وقاء لهم ، فكأنهم فى خفارتها جعل سيفوف بنى حمدان تنقض تلك الذمم بهتك دروعهم والوصول إلى أرواحهم .

(٤) التصعلك . التشبه بالصعاليك ، وهم المتلصصون الذين لا مال لهم وعلى كثافة ملكهم : أى مع عظمة ملكهم وخفامته . يقول : هم على عظم ملكهم كالصعاليك . لتعرضهم للغارات وشدائد الأسفار . وهم مع عظم شأنهم يتواضعون للناس كرماء ولينا (٥) التقيلى : النوم فى القائلة ، وهى نصف النهار . والمطهم : الحسن التام الخلق من الحيل . والأجل وقت الشيء الذى يحل فيه ويراد به أجل الموت وهو صفة لمطهم ؛

(١) اعتادها : أتاها ورجع إليها ، وقوله لها أرى : أى لها آخية من مكانى البقر لا تزول ، ولها أصل ثابت فى سكون الوحش ، بها قال ابن السكيت . وقد تسمى الآخية آريا ، وهو جبل تشد به الدابة فى محبسها ، والعدملى : القديم

خَضَعَتْ لِمُنْصَلِكِ الْمَأْصِلِ عَنُودَ (١)
 وَأَذَلَّ دِينَكَ سَائِرَ الْأَدِيَانِ (١)
 وَطَلَى الدَّرُوبِ وَفِي الرَّجُوعِ غَضَاضَةً (٢)
 وَالسَّيْرِ مُتَمَتِّعٌ مِنَ الْإِنْسَانِ (٢)
 وَالطَّرْقُ ضَيْقَةُ الْمَسَالِكِ بِالْقَنَا (٣)
 وَالكَفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الْإِيمَانِ (٣)
 نَظَرُوا إِلَى زُبْرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهَا (٤)
 يَصْعَدُونَ بَيْنَ مَنَاقِبِ الْعِقْبَانِ (٤)

والظلم القديم من النعام . والريقة : العروة من جبل يشد بها والسرطان : القديس . يقول : إذا خرجوا في الغارات استظلوا عند اعتداد الحر بظل خيولهم ، يعني أنهم مثل البدو لا ظل لهم ، فإذا قالوا - من القيولة - لجأوا إلى ظلال خيلهم . ومعنى قوله :

* أجل الظلم وريقة السرطان *

أنها - الخيل - إذا طردت النعام والذئب أدركتها فقتلتها ومنعتها من العدو : وهذا من قول امرئ القيس :

بِمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٌ

وامرؤ القيس : هو أول من قال « قيد الأوابد » ثم تبعه الشعراء قال ابن الرومي في الغزل :

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
 إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلِّمْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمَحَدَّثُ أَنَهَا لَمْ تُوجَزِ
 شَرِكُ الْعُقُولِ وَتَرْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطَمِّنِ وَعَقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِرِ

ورواية يتقيلون : هي رواية ابن جني ، وذهب في معناها مذهبا غير الذي أسلفنا ، قال يتقيلون من قولهم فلان يقيل أباه ؛ إذا كان يتبعه ، والمعنى يتقيلون آباءهم السابقين في الشرف والسبق إليه كالفرس المظهم . وقال ابن فورجه وابن القطاع : إنما الراوية يتقيلون ، يعني أنهم يستظلون في شدة الحر بأفياء خيلهم يصفهم بالغرب والتبدي - أي التقية بأهل البادية .

(١) المنصل : السيف ؛ وعنود : أي قهرا .

(٢) و(٣) و(٤) على الدروب : صلة نظروا في البيت الثالث - أو حال من ضميره ؛

والدروب : المداخل إلى الروم . والغضاضة : الفلاة والمار - أي ما يفيض من الإنسان ؛ والقنا : الرماح . والمراد بالكفر والإيمان . أصحابهما والزبر : جمع زبرة ؛ وهي القطعة من الحديد والمراد : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب ، الطائر المعروف . يقول : حين

وَفَوَارِسٍ بِمُحْيِي الْجِمَامِ نُفُوسَهَا فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَّانِ (١)
 مَا زِلْتَ تُضْرِبُهُمْ دِرَاكًا فِي الذَّرَى ضَرْبًا كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ (٢)
 خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانِ (٣)

كنا على الدروب وقد اشتدت الحال حتى تصدروا علينا الانصراف والرجوع ، لما في ذلك من العار والمغاضة وتعذر التقدم لكثرة الجيوش أماننا وقد ضاقت الطرق لكثرة الرماح واعتباكها وأهل الكفر قد أحاطوا بأهل الإيمان وتكاثروا عليهم - في هذه الأحوال وفي هذا المكان نظر الروم إلى سيوف المسلمين ترتفع في الهواء - عند رفع الأبطال إياها للضرب - كأنها تصعدنا مناكب العقبان ، فلا يرونها إلا فوق رؤوسهم أو تقول : في هذه الأحوال نظر الروم إلى المسلمين وهم مقنعون في الحديد ، حتى كأنهم قطع الحديد ، لاشبهاله عليهم ، وهم فوق خيل كالعقبان في خفتها وسرعتها .

(١) فوارس : عطف على « زبر الحديد » . والحمام : الموت . يقول : ونظروا إلى فوارس إذا قتلوا في الحرب حيو : أي يرون حياتهم في قتلهم في الحرب ، وكأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان لا يحيى بهلاكه ، يعني أنهم غزاة مجاهدون في سبيل الله من استشهد منهم بالقتل صار حياً مرزوقاً عند الله ، كما قال سبحانه وتعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

يَسْتَعْدِبُونَ مَنَآيَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

وقال ابن القطاع : هو مأخوذ من قول زهير نقله نقلاً :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تَمَطِّيه الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

وهو من الأخذ الخفي ، لأن زهيراً جعل المدوح يسر بما يعطى سائله حتى كأنه يأخذه ، وجعل المتنبي هؤلاء الفرسان يسرعون إلى القتل في الحرب حتى كأنه حياة .

(٢) الدراك : للتأبئة . والذرى جمع ذروة ، وهي أعلى كل شيء . يقول : ما زلت تضربهم ضرباً متتابعاً في أعلى أبدانهم ، يعمل السيف الواحد فيه عمل سيفين ، من السرعة ، أو لأنه ينفذ المصروب إلى آخر فيقطعه أيضاً ، فكأنه سيفان . وقال ابن جنى : يريد أنك سيف ومعك سيف ، فالضرب ضرب سيفين .

(٣) الضمير في « خص » يعود على الضرب والجمام : جمع جمعة ، وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ . يقول : إن هذا الضرب لا يقع إلا في وجه أو في رأس ، لأنه

فَرَمَوْا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَذْبَرُوا يَطَّوُونَ كُلَّ حَنِيصَةٍ مِرْنَانَ^(١)
يَفْشَاهُمْ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلاً بِمُتَّقِفٍ وَمُهَنْئِدٍ وَسِنَانٍ^(٢)
حَرُمُوا الَّذِي أَمَلُوا وَأَدْرَكَ مِنْهُمْ أَمَالَهُ مَنْ عَادَ بِالْحِرْمَانِ^(٣)
وَإِذَا الرِّمَاحُ شَفَلْنَ مُهَجَّةً نَائِرٍ شَفَلَتْهُ مُهَجَّتُهُ عَنِ الْإِخْوَانِ^(٤)

أوحى قتلا ، ولا يتعرض لسائر الجسد ، فكان أجسامهم أمت إليك بأمان ، ومن ثم لا تعرض لها .

(١) الحنية : القوس . والمرنان : التي يسمع لها رنين . يقول : رموا قسيهم التي كانوا يرمون عنها ثم انهزموا مديرين يطوان في هزيمتهم تلك القسي . التي رموك بها .

(٢) مفصلاً : من تفصيل القلادة ، وهو أن يجعل بين كل لؤلؤتين خرزة وللتقف : المقوم ، يعني الرمح . والمهند : السيف الهندي . والسنان : الزج الذي في أسفل الرمح يقول : كان وقع السلاح كوقع المطريأتي دفعة دفعة ؛ وأراد بالسحاب : الجيش ؛ وبالطر الوقعات التي تقع بهم من السيوف والرماح ؛ وهي تقع بهم مفصلة ، لأنهم يضربون تارة بالرمح وتارة بالسيوف .

(٣) يقول : حرموا ما أملوا من الظفر بك ، فصار من عاد منهم إلى بيته بالحرمان يعد نفسه مدركا أملة ، لأنه نجا بنفسه ، و« عاد » يروى عاذ — بالذال للمعجمة — من عذت بالشيء : امتنعت به ، وعلى هذه الرواية يكون المعنى : أدرك أملة منهم من لجأ إلى الرضى بالحرمان فترك الحرب وسلم بنفسه . هذا : ويقال أملت الشيء تأميلا ، وأملته أملة أملا .

(٤) المهجة : الروح . والنائر : طالب الدم . يقول إذا تناوشت الرماح صاحب نأر شفلته صيانة روحه عن إدراك نأر إخوانه . يعني أن الروم لما أحسوا بالتهلكة خذل بعضهم بعضا وشغلوا بأنفسهم عن إدراك نأر قتلاهم وهنا زلت قدم ابن القطاع ، فذهب في تفسير البيت إلى غير الذي ذكرنا وخبط خبط عشواء ، قال : هذا البيت من معانيه الغامضة . وذلك أنه في مدح سيف الدولة ، وظهره مجاء محض ، لأنه يقول : شفلت سيف الدولة مهجته عن إخوانه ؛ وهذا غاية المحجو ، لأن العرب مهدت الرئيس بقتاله عن أصحابه وبذله مهجته دونهم ، وقد قال : إن سيف الدولة اشتغل بالدفاع عن الإخوان ، فخذف الجار ، وقد قيل فيه : إن معناه : إذا الرماح شغلن مهجة نأر مشغول بمهجته اشتغل سيف الدولة ، بالدفاع عن الإخوان ، فالأول يكون الضمير فيه لسيف الدولة ،

هَيْهَاتَ عَاقٍ عَنِ الْعِوَادِ قَوَاضِبٌ
 وَمَهْذَبٌ أَمَرَ التَّنَائِيًا فِيهِمْ
 كَثُرَ الْقَتِيلُ بِهَا وَقَلَّ الْعَامِي (١)
 فَأَطَاعَتْهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ (٢)
 قَدْ سَوَدَتْ شَجَرَ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ
 وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي
 فَكَأَنَّهُ النَّارُ نَجَّجُ فِي الْأَغْصَانِ (٣)
 إِنَّ الشُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ
 كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَّقَى الْجُمُعَانِ (٤)

والثاني يكون « شغلته » صفة لثأر ، وهذا إن سلم من الهجاء صح به المعنى ، فإن الكلام يحتمل في الحذف مالا يحتمله ، والصحيح من معنى هذا البيت أن قوله « عن » بمعنى الباء ، فيكون المعنى شغلت سيف الدولة مهجته بإخوانه ؛ وهو مثل قوله تعالى « وما ينطق عن الهوى » أي بالهوى .

(١) العواد : للمعاودة ، مصدر عاود ، بمعنى عاد . والقواضب : السيوف ؛ والقاني : الأسير . يقول : بعد ما أملاوا من العود إلى القتال فقد طاقهم عن ذلك سيوف كثرت بها القتل منهم وقل من يجرح ولا يموت فيؤسر .

(٢) مهذب : عطف على « قواضب » : يقول : يعوقهم عن العودة مهذب — يعني سيف الدولة — أطاعته للتناي في إهلاكهم — أي الروم — وهذه الطاعة : أي طاعة التناي له هي طاعة لله سبحانه ، لأنه جهاد في سبيل الله .

(٣) للسفة : من قولهم أسف الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه . والضمير في قوله « فيه » للشجر . يقول : كثرت قتلام حتى أطارت الريح شعورهم على أشجار الجبال فاسودت بها فكان الغربان وقعت عليها . شبه سواد شعورهم على الأشجار بالغربان السود .

(٤) النجيع : الدم . والقاني : الشديد الحرارة . وأصله الهمز فلينه لتضريح . والنارنج : معروف . يقول : لما بمر شعورهم على الأشجار اسودت ، ولما جرت دماؤهم على ورق الشجر احمر ، فصار لحرته كأنه النارنج في الأغصان .

(٥) يقول : إن السيوف إنما تعين الشجعان الذين لا يفزعون في الحرب ، كما لا تفزع هي ولما ذكر قلوبهم استعار لها — للسيوف — قلوباً ؛ وهذا من قول البحترى :

وَمَا السِّيفُ إِلَّا بَرْغَادٍ لَزِينَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السِّيفِ حَامِلِهِ
 قَالَ ابْنُ جَنَى : قَوْلُهُ إِنَّ السِّيفَ مَعَ : يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى النَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ ، كَمَا تَقُولُ : اللَّهُ
 مَعَنَا : أَيُّ مَعِينٍ وَنَاصِرٍ ، وَبَلِيسَتْ فِي مَعْنَى الصَّحْبَةِ ، لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَهَا

تَلَقَى الْحَسَامَ عَلَى جِرَاءَةٍ حَادِهِ مِثْلَ الْجَبَانِ يَكْفُ كُلُّ جَبَانٍ (١)
 رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النَّيِّرَانِ (٢)
 أَنْسَابُ فَنَحْرِهِمْ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا أَنْسَابُ أَصْلِهِمْ إِلَى عَدْنَانَ (٣)
 يَا مَنْ يُقْتَلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ أَصْبَحَتْ مِنْ قَتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ (٤)
 فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونِكَ نَاطِرِي وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَ فِيكَ لِسَانِي

وقال في صباه في المكتب :

أَبْلَى الْهَوَى أَسْمًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ (٥)

نفع ، والمراد أن السيوف تنصر الدين قلوبهم كقلوبها ، وإنما يريد إذا كانوا ماضين في الحرب كانت السيوف قاطعة ماضية .

(١) تلقى : أى أيها المخاطب . والحسام : السيف القاطع . وعلى جراءة حده : أى مع جراءة حده : يريد مع مضائه في الضريبة ، فعبّر عن ذلك بالجراءة لمقابلة الجبان . يقول : إن السيف الماضى إذا كان في يد الجبان لم يغن في يده شيئاً ، كما لا يغنى الجبان ، لأن الفعل للضارب .

(٢) العماد : الأبنية الرفيعة ، يذكر ويؤنث : الواحدة عمادة ، ويقال: فلان رفيع العماد : إذا كان في قومه شريفاً ، فهم يعنون عماد بيت الشرف ، والعرب تضع البيت موضع الشرف في النسب والحسب ؛ وانقمم : جمع قمة وهى أعلا الرأس ؛ وللواقد : جمع موقد . يقول : ارتفعت بك العرب وشرفت وقاتلوا الملوك فأوقدوا على رؤوسهم نار الحرب ، ولك أن تقول : قاتلوا الملوك فقطعوا رؤوسهم وجعلوا جماجمهم أئافى ، احتقاراً لهم .

(٣) يقول : هم ينتسبون من جهة آبائهم إلى عدنان ، ولكنهم في الفخر والشرف ينتسبون إليك .

(٤) يقول : أنت تقتل من أردت بسيفك : أى لا يمتنع منك قتل من أردت ، لكنك أحسنت إلى وغمرتني بإحسانك حتى قتلني : أى امتعبتني بالمنة والإحسان .

(٥) يقال : بلى الثوب يبلى بلى وبلاء وأبلاه غيره يبليه إبلاء . والأسف : شدة الحزن ؛ ونصب « أسفا » على المصدر ، وعامله محذوف دل عليه ما تقدمه ، لأن « إبلاء

رُوحٌ تَوَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتْ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبَ لَمْ يَبِينِ^(١)

المهوى بدنه « يدل على أسفه ، كأنه قال أسفت أسفا : ويوم النوى : ظرف له «أبلى» ويجوز أن يكون معمول المصدر الذي هو قوله « أسفا » ، والنوى : البعد ؛ والوسن : النوم . ومنى لإبلاء المهوى البدن : إذهابه لسه وقوته بما يورد عليه من شدائده ؛ وخص يوم النوى ، لأن برح المهوى إنما يشتد عند العراق . والمهوى عذب مع الوصال ، سم مع العراق ، كما قال السري الرفاء :

وَأَرَى الصَّبَابَةَ أَرِيَّةَ مَا لَمْ يَشُبْ يَوْمًا حَلَاوَتَهَا الْفِرَاقُ بِصَابِهِ
« أريّة : فعلة من الأرى ، وهو العسل » . يقول : أفضى المهوى يديني إلى الأُسْفِ والمزال يوم الفراق ، وأبعد هجر الحبيب بين جفني والنوم ، أى لم أجد بعده نوما .
(١) روح : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لى روح . والروح : يذكر ويؤنث ؛ ومن ثم لك أن تجعل « تردد » فعلا ماضيا - على تكبير الروح - وأن تجعله مضارعا - على تأنيها - وأصله تردد - بتاءين - فحذفت إحداهما للتخفيف . والخلال : هو ذلك العود الدقيق الذى تخلل به الأسنان . يقول : لى روح تذهب وتجيء فى بدن مثل الخلال فى النحول والدقة إذا طيرت الريح عنه الثوب الذى عليه لم يظهر ذلك البدن لدقته : أى إنما يرى لما عليه من الثوب فإذا ذهب عنه الثوب لم يظهر . ويجوز أن يكون معنى « لم يبين » لم يفارق أى أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب لحفته . قال الواحدى : وأقرانى أبو الفضل العروضى فى مثل الخيال ، قال - العروضى - : أقرانى أبو بكر الشعراى خادم التنبى : الخيال ، قال ولم أسمع الخلال إلا بالرى فما دونه ؛ يدل على صحة هذا أن الواواء الدمشقى سمع هذا البيت فأخذه فقال :

وَمَا أُبْقَى الْمَهْوَى وَالشُّوقُ مَنِ سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي خِيَالِ
خَفِيَتْ عَلَى النَّوَائِبِ أَنْ تَرَانِي كَأَنَّ الرُّوحَ مِثْنِي فِي مَحَالِ
وهذا المعنى - كما قال الواحدى والمكبرى - كثير قد آلت به الشعراء القدامى والمحدثون ، وأحسن ما قيل فيه قول بعضهم :

بَرَانِي الْمَهْوَى بَرَمَى الْمُدَى وَأَذَابِنِي
فَلَسْتُ أَرَمَى حَتَّى أُرَاكَ وَإِنَّمَا
صُدُودُكَ حَتَّى صِرْتَ أُنْحَلُ مِنْ أُنْسِ
يَبِينُ هِبَاهُ الدَّرِّ فِي أُنْقِ الشَّمْسِ
وقول الآخر :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانَهَا بَاهَتْ

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنِّي رَجُلٌ لَوْلَا مَخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرِنِي (١)

(١) الباء في « بجسمي » : زائدة ؛ وجسمي : مفعول « كفى » ونحوها : تمييز ؛
وأنتي رجل : في تأويل مصدر ، فاعل « كفى » . يقول - صاحبه - : كفاني فعل
النحول بي أنتي رجل لو لم أتكلم لم يقع على البصر : أي إنما يستدل على بصوتي ، كما قال
أبو بكر الصنوبري :

ذُبْتُ حَتَّى مَا يُسْتَدَلُّ عَلَى أَذَى حَى إِلَّا بِبَعْضِ كَلَامِي
وأصل هذا المعنى قول الأخطل :

ضفادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةُ الْبَحْرِ
وزولا على حكم خطتنا في هذا الشرح نورد ما ذكره ابن الشجري في تليقته النحوية
على هذا البيت قال فيه سؤال في الإعراب يعر « كفى بجسمي نحولا » وبين « كفى
باقه » و « أن » المفتوحة تسكن مع مدخولها في تأويل المصدر كقولك : بلغني أنك
ذاهب ، أي ذهابك ، فبأي مصدر تتقدر ؟ وجملة « لولا مخاطبتي » وصف لرجل ،
و « رجل » من قبيل الغيبة ، فكيف عاد إليه منها ضمير متكلم ؟ وكان الوجه أن يقال :
لولا مخاطبته إياك لم تره ؟ الجواب : إن « كفى » ماعلمت فيه زيادة الباء تارة مع فاعله ،
وتارة مع مفعوله : ودخولها على مفعوله قليل ، فزيادتها مع الفاعل مثل : كفى بالله .
والعنى : كفى الله ، والذي يدل على أنها مزيدة في « كفى بالله » قول سحيم :

* كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلرَّءِ نَاهِيَا *

وأما زيادتها مع المفعول ، ففي مثل قول حسان :

* وَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا (١) *

وكفى بجسمي ، لأن فاعل كفى : « أن » وما بعدها ، وأسبغ لك من ذلك فاعلا
بمادل الكلام عليه من النفي بـ « لم » ، وامتناع الشيء لوجود غيره بـ « لولا » ، والتقدير : كفى
بجسمي نحولا انتفاء رؤيق لولا وجود مخاطبتي ، و « نحولا » نصب على التفسير ،
والتفسير في هذا النحو للفاعل دون المفعول ، وقوله : « كفى بالله وكيفا » فوكيلا تفسير

(١) تقدم أن « من » زائدة بين « على » ومجرورها وهو « غيرنا » وعجزه :

* حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا *

لاسم الله ، ونحوها : تفسير لاتقاء الرؤية ، كما أن « فضلا » في بيت حسان تفسير لحب النبي صلى الله عليه وسلم بإمام ، فهذا فرق في الإعراب بين « كفى بالله » وبين « كفى بحمى » من حيث كان بالله فاعلا ووكيلا ، و« بحمى » مفعولا ، وإنما زيدت الياء في نحو كفى على معناه إذ كان معناه اكتف بالله ، ونظيره : حسبك يزيد ، وأما قوله : « أنتي رجل » فغير موطن ، والخبر في الحقيقة هو الجملة التي وصف بها رجل ، والخبر الموطئ هو الذي لا يفيد بانفراده عما بعده ، كالحال الموطئة في نحو : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا » ألا ترى أنك لو اقتصرنا هنا على رجل ، لم تحصل به فائدة ؟ وإنما الفائدة مقرونة بصفته ، فالخبر كإضافة في الكلام ، فلذلك عاد الضميران اللذان هما « الياءان » في « مخاطبتي » و« ترى » إلى الياء في « أنتي » ولم يعودا على رجل ، لأن الجملة في الحقيقة خبر عن « الياء » في « أنتي » وإن كانت بحكم اللفظ صفة « لرجل » ولو قلت « إن رجل » لما كان هو الياء التي في « أنتي » من حيث وقع خبراً عنها عاد الضميران إليه على المعنى كأن قولاً ؛ ونظيره عود الياء إلى « الذي » في قول على عليه السلام :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةَ * (١)

لما كان في المعنى « أنا » وليس هذا مما يحمل على الضرورة ، لأنه قد جاء مثله في القرآن « بل أنتم قوم تجهلون » فتجهلون فعل خطاب وصف به قوم ، وقوم من قبيل النبية ، كما ترى ، ولم يأت بالياء ولكنه جاء وفق المبتدأ الذي هو « أتم » في الخطاب ولو قيل : « بل أنتم قوم » لم تحصل بهذا الخبر فائدة ، ومما جاء في الشعر بغير ضرورة قوله :

أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَىٰ عَلَىٰ فَتَبَّتَنِي بِهِ الْجَاهُ أُمُّ كَنْتُ اسْرَأً لَا أُطِيمِهَا

(١) قال أبو العباس ثعلب : لم تختلف الرواة في أن هذه الأبيات لعلى بن أبي طالب رضوان الله عليه :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي الْحَيْدَرَةَ كَلَيْتُ غَابَاتٍ غَلِيظِ الْقَصْرَةِ

* أَكَيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّفْدَرَةِ *

الحيدرة : الأسد ؛ والقصرة : أصل العنق ؛ والسندرة : مكبال كبير ، وقيل اسم امرأة كانت تمكيل كيلا واقيا .

وقال في صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك :

قُضَاعَةٌ تَعْلَمُ أَنِّي الْفَتَى الَّذِي إِذْخَرْتِ إِهْرُوفَ الزَّمَانِ (١)
وَتَجِدِي بِدُلِّ بَنِي خِنْدِفٍ عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانٍ (٢)

أعاد من « أطيعها » ضمير متكلم ، ولم يعد ضمير غائب وفاقا لامرئى ، فهذا دليل إلى دليل التنزيل .

(١) قضاعة : بطن من حمير ، وهى قبيلة التنوخى . والفق : أصله الكريم الشجاع القوى . يقول : قبيلتى تعلم أنى فتاها الذى يحتاجون إليه فيدخرونه لدفع ما ينزل بهم من الحوادث لمكانه من الشجاعة وسداد الرأى . وليلاحظ أن هذه الأبيات هى على لسان غيره وهو من أهل اليمن .

(٢) خندف : امرأة إلیاس بن مضر ، ينسب إليها أحد نخدى مضر . يقول : إن شرفى يدهم على أن كل كريم يعنى - أى من قبائل اليمن - لأنى منهم . ولنعُد إلى خندف قال الأخباريون : خندف هى بنت عمران بن الحاف بن قضاة ، وهى امرأة إلیاس بن مضر ، ولدت له مدركة . وطابحة وقعة ، وكان اسم مدركة « عامرا » واسم طابحة « عمرا » ، قيل إنهم كانوا فى إبل لهم يعونها فصاد عامر وعمرو صيدا ، فقعدا يطبخانه فعدت عادية على إبلهما فقال عامر لعمر : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل ، فجاء بها ، فلما رجعا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : إنك مدركة ، وقال عمرو : أنت طابحة ، فجاءت أمهما تمنى فقال لها : أنت خندف (١) وأما قعة فيقال إن خزاعة من ولده ، ومن ولد عمرو بن لحي الذى هو ابن قعة ابن إلیاس ، وهو عمرو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت يجر قصبه فى النار » (٢) .

وقال محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازى فى أول كتابه : ولد معد بن عدنان أربعة : نزار بن معد وقضاة بن معد - وكان قضاة بكر معد ، وكان به يكنى - وقنص ابن معد ، فأما قضاة فيمت إلى حمير بن سبأ ، وكان اسم سبأ « عبد شمس » ، وإنما

(١) الخندفة : مشية كالمهولة ، فسميت خندف لأنها خندفت فى أمر ابنها : أى أسرع ، وأما « قعة » فسمى كذلك لأنه اتقمع فى البيت .

(٢) القصب : الأمعاء .

أَنَا ابْنُ اللَّفَّاءِ أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ أَنَا ابْنُ الضَّرَابِ أَنَا ابْنُ الطَّعَانِ (١)
أَنَا ابْنُ الْقِيَافِ أَنَا ابْنُ الْقَوَافِ أَنَا ابْنُ الشَّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرَّعَانِ (٢)
طَوِيلُ النَّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ طَوِيلُ الْقَنَاةِ طَوِيلُ السَّنَانِ (٣)

سمى سبأ ، لأنه أول من سبى في العرب ، واليمن تقول : قضاة ابن مالك ، وأنشد عمرو بن مرة الجهمي :

نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْمُهْجَانِ الْأَزْهَرِ (١) قُضَاعَةٌ بِنِ مَالِكِ بْنِ حَمِيرِ
* النَّسَبِ الْمَعْرُوفِ غَيْرَ الْمُنْكَرِ *

وأما «قنص» فهلكت ، وهم ملوك الحيرة الذين منهم النعمان بن المنذر ؛ وقوله «كل كريم يمان» يريد : من قبائل اليمن الذين ينسبون إلى سبأ ، وقد جاء في مدح اليمن ما فيه كفاية ؛ ويكفيهم غفرا قوله عليه الصلاة والسلام : «الإيمان يمان ؛ وأجد ريح الرحمن من قبل اليمن ، والحكمة يمانية ، وأهل اليمن ألين قلوبا»

(١) جرت عادة العرب أن يقولوا لكل من لزم شيئا أنه ابنه حتى قالوا لطير الماء : ابن الماء . واللقاء : ملاقة الأقران في الحرب ، والضراب : مصدر ضارب يضارب ضرابا ، وهو من ضرب السيف . والطعان : كذلك ، مصدر طاعن يطاعن طعانا ، وهو من الطعن بالرمح . يقول : أنا صاحب هذه الأشياء لا أطارقها .

(٢) القيافي : جمع قفاء ، وهي الفلاة ؛ والقوافي : جمع قافية ، وهي في الأصل آخر البيت ، وقد يقولون للقصيد قافية . والرعان : جمع رعن ، وهو أنف الجبل الشاخص منه . يقول : أنا صاحب الفلوات لكثرة جوبى إياها وصاحب القصائد أجيدها وأبدع فيها ، وصاحب الجبال لكثرة سلوكي طرقها .

(٣) النجاد : حمالة السيف ، وطولها دليل على طول القامة ، والطول مما تتمدح به العرب .

* وَإِنْ أَعَزَّاءَ الرِّجَالِ طِيْلَاهُمَا *

والعماد : عمود الخيمة الذي تقوم عليه ، وذلك مما يمدح به ، لأنه يدل على كثرة

(١) المهجان : الكريم ؛ والمهجان من كل شيء : الخالص ، مأخوذ من المهجان ، وهو الأبيض .

حَدِيدُ اللَّحَاظِ حَدِيدُ الْحِفَاظِ حَدِيدُ الْحَمَامِ حَدِيدُ الْجَنَانِ (١)
يُسَابِقُ سِنِي مَنَآيَا الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كَأَنَّهَا فِي رِهَانٍ (٢)

غاشيته وزواره . وطول القناة - الرمح - يدل على قوة حاملها لأنه لا يقدر على استعمال القناة الطويلة إلا القوى .

(١) اللحاظ : طرف العين مما يلي الصدغ . يريد أن بصره حديد يرى مقاتل عدوه في الحروب . والحفاظ : المحافظة على ما يجب حفظه . والحمام : السيف القاطع . والجنان : القلب . يقول : هذه الأشياء مني حديدة - قوية -

(٢) الناياء : جمع منية ، وهي الموت . والرهان : السباق . يقول : سيني يبادر آجال الناس ليسبقها فيقتلهم قبل انقضاء آجالهم ، قال صخره :

وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا وَالطَّمْنُ مَنِيٌّ سَابِقُ الْآجَالِ

ومثله قول أبي تمام :

يَكَادُ حِينَ يُبْلَغِي الْقِرْنَ مِنْ حَفَنِي قَبْلَ السِّبَانِ قَلِي حَوْبَانِي يَرْدُ (١)

هذا : والرهان من قولهم راهنت فلانا على كذا - أى خاطرته - وهو الرهن الذي كانوا يرهنون في سباق الخيل ، وقد جاء رهنته وأرهنته بمعنى ، وأنشدوا لهمام بن مرة وفي الصحاح لمبد الله بن همام السلولي :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجوتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِكََا
غَرِيبًا مُقِيمًا بَدَارِ الْمَوَا نَ أَهْوَنَ عَلَيَّ بِهِ هَالِكََا
وَأَحْضَرْتُ عُذْرِي عَلَيْهِ الشُّهُوَ دَإْنٌ طَازِرًا لِي وَإِن تَارَكََا
وَقَدْ شَهِدَ النَّاسُ عِنْدَ الْإِمَا مَ أَنِي عَدُوٌّ لِأَعْدَائِكََا

قال أبو العباس ثعلب : كل الرواة قالوا وأرهنتهم ، إلا الأصمعي فإنه رواه وأرهنهم عطفا لفعل مستقبل على فعل ماض وشبهه بقولهم : قتت وأصك وجهه ، لأن الواو واو الحال . فيجعل « أصك » حالا للفعل ، وقد تاب الأخفش قراءة ابن كثير وابن العلاء فرهن مقبوضة « وقال : هي قبيحة ؛ لأنه لا يجمع فعل على فعل إلا عاذا ، إلا أن يكون رهن جمع رهان مثل ثمر وثمار ، ورهان جمع رهن ؛ وغاب عن الأخفش

(١) الحوباء : النفس .

يَرَى حَدَّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي (١)
سَأَجْقَلُهُ حَكْمًا فِي النَّفْسِ وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي (٢)

وقال أيضا في صباه :

كَتَمْتُ حُبِّكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرِمَةٌ مُمَّ اسْتَوَى فِيكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي (٣)

جمعهم سقفا على سقف ، فقد قرأ أهل الكوفة ونافع وابن عامر « وليوتهم سقفا من فضة » وهذا جمع سقف ، فكان الأولى أن يعيب على هؤلاء جمعهم سقفا على سقف « راجع لسان العرب والعكبري »

(١) الضمير في « حده » للسيف ، والهبوة : الغبار . وغامضات القلوب : الغامضة في الأبدان ، وإنما خصها دون سائر الأعضاء الغامضة ، لأنها مقاتل بلا شك . يقول : يرى حد سيني قلوب الأعداء فيتهدى إليها حين يظلم الغبار في الحرب حتى لا يرى الفارس نفسه ؛ وهذا من قول زيد الخيل :

وَأَسْمَرَ مَرْفُوعَ يَرَى مَا أَرَيْتُهُ بِصِيرٍ إِذَا صَوَّبْتُهُ بِالْمَقَاتِلِ
[يريد إذا هيأته نحو العدو ؛ وبالمقاتل : صلة بصير] . وقال أبو تمام :

مِنْ كُلِّ أَرْزَقٍ نَظَّارٍ بِلَا نَظَرٍ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَتْنِهِ أَوْدٌ

هذا : قوله : لا أراي قال الواحدى : لا يجوز أراي بمعنى أرى نفسى ، وإنما يجوز ذلك فى أفعال معدودة نحو ظنفتى وحسبتنى وباهما ؛ وقد جاء شاذا : فقدتنى وعدمتنى ، ولا يقال ضربتنى ولا رأيتنى ولا أكرمتنى ، وإنما يقال ضربت نفسى وأكرمت نفسى فكان الواجب أن يقول : لا أرى نفسى ، وقد جاء رأيتنى ، فعمله على هذا .

(٢) الحكم : بمعنى الحاكم . يقول : سأقتل من أهدأنى من شئت ولسانى كسيفى فى الحدة ، فلو جعلت لسانى مكان سيني لا كتفيت به ، لأنى أبلغ من التأثير فى أهدأنى بلسانى ما يبلغه السيف . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : ولو ناب اللسان عن السيف - بأن يطيعوا أمرى - لم أستعمل فيهم السيف .

(٣) يقول : تكلمت بكتمان حبك حتى كتمت منك أيضا - ويجوز أن يكون معنى

كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضٍ مِنْ جَسَدِي فَصَارَ سَقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كَتْمَانِي (١)

* * *

ودخل على علي بن إبراهيم التنوخي فعرض عليه كأساً فيها شراب أسود ، فقال ارتجالاً :

إِذَا مَا الْكَأْسُ أُرْعِشَتِ الْيَدَيْنِ صَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنِي (٢)

تكرمه : إكراما للحب وإعظاما له حتى لا يطلع عليه — ثم تغيرت الحال حتى صار الإعلان والإسرار سواء ، يعني لم ينفع الإسرار و صار كالإعلان ؛ حيث ظهر الحب بالشواهد الدالة عليه وبطل الكتمان .

(١) يقول : كأن الحب زاد حتى لم أقدر على إمساكه وكتمانه ؛ ثم فاض عن جسدي كما يفيض الماء إذا زاد على ملاء الإناء ، وصار سقمي بالحب في جسم الكتمان : أي سقم كتمانِي وضعف ، وإذا سقم الكتمان صح الإفشاء والإعلان . وعبارة ابن الشجري في أماليه : شبه أبو الطيب حبه بالأشياء المائعة فوصفه بالفَيْض ثم قال — التنبئ — فصار سقمي لما أفرط حبي في الزيادة وصار كالشيء الفاض — صار سقمي قويا به وانتقل إلى جسم كتمانِي فأذابه وأضعفه . فلما ضف الكتمان ظهر الحب لضعف محبيه . قال : وقال أبو الفتح — ابن جنى — دل الكتمان على ، قال وهذا في بدائمه ، وفي هذا القول اختلال في الإعراب وفساد في المعنى وتناقض في اللفظ ، وذلك أنه إذا عاد الضمير من كأنه إلى الكتمان وجب إعادة الضمائر التي بعده إلى الكتمان ، فيصير التقدير : كأن الكتمان زاد حتى فاض فصار سقمي به — أي بالكتمان — في جسم كتمانِي ؛ ففي هذا اختلال في الإعراب كما ترى وقد جعل الكتمان هو الذي أسقمه ، مع أن الحب هو المسقم له .

(٢) أرعشت : من الرعشة ، وهي الرعدة : أي حركت اليدين لسكر شاربها وقوله بيني وبينِي أي بيني وبين عقلي . يقول : غيري يشرب الخمر حتى ترعش يدها سكرا ، أما أنا فإنني أبقى على صحوي : أي لا أشربها حتى لا تحول الكأس بيني وبين عقلي ، قال ابن جنى . وجاء به من طرز كلام الصوفية ، كقول قائلهم :

عَجِبْتُ مِنْكَ وَمِنِّي أَفْنَيْتَنِي بِكَ عَنِّي
أَقْتَنِي بِمَقَامِ خَلَفْتُ أَنْكَ أَنْي

هَجَرْتُ الْخَمْرَ كَالذَّهَبِ الْمَصْنَى فَخَضِرَى مَاءَ مُزْنٍ كَاللَّجِينِ (١)
أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهِيَ تَجْرِي عَلَى شَفَةِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ (٢)
كَانَ بَيَاضَهَا وَالرَّاحُ فِيهَا بَيَاضٌ مُحْدَقٌ بِسَوَادِ عَيْنِ (٣)
أَتَيْنَاهُ نَطْلِبُهُ بِرَفْدٍ يُطَالِبُ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدَيْنِ (٤)

(١) المزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء ؛ واللجين : الفضة . وقوله كالذهب المصنى : حال من « الخمر » وقد قابل بين الفضة وبين الذهب . يقول : لا اشرب الخمر وحسبي الماء .

(٢) هذا من قول أبي تمام :

أَغَارُ مِنَ الْقَمِيصِ إِذَا عَلَاهُ خَافَةَ أَنْ يَلَامِسَهُ الْقَمِيصُ

ومن قول الخبز أرى :

مِنْ لُطْفِ إِشْفَاقٍ وَدِقَّةِ غَيْرَتِي أَنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَائِكَا
وَلَوْ اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لَفُظِكَ غَيْرَةً أَنِّي أَرَاهُ مُقَبَّلًا شَفَتَيْكَ

وقال الواحدي : ولقد أساء أبو الطيب ، لأن الأسماء لا ينفار على شفاهم : ويقول من يعذره - النبي - إنما ينفار لأنه يرفع شفتيه عن رتبة الكأس والخمر ، لأنهما - أي شفتيه - للأمر والنهي والألفاظ الحسنة والأمر بالصلة . ويجوز أن الزجاجاة نالت ما لم ينله أحد ، فهو ينفار حيث لا تستحق الزجاجاة ذلك

(٣) الضمير في « بياضها » للزجاجاة ، والراح : الخمر ؛ وأحرق به : أحاط به ، يقول : كان الزجاجاة البيضاء - وفيها هذه الخمر السوداء - بياض محرق بسواد عين .

(٤) الرغد : العطاء . يقول : إن الرغد الذي سألتناه إياه عده هو ديننا على نفسه واجب الأداء لسكانه من الكرم والأريحية ، كما قال أبو تمام :

غَرِيمٌ لِلْعَلْمِ بِهِ وَحَاشَا نَدَاهُ مِنْ مُمَاطَلَةِ الْغَرِيمِ

وقال أيضا :

إِلَّا نَدَى كَالَّذِينَ حَلَّ قَضَاؤُهُ إِنَّ الْكَرِيمَ لِمُتَقِيهِ غَرِيمٌ

وقال يمدح بدر بن عمار وقد صار إلى الساحل ، ثم عاد إلى طبرية ، وكان أبو الطيب قد تخلف عنه ، فقال يعتذر إليه :

أَلْحَبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ أَلْسِنَا وَأَلَدُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَّا^(١)

(١) ما - في الشطرين موصولة بمعنى « الذي » خبر عن الرفع قبلها . يقول : حق الحب أن يمنع لسان صاحبه من الكلام فلا يقدر على وصف ما في قلبه منه كما قال المهنون :

وَمَا شَكَوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ كَذَّبْتَنِي فَمَا لِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
فَمَا الْحُبُّ حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْحَشَا وَتَخْرَسَ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمَنَادِيَا
وكما قال قيس بن ذريح :

وما هو إلا أن أراها فجأةً فأبهت حتى ما أكاد أجيبُ
قال الواحدى : والظاهر أن « ما » - في قوله ما منع - نفي ، لأن الصراع الثانى حدث على إعلان العشق ، وإنما يعلن من قدر على الكلام ، وهذا كما يقول أبو نواس :

قُبِيعٌ بِأَسْمٍ مَنْ تَهَوَّى وَدَعْنَى مِنَ الْكُنَى
فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونَهَا سِتْرُ

ويقول على بن الجهم :

تَهْتِكُ وَبُحٌّ بِالْمَشْقِ جَهْرًا فَقَلَّمَا يَطِيبُ الْمَهْوَى إِلَّا الْمُنْهَتِكِ السِّتْرُ
ويقول السرى الرفاء :

ظَهَرَ الْمَهْوَى وَتَهْتَكْتَ أَسْتَارَهُ وَالْحُبُّ خَيْرٌ سَبِيلِهِ إِظْهَارُهُ
أَعْصَى الْمَوَازِلَ فِي هَوَاهُ جَهَارَةً فَأَلَدُّ عَيْشِ الْمُسْتَهَامِ جِهَارُهُ
ولعل مادعا الواحدى إلى جواز أن تكون « ما » نيا ؛ هو ما يظهر من التناقض فى البيت إذا جعلت « ما » موصولة ، ومن ثم قال بعض الشراح عقب شرحه البيت بما شرحناه للتفصى من هذا التناقض . فقد وقع الحب فى بلاء بين هذين أى بين كون حق الحب أن يغلب على اللسان وبين كون ألد الشكوى : الإعلان . هذا : و« الألسنا » روى بفتح السين - أى الذلق اللسان ؛ وبضمها : جمع لسان ؛ واللسان : الجارحة ، واللغة أيضا . وقد يؤنث ويذكر ، قال أعشى باهلة :

لَيْتَ الْحَبِيبِ الْهَاجِرِ هَجَرَ الْكُرَى مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَأَصِلِي صِلَةَ الضَّنَا^(١)
بِنَا فَلَوْ حَلَيْتِنَا لَمْ تَذُرْ مَا الْوَانِنَا جِمًّا امْتَمَعِنَ نَلَوْنَا^(٢)
وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ الْعَوَازِلُ بَيْنِنَا^(٣)

لَمِنِّي أَنْتَنِي لِسَانٌ لَا أَسْرُهُ بِهَا مِنْ عُلُوٍّ لَا عَجَبَ مِنْهَا وَلَا سَخْرَ^(١)
وَإِذَا ذَكَرَ : كَانَ عَلَى مَعْنَى الْكَلَامِ ، قَالَ الْحَطِيطَةُ :

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِي جَوْفِ عِكْمِ^(٢)
وَمِنْ أُنْتَه : قَالَ فِي جَمْعِ السِّنِّ ؛ كِذْرَاعٍ وَأُذْرَعٍ ؛ وَمِنْ ذَكَرَهُ : قَالَ فِي جَمْعِ السَّنَةِ
كَحِمَارٍ وَأَحْمَرَةٍ ، وَهَذَا قِيَاسٌ مَا جَاءَ عَلَى فِعَالٍ مِنَ الذِّكْرِ وَاللُّؤْثِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي
هَذَا الشَّرْحِ مُسْتَوْفَى .

(١) هَجْرٌ وَصَلَةٌ : مَفْعُولَانِ مُطْلَقَانِ ؛ وَوَأَصِلِي : خَبْرٌ « لَيْتَ » ؛ وَالْكُرَى : النَّوْمُ ؛
وَالجُرْمُ : الذَّنْبُ ؛ وَالضَّنَى : الْمَرَضُ وَالْمُزَالُ . يَقُولُ : لَيْتَ الْعَبِيبَ الَّذِي هَجَرَنِي مِنَ غَيْرِ
ذَنْبٍ كَهَجْرِ النَّوْمِ لِأَجْفَانِي يُوَاصِلُنِي كَمَا وَاصَلَتِ الضَّنَى الْجَسْمَ مِنْ أَجْلِ صَدِّهِ وَبَعْدِهِ عَنِّي ؛
يَعْنِي أَنَّ الضَّنَى مُلَازِمٌ لَهُ ، فَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ وَصَلَ الْعَبِيبَ مُلَازِمًا لَهُ مِلَازِمَةَ
الضَّنَى جَسَدِهِ .

(٢) بِنَا : افْتَرَقْنَا ، وَيُرْوَى « بِنَا وَلَوْحَلَيْتِنَا » وَ« بِنَا » تَامَةٌ ؛ وَالْوَاوُ بَعْدَهَا حَالِيَةٌ ،
وَ« امْتَمَعِنَ » يُرْوَى سَفَعِنَ ؛ وَهُوَ يَعْنِي امْتَمَعِنَ ؛ وَوَحَلَيْتِنَا : وَصَلَتِ حَلَيْتِنَا ؛ وَهِيَ هَيْئَةُ الشَّخْصِ
وَمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ ، وَامْتَمَعِنَ لَوْنُهُ : تَغْيِيرُ حَيَاءٍ أَوْ خَيْقَةٍ ؛ وَتَلَوْنَا : مَفْعُولٌ لَهُ . يَقُولُ : فَارْتَقْنَا
أَحِبَابِنَا وَلِعَظَمَ مَا نَلَانَا مِنَ أَلَمِ الْفِرَاقِ لَوْ أَرَدْتَ أَنْ تَصِفْنَا مَا قَدَرْتَ لِتَغْيِيرِ الْوَانِنَا ، فَكُنْتَ
لَا تَبْدُرِي بِأَنَّ لَوْنَ تَصِفْنَا .

(٣) أَشْفَقْتُ : خَفْتُ . وَقَوْلُهُ تَحْتَرِقُ : أَرَادَ أَنْ تَحْتَرِقَ ، حَذَفَ « أَنْ » وَبَقِيَ الْفِعْلُ
مَرْفُوعًا ، وَقَدْ مَرَّتْ لَهُ نِظَائِرٌ . وَالْعَوَازِلُ : جَمْعُ الْعَاذِلَةِ - اللَّائِمَةِ - يَقُولُ : لِشِدَّةِ حَرَارَةِ
الْوَجْدِ صَارَتْ أَنْفَاسُنَا كَالنَّارِ التَّوَقُّدَةِ حَتَّى خَفْتُ عَلَى الْعَوَازِلِ أَنْ يَحْتَرِقْنَ فِيهَا بَيْنِنَا ، قَالَ
الْوَاحِدِيُّ : وَإِنَّمَا خَافَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ حَرَارَةِ الْهَوَى . وَقَالَ

(١) مَطْلَعُ قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَرْتِي بِهَا النَّتَشْرِبِينَ وَهَبَ الْبَاهِلِي .
(٢) فَلَيْتَ بِأَنَّهُ : يُرْوَى فَلَيْتَ بِيَانَهُ ؛ وَيُرْوَى وَدَدْتُ بِأَنَّهُ ؛ وَالْعِكْمُ : دَاخِلُ الْجَنْبِ ،
عَلَى الْمَثَلِ بِالْعِكْمِ الَّذِي هُوَ النَّحْطُ تَجْمَعُهُ الْمِرَاةُ كَالْوَعَاءِ تَدَخَّرُ فِيهِ مَتَاعُهَا .

أَفْدَى الْمَوَدَّعَةَ الَّتِي أَنْبَعَتْهَا نَظْرًا فُرَادَى بَيْنَ زَفْرَاتٍ ثَمًّا^(١)
 أَنْكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا^(٢)
 وَقَطَمْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلَائِلَ وَرَكَابِي فِيهَا وَوَقَّتِي الضُّحَى وَالْمَوْهِنَا^(٣)

الحطيب التبريزي : وجه الإغفاق أن يتم إحراقهن على ما كانوا فيه من حر أنفاسهم .
 هذا : وقد قلنا أشفقت : أى خفت ، وزيد هنا أن الشفقة الحيفة والحبة ، وهى الاسم
 من الإغفاق ، وكذلك الشفق قال الشاعر إسحاق ابن خلف ، وقيل هو
 لابن المعل :

تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ
 وَأَشْفَقْتُ عَلَيْهِ فَأَنَا مَشْفُوقٌ وَشَفِيقٌ ، وَإِذَا قُلْتُ أَشْفَقْتُ مِنْهُ فَإِنَّمَا تَعْنَى حَذَرْتُهُ ،
 وَأَسْلَمْتُهَا وَاحِدًا ، وَلَا يُقَالُ شَفَقْتُ ، وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : شَفَقْتُ وَأَشْفَقْتُ بِمَعْنَى ، وَأَنْكَرَهُ
 أَهْلُ اللَّغَةِ .

(١) فرادى : اسم جمع لفرد ؛ والزفرات : جمع زفرة ، وهى النفس الحار ،
 وسكن « فاءه » ضرورة . و« ثناء » — من قولهم جاء القوم ثناء — أى اثنين ، وإنما
 قصرها للقافية . يقول : أفدى بنفسى هذه المحبوبة التى قد ودعتنى ، فكلمتا
 نظرت إليها نظرة واحدة زفرت زفرتين ، لشدة ما فى صدرى من
 حرارة الوجد .

(٢) الديدن : العادة ، تقول : مازال ذلك ديدنه وديدانه ودينه ودأبه وعادته وسدمه
 وهجره وهجراه .

يقول . أنكرت حوادث الدهر أول ما طرقتنى وقلت ليست تقصدنى وإنما أخطأت
 فى قصدى ، ثم لما كثرت وتتابعت أقررت بها وعرفت أنها تأتيني ، فصارت عادة لى لا
 تفارقنى ولا أنفك منها ، وهذا المعنى من قول الآخر :

رُوِّعْتُ بِالْأَثْبِينِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ وَبِالْحَوَادِثِ فِي أَهْلِ وَجِيرَانِي

(٣) الفلا : جمع فلاة ، المفازة البعيدة . والركاب : جمع ركاب ، وهى الإبل ؛
 والموهن : نحو نصف الليل . يصف كثرة أسفاره وتردده فى الدنيا حتى قطع الفلوات
 بالسير ، وقطع الركوب أيضا بكثرة الإتعاب ، وقطع الليل والثمار بقطع المسافات ، يعنى
 أنه قطع ملكان والزمان والركوب ، يريد أنه أفنى كلا منها بأسفاره : هذا : وقد قال
 صاحب الصحاح : الضحى مقصورة تؤنث وتذكر ؛ فمن أنت ذهب إلى أنها جمع ضحوة ،

وَوَقَّتُ مِنْهَا حَيْثُ أَوْقَفَنِي النَّدَى وَبَلَّغْتُ مِنْ بَدْرِ بْنِ عَمَّارِ الْمَعَا^(١)

ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وتقر (١) ، وهو ظرف غير متمكن ؛ مثل سحر ، يقول لقيته ضحى وضحى ، إذا أردت به ضحى يومك لم تنونه ، قال ابن بري : ضحى مصروف على كل حال ، قال الجوهري : ثم بعد الضحى : الضحاء ، ممدود مذكر ، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، تقول منه أقمت بالمكان حتى أضحيته ، كما تقول من الصباح أصبحت ، ومنه قول عمر رضى الله عنه : أضحوا بصلاة الضحى : أى صلوا لوقتها ولا تؤخروها إلى ارتفاع الضحى ، ويقال أضحيته صلاة الضحى : أى صليتها في ذلك الوقت ؛ وقد أسلفنا القول على « الضحى » في هذا الشرح بأن وفي من ذلك .

(١) منها : أى من الدنيا ؛ وبرى : فيها . ويقال وقتت ووقفت زيد ووقفت دابقي ووقفت وقفا للساكنين ، فقوله أوقفنى الندى : معناه عرضنى للوقوف ، قال أبو عمرو بن العلاء : لو قال رجل فلان أوقفنى - أى عرضنى للوقوف - لم أر بذلك بأساً ؛ وأوقفته : لغة عند بعضهم : والمنى : جمع منية ، وهى الشئ الذى يتمناه . يقول : وقتت من الدنيا حيث حبسنى الجود - يريد عند الممدوح - أى لما انتهى إليه انقطع عن السفر ، لأنه أدرك عنده ما كان يتمناه ، وهذا من الخالص الحسنة . هذا : وحذف التنوين من « عمار » - كما قال السراج وكما أسلفنا فى هذا الشرح على نظائر لذلك - لالتقاء الساكنين كقوله تعالى « وآتينا نهمود الناقة » ، قال المكبرى : قرأه القراء كلهم بغير تنوين ، وكلهم صرف « نهمود » لإحزمة وحفصا وواقهما أبو بكر فى آخر سورة النجم ، وصرف الكسائى فى موضع الجر فى هود عند قوله تعالى « نهمود » ، قال : وقد يجوز عندنا - وهو كوفى - إسقاط التنوين فى النهمر ، وشاهدنا قول العباس بن مرداس يوم حلين للنبي صلى الله عليه وسلم :

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَاتُ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ^(١)

فكلهم رووه مرداس - من غير تنوين .

(١) الصرد : طائر ضخم الرأس ، أبيض البطن ، أخضر الظهر ، يصطاد صغار الطير ، ألجم صردان ، والنعر : طائر يشبه العصفور ، تراه صغيراً ضاويماً ، وتصغيره نعر ، وجمعه نعران .

(١) تقدم القول على هذا البيت فى غير موضع من هذا الشرح .

لَأَبِي الْحُسَيْنِ جَدِّي يَضِيقُ وَعَاوُهُ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ الْوِعَاءُ الْأَزْمُنَا (١)
 وَشَجَاعَةٌ أَغْنَاهُ عَنْهَا ذِكْرُهَا وَنَهَى الْجَبَانَ حَدِيثُهَا أَنْ يَجْبُنَا (٢)
 نَيْطَتْ حَمَائِلَهُ بِعَاتِقِ مَحْرَبِ مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكْرُهُ وَمَا أُنْذِنِي (٣)
 فَكَأَنَّهُ وَالطَّمَنُ مِنْ قَدَامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطَمَّنَا (٤)
 نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِدَّةُ ذَهَبِهِ فَقَضَى عَلَى غَيْبِ الْأُمُورِ تَيْقُنًا (٥)

(١) الجدا : العطاء - أى ماعطيه مجتديك - يقول : إن عطاء لايسعه وعاء ولو كان ذلك الوعاء الدهور مع سعتها للعالم بما فيه ، وإذا ضاقت الدهور عن شيء فحسبك به عطا .

(٢) شجاعة : عطف على « جدى » - فى البيت السابق - يقول : إن ذكر شجاعته واشتهارها بين الناس أغناه عن إظهارها واستعمالها ، فكل أحد يهابه لما يسمع من شجاعته ، وذلك أيضا يشجع الجبان ، لأنه يسمع ما يتكرر فيترك حينئذ الجبن .

(٣) نيطت : علفت . والحائل : علائق السيف والعاتق : ما بين النكب والعنق . والمحراب : صاحب الحرب المارس لها ، ويعنى به : الممدوح - على جهة التجريد - وكر عليه فى الحرب : عطف ؛ واثنى : رجع . يقول : علفت حمائل سيفه بعاتق رجل تمرس بالحرب واعتركها واعتركته ، ماكر قط ، لأن الكر يكون بمد الفر ، وهو لم ينثن عن حرب ولم يول العدو ظهره ، فكيف يكر ؟ وهذا منقول من قول الآخر .

اللَّهُ يَنْفَلُ إِنِّي لَسْتُ أَذْكَرُهُ وَكَيْفَ أَذْكَرُهُ إِذْ لَسْتُ أَنْسَاهُ

قله لجن جنى : الشعراء الفصحاء القدماء والمحدثون قد يصفون الكرم بعد الأعمزاز ، لأن الحرب خدعة وتحتاج إلى الإطراد والطرود - إلا أنه بالغ ولم يجعله يكر لأنه لا ينثنى .

(٤) يقول : أشدة إقدامه فى الحرب لا يرجع ولا يلتفت إلى خلفه ، فهو أبدا مقدم ؛ فكأنه يخاف طعنا من خلفه ، فهو يتقدم خوفا مما وراءه ، كما قال بكر بن النطاح :

كَأَنَّكَ عِنْدَ الطَّمَنِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى تَفَرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ

(٥) التوهم : خلاف التيقن . وهذا كأنه اعتذار مما ذكر من إفراطه وإقدامه فقال : إن فطنته تقفه على عواقب الأمور حتى يعرفها يقينا ، لا وهما

يَتَنَزَّعُ الْجَبَّارُ مِنْ بَفْتَاتِهِ قَيْظَلٌ فِي خَلَوَاتِهِ مُتَكَفِّئًا^(١)
 أَمْضَى إِرَادَتَهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدْ وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى قَمَّ لَهُ هُنَا^(٢)
 يَجِدُ الْحَدِيدَ عَلَى بَضَاضَةِ جِلْدِهِ ثَوْبًا أَخْفَ مِنْ الْحَرِيرِ وَالْيَنَابِ^(٣)
 وَأَمْرٌ مِنْ قَدِّ الْأَحْيَةِ عِنْدَهُ فَقَدُّ السُّيُوفِ الْفَاقِدَاتِ الْأَجْفُنَا^(٤)

(١) الجبار: العظيم الشديد البطش. وبفتاته، جمع بفته، وهو ما يفعل فجأة؛ ولتكنن: لابس الكفن. يقول: إن الرجل الجبار يخاف أن يأخذه بفته ويهجم عليه من حيث لا يدرى فيظل لابس كفنه توقعاً لبفته وتأهباً للموت. ومتكفناً؛ قال الواحدي: يروى متلفناً؛ والتلفن: التندم على ما فات؛ يعني أنه يندم على معاداته.

(٢) سوف: الاستقبال؛ وقد: لما مضى ومقاربة الحال؛ والأقصى: الأبعد. وثم: للمكان البعيد المتراخي؛ وهنا: يستعمل فيما قرب ودنا. يقول: هو ماضى الإرادة، فما يقال فيه سوف يكون: يقول عنه قد كان، والبعيد عنده قريب لقوة عزمه، فما يقال فيه ثم — هنالك — يقال هو هنا، يعني أن ما يكون من العزائم مستقبلاً عند غيره بعده ماضياً لأنه سيقع لا محالة، فكأنه قد وقع، وما يكون من المطالب بعيداً على غيره بعده حاصلًا بين يديه ثقة منه بأنه لا يفوته. هذا وقد استعمل هذه الكلمات — سوف وقد وهنا — استعمال الأسماء، ولذلك أعرب «قد» ونونها.

(٣) البضاضة: مثل النضاضة، يقال غض بض: أى طرى لين، يقول: إنه تعود لبس الدروع في الحروب حتى صار يجدها خفيفة لينة كالحرير على بضاضته ونومته، وفي هذا نظر إلى قول البحترى:

مُلُوكٌ يَمْدُونُ الرَّمَاحَ مَخَاصِرًا إِذَا زَعَزَعُوهَا وَالدَّرُوعَ غَلَابِلًا^(١)
 (٤) أمر: خبر مقدم؛ وقعد السيف: مبتدأ مؤخر. والأجفن: جمع جفن، غمد السيف، ويجمع جفن على أجفان وجفون أيضاً. يقول: إن الحرب أحب إليه من الغزل والتشبيب، فإذا قد سيوفه كان ذلك أشد عليه من فقد أحبته، ووصف سيوفه بأنها فاقدة لجفونها — أغمادها — لأنها أبدأ مستعملة في الحروب.

(١) المخاصر: جمع محصرة، ما يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه من قضيب وسوط ونحوهما، وقد يتوكأ عليه، وكانت من شعار الملوك والعلائل: جمع غلالة، شعار يلبس تحت الثوب.

لَا يَسْتَكِنُ الرَّعْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ يَوْمًا وَلَا الْإِحْسَانُ أَنْ لَا يُحْسِنًا^(١)
مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَدٍ فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُونًَا^(٢)

(١) استكن : من الكن ، أى توارى وخفى . والإحسان — الأول — مصدر أحسنت الشيء إذا حدقته وعلمته ؛ والإحسان الثانى : ضد الإساءة ، والايحسنا : فى موضع نصب ، لأنه مفعول المصدر — الذى هو الإحسان — ولو قال ولا إحسان أن لا يحسنا : كان أقرب إلى الفهم من استعماله بالألف واللام — وإن كان المعنى سواء — فإن قولك أعجبني ضرب زيد : أقرب إلى الفهم من قولك أعجبني الضرب زيداً . يقول : إن الرعب — الحوف والفزع — لا يستكن بين ضلوعه أبداً لأنه شجاع لا يخشى مخلوقاً ، ثم قال : وهو لا يحسن أن لا يحسن : أى لا يعرف ترك الإحسان — حتى إذا رام أن لا يحسن لم يعرف ذلك ولم يمكنه ، وهذا من قول الآخر :

يُحْسِنُ أَنْ يُحْسِنَ حَتَّى إِذَا رَامَ سِوَى الْإِحْسَانِ لَمْ يُحْسِنِ

وقال ابن فورجه : الإحسان ضد الإساءة . يقول : لا يستكن الإحسان حتى يحسن — أى لا يثبت حتى يفعله — وعلى هذا الإحسان : المهم به . يقول : إذا هم بالإحسان لم يصبر عليه حتى يفعله ، وقال ابن الشجرى : الإحسان : ضد الإساءة ، يتعدى بمرف الجر — بالباء ، وإلى — قال كثير عزة :

أَسِيدِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ^(١)

والثانى : يكون بمعنى إجابة العمل إذا كان حاذقاً فى فعله ، وفعله يتعدى بنفسه ، قال الله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » وقال امرؤ القيس :

وَقَدْ زَعَمْتَ بَسْبَاسَةَ الْيَوْمِ أَنْتَى كَبْرَتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنَ اللَّهُ أَمْثَالِي

(٢) الاستنباط : الاستخراج : وأصله من استنباط الماء ؛ ونبط الماء : نبع ؛ وأنبط الحفار : بلغ الماء . والضمير من « فيه » لعله . ودون الشيء : جمعه فى ديوان — أى فى كتاب — . يقول : هو من ذكائه وفطنته يعرف بعلمه ما يقع فيما يستقبل ، فكأن ما سيكون قد كتب فى علمه . والمعنى أن علمه صحيفة الكائنات ، ويروى من يومه : يعنى أنه يستدل بما فى يومه على ما سيقع فى غد فيعرفه .

(١) تقلى الشيء : تبغض ؛ وقد خاطبها ثم غاب ،

تَتَقَاصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالذَّنَا^(١)
مَنْ لَيْسَ مِنْ قِتْلَاهُ مِنْ طَلْقَائِهِ مَنْ لَيْسَ يَمُنُّ دَانَ يَمُنُّ حَيْثَا^(٢)
لَمَّا قَفَلْتَ مِنَ السَّوَاخِلِ نَحْوَنَا قَفَلْتَ إِلَيْهَا وَخَشَةُ مِنْ عِنْدِنَا^(٣)
أَرْجَ الطَّرِيقُ فَمَا مَرَزْتَ بِمَوْضِعٍ إِلَّا أَقَامَ بِهِ الشَّدَا مُسْتَقْوِطًا^(٤)

(١) الدنا : جمع دنيا - مثل كبر وصغر ، في جمع كبرى وصغرى - . يقول : إن أفهام الناس تتقاصر عن إدراك هذا المدوح كما تقاصرت عن علم الشيء المحيط بالأفلاك وبالأرضين ، فإن أحداً لا يعرف ما وراء الأفلاك وراء العالم إلى ما ينتهي من الأعلى والأسفل . قوله «مثل» بالنصب - صفة لصدر محذوف : أى تقاصرا مثل تقاصرها عن إدراك القى الخ . ورواها بعضهم مثل - بالرفع - على أنها خبر مبتدأ محذوف : أى فهو مثل الذى الخ . وقال العكبرى : قال أبو الحسن عفيف الدين على بن عدلان : الرواية الصحيحة مثل - بالرفع - ويكون التقدير هو مثل ؛ يعنى أن الأفهام تتقاصر عن هذا المدوح في معرفة حقيقته ، فهو مثل علم الله تعالى ؛ ومن رواه بالنصب يحتاج إلى حذف كثيرين يخل حذفه بالمعنى ، ويكون التقدير مثل تقاصر الأفهام عن علم الله تعالى هذا : وقد قال ابن جنى : لقد أفرط - المتنبى - جداً ، لأن الذى فيه الأفلاك والدنا : هو علم الله تعالى وتقدس .

(٢) الطليق : الذى أطلق من القتل ؛ أو الأسير أطلق عنه إيساره ، الجمع : طلقاء . ودان : خضع وأطاع ؛ وحيناً - بضم الحاء - أى أهلك ؛ وروى بفتح الحاء على المعلوم : أى بمن أهلكه . يقول : من أفلت من سيفه فلم يقتله فهو بمن أطلقه ومن عليه بالعمو ومن لم يطعمه وليس من أهل طاعته فهو من المالكين .

(٣) قفل : رجع . والسواحل : بلاد الساحل . يقول : لما غبت عنا إلى السواحل عرتنا ، لك وحشة فلما رجعت ذهبت إنيأ تلك الوحشة من عندنا إلى المكان الذى انصرفت منه إلينا :

(٤) أرج الطيب يأرج أرجا وأريجا : إذا فاح ؛ والأرج والأريج : توهج ريح الطيب : قال أبو ذؤيب الهذلى :

كَأَنَّ عَلَيْنَا بِأَلَّةٍ لَطْمِيَّةٍ لَهَا مِنْ خِلَالِ الدَّائِتَيْنِ أَرْيَجٌ^(١)

(١) أراد بالباللة الرائحة والشمة ، مأخوذ من بلوته ، أى شمته وأصلها بلوة قدم

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجْرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا مَدَّتْ مُحَيِّبَةً إِلَيْكَ الْأَغْصَانَا (١)
سَلَكْتُ تَمَائِيلَ الْقَبَابِ الْجِنِّ مِنْ شَوْقٍ بِهَا فَأَدْرَنْ فِيكَ الْأَهْمِينَا (٢)

والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة، قال العبير السلوي، وقيل لعمرو بن الأطنابة :
إِذَا مَا مَشَتْ نَادَى بِمَا فِي نِيَابِهَا ذِكْرُ الشُّذَا وَالْمَنْدَلِي الْمَطِيرِ (١)
يقول : طاب الطريق الذي سلكته ففاحت راحته ، فامررت بطريق لإصارت
الرائحة الطيبة مقيمة فيه لا تريم .

(١) محيية : حال من فاعل « مدت » : والأغصنا : مفعول مدت ؛ وإليك : متعلق
بـ « مدت » ، وهذا المعنى كثير ؛ قال الفرزدق :

يَكَادُ يُسَكُّهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ رُكْنُ الحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

وقال البحتري :

فَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنِيرُ

(٢) القباب : جمع قبة ، وهي الخيمة . أو البيت المستدير من بيوت العرب .
والمراد بالتأثيل : الصور المنقوشة على القباب . يقول : إن الصور التي فيها تكاد من
صحتها وإتقانها كأن أرواح الجن سلكتها — تخلصتها — شوقاً إليك فأدارت — الصور
— أعينها ، قال ابن جنى : كان بدر فد خرج من المدينة ثم عاد إليها فضربت القباب ،
ثم قال : ما أعلم أنه وصفت صورة بأنها تكاد تنطق بأحسن من هذا . وقال الواحدى :
المعنى : اشتاقت الجن إليك فتوارت بتأثيل القباب للنظر إليك : وتماثيل القباب : هي
القباب فيكون فاعل « أدرن » الجن ؛ يعنى أن الجن من الشوق الذى بها إلى رؤيتك
دخلت في الصور المنقوشة على القباب التي فوقك لتراك .

الواو وصيرها ألفا ، واللطيمة واللطيمة العنبرة التي لطمت بالمسك فتفتقت به حتى نشبت
راحتها والدأية : تقار الكاهل في مجتمع ما بين الكتفين .

(١) إذا مامشت : يروى إذا اتكأت ؛ وقيل الشذا في هذا البيت من المهك ،
والمندلى : العود الهندى ، منسوب إلى « مندل » بلد بالهند يجلب منه العود والطير ،
قال ابن جنى : هو العود ، وإذا كان كذلك كان بدلا من المندلى ، وقيل ضرب من
صنعه ، وقيل الطير المشقق المكسر .

طَرَبْتُ مَرَاكِبُنَا فَخَلْنَا أَنَهَا
أَقْبَلْتَ تَبْسِيمُ وَالْجِيَادُ عَوَائِسُ
لَوْلَا حَيَاءُ عَاقِمَا رَقَصْتَ بِنَا^(١)
يَجْبُنَ بِالْحَلْقِ الْمَضَاعِفِ وَالْقَنَا^(٢)
لَوْ تَبْتَنِي عَنَقًا عَلَيْهِ أَمَكْنَا^(٣)
فِي مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَالْمَنَى^(٤)
وَرَأَيْتُ حَتَّى مَا عَجِبْتُ مِنَ الظُّبَى^(٥)
وَرَأَيْتُ حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّنَا^(٥)

(١) المراكب : جمع مركب ، بمعنى مركوب ، يعني الخيل . يقول : لسرورها
بقدمك طربت حتى ظننا أنها لولا الحياء لرقصت بنا : يعني أن السرور بقدمك غلب
حق ظهر في البهيمه التي لا تعقل .

(٢) قوله تبسم : في موضع الحال - أي باسم - والجياد : الخيل ، جمع جواد - على
غير قياس - والعوايس : جمع عابس ، وهو الملحح الوجه والحب : ضرب من
العدو . الحلق المضاعف : الدرود - والحلق : جمع حلقة ؛ والمضاعف : الكثير ،
والقنا : الرماح . يقول : أقبلت ضاحكا وبيادك عوايس لطول سيرها وإثقالها بالدرود
والقنا الطوال وما قاست من شدة الحروب .

(٣) السنايك : جمع سنك ، وهو طرف مقدم الحافر . والعشير : الغبار . والعنق :
ضرب من السير عليه سريع . يقول : عقدت سنايك الخيل فوقها غبارا كثيفا لو تطلب
السير عليه لأمكن من كشافته ، وهذا المعنى من قول العتابي :

تَبْتَنِي سَنَا بَكْمَا مِنْ فَوْقِ أَرْوَاهِمُ سَقَفًا كَوَاكِبُهُ الْبِيضُ الْبَوَاتِيرُ
وَأَخَذَهُ الْعَتَابِي مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

وَأَرْهَنَ فِيهِ لِلسَّوَابِغِ لُجَّةً وَسَقَفُ سَمَا أَنْشَانُهُ الْخَوَافِرُ
[الأرعن : الجيش ؛ والسابغ : الدرود] .

(٤) خوافق : مضطربة ؛ والمنية : الموت ؛ والمنى : جمع منية ، ما يتمناه الإنسان
من الخير . يقول : أمرك مطاع حتى في حال الحرب حيث اضطراب القلوب ، والناس
بين خائف يتوقع القتل وبين مؤمل الظفر بالعدو ، ومقتول قذلقى منيته ، وقاتل قد
أدرك أمنيته : أي فإن كنت في هذه الحال مطاعا فما ظنك بغيرها ؟ .

(٥) الظبي : جمع ظبة ، حد السيف ، والمراد : السيف نفسه ؛ والسنا : الضوء .
يريد وصف يوم قدومه إذ رأى السيوف والأسلحة مع عسكره . يقول : عجبت من

إِنِّي أَرَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ عَسْكَرًا فِي عَسْكَرٍ وَمِنَ الْعَمَالِي مَعْدِنًا (١)
 فَظَنَّ الْفُؤَادُ لِمَا أُتَيْتَ عَلَى النَّوَى وَلِيمَا تَرَكْتَ خَافَةَ أَنْ تَفْطِنَا (٢)
 أَضْحَى فِرَاقَكَ لِي عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ لَيْسَ الَّذِي قَاسَيْتُ مِنْهُ هَيِّفًا (٣)
 فَأَغْفِرُ فِدَى لَكَ وَاحْبُبِي مِنْ بَعْدِهَا لِتَخُصَّنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا (٤)
 وَإِنَّ الْمَشِيرَ عَلَيْكَ فِي بِضَلَّةٍ فَالْحُرُّ مُتَمَحِّنٌ بِأَوْلَادِ الزُّنَا (٥)

كثرة السيوف في ذلك اليوم حتى ذهلت فعبزت عن العجب ، ورأيت من الضوء وتألق الحديد ما خطف نظري ؛ فرجع وهو حسير ، فلم أتمكن من الرؤية . قلوا : وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

عَلَى أَنِّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كَلِمًا عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

(١) يقول إني أراك عسكراً في عسكر من الكارم : أي أنت في نفسك عسكراً وحولك عسكراً آخر من الكارم ، وأراك معدناً من المعالي : أي أصلها ، فهي تؤخذ منك .

(٢) فظن للشيء - بكسر الطاء وفتحها - يقول - كما قال الواحدى - : إن قلبك يعرف ما فعلته في حال بعدك وما تركته فلم أفعله خوفاً من أن تعلم فتعابني عليه : أي فلتست في حاجة إلى وشاية الواشين . وكان قدوشى به إليه ، وكأنه قد اعترف بتقصيره - كما يدل على ذلك سياق الأبيات - وقال اليازجى : إن فؤادى لم يقفل عما فعلته في حال بعدك من التقصير في خدمتك وما أهملته من السير معك ، لآني كنت خائفاً أن تظنن له فتعابني عليه : يعني أنى لم أغفل عن ذلك التقصير ولو لم يوش به إليك ، فظن أن المراد بالفؤاد فؤاد النبي ، وليس بشيء .

(٣) عليه : أي على ما فعلته . والضمير في « منه » يعود على الفراق . يقول : صار فراقك عقوبة لي على ما فعلته مما كرهته ، أي تحسب هذا عقوبة .

(٤) فاغفر : أي فاغفر لي - أي ذنبى أو تقصيرى - وفدى : خبر عن محذوف . أي أنا فدى لك . وحباه : أعطاه . والحباء - بكسر الحاء - العطاء ومن بعدها : أي من بعد هذه المرة ، أو من بعد المغفرة ؛ ومنها : خبر مقدم عن الضمير بعده ، والجملة : صفة لعطية . يقول فاغفر لي هذا الذنب الذى فرط منى فدى لك بنفسى ، وأعطنى بعد المغفرة لأكون مخصوصاً بعطية منها نفسى : يعني إذا عفوت عنى وأعطيتنى كنت قد خصصتني بعطاء أنا من جملته لأنه إذا عفا عنه فقد وهبه نفسه .

(٥) الضلة : الضلال ؛ قال الواحدى : كان الأعور بن كروس قد وشى به ابن بدر

وَإِذَا نَفَتِي طَرَحَ الْكَلَامَ مُعَرِّضًا فِي نَجَاسِ أَخَذَ الْكَلَامَ اللَّذَعْنَا (١)
وَمَكَائِدُ الشَّفَهَاءِ وَأَقَعَةُ بِيَهُمْ وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ بِنَسِ الْمَقْتَنِي (٢)
لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ اللَّثِيمِ فَإِنَّهَا ضَيْفٌ يُجْرُ مِنْ النَّدَامَةِ ضَيْفَانَا (٣)

ابن عمار لما سار وتأخر عنه المتنبي . يقول : أشار عليك بهجراني وحرمانى ، وهذا ضلال ، لأنى لا أستحق ذلك ، وقال ابن جنى : ضلّة : أى إذا قبلت منه ما أشار به عليك وأطعته فى ضلالت ، يهدده بالهجاء ، وعنى بالجر : نفسه ، وبأولاد الزنا : الوشاة وهذا تعريض بابن كروس . هذا : والأصل فى هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة : مَا ضَرَفَنِي حَسَدُ اللَّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذُو الْتَقْصِيرِ
وقال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ مُجْدَ ابْنِ يُوسُفَ

وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلِّعَ

(١) اللذعنا : يريد الذى عناه ، يعنى أنه عرض بذكر أولاد الزنا ، وقد فهم هذا التعريض من عناه به ، فهو يأخذه لنفسه .

(٢) السفية : الذى لا عقل له ولا رأى ، وأصله الذى لا يعرف أن يدبر أمره ، والأصل فيه الخفة ، وتسفت الريح الفصون : حركتها واستخفها قال ذو الرمة :

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تُسَفِّتُ أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيحِ الْنَوَاسِمِ
وتسفت الريح الشجر : أى مالت به ، وناقاة سفية الزمام إذا كانت خفيفة السير ، ومنه قول ذى الرمة يصف سيفا :

وَأَبْيَضَ مَوْشِيَّ الْقَمِيمِ نَصَبَتْهُ عَلَى ظَهْرِ مِقْلَاتِ سَفِيهِ جَدِيلُهَا

[يعنى خفيف زمامها ، يريد أن جديلها يضطرب لاضطراب رأسها ، والمقلات التى تلد واحدا ثم تقلت رحما فلا تحمل] . وتسفت فلانا عن ماله : إذا خدمته عنه : وعنى بالسفهاء : السعاة ، والوشاة : الذين وشوا به . يقول : كيدهم يعود عليهم بالشر ، ثم قال : وإذا عودى الشاعر الحق بعرض عدوه ما يبقى لاصقا به بقاء الدهر . وهذا تهديد بالهجاء

(٣) الضيفن : الذى يتبع الضيف ، ونونه زائدة ، وهو فعلن ، إذا أخذ من الضياقة ، وإن أخذ من الضفن - وهو الثقيل الكثير اللحم - فوزنه فعل قال الشاعر :

غَضَبُ الْحَسُودِ إِذَا لَقَيْتَكَ رَاضِيًا رُزْءٌ أَخْفَىٰ كَلِيًّا مِنْ أَنْ يُوزَنَ^(١)
 أَمْسَى الَّذِي أَمْسَى بِرَبِّكَ كَافِرًا مِنْ غَيْرِنَا مَعْنَا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنًا^(٢)
 خَلَّتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا فَأَعَاضَهَا اللَّهُ كَيْ لَا تَحْزَنَا^(٣)

إِذَا جَاءَ ضَيْفٌ جَاءَ لِلضَّيْفِ ضَيْفَيْنِ فَأَوْدَىٰ بِمَا تُقْرَى الضُّيُوفُ الضَّيْفَانِ
 الضيافن : فاعل أودى ؛ وبما تقرى الضيوف : أى بما تقراه الضيوف .
 يقول : إن مخالطة اللئيم مذمومة ملعونة لما تجر وراءها من الندامة ، فهى كضيف
 يليه ضيف من الندامة ؛ والأصل فى هذا ما جاء فى بعض الآثار : « الجليس السوء
 كصاحب الكبر — أى الحداد — إن لم يصبك من شره أصابك من دخانه ، والجليس
 الصالح كالدارى — يعنى العطار — إن لم يصبك طيبه أصابك من ريحه .
 (١) الرزء : اللصية . يقول : إذا كنت راضيا عنى لم أكرت بعد ذلك لغضب
 الحسود ، لأنه يكون فى هذه الحالة من أهون الأرزاء على فهو رزء لو كان مما يوزن
 لم يستحق أن يوزن لحنفة ،

(٢) من غيرنا : حال من اسم أمسى — الثانية — ومعنا : متعلق ، بمؤمنا ؛
 ومؤمنا : خبر أمسى — الأولى — يقول : من كان يكفر بالله من غيرنا أمسى مؤمنا معنا
 بفضلك : أى أن من مخالفتنا فى الإيمان بالله يوافقنا فى الإقرار بفضلك .

(٣) الغزالة : اسم الشمس . يقول : جعلك الله عوضا من الشمس للبلاد وأهلها
 عند فقد الشمس بالليل كيلا يحزنوا . هذا : وقد قال ابن جنى : إن سيبويه لا يميز
 تقديم ضمير الغائب المتصل على الحاضر فى مثل قولك ما فعل الرجل الذى أعطاهك
 زيد — على معنى الذى أعطاه إياك — فتأتى بالضمير المنفصل وتدع المتصل ، وأبو العباس
 يميزه ، فالصواب عند سيبويه : فأعاضها إياك ، ولكن الشعر موقف ضرورة ، فيجوز
 فيه ما لا يميز فى غيره قاله العكبرى : والصواب عند أهل النحو إذا اجتمع ضمير المخاطب
 والغائب فالواجب تقديم ضمير المخاطب ، فكان الواجب : فأعاضها الله : ويقال عاضه
 وأعاضه وعوضه

وقال وقد سأله الجلوس :

يَأْبَدُرُ إِنَّكَ وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِمِثَالِهِ تَكْوِينٌ^(١)
لَعَظُمْتَ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمَانَةً مَا كَانَ مُؤْتَمِنًا بِهَا جِبْرِينٌ^(٢)
بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلُّهُ فَوْقَ دُونِ^(٣)

(١) قوله والحديث شجون : جملة معترضة بين اسم « إن » وخبرها كقول القائل :
وَقَدْ أَدْرَكْتَنِي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ أَسِنَّةُ قَوْمٍ لِأَضْيَافٍ وَلَا عُرْلٍ^(١)
وقولهم الحديث شجون : مثل ، معناه الحديث ذو شجون : أى ذو فنون وطرائق
مشتبكة مختلطة . يقول : إنك الرجل الذى لم يكون الله مثله ولم يخلقه ، قال الواحدى :
وأشار بقوله « والحديث شجون » إلى أن تحت قوله « من لم يكن لمثاله تكوين »
معانى كثيرة لا تحصى .

(٢) اللام فى « لعظمت » رابطة لقسم مضمرة ، على تقدير « قد » بعدها : أى
لقد عظمت وجبرين : لغة فى جبريل ، كما يقال فى إسماعيل : اسمعين ، وفى إسرائيل :
إسرائيلين . يقول : لو كنت أمانة لكأت هذه الأمانة عظيمة حتى لا يؤتمن يتأديتها
جبريل الأمين على وحى الله وكتبه إلى أنبيائه . قال الواحدى : وهذا إفراط وتجاوز
حد يدل على قلة دين وسخافة عقل

(٣) البرية : الخلق ؛ وخاليا : حال . وقد أجرى « فوق ، ودون » مجرى الأسماء ،
فأعربهما إعرابها . يقول : إذا خلا الناس منك تباينوا وكانوا درجات يعلو بعضها
بعضا ، فإذا حضرت بينهم استووا كلمهم فى التقصير عنك وصار أشرفهم وأعلام دونك .

(١) من أبيات لرجل من بنى دارم أسرته بنوهم فلما أنشدتم إياها أطلقوه ، وقبله :
وَقَائِلَةٌ مَا بِالْبَاهِ لَا يَزُورُنَا وَقَدْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الزِّيَارَةِ فِي شُغْلٍ
وبعده :

لَعَلَّمُ أَنْ يُمَطَّرُونِي بِنِعْمَةٍ كَمَا صَابَ مَاءَ الْمُنْزِنِ فِي الْبَلَدِ الْمَخْلِ
فَقَدْ يُنْعِشُ اللَّهُ الْفَقِيَّ بِمَدِّ عَثْرَةٍ وَتَصْطَلِحُ الْحُسْنَى سَرَاةُ بَنِي عَجَلِ

وقال يمدح أبا عبيد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الحصببي وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنْ أَلَمِّ أَخْلَامِهِ مِنَ الْفِطَنِ (١)
وَأِنَّمَا نَحْنُ فِي جَيْلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (٢)
حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خِلْقٌ تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِنِ (٣)

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو الهدف يرمى بالسهم ؛ والضمير في « أخلام » للناس يقول : إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يرميهم بنوائبه ويقصدهم بالحن ، فلا يزالون محزونين لبعدهم ولطف إحساسهم واهتمامهم بمادق وجل من عبر الدهر وصروفه فكأنهم هم المقصودون بها وإنما يخلو من الحزن من كان خاليا من الفطنة . وحاصل المعنى أن الزمان إنما يقصد بشره الأفاضل ، قال حكيم : على قدر الهم تكون الموم ، وذلك أن العاقل يفكر في عواقب الأمور فلا يزال مهجوما ، وأما الجاهل فلا يفكر في شيء من هذا . وفي هذا المعنى يقول الجاهلي ذو الأصبغ العدواني :

أَطَافَ بِنَارِيبِ الزَّمَانِ فَذَاسْنَا لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بَصِيرٌ
ويقول البحترى :

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَابِيبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَابِلِ وَالْفُضُولِ

(٢) الجليل : ضرب من الناس . وسواسية : يعني متساوين في الشر والأووم ، ولا يقال في الخير ؛ وشر تفضيل بمعنى أشر ، والمراد بالحر هنا : الكريم - ضد اللئيم - يقول : نحن في جيل من الناس قد تساوا في الشر دون الخير ، فليس فيهم من يركن إليه ويعول عليه .

(٣) خلق : جمع خلقة ، وهي الصورة التي يخلق عليها الشيء أراد بها الأشباح والأشخاص . ويروى : خلق - بالحاء - جمع خلقة ، وهي القوم مجتمعون مستدرين . وهو معلوم أن « من » يستفهم بها عن يعقل ، و « ما » عما لا يعقل ، تقول للجماعة من الناس : من أتم ؟ وتقول : ماهذه القطعة أغتم هي أم إبل أم خيل ؟ . يقول : حولي من هؤلاء الناس جماعة كالبهائم ، إذا أردت الاستفهام عنهم فقل : بما أتم ، ولا تقل : من أتم ، وإلا عدوت الصواب : قالوا - وفي البيت - نظر إلى قوله تعالى « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل » .

لَا أَفْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَلَا أَمُرُّ بِمَخْلَقٍ غَيْرِ مُضْطَفِنٍ ^(١)
 وَلَا أَعَاشِرُ مِنْ أُمَّلَاكِهِمْ أَحَدًا إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثْنٍ ^(٢)
 إِنِّي لِأَعْزِدُهُمْ بِمَا أَعْنَفُهُمْ حَتَّى أَعْنَفُ نَفْسِي فِيهِمْ وَأِنِّي ^(٣)
 فَقَرُّ الْجَهُولِ بِلَا عَقْلِ إِلَى أَدَبٍ فَقَرُّ الْحِمَارِ بِلَا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ ^(٤)

(١) تقول : قروت البلاد واستقريتها : إذا تتبعتها تخرج من بلد إلى بلد. والغرر : الاسم - من قولهم غرر بنفسه إذا عرضها للهلكة - ومضطفن : ذو ضفن وحقد . يقول : لا أسافر إلا على خطر وخوف على نفسي من الحساد والأعداء . ولا أمر بأحد لا يكون له على حقد ؛ يعني أنهم جهال أعداء لدوى الفضل والعلم ، فلجهمهم وفضلي يبادونني .

(٢) الأملاك : جمع ملك . كجمل وأجمال والوثن : الصنم . يقول : لا أخالط أحدا من ملوكهم إلا وهو يستحق القتل . مثله مثل الصنم الذي لا يستحق إلا أن يحطم ويفصل بين رأسه وبدنه حتى لا يبقى على خلقة الإنسان . ويجوز أن يكون ضرب الرأس كناية عن الإهانة والإذلال يقول هو أحق بالإذلال من الصنم ؛ وإنما خص الصنم لأنه أراد أنهم - أي الملوك - صور لا معنى وراءها . كالأصنام التي يفتن بها أقوام يعبدونها وهي تماثيل لا معنى وراءها .

(٣) التعنيف : التعبير واللوم ؛ والعائد على الموصول : محذوف : أي مما أعنفهم عليه . و « حتى » ابتدائية ، وأنى : بمعنى أفتر ، قال تعالى : « ولا تنيا في ذكري » ومنه : الأناة من النساء ، وهي التي فيها فتور عند القيام وتأن ، قال أبو حية النخري :

رَمَتْهُ أُنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ نَوَّوْمُ الضُّحَى فِي مَأْتَمٍ أَيْ مَأْتَمٍ ^(١)
 يقول : إنى أجمل لهم عذرا فيما ألومهم به من الغفلة واللوم حتى أعود على نفسي باللوم وأنى - أي أقصر - في لومهم ، أما عذرهم فهو أنهم جهال ، والجاهل لا يلام على ترك المسكارم والرغبة عن المعالي ، وقد بين هذا في البيت التالي .

(٤) الجهول : الكثير الجهل - والجهل : ضد العقل ؛ والرسن : الحبل الذي تقاد به الدابة ، قال ابن مقبل :

(١) قال الجوهري : المأتم عند العرب : النساء يجتمعن في الخير والشر ، وأنشد هذا البيت ثم قال : فهذا لا محالة مقام فرح .

وَمُدْقِعِينَ بِسُبُوتٍ صَحْبَتَهُمْ
 عَارِينَ مِنْ حُلَلِ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ (١)
 خَرَابٍ بَادِيَةٍ غُرْتِي بَطُونَهُمْ
 مَكْنُ الضَّبَابِ لَهْمُ زَادٍ بِلَاثْمِنِ (٢)
 يَسْتَخْبِرُونَ فَلَا أُعْطِيهِمْ خَبْرِي
 وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظَّنِّ (٣)
 وَخَلَّةٌ فِي جَلِيسٍ أَتَقِيهِ بِهَا
 كَيْمَا يَرْزَى أَنْفَا مِثْلَانِ فِي الْوَهَنِ (٤)

هَرَيْتُ قَصِيرُ عِذَارِ اللِّجَامِ . أَسِيلٌ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنِ (١)
 يقول : إن الجاهل لا يفتقر إلى الأدب إذ لا عقل له؛ وأول ما يحتاج إليه الإنسان :
 العقل الذي به يعقل ، ثم يتأدب بعد ذلك ، فإذا لم يكن عاقلاً لم يحتج إلى أدب ، كالبحار
 ما لم يكن له رأس لم يحتج إلى الرسن .
 (١) الواو : واو « رب » ؛ وللدقع : الذي لا شيء له ، من دقع - بالكسر - إذا
 لصق بالتراب ، والدقعاء : التراب ، وفيه معنى الخضوع . والسبوت : الأرض لا نبات
 فيها ، ومنها سمى الرجل المعدم : سبوت . ويقال للقبر : سبوت من ثم . والحلل : جمع
 حلة ، وقالوا : الحلة رداء وقميص ، وتماها : العمامة . والدرن : الوسخ والقذر . يقول :
 رب قوم صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب عارين من الثياب كاسين من الوسخ
 والقذر صحبتهم .

(٢) خراب : جمع خراب وهو الذي يسرق الإبل خاصة ، ثم سمى به كل أص .
 وغرثي : جمع غرثان ، وهو الجوعان ؛ وغرثي : خبر مقدم ؛ وبطونهم : مبتدأ مؤخر
 ومكن الضباب : بيضا ، جمع مكنة ، والضباب : جمع ضب ، الدويبة المعروفة . يقول :
 هم لصوص سراق فلوات ليس لهم زاد ، ومن جوعهم يأكلون بيض الضباب ، يحصلون
 عليه بلاثمن .

(٣) طاش السهم : خرج عن صوب الرمية ولم يصب . والظنن : جمع ظنة ، وهي
 ما تظنه بالإنسان من سوء . يقول : يسألونني عن خبري فلا أخبرهم وأكتمهم
 أمري وهم لا تخطئ ظنونهم بأنني أنا المتنبئ الذي سمعوا به ، ولكفي أكتم خبري عنهم
 خوفاً من غائلتهم .

(٤) أتقيه : رواها بعضهم « ألتقيه » . والحلة : الحصلة المحمودة والذمومة ، ويرى

(١) هريت واسع الشدقين ، ومنه يقال للخطيب من الرجال : أهرت الشقشقة ،
 وقصير عذار اللجام : يريد أن مشق شذقيه مستطيل ، وإذا طال الشق قصر عذار اللجام ،
 ولم يصفه بقصر الحد وإنما وصفه بطوله ، بدليل قوله : طويل عذار الرسن :

وَ كَلِمَةٍ فِي طَرِيقِ خِفَتْ أُعْرِبَهَا فَيَهْتَدِي لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحْنِ (١)
 قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِي كُلَّ نَازِلَةٍ وَلَيْنَ التَّرَمُّمُ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْحَشِينِ (٢)
 كَمْ مَخْلَصٍ وَعَلَا فِي خَوْضٍ مَهْلِكَةٍ وَقَتْلَةٍ قَرَنْتَ بِالذَّمِّ فِي الْجُبْنِ (٣)
 لَا يُفَجِّينَ مَضِيماً حُسْنُ بَرْتِهِ وَهَلْ يَرُوقُ دَفِينًا جَوْدَةَ الْكَفْنِ (٤)

يظن والوهن : الضعف . يقول : رب خصلة في جليس لي أستقبله بمثلها من نفسى -
 أى أتخلق بمثلها - حتى يظنني مثله في ضعف الرأى ، كما قال الآخر :

أَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَحَامِقِلَهُ
 يريد التنبي أنه يخفى نفسه وفضله خوفاً من الحسد .

(١) خفت أعربها أى خفت أن أعربها، وقد تقدم لذلك نظائر. وأصل الإعراب التبيين،
 ومنه الأثر «والثيب تعرب عن نفسها» وأصل معنى اللحن: العدول عن الظاهر إما خطأ
 وإما إلبازا وفتنة. ويسمى الفطن لحنا، ومنه الحديث «واعلم بعضكم ألحن بحجته» أى
 أفطن لها ، والمراد هنا : الخطأ . يقول : رب كلام أردت ترك الإعراب فيه لئلا يهتدى
 إلى ولا يطلع على أنى التنبي فلم أقدر على ذلك . يريد أنه مطبوع على الفصاحة لا يقدر
 أن يحيد عنها إلى اللحن .

(٢) النازلة : الحادثة من حوادث الدهر تنزل بالإنسان . ومراده بالمركب الحشن
 ما يركبه من الأمور الشاقة يقول : صبرى جعل كل حادثة تلم بساحق سهلة هينة ، وعزى
 الآن المركب الحشن . يريد لا أشتكى النوازل ، بل أصبر عليها ، ولا أستخشن الخطوب
 الصعبة لقوة عزى إذا عزمت .

(٣) العلى : جمع العليا ، وهى فى الأصل اسم للسكان العالى ، ثم استعملت بمعنى
 الرفعة والشرف والقتلة : المرة من القتل يقول : كم من خلاص وعلولمن خاض المهالك
 وكم من قتل مع الذم للجبان ؟ يعنى أنه كثيرا ما يتخلص خائض المهالك للأقدم عليها مع
 ما يكسب من الرفعة ، وكثيرا ما يقتل الجبان المحجم مع ما يلحقه من الذمة والعار .

(٤) المضميم . المظلوم ؛ والبزة : اللباس ، وراقه الشئ : أعجبه ، والدفين : المدفون
 وأراد بحسن البزة : اليسر وسعة الرزق .

يقول : لا يفتنى المظلوم أن يسر بسعة رزقه - التى من آثارها حسن البزة - مع ما هو
 فيه من الذل ، فإنه مثل الميت الذى دفن ، والميت لا يسر بحسن كفته . شبه المظلوم
 الذى لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت ، وجعل ثوبه الحسن كالكفن .

للهِ حالٌ أرَجَّيْها وَتُخْلِفي وَأَقْتَضِي كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمَطُّني (١)
 مَدَحْتُ قَوْمًا وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ قَصَائِدًا مِنْ إِيْنَاتِ الخَيْلِ وَالْحَصَنِ (٢)
 تَحْتِ العِجَاجِ قَوَافِيها مُضْمَرَةٌ إِذَا تُنْوِشِدْنَ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أُذُنِ (٣)
 فَلَا أَحَارِبُ مَدْفُوعًا إِلَى جُدْرِ وَلَا أَصَالِحُ مَمْرُورًا عَلَى دَخَنِ (٤)
 نُخَيْمُ الجَمْعِ بِالْبَيْدَاءِ يَصْهَرُهُ حَرُّ المَوَاجِرِ فِي صُمٍّ مِنْ الفِتَنِ (٥)

(١) يقال عند التعجب من شيء : لله هو ؛ والإخلاف : ضد الإنجاز وأقتضى : أطلب ، وكونها - أي حصولها - مفعول ثان لأقتضى ؛ ودهري : مفعول أول : أي أطلب دهري بمحصلها . ومطله حقه : سوفه ولم يقضه . يقول : إنه يرجى أن يصل إلى حالٍ يرضيه ، وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل إليها ، ويطلب دهره بمحصلها فباطله في تبيغنه إياها ؛ وعبارة الواحدى : المعنى ههنا أن القادر على تمكيني من هذه الحال التي أرجو بلوغها وهي تخلفي : أي لا تصل إلى ولا تنجز وعدى وأسأل دهري حصولها وهو يمطني - هو الله تعالى .

(٢) الحصن جمع حصان ، وهو الذكر الفحل من الخيل . يقول : مدحت قوما لا يستحقون اللدح - لشحمهم وجهلهم - ولكن إن عشت غزوتهم بخيل إناث وذكور . جعل الخيل قصائد بدل القصائد التي مدحهم بها .

(٣) تحت العجاج : خبر مقدم ، وقوافيها : مبتدأ مؤخر ؛ ومضمرة : حال ، والعجاج الفيار . والمضمرة من الخيل : المعدة للسباق ، يقول : قوافي هذه القصائد خيل ، مضمرة تحت العجاج ، وليست من القوافي التي إذا أنشدت دخلت الآذان . قال العكبري : وصفها بالتضمير وهو مدح للخيل ، وكذلك القوافي في الشعر إذا جادت جاد الشعر ، قال ابن الأعرابي : استعبدوا القوافي فإنها حوافر الشعر .

(٤) مدفوعا . حال ، وكذلك ممرورا . والجدر : جمع جدار ، وهو الحائط ؛ والدخن الفساد والغش والعداوة في القلب ، ومنه الحديث « هدنة على دخن » ومثله الدخل . يقول : لست ممن يعتصم في الحرب بالأبنية والجدر ، ولا أصالح أعدائي إذا غروني وناقوني أي لا أصالحهم إلا على بذل الرضا ، و « مدفوعا » : رواه ابن جني : مرفوعا ؛ أي يرفع إلى الجدر فينخرب عليها .

(٥) نخيم : خبر عن محذوف : أي أنا ؛ والجمع : الجيش ، وهو فاعل التخييم في المعنى . والبيداء : الصحراء وصهرت الشمس دماغه : أذابته والمواجر : جمع هاجرة

أَلْقَى الْكِرَامُ الْأُلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ عَلَى الْخَصِيْبِيِّ عِنْدَ الْفَرَضِ وَالسَّنَنِ ^(١)
 فَهَنَّ فِي الْحَجْرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بِالْمَجْدِ وَالْمِنَّ ^(٢)
 قَاضٍ إِذَا التَّبَسَّ الْأَمْرَانِ عَنْ لَهُ رَأَى يُخَالِصُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّيْنِ ^(٣)
 غَضُّ الشَّبَابِ بَعِيدٌ فِجْرُ لَيْلَتِهِ مُجَانِبُ الْعَيْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَالْوَسَنِ ^(٤)

وهي منتصف النهار . والصم : الشداد . وهذا البيت تأكيد لما ذكره في البيت السابق يقول : إن عسا كرهه قد نصبوا خيامهم في الصحراء يذيبهم حر الهواجر في قنن صم — شديدة — قال الواحدى : ويجوز أن تقول في قنن لا يهتدى فيها كالحية الصماء التي لا تجيب الراقى .

(١) الألى : الذين ؛ وبادوا . هلكوا ؛ والخصيبي : هو المدوح ، نسبة إلى جده . يقول : إن الكرام الذين بادوا ألقوا مكارمهم على هذا المدوح : أى ورثوه بإيها وفوضوها إلى عهده ، فهو عنده بجانب فروض الدين وسننه ، يحافظ عليها كما يحافظ على هذه . وعبرة الواحدى : فهو يستعملها — أى المكارم — عند ما يلزمه كالفريضة ، وعند ما لا يلزمه كالسنة ، فصارت مكارم الكرام عنده تحت تصرفه .

(٢) الحجر — فى الأصل — المنع ، وحجر القاضى على فلان : منعه من التصرف ، وفلان فى حجر فلان : أى فى كنفه ، وبدا — ملين من المهجوز — أى بدأ . والمنن جمع منة وهى النعمة . يقول : لما ورث المسكلم بعد هلاك ذومها جعلها فى حجره يربها ويكفلهم فى جملة اليتامى الذين يكفلهم ، فكان كما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمنن — التى هى من جملة المكارم المكفولة عنده — فأفاضها عليهم ، قال الواحدى : وإنما ذكر اليتامى لأنه يمدح قاضيا والقضاة يتكفلون أمر الأيتام ، وذهب ابن فورجه فى معنى هذا البيت والذى قبله مذهبا غير الذى ذكرنا ، قال : يعنى : أن المكارم قل راغبوها وكان لها من الكرام آباء ، فلما هلكوا كملوها هذا المدوح ، لأنه قاض ، والقضاة تكفل اليتامى ، فحملوه كفلها ، فهو يربها مع سائر الأيتام ، غير أنه يؤثر المكارم بحسن التربية على سائر الأيتام . وهذا معنى قوله « كلما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمنن » أراد بدأ بالمكارم ، فأقام « المجد والمنن » مقامها ؛ لأنهما فى معناها .

(٣) عن : ظهر . يقول : هو قاض ذكى فطن ألقى إذا التبس الأمران واشتبه بهما ببعض فصل بينهما برأيه ولو كانا متمزجين امتزاج الماء باللين :

(٤) شباب غض : أى ناعم ناضر ، والوسن : النوم . قال الواحدى : « قوله بعيد فجليلته » فيه وجهان : أحدهما أن ليلته طويلة لسهره فيها يعكسه من الدين والعلم ،

شَرَابُهُ النَّشْحُ لَا لِلرِّيِّ يَطْلُبُهُ وَطَعْمُهُ لِقَوَامِ الْجَنَسِ لَا السَّمَنِ (١)
 أَلْفَاظِلُ الصَّدْقِ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ وَالْوَاحِدُ الْحَالَتَيْنِ السَّرِّ وَالْعَلَنِ (٢)
 أَلْفَاظِلُ الْحُكْمِ عَنِ الْأَوْلُونَ بِهِ وَالْمُظْهِرُ الْحَقِّ لِلْسَاهِي قَلَى الذَّهْنِ (٣)
 أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَبْقُلْ مَعَهَا
 جَدَى الْحَصِيبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْفُصْنِ (٤)

وليس هو بمن يقصر ليلته باللذات . والثاني : أنه أراد بالفجر : يياض الشيب ؛ وبالليل سواد الشباب ، والمعنى أن يياض الشيب بعيد عنه ، لأنه شاب غض الشباب وقوله « بجانب العين للفحشاء والوسن » : أى أن عينه بعيدة عن النظر إلى ما لا يحل ، وعن النوم أيضا لطول سهره .

(١) نشح الشارب نشحا : إذا شرب شربا قليلا دون الرى . (*) قال ذو الرمة يصف الوحش :

فَانْصَاعَتِ الْحَقْبُ لَمْ تَقْصَعْ صَرَائِرَهَا وَقَدْ نَشَّخْنَ فَلَارِيٌّ وَلَا هِيمُ
 (الحقب : الدهر وقيل السنة . وانصاعت : فرت ؛ وقصع العطشان : غلته بالماء إذا سكنها ؛ والصرائر : جمع صارة ؛ أى العطش ، وهذا الجمع نادر ؛ والهيم : الإبل العطاش : أى ولا هى هيم) والطعم : الطعام : يقول : لا يتال من الطعام والشراب إلا القدر الذى يقيم به جسمه وليس يشرب للرى ولا يأكل للسمن ، شأنه فى ذلك شأن الحكماء الزهاد ؛ قال حكيم : الناس يحبون الحياة لياكلوا ، وأنا آكل لأحيا .

(٢) لك أن تنصب « الصدق » على المفعولية ، وأن تجرّه على الإضافة تشبيها بالحسن الوجه ؛ والضمير من « فيه » للصدق . والسر : ما يسره الإنسان ؛ والعلن ضده يقول هو يقول الحق والصدق وإن كان فيه ضرر عليه ، ولا يضمخ خلاف ما يظهر رياء الناس وإنما سره وعلنه سواء .

(٣) فصل الحكم : قضاء وقطع به ؛ وعين بالأمر : إذا عجز عنه ؛ والساهى : الغافل ؛ والذهن : الفطن الذكى . يقول : هو يفصل برأيه وعلمه الحكم الذى عجز عنه السابقون ، ويظهر حق الحضم التقي على الحضم الذكى .

(٤) جدى الحصيب : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ، و « عرفنا » : جواب

(*) أول الشرب : النشح ثم التغمير ثم الرى ثم النقع والتجيب ثم اليفر وهو عطش يأخذ الإبل فنشرب فلا تروى وتمرض وتموت .

العَارِضُ الْمُتَيْنِ ابْنُ الْعَارِضِ الْمُتَيْنِ ابْنُ الْعَارِضِ الْمُتَيْنِ (١)
 قَدْ صَبَّرْتُ أَوْلَ الدُّنْيَا وَآخِرَهَا أَبَاؤُهُ مِنْ مُفَارِ الْعِلْمِ فِي قَرْنٍ (٢)
 كَأَنَّهُمْ وُلِدُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ وُلِدُوا أَوْ كَانَ قَهْمُهُمْ أَيَّامَ لَمْ يَكُنْ (٣)

« لو » . يقول : إن أفعاله الكريمة تدل على كرم أصله وتقوم له مقام النسب؛ حتى لو لم يقل جدي فلان لكانت أفعاله كافية في الدلالة عليه ، كما يستدل بالنصن على الأصل ، وهذا المعنى من قول بعضهم:

وَإِذَا جَهَلْتَ مِنْ أَمْرِهِ أَعْرَاقَهُ وَأُصُولَهُ فَانظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 ومثله قول أبي تمام:

فُرُوعٌ لَا تَرِفُ عَليكَ إِلَّا شَهَدَتْ بِهَا عَلَى طِيبِ الأُرُومِ
 (رف النبات : اهتز نضارة ؛ والأروم - بفتح الهمزة - الأصل ، وبضم الهمزة :
 ع)

(١) العارض ؛ السحاب المعترض في الأفق . والمتن : الكثير الصب ، مثل الهطل
 يقول : هو جواد ابن آباء أجواد . هذا : وقد عيب لفظ « هنن » على التنبي لأنه يقال
 سحاب هاتن ولا يقال هتن ، ولكن جاء به قياساً على « هطل » وهو من النوادر .
 وقال العكبري : وقد عاب قوم أيضاً هذا البيت على التنبي وقالوا : من الهى تكرر
 اللفظ ، قال : فسمعت شيخى أبا الفتح نصر بن محمد الوزير الجزرى يقول : إن كان هذا
 عيباً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم أصله فقد قال صلوات الله عليه : « يوسف الكريم
 ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم » وإنما تكرر اللفظ لشرف الآباء .

(٢) إغار : الحبل المحكم الفتل ؛ والقرن : الحبل يقرب به البعيران . ومن مغار :
 في موضع خال من قرن مقدمة ، وفي قرن : في موضع المفعول الثانى لصيرت . مدحهم
 بكثرة التجارب والعلم بالدنيا ، يقول : إن آباءه قد أحاطوا علماً بأحوال الدنيا —
 ماضيها وغابرها — حتى كأنهم وصلوا أولها بآخرها . وقال ابن جنى : هذا مثل ضريبة ،
 يريد أنهم ضبطوا العلم وقيدوا به الأحكام والشرائع ، فيكون تقدير أول الدنيا : أول
 أحكام الدنيا : أى الأحكام التى تكون فى الدنيا وتجربى فيها . والمعنى أن آباءه كانوا
 علماء ، وقال ابن فورجه : مدحهم برواية الحديث ، يعنى أنها ضابطون للأيام عارفون
 بالأخبار ؛ وما ذكرناه أولاً هو الأظهر ، يدل عليه البيت التالى .

(٣) هذا تأكيد لما فى البيت السابق ؛ و« كان » هنا تامة ؛ بمعنى الحدوث والوقوع ،

الْخَاطِرِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَبَدًا
 لِلنَّاطِرِينَ إِلَى إِقْبَالِهِ فَرَحٌ
 كَانَ مَالَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُغْتَرَفٌ
 لَمْ نَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنِ سِوَى لَثِقِ
 وَلَا مِنَ اللَّيْثِ إِلَّا قُبْحَ مَنْظَرِهِ
 مِنَ الْمَحَامِدِ فِي أَوْقٍ مِنَ الْجَنَنِ (١)
 يُزِيلُ مَا يَجِيءُ الْقَوْمَ مِنْ غَضَنِ (٢)
 مِنْ رَاحَتِيهِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْيَمَنِ (٣)
 وَلَا مِنَ الْبَحْرِ غَيْرِ الرِّيحِ وَالسُّفَنِ (٤)
 وَمِنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ (٥)

ومن ثم تكتفى بالفاعل . يقول : إنهم — لملهم بأحوال الدنيا والأمور بما سلف من شؤون الأزمنة المتقدمة ، كأنهم وجدوا في تلك الأزمنة فولدوا قبل الزمان الذي ولدوا فيه ، أو كأن فهمهم كان موجودا في الأيام التي لم يكن موجودا فيها فاطلعوا على ما كان في تلك الأيام .

(١) يقال خطر الرجل يخطر : إذا مشى متبخترا . والجنن : جمع جنة ، وهي كل ما استترت به من سلاح ونحوه . يقول : يمرون على أعدائهم متبخترين وعليهم من الهامد ما يبق أعراضهم من الدم أكثر مما يبق السلاح . هذا : ونصب « الخاطرين » بضمير : أى أذكر ، أو أمدح ، ونحو ذلك .

(٢) الغضن : تكسر الجلد . يقول : إنه يقبل على الزائرين إقبالا يفرحون به فيزول حزنهم وتنبت وجوههم ، والسرور يكون بشأ طلقا ، والحزون يكون منزوى جلدة الوجه .

(٣) يقول : إن عطاياهم والبعيد فهمي تسافر وتصل إلى من نأى عنه ، فسكانها تؤخذ من راحته في أرض الروم واليمن كما تؤخذ في داره . والحاصل : أن ماله يقرب من القاصي قربه من الداني ؛ قال الشراح : وأما ذكره هذين الإقليمين دون غيرهما فلما بينهما من البعد ، فأقليم الروم هو القريب منه واليمن هو البعيد عنه ، ليطابق بين القرب والبعد ، وإن عطاهم يعم القريب والبعيد .

(٤) المزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء أو ذات الماء . والاثق : الوحل الذي يصير من أثر الماء بعد امتزاجه بالتراب . يقول : لم نفتقد بوجودك من السحاب سوى انوحل الذي يكون من مائه ، ولا من البحر غير ركوب السفن والتعرض لمواصف الرياح ، يعنى أن الممدوح سحاب وبحر ، ولكن نغمه خالص لا يشوبه ما يكدره ؛ قال العكبري : وقوله : بك بمعنى « فيك » ؛ وحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض .

(٥) يقول : ولم نفتقد بوجودك من الاسد وشجاعته وإقدامه إلا قبح منظره ولا

مُنْذُ أُحْتَبِيتَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ أَعْتَدْتِ حَتَّى كَانَتْ ذَوِي الْأَوْتَارِ فِي هُدَنِ (١)
 وَمُنْذُ مَرَزَتْ عَلَى أَطْوَادِهَا قَرَعَتْ مِنَ الشُّجُودِ فَلَا نَبْتَ عَلَى الْقَنْ (٢)
 أَخَلَّتْ مَوَاهِبُكَ الْأَسْوَاقَ مِنْ صَنَعٍ أَغْنَى نَدَاكَ عَنِ الْأَعْمَالِ وَالْمِهْنِ (٣)

من كل شيء آخر إلا كل ما كان غير حسن : يعنى أن جميع محاسن الدنيا مجتمعة فيك ،
 وجميع القايح منفية عنك .

(١) الاحتباء : أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته أو بهائل سيفه أو نحو ذلك ،
 وقد يحتج بيديه ، والاسم الحبوة ، والحبوة ، والحبوة : الثوب الذى يحتج به ، وجمعها
 حبى - مكنسور الأول - وحجى ، قال ابن السكيت فى إصلاحه ويروى بيت الفرزدق :
 وَمَا حُلَّ مِنْ جَهْلٍ حُبِّي حُلْمَانِنَا وَلَا قَائِلُ الْمَعْرُوفِ فِينَا يُعْتَفُ
 بالوجهين جميعاً ، فمن كسر كان مثل سدره وسدر ، ومن ضم فمثل عرفة وغرف ،
 وتحجى مثل احتجى ، قال ساعدة بن جؤية :

أَرَى الْجَوَارِسَ فِي ذَوَابَةِ مُشْرِفٍ فِيهِ النَّسُورُ كَمَا تَحْبِي الْمَوَكِبُ (١)
 والأوتار : جمع وتر ، وهو الثُّرْدُ . والهدن : جمع هدنة ، وهى السكون بين
 المتحاربين . يقول : مذجست محتبياً للحكم بهذه البلدة استوى أمرها واستقام حتى كان
 أصحاب الأحقاد قد تعالحوها وتهادنوا فزال الشر والظلم والخلاف بينهم ، وذلك بعدلك
 وحسن سيرتك فيهم .

(٢) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل ، وقرعت : من قرع الرأس ، وهو ذهاب
 شعره ؛ و « لا » عاملة عمل « ليس » ؛ والقنن : جمع قنة ، وهى أعلى موضع فى الجبل .
 يقول : لما مررت على الجبال عرفت أنك فوقها وأعلى منها وأرجح حلماً - مع بعدها
 من التمييز - خفضت هيئة لك ، وجعل الخضوع شجوداً لما بينهما من الملاسة ؛
 وبالغ فى السجود حتى جعله يتعدى الجبين إلى الرأس ، وأنه يتوالى حتى يذهب ما عليها
 من النبات فصارت قرعاء .

(٣) الصنع : الصانع الحاذق . والمهن : جمع مهنة ، وهى الخدمة والتبذل فى التصرف

(١) الأرى : العسل ، وجرست النحل الشجر للعسل : إذا أكلته ، ومنه قيل للنحل :
 جوارس ، وفيه النسور الخ . يقول : استدارت النسور فيه كأنهم ركب محتبون وفى
 ذؤابة مشرف : أى فى أعلى الجبل .

ذَا جُودٌ مِنْ لَيْسَ مِنْ دَهْرٍ عَلَى ثِقَةٍ وَزُهْدٌ مِنْ لَيْسَ مِنْ دُنْيَاهُ فِي وَطَنِ (١)
 وَهَذِهِ هَيْبَةٌ لَمْ يُوْتِنَهَا بَشَرٌ وَذَا اقْتِدَارُ لِسَانِ لَيْسَ فِي اللُّغَنِ (٢)
 فَمُرُّ وَأَوْمٍ تَطْعُ قُدُسَتْ مِنْ جَبَلٍ تَبَارَكَ اللَّهُ نُجْرِي الرُّوحِ فِي حَضَنِ (٣)

* * *

وقال يمدح أبا سهل سعيد بن عبد الله بن عبيد الله ابن الحسن الأنطاكي :
 قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنَ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَى وَالْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا (٤)

يقول : خلت الأسواق من الصناعات حتى عطلوها استغناء ببطائك عما كانوا يعملون، يعني أن مواهبك قد نشت بين الناس وعمت حتى أصاب أهل الأسواق منها ما استغنوا به عن العمل واستغنى به الفقير عن خدمة الناس .

(١) يقول : هذا الجود الذي نشاهده منك جود من لا يأمن الدهر ويعلم أن المال للحادثات . فهو يجود به ليحوز به الحمد والأجر ، وزهدك هذا زهد من علم أن الدنيا دار قلعة ومحل نقلة ودار فناء فلا يشتغل بعمارتها وجمع المال لها .

(٢) هيبة : تروى : همة . والمزني : جمع منة - بضم الميم - وهي القوة . يقول : لك هيبة وعظمة في قلوب الناس لم يؤتها أحد ، ولك قوة منطلق ليس هناك مثلها .

(٣) أوم : أصلها أومي ؛ حذفت الهمزة ، وتروى : وأومي ، ويصح بها الوزن ؛ و « قدست » دعاء ؛ وجبل : تمييز ، و « من » زائدة ؛ وحضن : جبل يتجدد ؛ ومنه المثل : أتجد من رأي حضنا - يقال للذي يبلغ حاجته وإن كان في غير بلاد يتجدد ولا قريبا منها - يقول : مر من شئت وأومي - أسر - فإنك مطاع كجبل ذي روح في ثباته ووقاره ورزاقته .

(٤) البين ، البعد والفراق ، ومنا : حال من « الأجفان » مقدمة عليها ؛ والبين : مفعول ثان « لعلم » مقدم ؛ وأجفانا : مفعول أول ، وتدمى : صفة ؛ لـ « أجفانا » كأنه قال : أجفانا دامية ، وقال التبريزي : أراد أن تدمى ، « لحذف » أن يقول : إن فراق الاحبة علم أجفانا الدامية - من طول البكاء - أن يتعد بعضها عن بعض - كفى به عن ادامة السهر - كما قال .

* وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ *

وجمل الفراق يؤلف الحزن إغرابا في الصنعة ، مثله :

أَمَلْتُ سَاعَةً سَارُوا كَشَفَ مِعْصِمَهَا لِيَلْبَثَ الْحَمَى دُونَ السَّيْرِ حَيْرَانًا^(١)
وَلَوْ بَدَتْ لَأَتَاهَتْهُمْ فَحَجَّجَهَا صَوْنٌ عَقُولَهُمْ مِنْ لَحْظِهَا صَانًا^(٢)
بِالْوَاخِدَاتِ وَحَادِيهَا وَبِي قَمَرٌ يَظَلُّ مِنْ وَخْدِهَا فِي الْخَدْرِ حَشِيَانًا^(٣)

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمْتِنِي فَمَا تَلَقَّتِي إِلَّا عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِي

(١) ضمير « ساروا » للأحبة ، وإن لم يتقدم لهم ذكر ، لدلالة المقام ؛ والمعصم : موضع السوار ؛ ويلبث : يقيم ؛ والحى : القوم النازلون والظاعنون . يقول : رجوت وتمنيت عند رحيل الأحبة أن تكشف معصمها - أى تظهره - عند ركوب الهودج ليراه القوم فيقفوا متحيرين عن السير فأزود من إقامتها .

(٢) تاه بيقه ويتوه : ضل وتحيره ، وأتاهه غيره : أضله وحيره . والصون : الحفظ وعقولهم : مفعول « صان » . يقول : لو ظهرت هذه المحبوبة لهم لحيرتهم بحال طلعتها ولكن حجبها عنهم صون صان عقولهم عن لحظها ، يعنى أنها صانت نفسها عن البروز والظهور وذلك الصون صان عقولهم عن لحظها ولحظ : مصدر يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل ، ويجوز أن يكون مضافا إلى المفعول : أى لو لحظوها لطارت عقولهم ، أو لحظتهم لأخذت عقولهم .

(٣) الباء : للتعبية ، والواخيدات : السرعات . يريد : الإبل . وأصل الوخذ : للنعام واستعمل في سير الإبل . وخد البعير يخذو وخذوا ووخدانا : وهو أن يرى بقوائمه مثل مشى النعام . والحادى : الذى يسوق الإبل بالنعاء . والخدر : خدر المرأة ، ما يكنها ويسترها . وخشيانا : خائفا . يقول : يفدى بالإبل الواخدة - السرعة - فى السفر ومحاديها وبنفسى قمر يظل فى خدره خائفا مذعورا من سرعة سير الإبل وهزها له وهو لم يتعود السفر ، وخشيانا : يروى « حشيانا » - من الحشى ، وهو تواتر النفس من تعب ونحوه قال الشاعر :

تُلَاعِبُنِي إِذَا مَا شِئْتُ خَوْدٌ^(١) عَلَى الْأَنْمَاطِ ذَاتُ حَشَى قَطِيعِ

(أى ذات نفس متقطع من ممها ؛ وقطيع : نعت لحشى . والأنمط : جمع نمط ،

(١) خود : نعت لهيكنة فى قوله .

ولو أنبى أشاهُ كفتتُ نفسى إلى بيضاء بهكنة شموع
والبهكنة : التارة الغضة ، والشموع : اللعوب الضحكوك .

أَمَّا الثِّيَابُ فَتَعْرَى مِنْ مَحَاسِنِهِ إِذَا نَضَّاهَا وَيَكْتَسِي الْحُسْنَ عُرْيَانًا^(١)
يَعْتُهُ الْمِسْكُ صَمَّ الْمُسْتَهَامِ بِهِ حَتَّى يَصِيرَ عَلَى الْأَعْكَانِ أَعْكَانًا^(٢)
قَدْ كُنْتُ أَشْفِقُ مِنْ دَمِي عَلَى بَصْرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيرٍ بِمَدَّ كُمِّ هَانَا^(٣)

ضرب من البسط له خل رقيق) : وفي حديث عائشة رضی الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من بيتها ومضى إلى البقيع ، فتبعته - تظن أنه دخل بهض حجر نسائه فلما أحس سوادها قصد قصدتها ، فعدت ؛ فمدا على أثرها ، فلم يدركها إلا وهي في جوف حجرتها ، فدنا منها - وقد وقع عليها البهر والربو - فقال لها : مالي أراك حشياً رابية ؟ » أى مالك قد وقع عليك الحشى ؟ وهو الربو والبهر والنهيج الذى يعرض للمسرح فى مشيته والحدت فى كلامه من ارتفاع النفس وتواتره . يقول للتنبى : إن وخدها بزعبه لعدة رفة فيتتابع نفسه . قال العكبرى : وأنكره بعض من لا يعرف اللغة على أبى الطيب لفظة « حشيان » ، وقال لم اسمها ، وكأنه لم يسمع قول الآخر - هو أبو جندب الهذلى - :

فَنَهْنَتْ أُولَى الْقَوْمِ عَنْهُمْ بِضَرْبَةٍ تَنْفَسَ مِنْهَا كُلُّ حَشْيَانٍ مُحْجَرٍ
(١) نضا عنه الثوب : خلعه وألقاه ؛ ويكسى : بمعنى يكتسى ، يقال كسوته ثوباً أكسوه وكسى يكسى فهو كاس : إذا اكتسى . يقول : إذا خلع الثياب عريت من محاسنه لأنه يزين الثياب بحسنه ، وإذا عرى عن الثوب كان مكسواً بالحسن .
(٢) الأعكان : الأطواء فى بطن الجارية ، من السمن ، وهى جمع عكن ، جمع عكنة ، وتمكن بطن الجارية . يقول : إن المسك يحبه كالمستهام به ويلذف عليه حتى يصير للمسك أعكاناً على أعكان بطنه .

(٣) يقول . كنت أشفق - أخاف - على عيني من البكاء ، أما وقد افترقنا فقد هان على كل عزيز لبعدم ، يعنى أن يهون عليه فقد البصر فى البكاء على فراقهم ، وهذا منقول من قول أبى نواس فى الأمين :

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحَدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
وأخذه أبو نواس من قول امرأة من العرب :

كُنْتُ السَّوَادَ لِنَاظِرِي فَمَلَيْكَ يَبْكِي النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بِمَدَّكَ فَلَيْمْتُ فَمَلَيْكَ كُنْتُ أَحْذَرُ

(٢٣ التنبى - ٤)

تَهْدِي الْبَوَارِقُ أَخْلَافَ الْمِيَاهِ لَكُمْ وَلِلْمُحِبِّ مِنَ التَّذْكَارِ نِيرَانًا^(١)
 إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الْأَهْوَالِ شَيْعِي قَلْبٌ إِذَا شِئْتُ أَنْ يَسْلَاكُمْ خَانًا^(٢)
 أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالشَّوْءِ يَذْكَرُنِي وَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانًا^(٣)
 وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُمَا كَانَ^(٤)
 مُحْسَدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أُثْرِي أَلْتَقَى الْكَيْمِيُّ وَيَلْقَانِي إِذَا حَانَ^(٥)

(١) البوارق: السحاب ذوات البرق . والأخلاف : الضروع ، واستعار المياه أخلافاً لأنها تغزو النبات كما تغزو الأم بالإرضاع ولدها . يقول : إذا برقت السحاب بشرتكم بالقطر - للطر - فهي تهدي إليكم الماء وتنت لكم الكلال وتهدي للمحب نيرانا أي تذكي نيران شوق - لأنها تلمع من جانبكم الذي ارتحلتم إليه فيتجدد بها شوق ،
 (٢) قدمت - بفتح الدال - تهمت ، وبكسرها : وردت . وشيئني : تبعني ؛ وأسلاكم مثل أسلوكم : يقول : قلبى يتبعنى ويطيعنى فى كل هول إلا على السلو ، فإنه لا يطيعنى وإنما يخونى ؛ وفيه نظر إلى قول البحرى :

أَحْنُو عَلَيْكَ وَفِي فَوَادِي لَوْعَةٍ وَأَصْدُ عَنْكَ وَوَجْهٌ وَدَى مُقْبِلُ
 وَإِذَا طَلَبْتُ وَصَالَ غَيْرِكَ رَدْنِي وَلَهُ عَلَيْكَ وَشَافِعٌ لَكَ أَوْلُ

(٣) الصفع : الإعراض . والإهوان : الإهانة - أخرجه على الأصل للضرورة ، كما قال الآخر :

صَدَدْتُ فَأَطَوَّلْتَ الصَّدُودَ وَقَلَّمَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومُ

(يريد : فأطلت فجاء به على الأصل) . يقول : إذا ظهرت لمن يذكرنى بالسوء فى غيبقى عظمى وخضع لى ، وأنا أعرض عن عتابه إعراضاً عنه واحتقاراً له ، لأنه لا يقدر أن ينظر إلى فى حضرتى .

(٤) يقول : وكنت وأنا فى وطنى وبين أهلى غربياً قليل المرافق والمساعد ، ثم قال وكذلك النفيس العزيز : غريب حيث كان ، ولو فى وطنه وبين أهله لأن هذه الغربة إنما هى لفقد النظير ، لا لفقد النسب ؛ قال أبو تمام :

غَرَبَتْهُ الْعَلَى عَلَى كَثْرَةِ الْأَهْلِ لِي فَأُضْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيْبَا
 فَلِيَطْلُ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي مَرٍّ وَمُقْبِيًا بِهَا لِمَاتَ غَرِيْبَا

(٥) محسد : خبر مبتدأ محذوف : أى أنا محسد الفضل ؛ والمحسد : من يحسد كثيراً

لَا أُشْرِبُ إِلَى مَا لَمْ يَفْتِ طَمَعًا وَلَا أُبَيِّتُ عَلَى مَا فَاتَ حَسْرَانًا^(١)
 وَلَا أُسْرُ بِمَا غَيْرِي الْحَمِيدُ بِهِ وَلَوْ حَلَّتْ إِلَيَّ الدَّهْرَ مَلَانًا^(٢)
 لَا يَجِدُنِي رِكَابِي نَحْوَهُ أَحَدٌ مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا قَلَقُنِي كِبْرَانًا^(٣)
 لَوْ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُعْرَانًا^(٤)

والكمي : البطل المستتر بسلاحه . وحان حينه : قرب أجله . يقول أنا محسود الفضل في كل مكان ويكذب على إذا قتت وخرجت من مشهد وجمع والشجاع إذا حان حينه ليعني في المعركة ؛ فقله مكذوب على أرى : أي يكذب على أعدائي على أثرى وخلقى ووقت خروجي من محفل ، وهو من قول البرج التغلبي :

يَفْتَابُ عِرْضِي خَالِيًا وَإِذَا تَلَاقَيْنَا اقْشَعَرُ
 وقال سويد بن أبي كاهل :

وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعُ

(١) أشرب إلى الشيء : تطلع نحوه ؛ ومن كلمة لعائشة رضى الله عنها : « اشرب النفاق وارتدت العرب » ، قال أبو الوليد : اشرب ارتفع وعلاوكل رافع رأسه مضمرب وأنشد لذي الرمة يصف الظبية ورفمها رأسها :

ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمَّ شَادِنِ أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ

وحسران : فعلان من الحسرة : يقول : لا أطلع إلى ما لم يفت من الدنيا ، ولا أتمسر على ما فات : أي لا أبالي بالدنيا ، فلا أطلع إلى شيء ، ولا أتمسر على شيء ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

إِنَّ الْغَنِيَّ الَّذِي يَرْضَى بِمِيشَتِهِ لَا مَنْ يَظَالُ عَلَى مَا فَاتَ مُكْتَتِبًا

(٢) الحميد : الحمود . يقول : لا أسر بالشيء الذي آخذ من غيري ، لأنه هو الحمود على إعطائه ، ونفسى تأبى ذلك ، ولو ملأت الدهر لي عطايا :

(٣) الركاب : الإبل . وقلقن : حركن . والكيران : جمع كور ، وهو رحل الجمل يقول : لا أقصد أحدا ما حبيت وما حركت ركابي أكوارها ، يعني ليس هناك من يستحق أن أقصده وأتجمع إليه . قال العكبري : هذا قوله وقد قصد به هذا جماعة ، بل يشهد له آخر الشعر ...

(٤) بعرانا : جمع بعير ، وهو حال من « الناس » . يريد بالناس : جماعة بأعيانهم

فَالعَيْسُ أَعْقَلَ مِنْ قَوْمِ رَأَيْتُهُمْ عَمَّا يَرَاهُ مِنَ الْإِحْسَانِ عُيْمَانًا (١)
 ذَاكَ الْجَوَادُ وَإِنْ قَلَّ الْجَوَادُ لَهُ ذَاكَ الشُّجَاعُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ أَقْرَانًا (٢)
 ذَاكَ أَمْدُ الَّذِي تَقْنُو يَدَاهُ لَنَا فَلَوْ أُصِيبَ بِشَيْءٍ مِنْهُ عَزَانًا (٣)

كما يدل على ذلك البيت التالي . قال الواحدى : يقول : لو قدرت لأظهرت ما وراء ظواهرهم من المعاني البهيمية وإظهار ذلك بإجرائهم مجرى سائر الحيوان بالركوب ، وإنما كنت أفعل ذلك لأنه لا عقل لهم ، قال صاحب ابن عباد يتقد التنبى : أراد أن يزيد على الشعراء فى ذكر اللطايا ، فأتى بأخزى الحزايا ، قال : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ وللمدوح أيضا عصبه لا يجب أن يركبوا إليه . قال الواحدى : وليس الأمر على ما قال . لأن الشاعر إذا ذكر الناس فإنه يخرج من جملتهم كثيرا من الناس كما قال السرى الرفاء :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا

أَسِيرَ تَقْيِفِ عَيْنِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ

لم يفضل السرى أحداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهذا البيت - وإن كان قد أكد بقوله حياً وميتاً - على أن اللنبى خصص فى البيت التالي .

(١) العيس : الإبل البيض . وعمما : متعلق بعيماناً ؛ و « عيماناً » مفعول ثانٍ لرأيت وفاعل يراه : ضمير المدوح . يقول : الإبل أعقل من قوم وجدتهم قد عموا عما رآه هذا المدوح من الإحسان فلم يهتدوا لفعله ، وقد ظهر بهذا البيت أنه إنما يمتطى من الناس اللثام الذين عموا عن طريق الإحسان ، فلم يروا منه ما رآه المدوح .

(٢) الجواد : السخى الذى يجود بماله ، والأقران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكف فى الحرب . يقول : لا يمكننا أن نصفه فى جوده بصفة فوق الجواد وإن كان لفظ الجواد قليلا عليه ، وهو الشجاع وإن كان لا يرضى له قريناً من يقال لهم شجعان يعنى أنه فوق كل جواد وفوق كل شجاع ، وإن قل أن يقال له أنت الجواد وأنت الشجاع إذ لا يكفى أن يوصف بما يوصف به غيره .

(٣) اللعد : المهيء الشيء لوقت الحاجة . وتقنو : أى تقنى - يقال قنوت الشيء أقنوه قنوا - وعزيت الرجل : سلبته عن حزنه . يقول : إن ما يجمعه من المال ويقتنيه إنما يقتنيه للشعراء والوافدين ، فلو أصيب بشيء من ذلك للمال عزاناً ، لأن ذلك للمال لنا وإن كان فى يده .

خَفَّ الزَّمَانُ عَلَى أَطْرَافِ أُمَّلِهِ حَتَّى تُوَهَّمَنَّ لِلْأَزْمَانِ أَرْزَامَانَا^(١)
يَلْتَقَى الْوَعْيُ وَالْفَنَاءُ وَالنَّازِلَاتِ بِهِ

وَالسَّيْفِ وَالضَّيْفِ رَحْبَ الْبَاعِ جَذَلَانَا^(٢)

تَحَاوَهُ مِنْ ذَكَاءِ الْقَلْبِ مُحْتَمِيَا وَمِنْ تَكْرُمِهِ وَالْبَشْرِ نَشْوَانَا^(٣)

وَتَسْحَبُ الْحَبْرَ الْقَيْنَاتُ رَافِلَةً فِي جُودِهِ وَتَجْرُ الْخَيْلُ أَرْسَانَا^(٤)

يُعْطِي الْمُبَشِّرُ بِالْقَصَادِ قَبْلَهُمْ كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانَا^(٥)

جَزَتْ بِنِي الْحَسَنِ الْحُسْنَى فَايْتَمُّ فِي قَوْمِهِمْ مِثْلَهُمْ فِي الْفَرِّ عَدْنَانَا^(٦)

(١) الأمل : أطراف الأصابع . يقول : إن الزمان في يده ونحت تصرفه فهو يصرفه على إرادته ، فكأن أنامله أزمان للأزمان لتقليبها إيها ، والزمان يقلب الأحوال وأنامله تقلب الزمان ، فكأنها زمان للزمان .

(٢) الوعى : الحرب ؛ والقنا : الرماح ؛ والنازلات : حوادث الدهر تنزل بالإنسان ورحب الباع : واسع الصدر ، وجذلانا : فرحا مستبشرا . يقول : هو شجاع جلد يلقي الأمور الصعاب فرحاً مسروراً .

(٣) محتما : متوقدا شديد الحرارة ، والبشر : طلاقة الوجه وتهله والنشوان : السكران . يقول : لحدة قلبه وذكائه كأنه متوقد ، ومن كرمه وتهلل وجهه كأنه سكران .

(٤) الحبر : جمع حبرة — بكسر ففتح — وهي ثياب تعمل في اليمن ، والقينات : جمع قينة وهي الجارية للغنية ، ورفل في ثيابه يرفل . إذا أطالها وجراها متبخترا .

والأرسان : جمع رسن ، وهو الحبل . يقول : إن جميع ما تنفقه هو من ماله ، فماتلبسه الجوارى وترفل فيه من ثياب الحسن فهو من جوده ، وكذلك ماتجر خيلنا من الأرسان .

(٥) عطشانا : حال من « الماء » في يبشره . يقول : من يبشره بالزوار والطفة قبل إتيانهم يعطيه لبشارته كما يعطى من يبشره بالماء وهو عطشان ، يعني : أنه يعطى

القصاد ويعطى الذى بشرهم من قبلهم أيضا لشدة كرمه وارتياحه للبدل ؛ ولعله ينظر إلى قول أبي تمام :

يُبَشِّرُهُ خَدَائِمُهُ بِمِفَاتِهِ كَمَا بَشَّرَ الظَّمْآنَ بِالْمَاءِ وَاشِلُهُ

« وشل الماء وشلا فهو واشل : سال أو قطر ؛ وجبل واشل : يقطر منه الماء ؛

والوشل : اللاء القليل واللواء الكثير ، فهو من الأضداد :

(٦) الضمير في « مثلهم » عائد على القوم . والنعر : جمع الأعر ، وهو السيد الشريف .

مَا شَهِدَ اللَّهُ مِنْ مَجْدٍ لِسَالِفِهِمْ إِلَّا وَتَمَحْنُ نَرَاهُ فِيهِمْ. الْآنَا (١)
 إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِبُوا وَجِدُوا فِي الْخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهَيْجَاءِ فُرْسَانًا (٢)
 كَأَنَّ أَلْسِنَهُمْ فِي النَّطْقِ قَدْ جُمِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّمَنِ خِرْصَانًا (٣)
 كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْمَوْتَ مِنْ ظُلْمٍ أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِيءِ رِيحَانًا (٤)

وعدنانا : بدل من القر . قال ابن جنى : كان للمدوح من ولد الحسن بن علي عليها السلام . والحسنى : ضد السواى . وقالوا : المراد بها الجنة يقول : كانت الحسنى جزءا لهم ، فإنهم في قومهم مثل قومهم في عدنان القر ؛ يعنى أنهم خير قومهم ، وقومهم خير عدنان ، وهذا من قوله تعالى « فله جزء الحسنى » .

(١) يقول إنهم حماة المجد حافظوا على شرف آبائهم وأحسابهم فلم يهدموه ولم يضيعوا شيئا منه فهو فهمهم الآن كما كان قديما . وأصل التشديد والإشادة إحكام البناء ورفعها ، فاستعير لرفع الصوت ؛ يقال أشاد بذكره : أى رفع من قدره وأشاعه ، أفرد به الجوهري الخير ، وذهب غيره من أهل اللغة إلى أنه يقال أشاد فلان بذكر فلان في الخير والشر والمدح والذم إذا شهره ورفعوه والسالف : واحد السلف ، وهم الذين مضوا .

(٢) قال الواحدى : هذا تفصيل ما أجمله في البيت الذى قبله : يعنى أنهم كتاب فضلاء شجعان كأبائهم فهم فرسان الكتابة والبلاغة والحرب ، وليس يريد بقوله لقوا ملاقاتة الأقران في القتال ، لأنه ذكر الحرب بعده ، إنما يريد ملاقاتة الأقران في الخطابة والمكاملة .

(٣) الخرصان : جمع خرص ، وهو حلقة السنان ، والمراد بها هنا : الأُسنة نفسها . يقول : إن أسنتهم ماضية نافذة مضاء أسنتهم في النطق . فكان ألسنتهم قد جعلت خرصانا على رماحهم . فهو كما ترى أراد تشبيه الألسنة ، فمكس التشبيه وحول وجه الكلام مبالغة في مضاء الألسنة وذلاقتها حتى صارت الأُسنة تشبه بها هذا منقول من قول البحرى :

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامُهُ أَوْ مَصْقُولُ خِلَتِ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ
 (٤) الظمأ : العطش ؛ وينشقون : يشمون ؛ والخطى : الرمح ، نسبة إلى الخط ، موضع بالجمامة . يقول : لسهولة الحرب عليهم واسترواحهم إليها صار الموت عندهم قديدا كالماء للظمآن ؛ وصارت الرماح شبيهة كالريحان الذى يشم وهذا بسبيل من قول البحرى :

أَعْدَى الْكَائِنِينَ لِمَنْ أَيْبَى عَدَاوَتَهُ أَعْدَى الْعِدَا وَلِمَنْ آخَيْتُ إِخْوَانًا^(١)
 خَلَائِقٌ لَوْ حَوَّاهَا الزَّنْجُ لَا نَقْلِبُوا ظَمَى الشَّفَاهِ حَمَادَ الشَّمْرِ غُرًّا^(٢)
 وَأَنْفُسٌ يَلْعَبِيَاتٌ تُحْمِيهِمْ لَمَّا اضْطَرَّارًا وَلَوْ أَقْصَوَكَ شَفَانًا^(٣)

يَتَزَاخَمُونَ عَلَى الْقِتَالِ لَدَى الْوَعَى كَتَزَاخَمَ الْإِبِلِ الْعِطَاشُ بِمَوْرِدٍ
 (١) نسب « الكائنين » على « المدح » كأنه قال: أمدح ، أو أعنى . وأعدى العدى
 خبر الكائنين . وهذا مثل قول البحترى :

أَخٌ لِي لَا يَدِينِي الَّذِي أَنَا مُبْعِدٌ لَشَيْءٍ وَلَا يَرْضَى الَّذِي أَنَا سَاخِطُهُ
 (١) خلائق : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه خلائق ؛ والخلائق : جمع خليفة ،
 وهى السجية ؛ والزنج : جيل من السودان وظمى الشفاه : دقاق الشفاه مع سمرة
 كأنها لم تر تنو فتغلظ ؛ والزنجي يوصف بغلظ الشفاه حتى شبهوها بمسافر الإبل ،
 قال الفرزدق :

فَلَوْ كُنْتَ ضَبِيًّا عَرَفْتَ قَرَابِي وَالْكَنَّ زَنْجِيًّا عَظِيمَ الْمَشَافِرِ^(١)
 وجران : جمع أغر . وهو الأبيض المشرق ؛ والجعد من الشعر : خلاف للسترسل .
 يقول : إنهم قوم لهم محامد وخصال جميلة لو حواها الزنج على قبج صورهم لفظت
 هذا القبج وصاروا عند الناس كمن خلقتهم خلقة حسنة ، وصاروا مع سوادهم كأنهم
 بيض ، ومع غلظ مشافرهم كأنهم ظمى الشفاه . وعبارة بعض الشعراء : هذه الخلائق
 الشريفة لا تعرف إلا فى كرام الناس وساداتهم فلو حواها الزنج على ما يعرفون به من
 الحسة والهمجية لصيرتهم كراما بيض الجلود حسان الصور ، قال ابن القطاع : قد أخذ
 عليه فى هذا البيت قوله « جماد الشعر » إذ كأنه قال : لا تقلبوا من الجعودة إلى
 الجعودة ، لأن شعور الزنج جماد ، قال : والمعنى أنهم انقلبوا إلى حد الاعتدال لأن
 شعور الزنج زائدة الجعودة .

(٣) أنفس : معطوف على « خلائق ؛ واليلمى : الأملى الحاد الفطنة . وقوله لها :
 أى لأجلها ؛ وأقصوك : أبعدوك ؛ والشئان : البغض ، يحرك ويسكن . يقول : ولهم

(١) هيا الفرزدق رجلا من ضبة فنفاه عنها ونسبه إلى الزنج ، وأصل للشفر
 للبير . واستعاره للانسان لما قصد من تشنيع الخلق ، والقراة التى بين ضبة وبينه أنه
 من تميم بن مر بن أد بن طابخة ، وضبة هو أبو أد بن طابخة .

الْوَضِيعِينَ أَبْوَاتٍ وَأَجْبِنَةَ وَوَالِدَاتٍ وَأَلْبَابًا وَأَذْهَانَ^(١)
يَا صَائِدَ الْجَحْفَلِ الْمَرْهُوبِ جَانِبُهُ إِنَّ الْيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أَحْدَانًا^(٢)
وَوَاهِبًا كُلُّ وَقْتٍ وَقْتٍ نَائِلُهُ وَإِنَّمَا يَهَبُ الْوُهَابُ أَحْيَانًا^(٣)
أَنْتَ الَّذِي سَبَكَ الْأَمْوَالَ مَكْرُمَةً ثُمَّ اتَّخَذْتَ لَهَا السُّؤَالَ خَزَانًا^(٤)
عَلَيْكَ مِنْكَ إِذَا أُخْلِيَتْ مُرْتَقِبٌ لَمْ تَأْتِ فِي السَّرِّ مَالَمَ تَأْتِ إِعْلَانًا^(٥)

أنفس ذكية فطنة تحبهم - أيها المخاطب - لأجلها ضرورة ، ولو أبعذك بفضالك ؛
يعنى أن من عادوه يحبهم ، لما فيهم من الفطنة ، فحبهم ضرورة .

(١) الواضحين : نصب على اللوح : أى أذكر ، أو أعنى ، ونحوهما . والأبوة :
مصدر الأب ، يريد الآباء ؛ والأجينة : جمع جبين ؛ والألباب : جمع لب ، العقل ،
يقول : هم معروفو الآباء ، وأنسابهم طاهرة ، ووجوههم حسنة جميلة - أو متهلة -
كرما ، مشرقو العقول والأذهان . يقال فلان واضح الجبين : إذا كان حسن النظر
بها ، كما قال ابن غنمة :

* كَانُ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ *

(٢) الجحفل : الجيش العظيم . وأحداناً : جمع واحد ، وأصله وحدان . يقول :
أنت تصيد الجيش كله واليـث يصيد الناس واحداً واحداً ، فأنت أشد بطشاً من اليـث .
(٣) كل وقت : مبتدأ خبره وقت نائله والجملة صفة لواهباً ؛ والنائل : العطاء .
الوهاب : جمع واهب ، وقد روى بفتح الواو ، صيغة مبالغة . يقول : إن الأجواد
يجودون الحين بعد الحين ، وأنت جواد تجود كل الأوقات .

(٤) السبك : الإذابة والإفراغ ؛ ومكرمة : مفعول ثان لسبك - على تضمينه معنى
حول - وللمكرمة فعل السكرم : يقول : إنه سبك أمواله وأحاطها مكارم ثم جعلها في أيدي
العفاة فكانت له خزانا لأمواله . وعبارة الواحدى : سبك الأموال - أى جمعها
وصفها واستخلصها - ثم اتخذ السؤال خزانا مكرمة ، أى سلمها إليهم كما يسلم المال إلى
الخازن ، وهذا من قول البحرى :

جُلِّلٌ مِنْهُ لَمْ يَشْكُكَنَّ فِي الْقَوِّمِ أَمْ مُجْتَدُوهُ أَمْ خَزَانُهُ^(١)

(٥) أخليت : يروى بالبناء المجهول - أى وجدت خالياً - ويروى بفتح المحزة :

(١) الأبا : جمع لهوة ، العطية ، وقيل أفضل العطايا وأجزؤها .

لَا أُسْتَرِيدُكَ فِيمَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ
فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهِيْتُ السِّكْرَامَ بِهِ
وَأَنْتَ أْبَعْدُهُمْ ذِكْرًا وَأَكْبَرُهُمْ
قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِئُهَا
أَنَا الَّذِي نَامَ إِنْ نَبَّهْتُ يَنْقُطَانَا^(١)
وَرَدَّ سُخْطًا عَلَى الْأَيَّامِ رِضْوَانَا^(٢)
قَدْرًا وَأَرْفَعُهُمْ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانَا
وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا^(٣)

أى صادفت مكانا خاليا ، كما يقال أ كذبت به : أى صادفته كذابا ، وأجبتته : صادفته جيانا
والمرتقب : الرقيب . يقول : لست تفعل فى الخلا ما لا تفعله فى اللأ ، وفى السر ما لا تفعله
فى العلن ؛ فلك من نفسك رقيب عليك ؛ وهذا ينظر إلى قول عبد الله بن الدمينه :

وَأِنِّى لِأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّما عَلَى بَظْهِرِ الْعَيْبِ مِنْكَ رَقِيبٌ

(١) يقول : لقد بلغت الغاية فى السكرم . فلو أنى استردتكم كرما كنت جاهلا محلك من
السكرم . وكنت كمن به يقظان واليقظان لا ينبه ، كذلك أنت لاسترداكم ، قال العكبرى :
إنما قال نام ولم يقل نمت ، لأنه لما كان فى الضمير ذم لم يردده إلى نفسه ، وهذا من أدق
ما فى شعره وأدله على حكمه واستيلائه على نصب السبق فى شعره ، ولوتأملت شعره لوجدت
فيه كثيرا من هذا ، وإذا كان فى الضمير مدح أعاده إلى نفسه ، ألا ترى إلى قوله :

* وَإِنِّى لِمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نَفُوسَنَا *

فأعاد الضمير إليه ولم يقل « نفوسهم » ؛ وهذا من البلاغة والحدق .
(٢) باهيت : فاخرت ؛ والسخط : ضد الرضى . ورضوانا مصدر ، يقال بكسر الراء
وضمها . يقول : مثلك من أواخر السكرام به لأنهم يقصرون عن مدى مكارمه ، ومثلك
يرد الساخط على الأيام راضيا ، بإحسانك وإنعامك .

(٣) قال ابن جنى : لا يعجبنى قوله سواك لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ولو قال أنشاك
أو نحوه لسكان أليق . قال العروضى : سبحان الله : أنليق هذه اللفظة بشرف القرآن
ولا تليق بلفظ للنتبى ؛ قال الله تعالى : « الذى خلق فسوى » وقال « بشرا سويا » وقال
« فسواك فعدلك » وقال « ثم سواك رجلا » . قال ابن فورجه : قرأت على أبى العلاء
للعرى ومزنته فى الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب فقلت له يوما فى كلمة : ما ضرابا
الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها فأبان لى عوار الكلمة التى
ظفنتها ثم قال لى : لا تظنن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها ،
فجرب إن كنت مرتابا ، وما أنا أجرب ذلك منذ هذا العهد ، فلم أعثر بكلمة لو أبدلتها
بأخرى كان أليق بمكانها ؛ وليجرب من لم يصدق بحمد الأمر على ما أقول :

وقال في مجلس أبي محمد بن طنج وفد أقبل الليل وهما في بستان :
رَالِ النَّهَارُ وَنُورٌ مِنْكَ يُوهِمُنَا أَنْ لَمْ يَزَلْ وَيَلْجَحِ اللَّيْلُ لِإِحْنَانٍ^(١)
فَإِنْ يَكُنْ طَلَبُ الْبُسْتَانِ يُمَسِّكُنَا فَرُوحُ فَكُلِّ مَكَانٍ مِنْكَ بُسْتَانٍ^(٢)

وقال في بطيخة من الند في غشاء من الخيزران عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها
هند قد أدير حولها كانت في يد أبي العشائر^(*) :
مَا أَنَا وَالْخَمْرُ وَبَطِيخَةٌ سَوْدَاهُ فِي قِشْمٍ مِنَ الْخَيْزُرَانِ^(٣)

(١) جنح الليل — بضم الجيم وكسرهما — طائفة منه ؛ وجنوح الليل : إقباله
وجنه الليل وأجنه : ستره . يقول : إذا أبصرنا نور وجهك ظننا أن النهار باق لم يزل ،
مع أن الليل قد أظلم .

(٢) يقول : إن كنا إنما نبقى في هذا البستان رغبة في البستان فسر منه ، فكل
مكان كنت فيه فهو بستان بك .

(*) قد تقدمت قطع أخرى في هذه البطيخة .

(٣) من رفع « الحجر » عطفه على « أنا » ومن نصب : جعل الواو بمعنى « مع »
وإعراب بطيخة : إعراب الحجر ، وأنشدوا :

يَا زَبْرَقَانُ أَخَا بَنِي خَلْفٍ مَا أَنْتَ وَيَبَ أَيْبِكَ وَالْفَخْرُ^(١)
وقال الهذلي :

فَمَا أَنَا وَالسَّيْرُ فِي مَتَافٍ يُبْرِحُ بِالذِّكْرِ الضَّابِطِ^(٢)

(١) للمخبل السعدي ، وبعده :

هَلْ أَنْتَ إِلَّا فِي بَنِي خَافٍ كَالِإِسْكَتَيْنِ عَلَاهُمَا الْبُظْرُ

ومعنى ويب أيبك : التصغير له والتحقير ، وبنو خاف : رهط الزبرقان بن بدر .
يقول : من ساد مثل قومك فلا غر له في سيادتهم ، وشبههم إذا اجتمعوا حوله
بالظرتين الإسكتين والإسكتان — بكسر الهمزة — جانب الفرج ، والشاهد رفع الفخر .

(٢) الملتف : اللقطة ، والتبرج : للشقة ، وأراد بالذك جلا . لأن الذكر أقوى
من الناقة ، والضابط القوى . يقول : مالي أعجم للشاق بالسير في الفلوات للفتة ، والشاهد
نصب السير « أنظر شرح ابن عيش للمفصل باب المفعول معه » .

يَشْفَانِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا تَوَطِّئِي النَّفْسَ لِيَوْمِ الطَّعْمَانِ^(١)
وَكُلِّ نَجْلَاءَ لَهَا صَانِكٌ يَخْضُبُ مَا بَيْنَ يَدَيِ وَالسَّنَانِ^(٢)

* * *

وقال وقد بلغ أبا الطيب أن قوماً نموه في مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر :
يَمَّ التَّعْتَلُّ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ^(٣)

وقد جعل غلاف البطيخة قفراً لها ، والخيزران قال ابن سيده : نبات لين
القضبان ، أملس العيدان لا ينبت ببلاد العرب ، إنما ينبت ببلاد الروم ، ولذلك
قال النابغة الجعدي :

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمْ بَعِيدٌ بِلَادُهُمْ بِلَادُ الْخَيْزُرَانِ
وذلك أنه كان بالبادية ، وقومه الذين نصروه بالأرياف والحواضر ، وقيل أراد
أنهم بعيد منه كبعده بلاد الروم ، وقيل هو شجر وهو عروق القناة . والخيزران :
الرياح لتثنيها ولينها . قال العكبري : والعرب تجعل العرق خيزرانة قال شاعرهم
يصف حمامة :

هَتُوفٌ دَعَتْ أُخْرَى حَتَّى خَيْزُرَانَةٍ يَكَادُ يُدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لِيُنْهِنَا
هتفت الحمامة : ناحت ؛ وحمامة هتوف : كثيرة الهتاف .

(١) وطن نفسه للأمر : ذلها ومهداها . يقول : مالي ولهذه البطيخة : إني مشغول
عنها وعن غيرها بتوطين نفسي للضرب والاطمن يوم الطعن .

(٢) كل - بالرفع - عطف على توطيني ؛ ومن خفضه عطفه على الطعان ؛ والنجلاء
الواسعة ، وصانك : لازق - صاك به الطيب بصيك : إذا لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلِكَ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبَابِ وَصَاكَ الْعَبِيرُ بِأَجْلَادِهَا

« أجداد الإنسان وتجايلده : جسمه وبدنه ، لأن الجلد محيط بهما ، وجمع الأجداد :
أجداد ، وهي الأجسام والأشخاص » . يقول : ويشغاني كل طعنة واسعة يسيل منها دم
يلصق بالمطعون ويخضب القناة من يدي إلى السنان .

(٣) يم : أي بماذا ، حذف « ما » لدخول الجار عليها ، وقد سبق أن بسطنا القول
في مثل ذلك . وتعلل بالشيء تلهم به . والسكنن : الصاحب ، وكل ما تسكن إليه أما
السكن - بسكون الكاف - فأهل الدار اسم لجمع ساكن كشارب وشرب ، أنشد
الجوهري لدى الرمة :

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ^(١)
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرَثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ^(٢)
فَمَا يَدُومُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ^(٣)

فِيَا كَرَمَ السَّكَنِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا عَنِ الدَّارِ وَالْمُسْتَخْلَفِ الْمُتَبَدَّلِ^(١)
يشكو الزمان يقول: بأى شيء أعلل نفسي وأنا بعيد عن أهلى ووطنى، وليس لى
شئ ألهو به ولا أحد أسكن إليه. قال العكبرى: وكتب رجل إلى امرأته من مصر، وهى
يفتاد مستشهدا بهذا البيت، فكتبت إليه: لست كما قلت، وإنما أنت كما قال صاحب
هذه القصيدة:

سَهَرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحَشَّةَ لَكُمْ مُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَأَزَعَوَى الْوَسَنُ^(٢)
(١) يقول: إن همته أظى من أن يكون فى وسع الزمان البلوغ إليها وهو يتحنى
على الزمان أن يبلغه همته. قالوا. ويجوز أن يكون المعنى: أطلب من الزمان استقامة
الأحوال والزمان لا يبلغ هذا من نفسه، لأنه لا يثبت على حال، ويجوز أن يريد أنه
يطالب الزمان بأن يحليه من الأضداد، والزمان ليس يبلغ هذا من نفسه، فإن الليل
والنهار كالتضادين، ويجوز أن يريد: إنى أقترح على الزمان الاستبقاء وهو لم ينل فى نفسه
البقاء، فيكون قد ألم بقول البحرى:

تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَذْمُرُ فِي تَعْرِفِهِ الزَّمَانُ^(١)
(٢) يقول: مادمت حيا فلا تبال بالزمان وصروفه ونوائبه، فإنها تزول ولا تبقى،
والذى لا عوض منه إذا فات هو الروح فقط.

(٣) هذا تأكيد للذى قبله. يقول: لا تبال بما يحدثه لك الدهر، فإن للفروح به
لا يدوم فرحه، لأنه لا يدوم، والحزن على الغائب لا يرد إليه هذه رواية الواحدى،
وتبعه العكبرى، وعلى هذا فسرور: مضاف إلى ما بعده، قال بعضهم: وهومن التجوزات
للاستعجبة فى الوزن، ومن ثم قال ولعل الأظهر:

* فَمَا يَدِيمُ سُرُورٍ مَا سُرِرْتَ بِهِ *

(١) قوله فيا كرم: يتعجب من كرمهم، والمستخالف للتبدل: قال ابن برى أى
صار خلفا وبدلا للظباء والبقر.
(٢) انظر هذا البيت فى هذه القصيدة.

بِمَا أَضَرَ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ هُوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطَنُوا (١)
 تَفَنَّى عِيُونُهُمْ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ فِي لَأْسِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهَهُ حَسَنٌ (٢)
 تَحَمَّلُوا حَمَلَتِكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلٌّ بَيْنَ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمِنٌ (٣)
 مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عَوْضٌ إِنْ مِتُّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا تَمَنُّ (٤)
 يَا مَنْ نُفِيتَ عَلَى بَعْدِي بِمَجْلِسِهِ كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَمِنٌ (٥)

قال : وهو ما يقتضيه التطابق بين شطري البيت . يقول : المتنبى سرورك بالشئ لا يديمه عليك ؛ لأن كل شئ زائل ، فكذلك حزنك عليه بعد زواله لا يرد ، لأن ما فات لا يعود .

(١) يقول : بما أضر بالمحبين أنهم أحبوا قبل أن يعرفوا الدنيا ويفطنوا لها ولأهلها وما طبع وطبعوا عليه من الغدر وعدم الإسعاف والمؤاظة ، ولو هم فطنوا لتلك ما أحبوا ولا أضاعوا أيامهم وأضنوا أنفسهم في سبيل من لا يستحق ذلك منهم . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : العشق ضرورة داخلة على النفس ، والعاشق جاهل بتلك الضرورة وقول الواحدى : يعنى بأهل العشق الذين يعيشون الدنيا : تخصيص لامعنى له ، وتعميمه أنسب .
 (٢) دمعا مفعول لأجله ، وأنفسهم مبتدأ خبره ما بعده ، والجملة حال . يقول ليكون حتى تفنى عيونهم بالبكاء وأنفسهم بالحزن على كل مستحسن في الظاهر قبيح عند الاختيار . قال الواحدى - وتبعه العكبري - : يريد بذلك الدنيا ومتاعها ، قال العكبري : وأحسن من هذا كله قول أبي نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنِ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ (٣)
 تحمّلوا : أى ارتحلوا . والناجية : الناقية للسرعة . والدين : البعد والفراق وطى : متعلق بمؤتمن . قال ابن جنى : هذا تشبيب من يضر في نفسه عتياً وموجدة يقول : - لمن شبب بهم بعد القدى ذكره من حال العاشق وللعشوق : ارتحلوا عنى فإن الفراق اليوم - أى بعد اختبائى لأحوال الدنيا وأهلها - مؤتمن على ، أى أرضى بحكمه ولا تضرنى غائلته ، يعنى لا أحزن لفراقكم ، وقوله حملتكم كل ناجية دعاء بالبعد ، وفى الكلام تعريض لا يخفى .

(٤) الهودج : مركب النساء . واللهاجة : الروح . يقول لستم أهلاً لأن تجذل فيكم الأرواح شوقاً إليكم ومحبة لكم . فليست تعرضوننى روحاً غيرها إذا ألفتها :
 (٥) الناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت . وأصله أن العرب كانت إذا

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدِمْتُ عِنْدَكُمْ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَرَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ^(١)
قَدْ كَانَ شَاهِدًا دَفَنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا^(٢)
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَأَشْتَهِي السُّفُنُ^(٣)

مات منها من له قدر جليل ركب راكب فرسا وجعل يسير ويقول نعاء فلانا أي انعه ،
أي أظهر خبر وفاته ، قال الكمي :

نَعَاءٌ جُذَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلِ وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ^(١)
يقول : إني قد نعتت بمجلسكم على البعد وكل أحد مرتين بالموت لا بد له منه فلا يفرح
أحد بنى أحد .

(١) يقول : كم قد أخبرتم بموتي وتحقق ذلك عنكم ، ثم بان الأمر بخلاف ذلك
فكأنني كنت ميتا ثم خرجت من القبر ؟

(٢) قوله قبل قولهم : أي قبل قول الناعين . يريد أن قوما نعوه قبل هؤلاء وأخبروا
أنهم شاهدوا دفنه ثم ماتوا قبل اللعن ، أي فقد بان كذبهم فيما ادعوا .

(٣) يقول : إن أعدائي يتمنون موتي ولكنهم لا يدركون ما يتمنون ، ثم ضرب
لذلك مثل السفن قال : إن السفن — يعني أهلها — تشتهي الرياح الموافقة لسيرها ،
ولكن الرياح كثيرا ما تجرى على غير ما تشتهي . هذا : ويجوز في كل — كما قال
العسكري — الرفع وال نصب ، فالنصب بفعل مضمر ، يريد ما يدرك المرء كل ما يتمنى ،
فلما أضمر الفعل فسره بقوله يدركه كقولك ما زيدا ضربه فيختار النصب لأجل النفي
ومضارعة ، وهذا في لغة تميم ، لأن « ما » عندهم غير عاملة ، فتجري مجرى « لا »
في نحو قول زهير :

(١) يقول الكمي هذا منكراً على جذام انتسابها إلى عدى بن عمرو بن سبأ
ومؤاخذتها للحم بن عدى بن عمرو والسكيت من أسد بن خزيمة بن مدركة ، وكان
متحصلاً لمضر وهاجياً لليمن ، وجذام فيما يزعم بعض النسائين قبيلة من ولد أسد بن
خزيمة لحقوا باليمن وانتسبوا إليهم فقال الكمي محققاً لذلك : انع جذاما غير ميتين ولا
مقتولين ولكن مفارقين لأصلهم من مضر ومنتسبين إلى غيرهم من اليمن

رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونَ الْعَرِضَ جَارُكُمْ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرَعَاكُمْ بِاللَّيْنِ (١)
 جَزَاهُ كُلُّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمْ ضَعْفٌ (٢)
 وَتَفْضِيلُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنَّ (٣)

لَا الدَّارُ غَيْرَهَا بَعْدِي الْأُنَيْسُ وَلَا بِالدَّارِ لَوْ كَلَّمْتُ ذَا حَاجَةٍ صَمَمٌ (١)
 أنشده سيويوه بنصب الدار لأجل حرف النفي ، وأما أهل الحجاز فيرفعون « كل »
 بـ « ما » ، لأنها عاملة عندهم كليس ، ويكون الخبر « يدركه » ، ومثله ما أنشده سيويوه
 لمزاحم العقيلي :

وَقَالُوا تَعْرِفُنَا الْمَنَازِلَ مِنْ مِثْنِي وَمَا كُلُّ مَنْ وَافَى مِثْنِي أَنَا عَارِفٌ (٢)
 أنشده بالرفع على إرادة الهاء ، وبنو تميم ينصبون « كل » على ما تقدم ؛ والقرآن
 قد جاء بالحجازية في قوله تعالى « ما هذا بشرا » وفي قراءة السبعة « ما هن أمهاتهم »
 بكسر التاء .

(١) العرض : ما يمدح به الرجل ويدم ، وقيل الحسب ، وقيل النفس . يقول :
 من جاوركم لا يقدر على صون عرضه ، لأنه يشتم عندهم فلا تكثرثون لثتمه ولا تحامون
 عنه ، وإذا رعت النعم في أرضكم لم يدربنها على مراعاتكم لو خامته . وهذا مثل ، يريد :
 أن نعمتكم مشوبة بالأذى فلا يهنا أخذها حتى تزكو عنده بالشكر ، وكل هذا تريض
 لسيف الدولة وهجاء مر له .

(٢) الضغن والضغن : الحقد يقول : من قرب منكم ملثتموه وأبغضتموه ومن
 أحبكم حقدتم عليه ، أي لستم تجازون الحب ولا القريب بما يستحقانه .

(٣) الرfid : العطاء . والمِنَّ : جمع منة اسم من امتن عليه إذا عدله صنائمه يقول

(١) وصف زهير داراً آلت من أهلها ولم يخلفهم غيرهم فيها ، فغيروا ما عهد من
 آثارها ورسومها . ويروى بعد الأُنَيْس : أي هي باقية الآثار كما عهدتها لم يغيرها بعد
 من عهدت من الأُنَيْس فيها . والأُنَيْس : من يؤنس به من الناس ، ثم قال : وقفت
 بها فسألتها وناديتها بمقدار ما أصعبها لو أجابت ولكنها لم تجب فكان بها صمما .

(٢) يقول : إنه اجتمع بمحبوبته في الحج ففعل يتفقدتها قليل له تعرفها بالنازل من
 منى - وهي حيث ينزلون أيام رمي الجمار فزعم أنه لا يعرف كل من وافى منى حتى تسأله
 عنها لأنه لا يسأل عنها إلا من يعرفه ويعرفها .

فَقَادَرَ الْمَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَهْمَاهُ تَكْذِيبُ فِيهَا التَّمِينُ وَالْأَذُنُ^(١)
تَحْبُوُ الرِّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا وَتَسْأَلُ الْأَرْضُ عَنْ أَخْفَافِهَا التَّنْفِينُ^(٢)
إِنِّي أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي جُبُنٌ^(٣)

لا يخلو عطاؤكم من اللن والأذى حتى يصير آخذه معاقبا بتنقيص ما أخذه ، وهذا كله تعريض - كما أسلفنا - بسيف الدولة .

(١) اليهاء : الأرض التي لا يهتدى فيها ، يقال برأيهم وفلاة يهء ، يذكر شدة إبعاده في الرحيل أنفة من الحال التي ذكرها . يقول : ترك الهجر بيني وبينكم فلاة بعيدة الأطراف مضلة المسالك ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، لكثرة ما يخيل فيها من المخاوف : وقال سائر الشراح : يدعو بالبعد بينهم وبينه . يقول : ترك الهجر بيني وبينكم فلاة مترامية الأطراف ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، وهو معلوم أن سالك للفاوز والقفار تخيل لعينه الأشياء ولسمعه الأصوات .
ومن هذا قول ذي الرمة :

إِذَا قَالَ حَادِيْنَا لِيَسْمَعَ نَبَأَهُ صَهٍ لَمْ يَكُنْ إِلَّا دَوِيُّ الْمَسَامِيعُ
« النبأ الصوت ليس بالشديد »

(٢) حبا يحبو : مشى على بطنه ويديه ، والرواسم : الإبل التي سيرها الرسيم ، وهو ضرب من السير سريع والثفن : جمع ثفنة ، مثل كلم وكلمة وهي مامس الأرض من أعضاء البعير إذا برك كالركبتين والسكركرة - الزور - وإنما سميت ثفنتا ، لأنها تغلظ في الأغلب من مباشرة الأرض وقت البروك ومنه ثفنت يده : إذا غلظت من العمل - يقول : لطول السير في هذه اليهء ومتابته تبرى الأرض أخفاف الإبل فتحبو على ثفنتها بعد أن كانت تسير الرسيم ، وتقول الثفنتا للأرض أين ذهبت الأخفاف حتى امتل السير عليها - على الثفنتا - بعد أن كان على الأخفاف ؟ وهذا تمثيل لطول السير وقوته : أي لو قدرت على السؤال لسألت .

(٣) يقول : أحلم عنم يؤذيني مادام حلمي يعد كرما ، فإذا كان يعد جينا لا أحلم قال الفند الزماني :

وبعضُ الحلمِ عندَ الجهلِ للذلةِ إذعانُ

وَلَا أَقِيمُ حَتَّى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ وَلَا أَلِدُ بِمَا عَرَضِي بِهِ دَرِينُ^(١)
 سَهَرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَخَشَّةَ لَكُمْ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوَى الْوَسْنَ^(٢)
 وَإِنْ بَلَيْتُ بُوْدَ مِثْلِ وَدِّكُمْ فَإِنَّ نِيَّ بِيْفِرَاقِي مِثْلِهِ قَمِينُ^(٣)
 أَبْلَى الْأَجَلَةَ مَهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمْ وَبُدِّلَ الْمَذْرُوبُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنِ^(٤)
 عِنْدَ الْمُهَامِ أَيْ الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ فِي جُودِهِ مُضَرُّ الْحَمْرَاءِ وَالْيَمَنِ^(٥)

(١) الدرن : الوسخ ، يقول : لا آخذ للال بالذل وكل مال يحصل لي بذل تركته ، ولا أستطيب شيئاً يبلطخ عرضي بأخذه .

(٢) أصل المرير : الحبل الشديد الفتل ، ويقال استمر مريره على كذا إذا استحك أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده . وارعوى : انزجر وارتدع . والوسن : النعاس . يقول : لما فارتكم استوحشت افراقكم حتى امتنع رقادى ، أى لأنى إياكم على جفائكم ، ثم قويت وتصبرت وعاد إلى النوم إذ سلوت .

(٣) بفرأق مثله : أى بفرأق مثل رحيلى عنكم . وقمن : خليق وجدير . يقول : إن كنت فى قوم آخرين فعاملونى معاملتكم فارتقمم كما فارتكم ، وهذا تعريض بكافور ، يعنى إن بليت منه بود ضعيف مثل ودكم فارتقه كما فارتقمم . قال الواحدى : ومثل هذه الأبيات مانشده المبرد :

لَا تَطْلُبِ الرِّزْقَ بِامْتِنَانٍ وَلَا تَرُدِّ عُرْفَ ذِي امْتِنَانٍ
 وَاسْتَرِزْقِي اللَّهَ وَاسْتَعْنِي فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانٍ
 أَشَدُّ مِنْ فَاقَةِ وَجُوعٍ إِغْضَاءِ مُحَرِّ حَتَّى هَوَانٍ
 فَإِنْ نَبَا مَنَزِلٌ بِقَوْمٍ فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ

(٤) الجلل : واحد الجلال ، وجمع الجمع : الأجلة ، وهو ما يتجلجل به الفرس . والمذر : جمع عذار ، وهو ما كان على خد الفرس من الاجام . والفسطاط : نداسم للهمز . والرسن : الحبل . يقول : طال مقامى بمصر لإكرام مشواى هناك حتى بايت جلال ذرى وعذره ورسنه فأبدلت بغيرها . عبر عن طول اللقمان ببلى هذه الأشياء .

(٥) المهام : العظيم الهمة . ومضر الحمراء - بالإضافة - هو مضر بن نزار وإمما قيل له ذلك لأن نزار لما مات تهاكم أولاده - ربيعة ومضر وإياد وأعمار - إلى جرم فى

وَأَنْ تَأَخَّرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ فَمَا تَأَخَّرُ آمَالِي وَلَا تَهِنُ^(١)
هُوَ الْوَيْفِيُّ وَلَيْكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوْدَّةَ فَهَوَى يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ^(٢)

قال بمصر ولم ينشدها كافورا :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا^(٣)
وَتَوَلَّوْا بِنُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَا^(٤)

قسم ميراثه ، فأعطى ربيعة الخيل ، فسمى ربيعة الخيل فسموا ربيعة الفرس ،
قال القائل :

قَوْلُوا لِقِحْطَانٍ مِنْ ذَوِي يَمِينٍ كَيْفَ وَجَدْتُمْ رَيْبَةَ الْفَرَسِ
وَأَعْطَى إِيَادَ الْإِبِلِ وَالنَّعَمِ ، فَمَسُوا إِيَادَ النَّعَمِ ، وَإِيَادَ الشَّمْطِ قَالُوا :
إِذَا مَا إِيَادُ الشَّمْطِ يَوْمًا تَجَشَّمْتُ ظَنَنْتُ لَهَا صُمَّ الْجِبَالِ تَمِيدُ
وَأَعْطَى مِضْرَ الذَّهَبِ وَقَبَةَ حَمْرَاءَ فَمَسُوا بِذَلِكَ ، قَالَ قَائِلُهُمْ :

إِذَا مُضْرُ الْحَمْرَاءِ عَبَّ عُجَابُهَا فَمَنْ يَتَّصِدُنِي مَوْجِبًا حِينَ تَزْخَرُ
وَأَعْطَى أَمَارَ الْحَمَارِ وَالْأَرْضَ وَمَا شَا كُلُّهَا فَسَمِيَتْ أَمَارَ الْحَمَارِ وَأَنْشَدُوا :

فَلَوْ أَنَّ أَمَارَ الْحَمَارِ تَنَاصَرَتْ لَكَانَ لَهَا مِنْ بَيْنِ فَيْدٍ إِلَى هَجَرَ

« فيد : منزل بطريق مكة ؛ وهجر : بلد بالبحرين » ، واليمن ليسوا من أولاد مضر
يقول : إن كافورا عم جوده العرب جميعا .

(١) تأخر - بحذف إحدى التاءين - أى تتأخر . وبعض موعده : يروى بعض نائله
وتهن : تضعف : يريد أن عداته زائدة على آماله . يقول : هو ينفذ آمالي ولا يتأخر
عنى ما آمله ولا يضعف رجائي عنده وإن تأخر بعض موعده ، يشير إلى ما وعده به من
خطة الولاية ، ثم ذكر عذر تأخره في البيت التالى .

(٢) الابتلاء ، والامتحان : الاختبار . يقول : هو ينى بما وعد غير أنه يختبر ما ذكرت
له من المودة والمحبة ، فلهذا يتأخر عنى ما وعدنى به

(٣) عناء الأمر : أهمه ، ومنه الحديث : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه »
أى لا يهيمه . يقول : كل من صحب الزمان اهتم بشأنه كما نهتم نحن .

(٤) تولوا : ذهبوا . والغصة : ما غصت به من هم وحزن ونحوهما ، وأصلها الشجا

رُبَّمَا تَحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَأْلِيهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَ^(١)
وَكَأَنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا رِيبَ الدَّهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مِنْ أَعَانَا^(٢)
كَلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَفَاةَ رَكَبِ الْمَرْءِ فِي الْقَفَاةِ سِنَانًا^(٣)

يفص به في الحرقدة ، تقول خصصت باللقمة وبالماء ، يقول : لم ينل أحد مراده من الدنيا ولم يبلغ أمه فمات بنصته وإن سر في بعض الأحيان.

(١) يقول : ديدن الدهر أن يعطى ثم يرجع فما يعطى ، ويحسن ولكنه لا يتم الإحسان ، بل يعود فيكدره ويشوبه بما ينقصه ، كما قال الآخر :

الدَّهْرُ آخِذٌ مَا أُعْطِيَ مُكَدِّرٌ مَا أُصْفِيَ وَمُفْسِدٌ مَا أُهْدَى لَهُ بِيَدِ
(٢) قال ابن جني : في « يرض » ضمير هو فاعل يرض ، يفسره « من أعانا » وأضمره قبل الذكر على شريطة التفسير ، أو تقول إن « من أعانا » فاعل يرض وأعانه على التنازع . وروى لم يرض - بالثاء - والضمير لليالي . يقول : هذا الذي أعان على الدهر كأنه لم يرض بما يصيبني من محنه حق أعانه على ، كما قال الآخر :

أَعَانَ عَلَيَّ الدَّهْرَ إِذْ حَكَ بَرَّكَهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلَّتُهُ بِي كَافِيًا^(١)
قال ابن جني : هذا البيت - والذي قبله - أحسن ما قيل في الزمان وأن طباعه الشر ، وفعل الزمان منسوب إلى القضاء ، فالزمان لا يفعل شيئاً ، وإنما يفعل فيه ، وكذا قولهم : يوم سعيد . فالיום لا يوصف بسعد ، وإنما يوصف به من يشتمل عليه اليوم

(٣) القنأة : عود الرمح والسنان زجه القدي يظمن به . يقول : إذا انتدب الزمان للإساءة بما جبل عليه صارت عداوة للعادي مدداً لقصده نحوك ، فجعل « القنأة » مثلاً لما في طبع الزمان ، وجعل « السنان » مثلاً للعداوة . وعبارة ابن جني - سوتقلها الخطيب

(١) البرك : كل شكل البعير وصدرة القدي يدوك به الشيء تحتة . يقال حكك بركه ، ومن الهجاز حكك الحرب بركها بهم ، قال القائل يصف الحرب وشدها :

فَأَقْعَصَتْهُمْ وَحَكَّتْ بَرَّكَهَا بِهِمْ وَأَعْطَتِ النَّهْبَ هَيَّانَ بَنَ بَيَّانٍ
وحك الدهر بركه بهم ، ووضع عليهم بركه ، قال الجعدي :

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرَّكَهُ فَأَرَاهُ لَمْ يُغَادِرْ غَيْرَ فَلَّ

وَمُرَادُ النَّفُوسِ أَضْفَرُ مِنْ أَنْ نَتَمَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى (١)
 غَيْرَ أَنْ النَّفْسَ يُبْلِقِي الْمَنَائِي كَالْحَمَاتِ وَلَا يُبْلِقِي التَّهَوَانَا (٢)
 وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَقِي لِحَيٍّ لَمَدَدْنَا أَضْلُنَا الشُّجْعَانَا (٣)
 وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدْءٌ فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا (٤)
 كَمَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا (٥)

التبريزي - . الزمان إذا حُبَّت قناة إنما ينجبها بالطبع ولا يشعر لأي شيء تصلح. فيتكلف بنو آدم اتخاذ القناة توصلوا إلى هلاك النفس ، فالزمان يفعل ولا يشعر ما يراد به .
 (١) هذا نهي عن المعادة والتعاسد لأجل مراد النفوس ، فإن ما تريده النفوس من جاه الدنيا وحطامها أقل وأحق من أن يعادى بعضنا بعضا لأجله .
 (٢) كالحمات : عابسات يقول : إن الحر الكريم أحب إليه الموت الكريه من أن يلقى ذلا وهو رانا .

(٣) يقول : لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذي يتعرض للقتل أضل الناس ، يعني أن الحياة لا تبقى . وإن جبن الإنسان ولزم عقرب داره وحرص على البقاء ، ثم أكد هذا بالبيت التالي .

(٤) يقول : إذا كان الموت لا محيص عنه ولا ينبجو منه شجاع ولا جبان ، فإن الجبن إذن - من ضعف الهمة وعجزها ، قال خالد بن الوليد لما حضره الموت : في جسدي مائة طعنة وضربة ، وها أنا قد مت حتف أنفي ، فلا أقر الله أعين الجبناء ،
 (٥) كل : مبتدأ ، ومن الصعب : خبرها ، وسهل : خبر ثان ، ويمكن : تامة ، وكذا « كانا » - آخر البيت - . يقول : إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه ، فإذا وقع سهل وهان ، كما قال البحري :

لَتَمُرَّكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا أَرْتَقَابُهُ وَأُبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ
 والأصل في هذا قول أعشى باهلة :

لَا يَصْعَبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتَمُرُ

وبعد : فقد وفق المتنبي في هذه القطعة كل التوفيق ، ولعل شيطانه بمن كانوا يسترقون السمع ، فتلقى هذه الآيات من ذات الرجوع - السماء - فكأنها المعنية بقول حسان بن ثابت :

وقال يذكر خروج شبيب العقيلي على الأستاذ كافر وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلثمائة:

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَكَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَانِكَ الْقَمْرَانِ (١)
 وَفِيهِ سِرٌّ فِي عُضْلِكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْمِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَايَانِ (٢)
 أَتَلْتَمِسُ الْأَعْدَاءَ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ فَيَأْتِي دَلِيلٌ أَوْ وَضُوحَ بَيَانِ (٣)
 رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْقَدْرَ يُبْتَلَى بِقَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِقَدْرِ زَمَانِ (٤)
 بِرِغْمِ شَيْبِ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَاتِ يَضْطَحِبَانِ (٥)

وَقَافِيَةٌ عَجَبَتْ بِبَلِيلِ رَزِينَةٍ تَلَقَّيْتُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ نُزُولَهَا
 ففقه دره .

(١) القمران : الشمس والقمر . يقول : من عاداك دل بذلك على جهالته وسقطت منزلته عند الناس وعاداه كل أحد وذمه ، ولو كان القمران من أعدائك لصار مذمومين مع عموم نفعهما وارتفاع منزلتهما . قال ابن جنى : هذا المدح ينعكس هجاء . يقول : أنت رذل ساقط ، والساقط لا يضاويه إلا مثله ، وإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان ، كما أنك كذلك ولو عاداك القمران .

(٢) الهذيان : التسكلم بغير معقول ؛ قال ابن جنى : هو من فصيح كلام العرب ولم يذكره الجوهري ولا ابن فارس في مجمله . يقول : لله سبحانه سر فيها أعطاك من العلو والبسطة لا يطلع الناس على ذلك السر ولا يعلمون ماهو ، وما يخوض الأعداء فيه من الكلام إنما هو نوع من الهذيان بعد أن أراد الله فيك ما أراد . قال الواحدي : وهذا إلى الهجاء أقرب لأنه نسب علوه على الناس إلى قدر جرى به من غير استحقاق ، والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو ويرتفع على الأقران ، وإن كان ساقطاً باتفاق من القضاء .

(٣) يقول : هل يطلب أعدائك دليلاً على سيادتك ، وعلى أن الله يريد أن يرفع قدرك على من يعاديك بعد القدي رأوه ؟ ثم ذكر ما رأوا في البيت التالي :

(٤) يقول : رأى الأعداء كل من ينطوى لك على غدر أو يضمرك خلفاً غدرت به حياته ؛ فهلك قبل أن ينال منك مأرباً ؛ أو غدر به الدهر فهلك بأفة تصييه .

(٥) شبيب هذا : هو شبيب بن جرير العقيلي ، من قوم كانوا من القرامطة وكانوا مع سيف الدولة ، وولى شبيب مرة النعمان دهر أطويلا ، واجتمع إليه جماعة من العرب

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقَكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانٌ (١)
 فَإِنَّ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَافِيَا غَايَةُ الْحَيَوَانِ (٢)
 وَمَا كَانَ إِلَّا النَّارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تُشِيرُ غُبَارًا فِي مَكَانِ دُخَانِ (٣)
 فَنَالَ حَيَاةَ بِشْتَهِيهَا عَدُوَّهُ وَمَوْتًا بِشَهَى الْمَوْتِ كُلِّ جَبَانِ (٤)
 نَفَى وَقَعَ أَطْرَافِ الرَّمَايحِ بِرُيُوحِهِ وَلَمْ يَحْشَ وَقَعَ النُّجُومِ وَالذَّبْرَانَ (٥)

فوق عشرة آلاف ، وأراد أن يخرج على كافور وقصد دمشق لحاصرها ، فيقال إن امرأة ألفت عليه رحي فصرعه فانهزم من كان معه بعد أن هلك ، ويقال إنه حدث به صرع من شرب الخمر ، فتركه أصحابه ومضوا ، فأخذه أهل دمشق قتلوه . يقول : إنه هلك ففارق سيفه كفه ، وكانا لا يفترقان على العلات — أى على كل حال —

(١) قيس : من عدنان ، واليمن : من قحطان ، وكان بينهما شقاق وتنازع واختلاف يقول : كأن رقاب الناس أغرت ما بينه وبين سيفه — لكثرة قطعه إياها — لتفرق بينهما . وقالت لسيفه إن شيبيا الذى يصاحبك « قيسى » وأنت « يمنى » — والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن — ففارقه سيفه لما علم أنه مخالف له فى الأصل .
 (٢) يقول : إن يك شبيب قد هلك ومات ، فإن الموت غاية كل حى فلا عار عليه من ذلك .

(٣) النار : خبر كان ، وتشير : حال من « النار » ، أو نعت لها على أن « آل » الجنسية لا تفيد تعريفا . يقول : كان شبيب فى كل موطن يلم به كالنار فى إيقاد الفتنة والشر ، غير أنه يشير بدل الدخان غبار الحرب ، قالوا : وهذا من قول الآخر :

مَآوِيَّ يَا رَبُّتَمَا غَارَةَ شِعْوَاءُ كَالذَّعَةِ بِالْمَيْسَمِ
 « غارة شعواء : فاشية متفرقة ؛ وللميسم : للكواة ، أو الشيء الذى يوسم به الدواب »

(٤) يقول : فنال حياة حياة طيبة يشتهى عدوه مثلها ، يعنى أنه عاش فى عز ومنعة ، ثم مات موتاً يشبه الموت إلى الجبناء ، لأنه كان موتاً فى عافية لم تقدمه ألم ولا مرض . هذا : ويشى لا يتعدى إلى مفعولين إلا بحرف جر ، وقد حذفه وهو يريد ، فكأنه قال : يشهى الموت إلى كل جبان .

(٥) أراد بالنجم : الثريا ، وأراد : وقع قضاء النجم ، حذف ؛ والذبران : قال الجوهري خمسة كواكب من الثور — والثور : برج من بروج السماء — وهو من منازل القمر

وَلَمْ يَدْرُ أَنْ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مُعَارُ جَنَاحِ مُحْسِنِ الطَّيْرِانِ (١)
 وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قِرْنٍ فِي أَذْلٍ مَكَانٍ (٢)
 أَتَتْهُ الْمَنَائِبُ فِي طَرِيقِ خَفِيَّةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوَاهُ وَعِيَانٍ (٣)

وسمى كذلك لأنه يدبر الثريا ، أى يتبعه . يقول : نفي عن نفسه الرماح برعته ، يعنى أنه كان شجاعا يبق نفسه برعته ولكنه لم يحجر في حساباته مناحس النجوم — والدبران من النحوس في حكم المنجمين وزعمهم — والمعنى أنه دفع نحوس الأرض عن نفسه ولم يستطع دفع نحوس السماء التي قضت بحلول أجله ، قالوا : وهذا خلاف قول لبيد في أخيه أربد :
 أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الْخُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ (١)

(١) الشوأة : جلدة الرأس ، وفوق شواته : خير « أن » ؛ ومعار : خبر نان وروى معار ومحسن : على أنهما حالان . يقول : ولم يدرك أن الموت فوق رأسه كيفما توجه حتى لكانه أعير جناحا يحوم به فوقه يقع عليه وعبارة الواحدى : ولم يدرك أن الموت قد أعير جناحا فهو يرفرف فوق رأسه ليقع عليه من علو ، وذلك فيما يقال : إن امرأة أدات على رأسه رحي من سور دمشق .

(٢) الأقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفاء في الحرب . قال الواحدى : ذكر في قصته أنه كان يحارب أهل دمشق ويريد الغلبة عليها فسقط على الأرض وثار من سقطته ، فمشى خطوات ، فلما سار سقط ميتا ولم يصبه شيء وكثر تعجب الناس من أمره حتى قال قوم إنه كان مصروعا وأصابه الصرع في تلك الساعة فانهمز أصحابه ، وزعم قوم أنه شرب وقت ركوبه سويقا مسموما فلما حمى عليه الحديد عمل فيه السم . فهو قوله : حتى قتلته بأضعف قرن في أذل مكان ، يعنى في غير الحرب وميدان القتال ، قال ابن جنى : لما أنشد أبو الطيب هذا البيت بحضرة كافر قال كافر : لا والله إلا بأشد قرن في أعز مكان ، فرواه الناس كقول كافر .

(٣) يقول : إنه مات فجأة من غير أن يستدل أحد على موته بمرتى أو مسموع ، كما قال يزيد المهلبى :

جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِمَةٌ هَلَا أَتَتْهُ الْمَنَائِبُ وَالْقَنَا قَصْدُ
 « قصد : أى قطع ، جمع قصدة ، وهى الكسرة ؛ وتقصدت الرماح : تنكسرت »

(١) انظر الكلام على « الأنواء » في لسان العرب — مادة « نوا » — والسمك : نجم معزوف ، وهما سماكان رامج وأعزل ، والكلام على ذلك مبسوط في مواضعه .

وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُولِ يَمِينٍ وَأَسَاحِ جَنَانٍ^(١)
تَقَصَّدَهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صِحَابِهِ عَلَى نَفْعَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانٍ^(٢)
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ التَّفَافَهُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانَ^(٣)
وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَيِّتِ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَدِهِ بِالْجَامِلِ الْمَكْنَانَ^(٤)
أَتَمْسِكَ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدُ عَاقِلٍ وَتَمْسِكَ فِي كُفْرَانِهِ بَيْنَانٍ^(٥)

(١) سلكت : أى النايا . والجنان : القلب . يقول : لو أته للنايا من طريق السلاح لدفعها عن نفسه بطول يده وسمة صدره ، يعنى أن أعداءه لو حاولوا قتله لما قدروا على ذلك لأنه بطل لا يغالب .

(٢) تقصده : إما بمعنى قصده ، وإما بمعنى أقصده : أى قتله . وللقدر : واليراد : القضاء . والطرفان بعده : حالان من الماء . يقول : قصده القضاء أو أهلكه وهو بين أصحابه واثق بالحياة آمن من الموت .

(٣) التفافه : فاعل الكثير ؛ وهلى غير : متعلق به ، والاتفاف : الاجتماع يقال التف عليه الناس : إذا ازدحموا حوله ؛ والاستفهام : للانكار . يقول : إن الجيش الكثير لا ينفع من لم يكن منصوراً من قبل الله سبحانه وتعالى معانا بتأييده كما لم ينفع شيئاً كثرة أصحابه .

(٤) ودى : من الدية ، أى أعطى الدية ، وهى ثمن الدم . والمبيت : اسم زمان يعنى الليل : والجامل : اسم لجماعة الجمال : كالباقر : اسم لجماعة البقر . والمكنان : الإبل الكبيرة العظيمة ونعم عكنان وعكنان : أى كثيرة ، قال أبو نخيلة السعدى :

هَلْ بِاللَّوَى مِنْ عَكْرٍ عَكْنَانَ أَمْ هَلْ تَرَى بِأَنْخَلٍ مِنْ أَظْمَانَ^(١)
يقول : أذى بنفسه دية من قتل من الناس قبل دخول الليل عليه ولم يؤد الدية بالإبل يريد : أنه بهلاكه كأنه اقتص منه ، فكانت نفسه دية عن الذين قتلهم .

(٥) أوليته : أعطيته ، والضمير لشبيب ، والعاقد إلى « ما » محذوف : أى أوليته إياه . وقوله وتمسك : لك أن تعطفه على تمسك قفرمه ، ولك أن تقول أن الواو المصاحبة والفعل منصوب بإضمار « أن » ومثله ويركب - فى عجز البيت التالى - والضمير من « كفرانه »

(١) المكر . القطيع الضخم من الإبل ، والحل : الطريق النافذ بين الرمال المتراكمة .

وَيَرْكَبُ مَا أَرْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ وَيَرْكَبُ لِلْمَعْصِيَانِ ظَهَرَ حِصَانٌ (١)
 تَفَى يَدَهُ الْإِحْسَانُ حَتَّى كَانَتْهَا وَقَدْ قُبِضَتْ كَانَتْ بَغِيرَ بَنَانٍ (٢)
 وَعِنْدَ مَنْ يَوْمَ الْوَفَاءِ لِصَاحِبٍ شَيْبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخْوَانَ (٣)
 قَضَى اللَّهُ يَا كَأْفُورُ أَنْكَ أَوْلَى وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ نَانَ (٤)

للموصول - في صدر البيت - والعنان : سير اللجام . يقول : هل يمك عاقل مثل النعمة التي أنعمت بها على شيب ثم يمك عنان فرسه في كفران تلك النعمة لقتال من أنعم بها عليه ؟ والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ أي لا يفعل ذلك عاقل ، لأنه يعلم أن من قدر على الإنعام يقدر على الانتقام ، وعبرة الواحدى . إن العاقل لا يجمع بين إمساك ما أعطيته من النعم وإمساك العنان في الكفران ، لأن من كان عاقلاً لم يكفر نعمة للنعم عليه ، وهذا إغارة إلى أن « شيباً » كفر نعمة كأفور فصرعه شؤم الكفران حتى هلك وقال ابن جنى ، يقول : إذا كفر نعمتك من أحسنت إليه لم يقبض يده على عنانه فماذلا وحيرة .

(١) البيت عطف على ما قبله ، فهو في معناه . يقول : وهل يركب عاقل مثل الكرامة التي أركبها شيباً ثم يركب حصانه لمصيان من أكرمه ؟ أى لا يجمع لأحد إكرامك ومصيتك .

(٢) تفى يده : ردها ، والبنان : أطراف الأصابع ، قال ابن جنى : ملك يده بالإحسان حتى ثناها إلى ورائها كأنها كانت لمسا قبضت ما وهبت لم يكن لها بنان يطبقها على اللوهور فأرسلته ؛ وقال الواحدى : إحسانك إليه رديده عما امتدت فيه حتى كأنها وهى مقبوضة لم تبسط فيما أراد كانت بغير بنان لأن القبض يحصل بالبنان فإذا كانت اليد بغير بنان لم يحصل القبض ، وكأنها مقبوضة حين لا تقدر على القبض والانبساط . ومن روى قبضت - بإسناد الفعل إلى اليد - كان المعنى أن يده - وإن كانت قابضة لما صرفت عما قصدت له - صارت كأنها بغير بنان وغير قابضة .

(٣) عند من : استفهام معناه الإنكار ، وهو خبر مقدم ، والوفاء : مبتدأ مؤخر : أى ليس عند أحد اليوم وفاء لصاحب . وشيب : مبتدأ ، وأوفى عطف عليه ؛ وإخوان : خبر . يقول : ليس من ينى لصاحبه اليوم ؛ أى لا وفاء اليوم عند أحد ، فإن أوفى من ترى من الناس فادر ككشيب ، فهما في ذلك أخوان في القدر .

(٤) قال الواحدى : هذا من أجود ما مدح به ملك ، يقول : قضى الله أنك أول

فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقِسْيَ وَإِنَّمَا (١)
 وَمَالِكَ تُعْتَى بِالْأُسْنَةِ وَالْقَنَا
 وَلِمَ تَحْمِلُ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِحْيَاهُ (٢)
 أُرْدِي جَمِيلاً جُدَّتْ أَوْ لَمْ تَجُدْ بِهِ (٣)
 لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَارَ أَبْغَضْتَ سَعْيِيهِ (٤)
 عَنِ السَّمْعِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقْلَانَ (١)
 وَجَدُّكَ طَعْمَانٌ بَغَيْرِ سِنَانٍ (٢)
 وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ (٣)
 فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِي أَتَائِي (٤)
 لَعَوَّاقُهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوْرَانِ (٥)

في السكارم والمعالى ولم يسبقك أحد إلى ماسقتك إليه ولم يقض أن يلحقك أحد أو يكون لك مثل فيكون ثانيك .

(١) القسي : جمع قوس ؛ والثقلان : الإنس والجن ، أنكر عليه اخيار القسي لرمى أعدائه بها ، يقول : لاجابة لك باستجادة القسي لرمى بها أعدائك فإن أعدائك - أكانوا من الإنس أم من الجن - يرمون عن قوس سعادتك : أى أن قسي سعادتك ترميهم عنك فيهلكون بالآفات تصيبهم ، وإذن لا تحتاج إلى اتخاذ السلاح .

(٢) عنى بالشيء - بصيغة المجهول - اهتم به ، والأسنة : جمع سنان ؛ والقنا : الرماح والجد : الحظ . والبيت في معنى البيت الأول ، يقول : لم تعنى بادخار الأسنة والرماح وحظك يطعن أعدائك فيقتلهم بغير سنان .

(٣) لم أى لماذا ؛ وإسكان الليم خاص بالشعر والنجاد : سمالة السيف ونجاده : فاعل الطويل ، وإذا وصف النجاد بالطول دل على طول حامله . والحديثان : حوادث الدهر ونوابه ، يقول : أنت مستغن بحوادث الدهر عن استعمال السيف في قتل أعدائك ، يشير في هذه الأبيات كلها إلى مصرع شبيب حين خرج عليه ، دون أن يكون هلاكه بشيء من السلاح .

(٤) يقول : إن المقدار جار بحكمك . فإذا أردت شيئاً كان ، وإذا أردت أن تعطني شيئاً وصل إلى وإن لم تجد به ، يعنى أن القدر موافق لإرادته ، فإذا أراد به خيراً أتاه ذلك وإن لم يجد به عليه ، وهذا من قول أبي تمام :

* فالدهرُ يفعلُ صاغراً ما نأمرُهُ *

(٥) الفلك : يروى بالنصب والرفع ، والنصب أجود ، وهو منصوب بفعل محذوف بعد « لو » يؤخذ من لازم الفعل المذكور : أى لو استوقفت الفلك الدوار ونحوه . يقول : لو كرهت دوران الفلك لحدث له شيء يمنعه عن الدوران ، يريد المبالغة في قوة

سعدته ومؤاناة الأقدار لمراده ، وهو المعنى الذى تخور إليه أكثر هذه الآيات ، قال الواحدى ؛ هذه الآيات ليس فى معناها مثل لها هذا : وطردا لهذا الشرح على وتيرة واحدة وتزولا على حكم خطتنا فيه - أن نورد كل ما أورده الشراح - نذكر هنا ما قاله العكبرى النحوى الكوفى فى إعراب الفلك وإن كان يعنى عنه ما قلناه آنفا ، على أن أم ما نقصد إليه من إيراد هذه المقاصد النحوية هو شرح ما يرد فيها من الشواهد وهى مزية تفرد بها شرحنا هذا ، قال العكبرى : يروى الفلك (بالرفع والنصب) ، والنصب أجود ، لأن « لو » تقتضى الفعل فيجب أن تضم له فعلا ينصبه ، ويكون الفعل الذى نصب سعى للضاف إلى الضمير ، وهو « أبغض » تفسيرا للضمير كقولك : لو أخاك أكرمت غلامه لجازاك عنه ، وتقدير الفعل الناصب للفلك لو كرهت الفلك : أى دورانه لأنك تقول : أنا أكره زيدا وأنت تريد فعله « وأبغضت » مفسر فلا موضع له من الإعراب ، كقوله تعالى فى قراءة الكوفيين وابن عامر « والقمر » - بالنصب - قدرناه « فقدرنا هو الناصب للضمير وهو مفسر فلا موضع له من الإعراب ، تقديره : قدرنا القمر . ومن رفع القمر فبالابتداء أو يضم له فعل يرفعه فى معنى الظاهر ، والظاهر تفسير له كأنه قال : لو خالفك الفلك لعوقه شئ ، وصار « أبغضت » تفسيره ودليلا عليه كقول ذى الرمة :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بِلَالٌ بَلَّغْتِهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ أَذُنَيْكَ جَازِرٌ^(١)

(١) أذنيك يروى عينك ويروى وصليك مثنى وصل وهو كل عظيمين يلتقيان ، وبلال هو ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، وكان ذو الرمة كثير اللدح لبلال هذا ، يخاطب بهذا البيت ناقته صيدح ، وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ : فى عرابة الأوسى يخاطب ناقته :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فَأَشْرَقِي بَدَمِ الْوَتِينِ
وجاء بعدهما أبو نواس ، فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الأمين محمد ابن الرشيد :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَّغْنَ مُحَمَّدًا فَظَهَرُوهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ
والأصل فى هذا المعنى قول الأنصارية للأسورة بمكة وقد كانت نجت على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما وصلت إليه قالت له يارسول الله : إني نذرت إن

ونظر يوما إلى كافر فقال :

لَوْ كَانَ ذَا الْآكَلِ أَزْوَادَنَا ضَيْفًا لَأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانًا^(١)

أى إذا بلغ ابن أبى موسى ؛ ثم فسرّه بيلغته ، وهذافيه خلاف بيننا وبين البصريين ، فإن أصحابنا يقولون فى الاسم المرفوع بعد « إن وإذا » الشرطيتين أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل ، والفعل المظهر تفسير له ، وحيثنا أن « إن » هى الأصل فى باب الجزاء ولقوتها جاز تقديم المرفوع معها فيرتفع بالعايد ، لأن المكفى للمرفوع فى الفعل : الاسم الاول ، فينبى أن يكون مرفوعا به كما قالوا : جاءنى الظريف زيد ، وإذا كان مرفوعا به لم يقتصر إلى تقدير فعل ؛ وقال البصريون : إنه لا يجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ، ولا يجوز أن يكون الفعل هنا عاملا فيه ، لأنه لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ، فلم يقدّر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعا بلا رافع : وذلك لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل ؛ وقال الأخصى من البصريين : هو المرفوع بالابتداء .

(١) الأزواد : جمع زاد ، وهو طعام المسافر . وقوله لأوسعناه إحسانا : قال بعض الشراح : الأصل لأوسعناه الإحسان : فمدى الفعل إلى الضمير ونصب إحسانا على التمييز . يقول : هذا الذى يأكل زادى لو كان ضيفا لى لأكثرت من الإحسان إليه : أى لو أنانى وقصدنى ضيفا لأحسنت إليه ، وهذا كما قال أيضا :

* جَوْعَانُ يَا كَلُّ مِّنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي *

قال الواحدى : ولاأكل زاده وجهان : أحدهما أن التنبى أتاه بهدايا وألطف ولم يكافئه عنها ، والآخر أن التنبى يأكل عنده من خاص ماله وينفق على نفسه مما حمله ، وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده ، حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه من الطلب ؛

نجوت عليها أن أنحرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : بئس ماجزيتها . . ومعنى الأبيات الثلاثة . إنى لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيقتى وأغنيقتى إلا أن الشماع وعد ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا أيضا عليها بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الأسفار ، فهو أتم فى المقصود لكونه أحسن إليها فى مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى المدوح .

لَكِنَّا فِي الْمَمِينِ أُضْيَافُهُ يُوسِفُ مَا زُورًا وَبُهْتَانًا^(١)
فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا سُبُلَنَا أَعَانَهُ اللَّهُ وَإِيَانًا^(٢)

* * *

وكتب إلى يوسف بن عبد العزيز الخزامي في 'بلييس' يطلب منه دليلاً
فأنفذه إليه :

جَزَى عَرَبًا أُمِّتْ بِبُلَيْيسَ رَبِّهَا بِمَسْعَاتِهَا تَقَرَّرَ بِذَلِكَ هُمُونَهَا^(٣)

وقال قوم : كان الأُسود قد جمع له شيئاً من غلمانهِ وخدمته ثم أخذه ولم يعطه شيئاً .
(١) يقول : نحن في الظاهر أُضيافه لأننا أتيناها ، غير أنه لا يعطيا قرى غير الزور
والبهتان والمواعيد الكاذبة .

(٢) يقول متمنياً : ليتهُ أطلقنا اسم قال : أعانهُ الله على تخلية طرفنا وإطلاقنا ؛ وأعاننا
الله على الذهاب والرحيل من عنده . هذا : والسبل جمع سبيل ؛ والسبيل : الطريق ،
يذكر ويؤنث ؛ وفي التنزيل العزيز : « وإن يروا سبيل النى يتخذوه سبيلاً » فذكر ،
وفيه « قال ، هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة » فأنت .

(٣) بلييس : هو ذلك البلد الذى بمصر ؛ والسعاة : الكرمة والملاة في أنواع المجد
والجود ، والعرب تسمى مآثر أهل الشرف والفضل : مساعى ، اسمهم فيها كأنها
مكاسبهم وأعمالهم التى أعنوا فيها أنفسهم ؛ وسعى : إذا عمل وكسب ، وكل من ولى
شيئاً فهو ساع ، ومنه السعاة ، وهم ولاة الصدقة وعمالها الذين يأخذونها من الأغنياء
وبردونها فى الفقراء ؛ وسعى عليها : أى عمل عليها . قال عمرو بن العداء السكابي فى
عمرو بن عتبة بن أبى سفيان - وكان معاوية قد استعمله على صدقات كلب فاعتدى عليهم - :

سَعَى عِقَالًا فَلَمْ يَبْزُكْ لَنَا سَبْدًا فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرُو عِقَالَيْنِ
لَأَضْبَحَ الْحَيَّ أَوْبَادًا وَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جَمَّالَيْنِ^(١)

(١) العقال : زكاة عام من الإبل والنعَم ، ونصب « عقالا » على الظرف أراد
مدة عقال ، والسبد : الوبر ؛ وقيل : الشعر ، والعرب تقول ماله سبد ولا لبد : أى
ماله ذو وبر ولا صوف متلبد ، يكفى بهما عن الإبل والنعَم ، والأوباد : جمع وبد ، ورجل
وبد فقير سىء الحال . وقوله جمالين : يريد قطيعين من الجمال ، وأراد جمالا ههنا
وجمالا ههنا ، وذلك أن أصحاب الإبل يعزلون الإناث عن الذكور .

كِرَاكِرٍ مِّنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ سَاهِرًا جُفُونُ ظُبَاهَا لِلْمَلَأِ وَجُفُونَهَا^(١)

وتقرر جواب الدعاء ، وقال العكبري : أراد لتقرر ، على الأمر ، حذف اللام ، كبيت الكتاب :

مُحَمَّدٌ تَقَدَّرَ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرِ تَبَالًا^(١)
وكقول الآخر :

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبِمُوضَةِ فَأَخْشِي

لَكَ الْوَيْلُ حَرُّ الْوَجْهِ أَوْ يَبْكُ مِنْ بَسْكَ^(٢)

وقرت عينه تقرر : هذه هي اللغة الأظلى ، أعنى فعات تفعل وزان طربت تطرب ، ومعناها : بردت وانقطع بكاؤها واستحرارها بالدمع ، وذلك كناية عن السرور ؛ لأن دمعة السرور باردة ، ودمعة الحزن حارة . يقول : جرى رب العرب التي أمست بهذه البقعة جزاء يقابل مسعاتها لتقر عينونها بذلك الجزاء .

(١) كراكر : بدل من عرب ؛ والكراكر : الجماعات ، الواحد : كركرة - بكسر الكاف - وهي الجماعة من الناس . وقيس بن عيلان : قبيلة . وساهرا : نعت سببي لكراكر : وجفون ظباها فاعل ساهر ، والظبي : جمع ظبة ، وهي حد السيف ، والمراد السيوف أنفسها ؛ وجفون : جمع جفن وهو الغمد : يقول : هؤلاء العرب جماعات من قيس لاتزال جفونهم ساهرة في طلب العلى وجفون سيوفهم خالية من نصالها ، لأن سيوفهم لاتزال مسلوثة ، قال ابن جنى : لما وصف جفونهم بالسهر في طلب العلى وصف جفون سيوفهم بالسهر لتجانس القول ، يريد أنها قد فقدت نصولها ، فكأنها

(١) التبال : سوء العاقبة . وهو بمعنى الوبال ، فكان التاء بدل من الواو : أى إذا خفت وبال أمر أعددت له . وهذا البيت قيل لحسان بن ثابت ؛ وقيل لأبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل للأعشى ، وقيل قائله مجهول ، وعبارة سيويه : واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر وتعمل مضمرة ، وكأنهم شبهوها بـ «أن» إذا عملت مضمرة ، وأنشد هذا البيت والذي بعده ، قال الأعلم وهذا من أقيح الضرورات لأن الجازم أضعف من الجار وحرف الجار لا يضر

(٢) البيت لثتم بن نورة ، والبعوضة هنا موضع بعينه قتل فيه رجال من قومه فحس على البكاء عليهم ، ومعنى اخشى : الطمى : وقطى ، وبابه ضرب ونصر ، وحر الوجه مفعول اخشى ، وهو ما بدا من الوجه ، أراد : ليك ، فحذف اللام .

وَخَصَّ بِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ يُوسُفٍ فَمَا هُوَ إِلَّا غَيْثُهَا وَمَعِينُهَا^(١)
فَتَى زَانَ فِي غَيْثِي أَنصَى قَبِيلَهُ وَكَمْ سَيِّدٍ فِي حِلَّةٍ لَا يَزِينُهَا^(٢)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة وولديه أبا الفوارس ، وأبا دلف ويذكر طريقه
بشعب بؤان :

مَعَانِي الشُّعْبِ طَيْبًا فِي الْمَعَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ^(٣)

ساهرة مع جفون عيونهم في طلب المعالي والفخار ، فاستعار لها السهر لما ذكر جفون
العين ؛ وقد ألم بهذا بعض المحدثين فقال :

وَطَالَمَا غَابَ عَنْ جَفْنِي لِزَوْرِيهَا وَجَفْنِ سَيْفِي غِرَارُ السَّيْفِ وَالْوَسْنُ
(١) الضمير في « به » يعود على الجزاء ؛ والغيث : اللطر ؛ وللعين : الماء الجاري .
يقول : وخص بهذا الجزاء هذا الرجل الذي هو أفضلهم وسيدهم ، فهو بينهم كالغيث
والمعين ، لأحياة لهم بدونه . وغيثها : رواها العكبري « عينها » قال : والعين من الشيء
خيره وأفضله .

(٢) القبيل : الجماعة ؛ والحلة : الجماعة محلون بالمكان . يقول : هو زين عشيرته
ورهنه وإن تباعدوا عنه في النسب : أي أنه زين عشيرته - القريب منها والبعيد -
أما غيره من السادة فليس بهذا الصفة .

(٣) المعاني : جمع مغنى والغنى : اللزل الذي غنى - أقام - به أهله ثم ظعنوا عنه
والشعب : المنعرج بين جبلين ، والمراد هنا : شعب بوان ، وهو موضع عند شيراز ،
كثير الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا ، قال أبو بكر الخوارزمي : متزهات الدنيا
أربعة مواضع : غوطة دمشق ، ونهر الأبله ، وشعب بوان ، وصغد سمرقند ، وطيبا :
تميز . يقول : منازل هذا المكان في المنازل كالربيع في الأزمنة ، يعني أنها تفضل
سائر الأماكن طيباً كما يفضل الربيع سائر الأزمنة . هذا : وقد قال ابن جني في إعراب
« طيباً » : الشاميون ينصبون طيباً بإضمار فعل : أي تزيد طيباً ، أو تطيب طيباً ،
كقولك : زيد سيراً ؛ أي يسير سيراً ، والبغداديون يرفعونه ويمنعون من نصبه ،
أو من نصبه فعل التمييز ، لأنه ليس ثم فعل ، ولو كان ثم فعل لجاز تقديمه منصوباً ،

وَلَكِنَّ النَّسَى الرَّبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ (١)
مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سَلِيمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجَمَانٍ (٢)

كقول الآخر:

أَتَهَجَّرُ سَلَمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبِهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ

قال: ووجه الرفع أن اللغز: مبتدأ؛ وطيب: خبره.

(١) معنى بالنسى العربي: نفسه. يقول: إني بها عريب الوجه في عيون أهلها، إذ يعرفني أحد هناك، أو لأنه أحمر اللون، إذ غالب ألوان العرب السمرة، وأهل السبب شقر الوجوه، وغريب اليد: أى لا ملك له في هذه البقعة، فیده أجنيبه فيها، أو لأن سلاحه الرمح ویده تستعمل الرمح، أما أسلحة أهل الشعب التي يستعملونها بأيديهم فهي الرايات والمزازيق، أو لأنه يكتسب بالعربية وهؤلاء يكتبون بالفارسية، وغريب اللسان: لأن لغزى العربية وهؤلاء عجم لا يفصحون.

(٢) الجنة: الجن. وترجمان — بفتح التاء وضمها — قال الواحدى: جمل الشعب — لطيبه وطوب أهله — ملاعب، وجعل أهله جنة — جنا — لشجاعتهم في الحرب؛ والعرب إذا بلغت في مدح شيء نسبته إلى الجن، كقول الشاعر:

• نَحْيَلُ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَيْقَرِيَّةٌ •

وأخبر أن لغتهم بعيدة عن الأفهام حتى لو أن سليمان أتاهم لاحتاج إلى من يترجم لهم لغتهم مع علمه باللغات وفهمه قول الحسكل (١)
هذا: والترجمان — وهو الذى يفسر كلام غيره بلسانه — بفتح التاء وضمها؛ والجمع: وترجم، مثل زعفران وزعافر، وصحصحان وصحصاح، قال نقادة الأسدى:

(١) الحسكل من الحيوان: ما لا يسمع له صوت كالنمل والنحل، قال:

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُسْكَالِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَادَهَا

وقيل الحسكل: العجم من الطيور والبهائم قال رؤبة بن العجاج — وكان قد نزل ماء من السماء فأراد أن يتزوج امرأة فقالت له المرأة: ما منك ما مالك ما كذا؟ فأنشأ يقول

لَمَّا أزدت نَقْدَى وَقَلْتُ لِإِبْلِ تَسْأَلُنِي عَنِ السِّدِّينِ كَمْ لِي
فَقُلْتُ لَوْ عُمِّرْتُ عُمرَ الْحِجْلِ أَوْ عُمرَ نُوحِ زَمَنِ الْفَطْحِ

طَبَّتْ فُرْسَانَنَا وَالتَّحِيلَ حَتَّى خَشِيتُ وَإِنْ كَرَّمَنَ مِنَ الْحِرَانِ (١)

وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتُهُ التَّقَاطَا لَمْ أَلْقَ إِذْ وَرَدَّتُهُ فُرَاطَا
إِلَّا الْحَمَامَ الْوُزُقَ وَالتَّقَاطَا فَهِنَّ يُبَغِضْنَ بِهِ الْفَاطَا
* كَالْتَرُجَانِ لِقَى الْأَنْبَاطَا (١) *

(١) طباه يطبوه ويطبیه طبيا وطبوا : إذا دعاه . قال ذو الرمة :

لِيَالِي اللَّهُوْ يَطْبِينِي فَأَتْبِعُهُ إِنِّي ضَارِبٌ فِي عَمْرَةٍ لَعِبُ
[أى يدعونى للهو فأتبعه] ويقال أطبا على افتعله فقبلت التاء طاء وأدغمت ، وفي
حديث ابن الزبير : أن مصعبا أطبى القلوب حتى ماتعدل به : أى تحبب إلى قلوب الناس
وقربها منه . وقال كثير :

لَهُ نَعْلٌ لَا يَطْبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَسَطَ الْمَجَالِسِ شُمْتُ (٢)
والحمران فى الدواب : أن تقف ولا تبرح للكان . يقول : إن هذه اللغاة استملت
قلوبنا وقلوب خيلنا بحسبها وطبيها حتى خشيت عليها الحمران وأن تقف
بها فلا تبرح ميلا إليها وإن كانت خيلنا كريمة لا يعرفوها هذا الداء — داء
الحمران —

وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ أَوْ أَنْتَى أَوْ تَيْتُ عِلْمِ الْحَسَنِ
عِلْمِ سَلِيَانَ كَلَامِ النَّعْلِ كُنْتُ رَهِينَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلِ

[السواء : السرار ، يقال منه ساودته مساودة وسوادا إذا ساررته : والحسل :
ولد الضب ، وسئل رؤبة عن قوله زمن الفطحل فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا ،
قال أهل اللغة : الفطحل دهر لم يخلق الناس فيه بعد]

(١) يقال وردت الماء والشئ التقاطا : إذا هجمت عليه بغتة ولم تحسبه ، وفراط القطا :
مقدمتها إلى الوادى والماء ، والغطاط : ضرب من القطا . ولغظ القطا والحمام بصوته
وألغظ وأصل اللغظ : الصوت للمهم الذى لا يفهم والأنباط جبل يزلون سواد العراق :
(٢) حرك حرف الحلق من نعل لانفتاح ما قبله ، ففتحها ليس بلغة ، والنعل مؤنثة
وهى الحذاء وقد سبق شرح هذا البيت .

(٢٥ - للتنى ٤)

غَدَوْنَا تَنْفُصُ الْأَغْصَانُ فِيهَا عَلَى أَعْرَافِهَا مِثْلَ الْجَمَانِ (١)
 فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبَنَ الشَّمْسَ عَنِّي وَجِبَنَ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَمَانِي (٢)
 وَأَلْتَقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبِنَانِ (٣)
 لَهَا تَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرِبَةٍ وَقَفَنَ بِلَا أَوَانِي (٤)

(١) تنفص الأغصان إلى آخره : حال ؛ وأعرافها : جمع عرف ، وهو الشعر الذى على ناصية الفرس . والجمان : حب من فضة يشبه اللالىء ، يقول : سرنا بين أشجار هذه الغانى صباحا وقد تساقط الندى من أغصانها على أعراف خيلنا كأنه الجمان ، فكان الأغصان تنفضه على أعرافها ، والذى يؤخذ من الواحدى — ويدل عليه البيت التالى — أن الذى يقع على أعراف الخيل من خلل الأغصان مثل الجمان هو ضوء الشمس لا الندى .

(٢) الضمير من حجبين : الأغصان ؛ يقول : إنه كان يسير فى ظل الأغصان وأنها تحجب عنه حر الشمس وتلقى عليه من الضياء ما يكفيه . وقال ابن جنى : يريد أن الجمان الذى يقع على الخيل هو ما يقع عليها من بين الأغصان من ضوء الشمس .

(٣) الشرق : للشرق ، وهو أيضا الضوء والشمس ، يقال طلع الشرق ولا يقال غرب الشرق ، وهو المراد هنا . والبنان : أطراف الأصابع . يقول كما قال النبريزى : إن هذا الشجر كثير الورق ملتف ، فضاء الشمس يدخل مؤخره فخلله فيكون على الثياب كأنه الدنانير إلا أنه يفر من البنان وليست الدنانير كذلك وهو معنى لم يسبق إليه . وعبارة بعض الشراح : يريد بالدنانير ما يتخلل الأغصان من ضوء الشمس فإنه يقع مستديرا ، يقول : لما طلعت الشمس من المشرق ألقى الشراب بطلوها دنانير لا تمسك باليد . فالشرق بمعنى المشرق .

(٤) أوانى : جمع آنية ، جمع إناء . يقول : إن ثمار هذه الأغصان رقيقة القشة فهى تشير إلى الناظر بأشربة — جمع شراب — واقفة بلا إناء ، لأن ماءها يرى من وراء قشرها كما يرى الماء فى الزجاج ، يعنى أن هذه الثمار كأنها أشربة قائمة بنفسها ليم لها أوعية تمسكها ، وهذا المعنى منقول من قول البيهترى :

يُخْفَى الرُّجَاجَةُ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءٍ

وَأَمْوَاهُ تَصِلُ بِهَا حَصَاهَا صَلِيلَ الْحَلِي فِي أَيْدِي الْعَوَانِي (١)
 وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقَ ثَنَى عِنَانِي لَبِيقُ الثَّرِيدِ صِينِي الْجِفَانِ (٢)
 يَلْتَجِجُ مَارْفَعَتِ لِضَيْفٍ بِهِ النَّيْرَانُ نَدَى الدُّخَانِ (٣)

(١) تصل : تصوت ؛ وحصاها : فاعل تصل ؛ وبها : أى بتلك الأمواه ، يعنى بجرها وروى ابن جنى لها : أى لأجلها أى لأجل جريها . والحلى : ما يلبسه النساء من الذهب والفضة والجوهر . والعوانى : جمع غانية ، المرأة التى غنيت بحسبها شبه الأمواه ، فى اندماجها وصفاء لونها بمعاصم الحسان ، وما يصل بها من الحصى بالحلى الذى يلبس فى المعاصم — جمع معصم وهو موضع السوار .

(٢) يقال ثنى عنانه : إذا رده عن عزمه . والعنان — فى الأصل — سير العجام . واللبيق : العاذق الرفيق بما يعمله كاللبق . والثرد : جمع ثريد ، وهو الحزيفت وييل بالمرق . وروى ابن جنى بفتح التاء على المصدر ، قال يريد به الثريد . والجفان : جمع جفنة ، وهى القصعة وصيفى الجفان : أى أن جفانه صينية . يقول : لو كانت هذه المغانى الطيبة دمشق — أى لو كنت فى غوطة دمشق مكان شعب بوان — لثنى عنانى إليه رجل جيد الثريد ذو قصاع صينية ؛ يعنى لأضافى هناك رجل ذو مروءة يحسن إلى الضيفان ، لأنها — دمشق — من بلاد العرب ، وشعب بوان من بلاد المعجم . وقال ابن جنى — لو كانت هذه المغانى كغوطة دمشق فى الطيب لرغبت عنها ، وملت إلى هذا المددوح الذى ثرده لبيق وجفانه صينية ، لأنه ملك ، وليس هو من أهل البادية . قال الواحدى : وليس الأمر على ما قال — أى ابن جنى — لأن البيت ليس بمخلص ، ولم يذكر المددوح بعد . والمعنى : أنه يبين فضل دمشق وأهلها وإحسانها إلى الضيفان ، وخص دمشق من سائر البلدان لأن شعب بوان مضاه لغوطة دمشق فى الطيب وكثرة المياه والأشجار .

(٣) يلتجججى : نسبة إلى اليلنجوج ، وهو العود الذى يتبخر به ؛ و«ما» موصولة ورفعت النار : شبت ؛ وبه : متعلق برفعت ، والضمير: لـ«ما» . وندى : نسبة إلى الند ، وهو ضرب من الطيب يدخن به : قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للنعير : الند ، وقال غيره : هو ضرب من الدخنة . يقول : إن هذا الرجل يوقد النيران للأضياف بالعود اليلنجوجى ، ودخانه طيب تشم منه رائحة الند :

تَمَلُّ بِهِ عَلَى قَلْبِ شُجَاعٍ وَتَرَحَّلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبِ جَبَانَ (١)
 مَنَازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا خِيَالٌ بِشَيْعِيٍّ إِلَى الْفَوْ بِنْدَجَانَ (٢)
 إِذَا غَفَى الْحَمَامُ الْوُرُقُ فِيهَا أَجَابَتْهُ أغانِيُ الْقِيَانِ (٣)

(١) اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت ، ولعل أحسنها ما ذهب إليه الواحدى ، قال : تمل به أنت - أيها الرجل - أي تنزل بهذا الرجل الذى وصفه بما تقدم - على قاب عجاج جرى ، على الإطعام والقرى غير بخيل - لأن البخل جبن - وهو خوف الفقر ، وترحل منه عن قلب جبان خائف فراقك وارتحالك ، وقال ابن جنى : المعنى : يسر بأضيافه فتقوى نفسه بالسرور ، فإذا ارتحلوا عنه اغتم ، فضعفت نفسه ، فالقلبان - على هذا وعلى ما ذهب إليه الواحدى - قلبا المضيف ، وقال ابن فورجه : كأنه - أي ابن جنى - يظن أنها قلبا عضد الدولة ؛ ولو أراد - المتنبي - ما قال لقال تمل به طى قلب مسرور وترحل منه عن قلب مغموم ، فأما الشجاعة والجبن فلهما معنى غير ما ذهب إليه - أي ابن جنى - وإنما يريد - المتنبي - أنك إذا حطت به كنت ضيفا له وفى ذمامه فأنت شجاع القلب لا تبالي بأحد ، وتفارقه ولا ذمام لك فأنت جبان تخشى من لقيك ، ومثله قوله :

* وَإِنَّ نَفُوسًا أَمْتَكُ مَنِيمةٌ *

فالقلبان في البيت : قلبا من محل ويرحل - أي قلبا المضيف .

(٢) نوبندجان : بلد بفارس ؛ ويشيعى : يتبعى . قال الواحدى : يريد أنه يرى دمشق فى النوم وهو بفارس ، خيال منازل دمشق يقبعه ، والمعنى أنه يحب دمشق ويكثر ذكرها ويحلم بها ، قال : ويجوز أن يريد خيال حبيب له بدمشق ونواحيها يأتيه فى منامه .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهى التى فى لونها بياض إلى سواد ويقال للرماد : أورق ؛ وللحامة والذئبة : ورقاء : قال رؤبة :

فَلَا تَكُونِي يَا ابْنَةَ الْأَشْمِ وَرِقَاءَ دَمِي ذُنْبَهَا الْمَدِّي (١)

(١) الذئباب إذا رأت ذنبا قد عقر وظهر دمه أكتبت عليه فقطعته وأثناء معها وقيل الذئب إذا دى أكلته أثناء فيقول هذا الرجل لامرأته : لا تكونى إذا رأيت الناس قد ظلمونى معهم على فنكونى كذئبة السوء .

وَمَنْ بِالشَّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ . إِذَا غَفَى وَنَاحَ إِلَى النَّيَّانِ (١)
 وَقَدْ يَتَقَارَبُ الوَصْفَانِ جِدًّا وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاهِدَانِ (٢)
 يَقُولُ بِشِمْبِ بَوَانَ حِصَانِي أَعْنِ هَذَا يُسَارُ إِلَى الطَّعَانِ (٣)
 أَبُوكُمْ آدَمُ سَنَ المَعَاصِي وَعَلَمَكُمْ مُفَارَقَةَ الجِنَانِ (٤)
 قَلْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا شُجَاعٍ سَلَوْتُ عَنِ العِبَادِ وَذَا المَكَانِ (٥)

والقيان : جمع قينة ، وهي الجارية اللغنية . يريد لطيها اجتمعت أصوات الحمام والقيان بها يجاوب بعضها بعضا .

(١) يقول : إن أهل الشعب - شعب بوان - وقطانه أحوج إلى البيان من حمامه في غنائه ونوحه ، لأنهم أعاجم لا يبان لهم ولاضاحه ، فلا يفهم العرب كلامهم ؛ قال اليازجي : يريد التنظير بين غناء هؤلاء وغناء قيان دمشق وهو تفضيل آخر لدمشق على شعب بوان . هذا : وأخبر عن الحمام بالغناء والنوح لأن العرب تشبه صوت الحمام مرة بالغناء لأنه يطرب ، ومرة بالنوح لأنه يشجي ، ونوح الحمام وغناؤه مذكوران في أشعارهم .

(٢) يقول : إن العجمة تجمع الحمام وأهل الشعب ، والوصوف بها مختلف ، لأن الإنسان غير الحمام ، فأهل الشعب بعدوا بالإنسانية عن الحمام ، ولكن وصفهما في الاستعجاب وعدم الإفصاح متقارب .

(٣) يقول : إن فرسي يقول لي حين رأى شعب بوان وطيب الإقامة به - منكرًا على السير منه إلى الحرب - أعن هذا المكان يسار إلى الطعان والنزال ؟ والاستفهام معناه هنا الإنكار ، والمراد أن فرسه لو نطق لقال ذلك .

(٤) يقول : إنما تعملون ذلك اقتداءً بأبيكم آدم حين عصى ربه فأخرج من الجنة ، فهو الذي سن لكم ركوب المعاصي ومفارقة مواطن النعيم بسببها . قال الواحدى : وإنما ذكر هذا لكي يتخلص إلى ذكر المدح فيقول : هذا المكان وإن طاب فإنى لم أخرج به عما كان سيئى إليه .

(٥) أبو شجاع : كنية عضد الدولة . يقول - مجيباً فرسه - : إنما أغادر هذا المكان لأنى أقصد أبا شجاع الذى متى رأيت نسيت الناس طرا ونسيت هذا المكان مع جماله وطيبه لأنى أجد عنده ما يسلى عن كل شيء .

فَإِنَّ النَّاسَ وَالدُّنْيَا طَرِيقٌ إِلَى مَنْ مَالُهُ فِي النَّاسِ ثَانٍ (١)
 لَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي الْقَوْلَ فِيهِمْ كَتَمْتَهُمُ الطَّرَادَ بِلَا سِنَانٍ (٢)
 بَعَضُ الدَّوْلَةِ امْتَنَعَتْ وَعَزَّتْ وَلَيْسَ لِغَيْرِ ذِي عَضِدٍ يَدَانِ (٣)
 وَلَا قَبْضُ عَلَى الْبَيْضِ الْمَوَاضِي وَلَا حَظٌّ مِنَ الشَّمْرِ اللَّدَّانِ (٤)
 دَعَتْهُ بِمَفْرَعِ الْأَعْضَاءِ مِنْهَا أَيُّومَ الْحَرْبِ بِكْرٍ أَوْ عَوَانَ (٥)

(١) يقول : إن الناس كلهم - والدنيا بأجمعها - طريق إليه لا يمسكه شيء منهم ومنها حتى أبلغه .

(٢) الطراد : أن يحمل بعض الفرسان على بعض في الحرب ، والسنان : نصل الرمح . يقول : علمت نفسي القول في الناس بالشعر في مداهم قبله كما يتعلم الطعان أولاً بغير سنان ليصير المتعلم ماهراً بالطعان بالسنان ، كذلك أنا تعلمت الشعر في مدح الناس لا أتدرج إلى مدحه وخدمته . وعبارة بعض الشعراء : يريد أنه لم يكن يقصد الجد في مدح غيره ، وإنما كان يبرن نفسه على الشعر حتى يعرف كيف يمدحه حق المدح متى انتهى إليه وقوله لقد علمت : يروى له علمت - أى لأجله - وذلك أظهر في المعنى .

(٣) قال الواحدي : أى أن الدولة امتنعت بعضدها وعزت ولا يدلن لأعضده ولا يدفع عن نفسه من لا يده له ، والمعنى أنه للدولة يد وعضد ؛ به تدفع عن نفسها ، وعلى هذا يكون الضمير في قوله « امتنعت » عائداً على المضاف إليه من قوله « بعضد الدولة » فهو على حد قولك : بعلام هند مرت : أى مرت هند بعلامها ، وهو كما تراه ، قال ابن جنى : يعرض بدولة غيره من الملوك التي لا يذب عنها ولا يحميها ، وأودع كلامه رمزاً خفياً وتعريضاً بجميع من لا عضد له دولة كان أو إنساناً بقوله « وليس لغير ذي عضد يدان » هذا : وعضد - بسكون الضاد - تخفيف عضد - بضمها -

(٤) البيض : السيوف . والمواضي : القواطع . والسمر : الرماح . واللدان : جمع لدن ، وهو اللين اللين . يقول : من لم يكن له يدان لم يقبض على السيوف ولم يظعن بالرمح لأنه لا يتأتى له ذلك ؛ يعنى أن غيره لا يقوم مقامه في الدفع عن الدولة لأنه عضدها ومن لا عضد له لا يده له ، ومن لا يده له لم يضارب ولم يطاعن . هذا : وقوله « ولا حظ » يروى « ولا حظ - بالطاء المهملة - وخفض الرماح بالظمن .

(٥) قوله بكر : صفة لموصوف محذوف ، كأنه قال : ليوم الحرب حرب بكر أو عوان

فَمَا يُسَمِّي كَفَنًا خُسْرًا مُتَمِّمٌ وَلَا يُكْفِي كَفَنًا خُسْرًا كَانِي (١)
 وَلَا تُحْصَى فَضَائِلُهُ بِظَنِّ وَلَا الْإِخْبَارِ عَنْهُ وَلَا الْعِيَانِ (٢)
 أَرُوضُ النَّاسِ مِنْ تَرْبٍ وَخَوْفٍ وَأَرْضُ أَبِي شُجَاعٍ مِنْ أَمَانٍ (٣)

والحرب العوان : التي قوتل فيها مرة ، كأنهم جملوا الأولى بكرة . وقوله بمفزع الأعضاء رواها ابن جنى : بموضع الأعضاء ، وقال أى دعته السيوف بمقابضها والرماح بأعقابها لأنها مواضع الأعضاء منها ، وحيث يمسك الطاعن والضارب ؛ قال : ويحتمل أن يريد دعته الدولة بمواضع الأعضاء من السيوف والرماح . أى اجتذبه واسنائه ؛ قال ابن فورجه هذا ما ذهب إليه ابن جنى - مسخ للشعر لا شرح له وما قال الشاعر إلا بمفزع الأعضاء يعنى دعته الدولة عضدا ؛ والعضد : مفزع - ملجأ - الأعضاء كأنه شرح قوله بعضد الدولة امتنعت وعزت ؛ قال الواحدى : وهو على ماقل - ابن فورجه - يريد أن الدولة صمته عضدا وهي - العضد - مفزع الأعضاء ، لأن الأعضاء عند الحرب تفزع إلى العضد ، والعضد هي الدافعة عنها الحامية لسائر الأعضاء ؛ وحاصل المعنى أن الدولة دعته بعضدا وهو ملجؤها الذى تدخره لأيام الحروب .

(١) أسماء وسماه : بمعنى . يقول : إنه لا نظير له ، فلا يدعى أحد باسم ولا بكنية هو مثله أو تقول : إذا ذكر أحد اسمه أو كنيته فقد ذكر من لا يماثلة أحد . فالمسمى : الداعى بالاسم ؛ والسكاني : الداعى بالكنية .

(٢) يقول : إن فضائله لا يحيط بها الظن - على اتساعه - ولا تستوفىها الأخبار ، ولا تستقصى بالمشاهدة والعيان لكثرتها . وقوله عنه : قال الواحدى كان حقه أن يقول « عنها » لكنه علقه به لإقامة الوزن . أراد : ولا الإخبار عنه بها .

(٣) أروض : جمع أرض ، قالوا : وهذا الجمع قياس - لاسماع - فقد نص سيبويه على أن العرب لا تجمع الأرض جمع تكسير ، قال : واستغنوا عن تكسيرها بأرضات وأرضين ، وحكى أبو زيد فى جمع أرض : أروض . والمراد بالناس ههنا : الملوك . يقول إن أرض غيره من الملوك مخلوقة من التراب والخوف معا ، لأن الخوف ملازم لها لا يفارقها فكأنها خلقت منه كما خلقت من التراب ، وهذا كقوله تعالى « خالق الإنسان من عجل » لما كان فى أكثر أحواله عجلا صار كأنه مخلوق من عجلة - وأرض الممدوح كأنها مخلوقة من الأمان ، للزوم الأمان لها ، والمعنى أن أحدا لا يبعث فى نواحي مملكته هيبه له وخوفامنه .

تَذِمُّ عَلَى الصُّوسِ لِكُلِّ تَجْرٍ وَتَضْمَنُ لِلصُّوسِ كُلِّ جَانِي (١)
 إِذَا طَلَبْتَ وَدَائِمَهُمْ تِقَاتٍ دُفِنَ إِلَى المَحَانِي وَالرَّعَانِ (٢)
 فَبَاتَتْ فَوْقَهُنَّ بِلَا صِحَابٍ نَصِيحُ بَمَنْ يَمُرُّ : أَمَا تَرَانِي (٣)
 رِقَاهُ كُلُّ أبيضَ مَشْرِفِي لِكُلِّ أصَمِّ صِلَ أفعوانِ (٤)

(١) تَذِمُ : أى الأرض . وفى رواية يذم : أى المدوح ، وأذم له أعطاه التمام وهو المهدي والجوار . والتجر : جماعة التجار كالشرب ، لكن للتبى أجرى التجر مجرى الواحد ذهاباً إلى أنه واحد التجار كما قال الآخر :

* نَسَائِلُ عَنِ أَبِيهَا كُلِّ رَكْبِ *

يقول : إن أرض هذا للمدوح تجر كل تاجر من الصُّوسِ فلا يخافون الصُّوسِ ، إذ لا يستطيعون العدوان على أحد ، هيبة وخوفاً من المدوح ، وهى تضمن لسيوف المدوح كل من يخشى جناية أن يكون طعمة لها إذ لا ينبجو من يده .

(٢) التقات : الذين يوثق بهم . والمحاني : جمع محنية ، منعطف الوادى . والرعان : جمع رعن ، أنف الجبل ، والضمير فى « ودائهم » : للتجر . يقول : إن ودائع التجار إذا تركت فى محانى الأودية ورعان الجبال فكأنها عند تقات أمناء ؛ يعنى إذا تركوها فى هذه الأماكن أمنوا ولم يخافوا عليها أحدًا . لأن هيبة المدوح تحميها فلا يجرؤ أن يمسها أحد .

(٣) يقول : باتت بضائع التجار فوق المحانى والرعان ظاهرة للناظرين وكأنها تقول لمن مر بها : أما ترانى ؟ لأنه يعرض عنها فلا يجسر أن يمد يده إليها يعنى أنها لا حرز دونها وليس هناك من يحفظها ويحرسها غير هيبته فلا يجسر من يمر بها أن يمد يده إليها وإن لم ير عندها أحدًا . قال البلازجى : وكان الوجه أن يقول « ألا ترانا » لأنه حكاية قول الودائع ولكنه لما استعمل لهن ضمير الواحدة فى قوله نصيح أجرى فعل التكلم مجرى فعل التبية .

(٤) الرقى : جمع الرقية ؛ والأبيض : السيف . والمشرقى نسبة إلى مشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف . والصل : ضرب من الحيات خبيث يشبه بها الرجل إذا كان داهياً نكراً فيقال : إن فلانا لصل أصلال . والأفعوان ذكر الأفعى . جعل الصُّوسِ كالأفعى وجعل سيوفه رقى لتلك الأفعى ، فكأن الحية يدفع أذاها بالرقية : كذلك هو يدفع عادية الصُّوسِ بسيوفه .

وَمَا تُرْقَى لَمَاهُ مِنْ نَدَاهُ وَلَا الْمَالُ الْكَرِيمُ مِنَ الْهُوَانِ^(١)
حَمَى أَطْرَافَ فَارِسَ شَمْرِي^(٢) يَحْضُ عَلَى التَّبَاقِ بِالتَّفَاقِي^(٣)
بِضْرِبِ هَاجِ أَطْرَابِ الْمَنَآيَا سِوَى ضَرْبِ الْمَثَالِثِ وَالتَّفَاقِي^(٣)
كَأَنَّ دَمَ الْجَاجِمِ فِي الْعَنَاصِي كَمَا الْبُلْدَانَ رِيَسَ الْحَيْقَطَانَ^(٤)

(١) اللهم : جمع لهية ، وهي العطية . يقول : مع أنه يرقى أموال التجار من أفاعي
الاصوص فإن عطاياه لا ترقى من جوده وبذله أى لا تحمى منه ، ولا ماله الكريم يرقى
من هوانه ، لأن جوده يبددها ويهب أمواله فتبتذل في أيدي الناس .

(٢) شمري : جاد مشيع في الأمور ، كثير التشمير والانكماش فيها . وأراد بالتباق
البقاء ؛ وبالتفاني : الفناء . يقول : إن المدوح رجل شمري حمى بلاد فارس بمضائه .
يقول لأصحابه أفنوا أنفسكم في الحرب ليبقى ذكركم فكأنكم باقون ببقائه ، وقال العروضي
إن للحمى : حمى فارس بقتل الاصوص فاعتبر غيرهم فلم يؤذوا الناس ولم يستحقوا القتل
فبقوا ، يعنى أنه إذا قتل أهل العيث والفساد كان في ذلك زجر لغيرهم فيصير ذلك حثا
لهم على اغتنام التباقي ، فيكون هذا من قبيل قوله تعالى « ولكم في القصاص حياة »
ولكن يدل على المعنى الأول : البيت التالي .

(٣) بضرب : متعلق بحمى . والأطراب : جمع طرب ؛ والمثالث والمثاني : من أوتار
العود ، جمع مثلث ومثنى ، وهما الوتر الثالث والثاني . يقول : حمى أطراف فارس بضرب
يطرب المنايا فيحركها ، لكثرة من يقتله وذلك الضرب غير ضرب العود الذى من شأنه
أن يطرب ويهيج الشوق ، يعنى أنه يضرب بالسيوف ولا يميل إلى ضرب العود
وما إليه .

(٤) العناصى : جمع عنصوة ، وزان ترقوة ، وهى الشعر المتفرق فى الرأس
قال أبو النجم :

إِنْ يَمِسْ رَأْسِي أَشْمَطَ الْعَنَاصِي كَأَنَّمَا فَرَقَهُ مُنَاصِ

عَنْ هَامَةَ كَالْحَجَرِ الرَّبَاصِ

[مناص : لعله من أناص الشيء عن موضعه : أى حركه وأداره عنه لينزعه .
والرباص : البراق] والحيقطان : ذكر الدراج ، وهو طائر شبيه بالحجل وأكبر منه
أرقت بسواد وبياض قصير النقار . يقول : إن جماجم الأعداء الذين أعمل فيهم سيفه

فَلَمْ تُرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَّا خَافَتْ مِنَ الْخَدَقِ الْحَسَنِ (١)
 وَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ شَيْئًا هَزَبَرِي كَشِبْلِيهِ وَلَا مُهْرِي رِهَانِي (٢)
 أَشَدَّ تَنَازُعًا لِكَرِيمِ أَصْلٍ وَأَشْبَهَ مَنظَرًا بِأَبِ هِجَانِي (٣)
 وَأَكْثَرَ فِي مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعًا فَلَانَ دَقَّ رُحْمًا فِي فَلَانِي (٤)
 وَأَوَّلُ رَأْيِي رَأْيَا الْمَعَالِي فَقَدْ عَلِقًا بِهَا قَبْلَ الْأَوَانِي (٥)

كانت تطير وشعورها المتلطفة بالدماء تنتثر على وجه البلدان ، فكان دماءهم قد كست
 البلدان ريش هذا الطائر الكثير الألوان .

(١) قلوب العشق : أى قلوب أهل العشق . يقول : إن الأمن عم بلاد فارس حتى
 لو كانت قلوب العشاق فيها لما خشيت سهام أحداق الحسان ، وهو معنى غريب :
 (٢) الشبل . ولد الأسد ؛ والهزبر : من أساء الأسد ؛ وللمهر : الحدث من الخيل .
 والرهان : السباق . يقول : لم أر في الناس مثل ولديه اللذين هما كشبلى أسد في الشجاعة
 ومهرى رهان في المسابقة إلى غاية الكرم .

(٣) أعد : صفة لمهرى رهان . والهجان : الخالص الكريم . يقول : لم أرقبهما
 ولدين أشد تنازعا — أى تجاذباً — لأصل كريم ، يعنى أن كل واحد منهما ينزع إلى
 أصله نزوعاً شديداً حتى كأنهما يتنازعانه فيريد أن يكون أكرم من صاحبه ، بأن يكون
 حظه أوفر من حظ صاحبه في الكرم . ولم أر ولدين أشبه منهما بأب كريم خالص
 النسب .

(٤) الضمير في « مجالسه » : يعود إلى أب . وجملة « فلان دق رحما في فلان » :
 حكاية ، وهى مفعول الاستماع . يقول : ولم أر ولدين أكثر منهما استماعاً في مجالس أبيهما
 لمثل هذه العبارة ، وهى فلان دق — كسر — رحما في فلان : يعنى أنه لا يجرى في مجلس
 أبيهما غير ذكر الطعان والطراد فهما لا يسمعان غير ذلك .

(٥) راية : فعلة من رأى ؛ ورأيا : صفة لرأية ، والعائد محذوف : أى رأياها .
 والمعالي : خبر أول . وعلقا بها : عشقاها . يقول : أول شئ رأياه هو للمعالي ، فقد
 عشقاها قبل أوان العشق ، وروى ابن جنى . وأول دابة ، والدابة : الظئر — التى ترضع
 للولود — فيكون المعنى : إن المعالي تواترت تربيتهما فهما يميلان إليهما ويحبانها . حب
 الصبي من رباه .

وَأَوَّلُ أَنْفَظَةِ فَمَهْمَا وَقَالَ
وَكُنْتَ الشَّمْسَ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ
فَمَهْمَا عَيْشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا
وَلَا مَلَكًا سِوَى مُلِكِ الْأَعَادِي
وَكَانَ ابْنًا عَدُوًّا كَأْتَرَاهُ
دُعَاءَ كَالشَّاهِ بِلَا رِيَاءِ
إِغَاثَةُ صَارِخٍ أَوْ فَكُّ عَانٍ^(١)
فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَمَّهَا الْجَفَانُ^(٢)
بِضَوُّهُمَا وَلَا يَتَحَمَّسَدَانُ^(٣)
وَلَا وَرَثًا سِوَى مَنْ يَقْتُلَانِ^(٤)
لَهُ يَا أَيُّ حُرُوفٍ أَنْيْسِيَانُ^(٥)
يُؤَدِّبُهُ الْجَفَانُ إِلَى الْجَفَانِ^(٦)

(١) الصارخ : المستغيث ، وإغاثته : نصرته ، والعانى : الأسير يقول : وأول كلام فهموه هو إجابة من استصرخهم ونصرته وفك الأسير من وثاقه ، و«لفظة» : تروى كلمة .

(٢) تبهر : أى الشمس ، وبهره : غلبه وقوله فكيف الخ : أى فكيف تصنع مثلا يقول : كنت شمسا تبهر العيون بهائك فكيف اليوم وقد ظهر معك من ولدك شمسان آخران ؟

(٣) يدعو لها بأن يبقيا بقاء الشمس والقمر ، يحيا الناس بضوءهما ، وأن لا يكون بينهما تحاسد أو اختلاف .

(٤) هذا دعاء لا يبيها بالحياة يقول : لا ملكا ملكك بل ملك الأعداى ، ولا وراثك إنما وراثا من يقتلانه من الأعداء .

(٥) كأتراه : فأخراه بالكثرة وياى . خبر « كان » ، وأنيسيان : مصغر إنسان وهو من شواذ التصغير ؛ وإنسان : خمسة أحرف ، وهو مكبر ، فإذا صغرته وقلت « أنيسيان » زاد عدد حروفه وصغر معناه ، والبيت دعاء أيضا . يقول : عدوك الذى له ابنان وكأترك بهما كانا زائدين فى عدده ناقصين من حسبه وغره بأن يكونا ساقطين خسيسين كياى أنيسيان : يزيدان فى عدد الحروف وينقصان من معناه ، وقال بعض الشراح : أى إذا فخرنا — أى ابنا المدوح — عدوا بتكثيرهما عدد رهطك ، فليكن ابنا ذلك العدو : أى العدد الذى يقابلهما — عنده بمنزلة اليادين فى أنيسيان : أى آيلين إلى نقصه وخسته وإن زادا فى عدده ، وهذا المعنى الثانى أنسب وأقرب والسياق يدل عليه .

(٦) دعاء : أى هذا دعاء . والرياء : التظاهر بغير ما فى الباطن . والجنان القلب يقول . وهذا الذى ذكرته دعاء وهو نداء عليك لا رثا فيه ، لأنه إخلاص من القلب

قَدْ أَصْبَحْتُ مِنْهُ فِي فِرْنِدٍ وَأَصْبَحَ مِنْكَ فِي عَضْبٍ يَمَانٍ (١)
وَلَوْلَا كَوْنُكُمْ فِي النَّاسِ كَانُوا هُرَاءَ كَالْكَلَامِ بِلَا مَعَانِي (٢)

إلى القلب يخرج من قلبي فتفهجه بقلبك ، وتعلم أنه إخلاص لا يشوبه رثاء .
(١) فرند السيف : جوهره ووشيه : والعضب : السيف القاطع . واليمني : نسبة إلى اليمن ، شبه المدوح بسيف يمان وشبه شعره بفرند ذلك السيف : أى أن شعره زينة للمدوح ؛ كالفرند للسيف ، لأنه نوه بمناقبه ومحامده ، وقد نزل منه في منزل هو أهل له كنزول الفرند من السيف اليمني وهو أجود السيوف .
(٢) في الناس : خبر كونكم : والمراء : الساقط من الكلام ، قال ذو الرمة .

لَهَا بَشْرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْخَوَاشِي لَأَهْرَاءَ وَلَا تَزُرُ (١)
يقول : بكم صار للناس معنى ، ولولاكم لكان الناس كالغو من الكلام الذى لا معنى له ، وهذا كقوله :

* وَالذَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَفْنَاءُ *

(١) ويحتمل أن يكون المراء — في البيت — بمعنى المنطق الكثير ، والتزر القليل التافه ، قال ابن منظور : يريد ذو الرمة أن كلامها مختصر الأطراف وهذا ضد المذر والإكثار ، وذاهب في التخفيف والاختصار ، فإن قال قائل وقد قال ولا تزر فلستنا ندفع أن الحفر يقل معه الكلام وتحذف منه أحناء المقال لأنه على كل حال لا يكون ما يجرى منه وإن خف وتزر أقل من الجمل التي هي قواعد الحديث الذى يشوق موقمه ويروق مسمعه .

قافية الهاء

وذكر سيف الدولة جدّ أبي العشار وأباه فقال :

أَغْلَبُ الْحِيزَيْنِ مَا كُنْتَ فِيهِ وَوَلِيَّ النَّمَاءِ مَنْ تَنْمِيهِ (١)
ذَا الَّذِي أَنْتَ جَدُّهُ وَأَبُوهُ دِنْيَةٌ دُونَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ (٢)

* * *

(١) الحيز : السكان الذي يحوز الشيء ، والمراد : حيز النسب ؛ والولى . هنا :
الصاحب . وتنميه : ترفعه ، وكل شيء رفعته فقد نميته ومنه قول النابغة .

فَمَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِمَاجَ لَهُ وَأَنْتُمْ الْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَهُ أُجْدُ (١)

يقول : الجانب الذي أنت فيه هو أغلب الجانبين ، يعني أن عشيرة قنسب إليها تكون
منها يغلون بك غيرهم لدى الساماة ، ومن ترفعه أنت فهو كل يوم في زيادة ورفعة . هذا
ولنمد إلى الحيز ، فنقول : قال العكبري . الحيز فيعمل من حاز يحوز وهو السكان ،
وسيبويه يجمعه حيايز ، والأخفش حياوز قال : وتحيز تحيزاً ، قال سيبويه : هو تفعل
من حزت الشيء ، يريد أن وزن تحيز تفعل ، وكان أصله تحيوز ثم قلب وأدغم
قال القطامي :

تَحْيِزُ مِنِّي خَشْيَةً أَنْ أُضِيفَهَا كَمَا انْحَازَتْ الْأَفْعَى تَخَافَةَ ضَارِبِ (٢)

(٢) يقال هو ابن عمي دنية ودنيا — بالتثوين — أى أدنى — أقرب — بنى
العم إلى . يقول : هذا الذي أنت جده وأبوه — يعنى أبا العشار — يعنى أنه
ريبب نعمتك وغذى دولتك فأنت إذن جده وأبوه دنية لا اللذان ولداه ، .
يقول : اتصاله بك فى القرابة يعنيه عن ذكر الجد والأب ، فهو بك
يفتخر لاهما .

(١) القتود : جمع قود — بالتحريك — اسم لأداة الرحل ، العيرانة : الناقة الناجية
فى نشاط ، أوهى القى شبت بالعر — حمار الوحش — فى سرعتها ونشاطها ، وناقة
لُجْد موقفة الحلق .

(٢) يقول : تمنى هذه العجوز وتأخر خوفاً أن أنزل عليها ضيفا .

وأجمل سيف الدولة ذكره وهو يسايره فقال :

أَنَا بِالْوِشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُهُ تَأْتِي الْفَدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتَكْرَهُ (١)
وَإِذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضِي عَارِضًا أُيَقِنْتُ أَنَّ اللَّهَ يَبْنِي نَصْرَهُ (٢)

وقال يمدح أبا المشائر ويودعه وقد أراد سفراً :

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ وَالدهرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ (٣)
وَالجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاطِرُهَا وَالبَّاسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ (٤)

(١) الوشاة : جمع واش ، وهو النمام . يقول : أنت تجود على الناس وتسخو ونهب طى ذلك ، وتكره أن يذاع عنك لمكانك من النبل ، فإذا ذكرتك بالوجود كنت من الوشاة الذين يذيعون ما يكره صاحبه أن يظهر .

(٢) العرض : ما يمدح ويذم من الإنسان . وعارضا : أى معترضا ، حال لأن رؤية العين لا تعدى إلا إلى مفعول واحد يقول : إذا رأيتك تدفع عن عرضي وتحمى دونه علمت يقينا أن الله يريد نصر ذلك الذى تذود عنه - يعنى للثنى بهذا نفسه ، لأن سيف الدولة أجمل ذكره ، يريد أن الله سبحانه ينصرف على حسادى وأعدائى إذا جعلك تمدحني وتمسحن القول فى - هذا : والروى - فى هذين البيتين - هو الهاء - لا الراء - وإن انتقلت القافيتان الأخيرتان فى التزامها - أى الراء - وقول من قال إن هاء الإضمار إذا تحرك ما قبلها لا تكون إلا وصلا مقيد بما إذا تكررت ، لكلا يكون من قبيل الإبطاء ، فإن لم تتكرر كما فى البيتين كانت كغيرها من الحروف .

(٣) يقول : الناس أشباه وأمثال بعضهم لبعض ، فإذا رأوك اختلفوا بك إذ لا نظير لك بينهم ، كما قال :

بَعْضُ البريةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا فَإِذَا حَضَرَتْ فَكُلُّهُ فَوْقَ دُونَا
ثم قال : وأنت معنى الدهر لأنه بك يحسن ويسىء ، وهذا منقول من قول ابن دريد .

وَاللهُ يَمْلُكُ وَالرَّاضِي وَشِيمَتُهُ أَنْ الوِزَارَةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ
(٤) ناظر العين : إنسانها والبأس : الشجاعة . والباع : قدر مد البدين ؛ وباع

أَفْدَى الَّذِي كُلُّ مَأْزِقٍ حَرَجٍ أَغْبَرَ فُرْسَانَهُ تَحَامَاهُ (١)
أَعْلَى قَنَاةِ الْحَسَنِينِ أَوْسَطَهَا فِيهِ وَأَعْلَى الْكَمِيِّ رِجْلَاهُ (٢)

الحبل يبوعه بوعا : مد يديه معه حتى صار باعا ، كما تقول شبرته - من الشبر - وربما عبر
بالباع عن الشرف والكرم ، قال العجاج :

إِذَا الْكِرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ بَدَرُ تَقَضَّى الْبَايَ إِذَا الْبَايَ كَسَرَ (١)
وقال حنبل بن خالد أحد بني قيس بن ثعلبة :

نُدْهِدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى وَبِمَضْمُومٍ تَعْلِي بَدْمٌ مَنَاقِعُهُ
« الدهدقة : دوران البضع الكثير في القدر إذا غلت أراها تعلق مرة وتنفل
أخرى ؛ والمناقع : القدور الصغار ، واحدها منقع ومنفعة » . يقول المتنبي : أنت من
الجدود بمنزلة الناظر من العين ، ومن البأس بمنزلة العين من الباع ، وهذا من قول
علي بن جبلة :

وَلَوْ جَزَأَ اللَّهُ الْعُلَى فَتَجَزَّأَتْ لَسَكَانُكَ الْوَعْيَانِ وَالْأَذْنَانِ

(١) المأزق : الضيق ، يراد به ساحة الحرب ؛ والحرج : الضيق ؛ وكل :
مبتدأ ؛ خبره : جملة « فرسانه تحاماه » ، والضمير في فرسانه : يعود على للمأزق ؛
وفي تحاماه ؛ يعود على الذي ؛ وأغبر : أى كثير الغبار ، صفة للمأزق ؛ وتحاماه
- بحذف إحدى التاءين - أى تتحاماه . يقول : أفدى الذى تتحاماه الأبطال فى الحرب
لأنها تكره ملاقاة لشجاعته .

(٢) فيه : أى فى ذلك المأزق ؛ والكمى : البطل المغطى بسلاحه . يقول : أفدى
هذا المدوح الذى يشهد كل مأزق ضيق تتأطر فيه - تنثنى وتموج - قنائة رجمه
لئنها حين يحمل قرنه برجمه فيصير أوسطه أعلاه ويكون الفارس الكمى منكسا ، كما
قال امرؤ القيس :

* أَرْجُلُهُمْ كَالْخَشْبِ الشَّائِلِ *

قال ابن جنى : سأله - المتنبي - عن معنى هذا البيت ، فقال هو مثل
البيت الآخر :

(١) كسر اللطائر : ضم حناحيه حتى ينقض بريد الوقوع ، وتقضى البازي انقض وأصله
تقضض ، فلما كثرت الضادات أبدلت من إحداهن ياء .

تَنْشِدُ أَنْوَابَنَا مَدَامِحَهُ بِالْأَسْنِ مَا لَهْنُ أَفْوَاهِهِ (١)
 إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصْمِ بِهَا أَغْنَتْهُ عَنِ مِسْمَقِيهِ عَيْنَاهُ (٢)
 سُبْحَانَ مَنْ خَارَ لِلْكَوَاكِبِ بِأَلْوَانِهِ لَوْ كَانَ ضَوْوهُ الشُّمُوسِ فِي يَدِهِ (٣)
 لَصَاعَهُ جُودُهُ وَأَفْنَاهُ (٤)

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقِنَاةَ بِفَارِسٍ وَثَنَى فَقَوْمَهَا بِآخِرَ مِهْمُ

(١) هنا زلت قدم ابن جنى وتبلد حماره ولج به عثاره إذ قال : يخلع عليهم نيابا تنشد مدائحهم فيه بألسن ما لهن أفواه تقمع لجدتها والأصم يستغنى برؤيتها عن صوتها . قال العروضي : هذا كلام من لم ينظر في معاني الشعر ولم يرو الكثير منه ، وكنت أربأ بأبي الفتح عن مثل هذا القول ، ألم يسمع قول نصيب .

فَعَاجُوا فَأَتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

ولم يكن للحقائب جمعجة . إنما أراد أنهم يرونها مملئة ، كذلك أراد المتنبي أنا نلبس خلمه وأثوابه فيراها الناس علينا فيعلمون أنها من هداياه ، فكأنها قد أثنت عليه وأنشدت مدائحهم بألسن لا تتحرك في أفواه لأنها لا تنطق في الحقيقة إنما يستدل بها على جوده ، فكأنها أخبرت ونطقت .

(٢) المسمع : الأذن . والبيت تأكيد للذي قبله . يقول : إذا مررنا على الأصم

الذي لا يسمع — وهذه الأثواب علينا علم أن المدوح قد أنعم بها فاستغنى برؤيتها عن أن تخبره بعطائه .

(٣) خار الله له كذا وبكذا : إذا اختار له ذلك ؛ ونلن : أي كن مما ينال ويحرز .

قال المكبري : وهى بالكسر — أى كسر النون — أفصح من الضم وقال الواحدى : نلن : وزنه فعلن — بضم الفاء — مثل بعن ، يستوى فيه فعلن وفعلن ، ومنهم من يجعلها بين الضم والكسر — مثل قيل — لئلا يلتبس فعلان وفعلن — أى المعلوم بالجهول — والجدوى : العطية . يقول : سبحان الله الذى اختار للكواكب البعد لأنها لونيته وأحرزت لفرقها المدوح فى جملة عطايه .

(٤) صاعه : فرقه ، يقال صاع الشجاع أقرانه : أى حمل عليهم ففرق جمعهم ، وصاع الراعى ماشيته : أى فرقها فى المرعى وجمع الشمس على تقدير أن ليكل يوم شمسا .

يَا رَاحِلًا كُلُّ مَنْ يُودَّعُهُ مُودَّعٌ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ (١)
إِنْ كَانَ فِيهَا نَزَاهٌ مِنْ كَرَمٍ فِيكَ مَزِيدٌ فَرَادَكَ اللَّهُ (٢)

* * *

وقال قوم لم يكنك أبو الطيب يا أبا العشائر وأنت تعرف بكنيته فقال :
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْهُ ؟ فَقُلْتُ لَمْ أَعْرِفْ ذَلِكَ عَيْشًا إِذَا وَصَفْنَاهُ (٣)
لَا يَتَّوَقُّ أَبُو الْعَشَائِرِ مِنْ لَبْسِ مَعَانِي الْوَرَى بِمَعْنَاهُ (٤)

(١) قال الواحدى : يريد أنه لادين إلا به ؛ لأنه يحفظه على الناس ، ولا دنيا إلا معه ، لأنه ملك ، فمن ودعه فقد ودعهما :

(٢) فيك : متعلق بـ «نراه» ؛ ومزيد : اسم «كان» . يقول : لا مزيد على كرمك ، لأنه قد بلغ الغاية ، فإن كان يقبل الزيادة فزادك الله منه .

(٣) كناه : دعاه بكنيته . والعى : ضد الإفصاح . يقول : إنا إذا وصفناه كان ذكر كنيته عيا منا ، لأن وصفه يعنى عن كنيته بكونه لا يصلح إلا له فقد عرف بذلك ، وإن لم يكن . هذا : ولابن جنى والواحدى هنا نقد دقيق ، قالا إن الاستفهام إذا دخل على النفي رده إلى التقرير ، كقوله تعالى « أليس في جهنم مثوى للكافرين » أى فيها مثوى لهم ، وكقول جرير .

أَسْتَمُّ خَيْرٌ مَن رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ
أى أتم خبر من ركب المطايا الخ . فعلى هذا يكون قوله « ألم تكنه » معناه كنيته والقوم — الذين لا حظوا على المتنبي — لم يريدوا هذا ، إنما أرادوا نفي السكنية ، فكان من حقه أن يقول — المتنبي — قالوا ولم تكنه ، ولا يأتى بحرف الاستفهام وابن فورجه يقول فى هذا إنه استفهام صريح ليس فيه تقرير ، كأن واحدا من القوم سأل أبا الطيب فقال : ألم تكنه ، أى هل كنيته ؟ هذا قوله — قول ابن فورجه — والاستفهام الصريح لا يكون بالنفي لأنك إذا استفهمت أحدا : هل فعل شيئا قلت : أفعات كذا . ولم تقل : ألم تفعله ؟

(٤) اللبس : الالتباس . يقول : لا يحذر ولا يخشى أن تلبس معانى الورى بمعناه . أى أن تخلط صفاته ومعانى مدحه بصفات غيره ومعانيه — لأنه قد انفرد عن الناس بخصائص لا يشارك فيها ولا يوصف بها غيره ، وإذن لا يحتاج فى مدحه إلى ذكر كنيته . (٢٦ المتنبي ص ٤)

أَفْرَسُ مَنْ تَسَبَّحَ الْجِيَادُ بِهِ وَلَيْسَ إِلَّا الْحَدِيدَ أَمْوَاهُ^(١)

وكان الأسود قد عمر داراً وانتقل إليها فمات له فيها خمسون غلاماً، ففزع من ذلك وخرج منها إلى دار أخرى، فقال وأنشده إياها في شهر المحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة:

أَحَقُّ دَارٍ بِأَنْ تُسَمَّى مُبَارَكَةً دَارٌ مُبَارَكَةٌ الْمَلِكِ الَّذِي فِيهَا^(٢)
وَأَجْدَرُ الدُّورِ أَنْ تُسَمَّى بِسَاكِنِهَا دَارٌ غَدَاً النَّاسُ يُسْتَسْقُونَ أَهْلِيهَا^(٣)
هَذِي مَنَازِلَكَ الْآخَرَى نُهْنَهَا فَمَنْ يَمُرُّ عَلَى الْأُولَى يُسَلِّمَهَا^(٤)

ولا يتوقى: رواها الواحدى: لا يتوقى، قال؛ ومعناه لا يستوفى هذه الكنية، وهذا اللفظ رجلا يزيد معناه على معانى الورى كلهم، لأن فيه من معنى الكرم وللدح مالميس فيهم، وليست هذه الرواية بشيء.

(١) أفرس: أى هو أفرس؛ وأفرس من الفروسية. والجياد: الخيل وسببها: عدوها — جريها — حق كأنها تسبح في بحر. ونصب «الحديد» على أنه استثناء مقدم، واسم «ليس» أمواه، وخبرها محذوف، والتقدير: وليس في الأرض أمواه إلا الحديد. يقول: هو أفرس من تجرى به الخيل حالة كون الأسلحة والدروع من حوله كبحر من الحديد — لكثرتها — تسبح الخيل فيه، لما ذكر سبب الجياد جعل الحديد أمواها.

(٢) الملك: تخفيف الملك. يقول: أحق الديار بأن تدعى وتسمى مباركة دار ملكها الذى فيها مبارك، يعنى إذا كان صاحب الدار مباركا فداره أحق الدور بأن تدعى مباركة.

(٣) استسقاء: سأله السقيا. يقول: أجدر الدور وأحقها بأن تكون مسقية ببركة من يسكنها دار سكانها سقاة الناس، يعنى إذا كان سكان الدار يسقون الناس وينعمونهم فتلك الدار أولى الديار بأن تكون مسقية بهم تشعلها بركاتهم ومبراتهم.

(٤) يقول: هذه التى انتقلت إليها وعدت نهنها بعودك إليها، فمن الذى يأتى الدار التى فارقتها فيعزيها لما ألم بساحتها من الحزن لفرارك إياها؟

إِذَا حَلَلْتَ مَكَانًا بَعْدَ صَاحِبِهِ جَمَلْتَ فِيهِ عَلَى مَا قَبْلَهُ تَيْبًا^(١)
 لَا يُنْكَرُ الْعَقْلُ مِنْ دَارِ تَكُونُ بِهَا فَإِنَّ رِيحَكَ رُوحٌ فِي مَفَا تَيْبًا^(٢)
 أُمَّمٌ سَعْدَكَ مَنْ لَقَّاكَ أَوْلَهُ وَلَا اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا^(٣)

ونزل أبو الطيب في أرض حسنى برجل يقال له وردان بن ربيعة الطائي فاستنوى
 وردان عبيد أبي الطيب : فجعلوا يسرقون له من أمتعته ، فلما شعر أبو الطيب بذلك
 ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه كما تقدم —
 وقال بهجو وردان :

لَيْتَنُ تَكُ طَيِّبٌ ، كَانَتْ لِنَاكَا فَأَلَامُهَا رَبِيعَةُ أَوْ بَنُوهُ^(٤)
 وَإِنْ تَكُ طَيِّبٌ ، كَانَتْ كِرَامَا فَوَرْدَانٌ لِنَيْرِهِمْ أَوْهُ^(٥)

(١) تاه فلان تها إذا تكبر وافتخر . يقول : إذا نزلت مكانا بعد أن ارتحلت
 عن مكان آخر تاه الثاني — الذي حلته — على الأول — الذي فارقه — وافتخر عليه
 بنزولك إياه .

(٢) لا ينكر العقل يروى « لا ينكر الحس » والمعاني جمع معنى وهو النزل والمسكن
 يقول : لا ينكر على الدار التي تحملها أن تكون ذات شعور تفرح بسكنائك وتحزن
 بمفارقتك فإن ريحك روح لها .

(٣) يدعو له . ولقائك : يروى أعطاك .

(٤) و (٥) لئن تك يروى ، أن تك ، فيكون فيه خرم . وربيعه هو أبو وردان ،
 و« أو » من قوله أو بنوه : لك أن تبقها على معناها ولك أن تحصلها بمعنى الواو . يقول : إن
 كانوا لثاماً فألامهم أبوه وبنو أبيه ، وإن كانوا كراماً فأبو وردان ليس منهم ، أي هودعى
 فيهم ، وقال العكبري ؛ تعليقا على « وردان » . وردان مشتق من الورد ، ولوصيت رجلا
 بوردان تشية ورد : جاز لك فيه وجهان : أحدهما أن تجر به مجرى مروان فتعربه كما عرابه
 ولا تصرفه ؛ والثاني أن تلفظ التشية ، تقول في رفعه : جاءني وردان ، وفي نصبه رأيت
 وردين ، وفي جره مرت بوردين .

مَرَزْنَا مِنْهُ فِي حِسْتِي بِمَبْدٍ بِمَجِّ الثُّومِ مَنخِرُهُ وَفُوهُ (١)
أَشَدُّ بِعَرْسِهِ عَنِّي عَيْبِي فَأَتَلَفْتَهُمْ وَمَالِي أَتَلَفُوهُ (٢)
فَإِنْ شَقِيتُ بِأَيْدِيهِمْ جِيَادِي لَقَدْ شَقِيتُ بِمُنْصَلِي الْوُجُوهُ (٣)

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع فَنَا خُسْرَوْ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ مِائَةٍ :
أَوْهٍ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَهَاهَا لِيَنَّ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا (٤)

(١) مررنا منه بعبد : تجريد ، وحسمى موضع ، وقد مر . ومع الشراب والشيء من فيه يمجج مجا ومع به : رماه ولفظه ، وقد يستعمل في الأعراض ، كما قال القائل :

لَدَدْتُهُمُ النَّصِيحَةَ كُلَّ لَدَّةٍ فَمَجَّوْا التُّصْحَ مُمْ ثَنَوْا فَنَاءُوا

(الد : في الأصل أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شقيه ويوجر في الآخر الدواء في الصدف بين اللسان وبين الشدق) يقول : مررنا في هذا المكان من وردان بعبد قد أقم لؤما حتى إن أنفاسه لؤم ، أي لا يتكلم إلا بما يدل على لؤمه .

(٢) شد العبد : إذا هرب وأشدته غيره : هربه وأقصاه ، والعرس امرأة ، الرجل .

يقول : فرق عني عبيدي بسبب امرأته ، يعني أغرامم بالفجور بها و دعاهم إلى ذلك فأتلغهم لأنه حملهم على الفجور ، وهم أتلغوا مالي لأنهم أتلغوه على امرأته .

(٣) الجياد : الخيل ، وللنصل : السيف . وقوله : لقد شقيت أراد فلقد شقيت .

يقول : إن كانت خيلي قد شقيت بأخدم إياها فقد شق وجه الآخذ بسيفي ، يشير إلى العبد الذي ضربه بسيفه فأصاب وجهه ، وذلك أن عبيد له ركبا فرسين من خيله وأخذ أحدهما سيفا لأبي الطيب كان وردان قد طمع فيه وهربا . فأحس أبو الطيب بذلك ، فلحق أحد العبيد قتلته ونجا الآخر ، وقد تقدم ذلك في قافية الفاء .

(٤) أوه : كلمة تعجب قول :

فَأَوْهٍ لَدَّ ذِكْرَاهَا إِذَا مَا ذَكَّرْتَهَا وَمِنْ بَمْدٍ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَمَا

وواها : كلمة تعجب واستطابة ، قال أبو النجم .

وَاهَا لِرِيَاثِي وَوَاهَا وَوَاهَا

أَوْهٍ لِيْنٍ لَا أَرَى مَحَاسِنَهَا وَأَضْلُ وَأَهَا وَأَوْهٍ مَرَّآهَا^(١)
 شَامِيَةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا تُبْصِرُ فِي نَاطِرِي مَحْيَاهَا^(٢)
 فَقَبَّلْتُ نَاطِرِي تَمَاطُنِي وَإِنَّمَا قَبَّلْتُ بِهِ فَأَهَا^(٣)
 فَلَيْتَهَا لَا تَزَالُ آوِيَةً وَلَيْتَهُ لَا يَزَالُ مَأْوَاهَا^(٤)

ونأت : فارقت وبعدت . يقول : كنت أتعجب من وصلها — الحبيبة — وأستطيب قربها فصرت الآن أتوجع لفراقها ، فصار التأوه بديلا من التعجب والاستطابة ، وصار ذكرى إياها بديلا منها لى بعد أن فارقتنى ، ويجوز أن يكون معنى والبديل ذكرها : أن هذا البديل الذى هو التوجع ذكرى لها أى كلما ذكرتها توجعت وقلت أوه ، فقوله لمن نأت : أى لأجل من نأت .

(١) يقول : أتوجع لأنى لا أرى محاسنها ولو لم أرها لم أستطب قربها ولم أتوجع لفراقها ، أى وإنما أتانى هذان بسبب رؤيتها .

(٢) الناظر : العين أو إنسانها والهما الوجه . قال الواحدى : هذا يحتمل معنيين أحدهما : أنه يريد فرط قربها منه ، حق أنها منه بحيث ترى وجهها فى ناظره ، وهذا عبارة عن غاية القرب ، والآخر : أنه أراد حبها إياه ففى تنظر إلى وجهه وتدنون منه لحبه حتى ترى وجهها فى ناظره .

(٣) قال ابن جنى : معنى البيت أن الناظر — وهو موضع البصر من العينين — كالمرآة إذا قابله شيء أدى صورته ، فهو يقول : أوهمتنى أنها قبلت عيني وإنما قبلت فأها الذى رأته فى ناظرى ، ألا تراه قال تبصر فى ناظرى محياها ؟

(٤) يقول : ليت ناظرى مأواها أبدا ، وليتها لا تزال تأوى إلى ناظرى . يريد أنه يتمنى دوام قربها الذى ذكره . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أنه يرضى بأن يكون بصره مأواها من حبه إياها . يقول : لو أوت إلى ناظرى فأتخذته مأوى لما كان ذلك منأى . هذا : وقوله « آوية » رواها ابن جنى آويه واحتج للتذكير بأنه أراد لانزال شخصا آويه ، كما قال الآخر .

قَالَتْ وَتَبْكِيهِ عَلَى قَبْرِهِ
 تَرَهُ كَتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ
 مَن لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ
 قَدْ ذَلَّ مَن لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ
 أى تركتنى شخصا ذا غربة .

كُلُّ جَرِيحٍ تَزُجِي سَلَامَتَهُ إِلَّا فَوَادًا دَهْتَهُ عَيْنَاهَا^(١)
 تَبِيلُ خَدِّي كُلَّمَا ابْتَسَمْتُ مِنْ مَطَرٍ بَرَقَهُ تُنَايَاهَا^(٢)
 مَا نَفَضْتُ فِي يَدِي غَدَائِرُهَا جَعَلْتَهُ فِي الْمَدَامِ أَفْوَاهَا^(٣)
 فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الْحِجَالُ بِهِ عَلَى حِسَانٍ وَلَسْنٍ أَشْبَاهَا^(٤)

(١) دهته : أصابته ، و يروى رمته . يقول : من أصابته بينها فتيمة لم ترج سلامتة .

(٢) التنايا : جمع ثنية ، وهي السن في مقدم الفم . وهنا عثر ابن جني عثرة يرحم لها ، قال : دل بهذا البيت على أنها كانت مكبة عليه وعلى غاية القرب منه ، قال ابن فورجه أيقظنا وقتت عليه تبكي حتى سال دمعها عليه ؟ ومعنى البيت أن دموعي كالطر تبيل خدي ، كلما ابتسمت بكيت ، فكأن دموعي مطر برقه بريق تناياها إذا كان بكائي في حال ابتسامها كقوله :

* ظَلَّتْ أَبْيَكِي وَتَبَسُّمِ *

وكقول غيره :

أَبْيَكِي وَيَضْحَكُ مِنْ بَكَائِي وَلَنْ تَرَى مِجْمَا كَحَاضِرِ ضِحْكِ وَبُكَائِي
 ونحو هذا قول أبي بكر الخوارزمي :

عَذِيرِي مِنْ ضِحْكِ غَدَا سَبَبَ الْبُكَاءِ وَمِنْ جَنَّةٍ قَدْ أَوْقَعَتْ فِي جَهَنَّمِ
 (٣) الندائر : الضفائر ، وهي الذوائب من الشعر ؛ وللدام الحمر . والأفواه أخلاط الطيب ، واحدها فوه — بضم الفاء — يقول : إن غداؤها لكثرة ماضمختها به من الطيب صار ينتفض منها الطيب ، وإذا نفضت غداؤها الطيب في يدي طيبت به اللدام .

(٤) في بلد : هذه المحبوبة في بلد الخ . والحجال : جمع حجلة ، بيت كالحجة يزين بالثياب والأسرة والستور ، ويكون له أزرار كبار وهي حجلة العروس . يقول : هي في بلد فيه حسان كثيرات مخدرات لكنهن لا يشهنها في الجمال ، أي أنها تفضلهن في الحسن والجمال . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى أن كل واحدة منهن منفردة من الحسن بما لا يشاركها فيه غيرها فلا يشبه بعضهم بعضا .

لَقِينَنَا وَالْحُمُولُ سَاتِرَةٌ وَهْنٌ دُرٌّ فَذُبْنَ أُمُوَاهَا^(١)
 كُلُّ مَهَاةٍ كَأَنَّ مَقْلَتَهَا تَقُولُ إِيَّاكُمْ وَإِيَّاهَا^(٢)
 فِيهِنَّ مَنْ تَنْقَطِرُ السُّيُوفُ دَمًا إِذَا لِسَانُ الْمُحِبِّ سَمَّاهَا^(٣)
 أَحِبُّ خِصْمًا إِلَى خُنَاصِرَةٍ وَكُلُّ نَفْسٍ تُحِبُّ حَيَاهَا^(٤)
 حَيْثُ التَّقَى خَدُّهَا وَتُفَاحَ لُبِّ نَانَ وَتَغْرِي . عَلَى حَيَاهَا^(٥)
 وَصِفْتُ فِيهَا مَصِيفَ بَادِيَةٍ شَتَوْتُ بِالصَّخْصَحَانِ مَشْتَاهَا^(٦)

(١) الحمول : الإبل عليها الهوادج أكان فيها نساء أم لم يكن ، وأمواها : حال يقول : إن هؤلاء الحسان لقيننا وقد سارت الركاب بين وهن كالدر حسنا ونقاء وصيانة فصرن سرايا لما بعدن عنا ، وقال ابن جنى معنى : « فذبن أمواها » أجبرين دموعهن أسفا علينا ، وبعبارة : بكين لفرقتنا بدمع كثير حتى كأن أبدانهن قد ذابت وسالت دموعا . وقال الواحدي : يجوز أن يكون المعنى غبن عنا فإن الدر جامد ، والذوب يسيله ، وقال غيرها : إن المعنى نزلن في الوادي سائرات فاستجبن منا فذبن أمواها .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية تشبه بها المرأة الحسناء لحسن عينها . يقول : كل امرأة كأنها مهاة وكان مقلتها تقول للناظرين إليها احذروا أن تصيدكم وتسيبكم ، يعنى أنها مهابة صائدة لاصيدة .

(٣) فهن : أى فى كل مهاة . يقول : فهن من هى منبعة لايجرؤ العاشق أن يذكرها ولو هو ذكرها لقطرت السيوف دما ، لكثرة من يمنعه ويفار علمها ويحفظها بسيفه أى إذا ذكرها العاشق وكان له عشيرة تنصره شبت الحرب بين قومه وبين قومها فسالت الدماء .

(٤) حمص وخناصرة : بلدان بالشام . وحياها : موطن حياها . يقول : أحب حمص وما يلها إلى خناصرة لأنها موضع نشأتى وكل نفس تصبو إلى موطن حياتها وحيث نشأت .

(٥) الثغر : مقدم الفم . والحميا : الحمر أو سورتها . يقول : أحب هذين الوضعين حيث اجتمعت لى هذه الطيبات خد الحبيب وتغرى وتفاح الشام — وهو أحرر — وشرب اللدام .

(٦) صفت : أقت الصيف . وشتوت : أقت الشتاء والصحصحان : الأرض

١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤

المستوية الواسعة ، أو موضع . يقول : وأقت بها صيفا كصيف أهل البادية ، وأقت
 بالصحة صحتان شتاء كشتاء أهل البادية : أى طى رسم أهل البادية وعادتهم فى الصيد
 والغزو ونحوها مما ذكره فى الآيات التالية .

(١) الروضة : الأرض فيها بقل وعشب ؛ والحلة : اسم لبيوت وجماعة نزلوا بمكان
 وهذا البيت كالتفسير للذى قبله . يقول : إذا أعشب مكان رعينا ذلك المكان كعادة أهل
 البادية فى تتبع مساقط الغيث ، وإذا ذكر لنا قوم حلوا بمكان غزوناهم
 وأغرنا عليهم .

(٢) العانة : القطيع من حمر الوحش . ومقزعة : خفيفة مفرقة كالقزع ، وهى
 قطع السحاب ، ورواها ابن جنى مفزعة : يعنى أنها قد فزعت ، فهو أخف لها وأشد
 على قانسها . يقول : إذا ظهر لنا قطيع من حمر الوحش صدنا بآخر خيلنا أولاهها ،
 يعنى أن خيلهم سريعة تلحق آخرها أول القطيع ، وحمر الوحش توصف بسرعة العدو
 — الجرى —

(٣) المهجمة : القطعة من الإبل من أربعين فما فوق ، وكأس البعير يكوس : إذا مشى
 على ثلاث قوائم ، والشروب جمع شربت ، جمع غارب ، يريد الذين يشربون الخمر ،
 وعقراها جمع عقير — أى مقصور — أى البعير الذى قطعت إحدى قوائمه لينحر ،
 يفعلون به ذلك لئلا يشرد عن النحر ، يقول : إذا مررنا بقطيع من الإبل سلطنا عليه
 فعقرناه يمشى بين الشارين معرقبا .

(٤) يقول : والفرسان يتطاردون ويلعبون بالرماح ، فبعض خيلهم مطرود ،
 وبعضها طارد ، وهى تجر الطويل من الرماح والتقصير منها ، هذا : والطولى : تأنيث
 الأطول ، والتقصيرى : تأنيث الأقصر ، قالوا : وفعلى إذا كانت تأنيث أفعال ، مثل طولى
 وقصرى لا يجوز استعمالها إلا مضافة أو معرفة بلام التعريف ، وإن كان قد قرئ « وقولوا
 للناس حسنى » بغير تنوين فهو على إرادة الإضافة : أى حسنى القول ، وكذلك آتى فى
 شعر أبى نواس :

يُنَجِّبُهَا قَتْلَهَا الْكِمَاةَ وَلَا يُنْظِرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلَاهَا^(١)
وَقَدْ رَأَيْتُ الْمُلُوكَ قَاطِبَةً وَسِرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مَوْلَاهَا^(٢)

كَانَ صُفْرَى وَكَبْرَى مِنْ فِقَاقِمِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

أراد صفرى وكبرى فقاقمها ، على إسقاط حرف الجر .

(١) الكِماة : جمع كمي ، وهو البطل اللطيف بسلاحه ؛ ونظرها : يميلها ، أضاف
القتل إلى الخيل ، وهو يريد أصحابها ، يقول : يجب فرسان الخيل قتلهم الكِماة : أي
يسرون بقتلهم إياهم ولا يلبثون أن يقتلوا بدم لكثرة المغاورة وفسو الحرب وطلب
النأر : وقال ابن جنى : يجوز أن يكون المعنى على الإخبار عن الخيل - لا عن أصحابها -
أي يجب خيلنا قتل الكِماة ، ألا تراه يقول في موضع آخر :

تَحْمَى الشُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَأَنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ
فإذا جاز أن توصف الجمادات بأنها تحمى فالحيران الذي يعرف كثيراً من أغراض صاحبه
أحرى ، لأنه معلم مؤدب ، قال ابن جنى : أما قوله « ولا ينظرها الدهر بعد قتلها »
فالمعنى أنه إذا قتل الفارس عقرت بعده فرسه ، قال زياد الأحمج :

وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ لَهُ كَوْمَ الْهَجَانِ وَكُلَّ طَرْفِ سَابِجٍ^(١)
ورد ابن فورجة على ابن جنى قال : ليس هذا بشيء لأنه يريد بقتلها من قتلته وقتله

أصحابها ، فهو يريد خيل القاتلين لا خيل المقتولين ، والمعنى : أن أصحابها يهلكونها
بالتعب وكثرة الركض بعد الذين قتلهم فلا بقاء لها بدمهم . وبعد : فالمعنى على هذا أن
فرسانها يقتلون الكِماة عليها ولكنهم لا يلبثون أن يقتلوا الخيل أيضاً لأنهم يهلكونها
بكثرة الركض في الغارات أو لأنهم يحرقونها للأضياف .

(٢) قاطبة : أي جميعاً حال ، قال المعري : إن سيف الدولة أنشد هذه القصيدة فلما
بلغ إلى هذا البيت قال : ترى هل نحن في الجملة ؟

(١) بغير أ كوم وناقة كوماه : عظيمة السنام عاليه ، والهجان : الإبل البيض
السكرام ، يستوى فيه الذكر واللؤث والجمع ، يقال بغير هجان وناقة هجان
والطرف ، الفرس الكريم الأطراف ، يعني الآباء والأمهات ، والسابج : السريع في
مشبه كأنه يسبح .

وَمَنْ مَنَّا يَأْمُرُهُمْ بِرَأْحَتِهِ يَأْمُرُهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا (١)
 أَبَا شُجَاعٍ بِفَارِسٍ عَضَدَ الْدَوْلَةَ فَنَاصِرُو شَهْنَشَاهَا (٢)
 أَسَامِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَاهَا (٣)
 تَقُودُ مُسْتَحْسِنَ الْكَلَامِ لَنَا كَمَا تَقُودُ السَّحَابَ عُظْمَاهَا (٤)
 هُوَ النَّفِيسُ الَّذِي مَوَاهِبُهُ أَنْفُسُ أَمْوَالِهِ وَأَسْنَاهَا (٥)

(١) يقول : ومن منا يأمركم بكفه يصرفها فيهم كيف شاء ، فهو يجي من شاء منهم - من الملوك - أي يبقى عليه ، ويميت من شاء .

(٢) أبا شجاع : بدلا من قوله مولاها ، وشهنشاه : أي ملك الملوك ، وهو لقب بني بويه قال ابن جنى : هذا البيت على أنه قصر الوزن قد جمع فيه كنية المدوح وبلده واسمه ونعته وصماه بملك الملوك وهو من أحسن الجمع والمدح .

(٣) الأسماء جمع الأسماء جمع الاسم ونصب أساميا بإضمار فعل كأنه قل ذكرت أساميا دل عليه قوله ذكرناها . يقول : هذه الأسماء التي ذكرتها لم تزد معرفته فوق شهرته فهو مستغن عن التعريف وإنما ذكرتها استلذاذا بلفظها وصماها : قال ابن جنى : وهذا كلام النحويين في أحد ضربى الوصف تناوله منشورا فنظمه ، وذلك أنهم يقولون إنما يذكر الوصف للاسم إما للإيضاح كي يتميز عن غيره كتولك مررت بأبي محمد الكاتب وإما للإطناب والثناء كقولنا بسم الله الرحمن الرحيم ، فالوصف هنا لم يجيء للإيضاح لأن اسم الله تعالى لا يشركه فيه غيره فيحتاج إلى الوصف ؛ وإنما ذكر للإطناب في الثناء وكذلك قوله أساميا لأنه قال وسرت حق رأيت مولاها ، فقد علم أنه لا يخفى إلا أبا شجاع فإنما هو ثناء وإطناب وليس يريد التعريف لانه مجهول ، وإنما هو كما قال ذكرته استلذاذا للثناء عليه .

(٤) السحاب : اسم جمع ، يذكر ويؤنث . وعظماها : أي معظمها . يقول : إذا ذكرنا هذه الأسماء قادت لنا مستحسن الكلام في مدح صاحبها ، كما تقود السحابة العظمى سائر السحاب ، يريد أنها مشتملة على جل المعاني التي يبنى بها عليه ؛ لما فيها من الدلالة على شجاعة مسماها وشرف منزلته ، وعبارة الواحدى : هذه الأسماء محمولة على المعاني فهي ترجمتها تقود إذا ذكرت ما وضعت له فيحسن الكلام بها ؛ ويجوز أن يريد بتقودها مستحسن الكلام أنها سبقت إلى الذكرفى مقدمة معان أذكرها بعد وأصلها به ، كما نود معظم السحاب سائرهم - باقية -

(٥) كل شيء له قدر وخطر فهو نفيس : أي يتنافس فيه ويرغب ، وأسناها : أرفعها

لَوْ فَطِنْتُ خَيْلَهُ لِنَائِلِهِ لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا^(١)
لَا تَجِدُ الخُمْرُ فِي مَكَارِمِهِ إِذَا أَنْتَشَى خَلَّةً تَلَافَاهَا^(٢)
فَصَاحِبُ الرِّاحِ أُرِيحِيَّتَهُ فَتَسْقُطُ الرِّاحُ دُونَ أَدْنَاهَا^(٣)

وأشرفها ، يقول : إنه يهب أفضل أمواله . قال ابن جنى : قال بعض خزان عضد الدولة إنه كان قد أمر له بألف دينار عدداً ، فلما أنشد هذا البيت أمر بأن تبدل بألف موازنة فأعطى ألف مثقال .

(١) يقول : لو علمت خيله بجوده وفطنت إليه لم يسرها أن يرضاها للمدوح وأن تصيبه لأنه إذا رضىها وأعجبته وهبها لزم الريه مادام أنه يهب أفضل أمواله فتفارق مربطه وهي لا ترضى أن تتبدل به غيره .

(٢) انتشى : سكر . والخلة : الحصة والثلمة ؛ وعلافاها - بحذف إحدى التاءين - أى تلافها : أى تتداركها . يقول : هو قبل الشرب جواد فلا تزيده الخمر جوداً ؛ وليس في مكارمه خلة تلافها الخمر ، وأول هذا المعنى لحنرة :

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَأَمْ عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي
وقريب من هذا قول زهير :

أَخُو ثِقَةٍ لَا تَهْلِكُ الخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ
وقول أبي نواس :

فَتَى لَا تَلُوكُ الخَمْرُ شَحْمَةَ مَالِهِ وَلَكِنْ أَيَادِي عُودٍ وَبَوَادِي^(١)
وقول البحري :

تَكْرَمْتَ مِنْ قَبْلِ الكَثُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَمَنَّ أَنْ يُحَدِّثَنَّ فِيكَ تَكْرَمًا
والمصابي بيت المتن في بعض محاوراته فقال : ولقد آن الله في اقتبال الممرجوامع الفضل وسوغه في عنفوان الشباب حامد الاستكمال ؛ فلا نجد الكهولة خلة تلافها بتناول المدة وثلمة يسدها بمزايا الحنكة .

(٣) الراح : الخمر . والأريحية : الاهتزاز للمكرم والنشاط للجود . يقول : إذا اجتمعت الراح مع أريحيته فأدنى أريحيته يجلب من السخاء ما تجلبه الراح ، يريد أن فعل أريحيته فوق فعل الراح ، فلا تطبق الراح أن تسامى أريحيته فإذا سامتها سقطت دونها .

(١) لا تلوك : تروى « لا تذيب » ولا كه يلوكه : مضنه .

نَسْرُهُ طَرَبَاتُهُ كَرَائِنُهُ مُمُّ تَزِيلُ الشَّرُورَ عُقْبَاهَا (١)
 بِكَلِّ مَوْهَبَةٍ مُوَلَّوَلَةٍ قَاطِعَةٍ زَيْرَهَا وَمَشَاهَا (٢)
 تَعُومُ عَـوَمَ القِذَاةِ فِي زَبَدٍ مِنْ جُودِ كَفِّ الأَمِيرِ يَفْشَاهَا (٣)
 تُشْرِقُ تَيْجَانُهُ بِفِرْتِهِ إِشْرَاقَ الأَفَاطِهِ بِمَعْنَاهَا (٤)
 دَانَ لَهُ شَرْقَهَا وَمَغْرِبَهَا وَنَفْسُهُ تَسْتَقِيلُ دُنْيَاهَا (٥)

(١) طرباته : جمع طربة ، وهي الربة من الطرب ، وسكن راءها ضرورة ؛
 والكرائن : جمع كرينة ، وهي الجارية اللغنية . وقال ابن جنى : الكرائن :
 الأعواد . يقول : إذا طرب عند الشرب سر طربه جواريه اللغنيات بما يفيض عليهن من
 الأموال والمعطاي ؛ ثم تزيل عاقبة طربه سرورهن ، لأن أريحية الجود لا تزال
 به حتى يب الجوارى أيضاً فيخرجن عن ملكه فيزول سرورهن لذلك لأنهن
 لا يرضين فراقه .

(٢) بكل : متعلق بـ «تزيل» . وللولة : الداعية بالويل من شكل أو غيره والزرير :
 الوتر الدقيق من أوتار العود . وللثني : الوتر الثاني بعده يقول : يزيل سرورهن بكل
 جارية منهن يهبها وهي تولول جزئاً على فراقه وتقطع أوتار العود غضباً وأسفاً
 لزوال ملكه عنها .

(٣) تعوم : تسبح . والقذاة : واحدة القذى : ما يقع في العين أو الشراب من تبنة
 ونحوها . والزبد : الرغوة تطفو على وجه الماء . ويفشاه : يملوها . يقول : هذه الجارية
 التي وهبها تعد في جملة عطايها الجملة بمنزلة القذاة العائمة في بحر مزيد يملوها ويغلبها
 سائر مواهبه كما يملو الزبد القذاة ، وروى ابن جنى زبد - بكسر الباء - وهو الكثير
 الزبد لكثرة ماله .

(٤) غرته : وجهه . يقول : إذا وضع التاج على رأسه أشرق تاجه بإشراق وجهه كما
 تشرق أفاظه بمائها .

(٥) دان له : خضع وأطاع . والضميران في شرقها ومغربها : يعودان على
 الدنيا وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرينة ، يقول : أطاعه أهل الشرق والغرب
 ودانوا له ونفسه تستقل جميع الدنيا ، قال الواحدي : وكذا كان يقول عضد الدولة :
 سيفان في غمد محال ، يعني أن الدنيا يكنى فيها ملك واحد وكان يقصد أن يستولى على
 جميع الدنيا .

تَجَمَّعَتْ فِي فَوَادِهِ مَمَمٌ مِلَهُ فَوَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا (١)
 فَإِنْ أَنَى حَظَهَا بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا (٢)
 وَصَارَتِ الْفَيْلِقَانِ وَاحِدَةً تَفَرُّ أَحْيَاؤُهَا بِمَوْتَاهَا (٣)
 وَدَارَتِ النَّسِيدَاتُ فِي فَلَكَ تَسْجُدُ أَعْمَارُهَا لِأَبْيَاهَا (٤)

(١) يقول : قد اجتمع في فواده هم لعظمتها تملأ الزمان إحداها ، وإذا كان الزمان - مع سعته - لا يسع إلا إحداها لم يظهر باقي همه ، إلا أن يقع اتفاق ، كما ذكر في البيت التالي ، هذا : والهمم جمع همه ، وأصل الهمة من الهيم ، وهو الديب ، وهمت الهوام ، طى وجه الأرض : إذا دبت ، فالهم بهم في القلب أى يدب ، قال ساعدة بن جؤية الهذلي يصف سيفاً :

تَرَى أَثْرَهُ فِي صَفْحَتَيْهِ كَأَنَّهُ مَدَارِجُ شِبْثَانَ لَهْنٍ مِمْ

[الشبثان جمع شبث ، وهو العنكبوت]

(٢) يقول : فإن أنى حظ همه بزمان أوسع مما ترى أظهر تلك الهمم ، يعنى أن همه يضيق عنها هذا الزمان فإن صدف وجود أزمنة أوسع من الزمان الذى نحن فيه أبداها في تلك الأزمنة ، وقال ابن جنى : الضمير في « حظها » للدنيا أى أن الدنيا إن كان لها حظ فأناها زمان أوسع من زمانها الذى هو فيه : أظهر هذا للمدوح همه .

(٣) الفيلق : الجيش ، وأنته باعتبار الكتبية والجماعة ، قال ابن جنى : أى شن الغارة في جميع الأرض - عند إظهار تلك الهمم - نخلط الجيش ، فصارا - لاختلاطهما - كالجيش الواحد ، وتكثر الأحياء منهما بالوتى ، قال ابن فورجه يرد على ابن جنى - ليس أبو الطيب من ذكر الغارة وشنها في شيء ، وإنما هو يقول قبل هذا البيت في فواده همم إحداها أعظم من فؤاد الزمان ، فهو لا يبيدها ، لأنه لا يجد زمانا يسعها ، فإن قضى لها وجاء حظها وبخنها بأزمنة أوسع من هذا حينئذ يظهر تلك الهمم ويجتمع أهل هذا الزمان وأهل تلك الأزمنة ، ويصيران شيئاً واحداً وتضيق الأرض بهم حتى يمتد جيهم بيمينهم للزحمة وكثرة الناس ، ومثل هذا في ذكر الزحمة وقوله أيضاً :

سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنْفَعًا بِهَا مِنْ جَيْثَةٍ وَذُهُوبٍ

(٤) قال الواحدي : أراد بالزيرات والأقار : ملوك الدنيا إذا عادوا واجتمعوا في زمان

الْفَارِسُ الْمُنْتَقِي السَّلَاحُ بِهِ الْمُنْتَقِي عَلَيْهِ الْوَعْيُ وَخَيْلَاهَا^(١)
 لَوْ أَنْكَرْتَ مِنْ حَيَاتِهَا يَدَهُ فِي الْحَرْبِ آثَارَهَا عَرَفْنَاهَا^(٢)
 وَكَيْفَ تَخْفَى الَّتِي زِيَادَتُهَا وَنَاقِعُ الْمَوْتِ بَعْضُ سِيَاهَا^(٣)
 الرَّاسِعُ الْمُنْذِرُ أَنْ يَنْبِيَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَأَبْنَائِهَا وَمَاتَاهَا^(٤)

واحد ، وأراد بأبهاها عضد الدولة ، ومعنى سجود الأتقار : خضوع الملوك له ، فحينئذ
 يبدى همه ، وعبارة ابن جنى : شبه الجيوش لما اختلط بعضها ببعض بفلك تدور فيه
 نجومه ، وشبه ملوك الجيوش بالأتقار ، وشبه عضد الدولة بالشمس ، لأنه أشرفهم وأشهرهم
 وتسجد : تذلل وتخضع والضمير في أبهاها يعود على النيرات .

(١) السلاح : نائب فاعل للمنتقى ؛ والوعى : الحرب ، وهى فاعل للمنتقى وخيلاها :
 ثنية خيل . يقول : هو الفارس الذى يتقى به السلاح ، أى يتوقى به جيشه سلاح
 الأعداء ، يريد أنه يتقدم الجيش إلى الأعداء ، ويدفع السلاح عنهم كما يروى عن طى قال :
 كنا إذا احمر البأس اتقينا برحول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أقربنا من العدو .
 وتثى عليه الحرب لما تشاهد من بأسه وحذقه ، وأراد بقوله خيلاها — أى خيل
 الوعى — : خيله وخيل العدو ، يعنى أن العدو أيضا يثى عليه لأنه يرى من
 شجاعته وإقدامه ما لا يسهه إنكاره ، وقال ابن فورجه : يتقى به السلاح أى
 لا يعمل معه شيئاً .

(٢) يقول — كما قال الواحدى — لو أن يده أنكرت جراحاتها لعرفنا أنها من آثار
 يده لأن غيره لا يقدر على مثلها — يريد أن ضرباته تعرف من ضربات غيره وكذا طعناته —
 والمراد باليد صاحبها ، لأن اليد لا توصف بالإنكار ولا بالجاء .

(٣) قال الواحدى : المراد بالزيادة — هنا — السوط ، وهو مأخوذ من قول
 للرار الفقىسى .

وَلَمْ يُلْقُوا وَسَائِدَ غَيْرِ أَيْدٍ زِيَادَتُهُنَّ سَوِّطٌ أَوْ جَدِيلٌ

والناقع من اللوت الكثير ، والناقع الثابت . يقال سم ناقع : إذا كان ثابتاً فى نفس
 شاره حتى يقتله . وسهاها علامتها . يقول : كيف تخفى اليد التى سوطها يقتل به فكيف
 سيلها ؟ يعنى كيف تخفى آثار يد سوطها وللوت به من علاماتها ، أى أن من
 ضربه بسوطه قتله .

(٤) أى ينبئ : أى فى أن ينبئ ، وتاه : يته تكبر وتعظم . يقول : لو أنه تاه على

لَوْ كَفَرَ الْمَالُونَ نَفَمَتَهُ لَمَا عَدَّتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا (١)
 كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَعِي بِمَا صَنَعَتْ مَنفَعَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا (٢)
 وَلِ السَّلَاطِينِ مَنْ تَوَلَّاهَا وَانْجَأَ إِلَيْهِ تَكُنْ حُدَيَّاهَا (٣)
 وَلَا تَقْرُنْكَ الْإِمَارَةُ فِي غَيْرِ أَمِيرٍ وَإِنْ يَهَا بَاهِي (٤)
 فَإِنَّمَا الْمَلِكُ رَبُّ مَمْلَكَةٍ قَدْ فَقَمَ الْخَافِقِينَ سَرِيَّاهَا (٥)

الدنيا وتكبر على أهلها لسكان له العذر الواسع لظهور مزيتها عليهم ، ولكنه لم يفعل ذلك ، وفي مثل هذا يقول الآخر :

وَمَا تَزِدْ هِينَا الْكِبْرِيَاءَ عَلَيْهِمْ إِذَا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزَرًا

(١) كفر : جحد . وعدت :جاوزت : والسجايا : الطباع والأخلاق يقول : لو أن إنعامه قوبل من الناس بالكفران ولم يشكروه له لم يترك الإحسان إليهم ولا ترك نفسه ما جبلت عليه من السجايا الكريمة لأنه لا يجود للشكر حتى إذا لم يشكر قطع المطاء وإنما يجود بطبعه كما قال بشار

لَيْسَ يُغْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَاللِّخْوِ فِي وَلَكِنْ يَلْدُ طَقْمِ الْقَطَاءِ

(٢) ضرب له المثل بالشمس فإن أكثر منافع الدنيا إليها تجور ومنها تحصل ثم هي لا تبتغي - لا تطلب - بصنعها منفعة عند الناس ولا جأها وذلك أنها مسخرة لتلك المنافع . كذلك هو - للمدوح - مطبوع على الجود والكرم

(٣) حدياها معارضاتها وهو في الأصل اسم من تحدها إذا باراه ونازعه الغلبة ويقال أنا حدياك في هذا الأمر أي ابرزلى فيه وحدك وجارنى قال عمرو بن كلثوم :

حُدَيًّا النَّاسِ كَلَّمْتُمْ جَمِيعًا مُقَارَعَةً بَيْنِهِمْ عَن بَيْنِنَا

يقول : كل أمر اللوك إلى من يتولاهم ، أى لا نخدمهم ودعمهم ومن يتولاهم ويخدمهم ويواليهم والجا إلى المدوح تكن مثل اللوك . وهذا من قول بعض الواعظين : يا عبد الله صانع وجهها واحداً تقبل عليك الوجوه كلها .

(٤) في غير أمير حال من الإمارة ، و«إن» وصلية ؛ والجملة حال من «غير» وبأهى فاخر . يقول : لا يفرنك منصب الإمارة فيمن ليس بأمر حقيقه وإن فاخر بها ، أى فهو الأمير على الحقيقة ، أما من عدها فهو أمير مجازاً .

(٥) الملك : بسكون اللام تخفيف ملك بكسرهما ، ويقال فعمته الرائحة إذا ملأت

مُنْتَمِسٌ وَالْوُجُوهُ عَابِسَةٌ سِلْمُ الْمِدَى عِنْدَهُ كَمَنْجَاهَا (١)
النَّاسُ كَالْعَابِدِينَ أَلْمَهُ وَعَبْدُهُ كَالْمَوْحِدِ اللَّهُ (٢)

خياشيمه والحقاقان : أفقا للشرق وللغرب ، والريا الريح الطيبة يقول : إن الملك على الحقيقة هو الذى ملأ ذكر مملكته الدنيا شرقا وغربا ، وشاع الثناء عليه فيها ، مثل المدوح ، ونتم : يروى فعم أى ملأ ، ويقال أفعم المسك البيت أى ملأه بريجه ، وفعمت للمرأة ضامة وفعموة وهى فعمة : استوى خلقها وغلظ ساقها ، وساعد فعم ، ومخلخل فعم قال :

فَعَمٌ تَخْلُجَاهَا وَعَثٌ مُؤَزَّرُهَا عَذْبٌ مَقْبَلُهَا طَعْمُ السِّدَا فَوْهَا (١)
وأفعمت الرجل : ملأته غضبا .

(١) كمنجهاها : كحربها ، يقول : لشجاعته وثقته بقوته يحقر أعداءه ، ولا يكثر لهول الحرب وشدتها ، فإذا كانت الوجوه طابسة لشدة الحال وضيق الأمر كان هومبتسا ضاحكا ، وصلح الأعداء وحربهم عنده سواء

(٢) يعنى بعبده : نفسه . يقول : الناس فى خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة من دون الله لأنه هو الملك على الحقيقة وغيره من اللووك زور وأنا فى اقتصارى على خدمته دون غيره كمن يوحد الله ولا يشرك به ، وعبرة ابن جنى : الناس الذين فى طاعة غيره كأنهم يعبدون آلهة مختلفة ، وعبيده الذين يطيعونه كأنهم اللوحدون لله لا يفركون به فلا يرجون سواه ومن يخدم سواه لم تنفعه تلك الخدمة كالذين يعبدون آلهة مختلفة .

(١) الوعث : اللين ، والسدا ههنا : البلع الأخضر ، واحدته : سداة وقيل هو الصل من قولهم سدت النحل تسدو سدا .

قافية الباء

وفارق أبو الطيب سيف الدولة ورحل إلى دمشق وكتبه الأستاذ كافور بالمسير إليه ، فلما ورد مصر أخطى له كافور داراً وخلع عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم ، فقال يمدحه وأنشده إياه في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

كَفَى بِكَ دَاءَهُ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا^(١)
تَمَنِّيَتْهَا لَمَّا تَمَنَيْتَ أَنْ تَرَى صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا^(٢)
إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلَا تَسْتَعِدَّنِ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا^(٣)

(١) كفى بك : معناه كفاك ؛ والباء زيدت ههنا في للفعول كما زاد في الفاعل نحو كفى بالله : وداء : تميز . وأن ترى : فاعل كفى ، والأمانى : جمع أمنية ، الشيء القوي تمناء ، والأصل فيها التشديد وتخفيفها لغة ، يقول مخاطباً نفسه -- : كفاك داء رؤيتك للموت شافياً ، أى إذا أفضت بك الحال إلى أن تمنى للمنية -- الموت -- فذلك غاية الشدة وإن داء شفاؤه للموت أفسى الأذواء ، وللمنية إذا صارت أمنية فهي غاية البلية ، وفارقة الخطوب ، والمعنى كفاك من أذية الزمان ما تمنى معه الموت :

(٢) تمنيتها : أى المنايا . وأعياء الأوس : أعجزه . والمداجى : المدارى السائر للعداوة واشتقاقه من الدجى : أى الظلمة . يقول : تمنيت المنية -- الموت -- لما حاولت الظفر بصديق مصاف فأعجزك أو عدو مداج فلم تظفر به ، وعند عدم الصديق المصافى والعدو المداجى يتمنى المرء المنية لأنها حالة من اليأس يصعب معها البقاء . قال الواحدى : هذا تفسير الداء المذكور في البيت الأول

(٣) استعده : حاول أن يتخذ عدة له ؛ والحسام : السيف القاطع . والجماني المنسوب إلى اليمن . يقول -- : مخاطباً نفسه -- : إنما يتخذ السيف ليرفع به القل ؛ فإذا رضيت أن تعيش ذليلاً فما تصنع بالسيف الجماني تعده ؟ قال ابن جني : استعمل الهم موضع الاستفهام الذى استعمله غيره في قوله :

فَلِمَ طَالَ حَمَلِي جَمَنَهُ وَبِحَادَهُ إِذَا أَنَا لَمْ أَضْرِبْ بِهِ مَنْ تَعَرَّضَا
(٢٧ - الننى ٤)

وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرَّمَاحَ لِغَارِقِهِ وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِثَاقَ الْمَذَاكِيَا^(١)
 قَمَا يَنْفَعُ الْأَسَدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى وَلَا تُتَّقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا^(٢)
 حَبَبُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا^(٣)

(١) الاستطالة والاستجادة بمعنى اختيار الطويل والجيد، والعناق: الخيل الكريمة والمذاكي: الخيل القرح التي قد تمت أسنانها. يقول: ولا تتخذن الرماح الطويلة للغارة ولا تتخذن الخيل الكرام، أي إذا رضيت أن تعيش ذليلا، لأن هذه إنما تتخذ لنفي الذل.

(٢) الطوى: الجوع. وتتقى: تحذر، وضرى السكب بالصيد: تعوده ولهج به ولم يكذبصر عنه وروى عن عمر: إن للحم ضراوة كضراوة الخمر أراد أن له - للحم - عادة طلاقة لأكله كعادة الخمر مع شاربها وذلك أن من اعتاد الخمر أسرف، في النفقة حرصا على شربها وكذلك من اعتاد اللحم لم يكذبصر عنه فدخل في باب المسرف في نفقته وقد نهى الله عن الإسراف. وهذا البيت حث على الوقاحة والتجليل^(١) وقد ضرب المثل بالأسد يقول: إن الأسد إذا لزم عرينه حياء ولم يصد لم يجد حياؤه وبقي جائعا غير مهيب وإنما يهاب ويتقى إذا كان ضاريا مفترسا حريصا على الصيد

(٣) قلبي: منادى، ونأى: بعد. يقول - لقلبه - : أحببتك قبل أن تحب أنت هذا الذي بعد عنا - يمرض بسيف الدولة - وقد كان غدارا فلا تغدر بي أنت، أي لا تمكن مشتاقا إليه ولا محبا له، أي فإنك إن أحببت الغدار لم تف لي، وقال ابن جنبي يعاتب قلبه على حينه إلى من فارقه: « هذا » و « حبيت » لفة في أحببت، يقال حبه يحبه - بالكسر - فهو محبوب قال الجوهري وهذا شاذ لأنه لا يأتي في المضاعف تفعل - بالكسر - إلا وبشرکه يفعل بالضم إذا كان متمديا ما عدا هذا الحرف، وأنكر بعضهم أن يكون هذا البيت لفصيح، وهو قول غيلان بن شعاع النهشلي:

أَحِبُّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْزَقُ
 فَأَقْسِمُ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمَشْرِقُ^(٢)

(١) التجليل: الإقدام الشديد، والتصميم في الأمر والمضي
 (٢) وكان عياض منه أدنى ومشرق: هي رواية أبي العباس البرد وقد رواه غيره.

وَأَعْلَمُ أَنْ الْبَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ فَلَسْتَ فَوَّادِي إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِيًا (١)
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُذِرَتْ بِرَبِّهَا إِذَا كُنَّ لِأَثَرِ الْعَادِيَيْنِ جَوَارِيًا (٢)
إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا أَمَالٌ بَاقِيًا (٣)

« وبعد » فإن الأثر أكثر أحبه فهو محب وهو محبوب على غير قياس وقد قيل محب على القياس قال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذًا في الشعر قال عنتره :

وَلَقَدْ نَزَلْتُ فَلَا تَطُئِي غَيْرَهُ مَنِيَّ بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ

(١) البين : البعد ، وأشكيت فلانا : إذا فعلت به فعلا يحوجه إلى الشكوى ، وأشكيتته أيضا : إذا أعتبته وأزات شكواه ، فهو من الأضداد قال الراجز يصف إبلا قد أنعمها السير فهي تلوى أعناقها تارة وتمدها أخرى وتشكى إلينا فلا نشكها ، وشكواها فغلبها من سوء الحال والمزال فيقوم ذلك مقام كلامها ، قال :

تَمُدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَمْدِنِيهَا وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَّهَا نُشْكِيهَا
* مَسَّ حَوَايَا قَلِمًا نَجْفِيهَا * (١)

والمراد هنا الأول . يقول - لقلبه - : اعلم أنك تشكو فراقه لإفكك إياه . ثم هدده فقال : إن شكوت فراقه تبرأت منك .

(٢) غدر : جمع غدور ؛ وأصله بضم الدال وإسكانها لغة ؛ وربها : صاحبها وإثر : أى فى إثر ، نصبه على الظرفية ، والغادين : يروى الظاعنين . يقول : إذا جرت الدموع على فراق الغادين كانت غادرة برها - أى صاحبها - لأنه ليس من حق الغادر أن يبكى على فراقه ، فإذا جرت الدموع فى إثره وفاءه كان ذلك الوفاء غدر بصاحب الدموع ، يريد لا ينبغي أن تنفى لغادر .

(٣) يقول : إذا لم يتخلص الجود من المن به - وهو المراد بالأذى - لم يحصل الحمد

* ولا كان أدنى من عبید ومُشْرِق *

فيكون فيه إقواء

(١) الحوايا جمع حوية وهى كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب . وقلما نجفها أى قلما ترفع الحوية عن ظهرها يقال جفا السرج عن ظهر الفرس وأجفيتها إذا رفضته عنه

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَقَى أَكَانَ سَخَاءَ مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيًا^(١)
أَقْلٌ أَشْتِيَاقًا أَيُّهَا الْقَلْبُ رُبَّمَا رَأَيْتَكَ تُصْنِي الْوُدَّ مِنْ لَيْسَ جَازِيًا^(٢)

ولم يبق للمال ، لأن المال يذهب به الجود والاذى - أى اللن - يطل الحمد ، فالمان بما يعطى غير محمود ولا مأجور ، وكان هذا المعنى ينظر إلى قوله تعالى « لا تبطلوا صدقاتكم باللن والاذى » و« لا » فى البيت عاملة عمل « ليس » ومن ثم نصب خبرها كما فى بيت سعد بن مالك :

من صدّ عن نيرانها فأنا ابن قيس لا برّاح^(١)

(١) التساخى : تكلف السخاء : وقوله أكان سخاء الخ : بدل اشتغال من اللق ، وكان الوجه أن يقول : أسخاء كان ، على ما هو من حكم الاستفهام بالمهمزة ، فقدم وأخر لضرورة الوزن . والسخاء وكذا السخاوة : الجود ، قال الأحيانى : يقال : سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى سخاء وسخوة قال الجوهري : وقول عمرو بن كلثوم :
مُسْفَعَةً كَأَنَّ الْحُمْصَ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِيًا^(٢)

أى جدنا بأموالنا . يقول : إن أخلاق الإنسان تدل عليه فيعرف جوده أطبع هو أم تطبع ، قال ابن جنى : جمجم عما فى قلبه من إفراط العتب ولم يصرح به قال العكبرى وهذا من قول الحكيم : تغير الأفعال التى تأتى غير مطبوعة أشد انقلابا من الرجح المبوب .

(٢) تصفى : تخلص . يقول - لقلبه - : لا تشتق إلى من فارقت ، فإنك تحب من ليس بجازيك بالحب ، كما قال البحتري :

لَقَدْ حَبَبْتُ صَفَاءَ الْوُدِّ صَائِنَهُ هَنَّى وَأَقْرَضْتُهُ مِنْ لَأِ بِجَازِيَنِ

فقوله أقل اشتياقا وإن كان أمرا من الإقلال إلا أنه أراد به النهى عن الاشتياق : لا تقلبه . هذا : ويجوز فى أقل فتح اللام وكسرهما : فالفتح طلبا للخفة مع التضعيف ، والكسر لأجل كسرة القاف فأتبع الكسرة الكسرة .

(١) سعد بن مالك شاعر جاهل والبيت من أبيات مذكورة فى الحماسة وقد تقدمت فى هذا الشرح مع تفسيرها

(٢) وقيل سخينا من السخونة ، نصب على الحال ، والبيت من معلقة عمرو وقد أسلفنا شرحه .

خُفْتُ أُلُوفًا لَوْرَحْتُ إِلَى الصَّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بَا كِيَا^(١)
وَلَكِنِّ بِالْفُسْطَاطِ بِحَجْرًا أُرْزَتْهُ حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالْهَوَى وَالْقَوَايَا^(٢)
وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا فَبِتْنِ خِفَانَا يَتَّبِعُنَ الْعَوَالِيَا^(٣)

(١) رحلت : رواها بعضهم رجعت . قال الواحدى : هذا البيت رأس في صفة الألف ، وذلك أن كل أحد يتمنى مفارقة الشيب وهو يقول : لو فارقت شيبى إلى الصبا لسكيت عليه لإلفى إياه إذ خلقت ألوفا : قال ابن جنى : هذا شرح لما قبله ودليل على أنه فارق ذاما لأنه جملة كالشيب : أى لو فارقت الشيب القديم برحيل إلى الصبا وهو خير حياة الإنسان لكان ذلك الفراق موجعا لقلبي مبيكيا لعينى .

(٢) الفسطاط : اسم مدينة مصر قديما ، وأصله البيت من الشعر وفيه لغات فسطاط وفسطاط وفسنطاط وكسر الفاء لغة فهين : وأرزته : تعدية زار والماء مفعول ثان مقدم وحياتى مفعول أول . ونصحى : إخلاصى . والقوايا القصائد يقول : ولكن فى الفسطاط بحرا - يعنى كافورا - قد هون على فراق إلفى لما فيه من الحماد التى تنسى من فارقه ، فزرتة بحياتى : أى لقضاء باقى أيامى عنده وحملت إليه نصحى ومودتى وشعرى ، وعبارة الواحدى : ذكر فى البيت الأول أنه ألوفا لما يصحبه فى أى حال وإن كانت مكروهة ثم استثنى فقال لكفى على هذه الحالة من الألفة قصدت مصر وحملت هواى والنصح والشعر على زيارة جواد هناك كالبحر .

(٣) جردا : عطف على حياتى ، يريد : خيلا ، قصار الشعر وهو مما يمدح فى الخيل والقنا : الرماح . والعوالى : جمع عالية وهى صدر الرمح مما يلى السنان يقول : وأرزته خيلا مددنا رماحنا بين آذانها فباتت تتبع عوالى الرماح فى سيرها ، كما قالت ليلى الأخرية :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ قُبْلًا تُبَارِي بِأَلْحُدُودِ شَبَا الْعَوَالِي^(١)

(١) الأقبل الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ، وهذا البيت قالته ليلى فى فائض بن أبى عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل وبعده :

نَسِيتَ وَصَالَهُ وَصَدَدْتَ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَرْبُ عَنْ الظَّلَالِ
الأرب الكثير شعر الدراعين والحاجبين والعينين ولا يكون الأرب إلا نفورا لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات فإذا ضربته الريح نفر .

تَمَاشَى بِأَيْدٍ كَلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُرَاةِ حَوَافِيَا^(١)
 وَتَنْظُرُ مِنْ سُودِ صَوَادِقَ فِي الدُّجَى يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَأَهْيَا^(٢)
 وَتَنْصِبُ لِلْجَرَسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا يَخْلَنَ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيًا^(٣)
 مُجَادِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً كَأَنَّ عَلَى الْأَفْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيًا^(٤)

(١) تماشى - بحذف إحدى التاءين - أى تماشى . والصفاء : الصخر . والبراة : جمع باز ؛ وحوافيا : حال ، جمع حاف . يقول : إن هذه الجرد تمشى بأيد إذا وطئت الحجارة آرت فيها مثل صدور البراة ، وجعلها حوافى مبالغة فى وصف حوافرها بالشدة والصلابة ، يعنى أنها بلا نعال تؤثر فى الصخور بحوافرها ، وهذا منقول من قول الراجز :

يَرْفَعْنَ فِي الرَّكْضِ أَمَامَ الشُّبُقِ حَوَافِرًا كَأَتَمَنِيرِ الْمُفَلَقِ

* يَنْقُشْنَ فِي الصَّخْرِ صُدُورَ الزُّرْقِ *

[الزرق : البازى ، وقيل طائر بين البازى والباحق] .

(٢) وتنظر : تروى وينظرن . ومن سود : أى من عيون سود ، وصوادق : تربها الأشياء على حقيقتها ، والدجى : جمع دجية ، وهى ظلمة الليل يقول : إنها ترى الأشباح البعيدة عنها كما هى - لصدق نظرها - فى ظلمة الليل ، والحيل توصف بحدة النظر ، ولذلك قالوا : أبصر من فرس فى غلس . وعبارة الشعراخ : وتنظر هذه الجرد من عيون سود صوادق فما تنظره فى ظلمة الليل ترى الشخص البعيد كبيتته من القرب وذلك بخلاف العادة ، لأن الشخص إذا أبصر من بعيد شيئاً صغر فى عينه .

(٣) الجرس : الصوت الخفى . وسوامعاً : أى آذانا ، جمع سامعة . ويخلن : يحسبن . وللنجاة : السرار والحديث الخفى . والتنادى : أن ينادى بعض القوم بعضاً . يصفها بحدة السمع كما وصفها فى البيت السابق بحدة النظر . يقول : ويصدق حس سمعها حتى تسمع الصوت الخفى فتصب له آذاناً - كماداتها إذا أحست بشيء - تكاد تلك الآذان تسمع ما يناجى به الإنسان ضميره ، فكأنه عندها كالتناداة ، لحدة حس آذانها .

(٤) يريد فرسان الصباح : فرسان الغارة ، وذلك أن الغارة تقع عادة وقت الصبح أخفل ما يكون الناس فصار الصباح اسماً للغارة . والأعنة : جمع عنان سير الجمال ، وهى

بِعِزْمٍ يَسِيرُ الْجَنَسُ فِي السَّرَجِ رَاكِبًا بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجَنَسِ مَاشِيًا^(١)
قَوَاصِدٌ كَافُورٍ تَوَارِكٌ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِيَا^(٢)

مفعول ثان لـ «تجاذب». يقول: إن هذه الخيل — لما فيها من القوة والنشاط — تجاذب فرسانها أعتتها ثم شبه أعتتها في طولها وامتدادها بالحيات وهذا منقول من قول ذي الرمة يصف ناقه.

رَجِيئَةٌ أَسْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا شُجَاعٌ لَدَى بُسْرَى الذَّرَاعَيْنِ مُطْرَقٌ^(١)
(١) بعزم متعلق بمحذوف: أي سرنا بعزم ونحو ذلك؛ وبه: أي بالعزم يقول: سرنا بعزم قوى كأن الجسم وهو مقيم في السرج يسبق السرج وكان القلب وهو مقيم في الجسم يسبق الجسم لقوة العزم على السير وعبارة ابن جنى: لقوة العزم يكاد القلب يتحرك عن موضعه، ولو تحرك في الحقيقة لمات صاحبه، وفي معناه لأبي تمام:

مَشَتْ قُلُوبُ أَنْاسٍ فِي صُدُورِهِمْ كَمَا رَأَوْكَ تُمَشِّي نَحْوَهُمْ قَدَمَا
وطريق أبي تمام أسلم، لأنه ذكر تحرك القلب في موضع الشدة المهلكة؛ إلا أنهم يقولون: انخلع قلبه فمات؛ والمعنى: لقوة عزمنا إذا سار الفارس في سرجه سار قلبه في جسمه؛ يعني ذكاهه وتيقظ فؤاده، فكان قلبه ماش في جسده.

(٢) قواصد: حال من الجرد، والسواقي: جمع ساقية؛ وهي النهر الصغير يقول قصدا بها كافوراً وتركنا غيره من الملوك؛ لأنه كالبحر وغيره كالساقية، وهذا من قول البحرى:

وَلَمْ أَرَ فِي رَنْقِ الصَّرِيِّ لِي مَوْزِدًا فَحَاوَلْتُ وَرَدَ الْفَيْلَ عِنْدَ احْتِفَالِهِ
«الصرى: نهر» روى أن سيف الدولة لما سمع بيت المتنبي هذا قال: له الويل أ جلفي ساقية وجعل الأسود بجرأ. قال العكبرى: وإذا كان للتنبي قصد هذا فلقد أبان عن نبض عهد وقلة مروءة؛ لأنه مدح خلقاً فلم يعطه أحد ما أعطاه على بن حمدان - سيف الدولة - ولا كان فيهم من له شرفه وفضله لأنه عربي من سادات

(١) الرجيمة والرجيع من الإبل: ما رجته من سفر إلى سفر وهو ألكال والشجاع: الأفي.

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بِيَاضًا خَلْفَهَا وَمَا قِيَاً^(١)
نَجْوَزَ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي تَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالْأَيَادِيَاً^(٢)

تغلب عالم بالشعر ، ولم يمدح مثله في الشرف والحسب إلا محمد بن عبد الله الكوفي الحسنى .

(١) إنسان العين : ناظرها . وهو اللثال الذى يرى في السواد . والمآقى جمع مآق والمآق والموق: طرف العين مائل الأنف، والملاحظ طر: فها مائل الأذن؛ قال الواحدي جعله إنسان عين الزمان كناية عن سواد لونه وأنه هو المعنى المقصود من الدهر وأبناؤه وأن من سواء فضول لاحاجة بأحد إليهم فإن البصر في سواد العين وما حوله جفون ومآق لامعنى فيها ، وعبرة التبريزى : شبه الناس بياض العين لأنه لا ينتفع به في النظر وجعل كافوراً إنسان العين لأن الخاصية فيه . قال ابن جنى : وهذا البيت في معناه قول ابن الرومى :

أَكْسَبَهَا الْحُبُّ أَنَهَا صُيِفَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ^(١)

ولأن الشيء يذكر بالشيء فمن بديع ما فضل به السواد على البياض قول ابن قلاقس :

رُبَّ سَوْدَاءَ وَهِيَ بَيِّضَاهُ مَتْنَى نَافَسَ الْمِسْكَ عِنْدَهَا الْكَافُورُ

مِثْلَ حَبِّ الْعُمَيْونِ يَحْسِبُهُ النَّأَا ظِرُّ سَوَادًا وَإِنَّمَا هُوَ نُورُ
هذا : وإذا أردت التوسع في الكلام على اللوق وما فيه من اللغات وتعميقه فارجع إلى لسان العرب .

(٢) نجوموز : تنخطى ، وعليها : أى الحيل ؛ والأيدى : النعم ؛ ولعله يريد بالمحسنين سيف الدولة وعشيرته . يقول : هذه الحيل تنخطى عليها الذين أحسنوا إلينا إلى الذى

(١) من أبيات جيدة لابن الرومى فى وصف سواد حسناء يقول فيها :

سَوْدَاءَ لَمْ تَنْتَسِبْ إِلَى بَرَصِ الشِّ قَرٍ وَلَا كَلْفَةَ وَلَا بَهَقَ

لَيْسَتْ مِنَ الْعَبَسِ الْأَكْفِ وَلَا لَالَةَ لَمَحِ الشِّفَاهِ الْخَلْبَائِثِ الْعَرَقِ

بَلْ مِنْ بَنَاتِ الْمَلُوكِ نَاعِمَةَ تَنْشُرُ بِاللِّدْلِ مَيْتَ الشُّبْقِ

إلى آخر الأبيات :

فَتَى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا تُرَجَّى التَّلَاقِيَا^(١)
 تَرَفَّعَ عَنْ عُونِ الْمَكَارِمِ قَدْرَهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَدَارِيَا^(٢)
 يُبِيدُ عَادَاوَاتِ الْبِقَاةِ بِالطَّفَةِ فَإِنْ لَمْ تَبِيدْ مِنْهُمْ أَبَادَ الْأَعَادِيَا^(٣)

يحسن إليهم وينعم عليهم ، يعنى كافورا ، يريد أنه فوقهم ، ومثل هذا مما يؤخذ على النبي إذ يدل على عدم وفائه فضلا أنه لم يكن للأسود على سيف الدولة ولا قومه إحسان ، وقال بعضهم : إنما أراد تتخطى عليها أناسا في ولاية الأسود نرى عليهم إحسانه - خلعهم وعطاياهم - ولو أنه قال :

* نرى عنده إحسانهم والأياديا *

على معنى تتخطى سيف الدولة وعشيرته إلى الذى نرى عنده إنعامهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ، أى نرى عنده إحسان الجميع : أى لأن إحسانه هو وحده يفتى غناء إحسانهم مجتمعين - لكان عسى أن يكون مقبولا وكان في باب الشعر معسولا .

(١) السرى هنا : السير مطلقاً ، وزجى ؛ في موضع الحال : تقديره مرجين ، فسرفه إلى الاستقبال . قال الواحدى : يريد أنه كان رجوا لقاءه مذ قديم ، حين كان ينتقل في أصلاب آباته ، وقال بعضهم : مراده بالجدود : الحظوظ واستعمار لها ظهوراً لأنه جعلها مكاناً يسرى فيه كما يسرى على ظهر الأرض ، أو أخذاً من ظهر الدابة كأنه يقول ما قطعنا مسافات حظوظنا للراضية حتى انتهينا إلى عصر ملكه إلا ونحن رجوا أن نلقاه ونجعل تلك المسافات طريقاً إليه . هذا ؛ و « قى » قال العكبرى : يجوز أن يكون في موضع جر بدل من قوله إلى الذى ، ويجوز أن يكون في موضع رفع بتقدير « هو الذى » ويجوز أن يكون في موضع نصب بدل من قوله : إنسان عين زمانه ؛ أو تصد قى .

(٢) العون : جمع عون ، وهى خلاف البكر ، وهى التى بين السنين فوق البكر ودون الفارض ؛ والفعلات : جمع فعلة ، المرة من الفعل وسكن عنها للضرورة .
 والعذارى : جمع عذراء ، البكر التى لم يمسه بعل . يقول : هو أجل قدراً من أن يفعل فى المكرمات فعلا قد سبق إليه وإنما أتى بالمكرم ابتداءً واختراعاً كما قال أيضاً
 يَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ

(٣) البقاة : جمع باغ ، وهو العتدى ؛ يقول . يسلم سخائم الأعداء برقعه وتلطفه لهم فإن لم تذهب أعتادهم وعداوتهم أبادهم وأهلكهم .

أَبَا الْمِسْكِ ذَا الْوَجْهِ الَّذِي كُنْتُ تَائِقًا إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتِ الَّذِي كُنْتُ رَاجِعًا^(١)
 لَقَيْتُ الْمَرُورِيَّ وَالشَّنَاخِيْبَ دُونَهُ وَجُبْتُ هَجِيرًا يَبْزُكُ الْمَاءَ صَادِيًا^(٢)
 أَبَا كُلِّ طَيْبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَحَدَهُ وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أَحْصُ الْفَوَادِيَا^(٣)
 يَدُلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلِّ فَاخِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا^(٤)

(١) أبو المسك : كنية كافور لسواده . وذا - في الشطرين - إشارة وهو مبتدأ خبره ما بعده ، وتاق إليه : نزع واشتاق . يقول : وجهك الذي أراه هو الوجه الذي كنت أشتاق إليه ، وهذا الوقت الذي أنا فيه هو الوقت الذي كنت أرجو إدراكه ؛ يعنى وقت لقائه .

(٢) المرورى : جمع المروراة ، وهى الفلاة الواسعة ، والشناخيب : جمع شخوب وشنخاب ، وهى ناحية الجبل المشرفة ، وفيها حجارة ناتئة ، وقال الجوهرى : شناخيب الجبل : رءوسه ، وجبت : قطعت ، والهجير : حر نصف النهار والصادى : العطشان ، يذكر ما لقي من التعب فى الطريق إليه ، وما قاسى من حر المواجه التى تيبس الماء ، والماء لا يكون صاديا لكنه مبالغة ، وإذا عطش الماء فحسبك به ، قال ابن جنى : هذا مما ينقلب هجاء ، لأن دونه ودون هذا الوجه ما ذكر من الشدة ، فكأنه يريد عظم مشافره وغلظها ، ووجهه وقبحه كقولك لئن لقيت فلانا لثقتين دونه الأسد : أى مثل الأسد ، ويؤكدده قوله لما هجاء « وأسود مشفره . . . البيت » وقلماسلم له شعر من هذا .

(٣) كل سحاب : عطف على «أبا» أى ويا كل سحاب ؛ ولأن تجمعه عطفًا على كل الأول : أى ويا أبا كل سحاب ، والفوادي جمع غادية وهى السحابة التى تنتشر صباحًا .

(٤) أدل عليه : وثق بمحبته فأفرط عليه ، وفلان يدل عليك بصحبته إدلالًا ودلالًا ودالة ، أى يجترى عليك ، كما تدل الشابة على الشيخ الكبير بجهالها . يقول : كل ذى غفر إنما يفخر بمنقبة واحدة ، أما أنت فقد جمع الله لك جميع المناقب والمفاخر ، كما قال أبو نواس :

كَأَنَّمَا أَنْتَ شَيْءٌ حَوَى جَمِيعَ الْمَعَانِي

قال ابن جنى : لما وصلت إلى هذا البيت ضحكك وضحك المتنبي وعرف غرضي

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَّ بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَّ (١)
 وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلِكًا لِلْعِرَاقَيْنِ وَالْيَا (٢)
 فَقَدْ تَهَبُ الْجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَازِيَا لِسَائِلِكَ الْفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَا (٣)
 وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجْرَبٍ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا (٤)

(١) يقول: إنما يجود الجواد ليحصل له العلو والشرف بالجود، وأنت تعطي من تعطيه وتشرفه بمطانتك فالأخذ منك يكسب الآخذ شرفاً ويعلى عمله، كما قال أبو تمام:

مَا زِلْتُ مُنْتَظِرًا أَعْجُوبَةً زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالَ يَجْتَنِي شَرَفًا
 قال الواحدى: ويجوز أن يريد بقوله «تعطى المعالي» أنه يب الواليات والأمر التي يشرف بها الناس فالمعالي من عطاياها كما قال البحرى:

وَإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ يَهَبُ الْعَلَى فِي تَيْلِهِ الْمَوْهُوبِ
 وقال ابن جنى - وكان يسيئ الظن بدائع التنبي في كافور، ويحاول أن يحيلها هجاءً: المعنى: عطاؤك يعلى محل أخذه، وهذا مما يمكن قلبه، يريد: إذا اتفق لك كسب معلاة انسلخت منها. لأنك لا تحسن تديرها، فكانت قد سلمتها إلى من يحسن تديرها، فهم يقيم عنده.

(٢) غير كثير: خبر مقدم عن الصدر المتأول بعده؛ والراجل: الماشى على رجله والملك بسكون اللام تخفيف ملك بكسرهما، والعراقان: الكوفة والبصرة، وقيل المراد عراق العرب وعراق العجم، قال ابن جنى: هذا ظاهره أن من رآك استفاد منك كسب المعالي وباطنه أن من رآك على ما بك من النقص - وقد صرت إلى هذا العلو - ضاق ذرعه أن يقصر عما بلغت وأن لا يتجاوز ذلك إلى كسب للكارم، وكذلك إذا رآك راجل لا يستكثر لنفسه أن يرجع واليا على العراقين لأنه لا يوجد أحد دونك وقد بلغت هذا، وهكذا يأبى ابن جنى إلا أن يجعل لظاهر شعر التنبي - الذى يمدح به كافورا باطنا وأن يحيل المدح هجاء، وليس يبعد على مثل أبى الطيب وهو من هو دهاء أن يكون ذلك مقصده وابن جنى أدري الناس به وبمراميه.

(٣) العافى: السائل واحد العفاة. يقول: إذا غزاك جيش أخذته فوهبته لسائل واحد أتاك يسألك، يصفه بالشجاعة والجود.

(٤) المجرّب: - بالكسر - الذى قد جرب الأمور وعرفها وبالفتح الذى جربته

الأُمور وأحكمته ، إلا أن العرب تكلمت به بالفتح ، وفانيا : مفعول ثانٍ ليرى . يقول أنت تحتقر الدنيا احتقار من جربها فعرّفها وعلم أن جميع ما فيها يفي ولا يبقى ولذلك تمها ؛ ولا تدخرها ، وقوله وحاشاك : استثناء مما يفي ، ذكر هذا الاستثناء تحسينا للكلام واستعمالا للأدب في مخاطبة الملوك ؛ قال الفكبري : « وحاشاك » من أحسن ما خوطب به في هذا الموضع والأدباء يقولون هذه اللفظة حشوة ولكنها حشوة فستق وسكر ، ومثلها في الحشوات قول عوف بن علف :

إِنَّ السَّمَانِينَ وَبُلَّتَهُنَّ قَدْ أُحْوَجَّتْ سَمِي إِلَى تَرْجُحَانِ (١)

(١) من أبياته التي يقال إنه ارتجلها حين دخل على عبد الله بن طاهر فلم عليه عبد الله فلم يسمع وأعلم بذلك فارتجل هذه الأبيات :

يا ابنَ الذي دانَ له الشَّرَفَانُ طرّاً وقدَ دانَ له المَغْرِبَانُ
وبعدَه : البيتُ وبعدَه :

وبدلتني بالشطاطِ انحناً
وبدلتني من زماعِ الفتى
وقاربتُ مني خطاً لم تكن
وأنشأتُ بيني وبين الورى
ولم تدعُ في المنستمعِ
أدعوه به الله وأثنى به
فقرّباني بأبي أنتما
وقبل منماى إلى نسوة

وكنْتُ كالصمّدةِ تحت السنانِ
وهمتي همّ الجبانِ الهدانِ
مقارباتِ وثنتِ من عنانِ
عنانةٍ من غير نسجِ العنانِ
إلا لسانِي وبجسِي لسانِ
على الأميرِ المصمبيّ الهجانِ
من وطئى قبل اصفرارِ البنانِ
أوطأها حرانُ والرقتانُ

« الشطاط : حسن القوام ، والصمّدة : القناة المستوية ، والزماع : المضاء في الأمر والهدان : الوحمة الثقيل في الحرب ، والعنان : السحاب واحده عناة يشير إلى ضعف بصره ، مكانه يرى من وراء سحابة . والهجان : الكريم واصفرار البنان : كناية عن الموت . »

وَمَا كُنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْمَلِكَ بِالْمَنَىٰ وَلَكِنْ بِأَيَّامِ أَشْبَهَ النَّوَاصِيَا^(١)
 عِدَاكَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيَا وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا^(٢)
 لَبِستَ لَهَا كُدْرَ الْمَجَاجِ كَأَنَّمَا
 تَرَىٰ غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَىٰ الْجَوَّ صَافِيَا^(٣)
 وَقُدَّتْ إِلَيْهَا كُلُّ أُجْرَدٍ سَاجِحٍ يُؤَدُّ بِكَ غَضْبَانًا وَيَبْنِيكَ رَاضِيَا^(٤)

(١) المنى : جمع منية ، وهى ما يتمنى . والنواصي : جمع ناصية شعر مقدم الرأس . والمراد بالأيام : الوقائع ومنه قول تعالى « وذكروهم بأيام الله » قال المفسرون : يريد وقائع الله فى الأمم الخالية . يقول : لم تدرك الملك بالمنى والاتفاق ، ولكن بالسمى والجهد والوقائع الشديدة التى تشيب نواصي الأعداء وهذا من قول البحترى :

فَتَىٰ هَزَّ الْقَنَا فَحَوَىٰ سَنَاءَ بِهَا لَا بِالْأَحَاطِي وَالْجُدُودِ
 ومثله قول يزيد المهلبى :

سَعَيْتُمْ فَأَدْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَعْيِكُمْ وَأَدْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالْمَقَادِرِ
 وله أيضاً :

إِذَا قَدَّمَ الشَّلْطَانُ قَوْمًا عَلَى الْهَوَىٰ فَإِنَّكُمْ قُدُمْتُمْ بِالْمَنَاقِبِ
 (٢) الضمير فى « تراها » للأيام . والمراد جمع مرقة وهى الدرج التى تكون فى السلم . قال ابن جنى : أى تمتد فى العالى أضعاف اعتقاد الناس فبحسب ذلك يكون طلبك لها وشحك عليها ، قال الواحدى : والمعنى — على ما قال ابن جنى — أن أعداءك يرون الأيام والوقائع مساعى فى الأرض لأنك تستفتح بها البلاد وتستضم الأطراف — وأنت تراها مراقي فى السماء ، لأنك بها تنال ذروة العلاء والمجد .

(٣) المجاج جمع عجاجة : وهى القبرة . وكدر : جمع أكدر وهو من إضافة الوصف إلى الموصوف . يقول : لبست للحروب والوقائع عجاجا — غبارا — مظلما كأنما ترى صفاء الجو أن لا يصفو من الغبار ، أى أنت أبدا تثير غبار الحرب ، وكأنك إذا رأيت الجو صافيا رأيت غير صف لكراهيتك لصفائه من الغبار .

(٤) كل . أجرد : أى كل فرس أجرد — أى قصير الشعر — والساجح السريع العدو كأنه يسبح فى جريه . ويثنيك : يصفرك ويردك . يقول : وقدت إلى الحروب والوقائع كل فرس يورثك الحرب وأنت مغيظ محقق على العدو غضبان ويصدرك راضيا بما أدركت من المطلوب يظفرك بأعدائك .

وَنُخْتَرَطِ مَاضٍ يُطِيعُكَ أَمِيراً

وَيَعْنِي إِذَا اسْتَنْذَيْتَ لَوْ كُنْتَ نَاهِيًا^(١)

وَأَمْرَ ذِي عَشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِدًا وَيَرْضَاكَ فِي إِيْرَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيًا^(٢)

كِتَابٍ مَا أَنْفَكْتُ تَجْوُسُ عَمَائِرًا مِنْ الْأَرْضِ قَدْ جَاءَتْ إِلَيْهَا فَيَافِيًا^(٣)

(١) نخترط : عطف على أجرد . وأراد بالختراط السيف المنتضى السلول وأمرأ : حال من المخاطب . يقول : وحملت إليها كل سيف إذا أمرته بالقطع أطاعك فمضى في الضريبة وإن نهيته واستنذيت أحدا من أعدائك أو نهيته عن قتلهم بعد الاستثناء منهم عصاك فلم يستثن ولم يكف حتى يأتي عليهم لسرعة نفاذه في الضريبة .

(٢) وأمر : يريد رمحا أممر ذا عشرين كعبا أو ذراعا . وواردا : حال من الهاء في ترضاه وقوله في إيْراده الخيل . أى في إيْرادك إيْاه الخيل . وكل رمع إذا أوردته خيل الأعداء ترضاه واردة لدماهم ويرضاك ساقيا له منها فهو أهل لأن يرد الدماء وأنت أهل لأن تورده إيْاهها . فكل منكرا راض عن صاحبه . والمراد بالخيل فرسانها ، والبيت منقول من قول عبد الله بن طاهر في السيف :

أَخُو تَقَّةِ أَرْضَاهُ فِي الرُّوْعِ صَاحِبًا وَفَوْقَ رِضَاهُ أَنْتِي أَنَا صَاحِبُهُ
أى هو يرضى بي أيضا صاحبا فوق الرضا

(٣) كتاب : إما قرأتها بالرفع على تقدير لك كتاب ، أو ما انفكت لك كتاب وإما بالنصب على أنها بدل من قوله كل أجرد وما يليه لأن الكتاب تكون فيها هذه الأشياء . والكتائب : جمع كتيبة القطعة من الجيش . وتجوس تتخلل وتدوس . والعمائر : جمع عمارة والعمارة أصغر من القبيلة ، وقيل الحمى العظيم الذى يقوم بنفسه ينفرد بظفنها وإقامتها ونجحتها ، وهى من الإنسان الصدرسمى الحمى العظيم عمارة بعمارة الصدر قال الأخنس بن شهاب التغلبي :

لِكُلِّ أَنْاسٍ مِنْ مَعَدَّةِ عِمَارَةٍ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَأُونَ وَجَانِبٌ^(١)

(١) عمارة بدل من أناس ، والعروض الناحية ، يقال : أخذ فلان فى عروض ما يعينى أى فى طريق وناحية ، يقول : لكل حى حرز إلا بنى تغلب فإن حرزم السيوف ومن رواء عروض - بضم العين - جملة جمع عرض وهو الجبل .

غَزَوْتَ بِهَا دُورَ الْمُلُوكِ فَبَاشَرْتَ سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالْمَعَانِيَا (١)
 وَأَنْتَ الَّذِي تَنْشَى الْأَسِنَّةَ أَوْلاً وَتَأْنِفُ أَنْ تَنْشَى الْأَسِنَّةَ ثَانِيَا (٢)
 إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهَةً فَسَيْفُكَ فِي كَفِّ تَزِيلِ النَّسَاوِيَا (٣)
 وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَأَكَ لِنَسَلِهِ فِدَى ابْنِ أَخِي نَسَلِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا (٤)
 مَدَى بَلِّغَ الْأُسْتَاذَ أَفْصَاهُ رَبُّهُ وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَاهِيَا (٥)

ومن الأرض : لك أن تجعلها حالاً مقدمة عن فيافيا . والفيافيا : الفاويز والقلوات يقول : إن لك كتائب أو قدت كتائب لا تزال تتخلل وتدوس القبائل للغارة بعد أن قطعت إليها القلوات البعيدة ، يعنى أن كتائبه لا تزال تأتى الأعداء للغارة عليهم .

(١) بها : أى بالكتائب . والسنايك : أطراف الحوافر . والهلمات : الرؤوس . والمعانى : جمع مغنى وهو المنزل يعنى - يقيم - به أهله . يقول : غزوت بهذه الكتائب ديار الملوك حتى قتلتم ؛ فوطئت خيلك رؤوسهم وديارهم ، ودور الملوك يروى : دون الملوك ، فيكون الضمير فى هوماتهم للماثر ويكون المعنى : غزوت الماثر دون الملوك لأن الملوك سواك لم تغزهم إذ ليس لهم إقدامك وشجاعتك .

(٢) تنشى : تأنى ، والأسنة : نصال الرماح ، وأنف من الشيء : استنكف واستكبر يقول : إنه أول من يأتى الحرب وأول من يبارز فيأتى الطعان سابقاً ، ويأنف أن يأتيه ثانياً لأول سبقه .

(٣) الكريهة : الشدة فى الحرب . يقول : إذا طبعت - صنعت - المهند سيفين فجعلتهما سواء فى الحدة والمضاء فالسيف الذى يصاحبك ويكون فى كفك يكون أمضى لأن كفك تزيل تساويهما بشدة الضرب .

(٤) سام : هو ابن نوح ، ويقال إن البيض من ولده ، وأن السود من ولد أخيه حام ، ومن قول خبر مقدم وفدى ابن أخى الخ . مبتدأ مؤخر وهو حكاية القول ، ولنسله صلة القول . يقول : لورآك سام بن نوح من لكان قوله لنسله فدى ابن أخى ولدى ونفسى ومالى ، أى أنه لنجابتة وفضله لو رآه سام لفضله على نسله وجعل نفسه وإياهم فدى له .

(٥) المدى : الغاية . وهو خبر محذوف . يريد ما ذكره من محامده ، والأستاذ الرئيس . قال الجواليقي : واصطلحت العامة إذا عظموا الحصى أن يخاطبوه بالأستاذ وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذى هو الصانع - وقد حرفت فى مصر إلى الأستاذى -

دَعْتُهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْمَلَا وَقَدْ خَافَ النَّاسُ النَّفْسَ الدَّوَاعِيَا (١)
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرُونَهُ وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكْرُمُ نَائِيًا (٢)

* * *

ودخل على كافور بعد إنشاده هذه القصيدة وابتسم إليه الأسود ونهض فلبس
نعلا فرأى أبو الطيب شقوفاً برجليه وقبحاً ، فقال يهجوهُ :

أُرِيكَ الرِّضَا لَوْ أَخَفَّتِ النَّفْسُ خَافِيًا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيًا (٣)
أَمِينًا وَإِخْلَاقًا وَغَدْرًا وَخِيسَةً وَجُبْنًا أَشْخَصًا لَحْتُ لِي أُمُّ مَخَازِيًا (٤)

لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم كأنه أستاذ في حسن الأدب . وأنصاه : أبعدهُ ،
ونفس : عطف على ربه . يقول : إن الذي ذكرته من مناقبه مدى بلغه الله غايته
ونفسه التي تأبى فيما تطلبه إلا أن تبلغ نهايته .

(١) دَعْتُهُ : أى النفس ، و «إلى» متعلق بدعته أو لبهاها على طريق التنازع . يدول
دعته نفسه إلى المجد فللبهاها وأجابها ، أما غيره . فإذا دعته نفسه إلى المجد فإنه لا يجيبها ؛
لأنه لم يأت ما يكسبه المجد والشرف من الجود والشجاعة والأخلاق الحميدة كما أتاها
هو ، فغيره عاجز عن إدراك ما تدعوه إليه نفسه .

(٢) نَائِيًا : أى بعيداً مفعول ثان ليرونه . يقول : إنه أصبح فوق اناس فهم يرونه
بعيداً عنهم رتبة وإن كان تكبره يقربه منهم كالشمس بعيدة أما ضوءها فقريب .

(٣) الخافي : ضد الظاهر . يقول : لو أخفت النفس ما فيها من كراهتك لأريتك
الرضى ، أى لو قدرت على إخفاء ما في نفسى من البغض لك والكره لاقصدك لكدت
أريك ارضى ولكنى لست براض عن نفسى فى قصدى إليك ، ولا عنك أيضاً لتقصيرك
فى حقى .

(٤) اللين : الكذب . والإخلاف : خاف الوعد ، وهذه المصادر كلها منصوبة
بعوامل من لفظها محذوفة وجوباً ، أى أمين مينا وتخاف إخلاقاً وتغدر غدرًا ، وهلم
جرا ، والمخازى : جمع مخزية : وهى الفعلة القبيحة يخزى صاحبها : أى يذل ، يقال :
خزى الرجل يخزى خزيًا : إذا وقع فى بلية وشر وشهرة فذل بذلك وهان ، ويقال فى
الحياء : خزى يخزى خزيًا وخزيت فلانا إذا امتحيت منه ، ورجل خزيان وامرأة
خزيا ، وهو الذى عمل قبيحا فاشتد لذلك حياؤه وخزايته ، قال تأبط شراً :

تَنْظُنُّ ابْنِسَامَاتِي رَجَاءً وَغَيْبَطَةً وَمَا أَنَا إِلَّا ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا^(١)
وَتُعْجِبُنِي رِجْلَاكَ فِي الْفَعْلِ إِنِّي رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إِذَا كُنْتَ حَافِيَا^(٢)
وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَلْوَنُكَ أَسْوَدٌ مِنَ الْجَهْلِ أَمْ قَدَّصَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا^(٣)
وَيُذَكِّرُنِي تَخْيِيطُ كَعْمِيكَ شَقَّهُ وَمَشِيكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا^(٤)

فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتُ خَزَيَانُ يَنْظُرُ^(١)
يقول : أجمع بين هذه المخازي ؟ كما تقول العرب أحسفا وسوء كيلة : أى أجمع
بين سوء الكيلة وإعطاء الحشف ؟ ثم قال : أنت شخص ظهرت لى أم محاز ؟ أى
كانك محاز ومقابح لاجتماعها فيك وحصولها منك .

(١) الغبطة : السرة وحسن الحال . يقول : إذا ابتسمت ظننت ابتسامي رجاء لك
وغبطة بقربك . وإنما أنا أضحك من رجائي لثلك ومثلك لا يرجى .

(٢) يقول : إني أعجب منك إذا كنت ناعلا لأنني أراك إذا كنت حافيا ذا نعل
لماظ جلد رجلك ، وقوله تعجبني : استحسان تهكم ، فهو من التعجب يريد أنك تلبس
النعال تشبها بالترفيع كأنك تتأذى من المشى بدونها مع أن لك من جلد رجلك نعالا ،
وإننى : إما بكسر الهمزة على الاستئناف وإما بفتحها على معنى لأننى .

(٣) يقول : بعد أحرزت الملك لا تدري لجهلك هل لونك أسود كما كنت تعرف
أو صار أبيض ، أى ليس يبعد أن تتوهم أنك قد أشبهت البيض فى اللون كما توهمت أنك
أشبهتهم فى الترف .

(٤) يقول : كلما رأيت تخييطك لكعبك ذكرنى الشقوق التى كانت بهوقت ما كنت
مجلوبا ، وذكرنى الأيام التى كنت فيها تمشى عاريا ، وقوله فى ثوب من الزيت :
فقد ذكروا أن مولاه كان زياتا وأن الأسود كان يحمل الزيت عاريا ويمشى متلطحاً به
فكأنه فى ثوب من الزيت ؛ وقال ابن فورجه : يعنى أنه كان أسود إلى لون الصفرة كلون
الزيت وأهل العراق يسمون من كان غير مشبع السوداء زيتيا ، أى أنت فى حال كونك
عاريا فى ثوب من الزيت لأنك حبشى . هذا : وقد اعتسف الشراح فى إعراب هذا
البيت اعتسافا أشفقنا عليهم منه ، وهو من الوضوح بحيث ترى ففاعل يذكر تخييط
وشقه : مفعول ثانٍ ليدكر ، ومشيك عطف عليه .

(١) من أبيات ، أنظرها فى حماسة أبى تمام .

وَلَوْلَا فَضُولُ النَّاسِ جِئْتِكَ مَادِحًا
فَأَصْبَحْتَ مَسْرُورًا بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ
فَإِنْ كُنْتَ لَا خَيْرًا أَفَدْتُ فَإِنِّي
وَمِثْلَكَ يَوْمِي مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ
بِمَا كُنْتُ فِي سِرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيًا^(١)
وَإِنْ كَانَ بِالْإِنْشَادِ هَجْوُكَ غَالِيًا^(٢)
أَفَدْتُ بِلِحْظِي مِشْفَرِيكَ الْمَلَاهِيًا^(٣)
لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الْحِدَادِ الْبَوَاكِيًا^(٤)

(١) الفضول : تعرض الإنسان لما لا يعنيه . يقول : أنا أهجوك في سري وإن مدحتك ظاهراً ؛ فلولا ما طبع عليه الناس من الفضول لأظهرت هجاءك وقلت إنى أمدحك به فكنت لا تفطن لذلك ولا تفرق بين اللدج والهجاء ، ولكن الناس فيهم فضول فهم كانوا يقولون هذا الذي أتاك به هجاء لا مدح .
(٢) هذا تفرغ على البيت الذي قبله . يقول : كنت تسر بإنشادي هجاءك إذ تظنه مديحاً وإن كان هجوك يغلو بالإنشاد ، أى أن الإنشاد كثير عليك لأنك أقل قدراً من أن تهجى وينشد هجاؤك .

(٣) مشفريك : أى شفتيك الشبهيين بمشفرى البعير فى اللفظ ، وأفدت فى المصراع الثانى : إما بمعنى استفتت ، وإما على معنى أفدت نفسى فىكون المفعول الأول مقدرأ . ولحظى : أى رؤيتى . يقول : إن كنت لم تغدنى خيراً فى مقامى عندك ولم تحسن إلى فإننى استفتت للملاهى برؤيتى شفتيك أو أفدت نفسى للملاهى بلحظى مشفريك ، وقوله لا خيراً أفدت : أى لا أفدت خيراً ، أدخل «لا» على الماضى من غير تكرار وهو مسموع فى الشذوذ .

(٤) ربات الحداد : أى الثالكات اللباسات الحداد — وهى ثياب سود يلبسها النساء الثالكات — حزناً ، وروى الواحدى : ربات الحجال . والحجال الستور . يقول إنك عجب من رآه ضحك ، ومثلك يقصد من البلاد النائية ليعجب من غرابة منظره ، وتغلبى به النساء الثالكات لأنهن إذا رأينه غلبهن الضحك فلمهن بذلك عن الحزن والأسى ، والبيت كما ترى يقرر به ما ذكره فى الآيات قبله . قال ابن جنى : وقد صرح فى هذا البيت بجميع ما كان أخفاه فى مدحه بقوله فى إحدى مدائحه الكافورية :

وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدَعَاةٍ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ

تم الديوان والشرح بمون الله وتوفيقه

المسح فہرست

فہرست الجزء الرابع

من شرح دیوان التنبی

تابع قافیة اللام
مطلع القصيدة :

الصفحة

۳	كدهواك كل يدعى صحة العقل جهل
۱۵	إتلت فإنا أيها الطلل الإبل
۲۷	ما أجدر الأيام واليالي ومالي

قافية الليم

۴۳	ساجه	وفاؤكما كالربع أشباه طاسمه
۶۱	الغمام	أين أزمعت أيهذا الغمام
۶۷	دائم	أنا منك بين فضائل ومكارم
۶۹	متيم	إذا كان مدح فالنسب المقدم
۸۰	سقم	واحر قلباه بمن قلبه شبم
۹۱	الألم	المجد عوفى إذ عوفيت والكرم
۹۳	النمام	قد سمعنا ما قلت في الأحلام
۹۴	المسكارم	على قدر أهل العزم تأتي العزائم
۱۰۹	غمام	أراع كذا كل لللوك هام
۱۱۵	لسهامه	أيا راميا بسمى فؤاد مرامه
۱۱۸	والقديما	رأيتك توسع الشعراء نيلا
۱۱۹	حمامي	ذكر الصبا ومراتع الآرام
۱۲۹	القسم	عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم
۱۴۳	أنجما	كفى أرانى وبك لومك ألوما
۱۵۰	كم	إلى أى حين أنت فى زى عمرم

مطلع القصيدة :

الصفحة

١٥٠	باللم	ضيف ألم برأسى غير محتمم
١٦٢	مقامى	أيا عبد الإله معاذ إني
١٦٤	السكرم	إذا ما شربت الخمر صرفاً مهناً
١٦٥	الخرطوم	وأخ لنا بعث الطلاق ألية
١٦٥	السقم	ملامي النوى في ظلها غاية الظلم
١٧٩	القدم	أحق عاف بدمعك الهمم
١٩٠	اللاثام	فؤاد ما تسليه المدام
٢٠٢	منهم	نرى عظامها بالبين والصد أعظم
٢١٤	فقسلم	أجارك يا أسد الفردائس مكرم
٢١٥	ألسا	مانقلت في مشية قدما
٢١٥	لاينام	لا افتخار إلا لمن لا يضام
٢٢٦	حلمنا	ألا لا أرى الأحداث حمداً ولا ذماً
٢٣٦	المعالم	أنا لأئمى إن كنت وقت اللوائم
٢٤٤	معظما	حييت من قسم وأفدى المقسا
٢٤٤	والإعلام	غير مستنكر لك الإقدام
٢٤٥	النجوم	إذا غامرت في شرف مروم
٢٤٧	أسلم	لهوى النفوس سريرة لاتعلم
٢٦١	هيناما	روينا يا ابن عسكر الهاما
٢٦٣	الغمام	أعن إذنى تهب الريح رهواً
٢٦٣	ميمم	فراق ومن فارقت غير مذمم
٢٧٢	الكلام	ملومكما يجمل عن الملام
٢٨٠	والجلم	من أية الطرق يأتى نحوك السكرم
٢٨٢	الهموم	أما في هذه الدنيا ككرم
٢٨٣	اسمه	يذكرنى فاتكاً حله
٢٨٥	قدم	حتام نحن نساوى النجم في الظلم
٢٩٦	ديما	قد صدق الورد في الذى زعما

قافية النون

٢٩٩	الإذنا	زور دياراً مانحاً لها منفى
٣٠٣	صوانها	ثياب كريم ما يصون حسانها
٣٠٥	ومحمدونه	حجب ذا البحر بحار دونه
٣٠٧	الثاني	الرأى قبل شجاعة الشجعان
٣١٧	والوسن	أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى
٣٢١	الزمان	قضاة تعلم أنى الفتى الذى
٣٢٤	وإعلاني	كتمت حبك حتى منك تكرمه
٣٢٥	ويبنى	إذا ما الكأس أرعشت اليبين
٣٢٧	ما اعلنا	الحب ما منع الكلام الألسنا
٣٤٠	تكوين	يابدر إنك والحديث شجون
٣٤١	الفطن	أفاضل الناس أغراض لنا الزمن
٣٥١	أحزاننا	قد علم البين منا البين أجفانا
٣٦٢	إجنان	زال النهار ونور منك يوهنا
٦٦٢	الحيزران	ما أنا والحجر وبطيخة
٣٦٣	سكن	بم التعلل لا أهل ولا وطن
٣٧٠	عنانا	صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
٣٧٣	القمران	عدوك مذموم بكل لسان
٣٨٠	إحسانا	لو كان ذا الآكل أزوادنا
٣٨١	عيونها	جزى عرباً أمست بيلبليس ربها
٣٨٣	الزمان	مغافى الشعب طيباً فى المغافى

قافية الهاء

٣٩٧	تنميه	أغلب الحيزين ما كنت فيه
٣٩٨	فكره	أنا بالوشاة إذا ذكرتك أشبه
٣٨٩	معناه	الناس ما لم يروك أشباه

مطلع القصيدة :

الصفحة

٤٠١	وصفناه	قالوا ألم تكنه فقلت لهم
٤٠٢	فيها	أحق دار بأن يسمى مباركة
٤٠٣	بنوه	لئن تك طي كانت لثاما
٤٠٤	ذكرها	أوه بديل في قولتي واهما

قافية الياء

٤٠٧	أمانيا	كني بكداء أن ترى الموت شافيا
٤٣٢	راضيا	أريك الرضالوأخفت النفس خافيا

استدراكات وتصحيحات

وهذه تصحيحات واستدراكات وزيادات بدت

لنا بعد الفراغ من هذا الشرح

جاء في صفحة ١٤٣ ج أول هذا البيت لدى الرمة:
جاءتْ بِنَسْجِ العنكبوتِ كأنه على عَصَوَيْهَا سَابِرِي مُشْبَرِقُ
وهنا سقطت هذه الكلمة التي يجب أن توضع عقب هذا البيت بين قوسين هكذا
« مشبرق : ممزق »

وجاء في صفحة ١٣٩ ج أول:
ما زلت أسمى معهم وأختلط حتى إذا جاء الظلام المختلط
* جاءوا يَضِيحُ هل رأيت الذئبَ قط *

وقد فاتنا أن نملق على هذا الرجز بما يأتي :

هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله وقيل هو للمعاج وقد رواه البرد في
الكامل على هذا الوجه :

بَدْنَا بِحَسَانٍ وَمِعْزَاهُ تَتَطُّ مَا زَلْتُ أَسْمَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطُ
حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَأَخْتَلَطُ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطُّ
وروي بعضهم بعد قوله بتنا بحسان ومعزاه تتط هذا البيت :

تَلَحَّسُ أذْنِيهِ وَحِينًا تَمْتَخُطُ فِي سَمَنِ مِنْهُ كَثِيرٌ وَأَقِطُ
وحسان : اسم رجل ، والمعزى : من الغنم : خلاف الضأن ، والضمير فيه لحسان
وتتط : مضارع أط أى صوت جوفه من الجوع ، ويقال امتخط وتمخط أى استنثر ،
وفي سمن : متعلق بقوله تتمخط ، والسمن بسكون الليم وفتحها هنا للضرورة والاقط:
اللبن الخيض يطبخ ثم يترك حتى يوصل ، والضمير في بينهم لحسان باعتبار حيه وقبيلته ،
وأسمى بينهم : أى أردد إليهم ، وأختبط : أى أسأل معروفهم من غير وسيلة وهذا يدل
على كمال شعهم حيث كان ضيفا عندهم لم يشبعوه مع أنه يعرض لمعرفهم ، أما التبط في

الرواية الأخرى فعناه أعدو يقال التبط البعير إذا ضرب بقوائمه الأرض ، وسره حتى « إذا جن الظلام واخطت » غاية لقوله أسمى وألتبط ؛ يريدستر الظلام كل شيء ، وصفهم بالشح وعدم إكرامهم الضيف وبالغ في أنهم لم يأتوا بما أتوا به إلا بدمسى ، ومضى جانب من الليل ثم لم يأتوا إلا بلبن أكثره ماء .

* * *

وجاء في صفحة ١٧٣ ج أول هذا البيت هكذا :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
وصحة البيت هكذا :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
وهو من قصيدة للعباس بن مرداس الصحابي قالها في الجاهلية قبل إسلامه ومطلعها :

لَأَسْمَاءَ رَسَمَ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَا وَأَقْفَرَ إِلَّا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا
« رحرحان : موضع أو جبل قريب من عكاظ ، وراكس : واد » واختار منها أبو تمام في الحماسة أربعة أبيات وهي :

فَلَمْ أَرْمِثَ الْحَى حَيًّا مُصَبَّحَا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقِيْفَا فَوَارِسَا
أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمَلَةَ نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرَّمَاحَ الدَّاعِسَا
إِذَا التَّخِيلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحِ نَكْرُهَا عَلَيْهِمْ فَأَيَّ يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسَا

قال أبو عبيدة في كتابه أيام العرب : غزت بنو سليم - ورئيسهم عباس بن مرداس مراداً ، فجمع لهم عمرو بن معد يكرب ، فالتقوا بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل من كبار مرادسة ، وقتل من بني سليم رجلان ، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه فقال عباس بن مرداس قصيدته التي على السنين وهي إحدى النصفات ... وقوله فلم أرميث الحى حياً مصبوحاً ... قال المرزوقي : أى لم أر مغاراً عليه كالذين صبحناهم ولا مغيراً مثلنا يوم لقيناهم قسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه ، وأصحابهم ، وتناول بالمدح كل فرقة منهم ، وانتصب حياً مصبوحاً على التمييز ، وكذلك فوارسا ، ويجوز أن يكونا فى موضع الحال . وقوله أكر وأحمى الخ فالصراع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زيد والثانى إلى عشيرته

وأصحابه ، والراد : لم أر أحسن كرا وأبلغ حماية للحقائق منهم ولا أضرب للقوانس بالسيوف منا ، والقونس أعلى البيضة ، وأكر : من كر عليه إذا صال عليه وأحمى : من الحماية وحقيقة الرجل ما يحق عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار . قال ابن العاجب قوله أكر وأحمى الخ تبيين لما ادعاه فيما تقدم فيجوز أن ينتصب بفعل مقدر لا صفة لما تقدم لتلايفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبي إذا جعل تميزاً ، ويجوز أن يكون صفة لما تقدم كأنها صفة واحدة ، وإذا جعلاً غير تميز كأنه قال جاءني زيد وعمرو العاقل والعالم وذلك جائز ، فأكر وأحمى صفة لهما مصبها وأضرب منا صفة للموارسا وقوله : إذا ما حملنا الخ يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ونصبوا صدور الخيل القرح والرماح للعدة للطن فالمراد بالداعس الرماح الطاعنة ، وقرس مذك : تم سنهوكات قوته وقوله إذا الخيل جالت الخ أي إذا الخيل دارت عن مصروع منا كرنا عليهم لنصرع مثل ما صرعوا منا ، ويجوز أن يريد إذا جالت الخيل عن صريع ، منهم لا يقننا ذلك منهم بل نكرها عليهم لثله وإن كرهت السكر لشدة البأس فلم ترجع إلا كوالج .

وجاء في صفحة ٢٦٣ جزء أول من السطر الثاني هكذا :

قَطُّ لَا يُدْفَعُ عَنْ سَبْقِ عِرَابِ

وصوابها :

غَيْرُ مُدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابِ

وقد سقط من شرح هذا البيت بحث نحوي طريف يجب أن يوضع بعد تمام شرح البيت وهذا هو : هذا : وقد قال أبو حيان في تذكرته إن هذا البيت في الإعراب نظير بيت أبي نواس :

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقَضِي بِالْمَمِّ وَالْحَزَنِ

قال ابن حيان : فـ«العرب» مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ ، لأنه يصبر التقدير ، العرب غير مدفوع عن السبق ، والعرب جمع فلا أقل من أن يقول غير مدفوعة لأن خبر المبتدأ لا يتغير تذكيره وتأنيته بتقديمه وتأخير . وإليك آراء النحاة في إعراب غير ، قال ابن هشام في المغني : فيه ثلاثة أوجه أحدها أن غير مبتدأ لا خبر له بل لما أضيف إليه ^(١) مرفوع يعني عن الخبر ، وذلك لأنه في معنى النفي ، والوصف بعده

(١) لما : بكسر اللام وتخفيف الميم ، أي بل للاسم الذي أضيف إليه غير مرفوع وهو على زمن لأنه نائب فاعل مأسوف والمضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد

مخفوض لفظا وهو في قوة المرفوع بالابتداء فكأنه قيل مأسوف على زمن ينقض مصاحبا لهم والحزن ، فهو نظير مامضروب الزيدان والنائب عن الفاعل الظرف قاله ابن الشجري وتبعه ابن مالك ، والثاني : أن غير خبر مقدم والأصل زمن ينقض بهم والحزن غير مأسوف عليه ثم قدمت غير وما بعدها ثم حذف زمن دون صفة فعاد الضمير المجرور بعلی على غير مذکور فأنى بالاسم الظاهر مكانه ، قاله ابن جنی وتبعه ابن الحاجب ؛ فإن قيل فيه حذف الموصوف مع أن الصفة غير مفردة وهو في مثل هذا مجتمتع ، قلنا : في النثر هذا شعر فيجوز فيه كقولہ * أما ابن جلا وطلاع الثنايا * أي أنا ابن رجل جلا الأمور وقوله .

* تَرِمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرَمِي الْبَشَرِ *

أي بكفي رجل كان والثالث : أنه خبر لمخدوف ، ومأسوف مصدر جاء على مفعول كالمسور والميسور والمراد به اسم الفاعل والمعنى : أنا غير آسف على زمن هذه صفة ، قاله ابن الحشاش ، وهو ظاهر التمسف .

* * *

وجاء في صفحة ٣٦٧ ج أول هذا البيت :

لَمْ يَكُ الْخُقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسَّرْرِ
جاء في شرحه أنه للحسن بن عرفة وصوابه أنه لحسيل بن عرفة وجاء في شرحه أيضا هذا البيت هكذا :

بآية ما وقفت والركاب وبين الحجون وبين السرر
وصوابه هكذا :

بآية ما وقفت والركاب بين الحجون وبين السرر
وإذن يجب أن ما يذكر في شرح البيت هو هذا : وبعده :

غَيْرَ الْجِدَّةِ مِنْ عِرْفَانِهِ خُرْقُ الرِّيحِ وَطَوْقَانُ الْمَطَرِ
والبيتان لشاعر جاهلي يسمى حسيل بن عرفة والمراد بالحق هنا الوجود بحسب مقتضى الحكمة ، أي ليس يليق بالعاشق أن يهيج حزنه الرسم الدائر ، وهاج هنا متعدي بمعنى أثار ، والهاء مفعول مقدم ضمير العاشق في بيت قبل هذين وهو على حذف مضاف أي هاج حزنه ووجده ، ورسم فاعل هاج وتعنى مبالغة عفا أي دترودرس ، والسرر موضع والجدة : مصدر جد الشيء يجد جدة خلاف القديم ، والعرفان المعرفة ، وخرق

فاعل غير جمع خريق وهي الريح التي تتخرق في الجبال، وطوفان انظر كثرته . يقول
غيرت كثرة الريح والأمطار ما استجدناه من معرفتنا لهذا الرسم .

وجاء في صفحة ١٩ ج ثاني هذا البيت :

وقد أدركتني والحوادثُ جَمَّةٌ أسنة قومٍ لا ضعافٍ ولا عزَلٍ
وقد قاتنا التعليق عليه كوكدنا في مثله ، وهذا هو التعليق الذي يحمل أن يوضع في
موضعه من هامش هاتيك الصفحة : « من أبيات قال ابن الأعرابي في أوراقه إنها لرجل
من بني دارم أسرته بنو عجل ، فلما أنشدهم إياها أطفقوه وقبله » :

وقائلة ما باله لا يزورنا وقد كنتُ عن تلك الزبارة في شغلٍ
وبعده .

لهم أن يُمطرُوني بِنِعْمَةٍ كما صابَ ماء المزنِ في البلدِ الحُلِّ
فقد يَنْعِشُ اللهُ الفتي بعدَ عثرةٍ وَتَصْطَنِعُ الحُسنى سِراةُ بنيِ حِجَلِ

وجاء في صفحة ١٠٠ ج ثان هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة بدون شرح :

قلت إذ أقبلتُ وزُهر تهادي كنعاجِ الفلا تَعْتَفَنَ رَمَلاً
وهذا هو شرحه الذي يجب أن يوضع على هامشه : « من كلمة له يقولها في حميدة
جارية ابن ماجة ومطلهما :

حَمَلِ القَلْبُ من حميدة ثِقَلاً إن في ذاك لِلْفؤادِ لَشَفَلاً
وبعد بيت الشاهد :

قد تَنْقَبَنَّ بالحريِّ وأبدين عيوننا حُورَ المدامعِ نَجَلاً
والزهر : جمع زهراء وهي البيضاء المشرقة ، وتهادى : أى يمشين مشياً رويداً
بسكون ، والنعاج : بقر الوحش ، شبه النساء بها في سكون المشى في الرمل ، وتعتفن :
ركبن ، وإذا مشت في الرمل كان أسكن لمشيها لصعوبة المشى فيه والفلا : تروى « الملا »
هي الفلاة الواسعة .

وجاء في صفحة ٣٦٥ ج ثان هذا البيت :

يحسبه الجاهل ما لم يعلم شيئا على كرسيه معمما
وإليك شرحه الذى فانتا أن نضعه في مكانه حتى إذا قدر لهذا الديوان : أن يعادطبه
وضع هذا الشرح في مكانه من هامش شرح الديوان : هذا البيت من قصيدة مرجزة
أوردها أبو محمد الأعرابي في ضالة الأديب - كما ذكره البندادى في الخزانة - وأولها :

عَبْسِيَّةٌ لَمْ تَزْعَ قَفًّا أَدْرَمًا وَلَمْ تُعْجَمْ عُرْفُطًا مُعْجَمًا
كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا إِذَا هَمَى بَيْنَ أَكْفِ الْخَالِبِينَ كَلَمًا
شَدَّ عَلَيْنِ الْبِنَانَ الْحُكْمَا سَحِيفُ أَفْعَى فِي خَشَى أَغْشَمَا
وَقَدْ حَلَبْنَ حَيْثُ كَانَتْ قِيَمًا مَثْنَى الْوِطَابِ وَالْوِطَابِ الزُّمَمَا
وَقَمًا يَكْسَى مُمَالًا قَشَمًا يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا
شَيْخًا طَلَى كُرْسِيَهُ مُعَمَّمًا لَوْ أَنَّهُ أَبَانَ أَوْ تَكَلَّمَا
لَكَانَ إِيَّاهُ وَلَكِنْ أَعْجَمَا إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ

عبسية : أى لنا إبل عبسية : أى منسوبة إلى عبس أبى القبيلة ، ولم ترع ، من الرعى
والقف : ما ارتفع من الأرض وغلط ولم يبلغ أن يكون جبلا ، وقفا : مفعول ترع ،
والأدرم الذى لا نبات فيه ، ولم تعجم بالتشديد يريد لم تخضع والعرفط كقنفذ شجر من
أشجار البادية والمعجم المعضض ، وقوله كأن صوت شخبها الخ يصف حلب الناقة وشبه صوت
درتها بصوت أفاع في خشى ، والشخب مصدر شخب اللبن يشخب ويشخب إذا خرج
من الضرع ، وهى : سال ، وشد أى غنى وفاعله ضمير الشخب والبنان مفعوله على
تقدر اللام وضمير عليهن للأكف ، وسحيف أنمى : خبر كأن والسحيف الصوت
والأففى : الحية ، والخشى : اليابس والأعشم : الشجر اليابس ، وقيل جمع قائمة والقياس
قوم ، ومثنى الوطاب مفعول حلبن على حذف مضاف أى مل مثنى الوطاب والمثنى هنا
بمعنى المكرره كقولهم مثنى الأيدى أى يعيد معروفه مرتين وثلاثا والوطاب جمع وطب
وهو سقاء اللبن خاصة . والزهم جمع زام من زم القرية ملاءها . والقمع آلة تجعل فى
فم السقاء ونحوه ويصب فيها اللبن ونحوه ، والثمال الرغوة ، وكل شئ يكون ضحفا فهو
قشم . وقوله يحسبه أى يحسب الثمال ، وما مصدرية ظرفية ، ويعلم بمعنى يعرف ، وقوله
محذوف ضمير الثمال وشيئا مفعول ثان ليحسبه وما بعده صفتان له ، شبه الرغوة التى
تعلو القمع بشيخ معمم جالس على كرسى ، وهو تشبيه ظريف ، ولم يصب الأعلام الشنتمري

شارح شواهد سيديه في قوله : وصف جبلا قد عمه الحصب وحفه النبات وهلاه فجعله كشيخ مزمل في ثيابه معصب بهامته الخ ، فكأنه لم يقف على هذه الأبيات وقوله لو أنه أبان أي لو أن ذلك الثمال الذي يشبه الشيخ أبان أي أفصح عما في نفسه لسكان إياه أي لسكان الثمال ذلك الشيخ « انظر خزانة الأدب للبغدادي ج ٤ ص ٥٦٩ ط أميرية »

وجاء في صفحة ٢٨٧ ج ثان هذا البيت المشهور :

بُعَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فَرَاخًا وَأُمُّ الصَّخْرِ مِثْلَاتُ نَزْوَرُ
وقد قلنا شرحه لشهرته . وهذا هو شرحه الذي يجعل أن يوضع في موضعه « البعاث : كل طائر ليس من جوارح الطير ، وقال ابن سيده : بعاث الطير وبعائها : ألائمها وشرارها ومالا يصيد منها ، وقيل الضعيف من الطير والمقلات : التي لا يعيش لها ولد ، وقيل هي التي تلد واحدا ثم لا تلد بعد ذلك . يقال : أقلت المرأة إقلاتنفسى مقلات ومقلات والاسم القلت ، وكذلك كل أنثى إذا لم يبق لها ولد ، والنزور : القليلة الولد »

وجاء في صفحة ٢٩٥ ج ٢ ما يأتي :

« وأنشد الأحنس على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبي :

أَتَوْا نَارِي قَلْتُ مَنْوَنَ أَنْتُمْ فَقَالُوا الْجِنُّ قَلْتُ عَمَّوَا ظَلَامَا

..... إلى آخر الأبيات

وصواب اسم قائل هذه الأبيات « سمير بن الحارث الضبي » لا « شمر » ويوضع في الشرح ما يأتي :

« وقيل قائل هذه الأبيات تأبط شراً ، وقيل للفرزدق وقيل شمر النساني وأول هذه الأبيات :

وَنَارٍ قَدْ حَصَّاتُ بَعِيدَ وَهْنٍ بَدَارٍ لَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامَا

سِوَى تَرْحِيلِ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ أَكَاثِمَهَا مَخَافَةَ أَنْ تَنَامَا

أَتَوْا نَارِي الأبيات

وبعدها :

أَمِطْ هَذَا الطَّعَامَ فَإِنَّ فِيهِ لَأَكْلَهُ النَّقَاصَةَ وَالسَّقَامَا
يصف قائلها نفسه بالجرأة واتحام المهالك . يقول : رب نار قد حضأتها — أى
أوقدتها وسعرتها — وبعيد تصغير بعد ، والوهن والموهن : نحو من نصف الليل — أى أوقدتها
في جوف الليل في مفازة لا أريد إقامة بها سوى تجهيز ما يلزم لراحتي في السفر ولأجل
عين أكلها — أى أحفظها — فأنا أحفظها من النوم وهى تحفظني من العدو ،
ومنون أنتم : استفهام وكان حقه من أنتم ، وعموا ظلما : أى تضموا في وقت الظلام ،
وإلى الطعام : أى هلموا أو أقبلوا إليه ، وفينا : أى علينا ، وأمط عنا : أى أزله عنا ،
والنقاصة : مصدر كالنقص . وهذا كله من أكاذيب العرب .

وجاء في صفحة ٣٣٤ ج ثان هذا المصراع :

* لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا المصراع بما يأتي : « هذا للمصراع من أبيات نسبت إلى
سيدنا هلى بن أبي طالب رضى الله عنه » وهى :

مَجِيئُ الْجَارِعِ بَاكِ مُصَابُ يَا أَهْلَ أَوْ حَبِيبِ ذِي الْكُتَابِ
شَقِيقِ الْجَبِيبِ دَاعِي الْوَيْلِ جَهْلًا كَأَنَّ الْمَوْتَ كَالشَّيْءِ الْمُعْجَابِ
وَسَوَى اللَّهِ فِيهِ أَنْطَلَقَ حَتَّى نَبَىَّ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُحَابِ
لَهُ مَلَكٌ يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ
ريحاب أى محابى . يقال حاباه : أى خصه . قال البغدادي : ورأيت أيضاً في جمهرة
أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب : قد روى أن بعض اللائكة قال :

لَاؤُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ بِصِيرٍ إِلَى ذَهَابِ

وجاء في صفحة ٣٦٢ ج ثالث هذا البيت هكذا :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي نِسَاءِ يَتَعَاظِنَ الْوَرِقِ
وصحة البيت :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي جَوَارِ يَتَعَاظِنَ الْوَرِقِ

وزاد في شرحه مايلي : « وجوار : جمع جارية ، ويتعاطين : أى يتناول بعضهم بعضا ، والورق : الدرهم ، وقال الشريف المرتضى في أماليه : القرق الحشن الذى فيه الحصى ، وشبه حذف مناسمهن له بحذف جوار يلعبن بدرام ، وخص الجوارى — الوليدات — لأنهن أخف يدا من النساء ، وقال آخرون : القرق هنا : للمستوى من الأرض الواسع وإنما خص بالوصف لأن أيدى الإبل إذا أسرعت فى المستوى فهو أحمد لها وإذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها والبيتان قال ابن رشيقيهما لرؤية بن العجاج قال البغدادي : ولم أرهما فى ديوانه .